المُستَطرَف

في كلّ فنّ : مستظرف

تأليف

﴿ شهاب الدين محمد بن أحمد أبى الفتح الأبشيهى المحلى ﴾

﴿ ٧٩٠ – ٨٥٠ هـ ﴾

ثمرات الاوراق فى المحاضرات

الجزء الأول

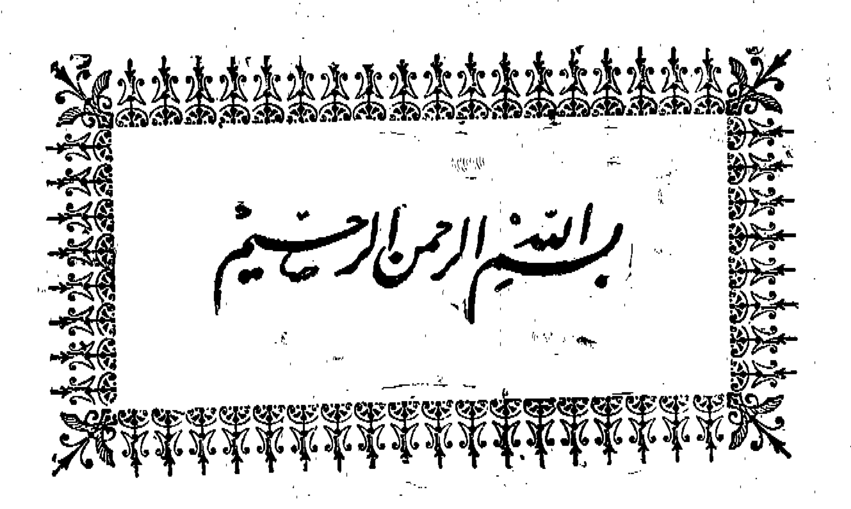
لتقى الدين أبى بكر بن على بن محمد بن حجة الحموى القادرى الحنفى

ويليه ذيلان

١ – لابن حجة الحموى　　٢ – لمحمد بن ابراهيم الأحدب

الناشر
مكتبة الجمهورية العربية
لصاحبها : عبد الفتاح عبد الحميد مراد
شارع الصنادقية بجوار الأزهر – مصر

﴿ لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ﴾



الحمد لله الملك العظيم الكبير * الغنى الحميد اللطيف الخبير * المنفرد بالعز والبقاء والإرادة والتدبير الحى العليم الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير * تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير * أحمده حمد عبد معترف بالعجز والتقصير * وأشكره على ما أعان عليه من قصد ويسر من عسير * وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا مشير * ولا ظهير له ولا وزير * وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله البشير النذير السراج المنير * المبعوث إلى كافة الخلق من غنى وفقير * ومأمور وأمير * ﷺ وعلى آله وأصحابه صلاة يفوز قائلها من الله بمغفرة وأجر كبير * وينجو بها فى الآخرة من عذاب السعير * وحسبنا الله ونعم الوكيل فنعم المولى ونعم النصير * (أما بعد) فقد رأيت جماعة من ذوى الهمم * جمعوا أشياء كثيرة من الآداب والمواعظ والحكم * وبسطوا مجلدات فى التواريخ والنوادر والأخبار والحكايات واللطائف ورقائق الاشعار وألفوا فى ذلك كتبا كثيرة * وتفرد كل منها بفرائد فوائد لم تكن فى غيره من الكتب محصورة * فاستخرت الله تعالى وجمعت من مجموعها هذا المجموع اللطيف * وجعلته مشتملا على كل فن ظريف * (وسميته المستطرف * فى كل فن مستظرف) واستدللت فيه بآيات كثيرة من القرآن العظيم وأحاديث صحيحة من أحاديث النبى الكريم * وطرزته بحكايات حسنة عن الصالحين الأخيار * ونقلت فيه كثيرا مما أودعه الزمخشرى فى كتابه ربيع الأبرار * وكثيرا مما نقله ابن عبد ربه فى كتابه العقد الفريد * ورجوت أن يجد مطالعه فيه كل ما يقصد ويريد * وجمعت فيه لطائف وظرائف عديدة * من منتخبات الكتب النفيسة المفيدة * وأودعته من الأحاديث النبوية والأمثال الشعرية * والألفاظ اللغوية * والحكايات الجدية * والنوادر الهزلية * ومن الغرائب والدقائق والأشعار والرقائق * ما تشنف بذكره الأسماع وتقر برؤيته العيون * وينشرح بمطالعته كل قلب محزون (شعر)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (قال) الشيخ الإمام حجة العرب وترجمان الأدب تقى الدين أبو بكر بن حجة الحنفى منشىء دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية تغمده الله برحمته (أما بعد) حمد الله الذى فكهنا بثمار أوراق العلماء * والصلاة والسلام على نبيه شجرة العلم التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء وعلى آله وصحبه الذين هم فروع هذه الشجرة * وأغصانها التى دنت لهذه الأمة قطوفها المثمرة * فانى وريت بتسمية هذا الكتاب بثمار الأوراق عالما أن قطوفه لم تدن إلا من ذوى الأذواق (فمن ذلك) ما نقلته من درة الغواص لأبى محمد القاسم بن على الحريرى صاحب المقامات أن أبا العباس المبرد روى أن بعض أهل الذمة سأل أبا عثمان المازنى فى قراءة كتاب سيبويه عنه وبذل له مائة دينار فى تدريسه إياه فامتنع أبو عثمان من ذلك فقال له المبرد جعلت فداك أترد هذه النفقة مع فاقتك واحتياجك

من كل معنى يكاد الميت يفهمه ... حسنا ويعشقه القرطاس والقلم

(وجعلته) يشتمل على أربعة وثمانين بابا من أحسن الفنون متوجة بألفاظ كأنها الدر المكنون كما قال بعضهم شعرا فى المعنى

ففى كل باب منه در مؤلف ... كنظم عقود زينتها الجواهر
فان نظم العقد الذى فيه جوهر ... على غير تأليف فما الدر فاخر

(وضمنته) كل لطيفة ونظمته بكل ظريفة وقرنت الأصول فيه بالفصول ورجوت أن يتيسر لى مارمته من الوصول (وجعلت) أبوابه مقدمة وفصلتها فى مواضعها مرتبة منظمة ليقصد الطالب الى كل باب منها عند الاحتياج إليه ويعرف مكانه بالاستدلال عليه فيجد كل معنى فى بابه إن شاء الله تعالى والله المسؤل فى تيسير المطلوب وأن يلهم الناظر فيه ستر ما يراه من خلل وعيوب إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير وهذه فهرست الكتاب والله سبحانه الموفق للصواب

إليها فقال أبو عثمان هذا الكتاب يشتمل على ثلثمائة حديث كذا وكذا آية من كتاب الله ولست أرى أن أمكن منها ذميا غيرة على كتاب الله تعالى وحمية له قال فاتفق أن غنت جارية بحضرة الواثق من شعر العرجى

أظلوم إن مصابكم رجلا ... أهدى السلام تحية ظلم

فاختلف من بالحضرة فى إعراب رجلا فمنهم من نصبه وجعله اسم إن ومنهم من رفعه على أنه خبرها والجارية مصرة على أن شيخها أبا عثمان المازنى لقنها إياه بالنصب فأمر الواثق باشخاصه قال أبو عثمان فلما مثلت بين يديه قال ممن الرجل قلت من مازن يا أمير المؤمنين قال أى الموازن قلت من مازن ربيعة فكلمنى بكلام قومى وقال با سمك لأنهم يقلبون الميم باء والباء ميما إذا كانت فى أول الأسماء فكرهت أن أجيبه على لغة قومى لئلا أواجهه بالمكر فقلت بكر يا أمير المؤمنين ففطن لما قصدته وأعجبه منى ذلك ثم قال ما تقول فى قول الشاعر

أظلوم إن مصابكم رجلا ... أهدى السلام تحية ظلم

أترفع رجلا أم تنصبه
فقلت الوجه النصب ياأمير
المؤمنين قال ولم ذاك فقلت
إن مصابكم مصدر بمعنى
إصابتكم فأخذ الزيدى
فى معارضتى فقلت هو
بمنزلة قولك إن ضربك
زيداً ظلم فالرجل مفعول
مصابكم ومنصوب به
والدليل عليه أن الكلام
متعلق إلى أن تقول ظلم
فيتم فاستحسنه الواثق
وأمر له بألف دينار قال
أبو العباس المبرد فلما عاد
أبو عثمان إلى البصرة قال
لى كيف رأيت رددنا لله
مائة فعوضنا ألفا (ونقلت
من درة الغواص أيضا)
أن حامد بن العباس سأل
على بن عيسى فى ديوان
الوزارة مادواء الخمار وكان
قد علق به فأعرض عن
كلامه وقال ما أنا وهذه
المسألة فخجل حامد منه
والتفت إلى قاضى القضاة
أبى عمر فسأله عن ذلك
فتنحنح لاصلاح صوته
ثم قال: قال الله تعالى وما
آتاكم الرسول فخذوه وما
نهاكم عنه فانتهوا وقال
النبى صلى الله عليه وسلم
استعينوا على كل صنعة
بصالح أهلها والاعشى
هو المشهور بهذه الصناعة
فى الجاهلية حيث قال

والستون) فى ذكر عجائب الأرض ومافيها من الجبال والبلدان وغرائب البنيان وفيه فصول (الباب السابع والستون) فى ذكر المعادن والاحجار وخواصها (الباب الثامن والستون) فى ذكر الأصوات والألحان وذكر الغناء واختلاف الناس ومن كرهه واستحسنه (الباب التاسع والستون) فى ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم ونوادر الجلساء فى مجالس الخلفاء (الباب السبعون) فى ذكر القينات والأغانى (الباب الحادى والسبعون) فى ذكر العشق ومن بلى به والافتخار به والعفاف وأخبار من مات بالعشق ومافى معنى ذلك وفيه فصول (الباب الثانى والسبعون) فى ذكر رقائق الشعر والمواليا والدوبيت وكان وكان والموشحات والزجل والقومة والالغاز ومدح الاسماء والصفات وفيه فصول (الباب الثالث والسبعون) فى ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن وطلاقهن ومايمدح ومايذم من عشرتهن وفيه فصول (الباب الرابع والسبعون) فى ذم الخمر وتحريمها والنهى عنها (الباب الخامس والسبعون) فى المزاح والنهى عنه وماجاء فى الترخيص فيه والبسط والتنعم وفيه فصول (الباب السادس والسبعون) فى النوادر والحكايات وفيه فصول (الباب السابع والسبعون) فى الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصول (الباب الثامن والسبعون) فى القضاء والقدر وأحكامهما والتوكل على الله تعالى (الباب التاسع والسبعون) فى التوبة وشروطها والندم والاستغفار (الباب الثمانون) فى ذكر الأمراض والعلل والطب والدواء من السنة والعيادة وثوابها وماأشبه ذلك وفيه فصول (الباب الحادى والثمانون) فى ذكر الموت ومايتصل به من القبر وأحواله (الباب الثانى والثمانون) فى الصبر والتأسى والتعازى والمراثى ونحو ذلك وفيه فصول (الباب الثالث والثمانون) فى ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها بأهلها والزهد فيها ونحو ذلك (الباب الرابع والثمانون) فى فضل الصلاة على النبى ﷺ وهو آخر الأبواب ختمتها بالصلاة على سيد العباد أرجو بذلك شفاعته ﷺ يوم المعاد

(الباب الأول فى مبانى الإسلام وفيه خمسة فصول)

(الفصل الأول فى الإخلاص لله تعالى والثناء عليه)

وهو أن تعلم أن الله تعالى واحد لاشريك له فرد لامثل له صمد لاندله أزلى قائم أبدى دائم لأول لوجوده ولاآخر لأبديته قيوم لايفنيه الأبد ولا يغيره الأمد بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن منزه عن الجسمية ليس كمثله شىء وهو فوق كل شىء فوقيته لاتزيده بعدا عن عباده وهو أقرب إلى العبيد من حبل الوريد وهو على كل شىء شهيد وهو معكم أينما كنتم لايشابه قربه قرب الأجسام كما لايشابه ذاته ذوات الأجرام منزه عن أن يحده زمان مقدس عن أن يحيط به مكان تراه أبصار الابرار فى دار القرار على مادلت عليه الآيات والأخبار حى قادر جبار قاهر لايعتريه عجز ولا قصور ولا تأخذه سنة ولا نوم له الملك والملكوت والعزة والجبروت خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لاتحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته عالم بجميع المعلومات لايعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السموات يعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وخفيات السرائر مريد للكائنات مدبر للحادثات لايجرى فى ملكه قليل ولا كثير ولا جليل ولا حقير خير أو شر نفع أو ضر إلا بقضائه وقدره وحكمه ومشيئته فماشاء كان ومالم يشأ لم يكن فهو المبدى المعيد الفاعل لما يريد لامعقب لحكمه ولاراد لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته إلا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته إلا بمحبته وإرادته لو اجتمع الإنس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا فى العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته لعجزوا سميع بصير متكلم بكلام لايشبه كلام خلقه

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها ثم تلاه أبو نواس فى الإسلام فقال

دع عنك لومى فإن اللوم إغراء وداونى بالتى كانت هى الداء

فاصفر حينئذ وجه حامد وقال لابن عيسى ماضرك ياباردأن تجيب ببعض ماأجاب به مولانا قاضى القضاة وقد استظهر فى جواب المسألة بقول الله تعالى أولا ثم بقول النبى صلى الله عليه وسلم ثانيا وأدى المفى وخرج من العهدة فكان خجل ابن عيسى أكثر من خجل حامد لما ابتدأه بالمسألة .انتهى.

* ويضارع هذه الحكاية فى لين بعض القضاة المتقشفين وإذ عانهم مع الزهد والتقشف للمستفتين ماينقلته من درة الغواص للحريرى أيضا قال اجتمع قوم على شراب فتغنى مغنيهم بشعر حسان

أن التى ناولتنى فرددتها قتلت قتلت فهاتها لم تقتل
كلتاهما حلب العصير فعاطنى بزجاجة أرخاهما للمفصل

فقال بعضهم امرأتى طالق إن لم أسأل الليلة عبيد الله بن الحسن القاضى عن علة هذا الشعر كيف قال إن التى فوحد

وكل ماسواه سبحانه وتعالى فهو حادث أوجده بقدرته وما من حركة وسكون إلا وله في ذلك دالة على وحدانيته قال الله تعالى إن في خلق السموات والأرض الآية وقال أبو العتاهية

فيا عجبا كيف يعصى الإله ام كيف يجحده الجاحد وفي كل شيء له آية
تدل على أنه الواحد ولله في كل تحريكة وتسكينة في الورى شاهد

وقال غيره

كل ماترتقي إليه بوهم من جلال وقدرة وسناء
فالذي أبدع البرية أعلى منه سبحان مبدع الاشياء

وقال علي رضي الله عنه في بعض وصاياه لولده اعلم يابني أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت أفعاله وصفاته ولكنه إله واحد لايضاده في ملكه أحد وعنه عليه الصلاة والسلام كل مايتصور في الأذهان فالله سبحانه بخلافه وقال لبيد بن ربيعة

ألا كل شيء ماخلا الله باطل وكل نعيم لامحالة زائل وكل ابن أنثى لو تطاول عمره
إلى الغاية القصوى فللقبر آيل وكل أناس سوف ندخل بينهم دويهية تصفر منها الأنامل
وكل امرىء يوما سيعرف سعيه إذ حصلت عند الإله الحصائل

وروى أن النبي ﷺ قال وهو على المنبر إن أشعر كلمة قالتها العرب ألا كل شيء ماخلا الله باطل ثم بعد هذا الاعتقاد الاقرار بالشهادة بأن محمدا رسول الله بعثه برسالته إلى الخلائق كافة وجعله خاتم الأنبياء ونسخ بشريعته الشرائع وجعله سيد البشر والشفيع المشفع في الحشر وأوجب على الخلق تصديقه فيما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة فلا يصح إيمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به الموت من سؤال منكر ونكير وهما ملكان من ملائكة الله تعالى يسألان العبد في قبره عن التوحيد والرسالة ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك ويؤمن بعذاب القبر وأنه حق وأن الميزان حق والصراط حق والحساب حق وأن الجنة حق والنار حق وأن الله تعالى يدخل الجنة من يشاء بغير حساب وهم المقربون وأنه يخرج عصاة الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لايبقى في جهنم من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان ويؤمن بشفاعة الأنبياء ثم بشفاعة العلماء ثم بشفاعة الشهداء وأن يعتقد فضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ويحسن الظن بجميعهم على ماوردت به الاخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك مؤمنا به موقنا فهو من أهل الحق والسنة مفارق لعصابة الضلال والبدعة رزقنا الله الثبات على هذه العقيدة وجعلنا من أهلها ووفقنا للدوام إلى الممات على التمسك والاعتصام بحبلها إنه سميع مجيب فهذه العقيدة قد اشتملت على أحد أركان الإسلام الخمسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا

(الفصل الثاني في الصلاة وفضلها) قال الله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين وقال تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال تعالى إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا واختلفوا في اشتقاق اسم الصلاة مم هو فقيل هو من الدعاء وتسمية الصلاة دعاء معروفة في كلام العرب فسميت الصلاة صلاة لما فيها من الدعاء وقيل سميت بذلك من الرحمة قال الله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي فهي من الله رحمة ومن الملائكة استغفار ومن الناس دعاء قال ﷺ اللهم صل على آل أبي أوفى أي ارحمهم وقيل سميت بذلك من الاستقامة من قولهم صليت العود إذا قومته والصلاة تقيم العبد على طاعة الله وخدمته وتنهاه عن خلافه قال الله تعالى إن الصلاة تنهى

عن

ثم قال كلتاهما فتى فأشفقوا على صاحبهم وتركوا ماكانوا فيه ومضوا يتخطون القبائل إلى بني شقره فوجدوا عبيد الله ابن الحسن يصلي فلما فرغ من صلاته قالوا له قد جئناك في أمر دعتنا إليه الضرورة وشرحوا له الخبر وسألوه الجواب فقال مع زهده وتقشفه إن التي ناولتني فرددتها عنى بها الخمرة الممزوجة بالماء ثم قال كلتاهما حلب العصير يريد الخمرة المتحلبة من العنب والماء المتحلب من السحاب المكنى عنه بالمعصرات انتهى (قال الحريري) وقد بقي في الشعر ما يحتاج إلى تفسيره أما قوله إن التي ناولتني فرددتها قتلت قتلت فإنه خاطب به الساقي الذي ناوله كأسا ممزوجة لأنه يقال قتلت الخمرة إذا مزجتها فأراد أن يعلمه أنه فطن لما فعله ثم ماأقتنع بذلك منه حتى دعا عليه بالقتل في مقابلة المزج ثم إنه عقب الدعاء عليه بأن استعطى منه ما لم تقتل يعني الصرف التي لم تمزج وقوله أرخاهما للمفصل يعني به اللسان وسمي

عن الفحشاء والمنكر وقيل لأنها صلة بين العبد وربه وعن رسول الله ﷺ قال علم الإيمان الصلاة فمن فرغ لها قلبه وحافظ عليها بحدودها فهو مؤمن وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قال وهو على المنبر إن الرجل ليشيب عارضاه فى الإسلام وما أكمل لله تعالى صلاة قيل وكيف ذلك قال لا يتم ركوعها وسجودها وخشوعها وتواضعه وإقباله على الله فيها وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه وقيل للحسن ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها فقال لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره وقال بعضهم لا تفوت أحداً صلاة فى جماعة إلا بذنب * وكانت رابعة العدوية تصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة وتقول والله ما أريد بها ثوابا ولكن ليسر ذلك رسول الله ﷺ ويقول للأنبياء عليهم الصلاة والسلام انظروا إلى امرأة من أمتى هذا عملها فى اليوم والليلة * وقال بعضهم صليت خلف ذى النون المصرى فلما أراد أن يكبر رفع يديه وقال الله ثم بهت وبقى كأنه جسد لا روح فيه اعظاما لربه جل وعلا ثم قال أكبر فظننت أن قلبى انخلع من هيبة تكبيره * وقيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام ياداود كذب من ادعى محبتى وإذا جن عليه الليل نام عنى أليس كل محب يحب الخلوة بحبيبه * ولعبدالله ابن المبارك رضى الله تعالى عنه

إذا ما الليل أظلم كابدوه ... فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا ... وأهل الأمر فى الدنيا هجوع

وكان سيدى الشيخ الإمام العلامة فتح الدين بن أمين الدين الحكم النحرير رحمه الله كثيرا ما يتمثل بهذه الأبيات

ياأيها الراقد كم ترقد ... قم ياحبيبى قد دنا الموعد وخذ من الليل ولو ساعة
تحظى إذا ماهجع الرقد ... من نام حتى ينقضى ليله لم يبلغ المنزل لو يجهد

وكان سيدى أويس القرنى لا ينام ليله ويقول ما بال الملائكة لا يفترون ونحن نفتر وقال حذيفة رضى الله عنه كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وقال هشام بن عروة كان أبى يطيل المكتوبة ويقول هى رأس المال وقال أبو الطفيل سمعت أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يقول ياأيها الناس قوموا إلى نيرانكم فاطفئوها سمعت رسول الله ﷺ يقول الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر * وجزأ محمد بن المنكدر عليه وعلى أمه وعلى أخته الليل أثلاثا فماتت أخته فجزأه عليه وعلى أمه فماتت فقام الليل كله * وكان مسلم بن بشار إذا أراد أن يصلى فى بيته يقول لأهله تحدثوا فلست أسمع حديثكم * وكان إذا دخل البيت سكت أهله فلا يسمع لهم كلام فإذا قام إلى الصلاة تحدثوا وضحكوا ووقع حريق إلى جنبه وهو فى الصلاة فما شعر به حتى أطفئ * وكان الحمام يقع على رأس ابن الزبير فى المسجد الحرام يحسبه جذعا منصوبا لطول انتصابه فى الصلاة وكانت العصافير تقع على ظهر إبراهيم بن شريك وهو ساجد كما تقع على الحائط * وختم القرآن فى ركعة واحدة أربعة من الأئمة عثمان بن عفان وتميم الدارى وسعيد بن جبير وأبو حنيفة رضى الله تعالى عنهم ورأى الأوزاعى شابا بين القبر والمنبر فلما طلع الفجر استلقى ثم قال

عند الصباح يحمد القوم السرى * فقال يا ابن أخى لك ولأصحابك لا للحالين وكان خلف بن أيوب لا يطرد الذباب عن وجهه فى الصلاة فقيل له كيف تصبر فقال بلغنى أن الفساق يتصبرون تحت السياط ليقال فلان صبور وأنا بين يدى ربى أفلا أصبر على ذباب يقع على وقال أبو صفوان بن عوانة ما من منظر أحسن من رجل عليه ثياب بيض وهو قائم يصلى فى القمر كأنه يشبه الملائكة وقال الحسن ما كان فى

مفصلا بالكسر لأنه يفصل بين الحق والباطل قال الحريرى وليس على ما اعتمده القاضى عبيد الله من الاستماح وخفض الجناح ما يقدم فى نزاهته ويغض من نبله ونباهته والله أعلم * ونقلت من درة الغواص أن عروة بن أذينة الشاعر وفد على هشام ابن عبد الملك فى جماعة من الشعراء فلما دخلوا عليه عرف عروة فقال له ألست القائل * لقد علمت وما الإسراف من خلقى * أن الذى هو رزقى سوف يأتينى * أسعى إليه فيعيينى تطلبه ولو قعدت أتانى لا يعنينى وأراك قد جئت من الحجاز إلى الشام فى طلب الرزق فقال له ياأمير المؤمنين زادك الله بسطة فى العلم والجسم ولا رد وافدك خائبا والله لقد بالغت فى الوعظ وأذكرتنى ما أنسانيه الدهر وخرج من فوره إلى راحلته فركبها وتوجه راجعا إلى الحجاز فلما كان فى الليل ذكره هشام وهو فى فراشه فقال رجل من قريش قال حكمة ووفد إلى فجبهته ورددته عن حاجته وهو مع ذلك

هذه الأمه أعبد من فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ كانت تقوم بالأسحار حتى تورمت قدماها وقام رسول الله ﷺ حتى تورمت قدماه وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكانت دموعه تقع فى مصلاه كوكف المطر وكان إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام يسمع لقلبه خفقان وغليان . هذا خوف الحبيب والخليل مع ما أعطيا من الاجلال والإكرام وشرف المقام فالعجب كيف يطمئن قلب من أزعجته الآثام وقال رسول الله ﷺ لرجل قال له ادع الله أن يجعلنى رفيقك فى الجنة فقال أعنى على نفسك بكثرة السجود وقال حاتم الأصم رحمه الله تعالى فاتتنى صلاة الجماعة مرة فعزانى أبو إسحق البخارى وحده ولو مات لى ولد لعزانى أكثر من عشرة آلاف لأن مصيبة الدين عندهم أهون من مصيبة الدنيا وكان السلف رضى الله تعالى عنهم يعزون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى وسبعا إذا فاتتهم الجماعة وقال ابن عباس رضى الله عنهما ركعتان مقتصدتان فى تفكير خير من قيام ليلة والقلب ساه (وأنشد بعضهم)

خسر الذى ترك الصلاة وخابا ... وأبى معادا صالحا ومآبا
إن كان يجحدها فحسبك أنه ... أضحى بربك كافراً مرتابا
أو كان يتركها لنوع تكاسل ... غطى على وجه الصواب حجابا
فالشافعى ومالك رأيا له ... إن لم يتب حد الحسام عقابا
والرأى عندى للإمام عذابه ... بجميع تأديب يراه صوابا

اللهم أعنا على الصلاة وتقبلها منا بكرمك ولا تجعلنا من الغافلين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين (ومما يستحسن إلحاقه بهذا الفصل) ذكر شىء من فضل السواك والأذان (أما السواك) فقد قال الرسول ﷺ لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عن كل صلاة وقال أيضا صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة على غير سواك وقال حذيفة بن اليمان رضى الله عنه كان رسول الله ﷺ إذا قام ليتهجد شاص فاه بالسواك وقال ﷺ السواك مطهر للفم مرضاة للرب وعنه ﷺ أنه قال لو يعلم الناس ما فى السواك لبات مع الرجل فى لحافه وقال أيضاً أفوهكم طرق لكلام ربكم فنظفوها والاختيار فى السواك أن يكون بعود الأراك ويجزى بغيره من العيدان وبالسعد والاشنان والخرقة الخشنة وغير ذلك مما ينظف ويستاك عرضا مبتدئا بالجانب الأيمن من فيه وينوى به الاتيان بالسنة والسواك بعود الزيتون يزيل الحفر من الاسنان وقال الأصحاب يقول عند السواك اللهم بارك لى فيه يا أرحم الراحمين ويستاك فى ظاهر الاسنان وباطنها ويمر السواك على أطراف أسنانه وأضراسه وسقف حلقه إمراراً لطيفا ويستاك بعود متوسط لا شديد اليبوسة ولا شديد اللين فإن اشتد يبسه لينه بالماء وقد قيل إن من فضائل السواك أنه يذكر الشهادة عند الموت ويسهل خروج الروح (وأما الأذان) فقد روى عن النبى ﷺ أنه قال يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه قيل فى قوله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا نزلت فى المؤذنين وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال يغفر الله للمؤذن مدى صوته ويشهد له ما سمعه من رطب ويابس وعن معاوية رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة رواه مسلم وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال إذا نودى للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين رواه البخارى ومسلم وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شىء إلا شهد له يوم القيامة رواه البخارى والأحاديث فى فضله كثيرة مشهورة والله سبحانه وتعالى أعلم

(الفصل الثالث فى الزكاة وفضلها) قرن الله سبحانه وتعالى الزكاة بالصلاة فى مواضع شتى من كتابه

شاعر لا آمن ما يقول فلما أصبح سأل عنه فأخبر بانصرافه وقال لا جرم ليعلم أن الرزق سيأتيه ثم دعا مولى له وأعطاه ألفى دينار وقال إلحق بهذه ابن أذينة واعطه إياها قال فلم أدركه إلا وقد دخل بيته فقرعت الباب عليه فخرج إلى فأعطيته المال فقال أبلغ أمير المؤمنين قولى سعيت فأكديت ورجعت إلى بيتى فأتانى رزقى (ويضارع هذه الحكاية) ما حكى عن هدبة بن خالد رحمه الله تعالى قال حضرت مائدة المأمون فلما رفعت المائدة جعلت ألتقط ما فى الأرض فنظر إلى المأمون فقال أما شبعت يا شيخ قلت بلى يا أمير المؤمنين ولكن حدثنى حماد بن سلمة عن ثابت بن أنس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من التقط ما تحت مائدته أمن الفقر فنظر المأمون إلى خادم واقف بين يديه فأشار إليه فما شعرت أن جاءنى ومعه منديل فيه ألف دينار فناولنى إياه فقلت يا أمير المؤمنين وهذا من ذاك . انتهى (ومن لطائف ما جنيت

قال

قال الله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وقال تعالى ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة وعن بريدة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال ما حبس قوم الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال ما خالطت الزكاة مالا قط إلا أهلكته وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال من كان عنده ما يزكي ولم يزك ومن كان عنده ما يحج ولم يحج سأل الرجعة يعني قوله تعالى رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت (ويلتحق) بهذا الفصل ذكر شيء من الصدقة وفضلها وما جاء فيها وما أعد الله تعالى للمتصدقين من الأجر والثواب ودفع البلاء قال الله تعالى إن الله يجزي المتصدقين وقال تعالى المتصدقين والمتصدقات الآية والآيات الكريمة في ذلك كثيرة والأحاديث الصحيحة فيه مشهورة وروى الترمذي في جامعه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره وفي صحيح مسلم وموطأ مالك وجامع الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ما ما نقص مال من صدقة أو قال ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع عبد إلا رحمه الله تعالى (ودخلت) امرأة شلاء على عائشة رضي الله عنها فقالت كان أبي يحب الصدقة وأمي تبغضها لم تتصدق في عمرها إلا بقطعة شحم وخلقة فرأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكأن أمي قد غطت عورتها بالخلقة وفي يدها الشحمة تلحسها من العطش فذهبت إلى أبي وهو على حافة حوض يسقي الناس فطلبت منه قدحا من ماء فسقيت أمي فنوديت من فوقي ألا من سقاها شل الله يدها فانتبهت كما ترين (ووقف) سائل على امرأة وهي تتعشى فقامت فوضعت لقمة في فيه ثم بكرت إلى زوجها في مزرعته فوضعت ولدها عنده وقامت لحاجة تريد قضاءها فاختلسه الذئب فوقفت وقالت يارب ولدي فأتاها آت فأخذ بعنق الذئب فاستخرجت ولدها من غير أذى ولا ضرر فقال لها هذه اللقمة بتلك اللقمة التي وضعتها في فم السائل (وعشش) ورشان في شجرة في دار رجل فلما همت أفراخه بالطيران زينت امرأة ذلك الرجل له أخذ أفراخ ذلك الورشان ففعل ذلك مرارا وكلما فرخ الورشان أخذوا أفراخه فشكا الورشان ذلك إلى سليمان عليه السلام وقال يارسول الله أردت أن يكون لي فراخ فقال سليمان لشيطانين اذا رأيتماه يصعد الشجرة فشقاه نصفين فلما أراد الرجل أن يصعد الشجرة أعترضه سائل فأطعمه كسرة من خبز شعير ثم صعد وأخذ الأفراخ على عادته فشكا الورشان ذلك إلى سليمان عليه السلام فقال للشيطانين ألم تفعلا ما أمرتكما به فقالا اعترضنا ملكان فطرحانا في الخافقين (وقال) النخعي كانوا يرون أن الرجل المظلوم إذا تصدق بشيء دفع عنه البلاء وكان الرجل يضع الصدقة في يد الفقير ويتمثل قائما بين يديه ويسأله قبولها حتى يكون هو في صورة السائل وقال رسول الله ﷺ الصدقة تسد سبعين بابا من الشر وعنه ﷺ قال ردوا صدمة البلاء ولو بمثل رأس الطائر من طعام وروي عنه ﷺ أنه قال ردوا مذمة السائل ولو بظلف محرق وعنه أيضا ﷺ اتقوا النار ولو بشق تمرة وقال عيسى صلوات الله وسلامه عليه من رد سائلا خائبا لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام وكان نبينا محمد ﷺ يناول المسكين بيده وعنه ﷺ ما من مسلم يكسو مسلما ثوبا إلا كان في حفظ الله ما كانت عليه منه رقعة وقال عبد العزيز بن عمير الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وعن الربيع بن خيثم أنه خرج في ليلة شاتية وعليه برنس خز فرأى سائلا فأعطاه إياه وتلا قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وروى عن رسول الله ﷺ

من ثمرات الأوراق) أن رجلا من الحذاق كان يكتب كتابا وإلى جانبه آخر (٩) فانتهى في كتابه إلى اسم عمرو فكتبه بغير واو فقال يا مولانا زدها واوا للفرق بينها وبين عمر فقال له والله لقد تفوضل مولانا بزيادة الواو بمعنى تفضل (قلت) وبعضهم يرى أن الواو تزاد بعد لا النافية في الجواب إذا قيل هل فعلت كذا أو كذا فيقول لا وعافاك الله * قال أبو الفرج بن الجوزي روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لرجل عربي أكان كذا وكان فقال لا أطال الله بقاءك فقال الامام عمر رضي الله عنه قد علمتم فلم تتعلموا هلا قلت لا وعافاك الله (وحكي) عن الصاحب بن عباد أنه قال هذه الواو هنا أحسن من واوات الاصداغ في وجنات الملاح (قلت) وهذه الواو أعني واو عمرو نظم فيها الشعراء كثيرا منهم أبو نواس قال يهجو أشجع السلمي

قل لمن يدعي سليمى سفاها . لست منها ولا قلامة ظفر * إنما أنت من سليمى كواو
ألحقت في الهجاء ظلما بعمرو

(وقال أبو سعيد الرستمي وأجاد)

في الحق أن يعطى ثلاثون شاعرا
ويحرم مادون الرضا شاعر مثلي

قال لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر وإن سوء الخلق شؤم وحسن الملكة نماء والصدقة تدفع ميتة السوء. وقال يحيى بن معاذ ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا إلا من الصدقة وعن عمر رضي الله عنه أن الأعمال تباهت فقالت الصدقة أنا أفضلكن وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال تداركوا الهموم والغموم بالصدقات يدفع الله ضركم وينصركم على عدوكم وعن عبيد بن عمير قال يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأعطش ما كانوا قط فمن أطعم لله أشبعه الله ومن سقى لله سقاه الله ومن كساه كساه الله وقال الشعبي من لم ير نفسه إلى ثواب الصدقة أحوج من الفقير إلى صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه وكان الحسن بن صالح إذا جاءه سائل فإن كان عنده ذهب أو فضة أو طعام أعطاه فإن لم يكن عنده من ذلك شيء أعطاه دهنا أو غيره مما ينتفع به فإن لم يكن عنده شيء أعطاه كحلا أو أخرج إبرة وخيطا فرقع بهما ثوب السائل. ووجه رجل ابنه في تجارة فقضت أشهر ولم يقع له على خبر فتصدق برغيفين وأرخ ذلك اليوم فلما كان بعد سنة رجع ابنه غانما رابحا فسأله أبوه هل أصابك في سفرك بلاء قال نعم غرقت السفينة بنا في وسط البحر وغرقت في جملة الناس وإذا بشابين أخذاني فطرحاني على الشط وقالا لي قل لوالدك هذا برغيفين فكيف لو تصدقت بأكثر من ذلك . وقال علي رضي الله تعالى عنه وكرم الله وجهه إذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك فيوافيك به حيث تحتاج إليه فاغتنم حمله إياه ولله در القائل حيث قال

يبكى على الذاهب من ماله ... وإنما يبقى الذي يذهب

(وحكى) أن رجلا عبد الله سبعين سنة فبينما هو في معبده ذات ليلة إذ وقعت به امرأة جميلة فسألته أن يفتح لها وكانت ليلة شاتية فلم يلتفت إليها وأقبل على عبادته فولت المرأة فنظر إليها فأعجبته فملكت قلبه وسلبت لبه فترك العبادة وتبعها وقال إلى أين فقالت إلى حيث أريد فقال هيهات صار المراد مريدا والأحرار عبيدا ثم جذبها فأدخلها مكانه فأقامت عنده سبعة أيام فعند ذلك تذكر ما كان فيه من العبادة وكيف باع عبادة سبعين سنة بمعصية سبعة أيام فبكى حتى غشي عليه فلما أفاق قالت له يا هذا والله أنت ما عصيت الله مع غيري وأنا ما عصيت الله مع غيرك وإني أرى في وجهك أثر الصلاح فبالله عليك إذا صالحك مولاك فاذكرني قال فخرج هائما على وجهه فآواه الليل إلى خربة فيها عشرة عميان وكان بالقرب منهم راهب يبعث إليهم في كل ليلة بعشرة أرغفة فجاء غلام الراهب على عادته بالخبز فمد ذلك الرجل العاصي يده فأخذ رغيفا فبقي منهم رجل لم يأخذ شيئا فقال أين رغيفي فقال الغلام قد فرقت عليكم العشرة فقال أبيت طاويا فبكى الرجل العاصي وناول الرغيف لصاحبه وقال لنفسه أنا أحق أن أبيت طاويا لأني عاص وهذا مطيع فنام واشتد به الجوع حتى أشرف على الهلاك فأمر الله تعالى ملك الموت بقبض روحه فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة هذا رجل فر من ذنبه وجاء طائعا وقالت ملائكة العذاب بل هو رجل عاص فأوحى الله تعالى إليهم أن زنوا عبادة السبعين سنة بمعصية السبع ليالي فوزنوها فرجحت المعصية على عبادة السبعين سنة فأوحى الله إليهم أن زنوا معصية السبع ليالي بالرغيف الذي آثر على نفسه فوزنوا ذلك فرجح الرغيف فتوفته ملائكة الرحمة وقبل الله توبته (وحكى) أن رجلا جلس يوما يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج إليه وانتهره فذهب فاتفق بعد ذلك أن الرجل افتقر وزالت نعمته وطلق زوجته وتزوجت بعده برجل آخر فجلس يأكل معها في بعض الأيام وبين أيديهما دجاجة مشوية وإذا بسائل يطرق الباب فقال الرجل لزوجته ادفعي إليه هذه الدجاجة فخرجت بها إليه فإذا هو زوجها الأول فدفعت إليه الدجاجة ورجعت وهي باكية فسألها زوجها عن بكائها فأخبرته أن السائل كان زوجها وذكرت له قصتها

كما ساعوا عمرا بواو مزيدة (١٠) وضويق بسم الله في آلف الوصل (ومن لطائف المجتنى) ما نقل عن السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب قيل إنه قال يوما للقاضي الفاضل لنا مدة لم نر فيها العماد الكاتب فلعله ضعيف امض إليه وتفقد أحواله فلما دخل الفاضل إلى دار العماد وجد أشياء أنكرها في نفسه مثل آثار مجالس أنس ورائحة خمر وآلات طرب فأنشد

ما ناصحتك خبايا الود من رجل ... ما لم ينلك بمكروه من العذل
محبتي فيك تأبى عن مسامحتي ... بأن أراك على شيء من الزلل

فلما قام من عنده نزع العماد عما كان فيه وأقلع ولم يعد إلى شيء من ذلك ألبتة (ومن اللطائف) ما نقل عن الملك الظاهر رحمه الله تعالى قيل إنه استعرض الأمير بدر الدين يلبك الخازندار ليشتريه قال له أنا حر يا مولانا السلطان وأحسن الكتابة فأحضرت له دواة فكتب يقول

لولا الضرورة ما فارقتكم أبدا ... ولا تنقلت من ناس إلى ناس

فأعجبه الاستشهاد بهذا البيت ورغبه ذلك في مشتراه (ويضارعه ما حكي عن الصاحب كمال الدين بن العديم) قيل إن انسانا رفع رقعة إلى الصاحب المشار إليه فأعجبه خطها فأمسكها وقال لرافعها هذا خطك قال لا ولكن

مع

مع ذلك السائل الذى انتهره زوجها الأول فقال لها زوجها أنا والله ذلك السائل (وذكر) مكحول أن رجلا أتى إلى أبى هريرة رضى الله عنه فقال ادع الله لابنى فقد وقع فى نفسى الخوف من هلاكه فقال له ألا أدلك على ماهو أنفع من دعائى وأنجع وأسرع اجابة قال بلى قال تصدق عنه بصدقة تنوى بها نجاة ولدك وسلامة مامعه فخرج الرجل من عنده وتصدق على سائل بدرهم وقال هذا خلاص ولدى وسلامته وما معه فنادى فى تلك الساعة مناد فى البحر ألا إن الفداء مقبول وزيد مغاث فلما قدم سأله أبوه عن حاله فقال ياأبت لقد رأيت فى البحر عجبا يوم كذا وكذا فى وقت كذا وكذا وهو اليوم الذى تصدق فيه والده عنه بالدرهم وذلك أنا أشرفنا على الهلاك والتلف فسمعنا صوتا من الهواء ألا إن الفداء مقبول وزيد مغاث وجاءنا رجال عليهم ثياب بيض فقدموا السفينة إلى جزيرة كانت بالقرب منا وسلمنا وصرنا بخير أجمعين والآثار والحكايات فى ذلك كثيرة وفيما أشرت إليه كفاية لمن وعى وأن ليس للانسان إلا ماسعى والله أعلم

(الفصل الرابع فى الصوم وفضله وما أعده الله للصائم من الأجر والثواب) قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون قيل للصوم عموم وخصوص وخصوص الخصوص ٭ فصوم العموم هو كف البطن والفرج وسائر الجوارح عن قصد الشهوه ٭ وصوم الخصوص هو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام ٭ وصوم خصوص الخصوص هو صوم القلب عن الهمم الدنية وكفه عما سوى الله بالكلية ٭ قال رسول الله ﷺ زكاة الجسد الصيام وعنه ﷺ أنه قال للصائم فرحتان فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه وقال وكيع فى قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية إنها أيام الصوم تركوا فيها الأكل والشرب وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ انه قال من أفطر يوما فى رمضان من غير رخصة رخصها الله له لم يقض عنه صيام الدهر وروى فى صحيح النسائى عنه أيضا ﷺ انه قال إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين وروى الزهرى أن تسبيحة واحدة فى شهر رمضان أفضل من ألف تسبيحة فى غيره وروى عن قتادة أنه كان يقول من لم يغفر له فى شهر رمضان فلن يغفر له فى غيره وقال رسول الله ﷺ لو يعلم الناس مافى شهر رمضان من الخير لتمنت أمتى أن يكون رمضان السنة كلها ولو أذن الله للسموات والارض أن تتكلما لشهدتا لمن صام رمضان بالجنة وقال ﷺ ليس من عبد يصلى فى ليلة من شهر رمضان إلا كتب الله له بكل ركعة ألفا وخمسمائة حسنة وبنى له بيتا فى الجنة من ياقوتة حمراء لها سبعون ألف باب لكل باب منها مصرعان من ذهب وله بكل سجدة يسجدها شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام وقال ﷺ إن لكل صائم دعوة فاذا أراد أن تقبل فليقل فى كل ليلة عند فطره ياواسع المغفرة اغفرلى وعن عبيد الله بن مسعود رضى الله عنه من صام يوما من رمضان خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فاذا انسلخ عنه الشهر وهو حى لم يكتب عليه خطيئة حتى الحول ومن عطش نفسه لله فى يوم شديد الحر من أيام الدنيا كان حقا على الله أن يرويه يوم القيامة وقال بعضهم الصيام زكاة البدن ومن صام الدهر فقد وهب نفسه لله تعالى وروى فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن مااجتنبت الكبائر وعنه ﷺ أنه قال صيام ثلاثة أيام من كل شهر كصيام الدهر وهى الايام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر وفى صحيح البخارى عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ٭ وفضل الصوم

حضرت إلى باب مولانا فوجدت بعض مماليكه فكتبتها إلى فقال على به فلما حضر وجده مملوكه فقال هذا خطك قال نعم قال فهذه طريقتى من هو الذى أظهرك عليها فقال يامولانا كنت إذا وقعت لأحد على رقعة أخذتها منه وسألته المهلة حتى أكتب عليها سطرين أو ثلاثة فأمره أن يكتب بين يديه ليراه فكتب

وما تنفع الآداب والعلم والحجى
وصاحبها عند الكمال يموت

فكان إعجاب الصاحب بالاستشهاد أكثر من الخط ورفع منزلته بعد ذلك

(وأذكرنى اتفاق التورية فى الكمال هنا) ماحكى عن القاضى فخر الدين لقمان والقاضى تاج الدين أحمد بن الأثير رحمهما الله أنهما كانا صحبة السلطان على تل العجول ولفخر الدين مملوك اسمه الطنبا فاتفق أنه طلب مملوكه المذكور وناداه ياطنبا فقال له نعم ولم يأته وكانت ليلة مطرة مظلمة فأخرج فخر الدين ابن لقمان رأسه من الخيمة فقال تقول نعم ولم أرك فقال القاضى تاج الدين

فى ليلة من جمادى ذات أندية
لايبصر الكلب فى أرجائها الطنبا

(ومن اتفاق التورية) أيضا ماكتبه الشيخ شرف الدين بن عبد العزيز الأنصارى شيخ شيوخ حماة ملغزا فى باب إلى والده

ماواقف فى المخرج ٭ يذهب طورا ويجى

عز وجل لأنه خصه الله تعالى بالاضافة إليه كما ثبت فى الصحيح من الحديث عن النبى ﷺ أنه قال مخبرا عن ربه عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به وقد يكتفى فى فضله بهذا الحديث الجليل وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿الفصل الخامس فى الحج وفضله﴾ قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا وقال رسول الله ﷺ من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجرى الله له أجر الحاج والمعتمر إلى يوم القيامة وقال ﷺ من استطاع الحج ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا وفى الحديث إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة وفيه أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له وهو أفضل يوم فى الدنيا وفى الخبر أن الحجر الاسود ياقوتة من يواقيت الجنة وأنه يبعثه الله يوم القيامة وله عينان ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق وجاء فى الحديث الصحيح ان آدم عليه الصلاة والسلام لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام وقال مجاهد ان الحجاج إذا قدموا مكة لحقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا وكان من سنة السلف رضى الله عنهم أن يشيعوا الغزاة ويستقبلوا الحجاج ويقبلوهم بين أعينهم ويسألوهم الدعاء لهم ويبادروا ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام وعن النبى ﷺ ان الله قد وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا كملهم الله تعالى من الملائكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة فكل من حجها يتعلق بأستارها ويسعى حولها حتى تدخل الجنة فيدخل معها (وحكى) أن جميلة الموصلية بنت ناصر الدولة أبى محمد بن حمدان (حجت سنة ست وثمانين وثلثمائة فصارت تاريخا مذكورا وقيل انها سقت أهل الموسم كلهم السويق بالطبرزد والثلج واستصحبت البقول المزروعة فى المراكن على الجمال أعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار ولم تستصبح فيها وعندها الا بشموع العنبر وأعتقت ثلثمائة عبد ومائتى جارية وأغنت الفقراء والمجاورين * ولما بنى آدم عليه الصلاة والسلام البيت وقال يارب ان لكل عامل أجرا فما أجر عملى قال إذا طفت به غفرت لك ذنوبك قال زدنى قال جعلته قبلة لك ولاولادك قال يارب زدنى قال أغفر لكل من استغفرنى من الطائفين به من أهل التوحيد من أولادك قال يارب حسبى * وفى الحديث الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة وقيل للحسن ما الحج المبرور قال أن ترجع زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة وأول من كسا الكعبة بالديباج عبد الله بن الزبير وكانت كسوتها المسح والانطاع وكان يطيبها حتى يوجد ريحها من خارج الحرم وكان حكيم بن حزام يقيم عشية عرفة مائة بدنة ومائة رقبة فيعتق الرقاب عشية عرفة وينحر البدن يوم النحر وكان يطوف بالبيت فيقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له نعم الرب ونعم الاله أحبه وأخشاه * وروى الحسن بن على رضى الله عنهما يطوف بالبيت ثم صار إلى المقام فصلى ركعتين ثم وضع خده على المقام فجعل يبكى ويقول عبيدك ببابك خويدمك ببابك سائلك ببابك مسكينك ببابك يردد ذلك مرارا ثم انصرف رضى الله عنه فر بمساكين معهم فلق خبز يأكلون فسلم عليهم فدعوه إلى الطعام فجلس معهم وقال لولا أنه صدقة لأكلت معكم ثم قال قوموا بنا الى منزلى فتوجهوا معه فأطعمهم وكساهم وأمر لهم بدراهم (وحج) عبد الله بن جعفر رضى الله عنه ومعه ثلاثون راحلة وهو يمشى على رجليه حتى وقف بعرفات فأعتق ثلاثين مملوكا وحملهم على ثلاثين راحلة وأمر لهم بثلاثين ألفا وقال اعتقتهم لله تعالى لعله يعتقنى من النار وقال الحسن بن على رضى الله عنهما انى لأستحى من ربى أن ألقاه ولم أمش الى بيته فمشى من المدينة الى مكة أربعين مرة * ومن لطيف ما أنشد عمرو بن حيان الضرير حين لم يهد اليه الحجاج شيئا

مخصومة والسلام (قيل) إن للصاحب جمال الدين ابن مطروح كتب لبعض الرؤساء رقعة الى صديق له يشفع فيها عنده فكتب ذلك الرئيس هذا الأمر على ما فيه من مشقة فكتب ابن مطروح فى جوابه لولا المشقة فلما وقف عليها فهم الاشارة إلى قول المتنبى

لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفقر والإقدام قتال * وقضى الشغل على الفور انتهى

(قيل) ان يوسف الصديق عليه السلام كتب على باب السجن لما خرج منه هذا قبر الاحياء وشماتة الأعداء وتجربة الاصدقاء (وقال الشاعر) دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة بل فى الشدائد تعرف الاخوان

(ولله در يزيد بن المهلب) من ذى مروءة وسخاء وتصديق أمل فانه كان فى سجن الحجاج يعذب فدخل عليه يزيد بن الحكم وقد حل عليه نجم وكانت نجومه فى كل أسبوع ستة عشر ألف درهم فقال له

أصبح فى قيدك السماحة والجود وفضل السماح والحسب

لا تضجرن ان تتابعت نقم   وصارف فى البلاء محتسب

كان حجيج الآن لم يقربوا منى ولم يحملوا منها سواكا ولا نعلا
أتونا فما جادوا بعود إراكة ولا وضعوا فى كف طفل لنا نقلا
(وقال غيره) يحجون بالمال الذى يجمعونه حراما إلى البيت العتيق المحرم
ويزعم كل منهمو أن وزره يحط ولكن فوقه فى جهنم
(وقال آخر) حج فى الدهر حجة حج فيها وأحرما وأتانا من الحجا ز كما
راح محرما فهو ذو الحجة الذى ما توقى محرما

وتخاصم بدوى مع حاج عند منصرف الناس فقيل له أتخاصم رجلا من الحجاج فقال

يحج لكيما يغفر الله ذنبه ويرجع قد حطت عليه ذنوب

وقال أبو الشمقمق إذا حججت بمال أصله دنس فما حججت ولكن حجت العير
ما يقبل الله إلا كل طيبة ما كل من حج بيت الله مبرور

والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ الباب الثانى فى العقل والذكاء والحمق وذمه وغير ذلك ﴾

نص الله سبحانه وتعالى فى محكم كتابه العزيز ومنزل خطابه الوجيز على شرف العقل وقد ضرب الله سبحانه وتعالى الأمثال وأوضحها وبين بدائع مصنوعاته وشرحها فقال تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون وروى عن النبى ﷺ أنه قال أول ما خلق الله تعالى العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال عز من قائل وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أعز على منك بك آخذ وبك أعطى وبك أحاسب وبك أعاقب وقال أهل المعرفة والعلم العقل جوهر مضىء خلقه الله عز وجل فى الدماغ وجعل نوره فى القلب يدرك به المعلومات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة (واعلم) أن العقل ينقسم إلى قسمين قسم لا يقبل الزيادة والنقصان وقسم يقبلهما فأما الأول فهو العقل الغريزى المشترك بين العقلاء وأما الثانى فهو العقل التجريبى وهو مكتسب وتحصل زيادته بكثرة التجارب والوقائع وباعتبار هذه الحالة يقال إن الشيخ أكمل عقلا وأتم دراية وإن صاحب التجارب أكثرهما وأرجح معرفة ولهذا قيل من بيضت الحوادث سوادلمته وأخلقت التجارب لباس جدته وأراه الله تعالى لكثرة ممارسته تصاريف أقداره وأقضيته كان جديرا برزانة العقل ورجاحة الدراية وقد يخص الله تعالى بألطافه الخفية من يشاء من عباده فيفيض عليه من خزائن مواهبه رزانة عقل وزيادة معرفة تخرجه عن حد الاكتساب ويصير بها راجحا على ذوى التجارب والآداب ويدل على ذلك قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام فيما أخبر الله تعالى به فى محكم كتابه العزيز حيث يقول وآتيناه الحكم صبيا فمن سبقت له سابقة من الله تعالى فى قسم السعادة وأدركته عناية أزلية أشرقت على باطنه أنوار ملكوتية وهداية ربانية فاتصف بالذكاء والفطنة قلبه وأسفر عن وجه الإصابة ظنه وإن كان حديث السن قليل التجربة كما نقل فى قصة سليمان بن داود عليهما السلام وهو حيث رد حكم أبيه داود عليه السلام فى أمر الغنم والحرث وشرح ذلك فيما نقله المفسرون أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب غنم والآخر صاحب حرث فقال أحدهما ان هذا دخلت غنمه بالليل إلى حرثى فأهلكته وأكلته ولم تبق لى فيه شيئا فقال داود عليه السلام الغنم لصاحب الحرث عوضا عن حرثه فلما خرجا من عنده مرا على سليمان عليه السلام وكان عمره اذ ذاك على ما نقله أئمة التفسير إحدى عشرة سنة فقال لهما ما حكم بينكما الملك فذكرا له ذلك فقال غير هذا أرفق بالفريقين فعاد إلى داود عليه السلام وقال له ما قاله ولده سليمان عليه السلام

ونصبر على العذاب إلى البيت الآخر (قال الأصمعى) حضرت مجلس الرشيد وفيه مسلم بن الوليد إذ دخل أبو نواس فقال له الرشيد ما أحدثت بعدنا يا أبا نواس فقال يا أمير المؤمنين ولو فى الخمر فقال قاتلك الله ولو فى الخمر فأنشد

ياشقيق النفس من حكم نمت عن ليلى ولم أنم

حتى انتهى إلى آخرها فقال

فتمشت فى مفاصلهم كتمشى البرء فى السقم

فقال أحسنت والله ياغلام أعطه عشرة آلاف درهم وعشر خلع فأخذها وخرج قال الأصمعى فلما خرجنا من عنده قال لى مسلم بن الوليد ألم تر إلى الحسن بن هانىء كيف سرق شعرى وأخذ به مالا وخلعا فقلت له وأى معنى سرق لك قال قوله فتمشت فى مفاصلهم البيت فقلت وأى شىء قلت فقال

كأن قلبى وشاحاها إذا خطرت وقلبها قلبها فى الصمت والخرس
تجرى محبتها فى قلب وامقها جرى السلامة فى أعضاء منتكس

﴿ ترجمة المعتزلة ﴾ المعتزلة طائفة من المسلمين يرون أن أفعال الخير من الله وأفعال الشر من

فدعاه داود عليه السلام وقال له ماهو الأوفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الغنم إلى صاحب الحرث وكان الحرث كرما قد تدلت عناقيده في قول أكثر المفسرين فيأخذ صاحب الكرم الاغنام يأكل لبنها وينتفع بدرها ونسلها ويسلم الكرم إلى صاحب الأغنام ليقوم به فاذا عاد الكرم إلى هيئته وصورته التي كان عليها ليلة دخلت الغنم اليه سلم صاحب الكرم الغنم إلى صاحبها وتسلم كرمه كما كان بعنا قيده وصورته فقال له داود القضاء كما قلت وحكم به كما قال سليمان عليه السلام وفي هذه القصة نزل قوله تعالى وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فهذه المعرفة والدراية لم تحصل لسليمان بكثرة التجربة وطول المدة بل حصلت بعناية ربانية وألطاف الهية وإذا قذف الله تعالى شيئا من أنوار مواهبه في قلب من يشاء من خلقه اهتدى إلى مواقع الصواب ورجح على ذوي التجارب والاكتساب في كثير من الاسباب ويستدل على حصول كمال العقل في الرجل بما يوجد منه وما يصدر عنه فان العقل معنى لا يمكن مشاهدته فان المشاهدة من خصائص الأجسام فأقول يستدل على عقل الرجل بأمور متعددة منها ميله إلى محاسن الأخلاق وإعراضه عن رذائل الاعمال ورغبته في اسداء صنائع المعروف وتجنبه ما يكسبه عارا ويورثه سوء السمعة وقد قيل لبعض الحكماء بم يعرف عقل الرجل فقال بقلة سقطه في الكلام وكثرة إصابته فيه فقيل له فان كان غائبا فقال باحدى ثلاث إما برسوله وإما بكتابه واما بهديته فان رسوله قائم مقام نفسه وكتابه يصف نطق لسانه وهديته عنوان همته فبقدر ما يكون فيها من نقص يحكم به على صاحبها وقيل من أكبر الأشياء شهادة على عقل الرجل حسن مداراته للناس ويكفي أن حسن المداراة يشهد لصاحبه بتوفيق الله تعالى فانه روى عن النبي ﷺ أنه قال من حرم مداراة الناس فقد حرم التوفيق فمقتضاه أن من رزق المداراة لم يحرم التوفيق وقالوا العاقل الذي يحسن المداراة مع أهل زمانه وقال رسول الله ﷺ الجنة مائة درجة تسعة وتسعون منها لأهل العقل وواحدة لسائر الناس وقال علي بن عبيدة العقل ملك والخصال رعية فاذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل اليها فسمعه أعرابي فقال هذا كلام يقطر عسله وقيل بأيدي العقول تمسك أعنة النفوس وكل شيء إذا كثر رخص إلا العقل فانه كلما كثر علا وقيل لكل شيء غاية وحد والعقول لا غاية له ولا حد ولكن الناس يتفاوتون فيه تفاوت الأزهار في المروج واختلف الحكماء في ماهيته فقال قوم هو نور وضعه الله طبعا وغريزة في القلب كالنور في العين وهو يزيد وينقص ويذهب ويعود كما يدرك بالبصر شواهد الأمر كذلك يدرك بنور القلب المحجوب والمستور وعمى القلب كعمى البصر قال الله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقيل محل العقل الدماغ وهو قول أبي حنيفة رحمه الله تعالى وذهب جماعة إلى أنه في القلب كما روى عن الشافعي رحمه الله تعالى واستدلوا بقوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها وبقوله تعالى إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أي عقل وقالوا التجربة مرآة العقل ولذلك حمدت آراء المشايخ حتى قالوا المشايخ أشجار الوقار لا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم فهم وعليكم بآراء الشيوخ فانهم ان عدموا ذكاء الطبع فقد أفادتهم الأيام حيلة وتجربة (قال الشاعر)

ألم تر أن العقل زين لأهله ... ولكن تمام العقل طول التجارب

(وقال آخر) إذا طال عمر المرء في غير آفة ... أفادت له الأيام في كرها عقلا

(وقال) عامر بن عبد قيس إذا عقلك عقلك عما لا يعنيك فأنت عاقل ويقال لا شرف إلا شرف العقل ولا غنى إلا غنى النفس وقيل يعيش العاقل بعقله حيث كان كما يعيش الأسد بقوته حيث كان قال الشاعر

إذا لم يكن للمرء عقل فانه ... وان كان ذا فضل على الناس هين

الإنسان وأن القرآن مخلوق محدث ليس بقديم وأن الله تعالى غير مرئي في يوم القيامة وأن المؤمن إذا ارتكب الذنب مثل شرب الخمر كان في منزلة بين منزلتين يعنون بذلك أنه ليس بمؤمن ولا كافر وأن إعجاز القرآن في الصرفة لا أنه في نفسه معجز ولو لم يصرف الله العرب عن معارضته لأتوا بما يعارضه وأن من دخل النار لم يخرج منها وإنما سموا معتزلة لأن واصل بن عطاء كان يجلس إلى الحسن البصري رضي الله تعالى عنه فلما ظهر الخلاف وقالت الخوارج بكفر مرتكب الكبائر وقالت الجماعة بأنهم مؤمنون وإن فسقوا بالكبائر خرج واصل عن الفريقين وقال إن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر بل هو في منزلة بين منزلتين فطرده الحسن رضي الله تعالى عنه عن مجلسه فاعتزل عنه فقيل لأتباعه معتزلة ولم يزل مذهب الاعتزال ينمو إلى أيام الرشيد فظهر بشر المريسي وأحضر الشافعي مكبلا في الحديد فسأله بشر والسؤال ما تقول يا قرشي في القرآن فقال إياي تعني قال نعم قال مخلوق فخلي عنه وأحس الشافعي رضي الله عنه بالشر وأن الفتنة تشتد في اظهار القول بخلق القرآن فهرب من بغداد إلى مصر ولم

ومن كان كل عقل أجل لعقله ... وأفضل عقل عقل من يتدين

وقالوا العاقل لا تبطره المنزلة السنية كالجبل لا يتزعزع وإن اشتدت عليه الريح والجاهل تبطره أدنى منزلة كالحشيش يحركه أدنى ريح وقيل لعلي رضي الله تعالى عنه صف لنا العاقل قال هو الذي يضع الشيء مواضعه قيل فصف لنا الجاهل قال قد فعلت يعني الذي لا يضع الشيء مواضعه وقال المنصور لولده خذ عني ثنتين لا تقل من غير تفكير ولا تعمل بغير تدبير وقال أردشير أربعة تحتاج إلى أربعة الحسب إلى الأدب والسرور إلى الأمن والقرابة إلى المودة والعقل إلى التجربة وقال كسرى أنوشروان أربعة تؤدي إلى أربعة العقل إلى الرياسة والرأي إلى السياسة والعلم إلى التصدير والحلم إلى التوقير وقال القاسم بن محمد من لم يكن عقله أغلب الخصال عليه كان حتفه من أغلب الخصال عليه وقيل أفضل العقل معرفة العاقل بنفسه وقيل ثلاثة هن رأس العقل مداراة الناس والاقتصاد في المعيشة والتحبب إلى الناس وقيل من أعجب برأي نفسه بطل رأيه ومن ترك الاستماع من ذوي العقول مات عقله وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال أهل مصر أعقل الناس صغارا وأرحمهم كبارا وقيل العاقل المحروم خير من الأحمق المرزوق وقيل لا ينبغي للعاقل ان يمدح امرأة حتى تموت ولا طعاما حتى يستمرئه ولا يثق بخليل حتى يستقرضه وقيل طول اللحية أمان من العقل وسئل بعضهم أيما أحمد في الصبا الحياء أم الخوف قال الحياء يدل على العقل والخوف يدل على الجبن وقيل غضب العاقل على فعله وغضب الجاهل على قوله وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه قال لي رسول الله ﷺ يا عويمر ازدد عقلا تزدد من الله تعالى قربا قلت بأبي وأمي ومن لي بالعقل قال اجتنب محارم الله تعالى وأد فرائض الله تعالى تكن عاقلا ثم تنقل إلى صالح الأعمال تزدد في الدنيا عقلا وتزدد من الله قربا وعزا . وحكى بعض أهل المعرفة قال حياة النفس بالروح وحياة الروح بالذكر وحياة القلب بالعقل وحياة العقل بالعلم ويروى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه كان ينشد هذه الأبيات ويترنم بها

إن المكارم أخلاق مطهرة ... فالعقل أولها والدين ثانيها والعلم ثالثها والحكم رابعها

والجود خامسها والعرف سادسها ... والبر سابعها والصبر ثامنها والشكر تاسعها واللين عاشيها

والعين تعلم أني لا أصدقها ... إن كان من حزبها أو من أعاديها

والنفس تعلم أني لا أصدقها ... ولست أرشد إلا حين أعصيها

(وقال) بعض الحكماء العاقل من عقله في إرشاد ورأيه في إمداد فقوله سديد وفعله حميد والجاهل من جهله في أغراء فقوله سقيم وفعله ذميم ولا يكفي الدلالة على عقل الرجل الاغترار بحسن ملبسه وملاحة سمته وتسريح لحيته وكثرة صلفته ونظافة بزته إذ كم كنيف مبيض وجلد مفضض وقد قال الأصمعي رأيت بالبصرة شيخا له منظر حسن وعليه ثياب فاخرة حوله حاشية وهرج وعنده دخل وخرج فأردت أن أختبر عقله فسلمت عليه وقلت له ما كنية سيدنا فقال أبو عبد الرحمن الرحيم مالك يوم الدين قال الأصمعي فضحكت منه وعلمت قلة عقله وكثرة جهله ولم يدفع ذلك عنه غزارة خرجه ودخله وقد يكون الرجل موسوما بالعقل مرموقا بعين الفضل فيصدر منه حالة تكشف عن حقيقة حاله وتشهد عليه بقلة عقله واختلاله وقيل إن إياس بن معاوية القاضي كان من أكابر العقلاء وكان عقله يهديه إلى سلوك طرق لا يكاد يسلكها من لم يهتد إليها فكان من جملة الوقائع التي صدرت منه وشهدت له بالعقل الراجح والفكر القادح أنه كان في زمانه رجل مشهور بين الناس بالأمانة فاتفق أن رجلا أراد أن يحج فأودع عند ذلك الرجل الأمين كيسا فيه جملة من الذهب ثم حج فلما عاد من حجه جاء إلى ذلك الرجل وطلب كيسه منه فأنكره وجحده فجاء إلى القاضي إياس وقص عليه القصة فقال

رشيد رحمه الله بخلق القرآن فكان الأمر بين أخذ وترك إلى أن ولي المأمون فقال بخلق القرآن وبقي يقدم رجلا ويؤخر أخرى في الدعوة إلى ذلك إلى أن قوي عزمه في السنة التي مات فيها وطلب الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه فأخبر في الطريق أنه توفي فبقي الامام محبوسا بالرقة حتى بويع المعتصم فأحضر إلى بغداد وعقد له مجلس المناظرة وفيه عبد الرحمن ابن اسحق والقاضي أحمد ابن أبي دؤاد وغيرهما فناظروه ثلاثة أيام فلم يقطع في بحث وسفه أقوال الجميع فأمر به فضرب بالسياط إلى أن أغمي عليه ورمي على بادية وهو مغشي عليه ثم حمل وصار إلى منزله ولم يقل بخلق القرآن ومكث في السجن ثمانية وعشرين شهرا ولم يزل يحضر الجمعة ويفتي ويحدث حتى مات المعتصم وولي الواثق فأظهر ما أظهر من المحنة وقال للامام أحمد لا تجمعن إليك أحدا ولا تساكني في بلد أنا فيه فاختفى الإمام أحمد لا يخرج إلى صلاة ولا غيرها حتى مات الواثق وولي المتوكل فأحضره وأكرمه وأطلق له مالا فلم يقبله وفرقه وأجرى على أهله وولده في كل شهر أربعة آلاف درهم ولم تزل جارية إلى أن مات المتوكل وفي أيامه

القاضى هل أخبرت بذلك أحدا غيرى قال لا قال فهل علم الرجل أنك أتيت إلى قال لا قال
واكتم أمرك ثم عد إلى بعد غد فانصرف ثم إن القاضى دعا ذلك الرجل المستودع فقال له قد حصل
عندى أموال كثيرة ورأيت أن أودعها عندك فاذهب وهيء لها موضعا حصينا فمضى ذلك الرجل
وحضر صاحب الوديعة بعد ذهاب الرجل فقال له القاضى اياس امض إلى خصمك واطلب منه
وديعتك فان جحدك فقل له امض معى إلى القاضى اياس أتحاكم أنا وأنت عنده فلما جاء اليه دفع اليه
وديعته فجاء إلى القاضى وأعلمه بذلك ثم إن ذلك الرجل المستودع جاء إلى القاضى طامعا له تسليم المال
فسبه القاضى وطرده وكانت هذه الواقعة مما تدل على عقله وصحة فكره (ولما مات بعض الخلفاء
اختلفت الروم واجتمعت ملوكها فقال الآن يشتغل المسلمون بعضهم ببعض فتمكننا الغرة منهم
والوثبة عليهم وعقدوا لذلك المشورات وتراجعوا فيه بالمناظرات وأجمعوا على أنه فرصة الدهر وكان
رجل منهم من ذوى العقل والمعرفة والرأى غائبا عنهم فقالوا من الحزم عرض الرأى فلما أخبروه
بما أجمعوا عليه قال لا أرى ذلك صوابا فسألوه عن علة ذلك فقال فى غد أخبركم إن شاء الله تعالى فلما
أصبحوا أتوا اليه وقالوا قد وعدتنا أن تخبرنا فى هذا اليوم بما عولنا عليه فقال سمعا وطاعة وأمر باحضار
كلبين عظيمين كان قد أعدهما ثم حرش بينهما وحرض كل واحد منهما على الآخر فتواثبا وتهارشا حتى
سالت دماؤهما فلما بلغا الغاية فتح باب بيت عنده وأرسل على الكلبين ذئبا كان قد أعده لذلك فلما أبصراه
تركا ما كانا عليه وتألفت قلوبهما ووثبا جميعا على الذئب فقتلاه فأقبل الرجل على أهل الجمع فقال
مثلكم مع المثين مثل هذا الذئب مع الكلاب لا يزال الهرج بين المثلين مالم يظهر لهم عدو من
غيرهم فاذا ظهر تركوا العداوة بينهم وتألفوا على العدو فاستحسنوا قوله واستصوبوا رأيه فهذه
صفة العقلاء

(وأما ذم الحمق) فقد قال ابن الأعرابى الحماقة مأخوذة من حمقت السوق إذا كسدت فكأنه كاسد
العقل والرأى فلا يشاور ولا يلتفت إلى أمر من الأمور والحمق غريزة لا تنفع فيها الحيلة وهو داء
دواؤه الموت قال الشاعر

لكل داء دواء يستطب به ... إلا الحماقة أعيت من يداويها

والحمق مذموم قال رسول الله ﷺ الأحمق أبغض الخلق إلى الله تعالى اذ حرمه أعز الأشياء عليه وهو
العقل ويستدل على صفة الأحمق من حيث الصورة بطول اللحية لأن مخرجها من الدماغ فمن أفرط
فى طول لحيته قل دماغه ومن قل دماغه قل عقله ومن قل عقله فهو أحمق وأما صفته من حيث
الأفعال فترك نظره فى العواقب وثقته بمن لا يعرفه والعجب وكثرة الكلام وسرعة الجواب وكثرة
الالتفات والخلو من العلم والعجلة والخفة والسفه والظلم والغفلة والسهو والخيلاء إن استغنى بطر وإن
افتقر قنط وإن قال أفحش وان سئل بخل وان سأل ألح وإن قال لم يحسن وإن قيل له لم يفقه وان ضحك
قهقه وإن بكى صرخ وإن اعتبرنا هذه الخلال وجدناها فى كثير من الناس فلا يكاد يعرف العاقل من
الأحمق قال عيسى عليه السلام عالجت الأبرص والأكمه فأبرأتهما وعالجت الأحمق فأعيانى والسكوت
عن الأحمق جوابه ونظر بعض الحكماء إلى أحمق على حجر فقال حجر على حجر (وحكى) أن
أحمقين اصطحبا فى طريق فقال أحدهما للآخر تعال نتمن على الله فإن الطريق تقطع بالحديث
فقال أحدهما أنا أتمنى قطائع غنم انتفع بلبنها ولحمها وصوفها وقال الآخر أنا أتمنى قطائع ذئاب أرسلها
على غنمك حتى لا تترك منها شيئا قال ويحك أهذا من حق الصحبة وحرمة العشرة فتصايحا وتخاصما
واشتدت الخصومة بينهما حتى تماسكا بالأطواق ثم تواصيا على أن أول من يطلع عليهما يكون حكما

بينهما

ظهرت السنة وكتب إلى الآفاق برفع ماوقع من المحنة واظهار السنة وتكلم فى مجلسه بالسنة ول... أعنى المعتزلة فى قوة إلى أيام المتوكل ولم يكن فى هذه الأمة الاسلامية أهل بدعة أكثر منهم (ومن) مشاهيرهم على ما ذكروا من الفضلاء الأعيان الجاحظ وواصل بن عطاء والقاضى عبد الجبار والرمانى النحوى وأبو على الفارسى وأقضى القضاة الماوردى الشافعى وهذا غريب ومن المعتزلة أيضا الصاحب بن عباد وصاحب الكشاف والفراء النحوى والسيرافى وابن جنى والله أعلم (ومما جنيته من ثمرات الأوراق) أن الرشيد سأل جعفرا عن جواريه فقال يا أمير المؤمنين كنت فى الليلة الماضية مضطجعا وعندى جاريتان وهما يكبسانى فتناومت عنهما لأنظر صنيعهما وإحداهما مكية والأخرى مدنية فمدت المدنية يديها إلى ذلك الشيء فلعبت به فانتصبت قائما فوثبت المكية وقعدت عليه فقالت المدنية أنا أحق به لأنى حدثت عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من أحيا أرضا ميتة فهى له فقالت المكية وأنا حدثت عن معمر عن عكرمة عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس الصيد لمن أثاره إنما

بينهما فطلع عليهما شيخ بحمار عليه زقان من عسل فحدثاه بحديثهما فنزل بالزقين وفتحهما حتى سال العسل على التراب ثم قال صب الله دمي مثل هذا العسل ان لم تكونا أحمقين وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كان رجل يتعبد في صومعة فأمطرت السماء وأعشبت الأرض فرأى حماره يرعى في ذلك العشب فقال يارب لو كان لك حمار لرعيته مع حماري هذا فبلغ ذلك بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهم أن يدعو عليه فأوحى الله اليه لاتدع فانى أجازى العباد على قدر عقولهم ويقال فلان ذو حمق وافر

وما هوجي ياهند الا سجية ... أجر لها ذيلي بحسن الخلائق
ولو شئت خادعت الفتى عن قلوصه ... ولا طمت فى البطحاء من كل طارق

ويقال للأبله السليم القلب هو من بقر الجنة لاينطح ولا يرمح والأحمق المؤذى هو من بقر سقر والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثالث فى القرآن وفضله وحرمته وما أعده الله تعالى لقارئه من الثواب العظيم والأجر الجسيم)

قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وسمى الله تعالى القرآن كريما فقال تعالى إنه لقرآن كريم وسماه حكيما فقال تعالى يس والقرآن الحكيم وسماه مجيداً قال تعالى ق والقرآن المجيد أنزله الله تعالى على سيد الأنام وخاتم الانبياء الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام فكان من أعظم معجزاته ان أعجز الله الفصحاء عن معارضته وعن الاتيان بآية من مثله قال تعالى قل فأتوا بسورة من مثله وقال تعالى قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فهو النور المبين والحق المستبين لاشىء أسطع من أعلامه ولا أصدع من أحكامه ولا أفصح من بلاغته ولا أرجح من فصاحته ولا أكثر من إفادته ولا ألذ من تلاوته قال رسول الله ﷺ القرآن فيه خبر من قبلكم ونبأ من بعدكم وحكم ما بينكم وقال أيضا ﷺ أصفر البيوت بيت صفر من كتاب الله تعالى وقال الشعبي الذي يقرأ القرآن انما يحدث عن ربه عز وجل ووفد غالب ابن صعصعة على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومعه ابنه الفرزدق فقال له من أنت قال غالب بن صعصعة قال ذو الإبل الكثيرة قال نعم قال فما فعلت بإبلك قال اذهبتها النوائب وزعزعتها الحقوق قال ذلك خير سبلها ثم قال له ياأبا الأخطل من هذا الذي معك قال ابني وهو شاعر قال علمه القرآن فهو خير له من الشعر فكان ذلك فى نفس الفرزدق حتى قيد نفسه وآلى على نفسه أن لايحل قيده حتى يحفظ القرآن فحفظه فى سنة وفى ذلك قال

وما صب رجلي فى حديد مجاشع ... مع القيد إلاحاجة لى أريدها

وقال أنس رضي الله عنه قال لى رسول الله ﷺ يابني لاتغفل عن قراءة القرآن إذا أصبحت واذا أمسيت فان القرآن يحيي القلب الميت وينهى عن الفحشاء والمنكر (وحكى) الزمخشري فى كتابه ربيع الأبرار قال ومن حكايات الحشوية ماقيل إن ابراهيم الخواص مر بمصروع فأسر فى أذنه فناداه الشيطان من جوفه دعني أقتله فانه يقول القرآن مخلوق وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى اذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن وكان الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى اذا دخل شهر رمضان يفر من مذاكرة الحديث ومجالسة أهل العلم ويقبل على القراءة فى المصحف وكان أبو حنيفة والشعبي رحمهما الله تعالى يختمان فى رمضان ستين ختمة وقال علي رضي الله عنه من قرأ القرآن فمات فدخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزوا وقال الشعبي اللسان عدل على الأذن والقلب فاقرأ قراءة تسمعها أذنك ويفهمها قلبك وقال رسول الله ﷺ من قرأ القرآن ثم رأى أن

الصيد لمن أخذه فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه وقال هل من سلوة منهما فقال جعفرهما ومولاهما بحكم أمير المؤمنين وحملهما إليه (ومن ذلك) ماحكى عن بعض المطربين أنه غنى فى جماعة عند بعض الأمراء

إذا أنت أعطيت السعادة لم تبل ... ولو نظرت شزرا اليك القبائل
وان فوق الأعداء نحوك أسهما ... ثنتها على أعقابهن المناصل

فطرب الأمير إلى الغاية ولما زاد طربه قال لبعض مماليكه هات خلعة لهذا المغنى ولم يفهم المغنى مايقوله الأمير فقام لقلة حظه إلى بيت الخلاء وفى غيبته جاء المملوك بالخلعة فوجد المغنى غائبا وقد حصل فى المجلس عربدة وأمر الأمير باخراج الجميع فقيل للمغنى بعدما خرج إن الأمير كان قد أمر لك بخلعة فلما كان بعد أيام حضر المغنى عند ذلك الأمير وغنى فقال

إذا أنت أعطيت السعادة لم تبل ... ولو نظرت شزرا اليك القبائل

بفتح التاء وضم الباء فأنكروا عليه فقال نعم لانى لما بلت فى ذلك اليوم فاتتني السعادة من الامير فاوضحوا له القصة فضحك وأعجبه ذلك وأمر له بخلعة (ومن المنقول)

أحداً أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظم الله وعنه ﷺ أنه قال إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد قيل يارسول الله وماجلاؤها قال قراءة القرآن وذكر الموت وقال عمر بن ميمون من نشر مصحفا حتى يصلي الصبح فقرأ مائة آية رفع الله له مثل عمل جميع أهل الدنيا وقال علي كرم الله وجهه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه في غير صلاة وهو على وضوء فخمسة وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات وقال ابن عباس رضي الله عنهما لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما وأتدبرهما أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله هذرمة وقال رسول الله ﷺ اقرؤا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المزني قال قرأت القرآن على رسول الله ﷺ في المنام فقال لي ياصالح هذه القراءة فأين البكاء وكان عثمان رضي الله عنه يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة وليلة السبت بالأنعام إلى هود وليلة الأحد بيوسف إلى مريم وليلة الاثنين بطه إلى طسم وموسى وفرعون وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى ص وليلة الأربعاء بتنزيل إلى الرحمن ويختم ليلة الخميس وعن علي رضي الله عنه لاخير في عبادة لافقه فيها ولاخير في قراءة لاتدبر فيها وكان عكرمة بن أبي جهل رضي الله تعالى عنه ولعن أباه إذا نشر المصحف أغمي عليه ويقول هو كلام ربي وأبطأت عائشة رضي الله عنها على رسول الله ﷺ ليلة فقال ماحبسك قالت قراءة رجل ماسمعت أحسن صوتا منه فقام فاستمع إليه طويلا ثم قال هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله وقال ابن عيينة رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت يارسول الله قد اختلفت على القراءات فعلى قراءة من تأمرني فقال على قراءة أبي عمرو * وعن أبي عمرو اني لم أزل أطلب أن أقرأه كما قرأه رسول الله ﷺ وكما أنزل عليه فقدمت مكة فلقيت بها عدة من التابعين ممن قرأ على الصحابة رضي الله عنهم أجمعين فقرأت عليهم فاشدد بها يدك فينبغي للانسان أن يحافظ على تلاوة القرآن ليلا ونهارا سفرا وحضرا * وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى في كتابه الاذكار قد كان للسلف رضي الله عنهم عادات مختلفة في القدر الذي يختمون فيه فكانت جماعة منهم يختمون في كل شهر ختمة وآخرون في كل عشر ليال ختمة وآخرون في كل ثلاث ليال ختمة وكان كثيرون في كل يوم وليلة ختمة وختم جماعة في كل يوم وليلة ختمتين وختم بعضهم في اليوم والليلة ثمان ختمات أربعا في الليل وأربعا في النهار وروى أن مجاهدا رحمه الله تعالى كان يختم القرآن في شهر رمضان فيما بين المغرب والعشاء وأما الذين ختموا القرآن في ركعة فلا يحصون لكثرتهم فمنهم عثمان بن عفان وتميم الداري وسعيد بن جبير رضي الله تعالى عنهم وروينا في مسند الإمام المجمع على حفظه وجلالته واتقانه وبراعته أبي محمد الدارمي رحمه الله عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال اذا وافق ختم القران أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح واذا وافق أول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي قال الدارمي هذا حديث حسن عن سعد وأفضل القراءة ما كان في الصلاة وأما في غير الصلاة فأفضلها قراءة الليل والنصف الأخير منه أفضل من الأول والقراءة بين المغرب والعشاء محبوبة وأما قراءة النهار فأفضلها بعد صلاة الصبح ولا كراهة في وقت من الأوقات ولا في أوقات النهي عن الصلاة ويستحب الاجتماع عند الختم لحصول البركة وقيل ان الدعاء يستجاب عند ختم القرآن وان الرحمة تنزل عند ختمه ويستحب الدعاء عقب الختم استحبابا مؤكدا تأكيدا شديدا ويجب على القارىء الإخلاص في قراءته وأن يريد بها وجه الله تعالى وأن لايقصد بها توصلا الى شيء سوى ذلك وأن يتأدب مع القرآن ويستحضر في ذهنه أنه يناجي ربه سبحانه وتعالى ويتلو كتابه ويقرأ على حالة من يرى الله تعالى فانه ان لم يكن يراه فان الله يراه وينبغي للقارىء إذا أراد القراءة أن ينظف فمه بالسواك وأن

أن عبد الله بن المعتز من خلفاء بني العباس مع كماله وغزارة فضله كان لم يزل منغصا في مدة حياته يبويع له بالخلافة وظن أن الحظ قد تنبه له فلم يتم الأمر له إلا يوما واحدا ثم قبض عليه وقتل رحمه الله تعالى على أنه ماوافق على ولاية الأمر حتى اشترط عليهم أن لايسفكوا في واقعته دما ومحله من الأدب لايخفى وشيمة فضله كالصبح لاتغطى ولاتطفى وقد قيل

لله درك من ميت بمضيعة
ناهيك في العلم والعلياء والحسب
مافيه لو ولا ليت فتنقصه
وإنما أدركته حرفة الأدب

(ونال ابن الساعاتي)

عفت القريض فلا أسمو له أبدا
حتى لقد عفت أن أرويه في الكتب
هجرت نظمي له لا من مهانته
لكنها خيفة من حرفة الأدب

قلت ومابرح الزمان مولعا بخمول أهل الادب وخمود نارهم كان الملك الافضل نور الدين على ابن صلاح الدين يوسف من كبار أهل الادب وكان حسن السيرة متدينا قل أن عاقب على ذنب وله المناقب الجميلة وكان أكبر اخوته ومع كمال صفاته وآدابه التي سارت بها الركبان ماصفا له الدهر ولاهناه بالملك بعد أبيه السلطان صلاح

يكون شأنه الخشوع والتدبر والخضوع فهذا هو المقصود والمطلوب وبه تنشرح الصدور ويتيسر المرغوب ودلائله أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر وقد كان الواحد من السلف رضي الله عنهم يتلو آية واحدة ليلة كاملة يتدبرها ويستحب البكاء والتباكي لمن لا يقدر على البكاء فان البكاء عند القراءة صفة العارفين وشعار عباد الله الصالحين قال الله تعالى ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا ۔ وقال السيد الجليل صاحب الكرامات والمعارف والمواهب واللطائف إبراهيم الخواص رضي الله تعالى عنه دواء القلب خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلو البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين وقد جاءت آثار بفضيلة رفع الصوت بالقراءة وآثار بفضيلة الإسرار قال العلماء إن أراد القارىء بالاسرار بعد الرياء فهو أفضل فى حق من يخاف ذلك فان لم يخف الرياء فالجهر أفضل بشرط أن لا يؤذى غيره من مصل أو نائم أو غيرهما والأحاديث فى فضل القراءة وآداب حملة القرآن كثيرة غير محصورة ومن أراد الزيادة فلينظر فى كتاب التبيان فى آداب حملة القرآن لشيخ المشايخ الاسلام محيي الدين النووى قدس الله روحه ونور ضريحه وقد جاء فى فضل القرآن أحاديث كثيرة ۔ وروى فى فضل قراءة سور من القرآن فى اليوم والليلة فضل كبير منها يس وتبارك الملك والواقعة والدخان فعن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال من قرأ يس فى يوم وليلة ابتغاء وجه الله تعالى غفر له وفى رواية له من قرأ سورة الدخان فى ليلة أصبح مغفورا له وفى رواية عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم سمعت رسول الله ﷺ يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة وعن جابر رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ لا ينام كل ليلة حتى يقرأ الم تنزيل الكتاب وتبارك الملك وعن أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال من قرأ فى ليلة إذا زلزلت الأرض كانت له كعدل نصف القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون كانت له كعدل ربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد كانت كعدل الثلث والأحاديث بنحو ما ذكرناه كثيرة وقد أشرنا إلى المقاصد منها والله تعالى أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

﴿ الباب الرابع فى العلم والأدب وفضل العالم والمتعلم ﴾

قال الله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء . وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة ودراسته تسبيح والبحث عنه جهاد وطلبه عبادة وتعليمه صدقة وبذله لأهله قربة لأنه معالم الحلال والحرام وبيان سبيل الجنة والمؤنس فى الوحشة والمحدث فى الخلوة والجليس فى الوحدة والصاحب فى الغربة والدليل على السراء والمعين على الضراء والزين عند الأخلاء والسلاح على الاعداء وبالعلم يبلغ العبد منازل الاخيار فى الدرجات العلى ومجالسة الملوك فى الدنيا ومرافقة الابرار فى الآخرة والفكر فى العلم يعدل الصيام ومذاكرته تعدل القيام وبالعلم توصل الارحام وتفصل الاحكام وبه يعرف الحلال والحرام وبالعلم يعرف الله ويوحد وبالعلم يطاع الله ويعبد (قيل) العلم درك حقائق الاشياء مسموعا ومعقولا وقال النبي ﷺ خير الدنيا والآخرة مع العلم وشر الدنيا والآخرة مع الجهل وعنه عليه الصلاة والسلام يوزن مداد العلماء ودماء الشهداء يوم القيامة فلا يفضل أحدهما على الآخر ولغزوة فى طلب العلم أحب إلى الله من مائة غزوة ولا يخرج أحد فى طلب العلم الا وملك موكل به يبشره بالجنة ومن مات وميراثه المحابر والأقلام دخل الجنة وقال علي كرم الله وجهه أقل الناس قيمة أقلهم علما وقال أيضا رضي الله عنه العلم نهر والحكمة بحر والعلماء حول النهر يطوفون والحكماء وسط البحر يغوصون والعارفون فى سفن النجاة يسيرون وقال موسى عليه السلام فى مناجاته إلهي من أحب الناس اليك قال عالم يطلب علما وقال

الذين رحمه الله تعالى لبث مدة يسيرة بدمشق المحروسة ثم حضر اليه عمه أبو بكر العادل وأخوه الملك العزيز عثمان فأخرجاه من ملكه بدمشق إلى صرخد ثم جهزه إلى سميساط وفى ذلك كتب إلى الإمام الناصر ببغداد : مولاى إن أبا بكر وصاحبه عثمان قد منعا بالسيف حق علي

فانظر إلى حظ هذا الاسم كيف لقى ۔ من الأواخر ما لاقى من الأول

فكتب الناصر الجواب ولكن الفرق مثل الصبح : وافى كتابك يا ابن يوسف معلنا بالصدق يخبر أن أصلك طاهر غصبوا عليا حقه إذ لم يكن بعد النبي له بيثرب ثائر فاصبر فان غدا عليه حسابهم وابشر فناصرك الامام الناصر

ولم ينصره الإمام الناصر بل توفى فجأة بسميساط رحمه الله تعالى ومن شعره ماذكره ابن واصل فى مفرج الكروب

يامن يسود شعره بخضابه فعساه من أهل الشبيبة يحصل ۔ ها فاخضب بسواد حظى مرة ولك الأمان بابه لا ينصل

(قلت) ومثله الملك الناصر داود ابن الملك المعظم وكان

بعض السلف رضى الله عنهم العلوم أربعة الفقه للأديان والطب للأبدان والنجوم للأزمان والنحو للسان وقيل العالم طبيب هذه الأمة والدنيا داؤها فإذا كان الطبيب يطلب الداء فمتى يبرئ غيره وسئل الشعبى عن مسألة فقال لا علم لى بها فقيل له ألا تستحى فقال ولم أستحى مما لم تستح الملائكة منه حين قالت لا علم لنا وعن النبى ﷺ فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم وروى كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقال على كرم الله وجهه من نصب نفسه للناس إماما فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه وقيل مؤدب نفسه ومعلمها أحق بالاجلال من مؤدب الناس ومعلمهم وأنشدوا .

يا أيها الرجل المعلم غيره * هلا لنفسه كان ذا التعليم * تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى
كيما يصح به وأنت سقيم * ونراك تصلح بالرشاد عقولنا * أبدا وأنت من الرشاد عديم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فإذا انتهت عنه فأنت حكيم * فهناك يقبل ما تقول ويهتدى
بالقول منك وينفع التعليم * لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال بعضهم
إنى رأيت الناس فى عصرنا * لا يطلبون العلم للعلم
إلا مباهاة لأصحابه * وعدة للغش والظلم

(نظر) رجل إلى امرأته وهى صاعدة فى السلم فقال لها أنت طالق إن صعدت وطالق إن نزلت وطالق إن وقفت فرمت نفسها إلى الأرض فقال لها فداك أبى وأمى إن مات الإمام مالك احتاج إليك أهل المدينة فى أحكامهم وقال النبى ﷺ هلاك أمتى فى شيئين ترك العلم وجمع المال وسئل رسول الله ﷺ عن أفضل الأعمال فقال العلم بالله والفقه فى دينه وكررها عليه فقال يا رسول الله أسألك عن العمل فتخبرنى عن العلم فقال إن العلم ينفعك معه قليل العمل وإن الجهل لا ينفعك معه كثير العمل وقال عيسى عليه السلام من علم وعمل عد فى الملكوت الأعظم عظيما * وقال الخليل عليه السلام العلوم أقفال والأسئلة مفاتيحها وعنه عليه السلام زلة العالم مضروب بها الطبل وزلة الجاهل يخفيها الجهل وقال الحسن رأيت أقواما من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون من عمل بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه والعامل بغير علم كالسائر على غير طريق فاطلبوا العلم طلبا لا يضر بالعبادة واطلبوا العبادة طلبا لا يضر بالعلم وقال يزيد بن ميسرة من أراد بعلمه وجه الله تعالى أقبل الله بوجهه ووجوه العباد إليه ومن أراد بعلمه غير وجه الله صرف الله وجهه ووجوه العباد عنه وعن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال ألا أخبركم بأجود الأجواد قالوا بلى يا رسول الله قال الله أجود الأجواد وأنا أجود ولد آدم وأجود من بعدى رجل علم علما فنشره يبعث يوم القيامة أمة وحده ورجل جاد بنفسه فى سبيل الله حتى قتل وقال الثورى كان يقال العالم الفاجر فتنة لكل مفتون وعن الفضيل رحمه الله تعالى أنه قال لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم وأعزوا هذا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله إذا لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس وكانوا لهم تبعا ولكنهم أذلوا أنفسهم وبذلوا علمهم لأبناء الدنيا فهانوا وذلوا فإنا لله وإنا إليه راجعون فأعظم بها مصيبة والله أعلم وللقاضى العلامة أبى الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى وقد أحسن كل الإحسان كأنما طرزت فى خلع حسان شعر

ولم أقض حق العلم إن كنت كلما * بدا طمع صيرته لى سلما * ولم أبتذل فى خدمة العلم مهجتى
لأخدم من لاقيت لكن لأخدما * أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة * إذا فاتباع الجهل قد كان سلما
فإن قلت زند العلم كاب فإنما * كبا حين لم نحرس حماه وأظلما * ولو أن أهل العلم صانوه صانهم

ولو

داود صاحب الكرج مابرح مع كمال فضله مكدا ممتحنا فى البلاد توجه إلى بغداد ومعه نحو القضاة بن بصاقة والشيخ شمس الدين الخسروشاهى وقد استصحب جواهر نفيسة والتجأ إلى الإمام الناصر وطلب الحضور بين يديه ليشاهده فى الملا فاقدر له ذلك ولا وافق الخليفة عليه حتى امتدحه بقصيدته البائية التى مطلعها

ودان ألمت بالكثيب ذوائبه * وجنح الدجى وحف تجول غياهبه *
تقهقه فى تلك الربوع رعوده * وتبكى على تلك الطلول سحائبه

(وقال منها فى حكاية حاله مع الخليفة)

أيحسن فى شرع المعالى ودينها * وأنت الذى تعزى إليه مذاهبه
بأنى أخوض الدو والدو مقفر * سباريته مغبرة وسباسبه
ويأتيك غيرى من بلاد قريبة * له الأمن فيها صاحب لا يجانبه
فيلقى دنوا منك لم ألق مثله * ويحظى ولا أحظى بما أنا طالبه
وينظر فى لألاء قدسك نظرة * فيرجع والنور الإمامى صاحبه
ولو كان يعلو فى نفسه ورتبة * وصدق ولاء لست فيه أصاقبه

ولو عظموه فى النفوس لعظما ولكن اهانوه فهانوا ودنسوا محياه بالأطماع حتى تجهما وقيل من لم يتعلم فى صغره لم يتقدم فى كبره وقال الفضيل شر العلماء من يجالس الأمراء وخير الأمراء من يجالس العلماء وقال لقمان جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الأرض بماء السماء وقيل من عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار وكان ابن مسعود رضى الله عنه إذا رأى طالبى العلم قال مرحبا بكم ينابيع الحكمة ومصابيح الظلمة خلقان الثياب جدد القلوب رياحين كل قبيلة وقال على رضى الله عنه كفى بالعلم شرفا أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به إذا نسب إليه وكفى بالجهل ضعة أن يتبرأ منه من هو فيه ويغضب إذا نسب اليه وعن النبى ﷺ ما آتى الله أحدا علما إلا أخذ عليه الميثاق أن لا يكتمه أحدا ودعا بعضهم لآخر فقال جعلك الله ممن يطلب العلم رعاية لا رواية وممن يطهر حقيقة ما يعلمه بما يعمله وعن عمر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال على باب الجنة شجرة تحمل أثمارا كثدى النساء يخرج من تحتها عين ماء يشرب منها العلماء والمتعلمون مثل اللبن الحليب والناس عطاش وعن ابن مسعود رضى الله عنه من تعلم بابا من العلم ليعلمه الناس ابتغاء وجه الله أعطاه الله أجر سبعين نبيا وعن أنس رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ ويل لأمتى من علماء السوء يتخذون العلم تجارة يبيعونها لا أربح الله تجارتهم

(شعر)

العلم أنفس شىء أنت داخره ... من يدرس العلم لم تدرس مفاخره

أقبل على العلم واستقبل مقاصده ... فأول العلم إقبال وآخره

(قال) الشعبى دخلت على الحجاج حين قدم العراق فسألنى عن اسمى فأخبرته ثم قال يا شعبى كيف علمك بكتاب الله قلت عنى يؤخذ قال كيف علمك بالفرائض قلت إلى فيها المنتهى قال كيف علمك بأنساب الناس قلت أنا الفيصل فيها قال كيف علمك بالشعر قلت أنا ديوانه فقال لله أبوك وفرض لى أموالا وسودنى على قومى فدخلت عليه وأنا صعلوك من صعاليك همدان وخرجت وأنا سيدهم (قال البستى)

إذا لم يزد علم الفتى قلبه هدى ... وسيرته عدلا وأخلاقه حسنا

فبشره أن الله أولاه فتنة ... تغشيه حرمانا وتوسعه حزنا

وقال الهيثم بن جميل شهدت مالك بن أنس رضى الله عنه سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال فى ثنتين وثلاثين منها لا أدرى وقال الأوزاعى شكت النواويس إلى الله تعالى ما تجد من نتن ريح الكفار فأوحى الله اليها بطون علماء السوء أنتن مما أنتن فيه وقال على رضى الله عنه من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض ولصالح اللخمى شعر

تعلم إذا ما كنت لست بعالم ... فما العلم الا عند أهل التعلم

تعلم فان العلم أزين للفتى ... من الحلة الحسناء عند التكلم

ودخل عبد الله بن مسلم الهذلى على المهدى فى القراء فأخذ عشرة آلاف درهم ثم دخل فى الرماة فأخذ عشرة آلاف درهم ثم دخل فى المغنين فاخذ كذلك ثم دخل فى القصاص فأخذ كذلك فقال المهدى لم أر كاليوم أجمع لما يجمع الله فى أحد منك وملّ جماعة من الحكماء مجالسة رجل فتواروا عنه فى بيت فرقى السطح وجعل يستمع من كوة حتى وقع عليه الثلج فصبر فشكر الله ذلك فجعله إمام الحكماء لا يختلفون فى شىء الا صدروا عن رأيه وشكا رجل إلى وكيع بن الجراح سوء الحفظ فقال له استعن على الحفظ بترك المعاصى فأنشأ يقول

شكوت إلى وكيع سوء حفظى ... فارشدنى إلى ترك المعاصى

لكنت أسلى النفس مما ترومه وكنت أذود العين عما ترافيه. ولكنه مثلى ولو قلت إننى أزيد عليه لم يعب ذاك عائبه

الناصر يشير إلى مظفر الدين كوكبورى بن كوجك فانه قدم إلى الديوان أن نطلب الحضور فاذن له وبرزله الخليفة وشاهد وجهه ولما وقف الخليفة على هذه القصيدة أعجبته غاية الاعجاب وهى من النظم البديع فى غاية لا تدرك فاستدعاه بعد شطر من الليل واجتمع به خلوة وما تم له ما ظفر به مظفر الدين المذكور وسبب ذلك أن الخليفة راعى عمه المذكور والذى ثبت عند أهل التاريخ أن عمه العادل ما فعل ذلك إلا حسدا له على كمال أدواته وبلاغة آدابه وقيل إنه كتب خطا منسوبا أزرى بالحدائق المدبجة (وحكى صاحب الريحان والريعان) قال حضر شاب ذكى بعض مجالس الأدب فقال بعضهم ما تصحيف نصحت فخنتنى قال تصحيف حسن فاستغرب اسراعه وكان بالمجلس شاعر من أهل بلنسيه فاتهم الشاب وقال مختبرا له ما تصحيف بلنسية فاطرق ساعة ثم قال أربعة أشهر فجعل البلنسى يعوب صدق ظنى انك تدعى وتنتحل ما تقول والفتى يضحك ثم قال له أشعرت أنت يا شاعر فقال له وأى نسبة بين أربعة أشهر وبين بلنسية فقال له إن لم يكن فى اللفظ فهو فى المعنى ثم قام وهو

وذلك أن حفظ العلم فضـــل وفضل الله لايؤتى لعاصى

ووجد فى بعض الآثار عن بعضهم أنه قال إذا أردت أن تكون أحفظ الناس فقل عند رفع الكتاب أو المصحف أو ابتداء القراءة فى كل شىء أردت بسم الله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم عدد كل حرف كتب ويكتب أبد الآبدين ودهر الداهرين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (وقيل) وإذا أردت أن لاتنسى حرفا فقل قبل القراءة اللهم افتح علينا حكمتك وانشر علينا رحمتك ياذا الجلال والإكرام وإذا أردت أن ترزق الحفظ فقل خلف كل صلاة مكتوبة آمنت بالله الواحد الأحد الحق لاشريك له وكفرت بماسواه (ومن فوائد سيدى الشيخ صالح شهاب الدين أحمد بن موسى بن عجيل رحمه الله تعالى فى الحفظ) يقرأ فى كل يوم عشر مرات ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما إلى قوله تعالى وكنا فاعلين ياحى ياقيوم يارب موسى وهارون ويارب إبراهيم ويارب محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام ألزمنى الفهم وارزقنى العلم والحكمة والعقل برحمتك ياأرحم الراحمين وعن أبى يوسف قال مات لى ولد فأمرت من يتولى دفنه ولم أدع مجلس أبى حنيفة خوفا أن يفوتنى منه يوم وقال محمد بن اسحق بن خزيمة مارأيت تحت أديم السماء أعلم بالحديث ولاأحفظ له من محمد بن اسماعيل البخارى حتى كان يقال إن حديثا لايعرفه محمد بن اسماعيل ليس بحديث وقال البخارى رحمه الله تعالى أحفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتى ألف حديث غير صحيح وقال ماوضعت فى كتابى الصحيح حديثا إلا واغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين وقال أخرجته من ستمائة ألف حديث وصنفته فى ست عشرة سنة وجعلته حجة فيما بينى وبين الله تعالى وقال مجاهد أتينا عمر بن عبد العزيز لنعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه وكان يقال الليث بن سعد رحمه الله تعالى ذهب علمه كله بموته ولهذا قال الشافعى لما قدم مصر بعد موته والله لأنت أعلم من مالك وانما أصحابك ضيعوك وقال الليث بن سعد ماهلك عالم قط إلاذهب ثلثا علمه ولوحرص الناس ويقال إذا سئل العالم فلاتجب أنت فان ذلك استخفاف بالسائل والمسؤل وقالوا من خدم المحابر خدمته المنابر (شعر)

لاتدخر غير العلوم فانها نعم الذخائر فالمرء لو ربح البقاء مع الجهالة كان خاسر

وللشافعى رضى الله تعالى عنه شعـــر

أخى ان تنال العلم إلا بستة سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة وصحبة أستاذ وطول زمان

وقال الزهرى العلماء أربعة سعيد بن المسيب بالمدينة وعامر الشعبى بالكوفة والحسن البصرى بالبصرة ومكحول بالشام وقال بعضهم العلماء سرج الأزمنة كل عالم سراج زمانه يستضىء به أهل عصره وقيل لإبراهيم بن عيينة أى الناس أطول ندامة قال أما فى الدنيا فصانع المعروف إلى من لايشكره وأما فى الآخرة فعالم مفرط . (شعر)

كن عالما وارض بصف النعال ولاتكن صدرا بغير الكمال
فان تصدرت بلا آلة صيرت ذاك الصدر صف النعال

وقيل لما اجتمع موسى بالخضر عليهما السلام جاء عصفور فأخذ بمنقاره من البحر قطرة ثم حط على ورك الخضر ثم طار فنظر الخضر إلى موسى عليه السلام وقال يانبى الله إن هذا العصفور يقول ياموسى أنت على علم من علم الله علمكه الله لايعلمه الخضر والخضر على علم من علم الله علمه الله إياه لاتعلمه وأنت وأنا على علم من علم الله علمنيه الله لاتعلمه أنت ولا الخضر وماعلمى وعلمك وعلم الخضر فى علم الله إلا كهذه القطرة من هذا البحر قال الله تعالى ولايحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء وقال تعالى ومايعلم جنود

فخجل الشاعر المنازع ومضى إلى الشاب معترفا ومعتذرا انتهى وهذا المعنى فى بلنسية نظمه الشيخ بدر الدين الدماميني أحجية فقال

أياواحد العصر مابلدة محاسنها فى الورى تذكر
حجى مابراد تصحيفها وحقك أربعة أشهر

(ومن الغريب)

مانقل عن الفقيه عمارة اليمنى الشاعر أنه مر بمصلوب فقال:

ومد على صليب الصلب منه يمينا لاتطول إلى الشمال
ونكس رأسه لعتاب قلب دعاه إلى الغواية والضلال

فلم يمض ثلاثة أيام حتى صلب بين القصرين مع الجماعة الغرماء (وكان) الفقيه نجم الدين عمارة أديبا ماهرا فقيها شافعى المذهب من أهل السنة قدم فى دولة الفاطميين إلى الديار المصرية وصاحبها يومئذ الفائز بن الظافر ووزيره الصالح بن رزيك فكان عنده فى أكرم محل وأعز جانب واتحد به على ماكان بينهما من الاختلاف فى العقيدة ثم رحل إلى اليمن وعاد إلى مصر وأقام بها إلى أن زالت دولة الفاطميين على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ورثى أهل القصر بقصيدته التى أولها

ربك إلا هو قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما خلق الله تعالى أربعين عالما الإنس والجن عالمان والبواقي لايعلمها إلا هو وقال موسى عليه السلام يارب قد قلت للسموات والأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فلولم تطعك السموات والأرض ماذا كنت فاعلا بهما قال ياموسى كنت آمر دابة من دوابي أن تبتلعهما قال موسى يارب وأين تلك الدابة قال في مرج من مروجي قال موسى يارب وأين ذلك المرج قال في علم من علومي لايعلمه إلا أنا وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في فكرة فقال فيم تفكرون تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فإن الله خلق من جانب الغرب أرضا يقال لها البيضاء تقطعها الشمس في أربعين يوما فيها خلق ما عصوا الله طرفة عين فقال ابن عمر يارسول الله أين ابليس منهم قال ماعلموا بابليس خلق أم لا قال أمن بني آدم قال ماعلموا بآدم خلق أم لا فهذه كلها بما أعدها الله في علم غيبه إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون وقال قتادة لو كان أحد منا مكتفيا من العلم لاكتفى نبي الله موسى عليه السلام إذ قال هل اتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا وقال الحكماء أفضل العلم وقوف العالم عند علمه وقال بعضهم ليس العلم ماخزنته الدفاتر وإنما العلم ماخزنته الصدور وقيل العلم يؤدي إلى التصديق وقيل من تواضع للعلم ناله ومن لم يتواضع له لم ينله وقيل من برق علمه برق وجهه ومن لم يستفد بالعلم مالا اكتسب به جمالا العلم نور وهدى والجهل غي وردى وقال بعضهم العالم يعرف الجاهل والجاهل لايعرف العالم لأن العالم كان جاهلا والجاهل لم يكن عالما وقيل أربعة يسودون العبد: العلم والأدب والصدق والأمانة وقيل أهل العراق أطلب الناس للعلم وقال حماد بن سلمة مثل الذي يطلب الحديث ولا يعرف النحو كمثل الحمار عليه مخلاة لاشعير فيها ولإبراهيم بن خلف المهراني

النحو يصلح من لسان الألكن ... والمرء تكرمه إذا لم يلحن
وإذا طلبت من العلوم أجلها ... فأجلها منها مقيم الألسن

وقال علي بن بشار

رأيت لسان المرء آية عقله ... وعنوانه فانظر بماذا تعنون
ولا تعد إصلاح اللسان فإنه ... يخبر عما عنده ويبين
ويعجبني زي الفتى وجماله ... فيسقط من عيني ساعة يلحن

ودخل أعرابي السوق فوجدهم يلحنون فقال سبحان الله يلحنون ويربحون وكلم أبو موسى بعض قواده فلحن فقال لم لاتنظر في العربية فقال بلغني أن من نظر فيها قل كلامه فقال ويحك لأن يقل كلامك بالصواب خير لك من أن يكثر كلامك بالخطأ وكان يقال مجالسة الجاهل مرض للعاقل وقال أبو الأسود الدؤلي إذا أردت أن تعذب عالما فاقرن به جاهلا وقال الشاعر

جهلت ولا تدري بأنك جاهل ... ومن لي بأن تدري بأنك لاتدري

وقال رجل للحسن أنا أفصح الناس قال لاتقل هذا قال فخذ علي كلمة واحدة قال هذه واحدة وأبو جهل كناه المسلمون بذلك وكانت قريش تكنيه أبا الحكم فقال حسان رضي الله تعالى عنه

الناس كنوه أبا حكم ... والله كناه أبا جهل

(وأما ماجاء في الأدب) فقد قال بعض الحكماء العقل يحتاج إلى مادة الأدب كما تحتاج الأبدان إلى قوتها من الطعام وقال علي كرم الله وجهه الأدب كنز عند الحاجة عون على المروءة صاحب في المجلس أنيس في الوحدة تعمر به القلوب الواهية وتحيا به الألباب الميتة وينال به الطالبون ماحاولوا وقيل عقل بلا أدب كشجاع بلا سلاح (وحكى) أن رجلا تكلم بين يدي المأمون فأحسن فقال ابن من أنت

من المكارم ما أربى على الأمل
قوم عرفت بهم كسب الألوف ومن
تمامها أنها جاءت ولم أسل. يالائمي في هوى أبناء فاطمة
لك الملامة ان قصرت في عذل
بالله زر ساحة القصرين وابك معي
عليهما لا على صفين والجمل ماذا ترى كانت الافرنج فاعلة
بنسل آل أمير المؤمنين علي
وهي طويلة في غاية الحسن فلما بلغت السلطان صلاح الدين تغير عليه
(وقيل) إنه استفتى عليه في قوله من قصيدته الميمية
وكان مبدأ هذا الأمر من رجل
سعى فأصبح يدعى سيد الأمم
فأفتى الفقهاء بقتله وقالوا إن هذا الكلام رأي الفلاسفة في النبوات وأنها بالتكتسب وهي إحدى المسائل التي كفروهم بها والصحيح أنه يجتبي من رسله من يشاء ولم يكن أحد من الأنبياء عنده شعور بأنه يكون فيما بعد نبيا والذي يظهر أن هذا مفتعل على الفقيه عمارة نظمه بعض أعدائه على لسانه ودسه في تلك القصيدة وما يبعد أن القاضي الفاضل رحمه الله كان

قال ابن الأدب يا أمير المؤمنين قال نعم النسب انتسبت إليه ولهذا قيل المرء من حيث يثبت لا من حيث ينبت ومن حيث يوجد لا من حيث يولد. قال الشاعر

كن ابن من شئت واكتسب أدبا يغنيك محموده عن النسب

إن الفتى من يقول ها أنذا ليس الفتى من يقول كان أبي

وقال بعض الحكماء من كثر أدبه كثر شرفه وإن كان وضيعا وبعد صيته وإن كان خاملا وساد وإن كان غريبا وكثرت حوائج الناس إليه وإن كان فقيراً قال بعض الشعراء

لكل شيء زينة في الورى وزينة المرء تمام الأدب

قد يشرف المرء بآدابه فينا وإن كان وضيع النسب

وقال بعض الأعاجم مفتخراً مالي عقلي وهمتي حسبي ما أنا مولى وما أنا عربي

إذا انتمى منتم إلى أحد فإنني منتم إلى أدبي

وقيل الفضل بالعقل والأدب لا بالأصل والحسب وقيل المرء بفضيلته لا بفصيلته وبكماله لا بجماله وبآدابه لا بثيابه وقيل لرجل من أدبك قال رأيت جهل الجهال قبحا فاجتنبته فتأدبت ومن أدب ولده صغيرا سر به كبيرا ومن عرف الأدب اكتسب به المال والجاه خير الخلال الأدب وشر المقال الكذب وقيل لبقراط ما الفرق بين من له أدب ومن لا أدب له قال كالفرق بين الحيوان الناطق والحيوان الذي ليس بناطق ودخل أبو العالية على ابن عباس رضي الله عنهما فأقعده معه على السرير وأقعد رجالا من قريش تحته فرأى سوء نظرهم إليه وحموضة وجوههم فقال ما لكم تنظرون إلى نظر الشحيح إلى الغريم المفلس هكذا الأدب يشرف الصغير على الكبير ويرفع المملوك على المولى ويقعد العبيد على الأسرة وقال جالينوس إن ابن الوضيع إذا كان أديبا كان نقص أبيه زائدا في منزلته وابن الشريف إذا كان غير أديب كان شرف أبيه زائدا في سقوطه وقيل أحسن الأدب أن لا يفتخر المرء بأدبه وسمع معاوية رجلا يقول أنا غريب فقال كلا الغريب من لا أدب له ويقال إذا فاتك الأدب فالزم الصمت فهو من أعظم الآداب ولعبد الملك بن صالح

في الناس قوم أضاعوا مجد أولهم ما في المكارم والتقوى لهم أرب

سوء التأدب أرداهم وأرذلهم وقد يزين صحيح المنصب الأدب

وقيل أربعة تسود العبد الأدب والعلم والصدق والأمانة وقال بعض الحكماء خمسة لا تتم إلا بخمسة لا يتم الحسب إلا بالأدب ولا يتم الجمال إلا بالحلاوة ولا يتم الغنى إلا بالجود ولا يتم البطش إلا بالجراءة ولا يتم الجهاد إلا بالتوفيق والله تعالى أعلم

(الباب الخامس في الآداب والحكم وما أشبه ذلك)

قال الحكماء إذا أراد الله بعبد خيرا ألهمه الطاعة وألزمه القناعة وفقهه في الدين وعضده باليقين فاكتفى بالكفاف واكتسى بالعفاف وإذا أراد به شرا حبب إليه المال وبسط منه الآمال وشغله بدنياه ووكله إلى هواه فركب الفساد وظلم العباد الثقة بالله أزكى أمل والتوكل عليه أو في عمل من لم يكن له من دينه واعظ لم تنفعه المواعظ من سره الفساد ساءه المعاد كل يحصد ما زرع ويجزى بما صنع لا يغرنك صحة نفسك وسلامة أمسك فمدة العمر قليلة وصحة النفس مستحيلة من أطاع هواه باع دينه بدنياه ثمرة العلوم العمل بالمعلوم من رضي بقضاء الله لم يسخطه أحد ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد أفضل الناس من لم تفسد الشهوة دينه خير الناس من أخرج الحرص من قلبه وعصى هواه في طاعة ربه نصرة الحق شرف ونصرة الباطل سرف البخيل حارس

لما استشاره السلطان صلاح الدين في ضربه قال الكلب يسكت ثم له ميل إلى هلاكه لأنه ينبح قال فيسجن قال يرجى له الخلاص قال فيقتل قال كذا الملوك إذا أرادوا شيئاً فعلوه ونهض فأمر فصلبه مع الغرماء فلما أمسكوه مروا به على باب الفاضل فلما رآه مقبلا قام ودخل إلى بيته وأغلق الباب فقال الفقيه عمارة عبد الرحيم قد احتجب إن الخلاص من العجب

(نكتة أدبية)

قال ابن سناء الملك من أبيات

صلني وهذا الحسن باق فربما يعزل بيت الحسن منه ويكنس

فوقف القاضي الفاضل رحمه الله على هذه القصيدة وكتب إلى ابن سناء الملك من جملة فصل وما قلت هذه الغاية إلا وتعلمني أنها البداية ولا قلت هذا البيت آية القصيدة إلا وتلاما بعده وما نريهم من آية أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ولا عيب في هذه المحاسن إلا قصور الأفهام وتقصير الأنام وإلا فقد لهج الناس بما تحتها ونواما دونها والقصيدة فائقة في حسنها بديعة في فنها ولكن بيت يعزل ويكنس أردت أن أكنسه من القصيدة فإن لفظة الكنس غير لائقة بمكانها انتهى فأجاب ابن سناء الملك

نعمته

نعمته وخازن لورثته من لزم الطمع عدم الورع إذا ذهب الحياء حل البلاء علم لا ينفع كدواء لا ينجع من جهل المرء أن يعصى ربه فى طاعة هواه ويهين نفسه فى إكرام دنياه أيام الدهر ثلاثة يوم مضى لايعود إليك ويوم أنت فيه لا يدوم عليك ويوم مستقبل لا تدرى ماحاله ولا تعرف من أهله من كثر ابتهاجه بالمواهب اشتد انزعاجه للمصائب لا تبت على غير وصية وإن كنت من جسمك فى صحة ومن عمرك فى فسحة عظ المسىء بحسن أفعالك ودل على الجميل بجميل خلالك إياك وفضول الكلام فانه يظهر من عيوبك ما بطن ويحرك من عدوك ما سكن لا يجد العجول فرحا ولا الغضوب سرورا ولا الملول صديقا حسن النية من العبادة حسن الجلوس من السياسة من زاد فى خلقه نقص فى حظه من ائتمن الزمان خانه أظهر الناس محبة أحسنهم لقاء لايكمل للانسان دينه حتى يكون فيه أربع خصال يقطع رجاءه مما فى أيدى الناس ويسمع شتم نفسه ويصبر ويحب للناس ما يحب لنفسه ويثق بمواعيد الله إياك والحسد فانه يفسد الدين ويضعف اليقين ويذهب المروءة قيل لأفلاطون ما الشىء الذى لا يحسن أن يقال وإن كان حقا قال مدح الإنسان نفسه أربعة تؤدى إلى أربعة الصمت إلى السلامة والبر إلى الكرامة والجود إلى السيادة والشكر إلى الزيادة من ساء تدبيره أهلكه جده الغرة ثمرة الجهل آفة القوة استضعاف الخصم آفة النعم قبيح المن آفة الذنب حسن الظن الحزم أسد الآراء والغفلة أضر الأعداء من قعد عن حيلته أقامته الشدائد ومن نام عن عدوه أيقظته المكايد من قرب السفلة واطرح ذوى الأحساب والمروءات استحق الخذلان من عفا تفضل من كظم غيظه فقد حلم من حلم فقد صبر ومن صبر فقد ظفر من ملك نفسه عند أربع حرمه الله على النار حين يغضب وحين يرغب وحين يرهب وحين يشتهى من طلب الدنيا بعمل الآخرة فقد خسرهما ومن طلب الآخرة بعمل الدنيا فقد ربحهما كلام المرء بيان فضله وترجمان عقله فاقصره على الجميل واقتصر منه على القليل كل امرىء يعرف بقوله ويوصف بفعله فقل سديدا وافعل حميدا من عرف شأنه وحفظ لسانه وأعرض عما لا يعنيه وكف عن عرض أخيه دامت سلامته وقلت ندامته كن صموتا وصدوقا فالصمت حرز والصدق عز من أكثر مقاله سئم ومن أكثر سؤاله حرم من استخف باخوانه خذل ومن اجترأ على سلطانه قتل ماعز من أذل جيرانه ولا سعد من حرم اخوانه خير النوال ماوصل قبل السؤال أولى الناس بالنوال أزهدهم فى السؤال من حسن صفاؤه وجب اصطفاؤه من غالطك بقبيح الشتم منه فغطه بحسن الحلم عنه من يبخل بماله على نفسه جاد به على زوج عرسه إذا اصطنعت المعروف فاستره وإذا اصطنع اليك فانشره من جاور الكرام أمن من الأعداء من طاب أصله زكا فرعه من أنكر الصنيعة استوجب القطيعة من من بمعروفه سقط شكره ومن أعجب بعمله حبط أجره من رضى من نفسه بالاساءة شهد على أصله بالرداءة من رجع فى هبته بالغ فى خسته من رقى فى درجات الهمم عظم فى عيون الأمم من كبرت همته كثرت قيمته من ساء خلقه ضاق رزقه من صدق فى مقاله زاد فى جماله من هان عليه المال توجهت اليه الآمال من جاد بماله جل ومن جاد بعرضه ذل خير المال ما أخذ من الحلال وصرف فى النوال وشر المال ما أخذ من الحرام وصرف فى الآثام أفضل المعروف إغاثة الملهوف من تمام المروءة أن تنسى الحق لك وتذكر الحق عليك وتستكبر الإساءة منك وتستصغرها من غيرك من أحسن المكارم عفو المقتدر جود الرجل يحببه إلى أصدقائه وبخله يبغضه إلى أودائه لا تسىء إلى من أحسن اليك ولا تعن على من أنعم عليك من كثر ظلمه واعتداؤه قرب هلاكه وفناؤه من طال تعديه كثرت أعاديه شر

قائلا قد علم المملوك ماأنبه عليه مولانا من أمر البيت الذى أراد أن يكنسه من القصيدة وقد كان المملوك مشغوفا بهذا البيت مستجليا له معجبا به معتقدا أن قافية بيته أميرة ذلك الشعر وسيدة قوافيه وما أوقعه فى الكنس إلا ابن المعتز حيث يقول

وقوامى مثل القناة من الخط وخدى من لحيتى مكنوس

والمولى يعلم أن المملوك لم يزل يجرى خلف هذا الرحل ويتعثر ويطلب مطالبه فتتعسر عليه وتتعذر وما مال المملوك إلا إلى طريق من ميله اليه طبعه ولا سار إلا إلى من دله عليه سمعه ورأى المملوك أباعبادة قد قال

ويا عاذلى فى عبرة قد سفحتها لبين وأخرى قبلها للتحبب

تحاول منى شيمة غير شيمتى ويطلب منى مذهبا غير مذهبى

وقال

وما زارنى الا ولهت صبابة اليه وإلا قلت أهلا ومرحبا

فعلم المملوك أن هذه طريقة لاتسلك وعقيلة لاتملك وغاية لاتدرك ووجد المملوك أبا تمام قد قال

سلم على الربع من سلمى بذى سلم

الناس من ينصر الظلوم ويخذل المظلوم من حفر حفيرا لأخيه كان حتفه فيه من سل سيف
العدوان أغمد في رأسه من لم يرحم العبرة سلب النعمة ومن لم يقل العثرة سلب القدرة لا تحاج من
يذهلك خوفه ويملكك سيفه صمت تسلم به خير من نطق تندم عليه من قال لا ينبغي سمع ما لا يشتهي
جرح الكلام أصعب من جرح الحسام من سكت عن جاهل فقد أوسعه جوابا وأوجعه عتابا
من أمات شهوته أحيا مروءته من كثرت عوارفه كثرت معارفه من لم تقبل توبته عظمت
خطيئته إياك والبغي فانه يصرع الرجال ويقطع الآجال الناس في الخير أربعة أقسام منهم من
يفعله ابتداء ومنهم من يفعله اقتداء ومنهم يتركه حرمانا ومنهم من يتركه استحسانا فمن فعله ابتداء
فهو كريم ومن فعله اقتداء فهو حكيم ومن تركه حرمانا فهو شقي ومن تركه استحسانا فهو دني
من سالم سلم ومن قدم الخير غنم من لزم الرقاد عدم المراد ومن دام كسله خاب أمله العجول مخطىء
وإن ملك والمتأني مصيب وإن هلك من أمارات الخذلان معادات الاخوان استفساد الصديق
من عدم التوفيق الرفق مفتاح الرزق من نظر في العواقب سلم من النوائب ومن أسرع في الجواب
أخطأ في الصواب من ركب العجل أدركه الزلل من ضعفت آراؤه قويت أعداؤه من قلت
فضائله ضعفت وسائله من فعل ما شاء لقي ما ساء من كثر اعتباره قل عثاره من ركب جده
غلب ضده القليل مع التدبير أبقى من الكثير مع التبذير ظن العاقل أصح من يقين الجاهل قليل
تحمد آخرته خير من كثير تذم عاقبته من خاف سطوتك تمنى موتتك إذا استشرت الجاهل
اختار لك الباطل من أعجبته آراؤه غلبته أعداؤه من قصر عن السياسة صغر عن الرياسة لا تشتك
ضعفك إلى عدوك فانك تشمته بك وتطمعه فيك من لم يعمل لنفسه عمل للناس ومن لم يصبر على
كده صبر على الافلاس من أفشى سره أفسد أمره الحازم من حفظ ما في يده ولم يؤخر شغل
يومه لغده من طلب ما لا يكون طال تعبه لا تفتح بابا يعييك سده ولا ترم سهما يعجزك رده سوء
التدبير سبب التدمير أغمد سيفك ما ناب عنك لسانك ليس العجب من جاهل يصحب جاهلا ولكن
العجب من عاقل يصحبه لأن كل شيء يفر من ضده ويميل إلى جنسه إذا نزل القدر بطل الحذر
رب عطب تحت طب ومنية تحت أمنية لا يخلو المرء من ودود يمدح وعدو يقدح الجوع خير من
الخضوع الكذوب منهم وإن صدقت لهجته ووضحت حجته من طاوعه طرفه اشتد حتفه من لم تسر
حياته لم تغم وفاته من أعظم الذنوب تحسين العيوب الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية إذا ملك
الأراذل هلك الأفاضل من ساءت أخلاقه طاب فراقه من حسنت خصاله طاب وصاله بعد يورث الصفا
خير من قرب يوجب الجفا اللسان سيف قاطع لا يؤمن حده الكلام سهم نافذ لا يمكن رده
من اطلع على جاره انهتكت حجب أستاره أجهل الناس من قل صوابه وكثر إعجابه أظهر
الناس نفاقا من أمر بالطاعة ولم يأتمر بها ونهى عن المعصية ولم ينته عنها من سلا عن المسلوب
كان كمن لم يسلب ومن صبر على النكبة كان كمن لا ينكب الفضيلة بكثرة الآداب لا بفراهة الدواب
من زادت شهوته نقصت مروءته من عرف بشيء نسب اليه ومن اعتاد شيئا حرص عليه عند الجدال
يظهر فضل الرجال من أخر الأكل لذ طعامه ومن أخر النوم طاب منامه موت في دولة وعز خير من
حياة في ذلة وعجز مقاساة الفقر هي الموت الأحمر ومسئلة الناس هي العار الأكبر حق يضر خير من
باطل يسر كم من مرغوب فيه يسوء ولا يسر ومرهوب منه ينفع ولا يضر عثرة الرجل تزيل القدم
وعثرة اللسان تزيل النعم المزاح يورث الضغائن من حلم ساد ومن تفهم ازداد معاشرة ذوي الألباب
عمارة القلوب شرما صحب المرء الحسد ربما أصاب الأعمى رشده وأخطأ البصير قصده اليأس خير

ووجدته أيضا قد قال • خشنت عليه أخت بني خشنين • فاشمأز من هذا اللفظ طبعه واقشعر منه فهمه ونبا عن ذوقه وكأن سمعه يتجرعه ولا يكاد يسيغه ووجد هذا المبدع السيد عبد الله بن المعتز قد قال

رقفت بالربع أشكو فقد مشبهه حتى بكت بدموعي أعين الزهر
لو لم أعرها دموع العين تسفحها لرحمتي لاستعارتها من المطر

وقد قال

قدك غصن لا شك فيه كما وجهك شمس نهاره جسدك

فوجد المملوك طبعه إلى هذا الأمر مائلا وخاطره في بعض الأحيان عليه سائلا فنسج على هذا الاسلوب وغلب على خاطره مع علمه أنه المغلوب وحبك الشيء يعمي ويصم فقد أعماه حبه وأصمه إلى أن نظم تلك اللفظة في تلك الأبيات تقليدا لابن المعتز قالها وحل أثقالها وهي زلة تغتفر في جنب حسناته وأما المملوك فهي عورة ظهرت في أبياته (فأجابه الفاضل بقوله) ولا حجة فيما احتجه بابن المعتز عن الكنس في بيته فانه غير معصوم من الغلط ولا يقلد إلا في الصواب فقط وقد علم مما ذكره

من التضرع إلى الناس لاتكن ضاحكا فى غير عجب ولا ماشيا فى غير أرب من سعى بالنميمة حذره القريب ومقته الغريب الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استبد برأيه أشرف الغنى ترك المنى من ضاق خلقه مله أهله الحسد للصديق من سقم المودة كل الناس راض عن عقله دنياك كلها وقتك الذى أنت فيه استر سوأة أخيك لما يعلم فيك خمول الذكر أسنى من الذكر الذميم العجلة أخت الندامة من كرم أصله لان قلبه ومن قل لبه زاد عجبه ربما أدرك بالظن الصواب ليس لمعجب رأى ولا لمتكبر صديق سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار لا تعادين أحدا فانك لاتخلو من عداوة جاهل أو عاقل فالحذر من حكمة العاقل وجهل الجاهل ضاحك معترف بذنبه خير من باك مدل على ربه من قل سروره كان الموت راحته لاتردن على ذى خطأ خطأه فيستفيد منك علما ويتخذك عدوا استحى من ذم من لو كان حاضرا لبالغت فى مدحه ومدح من لو كان غائبا لسارعت إلى ذمه وقيل المنفعة توجب المحبة والمضرة توجب البغضة والمخالفة توجب العداوة والمتابعة توجب الالفة والعدل يوجب اجتماع القلوب والجور يوجب الفرقة وحسن الخلق يوجب المودة وسوء الخلق يوجب المباعدة والانبساط يوجب المؤانسة والانقباض يوجب الوحشة والكبر يوجب المقت والتواضع يوجب الرفعة والجود يوجب المدح والبخل يوجب الذم والتوانى يوجب التضييع والحزم يوجب السرور والحذر يوجب السلامة واصابة التدبير توجب بقاء النعمة وبالتأنى تسهل المطالب وبحسن المعاشرة تدوم المحبة وبخفض الجانب تأنس النفوس وبسعة خلق المرء يطيل عيشه والاستهانة توجب التباعد وبكثرة الصمت تكون الهيبة وبعدل المنطق تجلب الجلالة وبالنصفة تكثر المواصلة وبالافضال يعظم القدر وبصالح الاخلاق تزكو الأعمال وباحتمال المؤن يجب السودد وبالحلم على السفيه تكثر أنصارك عليه وبالرفق والتودد تستحق اسم الكرامة وبترك مالا يعنيك يتم لك الفضل * واعلم أن السياسة تكسو أهلها المحبة ومن صغر الهمة الحسد للصديق على النعمة والنظر فى العواقب نجاة ومن لم يحلم ندم ومن صبر غنم ومن سكت سلم ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم ومن أطاع هواه ضل ومع العجلة الندامة ومع التأنى السلامة وزارع البر يحصد السرور وصاحب العقل مغبوط وصداقة الجاهل تعب إذا جهلت فاسأل وإذا زللت فارجع وإذا أسأت فاندم وإذا ندمت فاقلع المروآت كلها تبع للعقل والرأى تبع للتجربة والعقل أصله التثبت وثمرته السلامة والأعمال كلها تتبع القدر واختار العلماء أربع كلمات من أربع كتب فمن التوراة من قنع شبع ومن الانجيل من اعتزل نجا ومن الزبور من سكت سلم ومن القرآن ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم واجتمعت حكماء العرب والعجم على أربع كلمات لاتحمل بطنك مالا يطيق ولا تعمل عملا لاينفعك ولا تغتر بامرأة ولا تثق بمال ولو كثر والله تعالى أعلم

(الباب السادس فى الأمثال السائرة وفيه فصول)

(الفصل الأول فيما جاء من ذلك فى القرآن العظيم وأحاديث النبى الكريم)

(اعلم) أن الأمثال من أشرف ماوصل به اللبيب خطابه وحلى بجواهره كتابه وقد نطق كتاب الله تعالى وهو أشرف الكتب المنزلة بكثير منها ولم يخل كلام سيدنا رسول الله ﷺ عنها وهو أفصح العرب لسانا وأكملهم بيانا فكم فى ايراده واصداره من مثل يعجز عن مباراته فى البلاغة كل بطل وسنذكر إن شاء الله تعالى بعد ذلك نبذة من أمثال العرب المولدين والعامه * فمن أمثال كتاب الله تعالى قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون الآن حصحص الحق قضى الأمر الذى فيه تستفتيان أليس الصبح بقريب ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة ليس لها من دون الله كاشفة أتأمرون الناس بالبر

ابن رشيق فى العمدة من تهافت طبعه وتباين صنعه ومخالفة وضعه فذكر من محاسنه مالا يعلق معه كتاب ومن بارده وغثه مالا تلبس عليه الثياب وقد تعصب القاضى السعيد على أبى تمام فنقصه حظه وأما البحترى فأعطاه أكثر من حقه وقال

ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى
فؤادى ولكن للعتاب مواضع

(قال) الشيخ صلاح الدين الصفدى لما وقف على هذا الفصل رأيت ابن سناء الملك استعمل هذه اللفظة فى غير هذا الموضع ولم يتعظ بنهى الفاضل ولا ارعوى ولا ازدجر عما قبحه بل غلب عليه الهوى فقال

وخلصنى من يدى عشقه
ظلام على خده حندسه
كنست فؤادى من حبه
ولحيته كانت المكنسه

(قلت) مابرح الشيخ صلاح الدين غفر الله له يذوق تقليدا كقوله عن ابن سناء الملك لما استعمل فى هذه الصيغة المشتملة على الهجو بشاعة المكنسة ولم يتعظ بنهى الفاضل ولا ارعوى ولا ازدجر عما قبحه بل غلب عليه الهوى أما نقد الفاضل على ابن سناء الملك بوضع المكنسة على وجنة معشوقته التى ليس للعذار بوجنتها شعور فنقد صحيح وأما وضع مكنسة اللحية على وجنة من

وتنهون أنفسكم وحيل بينهم وبين مايشتهون لكل نبأ مستقر قل كل يعمل على شاكلته وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وإن تصبهم سيئة يفرحوا بها كل نفس بما كسبت رهينة حتى إذافرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتةماعلى الرسول إلا البلاغ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ماعلى المحسنين من سبيل تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى هل جزاء الإحسان إلا الاحسان ولا ينبئك مثل خبير ولو علم فيهم خيرا لأسمعهم كل حزب بمالديهم فرحون لايكلف الله نفسا إلا وسعها لايستوى الخبيث والطيب ففررت منكم لما خفتكم وإن كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء ياأيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم ولو رحمناهم وكشفنا مابهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ياليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين لايجليها لوقتها الا هو فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى كل يوم هو فى شأن فبأى حديث بعده يؤمنون وما ربك بغافل عما تعملون واهجرهم هجرا جميلا من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها إن هى الافتنتك فاعتبروا ياأولى الأبصار وانه لقسم لو تعلمون عظيم ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ولتعلمن نبأه بعد حين وكان بين ذلك قواما لمثل هذا فليعمل العاملون كل من عليها فان كل نفس ذائقة الموت أفسحر هذا أم أنتم لاتبصرون (ومن) الامثال من الحديث النبوى انما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى نية المرء خير من عمله آفة العلم النسيان من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه أنزلوا الناس منازلهم اليد العليا خير من اليد السفلى من مات غريبا مات شهيدا مطل الغنى ظلم يد الله مع الجماعة الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق من غشنا فليس منا سيد القوم خادمهم الحياء شعبة من الإيمان تخيروا لنطفكم ابدأ بنفسك ثم بمن تعول حدث عن البحر ولا حرج المجالس بالأمانات كل ميسر لما خلق له اطلبوا الخير من حسان الوجوه إياك وما يعتذر منه الوحدة خير من الجليس السوء استعينوا على الحوائج بالكتمان الندم توبة لايكون المؤمن طعانا ولا لعانا دع مايريبك إلى مالا يريبك من كثر سواد قوم فهو منهم انصر أخاك ظالما أو مظلوما انتظار الفرج عبادة كاد الفقر أن يكون كفرا نعم صومعة الرجل بيته الأعمال بخواتيمها

(الفصل الثانى فى أمثال العرب) إن من البيان لسحرا ان الجواد قد يعثر إن البلاء موكل بالمنطق أن أخا الهيجاء من يسعى معك ✽ ومن يضر نفسه لينفعك أنف فى السماء واست فى الماء ان الذليل الذى ليست له عضد أى الرجال المهذب انما هو كبرق خلب اذا أدبر الدهر عن قوم كفى عدوهم أمرهم إياك أعنى فاسمعى ياجارة إن لم يكن وفاق ففراق انك لاتجنى من الشوك العنب إذا حان القضاء ضاق الفضاء ان المناكح خيرها الأبكار اذا كنت مناطحا فناطح بذوات القرون أوى إلى ركن بلا قواعد اياك أن تضرب بلسانك عنقك أكل وحمد خير من أكل وذم آفة المروءة خلف الوعد اذا قلت له زن طأطأ رأسه وحزن اذا أتاك أحد الخصمين وقد فقئت عينه فلاتقض له حتى يأتيك خصمه فلعله فقئت عيناه ترك الذنب أيسر من طلب التوبة. اتق شر من تحسن اليه الناس اخوان وشتى فى الشيم بلغ السيل الزبى أجع كلبك يتبعك حافظ على الصديق ولو فى الحريق اشتدى أزمة تنفرجى أتبع السيئة الحسنة تمحها الخيل أعرف بفرسانها ومتى بداتها وانسلت رب رمية من

وقف الفاضل على هذه المكنسة لاعدها الأبياته انتهى (ومن لطائف المنقول) ماحكى عن الشيخ مجدالدين بن دقيق العيد والدقاضى القضاة تقى الدين محمد ماالله برحمته ورضوانه وهو أن الشيخ مجدالدين المشار اليه كان كثير الاحسان إلى أصحابه ينعى لهم على قدر استحقاقهم فيمن يصلح للحكم وفيمن يصلح للعدالة فجاءه بعض طلبته وشكا اليه رقة الحال وكثرة الضرورة فقال له أكتب قصتك وأنا أتحدث مع الولد فكتب ذلك الطالب المملوك فلان يقبل الأرض وينهى أنه فقير ومظرور بالظاء القائمة وقليل الحظ بالضاد وناولها للشيخ فلما قرأها تبسم وقال يافقير سبحان الله ضرك قائم وحظك ساقط انتهى ✽ ومن لطائف المنقول عن قاضى القضاة شمس الدين ابن خلكان رحمه الله تعالى أنه كان يهوى بعض أولاد الملوك وله فيه الاشعار الرائقة يقال ان أول يوم زاره بسط له الطرحة وقال ماعندى أعز من هذه طأ عليها ولما فشا أمرهما وعلم به أهله منعوه من الركوب فكتب اليه

ياسادتى انى قنعت وحقكم فى حبكم منكم بأيسر مطلب

غير

غير رام الرباح مع السماح رب أكلة تمنع أكلات استراح من لاعقل له رب أخ لم تلده أمك رب طمع أدى إلى عطب ربما كان السكوت جوابا رب ملوم لاذنب له رب عين أنم من لسان رحم الله من هداني إلى عيوبي ركوب الخنافس ولا المشي على الطنافس سبق السيف العذل زوج من عود خير من قعود سبك من بلغك السب سحابة صيف عن قليل تقشع شر أيام لديك يوم تغسل رجليك طاعة النساء ندامة أطلب تظفر طرف الفتى يخبر عن لسانه ظاهر العتاب خير من باطن الحقد عند الصباح يحمد القوم السرى الظلم مرتعه وخيم عند النطاح يغلب الكبش الأجم

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملامه

اعقل وتوكل العتاب قبل العقاب عند الرهان تعرف السوابق عند الامتحان يكرم المرء أويهان عند النازلة تعرف أخاك في القمر ضياء والشمس أضوأمنه القول ماقالت حزام لقد أسمعت لو ناديت حيا أقلل طعامك تحمد منامك كل فتاة بأبيها معجبة كل كلب ببابه نباح كاد العروس أن يكون ملكا كثرة العتاب توجب البغضاء أكثر مصارع الرجال تحت بروق المطامع الكلام أنثى والجواب ذكر كل إناء يرشح بمافيه كما تزرع تحصد كل امرىء في بيته صبي كلب جوال خير من أسد رابض لقدذل من بالت عليه الثعالب ليس الخبر كالعيان لكل صارم نبوة ولكل جواد كبوة لكل قادم دهشة لعل له عذرا وأنت تلوم لكل ساقطة لاقطة لكل مقام مقال لك لسان من رطب ويدان من خشب للباطل جولة ثم يضمحل ليست النائحة الثكلى مثل المستأجرة لكل غدطعام لكل دهر دولة ورجال لاعطر بعد عروس لايلدغ المؤمن من جحر مرتين لايضر السحاب نباح الكلاب لاتقتن من كلب سوء جروا ومقتل الرجل بين فكيه ماحك جلدك مثل ظفرك من عتب على الدهر طال عتبه معاتبة الإخوان خير من فقدهم النفس مولعة بحب العاجل هذه بتلك والبادي أظلم ياحبذا الامارة ولو على الحجارة يكسو الناس وأسته عارية يدك منك وإن كانت شلاء

(الفصل الثالث في أمثال العامة والمولدين) التسلط على المماليك دناءة اجلس حيث يؤخذ بيدك وتبر ولاتجلس حيث يؤخذ برجلك وتجر أجرأ الناس على الأسد أكثرهم له رؤية الحاجة تفتق الحيلة الحاوي لاينجو من الحيات الحية تدور وإلى الرحى ترجع المؤذي ردي كلما جلوته صدي الأسواق وائد الله في أرضه السلامة إحدى الغنيمتين الشاة المذبوحة لايؤلمها السلخ الطير بالطير يصاد اطلع القرد في الكنيف فقال هذه المرآة لهذا الوجه الظريف العادة طبيعة خامسة الغائب حجته معه الخضوع عند الحاجة رجولية الناس أتباع لمن غلب النكاح يفسد الحب النصح بين الملا تقريع الحر حر وإن مسه الضر والعبد عبد وإن ملك الدر الثقيل إذا تخفف صار طاعونا أضيع من حلي على زنجية العمل للزونبخ والاسم للبورة أنشط من شيء دخل نصفه البغل الهرم لايفزعه صوت الجلجل بدن وافر وقلب كافر تزاوروا ولاتجاوروا تعاشروا كالاخوان وتعاملوا كالاجانب ثمرة العجلة الندامه جواهر الأخلاق تفضحها المعاشرة حيثما سقط لقط خذ اللص قبل أن يأخذك خذ القليل من اللئيم وذمه ذل من لاسفيه له ريق العدو سم قاتل رب ساع لقاعد زكاة البدن العلل زلق الحار وكان من سهوة المكاري زلة الرجل عظم يجبر وزلة اللسان لاتبقي ولاتذر سلطان غشوم خير من فتنة تدوم سراة قوله وبوله سفير السوء يفسد ذات البين شهر ليس لك فيه رزق لاتعد أيامه صديق الوالد عم الولد ضرب الطبل تحت الكسا طاعة الولاة بقاء العز طفيلي ويقترح عناية القاضي خير من شاهدي عدل دلت على أهلها براقش (وهو اسم كلبة نبحت فدلت على الجيش فقتلوهم) غش القلوب يظهر في فلتات الألسن وصفحات الوجوه غنى المرء في الغربة وطن فر من الموت وفي الموت وقع فم يسبح وقلب يذبح فلان

يوم الخميس جمالكم في الموكب
لو كنت تعلم ياحبيبي ماالذي . ألقاه من كمد إذا لم تركب . لرحمتني ورثيت لي . من حالة لولاك لم يك حملها من مذهبي
قسما بوجهك وهو بدر طالع
وبليل طرتك التي كالغيهب
وبقامة لك كالقضيب وركبت من أخطارها في الحب أصعب مركب
لولم أكن في رتبة أرعى لها الـ
العهد القديم انه للمنصب
لهتكت ستري في هواك ولذلي
خلع العذار ولج فيك مؤنبي لكن خشيت بأن تقول عواذلي
قد جن هذا الشيخ في هذا الصبي
فارحم فديتك حرقة قد قاربت
كشف القناع بحق ذاك النبي
(قال الشيخ جمال الدين) ابن عبد القادر التبريزي الذي يهواه القاضي شمس الدين بن خلكان رحمه الله الملك المسعود ابن الملك الظاهر وكان قد تيمه حبه وكمت أتالم عنده بالعادلية

فتحدثنا في بعض الليالي إلى أن ذهب الناس فقال لي نم أنت ههنا وألقى على فروة

كالكعبة يزار ولا يزور قبل الزمار تهيأ للزمر قال المزمار فى كمى والريح فى فى كل قليلا تعش كثيرا كلامه ريح فى قفص كالابرة تكسو الناس وهى عريانة كلمة حكمة من جوف خرب كاد المريب يقول خذونى كنت سندالا فصرت مطرقة كل مافاتك من الدنيا فهو غنيمة كلما طار قصوا جناحه لوكان المزاج خلا لم ينتج إلا شرا لسان الجاهل مفتاح حتفه لكل جديد لذة لوضاعت صفعه ماوجدت إلا فى قفاه لوكان فى اليوم خير ما فات الصياد من اعتمد على شرف آبائه فقد عقهم من سعادة المرء أن يكون خصمه عاقلا وبالله التوفيق

(الفصل الرابع فى الأمثال من الشعر المنظوم مرتبة على حروف المعجم)

(حرف الألف)

ألا كل شىء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطل السحر والساحر
إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى فأبعدكن الله من شجرات
إذا كنت فى فكرى وقلبى ومقلتى فأى مكان من مكانك ألطف
إذا أراد كريم منع صاحبه فليس يخفى عليه كيف ينفعه
إذا ما أتيت الأمر من غير بابه ضللت وأن تقصد إلى الباب تهتد
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل
إذا لم يكن عندى نوال هجرتنى وإن كان لى مال فأنت صديق
الناس فى طلب المعاش وإنما بالجد يرزق منهم من يرزق
أيها السائل عما قد مضى هل جديد مثل ملبوس خلق
إنما أنفسنا عارية والعوارى حكمها أن تسترد
أن العدو وان أبدى مسالمة إذا رأى منك يوما غرة وثبا
أتمنى على الزمان محالا أن ترى مقلتاى طلعة حر
إذا ملك لم يكن ذا هبه فدعه فدولته ذاهبه
إذا ثارت خطوب الدهر يوما عليك فكن لها ثبت الجنان
إذا كنت لا ترضى بما قد ترى فدونك الحبل به فاختنق
إن الأمور إذا بدت لزوالها فعلامة الادبار فيها تظهر
إذا ضاع شىء بين أم وبنتها فإحداهما لا شك ذاك آخذه
إذا كان رب البيت بالطبل ضاربا فلا تلم الصبيان فيه على الرقص
إذا ما أراد الله إهلاك نملة سمت بجناحيها إلى الجو تصعد
إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنى أصبت حليما أو أصابك جاهل
إذا لم تستطع أمرا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع
إذا صوت العصفور طار فؤاده ولكن حديد الناب عند الثرائد
أهن عامرا تكرم عليه فإنما اخو عامر من مسه بهوان
إذا محاسنى اللاتى أتيت بها عدت ذنوبا فقل لى كيف أعتذر
أخوان صدق ماراوك بغبطة فاذا افتقرت فقد هوى بك من هوى
إذا اعتاد الفتى خوض المنايا فأيسر ما يمر به الوحول
ألم تر أن المرء تدوى يمينه فيقطعها عمدا ليسلم سائره
إذا أنت لم تعلم طبيبك كل ما يسوءك أبعدت الدواء عن السقم
إذا أنت حملت الخؤن أمانة فإنك قد أسندتها شر مسند
أكل خليل هكذا غير منصف وكل زمان للكرام بخيل
إذا أنت عبت المرء ثم أتيته فأنت ومن تزرى عليه سواء
أسأت إذ أحسنت ظنى بكم والحزم سوء الظن بالناس
الحادثات إذا ألم خطوبها فلها مساو مرة ومحاسن
الخير لا يأتيك متصلا والشر يسبق سيله مطره
العلم ينهض بالخسيس إلى العلا والجهل يقعد بالفتى المنسوب
الكفر بالنعمة يدعو إلى زوالها والشكر أبقى لها
أيا دارهم ما كنت أنت بدارهم ولا أنا منذ سار الركاب بهم أنا
أقلب طرفى لا أرى غير صاحب يميل مع النعماء حيث تميل
إذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن قضاء ولكن ذاك غرم على غرم

فرط وقام يدور حول ريقول فى دورانه أنا والله هالك آيس من سلامتى أو أرى القامة التى قد أقامت قيامتى (وقيل) إن قاضى القضاة شمس الدين المشار إليه رحمه الله سأل بعض أهل دمشق المحروسة وكان المسئول من خواص أصحابه عن ترجمته عند أهل دمشق فاستعفاه من ذلك فألح عليه فقال أما العلم والفضل فهم مجمعون عليه وأما النسب فيدعون فيه الادعاء ويقولون إن مولانا يأكل الحشيش ويحب الغلمان (فقال) أما النسب والكذب فيه فهذا نوع من الهذيان ولو أردت أن أنتسب إلى العباس أو إلى على بن أبى طالب أو إلى أحد من الصحابة لأجازوا ذلك وأما النسب إلى قوم لم يبق منهم بقية وأصلهم فرس مجوس فما فيه فائدة وأما الحشيشة فالكل ارتكاب محرم وإذا كان ولابد فكنت أشرب الخمر فإنه ألذ وأما محبة الغلمان فإلى غد أجيبك عن المسألة انتهى (ومما يناسب لطيفة قاضى القضاة شمس الدين مانقلته من روض الجليس ونزهة الأنيس) حكى عن سليمان بن محمد المدى الصقلى قال كان بأفريقية رجل نديه شاعر وكان يهوى غلاما جميلا من غلمانه فاشتد كلفه به وكان

(حرف الباء الموحدة)	بنا فوق ماتشكو فصبرا لعلنا	نرى فرجا يشفى السقام قريبا
	بالملح نصلح ماتخشى تغيره	فكيف بالملح إن حلت به الغير
	بنى عمنا إن العداوة شأنها	ضغائن تبقى فى نفوس الأقارب
(حرف التاء المثناة الفوقية)	نحن اليه أفئدة البرايا	وتهواه الخلائق للسماع
نلوم على القطيعة من أتاها	وأنت سننتها للناس قبلى	تلجى الضرورات فى الأمور إلى
سلوك مالا يليق بالأدب	تفرقت الظباء على خراش	وما يدرى خراش مايصيد
	تجتلى الأذن منه أحسن مما	تجتلى العين من وجوه البدور
(حرف الجيم)	جن له الدهر فنال الغنى	آه لمن أغفله الدهر
	جريت أهلى وأهليه فما تركت	لى التجارب فى ود امرئ غرضا
	حياك من لم تكن ترجو تحيته	لولا الدراهم ماحياك إنسان
(حرف الحاء المهملة)	خفض الجاش واصبرن رويدا	فالرزايا إذا توالت تولت
(حرف الخاء المعجمة)	وان عزيز القوم فيه يهان	خاطر بنفسك كى تصيب غنيمة
خليلى إن الحب صعب مراسه	خيالك فى عينى وذكرك فى فمى	ومثواك فى قلبى فأين تغيب
ان الجلوس مع العيال قبيح	خن من أمنت ولا تركن إلى أحد	فما نصحتك إلا بعد تجريبى
(حرف الدال المهملة)	داود محمود وأنت مذمم	عجبا لذاك وأنتما من عود
	دعينى أنهب الأموال حتى	أعف الأكرمين عن اللئام
(حرف الذال المعجمة)	ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله	وأخو الجهالة فى الشقاوة منعم
(حرف الراء)	رب مهزول سمين عرضه	وسمين الجسم مهزول الحسب
ردوا على صحائفا سودتها	فيكم بلا حق ولا استحقاق	رضيت ولا أرضى إذا كان مسخط
من الأمر مافيه رضا صاحب الأمر	رب يوم بكيت منه فلما	صرت فى غيره بكيت عليه
(حرف الزاى)	زنيم ليس يعرف من أبوه	بغى الأم ذو حسب لئيم
(حرف السين المهملة)	سرورى أن تبقى بخير ونعمة	وإنى من الدنيا بذلك قانع
سوء حظى أنالنى منك هجرا	فعلى الحظ لاعليك العتاب	سبكناه ونحسبه لجينا
فأبدى الطير عن خبث الحديد	ستذكرنى إذا جربت غيرى	وتعلم أننى نعم الصديق
(حرف الشين المعجمة)	شفيعى اليك الله لا رب غيره	وليس إلى رد الشفيع سبيل
	شكرتك قبل الخير إن كنت واثقا	بأنى بعد الخير لاشك شاكر
(حرف الصاد المهملة)	صح لنا والده أولا	وأنت فى حل من الوالدة
(حرف الضاد المعجمة)	ضاقت ولولم تضق لما انفرجت	والعسر مفتاح كل ميسور
(حرف الطاء المهملة)	طويل عمر المعالى والندى أبدا	قصير عمر الأعادى والمواعيد
	طوبى لأعين قوم أنت بينهم	القوم فى نزهة من وجهك الحسن
(حرف الظاء المشالة)	ظهرت خيانات الثقات وغيرهم	حتى اتهمنا رؤية الأبصار
	حلمت امرأ كلفته غير خلقه	وهل كانت الأخلاق الاغرائزا
(حرف الغين المهملة)	علم الله كيف أنت فأعطا	ك المحل الجليل من سلطانه
على المرء أن يسعى لما فيه نفعه	وليس عليه أن يساعده الدهر	عسى فرج يأتى به الله انه
له كل يوم فى خليقته أمر	عتبت على عمرو فلما تركته	وجربت أقواما بكيت على عمرو

لجرى بخاطره مايفعله به من التجنى فزاد سكره وقام من الفور وقد غلب عليه سكر الغرام وسكر المدام فأخذ قبس نار وجعله عند باب الغلام ليحرق عليه داره فلما دارت النار بالباب بادر الناس باطفائها واعتقلوه فلما أصبحوا نهضوا به إلى القاضى فأعلموه بفعله فقال له القاضى لأى شىء أحرقت باب هذا الغلام فأنشد على الفور

لما تمادى على بعادى
وأضرم النار فى فؤادى
ولم أجد من هواه بدا
ولا معينا على السهاد
حملت نفسى على وقوفى
ببابه وقفة الجواد
فطار من بعض نار قلبى
أقل فى الوصف من زناد
فأحرق الباب دون علمى
ولم يكن ذاك من مرادى

قال فاستظرف القاضى واقعته واستملح شعره ورق لحكاية حاله وتحمل عنه ما أفسده من باب الغلام وأطلقه (ومما يناسب هذه اللطائف) قيل إنه رفع إلى المأمون أن حائكا يعمل السنة كلها لايتعطل فى عيد ولا جمعة فإذا ظهر الورد طوى عمله وغرد بصوت عال

طاب الزمان وجاء الورد فاصطبحوا ... ما دام للورد أزهار ونوار

فاذا شرب مع ندمائه على الورد غنى

أشرب على الورد من حمراء صافية شهراً وعشراً وخمساً بعدها عدداً ولا يزالون في صبوح وغبوق مابقيت وردة فاذا انقضى الورد عاد إلى عمله وغرد بصوت عال

فان يبقني ربي إلى الورد أصطبح ان مت والهفي على الورد والخمر
سألت إله العرش جل جلاله بواصل قلبي في غبوق إلى الحشر

فقال المأمون لقد نظر هذا الرجل إلى الورد بعين جليلة فينبغي أن نعينه على هذه المروءة فأمر أن يدفع له في كل سنة عشرة آلاف درهم في زمن الورد

(ومن اللطائف ماحكي عن مجير الدين الخياط الدمشقي) قيل إنه كان يهوى غلاما من أولاد الجند فشرب مجير الدين في بعض الليالي وسكر فوقع في الطريق فمر الغلام عليه بشمعة وهو راكب فرآه في الليل مطروحا على الطريق فوقع عليه بالشمعة ونزل فأقعده ومسح وجهه فسقط من الشمعة نقطة على وجهه ففتح عينيه فرأى محبوبه على رأسه فاستيقظ وأنشد

يامحرقا بالنار وجه محبه مهلا فان مدامعي تطفيه
أحرق بها جسدي وكل جوارحي واحذر على قلبي فانك فيه

(ومن اللطائف ماحكاه الأصمعي) ولاخير

(حرف الغين المعجمة)

(حرف الفاء)

فنفسك أكرمها فانك ان تهن
إذا الغيث لم يمطر بلادك ماطره
فان كانت الأجسام منا تباعدت
ولكن حمد المرء غير مخلد

(حرف القاف)

قد زال ملك سليمان فعاوده
وقد يكون مع المستعجل الزلل

(حرف الكاف)

كفى زاجرا للمرء أيام دهره
فهم كربتي فأين الفرار
كل المصائب قد تمر على الفتى
فأنت إلى كل الانام حبيب

(حرف اللام)

لعمري ماضاقت بلاد بأهلها
من فاته اليوم سهم لم يفته غدا
لو كان مابي في صخر لأنحله
فما اسطعت من معروفها فتزود

(حرف الميم)

من لم يعدنا إذا مرضنا
إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم
من الناس من يغشي الاباعد نفعه
فانه في المسجد الجامع

نسود أعلاها وتأبى أصولها
نعاف مالابد من شربه

(حرف الهاء)

هل بالحوادث والأيام من عجب
أليس مصير ذاك إلى الزوال
هم يحسدوني على موتي فواحزني

(حرف الواو)

وإذا خشيت من الأمور مقدرا
ويبيت بوابا بباب الأحمق

غنى بلا مال عن الخلق كلهم
غلام أتاه اللؤم من شطر نفسه
فلم أر كالأيام للمرء واعظا
عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما
فما أكثر الأصحاب حين تعدهم
فان المدى بين القلوب قريب
فان تفق الأنام وأنت منهم
قد يجمع المال غير آكله
والشمس تنحط في المجرى وترتفع
قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه
كلوا اليوم من رزق الإله وأبشروا
تروح له بالواعظات وتغتدي
كانوا بني أم ففرق شملهم
فتهون غير شماتة الاعداء
كالكلب ان جاع لم يمنعك بصبصة
لعمرك مايدري الفتى كيف يتقي
ولكن أخلاق الرجال تضيق
لو أن خفة عقله في رجله
فكيف يحمله خلق من الطين
لكل امرىء حالان بؤس ونعمة
من يحمد الناس يحمدوه
ان مات لم نشهد الجنازة
من كان فوق محل الشمس رتبته
ويشقى به حتى الممات أقاربه
ما قام عمرو في الولا

(حرف النون)

وليس إلى رد الشباب سبيل
ندمت ندامة الكسعي لما
هناكم الله بالدنيا ومتعكم
أم هل إلى رد ماقدفات من طلب
هنيئا لمن لاذاق للدهر لوعة
حتى على الموت لاأخلو من الحسد
ولم أر كالمعروف أما مذاقه
وهربت منه فنحوه تتوجه
ولا يغرورك طول الحلم مني

وليس الغنى إلا عن الشيء لا به
ولم يأته من شطر أم ولا أب
ولا كصروف الدهر للمرء هاديا
فصبر جميل ان في اليأس راحة
ولكنهم في النائبات قليل
فلو كان حمدا يخلد المرء لم يمت
فان المسك بعض دم الغزال
ويأكل المال غير من جمعه
قد يدرك المتأني نجح حاجته
خلق وجيب قميصه مرفوع
فان على الخلاق رزقكم غدا
كنت من كربتي أفر اليهم
عدم العقول وخفة الأحلام
كأنك من كل النفوس مركب
وان ينل شبعا ينبح من الاشر
إذا هو لم يجعل له الله واقيا
للموت فينا سهام وهي صائبة
سبق الغزال ولم يفته الأرنب
لعمرك ما الأيام إلا معارة
وأفظعهم في النائبات أقاربه
والناس من يعبهم يعاب
متى يبلغ البنيان يوما تمامه
فليس يرفعه شيء ولا يضع
ماكان في الخدع من أمركم
ية قائما حتى قعد

نحن بنو الموتى فما بالنا
رأت عيناه ماصنعت يداه
بما نحب لكم منها ونرضاه
هب الدنيا تقاد اليك عفوا
ولم تأخذ الأيام منه نصيبا

لحلو وأما وجهه فجميل
والرزق يخطىء باب عاقل قومه
فما أبدا تصادفني حليما

ولاخير فيمن لايوطن نفسه   على نائبات الدهر حين تنوب   وإذا أتتك مذمتي من ناقص
فهي الشهادة لي بأني كامل   وما للمرء خير في حياة   إذا ما عد من سقط المتاع
وما المرء الا كالهلال وضوؤه   يوافي تمام الشهر ثم يغيب   وقد تسلب الأيام حالات أهلها
وتعدو على أسد الرجال الثعالب   ومن يأمن الدهر الخئون فانني   برأى الذي لايأمن الدهر أقتدى
وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد   ذخرا يكون كصالح الأعمال   ومن يكن الغراب له دليلا
يمر به على جيف الكلاب   ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا   من الزاد يطرح نفسه كل مطرح
ولربما منع الكريم ومابه   بخل ولكن سوء حظ الطالب   ولابات يسقينا سوى الماء وحده
وهذا جزا من بات ضيف الضفادع   ومن عاش في الدنيا فلابد أن يرى   من العيش ما يصفو وما يتكدر
لو دامت الدولات دامت لغيرنا   رعايا ولكن مالهن دوام   وأحسن فان المرء لابد ميت
وإنك مجزى بما كنت ساعيا   ولا ترين الناس الا تجملا   وإن كنت صفر الكف والبطن طاويا
ومالامرىء طول الخلود وإنما   يخلده طول الثناء فيخلد   ولرب نازلة يضيق بها الفتى
ذرعا وعند الله منها المخرج   وكان رجائي أن أعاد ممتعا   فصار رجائي أن أعود مسلما
وتجلدي للشامتين أريهم   أني لريب الدهر لا أتضعضع   ولابد من شكوى إلى ذي مروءة
يواسيك أو يسليك أو يتوجع   وهون حزني عن خليلي أنني   إذا شئت لاقيت الذي مات صاحبه

ويوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر

(حرف اللام الف)

لاتنظرن إلى الجهالة والحجى   وأنظر إلى الاقبال والادبار   لاتسأل المرء عن خلائقه
في وجهه شاهد من الخبر   لا يصبر الحر تحت ضيم   وإنما يصبر الحمار
لا تنه عن خلق وتأتي مثله   عار عليك إذا فعلت عظيم   لايبالي الشتم عرض
كله شتم وذم   لاتنظرن إلى امرىء ماأصله   وانظر إلى أفعاله ثم احكم
لايسكن المرء في أرض يهان بها   الامن العجز أومن قلة الحيل   لايقبلون الشكر مالم ينعموا
نعما يكون لها الثناء تبيعا   لاأسأل الناس عما في ضمائرهم   ما في ضميري لهم من ذاك يكفيني

(حرف الياء المثناة التحتية)

يفر من المنية كل حي   ولاينجي من القدر الحذار   يريك الرضا والغل حشو جفونه
وقد تنطق العينان والفم ساكت   يهمهم للسماء إذا رآه   ويعبس إن رأى وجه اللجام
يفارقني من لاأطيق فراقه   ويصحبني في الناس من لاأريده   يزيد تفضلا وأزيد شكرا
وذلك دأبه أبدا ودأبي   يواسي الغراب الذئب في كل صيده   وما صارت الغربان في سعف النخل
يهون علينا أن تصاب جسومنا   وتسلم أعراض لنا وعقول   يفر الفتى مر الليالي سليمة
وهن به عما قليل غوائر   يغيظني وهو على رسله   والمرء في غيظ سواه حليم

يريك البشاشة عند اللقا ويبريك في السر بري القلم

﴿ الفصل الخامس في الأمثال السائرة بين الرجال والنساء مرتبة على حروف المعجم ﴾

(حرف الألف)

ان كنت ما تعمل جميلا اعمل كا يعمل معك. إذا أبغضك جارك حول باب دارك. إذا كان صاحبك عسلا فلاتلحسه كله. المستعجل والبطى عند المعدية يلتقى. ألف ذقن ولا سلام عليكم. ألف ذقن ولا ذقنى. إذا غاب عنك أصله كانت دلائل نسبته فعله إذا وصلت وسلم الله بع بما قسم الله إذا كنت أعمى وأطرش شم رائحة النقوش إذا كان النبيذ دردى والعشيق كردى والقبول قول حاروالعشا بيسا رايش يكون

قال مررت بكناس يكنس كنيفا وهو يغني ويقول أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر فقلت له أما سداد الثغر فلا علم لنا كيف أنت فيه وأما سداد الكنيف فمعلوم قال الاصمعي وكنت حديث السن فأردت العبث به فأعرض عني مليا ثم أقبل علي وأنشد

وأكرم نفسي أنني إن أهنتها   وحقك لم تكرم على أحد بعدي

فقلت وأي كرامة حصلت لها منك وما يكون من الهوان أكثر مما أهنتها به فقال بل لا والله من الهوان ماهو أكثر وأعظم مما أنا فيه فقلت له وما هو فقال الحاجة إليك وإلى أمثالك فقال فانصرفت وأنا أخزى الناس

(ذكرت) بقول الكناس غريم الاصمعي ما يضارع ذلك أعني قوله

أضاعوني وأي فتى أضاعوا   ليوم كريهة وسداد ثغر

قيل إنه كان لأبي حنيفة رضي الله عنه جار إسكاف بالكوفة يعمل نهاره أجمع فاذا جنه الليل رجع إلى منزله بلحم وسمك فيطبخ اللحم ويشوي السمك فاذا دب فيه السكر أنشد أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر ولا يزال يشرب ويردد البيت إلى أن يغلبه

الحال. إذا كان القطن أحمر والمغسل أعور والدكة مخمة والنعش مكسر اعلم أن الميت من أهل سقر والوادى الاحمر إيش ينفع الظراط عند طلوع الروح قال تقريب للحاضرين وتفريق للملائكة القشر والنشر والعشا خبيزة أكل الدقة والنوم فى الأزنة ولا دجاجه محمرة يعقبها مشقة. إيش انت فى الحارة يامنخل بلا طاره. الرجم بالطوب ولا الهروب إذ وقعت يانصيح. لاتصنح أفرع يقرل لا افرع امش بنا نزوع. فى بركة القرعان إيش مايطلع يطلع النصف لى والربع لى والثمن لى والثمن الآخر لك ولى العدو مايبقى حبيب حتى يصير الحمار طبيب اقعد يا حمار حتى ينبت لك الشعير أى موضع راح الحزين يلقى جنازة قال الشاعر .

إن دام هذا السير يامسعود	لا جمـل يبقى ولا قعود
(غيره) إذا لم تكن لى والزمان شرم برم	فلا خير فيك والزمان ترللى
(غيره) إذا أقبلت كادت تقاد بشعرة	وإن أدبرت كادت تقد السلاسل

(حرف الباء الموحدة)

بينما يتروى البخيل قضى الكريم حاجته بينما يسعد المغترفرغ عمره بينما أصل قبره نسيت همه بينما يعدل المغترحاله جاء الموت شاله بينما يخاص ربناحتى انفرقعت جوزة حلقى بينما يقطع الجريد يفعل الله مايريد بينما يجىء الدرياق من العراق يكون الملسوع مات بين حانه وبانه حلقت لجانه بدوى مقروح لقى التمر مطروح أين يخلى ويروح بدال لحمتك وقلقاسك هات لك شد على رأسك بدال اللحمة والباذنجان هات لك قميص ياعريان بدال لحمتك الثلاثة هات لك شد ياسمانه تبقى للكلب سرج وغاشية وغلبان وحاشية بقى للخرا مرا ويحلف بالطلاق بعد الجوع والقملة بقى لك حمار وبغلة

(حرف التاء المثناة فوق)

تموت الحدا ى وعينها فى الصيد تعالوا بنا نفتح ونرجع غدا نصطلع تدحرج ... لعند البعر قال له إيش أنت قال له بزم قردف ترك الفضول من حزم العقول تراب العمل ولا زعفران البطالة تسكر وتخانق ماهو شىء موافق تجارة الأحمق على أهل بيته تضارب الريح مع الموج جاءهم على النواتيه تزاوروا ولا تجاوروا تبات نار تصبح رماد لها رب يدبرها .

(حرف الثاء المثلثة)

ثوب العيرة مايدفى ثقيل واسمه صخر بن جبل ثور علفوه أغمى عليه قال حتى يطلع شىء يرشوه عليه ثور عاجز مايدور ساقية ثقيل من أولاد الزنا مر العنا ثوب عليه وثوب على الوتد قال أنا اليوم أحسبن من كل من فى البلد

(حرف الجيم)

جور القط ولا عدل الفار جمل موضع يبرك جهد المقل دموعه جمل بحنه قال وأين المحبة حيث اصطاد صادونى جار له حق وجار ماله حق وجار لاصحبته عافيه جارك مرآك إن لم ينظر وجهك ينظر قفاك جا كتاب من عند خاله قال كل من هو فى حاله جا كتاب من عند عمه قال كل من هو ملهى بهمه جاءوا ينعلوا خيل الباشا مدت أم قويق رجلها جوزوها له مالها إلا له جوز ومشكاح لربة ماعلى الاثنين قيمة

(حرف الحاء المهملة)

حاجة لاتهمك وصى عليها جوز أمك حول حبيبى ماعونه وقدرته مع كانونه حمار حنكوه بالتوت على باب الغيط يموت حلينا القلوع وأرسينا وأصبحنا على ما أمسينا حب ووارى واكره ودارى حدثتنى ونصحتنى عايرتنى . فرحتنى حط فليسا تنك فى كمك واشتر أبوك وأمك حبة قرض تخرب أرض

(حرف الخاء المعجمة)

خدينى وارغبى فيه أنا حصاد ملوخية وعند الخبز آكل ميه وعند الشغل مالى نية خبثت لى وصلحت لك

فسأل عنه فقيل أخذه العسس منذ ثلاثة أيام وهو محبوس فصلى الإمام الفجر وركب بغلته ومشى واستأذن على الأمير فقال ائذنوا له وأقبلوا به راكبا حتى يطأ البساط فلما دخل على الأمير اجلسه مكانه وقال ماحاجة الإمام فقال لى جار إسكاف أخذه العسس منذ ثلاثة أيام فتأمر بتخليته فقال نعم وكل من أخذ تلك الليلة إلى يومنا هذا ثم أمر بتخليته وتخليتهم أجمعين فركب الإمام وتبعه جاره الاسكاف فلما وصل إلى داره قال له الامام أبو حنيفة أترانا أضعناك قال لا بل حفظت ورعيت جزاك الله خيرا عن صحبة الجوار ورعايته ولله على أن لا أشرب بعدها خمرا فتاب من يومه ولم يعد إلى ماكان عليه انتهى (ومما يناسب هذه اللطائف) ماذكره الحريرى فى كتابه الموسوم بتوشيح البيان نقل أن أحمد بن المعذل كان يجد بأخيه عبد الصمد وجدا عظيما على تباين طريقيهما لأن أحمد كان صواما قواما وكان عبد الصمد سكيرا خموريا وكانا يسكنان دارا واحدة ينزل أحمد فى غرفة أعلاها وعبد الصمد فى أسفلها فدعا عبد الصمد ليلة

خذ الصبي فوق صبيانك تمام لاحزانك خزينة فى جره وملحه فى صره خبزه بلاادام وهجوم على الجيران

(حرف الدال المهملة)

دار الظلم خراب ولو بعد حين درهم لك ودرهم عليك لابك ولا عليك دواء مالا تشتهى النفوس تعجيل الفراق

(حرف الذال المعجمة)

ذا درب ما يسد ربع ذى ماهى رمانة إلا دلوب ملانة ذالى وذا آيدى عليه ذى مائدة ما يقعد عليها طفيلى ذا الخبز ماهو من ذا العجين الولد خرا من ظرفه كل من شال رجليه حك أنفه ذكروا مصر القاهرة قامت باب اللوق بحشايشها ذكروا المدن جاءت القرى تحجل

(حرف الراء المهملة)

راح ذاك الزمان بناسه وجا هذا الزمان بفاسه وكل من تكلم بالحق كسروا راسه أو أحجار راكب حيط قالوا إلى أين ياحجار قال مسافر قالوا من كانت هذه المطية مطيته لايشرق ولا يغرب رأوا سكران يقرأ قالوا عن تشاكل روحك رأواشيخا يتهجى قالوا يختم على الصراط رأوا وردا أنه على سنداس قالوا مالذى الفسقية إلاذى البالطية رأوا على قبر مكتوب باسعادة ساكنه قالوا أبصر من يزاحمه راكب بلاش وينافش مراة الريس ركبتك ورأى حطيت يدك فى الخرج راح الجندى وخلى خلقه عندى رزق الكلاب على الجائين راحين فى عمامة مايكون راحت على جمل وجات على قطه قال مالذى الشيلة الاذى الحطة قال الشاعر

راح الذى كنا نعيـ ـش بفضله بين الورى ٭ وبقى الذين حياتهم ٭ ووجودهم مثل ..

(حرف الزاى المعجمة)

زقزوق على بركة يضحك وهو ضحكه زاوية بلا عيش بنيت ليش زوج القحبة يحسبها صغيرة زوجت بتى أقعد فى دراها جاتنى وأربعة وراها قال الشاعر

زوجت بنت تستتر ٭ ويمتلى بيتى قماش ٭ جاغز لها فى أكلها ٭ زواجها طلع بلاش

زنبور زن على حجر مسن قال له إيش تريد قال أحسك قال انا الحسن اليولاد زنبور زن على فلس جحش قال له إيش تطلب قال له عسل قال له قصدت معدن يادندن

(حرف السين المهملة)

سل المجرب ولا تسل الطبيب سموك مسحر فات فرغ رمضان سموك حبل وإن طولت سموك راجح قال إن شاء الله تجى الحق سبع وزر ولا استتر (قال الشاعر)

سيغنى الله عن بقراط دن ٭ ويأتى الله باللبن الحليب

(وقال آخر) سيغنى الله عن زيد وعمرو ٭ ويأتى الله بالفرج القريب

(حرف الشين المعجمة)

شره ووضيع ويغضب سريع شىء مانابه وقطعت ثيابه شعر يحلق وشعر مايحلق شرب السموم القاتلة ولا الحاجة إلى السفل شمى ولاتدعكنى شىء مايجى على القلب هنايته صعبة شرا العبد ولاتربيته شخت بقلة عامت زبلة ركبت خنفسة زمر زنبور قال ماذا الجوق الجليل إلا لمقطعات النيل

(حرف الصاد المهملة)

صام سنة وفطر على بصلة صبرى على الحبيب ولافقده صاحب يضر عدو مبين صباح الفوال ولا صباح العطار صباحك ياأعور قال زى خناقه بايته صباح الخير ياجارى أنت فى دارك وأنا فى دارى

(حرف الضاد المعجمة) ضرب الحبيب كأكل الزبيب ضربتين فى الراس تعمى ضرب وبكى وسبق يشتكى ضربة على كيس غيرى كأنها فى عدل حما ضمنوا حداية لغراب قال الكل يطيروا ضربوا بياع الكسبرة جرى بياع النوم قال دى داهية جات على الخضرية .

أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض فرفع عبد الصمد رأسه وقال ماكان الله ليعذبهم وأنت فيهم (وذكرت) بهذ الاقتباس الذى خلب القلوب هنا بحسن موقعه اقتباسا خلب قلوب الناس لعظم موقعه وماذاك إلا أن الحاكم الفاطمى على ماذكر لما بنى المسجد الجامع بالقاهرة المعزية المجاور لباب الفتوح قيل إنه فسد حاله فى آخر أمره وادعى الألوهية وكتب باسم الحاكم الرحمن الرحيم وجمع الناس إلى الإيمان به وبذل لهم نفائس وكان ذلك فى فصل الصيف والذباب يتراكم على الحاكم والخدام تدفعه ولا يندفع فقرأ فى ذلك الوقت بعض القراء وكان حسن الصوت ياأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ماقدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز فاضطربت الأمة لعظم وقوع هذه الآية الشريفة فى حكاية الحال حتى كأن الله أنزلها تكذيبا للحاكم فيما ادعاه وسقط الحاكم من فوق سريره

(حرف الطاء المهملة) طارت الطيور بأرزاقها طفيلي ويجلس فى الصادر طفيلي ويقترح طويل الكم خنطار قليل الفرح فى الدار طبق وجارية على صحن يسار به طلبوا جاكم عثمان يدمن وراويد من قدام طعامك ماجانى ودخانك عمانى طار طيرك وأخذه غيرك طول ماأعيش يكفينى رعى الحشيش طول لغيبه وجانا بالخيبة (حرف الظاء المعجمة)
ظهرك عندى نصف الليل
(حرف العين المهملة) عنقود مدلى فى الهوى من لايصل إليه يقول حامض ولا استوى عشق بداله لاأباله عاشق مايسمع بكا صغير عاشق مايسمع كلام مفارق عاشق مقـــل شىء مازرع إيش جا يستغل غزومه حسبت عليك كل وبحلق عينيك عند المخاضه يبان القليط عند الطعان يبان الفارس من الجبان عريان التينه وفى جرامه سكينه عريان وفى كمه ميزان
(حرف الغين المعجمة) غابت السباع ولعبت الضباع غربه وكربه مايحمل الحال غناس وتلقاس نحسين فى قدره غالى السوق ولا رخيص البيت
(حرف الفاء) فرجه بلا كسر تعمى البصر فقير ونفير وكلامه كثير ويقول هاتوا عشا من محى ذوق الشراطه ملخ أودانه فارس خرا ويسوق فى الوحل فارس خرا واسمه عنتر فارس خايب ويسابق الخيل فرد ضربه فى الراس تكفى فصدوا قرد ضرط قالوا به دم زايد فرغت الرعانة ياجانم (حرف القاف)
قالوا للأعمى زوق عصاتك قال هـــو أنا محب فيها أبا قالوا للحمار اجتر قال مضغ المحال ماينطلى . قالوا للقرد شب يادى ملاح وتمسك الماصول . قالوا للقرد اطلب من ربك قال هو أنا عنده بوجه يبسط . قالوا للجمل زمر قال لاشفف ملمومه ولا أيادى مفرودة قالوا للدبة طرادى قالت ذى خفة أيادى . قالوا للـــكلاب احرثوا قالوا ما جرت بهذا عادة قالوا للغراب مالك تسرق الصابون قال الأذى طبعى . قالوا لبقر الديوان إذا متم يكفنوكم فى حرير قالوا اشتهينا نروح بجلودنا قالوا للغزالة ارحلى حركت ذنبها قالوا للعرب ارحلوا حملوا المناسف . (حرف الكاف) كل من عودته بأكلك كلما نظرك جاع ؛ كـكار دايم ولا علامة مقطوعة ؛ كل . كرها واشرب كرها ولا تعاشر كرها كل هم كاوى عند همى ياوى . كل شىء لايشبه دانيه حرام ، كل مائة عصفور مايجو حدايه ، كل ألف مصه مايجو بغصه ، كل ألف بوسة مايجو بعبوسه ، كملت ياحبان بالشعرة والصنانـــ كل حبيبى كل المعانى اعرج وقيليط ومعجبانى كل حبيبى وأكمل أعرج وقيليط وأحول وفيه عادة أخرى لمن يواصل ... ، كأنه خان الفجر لايوحشه من غاب ولايؤانسه من حضر ، كأنه من طواحين الكشكار داير على رجل الفار كأنه عصفور ينيك بلاش ويأوى فى الأعشاش (حرف اللام)
لولاك ياكمى ماكلت يافمى لولاك يالسانى .ما نسكيت ياقفانـــ لولا الغـــيره والحسد كانت عجوزه كفت بلد لولا أختك ماصرت ابن عمتك لوقلبناها بلانه ماجات هـــكذا لوكان فيها خير مارماها طير لك وعليك مايصعب عليك لك أسوة بغيرك لقمه بدقه ولا خروف بزته لقمه تحت حيطه ولا خروف بعيطه لو سلم الســـكرم من حارسه طابت مغارسه لو تقطع يده وتدليها من فيه صنعة مايخليها لو عمل لى من الذهب وليمة هو عندى بتلك العين القديمة لو شال راسه إلى السما كأنه عصيده بما لو نظر الجمل اصنمه كان كدمه لولا البكشط والبرايه ماكانت أولاد الخرا كتاب

خوفا من أن يقتل وولى هاربا وأخذ (٣٦) فى استجلاب ذلك الرجل إلى أن اطمأن إليه لجهزه رسولا إلى بعض الجزائر وأمر باغراقه وروى بعدذلك فى المنام فقيل له ملوجدت فقـــال ماتصر معى صاحب السفينة أرسى بى على باب الجنة (ومن الاقتباسات التى وقعت للمتاخرين فى أحسن المواقع المتعلقة بحكاية الحال) ماسمعت وشهدت حكاية حاله بالجامـــع الأموى وما ذاك إلا أن قاضى القضاة علاء الدين أبا البقاء الشافعى رحمه الله تعالى كان قد عزل من وظيفة قضا القضاة بدمشق المحروسة فعاد إلى وظيفته وألبس التشريف من قلعة دمشق وحضر إلى الجامع على العادة ومعه أخوه قاضى القضاة بدر الدين الشافعى بالديار المصرية فاستفتح الشيخ معين الدين الضرير المقرى وقرأ قالوا ياأبانا مانبغى هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير اهلنا ونحفظ أخانا إلى آخر الآية فحصل بالجامع الأموى ترنم صفق له النسر بجناحيه (وروى المرزبان) باسناده أن المجنون خرج مع أصحاب له يمتار من وادى القرى امر بجبلى نعمان فقالوا إن هذين جبلا نعمان وقد كانت ليلى تنزلهما قال فأى ريح يهب من نحو أرضها إلى هذا المكان فقالوا

(حرف الميم)

محبة بلاحبة ماتساوى حبة ملشلتك يادمعتى إلا لشدتى من عاشر غير جنسه دق الهم صدره من قدم النحس تعب فى تأخيره من عاشر الحداد احترق بناره من عاشر الزبهانى فاحت عليه روايحه من ركب فى غير سرجه وغرزه دخل الهوى استه وهزه من لايحط يده لزنده مايعرف حره من رده مار أيتك يا نور حتى ابيضت العيون مالى على فراقكم جلد الاهاجى من البلد ما كفانا هم أبو نا قام ابو نا جاب أبوه قال خذوا جدكم ربوه من عدم نابه ونصابه وثيابه وشبابه كان الموت أولى به من يكلم القبح يروح عرضه ويفضح ما تنقدو م كلهم زغليه مافيهم من يعجب النقاد

(حرف النون)

نواية تسند الجره قال وتسند الزير الكبير نفسك أتلفت أى شىء أخلقت نصف البلا ولا البلا كله ناقص ونحاس ناموسه باتت على شجرة أصبحت تقول خاطرك قالت لها وأنت كنت على أى ورقة نيتك مطيتك نسيت يافلاح ماكنت فيه كعبك المشقق والوحل فيه هيك حتى تبقى ديك

(حرف الهاء)

هانت الزلابية حتى اكلها بنواتل هان المسك وانتثر هداية تعرقوبها تخليتها ولا لومها هدية الأحباب على ورق السداب قال .. رأعمى عن ورق الموز هو عرس تأكل وتغسل أهدوا اهدابة وأعينهم فيها يقول الله ردها هاتوا ذا الغزل المخبل لذا القلب المدبل

(حرف الواو)

واحد تنفه وآخر لفه وقال آخر ياقريب الفرج واحد بيخطبوا له وهو قائم عليه قال أنا فى حاجتك واحد جاز رأى قرد يحرش ترمس قال ماالذى الفاكهة البدرية الادئ الصورة القمرية احد سموه عنبز وصنعته سرباتى قال الذى كسبه فى الاسم خسره فى الصنعه وحش ويكش ويعقد فى الوش ويفقى بلينا بكم وقت أكل الدجاج مايفتكرونى وفى وقت شيل التراب هات يدك وإش قام على نومه يقصل الخكومة وقت الشوا والبخنى ماقلت ياأخى الحقنى ووقت ضرب الدرد فات اصفعوا واصفعنى

(حرف اللام ألف)

لاتعيرنى ولا أعيرك الدهر حيرنى وحيرك لاأصل شريف ولا وجه ظريف لاأخو لى ولا امن عملك تشق ثوبك على إيش لا عاش بليق لا حراس ولادراس ولاعاش العار ولا بنى له دار لارجع ثوابه ولاخلاه لأصحابه لا فى الفراق تجدراحة ولا فى الوصل لا تشكرن فتى حتى تجربه لا تفرح لمن يروح حتى تنظر من يجى لا يضر السحاب نبح الكلاب لا يغرك تطريق الأصل فى ريق

(حرف الياء)

ياشب مليح ماأحسنن وصفك لافى يدك ولافى طرفك ياويل من ذاق الغنى بعد جوعه يموت وفى قلبه من الهم واجس ياطارق الباب بعد العشى لاتطرق الباب ماتم شىء يامن قليلا ماكان حلنا السابالنا فى العشرة سنه يهنيكم قدومه قدجاكم بشومة ياليتنا انكسرنا ولا بك انتصرنا ياويل من كان عيشه من بيت أخيه ياطالب الشر بلا أصل تعالى للصائم بعد العصر

(امثال النساء حرف الألف)

أحبك ياسرارى مثل معصى المدى الذى فى قلب أم حنين تحلم به فى الليل إن كنتى حرة لاتنسيبى نقابك بره إن لم تعطى وتفتخرى ولا المدى وانعرى إن كانت للدابة أحن الوالد قال ذى داهية عياره الكلام لك ياجارة إلا أنت حماره إيش تعمل الماشطة فى الوجه المشوم إيش قام على الحرينة بالنفش

الصبا فقال والله لاأبرح حتى تهب الصبا فاقام فى باحية من الجبل ومضوا فاستاروا له ولهم ثم اتوا لحبسهم حتى هبت الصبا ورحل معهم وفى ذلك يقول

أيا جبلى نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص إلى نسيمها

أجد بردها أو تشف منى حرارة على كبد لم يبق إلا صميمها

فإن الصبا ريح إذا ماتنسمت على نفس مهموم تجلت همومها

وضمن البيت الأول الشيخ صفى الدين الحلى فى مليح اسمه نعمان

أقول وقد عانقت نعمان ليلة بيو ومحياه أثار أدينها

وقد أرسلت ألياه نحوى قسوة يروع ر كرب المستهام شميمها

أيا جبلى نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص إلى نسيمها

(وكان) لابن الجوزى رحمه الله تعالى زوجة اسمها نسيم الصبا فاتفق أنه طلقها فحصل له عند ذلك ندم وهيام أشرف منه على التلف فحضرت فى بعض الايام مجلس وعظه فحين رآها عرفها فاتفق أنه جاءت امرأتان وجلستا أمامه فحجبتاها عنه فأنشد فى الحال

أيا جبلى نعمان بالله خليا . نسيم الصبا يخلص إلى نسيمها

(قلت) وعلى ذكر نعمان

والربة إيش ينفع النسخ فى الوجه الأصم أرمله عدس ومتزوجه عدس اقعدى بعدسكى اسم ازوج ولطعم الترمل فينا تزى بيقطينا إذا كان زوجى راضى إيش فضول القاضى استعارت الرعنه شيء حسنته لما أخذت المقس ودارته لها اقعدى فى عشك حتى يجى حد ينشك

(حرف الباء الموحدة)

بعد أن كنتى لى وحدى بقيت أسمع أخبارك بعدستة وشهرين جابت بنت بشهرين بعد أن كان زوجها بقى طباخ فى عرسها بعد مشيك فى الحلفه بقالك الالمو غرفة واسمك ستيه بعد أمى وأختى الكل جيرانى بينما تنقب الحوله انصرف القاضى بنت الدون تزف لابن الدون بدف باتت ناموسة على جميزة قالت صبحك الله بالخير قالت من درى بك قبله بدال ما تمشى وتهزى كتفك رقمى فردة خفك بنجاسة وتراحم نا ابوس بقى لام سيسى برقع وللضفدعة زماره بعد مشيك فى الخلاف لبستى الصافى بعيد على الجزينة تستعمل الزينة

(حرف التاء)

تابت القحبة يوم وليلة قالت ما بقى فى البلد حكام تضاربت المجنونة والحمقا حسبته الرعنة من حقا تضارب وتتعرى تصيح ياقلة رجالى تأخذوا أبونا وتكابرونا رتانه وبيبانه ومفاتيح الخزانه تباهت الرعنه بشعر بنت أختها تخلونى وإلا أستحا بجارنا قالت إذا كان ذا فى قلبك خذيه بلا استحلال تتفمى بالخرج ولا تخلى الفمج تقعد عيوشه فى ديارتها مالا حد حاجة فى زيارتها

(حرف الثاء) ثوب سيدى ثوب حبيبى ثوب ستى ثوب قحبه

(حرف الجيم) جاره بجاره والعـــداوة خسارة جانى عذولى ورتالى ماهى محبة الاشماته لى جاريه وزبديه على باذنجانه مقلية جانا العدوه مكحلة قطران لاغيره وقلبها فرحان جاب ثيابه يقساهم بلا صابونة معهم

(حرف الحاء المهملة)

حوله وتنقب بنخ حزانى ماعندهم دقيق اشتروا لهم منخل رقيق حزانى ماعندهم خبز اشتروا لهم بعشرة ملوخية حزينه وواعية حبله ومرضعه وعلى كتفها أربعة وطلعت الجبل تجيب دوا للحبل حوله ونصرانية لا مليحه ولا أصل طيب حزينة ملها ملوك سمت زنبورها خوشكلد حزينة مالها ملك اكترت لها بواب حزينة مالها كاملية طلبت لها خف وشعربه

(حرف الخاء المعجمة)

خطوها تعززت وكان زمان البراز جلت زوجها مكروب وراحت تشوف المصلوب خذى قطيفه واكتمى سرى قالت مايطاوعنى قلبى خلب مايعنيها واتبعت حك رجليها

(حرف الدال المهملة)

هدى زوجك بكنيتك تمى نهارك مع ليلتك دق من أسفل ولا تطلع ما أنت على القلب

(حرف الذال المعجمه) ذكرت العجوز اطلالها

(حرف الراء)

رتهتى ما أحسنتى كان تعادلك أجل رعنا يضحكوا بها وهى تضحك تساعدهم رأوا جاموسة منقبة بحصير قالوا مالذا الشكل الوضع إلا ذا القماش الرفيع راحت تبيع ربه، غابت جمعه راحت رجال الهبة وبقيت رجال الخيبة راحت رجال اللحم والفلقاس وبقيت رجال الخبز بالفسفاس رأوا خنفسة على مكنسة قالوا مالذى الصيفه إلا ذا الحار الأزعر (حرف الزاى)

زمر بالزميميره تبان لك العاقلة من الجنينة زوجى ماحكم على قام لى عشيقى بشمعة زوج وابنت نشادى

والكناية عنه فما ألطف الجليس ونزهة الأنيس وهو أن بعض الرؤساء قال أخبرنى بعض الأصحاب قال كنت يوما جالسا عند صديق لى بالموصل إذ جاءه كتاب من بغداد من صديق له وفيه تشوق وفيه عتاب بهذا البيت

تناسيتم العهد القديم كأننا
على جبلى نعمان لن نتجمعا

فأخذ يستحسن هذا البيت ويهتز له فقلت بالله عليك أسألك شيئا لا تخفه قال سل قلت هذه معشوقتك صاحبة هذا الكتاب هل كنت تأتيها من وراء الدار فقال أى والله ومن أين علمت ذلك فقلت من البيت لأنها ذكرتك فيه بجبلى نعمان وهما كناية عند الظرفاء من أهل الأدب عن جانبى الكفل للمليح والمليحة فقال والله ما أدركت ما أدركت (ونقلت من اللطائف المسبوكة فى قالب التورية) أن بعض الكتاب دخل يسلم على بعض فضلاء النحاة وكان من أصحابه فوجده قائما ... بأحد الغلمان الملاح من طلبته فى قراءة النحو ولم يره الغلام لجلس النحوى فى مكانه وبقى الغلام

لسرباتي قالوا قليلات الخرا تدحرج لبعضها
(حرف السين المهملة) سواد وتنقش بسباخ سودا منقبة قفل على خزانة سالوها عن أبيها قالت جدي شعيب
(حرف الشين المعجمة) شدي قرطاسك من عند موسه قالوا داشي مفر حتى به وأتى عروسة شامتة ومعزيه
(حرف الصاد المهملة) صارت القحبة واعظة صارت القويقة شاعرة
(حرف الضاد المعجمة) ضحك ابن سنة غمي على أمه قالت ما أخف دمه
(حرف الطاء المهملة) طلعت ترحم نزلت تتوحم
(حرف الظاء المعجمة) ظريفة وعفيفة ولها نفس شريفة
(حرف العين المهملة) عميا تحفف مجنونة وتقول حواجبك سود مقرونة عاقلة وجابت طفلة وجابتها خطار واشتروا لها قلقاس ذكر وحطب أخضر في نهار مطر وقالوا لها اطبخي على قدر لحيه تقع الصلحة عجوزة وجابت غلام إذا جئت لاتلام عجوزة وخرفانه دي داهية كانه
(حرف الغين المعجمة) غيرك بقوم مقامك عايش قلبي أعذبه
(حرف الفاء) فرحت حزينة خربت مدينة
(حرف القاف) قالوا للبغاني اتزوقوا قلبوا عصايبهم قحبة ما كنست بيتها كنست المسجد قالوادي قحبة تطلب الثواب
(حرف الكاف) كل من تبعت هواها صارت سراويلها رداها كبرتي يابرقوقة وبقى لك دبوقة كانوا معاني فصاروا ملاهي لاراحت ولاجات كاهي كلي قلبه وباني هنية كأنها من الباسطية قاش على جريده كأنها حزمة فجل أصفر وعرقها أخضر كأنها من عمايم اليهود صفرا طويلة رفيعة كأنها من بيت الوالي مايتحدث فيها سوى الحاشية كناهضة جعيدي مخلوعة ولاتأخذ شيء
(حرف اللام) لوكان ماينقش إلا السمان بارت المواشط من زمان للساعة ماجبت جابت المرسين لولا المعاير ماكانت الحراير
(حرف الميم) ماشطه وتمشط بنتها افتكرنا ياسمنا مانسينا
(حرف النون) نواية تسند الجرة قال وتسند الزير الكبير
(حرف الهاء) هش يادبانا أناحبلى من مولانا
(حرف الواو) وجه لايرى الذهب يشترى
(حرف اللام ألف) لاإنني مليحة ولاننغى بايش تدلى
(حرف الياء) يعيش المدلل بلا مكلل ياغزالة الأقمار أين كنتي بالنهار ياما تحت النقاب والشعرية من بلية يامن ملنا ماكان جلنا للساعة مالنا في العشرة سنه

(الباب السابع في البيان والبلاغة والفصاحة وذكر الفصحاء من الرجال والنساء وفيه فصول)

(الفصل الأول في البيان والبلاغة) أما البيان فقد قال الله تعالى الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان وقال ﷺ إن من البيان لسحرا قال ابن المعتز البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول وأما بعده فقد قال الجاحظ البيان اسم جامع لكل ما كشف لك عن المعنى وأما البلاغة فإنها من حيث اللغة هي أن يقال بلغت المكان إذا أشرفت عليه وإن لم تدخله قال الله تعالى فإذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف وقال بعض المفسرين في قوله تعالى أم لكم أيمان علينا بالغة أي وثيقة كأنها

واقفا مبهوتا فقال الكاتب للنحوي مالي أرى هذا الغلام واقفا فقال النحوي وقع عليه الفعل فانتصب

(ومثل ذلك) قصة ابن عنين مع الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل لما كتب إليه في مرضه

انظر إلى بعين مولى لم يزل يولي الندى وتلاف قبل تلافي
أنا كالذي احتاج ما يحتاجه فاغنم دعائي والثناء الوافي

لحضر إليه المعظم بنفسه ومعه ثلثمائة دينار وقال له أنت الذي وأنا العائد وهذه الصلة (وظرف من قال)

وذي أدب بارع لكنه أولجت فيه قدا عتف
فقلت فديتك أعصر عليه ففيه اللذاذ لو تعترف
فقال أجدت ولكن لحنت لقولك أعصر بفتح الألف
فقلت لك الويل من أحمق فقال وأحمق لاينصرف

(وأظرف منه قول الحسين بن الريان)

أتت حانة خمار وصاحبها مماجن متقن للنحو ذو لسن
وحوله كل هيفاء منعمة وكل علق رشيق أهيف حسن
فقال لي إذ رأى عيني قد انصرفت إلى النساء كلام الحاذق الفطن
أنث وذكر وصف واعدل بمعرفة واجمع وزد واسترح من عجمة وزن

(ومثله ماحكى) أن بعض الفقراء

قد بلغت النهاية وقال اليونانى البلاغة وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة وقال الهندى البلاغة تصحيح الأقسام واختيار الكلام وقال الكندى يجب للبليغ أن يكون قليل اللفظ كثير المعانى وقيل إن معاوية سأل عمرو بن العاص من أبلغ الناس فقال أقلهم لفظا وأسهلهم معنى وأحسنهم بديهة ولولم يكن فى ذلك الفخر الكامل المخص به سيد العرب والعجم ﷺ وافتخر به حيث يقول نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم وذلك أنه كان عليه الصلاة والسلام يتلفظ باللفظ اليسير الدال على المعانى الكثيرة * وقيل ثلاثة تدل على عقول أصحابها الرسول على عقل المرسل والهدية على عقل المهدى والكتاب على عقل الكاتب * وقال أبو عبد الله وزير المهدى البلاغة ما فهمته العامة ورضيت به الخاصة وقال البحترى خير الكلام ماقل وجل ودل ولم يمل * وقالوا البلاغة ميدان لا يقطع إلا بسوابق الأذهان ولا يسلك إلا ببصائر البيان وقال الشاعر

لك البلاغة ميدان نشأت به ... وكلنا بقصور عنك نعترف
مهد لى العذر فى نظم بعثت به ... من عنده الدر لا يهدى له الصدف

(وروى) أن ليلى الأخيلية مدحت الحجاج فقال ياغلام اذهب إلى فلان فقل له يقطع لسانها قال فطلب حجاما فقالت ثكلتك أمك إنما أمرك أن تقطع لسانى بالصلة فلولا تبصرها بأنحاء الكلام ومذاهب العرب والتوسعة فى اللفظ ومعانى الخطاب لتم عليها جهل هذا الرجل * وقال الثعالبى البليغ من يحول الكلام على حسب الأمانى ويخيط الألفاظ على قدر المعانى والكلام البليغ ما كان لفظه فحلا ومعناه بكرا وقال الإمام فخر الدين الرازى رحمه الله تعالى عليه فى حد البلاغة أنها بلوغ الرجل بعبارته كنه ما فى قلبه مع الاحتراز عن الإيجاز المخل والتطويل الممل ولهذه الأصول شعب وفصول لا يحتمل كشفها هذا المجموع ويحصل الغرض بهذا القدر وبالله التوفيق إلى أقوم طريق

(الفصل الثانى فى الفصاحة) قال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله تعالى عليه اعلم أن الفصاحة خلوص الكلام من التعقيد وأصلها من قولهم أفصح اللبن إذا أخذت عنه الرغوة وأكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونها استعمال الشيئين المترادفين على معنى واحد فى تسوية الحكم بينهما ويزعم بعضهم أن البلاغة فى المعانى والفصاحة فى الألفاظ ويستدل بقولهم معنى بليغ ولفظ فصيح * وقال يحيى بن خالد مارأيت رجلا قط إلا هبته حتى يتكلم فان كان فصيحا عظم فى صدرى وإن قصر سقط من عينى * وقد اختلف الناس فى الفصاحة فمنهم من قال إنها راجعة إلى الألفاظ دون المعانى ومنهم من قال إنها لا تخص الألفاظ وحدها واحتج من خص الفصاحة بالألفاظ بأن قال نرى الناس يقولون هذا لفظ فصيح وهذه الألفاظ فصيحة ولا نرى قائلا يقول هذا معنى فصيح فدل على أن الفصاحة من صفات الألفاظ دون المعانى وإن قلنا أنها تشمل اللفظ والمعنى لزم من ذلك تسمية المعنى بالفصيح وذلك غير مألوف فى كلام الناس والذى أراه فى ذلك أن الفصيح هو اللفظ الحسن المألوف فى الاستعمال بشرط أن يكون معناه المفهوم منه صحيحا حسنا * ومن المستحسن فى الألفاظ تباعد مخارج الحروف فاذا كانت بعيدة المخارج جاءت الحروف متمكنة فى مواضعها غير قلقة ولا مكدودة وللعيب من ذلك كقول القائل

لو كنت كتمت الحب كنت كما ... كنا وكنت ولكن ذاك لم يكن

وكقول بعضهم أيضا

ولا الضعف حتى يبلغ الضعف ضعفه ... ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألف

وكقول الآخر : وقبر حرب بمكان قفر ... وليس قرب قبر حرب قبر

النحوى لغلامه اعط وقف على باب نحوى فقرعه فقال النحوى من بالباب فقال سائل فقال ينصرف فقال اسمى أحمد فقال سيبويه كسره (ومثله قول ابن عنين)

شكا ابن المؤيد من عزله ... وذم الزمان وأبدى السفه
فقلت له لا تذم الزمان ... فتظلم أيامه المنصفه
ولا تعجبن إذا ما صرفت ... فلا عدل فيك ولا معرفه

(وألطف منه قول القائل)

ورقيع أراد أن يعرف النحو ... يزى العيار لا المستفتى
قال لى لست تعرف النحو مثلى ... قلت سلنى عنه أجب فى الوقت
قال ما المبتدأ وما الخبر المجرور ... أوجز فقلت ذقنك فى استى

(وأحسن منه وأبدع قول الشيخ زين الدين بن الوردى)

وشادن يسألنى ... ما المبتدأ والخبر
مثلهما لى سرعا ... فقلت أنت القمر

(ومن النكت المسبوكة فى قالب التورية أيضا) ما قيل إن شهاب الدين القوصى حضر عند الملك الأشرف وقد دخل إليه سعد الدين الحكيم فقال الملك الأشرف لشهاب الدين ما تقول فى سعد الدين الحكيم فقال يامولانا السلطان إذا كان بين يديك فهو سعد الدين وعلى السماط سعد بلع وفى الخباء عن الضيوف سعد الأخبية وعند قيل

قيل إن هذا البيت لا يمكن إنشاده فى الغالب عشر مرات متوالية إلا ويغلط المنشد فيه لأن القرب فى المخارج يحدث ثقلا فى النطق به وقيل من عرف فصاحة اللسان لحظته العيون بالوقار * وبالفصاحة والبيان استولى يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام على مصر وملك زمام الأمور وأطلعه ملكها على الخفى من أمره والمستور قال الشاعر

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... ولم يبق إلا صورة اللحم والدم

وسمع النبى ﷺ من عمه العباس كلاما فصيحا فقال بارك الله لك يا عم فى جمالك أى فصاحتك (وعرضت) على المتوكل جارية شاعرة فقال أبو العيناء يستجيزها أحمد الله كثيرا * فقالت حيث أنشأك ضريرا * فقال يا أمير المؤمنين قد أحسنت فى إساءتها. فاشترها وقال فيلسوف كما أن الآنية تمتحن بأطنانها فيعرف صحيحها من مكسورها فكذلك الانسان يعرف حاله من منطقه * وقال المبرد قلت للمجنون أجزنى هذا البيت

أرى اليوم يوما قد تكاثف غيمه ... وإبراقه فاليوم لاشك ماطر

فقال وقد حجبت فيه السحائب شمسه ... كما حجبت ورد الخدود المحاجر

وقال عبد الملك لرجل حدثنى فقال يا أمير المؤمنين افتتح فان الحديث يفتح بعضه بعضا * وقال الهيثم ابن صالح لابنه يا بنى إذا أقللت من الكلام أكثرت من الصواب قال يا أبت فان أنا أكثرت وأكثرت يعنى كلاما وصوابا قال يا بنى ما رأيت موعوظا أحق بأن يكون واعظا منك * وقال الشعبى كنت أحدث عبد الملك بن مروان وهو يأكل فيحبس اللقمة فأقول أجزها أصلحك الله فان الحديث من وراء ذلك فيقول والله لحديثك أحب إلى منها * وقال ابن عيينة الصمت منا العلم والنطق بقظته ولا منام بتيقظ ولا يقظة إلا بمنام قال ابن المبارك

وهذا اللسان بريد الفؤاد ... يدل الرجال على عقله

ومر رجل بأبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ومعه ثوب فقال له أبو بكر رضى الله عنه أتبيعه فقال لا رحمك الله فقال أبو بكر لو تستقيمون لقومت ألسنتكم هلا قلت لا ورحمك الله (ومنه) ما حكى أن المأمون سأل يحيى بن أكثم عن شىء فقال لا وأيد الله أمير المؤمنين فقال المأمون ما أظرف هذه الواو وأحسن موقعها * وكان الصاحب يقول هذه الواو أحسن من واوات الاصداغ ويقال اللسان سبع صغير الحرم عظيم الجرم وقال بعضهم شعرا

سحبان يقصر عن بحور بيانه ... عجزا ويغرق منه تحت عباب

وكذاك قس ناطق بعكاظه ... يعيا لديه بحجة وجواب

(وقيل) انه خرج مع ابن المنكدر شابان فكانا إذا رأيا امرأة جميلة قالا قد أبرقنا وهما يظنان أن ابن المنكدر لا يفطن فرأيا قبة فيها امرأة فقالا بارقة وكانت قبيحة فقال ابن المنكدر بل صاعقة * وكان أصحاب أبى على الثقفى إذا رأوا امرأة جميلة يقولون حجة فعرضت لهم قبيحة فقالوا داحضة وكتب إبراهيم بن المهدى إياك والتتبع لوحشى الكلام طمعا فى نيل البلاغة فان ذلك العناء الأكبر وعليك بما سهل مع تجنبك الألفاظ السفل ويقال القول على حسب همة القائل يقع والسيف بقدر عضد الضارب يقطع وقال الأحنف سمعت كلام ابى بكر حتى مضى وكلام عمر حتى مضى وكلام عثمان حتى مضى وكلام على حتى مضى رضى الله تعالى عنهم ولا والله ما رأيت فيهم أبلغ من عائشة وقال معاوية رضى الله تعالى عنه ما رأيت ابلغ من عائشة رضى الله تعالى عنها ما أغلقت بابا فأرادت فتحه إلا افتحته ولا فتحت بابا فأرادت إغلاقه إلا أغلقته (ومن غريب) الكنايات الواردة على سبيل الرمز وهو من الذكاء والفصاحة

ما نقل عن الشيخ نظام الدين قيس قيل انه لقى الصاحب عز الدين عبد العزيز بن منصور فسأله الصاحب عن حاله فقال

حال متى علم ابن منصور بها ... جاء الزمان إلى منها تائبا

(قلت) إن نظام الدين أحق من أبى الطيب بهذا البيت (ومن النكت بالتورية أيضا) قيل ان بعض الماجنات أرادت السفر فلنيها بعض المجان فقال لها خذى معك هذا الكتاب وأشار إلى ذكره فقالت له على الفور إن لم أاتى أمك أعطه أختك (ومثل ذلك أن الشيخ بدر الدين بن الصاحب لقى شخصا ومعه مليحان فقال ما اسمك فقال عبد الواحد فقال اخرج منهما فأنا عبد الاثنين (ومثله) أن ابن نقيلة المغنى مرض وأشرف على الموت فجاء إليه ابن الصاحب يعوده فقال له كيف حال النقيلة فقال ما أخوفنى أن تصير مدفوتة (ومثله) أن بعض المجان رأى امرأة حاملة سرموجة فقال لها متى زوجك حملك تركاشه فقالت له ح لا رميك منه بفردة

(ومثله) ان بعضهم راى امراة حاملة فردة سقان لتخطبه فقال لها أعتق هذا السفراب

ماحكي أن رجلا كان أسيرا في بني بكر بن وائل وعزموا على غزو قومه فسألهم في رسول يرسله إلى قومه فقالوا لانرسله إلا بحضرتنا لئلا تنذرهم وتحذرهم فجاء وابعبد أسود فقال له أتعقل ماأقوله لك قال نعم إني لعاقل وأشار بيده إلى الليل فقال ماهذا قال الليل قال ماأراك إلا عاقلا ثم ملأ كفيه من الرمل وقال كم هذا قال لاأدري وإنه لكثير فقال أيما أكثر النجوم أم النيران قال كل كثير فقال أبلغ قومي التحية وقل لهم يكرموا فلانا يعني أسيرا كان في أيديهم من بني بكر بن وائل فإن قومه لي مكرمون وقل لهم أن العرفج قد دنا وشكت النساء وأمرهم أن يعروا ناقتي الحمراء فقد أطالوا ركوبها وأن يركبوا جملي الأصهب بامارة ماأكلت معكم حيسا واسألوا عن خبري أخي الحرث فلما أدى العبد الرسالة إليهم قالوا لقد جن الأعور والله مانعرف له ناقة حمراء ولا جملا أصهب ثم دعوا بأخيه الحرث فقصوا عليه القصة فقال قد أنذركم أما قوله قد دنا العرفج يريد أن الرجال قد استلاموا ولبسوا السلاح وأما قوله شكت النساء أي أخذت الشكاك للسفر وأما قوله أعروا ناقتي الحمراء أي ارتحلوا عن الدهنا واركبوا الجمل الأصهب أي الجبل وأما قوله أكلت معكم حيسا أي أن اخلاطا من الناس قد عزموا على غزوكم لأن الحيس يجمع التمر والسمن والأقط فامتثلوا أمره وعرفوا لحن الكلام وعملوا به فنجوا وأسرت طيء غلاما من العرب فقدم أبوه ليفديه فاشتطوا عليه فقال أبوه والذي جعل الفرقدين يمسيان ويصبحان على جبل طيء ماعندي غير ما بذلته ثم انصرف وقال لقد أعطيته كلاما إن كان فيه خير فهمه فكأنه قال له الزم الفرقدين يعني في هروبك على جبل طيء ففهم الابن ماأراده أبوه وفعل ذلك فنجاء وكانت علية بنت المهدي تهوى غلاما خادما اسمه طل فحلف الرشيد ان لاتكلمه ولا تذكره في شعرها فاطلع الرشيد يوما عليها وهي تقرأ في آخر سورة البقرة فان لم يصبها وابل فالذي نهى عنه أمير المؤمنين ومن ذلك قولهم تركت فلانا يأمر وينهى وهو على شرف الموت اى يأمر بالوصية وينهى عن النوح ويقال مارأيت فلانا أي ماضربته في رئته ولا كامته أي ماجرحته فان الكلوم الجراح وما رأيت ربيعا فالربيع حظ الارض من الماء والربيع النهر وما رأيت كافرا ولا فاسقا فالكافر السحاب والفاسق الذي تجرد من ثيابه وما رايت فلانا راكعا ولا ساجدا ولا مصليا فالراكع العاثر الذي كبا لوجهه والساجد المدمن النظر والمصلى الذي يجيء بعد السابق وما اخذت لفلان دجاجة ولا فروجا فالدجاجة الكبة من الغزل والفروجة الدارعة وما أخذت لفلان بقرة ولا ثورا فالبقرة العيال الكثيرة يقال جاء فلان يسوق بقرة أي عياله والثور القطعة الكبيرة من الاقط (وحكى) ان معاوية رضي الله تعالى عنه بينما هو جالس في بعض مجالسه وعنده وجوه الناس فيهم الأحنف بن قيس إذ دخل رجل من أهل الشام فقام خطيبا وكان آخر كلامه أن لعن عليا رضي الله تعالى عنه ولعن لاعنه فقال الأحنف ياأمير المؤمنين إن هذا القائل لو يعلم أن رضاك في لعن المرسلين للعنهم فاتق الله ياأمير المؤمنين ودع عنك عليا رضي الله تعالى عنه فلقد لقي ربه وأفرد في قبره وخلا بعمله وكان والله المبرور سيفه الطاهر ثوبه العظيمة مصيبته فقال معاوية ياأحنف لقد تكلمت بما تكلمت وايم الله لتصعدن على المنبر فتلعنه طوعا أو كرها فقال له الاحنف يا أمير المؤمنين إن تعفني فهو خير لك وان تجبرني على ذلك فو الله لاتجرى شفتاى به أبدا فقال قم فاصعد قال أما والله لانصفنك في القول والفعل قال وما أنت قائل إن انصفتني قال اصعد المنبر فأحمد الله واثني عليه وأصلي على نبيه محمد ﷺ ثم أقول ايها الناس ان أمير المؤمنين معاوية أمرني أن العن عليا الا وان معاوية وعليا اقتتلا واختلفا فادعى كل واحد منهما انه مبغى عليه وعلى فئته فاذا دعوت فأمنوا رحمكم الله ثم أقول اللهم العن أنت وملائكتك وأنبياؤك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه والعن الفئة الباغية

فقالت له رح لأسبيه يتفسرك (ومثله) أن الشيخ بدر الدين المذكور أولا حضر إلى مجلس قاضي القضاة ناصر الدين المالكي فذكروا محاسن القاضي محب الدين ناظر الجيشين وحسن اخلاقه ثم ذكروا محاسن الشعر فأنشده قاضي القضاة

فكم أب قد علا بابن ذوي شرف
كما علت برسول الله عدنان

فكل من الجماعة أثنى على هذا البيت فقال الشيخ بدر الدين بن الصاحب والقاضي محب الدين يحب هذا البيت فطربوا له (ومما وقع له بذلك المجلس) أنه لما قدم المشروب على العادة كان قد تولى السقيا مملوك له اسمه يكتمر فلما شرب الشيخ بدر الدين قال له قاضي القضاة ماتقول ياشيخ قال رأيت ملك العلماء يكتمر الساق (ومثله) أن الصاحب ابن سكر أراد قارئا يقرأ بالمدرسة التي أنشأها بالقاهرة فاختاروا له رجلين أحدهما اسمه زيادة والآخر مرتضى فوقع في ظهر القصة مرتضى زيادة وزيادة مرتضى (مثله) أن أبا الحسن الخراز جاء إلى باب الصاحب زين الدين بن الزبير فأذن للناس في الدخول ولم يأذن له فكتب في ورقة

الناس كلهم كالأ... قد دخلوا
والعبد مثل الخصي ملقى على الباب

اللهم

اللهم العنهم لعنا كثيرا أمنوا رحمكم الله يامعاوية لاأزيدعلى هذا ولاأنقص حرفا ولوكان فيه ذهاب روحى، فقال معاوية إذا نعفيك ياأبا بحر * وقال معاوية لعقيل بن بأبى طالب إن عليا قدقطعك وأنا وصلتك ولا يرضينى منك إلاأن تلعنه على المنبر قال أفعل فصعد المنبر ثم قال بعدأن حمدالله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ أيها الناس إن معاوية بن أبى سفيان قدأمرنى أن ألعن على بن أبى طالب فالعنوه فعليه لعنة الله ثم نزل فقال له معاوية إنك لم تبين من لعنت منهما بينه فقال والله لازدت حرفا ولا نقصت حرفا والكلام إلى نية المتكلم ودخلت امرأة على هرون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه فقالت ياأمير المؤمنين أقر الله عينك وفرحك بما آتاك وأتم سعدك لقدحكمت فقسطت فقال لها من تكونين أيتها المرأة فقالت ممن قتلت رجالهم وأخـــذت أموالهم وسلبت نوالهم فقال أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله ونفذ فيهم قدره وأما المال فمردود إليك ثم التفت إلى الحاضرين من أصحابه فقال أتدرون ماقالت هذه المرأة فقالوا مانراها قالت إلاخيرا قال ماأظنكم فهمتم ذلك أما قولها أقر الله عينك أى أسكنها عن الحركة وإذا سكنت العين عن الحركة عميت وأما قولها وأتم الله سعدك فأخذته من قوله تعالى حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة وأما قولها وأتم الله سعدك فأخذته من قول الشاعر

إذا تم أمر بدا نقصه ترقب زوالا إذا قيل تم

وأما قولها لقد حكمت فقسطت فأخذته من قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا فتعجبوا من ذلك (وحكى) أن بعضهم دخل على عدوه من النصارى فقال له أطال الله بقاءك وأقر عينك وجعل يومى قبل يومك والله ليسرنى مايسرك فأحسن إليه وأجازه على دعائه وأمر له بصلة وكان ذلك دعاء عليه لأن معنى قوله أطال الله بقاءك حصول منفعة المسلمين به فى أداء الجزية وأما قوله وأقر عينك فمعناه سكن الله حركتها أى أعماها وأما قوله وجعل يومى قبل يومك أى جعل الله يومى الذى أدخل فيه الجنة قبل يومك الذى تدخل فيه النار وأما قوله انه ليسرنى مايسرك فإن العافية تسره كما تسر الآخرة فانظر إلى الاشتراك وفائدته ولولا الاشتراك ماتهيأ لمتستر مراد ولاسلم له فى التخلص قياد وكان حماد الرواية لايقرأ القرآن فكلفه بعض الخلفاء القراءة فى المصحف فصحف فى نيف وعشرين موضعا من جملتها قوله تعالى وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون بالغين المعجمة والسين المهملة وقوله وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلاعن موعدة وعدها إياه بالباء الموحدة ليكون لهم عدوا وحزنا بالباء الموحدة وما يجحد بآياتنا إلا كل جبار بالجيم والباء الموحدة هم أحسن أثاثا ورئيا بالزاى وترك الهمزة عذابى أصيب به من أشاء بالسين المهملة صبغة الله ومن أحسن من الله صنعة بالنون والعين المهملة سلام عليكم لانبتغى بإسقاط التاء بل الذين كفروا فى عزة وشقاق بالغين المعجمة والراء المهملة قرن الشقاق بالغرة وهذا لايقع إلا من الأذكياء (وحكى) أن المأمون ولى عاملا على بلد وكان يعرف منه الجور فى حكمه فأرسل إليه رجلا من أرباب دولته ليمتحنه فلما قدم عليه أظهر له أنه قدم فى تجارة لنفسه ولم يعلمه أن أمير المؤمنين عنده علم منه فأكرم نزله وأحسن إليه وسأله أن يكتب كتابا إلى أمير المؤمنين المأمون يشكر سيرته عنده ليزداد فيه أمير المؤمنين رغبة فكتب كتابا فيه بعد الثناء على أمير المؤمنين أما بعد فقد قدمنا على فلان فوجدناه آخذا بالعزم عاملا بالحزم قد عدل بين رعيته وساوى فى أقضيته أغنى القاصد وأرضى الوارد وأنزلهم منه منازل الأولاد وأذهب مابينهم من الضغائن والأحقاد وعمر منهم المساجد الداثرة وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل الآخرة وهم مع ذلك داعون لأمير المؤمنين يريدون النظر إلى وجهه والسلام فكان معنى قوله آخذا بالعزم أى إذا عزم على ظلم أوجور فعله فى الحال وقوله قد عدل بين رعيته وساوى

فلما قرأها ابن الزبير قال لحاجبه اخرج إلى الباب وقل ياخصى الأدخل فدخل أبو الحسين وهو يقول هذا دليل على السمة (ومن التنكيت والحشمة بالتورية) أن الشيخ صلاح الدين الصفدى قال أخبرنى الشيخ فتح الدين بن سيد الناس بالقاهرة قال قلت للشيخ تقى الدين بن دقيق العيد إن بهاء الدين بن النحاس يرجح أبا تمام على المتنبى فما رأيك أنت فسكت فقلت ثانيا فقال كنت كذا فى الأول قال الشيخ صلاح الدين ولما حكيت للشيخ جمال الدين بن نباتة قال أنا على رأى ابن دقيق العيد قال الشيخ صلاح الدين وممن رأيته يعظم أبا تمام شيخنا أثير الدين ويرجحه على المتنبى فعذلناه فى ذلك فقال أنا ما أسمع عذلا فى حبيب اه (ونقلت) من خط الصاحب فخر الدين ابن مكانس رحمه الله قال سافرت سنة إحدى وستين وسبعمائة مع الصاحب فخر الدين ابن قزوينة إلى دمشق المحروسة وقد ولى نظر مملكتها ووالدى رحمه الله افتاها وكان له دوادار يسمى صبيحا وهو من عتقاء جده الوزير أمين الدين بن الغنام وكان نظيفا كثير النوادر فاتفق أن جمال الدين بن الرهاوى موقع دست الوزارة ركب يوما فتقنطر به

فى أقضيته أى أخذ كل ما معهم حتى ساوى بين الغنى والفقير وقوله عمر منهم المساجد الدائرة وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل الآخرة يعنى أن الكل صاروا فقراء لا يملكون شيئاً من الدنيا ومعنى قوله تريدون النظر إلى وجه أمير المؤمنين أى ليشكوا حالهم وما نزل بهم فلما جاء الكتاب إلى المأمون عزله عنهم لوقته وولى عليهم غيره (ومن ذلك ما حكى) أن القاضى الفاضل كان له صديق خصيص به وكان صديقه هذا قريبا من الملك الناصر صلاح الدين وكان فيه فضيلة تامة فوقع بينه وبين الملك أمر فغضب عليه وهم بقتله فتسحب إلى البلاد التتر وتوصل إلى أن صار وزيرا عندهم وصار يعرف التتر كيف يتوصل إلى الملك الناصر بما يؤذيه فلما بلغه ذلك نفر منه وقال للفاضل اكتب إليه كتابا عرفه فيه أنى أرضى عليه واستعطفه غاية الاستعطاف إلى أن يحضر فإذا حضر قتلته واسترحت منه فتحير الفاضل بين الاثنين صديقه يعز عليه والملك لا يمكنه مخالفته فكتب إليه كتابا واستعطفه غاية الاستعطاف ووعده بكل خير من الملك فلما انتهى الكتاب ختمه بالحمدله والصلاة والسلام على النبى ﷺ وكتب إن شاء الله تعالى كما جرت به العادة فى الكتب فشددإن ثم أوقف الملك على الكتاب قبل ختمه فقرأه فى غاية الكمال وما فهم إن وكان قصد الفاضل أن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فلما وصل الكتاب إلى الرجل فهمه وكتب جوابه بأنه سيحضر عاجلا فلما أراد أن ينهى الكتاب ويكتب إن شاء الله تعالى مد النون وجعل فى آخرها ألفا وأراد بذلك انا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فلما وصل الكتاب إلى الفاضل فهم الإشارة ثم أوقف الملك على الجواب بخطه ففرح بذلك (وحكى) أن بعض الملوك طلع يوما إلى أعلى قصره يتفرج فلاحت منه التفاتة فرأى امرأة على سطح دار إلى جانب قصره لم ير الراؤن أحسن منها فالتفت إلى بعض جواريه فقال لها لمن هذه فقالت يا مولاى هذه زوجة غلامك فيروز قال فنزل الملك وقد خامره حبها وشغف بها فاستدعى بفيروز وقال له يا فيروز قال لبيك يا مولاى قال خذ هذا الكتاب وامض به إلى البلد الفلانية وائتنى بالجواب فأخذ فيروز الكتاب وتوجه إلى منزله فوضع الكتاب تحت رأسه وجهز أمره وبات ليلته فلما أصبح ودع أهله وسار طالبا لحاجة الملك ولم يعلم بما قد دبره الملك وأما الملك فإنه لما توجه فيروز قام مسرعا وتوجه مختفيا إلى دار فيروز فقرع الباب قرعا خفيفا فقالت امرأة فيروز من بالباب قال أنا الملك سيد زوجك ففتحت فدخل وجلس فقالت له أرى مولانا اليوم عندنا فقال زائرا فقالت أعوذ بالله من هذه الزيارة وما أظن فيها خيرا فقال لها ويحك إننى أنا الملك سيد زوجك وما أظنك عرفتنى فقالت بل عرفتك يا مولاى ولقد علمت أنك الملك ولكن سبقتك الأوائل فى قولهم

سأترك ماءكم من غير ورد وذاك لكثرة الوراد فيه
إذا سقط الذباب على طعام رفعت يدى ونفسى تشتهيه
وتجتنب الأسود ورود ماء إذا كان الكلاب ولغن فيه
ويرتجع الكريم خميص بطن ولا يرضى مساهمة السفيه

وما أحسن يا مولاى قول الشاعر

قل للذى شفه الغرام بنا وصاحب الغدر غير مصحوب
والله لا قال قائل أبدا قد أكل الليث فضلة الذيب

ثم قالت أيها الملك تأتى إلى موضع شرب كلبك تشرب منه قال فاستحيا الملك من كلامها وخرج وتركها فنسى نعله فى الدار هذا ما كان من الملك وأما ما كان من فيروز فإنه لما خرج وسار تفقد الكتاب فلم يجده معه فى رأسه فتذكر أنه نسيه تحت فراشه فرجع إلى داره فوافق وصوله عقب خروج الملك من داره فوجد نعل الملك فى الدار فطاش عقله وعلم أن الملك لم يرسله فى هذه السفرة إلا لأمر يفعله فسكت ولم يبد كلاما وأخذ الكتاب وسار إلى حاجة الملك فقضاها ثم عاد إليه فأنعم عليه بمائة دينار فمضى فيروز إلى السوق واشترى ما يليق بالنساء وهيأ هدية حسنة وأتى زوجته فسلم عليها وقال لها قومى إلى

الفرس وداس على رأس إحليله فحمل إلى داره وأقام أياما إلى آن عوفى وحضر مجلس الوزارة وهو غاص بالناس فقال الصاحب ما سبب تأخرك فقال تقنطر بى الفرس وداس رأس إحليلى فكدت أموت والآن فقد لطف الله تعالى وحصل البرء والشفاء فقال له صبيح الحمد لله على سلامة الخصى فانقلب المجلس ضحكا وخجل ابن الرهاوى وانصرف (وحكى) أن بعض الرؤساء كان له خادم وعبد فدخل يوما فوجد العبد فوق الخادم فضربه وخرج فرأى بعض أصدقائه فسأله عن غيظه فقال هذا العبد النحس فعل بالخويدم الصغير فقال بل مولانا السيد الكبير فخجل منه وأبرزها فى قالب المجون (وأنشد ابن الجوزى فى بعض مجالس وعظه)

أصبحت ألطف من مر النسيم على
زهر الرياض يكاد الوهم يؤلمنى
من كل معنى لطيف أجتلى قدحا
وكل ناطقة فى الكون تطربنى

فقام إليه إنسان فقال يا سيدى الشيخ فإن كان الناطق حمارا فقال أقول له يا حمار اسكت (ويعجبنى) قول برهان الدين القيراطى صاح هذى قباب طيبة لاحت

زيارة أبيك قالت وماذاك أن الملك أنعم علينا وأريد أن تظهري لأهلك ذلك قالت حبا وكرامة ثم قامت من ساعتها وتوجهت إلى بيت أبيها نفرحوا بها وبما جاءت به معها فأقامت عند أهلها مدة شهر فلم يذكرها زوجها ولا ألم بها فأتى إليه أخوها وقال له يا فيروز إما أن تخبرنا بسبب غضبك وإما أن نحاكمك إلى الملك فقال إن شئتم الحكم فافعلوا فما تركت لها علي حقا فطلبوه إلى الحكم فأتى معهم وكان القاضي إذ ذاك عند الملك جالسا إلى جانبه فقال أخو الصبية أيد الله مولانا قاضي القضاة أني أجرت هذا الغلام بستانا سالم الحيطان ببئر ماء معين عامرة وأشجار مثمرة فأكل ثمره وهدم حيطانه وأخرب بئره فالتفت القاضي إلى فيروز وقال له ما تقول ياغلام فقال فيروز أيها القاضي قد تسلمت هذا البستان وسلمته إليه أحسن ما كان فقال القاضي هل سلم إليك البستان كما كان قال نعم ولكن أريد منه السبب لرده قال القاضي ما قولك قال والله يا مولاي ما رددت البستان كراهة فيه وإنما جئت يوما من الأيام فوجدت فيه أثر الأسد فخفت أن يغتالني فحرمت دخول البستان إكراما للأسد قال وكان الملك متكئا فاستوى جالسا وقال يا فيروز ارجع إلى بستانك آمنا مطمئنا فوالله إن الأسد دخل البستان ولم يؤثر فيه أثرا ولا التمس منه ورقا ولا ثمرا ولا شيئا ولم يلبث فيه غير لحظة يسيرة وخرج من غير بأس ووالله ما رأيت مثل بستانك ولا أشد احترازا من حيطانه على شجره قال فرجع فيروز إلى داره ورد زوجته ولم يعلم القاضي ولا غيره بشيء من ذلك والله أعلم ❊ وهذا كله مما يأتي به الإنسان من غرائب الكنايات الواردة على سبيل الرمز ومنه ما يجده المتستر في أمره من الراحة في كتمان حاله مع لزوم الصدق ورضا الخصم بما وافق مراده لأن في المعاريض مندوحة عن الكذب كما روى في غزوة بدر أن النبي ﷺ كان سائرا بأصحابه يقصد بدرا فلقيهم رجل من العرب فقال ممن القوم فقال له النبي ﷺ من ماء فأخذ ذلك الرجل يفكر ويقول من ماء يرددها لينظر أي العرب يقال لهم ماء فسار النبي ﷺ بأصحابه لوجهته وكان قصده أن يكتم أمره وقد صدق رسول الله ﷺ في قوله فإن الله عزوجل قال فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق وكما روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال للكافر الذي سأله عن رسول الله ﷺ وقت ذهابهما إلى الغار هو رجل يهديني السبيل وقد صدق فيما قال رضي الله عنه فقد هداه وهدانا السبيل ولا سبيل أوضح ولا أقوم من الإسلام وكما حكي عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه لما سأله بعض المعتزلة بحضرة الرشيد ما تقول في القرآن فقال الشافعي إياي تعني قال نعم قال مخلوق فرضي خصمه منه بذلك ولم يرد الشافعي إلا نفسه وكما حكي عن ابن الجوزي رحمه الله تعالى أنه سئل وهو على المنبر وتحته جماعة من مماليك الخليفة وخاصته وهم فريقان قوم سنية وقوم شيعة فقيل له من أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ أبو بكر أم علي رضي الله عنهما فقال أفضلهما بعده من كانت بنته تحته فأرضى الفريقين ولم يرد إلا أبا بكر رضي الله عنه لأن الضمير في ابنته يعود إلى أبي بكر رضي الله عنه وهي عائشة رضي الله عنها وكانت تحت رسول الله ﷺ والشيعة ظنوا أن الضمير ابنته تعود إلى رسول الله ﷺ وهي فاطمة رضي الله عنها وكانت تحت علي رضي الله عنه فهذه منه حيدة حسنة وكلمة بانت في جفون الفريقين منها وسنة والله أعلم

(الفصل الثالث في ذكر الفصحاء من الرجال) دخل الحسن بن الفضل على بعض الخلفاء وعنده كثير من أهل العلم فأحب الحسن أن يتكلم فزجره وقال ياصبي تتكلم في هذا المقام فقال يا أمير المؤمنين إن كنت صبيا فلست بأصغر من هدهد سليمان ولا أنت بأكبر من سليمان عليه السلام حين قال أحطت بما لم تحط به قال ثم ألم تر أن الله فهم الحكم سليمان ولو كان الأمر بالكبر لكان داود أولى (ولما)

ابن أيوب لحضر رسول صاحب المدينة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ومعه هدايا فلما جلس أخرج من كمه مروحة بيضاء عليها سطران بالسعف الأحمر وقال الشريف يخدم مولانا السلطان ويقول هذه المروحة ما رأى مولانا السلطان ولا أحد من بني أيوب يحمل مثلها فاستشاط السلطان صلاح الدين غضبا فقال الرسول يا مولانا السلطان لا تعجل قبل تأملها وكان السلطان صلاح الدين ملكا حليما فتأملها فإذا عليها مكتوب

أنا من نخلة تجاور قبرا ساد من فيه سائر الناس طرا

شملتني عناية القبر حتى صرت في راحة ابن أيوب أقرا

وإذا هي من خوص النخل الذي في مسجد الرسول ﷺ فقلبها السلطان صلاح الدين ووضعها على رأسه وقال لرسول صاحب المدينة النبوية صدقت فيما قلت من تعظيم هذه المروحة

(وأحسن ما سمع فيها) قول عرقلة الدمشقي

إذا ما الهوى المقصور هيج عاشقا وفي القر تسلوها أكف الحبائب

ومحبوبة في القيظ لم تخل من يد

أتت بالهوى الممدود من كل جانب ... (وقال غيره وأجاد) ومروحة أهدت إلى النفس روحها

أفضت الخلافه إلى عمر بن عبد العزيز أتته الوفود فإذا فيهم وفد الحجاز فنظر إلى صبي صغير السن وقد أراد أن يتكلم فقال ليتكلم من هو أسن منك فإنه أحق بالكلام منك فقال الصبي يا أمير المؤمنين لو كان القول كما تقول لكان في مجلسك هذا من هو أحق به منك قال صدقت فتكلم فقال يا أمير المؤمنين إنا قدمنا عليك من بلد نحمد الله الذي من علينا بك ماقدمنا عليك رغبة منا ولا رهبة منك أما عدم الرغبه فقد أمنا بك في منازلنا وأما عدم الرهبة فقد أمنا جورك بعدلك فنحن وفد الشكر والسلام فقال له عمر رضي الله عنه عظني ياغلام فقال يا أمير المؤمنين إن ناسا غرهم حلم الله وثناء الناس عليهم فلا تكن ممن يغره حلم الله وثناء الناس عليه فتزل قدمك وتكون من الذين قال الله فيهم ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون فنظر عمر في سن الغلام فإذا له اثنتا عشرة سنة فأنشدهم عمر رضي الله تعالى عنه

تعلم فليس المرء يولد عالما ... وليس أخو علم كمن هو جاهل
فإن كبير القوم لاعلم عنده ... صغير إذا التفت عليه المحافل

(وحكى) أن البادية قحطت في أيام هشام فقدمت عليه العرب فهابوا أن يكلموه وكان فيهم درواس ابن حبيب وهو ابن ست عشرة سنة له ذؤابة وعليه شملتان فوقعت عليه عين هشام فقال لحاجبه ماشاء أحد أن يدخل علي إلا دخل حتى الصبيان فوثب درواس حتى وقف بين يديه مطرقا فقال ياأمير المؤمنين إن للكلام نشرا وطيا وإنه لايعرف ما في طيه إلا بنشره فإن أذن لي أمير المؤمنين أن أنشره نشرته فأعجبه كلامه وقال له انشره لله درك فقال ياأمير المؤمنين إنه أصابتنا سنون ثلاث سنة أذابت الشحم وسنة أكلت اللحم وسنة دقت العظم وفي أيديكم فضول مال فإن كانت لله ففرقوها على عباده وإن كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم فإن الله يجزي المتصدقين فقال هشام ماترك الغلام لنا في واحدة من الثلاث عذرا فأمر للبوادي بمائة ألف دينار وله بمائة ألف درهم ثم قال له ألك حاجة قال مالي حاجة في خاصة نفسي دون عامة المسلمين فخرج من عنده وهو من أجل القوم (وقيل) إن سعد بن ضمرة الأسدي لم يزل يغير على النعمان بن المنذر يستلب أمواله حتى عيل صبره فبعث إليه يقول إن لك عندي ألف ناقة على أنك تدخل في طاعتي فوفد عليه وكان صغير الجثة فاقتحمته عينه وتنقصه فقال مهلا أيها الملك إن الرجال ليسوا بعظم أجسامهم وإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه إن نطق نطق ببيان وإن صال صال بجنان ثم أنشأ يقول

ياأيها الملك المرجو نائله ... إني لمن معشر شم الذرى زهر
فلا تغرنك الأجسام إن لنا ... أحلام عاد وإن كنا إلى قصر
فكم طويل إذا أبصرت جثته ... تقول هذا غداة الروع ذو ظفر
فإن ألم به أمر فأفظعه ... رأيته خاذلا بالأهل والزمر

فقال صدقت فهل لك علم بالأمور قال إني لأنقض منها المفتول وأبرم منها المحلول وأجليها حتى تجول ثم انظر فيها إلى ماتؤول ليس للدهر بصاحب من لاينظر في العواقب قال فتعجب النعمان من فصاحته وعقله ثم أمر له بألف ناقة وقال له ياسعد إن أقمت واسيناك وإن رحلت وصلناك فقال قرب الملك أحب إلي من الدنيا ومافيها فأنعم عليه وأدناه وجعله من أخص ندمائه و(حكى) أن هرقل ملك الروم كتب إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه يسأله عن الشيء ولا شيء وعن دين لا يقبل الله غيره وعن مفتاح الصلاة وعن غرس الجنة وعن صلاة كل شيء وعن أربعة فيهم الروح ولم يركضوا في أصلاب الرجال وأرحام النساء وعن رجل لاأب له وعن رجل لا أم له وعن قبر جرى بصاحبه وعن قوس قزح ماهو وعن بقعة طلعت عليها الشمس مرة واحدة ولم تطلع عليها قبلها ولا بعدها وعن ظاعن ظعن مرة واحدة لم يظعن قبلها ولا بعدها وعن شجرة نبتت من غير ماء وعن شيء تنفس ولا روح له

لذي القيظ مبثوثا بإهداء ريحها

روينا عن الريح الشمال حديثها ... على ضعفه مستخرجا من صحيحها

(قال الحافظ) اليعمري أن أبا نصر المنذري واسمه أحمد ابن يوسف دخل على أبي العلاء المعري في جماعة من أهل الأدب فأنشد كل واحد منهم من شعره ماتيسر فأنشد أبو نصر

وقانا لفحة الرمضاء واد ... سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا ... حنو الوالدات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالا ... ألذ من المدامة للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا ... فيحجبها ويأذن للنسيم
يروع حصاه حالية العذارى ... فتلمس جانب العقد النظيم

فقال أبو العلاء أنت من بالشام ثم رحل أبو العلاء إلى بغداد فدخل المنازي عليه في جماعة من أهل الأدب ببغداد وأبو العلاء لايعرف منهم أحدا فأنشد كل واحد ماحضره من شعره

وعن اليوم وأمس وغد وبعد غد وعن البرق والرعد وصوته وعن المحو الذى فى القمر فقيل لمعاوية لست هناك ومتى أخطأت فى شىء من ذلك سقطت من عينه فاكتب إلى ابن عباس يخبرك عن هذه المسائل فكتب إليه فأجابه أما الشىء فالماء قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شىء حى وأما لاشىء فإنها الدنيا تبيد وتفنى وأما دين لايقبل الله غيره فلا إله إلا الله وأما مفتاح الصلاة فالله أكبر وأما غرس الجنة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وأما صلاة كل شىء فسبحان الله وبحمده وأما الأربعة الذين فيهم الروح ولم يركضوا من أصلاب الرجال وأرحام النسا فآدم وحواء وناقة صالح وكبش إسمعيل وأما الرجل الذى لاأب له فالمسيح وأما الرجل الذى لاأم له فآدم عليه السلام وأما القبر الذى جرى بصاحبه فحوت يونس عليه السلام سار به فى البحر وأما قوس قزح فأمان من الله لعباده من الغرق وأما البقعة التى طلعت عليها الشمس مرة واحدة فبطن البحر حين انفلق لبنى إسرائيل وأما الظاعن الذى ظعن مرة ولم يظعن قبلها ولا بعدها فجبل طور سينا كان بينه وبين الأرض المقدسة أربع ليال فلما عصت بنو إسرائيل اطاره تعالى بجناحين فنادى مناد إن قبلتم التوراة كشفته عنكم وإلا ألقيته عليكم فأخذوا التوراة معذرين فرده الله تعالى إلى موضعه فذلك قوله تعالى وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم الآية وأما الشجرة التى نبتت من غير ماء فشجرة اليقطين التى أنبتها الله تعالى على يونس عليه السلام وأما الشىء الذى تنفس بلا روح فالصبح قال الله تعالى والصبح إذا تنفس وأما اليوم وأمس فعمل وأما غد وبعد غد فأمل وأما البرق فمخاريق بأيدى الملائكة تضرب بها السحاب وأما الرعد فاسم الملك الذي يسوق السحاب وصوته زجره وأما المحو الذى فى القمر فقول الله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ولولا ذلك المحو لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل * ودعا بعض البلغاء لصديق له فقال تمم الله عليك ما أنت فيه وحقق ظنك فيما ترجوه وتفضل عليك بما لم تحتسبه (وحكى) أن الحجاج سأل يوما الغضبان بن القبعثرى عن مسائل يمتحنه فيها من جملتها أن قال له من أكرم الناس قال أفقههم فى الدين وأصدقهم لليمين وأبذلهم للمسلمين وأكرمهم للمهانين وأطعمهم للمساكين قال فمن ألأم الناس قال المعطى على الهوان المقتر على الإخوان الكثير الألوان قال فمن شر الناس قال أطولهم جفوة وأدومهم صبوة وأكثرهم خلوة وأشدهم قسوة قال فمن أشجع الناس قال أضربهم بالسيف وأقراهم للضيف وأتركهم للحيف قال فمن أجبن الناس قال المتأخر عن الصفوف المنقبض عن الزحوف المرتعش عند الوقوف المحب ظلال السقوف الكاره لضرب السيوف قال فمن أثقل الناس قال المتفنن فى الملام الضنين بالسلام المهذار فى الكلام المقبقب على الطعام قال فمن خير الناس قال أكثرهم إحسانا وأقومهم ميزانا وأدومهم غفرانا وأوسعهم ميدانا قال لله أبوك فكيف يعرف الرجل الغريب أحسيب هو أم غير حسيب قال أصلح الله الأمير إن الرجل الحسيب يدلك أدبه وعقله وشمائله وعزة نفسه وكثرة احتماله وبشاشته وحسن مداورته على أصله فالعاقل البصير بالأحساب يعرف شمائله والنذل الجاهل يجهله فمثله كمثل الدرة إذا وقعت عند من لايعرفها ازدراها وإذا نظر إليها العقلاء عرفوها وأكرموها فهى عندهم لمعرفتهم بها حسنة نفيسة فقال الحجاج لله أبوك فما العاقل والجاهل قال أصلح الله الأمير العاقل الذى لايتكلم هذرا ولاينظر شزرا ولايضمر غدرا ولايطلب عذرا والجاهل هو المهذار فى كلامه المنان بطعامه الضنين بسلامه المتطاول على إمامه الفاحش على غلامه قال لله أبوك فما الحازم الكيس قال المقبل على شأنه التارك لما لايعنيه قال فما العاجز قال المعجب

حتى جاءت نوبة التتارى فأنشد لقد عرض الحمام لنا بسجع إذا لغى له ركب تلاحى
شجى قلب الخلى فقيل غنى وبرح بالشجى فقيل ناحا
وكم للشوق فى أحشاء صب إذا اندملت أجدلها جراحا
ضعيف الصبر عنك وإن تقاوى وسكران الفؤاد وإن تصاحى
بذاك بنو الهوى سكرى صحاة كأحداق المها مرضى صحاحا

فقال أبو العلاء ومن بالعراق عطفا على قوله من بالشام انتهى (نادرة) مشى البيدق البزيدى مع شاب موسوم بالجمال فقال له شمس الدين بن المنجم الشاعر أراك يا بيدق تفرزنت حول هذه النفس فقال وإذا كان قال أخشى عليك من ذلك الرخ لايقطعك من الحاشية ويرميك عن الفرس ويقطع عليك الرقعة ولو كان كفك الفيل (ومثله فى الظرف) أن بعض الأجناد كان كثير اللعب بالشطرنج وكان الجندى بليغا ظريفا فأعطاه الأمير فى بعض الأيام فرسا وقال له لاتفرط فيها فقال نعم وبعد ذلك التقاه الأمير وهو لابس جوخة فقال ويلك أين الفرس فقال ياخوند ضربنى الشتاء

بآرائه الملتفت إلى ورائه قال هل عندك من النساء خبر قال اصلح الله الأمير إنى بشأنهن خبير إن شاء الله تعالى أن النساء من أمهات الأولاد بمنزلة الأضلاع إن عدلتها انكسرت ولهن جوهر لا يصلح إلا على المداراة فمن داراهن انتفع بهن وقرت عينه ومن شاورهن كدرن عيشه وتكدرت عليه حياته وتنغصت لذاته فأكرمهن أعفهن وأفخر أحسابهن العفة فإذا زلن عنها فهن أنتن من الجيفة فقال له الحجاج ياغضبان انى موجهك إلى ابن الأشعث وافدا فماذا أنت قائل له قال أصلح الله الأمير أقول مايرديه ويؤذيه ويضنيه فقال إنى أظنك لاتقول له ماقلت وكأنى بصوت جلاجلك تجلجل فى قصرى هذا قال كلا أصلح الله الأمير سأحدد له لسانى وأجريه فى ميدانى قال فعند ذلك أمره بالمسير إلى كرمان فلما توجه الى ابن الأشعث وهو على كرمان بعث الحجاج عينا عليه أى جاسوسا وكان يفعل ذلك مع جميع رسله فلما قدم الغضبان على ابن الأشعث قال له إن الحجاج قدهم بخلعك وعزلك فخذ حذرك وتغد به قبل أن يتعشى بك فأخذ حذره عند ذلك ثم أمر للغضبان بجائزة سنية وخلع فاخرة فأخذها وانصرف راجعا فأتى إلى رملة كرمان فى شدة الحر والقيظ وهى رملة شديدة الرمضاء فضرب قبته فيها وحط عن رواحله فبينما هو كذلك إذا بأعرابى من بنى بكر بن وائل قد أقبل على بعير قاصدا نحوه وقد اشتد الحر وحميت الغزالة وقت الظهيرة وقد ظمىء ظمأ شديدا فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال الغضبان هذه سنة وردها فريضة قد فاز قائلها وخسر تاركها ماحاجتك يا أعرابى قال أصابتنى الرمضاء وشدة الحر والظمأ فتيممت قبتك أرجو بركتها قال الغضبان فهلا تيممت قبة أكبر من هذه وأعظم قلت أيتهن تعنى قال قبة الأمير بن الأشعث قال تلك لايوصل إليها قال إن هذه أمنع منها فقال الأعرابى ما اسمك ياعبد الله قال آخذ فقال وما تعطى قال أكره أن يكون لى اسمان قال بالله من أين أنت قال من الأرض قال فأين تريد قال أمشى فى مناكبها فقال الأعرابى وهو يرفع رجلا ويضع أخرى من شدة الحر أتقرض الشعر قال إنما يقرض الفأر فقال أفتسجع قال إنما تسجع الحمامة فقال ياهذا ائذن لى أن أدخل قبتك قال خلفك أوسع لك فقال قد أحرقتنى الشمس قال مالى عليها من سلطان فقال الرمضاء أحرقت قدمى قال بل عليها تبرد فقال إنى لا أريد طعامك ولا شرابك قال لاتتعرض لما لا تصل إليه ولو تلفت روحك فقال الأعرابى سبحان الله قال نعم من قبل أن تطلع أضراسك فقال الأعرابى ماعندك غير هذا قال بلى هراوة أضرب بها رأسك فاستغاث الأعرابى ياجار بنى كعب قال الغضبان بئس الشيخ أنت فوالله ماظلمك أحد فتستغيث فقال الأعرابى ما رأيت رجلا أقسى منك أتيتك مستغيثا فحجبتنى وطردتنى هلا أدخلتنى قبتك وطارحتنى القريض قال مالى بمحادثتك من حاجة فقال الأعرابى بالله ما اسمك ومن أنت فقال أنا الغضبان بن القبعثرى فقال اسمان منكران خلقا من غضب قال قف متوكئا على باب قبتى برجلك هذه العوجاء فقال قطعها الله إن لم تكن خيرا من رجلك هذه الشنعاء قال الغضبان لو كنت حاكما لجزت فى حكومتك لأن رجلى فى الظل قاعدة ورجلك فى الرمضاء قائمة فقال الأعرابى إنى لأظنك حروريا قال اللهم اجعلنى ممن يتحرى الخير ويريده فقال إنى لأظن عنصرك فاسدا قال ما أقدرنى على إصلاحه فقال الأعرابى لا أرضاك الله ولا حياك ثم ولى وهو يقول

لابارك الله فى قوم تسودهم ... إنى أظنك والرحمن شيطانا

أتيت قبته أرجو ضيافته ... فأظهر الشيخ ذو القرنين حرمانا

فلما قدم الغضبان على الحجاج وقد بلغه الجاسوس ماجرى بينه وبين ابن الأشعث وبين الأعرابى قال له الحجاج ياغضبان كيف وجدت أرض كرمان قال أصلح الله الأمير أرض يابسة الجيش بها ضعاف هزلاء

شاه مات فتسترت بالفرس (ويعجبنى قول الشيخ بدر الدين بن الصاحب) تأمل تر الشطرنج كالدهر دولة نهارا وليلا أبؤسا ثم أنعما محركها باق وتفنى جميعها وبعد الفنا تحيا وتبعث أعظما

(قلت) ويشبه هذا القول الفاضل وقد أخرج له السلطان الملك الناصر صلاح الدين من القصر من يعانى الخيال أعنى خيال الظل ليفرجه عليه فقام الفاضل عند الشروع فى عمله فقال له الناصر إن كان حراما فما نحضره وكان حديث العهد بخدمته قبل أن يلى السلطان فما أراد أن يكدر عليه فقعد إلى آخره فلما انقضى ذلك قال له الملك الناصر كيف رأيت ذلك قال رأيت موعظة عظيمة رأيت دولا تمضى ودولا تأتى ولما طوى الإزار إذا المحرك واحد فأخرج ببلاغته هذا الجد فى هذا الهزل انتهى (وللشيخ بدر الدين) الصاحب مضمنا فى الشطرنج

أميل لشطرنج أهل النهى ... وأسلوه من ناقل الباطل

وكم رمت تهذيب ألعابها ... وتأبى الطباع على الناقل

ويعجبنى قول الشيخ عز الدين الموصلى حيث قال

جاهل شطرنج ينادى وقد ... أمات نفس اللعب من عكسه

ما تفعل الافعال فى جاهل ... ما يفعل الجاهل فى نفسه

هؤلاء إن كثروا جاعوا وإن قلوا ضاعوا فقال له الحجاج ألست صاحب الكلمة التي بلغتني أنك قلت لابن الاشعث تغد بالحجاج قبل أن يتعشى بك فوالله لأحبسنك عن الوساد ولأنزلنك عن الجياد ولأشهرنك في البلاد قال الامان أيها الأمير فوالله ماضرت من قيلت فيه ولا نفعت من قيلت له فقال له ألم أقل لك كأني بصوت جلاجلك تجلجل في قصري هذا اذهبوا به إلى السجن فذهبوا به فقيد وسجن فمكث ما شاء الله ثم إن الحجاج ابتنى الخضراء بواسط فأعجب بها فقال لمن حوله كيف ترون قبتي هذه وبناءها فقالوا أيها الأمير انها حصينة مباركة منيعة نضرة بهجة قليل عيبها كثير خيرها قال لم تخبروني بنصح قالوا لا يصفها لك إلا الغضبان فبعث إلى الغضبان فأحضره وقال له كيف ترى قبتي هذه وبناءها قال أصلح الله الأمير بنيتها في غير بلدك لالك ولا لولدك لا تدوم لك ولا يسكنها وارثك ولا تبقى لك وما أنت لها بباق فقال الحجاج قد صدق الغضبان ردوه إلى السجن فلما حملوه قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فقال أنزلوه فلما أنزلوه قال رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين فقال اضربوا به الأرض فلما ضربوا به الأرض قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فقال جروه فأقبلوا يجرونه وهو يقول بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم فقال الحجاج ويلكم اتركوه فقد غلبني دهاء وخبثا ثم عفا عنه وأنعم عليه وخلى سبيله (وحدث الزبير) قال دخل محمد بن عبد الملك ابن صالح على المأمون وقد كانت ضياعهم أخذت فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين محمد بن عبد الملك بين يديك سليل نعمتك وغصن من أغصان دوحتك أتأذن له في الكلام فقال تكلم فقال الحمد لله رب العالمين ولا إله إلا الله رب العرش العظيم وصلى الله والملائكة على محمد خاتم النبيين ونستمتع لله لحياطة ديننا ودنيانا ورعاية أدنانا وأقصانا ببقائك يا أمير المؤمنين ونسأل الله أن يمد في عمرك من أعمارنا وأن يقيك الأذى بأسماعنا وأبصارنا فان الحق لا تعفو آثاره ولا ينهدم مناره ولا ينبت حبله ولا يزول مادمت بين الله وبين عباده والأمين على بلاده يا أمير المؤمنين هذا المقام مقام العائذ بظلك الهارب إلى كنفك الفقير إلى رحمتك وعدلك من تعاود النوائب وسهام المصائب وكلب الدهر وذهاب النعمة وفي نظر أمير المؤمنين ما يفرج كربة المكروب ويبرد غليل القلوب وقد نفذ أمر أمير المؤمنين في الضياع التي أفادناها نعم آبائه الطيبين ونوافل أسلافه الطاهرين الراشدين وقد قمت مقامي هذا متوسلا إليك بآبائك الطيبين وبالرشيد خير الهداة الراشدين والمهدي ناصر المسلمين والمنصور منكل الظالمين ومحمد خير المحمدين بعد خاتم النبيين مزدلفا إليك بالطاعة التي أفرع عليها غصني واحتنكت بها سني وريش بها جناحي متعوذا من شماتة الأعداء وحاول البلاء ومقارفة الشدة بعد الرخاء يا أمير المؤمنين قد مضى جدك المنصور وعمك صالح بن علي جدي وبينهما من الرضاع والنسب ما علمه أمير المؤمنين وعرفه وقد أثبت الله الحق في نصابه وأقره في داره وأربابه يا أمير المؤمنين إن الدهر ذو اغتيال وقد يقلب حالا بعد حال فارحم يا أمير المؤمنين الصبية الصغار والعجائز الكبار الذين سقاهم الدهر كدرا بعد صفو ومر بعد حلو وهبنا نعم آبائك اللاتي غذتنا صغارا وكبارا وشبابا وأشياخا وأمشاجا في الأصلاب ونطفا في الأرحام وقدمنا في القرابة حيث قدمنا الله منك في الرحم فان رقابنا قد ذلت لسخطك ووجوهنا قد عنت لطاعتك فأقلنا عثرتنا يا أمير المؤمنين إن الله قد سهل بك الوعر وجلا بك الديجور وملأ من خوفك القلوب والصدور بك تردع الفاسق ويقمع بك المنافق فارتبط بعلم الله عندك بالعفو والإحسان فان كل راع مسئول عن رعيته وإن النعم لا ينقطع المزيد فيها حتى ينقطع الشكر عليها يا أمير المؤمنين إنه لا عفو أعظم من عفو إمام قادر عن مذنب عاثر وقد قال الله جل ثناؤه وتعالت قدرته وليعفوا وليصفحوا

عيناه منصوبة للقلب غالبة
والخد فيه لقتل النفس شامات

(نادرة لطيفة)

حكى أن السراج الوراق جهز غلاما له يوما ليبتاع له زيتا طيبا ليأكل به لفتا فأحضره وقلبه على اللفت فوجده زيتا حارا فأنكر على الغلام ذلك فأخذه وجاء إلى البياع وقال له لم تفعل مثل هذا فقال له والله ياسيدي مالي ذنب لأنه قال أعطني زيتا للسراج انتهى (ومثله ما حكاه الصاحب فخر الدين ابن مكانس عن صاحبه سراج الدين القوصي أنه كان حصل له طلوع في جسده فتردد إليه المزين وصنع له فتائل على العادة قال فقلت له يوما كيف الحال يا سراج الدين فقال كيف حال سراج فيه سبع فتائل (ورأيت له) في ديوانه يداعب سراج الدين المذكور بقوله

ياذا السراج اشترى ... فأنت به
أولى وذلك الأمر الذي وجبا
سكندري وتدعى بالسراج وذا
مثل المنار إذا ماقام وانتصبا

(نادرة لطيفة)

اجتمع محدث ونصراني في سفينة فصب النصراني من

ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم أحاط الله أمير المؤمنين بستره الوافى ومنعه الكافى ثم أنشد يقول

أمير المؤمنين أتاك ركب ... لهم قربى وليس لهم تلاد
هم الصدر المقدم من قريش ... وأنت الرأس تتبعك العباد
لقد طابت بك الدنيا ولذت ... وأرجو أن يطيب بك المعاد
فكيف تنالكم لحظات عين ... وكيف يقل سوددك البلاد

قال استحسن المأمون كلامه وأمر له بالحلل الفاخرة والجوائز السنية وأمر برد ضياعه وقرب منزلته وأدناه ودفع اليه من المال ما أغناه (ومن حكايات الفصحاء ونوادر البلغاء) ما حكى أن عبد الملك بن مروان جلس يوما وعنده جماعة من خواصه وأهل مسامرته فقال أيكم يأتينى بحروف المعجم فى بدنه وله على ما يتمناه فقام اليه سويد بن غفلة فقال أنا لها يا أمير المؤمنين قال هات فقال نعم يا أمير المؤمنين أنف بطن ترقوة ثغر جمجمة حلق خد دمغ ذكر رقبة زند ساق شفة صدر ضلع طحال ظهر عين غبب فم نفا كف أساس منخر نغنوغ هامة وجه يد وهذه آخر حروف المعجم والسلام على أمير المؤمنين فقام بعض أصحاب عبد الملك وقال يا أمير المؤمنين أنا أقولها من جسد الإنسان مرتين فضحك عبد الملك وقال لسويد أسمعت ما قال قال أصلح الله الأمير أنا أقولها ثلاثا فقال هات ولك ما تتمناه فابتدأ يقول أنف أسنان أذن بطن بهر بزة ترقوه تمرة ثنية ثغر ثنايا ثدى جمجمة جنب جبهة حلق حنك حاجب خد خنصر خاصرة دبر دماغ دردار ذقن ذكر ذراع رقبة رأس ركبة زند زردمة زب فهنالك ضحك عبد الملك حتى استلقى على قفاه ساق سرة سبابة شفة شفر شارب صدر صدغ صلعة ضلع ضفيرة ضرس طحال طرة طرف ظهر ظفر ظلم عين عنق عانق غبب غلصمة غنة فم فك فؤاد قلب قفا قدم كف كتف كعب لسان لحية لوح منخر مرفق منكب نغنوغ ناب نن هامة هيئة هيف وجه وجنة ورك يمين يسار يافوخ ثم نهض مسرعا فقبل الأرض بين يدى أمير المؤمنين قال فعندها ضحك عبد الملك وقال والله ما تزيدنا عليها شيئا أعطوه ما يتمناه ثم أجازه وأنعم عليه وبالغ فى الإحسان اليه (وكان) الحجاج بن يوسف الثقفى من الفصحاء وكان على عتوه وإسرافه جوادا وكان إذا ضحك واستغرق فى الضحك اتبع ذلك بالاستغفار مرات وكان على ألف خوان وكان يطرف على الموائد ويقول يا أهل الشام مزقوا الخبز لئلا يعود اليكم ثانيا وكان يجلس على كل مائدة عشرة رجال وذلك فى كل يوم وكان يقول أرى الناس يتخلفون عن طعامى فقيل له إنهم يكرهون الحضور قبل إن يدعوا فقال قد جعلت رسولى اليهم كل يوم الشمس إذا طلعت وعند المساء إذا غربت (حكى) عن عبد الملك بن عمير أنه قال لما بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان اضطراب أهل العراق جمع أهل بيته وأولى النجدة من جنده وقال ايها الناس إن العراق كدر ماؤها وكثر غوغاؤها وأمر عذبها وعظم خطبها وظهر ضرامها وعسر اخماد نيرانها فهل من ممهد لهم بسيف قاطع وذهن جامع وقلب ذكى وأنف حمى فيخمد نيرانها ويردع غيلانها وينصف مظلومها ويداوى الجرح حتى يندمل فتصفو البلاد وتأمن العباد فسكت القوم ولم يتكلم أحد فقام الحجاج وقال يا أمير المؤمنين أنا للعراق قال ومن أنت لله أبوك قال أنا الليث الصمصام والهزبر المشتام أنا الحجاج ابن يوسف قال ومن أين قال من ثقيف كهوف الضيوف ومستعمل السيوف قال اجلس لا أم لك فلست هناك ثم قال مالى أرى الرؤوس مطرقة والألسن معتقلة فلم يجبه أحد فقام اليه الحجاج وقال أنا مجندل الفساق ومطفىء نار النفاق قال ومن أنت قال أنا قاصم الظلمة ومعدن الحكمة الحجاج بن

النصرانى جعلت فداك هذا خمر فقال من أين علمت أنها خمر قال اشتراها غلامى من خمار يهودى وحلف أنها خمر عتيق فشربها بالعجلة وقال للنصرانى أنت أحمق نحن أصحاب الحديث تروى عن الصحابة والتابعين أفتصدق نصرانيا عن غلامه عن يهودى والله ماشربتها إلا لضعف الاسناد (نادرة لطيفة) نظر طفيل إلى قوم ذاهبين فلم يشك أنهم فى دعوة ذاهبون إلى وليمة فقال وتبعه فاذا هم شعراء قد قصدوا السلطان بمدائح لهم فلما انشد كل واحد شعره وأخذ جائزته لم يبق إلا الطفيلى وهو جالس ساكت فقال له أنشد شعرك فقال لست بشاعر قال فمن أنت قال من الغاوين الذين قال الله تعالى فى حقهم والشعراء يتبعهم الغاوون فضحك السلطان وأمر له بجائزة الشعراء (وحكى) الهيثم ابن عدى قال ماشيت الإمام أبا حنيفة رضى الله تعالى عنه فى نفر من أصحابه إلى عيادة مريض من أهل الكوفة وكان المريض بخيلا وتواصينا على أن نعرض بالغداء فلما دخلنا وقضينا حق العيادة قال بعضنا آتنا

يوسف معدن العفو والعقوبة وآفة الكفر والريبة قال إليك عني وذاك فلست هناك ثم قال من للعراق فسكت القوم وقام الحجاج وقال أنا للعراق فقال اذن أظنك صاحبها والظافر بغنائمها وإن لكل شيء يا ابن يوسف آية وعلامة فما آيتك وما علامتك قال العقوبة والعفو والاقتدار والبسط والازورار والادناء والابعاد والجفاء والبر والتأهب والحزم وخوض غمرات الحروب بجنان غير هيوب فمن جادلني قطعته ومن نازعني قصمته ومن خالفني نزعته ومن دنا مني أكرمته ومن طلب الأمان أعطيته ومن سارع إلى الطاعة بجلته فهذه آيتي وعلامتي وما عليك يا أمير المؤمنين أن تبلوني فإن كنت للأعناق قطاعا وللأموال جماعا وللأرواح نزاعا ولك في الأشياء نفاعا وإلا فليستبدل بي أمير المؤمنين فإن الناس كثير ولكن من يقوم بهذا الأمر قليل فقال عبد الملك أنت لها فالذي تحتاج إليه قال قليل من الجند والمال فدعا عبد الملك صاحب جنده فقال هيء له من الجند شهوته وألزمهم طاعته وحذرهم مخالفته ثم دعا الخازن فأمره بمثل ذلك فخرج الحجاج قاصدا نحو العراق قال عبد الملك بن عمير فبينما نحن في المسجد الجامع بالكوفة إذ أتانا آت فقال هذا الحجاج قدم أميرا على العراق فتطاولت الأعناق نحوه وأفرجوا له عن صحن المسجد فإذا نحن به يمشي وعليه عمامة حمراء متلثما بها ثم صعد المنبر فلم يتكلم كلمة واحدة ولا نطق بحرف حتى غص المسجد بأهله وأهل الكوفة يومئذ ذوو حالة حسنة وهيئة جميلة فكان الواحد منهم يدخل المسجد ومعه العشرون والثلاثون من أهل بيته ومواليه وأتباعه عليهم الخز والديباج قال وكان في المسجد يومئذ عمير بن صابي التميمي فلما رأى الحجاج على المنبر قال لصاحب له أسبه لكم قال اكفف حتى نسمع ما يقول فأبى ابن صابي وقال لعن الله بني أمية حيث يولون ويستعملون مثل هذا على العراق وضيع الله العراق حيث يكون هذا أميرها فوالله لو دام هذا أميرا كما هو ما كان بشيء والحجاج ساكت ينظر يمينا وشمالا فلما رأى المسجد قد غص بأهله قال هل اجتمعتم فلم يرد أحد عليه شيئا فقال إني لا أعرف قدر اجتماعكم فهل اجتمعتم فقال رجل من القوم قد اجتمعنا أصلح الله الأمير فكشف عن لثامه ونهض قائما فكان أول شيء نطق به أن قال والله إني لأرى رؤوسا أينعت وقد حان قطافها وإني لصاحبها وإني لأرى الدماء تترقرق بين العمائم واللحى والله يا أهل العراق إن أمير المؤمنين نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدني أمرها عودا وأصلبها مكسرا فرماكم بي لأنكم طالما أثرتم الفتنة واضطجعتم في مراقد الضلال والله لأنكلن بكم في البلاد ولأجعلنكم مثلا في كل واد ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل وإني يا أهل العراق لا أعد إلا وفيت ولا أعزم إلا أمضيت فإياي وهذه الزرافات والجماعات وقيل وقال وكان ويكون يا أهل العراق إنما أنتم أهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأتاها وعيد القرى من ربها فاستوثقوا واستقيموا واعملوا ولا تميلوا وتابعوا وبايعوا واجتمعوا واستمعوا فليس مني الإهدار والإكثار إنما هو هذا السيف ثم لا ينسلخ الشتاء من الصيف حتى يذل الله لأمير المؤمنين صعبكم ويقيم له أودكم ثم إني وجدت الصدق مع البر ووجدت البر في الجنة ووجدت الكذب مع الفجور ووجدت الفجور في النار وقد وجهني أمير المؤمنين إليكم وأمرني أن أنفق فيكم وأوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة وإني لأقسم بالله لا أجد رجلا يتخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه يا غلام اقرأ كتاب أمير المؤمنين فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان إلى من بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يرد أحد شيئا فقال الحجاج اكفف يا غلام ثم أقبل على الناس فقال أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون شيئا عليه هذا أدبكم الذي تأدبتم به أما والله لأؤدبنكم أدبا غير هذا الأدب اقرأ يا غلام فقرأ حتى بلغ قوله

غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال فتمطى المريض وقال ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج فغمز أبو حنيفة أصحابه وقال قوموا فما لكم هنا من فرج انتهى (ومن غرائب المنقول) أن يحيى بن اسحق كان طبيبا حاذقا صانعا بيده وكان في صدر دولة عبد الرحمن الناصر لدين الله واستوزروه نقل عنه من حدثه أنه أتى إليه بدوي على حمار وهو يصيح على باب داره أدركوني وكلموا الوزير بخبري فلما دخل عليه قال ما بالك قال ورم بإحليلي منعني النوم منذ أيام وأنا في الموت فقال اكشف عنه فإذا هو وارم فقال للرجل الذي جاء معه احضر لي حجرا أملس فطلبه فوجده فقال له ضع عليه الإحليل فلما تمكن إحليل الرجل على الحجر جمع الوزير يده وضرب الإحليل ضربة غشي على الرجل منها ثم اندفع الصديد يجري فلما انقطع جريان الصديد فتح الرجل عينيه ثم بال في أثر ذلك فقال له اذهب فقد برأت علتك وأنت رجل عابث واقعت بهيمة في دبرها فصادفت شعيرة من علفها ولجت في عين الإحليل فورم لها وقد خرجت في الصديد فقال له الرجل قد فعلت ذلك وهذا يدل على الحذق المفرط (ومثله)

أن ابن جميع الاسرائيلي كان من الأطباء المشهورين والعلماء المذكورين خدم سلطان مصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وحظي في أيامه وكان رفيع المنزلة نافذ الأمر ومما نقل عنه في حذقه أنه كان جالسا في دكان وقد مرت عليه جنازة فلما نظر إليها صاح يا أهل الميت إن صاحبكم لم يمت ولا يحل أن تدفنوه حيا فقال بعضهم لبعض هذا الذي يقوله لا يضرنا ويتعين أن نمتحنه فإن كان حيا فهو المراد وإن لم يكن حيا فما يتغير علينا شيء فاستدعوه إليهم وقالوا بين ما قلت فأمرهم بالعود إلى البيت وأن ينزعوا أكفانه فلما فرغوا من ذلك أدخله الحمام وسكب عليه الماء الحار وأحمى بدنه ونطله فظهر فيه أدنى حس وتحرك حركة خفيفة فقال ابشروا بعافيته ثم تمم علاجه إلى أن أفاق وصحي فكان ذلك مبدأ اشتهاره بشدة الحذق والعلم ثم انه سئل بعد ومن أين علمت أن في ذلك الميت بقية روح وهو في الأكفان محمول فقال نظرت إلى قدميه وجدتهما قائمتين وأقدام الموتى منبسطة فحدست أنه حي وكان حدسي صائبا

(نادرة لطيفة)

قيل إن المنصور ابن أبي عامر الأندلسي كان إذا قصد غزاة عقد لواءه بجامع قرطبة ولم يسر إلى الغزاة إلا من الجامع فاتفق أنه

سلام عليكم فلم يبق أحد إلا قال وعلى أمير المؤمنين السلام ثم نزل بعد ما فرغ من خطبته وقراءته ووضع للناس عطاياهم فجعلوا يأخذونها حتى أتاه شيخ يرعش فقال أيها الأمير إني على الضعف كما ترى ولي ابن هو أقوى مني على الاسفار أفتقبله بديلا مني فقال نقبله أيها الشيخ فلما ولى قال له قائل أتدري من هذا أيها الأمير قال لا قال هذا عمير بن صابىء الذي يقول

همت ولم أفعل وكدت وليتني ... تركت على عثمان تبكي حلائله

ولقد دخل هذا الشيخ على عثمان رضي الله عنه وهو مقتول فوطىء في بطنه فكسر ضلعين من أضلاعه فقال الحجاج ردوه قال له الحجاج أنت الفاعل بأمير المؤمنين عثمان ما فعلت يوم قتل في الدار إن في قتلك أيها الشيخ اصلاح المسلمين ياسياف اضرب عنقه فضرب عنقه وكان من أمره بعد ذلك ما عرف وسطر ومن حكايات الحجاج) ما حكي أنه لما أسرف في قتل أسرى دير الجماجم وأعطى الأموال بلغ ذلك أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فشق عليه وكتب إليه أما بعد فقد بلغني عنك إسراف في الدماء وتبذير في العطاء وقد حكمت عليك في الدماء في الخطأ بالدية وفي العمد بالقود وفي الأموال أن تردها إلى مواضعها ثم تعمل فيها برأيي فإنما هو مال الله تعالى ونحن أمناؤه فإن كنت أردت الناس لي فما أغناني عنهم وإن كنت أردتهم لنفسك فما أغناك عنهم وسيأتيك عني أمران لين وشدة فلا يؤمننك إلا الطاعة ولا يوحشنك إلا المعصية وإذا أعطاك الله عز وجل الظفر فلا تقتلن جانحا ولا أسيرا وكتب في أسفل الكتاب

إذا أنت لم تترك أمورا كرهتها ... وتطلب رضائي بالذي أنا طالبه
فإن ترمني في غفلة قرشية ... فيا ربما قد غص بالماء شاربه
وإن ترمني في وثبة أموية ... فهذا وهذا كل ذا أنا صاحبه
فلا تأمنني والحوادث جمة ... فإنك تجزى بالذي أنت كاسبه
فلا تعد ما يأتيك مني وإن تعد ... يقمن به يوما عليك نوادبه
فلا تمنعن الناس حقا علمته ... ولا تعطين ما ليس للناس واجبه
فإنك إن تعطي الحقوق فإنما ... نوافل شيء لا يثيبك واهبه

فلما ورد الكتاب على الحجاج كتب إلى أمير المؤمنين أما بعد فقد ورد كتاب أمير المؤمنين بذكر اسرافي وتبذيري في الأموال ولعمري ما بلغت في عقوبة أهل المعصية ولا قضيت حقوق أهل الطاعة فإن كان قتلي العصاة إسرافا وإعطائي المطيعين تبذيرا فليمض لي أمير المؤمنين ما سلف والله ما أصبت القوم خطأ فأوديهم ولا ظلمتهم عمدا فأقاديهم وما قتلت إلا لك ولا أعطيت إلا فيك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وكتب في أسفل الكتاب

إذا أنا لا أبغي رضاك وأتقي ... أذاك فليلي لا توارى كواكبه
وما لامرىء بعد الخليفة جنة ... تقيه من الأمر الذي هو راكبه
إذا قارف الحجاج فيك خطيئة ... لقامت عليه بالصياح نوادبه
إذا أنا لم أدن الشفيق لنصحه ... وأقص الذي تسري إلى عقاربه
وأعط المواسي في البلاء عطية ... ترد الذي ضاقت على مذاهبه
فمن يتقي بؤسي ويرجو مودتي ... ويخشى غدا والدهر جم نوائبه
وأمري إليك اليوم ما قلت قلته ... وما لم تقله لم أقل ما يقاربه
ومهما أردت اليوم مني أردته ... وما لم ترده اليوم إني مجانبه
وقف بي على حد الرضا لا أجوزه ... مدى الدهر حتى يرجع الدر حالبه
وإلا فدعني والأمور فإنني ... شفيق رفيق أحكمته تجاربه

فلما انتهى الكتاب إلى عبد الملك قال خاف أبو محمد صولتي ولم يعاود لأمر كرهته إن شاء الله تعالى فمن يلومني على محبته ياغلام اكتب إليه الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وأنت على عيننا بما هناك (وفي مروج الذهب للمسعودي) أن أم الحجاج وهي الفارعة بنت همام ولدته مشوها لا دبر له فثقب له

دبر وأبى أن يقبل الثدى وأعيا ثم أمره فيقال إن الشيطان تصور له فى صورة الحرث بن كلدة حكيم
العرب فسألهم عن ذلك فأخبره مخبر من أهله فقال لهم اذبحوا له تيسا وألعقوه من دمه وأولغوه فيه ثم اطلوا
به وجهه ففعلوا ذلك فقبل الثدى فلأجل ذلك كان لا يصبر عن سفك الدماء وكان يخبر عن نفسه أن أكبر
لذاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يقدر غيره عليها وكانت أمه متزوجة قبل أبيه الحرث بن كلدة
فدخل عليها يوما وقت السحر فوجدها تخلل أسنانها فطلقها فسألته عن السبب فقال إن أخرت
العشاء فأنت شرهة وإن كان بقايا طعام بفيك فأنت قذرة فقالت كل ذلك لم يكن وإنما تخللت من شظايا
السواك فقال قضى الأمر فتزوجها بعده يوسف بن عقيل الثقفى فأولدها الحجاج * وقيل إن الحجاج
تقلد الإمارة وهو ابن عشرين سنة ومات وله ثلاث وخمسون سنة وكان من عنف السياسة وثقل
الوطأة وظلم الرعية والأسراف فى القتل على ما لا يبلغه وصف أحصى من قتله الحجاج بأمره سوى من
قتله فى حروبه فكانوا مائة ألف وعشرين ألفا ووجد فى سجنه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة
لم يجب على أحد منهم قطع ولا قتل وكان يحبس الرجال والنساء فى موضع واحد ولم يكن لحبسه سقف
يستر الناس من الحر والبرد وقيل للشعبى أكان الحجاج مؤمنا قال نعم بالطاغوت وقال لو جاءت كل أمة
بخبيثها وفاسقها وجئنا بالحجاج وحده لزدنا عليهم والله أعلم وقد مضى القول فى ذكر الفصحاء من
الرجال وحكاياتهم وما أعان الله تعالى عليه واستحضرته من أخبارهم وأنا قائل إن شاء الله تعالى
ما استحضرته من ذكر فصحاء النساء وأخبارهن وحكاياتهن والله المستعان

(ذكر فصحاء النساء وحكاياتهن)

(حكى) عن أبى عبد الله النميرى أنه قال كنت يوما مع المأمون وكان بالكوفة فركب للصيد ومعه
سرية من العسكر فبينما هو سائر إذ لاحت له طريدة فأطلق عنان جواد وكان على سابق من الخيل
فأشرف على نهر ماء من الفرات فإذا هو بجارية عربية خماسية القد قاعدة النهد كأنها القمر ليلة تمامه
وبيدها قربة ملأتها ماء وحملتها على كتفها وصعدت من حافة النهر فانحل وكاؤها فصاحت برفيع
صوتها يا أبت أدرك فاها قد غلبنى فوها لا طاقة لى بفيها قال فعجب المأمون من فصاحتها ورمت الجارية
القربة من يدها فقال لها المأمون يا جارية من أى العرب أنت قالت أنا من بنى كلاب قال وما الذى
حملك أن تكونى من الكلاب فقالت والله لست من الكلاب وإنما أنا من قوم كرام غير لئام يقرون
الضيف ويضربون بالسيف ثم قالت يا فتى من أى الناس أنت فقال أوعندك علم بالأنساب قالت نعم قال
لها أنا من مضر الحمراء قالت من أى مضر قال من أكرمها نسبا وأعظمها حسبا وخيرها أما وأبا قالت ممن
قال ممن تهابه مضر كلها قالت أظنك من كنانة قال أنا من كنانة قالت فمن أى كنانة قال من أكرمها مولدا
وأشرفها محتدا وأطولها فى المكرمات يدا ممن تهابه كنانة وتخافه فقالت إذن أنت من قريش قال أنا
من قريش قالت من أى قريش قال من أجملها ذكرا وأعظمها فخرا ممن تهابه قريش كلها وتخشاه
قالت أنت والله من بنى هاشم قال أنا من بنى هاشم قالت من أى هاشم قال من أعلاها منزلة وأشرفها
قبيلة ممن تهابه هاشم وتخافه قال فعند ذلك قبلت الأرض وقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين وخليفة
رب العالمين قال فعجب المأمون وطرب طربا عظيما وقال والله لأتزوجن بهذه الجارية لأنها من
أكبر الغنائم ووقف حتى تلاحقته العساكر فنزل هناك وأنفذ خلف أبيها وخطبها منه فزوجه بها
وأخذها وعاد مسرورا وهى والدة ولده العباس والله أعلم (وحكى) أن هند ابنة النعمان كانت
أحسن أهل زمانها فوصف للحجاج حسنها فأنفذ إليها يخطبها وبذل لها مالا جزيلا وتزوج بها
وشرط لها عليه بعد الصداق مائتى ألف درهم ودخل بها ثم انحدرت معه إلى بلد أبيها المعرة وكانت

فى بعض حركاته للغزاة توجه إلى الجامع لعقد اللواء فاجتمع عنده القضاة والعلماء وأرباب الدولة فرفع حامل اللواء اللواء فصادف ثريا من قناديل الجامع فانكسرت على اللواء وتبدد عليه الزيت فتطير الحاضرون من ذلك وتغير وجه المنصور فقال رجل أبشر يا أمير المؤمنين بغزاة هينة وغنيمة سارة فقد بلغت أعلامك الثريا وسقاها الله من شجرة مباركة فاستحسن المنصور ذلك واستبشر وكانت الغزوة من أبرك الغزوات (ومثل هذا) لما خرج المنصور العباسى إلى قتال أبى يزيد الخارجى فى جماعة من الأولياء وواجه الحصن سقط الرمح من يده فأخذه بعض الأولياء فمسحه وقال

فألقت عصاها واستقر بها النوى
كما قر عينا بالإياب المسافر

قال فضحك المنصور وقال لم لا قلت فألقى موسى عصاه فقال يا أمير المؤمنين العبد تكلم بما عنده من إشارات المتأدبين وتكلم أمير المؤمنين بما أنزل على النبى من كلام رب العالمين فكان الأمر على ما ذكره وأخذه الحصن حصل الظفر بأبى يزيد (حكى) أن الشيخ شهاب الدين بن محمود قال عدت قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان فى دمشق بالمدرسة النجيبية سنة إحدى وثمانين وستمائة فأنشدنى لبعض أهل

هند فصيحة أديبة فأقام الحجاج بالمعرة مدة طويلة ثم إن الحجاج رحل بها إلى العراق فأقامت معه ماشاء الله ثم دخل فى بعض الأيام وهى تنظر فى المرآة وتقول

وما هند إلا مهرة عربية ... سليلة أفراس تحللها بغل
فان ولدت مهرا فلله درها ... وإن ولدت بغلا فجاء به البغل

فانصرف الحجاج راجعا ولم يدخل عليها ولم تكن علمت به فأراد الحجاج طلاقها فأنفذ اليها عبد الله ابن طاهر وأنفذ لها معه مائتى ألف درهم وهى التى كانت لها عليه وقال يا ابن طاهر طلقها بكلمتين ولا تزد عليهما فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها يقول لك أبو محمد الحجاج كنت فبنت وهذه المائتا ألف درهم التى كانت لك قبله فقالت اعلم يا ابن طاهر أنا والله كنا فما حمدنا وبنا فما ندمنا وهذه المائتا ألف درهم التى جئت بها بشارة لك بخلاصى من كلب بنى ثقيف ثم بعد ذلك بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها ووصف له جمالها فأرسل اليها يخطبها فأرسلت اليه كتابا تقول فيه بعد الثناء عليه اعلم يا أمير المؤمنين أن الإناء ولغ فيه الكلب فلما قرأ عبد الملك الكتاب ضحك من قولها وكتب اليها يقول إذا ولغ الكلب فى اناء أحدكم فليغسله سبعا إحداهن بالتراب فاغسلى الإناء يحل الاستعمال فلما قرأت كتاب أمير المؤمنين لم يمكنها المخالفة فكتبت اليه بعد الثناء عليه يا أمير المؤمنين والله لا أحل العقد إلا بشرط فان قلت ماهو الشرط قلت أن يقود الحجاج محملى من المعرة إلى بلدك التى أنت فيها ويكون ماشيا حافيا بحليته التى كان فيها أولا فلما قرأ عبد الملك ذلك الكتاب ضحك ضحكا شديدا وانفذ إلى الحجاج وأمره بذلك فلما قرأ الحجاج رسالة أمير المؤمنين أجاب وامتثل الأمر ولم يخالف وأنفذ إلى هند يأمرها بالتجهز فتجهزت وسار الحجاج فى موكبه حتى وصل المعرة بلد هند فركبت هند فى محمل الزفاف وركب حولها جواريها وخدمها وأخذ الحجاج بزمام البعير يقوده ويسير بها فجعلت هند تتواغد عليه وتضحك مع الهيفاء دايتها ثم قالت للهيفاء يا داية اكشفى لى سجف المحمل فكشفته فوقع وجهها فى وجه الحجاج فضحكت عليه فأنشأ يقول

فان تضحكى منى فيا طول ليلة ... تركتك فيها كالقباء المفرج

فأجابته هند تقول

وما نبالى إذا أرواحنا سلمت ... بما فقدناه من مال ومن نشب
فالمال مكتسب والعز مرتجع ... إذا النفوس وقاها الله من عطب

ولم تزل كذلك تضحك وتلعب إلى أن قربت من بلد الخليفة فرمت بدينار على أرض ونادت يا جمال إنه قد سقط منا درهم فارفعه الينا فنظر الحجاج إلى الأرض فلم يجد إلا دينارا فقال إنما هو دينار فقالت بل هو درهم قال بل دينار فقالت الحمد لله سقط منا درهم فعوضنا الله دينارا فخجل الحجاج وسكت ولم يرد جوابا ثم دخل بها على عبد الملك بن مروان فتزوج بها وكان من أمرها ما كان وقد وجدت فى بعض النسخ ماهو أوسع من هذا ولكن اقتصرت على القليل منه إذ فيه الغرض والله أعلم ، وقيل إن جارية عرضت على الرشيد ليشتريها فتأملها وقال لمولاها خذ جاريتك فلولا كلف بوجهها وخنس بأنفها لاشتريتها فلما سمعت الجارية مقالة أمير المؤمنين قالت مبادرة يا أمير المؤمنين اسمع منى ما أقول فقال قولى فأنشدت تقول

ماسلم الظبى على حسنه ... كلا ولا البدر الذى يوصف
الظبى فيه خنس بين ... والبدر فيه كلف يعرف

قال فعجب من فصاحتها وأمر بشرائها وقيل عرضت على المأمون جارية بارعة فى الجمال فائقة فى الكمال غير أنها كانت تعرج برجلها فقال لمولاها خذ بيدها وارجع فلولا عرج بها لاشتريتها فقالت الجارية يا أمير المؤمنين إنه فى وقت حاجتك لا يكون بحيث تراه فأعجبه سرعة جوابها وأمر بشرائها ، (ومن ذلك)

جنبه ماءك ثم غسله بما ... اذرت عيون المجد عند بكائه
وأزل أفاويه الحنوط ونحها ... عنه وحنطه بطيب ثنائه
ومر الملائكة الكرام بنقله ... شرفا ألست تراهم بازائه
لا توه أعناق الرجال بحمله ... يكفى الذى حملوه من نعمائه

قال الشيخ شهاب الدين فوقع فى نفسى أنه أحق الناس بهذا الرثاء وانه نعى فات فى ذلك الأسبوع برد الله مضجعه

(نكتة لطيفة) قيل إنه لما رجع الشيخ شهاب الدين السهروردى رحمه الله من الشام إلى بغداد وجلس على عادته أخذ يقلل أحوال الناس ويهضم جانب الرجال ويقول إنه مابقى من يجارى وقد خلت الدنيا وأنشد

مافى الصحاب أخو وجد نطارحه ... حديث نجد ولا خل نجاريه

فصاح من أطراف المجلس رجل عليه قباء وكلوتة فقال ياشيخ كم تنتقص بالقوم والله أن فيهم من لم يرض إن يجاريك وقصاراك أن تفهم مايقول هلا قلت ـ

مافى الصحاب وقد سارت حمولهم ... إلا محب له فى الركب محبوب

ماحكى

ما حكى أن كريم الملك كان من ظرفاء الكتاب فعبر يوما تحت جوسق ببستان فرأى جارية ذات وجه زاهر وكمال باهر لا يستطيع أحد وصفها فلما نظر إليها ذهل عقله وطار منه فعاد إلى منزله وأرسل إليها هدية نفيسة مع عجوز كانت تخدمه وكانت الجارية عزبا وكتب إليها رقعة يعرض إليها بالزيارة في جوسقها فلما قرأت الرقعة قبلت الهدية ثم أرسلت إليه مع العجوز عنبرا وجعلت فيه زر ذهب وربطت ذلك على منديل وقالت للعجوز هذا جواب رقعته فلما رأى كريم الملك ذلك لم يفهم معناه وتحير في أمره وكانت له ابنة صغيرة السن فلما رأت أباها متحيرا في ذلك قالت له يا أبت أنا علمت معناه قال وما هو لله درك قالت

ت لك العنبر في جوفه ... زر من التبر خفي اللحام
فالزر والعنبر معناهما ... زر هكذا مختفيا في الظلام

قال فعجب من فطنتها وفصاحتها واستحسن ذلك منها (وحكى) أن طائفة من بني تميم كانوا يكسرون أول الفعل فمرت فتاة منهم جميلة الصورة على جماعة فناداها شخص منهم وأراد أن يوقعها فيما ينسب إليهم من كسر الفعل فقال لأي شيء يا بني تميم يا تكتنون فقالت ولم لا نكتني وكسرت الفعل فضحك عليها وقال أفعل إن شاء الله فخجلت من قوله وتغير وجهها وأرادت أن توقعه كما أوقعها فقالت له هل تحسن شيئا من العروض قال نعم قالت قطع لي حولوا عنا كنيستكم يا بني حمالة الحطب فقطعه فوقف على عن ثم ابتدأ بالنون والألف مع بقية الحروف فضحكت عليه وأضحكت أصحابه فقال ويحك لم تبرحي حتى أخذت بثارك (وحكى) إن شاعرا كان له عدو فبينما هو سائر ذات يوم في بعض الطرق إذا هو بعدوه فعلم الشاعر أن عدوه قاتله لا محالة فقال له يا هذا أنا أعلم أن المنية قد حضرت ولكن سألتك الله إذا أنت قتلتني امض إلى داري وقف بالباب وقل ألا أيها البنتان ان أباكما فقال سمعا وطاعة ثم إنه قتله فلما فرغ من قتله أتى إلى داره وقف بالباب وقال ألا أيها البنتان ان أباكما وكان للشاعر ابنتان فلما سمعتا قول الرجل ، ألا أيها البنتان أن أباكما ، أجاباه بفم واحدة قتيل خذا بالثار ممن أتاكما ثم تعلقتا بالرجل ورفعتاه إلى الحاكم فاستقرره بقتله فقتله والله أعلم ، وقيل بينما كثير عزة مار بالطريق يوما إذا هو بعجوز عمياء على قارعة الطريق تمشي فقال لها تنحي عن الطريق فقالت له ويحك ومن تكون قال أنا كثير عزة قالت قبحك الله وهل مثلك يتنحى له عن الطريق قال ولم قالت ألست القائل

وما روضة بالحسن طيبة الثرى ... يمج الندى جثجاثها وعرارها
بأطيب من أردان عزة موهنا ... إذا أوقدت بالجمر اللدن نارها

ويحكم يا هذا لو تبخر بالجمر اللدن مثلي ومثل أمك لطاب ريحها لم لا قلت مثل سيدك امرئ القيس

وكنت إذا ما جئت بالليل طارقا ... وجدت بها طيبا وإن لم تطيب

فقطعته ولم يرد جوابا ، وقيل أتى الحجاج بامرأة من الخوارج فقال لأصحابه ما تقولون فيها قالوا عاجلها بالقتل أيها الأمير فقالت الخارجية لقد كان وزراء صاحبك خيرا من وزرائك يا حجاج قال ومن هو صاحبي قالت فرعون استشارهم في موسى عليه السلام فقالوا أرجه وأخاه ، وأتي بأخرى من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا تنظر إليه فقيل لها الأمير يكلمك وأنت لا تنظرين إليه فقالت إني لأستحي أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه (وحكى) ابن الجوزي في كتابه المنتظم في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما ولي عمر رضي الله عنه الخلافة بلغه أن صداق أزواج النبي ﷺ خمسمائة درهم وأن فاطمة رضي الله عنها كان صداقها من علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أربعمائة درهم فرأى اجتهاد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أن لا يزيد أحد على صداق البضعة النبوية فاطمة رضي الله عنها

كأنما يوسف في كل راحلة ... والحي في كل بيت منه يعقوب

فصاح السهر وردي ونزل على الكرسي وطلب الشاب فلم يجده (حكى) عن ابن الطرزي الشاعر أنه مر وفي رجله نعل بالية بالشريف الرضي فأمر باحضاره وقال انشدني أبياتك التي تقول فيها

إذا لم تبلغني إليك ركائبي ... فلا وردت ماء ولا رعت العشبا

فأنشده إياها فلما انتهى إلى هذا البيت أشار إلى نعله البالية وقال هذه كانت ركائبك فأطرق ابن الطرزي ساعة ثم قال لما عادت هبات مولانا الشريف إلى مثل قوله

وخذ النوم من جفوني فاني ... قد خلعت الكرى على العشاق

عادت ركائبي إلى مثل ما ترى لأنك خلعت ما لا تملك على من لا يقبل. فخجل الشريف وقابله بما يليق من الاكرام (قلت) وأما الأجوبة الهاشمية وبلاغتها فهي في المحل الأرفع (فمن ذلك) أنه اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص والوليد بن عقبة وعقبة ابن أبي سفيان والمغيرة ابن شعبة فقالوا يا أمير المؤمنين ابعث لنا إلى الحسن بن علي فقال لهم فيم فقالوا كي نوبخه ونعرفه أن أباه قتل عثمان فقال

فصعد المنبر وحمد الله تعالى وأثنى عليها وقال أيها الناس لاتزيدوا فى مهور النساء على أربعمائة درهم فمن زاد ألقيت زيادته فى بيت مال المسلمين فهاب الناس أن يكلموه فقامت امرأة فى يدها طول فقالت له كيف يحل لك هذا والله تعالى يقول وإن آتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا فقال عمر رضى الله عنه امرأة أصابت ورجل أخطأ * وقيل جاءت امرأة إلى أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه فقالت ياأمير المؤمنين ان زوجى يصوم النهار ويقوم الليل ويقول لها نعم الرجل زوجك وكان فى مجلسه رجل يسمى كعبا فقال ياأمير المؤمنين إن هذه المرأة تشكو زوجها فى أمر مباعدته إياها عن فراشه فقال له كما فهمت كلامها احكم بينهما فقال كعب على بزوجها فأحضر فقال له إن هذه المرأة تشكوك قال أفى أمر طعام أم شراب قال بل فى أمر مباعدتك إياها عن فراشك فأنشدت المرأة تقول

يأيها القاضى الحكيم رشده ... ألهى خليلى عن فراشى مسجده
نهاره وليله لا يرقده ... فلست فى أمر النساء أحمده

فأنشأ الزوج يقول

زهدنى فى فرشها وفى الحلل ... أنى امرؤ أذهلنى ماقدنزل
فى سورة النحل وفى السبع الطول ... وفى كتاب الله تخويف بجل

فقال له القاضى

إن لها عليك حقا لم يزل ... فى أربع نصيبها لمن عقل
فعاطها ذاك ودع عنك العلل *

ثم قال إن الله تعالى أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع فلك ثلاثة أيام بلياليهن ولها يوم وليلة فقال عمر رضى الله عنه لاأدرى من أيكم أعجب أمن كلامها أم من حكمك بينهما اذهب فقد وليتك البصرة

(حكاية المتكلمة بالقرآن) قال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما أنا فى بعض الطريق إذا أنا بسواد على الطريق فتميزت ذاك فإذا هى عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت سلام قولا من رب رحيم قال فقلت لها يرحمك الله ماتصنعين فى هذا المكان قالت ومن يضلل الله فلا هادى له فعلمت انها ضالة عن الطريق قلت لها اين تريدين قالت سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فعلمت إنها قد قضت حجها وهى تريد بيت المقدس فقلت لها أنت منذكم فى هذا الموضع قالت ثلاث ليال سويا فقلت ماأرى معك طعاما تأكلين قالت هو يطعمنى ويسقين فقلت فبأى شىء تتوضئين قالت فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فقلت لها أن معى طعاما فهل لك فى الأكل قالت ثم أتموا الصيام إلى الليل فقلت ليس هذا رمضان فقالت ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم فقلت قد أبيح لنا الافطار فى السفر قالت وأن تصوموا خير لكم أن كنتم تعلمون فقلت لم لاتكلمينى مثل ماأكلمك قالت مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فقلت فمن أى الناس أنت قالت ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا فقلت قد أخطأت فاجعلينى فى حل قالت لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم فقلت فهل لك أن أحملك على ناقتى هذه فتدركى القافلة قالت وما تفعلوا من خير يعلمه الله قال فأنخت ناقتى قالت قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم فغضضت بصرى عنها وقلت لها اركبى فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها فقالت وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فقلت لها اصبرى حتى أعقلها قالت ففهمناها سليمان فعقلت الناقة وقلت لها اركبى فلما ركبت قالت سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون قال فأخذت بزمام الناقة وجعلت أسعى وأصيح فقالت واقصد فى مشيك واغضض من صوتك فجعلت أمشى رويدا رويدا وأترنم بالشعر فقالت فاقرأوا ما تيسر من القرآن فقلت لها لقد

أوتيت

لهم نسكم الاتنتصفون منه ولا تقولون شيئا الا كذبكم الناس ولا يقول لكم شيئا ببلاغته الا صدقه الناس فقالوا أرسل اليه فانا سنكفيك أمره فارسل اليه معاوية فلما حضر قال ياحسن إنى لم أرسل اليك ولكن هؤلاء أرسلوا اليك فاسمع مقالتهم وأجب ولا تحرمنى فقال الحسن عليه السلام فليتكلموا ونسمع فقام عمرو بن العاص فحمد الله وأثنى عليه قال هل تعلم ياحسن أن أباك أول من أثار الفتنة وطلب الملك فكيف رأيت صنع الله به ثم قام الوليد بن عقبة بن أبى معيط فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يابنى هاشم كنتم أصهار عثمان بن عفان فنعم الصهر كان يفضلكم ويقربكم ثم بغيتم عليه فقتلتموه ولقد أردنا ياحسن قتل أبيك فانقذه الله منا ولو قتلناه بعثمان ماكان علينا من الله ذنب ثم قام عقبة فقال تعلم ياحسن أن أباك بغى على عثمان فقتله حسدا على الملك والدنيا فسلبها ولقد أردنا قتل أبيك حتى قتله الله تعالى ثم قام المغيرة بن شعبة فكان كلامه كله سبا لعلى وتعظيما لعثمان فقام الحسن عليه السلام فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال بك أبدأ يامعاوية لم يشتمنى هؤلاء ولكن أنت تشتمنى بغضا وعداوة وخلافا

أوتيت خيرا كثيرا قالت وما يذكر إلا أولوا الألباب فلما مشيت بها قليلا قلت ألك زوج قالت يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم فسكت ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة فقلت لها هذه القافلة فمن لك فيها فقالت المال والبنون زينة الحياة الدنيا فعلمت أن لها أولادا فقلت وشأنهم فى الحج قالت وعلامات وبالنجم هم يهتدون فعلمت أنهم أدلاء الركب فقصدت بها القباب والعمارات فقلت هذه القباب فمن لك فيها قالت واتخذ الله إبراهيم خليلا وكلم الله موسى تكليما يا يحيى خذ الكتاب بقوة فناديت يا إبراهيم ياموسى يا يحيى فاذا أنا بشبان كأنهم الأقمار قد أقبلوا فلما استقر بهم الجلوس قالت فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه فمضى أحدهم فاشترى طعاما فقدموه بين يدى فقالت كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية فقلت الآن طعامكم على حرام حتى تخبرونى بأمرها فقالوا هذه أمنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن فسبحان القادر على ما يشاء فقلت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثانى فى الأجوبة المسكتة والمستحسنة ورشقات اللسان وما جرى مجرى ذلك﴾

(قيل) إن معن بن زائدة دخل على المنصور فقال له هيه يامعن تعطى مروان بن أبى حفصة مائة ألف على قوله

معن بن زائدة الذى زادت به ... شرفا على شرف بنو شيبان

فقال كلا ياأمير المؤمنين إنما أعطيته على قوله

مازلت يوم الهاشمية معلنا ... بالسيف دون خليفة الرحمن

فمنعت حوزته وكنت وقاءه ... من كل مهند وسنان

فقال أحسنت والله يامعن وأمر له بالجوائز والخلع * ووفد بن أبى محجن على معاوية فقام خطيبا فأحسن فحسده معاوية وأراد أن يوقعه فقال له أنت الذى أوصاك أبوك بقوله

إذا مت فادفنى بجانب كرمة ... تروى عظامى بعد موتى عروقها

ولا تدفننى فى الفلاة فاننى ... أخاف إذا مامت أن لا أذوقها

قال بل أنا الذى يقول أبى ... لا تسأل الناس ما مالى وكثرته ... وسائل الناس ما جودى وما خلقى ... أعطى الحسام غداة الروع حصته وعامل الرمح أرويه من العلق ... وأطعن الطعنة النجلاء عن عرض ... وأكتم السر فيه ضربة العنق ... وأنت تعلم أنى من سراتهم ... إذا سما بصر الرعديد بالفرق

فقال له معاوية أحسنت والله يابن أبى محجن وأمر له بصلة وجائزة (وقيل) أخذ عبد الملك بن مروان بعض أصحاب شبيب الحارثى فقال له ألست القائل ومنا شريد والبطين وقعنب * ومنا أمير المؤمنين عقيل فقال ياأمير المؤمنين إنما قلت ومنا أمير المؤمنين شبيب وأردت بذلك مناداة لك فكان ذلك سببا لنجاته * ودخل شريك بن الأعور على معاوية وكان دميما فقال له معاوية انك لدميم والجميل خير من الدميم وانك لشريك وما لله من شريك وإن أباك لأعور والصحيح خير من الأعور فكيف سدت قومك فقال له إنك معاوية وما معاوية إلا كلبة عوت فاستعوت الكلاب وإنك لابن صخر والسهل خير من الصخر وانك لابن حرب والسلم خير من الحرب وإنك لابن أمية وما أمية إلا أمة صغرت فكيف صرت أمير المؤمنين ثم خرج وهو يقول

أيشتمنى معاوية بن حرب ... وسيفى صارم ومعى لسانى

وحولى من ذوى يزن ليوث ... ضراح تهش نحو الطعان

يعير بالدمامة من سفاه ... وربات الحجال من الغوانى

جدى صلى الله عليه وسلم ثم التفت إلى الناس وقال أنشدكم الله أتعلمون أن الرجل الذى شتمه هؤلاء كان أول من آمن بالله وصلى للقبلتين وأنت يامعاوية يومئذ كافر تشرك بالله وكان معه لواء النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر ومع معاوية وأبيه لواء المشركين ثم قال أنشدكم الله والاسلام أتعلمون أن معاوية كان يكتب الرسائل لجدى صلى الله عليه وسلم فأرسل إليه يوما فرجع الرسول وقال هو يأكل فرد الرسول إليه ثلاث مرات كل ذلك وهو يقول هو يأكل فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا أشبع الله بطنه أما تعرف ذلك فى فى بطنك يامعاوية ثم قال وأنشدكم الله أتعلمون أن معاوية كان يقود بأبيه على جمل وأخوه هذا يسوقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الجمل وقائده وراكبه وسائقه هذا كله ذلك يامعاوية وأما أنت ياعمرو فتنازع فيك خمسة من قريش فغلب عليك شبه الأمهم حسبا وشرهم منصبا ثم قمت وسط قريش فقلت أنى شانئ فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ان شانئك هو الأبتر ثم هجوت محمدا صلى الله عليه وسلم بثلاثين بيتا من

ودخل يزيد أبى مسلم صاحب شرطة الحجاج على سليمان بن عبد الملك بعد موت الحجاج فقال له سليمان قبح الله رجلا أجرك رسنه وأولاك أمانته فقال ياأمير المؤمنين رأيتنى والأمر لك وهو عنى مدبر فلو رأيتنى وهو على مقبل لاستكبرت منى مااستصغرت واستعظمت منى مااستحقرت فقال سليمان أترى الحجاج استقر فى جهنم فقال ياأمير المؤمنين لاتقل ذلك فان الحجاج وطأ لكم المنابر وأذل لكم الجبابر وهو يجىء يوم القيامة عن يمين أبيك وشمال أخيك فحيثما كانا كان ٭ وقال يهودى لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه مالكم لم تلبثوا بعد نبيكم الاخمس عشرة سنة حتى تقاتلتم فقال على كرم الله وجهه ولم أنتم لم تجف أقدامكم من البلل حتى قلتم ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ٭ ووجد الحجاج على منبره مكتوبا قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار فكتب تحته قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور ٭ ودخل عقيل على معاوية وقد كف بصره فأجلسه معه على سريره ثم قال له أنتم معشر بنى هاشم تصابون فى أبصاركم فقال له عقيل وأنتم معشر بنى أمية تصابون فى بصائركم ٭ وقيل اجتمعت بنو هاشم يوما عند معاوية فأقبل عليهم وقال يابنى هاشم إن خيرى لكم لممنوح وإن بابى لكم لمفتوح فلا يقطع خيرى عنكم ويرد بابى دونكم ولما نظرت فى أمرى وأمركم رأيت امرا مختلفا انكم ترون أنكم أحق بما فى يدى وإذا أعطيتكم عطية فيها قضاء حقوقكم قلتم أعطانا دون حقنا وقصر بنا عن قدرنا فصرت كالمسلوب والمسلوب لاحمد له هذا مع انصاف قائلكم واسعاف سائلكم قال فاقبل عليه ابن عباس رضى الله عنهما فقال والله مامنحتنا شيئا حتى سألناه ولافتحت لنا بابا حتى قرعناه ولئن قطعت عنا خيرك لخير الله أوسع منك ولئن أغلقت دوننا بابا لنكفن أنفسنا عنك وأما هذا المال فليس لك منه الا ما للرجل من المسلمين ولولا حقنا فى هذا لم يأتك منه زائر يحمله خف ولاحافر أكفاك أم أزيدك قال كفانى ياابن عباس ٭ وقال معاوية يوما أيها الناس إن الله حبا قريشا بثلاث فقال لنبيه ﷺ وأنذر عشيرتك الأقربين ونحن عشيرته الأقربون وقال تعالى وانه لذكر لك ولقومك ونحن قومه وقال تعالى لإيلاف قريش إيلافهم ونحن قريش فأجابه رجل من الأنصار فقال على رسلك يامعاوية فان الله تعالى يقول وكذب به قومك وهو الحق وأنتم قومه وقال تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون وأنتم قومه وقال تعالى وقال الرسول يارب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا وأنتم قومه ثلاثة بثلاثة لو زدتنا لزدناك ٭ وقال معاوية أيضا لرجل من اليمن ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة فقال أجهل من قومى قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله ﷺ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم ولم يقولوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا اليه ٭ وقال يوما لجارية قدامه ما كان أهونك على قومك إذ سموك جارية فقال ما كان أهونك على قومك إذ سموك معاوية وهى الأنثى من الكلاب قال اسكتى لاأم لك قالت أم لى ولدتنى أما والله إن القلوب التى أبغضناك بها لبين جوانحنا والسيوف التى قاتلناك بها لفى ايدينا وإنك لم تهلكنا قسوة ولم تملكنا عنوة ولكنك أعطيتنا عهدا وميثاقا وأعطيناك سمعا وطاعة فان وفيت لنا وفينا لك وإن نزعت إلى غير ذلك فانا تركنا وراءنا رجالا اشدادا وأسنة حداد فقال معاوية لاأكثر الله فى الناس مثلك ياجارية فقالت له قل معروفا فان شر الدعاء محيط أهله ٭ وخطب معاوية يوما فقال إن الله تعالى يقول وإن من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم فعلام تلومونى إذا قصرت فى عطاياكم فقال له الأحنف وإنا والله لانلومك على ما فى خزائن الله ولكن على ما أنزله الله من خزائنه فجعلته فى خزائنك حلت بيننا وبينه ٭ وقيل دخل مجنون الطاق يوما إلى الحمام وكان بغير مئزر فرآه أبو حنيفة رضى الله

الشعر فقال النبى ﷺ اللهم انى لاأحسن الشعر ولكن العن عمرو بن العاص بكل بيت لعنة ثم انطلقت إلى النجاشى بما عملت وعملت فأكذبك الله وردك خائبا فأنت عدو بنى هاشم فى الجاهلية والإسلام فلم نلمك على بغضك وأما أنت ياابن أبى معيط فكيف الومك على سبك لعلى وقد جلد ظهرك فى الخمر ثمانين سوطا وقتل أباك صبرا بأمر جدى وقتله جدى بأمر ربى ولما قدمه للقتل قال من للصبية يامحمد فقال لهم النار فلم يكن لكم عن النبى إلا النار ولم يكن لكم عند على غير السيف والسوط وأما أنت ياعتبة فكيف تعد أحدا بالقتل لم لاقتلت الذى وجدته فى فراشك مضاجعا لزوجتك ثم أمسكتها بعد أن بغت وأما أنت ياأعور ثقيف فنى أى ثلاث تسب عليا أفى بعده من رسول الله صلى الله عليه وسلم أم فى حكم جائر أم فى رغبة فى الدنيا فان قلت شيئا من ذلك فقد كذبت وأكذبك الناس وإن زعمت أن عليا قتل عثمان فقد كذبت وأكذبك الناس وأما وعيدك فانما مثلك كمثل بعوضة وقفت على نخلة فقالت لها استمسكى فانى أريد أن أطير فقالت لها النخلة ما علمت بوقوفك

عنه وكان فى الحمام فغمض عينيه فقال له المجنون متى أعماك الله قال حين هتك سترك (ومن ذلك) ما حكى أن الحجاج خرج يوما متنزها فلما فرغ من نزهته صرف عنه أصحابه وانفرد بنفسه فاذا هو بشيخ من بني عجل فقال له من أين أيها الشيخ قال من هذه القرية قال كيف ترون عمالكم قال شر عمال يظلمون الناس ويستحلون أموالهم قال فكيف قولك فى الحجاج قال ذاك ماولى العراق شر منه قبحه الله وقبح من استعمله قال أتعرف من أنا قال لا قال أنا الحجاج قال جعلت فداك أو تعرف من أنا قال لا قال أنا فلان بن فلان مجنون بنى عجل أصرع فى كل يوم مرتين قال فضحك الحجاج منه وأمر له بصلة . وقال رجل لصاحب منزل أصلح خشب هذا السقف فانه يتقعقع قال لا تخف فانه يسبح قال إنى أخاف أن تدركه رقة فيسجد . وقالت عجوز لزوجها أما تستحي أن تزني ولك حلال طيب قال أما حلال فنعم وأما طيب فلا . وقال ملك لوزيره ماخير ما يرزقه العبد قال عقل يعيش به قال فان عدمه قال أدب يتحلى به قال فان عدمه قال مال يستره قال فان عدمه قال فصاعقة تحرقه وتريح منه العباد والبلاد . وتنبأ رجل فى زمن المنصور فقال له المنصور أنت نبي سفلة فقال جعلت فداك كل نبي يبعث إلى شكله (ومن الاجوبة المسكتة المستحسنة) ما ذكر أن إبراهيم مغني الرشيد غنى يوما بين يديه فقال له أحسنت أحسن الله إليك فقال يا أمير المؤمنين إنما يحسن الله إلى بك فأمر له بمائة ألف درهم . وقال رجل لبعض العلوية أنت بستان فقال العلوى وأنت النهر الذى يسقى منه البستان . وذبحت عائشة رضى الله تعالى عنها شاة وتصدقت بها وأبقت منها كتفا فقال لها النبي ﷺ ماعندك منها فقالت ما بقى منها إلا الكتف فقال كلها بقى إلا الكتف وقال عبد الله بن يحيى لأبى العيناء كيف الحال قال أنت الحال فانظر كيف أنت لنا فأمر له بمال جزيل وأحسن صلته وكان عمرو بن سعد بن سالم فى حرس المأمون ليلة فخرج المأمون يتفقد الحرس فقال لعمرو من أنت قال عمرو عمرك الله بن سعد أسعدك الله بن سالم سلمك الله قال أنت تكلؤه الليلة قال الله يكلؤك يا أمير المؤمنين وهو خير حافظا وهو أرحم الراحمين فقال المأمون

إن أخا الهيجاء من يسعى معك ... ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ريب الزمان صدعك ... شتت فيك شمله ليجمعك

ادفعوا إليه أربعة آلاف دينار قال عمرو وددت لو أن الأبيات طالت وقال المعتصم للفتح بن خاقان وهو صبي صغير أرأيت يا فتح أحسن من هذا الفص لفص كان فى يده قال نعم يا أمير المؤمنين اليد التى هو فيها أحسن منه فأعجبه جوابه وأمر له بصلة وكسوة . وقيل ان رجلا سأل العباس رضى الله عنه أأنت أكبر أم رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ أكبر وأنا ولدت قبله وقال معاوية لسعيد بن مرة الكندى أأنت سعيد قال أمير المؤمنين السعيد وأنا ابن مرة وقال المأمون للسيد بن أنس أأنت السيد قال أمير المؤمنين السيد وأنا ابن أنس وقال الحجاج للمهلب وهو يماشيه أأنا أطول أم أنت قال الأمير أطول وأنا أبسط قامة أراد الطول وهو الفضل والأجوبة بهذا المعنى كثيرة لو تتبعتها لعجزت عنها ولكنى اقتصرت على هذا وأوجزت وفيما ذكرته من ذلك كفاية وأسأل الله تعالى العون والعناية

(الباب التاسع فى ذكر الخطب والخطباء والشعر والشعراء وسرقاتهم وكبوات الجياد وهفوات الأمجاد) قيل خطب المأمون فقال اتقوا الله عباد الله أنتم فى مهل بادروا الاجل ولا يغرنكم الأمل فكأنى بالموت قد نزل فشغلت المرء شواغله وتولت عنه فواضله وهيئت أكفانه وبكاه جيرانه وصار إلى التراب الخالى بجسده البالى فهو فى التراب عفير وإلى ما قدم فقير . وقال الشعبى ماسمعت أحدا يخطب إلا تمنيت أن يسكت مخافة أن يخطىء ماخلا زيادا فانه لايزداد إكثارا الا ازداد

معاوية ألم قل لكم انكم لا تنتصفون منه فوالله لقد أظلم على البيت حتى قام فليس فيكم بعد اليوم خير انتهى

(ومن غريب النقل) أن شريك بن الاعور دخل على معاوية وهو يختال فى مشيته فقال له معاوية والله انك لشريك وليس لله من شريك وانك ابن الاعور والصحيح خير من الاعور وانك لدميم والوسيم خير من الدميم فبم سودك قومك فقال له شريك والله انك لمعاوية وما معاوية الا كلبة عوت فاستعوت فسميت معاوية وانك ابن حرب والسلم خير من الحرب وانك ابن صخر والسهل خير من الصخر وانك ابن أمية وما أمية إلا أمة صغرت فسميت أمية فكيف صرت أمير المؤمنين فقال له معاوية أقسمت عليك الا ما خرجت عنى

(نكتة لطيفة) اتفق أن الملك المعظم عزم على الصيد فقال له بعض جماعته يا مولانا ان القمر فى العقرب والسفر فيه مذموم والمصلحة أن تصبر إلى أن ينزل القمر القوس فعزم على الصبر فبينما هو مفكر إذ دخل عليه مملوك له من أحسن الناس وجها فوقف

احسابا (وخطب) على رضى الله عنه فقال فى خطبته عباد الله الموت الموت ليس منه فوت إن أقمتم أخذكم وإن فررتم منه أدرككم الموت معقود بنواصيكم فالنجا النجا والوحا الوحا فإن وراءكم طالبا حثيثا وهو القبر ألا وإن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ألا وإنه يتكلم فى كل يوم ثلاث كلمات فيقول أنا بيت الظلمة أنا بيت الوحشة أنا بيت الديدان ألا وإن وراء ذلك اليوم يوما أشد منه يوما يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير وتذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ألا وإن وراء ذلك اليوم يوما أشد منه فيه نار تتسعر حرها شديد وقعرها بعيد وحليها حديد وماؤها صديد ليس لله فيها رحمة قال فبكى المسلمون بكاء شديدا ثم قال ألا وإن وراء ذلك اليوم جنة عرضها كعرض السموات والأرض أعدت للمتقين أدخلنا الله وإياكم دار النعيم وأجارنا وإياكم من العذاب الأليم (وخطب) الحجاج بن يوسف فقال فى بعض خطبه إن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن رضى الله عنه خطب بالبصرة فقال أيها الناس كل كلام فى غير ذكر فهو لغو وكل صمت فى غير فكر فهو سهو والدنيا حلم والآخرة يقظة والموت متوسط بينهما ونحن فى أضغاث أحلام ٭ قيل اجتمع الناس عند معاوية وقام الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قوم الكراهة فقام رجل من الخطباء من عذرة يقال له يزيد بن المقنع فاخترط من سيفه شبرا ثم قال أمير المؤمنين هذا وأشار إلى معاوية ثم قال فان يهلك فهذا وأشار إلى يزيد ثم قال فمن أبى فهذا وأشار إلى سيفه فقال له معاوية أنت سيد الخطباء (فصل) فى ذكر الشعر والشعراء وسرقاتهم قيل ما استدعى شارد الشعر بمثل الماء الجارى والشرف العالى والمكان الخضر الخالى وقيل أمسك على النابغة الجعدى أربعين يوما فلم ينطق بالشعر ثم ان بنى جعدة غزوا فظفروا فاستخفه الطرب والفرح فرام الشعر فذل له ما استصعب عليه فقال له قومه والله لنحن باطلاق لسان شاعرنا أسر منا بالظفر بعدونا ٭ وقال أبو نواس ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة منهن الخنساء وليلى فما ظنك بالرجال وقال الخليل الشعراء أمراء الكلام يتصرفون فيه كيف شاؤا جائز لهم فيه ما لا يجوز لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده ومن تسهيل اللفظ وتعقيده وقيل وفد زياد بن عبد الله على معاوية فقال له أقرأت القرآن قال نعم قال أفرضت الفريض قال نعم قال أرويت الشعر قال لا فكتب إلى عبد الله أبا زياد بارك الله لك فى ابنك فأروه الشعر فقد وجدته كاملا وإنى سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول أرووا الشعر فانه يدل على محاسن الاخلاق وينهى عن مساويها وتعلموا الأنساب فرب رحم مجهولة قد وصلت بشعر فان النسب وتعلموا من النجوم ما يدلكم على سبلكم فى البر والبحر ولقد هممت بالهرب يوم صفين فما ثبتنى إلا قول القائل

أقول لها إذا جشأت وجاشت ... مكانك تحمدى أو تستريحى

وقيل لم يرقط أعلم بالشعر والشعراء من خلف الأحمر كان يعمل الشعر على ألسنة الفحول من القدماء فلا يتميز عن مقولهم ثم تنسك فكان يختم القرآن كل يوم وليلة وبذل له بعض الملوك مالا جزيلا على أن يتكلم فى بيت من الشعر شكوا فيه فأبى ٭ وكان الحسن بن على رضى الله عنه يعطى الشعراء فقيل له فى ذلك فقال خير مالك ما وقيت به عرضك ٭ وقال أبو الزناد ما رأيت أروى للشعر من عروة قلت له ما أرواك يا أبا عبد الله فقال وما روايتى مع رواية عائشة رضى الله عنها ما كان ينزل بها شىء إلا أنشدت فيه شعرا وكان رسول الله ﷺ يتمثل بقول القائل ٭ كفى الإسلام والشيب للمرء ناهيا ٭ ولم ينطق به موزونا فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه أشهد أنك رسول الله حقا وتلا قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له (ولنذكر نبذة من سرقات الشعراء وسقطاتهم) فمن

أمامه وقد توشح بقوس فقال له بعض الحاضرين باقة ياه ولا نا اركب فى هذه الساعة فهذا القمر قد حل فى القوس حقيقة فقام لوقته وركب استبشارا بالقول فلم ير أطيب من تلك السفرة ولا أكثر من صيدها (ومن غرائب المقول) ما حكى إسحق النديم عن أبيه قال استأذنت الرشيد أن يهب لى يوما من الجمعة لأنبسط فيه بجوارى وإخوانى فأذن لى فى يوم السبت وقال هو يوم استثقله فاله فيه بما شئت قال فأقمت يوم السبت بمنزلى وتقدمت لاصلاح طعامى وشرابى وأمرت بوابى باغلاق الباب وأن لا يأذن لأحد من الناس فبينما أنا فى مجلسى والحريم قد حففن بى إذا أنا بشيخ عليه هيبة وجمال وعلى رأسه قلنسوة وبيده عكازة مقمعة بالفضة وروائح الطيب تفوح منه فداخلنى لدخوله على مع ما قدمت من الوصية غيظ عظيم وهممت بطرد بوابى ومن يحجبنى لأجله فسلم على أحسن سلام فرددت عليه وأمرته بالجلوس فجلس وجعل يقص على من أيام العرب وأشعارها حتى سكن ما بى وظننت أن غلمانى قصدوا مسرتى بادخاله على لظرفه وأدبه فقلت له هل لك فى الطعام فقال لا حاجة لى به فقلت هل لك فى الشراب

(ذلك) قول قيس بن الخطيم وهو شاعر الأوس وشجاعها

وما المال والأخلاق إلا معارة　　فما اسطعت من معروفها فتزود

كيف يخفى ما أخذه مع اشتهار قصيدة طرفة بن العبد وهى معلقة على الكعبة يقول فيها

لعمرك ما الأيام إلا معارة　　فما اسطعت من معروفها فتزود

(ومن ذلك) يقول عبدة بن الطبيب

فما كان قيس هلكه هلك واحد　　ولكنه بنيان قوم تهدما

أخذه من قول امرىء القيس : فلو أنها نفس تموت شريتها　　ولكنها نفس تساقط أنفسا

ويقال من سرق شيئا واسترقه فقد استحقه وهو أن يسرق الشاعر المعنى دون اللفظ ثم السرقة الفاضحة قول كثير فى عبد الملك بن مروان　　إذا ما أراد الغزو لم يثن همه　　حصان عليها عقد در يزينها

أخذه من قول الحطيئة ولم يغير سوى الروى

إذا ما أراد الغزو لم يثن همه　　حصان عليها لؤلؤ وشنوف

وجرير على سعة تبحره وقدرته على غرر الشعر وابتكار الكلام نقل قوله :

فلو كان الخلود بفضل قوم　　على قوم لكان لنا الخلود

من قول زهير وهو شعر مشهور يحفظه الصبيان وترويه النسوان وهو

فلو كان حمد يخلد المرء لم يمت　　ولكن حمد المرء مالم يخلد

وقد قال الشماخ　　وأمر ترجى النفس ليس بنافع　　وآخر تخشى ضيره لا يضيرها

وهو مأخوذ من قول الآخر　　ترجى النفوس الشيء لا تستطيعه　　وتخشى من الأشياء ما لا يضيرها

وأبو تمام مع قوته وقدرته على الكلام يقول :

وأحسن من نور يفتحه الصبا　　بياض العطايا فى سواد المطالب

أخذه من قول الأخطل :　　رأيت بياضا فى سواد كأنه　　بياض العطايا فى سواد المطالب

ومن سقطات الشعراء ما قيل إن أبا العتاهية كان مع تقدمه فى الشعر كثير السقط روى أنه لقى محمد بن مبادر بمكة فمازحه وضاحكه ثم إنه دخل على الرشيد فقال يا أمير المؤمنين هذا شاعر البصرة يقول قصيدة فى كل سنة وأنا أقول فى كل سنة مائتى قصيدة فأدخله الرشيد اليه وقال ما هذا الذى يقول أبو العتاهية فقال يا أمير المؤمنين لو كنت أقول كما يقول　　ألا يا عتبة الساعة　　اموت الساعة الساعة

لقلت كثيرا ولكنى أقول　　ابن عبد الحميد يوم توفى　　هد ركنا ما كان بالمهدود

مادرى نعشه ولا حاملوه　　ما على النعش من عفاف وجود

فأعجب الرشيد قوله وأمر له بعشرة آلاف درهم فكاد أبو العتاهية يموت غما وأسفا وكان بشار بن برد يسمونه أبا المحدثين ويسلمون له فى الفضيلة والسبق وبعض أهل اللغة يستشهد بشعره ومع ذلك قال :

انما عظم سليمى حبتى　　قصب السكر لا عظم الجمل

وإذا قرب منها بصل　　غلب المسك على ريح البصل

هذا مع قوله : إذا قامت لمشيتها تثنت　　كأن عظامها من خيزران

ومع قوله فى الفخر : كأن مثار النقع فوق رؤوسنا　　وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ومع قوله أيضا :　　إذا انت لم تشرب مرارا على القذى　　ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

وأبو الطيب المتنبى فى فضله المشهور وأخذه بزمام الكلام وقوته على رقائق المعانى وعلى ما فى شعره من الحكم والأمثال السائرة يقول :

فقال ذاك اليك قال فشربت رطلا وسقيته مثله فقال يا أبا إسحق هل لك فى أن تغنى وتسمع منك ما فقت به على العام والخاص قال فغاظنى منه ذلك ثم سهلت الأمر على نفسى وأخذت العود وضربت وغنيت فقال احسنت يا إبراهيم فازددت غيظا وقلت ما رضى بما فعله حتى سمانى باسمى ولم يحسن مخاطبتى ثم قال هل لك فى أن تزيدنا وتكافئك قال فتقدمت وأخذت العود وضربت وغنيت وتحفظت وقمت بما غنيته قياما تاما فطرب وقال أحسنت ياسيدى ثم قال أتأذن لعبدك فى الغناء فقلت شأنك واستضعفت عقله كيف سولت له نفسه أن يغنى بحضرتى بعد ما سمعه منى فأخذ العود وجسه فوالله لقد خلته ينطق بلسان عربى واندفع يغنى

ولى كبد مقروحة من يبيعنى　　بها كبدا ليست بذات قروح

أباها على الناس لا يشترونها　　ومن يشترى ذا علة بصحيح

قال إبراهيم فوالله لقد ظننت أن الحيطان والأبواب وكل ما فى البيت تجيبه وتغنى معه وبقيت مبهوتا لا أستطيع الكلام ولا الحركة لما خالط قلبى ثم غنى ألا ياحمامات اللوى الأبيات فكاد يذهب عقلى طربا ثم قال إبراهيم خذ هذا الغناء

وضاقت الأرض حتى صارهاربهم إذا رأى غير شىء ظنه رجلا

وغير شىء معناه المعدوم والمعدوم لايرى فهذا سعط فاحش ، ومما يستهجن من قوله وتكاد أن تمجه الأسماع قوله :

تقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا قلاقل عيش كلهن قلاقل

وقوله وقد جمع بين قبح اللفظ وبرودة المعنى

ان كان مثلك كان أوهو كائن فبرئت حينئذ من الاسلام

ومن معانيه المسروقة قوله ونهب نفوس أهل النهب أولى بأهل المجد من نهب القماش

أخذه من قول أبى تمام ان الأسود أسود الغاب همتها يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب

قال أبو عبد الله الزبيرى أجتمع راوية جرير وراوية كثير وراوية جميل وراوية الأحوص وراوية نصيب فافتخر كل منهم وقال صاحبى أشعر فحكموا السيدة سكينة بنت الحسين رضى الله تعالى عنهما بينهم لعقلها وبصرها بالشعر فخرجوا حتى استأذنوا عليها وذكروا لها أمرهم فقالت لراوية جرير أليس صاحبك الذى يقول :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعى بسلام

وأى ساعة أحلى من الزيارة بالطروق قبح الله صاحبك وقبح شعره فهلا قال فادخلى بسلام ثم قالت لراوية كثير أليس صاحبك الذى يقول

يقر بعينى ما يقر بعينها وأحسن شىء ما به العين قرت

وليس شىء أقر بعينها من النكاح أيحب أن ينكح قبح الله صاحبك وقبح شعره ثم قالت لراوية جميل أليس صاحبك الذى يقول

فلو تركت عقلى معى ماطلبتها ولكن طلابيها لما فات من عقلى

فما أراه هوى وإنما طلب عقله قبح الله صاحبك وقبح شعره ثم قالت لراوية نصيب أليس صاحبك الذى يقول

أهيم بدعد ماحييت فان أمت فواحزنى من يهيم بها بعدى

فماله همة الا من يتعشقها بعده قبحه الله صاحبك وقبح شعره هلا قال :

أهيم بدعد ماحييت فان أمت فلا صلحت دعد لذى خلة بعدى

ثم قالت لراوية الأحوص أليس صاحبك الذى يقول

من عاشقين تواعدا وتراسلا ليلا إذا نجم الثريا حلقا

باتا بأنعم ليلة وألذها حتى إذا وضح الصباح تفرقا

قبحه الله وقبح شعره هلا قال تعانقا فلم تثن على واحد منهم وأحجم رواتهم عن جوابها رضى الله

(وروى) ابن الكلبى قال لما أفضت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز وفدت اليه الشعراء كما كانت تفد على الخلفاء من قبله وأقاموا ببابه أياما لايؤذن لهم فى الدخول حتى قدم عدى بن أرطاة عليه وكان منه بمكانة فتعرض له جرير وقال

يا أيها الرجل المزجى مطيته هذا زمانك إنى قد خلا زمنى

أبلغ خليفتنا ان كنت لاقيه أنى لدى الباب كالمشدود فى قرن

لاتنس حاجتنا لاقيت مغفرة قد طال مكثى عن أهلى وعن وطنى

فقال نعم يا عبد الله فلما دخل على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال يا أمير المؤمنين الشعراء ببابك وأسنتهم منسومة وسهامهم صائبة فقال عمر رضى الله عنه مالى وللشعراء فقال يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ مدح فاعطى وفيه أسوة لكل مسلم قال صدقت فمن بالباب منهم قال ابن عمك عمر بن

بين عينى فارتعت وقمت إلى السيف فجردته ثم غدوت نحو الأبواب وقلت للجوارى أى شىء سمعتن . قلن سمعنا أحسن غناء فخرجت متحيرا إلى باب الدار فوجدته مغلقا فسألت البواب عن الشيخ فقال أى شيخ والله مادخل اليك اليوم أحد من الناس فرجعت لأتأمل أمرى فاذا به قد هتف من بعض جوانب الدار فقال لابأس عليك يا أبا إسحق أنا إبليس وقد اخترت منادمتك فى هذا اليوم فلا ترتع فركبت على الفور إلى الرشيد وأتحفته بهذه الطرفة فقال ويحك اعتبر الأصوات التى أخذتها عنه فأخذت العود فاذا هى راسخة فى صدرى فطرب الرشيد وأمرلى بصلة وقال ليته متعنا يوما واحدا كما أمتعك فإن أبا الفرج الأصبهانى هكذا حدثنا ابن أبى الأزهر وما أدرى ما أقول فيه (ويضارع هذا ما أورده ابن خلكان فى ترجمة ابن دريد) قال أبو بكر محمد بن الحسين ابن دريد سقطت من منزلى فانكسر بعض أعضائى فسهرت ليلتى

فلما كان آخر الليل غمضت عينى فرأيت رجلا طويلا أصفر الوجه كوسجا دخل على وأخذ بعضادتى

أى

أبي ربيعة القرشي قال لاقرب الله قرابته ولاحيا وجهه أليس هو القائل

ألا لتني أني يوم تدنو منيتي شممت الذي ما بين عينيك والفم وليت طهوري كان ريقك كله
وليت حنوطي من مشاشك والدم ويا ليت سلمى في القبور ضجيعتي هنالك أوفي جنة أو جهنم

فليت عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا ثم يعمل عملا صالحا والله لايدخل على أبدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال جميل بن معمر العذري قال أليس هو القائل

ألا ليتنا نحيا جميعا فان نمت يوافي لدى الموتى ضريحي ضريحها . فما أنا في طول الحياة براغب
إذا قيل قدسوى عليها صفيحها أظل نهاري لاأراها وتلتقي مع الليل روحي في المنام وروحها

والله لايدخل على أبدا فمن بالباب غيره فمن ذكرت قال كثير عزة قال أليس هو القائل

رهبان مدين والذين عهدتهم يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها خروا لعزة ركعا وسجودا

أبعده الله فوالله لايدخل على أبدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال الأحوص الانصاري قال أبعده الله والله لادخل على أبدا أليس هو القائل وقد أفسد على رجل من أهل المدينة جاريته حتى هرب بها منه

الله بيني وبين سيدها يفر مني بها وأتبعه

فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال همام بن غالب الفرزدق قال أليس هو القائل يفتخر بالزنا في قوله

هما دلتاني من ثمانين قامة كما انقض باز لين الريش كاسره
فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا أحي فيرجى أم قتيل نحاذره
فقلت ارفعوا الاحراس لايفطنوا بنا ووليت في أعقاب ليل أبادره

والله لادخل على أبدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال الاخطل التغلبي أليس هو القائل

ولست بصائم رمضان عمري ولست بآكل لحم الأضاحي ولست بزاجر عيسا بكورا
إلى أطلال مكة بالنجاح ولست بقائم كالعبد يدعو قبيل الصبح حي على الفلاح
ولكني سأشربها شمولا وأسجد عند منبلج الصباح

أبعده الله على فوالله لادخل على أبدا ولا وطيء لي بساطا وهو كافر فمن بالباب غيره من الشعراء ممن ذكرت قال جرير قال أليس هو القائل

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام

فان كان ولابد فهذا فأذن له قال عدي بن ارطاة فخرجت فقلت ادخل ياجرير فدخل وهو يقول

ان الذي بعث النبي محمدا جعل الخلافة في الإمام العادل وسع الخلائق عدله ووقاره
حتى ارعووا وأقام ميل المائل اني لأرجو منه نفعا عاجلا والنفس مولعة بحب العاجل
والله أنزل في الكتاب فريضة لابن السبيل وللفقير العائل

فلما مثل بين يديه قال ياجرير اتق الله ولاتقل الا حقا فأنشأ يقول

كم باليمامة من شعثاء أرملة ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر ممن يعدك تكفي فقد والده
كالفرخ في العش لم يدرج ولم يطر أأذكر الجهد والبلوى التي نزلت أم قد كفاني ما بلغت من خبري
إنا لنرجوا اذا ما الغيث أخلفنا من الخليفة مانرجو من المطر ان الخلافة جاءته على قدر
كما أتى ربه موسى على قدر هذي الأرامل قد قضيت حاجتها فمن لحاجة هذا الارمل الذكر
الخير مادمت حيا لايفارقنا بوركت ياعمر الخيرات من عمر

فقال والله ياجرير لقد وافيت الآمر ولا أملك إلا ثلاثين دينارا فعشرة أخذها عبد الله وعشرة

الباب وقال أنشدني أحسن ماقلت في الخمر فقلت ماترك أبو نواس لأحد شيئا في هذا الباب فقال انا أشعر منه فقلت ومن أنت قال أبو ناجية من أهل الشام وأنشدني

وحمراء قبل المزج صفراء بعده
بدت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا
عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

فقلت له أسأت قال ولم قلت لأنك قلت وحمراء فقدمت الحمرة ثم قلت نرجس وشقائق فقدمت الصفرة، فقال ماهذا الاستقصاء في هذا الوقت يابغيض وأبو ناجية من كنى إبليس * قال قاضي القضاة شمس الدين ابن محمد خلكان في تاريخه وفي رواية أخرى أن الشيخ أبا علي الفارسي قال انشدني ابن دريد هذين البيتين وقالا جاءني إبليس في امتثال ثم ذكر بقية الكلام الخ (ونقل) ابن خلكان وغيره أن أبا بكر بن فريعة قاضي السندية وغيرها من أعمال بغداد كان من عجائب الدنيا في سرعة البديهة بالأجوبة عن جميع مايسئل عنه في أفصح لفظ وأملح سجع وكان مختصا بحضرة الوزير أبي محمد المهلبي ومنقطعا اليه وله مسائل وأجوبة مدونة في أيدي الناس وكان رؤساء ذلك العصر والعلماء والفضلاء يداعبونه

أخذتها أم عبد الله ثم قال لخادمه ادفع اليه العشرة الثالثة فقال والله يا أمير المؤمنين انها لأحب مال كسبته ثم خرج فقال له الشعراء ماوراءك ياجرير فقال ورائى مايسوءكم خرجت من عند أمير يعطى الفقراء ويمنع الشعراء وانى عنه لراض ثم انشأ يقول

رايت رقى الشيطان لاتستفزه وقد كان شيطانى من الجنّ راقيا

(ومما جاء فى كبوات الجياد وهفوات الامجاد)

قال الاحنف الشريف من عدت سقطاته وقلت عثراته وقالوا كل صارم ينبو وكل جواد يكبو وكان الاحنف بن قيس حليما سيدا يضرب به المثل وقد عدت له سقطة وهو أن عمرو بن الاهتم دس اليه رجلا يسفهه فقال يا أبا بحر ماكان أبوك فى قومه قال كان أوسطهم وسيدهم ولم يتخلف عنهم فرجع اليه ثانيا ففطن أنه من قبل عمرو بن الاهتم فقال ماكان أبوك قال كانت له فتوة ومروءة ومكارم اخلاق ولم يكن أهتم سلاحا وقال سعيد بن المسيب مافاتنى الاذان فى مسجد رسول الله ﷺ منذ اربعين سنة ثم قام يريد الصلاة فوجد الناس قد خرجوا من المسجد وقال قتادة مانسيت شيئا قط ثم قال غلام ناولنى نعلى قال النعل فى رجلك وكان هاشم بن عبد الملك من رجال بنى أمية ودهاتهم وقد عدت له سقطات منها ان الحادى حدا به يوما قال

إنى عليك أيها النجى أكرم من يمشى به المطى

فقال هشام صدقت وذكر عنده سليمان واخوه فقال والله لأشكونه يوم القيامة إلى أمير المؤمنين عبد الملك ولما ولى الخلافة قال الحمد لله الذى انقذنى من النار بهذا المقام قال النابغة أى الرجال المهذب وصلى الله على سيدنا وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب العاشر فى التوكل على الله تعالى والرضا بما قسم والقناعة وذم الحرص والطمع وما أشبه ذلك وفيه فصول)

(الفصل الاول فى التوكل على الله تعالى) قال الله تعالى وتوكل على الحى الذى لا يموت وقال تعالى وعلى ربهم يتوكلون وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير رواه مسلم قيل معناه متوكلون وقيل قلوبهم رقيقة وعن البراء بن عازب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتعود بطانا وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام ياداود من دعانى أجبته ومن استغاثنى أغثته ومن استنصرنى نصرته ومن توكل على كفيته فأنا كافى المتوكلين وناصر المستنصرين وغياث المستغيثين ومجيب الداعين (حكى) أنه كان فى زمن هرون الرشيد قد حصل للناس غلاء سعر وضيق حال حتى اشتدت الكروب على الناس اشتدادا عظيما فأمر الخليفة هرون الرشيد الناس بكثرة الدعاء والبكاء وأمر بكسر آلات الطرب فنى بعض الأيام رؤى عبد يصفق ويرقص ويغنى فحمل إلى الخليفة هرون الرشيد فسأله عن فعله ذلك من دون الناس فقال إن سيدى عنده خزانة بر وأنا متوكل عليه أن يطعمنى منها فلهذا أنا إذا لا أبالى فأنا ارقص وافرح فعندذلك قال الخليفة إذا كان هذا قد توكل على مخلوق مثله فالتوكل على الله أولى فسلم للناس أحوالهم وأمرهم بالتوكل على الله تعالى (وحكى) أن حاتما الاصم كان رجلا كثير العيال وكان له أولاد ذكور واناث ولم يكن يملك حبة واحدة وكان قدمه التوكل فجلس ذات ليلة مع أصحابه يتحدث معهم فتعرضوا الذكر الحج فداخل الشوق قلبه ثم دخل على أولاده فجلس معهم يحدثهم ثم قال لهم لو أذنتم لابيكم أن يذهب إلى بيت ربه فى هذا العام حاجا ويدعو لكم ! فقالت زوجته وأولاده

الوزير المذكور يغرى به جماعة يضعون له المسائل الهزلية من معان شتى من النوادر (فمن ذلك) ما كتب اليه بعض الفضلاء على سبيل الامتحان ما يقول القاضى أيده الله تعالى فى رجل سمى ولده مداما وكناه أبا الندامى وسمى ابنته الراح وكناها ام الأفراح وسمى عبده الشراب وكناه أبا الاطراب وسمى وليدته القهوه وكناها أم النشوة أينهى عن بطالته أم يؤدب على خلاعته (فكتب تحت السؤال) لو نعت هذا لأبى حنيفة لأقعده خليفة وعقد له راية وقاتل تحتها من خالف رايه ولو علمنا مكانه لقبلنا أركانه فان أتبع هذه الأسماء أفعالا وهذه الكنى استعمالا علمنا أنه أحيا دولة المجون وأقام لواء ابن الزرجون فبايعناه وشايعناه وان تكن أسماء سماها ماله بها من سلطان خلعنا طاعته وفرقنا جماعته فنحن إلى إمام فعال أحوج منا إلى إمام قوال (وكتب اليه العباس الكاتب) ما يقول القاضى وفقه الله تعالى فى يهودى زنى بنصرانية فولدت له ولدا جسمه للبشر ووجهه للبقر وقد قبض عليهما فما يرى القاضى فيهما (فكتب تحت سؤاله بديها)

انت

وهذا من أكبر الشهود على الملا بين اليهود فانهم أشربوا حب العجل فى صدورهم حتى خرج من أيودهم وأرى أن يناط رأس اليهودى
برأس العجل ويصاب على عنق النصرانية مع الرجل ويسحبان على الأرض وينادى عليهما ظلمات بعضها فوق

أنت على هذه الحالة لا تملك شيئا ونحن على ماترى من الفاقة فكيف تريد ذلك ونحن بهذه الحالة وكان له ابنة صغيرة فقالت ماذا عليكم لو أذنتم له ولا يهمكم ذلك دعوه يذهب حيث شاء فانه مناول للرزق وليس برزاق فذكرتهم ذلك فقالوا صدقت والله هذه الصغيرة ياأبانا انطلق حيث احببت فقام من وقته وساعته وأحرم بالحج وخرج مسافرا واصبح أهل بيته يدخل عليهم جيرانهم يوبخونهم كيف أذنوا له بالحج وتأسف على فراقه أصحابه وجيرانه فجعل أولاده يلومون تلك الصغيرة ويقولون لو سكت ماتكلمنا فرفعت الصغيرة طرفها إلى السماء وقالت إلهي وسيدي ومولاي عودت القوم بفضلك وانك لاتضيعهم فلا تخيبهم ولا تخجلني معهم فبينماهم على هذه الحالة إذ خرج أمير البلدة متصيدا فانقطع عن عسكره وأصحابه فحصل له عطش شديد فاجتاز ببيت الرجل الصالح حاتم الاصم فاستسقى منهم ماء وقرع الباب فقالوا من أنت قال الامير ببابكم يستسقيكم فرفعت زوجة حاتم رأسها إلى السماء وقالت الهي وسيدي سبحانك البارحة بتنا جياعا واليوم يقف الامير على بابنا يستسقينا ثم انها أخذت كوزا جديدا وملأته ماء وقالت للمتناول منها اعذرنا فأخذ الامير الكوز وشرب منه فاستطاب الشرب من ذلك الماء فقال هذه الدار لأمير فقالوا لا والله بل لعبد من عباد الله الصالحين يعرف بحاتم الاصم فقال الامير لقد سمعت به فقال الوزير ياسيدي لقد سمعت انه البارحة أحرم بالحج وسافر ولم يخلف لعياله شيئا وأخبرت أنهم البارحة باتوا جياعا فقال الامير ونحن أيضا قد ثقلنا عليهم اليوم وليس من المروءة أن يثقل مثلنا على مثلهم ثم حل الامير منطقته من وسطه ورمى بها فى الدار ثم قال لاصحابه من أحبنى فليلق منطقته فحل جميع أصحابه مناطقهم ورموا بها اليهم ثم انصرفوا فقال الوزير السلام عليكم أهل البيت لآتينكم الساعة بثمن هذه المناطق فلما نزل الامير رجع اليهم الوزير ودفع اليهم ثمن المناطق مالا جزيلا واستردها منهم فلما رأت الصبية الصغيرة ذلك بكت بكاء شديدا فقالوا لها ماهذا البكاء انما يجب أن تفرحى فان الله قد وسع علينا فقالت يا أ[illegible] والله انما بكائى كيف بتنا البارحة جياعا فنظر الينا مخلوق نظرة واحدة فأغنانا بعد فقرنا فالكريم الخالق إذا نظر إلينا لا يكلنا إلى أحد طرفة عين اللهم انظر إلى أبينا ودبره بأحسن التدبير وهذا ما كان أمرهم * وأما ما كان من أمر حاتم ابيهم فانه لما خرج محرما ولحق بالقوم توجع امير الركب فطلبوا له طبيبا فلم يجدوا فقال هل من عبد صالح فدل على حاتم فلما دخل عليه وكلمه دعا له فعوفى الامير من وقته فأمر له بما يركب وما يأكل وما يشرب فنام تلك الليلة مفكرا فى أمر عياله فقيل له فى منامه ياحاتم من أصلح معاملته معنا أصلحنا معاملتنا معه ثم اخبر بما كان من أمر عياله فأكثر الثناء على الله تعالى فلما قضى حجه ورجع تلقته أولاده فعانق الصبية الصغيرة وبكى ثم قال صغار قوم كبار آخرين إن الله لا ينظر إلى أكبركم ولكن ينظر إلى أعرفكم به فعليكم بمعرفته والاتكال عليه فانه من توكل على الله فهو حسبه . ومن كلام الحكماء من أيقن أن الرزق الذى قسم له لا يفوته تعجل الراحة ومن علم أن الذى قضى عليه لم يكن ينظر إلى أعرفكم استراح من الجزع ومن علم ان مولاه خير له من العباد فقصده كفاه همه وجمع شمله وفى الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كنت عند النبى ﷺ يوما فقال ياغلام إنى أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الأمة لو اجتمعت على أن تنفعك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن تضرك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الصحف وجفت الأقلام (ورفع) إلى الرشيد ان بدمشق

بعض والسلام

{ نادرة لطيفة } ولما خرج أبو جعفر المنصور يريد الحج بالناس قال لعيسى بن موسى الهادى انت تعلم ان الخلافة صائرة إليك وأريد ان اسلم لك عمى وعمك عبد الله بن على فخذه واقتله إياك أن تجبن فى امره ثم مضى المنصور إلى الحج وكتب إليه من الطريق يستحثه على ذلك فكتب إليه قد انفذت امر امير المؤمنين وكان الأمر بخلاف ذلك فلم يشك أبو جعفر انه قتله ودعا عيسى بن موسى كاتبه يونس فقال له إن المنصور دفع إلى عمه وامرنى بقتله فقال له يريد أن يقتلك به فانه أمرك بذلك سرا ويدعى به عليك علانية والرأى أن تستره فى منزلك ولا تطلع عليه أحدا فان طلبه منك علانية دفعته اليه علانية ولا تدفعه اليه سرا أبدا ففعل ذلك وقدم المنصور فدس على عمومته من يحركهم أن يسألوا المنصور ان يهب لهم اخاهم عبد الله ففعلا ذلك وكلموه فأجاب وقال نعم على بعيسى ابن موسى فأتاه فقال يا عيسى كنت دفعت إليك عمى وعمك عبد الله قبل خروجى إلى الحج وامرتك ان يكون فى منزلك مكرما قال قد فعلت ذلك قال قد كلمنى فيه عمومتك فرأيت الصفح عنه

فأتى به قال ياأمير المؤمنين ألم تأمرني بقتله قال لا بل أمرتك بحبسه عندك ثم قال المنصور لعمومته هذا أقر لكم بقتل حكم وادعى
انى أمرته بذلك وقد كذب قالوا فادعه الينا نقتله قال شأنكم فأخرجوه إلى صحن الدار واجتمع الناس واشتهر الأمر فقام
أحدهم وشهر سيفه وتقدم إلى عيسى ليضربه فقال عيسى لا تعجلوا فان عمي حي ردوني إلى أمير المؤمنين فردوه اليه فقال ياأمير المؤمنين انما أردت بقتله قتلي هذا عمك حي ان امرتني بدفعه اليوم دفعته قال ائتنا به فأتى به فجعله في بيت فسقط عليه فمات وكان المنصور قد وضع في أساس البيت ملحا لما شرع في عمارته وأعده لهذا المعنى ولما جلس فيه عمه أجرى الماء في أساس البيت سرا بحيث لا يشعر به أحد فذاب الملح وسقط البيت وركب المنصور بعد موت عمه وفي خدمته عباس بن المتوفى وكان يباسطه في كل وقت فقال له المنصور وهو يحادثه هل تعرف ثلاثة في أول أسمائهم عين قتلوا ثلاثة في أول أسمائهم عين قال لا اعرف الا ما تقول العامة ياأمير المؤمنين أن عليا قتل عثمان وكذبوا والله وعبد الملك بن مروان قتل عبد الله بن الزبير وسقطت البيت على عم أمير المؤمنين قال فضحك المنصور وقال إذا سقط
البيت على عمي فما ذنبي قال قلت مالك ذنب يا أمير المؤمنين وقتل عبد الله كان بسبب البيعة التي تقدمت له مع السفاح وشرحها يطول انتهى (ونقلت من خط قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان ما صورته)

كامل

رجلا من بني أمية عظيم المال والجاه كثير الخيل والجند يخشى على المملكة منه وكان الرشيد يومئذ بالكوفة قال منارة خادم الرشيد فاستدعاني الرشيد وقال اركب الساعة إلى دمشق وخذ معك مائة غلام وائتني بفلان الاموي وهذا كتابي إلى العامل لا توصله له الا إذا امتنع عليك فاذا أجاب فقيده وعادله بعد أن تحصي جميع ما تراه وما يتكلم به واذكر لي حاله وماله وقد اجلتك لذهابك ستا ولمجيئك ستا ولاقامتك يوما افهمت قلت نعم قال فسر على بركة الله فخرجت اطوي المنازل ليلا ونهارا ولا انزل الا للصلاة أو لقضاء حاجة حتى وصلت ليلة السابع باب دمشق فلما فتح الباب دخلت قاصدا نحو دار الاموي فاذا هي دار عظيمة هائلة ونعمة طائلة وخدم وحشم وهيبة ظاهرة وحشمة وافرة ومصاطب متسعة وغلمان فيها جلوس فهجمت على الدار بغير اذن فبهتوا وسألوا عني فقيل لهم ان هذا رسول أمير المؤمنين فلما صرت في وسط الدار رأيت اقواما محتشمين فظننت ان المطلوب فيهم فسألت عليه فقيل لي هو في الحمام فأكرموني وأجلسوني وامروا بمن معي ومن صحبني إلى مكان آخر وانا اتفقد الدار واتأمل الاحوال حتى اقبل الرجل من الحمام ومعه جماعة كثيرة من كهول وشبان وحفدة وغلمان فسلم علي وسألني عن أمير المؤمنين فأخبرته انه بعافية فحمد الله تعالى ثم احضرت له أطباق الفاكهة فقال تقدم يامنارة كل معنا فتأملت كثيرا اذ لم يكلمني فقلت ما آكل فلم يعاودني ورأيت مالم أره إلا في دار الخلافة ثم قدم الطعام فوالله ما رأيت احسن ترتيبا ولا اعطر رائحة والاكثر آنية منه فقال تقدم يامنارة فكل قلت ليس لي به حاجة فلم يعاودني ونظرت إلى اصحابي فلم أجد احدا منهم عندي فحرت لكثرة حفدته وعدم من عندي فلما غسل يديه احضر له البخور فتبخر ثم قام فصلى الظهر فاتم الركوع والسجود واكثر من الركوع بعدها فلما فرغ استقبلني وقال ما اقدمك يامنارة فناولته كتاب أمير المؤمنين فقبله ووضعه على رأسه ثم فضه وقرأه فلما فرغ من قراءته استدعى جميع بنيه وخواص اصحابه وغلمانه وسائر عياله فضاقت الدار بهم على سعتها فطار عقلي وما شككت انه يريد القبض علي فقال الطلاق يلزمه والحج والعتق والصدقة وسائر ايمان البيعة لا يجتمع منكم اثنان في مكان واحد حتى ينكشف امرهم ثم أوصاهم على الحريم ثم استقبلني وقدم رجليه وقال هات يامنارة قيودك فدعوت الحداد فقيده وحمل حتى وضع في المحمل وركبت معه في المحمل وسرنا فلما صرنا في ظاهر دمشق ابتدأ يحدثني بانبساط ويقول هذه الضيعة لي تعمل كل سنة بكذا وكذا وهذا البستان لي وفيه من غرائب الأشجار وطيب الثمار كذا وكذا وهذه المزارع يحصل لي منها كل سنة كذا وكذا فقلت ياهذا الست تعلم ان أمير المؤمنين اهمه امرك حتى انفذني خلفك وهو بالكوفة ينتظرك وأنت ذاهب اليه ما تدري ما تقدم عليه وقد أخرجتك من منزلك ومن بين أهلك ونعمتك وحيدا فريدا وأنت تحدثني حديثا غير مفيد ولا نافع لك ولا سألتك عنه وكان شغلك بنفسك أولى بك فقال إنا لله وإنا إليه راجعون لقد اخطأت فراستي فيك يامنارة ما ظننت انك عند الخليفة بهذه المكانة الا لوفور عقلك فاذا أنت جاهل عامي لا تصلح لمخاطبة الخلفاء اما خروجي على ما ذكرت فاني على ثقة من ربي الذي بيده ناصيتي وناصية أمير المؤمنين فهو لا يضر ولا ينفع الا بمشيئة الله تعالى فان كان قد قضى علي بأمر فلا حيلة لي بدفعه ولا قدرة لي على منه وان لم يكن قد قدر علي بشيء فلو اجتمع أمير المؤمنين وسائر من على وجه الأرض على أن يضروني لم يستطيعوا ذلك الا باذن الله تعالى ومالي ذنب فأخاف وانما هذا واش وشى عند أمير المؤمنين ببهتان وأمير المؤمنين

كامل العقل فإذا طلع على براءتي فهو لا يستحل مضرتي وعلى عهد الله لاكلمتك بعدها الاجوابا ثم أعرض عني وأقبل على التلاوة ومازال كذلك حتى وافينا الكوفة بكرة اليوم الثالث عشر وإذا النجب قد استقبلتنا من عند أمير المؤمنين تكشف عن أخبارنا فلما دخلت على الرشيد قبلت الأرض فقال هات يامنارة أخبرني من يوم خروجك عني إلى يوم قدومك علي فابتدأت أحدثه بأموري كلها مفصلة والغضب يظهر في وجهه فلما انتهيت إلى جمعه لاولاده وغلمانه وخواصه وضيق الدار بهم وتفقدي لاصحابي فلم أجد منهم أحدا اسود وجهه فلما ذكرت يمينه عليهم تلك الإيمان المغلظة تهلل وجهه فلما قلت أنه قدم رجليه اصفر وجهه واستبشر فلما أخبرته بحديثي معه في ضياعه وبساتينه وما قلت له وما قال لي قال هذا رجل محسود على نعمته ومكذوب عليه وقد أزعجناه وأرعبناه وشوشنا عليه وعلى أولاده وأهله أخرج اليه وانزع قيوده وفكه وأدخله على مكرما ففعلت فلما دخل قبل الأرض فرحب به أمير المؤمنين وأجلسه واعتذر اليه فتكلم بكلام فصيح فقال له أمير المؤمنين سل حوائجك فقال سرعة رجوعي إلى بلدي وجمع شملي بأهلي وولدي قال هذا كائن فسل غيره قال عدل أمير المؤمنين في عماله ما أحوجني إلى سؤال قال فخلع عليه أمير المؤمنين ثم قال يامنارة اركب الساعة معه حتى ترده إلى المكان الذي أخذته منه قم في حفظ الله وودائعه ورعايته ولا تقطع أخبارك عنا وحوائجك فانظر إلى حسن توكله على خالقه فانه من توكل عليه كفاه ومن دعاه لباه ومن سأله أعطاه ما تمناه وروى أن هذه التكلمات وجدها كعب الاحبار مكتوبة في التوراة فكتبها وهي يا ابن آدم لاتخافن من ذي سلطان مادام سلطاني باقيا وسلطاني لا ينفد أبدا يا ابن آدم لا تخش من ضيق الرزق مادامت خزائني ملآنه وخزائني لا تنفد أبدا يا ابن آدم لا تأنس بغيري وأنا لك فان طلبتني وجدتني وأن أنست بغيري فتك وفاتك الخير كله يا ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب وقسمت رزقك فلا تتعب وفي أكثر منه فلا تطمع ومن أقل منه فلا تجزع فان أنت رضيت بما قدمته لك أرحت قلبك وبدنك كنت عندي محمودا وان لم ترض بما قسمته لك فوعزتي وجلالي لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش في البر ولا ينالك منها الا ماقد قسمته لك وكنت عندي مذموما يا ابن آدم خلقت السموات السبع والأرضين السبع ولم أعي بخلقهن أيعييني رغيف أسوقه لك من غير تعب يا ابن آدم أنا لك محب فبحقي عليك كن محبا يا ابن آدم لا تطالبني برزق غد كما لا أطالبك بعمل غد فاني لم أنس من عصاني فكيف من أطاعني وأنا على كل شيء قدير وبكل شيء محيط (قال الشاعر)

ما ثم الا الله في كل حالة … فلا تتكل يوما على غير لطفه
فكم حالة تأتي ويكرهها الفتى … وخيرته فيها على رغم أنفه

ولمؤلفه رحمه الله تعالى:

توكل على الرحمن في الامر كله … فما خاب حقا من عليه توكلا
وكن واثقا بالله واصبر لحكمه … تفز بالذي ترجوه منه تفضلا

(الفصل الثاني في القناعة والرضا بما قسم الله تعالى) جاء في تفسير قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة أن المراد بها القناعة وقال ﷺ القناعة مال لا ينفد وقيل يارسول الله ماالقناعة قال الاياس عما في أيدي وإياكم والطمع فانه الفقر الحاضر وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه من القناعة بالجانب الاوفر وانه كان يشتهي الشيء فيدافعه قال الكندي

العبد حر ما قنع … والحر عبد ماطمع

نقلت من خط القاضي كمال الدين بن العديم من مسودة تاريخه أن ابن الدقاق البلنسي الشاعر المشهور كان يسهر الليل ويشتغل بالأدب وكان أبوه حدادا فقيرا فلامه وقال ياولدي نحن فقراء ولا طاقة لنا بالزيت الذي تسهر عليه فاتفق أنه برع في العلم والأدب وقال الشعر وعمل في أبي بكر ابن عبد العزيز صاحب بلنسية قصيدة مطربة أولها

يا شمس خدر مالها مغرب … وبدر تم قط لا يحجب

وقال منها

ناشدتك الله نسيم الصبا … أين استقرت بعد نازينب
لم تسر إلا بشذا عرفها … أو لا فماذا النفس الطيب

فأطلق له ثلثمائة دينار فجاء إلى أبيه وهو جالس في حانوته منكب على صنعته فرضعها في حجره وقال خذ هذه وابتع بها زيتا انتهى (ح) حكي عن عبد العزيز بن الفضل قال خرج القاضي أبو العباس أحمد بن عمر بن شريح وأبو بكر بن داود وأبو عبد الله نفطويه إلى وليمة فأفضى بهم الطريق إلى مكان ضيق فأراد كل منهم تقديم صاحبه عليه فقال ابن شريح ضيق الطريق يورث سوء الادب فقال ابن داود لكنه تعرف به مقادير الرجال فقال نفطويه إذا استحكمت المودة بطلت التكاليف وحكي عن شريح جد أبي العباس المشهور بالصلاح الوافر انه كان عجميا لا يعرف بلسان العرب شيئا فاتفق له انه رأى الباري عز وجل في النوم فحادثه وقال ياشريح طلبكن فقال يا خدادي سار بسار وهذا لفظ اعجمي معناه بالعربي يا شريح اطلب فقال يارب رأسا برأس

كما يقال رضيت أن أخلص رأسا برأس (ومن لطائف المنقول) أنه كان بالعقبة ظاهر دمشق المحروسة خان تجمع فيه أسباب الملاذ ويتفق فيه من الفسوق والفجور مالا يحد ولا يوصف فرجع ذلك إلى أبي الفتح موسى بن أبي بكر العادل ابن أيوب الملقب بالأشراف فهدمه وعمره جامعا وسماه الناس جامع التوبة كأنه تاب إلى الله وأناب مما كان فيه وجرت في خطابته نكتة لطيفة وهي أنه كان بمدرسة الشام التي خارج البلد إمام يعرف بالجمال قيل أنه كان في زمان صباه يلعب بشيء من الملاهي وهي التي تسمى الجفانة ولما كبر حسنت طريقته وعاشر العلماء وأهل الصلاح حتى صار معدودا في الاخيار فلما احتاج الجامع المذكور إلى خطيب رشح جانبه للخطابة لكثرة الثناء عليه فتولاها فلما توفي تولى بعده العماد الواسطي الواعظ وكان متهما باستعمال الشراب وكان صاحب دمشق يومئذ الملك الصالح عماد الدين اسمعيل بن العادل أيوب فكتب اليه الجمال عبد الرحيم المعروف بابن رونيبة أبياتا وهي هذه

يا مليكا أوضح الـ ... سحق لدينا وأبانه
جامع التوبة قد حمـ ... لني منه أمانه
قال قل للملك الصا ... لح أعلى الله شأنه
يا عماد الدين يا من ... حمد الناس زمانه
كم إلى كم انا في يو ... م من وضر وإهانة
لي خطيب واسطي ... يعشق الشرب ديانه
والذي قد كان من قبـ ... لي يغني بجفانه
فكما نحن وما زلـ ... نا ولا أبرح خانه

وقال بشر بن الحرث خرج فتى في طلب الرزق فبينما هو يمشي فأعيا فأوى إلى خراب يستريح فيه فبينما هو يدير بصره إذ وقعت عيناه على أسطر مكتوبة على حائط فتأملها فإذا هي :

إني رأيتك قاعدا مستقبلي ... فعلمت أنك للهموم قرين
هون عليك وكن بربك واثقا ... فأخو التوكل شأنه التهوين
طرح الأذى عن نفسه في رزقه ... لما تيقن أنه مضمون

قال فرجع الفتى إلى بيته ولزم التوكل وقال اللهم أدبنا أنت قال الجاحظ إنما خالف الله تعالى بين طبائع الناس ليوفق بينهم في مصالحهم ولولا ذلك لاختاروا كلهم الملك والسياسة والتجارة والفلاحة وفي ذلك بطلان المصالح وذهاب المعايش فكل صنف من الناس مزين لهم ما هم فيه فالحائك إذا رأى من صاحبه تقصيرا أو خلفا قال ويلك يا حجام والحجام إذا رأى مثل ذلك من صاحبه قال ويلك يا حائك لجعل الله تعالى الاختلاف سببا للائتلاف فسبحانه من مدبر قادر حكيم ألا ترى إلى البدوي في بيت من وقطمه حيث معهد بعظام الجيف كلبه معه في بيته لباسه شملة من وبر أو شعر ودواؤه بعر الابل وطيبه القطران وبعر الظباء وحلي زوجته الودع وثماره المقل وصيده اليربوع وهو في مفازة لا يسمع فيها إلا صوت بومة وعواء ذئب وهو قانع بذلك مفتخر به وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه يا بني إذا طلبت الغنى فاطلبه في القناعة فانها مالا ينفد وإياك والطمع فانه فقر حاضر وعليك باليأس فانك لم تيأس من شيء الا أغناك الله عنه وأصاب داود الطائي فاقة كبيرة فجاءه حماد بن أبي حنيفة رضي الله عنه بأربعمائة درهم من تركة أبيه وقال هي من مال رجل ما اقدم عليه أحدا في زهده وورعه وطيب كسبه فقال لو كنت اقبل من احد شيئا لقبلتها تعظيم الميت وإكراما للحي ولكني احب ان أعيش في عز القناعة وقال عيسى عليه الصلاة والسلام اتخذوا البيوت منازل والمساجد مساكن وكلوا من بقل البرية واشربوا من الماء القراح واخرجوا من الدنيا بسلام وانشد المبرد

ان ضن زيد بما في بطن راحته ... فالأرض واسعة والرزق مبسوط
ان الذي قدر الاشياء بحكمته ... لم ينس قاعدا والرحل محطوط

قال عبد الواحد بن زيد ما احسب ان شيئا من الاعمال يتقدم الصبر إلا الرضا ولا اعلم درجة ارفع من الرضا وهو رأس المحبة قيل له متى يكون العبد راضيا عن ربه قال إذا سرته المصيبة كما تسره النعمة وكان عبد الله مرزوق من ندماء المهدي فسكر يوما ففاتته الصلاة فجاءته جارية له بجمرة فوضعتها على رجله فانتبه مذعورا فقالت له إذا لم تصبر على نار الدنيا فكيف تصبر على نار الآخرة فقام فصلى الصلوات وتصدق بما يملكه وذهب يبيع البقل فدخل عليه فضيل وابن عيينة فاذا تحت رأسه لبنة وما تحت جنبه شيء فقالا له انه لم يدع أحد شيئا لله إلا عوضه الله منه بديلا فما عوضك عما تركت له قال الرضا بما انا فيه وقال الثوري ما وضع أحد يده في قصعة غيره إلا ذل له وقال الفضيل من رضي بما قسم الله له بارك الله له فيه وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول الشمس في الشتاء جلالي ونور القمر سراجي وبقل البرية فاكهتي وشعر الغنم لباسي ابيت حيث يدركني الليل ليس لي ولد يموت ولا بيت يخرب انا الذي كببت الدنيا على وجهها (بيت مفرد)

ان القناعة من يحلل بساحتها ... لم يلق في ظلها هما يؤرقه

(وقال) عيسى عليه الصلاة والسلام انظروا إلى الطير تغدو وتروح ليس معها شيء من أرزاقها لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها فان زعمتم انكم أكبر بطونا من الطير فهذه الوحوش والبقر والحمر لا تحرث تحصد

فحصد والله يرزقها ه وقيل وفد عروة بن أذينة على هشام بن عبد الملك فشكا إليه خلته فقال له ألست القائل

لقد علمت وما الاسراف من خلقى	ان الذى هو رزقى سوف يأتينى
أسعى إليه فيعيينى تطلبه	ولو قعدت أتانى ليس يعيينى

وقد جئت من الحجاز إلى الشام فى طلب الرزق فقال يا أمير المؤمنين لقد وعظت فأبلغت وخرج فركب ناقته وكر إلى الحجاز راجعا فلما كان من الليل نام هشام على فراشه فذكر عروة فقال فى نفسه رجل من قريش قال حكمة ووفد على فجبهته ورددته خائبا فلما أصبح وجه إليه بألفى دينار فقرع عليه الرسول باب داره بمدينة وأعطاه المال فقال أبلغ أمير المؤمنين منى السلام وقل له كيف رأيت قولى سعيت فأكديت فرجعت فأتانى رزقى فى منزلى ولما ولى عبد الله بن عامر العراق قصده صديقان له أنصارى وثقفى فلما سارا تخلف الانصارى وقال الذى أعطى ابن عامر العراق قادر على أن يعطينى ووفد الثقفى وقال احوز الحظين فلما دخل على عبد الله بن عامر قال له مافعل زميلك الانصارى قال رجع إلى أهله فأمر للثقفى بأربعة آلاف دينار وبعث إلى الانصارى بثمانية آلاف دينار فخرج الثقفى وهو يقول

فوالله ماحرص الحريص بنافع	فيغنى ولا زهد القنوع بضائر
خرجنا جميعا من مساقط روسنا	على ثقة منا بجود ابن عامر
فلما أنخنا الناجيات ببابه	تخلف عنى اليثربى ابن جابر
وقال ستكفينى عطية قادر	على مايشاء اليوم للخلق قاهر
فان الذى أعطى العراق ابن عامر	لربى الذى أرجو لعبد مفاقرى
فقلت خلالى وجهه ولعله	سيجعل لى حظ الفتى المتزاور
فلما رآنى سال عند صبابة	إليه كما حنت ظؤار الاباعر
فابت وقد أيقنت أن ليس نافعا	ولا ضائرا شيء خلاف المقادر

قيل أوحى الله تعالى إلى موسى صلوات الله وسلامه عليه أتدرى لم رزقت الاحمق قال لا يارب قال ليعلم العاقل أن طلب الرزق ليس بالاحتيال ولبعض العرب:

ولا تجزع إذا أعسرت يوما	فقد أيسرت فى الزمن الطويل
ولا تظنن بربك ظن سوء	فان الله أولى بالجميل
وإن العسر يتبعه يسار	وقول الله أصدق كل قيل
فلو أن العقول تسوق رزقا	لكان المال عند ذوى العقول

أوحى الله تعالى إلى يوسف عليه الصلاة والسلام انظر إلى الأرض فنظر إليها فانفجرت فرأى دودة على صخرة ومعها الطعام فقال له أترانى لم أغفل عنها وأغفل عنك وأنت نبى وابن نبى ودخل على بن أبى طالب رضى الله عنه المسجد وقال لرجل كان واقفا على باب المسجد أمسك على بغلتى فأخذ الرجل لجامها ومضى وترك البغلة فخرج على وفى يده درهمان ليكافئ بهما الرجل على امساكه بغلته فوجد البغلة واقفة بغير لجام فركبها ومضى ودفع لغلامه درهمين يشترى بهما لجاما فوجد الغلام اللجام فى السوق قد باعه السارق بدرهمين فقال على رضى عنه ان العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر ولا يزداد على ماقدر له وقيل لراهب من أين تأكل فأشار إلى فيه وقال الذى خلق هذه الرحى يأتيها بالطاحين وقال سليم بن المهاجر الجبلى

كسوت جميل الصبر وجهى فصانه	به الله عن غشيان كل بخيل
فما عشت لم آت البخيل ولم أقم	

زدنى للسعد الأول واستبق زمانه (ومن لطائف المنقول) أن بثينة وعزة دخلتا على عبد الملك بن مروان فانحرف إلى عزة وقال أنت عزة كثير قالت لكثير بعزة لكننى أم بكر قال أتروين قول كثير

قد زعمت انى تغيرت بعدها
ومن ذا الذى ياعز لا يتغير

قالت لست أروى هذا ولكننى أروى قوله

كأنى أنادى أو أكلم صخرة
من الصم لو تمشى بها العصم زلت

ثم انحرف إلى بثينة فقال أنت بثينة جميل قالت نعم يا أمير المؤمنين قال ما الذى رأى فيك جميل حتى لهج بذكرك من بين نساء العالمين قالت الذى رأى الناس فيك فجعلوك خليفة ثم قال فضحك حتى بدا له ضرس أسود ولم ير قبل ذلك وفضل بثينة على عزة فى الجائزة ثم أمرهما أن يدخلا على عاتكة فدخلتا عليها فقالت لعزة أخبرينى عن قول كثير

قضى كل ذى دين فوفى غريمه
وعزة ممطول معنى غريمها

ما كان دينه وما كنت وعدتيه قالت كنت وعدته قبلة ثم تأثمت منها فقالت عاتكة وددت أنك فعلت وأنا كنت تحملت اثمها عنك ثم ندمت عاتكة واستغفرت الله تعالى وأعتقت عن هذه الكلمة أربعين رقبة انتهى (ويعجبنى قول أسامة بن منقذ فى ابن طليب المصرى وقد احترقت داره)

انظر إلى الأيام كيف تسوقنا
قسرا إلى الاقرار بالاقدار

علي بابه يوما مقام ذليل   وان قليلا يستر الوجه أن يرى   إلى الناس مبذولا لغير قليل

وصلى معروف الكرخى خلف امام فلما فرغ من صلاته قال الإمام لمعروف من أين تأكل قال قليل اصبر حتى أعيد صلاتى التى صليتها خلفك قال وقال لأن من شك فى رزقه شك فى خالقه وقال أبو حازم مالم يكتب لى لو ركبت الريح ماأدركته وقال عمر بن أبي عمر اليونانى

غلا السعر فى بغداد من بعد رخصه   وانى فى الحالين بالله واثق
فلست خاف الضيف والله واسع   غناه ولا الحرمان والله رازق

وقال القهستانى   غنى بلادنيا عن الخلق كلهم   وان الغنى الاعلى عن الشيء لا به

وقال منصور الفقيه   الموت أسهل عندى   بين القنا والاسنة   والخيل تجرى سراعا   مقطعات الاعنة   من أن يكون لنذل   على فضل ومنه

(وأنشد أعرابى) أيامالك لاتسأل الناس والتمس   بكفيك فضل الله فالله أوسع
ولو تسأل الناس التراب لأوشكوا   إذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

وقال رجل لرسول الله ﷺ أوصنى قال عليك باليأس مما فى أيدى الناس وإياك والطمع فإنه فقر حاضر وقيل إذا وجدت الشيء فى السوق فلا تطلبه من صديقك وقيل لاعرابية من أين معاشكم قالت لولم نعش إلا من حيث نعلم لم نعش وقال أعرابى أحسن الأحوال حال يغبطك بها من دونك ولا يحرك معها من فوقك

وقال المعرى إذا كنت تبغى العيش فابغ توسطاً   فعند التناهى يقصر المتطاول
توقى البدور النقص وهى وهلة   ويدركها النقصان وهى كوامل

(وقال آخر) اقنع بايسر رزق أنت نائله   واحذر ولا تتعرض للارادات
فماصفا البحر إلا وهو منتقص   ولا تعكر إلا فى الزيادات

وقال أعرابى استظهر على الدهر بخفة الظهر قال هشام بن إبراهيم البصرى

وكم ملك جانبته عن كراهة   لإغلاق باب أو لتشديد حاجب
ولى فى غنى نفسى مراد ومذهب   إذا انصرفت عنى وجوه المذاهب

وقيل ينبغى أن يكون المرء فى دنياه كالمدعو إلى الوليمة ان أتته صحفة تناولها وإن لم تأته لم يرصدها ولم يطلبها وقال شقيق بن إبراهيم البلخى قال لى إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى اخبرنى عما أنت عليه قلت ان رزقت أكلت وإن منعت صبرت قال هكذا تعمل كلاب بلخ فقلت كيف تعمل أنت قال ان رزقت آثرت وإن منعت شكرت وقال بعضهم

هى القناعة فالزمها تعش ملكا   لو لم يكن منك إلا راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها   هل راح منها بغير القطن والكفن

وقال آخر) وإن القناعة كنز الغنى   فصرت بأذيالها عمتسك   فلاذا يرانى على بابه
ولاذا يرانى له منهمك   فصرت عينا بلا درهم   أمر على الناس شبه الملك

جاء فتح الموصلى إلى أهله بعد العتمة فلم يجد عندهم شيئا للعشاء ووجدتم سراج فجلس ليلته يبكى من الفرح ويقول بأى يد كانت منى تركت مثلى على هذه الحالة والله تعالى أعلم

(الفصل الثالث فى ذم الحرص والطمع وطول الامل) قال الله تعالى ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر

أقول وقد عاينت دار ابن صورة
وللنار فيها مارج يتضرم
كذا كل مال أصله من نهاوش
فما قليل فى نهابر يعدم
وماهو إلا كافر طال عمره
فجاءته لما استبطأته جهنم

قلت وهذه اللطائف تضارع قصة أبى الحسين الجزار مع بعض أهل الأدب بمصر وكان شيخا قد ظهر عليه جرب فالتطخ بالكبريت فلما سمع أبو الحسين الجزار بذلك كتب إليه

أيها السيد الأديب دعاء
من محب خال عن التكنيب
أنت شيخ وقد قربت من النار
فكيف ادهنت بالكبريت

(قيل) إن أبا القاسم الزعفرانى مدح الصاحب ابن عباد بقصيدة نونية وانتهى إلى قوله منها

وحاشية الدار يمشون فى ه
صنوف من الخز الا أنا

فقال الصاحب قرأت فى أخبار معن بن زائدة الشيبانى أن رجلا قال له احملنى أيها الأمير فأمر له بناقة وفرس وبغل وحمار وجارية ثم قال لو علمت أن الله سبحانه وتعالى خلق مركوبا غير هذا لحملتك عليه وقد أمرنا لك من الخز بجبة وقميص وعمامة ودراعة وسروال ومنديل ومطرف ورداء وكساء وجورب وكيس

ولو علمنا لباسا من الخز لأعطيناكه (وبلغ) حديث معن المذكور للعلاء بن أيوب فقال رحمه الله ابن زائدة لو كان يعلم أن الغلام يركب لأمرله به ولكنه كان عربيا خالصا لم يدنس (٧١) بقاذورت الاعاجم انتهى (قيل) أن بيوت الشعر اربعة فخر ومديح وهجاء وتسيب وكان جرير الحل شعراء الاسلام في الاربعة

(فالفخر قوله)

إذا غضبت عليك بنو تميم
حسبت الناس كلهم غضابا

(والمديح قوله)

ألستم خير من ركب المطايا
واندى العالمين بطون راح

(والهجاء قوله)

فغض الطرف انك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا

(والنسيب قوله)

ان العيون التي في طرفها حور
قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به
وهن أضعف خلق الله انسانا

(وقال أبو عبيدة) التقى جرير والفرزدق بمنى وهما حاجان فقال الفرزدق لجرير

فانك لاق بالمنازل من منى
فخارا فأخبرني بما انت فاخر

فقال لهم جرير بلبيك اللهم لبيك قال أبو عبيدة اصحابنا يستحسنون هذا الجواب من جرير ويعجبون منه (قيل) لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وفد الشعراء اليه واقاموا ببابه اياما لا يؤذن لهم فبينما هم كذلك اذ مر بهم رجاء بن حيوة وكان جليس عمر

وروى أن النبي ﷺ قرأ ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر قال يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من ملك الاما أكلت فأفنيت ولبست فأبليت وتصدقت فأمضيت وروى عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال ياعائشة إن أردت اللحوق بي فليكفك من الدنيا كزاد الراكب واياك ومجالسة الاغنياء ولا تستخلفي ثوبا حتى ترقعيه وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال صلاح أول هذه بالزهد واليقين وهلاك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل وقيل الحرص ينقص من قدر الانسان ولا يزيد في رزقه وقيل لحكيم ما بال الشيخ أحرص على الدنيا من الشباب قال لأنه ذاق من طعم الدنيا مالم يذقه الشاب وأحسن ما قال بعضهم

إذا طاوعت حرصك عبدا ... لكل دنيئة تدعى اليها

(وقال آخر وأجاد)

قد شاب رأسي ورأس الدهر لم يشب ... ان الحريص على الدنيا لفي تعب

وقيل للاسكندر ماسرور الدنيا قال الرضا بما رزقت منها قيل فاغمها قال الحرص عليها وقال الحسن لو رأيت الاجل ومروره لنسيت الامل وغروره وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه اشترى أسامة بن زيد وليدة بمائة دينار إلى شهر فسمعت رسول الله ﷺ يقول ألا تعجبون من اسامه اشترى إلى شهران اسامة لطويل الامل وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان نبي الله ﷺ يخرج فيبول ثم يمسح بالتراب فأقول ان الماء منك قريب فيقول مايدريني لعلي مابلغته وعن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه لايزال الكبير شابا في اثنين حب المال وطول الامل وقيل لمحمد بن واسع كيف تجدك قال قصير الاجل طويل الامل مسيء العمل وقيل من جرى في عنان امله كان عاثرا باجله لو ظهرت الآجال لافتضحت الآمال ولقد أحسن أبو العباس بن مروان في قوله

وذي حرص تراه يلم وفرا ... لوارثه ويدفع عن حماه
ككلب الصيد يمسك وهو طاو ... فريسته ليأكلها سواه

ولقد أحسن من قال في الاجناس الحقيق

إذا ما نازعتك النفس حرصا ... فأمسكها عن الشهوات أمسك
ولا تحرص ليوم أنت فيه ... وعد فرزق يومك رزق أمسك

ومن كلام الحكماء اياكم وطول الامل فان من ألهاه أمله أخزاه عمله فاعبد الصمد بن المعدل

ولي أمل قطعت به الليالي ... أراني قد فنيت به ودا ما

قال الحسن اياكم وهذه الأماني فانه لم يعط أحد بالأمنية خيرا قط في الدنيا ولا في الآخرة (وقال قيس ابن ساعده)

وما قد تولى فهو لاشك فائت ... فهل ينفعني ليتني ولعلني

(وقال آخر) ولا تتعلل بالاماني فانها ... عطايا احاديث النفوس الكواذب

(وقال آخر وأجاد) الله أصدق والأماني كاذبة ... وجل هذا المنى في الصدر وسواس

(وقال آخر) شط المزار بسعدى وانتهى الامل ... فلا خيال ولا رسم ولا طلل
الا رجاء فما ندري اندركه ... ام يستمر فيأتي دونه الاجل

(وقال أبو العتاهية) لقد لعبت وجد الموت في طلبي ... وان في الموت لي شغلا عن اللعب

لو شميت فكرتي فيما خلقت له — ما اشتد حرصي على الدنيا ولا طلبي

(وله أيضاً) تعالى الله يا سلم بن عمرو — أذل الحرص أعناق الرجال

هب الدنيا تقاد إليك عفوا — أليس مصير ذلك الزوال

(وقد ضمنت البيت الأخير فقلت)

أيا من عاش في الدنيا طويلا — وأفنى العمر في قيل وقال

وأتعب نفسه فيما سيفنى — وجمع من حرام أو حلال

هب الدنيا تقاد إليك عفوا — أليس مصير ذلك للزوال

(ومما جاء في الطمع وذمه) قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع وقال رضي الله عنه ما الخمر صرفا بأذهب لعقول الرجال من الطمع وفي الحديث إياك والطمع فإنه الفقر الحاضر وقال فيلسوف العبيد ثلاثة: عبد رق وعبد شهوة وعبد طمع وقال بعضهم من أراد أن يعيش حرا أيام حياته فلا يسكن قلبه الطمع وقيل اجتمع كعب وعبد الله بن كريمة فقال له كعب يا ابن سلام من أرباب العلم؟ قال الذين يعملون به قال فما أذهب العلم عن قلوب العلماء بعد أن علموه قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج إلى الناس ه واجتمع الفضل وسفيان وابن كريمة اليربوعي فتواصوا ثم افترقوا وهم مجمعون على أن أفضل الأعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقيل لما خلق الله آدم عليه السلام عجن بطينته ثلاثة أشياء الحرص والطمع والحسد فهي تجري في أولاده إلى يوم القيامة فالعاقل يخفيها والجاهل يبديها ومعناه أن الله تعالى خلق شهوتها فيه قال اسمعيل بن قطري القراطيسي

حسبي بعلمي أن نفع — ما الذل إلا في الطمع — من راقب الله نزع

عن سوء ما كان صنع — ما طار طير وارتفع — إلا كما طار وقع

(وقال سابق البربري)

يخادع ريب الدهر عن نفسه الفتى — سفاها وريب الدهر عنها يخادعه

ويطمع في سوف ويهلك دونها — وكم من حريص أهلكته مطامعه

وقيل لأشعب ما بلغ من طمعك قال أرى دخان جاري فأفت خبزي وقال أيضا ما رأيت رجلين يتساران في جنازة إلا قدرت أن الميت أوصى لي بشيء من ماله وما زفت عروس إلا كنست بيتي رجاء أن يغلطوا فيدخلوا بها إلي قال بعضهم

لا تخضعن على امرىء — لك مانع ما في يديه

واغضب على الطمع الذي — استدعاك تطلب ما لديه

والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الحادي عشر في المشورة والنصيحة والتجارب والنظر في العواقب)

قال الله تعالى لنبيه ﷺ وشاورهم في الأمر واختلف أهل التأويل في أمره بالمشاورة مع ما أمده الله تعالى من التوفيق على ثلاثة أوجه أحدها أنه أمره بها في الحرب ليستقر له الرأي الصحيح فيعمل عليه وهذا قول الحسن ثانيها أنه أمره بالمشاورة لما علم فيها من الفضل وهذا قول الضحاك ثالثها أنه أمره بمشاورتهم ليستن به المسلمون وإن كان في غنية من مشورتهم وهذا قول سفيان وقال ابن عيينة كان رسول الله ﷺ إذا أراد أمرا شاور فيه الرجال وكيف يحتاج إلى مشاورة المخلوقين من الخالق مدبر أمره ولكنه تعليم منه ليشاور الرجل الناس وإن كان عالما وقال عليه الصلاة والسلام

فلما رآه جرير داخلا قام إليه وأنشده

يا أيها الرجل المرخى عمامته — هذا زمانك فاستأذن لنا عمرا

فدخل عليه ولم يذكر له شيئا من أمرهم ثم مر بهم عدي بن أوطاة فقال جرير أبياتا آخرها قوله

لا تنس حاجتنا لقيت مغفرة — قد طال مكثي عن أهلي وأوطاني

قال فدخل عدي على عمر فقال يا أمير المؤمنين الشعراء ببابك وسهامهم مسمومة وأقوالهم نافذة قال ويحك يا عدي مالي وللشعراء قال أعز الله أمير المؤمنين إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتدح وأعطى ولك في رسول الله عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة قال كيف قال امتدحه العباس ابن مرداس السلمي فأعطاه حلة فقطع بها لسانه قال أوتروي من قوله شيئا قال نعم قوله

رأيتك يا خير البرية كلها — نشرت كتابا جاء بالحق معلما

شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا — عن الحق لما أصبح الحق مظلما

ونورت بالبرهان أمرا مدلسا — وأطفأت بالاسلام نارا تضرما

فمن مبلغ عني النبي محمدا — وكل امرىء يجزى بما كان قدما

أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه — وكان قديما ركنه قد تهدما

فقال عمر ويلك يا عدي من بالباب منهم قال عمر بن أبي ربيعة قال أليس هو الذي يقول

ثم نبهتها فمدت كعابا — طفلة ما تبين رجع الكلام

ما عاب

ساعة ثم لنها بعد قلت * ويلنا قد عجلت يا ابن الكرام * فلو كان عدو الله إذ فجر كتم على نفسه لكان استر له لا يدخل والله على ابدا فمن بالباب سواه قال الفرزدق قال أو ليس الذي يقول

ماخاب من استخار ولا ندم من استشار ولا افتقر من اقتصد وقال عليه الصلاة والسلام من أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل وكان يقال ما استنبط الصواب بمثل المشاورة وقال حكيم المشورة موكل بها التوفيق لصواب الرأي * وقال الحسن الناس ثلاثة فرجل رجل ورجل نصف رجل ورجل لا رجل فأما الرجل الرجل فذو الرأي والمشورة وأما الرجل الذي هو نصف رجل فالذي له رأي ولا يشاور وأما الرجل الذي ليس برجل فالذي له رأي ولا يشاور وقال المنصور لولده خذ عني اثنتين لا تقل في غير تفكير ولا تعمل بغير تدبير وقال الفضل المشورة فيها بركة واني لأستشير حتى هذه الحبشية الأعجمية وقال اعرابي لا مال أوفر من العقل ولا فقر أعظم من الجهل ولا ظهر أقوى من المشورة وقيل من بدأ بالاستخارة وثنى بالاستشارة لحقيق ان لا يخيب رأيه وقيل الرأي السديد أحمى من البطل الشديد (قال أبو القاسم النهروندي)

وما الف مطرور السنان مسدد ... بعارض يوم الروع رأيا مسددا

وقال علي رضي الله عنه خاطر من استغنى برأيه وسمع محمد بن داود وزير المأمون قول القائل:

إذ كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة ... فان فساد الرأي أن يترددا

فأضاف إليه قوله وإن كنت ذا عزم فانفذه عجلا ... فان فساد العزم ان يتقيدا

(ولمحمد بن إدريس الطائي) ذهب الصواب برأيه فكأنما ... آراؤه اشتقت من التأييد

فاذا دجا خطب تبلج رأيه ... صبحا من التوفيق والتسديد

(ولمحمد الوراق) ان اللبيب إذا تفرق أمره ... فتق الأمور مناظرا ومشاورا

وأخو الجهالة يستبد برأيه ... فتراه يعتسف الأمور مخاطرا

وقال الرشيد حين بدا له تقديم الأمين على المأمون في العهد

لقد بان وجه الرأي لي غير انني * عدلت عن الأمر الذي كان أحزما * فكيف يرد الدر في الضرع بعدما توزع حتى صار نهبا مقسما * أخاف التواء الأمر بعد استوائه * وان ينقض الحبل الدق كان ابرما

(وقال آخر) خليلي ليس الرأي في جنب واحد ... أشيرا على اليوم ما تريان

(ووصف) رجل عضد الدولة فقال وجه فيه ألف عين وفم فيه ألف لسان وصدر فيه ألف قلب وقال اردشير بن بابك أربعة تحتاج إلى أربعة الحسب إلى الأدب والسرور إلى الامن والقرابة إلى المودة والعقل إلى التجربة وقال لا تستحقر الرأي الجزيل من الرجل الحقير فان الدرة لا تستهان بها لهوان غائصها وقال جعفر بن محمد لا تكونن أول مشير وإياك والرأي الخير وتجنب ارتجال الكلام ولا تشيرن على مستبد برأيه ولا على متلون ولا على لجوج وقيل ينبغي أن يكون المستشار صحيح العلم مهذب الرأي فليس كل عالم يعرف الرأي الصائب وكم ناقد في شيء ضعيف في غيره قال أبو الاسود الدؤلي

وما كل ذي نصح بمؤتيك نصحه ... وما كل مؤت نصحه بلبيب

ولكن إذا ما استجمعا عند واحد ... فحق له من طاعة بنصيب

وكان اليونان والفرس لا يجمعون وزراءهم على أمر يستشيرونهم فيه وإنما يستشيرون الواحد منهم من غير ان يعلم الآخر به لمعان شتى منها لئلا يقع بين المستشارين منافسة فتذهب اصابة الرأي لأن من طباع المشتركين في الأمر التنافس والطعن من بعضهم في بعض وربما سبق احدهم بالرأي الصواب فحسدوه وعارضوه وفي اجتماعهم أيضا للمشورة تعريض السر للاذاعة فاذا كان كذلك وأذيع

هما دلياني من ثمانين قامة
كما انقض باز أقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا
أحي فيرجى أم قتيل نحاذره

لا يدخل على والله فمن بالباب سواه قال الأخطل قال يا عدي هو الذي يقول

ولست بصائم رمضان طوعا
ولست بآكل لحم الأضاحي
ولست بزاجر عيسا بكورا
إلى بطحاء مكة للنجاح
ولست بزائر بيتا عتيقا
بمكة أبتغي فيه صلاحي
ولست بقائم بالليل أدعو
قبيل الصبح حي على الفلاح
ولكني سأشربها شمولا
وأسجد عند منبلج الصباح

والله لا يدخل على وهو كافر أبدا فمن بالباب سوى من ذكرت قال الاحوص قال أليس الذي يقول

الله بيني وبين سيدها
يفر مني بها وأتبعه

فما هو بدون من ذكرت فمن هنا أيضا قال جميل بن معمر قال أليس هو الذي يقول

ألا ليتنا نحيا جميعا وان أمت
يوافق في الموتى ضريحي ضريحها

* فلو كان عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا ليعمل بعد ذلك صالحا لكان أصلح والله لا يدخل على أبدا فهل سوى من ذكرت أحد قال جرير قال اما هو الذي يقول طرقتك صائدة القلوب وليس ذا *

السرلم يقدر الملك على مقابلة من أذاعه للايهام فان عاقب الكل عاقبهم بذنب واحد وان عفا عنهم ألحق الجاني بمن لاذنب له وقيل إذا أشار عليك صاحبك برأى ولم تحمد عاقبته فلا تجعلن ذلك عليه لوما وعتابا بأن تقول أنت فعلت وأنت أمرتني ولولا أنت فهذا كله ضجر ولوم وخفة ٭ وقال أفلاطون إذا استشارك عدوك فجرد له النصيحة لأنه بالاستشارة قد خرج من عداوتك إلى موالاتك وقيل من بذل نصحه واجتهاده لمن لايشكره فهو كمن بذر فى السباخ قال الشاعر يمدح من له رأى وبصيرة

بصير بأعقاب الأمور كأنما   يخاطبه من كل أمر عواقبه

وقال ابن المعتز المشورة راحة لك وتعب على غيرك وقال الاحنف لاتشاور الجائع حتى يشبع ولا العطشان حتى يروى ولا الاسير حتى يطلق ولا المقل حتى يجد (ولما) أراد نوح بن مريم قاضى مروان أن يزوج ابنته استشار جارا له مجوسيا فقال سبحان الله الناس يستفتونك وأنت تستفتيني قال لابد أن تشير على قال ان رئيس الفرس كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الجمال ورئيس العرب كان يختار الحسب ورئيسكم محمد كان يختار الدين فانظر لنفسك بمن تقتدى وكان يقال من أعطى أربعا لم يمنع أربعا من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب وقيل إذا استخار الرجل ربه واستشار صحبه وأجهد رأيه فقد قضى ماعليه ويقضى الله تعالى فى أمره مايحب وقال بعضهم خمير الرأى خير من فطيره وتقديمه خير من تأخيره وقالت الحكماء لاتشاور معلما ولا راعى غنم ولا كثير القعود مع النساء ولا صاحب حاجة يريد قضاءها ولا خائفا ولا حاقنا وقيل سبعة لاينبغى لصاحب لب ان يشاورهم جاهل وعدو وحسود ومراء وجبان وبخيل وذى هوى فان الجاهل يضل والعدو يريد الهلاك والحسود يتمنى زوال النعمة والمرائى واقف مع رضا الناس والجبان من رأيه الهرب والبخيل حريص على جمع المال فلا رأى له فى غيره وذو الهوى أسير هواه فلا يقدر على مخالفته (وحكى) ان رجلا من أهل يثرب يعرف بالاسلمى قال ركبنى دين اثقل كاهلى وطالبنى به مستحقوه واشتدت حاجتى إلى ما لا بد منه وضاقت على الأرض ولم أهتد إلى ماأصنع فشاورت من أثق به من ذوى المودة والرأى فأشار على بقصد المهلب بن أبى صفرة بالعراق فقلت له تمنعنى المشقة وبعد الشقة وتيه المهلب ثم انى عدلت عن ذلك المشير إلى استشارة غيره فوالله ما زادنى على ماذكره الصديق الأول فرأيت ان قبول المشورة خير من مخالفتها فركبت ناقتى وصحبت رفقة فى الطريق وقصدت العراق فلما وصلت دخلت على المهلب فسلمت عليه وقلت له أصلح الله الامير انى قطعت اليك الدهناء وضربت اكباد الابل من يثرب فانه اشار على بعض ذوى الحجى والرأى بقصدك لقضاء حاجتى فقال هل أتيتنا بوسيلة أو بقرابة وعشيرة فقلت لا ولكنى رأيتك أهلا لقضاء حاجتى فان قمت بها فأهل لذلك أنت وإن يحل دونها حائل لم أذم يومك ولم أيأس من غدك فقال المهلب لحاجبه اذهب به وادفع إليه مافى خزانة مالنا الساعة فأخذنى معه فوجدت فى خزانته ثمانين ألف درهم فدفعها إلى فلما رأيت ذلك لم أملك نفسى فرحا وسرورا ثم عاد الحاجب به إليه مسرعا فقال هل ماوصلك بقوم بقضاء حاجتك فقلت نعم أيها الأمير وزيادة فقال الحمد لله على نجح سعيك واجتنائك جنى مشورتك وتحقق ظن من أشار عليك بقصدنا قال الاسلمى فلما سمعت كلامه وقد أحرزت صلته أنشدته وأنا واقف بين يديه

عمت عطاياك أهل الأرض قاطبة   فليس يحسن غير البذل والجود   يامن على الجود صاغ الله راحته

وفت الزيارة فارجعى بسلام ٭ فإن كان ولابد فهو الذى يدخل فلما مثل بين يديه قال ياجرير اتق الله ولا تقل إلا حقا فانشده قصيدته الرائية المشهورة التى منها

إنا لنرجوا إذا ما الغيث أخلفنا   من الخليفة مانرجو من المطر
نال الخلافة أو كانت له قدرا   كما أتى ربه موسى على قدر
هذى الأرامل قد قضيت حاجتها   فمن لحاجة هذا الأرمل الذكر ٭
الخير مادمت حيا لايفارقنا   بوركت ياعمر الخيرات من عمر

فقال ياجرير ماأرى لك فيما ههنا حقا قال بلى ياأمير المؤمنين إنى ابن سبيل ومنقطع فقال له ويحك ياجرير قد ولينا هذا الامر ولا نملك الا ثلثمائة درهم فمائة أخذها عبدالله ومائة اخذتها ام عبدالله ياغلام اعطه المائة الباقية قال فأخذها جرير وقال والله لهى أحب مال اكسبته ثم خرج فقال له الشعراء ماوراءك فقال مايسوءكم خرجت من عند خليفة يعطى الفقراء ويمنع الشعراء وإنى عليه لراض وأنشد

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه   وقد كان شيطانى من الجن راقيا

(ومن لطائف الظرف) ما حدث ابراهيم بن المهدى قال قال لى جعفر يوما انى استأذنت امير المؤمنين فى الخلوة غدا فهل انت مساعدى فقلت جعلت فداك أنا أسعد بمساعدتك وأسر بمحادثتك قال فبكر الا بكورا أنت

فانت والجود منحوتان من عود　　من استشار فباب النجح منفتح　　لديه فيما ابتغاه غير مردود

ثم عدت إلى المدينة فقضيت ديني ووسعت على أهلي وجازيت المشير علي وعاهدت الله تعالى أن لا أترك الاستشارة في جميع أموري ما عشت (وحكي) عن الخليفة المنصور أنه كان صدر من عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس أمور مؤلمة لا تحتملها حراسة الخلافة ولا تتجاوز عنها سياسة الملك فحبسه عنده ثم بلغه عن ابن عمه عيسى بن موسى بن علي وكان واليا على الكوفة ما فسد عقيدته فيه وأوحشه منه وصرف وجه ميله إليه عنه فتألم المنصور من ذلك وساء ظنه وتأرق جفنه وقل أمنه وتزايد خوفه وحزنه فقادته فكرته إلى أمر دبره وكتمه عن جميع حاشيته وستره واستحضر ابن عمه عيسى ابن موسى وأجراه على عادة اكرامه ثم أخرج من كان بحضرته وأقبل على عيسى وقال له يا ابن العم اني مطلعك على أمر لا أجد غيرك من أهله ولا أرى سواك مساعدا لي على حمل ثقله فهل أنت في موضع ظني بك وعامل ما فيه بقاء نعمتك التي هي منوطة ببقاء ملكي فقال له عيسى بن موسى أنا أمير المؤمنين ونفسي طوع أمره ونهيه فقال أن عمي وعمك عبد الله صدت بطانته واعتمد على بعضه يبيح دمه وفي قتله صلاح ملكنا فخذه إليك واقتله سرا ثم سلمه إليه وعزم المنصور على الحج مضمرا ان ابن عمه عيسى إذا قتل عمه عبد الله ألزمه القصاص وسلمه إلى أعمامه أخوة عبد الله ليقتلوه به قصاصا فيكون قد استراح من الاثنين عبد الله وعيسى قال عيسى فلما أخذت عمي وفكرت في قتله رأيت من الرأي أن أشاور في قضيته من له رأي أصيب الصواب في ذلك فأحضرت يونس بن فرة الكاتب وكان لي حسن ظن في رأيه وعقيدة صالحة في معرفته فقلت له أن أمير المؤمنين دفع إلى عمه عبد الله وأمرني بقتله وإخفاء أمره فما رأيك في ذلك وما تشير به فقال لي يونس أيها الأمير احفظ نفسك بحفظ عمك وعم أمير المؤمنين فإني ارى لك أن تدخله في مكان داخل دارك وتكتم أمره عن كل احد ممن عندك وتتولى بنفسك حمل طعامه وشرابه إليه وتجعل دونه مغالق وأبوابا وأظهر لأمير المؤمنين انك قتلته وأنفذت أمره فيه وانتهيا إلى العمل بطاعته فكأني به إذا تحقق منك انك فعلت ما أمرك به وقتلت عمه أمرك باحضاره على رؤوس الاشهاد فان اعترفت انك قتلته بامره انكر امره لك وآخذك بقتله وقتلك قال عيسى بن موسى فقبلت مشورة يونس وعملت بها واظهرت لأمير المؤمنين أني انفذت امره ثم حج المنصور فلما قدم من حجه وقد استقر في نفسه انني قد قتلت عمه عبد الله دس إلى عمومته اخوة عبد الله وحثهم على أن يسألوه في أخيهم ويستوهبوه منه فجاءوا إليه وقد جلس والناس بين يديه على مراتبهم فسألوه في عبد الله فقال نعم في حقوقكم تقتضي اسعافكم بحاجتكم كيف وفيها صلة رحم وإحسان إلى من هو في مقام الوالد ثم أمر بإحضار عيسى بن موسى فأحضر لوقته فقال يا عيسى كنت دفعت إليك قبل خروجي إلى الحج عمي عبد الله ليكون عندك في منزلك إلى حين رجوعي فقال عيسى قد فعلت يا أمير المؤمنين فقال المنصور قد سألني فيه عمومتك وقد رأيت الصفح عنه وقضاء حاجتهم وصلة الرحم باجابة سؤالهم فيه فأتنا به الساعة قال عيسى فقلت يا أمير المؤمنين ألم تأمرني بقتله والمبادرة إلى ذلك قال كذبت لم آمرك بذلك ولو اردت قتله لأسلمته إلى من هو بصدد ذلك ثم اظهر الغيظ وقال لعمومته قد أقر بقتل أخيكم مدعيا انني أمرته بقتله وقد كذب علي قالوا يا أمير المؤمنين فادفعه إلينا لنقتله به ونقتص منه فقال شأنكم به قال عيسى فأخذوني إلى الرحبة واجتمع الناس علي فقام واحد من عمومتي إلى سل سيفه ليضربني به فقلت له يا عم فاعل أنت قال أي والله

الغراب قال فأتيته عند الفجر فوجدت الشمعة بين يديه وهو ينتظرني للميعاد فصلينا ثم أفضينا إلى الحديث وقدم الطعام فأكلنا فلما غسلنا أيدينا خلعت علينا ثياب المنادمة ثم ضمخنا بالخلوق ومدت الستائر ثم إنه ذكر حاجة فدعا الحاجب فقال إذا أتى عبد الملك فائذن له يعني قهرمانا له فاتفق أن جاء عبد الملك بن صالح الهاشمي شيخ الرشيد وهو من جلالة القدر والورع والامتناع من منادمة أمير المؤمنين على أمر جليل وكان الرشيد قد اجتهد أن يشرب معه قدحا واحدا فلم يقدر عليه ترفعا لنفسه فلما رفع الستر وطلع علينا سقط في أيدينا وعلمنا أن الحاجب قد غلط بينه وبين عبد الملك القهرمان فأعظم جعفر ذلك وارتفاع له ثم قام اجلالا له فلما نظر إلى تلك الحال دعا غلامه فدفع إليه سيفه وعمامته ثم قال اصنعوا بنا ما صنعتم بأنفسكم قال فجاء إليه الغلمان فطرحوا عليه الثياب الحرير وضمخوه ودعى بالطعام فطعم وشرب ثلاثا ثم قال ليخفف عني فانه شيء ما شربته والله فتهلل وجه جعفر وفرح ثم التفت إليه فقال جعلت فداك بالغت في الخير والفضل فهل من حاجة تبلغ إليها قدرتي وتحيط بها نعمتي فاقضيها مكافأة لما صنعت قال بلى أن في قلب أمير المؤمنين على غضبا فتسأله الرضا عني فقال له جعفر قد رضي أمير المؤمنين عنك ثم قال وعلي عشرة آلاف دينار فقال هي حاضرة من مالي ومن مال أمير المؤمنين مثلها ثم قال وابني إبراهيم أحب أن أشد ظهره بصهر من أمير

المؤمنين قال فزوجه أمير المؤمنين ابنته العالية قال وأحب ان تخفق على رأسه الالوية قال قد ولاه أمير المؤمنين مصر فانصرف عبد الملك ابن صالح قال ابراهيم بن المهدى فبقيت متحيرا متعجبا من إقدام جعفر على أمير المؤمنين من غير استئذان وقلت عسى أن يجيبه فيما سأل من الرضا والمال والولاية ولكن من أطلق لجعفر أو لغيره تزويج بنات الرشيد فلما كان من الغد بكرت إلى باب الرشيد لارى ما يكون فدخل جعفر فلم يلبث حتى دعا بأبى يوسف القاضى وابراهيم بن عبد الملك ابن صالح فخرج ابراهيم وقد عقد نكاحه بالعالية بنت الرشيد وعقد له على مصر والرايات والألوية بين يديه وحملت البدر إلى منزل عبد الملك وخرج جعفر فأشار الينا فقال تعلقت قلوبكم بحديث عبد الملك فأحببتم علم آخره فلما دخلت على أمير المؤمنين ومثلت بين يديه قال كيف كان يومك ياجعفر فقصصت عليه القصة حتى بلغت الى دخول عبد الملك وكان متكئا فاستوى جالسا قال ايه والله أبوك فقال سألنى فى رضا أمير المؤمنين قال فبم أجبت قلت قد رضى أمير المؤمنين عنك قال قد رضيت ثم ماذا قلت وذكر أن عليه عشرة آلاف دينار قال فبم أجبته قلت قد قضاها أمير المؤمنين عنك قال قد قضيت قلت وذكر أنه راغب فى أن يشد ظهر ولده ابراهيم بصهر منك قال فبم أجبته ولماذا قلت قد زوجه أمير المؤمنين ابنته العالية قال قد أمضيت ذاك ثم ماذا لله أبوك قلت وذكر أنه يشتهى أن تخفق على رأسه

كيف لا قتلك وقد قتلت أخى فقال لهم لا تعجلوا وردونى إلى أمير المؤمنين فردونى إليه فقلت يا أمير المؤمنين إنما أردت قتلى بقتله والذى دبرته على عصمنى الله تعالى من فعله وهذا عمك باق حى سوى فان أمرتنى بدفعه إليهم دفعته الساعة فاطرق المنصور وعلم أن ريح فكره صادفت أعصارا وإن انفراده بتدبيره قارف خسارا ثم رفع رأسه وقال ائتنا به فمضى عيسى وأحضر عبدالله فلما رآه المنصور قال لعمومته أتركوه عندى وانصرفوا حتى أرى فيه رأيا قال عيسى فتركته وانصرفت وانصرف اخوته فسلمت روحى وزالت كربى وكان ذلك ببركة الاستشارة بيونس وقبول مشورته والعمل بها ثم ان المنصور أسكن عبد الله فى بيت أساسه قد بنى على الملح ثم أرسل الماء حوله ليلا فذاب الملح وسقط البيت فمات عبدالله ودفن بمقابر باب الشام وسلم عيسى من هذه المكيدة ومن سهام مراميها البعيدة

(ومما جاء فى النصيحة) اعلموا أن النصيحة للمسلمين وللخلائق أجمعين من سنن المرسلين قال الله تعالى اخباراً عن نوح عليه الصلاة والسلام ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون وقال شعيب عليه السلام ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين وقال صالح عليه السلام ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين وروى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يارسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامتهم. فالنصح لله هو وصفه بما هو أهله وتنزيهه عما ليس له بأهل والقيام بتعظيمه والخضوع له ظاهراً وباطناً والرغبة فى محابه والبعد عن مساخطه وموالاة من أطاعه ومعاداة من عصاه والجهاد فى رد العصاة إلى طاعته قولا وفعلا ، والنصيحة لكتابه إقامته فى التلاوة وتحسينه عند القراءة وتفهم ما فيه والذب عنه من تأويل المحدثين وطعن الطاعنين وتعليم ما فيه للخلائق أجمعين قال الله تعالى كتاب انزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب والنصيحة للرسول عليه السلام أحياء سنته بالطلب لها وأحياء طريقته فى بث الدعوى وتأليف الكلمة والتخلق بالأخلاق الطاهرة ، والنصيحة للأئمة ومعاونتهم على ما كلفوا القيام به بتنبيههم عند الغفلة وإرشادهم عند الهفوة وتعليمهم ما جهلوا وتحذيرهم ممن يريد بهم السوء واعلامهم بأخلاق عمالهم وسيرتهم فى الرعية وسد خلتهم عند الحاجة ورد القلوب النافرة اليهم ، والنصيحة لعامة المسلمين الشفقة عليهم وتوقير كبيرهم والرحمة لصغيرهم وتفريج كربهم وتوقى ما يشغل خواطرهم ويفتح باب الوسواس عليهم (واعلم أن جرعة النصيحة مرة لا يقبلها إلا أولوا العزم وقال ميمون بن مهران قال لى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قل لى فى وجهى ما أكره فان الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له فى وجهه ما يكره وفى منثور الحكم ردك من نصحك وقلاك من مشى فى هواك وقال أبو الدرداء رضى الله عنه ان شئتم لأنصحن لكم أن أحب عباد الله الى الله الذين يحببون الله تعالى الى عباده ويعملون فى الأرض نصحا ولورقة بن نوفل .

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم ۞ انى النذير فلا يغرركم أحد
لا شىء مما ترى تبقى بشاشته ۞ الا الإله ويردى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه ۞ والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

وقال بعض الخلفاء لجرير بن يزيد انى قد أعددتك لأمر قال يا أمير المؤمنين ان الله تعالى قد أعد لك منى قلبا معقوداً بنصيحتك ويداً مبسوطة لطاعتك وسيفا مجردا على عدوك وأنشد الاصمعى .

النصح أرخص ما باع الرجال فلا ۞ ترد على ناصح نصحا ولا تلم
ان النصائح لا تخفى مناهلها ۞ على الرجال ذوى الألباب والفهم

ولمعاذ بن مسلم :

نصحتك والنصيحة إن تعدت ... هوى المنصوح عزلها القبول

فخالفت الذي لك فيه حظ ... فنالك دون ما أملت غول

وقيل أشار فيروز بن حصين على يزيد بن المهلب أن لا يضع يده في يد الحجاج فلم يقبل منه وسار إليه فحبسه وحبس أهله فقال فيروز :

أمرتك أمرا حازما فعصيتني ... فأصبحت مسلوب الامارة نادما

أمرتك بالحجاج إذ أنت قادر ... فنفسك أول اللوم إن كنت لائما

فما أنا بالباكي عليك صبابة ... وما أنا بالداعي لترجع سالما

ويقال من اصفر وجهه من النصيحة أسود لونه من الفضيحة وقال طرفة

ولا ترفدن النصح من ليس أهله ... وكن حين تستغني برأيك غاليا

وإن امرأ يوما تولى برأيه ... فدعه يصيب الرشد أو يك غاويا

وفي مثله قال بعضهم

من الناس من إن يستشرك فتجتهد ... له الرأي يستغششك مالم تتابعه

فلا تمنحن الرأي من ليس أهله ... فلا أنت محمود ولا الرأي نافعه

والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الثاني عشر في الوصايا الحسنة والمواعظ المستحسنة وما أشبه ذلك ﴾

قال الله تعالى ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن وقال الله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وقال الله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات والآيات في ذلك كثيرة مشهورة وفوائدها جمة منشورة وروينا في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان . وقال شيخنا محيي الدين النووي رحمه الله تعالى عليه في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم أن هذه الآية الكريمة مما يغتر بها أكثر الجاهلين ويحملونها على غير وجهها بل الصواب في معناها أنكم إذا فعلتم ما أمرتم به لا يضركم ضلالة من ضل ومن جملة ما أمروا به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والآية مرتبة في المعنى على قوله تعالى ما على الرسول إلا البلاغ ، وقال محمد بن تمام الموعظة جند من جنود الله تعالى ومثلها مثل الطين يضرب به على الحائط إن استمسك نفع وإن وقع أثره ، ومن كلام علي رضي الله تعالى عنه وتكون ممن لا تنفعه الموعظة إلا إذا بالغت في إيلامه فان العاقل يتعظ بالأدب والبهائم لا تتعظ إلا بالضرب وأنشد الجاحظ

ليس يزجركم ما توعظون به ... والبهم يزجرها الراعي فتنزجر

وكتب رجل إلى صديق له أما بعد فعظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك واستح من الله بقدر قربه منك وخفه بقدر قدرته عليك السلام وقيل من كان له من نفسه واعظ كان له من الله حافظ وقال لقمان الموعظة تشق على السفيه كما يشق صعود الوعر على الشيخ الكبير. قيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام إنك إن أتيتني بعبد آبق كتبتك عندي ومن كتبته عندي حميدا لم أعذبه بعدها وقال الرشيد لمنصور ابن عمار عظني وأوجز فقال يا أمير المؤمنين هل أحد أحب إليك من نفسك قال لا قال ان أردت أن لا تسيء الى من تحب فافعل وقال النبي ﷺ في بعض خطبه أيها الناس الأيام تطوى والأعمار تفنى والأبدان في الثرى

ولده إبراهيم الأولية قال فبم أجبته قلت قد ولاه أمير المؤمنين مصر قال قد وليته فأحضر إبراهيم والقضاة والفقهاء وأتم له جميع ذلك من ساعته قال إبراهيم بن المهدي فوالله ما أدري أيهم أكرم وأعجب ما ابتداه عبد الملك من الموافقة وشرب الخمر ولم يكن شربها قط ولباسه ليس من لبسه من ثياب المنادمة أم أقدام جعفر على الرشيد بما أقدم امضاء الرشيد جميع ما حكم به جعفر عليه (ومن لطائف المنقول) ما حكى عن أبي معشر البلخي المنجم الإمام المصنف صاحب التصانيف المفيدة في علم النجوم قيل انه كان متصلا بخدمة بعض الملوك وان ذاك الملك طلب رجلا من أتباعه وأكابر دولته ليعاقبه بسبب جريمة صدرت منه فاستخفى وعلم أن أبا معشر يدل عليه بالطريقة التي يستخرج بها الخبايا والأشياء الكامنة فأراد أن يعمل شيئا حتى لا يهتدي اليه ويبعد عنه حديثه فأخذ لستا وجعل فيه دما وجعل في الدم هاون ذهب وقعد على الهاون أياما وتطلبه الملك وبالغ في الطلب فلما عجز عنه أحضر أبا معشر وطلب اظهاره فعمل المسألة التي يستخرج بها وسكت زمانا حائرا فقال له الملك ما سبب سكونك وحيرتك فقال أرى شيئا عجيبا فقال وما هو قال أرى الرجل المطلوب على جبل من ذهب والجبل في بحر من دم ولا أعلم في العالم موضعا على هذه الصفة فقال له أعد نظرك ففعل ثم قال ما أرى الا ما ذكرت هذا شيء ما وقع لي مثله فلما أيس الملك من تحصيله نادى في البلد بالأمان للرجل ولمن أخفاه فلما اطمأن الرجل ظهر وحضر بين

يدى الملك فسأله عن الموضع الذى كان فيه فأخبر بما اعتمدعليه فأعجبه حسن احتياله فى إخفاء نفسه ولطافة أبى معشر المنجم فى استخراجه وله غير ذلك من الإصابات (قال قاضى القضاء شمس الدين بن خلكان) ومما يناسب هذا من فطن المتطببين ماروا الحسين ابن ادريس الحلوانى قال سمعت الامام محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنه يقول ما أفلح سمين قط. إلا أن يكون محمد بن الحسن قيل له ولم ذلك قال لانه لا يعدو العاقل احدى خلتين اما أن يهتم لآخرته ومعاده أو لدنياه ومعاشه والشحم مع الهم لا ينعقد ثم قال وكان بعض ملوك الارض قديما كثير الشحم لا ينتفع بنفسه فجمع الحكماء وقال احتالوا لى بحيلة يخف عنى لحمى هذا قليلا قال فما قدروا له على شىء فجاءه رجل عاقل لبيب متطبب فقال عالجنى ولك الغنى قال أصلح الله الملك أنا طبيب منجم دعنى حتى أنظر الليلة فى طالعك لأرى أى دواء يوافقه فلما أصبح قال أيها الملك الامان فلما أمنه قال رأيت طالعك يدل على أنه لم يبق من عمرك غير شهر واحد فان اخترت عالجتك وإن أردت بيان ذلك فاحبسنى عندك فان كان لقولى حقيقة فخل عنى والا فاقتص منى قال فحبسه ثم رفع الملك الملاهى واحتجب عن الناس وخلا وحده مغتما فكلما انسلخ يوم ازدادهما وغما حتى هزل وخف لحمه ومضى لذلك ثمان وعشرون يوما فبعث إليه وأخرجه فقال ماترى فقال أعز الله الملك أنا أهون على الله من أن أعلم الغيب والله إنى لم أعلم عمرى فكيف أعلم

تبلى وإن الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد ويقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد وفى ذلك عباد الله ما ألهى عن الشهوات ورغب فى الباقيات الصالحات ٭ ولما لقى ميمون بن مهران والحسن البصرى قال له لقد كنت أحب أن ألقاك فعظنى فقرأ الحسن البصرى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون فقال عليك السلام أباسعيد لقد وعظتنى أحسن موعظة ولما ضرب ابن ملجم لعنه الله عليا رضى الله عنه دخل منزله فاعترته غشية ثم أفاق فدعا الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما وقال أوصيكما بتقوى الله تعالى والرغبة فى الآخرة والزهد فى الدنيا ولا تأسفا على شىء فاتكما منها فانكما عنها راحلان فعلا الخير وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ثم دعا محمداً ولده وقال له أما سمعت ما أوصيت به أخويك قال بلى قال فانى أوصيك به وعليك ببر أخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع أمرا دونهما ثم أقبل عليهما وقال أوصيكما به خيرا فانه أخوكما وابن أبيكما وأنتما تعلمان أباه كان يحبه فأجباه ثم قال يابنى أوصيكم بتقوى الله فى مغيب والشهادة وكلمة الحق فى الرضا والغضب والقصد فى الغنى والفقر والعدل فى الصديق والعدو والعمل فى النشاط والكسل والرضا عن الله فى الشدة والرخاء يابنى ماشر بعده الجنة بشر ولا خير بعده النار بخير وكل نعيم دون الجنة حقير وكل بلاء دون النار عافية يابنى من أبصر عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره ومن رضى بما قسم الله له لم يحزن على مافاته ومن سل سيف البغى قتل به ومن حفر لأخيه بئرا وقع فيها ومن هتك حجاب أخيه هتكت عورات بنيه ومن نسى خطيئته استعظم خطيئة غيره ومن أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل ومن تكبر على الناس ذل ومن خالط الانذال احتقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن جالس العلماء وقر ومن مزح استخف به ومن أكثر من شىء عرف به ومن كثر كلامه كثر خطؤه ومن كثر خطؤه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار يابنى الأدب ميزان الرجل وحسن الخلق خير قرين يابنى العافية عشرة اجزاء تسعة منها فى الصمت إلا عن ذكر الله تعالى وواحد فى ترك مجالسة السفهاء يابنى زينة الفقر الصبر وزينة الغنى الشكر يابنى لا شرف أعلى من الاسلام ولا كرم أعز من التقوى ولا شفيع أنجح من التوبة ولا لباس أجمل من العافية يابنى الحرص مفتاح التعب ومطية النصب (ولما) حضرت هشام بن عبد الملك الوفاة نظر إلى أهله يبكون حوله فقال جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم له بالبكاء وترك لكم جميع ماجمع وتركتم عليه ما حمل ما أعظم منقلب هشام إن لم يغفر الله له وقال الاوزاعى للمنصور فى بعض كلامه يا أمير المؤمنين أما علمت أنه كان بيد رسول الله ﷺ جريدة يابسة يستاك بها ويردع بها المنافقين فأتاه جبريل عليه السلام فقال يامحمد ماهذه الجريدة التى بيدك اقذفها لا تملأ قلوبهم رعبا فكيف بمن سفك دماء المسلمين وانتهب أموالهم ياأمير المؤمنين أن المغفور له ماتقدم من ذنبه وما تأخر دعا إلى القصاص من نفسه بخدشة خدشها أعرابيا من غير تعمد ياأمير المؤمنين لوأن ذنوبا من النار صب ووضع على الأرض لأحرقها فكيف بمن يتجرعه ولوأن ثوبا من النار وضع على الأرض لأحرقها فكيف بمن يتقمصه ولو أن حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لذاب فكيف بمن يتسلسل بها ويرد فضلها على عاتقه وروى زيد بن أسلم عن أبيه قال قلت لجعفر بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وكان والى المدينة أحذر أن يأتى رجل غدا ليس له فى الاسلام نسب ولا أدب ولا جد فيكون أولى برسول الله ﷺ منك كما كانت امرأة فرعون أولى بموسى وكما كانت امرأة نوح وامرأة لوط أولى بفرعون ومن ابطأ به

عمله

عمرك ولكن لم يكن عندي دواء إلا الغم فلم أقدر أجلب اليك الغم إلابهذه الحيلة فان الغم يذيب الشحم فأجازه على ذلك وأحسن اليه غاية الاحسان وذاق حلاوة الفرح بعد مرارة الغم (قلت) ويعجبني قول

جعفر بن شمس الخلافة في هذا المعنى

هي شدة إتى الرخاء عقيبها
وأسى يبشر بالسرور العاجل
وإذا نظرت فان بؤسا عاجلا
للمرء خير من نعيم زائل

(ويعجبني قوله وإن كان في غير ما نحن فيه)

مدحتك ألسنة الأنام مخافة
وتشاهدت لك بالثناء الأحسن
اترى الزمان مؤخرا في مدتي
حتى أعيش إلى انطلاق الألسن

(نادرة لطيفة) نقل عن قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان في تاريخه أن الجنيد قال ما انتفعت بشيء كانتفاعي بأبيات سمعتها قيل له وما هي قال مررت بدرب القراطيس فسمعت جارية تغني من دار وتقول هذه الأبيات

إذا قلت اهدى الهجر الى حلل الاسى
تقولين لولا الهجر لم يطب الحب
وان قلت هذا القلب احرقه الجوى
تقولى بنيران الجوى شرف القلب
وان قلت ما اذنبت قالت مجيبة
حياتك ذنب لا يقاس به ذنب

عمله لم يسرع به نسبه ومن أسرع به عمله لم يبطىء به نسبه وروى زياد عن مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه قال لما بعث أبو جعفر إلى مالك بن أنس وابن طاوس قد دخلنا عليه وهو جالس على فرش وبين يديه أنطاع قد بسطت وجلادون بأيديهم السيوف يضربون الاعناق فأومأ الينا ان اجلسا فجلسنا فاطرق زمانا طويلا ثم رفع رأسه والتفت الى ابن طاوس وقال حدثني عن أبيك قال سمعت أبي يقول قال رسول الله ﷺ ان أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل اشركه الله تعالى في ملكه فادخل عليه الجور في حكمه فأمسك أبو جعفر ساعة حتى اسود ما بيننا وبينه قال مالك فضممت ثيابي مخافة أن ينالها شيء من دم ابن طاوس ثم قال ابن طاوس ناولني هذه الدواة فأمسك عنه فقال ما يمنعك أن تناولنيها قال أخاف أن تكتب بها معصية فأكون شريكك فيها فلما سمع ذلك قال قوما عني فقال ابن طاوس ذلك ما كنا نبغي قال مالك فما زلت أعرف لابن طاوس فضله من ذلك اليوم . وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الاحبار يا كعب خوفنا قال أوليس فيكم كتاب الله وسنة نبيه ﷺ قال بلى يا كعب ولكن خوفنا فقال يا أمير المؤمنين اعمل فانك لو وافيت يوم القيامة بعمل سبعين نبيا لازدريت عملهم مما ترى فنكس عمر رضي الله عنه رأسه وأطرق مليا ثم رفع رأسه وقال يا كعب خوفنا فقال يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها فنكس عمر ثم أفاق فقال يا كعب زدنا فقال يا أمير المؤمنين ان جهنم لتزفر زفرة يوم القيامة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الاجثا على ركبتيه يقول يارب لا أسألك اليوم إلا نفسي . وقال سيدي الشيخ أبو بكر الطرطوشي رحمه الله تعالى عليه ودخلت على الأفضل بن أمير الجيوش وهو أمير على مصر فقلت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد السلام على نحو ما سلمت ردا جميلا وأكرمني أكراما جزيلا وأمرني بدخول مجلسه وأمرني بالجلوس فيه فقلت أيها الملك ان الله تعالى قد أحلك محلا عليا شامخا وأنزلك منزلا شريفا باذخا وملكك طائفة من ملكه وأشركك من حكمه ولم يرض أن يكون أمر أحد فوق أمرك فلا ترض أن يكون أحد أولى بالشكر منك وليس الشكر باللسان وانما هو بالفعال والاحسان قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا . واعلم أن هذا الذي أصبحت فيه من الملك انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار اليك فاتق الله فيما خولك من هذه الامة فان الله تعالى سائلك عن الفتيل والنقير والقطمير قال الله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وان تك مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين واعلم أيها الملك ان الله تعالى قد اتى ملك الدنيا بحذافيرها سليمان بن داود عليهما السلام فسخر له الانس والجن والشياطين والطير والوحش والبهائم وسخر له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ثم رفع عنه حساب ذلك اجمع فقال له هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب فوالله ماعدها نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل خاف أن تكون استدراجا من الله تعالى ومكرا به فقال هذا من فضل ربي ليبلوني اشكر أم أكفر فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم وأغث الملهوف اعانك الله على نصر المظلوم وجعلك كهفا للملهوف واماناً للخائف ثم اتممت المجلس بأن قلت قد جبت البلاد شرقا وغربا فما اخترت مملكة وارتحت اليها ولذت لى الاقامة فيها غير هذه المملكة ثم انشدته

والناس اكيس من ان يحمدوا رجلا حتى يروا عنده آثار احسان

(وقال) الفضل بن الربيع حج هرون الرشيد سنة من السنين فبينما انا نائم ذات ليلة اذ سمعت قرع

ذنب فصعقت وصحت فبينما انا كذلك اذ خرج صاحب الدار فقال ماهذا ياسيدي فقلت له مما سمعت فقال انها هبة مني اليك فقلت قد قبلت وهي حرة لوجه الله تعالى ثم دفعها لبعض اصحابنا بالرباط فولدت منه ولدا نبيلا حج على قدميه ثلاثين

الباب فقلت من هذا فقال أجب أمير المؤمنين فخرجت مسرعا فقلت يا أمير المؤمنين لو أرسلت أتيتك
فقال ويحك قد حاك فى نفسى شىء لا يخرجه إلا عالم فانظر لى رجلا أسأله عنه فقلت ههنا سفيان بن
عيينة فقال امض بنا اليه فأتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين فخرج
مسرعا فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أتيتك فقال جد لما جئناله فحادثه ساعة ثم قال له أعليك
دين قال نعم فقال يا أبا العباس اقض دينه ثم انصرفنا فقال ما أغنى عنى صاحبك شيئا فانظر لى رجلا
أسأله فقلت ههنا عبد الرازق بن همام فقال امض بنا اليه فأتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا قلت
أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أتيتك فقال جد لما جئنا به فحادثه
ساعة ثم قال أعليك دين قال نعم فقال يا أبا العباس اقض دينه ثم انصرفنا فقال ما أغنى عنى
صاحبك شيئا فانظر لى رجلا أسأله فقلت ههنا الفضيل بن عياض فقال امض بنا إليه فأتيناه فاذا
هو قائم يصلى فى غرفته يتلو آية من كتاب الله تعالى وهو يرددها فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت
أجب أمير المؤمنين فقال مالى ولأمير المؤمنين فقلت سبحان الله أما تجب عليك طاعته ففتح الباب ثم
ارتقى إلى أعلى الغرفة فأطفأ السراج ثم التجأ إلى زاوية من زوايا الغرفة فجعلنا نجول عليه بأيدينا
فسبقت كف الرشيد كفى اليه فقال أواه من كف ما ألينها ان نجت غدا من عذاب الله تعالى فقلت
فى نفسى ليكلمنه الليلة بكلام نقى من قلب نقى فقال جد لما جئنا رحمك الله تعالى فقال وفيم جئت
حملت على نفسك وجميع من معك حملوا عليك حتى لو سألتهم أن يتحملوا عنك شقصا من ذنب ما فعلوا
ولكان أشدهم حبا لك أشدهم هربا منك ثم قال ان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لما ولى الخلافة دعا
سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظى ورجاء بن حيوة فقال لهم انى قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا
على فعد الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة فقال سالم بن عبد الله ان اردت النجاة غدا من
عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن افطارك فيها على الموت وقال محمد بن كعب ان اردت النجاة غدا
من عذاب الله تعالى فليكن كبير المسلمين عندك أبا وأوسطهم عندك أخا وأصغرهم عندك ولدا
فبر أباك وارحم أخاك وتحنن على ولدك وقال رجاء بن حيوة ان اردت النجاة غدا من عذاب الله
تعالى فاحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ثم متى شئت مت وانى لأقول هذا
وانى لأخاف عليك أشد الخوف يوم تزل الأقدام فهل معك رحمك الله مثل هؤلاء القوم من يأمرك بمثل
هذا فبكى هرون بكاء شديدا حتى غشى عليه فقلت له فق يا أمير المؤمنين فقال يا ابن الربيع قتله أنت
وأصحابك وأرفق به أنا ثم أفاق هرون الرشيد فقال زدنى فقال يا أمير المؤمنين بلغنى ان عاملا لعمر بن
عبد العزيز رضى الله عنه شكا اليه سهرا فكتب له عمر يقول يا اخى اذكر سهر اهل النار فى النار وخلود
الابدان فان ذلك يطرد بك إلى ربك نائما ويقظان واياك ان تزل قدمك عن هذا السبيل فيكون
آخر العهد بك ومنقطع الرجاء منك فلما قرأ كتابه طوى البلاد حتى قدم عليه فقال له عمر ما اقدمك
فقال له لقد خلعت قلبى بكتابك لا وليت ولاية أبدا حتى ألقى الله عز وجل فبكى هرون بكاء شديدا ثم
قال زدنى قال يا أمير المؤمنين ان العباس عم النبى ﷺ جاء اليه فقال يا رسول الله أمرنى امارة فقال له النبى
ﷺ يا عباس نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة فان استطعت
ان لا تكون أميرا فافعل فبكى هرون الرشيد بكاء شديدا ثم قال زدنى يرحمك الله فقال يا حسن
الوجه أنت الذى يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة فان استطعت أن تقى هذا الوجه من النار

فافعل

حجة (وذكر قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان فى ترجمة أبى على الفارسى) انه كان يوما يساير عضد الدولة بن بويه فى ميدان سيران فقال له لم انتصب المستثنى فى قولنا قام القوم إلا زيدا فقال الشيخ بفعل مقدر تقديره استثنى زيدا فقال له عضد الدولة هل رفعته وقدرت الفعل امتنع زيد فانقطع وقال هذا الجواب ميدانى ثم انه لما رجع الى منزله وضع فى ذلك كلاما حسنا وحمل اليه فاستحسنه (وحكى) أبو القاسم أحمد الاندلسى قال جرى ذكر الشعر بحضرة أبى على الفارسى وأنا حاضر فقال إنى لأغبطكم على قول الشعر فان خاطرى لا يوافقنى إلى ذلك مع تحقيق العلوم التى هى من معاده فقال رجل فما قلت قط شيئا منه قال ما أعلم ان لى شعرا غير ثلاثة أبيات فى الشيب وهو قولى

خضبت الشيب لما كان عيبا
وخضب الشيب اولى ان يعابا
لم اخضب مخافة هجر خل
ولا عيبا خشيت ولا عتابا
ولكن المشيب بدا ذميا
فصيرت الخضاب له عقابا

(ومن لطائف المنقول ان ابا محمد الوزير المهلبى كان فى غاية الادب والمحبة لاهله وكان قبل ايصاله بمعز الدولة بن بويه
فى شدة عظيمة من الضرورة والمضايقة وسافر وهو على تلك الحالة ولقى
فى سفره شدة عظيمة فاشتهى اللحم فلم يقدر عليه فقال ارتجالا ألا موت يباع فأشتريه فهذا العيش مالا خير فيه

فافعل وإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لرعيتك فان النبي ﷺ قال من اصبح لهم غاشا لم يرح رائحة الجنة فبكى هرون الرشيد بكاء شديدا ثم قال له أعليك دين قال نعم دين لربي يحاسبني عليه فالويل لي ان ناقشني والويل لي ان سألني والويل لي ان لم يلهمني حجتي قال هرون انما أعني دين العباد قال ان ربي لم يأمرني بهذا وانما أمرني ان أصدق وعده وأطيع أمره قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال له هرون هذه ألف دينار خذها وانفقها على عيالك وتقوبها على عبادة ربك فقال سبحان الله أنا دللتك على سبيل الرشاد تكافئني أنت بمثل هذا سلمك الله ووفقك ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فقال لي هرون إذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا هذا سيد المسلمين اليوم (أعلم) أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له شروط وصفات قال سليمان الخواص من وعظ أخاه فيما بينه فهي نصيحة ومن وعظه على رؤوس الاشهاد فانما بكته ﴿ وقالت أم الدرداء رضي الله تعالى عنها من وعظ أخاه سرا فقد سره وزانه ومن وعظه علانية فقد ساءه وشانه ويقال من وعظ أخاه سرا نصحه وسره ومن وعظه جهرا فقد فضحه وضره ﴿ وعن عبدالعزيز بن أبي رواد قال كان الرجل إذا رأى من أخيه شيئا أمره في ستر ونهاه في ستره فيؤجر في ستره ويؤجر في أمره ويؤجر في نهيه وعن عمر رضي الله تعالى عنه إذا رأيتم أخاكم ذا زلة فقوموه وسددوه وادعوا الله أن يرجع به إلى التوبة فيتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشيطان على أخيكم وبالله التوفيق إلى أقوم طريق وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

﴿ الباب الثالث عشر في الصمت وصون اللسان والنهي عن الغيبة والسعي بالنميمة ومدح العزلة وذم الشهرة وفيه فصول ﴾

(الفصل الأول في الصمت وصون اللسان) قال الله تعالى ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد وقال تعالى إن ربك لبالمرصاد (واعلم) أنه ينبغي للعاقل المكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاما تظهر المصلحة فيه ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الامساك عنه لأنه قد يجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه بل هذا كثير وغالب في العادة والسلامة لا يعادلها شيء وروينا في صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت قال الشافعي رضي الله تعالى عنه في الأم إذا أراد أحدكم الكلام فعليه أن يفكر في كلامه فان ظهرت المصلحة تكلم وإن شك لم يتكلم حتى تظهر وروينا في صحيحيهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال قلت يا رسول الله أي المسلمين أفضل قال من سلم الناس من لسانه ويده وروينا في كتاب الترمذي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه تعالى عنه قال قلت يارسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك قال الترمذي حديث حسن وروينا في كتاب الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه والأحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة وفيما أشرت إليه كفاية لمن وفقه الله تعالى (وأما الآثار) عن السلف وغيرهم في هذا الباب فكثيرة لا تحصر لكن ننبه على شيء منها ﴿ فما جاء من ذلك ما بلغنا أن قس بن ساعدة وأكثم بن صيفي اجتمعا فقال أحدهما لصاحبه كم وجدت في ابن آدم من العيوب فقال هي أكثر من أن تحصر وقد وجدت خصلة إن استعملها الإنسان سترت العيوب كلها قال وما هي قال حفظ اللسان وقال الإمام

ألا موت لذيذ الطعم يأتي يخلصني من العيش الكريه
إذا أبصرت قبرا من بعيد وددت لو أنني فيما يليه
ألا رحم المهيمن نفس حر تصدق بالوفاة على أخيه

وكان له رفيق يقال له أبو عبدالله الصوفي وقيل أبو الحسن العسقلاني فلما سمع الأبيات اشترى له لحما بدرهم وطبخه وأطعمه وتفارقا وتنقلت الأحوال وولي الوزارة ببغداد لمعز الدولة المذكور وضاق الحال برفيقه الذي اشترى له اللحم في السفر وبلغه وزارة المهلبي فقصده وكتب إليه

ألا قل للوزير فدته نفسي مقال مذكر ما قد نسيه
أتذكر إذ تقول لضيق عيش ألا موت يباع فأشتريه

(فلما وقف عليها تذكر الحال وهزته أريحية الكرم فأمر له بسبعمائة درهم ووقع له في رقعته مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ثم دعا به فخلع عليه وقلده عملا يرتفق منه انتهى (وذكر الحريري صاحب المقامات في كتابه المسمى بدرة الغواص) ما مثاله قال حماد الراوية كان انقطاعي الى يزيد بن عبدالملك بن مروان في خلافته وكان أخوه هشام يجفوني لذلك فلما مات يزيد وأفضت الخلافة الى هشام خفته ومكثت في بيتي سنة لا أخرج الا لمن أثق به من اخواني سرا فلما لم أسمع أحدا ذكرني في السنة أمنت وخرجت وصليت الجمعة في الرصافة فاذا شرطيان قد وقفا علي وقالا يا حماد أجب الأمير يوسف بن عمر الثقفي وكان واليا على

الشافعي رضي الله عنه لصاحبه الربيع يا ربيع لا تتكلم فيما لا يعنيك فانك إذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها وقال بعضهم مثل اللسان مثل السبع ان لم توثقه عدا عليك ولحقك شره ومما أنشدوه في هذا الباب

احفظ لسانك أيها الإنسان ... لا يلدغنك أنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقاءه الشجعان

وقال الفارسي

لعمرك أن في ذنبي لشغلا ... لنفسي عن ذنوب بني أمية
على ربي حسابهم إليه ... تناهى علم ذلك لا إليه

وقال على رضي الله عنه إذا تم العقل نقص الكلام وقال اعرابي رب منطق صدع جمعا وسكوت شعب صدعا وقال وهب بن الورد بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت والعاشرة في عزلة الناس وقال على بن هشام رحمة الله تعالى عليه

لعمرك أن الحلم زين لأهله ... وما الحلم إلا عادة وتحلم
إذا لم يكن صمت الفتى عن ندامة ... وعى فان الصمت أولى وأسلم

وقال ابن عيينة من حرم الخير فليصمت فان حرمهما فالموت خير وعن رسول الله ﷺ أنه قال لأبي ذر رضي الله عنه عليك بالصمت إلا من خير فانه مطردة للشيطان وعود على أمر دينك ومن كلام الحكماء من نطق في غير خير فقد لغا ومن نظر في غير اعتبار فقد سها ومن سكت في غير فكر فقد لها وقيل لو قرأت صحيفتك لأغمدت صحيفتك ولو رأيت ما في ميزانك لختمت على لسانك ولما خرج يونس عليه السلام من بطن الحوت طال صمته فقال له الا تتكلم فقال الكلام صيرني في بطن الحوت وقال حكيم إذا أعجبك الكلام فاصمت وإذا أعجبك الصمت فتكلم وكان يقال من السكوت ماهو ابلغ من الكلام لأن السفيه إذا سكت عنه كان في اغتنام وقيل لرجل بم سادكم الأحنف فوالله ما كان بأكبركم سنا ولا بأكثركم مالا فقال بقوة سلطانه على لسانه وقيل الكلمة أسيرة في وثاق الرجل فاذا تكلم بها صار في وثاقها وقيل اجتمع أربعة ملوك فتكلموا فقال ملك الفرس ما ندمت على ما لم أقل مرة وندمت على ما قلت مرارا وقال قيصر انا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت وقال ملك الصين ما لم أتكلم بكلمة تكلمتها فاذا تكلمت بها ملكتني وقال ملك الهند العجب ممن يتكلم بكلمة أن رفعت ضرت وان لم ترفع لم تنفع وكان بهرام جالسا ذات ليلة تحت شجرة فسمع منها صوت طائر فرماه فأصابه فقال ما أحسن حفظ اللسان بالطائر والانسان لو حفظ لسانه ما هلك وقال على رضي الله تعالى عنه بكثرة الصمت تكون الهيبة وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه الكلام كالدواء إن أقللت منه نفع وان أكثرت منه قتل وقال لقمان لولده يا بني إذا افتخر الناس بحسن كلامهم فافتخر أنت بحسن صمتك يقول اللسان كل صباح وكل مساء للجوارح كيف أنتن فيقلن بخير أن تركتنا قال الشاعر

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى ... ان البلاء موكل بالنطق

(الفصل الثاني في تحريم الغيبة) أن الغيبة من أقبح القبائح وأكثرها انتشارا في الناس حتى لا يسلم منها إلا القليل من الناس وهي ذكرك الإنسان بما يكره ولو بما فيه سواء كان في دينه أو بدنه أو نفسه أو خلقه أو ماله أو ولده او والده أو زوجته أو خادمه أو عمامته أو ثوبه أو مشيته أو حركته أو بشاشته أو خلاعته أو غير ذلك مما يتعلق به سواء ذكرته بلفظك أو بكتابك أو رمزت اليه بعينك أو يدك أو رأسك أو نحو ذلك فأما لدين فكقولك سارق خائن ظالم متهاون بالصلاة متساهل

العراق فقلت في نفسي من هذا كنت أخاف ثم قلت لهما تدعاني حتى آتي أهلي وأودعهم ثم أسير معكما فقالا ما إلى ذلك من سبيل فاستسلمت في أيديهما ثم صرت إلى يوسف بن عمر وهو في الايوان الأحمر فسلمت عليه فرد على السلام ورمى إلى بكتاب فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف ابن عمر اما بعد فاذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به من غير ترويع وادفع له خمسمائة دينار وجملا مهريا يسير عليه ثنتي عشرة ليلة إلى دمشق فأخذت الدنانير ونظرت فاذا جمل مرحول فركبت وسرت حتى وافيت دمشق في ثنتي عشرة ليلة فنزلت على باب هشام واستأذنت فأذن لي فدخلت عليه وهو جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب من حرير أحمر وقد ضمخ بالمسك فسلمت عليه فرد على السلام واستدناني فدنوت منه حتى قبلت رجله فاذا جاريتان لم أر أحسن منهما قط فقال كيف أنت وكيف حالك فقلت بخير يا أمير المؤمنين فقال اتدري فيما بعثت اليك بسبب بيت خطر ببالي لا أعرف قائله قلت وما هو يا أمير المؤمنين قال

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت ... قينة في يمينها ابريق

فقلت يقوله عدى بن زيد العبادى في قصيدة قال أنشدنيها فأنشدته

بكر العاذلون في وضح الصبح ... يقولون لي أما تستفيق
ويلومون فيك يا ابنة عبد الله ... والقلب عندكم موثوق

فى النجاسات ليس بارا بو الديه قليل الادب لا يضع الزكاة مواضعها لا يجتنب الغيبة وأما البدن فكقولك أعمى أو اعرج أو أعمش أو قصير أو أسود او أصفر وأما غيرهما فكقولك فلان قليل الادب متهاون بالناس لا يرى لاحد عليه حقا كثير النوم كثير الاكل وما أشبه ذلك أو كقولك فلان أبوه نجار أو اسكاف أو حدادا أو حائك تريد تنقيصه بذلك أو فلان سيء الخلق متكبر مراء معجب عجول جبار ونحو ذلك أو فلان واسع الكم طويل الذيل واسع الثوب ونحو ذلك وقد روى فى صحيح مسلم وسنن أبى داود والترمذى والنسائى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله ﷺ قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل وان كان فى اخى ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته قال الترمذى حديث حسن صحيح وروينا فى سنن ابى داود والترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت للنبى ﷺ حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعنى قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته أى خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لكثرة نتنها وروينا فى سنن ابى داود عن انس رضى الله عنه قال قال رسول ﷺ لما عرج بى إلى السماء مررت بقوم لهم اظافر من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى اعراضهم وروى عن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال اياكم والغيبة قال الغيبة اشد من الزنا ثم قال رسول الله ﷺ ان الرجل ليزنى فيتوب فيتوب الله عليه وإن صاحب الغيبة لم يغفر له حتى يغفر له صاحبها وعن انس رضى الله تعالى عنه قال من اغتاب المسلمين واكل لحومهم بغير حق وسعى بهم إلى السلطان جيء به يوم القيامة مزرقة عيناه ينادى الويل والثبور يعرف اهله ولا يعرفونه وقال معاوية بن قرة افضل الناس عند الله اسلمهم صدرا واقلهم غيبة وقال الاحنف فى خصلتان لا اغتاب جليسى إذا غاب عنى ولا ادخل فى امر قوم لا يدخلونى فيه * وقيل الربيع بن خيثم ما نراك تغيب احدا فقال لست عن نفسى راضيا فأتفرغ وانشد لذم الناس

لنفسي ابكي لست ابكي لغيرها … لنفسي من نفسي عن الناس شاغل

وقال كثير عزة

وسعى إلى بعيب عزة نسوة … جعل الإله خدودهن نعالها

وقال محمد بن حزم اول من عمل الصابون سليمان واول من عمل السويق ذو القرنين واول من عمل الخيش يوسف واول من عمل خبز الجرادق نمروذ واول من كتب فى القراطيس الحجاج واول من اغتاب ابليس لعنه الله اغتاب آدم عليه السلام * واوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام ان المغتاب إذا تاب فهو آخر من يدخل الجنة وإن اصر فهو اول من يدخل النار ويقال لا تأمن من كذب لك ان يكذب عليك ومن اغتاب عندك غيرك ان يغتابك عندك غيرك وقيل للحسن البصرى رضى الله تعالى ان فلانا اغتابك فأهدى اليه طبقا من رطب فأتاه الرجل وقال له اغتبتك فأهديت إلى فقال الحسن اهديت إلى حسناتك فأردت ان اكافئك وعن ابن المبارك رحمه الله تعالى قال لو كنت مغتابا احدا لاغتبت والدى لأنهما احق بحسناتى وإذا حاكى انسان انسانا بان يمشى متعارجا او متطأطئا اوغير ذلك من الهيآت يريد تنقيص بذلك فهو قوام وبعض المتفقهين والمتعبدين يعرضون بالغيبة تعريضا به كما يفهم بالتصريح فيقال لأحدهم كيف حال فلان فيقول الله يصلحنا الله يغفر لنا الله يصلحه نسأل الله العافية نحمد الله الذى لم يبتلينا بالدخول على الظلمة نعوذ

لست أدري إذا كثر العذل فيها … أعذول يلومني أم صديق

(قال حماد فانتهيت فيها إلى قوله)

ودعو بالصبوح يوما فجاءت … قينة فى يمينها ابريق

قدمته على عقار كعين الديك … صفى سلافها الراووق

مرة قبل مزجها فاذا ما … مزجت لذ طعمها من يذوق

قال فطرب هشام ثم قال أحسنت ياحماد سل حاجتك قلت احدى الجاريتين قال هما جميعا لك بما عليهما ومالهما فأقام عنده مدة ثم وصله بمائة الف درهم قلت انظرنا ايها المتأمل إلى نفاق رخيص الادب فى ذلك العصر وكساد غاليه فى هذا العصر وبشهادة الله أن البيت الذى طلب حماد الرواية بسببه من بغداد إلى دمشق فى اثنى عشرة ليلة واجيز عليه الجاريتين وبمائة الف درهم تأنف نفسي أن اضمه فى قصيدة من قصائدى لرخصه وسفالته وهو

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت … قينة فى يمينها ابريق

(وكنت اود) ان اكون فى ذلك العصر ويسمع هشام بن عبد الملك قولى فى هذا الباب من قصيدة قلتها

فى ليلة رقم البدر المنير لها … طارا به العصا الجرز انقرات

وبات لى من الماء إذ تبسم لى … تحت الضفائر صيحات

والراح دق على فهمى تصورها … لكن لما ضاع فى الكاسات نفحات

كانت علامة تحقيق وقال فى

هى المنازل لى فيها علامات … مذ انشأتنا سجعنا فى محاسنها

مفردينى وللانشاء سجعات

هذا وأفواه كأساتي قد ابتسمت وما دجتها ثغور لؤلؤيات ومن يقل حركات الهم ماسكنت فللحباب على السكين حرمات (قال ثعلب) ماأحد من

الشعراء تكلم فى الليل الطويل الاقارب ولكن خالد الكاتب أبدع فيه فقال

بالله من الكبر يعافينا الله من قلة الحياء الله يتوب علينا وما أشبه ذلك مما يفهم تنقيصه فكل ذلك غيبة محرمة (واعلم) أنه كما يحرم على المغتاب ذكر الغيبة كذلك يحرم على السامع استماعها ويجب على من يستمع انسانا يبتدىء بغيبة أن ينهاه ان لم يخف ضررا فان خافه وجب عليه الانكار بقلبه ومفارقة ذلك المجلس ان تمكن من مفارقته فان قال بلسانه اسكت وقلبه يشتهي سماع ذلك قال بعض العلماء ان ذلك نفاق قال الله تعالى وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ومما أنشدوه فى هذا المعنى

وسمعك صن عن سماع القبيح   كصون اللسان عن النطق به
فانك عند سماع القبيح   شريك لقائله فانتبه
وكم أزعج الحرص من طالب   فوافى المنية فى مطلبه

(الفصل الثالث فى تحريم السعاية بالنميمة) قال الله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم الآية وحسبك بالنمام خسة ورذيله سقوطه وضعته والهماز المغتاب الذى يأكل لحوم الناس الطاعن فيهم وقال الحسن البصرى هو الذى يغمز بأخيه فى المجلس وهو الهمزة اللمزة وقال على والحسن البصرى رضى الله عنهما العتل الفاحش السيء الخلق وقال ابن عباس رضى الله عنهما العتل الفاتك الشديد المنافق وقال عبيد بن عمير العتل الأكول الشروب القوى الشديد يوضع فى الميزان فلا يزن شعيرة وقال الكلبى هو الشديد فى كفره وقيل العتل الشديد الخصومة بالباطل والزنيم هو الذى لا يعرف من أبوه قال الشاعر

زنيم ليس يعرف من أبوه   بغى الأم ذو حسب لئيم

وروينا فى صحيحى البخارى ومسلم عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال لا يدخل الجنة نمام وروى أن النبى ﷺ مر بقبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله قال الامام أبو حامد الغزالى رحمة الله تعالى عليه النميمة انما تطلق فى الغالب على من ينم قول الغير إلى المقول فيه كقوله فلان يقول فيك كذا فينبغى للانسان أن يسكت عن كل ما رآه من أحوال الناس الا ما فى حكايته فائدة لمسلم أو دفع معصية وينبغى لمن حملت إليه النميمة وقيل له قال فيك فلان كذا أن لا يصدق من نم إليه لأن النمام فاسق وهو مردود الخبر وان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله ويبغضه فى الله تعالى فانه بغيض عند الله والبغض فى الله واجب وان لا يظن بالمنقول عنه السوء لقول الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم وسعى رجل إلى بلال بن أبى بردة برجل وكان أمير البصرة فقال له انصرف حتى أكشف عنك فكشف عنه فان هو ابن بغى يعنى ولد زنا قال أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه لا ينم على الناس إلا ولد بغى وروى أن النبى ﷺ قال ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال شراركم المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون العيوب وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون كل شغاز ملعون كل قتات ملعون كل نمام ملعون كل منان والشغاز المحرش بين الناس يلقى بينهم العداوة والقتات النمام والمنان والذى يعمل الخير ويمن به وأما السعاية إلى السلطان وإلى كل ذى قدرة فهى المهلكة والحالقة لأنها تجمع الخصال الذميمة من الغيبة وشؤم النميمة والتغرير بالنفس والاموال فى النوازل والاحوال وتسلب العزيز عزه وتحط المسكين عن مكانته والسيد عن مرتبته فكم دم أراقه سعى ساع وكم حريم استبيح بنميمة نمام وكم من صفيين تباعدا وكم

من

رقدت فلم ترث للساهر
وليل المحب بلا آخر
ولم تدر بعد ذهاب الرقا
د ما صنع الدمع بالناظر

وقال بعض من كان يحضر مجلس المبرد كنا نختلف إليه فإذا كان آخر المجلس أملى علينا من طرف الاخبار وملح الاشعار ما نرتاح إلى تحفظه فأنشدنا يوما مرثية زياد الاعجم فى المغيرة بن المهلب التى منها

فاذا مررت بقبره فاعقر له   كوم الهجان وكل طرف سابح
وانضح جوانب قبره بدمائها   فلقد يكون أخادم وذبائح

قال فخرجت من عنده وأنا أديرها فى لسانى لأحفظها فاذا بشيخ قد خرج من خربة وفى يده حجر فهم أن يرميني به فتترست بالمحبرة والدفتر فقال ماذا تقول أتشتمنى فقلت اللهم لا ولكنى كنت عند أستاذنا أبى العباس المبرد فأنشدنا مرثية زياد الأعجم فى المغيرة بن المهلب فقال له إيه إيه أنشدنى ما أنشدكم باردكم لا مبردكم فأنشدته فقال والله ما أجود الراثى ولا أنصف المرثى ولا أحسن الراوى قلت فما عساه أن يقول قال كان يقول

احملانى ان لم يكن لكما عقـ   ـر إلى جنب قبره فاعقرانى

من متواصلين تقاطعا وكم من محبين افترقا وكم من إلفين تهاجرا وكم من زوجين تطالقا فليتق الله ربه عز وجل رجل ساعدته الأيام وتراخت عنه الأقدار أن يصغى لساع أو يستمع لنمام ٠ ووجد فى حكم القدماء أبغض الناس إلى الله ثلاث قال الأصمعى هو الرجل يسعى بأخيه إلى الأمام فيهلك نفسه وأخاه وإمامه وقال بعض الحكماء احذروا أعداء العقول ولصوص الموذات وهم السعاة والنماءون إذا سرق اللصوص المتاع سرقوا هم المودات وفى المثل السائر من أطاع الواشي ضيع الصديق وقد تقطع الشجرة فتنبت ويقطع اللحم السيف فيندمل واللسان لا يندمل جرحه . ودفع إنسان رقعة إلى الصاحب بن عباد يحثه فيها على أخذ مال يتيم وكان مالا كثيرا فكتب اليه على ظهرها النميمة قبيحة وإن كانت صحيحة والميت رحمه الله واليتيم جبره الله والساعى لعنه الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وروينا فى كتاب أبى داود والترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لا يبلغنى أحد من أصحابى عن أحد شيئا فانى أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر ، ومن الناس من يتلون ألوانا ويكون بوجهين ولسانين فيأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وذو الوجهين لايكون عند الله وجيها قال صالح بن عبد القدوس رحمه الله تعالى

قل للذى لست أدرى من تلونه ... أناصح أم على غش يناجينى
إنى لأكثر مما سمتنى عجبا ... يد تشج وأخرى منك تأسونى
تغتابنى عند أقوام وتمدحنى ... فى آخرين وكل عنك يأتينى
هذان شيئان قد نافيت بينهما ... فاكفف لسانك عن شتمى وتزيينى

وقيل لألف لحوح جموح خير من واحد متلون وكان يشبه المتلون بأبى براقش وأبى قلمون فأبو براقش طائر منقط بألوان النقوش يتلون فى اليوم الوانا وأبو قلمون ضرب من ثياب الحرير ينسج بالروم يتلون ألوانه ويقال للطائش الذى لاثبات معه أبو رياح تشبيها بمثال فارس من نحاس بمدينة حمص على عمود حديد فوق قبة بباب الجامع يدور مع الريح ويمناه ممدودة واصابعها مضمومة الا السبابة فاذا أشكل عليهم مهب الريح عرفوه به فانه يدور بأضعف نسيم يصيبه والذى يعمله الصبيان من قرطاس على قصبة يسمى أبا رياح أيضا ويقال أخلاق الملوك مثل فى المتلون قال بعضهم

ويوم كأخلاق الملوك تلونا ... فصحو وتغييم وطل ووابل
أشبهه إياك يامن صفاته ... دنو واعراض ومنع ونائل

وكلم معاوية الأحنف فى شىء بلغه عنه فأنكره الأحنف فقال له معاوية بلغنى عنك الثقة فقال له الاحنف ان الثقة لا يبلغ مكروها وكان الفضل بن سهل يبغض السعاية وإذا أتاه ساع يقول له ان صدقتنا أبغضناك وان كذبتنا عاقبناك وان استقلتنا أقلناك وكتب فى جواب كتاب ساع نحن نرى ان قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شىء وأخبر به كمن قبله وأجازه فاتقوا الساعى فانه لو كان فى سعايته صادقا لكان فى صدقه لئيما إذ لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة وقيل من سعى بالنميمة حذره الغريب ومقته القريب وقال المأمون النميمة لا تقرب مودة الا أفسدتها ولا عداوة الا جددتها ولا جماعة الا بددتها ثم لا بد لمن عرف بها ونسب اليها أن يجتنب ويخاف من معرفته ولا يوثق بمكانه وأنشد بعضهم

من ثم فى الناس لم تؤمن عقاربه ... على الصديق ولم تؤمن أفاعيه
كالسيل بالليل لا يدرى به أحد ... من أين جاء ولا من أين يأتيه
الويل للعهد منه كيف ينقضه ... والويل للود منه كيف يفنيه

وانضحا من دمى عليه فقدكا ... من دمى من نداه لو تعلمان

قال فقلت هل رأيت أحدا ونعى أحدا بنفسه قال نعم هذا الفتى الفتح أبى خاقان طرح نفسه على المتوكل حتى خلط لحمه بلحمه ودمه بدمه ثم تركنى وتولى فلما عدت إلى المبرد قصصت عليه القصة فقال أتعرفه قلت لا قال ذلك خالد الكاتب تأخذه السوداء أيام الباذنجان انتهى ٠ قيل كبر خالد الكاتب حتى دق عظمه ورق جلده وقوى به الوسواس وروى ببغداد والصبيان يتبعونه فأسند ظهره إلى قصر المعتصم والصبيان يصيحون به يابارد فقال كيف أكون باردا وأنا الذى أقول

بكى عاذلى من رحمتى فرحمته ... وكم مثله من مسعد ومعين
ورقت دموع العين حتى كأنها ... دموع دموعى لا دموع جفونى

(وحدث أبو الحسن على ابن مقلة)قال حدثنى أبى عن عمه قال اجتاز بى خالد الكاتب وأنا على باب دارى بسر من رأى والصبيان حوله يعبثون له فجاءنى لما رآنى وسألنى صرفهم عنه فصرفتهم وأدخلته دارى وقلت له ما تشتهى تأكل قال الهريسة فتقدمت باصلاحها له فلما أكل قلت أى شىء تحب بعد هذا قال رطب فأمرت باحضاره فأكل فلما فرغ من أكله قلت له أنشدنى من شعرك فأنشدنى

تناسيت ما أوعيت سمعك ياسمعى ... كأنك بعد الضر خال من النفع
ولو كنت مطبوعا على الصد والجفا ... فمن أين لى صبر فاجعله طبعى

(وقال آخر) يسعى عليك كما يسعى اليك فلا * تأمن غوائل ذى وجهين كياد

وقال صالح بن عبد القدوس رحمه الله تعالى :

من يخبرك بشتم عن أخ * فهو الشاتم لا من شتمك

ذاك شيء لم يواجهك به * إنما اللوم على من أعلمك

(وقال آخر) إن يعلموا الخير أخفوه وإن علموا * شرا أذاعوا وإن لم يعلموا كذبوا

(وقال آخر) إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا * منى وما سمعوا من صالح دفنوا

صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به * وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

وقال الحسن ستر ما عاينت أحسن من إشاعة ما ظننت وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه من سمع بفاحشة فأفشاها فهو كالذى أتاها

﴿ وما جاء فى النهى عن اللعن ﴾

ما روينا فى صحيح البخارى ومسلم عن ثابت بن الضحاك رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لعن المؤمن كقتله وروينا فى صحيح مسلم أيضا عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة وروينا فى سنن أبى داود عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ أن العبد إذا لعن شيئا صعدت اللعنة إلى السماء فيغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فإذا لم تجد مساغا رجعت إلى الذى لعن إن كان أهلا لذلك وإلا رجعت إلى قائلها ويجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة على العموم كقوله لعن الله الظالمين لعن الله الكافرين لعن الله اليهود والنصارى لعن الله الفاسقين لعن الله المصورين ونحو ذلك ، وثبت فى الاحاديث الصحيحة أن رسول الله ﷺ لعن الواصلة والمستوصلة وأنه قال لعن الله آكل الربا وانه قال لعن الله المصورين وانه قال لعن الله من لعن والديه وانه قال لعن الله من ذبح لغير الله وانه قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وانه قال لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال وجميع هذه الالفاظ فى البخارى ومسلم بعضها فيهما وبعضها فى أحدهما والله أعلم

(وما جاء فى العزلة ومدح الخمول وذم الشهرة)

قال رسول الله ﷺ الخمول نعمة وكل يتبرأ والظهور نقمة وكل يتمنى وقال بعضهم

تلحف بالخمول تعش سليما * وجالس كل ذى أدب كريم

(وقال جعفر بن الفراء) من أخمل النفس أحياها وروحها * ولم يبت طاويا منها على ضجر

ان الرياح إذا اشتدت عواصفها * فليس ترمى سوى العالى من الشجر

وقال إعرابى رب وحدة أنفع من جليس ووحشة أنفع من أنيس وكان أبو معاوية الضرير يقول فى خصلتان ما يسرنى بهما رد بصرى قلة الاعجاب بنفسى وخلو قلبى من اجتماع الناس إلى وقال عمر رضى الله عنه خذوا حظكم من العزلة وصعد حسان على أطم من آطام المدينة ونادى بأعلى صوت يا صباحاه فاجتمعت الخزرج فقالوا ما عندك قال قلت بيت شعر فأحببت أن تسمعوه قالوا هات يا حسان فقال

وان امرأ أمسى وأصبح سالما * من الناس لا ماجنى لسعيد

ولما بنى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه منزلة بالعقيق قيل له تركت منازل اخوانك وأسواق الناس ونزلت بالعقيق فقال رأيت أسواقهم لاغية ومجالسهم لاهية فوجدت الاعتزال فيما هنا لك عافية

إن كان أضحى فوق خديك روضة * فإن على خدى غديرا من الدمع

فقلت زدنى فقال لا يساوى بهر بسك ورطبك غير هذا (ومن المروى عنه قال) بعض طلبة المبرد خرجت من مجلس المبرد فلقيت خالد الكاتب فقال من أين قلت من مجلس المبرد قال بل البارد ثم قال ما الذى أنشدكم اليوم قلت أنشدنى

أعار الغيث نائله * إذا ماؤه نفدا
وأن أسد اشتكا جنبا * أعار فؤاده الأسدا

فقال أخطأ قائل هذا الشعر قلت كيف قال ألا تعلم أنه إذا أعار الغيث نائله بقى بلا نائل وإذا أعار الأسد فؤاده بقى بلا فؤاد قلت فكيف كان يقول قال فأنشد .

علم الغيث الندى من يده * مد دعاء علم البأس الأسد
فإذا الغيث مقر بالندى * وإذا الليث مقر بالجلد

قال فكتبتهما وانصرفت (نادرة لطيفة) دخل أبو دلامة على المهدى فأنشده قصيدة فقال سل حاجتك فقال يا أمير المؤمنين هب لى كلبا قال فغضب وقال أقول لك سل حاجتك تقول هب لى كلبا فقال يا أمير المؤمنين الحاجة لى أو لك فقال بل لك فقال انى أسألك أن تهب لى كلب صيد فأمر له بكلب فقال يا أمير المؤمنين هبنى خرجت للصيد أعدو على رجلى فأمر له بدابة فقال له يا أمير المؤمنين فمن يقوم عليها فأمر له بغلام فقال يا أمير المؤمنين هبنى صدت صيدا وانيت به المنزل فمن يطبخه فأمر له بجارية فقال يا أمير المؤمنين فهؤلاء وقيل

وقيل لعروة أخي مرداس لم لا تحدثنا ببعض ما عندك من العلم فقال أكره أن يميل قلبي باجتماعكم إلى حب الرياسة فاخسر الدارين وقال سفيان بن عيينة دخلنا على الفضل في مرضة نعوده فقال ماجاء بكم والله لو لم تجيئوا لكان أحب إلي ثم قال نعم الشيء المرض لولا العيادة وقيل للفضل ان ابنك يقول وددت لو أني بالمكان الذي أرى الناس فيه ولا يروني فقال ويح ابني لم لا أتمها فقال لا أراهم ولا يروني وقال علي رضي الله عنه طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وطوبى لمن لزم بيته وأكل قوته واشتغل بطاعته وبكى على خطيئته فكان من نفسه في شغل والناس منه في راحة وقال سفيان الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس وقيل لراهب في صومعته ألا تنزل فقال من مشى على وجه الأرض عثر والكلام في مثل هذا كثير وقد اكتفينا بهذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

﴿ الباب الرابع عشر في الملك والسلطان وطاعة ولاة أمور الإسلام وما يجب للسلطان على الرعية وما يجب لهم عليه ﴾

روى عن الحسن أنه قال للحجاج سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول قال رسول الله ﷺ وقروا السلاطين وبجلوهم فانهم عز الله وظله في الأرض إذا كانوا عدولا فقال الحجاج ألم نكن فيهم إذا كانوا عدولا قال قلت بلى وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال قلت للنبي ﷺ أخبرني عن هذا السلطان الذي دنت له الرقاب وخضعت له الاجساد ما هو قال ظل الله في الأرض فاذا أحسن فله الاجر وعليكم الشكر وإذا أساء فعليه الاصر وعليكم الصبر وعنه عليه الصلاة والسلام إيما راع استرعى رعيته ولم يحطها بالامانة والنصيحة من ورائها الاضاقت عليه رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء وقال مالك بن دينار رضي الله تعالى عنه وجدت في بعض الكتب يقول الله تعالى أنا ملك الملوك رقاب الملوك بيدي فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة لا تشغلوا ألسنتكم بسب الملوك ولكن توبوا إلى الله يعطفهم عليكم وقال جعفر بن محمد رحمة الله تعالى عليه كفارة عمل السلطان الاحسان إلى الاخوان وقال كسرى لسيرين ما أحسن هذا الملك لو دام فقال لو دام لاحد ما انتقل الينا ومر طارق للشرطي بابن شبرمة في موكبه فقال

أراها وإن كانت تحب فانها ... سحابة صيف عن قليـــل تقشع

وجلس الاسكندر يوم فارفع اليه حاجة فقال لا أعد هذا اليوم من أيام ملكي وقال الجاحظ ليس شيء ألذ ولا أسر من عز الامر والنهي ومن الظفر بالاعداء ومن تقليد المنن أعناق الرجال لأن هذه الامور تصيب الروح وحظ الذهن وقسمة النفس أو قيل الملك خليفة الله في عباده ولن يستقيم أمر خلافته مع مخالفته وقال الحجاج سلطان تخافه الرعية خير من سلطان يخافها وقال أردشير لابنه يا بني الملك والدين اخوان لاغنى لاحدهما عن الآخر فالدين أس والملك حارس وما لم يكن له أس فمهدوم وما لم يكن له حارس فضائع قيل لما دنت وفاة هرمز وامرأته حامل عقد التاج على بطنها وأمر الوزراء بتدبير المملكة حتى ولدته لد فتملك وأغار العرب على نواحي فارس في صباه فلما أدرك ركب وانتخب من أهل النجدة فرسانا وأغار على العرب فانتهكهم بالقتل ثم خلع اكتاف سبعين ألفا فقيل له ذو الاكتاف وأمر العرب حينئذ بارخاء الشعور ولبس المصبغات وأن يسكنوا بيوت الشعر وأن لا يركبوا الخيل الاعراء (وقيل) من أخلاق الملوك حب التفرد كان أردشير إذا وضع التاج على رأسه لم يضع أحد على رأسه قضيب ريحان وإذ لبس حلة لم على أحد مثلها وإذا تختم بخاتم كان حراما على

أين يبيتون فأمر له بدار فقال يا أمير المؤمنين قد صيرت في عنقي عيالا فمن أين لي ما يقوت هؤلاء قال المهدي أعطوه جريب نخل ثم قال هل بقيت لك حاجة قال نعم تأذن لي أن أقبل يدك انتهى (وحكى) أن هشام بن عبد الملك قدم حاجا إلى بيت الله الحرام فلما دخل الحرم قال ائتوني برجل من الصحابة فقيل يا أمير المؤمنين قد تفانوا قال فمن التابعين فأتى بطاوس اليماني فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم بامير المؤمنين ولم يكنه وجلس إلى جانبه بغير اذنه وقال كيف أنت يا هشام فغضب من ذلك غضبا شديدا حتى هم بقتله فقيل له أنت يا أمير المؤمنين في حرم الله وحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون ذلك فقال يا طاوس ما حملك على ما صنعت قال وما صنعت قال خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تسلم بيا امير المؤمنين ولم تكنني وجلست بازائي بغير اذني وقلت يا هشام كيف انت فقال له طاوس أما خلع نعلي بحاشية بساطك فاني اخلعهما بين يدي رب العزة في كل يوم خمس مرات ولا يعاتبني ولا يغضب علي وأما قولك لم تسلم علي بامرة المؤمنين فليس كل المؤمنين راضيا بامرتك فخفت أن أكون كاذبا وأما قولك لم تكنني فان الله عز وجل سمى انبياءه فقال يا داود يا يحيى يا عيسى وكنى اعداءه فقال تبت يدا أبي لهب وأما قولك جلست بإزائي فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال له عظني فقال له إني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول إن في جهنم حيات وعقارب كالنبال

أهل المملكة أن يتختموا بمثله وكان سعيد بن العاص بمكة إذا اعتم لم يعتم أحد بمثل عمامته مادامت على رأسه وكان الحجاج إذا وضع على رأسه عمامته لم يجترىء أحد من خلق الله أن يدخل بمثلها وكان عبد الملك إذا لبس الخف الاصفر لم يلبس أحد مثله حتى ينزعه وأخبرني من سافر إلى اليمن لا يأكل الأوزبها أحد غير الملك وقيل من حق الملك أن يفحص عن أسرار الرعية فحص المرضعة عن ابنها وكان أرد شيرمتى شاه قال لأرفع أهل مملكته وأوضعهم كان عندك فى هذه الليلة كيت وكيت حتى كان يقال يأتيه ملك من السماء وماذاك الا بتفحصه وتيقظه وكان علم عمر رضى الله عنه بمن نأى عنه كعلمه بمن بات معه على وساد واحد ولقد اقتفى معاوية اثره وتعرف إلى زياد رجل فقال اتتعرف إلى وانا اعرف بك من ابيك وأمك وأعرف هذا البرد الذى عليك ففزع الرجل حتى ارتعد من كلامه وعن بعض العباسيين قال كلمت المأمون رحمه الله تعالى فى امرأة خطبتها وسألته النظر اليها فقال يا ابا فلان من قصتها وحليتها وفعلها وشأنها كيت وكيت فوالله مازال يصفها ويصف احوالها حتى ابهتنى.

(ومما جاء فى طاعة ولاة امور الإسلام امر الله تعالى بذلك فى كتابه العزيز على لسان نبيه الكريم فقال تعالى ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم وروينا فى صحيح البخارى عن جابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنهما قال بايعت رسول الله ﷺ على شهادة ان لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والسمع والطاعة والنصح لكل مسلم * وسئل كعب الاحبار عن السلطان فقال ظل الله فى ارضه من ناصحه اهتدى ومن غشه ضل * وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه لاتسبوا السلطان فانه ظل الله فى الأرض به يقوم الحق ويظهر الدين وبه يدفع الله الظلم ويهلك الفاسقين وقال عمر بن عبد العزيز لمؤدبه كيف كانت طاعتى لك قال حسن طاعة قال فأطعنى كما كنت اطيعك خذ من شاربك حتى تبدو شفتاك ومن ثوبك حتى تبدو عقباك وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن أطاع أمرى فقد أطاعنى ومن عصى أمرى فقد عصانى وقد ورد فى الاحاديث الصحيحة أن النبى ﷺ أمر بالسمع . والطاعة لولى الأمر ومناصحته ومحبته والدعاء له ولو تتبعت ذلك لطال الكلام ولكن أعلم أرشدنى الله وإياك إلى الاتباع وجنبنا الزيغ والابتداع أن من قواعد الشريعة المطهرة والملة الحنيفية المحررة أن طاعة الائمة فرض على كل الرعية وأن السلطان تؤلف شمل الدين وتنظم أمور المسلمين وأن عصيان السلطان يهدم أركان الملة وأن ارفع منازل السعادة طاعة السلطان وأن طاعته عصمة من كل فتنة بطاعة السلطان تقام الحدود وتؤدى الفروض وتحقن الدماء وتؤمن السبل وما أحسن ماقالت العلماء أن طاعة السلطان هدى لمن استضاء بنورها وأن الخارج عن طاعة السلطان منقطع العصمة برىء الذمة وأن طاعة السلطان حبل الله المتين ودينه القويم وأن الخروج منها خروج من انس الطاعة إلى وحشة المعصية ومن غش السلطان ضل وزل من أخلص له المحبة والنصح حل من الدين والدنيا فى أرفع محل وان طاعة السلطان واجبة أمر الله تعالى بها فى كتابه العظيم المنزل على نبيه الكريم وقد اقتصرنا فى ذلك على ما أوردناه واكتفينا بما بيناه ونسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا وان يعيذنا من شرور أنفسنا وسيآت اعمالنا وان يصلح شأننا انه قريب مجيب وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

﴿ الباب الخامس عشر فيما يجب على من صحب السلطان والتحذير من صحبته ﴾

تلدغ كل أمير لايعدل فى رعيته ثم قام فخرج اه (نادرة لطيفة) مروية عن أبى عمر عامر الشعبى ولكن يتعين أن نبدأ بشىء من ترجمته قال الزهرى العلماء أربعة ابن المسيب بالمدينة والحسن البصرى بالبصرة ومكحول بالشام والشعبى بالكوفة ويقال انه أدرك خمسمائة من الصحابة من أصحاب رسول الله ﷺ (والنادرة الموعود بذكرها) هى ماحكى الشعبى قال أنفذنى عبد الملك بن مروان إلى ملك الروم فلما وصلت اليه جعل لايسألنى عن شىء إلا أجبته وكانت الرسل لاتطيل الاقامة فحبسنى عنده أياما كثيرة فلما أردت الانصراف قال أمن بيت المملكة أنت فقلت لا ولكنى من العرب فدفع إلى رقعة وقال إذا أديت الرسائل إلى صاحبك أوصل إليه هذه الرقعة قال فأديت الرسائل عند وصولى إلى عبد الملك وأنسيت الرقعة فلما وصلت الباب أريد الخروج تذكرت الرقعة فرجعت فأوصلتها إليه فقال لى هل قال لك شيئا قبل أن يدفعها إليك قلت نعم قال لى أنت من أهل بيت المملكة قلت لا ولكنى رجل من العرب فى الجملة ثم خرجت من عند عبد الملك فلما بلغت الباب طلبنى فرددت فلما مثلت بين يديه قال أتدرى ما فى الرقعة قلت لا قال اقرأها فقرأتها فاذا فيها عجبت من قوم فيهم مثل هذا كيف ملكوا غيره قلت ياأمير المؤمنين لو علمت ما حملتها وإنما قال هذه لأنه لم يرك قال أتدرى لم كتبها قلت لا قال حسدنى عليك فأراد أن يغرينى بقتلك انتهى (وقيل) كان الشعبى ضئيلا نحيلا فقيل له فى ذلك (اما

(أما صحبة السلطان) فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما قال لي أبي يا بني اني أرى المؤمنين يستخليك ويستشيرك ويقدمك على الأكابر من أصحاب محمد ﷺ واني أوصيك بخلال ثلاث لا تفشين له سرا ولا تجربن عليه كذبا ولا تغتابن عنده أحدا قال الشعبي رحمه الله تعالى قلت لابن عباس كل واحدة منهن خير من ألف فقال أي والله ومن عشرة آلاف وقال بعض الحكماء إذا زادك السلطان تأنيسا فزده إجلالا وإذا جعلك أخا فاجعله أبا وإذا زادك إحسانا فزده فعل العبد مع سيده وإذا ابتليت بالدخول على السلطان مع الناس فأخذوا في الثناء عليه فعليك بالدعاء له ولا تكثر في الدعاء له عند كل كلمة فان ذلك شبيه بالوحشة والغربة ، وقال مسلم بن عمر لمن خدم السلطان لا تغتر بالسلطان إذا أدناك ولا تغير منه إذا أقصاك ، وروى أن بعض الملوك استصحب حكيما فقال له أصحبك على ثلاث خصال قال وماهن من لا تهتك لي سترا ولا تشتم لي غرضا ولا تقبل في قول قائل حتى تستشيرني قال هذا لك فاذا عليك قال لا أفشي لك سرا ولا أدخر عنك نصيحه ولا أوثر عليك أحدا قال نعم الصاحب المستصحب أنت وقال بزرجمهر اذا خدمت ملكا من الملوك فلا تطعه في معصية خالقك فان احسانه اليك فوق احسان الملك وايقاعه بك أغلظ من إيقاعه وقال اصحب الملوك بالهيبة لهم والوقار لأنهم انما احتجبوا عن الناس لقيام الهيبة وان طال أنسك بهم تزدد غما ، وقالوا اعلم السلطان وكانك تتعلم منه وأشر عليه وكانك تستشيره وإذا أحلك السلطان من نفسه بحيث يسمع منك ويثق بك فاياك والدخول بينه وبين بطانته فانك لا تدري متى يتغير منك فيكونون عونا عليك واياك أن تمادي من اذا شاء أن يطرح ثيابه ويدخل مع الملك في ثيابه فعل وفي الأمثال القديمة احذروا زمارة المخدة وفيه قيل (بيت مفرد)

ليس الشفيع الذي يأتيك متزرا ... مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

وقال يحيى بن خالد اذا صحبت السلطان فداره مداراة المرأة العاقلة لصحبة الزوج الأحمق (وأما ما جاء في التحذير من صحبة سلطان) فقد اتفقت حكماء العرب والعجم على النهي عن صحبة السلطان قال في كتاب كليلة ودمنة ثلاثة لا يسلم عليها الا القليل صحبة السلطان وائتمان النساء على الأسرار وشرب السم على التجربة ، وكان يقال قد خاطر بنفسه من ركب البحر وأعظم منه خطرا من صحب السلطان بغير عقل وكان بعض أهل الحكماء يقول أحق الامور بالتثبت فيها أمور السلطان فان من صحب السلطان بغير عقل فقد لبس شعار الغرور وفي حكم الهند صحبة السلطان على ما فيها من العز والثروة عظيمة الخطر وقيل للعقابي لا تصحب السلطان على ما فيك من الأدب قال لأني رأيته يعطي عشرة آلاف في غير شيء ويرمي من السور في غير شيء ولا أدري أي الرجلين أكون ، وقال معاوية لرجل من قريش اياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبي ويبطش بطش الأسد ، وقال ميمون بن مهران قال لي عمر ابن عبد العزيز يا ميمون احفظ عني أربعا لا تصحبن السلطان وان أمرته بالمعروف ونهيته عن المنكر ولا تخلون بامرأة وان أقرأتها القرآن ولا تصل من قطع رحمه فانه لك أقطع ولا تتكلم بكلام اليوم تعتذر منه غدا وكم رأينا وبلغنا عمن صحب السلطان من أهل الفضل والعقل والعلم والدين ليصلحه ففسد هو به فكان كما قيل :

عدوى البليد إلى الجليد سريعة ... والجمر يوضع في الرماد فيخمد

فقال زوحمت في الرحم وكان قد ولد هو واخ آخر وأقام في البطن سنتين ذكره صاحب كتاب المعارف (ويقال) ان الحجاج قال له يوما كم عطاك في السنة ألفين فقال له ويحك كم عطاؤك قال ألفان فقال ويحك (٨٩) كيف لحنت أولا فقال لحن الأمير فلحنت فلما أعرب أعربت وما يحسن أن يلحن الامير وأعرب فاستحسن ذلك منه وأجازه (نادرة بديعة غريبة) منقولة عن سديد الملك أبي الحسن علي بن منقذ صاحب قلعة شيراز وكان سديد المذكور مقصودا من البلاد ممدوحا مدحه جماعة من الشعراء كابن الخياط والخفاجي وغيرهما وله شعر جيد أيضا ومن قوله وقد غضب على مملوكه فضربه

أسطو عليه وقلبي لو تمكن من ... كفي غلهما غيظا الى عنق
وأستمين إذا عاقبته حنقا ... وأين ذل الهوى من عزة الحنق

وكان موصوفا بقوة الفطنة ويحكى عنه في ذلك حكاية عجيبة وهي أنه كان يتردد على حلب قبل تملكه قلعة شيراز وصاحب حلب يومئذ تاج الملوك محمود بن صالح بن مرداس فجرى أمر خاف سديد الملك منه على نفسه فخرج من حلب الى طرابلس الشام وصاحبها يومئذ جلال الملك بن عمار فأقام عنده فتقدم محمود صاحب حلب الى كاتبه أبي نصر محمد بن الحسين بن علي النحاس الحلبي أن يكتب الى سديد الملك كتابا يتشوقه فيه ويستعطفه ويستدعيه الى حلب ففهم الكاتب انه يقصد له سرا إذا جاء اليه وكان

ومثل من صحب السلطان ليصلحه مثل من ذهب ليقيم حائطا مائلا فاعتمد عليه ليقيمه فخر الحائط عليه فأهلكه قال الشاعر:

ومعاشر السلطان شبه سفينة ... فى البحر ترجف دائما من خوفه
إن أدخلت من مائه فى جوفها ... يغتالها مع ما بها فى جوفه

وفى كتاب كليلة ودمنة لايسعد من ابتلى بصحبة الملوك فانهم لاعهد لهم ولا وفاء ولاقريب ولاحميم ولا يرغبون فيك إلا أن يطمعوا فيما عندك فيقربوك عند ذلك فإذا قضوا حاجتهم منك تركوك ورفضوك ولا ود للسلطان ولا اخاء والذنب عنده لايغفر، وقالت الحكماء صاحب السلطان كراكب الأسد يخافه الناس وهو لمركوبه أخوف، وقال محمد بن واسع والله لسف التراب واقضم العظم خير من الدنو من أبواب السلاطين، وقال محمد بن السماك الذباب على العذرة خير من العابر على أبواب الملوك وقيل من صحب السلطان قبل أن يتأدب فقد غرر بنفسه، وقال ابن المعتز من شارك السلطان فى عز الدنيا شاركه فى ذل الآخرة وعنه إذا زادك السلطان تأنيساً وإكراماً فزده تهيباً واحتشاما، وقال أبو على الصغانى إياك والملوك فان من والاهم أخذوا ماله ومن عاداهم أخذوا رأسه وقيل مكتوب على باب قرية من قرى بلخ اسمها بهار أبواب الملوك تحتاج إلى ثلاثة عقل وصبر ومال وتحته مكتوب كذب عدو الله من كان له واحد منها لم يقرب باب السلطان وقال حسان بن ربيع الحميرى لاتثق بانه ملول ولا بالمرأة فانها خؤن ولا بالدابة فانها شرود وقال عبيد بن عمير مازداد رجل من السلطان قربا إلا ازداد من الله بعدا ولا كثرت أتباعه إلا كثرت شياطينه ولا كثر ماله إلا كثر حسابه وقال ابن المبارك رحمه الله

أرى الملوك بأدنى الدين قد قنعوا ... ولا أراهم رضوا فى العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما اس ... تغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال بعضهم فى ولاة بنى مروان

إذا ماقطعتم ليلكم بمدامكم ... وأفنيتموا أيامكم بمنامكم
فمن ذا الذى يغشاكم فى ملمة ... ومن ذا الذى يغشاكم بسلام
رضيتم من الدنيا بأيسر بلغة ... بلثم غلام أو بشرب مدام
ولم تعلموا أن اللسان موكل ... بمدح كرام أو بذم لئام

نهت الحكماء عن خدمة الملوك فقالوا إن الملوك يستعظمون فى الثواب رد الجواب ويستقلون فى العقاب ضرب الرقاب وقال شر الملوك من أمنه الجرىء وخافه البرىء. والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السادس عشر فى ذكر الوزراء وصفاتهم وأحوالهم وما أشبه ذلك)

قال الله تعالى حاكيا عن موسى عليه السلام واجعل لى وزيرا من أهلى فلو كان السلطان يستغنى عن الوزراء لكان أحق الناس بذلك كليم الله موسى بن عمران عليه السلام ثم ذكر حكمة الوزارة فقال أشدد به أزرى وأشركه فى أمرى دلت هذه الآية على أن الوزارة تشد قواعد المملكة وأن يفوض اليه السلطان إذا استكملت فيه الخصال المحمودة ثم قال كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا دلت هذه الآية على أن يصحبه العلماء والصالحين وأهل الخبرة والمعرفة تنتظم أمور الدنيا والآخرة وكما يحتاج

أشجع

الكاتب صديقا إلى سديد الملك فكتب الكاتب كما أمره مخدومه إلى أن بلغ إلى آخره وهو إن شاء الله فشدد النون وفتحها فلما وصل الكاتب إلى سديد الملك عرضه على ابن عمار صاحب طرابلس ومن بمجلسه من خواصه فاستحسنوا عبارة الكتاب واستعظموا مافيه من رغبة محمود فيه وإيثاره لقربه فقال سديد الملك إنى أرى مالا ترون فى الكتاب ثم أجاب عن الكتاب بما اقتضاه الحال وكتب فى جملة فصول الكتاب أنا الخادم المقر بالانعام وكسر الهمزة من أنا وشدد النون فلما وصل الكتاب إلى محمود ووقف عليه سر بما فيه وقال لأصدقائه قد علمت أن الذى كتبته لايخفى على مثله وقد أجاب بما طيب قلبى عليه وكان الكاتب قد قصد قوله تعالى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك أجاب سديد الملك بقوله انا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها وكاتب هذه الحكاية معدودة من شدة تيقظه وفهمه اه (وحكى الصابى فى كتاب الأعيان والأماثل) أن رجلا اتصلت عطلته وانقطعت مادته فزور كتابا من الوزير أبى الحسن على بن الفرات وزير المقتدر بالله العباسى إلى ابن زيتون الماردانى عامل مصر يتضمن المبالغة فى الوصايا وزيادة الاكرام و مل المصالح فلما دخل مصر اجتمع بابن زيتون ودفع اليه الكتاب فلما قرأ ابن زيتون الكتاب ارتاب فى أمره لتغير لفظ الخطاب عما جرت به العادة وكون الدعاء أكثر مما يقتضيه محله فراعاه مراعاة قريبة ووصله صلة قليلة وحبسه عنده على وعد وعد به ثم كتب إلى أبى الحسن بن الفرات

أشجع الناس إلى السلاح وافرة الحيل إلى السوط واحد السفار إلى المسن كذلك يحتاج أجل الملوك وأعظمهم وأعلمهم إلى الوزير وروى أبو سعيد الخدري رضى الله عنه قال ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصمة الله وقال وهب بن منبه قال موسى لفرعون آمن ولك الجنة ولك ملكك قال حتى أشاور هامان فشاوره فى ذلك فقال له هامان بينما أنت إله تعبد إذ صرت تعبد فأنف واستكبر وكان من أمره ما كان وعلى هذا النمط كان وزير الحجاج يزيد بن مسلم لا يألوه خبالا ولبئس القرناء شر قرين لشر خدين وأشرف منازل الآدميين النبوة ثم الخلافة ثم الوزارة وفى الأمثال نعم الظهير الوزير وأول ما يظهر نبل السلطان وقوة تمييزه وجودة عقله فى انتخاب الوزراء واستبقاء الجلساء ومحادثة العقلاء فهذه ثلاث خلال تدل على كماله وبهذه الخلال يجمل الخلق ذكره وترسخ فى النفوس عظمته والمرء موسوم بقرينه وكان يقال حلية الملوك زينتهم وزراؤهم وفى كتاب كليلة ودمنة لا يصلح السلطان إلا بالوزراء والاعوان وقال شريح بن عبيد لم يكن فى بنى إسرائيل ملك الا ومعه رجل حكيم اذا رآه غضبان كتب اليه صحائف فى كل صحيفة إرحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة فكلما غضب الملك ناوله الحكيم صحيفة حتى يسكن غضبه ومثل الملك الخير والوزير السوء الذى يمنع الناس خيره ولا يمكنهم من الدنو منه كالماء الصافى فيه التمساح فلا يستطيع المرء دخوله وان كان سابحا وإلى الماء محتاجا ومثل السلطان كمثل الطبيب ومثل الرعية كمثل المرضى ومثل الوزير كمثل السفير بين المرضى والأطباء فاذا كذب السفير بطل التدبير وكما ان السفير إذا أراد أن يقتل أحداً من المرضى وصف للطبيب نقيض ذاته فإذا سقاه الطبيب على صفة السفير هلك العليل كذلك الوزير ينقل الى الملك ما التبس فى الرجل فيقتله الملك فمن ههنا شرط فى الوزير أن يكون صدوقا فى لسانه عدلا فى دينه مأمونا فى أخلاقه بصيرا بأمور الرعية وتكون بطانة الوزير أيضا من أهل الأمانة والبصيرة وليحذر الملك أن يولى الوزارة لئيم فاللئيم اذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوى الفضل ودخل بعض الوزراء على بعض الخلفاء وكان الوزير من أهل العقل والأدب فوجد عنده رجلا ذميا كان الخليفة يميل اليه ويقربه الوزير منشدا

يا ملكا طاعته لازمة * وحبه مفترض واجب
ان الذى شرفت من أجله * يزعم هذا أنه كاذب

وأشار الى الذمي فاسأله يا أمير المؤمنين عن ذلك فسأله فلم يجد بدا من أن يقول هو صادق فاعترف بالاسلام وكان بعض الملوك قد كتب ثلاث رقاع وقال لوزيره اذا رأيتنى غضبان فادفع الى رقعة بعد رقعة وكان فى الأولى أنك لست باله وانك ستموت وتعود الى التراب فيأكل بعضك بعضا وفى الثانية ارحم من فى الأرض يرحمك من فى السماء وفى الثالثة اقض بين الناس بحكم الله فانهم لا يصلحهم الا ذلك ولما كانت أمور المملكة عائدة الى الوزراء وأزمة الملوك فى أكف الوزراء سبق فيهم من العقلاء المثل السائر فقالوا لا تغتر بمودة الأمين اذا غشك الوزير واذا أحبك الوزير فنم ولا تخش الأمير ومثل السلطان كالدار والوزير بابها فمن أتى الدار من بابها ولج ومن أتاها من غير بابها انزعج وموقع الوزراء من المملكة كموقع المرآة من البصر فكما أن من لم ينظر فى المرآة لا يرى محاسن وجهه وعيوبه كذلك السلطان اذا لم يكن له وزير لا يعلم محاسن دولته وعيوبها ومن شروط الوزير أن يكون كثير الرحمة للخلق رؤفا بهم

يذكر الكتاب الذى ورد عليه وأنفذه بعينه فلما وقف عليه ابن الفرات عرف الرجل وذكر ما كان عليه من الحرمة وماله من الحقوق القديمة عليه فعرضه على كتابه وعرفهم الصورة وعجب إليهم منها وقال لهم ما الرأى فى مثل هذا الرجل فقال بعضهم تأديبه وقال بعضهم قطع ابهامه وقال أجلهم محضرا يكشف لابن زيتون أمره ويرسم له بطرده وحرمانه فقال ابن الفرات ما أبعدكم من الخير رجل توسل بنا وحمل المشقة إلى مصر وأمل الخير بجاهنا والانتساب الينا يكون حاله عند أحسنكم نظرا تكذيب ظنه وتخييب سعيه والله لا كان هذا أبدا ثم أخذ القلم ووقع على الكتاب المزور هذا كتابى ولست أعلم لم أنكرته أمره واعترضتك فيه شبهة وليس كل من يخدمنا نعرفه وهذا رجل خدمنى أيام نكبته فأحسن تفقده ورفده وصرفه فيما يعود نفعه عليه ثم رد الكتابة إلى ابن زيتون من يومه ومضت على ذلك مدة طويلة إذا دخل على ابن الفرات رجل ذو هيئة مقبولة وبزة جميلة فاقبل يدعو له ويثنى عليه ويبكى ويقبل يديه الأرض فقال له ابن الفرات من أنت بارك الله فيك قال صاحب الكتاب المزور إلى ابن زيتون الذى صححه كرم الوزير بفضله فضحك ابن الفرات وقال كم وصل اليك منه قال أوصل الى من ماله ومن قسط قسطه على عماله عشرين الف دينار فقال الحمد لله على صلاح حالك ثم اختبره فوجده كاتبا سديدا فاستخدمه انتهى والحمد لله على ﴿ ذكر الحصرى فى كتابه المسمى بالدر المصون فى سر

(واعلم) أنه ليس للوزير أن يكتم على السلطان نصيحة وان استثقلها وموضع الوزير من المملكة كموضع العينين من الرأس وكأن المرآة لا تريك وجهك الا بصفاء جوهرها وجودة صقلها ونقائها من الصدا كذلك السلطان لا يكمل أمره الا بجود عقل الوزير وصحة فهمه ونقاء قلبه والله تعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

﴿ الباب السابع عشر فى ذكر الحجاب والولاية ومافيها من الغرر والخطر ﴾

(أما الحجاب) فقد قيل لاشيء أضيع للمملكة وأهلك للرعية من شدة الحجاب وقيل إذا سهل الحجاب أحجمت الرعية عن الظلم واذا عظم الحجاب هجمت على الظلم وقال ميمون بن مهران كنت عند عمر بن عبد العزيز فقال لحاجبه من بالباب فقال رجل أناخ ناقته الآن يزعم أنه ابن بلال مؤذن رسول الله ﷺ فأذن له أن يدخل فلما دخل قال حدثني أبي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول من ولي شيئا من أمور المسلمين ثم حجب عنه حجبه الله عنه يوم القيامة فقال عمر لحاجبه الزم بيتك فارؤي على بابه بعد ذلك حاجب وكان خالد بن عبد الله القشيري يقول لحاجبه اذا أخذت مجلسي فلا تحجبن عني أحداً فان الوالي لا يحتجب الا لثلاث عيب يكره أن يطلع عليه أحد أو ريبة يخاف منها أن تظهر أو بخل يكره معه أن يسأل شيئاً وكانت العجم تقول لاشيء أضيع للمملكة من شدة حجاب الملك ولاشيء أهيب للرعية وأكف لهم عن الظلم من سهولته وقيل لبعض الحكماء ما الجرح الذي لا يندمل قال حاجة الكريم الى اللئيم ثم يرده بغير قضائها قيل فما الذي هو أشد منه قال وقوف الشريف بباب الدنيء ثم لا يؤذن له ووقف عبد الله بن العباس بن الحسن العلوي على باب المأمون يوماً فنظر اليه الحاجب ثم أطرق فقال عبد الله لقوم معه أنه لو أذن لنا لدخلنا ولو صرفنا لانصرفنا ولو اعتذر الينا لقبلنا وأما النظرة والتوقف بعد التعرف فلا أفهم معناه ثم تمثل بهذا البيت .

وما عن رضى كان الحمار مطيتي ولكن من يمشي سيرضى بما ركب

ثم انصرف فبلغ ذلك المأمون فضرب الحاجب ضرباً شديداً وأمر لعبد الله بصلة جزيلة وعشر دواب

(قال الشاعر) رأيت أناسا يسرعون تبادرا اذا فتح البواب بابك أصبعا

ونحن جلوس ساكتون رزانة وحلما الى ان يفتح الباب أجمعا

ووقف رجل خراساني بباب أبي دلف العجلي حيناً فلم يؤذن له فكتب رقعة وتلطف فى وصولها اليه وفيها

اذا كان فضل الكريم له حجاب فما فضل الكريم على اللئيم

فأجابه أبو دلف بقوله اذا كان الكريم قليل المال ولم يعذر تعلل بالحجاب

وأبواب الملوك محجبات فلا تستنكرن حجاب بابي

(ومن) محاسن النظم فى ذم الاحتجاب قول بعضهم

سأهجركم حتى يلين حجابكم على أنه لابد سوف يلين

خذوا حذركم من صفوة الدهر انها وان لم تكن خانت فسوف تخون

وقال آخر ماذا على بواب داركم الذي لم يعطنا أذنا ولا يستأذن

لو ردنا ردا جميلا عنكم أو كان يدفع بالتي هى أحسن

الهوى المكنون) أن الجاحظ ذكر للواثق لتأديب بعض أولاده فلما رآه استبشع منظره فأمر له بعشرة آلاف درهم وصرفه

قال الجاحظ فخرجت من عنده فرأيت محمد بن ابراهيم وهو يريد الانحدار الى مدينة السلام فعرض علي الانحدار معه فانحدرت ونصبت ستارة وأمر بالغناء فاندفعت عوادة تغني

كل يوم قطيعة وعتاب ينقضي دهرنا ونحن غضاب

ليت شعري أنا خصصت بهذا دون ذا الخلق أم كذا الأحباب

ثم سكتت فأمر طنبورية فغنت

وارحمنا للعاشقينا ما ان ارى لهم معينا كم يهجرون ويصرمون ويقطعون فيصبرونا

فقالت العوادة فيصنعون ماذا فقالت يصنعون هكذا وضربت بيدها على الستارة وبدت كأنها فلقة بدر ثم رمت بنفسها فى الماء قال وكان على رأس محمد غلام يضاهيها فى الجمال وفى يده مذبة فألقى المذبة من يده لما رأى ما صنعت الجارية ثم أتى الى موضع سقوطها ونظر اليها وأنشد :

أنت التي غرقتني بعد القضا لو تعلمينا

ورمى بنفسه فى أثرها فأدار الملاح الحراقة فاذا بهما متعانقين ثم غاصا فهال ذلك محمدا واستعظمه وقال يا عمرو ان لم تحدثني حديثا يسليني عنهما ألحقتك بهما قال الجاحظ فحضرني خبر سليمان بن عبد الملك وقد قعد يوما للمظالم وعرضت عليه القصص فمرت قصة فيها مكتوب ان رأى أمير المؤمنين أعزه

وقال

وقال آخر أمرت بالتسهيل فى الاذن لى ... ولم ير الحاجب أن يأذنا
فمن تراني بعدهــــا عائدا ... وان تراه بعد مستأذنا

وقال آخر ولقد رأيت بباب دارك جفوة ... فيها لحسن صنيعك التكدير
ما بال دارك حين يدخل جنة ... وبباب دارك منكر ونكير

وقال آخر إذا جئت ألقى عند بابك حاجبا ... محياه من فرط الجهالة حالك
ومن عجب مغناك جنة قاصد ... وحاجبها من دون رضوان مالك

وقال آخر سأترك بابا أنت تملك اذنه ... ولو كنت أعمى عن جميع المسالك
فلو كنت بواب الجنان تركتها ... وحولت رجلى مسرعا نحو مالك

وقال آخر ماذا يفيدك أن تكون محجبا ... والعبد بالباب الكريم يلوذ
ما أنت إلا فى الحصار معى فلا ... تتعب فكل محاصر مأخوذ

وقال أبو تمام سأترك هذا الباب مادام اذنه ... على ما أرى حتى يلين قليلا
فما خاب من لم يأته معتمدا ... ولا فاز من قد نال منه وصولا
إذا لم نجد للاذن عندك موضعا ... وجدنا إلى ترك المجىء سبيلا

واستأذن رجل على أمير فقال للحاجب قل له ان الكرى قد خطب الى نفسى وإنما هى هجعة وأهب فخرج الحاجب فقال الرجل ما الذى قال لك قال قال كلاما لا أفهمه وهو يريد أن يأذن لك وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه إنما امهل فرعون مع دعواه الالوهية لسهولة اذنه وبذل طعامه وقال عمرو بن مرة الجهنى لمعاوية سمعت رسول الله ﷺ يقول مامن أمير يغلق بابه دون ذوى الحاجة والخلة والمسئلة الا أغلق الله أبواب السموات دون حاجته وخلته ومسئلته * وجاء النامى الشاعر لبعض الأمراء فحجبه فقال

سأصبر ان جفوت فكم صبرنا ... لمثلك من أمير أو وزير
رجوناهم فلما أخلفونا ... تمادت فيهم غير الدهور
فبتنا بالسلامة وهى غنم ... وباتوا فى المحابس والقبور
ولما لم ننل منهم سرورا ... رأينا فيهم كل السرور

(وأنشدوا فى ذلك أيضا)

قل الذين تحجبوا عن راغب ... بمنازل من دونها الحجاب
ان حال عن لقياكم بوابكم ... فالله ليس لبابه بواب

واستأذن سعد بن مالك على معاوية فحجبه فأتى إليه الناس وفيهم كعب فقال وما يبكيك ياسعد فقال ومالى لا أبكى وقد ذهب الاعلام من أصحاب رسول الله ﷺ ومعاوية يلعب بهذه الأمة فقال كعب لاتبك فان فى الجنة قصرا من ذهب يقال له عدن أهله الصديقون والشهداء وأنا أرجو أن تكون من أهله * واستأذن بعضهم على خليفة كريم وحاجبه لئيم فحجبه فقال

فى كل يوم لى ببابك وقفة ... أطوى إليه سائر الابواب
وإذا حضرت رغبت عنك فانه ... ذنب عقوبته على البواب

(وأما ذكر الولايات وما فيها من الخطر العظيم) فقد قال الله تعالى لداود عليه السلام ياداود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب جاء فى التفسير أن من أتباع الهوى أن يحضر الخصمان

الله أن يخرج إلى جاريته فلانة حتى تغنيني ثلاثة أصوات فعل إن شاء الله تعالى فاغتاظ سليمان لذلك وأمر من يأتيه برأسه ثم أردفه رسولا آخر أن يدخل به إليه فلما دخل قال ما حملك على ماصنعت قال الثقة بحلمك والاتكال على عفوك فأمره بالقعود حتى لم يبق أحد من بنى أمية إلا خرج ثم أمر بالجارية فأخرجت ومعها عود فقال لها غنى مايقول لك فقال الفتى غنى

تألق البرق نجديا فقلت له ... أيها البرق انى عنك مشغول

فغنته فقال له سليمان أتأمر لى برطل فأتى به فشربه ثم قال لها غنى

حبذا رجعها إلينا يداها ... فى يدى درعها تحل الازارا

فغنته فقال لسليمان أتأمر لى برطل فأتى به فشربه ثم قال غنى

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل ... وإن كنت قد أزمعت صرمى فاجملى

فغنته فقال لسليمان تأمر لى برطل فما استتم شربه حتى صعد على الفور على قبة لسليمان فرمى بنفسه على دماغه فمات فقال سليمان إنا لله وإنا إليه راجعون أتراه الأحمق ظن انى أخرج إليه جاريتى وأردها إلى ملكى ياغلمان خذوا بيد هذه الجارية وانطلقوا بها إلى أهله إن كان له أهل وإلا فبيعوها وتصدقوا بثمنها عليه فلما انطلقوا بها نظرت إلى حفيرة فى دار سليمان اتخذت للمطر فجذبت نفسها من أيديهم ثم قالت

من مات عشقا فليمت هكذا ... لاخير فى عشق بلا موت

فرمت بنفسها فى الحفيرة فماتت فسرى عن محمد وأحسن صلتى

انتهى (وكتب) أبو منصور افتكين التركي متولي دمشق إلى عضد الدولة ابن بويه كتابا مضمونه أن الشام قد صفا
وصار في يدي وزال عنه حكم صاحب مصر وان قويتني بالاموال والرجال والعدد حاربت القوم في مستقرهم فكتب
اليه عضد الدولة في جوابه
هذه الكلمات وهي متشابهة
في الخط لا تعرف إلا بعد
النقط والضبط وهي غرك
عزك فصار قصار ذلك ذلك
فاخش فاحش فعلك فعلك
تهدأ بهذا قال القاضي شمس
الدين بن خلكان تغمده
الله برحمته لقد أبدع
غاية الابداع (قلت)
وأبدع منه قول السلامي
فيه من قصيدته التي منها
اليك طوى عرض
البسيطة عاجل (
قصار المطايا أن يلوح لها
القصر
فكنت وعزمي في الظلام
وصارمي
ثلاثة أشياء كما اجتمع
النسر
وبشرت آمالي بملك
الورى
ودار هي الدنيا ويوم هو
الدهر
قال ابن خلكان هذا على
الحقيقة هو السحر الحلال
كما يقال * وقد أخذ هذا
المعنى القاضي أبو بكر
الأرجاني فقال
ياسائلي عنه لما جئت
أمدحه
هذا هو الرجل العاري
من العار
لقيته فرأيت الناس في رجل
والدهر في ساعة والأرض

ملكا

في دار ولكن اين الثريا من الثرى * وألم أبو الطيب المتنبي أيضا بهذا المعنى لكنه
ما استوفى بقوله هو الغرض الأقصى ورؤيتك المنى ومنزلك الدنيا وأنت الخلائق * ولكن ليس لأحد منهما طلاوة بيت السلامي

بين يديك فتود أن يكون الحق الذي في قلبك حبة خاصة وبهذا سلب سليمان بن داود ملكه قال ابن
عباس رضي الله عنهما كان الذي أصاب سليمان بن داود عليهما السلام أن ناسا من أهل جرادة امرأته
وكانت من أكرم نسائه عليه تحاكموا إليه مع غيرهم فأحب أن يكون الحق لأهل جرادة فيقضي لهم
فعوقب بسبب ذلك حيث لم يكن هواه فيهم واحدا * وروي عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال
قال لي رسول الله ﷺ يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان أعطيتها من غير مسئلة أعنت عليها
وإن أعطيتها عن مسئلة وكلت إليها وقال معقل بن يسار رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من
عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصيحته إلا لم يجد رائحة الجنة وفي الحديث من ولي من أمور
المسلمين شيئا ثم لم يحطهم بنصيحته كما يحوط أهل بيته فليتبوأ مقعده من النار وروي أن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه بعث إلى عاصم يستعمله على الصدقة فأبى وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا كان يوم
القيامة يؤتى بالوالي فيقف على جسر جهنم فيأمر الله تعالى الجسر فينتفض انتفاضة فيزول كل عضو
منه عن مكانه ثم يأمر الله تعالى بالعظام فترجع إلى أماكنها فان كان لله مطيعا أخذ بيده وأعطاه كفلين
من رحمته وإن كان لله عاصيا انخرق به الجسر فهوى به في نار جهنم مقدار سبعين خريفا وقال عمر رضي
الله عنه سمعت من النبي ﷺ ما لم أسمع قال نعم وكان سلمان وأبو ذر حاضرين فقال سلمان أي والله
يا عمر ومع السبعين سبعون خريفا في واد يلتهب التهابا فضرب عمر رضي الله عنه بيده على جبهته وقال
إنا لله وإنا إليه راجعون من يأخذها بما فيها فقال سلمان من أرغم الله أنفه وألصق خده بالأرض
وروى أبو داود في السنن قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أن أبي عريف على الماء
واني أسألك أن تجعل لي العرافة من بعده فقال النبي ﷺ العرفاء في النار وروى أبو سعيد الخدري رضي
الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إن أشد الناس عذابا يوم القيامة الإمام الجائر وقالت عائشة رضي الله عنها
سمعت رسول الله ﷺ يقول يؤتى القاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يود أنه لم
يقض بين اثنين في تمرة وقال الحسن البصري أن النبي ﷺ دعا عبد الرحمن بن سمرة يستعمله فقال
يا رسول الله خر لي فقال اقعد في بيتك وقال أبو هريرة رضي الله عنه ما من أمير يؤمر على عشرة
إلا جيء به يوم القيامة مغلولا أنجاه عمله أو أهلكه وقال طاوس لسليمان بن عبد الملك هل تدري
يا أمير المؤمنين من أشد الناس عذابا يوم القيامة قال سليمان قل فقال طاوس أشد الناس عذابا يوم
القيامة رجل أشركه الله في ملكه فجار في حكمه فاستلقى سليمان على سريره وهو يبكي فما زال يبكي
حتى قام عنه جلساؤه وقال ابن سيرين جاء صبيان إلى أبي عبيدة السلماني يتخيرون إليه في ألواحهم
فلم ينظر اليها وقال هذا حكم لا أتولى حكما أبدا وقال أبو بكر بن أبي مريم حج قوم فمات صاحب لهم
بأرض فلاة فلم يجدوا ماء فأتاهم رجل فقالوا له دلنا على الماء فقال احلفوا لي ثلاثا وثلاثين يمينا انه لم يكن
صرافا ولا مكاسا ولا عريفا وتروى ولا عرافا ولا بريدا وأنا أدلكم على الماء فحلفوا له ثلاثا
وثلاثين يمينا كما قال فدلهم على الماء فقالوا له أعنا على غسله فقال لا حتى تحلفوا لي ثلاثا وثلاثين
يمينا كما تقدم فحلفوا له فأعانهم على غسله ثم قالوا له تقدم فصل عليه فقال لا حتى تحلفوا لي ثلاثا
وثلاثين يمينا كما تقدم فحلفوا له فصلى عليه ثم التفتوا فلم يجدوا أحدا فكانوا يرون أنه الخضر عليه
السلام وقال أبو ذر رضي الله عنه قال لي رسول الله ﷺ يا أبا ذر إني أحب لك ما أحب لنفسي وإني
أراك ضعيفا فلا تتأمرن على اثنين ولا تلين مال يتيم (ومن غريب ما اتفق وعجيب ما سبق) ما حكي أن

انتهى (نادرة لطيفة) كان أبو بكر المحلى يتولى نفقات أبى المسك كافور الاخشيدى وكان له فى كل عيد أضحى عادة وهو أن يسلم إلى
أبى بكر المذكور بغلا محملا ذهبا وجريدة تتضمن أسماء قوم من حد القرافة إلى الجبانة وما بينهما قال أبو بكر المذكور
وكان يمشى معى صاحب الشرطة ونقيب يعرف المنازل وأطوف من بعد العشاء الاخيرة إلى آخر الليل حتى أسلم ذلك إلى من تضمنت اسمه الجريدة فاطرق منزل كل إنسان ما بين رجل وامرأة وأقول الاستاذ أبو المسك كافور الاخشيدى يهنئك بالعيد ويقول لك اصرف هذا فى منفعتك فارفع اليه ما جعل له | وفى آخر وقت زاد فى الجريدة الشيخ أبا عبد الله بن جابار وجعل له فى ذلك العيد مائة دينار فطفت فى تلك الليلة وانفقت المال فى أربابه ولم يبق الا الصرة فجعلتها فى كمى وسرت مع النقيب حتى أتينا منزله بظاهر القرافة فطرقت الباب فنزل الينا الشيخ وعليه أثر السهر فسلمت عليه فلم يرد على وقال ما حاجتك قلت الاستاذ أبو المسك كافور يخص الشيخ بالسلام فقال وإلى بلدنا قلت نعم قال حفظه الله الله يعلم انى أدعو له فى الخلوات وأدبار الصلوات بما الله سامعه ومستجيبه قلت وقد انفذ
معى نفقة وهى هذه الصرة ويسألك قبولها والتصرف فى مؤنة هذا العيد المبارك فقال نحن رعيته ونحبه فى الله تعالى وما قصد هذه المحبة بعلة
فراجعته القول فتبين لى الضجر فى وجهه والقلق واستحييت من الله أن أقطعه عما هو عليه فتركته وانصرفت فلما جئت فوجدت الامير

ملكا من ملوك الفرس يقال له أردشير وكان ذا مملكة متسعة وجند كثير وكان ذا بأس شديد قد
وصف له بنت ملك بحر الاردن بالجمال البارع وأن هذه البنت بكر ذات خدر فسير أردشير من يخطبها
من أبيها فامتنع من اجابته ولم يرض بذلك فعظم ذلك على أردشير وأقسم بالايمان المغلظة ليغزون
الملك أبا البنت وليقتلنه هو وابنته شر قتلة وليمثلن بهما أخبث مثلة فسار اليه أردشير فى جيوشه فقاتله
فقتله أردشير وقتل سائر خواصه ثم سأل عن ابنته المخطوبة فبرزت اليه جارية من القصر من أجمل
النساء وأكمل البنات حسنا وجمالا وقدا واعتدالا فبهت أردشير من رؤيته اياها فقالت له أيها الملك
انى ابنة الملك الفلانى ملك المدينة الفلانية وان الملك الذى قتلته أنت قد غزا بلدنا وقتل أبى وقتل سائر
أصحابه قبل أن تقتله أنت وانه أسرنى فى جملة الاسارى وأتى به فى هذا القصر فلما رأتنى ابنته التى
أرسلت تخطبها أحبتنى وسألت أباها أن يتركنى عندها لتأنس بى فتركنى لها فكنت أنا وهى كاننا
روحان فى جسد واحد فلما أرسلت تخطبها خاف أبوها عليها منك فأرسلها إلى بعض الجزائر فى البحر
الملح عند بعض أقاربه من الملوك فقال أردشير وددت لو أنى ظفرت بها فكنت أقتلها شر قتلة ثم انه
أمل الجارية فرآها فائقة فى الجمال فمالت نفسه اليها فاخذها للتسرى وقال هذه أجنبية من الملك ولا
أحنث فى يمينى بأخذها ثم انه واقعها وازال بكارتها فحملت منه فلما ظهر عليها الحمل اتفق انها تحدثت
معه يوما وقد رأته منشرح الصدر فقالت له انت غلبت أبى وأنا غلبتك فقال لها ومن أبوك فقالت له
هو ملك بحر الاردن وأنا ابنته التى خطبتها منه وانى سمعت انك أقسمت لتقتلنى فتحيلت عليك بما
سمعت والآن هذا ولدك فى بطنى فلا يتهيأ لك قتلى فعظم ذلك على أردشير إذ قهرته امرأة وتحيلت عليه
حتى تخلصت من يديه فانتهرها وخرج من عندها مغضبا وعول على قتلها ثم ذكر لوزيره ما اتفق له
معها فلما رأى الوزير عزمه قويا على قتلها خشى أن تتحدث الملوك عنه بمثل هذا وانه لا يقبل فيها
شفاعة شافع فقال أيها الملك أن الرأى هو الذى خطر لك والمصلحة هى التى رأيتها أنت وقتل هذه
الجارية فى هذا الوقت أولى وهو عين الصواب لانه أحق من أن يقال ان امرأة قهرت رأى الملك
وحنثته فى يمينه لأجل شهوة النفس ثم قال أيها الملك ان صورتها مرحومة وحمل الملك معها وهى أولى
بالستر ولا أرى فى قتلها أستر ولا أهون عليها من الغرق فقال له الملك نعم ما رأيت خذها غرقها فاخذها
الوزير ثم خرج بها ليلا إلى بحر الاردن ومعه ضوء ورجال وأعوان فتحيل إلى ان طرح شيئا فى
البحر أوهم من كان معه انها الجارية ثم أنه أخفاها عنده فلما أصبح جاء إلى الملك فأخبره أنه أغرقها
فشكره على ما فعل ثم ان الوزير ناول الملك حقا مختوما وقال أيها الملك انى نظرت مولدى فرأيت أجلى
قد دنا على ما يقتضيه حساب حكماء الفرس فى النجوم وان لى أولادا وعندى مال قد ادخرته من نعمتك
فخذه إذا أنا مت أن رأيت وهذا الحق فيه جوهر أسأل الملك أن يقسمه بين أولادى بالسوية فانه ارثى
الذى قد ورثته من أبى وليس عندى شىء اكتسبته منه الا هذا الجوهر فقال له الملك يطول الرب
فى عمرك ومالك لك ولأولادك سواء كنت حيا أو ميتا فألح عليه الوزير ان يجعل الحق عنده وديعة
فأخذه الملك وأودعه عنده فى صندوق ثم مضت أشهر الجارية فوضعت ولدا ذكرا جميلا حسن
الخلقة مثل فلقة القمر فلاحظ الوزير جانب الادب فى تسميته فرأى أنه ان اخترع له اسما وسماه به
وظهر لوالده بعد ذلك فيكون قد أساء الادب وان هو تركه بلا اسم لم يتهيأ له ذلك فسماه شاه بور ومعنى
شاه بور بالفارسية ابن ملك وان شاه ملك وبور ابن ولغتهم مبنية على تأخير المتقدم وتقديم المتأخر

وهذه تسمية ليس فيها مؤاخذة ولم يزل الوزير يلاطف الجارية والولد إلى أن بلغ حد التعليم فعلمه كل ما يصلح لأولاد الملوك من الخط والحكمة والفروسية وهو يوهم أنه مملوك واسمه شاه بور إلى أن راهق البلوغ هذا كله وأردشير ليس له ولد وقد طعن في السن وأقعده الهرم فمرض وأشرف على الموت فقال للوزير أيها الوزير قد هرم جسمي وضعفت قوتي وإني أرى أني ميت لا محالة وهذا الملك يأخذه من بعدي من قضى له به فقال الوزير لو شاء الله أن يكون للملك ولد كان قد ولي بعده الملك ثم ذكره بأمر بنت ملك بحر الأردن وحملها فقال الملك لقد ندمت على تغريقها ولو كنت أبقيتها حتى تضع فلعل حملها يكون ذكرا فلما شاهد الوزير من الملك الرضا قال أيها الملك انها عندي حية ولقد وضعت ولدا ذكرا من أحسن الغلمان خلقا وخلقا فقال الملك أحق ما تقول فأقسم الوزير أن نعم ثم قال أيها الملك ان في الولد روحانية تشهد بأبوة الأب وفي الولد روحانية تشهد ببنوة الابن لا يكاد ذلك ينخرم أبدا وإني آتي بهذا الغلام بين عشرين غلاما في سنه وهيئته ولباسه وكلهم ذوو آباء معروفين خلاه وإني أعطي كل واحد منهم صولجانا وكرة وآمرهم أن يلعبوا بين يديك في مجلسك هذا ويتأمل الملك صورهم وخلقتهم وشمائلهم فكل من مالت اليه نفسه وروحانيته فهو هو فقال الملك نعم التدبير الذي قلت فأحضرهم الوزير على هذه الصورة ولعبوا بين يدي الملك فكان الصبي منهم إذا ضرب الكرة وقربت من مجلس الملك تمنعه الهيبة أن يتقدم ليأخذها إلا شاه بور فانه كان إذا ضربها وجاءت عند مرتبة أبيه تقدم فأخذها ولا تأخذه الهيبة منه فلاحظ أردشير ذلك منه مرارا فقال أيها الغلام ما اسمك قال شاه بور فقال صدقت أنت ابني حقا ثم ضمه اليه وقبله بين عينيه فقال له الوزير هذا هو ابنك أيها الملك ثم أحضر بقية الصبيان ومعهم عدول فأثبت لكل صبي منهم والدا بحضرة الملك فتحقق الصدق في ذلك ثم جاءت الجارية وقد تضاعف حسنها وجمالها فقبلت يد الملك فرضي عنها فقال الوزير أيها الملك قد دعت الضرورة في هذا الوقت إلى احضار الحق المختوم فأمر الملك باحضاره ثم أخذه الوزير وفك ختمه وفتحه فاذا فيه ذكر الوزير وأنثياه مقطوعة مصانة فيه مر قبل أن يتسلم الجارية من الملك وأحضر عدولا من الحكماء وهم الذين كانوا فعلوا به ذلك فشهدوا عند الملك بأن هذا الفعل فعلناه به من قبل أن يسلم الجارية بليلة واحدة قال فدهش الملك أردشير وبهت لما أبداه هذا الوزير من قوة النفس في الخدمة وشدة مناصحته فزاد سروره وتضاعف فرحه لصيانة الجارية وإثبات نسب الولد ولحوقه به ثم أن الملك عوفي من مرضه الذي كان به وصح جسمه ولم يزل يتقلب في نعمه وهو مسرور بابنه إلى أن حضرته الوفاة ورجع الملك إلى ابنه شاه بور بعد موت أبيه وصار ذلك الوزير يخدم ابن الملك أردشير وشاه بور يحفظ مقامه ويرعى منزلته حتى توفاه الله تعالى والله تعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين

﴿ الباب الثاني عشر فيما جاء في القضاء. وذكر القضاة وقبول الرشوة والهدية على الحكم وما يتعلق بالديون وذكر القصاص والمتصوفة وفيه فصول ﴾

(الفصل الأول فيما جاء في القضاء وذكر القضاة وأحوالهم وما يجب عليهم) قال الله تعالى يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وقال تعالى فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط وقال تعالى

قد تهيأ للركوب وهو ينتظرني فلما رآني قال إيه يا أبا بكر قلت أرجو الله أن يستجيب فيك كل دعوة صالحة دعيت لك في هذه الليلة وفي هذا اليوم الشريف فقال الحمد لله الذي جعلني لإيصال الراحة إلى عباده ثم أخبرته بامتناع ابن جابار فقال نعم هو جدير لم تجر بيننا وبينه معاملة قبل هذا اليوم ثم قال لي عد إليه واركب دابة من دواب النوبة وأطرق بابه فاذا نزل اليك فانه سيقول لك ألم تكن عندنا فلا ترد عليه جوابا ثم استفتح واقرأ بسم الله الرحمن الرحيم طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى يا ابن جابار الأستاذ كافور يقول لك ومن كافور العبد الأسود ومن هو مولاه ومن الخلق ليس لأحد مع الله ملك ولا شركة تلاشى الناس كلهم ههنا أتدري من هو معطيك وعلى من رددت أنت ما سألت وإنما هو أرسل لك يا ابن جابار أنت ما تفرق بين السبب والمسبب ❊ قال أبو بكر فركبت وسرت فطرقت منزله فنزل إلي فقال لي مثل لفظ كافور فأضربت عن الجواب وقرأت طه ثم قلت له ما قال لي كافور فبكى وقال لي أين ما حملت فأخرجت الصرة فأخذها وقال علمنا الأستاذ كيف التصوف قلت له احسن الله جزاءك ثم عدت اليه فأخبرته بذلك فسر وسجد شكرا لله تعالى وقال الحمد لله على ذلك (ونقل ابن خلكان في تاريخه) أن أبا عبد الله محمد بن الأعرابي كان ومن

ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون وقال رسول الله ﷺ من حكم بين اثنين تحا كما إليه وارتضياه فلم يقض بينهما بالحق فعليه لعنة الله وعن أبي حازم قال دخل عمر على أبي بكر رضوان الله عليهما فسلم فلم يرد عليه فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف أخاف أن يكون وجد على خليفة رسول الله ﷺ فكلم عبد الرحمن أبا بكر فقال أتاني وبين يدي خصمان قد فرغت لهما قلبي وسمعي وبصري وعلمت أن الله سائلي عنهما وعما قالا وقلت وادعى رجل على علي عند عمر رضي الله عنهما وعلي جالس فالتفت عمر إليه وقال يا أبا حسن قم فاجلس مع خصمك فتناظرا وانصرف الرجل ورجع علي إلى مجلسه فتبين لعمر التغير في وجه علي فقال يا أبا الحسن مالي أراك متغيرا أكرهت ما كان قال نعم قال وما ذاك قال كنيتني بحضرة خصمي هلا قلت يا علي قم فاجلس مع خصمك فأخذ عمر براس علي رضي الله عنهما فقبله بين عينيه ثم قال بأبي أنتم بكم هدانا الله وبكم أخرجنا من الظلمات إلى النور * وعن أبي حنيفة رضي الله عنه القاضي كالغريق في البحر الأخضر إلى متى يسبح وإن كان سابحا * وأراد عمر بن هبيرة أن يولي أبا حنيفة القضاء فأبى فحلف ليضربنه بالسياق وليسجننه فضربه حتى انتفخ وجه أبي حنيفة ورأسه من الضرب فقال الضرب بالسياط في الدنيا أهون علي من الضرب بمقامع الحديد في الآخرة * وعن عبد الملك بن عمير عن رجل من أهل اليمن قال أقبل سيل باليمن في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فكشف على باب مغلق فظنناه كنزا فكتبنا إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه فكتب إلينا لا تحركوه حتى يقدم إليكم كتابي ثم فتح فاذا رجل على سرير عليه سبعون حلة منسوجة بالذهب وفي يده اليمنى لوح مكتوب فيه هذان البيتان

إذا خان الأمير وكاتباه ... وقاضي الأرض داهن في القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل ... لقاضي الأرض من قاضي السماء

وإذا عند رأسه سيف أشد خضرة من البقلة مكتوب عليه هذا سيف عاد بن ارم عن ابن أبي أوفى عن النبي ﷺ أنه قال ان الله مع القاضي مالم يجر فإذا جار برئ الله منه ولزمه الشيطان وقال محمد بن حريث بلغني أن نصر بن علي راودوه على القضاء بالبصرة واجتمع الناس اليه فكان لا يجيبهم فلما ألحوا عليه دخل بيته ونام على ظهره وألقى ملاءة على وجهه وقال اللهم ان كنت تعلم أني لهذا الأمر كاره فاقبضني اليك فقبض * وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ القضاء جسور للناس يمرون على ظهورهم يوم القيامة وقال حفص بن غياث لرجل كان يسأله عن مسائل القضاء لعلك تريد أن تكون قاضيا لأن يدخل الرجل أصبعيه في عينيه فيقلعهما ويرمي بهما خير له من أن يكون قاضيا وقيل أول من أظهر الجور من القضاة بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري كان أمير البصرة وقاضيها وكان يقول ان الرجلين يتقدمان إلي فأجد أحدهما أخف على قلبي من الآخر فاقضي له * وتقدم المأمون بين يدي القاضي يحيى بن أكثم مع رجل ادعى عليه بثلاثين ألف دينار فطرح للمأمون مصلى يجلس عليه فقال له يحيى لا تأخذ عن خصمك شرف المجلس ولم يكن للرجل بينة فأراد ان يحلف المأمون فدفع اليه المأمون ثلاثين الف دينار وقال والله ما دفعت لك هذا المال الا خشية أن تقول العامة انى تناولتك من جهة القدرة ثم أمر ليحيى بمال وأجزل عطاءه * وقدم خادم من وجوه خدم المعتضد بالله إلى أبي يوسف بن يعقوب في حكم فارتفع الخادم على خصمه في المجلس فزجره الحاجب عن ذلك فلم يقبل فقال أبو يوسف قم أتؤمر أن تقف بمساواة خصمك في المجلس فتمتنع يا غلام ائتني بعمرو بن أبي

يزعم أن الاصمعي وأبا عبيدة لا يحسنان شيئا وكان يقول جائز في كلام العرب أن يعاقب بين الضاد والظاء فلا يخطى من يجعل هذا في موضع هذا وينشد إلى الله أشكو من خليل أوده ثلاث خصال كلها لي غائض ويقول هكذا سمعته بالضاد (ومن النوادر اللطيفة) ورد أبو نصر الفارابي إلى دمشق على سيف الدولة بن حمدان وهو إذ ذاك سلطانها قيل انه لما دخل عليه وهو بزي الاتراك وكان ذلك زيه دائما وقف فقال له سيف الدولة اجلس فقال حيث أنا أو حيث أنت فقال حيث أنت فتخطى رقاب الناس حتى انتهى إلى مسند سيف الدولة وزاحمه فيه حتى أخرجه عنه وكان على رأس سيف الدولة مماليك وله معهم لسان خاص يسارهم به فقال لهم بذلك اللسان ان هذا الشيخ قد أساء الأدب واني سائله عن أشياء ان لم يعرفها اخرجوا به فقال له أبو نصر بذلك اللسان أيها الأمير اصبر فان الأمور بعواقبها فعجب سيف الدولة منه وعظم عنده ثم أخذ يتكلم مع العلماء والحاضرين في كل فن فلم يزل كلامه يعلو وكلامهم يسفل حتى صمت الكل وبقي يتكلم وحده ثم أخذوا يكتبون مايقوله فصرفهم سيف الدولة وخلا به فقال له هل لك في ان تأكل قال لا قال فهل لك ان تشرب قال لا فقال هل تسمع قال نعم فأمر سيف الدولة باحضار القيان فحضر كل ماهر في الصنعة بأنواع الملاهي فخطأ الجميع فقال له سيف الدولة هل تحسن

هذه الصنعة قال نعم ثم أخرج من وسطه خريطة ففتحها فاخرج منها عيدانا وركبها ثم لعب بها فضحك كل من فى المجلس ثم فكها وركبها تركيبا آخر فبكى كل

من فى المجلس ثم فكها وغير تركيبها وحركها فنام كل من فى المجلس حتى البواب فتركهم نياما وخرج ◦ وهو الذى وضع القانون وكان منفردا بنفسه لا يجالس الناس وكان مدة اقامته بدمشق لا يكون غالبا الا عند مجتمع المياه أو مشتبك الرياض وهناك يؤلف كتبه وكان أزهد الناس فى الدنيا لا يحتفل بأمر مسكن ولا مكسب وسأله سيف الدولة فى مرتب من بيت المال فقال يكفينى أربعة دراهم ولم يزل على ذلك إلى ان توفى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة بدمشق وصلى عليه سيف الدولة وأربعة من خواصه وقد ناهز ثمانين سنة ودفن بظاهر دمشق خارج الباب الصغير (ومن المنقول من خط القاضى الفاضل) أن نور الدين الشهيد كتب إلى راشد الدين سنان صاحب القلاع الاسماعيلية كتابا يهدده فشق ذلك على سنان فكتب اليه بما هو فوق الوصف بحكاية الحال وهو

يا ذا الذى بقراع السيف هددنا
لا قام مصرع قلبى كنت تصرعه
قام الحمام إلى البازى يهدده
واستصرخت بأسود الغاب أضبعه
أضحى يسد فم الافعى بأصبعه
يكفيه ماذا تلاقى منه أصبعه
وقفنا على تفصيله وجمله وعلمنا ماهددنا به من قوله وعمله فيالله العجب

عمر والنخاس فانه ان قدم على الساعة أمرته ببيع هذا العبد وحمل ثمنه إلى أمير المؤمنين ثم ان الحاجب أخذ بيده حتى أوقفه بمساواة خصمه فلما انقضى الحكم رجع الخادم إلى المعتضد وبكى بين يديه وأخبره بالقصة فقال له لو باعك لأجزت بيعه ولم أردك إلى ملكى فليست منزلتك عندى تزن رتبة المساواة بين الخصمين فى الحكم فان ذلك عمود السلطان وقوام الأديان والله تعالى أعلم

(وقال) الابرش العكلى يمدح بعد القضاة

رفضت وعطلت الحكومة قبله ... فى آخرين وملها رواضها
حتى إذا ماقام ألف بينها ... بالحق حتى جمعت أوفاضها

(وفى ضد ذلك قول بعضهم)

أبكى وأندب ملة الإسلام ... إذ صرت تقعد مقعد الحكام
ان الحوادث ماعلمت كثيرة ... وأراك بعض حوادث الأيام

وتقدمت امرأة إلى قاض فقال لها جامعك شهودك فسكتت فقال كاتبه ان القاضى يقول لك جاء شهودك معك قالت نعم هلاقلت مثل ماقال كاتبك كبر سنك وقل عقلك وعظمت لحيتك حتى غطت على لبك مارأيت ميتا يقضى بين الأحياء غيرك ◦ وقيل المضروب بهم المثل فى الجهل وتحريف الأحكام قاضى منى وقاضى كسكر وقاضى أيدج وهو الذى قال فيه أبو إسحق الصابى

يارب ع ج أعاج ... مثل البعير الأهوج
رأيته ... مطلما ... خلف باب مرتج
وخلفه عذيبة ... تذهب طورا وتجى
فقلت من هذا ترى ... فقيل قاضى أيدج

وقاضى شلبة وهو الذى قال فيه أبو الحسن الجوهرى

رأيت رأسا كدبه ... ولحية كالمذبه
فقلت من أنت قل لى ... فقال قاضى شلبه

(وتقدمت) امرأة جميلة إلى الشعبى فادعت عنده فقضى لها فقال هذيل الأشجعى

فتن الشعبى لما ... رفع الطرف اليها
فتنته ببنان ... كيف لو رأى معصميها
ومشت مشيا رويدا ... ثم هزت منكبيها
فقضى جورا على الخصم ولم يقض عليها

فتناشدها الناس وتداولوها حتى بلغت الشعبى فضرب الأشجعى ثلاثين سوطا (وحكى) ابن أبى ليلى قال انصرف الشعبى يوما من مجلس القضاء ونحن معه فررنا بخادمة تغسل الثياب وهى تقول فتن الشعبى لما فتن الشعبى ◦ ولم تعرف بقية البيت فلقنها الشعبى وقال رفع الطرف اليها ◦ ثم قال أبعده الله أما أنا فما قضيت الا بالحق ◦ وأنشد بعضهم فى أمين الحكم تماوتن إذا مشت تخشعا ◦ حتى تصيب وديعة ليتيم

(الفصل الثانى فى الرشوة والهدية على الحكم وما جاء فى الديوان)

أما الرشوة فقد روى عن النبى ﷺ أنه قال لعن الله الراشى والمرتشى وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لاتولوا اليهود ولا النصارى فانهم يقبلون الرشا ولا يحل فى دين الله الرشا قال الشهدى وأصحابنا اليوم اقبل للرشا منهم ◦ وفى نوابغ الحكم ان البراطيل تنصر الاباطيل وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال من شفع شفاعة ليردبها حقا أويدفع بها ظلما فأهدى له فقبل فذلك السحت فقيل له ماكنا نرى السحت الا الاخذ على الحكم قال الاخذ على الحكم كفر وأنشد المبرد رحمه الله تعالى

وكنت إذا خاصمت خصما كببته ... على الوجه حتى خاصمتنى الدراهم

فلما تنازعنا الحكومة غلبتُ على وقالت قم فانك ظالم

(وأما الدين وما جاء فيه نعوذ بالله من غلبة الدين وقهر الرجال)

فقد روى عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال من تداين بدين وفي نفسه وفاؤه ثم مات تجاوز الله عنه وأرضى غريمه بما شاء ومن تداين بدين وليس في نفسه وفاؤه ثم مات اقتص الله لغريمه منه يوم القيامة رواه الحاكم وروى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذ أتى له بجنازة لم يسأل عن شيء من عمل الرجل ويسأل عن دينه فان قيل عليه دين كف عن الصلاة عليه وإن قيل ليس عليه دين صلى عليه فأتى بجنازة فلما قام ليكبر سأل ﷺ هل على صاحبكم من دين فقالوا ديناران يارسول الله فعدل النبي ﷺ عنه وقال صلوا على صاحبكم فقال علي كرم الله وجهه هما علي يارسول الله وهو بريء منهما فتقدم رسول الله ﷺ فصلى عليه ثم قال لعلي رضي الله عنه جزاك الله عنه خيرا فك الله رهانك كما فككت رهان أخيك انه ليس من ميت يموت وعليه دين إلا وهو مرتهن بدينه ومن فك رهان ميت فك الله رهانه يوم القيامة . وقال بعض الحكماء الدين هم بالليل وذل بالنهار وهو غل جعله الله في أرضه فاذا أراد الله أن يذل عبدا جعله طوقا في عنقه وجاء سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يتقاضى دينا على رجل فقالوا خرج الى الغزو فقال أشهد أن رسول الله ﷺ قال لو أن رجلا قتل في سبيل الله ثم أحيي ثم قتل لم يدخل الجنة حتى يقضى دينه . وعن الزهري قال لم يكن رسول الله ﷺ يصلي على أحد عليه دين ثم قال بعد أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم من مات وعليه دين فعلى قضاؤه ثم صلى عليهم وعن جابر لاهم إلا هم الدين ولا وجع إلا وجع العين وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال من تزوج امرأة بصداق ينوى أن لا يؤديه اليها فهو زان ومن استدان دينا ينوى ان لا يقضيه فهو سارق وقال حبيب بن ثابت ما احتجت الى شيء أستقرضه إلا استقرضته من نفسي أراد أنه يصبر الى أن تمكن الميسرة ونظيره قول القائل

وإذا غلا شيء على تركته فيكون أرخص مايكون إذا غلا

وقال بعضهم أيضا : لقد كان القريض سمير قلبي فألهتني القروض عن القريض

وقال غيلان بن مرة التميمي : وإني لأقضي الدين بالدين بعدما يرى طالبي بالدين أن لست قاضيا

فأجابه ثعلبة بن عمير : اذا ما قضيت الدين لم يكن يرى طالبي بالدين أن لست قاضيا

واستقرض من الأصمعي خليل له فقال حبا وكرامة ولكن سكن قلبي برهن يساوي ضعف ما تطلبه فقال يا أبا سعيد أما تثق بي قال بلى وان خليل الله كان واثقا بربه وقد قال له ولكن ليطمئن قلبي اللهم أوف هذا دين الدنيا بالميسرة ودين الآخرة بالمغفرة برحمتك يا أرحم الراحمين

(الفصل الثالث في ذكر القصاص والمتصوفة وما جاء في الرياء ونحو ذلك)

(أما ماجاء في ذكر القصاص والمتصوفه) فقد روى عن خباب بن الأرت قال قال رسول الله ﷺ ان بني اسرائيل لما قصوا هلكوا وروى ان كعبا كان يقص فلما سمع الحديث ترك القصص وقال ابن عمر رضي الله عنهما لم يقص أحد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وانما كان القصص حين كانت الفتنة وقال ابن المبارك سألت الثوري من الناس قال العلماء قلت فمن الاشراف قال المتقون قلت فمن الملوك قال الزهاد قلت فمن الغوغاء قال القصاص الذين يستأصلون أموال الناس بالكلام قلت فمن السفهاء قال الظلمة قيل

مثل ذبابة تطن في اذن الفيل وبعوضة تعد في التماثيل ولقد قالها من قبلك قوم آخرون فدمرنا عليهم فما كان لهم من ناصرين أو للحق تدحضون وللباطل تنصرون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون (٩٩) وأما ماصدر من قولك فتلك أماني كاذبة وخيالات غير صائبة فان الجواهر لا تزول بالأعراض كما أن الأرواح لا تضمحل بالأمراض فان عدنا الى الظواهر والمحسوسات وعدلنا من البواطن والمعقولات فلنا أسوة برسول الله ﷺ في قوله ما أوذى نبي ما أوذيت ولقد علمتم ماجرى على عترته وأهل بيته وشيعته والحال ما حال والأمر مازال ولله الحمد في الآخرة والاولى اذ نحن مظلومون لاظالمون ومغصوبون لاغاصبون وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقد علمتم ظاهر حالنا وكيفية رجالنا وما يتمونه من الفوت ويستقربون به الى حياض الموت قل فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وفي أمثال العامة أو للبط تهددون بالشط فهي للبلاء جلبابا وتدرع للرزايا أثوابا وانك لكالباحث حتفه بظلفه أو الجادع أنفه بكفه وما ذلك على الله بعزيز (ومن غرائب الظرف ماحكاه ابن خلكان في تاريخه) قال حدثني من أثق به أن شخصا قال له رأيت في تأليف أبي العلاء المعري ماصورته أصلحك الله وأبقاك لقد كان من الواجب أن تأتينا اليوم الى منزلنا الخالي لكي يحدث لي

وهب رجل لقاص خاتما بلا فص فقال وهب الله لك في الجنة غرفة بلا سقف وقال قيس بن جبير النهشلي الصعقة التي عند القصاص من الشيطان وقيل لعائشة رضي الله عنها إن أقواماً إذا سمعوا القرآن صعقوا فقالت القرآن أكرم وأعظم من أن تذهب منه عقول الرجال وسئل ابن سيرين عن أقوام يصعقون عند سماع القرآن فقال ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله إلى آخره فان صعقوا فهو كما قالوا * وكان عمرو قاص يبكي بمواعظه فاذا طال مجلسه بالبكاء أخرج من كمه طنبوراً صغيراً فيحركه ويقول مع هذا الغم الطويل يحتاج إلى فرح ساعة وقال بعضهم قلت لصوفي بعني جبتك فقال إذا باع الصياد شبكته فبأي شيء يصيد ، وسئل بعض العلماء عن المتصوفة فقال أكلة رقصة ، وعظ عيسى عليه السلام بني إسرائيل فأقبلوا يمزقون الثياب فقال ماذنب الثياب اقبلوا على القلوب فعاتبوها

(وأما ماجاء في الرياء) فقد قال الله تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال لي رسول الله ﷺ يا معاذ احذر أن يرى عليك آثار المحسنين وأنت تخلو من ذلك فيحشر مع المرائين وقيل لو أن رجلا عمل عملا من البر فكتمه ثم أحب أن يعلم الناس أنه كتمه فهو من أقبح الرياء وقيل كل ورع يحب صاحبه أن يعلمه غير الله فليس من الله في شيء وعن شداد ابن أوس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا ما الشرك الأصغر يارسول الله قال الرياء وقال بينما عابد يمشي ومعه غمامة على رأسه تظله فجاء رجل يريد أن يستظل معه فمنعه وقال ان أقت معي لم يعلم الناس أن الغمامة تظلني فقال له الرجل قد علم الناس أنني لست ممن تظله الغمامة فحولها الله تعالى الى ذلك الرجل وقال عبد الأعلى السلمي يوما الناس يزعمون أني مراء وكنت أمس والله صائماً ولا أخبرت بذلك والله أحدا اللهم أصلح فساد قلوبنا واستر فضائحنا برحمتك ياأرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب التاسع عشر في العدل والإحسان والإنصاف وغير ذلك)

(اعلم) أرشدك الله أن الله تعالى أمر بالعدل ثم علم سبحانه وتعالى أنه ليس كل النفوس تصلح على العدل بل تطلب الاحسان وهو فوق العدل فقال تعالى إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى الآيه فلو وسع الخلائق العدل ما قرن الله به الاحسان والعدل ميزان الله تعالى في الأرض الذي يؤخذ به للضعيف من القوي والمحق من المبطل ، واعلم أن عدل الملك يوجب محبته وجوره يوجب الافتراق عنه وأفضل الأزمنة ثوابا أيام العدل وروينا من طريق أبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال لعمل الامام العادل في رعيته يوماً واحداً أفضل من عمل العابد في أهله مائة عام أو خمسين عاماً وروى عن النبي ﷺ أنه قال عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة وروينا في سنن أبي داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال ثلاثة لاترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السماء وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لكعب الأحبار أخبرني عن جنة عدن قال ياأمير المؤمنين لايسكنها إلا نبي أو صديق أو شهيد أو امام عادل فقال عمر والله ما أنا بنبي وقد صدقت رسول الله ﷺ وأما الامام العادل فاني أرجو أن لا أجور وأما الشهادة فأنى لي بها قال الحسن فجعله الله صديقاً شهيداً حكماً عدلا وسأل الاسكندر حكماء أهل بابل إنما أبلغ عندكم الشجاعة أو العدل قالوا اذا

أنسك يازين الأخلاء فما مثلك من غير عهدا او غفل وسأله من أي الأبحر وهل هو بيت واحد أم أكثر فان كان أكثر فهل أبياته على روى واحد أو مختلفة الروى قال فأفكر فيه ثم أجابه بجواب حسن قال ابن خلكان فقلت للقائل اصبر حتى أنظر فيه ولا تقل ما قاله فأجابه القاضي شمس الدين بن خلكان بعد حسن النظر بما أجاب به عن الرجل وهذه الكلمات تخرج من بحر الرجز وتشتمل على أربعة أبيات في روى اللام وهي على صورة يسوغ استعمالها عند العروضيين ومن لا يكون له بهذا الفن معرفة ينكرها لأجل قطع الموصول منها ولا بد من الإتيان بهذا النظم صورة ذلك وهي

أصدغك والله وا
ماك لقد كان من ا
لواجب ان تأتينا ا
ليوم إلى منزلنا ا
لخالي لكي يحدث لي
انسك يازين الاخ
لاء فما مثلك من * غير
عهدا أو غفلي (قلت)

وعلى ذكر أبي العلاء الضرير يعجبني قول مظفر بن جماعة الضرير

وقالوا عشقت وانت اعمى
ظبيا كحيل الطرف المى
وحلاه ماعاينتها
فتقول قد شغفتك وهما
وخياله بك في المنا
م فما أطاف ولا ألما
من أين أرسل الفؤا * د وأنت لم تنظره سهما
ومتى رأيت جماله * حتى كساك هواه سقما
وبأي جارحة وصلـ * ـت لوصفه نثرا ونظما

استعملنا

استعملنا العدل استغنينا به عن الشجاعة ويقال عدل السلطان أنفع من خصب الزمان وقيل إذا رغب السلطان عن العدل رغبت الرعية عن طاعته * وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يشكو اليه عن خراب مدينته ويسأله مالا يرمها به فكتب اليه عمر قد فهمت كتابك فإذا قرأت كتابي فحصن مدينتك بالعدل ونق طرقها من الظلم فانه مرمتها والسلام * ويقال أن الحاصل من خراج سواد العراق في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان مائة الف الف وسبعة وثلاثين الف الف فلم يزل يتناقص حتى صار في زمن الحجاج ثمانية عشر الف الف فلما ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ارتفع في السنة الأولى إلى ثلاثين الف الف وفي الثانية إلى ستين الف الف وقيل أكثر وقال أن عشت لأبلغنه إلى ما كان في أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمات في تلك السنة * ومن كلام كسرى لا ملك إلا بالجند ولا جند إلا بالمال ولا مال إلا بالبلاد ولا بلاد إلا بالرعايا ولا رعايا إلا بالعدل (ولما) مات سلمة بن سعيد كان عليه ديون للناس ولأمير المؤمنين المنصور فكتب المنصور لعامله استوف لأمير المؤمنين حقه وفرق ما بقي بين الغرماء فلم يلتفت إلى كتابه وضرب للمنصور بسهم من المال كما ضرب لأحد الغرماء ثم كتب للمنصور إني رأيت أمير المؤمنين كأحد الغرماء فكتب اليه المنصور ملئت الأرض بك عدلا وكان أحمد بن طولون والي مصر متحليا بالعدل مع تجبره وسفكه للدماء وكان يجلس للمظالم وينصف المظلوم من الظالم (حكي) أن ولده العباس استدعى بمغنية وهو يصطبح يوما فلقيها بعض صالحي مصر ومعها غلام يحمل عودها فكسره * فدخل العباس اليه وأخبره بذلك فأمر باحضار ذلك الرجل الصالح فلما أحضر اليه قال أنت الذي كسرت العود قال نعم قال افعلمت لمن هو قال نعم هو لابنك العباس قال فما أكرمته لي قال أكرمه لك بمعصية الله عز وجل والله تعالى يقول والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ورسول الله ﷺ يقول لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فأطرق أحمد بن طولون عند ذلك ثم قال كل منكر رأيته فغيره وأنا من ورائك * ووقف يهودي لعبد الملك بن مروان فقال يا أمير المؤمنين ان بعض خاصتك ظلمني فأنصفني منه وأذقني حلاوة العدل فاعرض عنه فوقف له ثانيا فلم يلتفت اليه فوقف له مرة ثالثة وقال يا أمير المؤمنين انا نجد في التوراة المنزلة على كليم الله موسى صلوات الله وسلامه عليه ان الإمام لا يكون شريكا في ظلم احد حتى يرفع اليه فاذا رفع اليه ذلك ولم يزله فقد شاركه في الظلم والجور فلما سمع عبد الملك كلامه فزع وبعث في الحال إلى من ظلمه فعزله وأخذ لليهودي حقه منه (وروى) أن رجلا من العقلاء غصبه بعض الولاة ضيعه فأتى إلى المنصور فقال له أصلحك الله يا أمير المؤمنين أأذكر لك حاجتي أم أضرب لك قبلها مثلا فقال بل اضرب المثل فقال ان الطفل الصغير إذا نابه امر يكرهه فانما يفزع إلى أمه إذ لا يعرف غيرها وظنا منه أن لا ناصر له غيرها فاذا ترعرع واشتد كان فراره إلى ابيه فاذا وصار رجلا وحدث به امر شكاه إلى الوالي لعلمه انه اقوى من ابيه فاذا ازداد عقله شكاه إلى السلطان لعلمه انه اقوى ممن سواه فان لم ينصفه السلطان شكاه تعالى لله تعالى لعلمه انه أقوى من السلطان وقد نزلت بي نازلة وليس أحد فوقك أقوى منك إلا الله تعالى فان انصفتني والا رفعت امري إلى الله تعالى في الموسم فاني متوجه إلى بيته وحرمه فقال المنصور بل ننصفك وامر ان يكتب إلى واليه برد ضيعته اليه وكان الاسكندر يقول يا عبد الله إنما الحكم الله الذي في السماء الذي نصركم نوحا بعد حين الذي يسقيكم لغيث عند الحاجة واليه مفزعكم عند الكروب الله لا يبلغني أن الله

أيعشق الإنسان مالا يرى ⁂ فقلت والدمع بعيني غزير
أن لم تكن عيني رأت شخصها ⁂ فإنها قد مثلت في الضمير

(ومثل هذا) قول المهذب عمر بن الشحنة

وإني امرؤ احببتكم لمحاسن ⁂ سمعت بها والأذن كالعين تعشق

وتقدمه بشار بقوله

يا قوم أذني لبعض القوم عاشقة ⁂ والاذن تعشق قبل العين أحيانا

(ونقل الشيخ جمال الدين بن نباتة في كتابه المسمى بسرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون عن علي بن أبي طالب أنه قال سبحان الله ما أزهد كثيرا من الناس في الخير عجبا لرجل يجيئه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه أهلا للخير ولا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا وكان ينبغي له أن يسارع في مكارم الاخلاق فيها تدل على سبيل النجاح فقام اليه رجل فقال يا أمير المؤمنين أسمعته من النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم لما أتي بسبايا طيء وقعت جارية بها جيلة لما رأيتها أعجبت بها فلما تكلمت نسيت جمالها بفصاحتها فقالت يا محمد ان رأيت أن تخلي سبيلي ولا تشمت بي أحياء العرب فاني

تعالى أحب شيأ إلاأحببته واستعملته إلى يوم أجلي ولا أبغض شيأ إلاأبغضته وهجرته إلى يوم أجلي وقد أنبئت أن الله تعالى يحب العدل في عباده ويبغض الجور من بعضهم على بعض فويل للظالم من سيفي وسوطي ومن ظهر منه العدل من عمالي فليتكئ في مجلسي كيف شاء وليتمن علي ماشاء فلن تخطئه أمنيته والله تعالى المجازي كلا بعمله ويقال إذا لم يعمر الملك ملكه بالانصاف خرب ملكه بالعصيان (وقيل) مات بعض الأكاسرة فوجدوا له سفطا ففتح فوجد فيه حبة رمان كأكبر مايكون من النوى معهارقعة مكتوب فيها هذه من حب زمان عمل في خراجه بالعدل (وقيل) تظلم أهل الكوفة من واليهم فشكوه إلى المأمون فقال ماعلمت في عمالي أعدل ولا أقوم بأمر الرعيه وأعود بالرفق عليهم منه فقال رجل منهم ياأمير المؤمنين ماأحد أولى بالعدل والانصاف منك فإن كان بهذه الصفة فعلى أمير المؤمنين أن يوليه بلدا بلدا حتى يلحق كل بلد من عدله مثل الذي لحقنا ويأخذ بقسطه منه كما أخذنا وإذا فعل ذلك لم يصبنا منه أكثر من ثلاث سنين فضحك المأمون من قوله وعزله عنهم وقدم المنصور البصرة قبل الخلافة فنزل بواصل بن عطاء وقال بلغني أبيات عن سليم بن يزيد العدوي في العدل فقم بنا اليه فأشرف عليهم من غرفة فقال لواصل من هذا الذي معك قال عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم فقال رحب على رحب وقرب على قرب فقال أنه يحب أن يسمع أبياتك في العدل فقال سمعا وطاعة وأنشد يقول :

حتى متى لانرى عدلا نسر به ❁ ولا نرى لولاة الحق أعوانا ❁ مستمسكين بحق قائمين به
إذا تلون أهل الجور ألوانا ❁ ياللرجال لداء لادواء له ❁ وقائد ذي عمى يقتاد عميانا

فقال المنصور وددت لو أني رأيت يوم عدل ثم مت وقيل لما ولي عمر بن عبد العزيز أخذ في رد المظالم فابتدأ بأهل بيته فاجتمعوا إلى عمة له كان يكرمها وسألوها أن تكلمه فقال لها ان رسول الله ﷺ سلك طريقا فلما قبض سلك أصحابه ذلك الطريق الذي سلكه رسول الله ﷺ فلما أفضى الأمر إلى معاوية جره يمينا وشمالا وايم الله لئن مد في عمري لأردنه إلى ذلك الطريق الذي سلكه رسول الله ﷺ وأصحابه فقالت له ياابن أخي اني أخاف عليك منهم يوما عصيبا فقال كل يوم أخافه دون يوم القيامة فلا أمننيه الله وقال وهب بن منبه إذا هم الوالي بالجور أوعمل به أدخل الله النقص في أهل مملكته في الاسواق والزروع والضروع وكل شيء وإذا هم بالخير والعدل أوعمل به أدخل الله البركة في أهل مملكته كذلك وقال الوليد بن هشام ان الرعية لتصلح بصلاح الوالي وتفسد بفساده وقال ابن عباس رضي الله عنهما أن ملكا من الملوك خرج يسير في مملكته متنكرا فنزل على رجل له بقرة تحلب قدر ثلاث بقرات فتعجب الملك من ذلك وحدثته نفسه بأخذها فلما كان من الغد حلبت له النصف مما حلبت بالأمس فقال له الملك مابال حلبها نقص أرعت في غير مرعاها بالأمس فقال لا ولكن أظن أن ملكنا رآها أووصله خبرها فهم بأخذها فنقص لبنها فان الملك إذا ظلم أوهم بالظلم ذهبت البركة فتاب الملك وعاهد ربه في نفسه أن لايأخذها ولايحسد أحدا من الرعية فلما كان من الغد حلبت عادتها ومن المشهور بأرض المغرب أن السلطان بلغه أن امرأة لها حديقة فيها القصب الحلو وإن كل قصبة منها تعصر قدحا فعزم الملك على أخذها منها ثم أتاها وسألها عن ذلك فقالت نعم ثم انها عصرت قصبة فلم يخرج منها نصف قدح فقال لها أين الذي كان يقال فقالت هو الذي بلغك الا أن يكون السلطان قد عزم على أخذها مني فارتفعت البركة منها فتاب الملك وأخلص لله النية وعاهد الله أن لا يأخذها

ابنة سيد قومي وإن أبي كان يفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري ويفشي السلام ولا يرد طالب حاجة قط أنا بنت حاتم الطائي فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذه صفات المؤمنين خلو عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق والمنقول عن حاتم في زيادة الكرم كثير (من ذلك) ماحكاه المدائني قال أقبل ركب من بني أسد وبني قيس يريدون النعمان فلقوا حاتما فقالوا تركنا قوما يثنون عليك وقد أرسلوا اليك رسالة قال وماهي فأنشده الأسديون شعر النابغة فلما أنشدوه قالوا إنا نستحي أن نسألك شيأ وأن لنا حاجة قال وماهي قالوا صاحب لنا قد أرجل يعني فقد راحلته فقال حاتم خذوا فرسي هذا فاحملوه عليها فأخذوها وربطت الجارية فلوها بثوبها فأفلت يتبع أمه فتبعته الجارية لترده فصاح حاتم ماتبعكم فهو لكم فذهبوا بالفرس والفلو والجارية (وقيل) أجود العرب في الجاهلية ثلاثة حاتم الطائي وهرم بن سنان وكعب بن أمامة وحاتم وكان أشهرهم بالكرم ذكر أنه أدرك مولد النبي صلى الله عليه وسلم (وحكى الهيثم بن عدي) قال تمارى ثلاثة في أجواد الإسلام فقال رجل أسخى الناس في عصرنا هذا عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب وقال آخر أسخى الناس عرابة الأوسي وقال آخر بل قيس بن سعد بن عبادة وأكثروا الجدال في ذلك وكثر ضجيجهم وهم بفناء الكعبة فقال لهم رجل قد أكثرتم الجدل في ذلك فما عليكم أن يمضي كل واحد منكم

يأخذها منها أبدا ثم أمرها فعصرت قصبة منها فجاءت ملء قدح (وحكى) سيدى أبو بكر الطرطوشى رحمه الله فى كتابه سراج الملوك قال حدثنى بعض الشيوخ ممن كان يروى الأخبار بمصر قال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشر أرادب ولم يكن فى ذلك الزمان نخلة تحمل نصف ذلك فغصبها السلطان فلم تحمل شيئا فى ذلك العام ولا تمرة واحدة وقال لى شيخ من أشياخ الصعيد أعرف هذه النخلة وقد شاهدتها وهى تحمل عشرة أرادب ستين ويبة وكان صاحبها يبيعها فى سنى الغلاء كل ويبة بدينار (وحكى) أيضا رحمه الله تعالى شهدت فى الاسكندرية والصيد مطلق للرعية السمك يطفو على الماء لكثرته وكانت الأطفال تصيده بالخرق من جانب البحر ثم حجزه الوالى ومنع الناس من صيده فذهب السمك حتى لا يكاد يوجد إلى يومنا هذا وهكذا تتعدى سرائر الملوك وعزائمهم ومكنون ضمائرهم إلى الرعية إن خيرا فخير وان شرا فشر * وروى أصحاب التواريخ فى كتبهم قالوا كان الناس إذا أصبحوا فى زمان الحجاج يتساءلون إذا تلاقوا من قتل البارحة ومن صلب ومن جلد ومن قطع وما أشبه ذلك وكان الوليد بن هشام صاحب ضياع واتخاذ مصانع فكان الناس يتساءلون فى زمانه عن البنيان والمصانع والضياع وشق الأنهار وغرس الأشجار ولما ولى سليمان بن عبد الملك وكان صاحب طعام ونكاح كان الناس يتحدثون ويتساءلون فى الأطعمة الرفيعة ويتغالون فى المناكح والسرارى ويعمرون مجالسهم بذكر ذلك ولما ولى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان الناس يتساءلون كم تحفظ من القرآن وكم وردك كل ليلة وكم يحفظ فلان وكم يختم وكم يصوم من الشهر وما أشبه ذلك فينبغى للامام أن يكون على طريقة الصحابة والسلف رضى الله عنهم ويقتدى بهم فى الاقوال والافعال فمن خالف ذلك فهو لا محالة هالك وليس فوق السلطان العادل منزلة الا نبى مرسل أو ملك مقرب وقد قيل ان مثله كمثل الرياح التى يرسلها الله تعالى بشرا بين يدى رحمته فيسوق بها السحاب ويجعلها لقاحا للثمرات وروحا للعباد ولو تتبعت ماجاء فى العدل والانصاف وفضل الامام العادل لألفت فى ذلك مجموعا جامعا لهذا المعنى ولكن اقتصرت على ما ذكرته مخافة أن يمله الناظر ويسأمه السامع وبالله التوفيق إلى أقوم طريق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب العشرون فى الظلم وشؤمه وسوء عواقبه وذكر الظلمة وأحوالهم وغير ذلك ﴾

قال الله تعالى ألا لعنة الله على الظالمين وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قيل هذا تسلية للمظلوم ووعيد للظالم وقال الله تعالى انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وقال تعالى وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وقال رسول الله ﷺ من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم خرج من الإسلام وقال أيضا ﷺ رحم الله عبدا كان لاخيه قبله مظلمة فى عرض أو مال فجاءه فتحلله منها قبل أن يأتى يوم القيامة وليس معه دينار ولا درهم وقال أيضا ﷺ من اقتطع حق امرىء مسلم أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة فقال له رجل يارسول الله ولو كان شيئا يسيرا قال ولو كان قضيبا من أراك وعن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ أوحى الله تعالى إلى ياأخا المرسلين ياأخا المنذرين انذر قومك فلا يدخلوا بيتا من بيوتى ولا أحد من عبادى عند أحد منهم مظلمة فانى ألعنه مادام قائما يصلى بين يدى حتى يرد تلك الظلامة إلى أهلها فأكون سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويكون من أوليائى وأصفيائى ويكون جارى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فى الجنة وعن على رضى الله عنه عن النبى ﷺ اياك ودعوة المظلوم فانما يسأل الله تعالى حقه وعنه ﷺ أنه قال

إلى صاحبه يسأله حتى تنظر ما يعطيه ونحكم على العيان فقام صاحب عبد الله اليه فصادفه قد وضع رجله فى غرز ناقته يريد ضيعة له فقال يا ابن عم رسول الله قال قل ما تشاء قال ابن سبيل ومنقطع به قال فأخرج رجله من غرز الناقة وقال له ضع رجلك واستو على الراحلة وخذ ما فى الحقيبة واحتفظ بسيفك فانه من سيوف على ابن ابى طالب رضى الله عنه قال فجاء بالناقة والحقيبة فيها مطارف خز واربعة آلاف دينار وأعظمها وأجلها السيف ومضى صاحب قيس بن سعد بن عبادة فصادفه نائما فقالت الجارية هو نائم فما حاجتك اليه قال ابن سبيل ومنقطع به قالت حاجتك أهون من ايقاظه هذا كيس فيه سبعمائة دينار ما يعلم أن ما فى دار قيس غيره خذه وامض إلى معاطن الابل إلى اموال لنا بعلامتنا فخذ راحلة من رواحله وما يصلحها وعبدا وامض لشأنك فقال ان قيسا لما انتبه من رقدته اخبرته بما صنعت فاعتقها ومضى صاحب عرابة الاوسى اليه فالفاه قد خرج من منزله يريد الصلاة وهو يمشى على عبدين وقد كف بصره فقال ياعرابة ابن سبيل ومنقطع به قال فخلى العبدين وصفق بيمناه على يسراه وقال أواه ما تركت الحقوق لعرابة مالا ولكن خذهما يعنى العبدين قال ما كنت بالذى اقص جناحيك قال ان لم تأخذهما فهما حران فان شئت تأخذ وان شئت تعتق وأقبل يلتمس الحائط بيده

مامن عبد ظلم فشخص ببصره إلى السماء إلا قال عز وجل لبيك عبدى حقا لأنصرنك ولو بعد حين وعنه أيضا أنه قال ألا أن الظلم ثلاثة فظلم لايغفر وظلم لايترك وظلم مغفور لايطلب فأما الظلم الذى لايغفر فالشرك بالله والعياذ بالله تعالى قال الله تعالى أن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وأما الظلم الذى لايترك فظلم العباد بعضهم بعضا وأما الظلم المغفور الذى لايطلب فظلم العبد نفسه ومر رجل برجل قد صلبه الحجاج فقال يارب ان حلمك على الظالمين أضر بالمظلومين فنام تلك الليلة فرأى فى منامه أن القيامة قد قامت وكأنه قد دخل الجنة فرأى ذلك المصلوب فى أعلى عليين وإذا مناد ينادى حلمى على الظالمين أحل المظلومين فى أعلى عليين وقيل من سلب نعمة غيره سلب نعمته غيره وسمع مسلم بن بشار رجلا يدعو على من ظلمه فقال له كل الظالم إلى ظلمه فهو أسرع فيه من دعائك ويقال من طال عدوانه زال سلطانه وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظلم على المظلوم ورأى لوح فى أفق السماء مكتوب فيه: لاإله إلا الله محمد رسول الله وتحته هذا البيت

فلم أر مثل العدل للمرء نافعا ... ولم أر مثل الجور للمرء واضعا

وقال الشاعر

كنت الصحيح وكنا منك فى سقم ... فان سقمت فانا السالمون غدا
دعت عليك أكف طالما ظلمت ... وان ترد يد مظلومة أبدا

وكان معاوية يقول انى لأستحيى أن أظلم من لايجد على ناصرا إلا الله وقال أبو العيناء كان لى خصوم ظلمة فشكوتهم إلى أحمد بن أبى داود وقلت قد تضافروا على وصاروا يدا واحدة فقال يد الله فوق أيديهم فقلت أن لهم مكرا فقال ولايحيق المكر السيء إلا بأهله قلت هم فئة كثيرة فقال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله وقال يوسف بن اسباط من دعا للظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه وعن أبى هريره رضى الله عنه قال قال أبو القاسم ﷺ من أشار إلى أخيه بحديدة فان الملائكة تلعنه وإن كان أخاه لأبيه وأمه وقال مجاهد يسلط الله على أهل النار الجرب فيحكون أجسادهم حتى تبدوا العظام فيقال لهم هل يؤذيكم هذا فيقولون أى والله فيقال هذا بما كنتم تؤذون المؤمنين وقال ابن مسعود رضى الله عنه لما كشف الله العذاب عن قوم يونس عليه السلام ترادوا المظالم بينهم حتى كان الرجل ليقلع الحجر من أساسه فيرده إلى صاحبه وقال أبو ثور بن يزيد الحجر فى البنيان من غير حله عربون على خرابه وقال غيره لو أن الجنة وهى دار البقاء اسست على حجر من الظلم لأوشك أن تخرب وقال بعض الحكماء اذكر عند الظلم عدل الله فيك وعند القدرة قدرة الله عليك لايعجبك رحب الذراعين سفاك الدماء فان له قاتلا لايموت وقال سحنون بن سعيد كان يزيد بن حاتم يقول ماهبت شيئا قط هيبتى من رجل ظلمته وأنا أعلم أن لا ناصر له إلا الله فيقول حسبك الله بينى وبينك وقال بلال ابن مسعود اتق الله فيمن لاناصر له إلا الله وبكى على بن الفضل يوما فقيل له ما يبكيك قال أبكى على من ظلمنى إذا وقف غدا بين يدى الله تعالى ولم تكن له حجة وروى أن النبى ﷺ قال يقول الله تعالى اشتد غضبى على من ظلم من لايجد له ناصرا غيرى . ونادى رجل سليمان بن عبد الملك وهو على المنبر يا سليمان اذكر يوم الأذان فنزل سليمان من على المنبر ودعا بالرجل فقال له مايوم الاذان فقال قال الله تعالى فأذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين قال فا ظلامتك قال أرض لى بمكان كذا وكذا أخذها كيلك فكتب إلى وكيله ادفع اليه ارضه وارضا مع ارضه . وروى ان كسرى انوشروان كان له معلم حسن التأديب يعلمه حتى أفاق فى العلوم فضربه المعلم يوما من غير ذنب فأوجعه فحقد انوشروان عليه فلما ولى الملك قال للمعلم ماحملك

راجعا إلى منزله قال وخنقهما وجاء بهما فثبت أنهم أجود عصرهم إلا أنهم حكموا لعرابة لأنه أعطى جهده (نادرة غريبة) حضر يعقوب بن إسحق الكندى (١٠٤) المسمى بوقته فيلسوف الإسلام بمجلس أحمد بن المعتصم وقد دخل عليه أبو تمام فانشد قصيدته السينية المشهورة فلما بلغ إلى قوله

إقدام عمرو فى سماحة حاتم ... فى حلم أحنف فى ذكاء اياس

قال الكندى ماصنعت شيئا فقال كيف قال مازدت على أن شبهت ابن أمير المؤمنين بصعاليك العرب وأيضا فان شعراء دهرنا تجاوزوا بالممدوح من كان قبله ألا ترى إلى قول العكوك فى أبى دلف

رجل أرى على شجاعة عامر ... بأسا وغير فى محيا حاتم

فأطرق أبو تمام ثم أنشأ يقول

لاتنكروا ضربى له من دونه ... مثلا شرودا فى الندى والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره ... مثلا من المشكاة والنبراس

ولم يكن هذا فى القصيدة فتزايد العجب منه ثم طلب أن تكون الجائزة ولاية عمل فاستصغر عن ذلك فقال الكندى ولوه لأنه قصير العمر لأن ذهنه ينحت من قلبه فكان كما قال وقد تكون ظهرت له دلائل من شخصه فى ذلك الوقت على قرب أجله انتهى وسمع الكندى

وفى أربع منى حلت منك أربع ... فما أنا أدرى أيها هاج لى كربى
خيالك فى عينى أم الذكر فى فمى ... أم النطق فى سمعى أم الحب فى قلبى

على

على ضربي يوم كذا وكذا ظلما فقال له لما رأيتك ترغب فى العلم رجوت لك الملك بعد أبيك فأحببت أن أذيقك طعم مظلم لئلا تظلم فقال أنو شروان زه زه * وقال محمد بن سويد وزير المأمون

فلان تأمنن الدهر حرا ظلمته ... فما ليل حر إن ظلمت بنائم

وروى أن بعض الملوك رقم على بساطه

تظلمن إذا كنت مقتدرا ... فالظلم مصدره يفضى إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

وما أحسن ما قال الآخر

أتهزأ بالدعاء وتزدريه ... وما تدرى بما صنع الدعاء
سهام الليل نافذة ولكن ... لها أمد وللأمد انقضاء
فيمسكها إذا ما شاء ربى ... ويرسلها إذا ما نفذ القضاء

وقال أبو الدرداء إياك ودمعة اليتيم ودعوة المظلوم فإنها تسرى بالليل والناس نيام وقال الهيثم بن فراش السامى من بنى أسامة بن لؤى فى الفضل بن مروان

تجبرت يافضل بن مروان فاعتبر ... فقبلك كان الفضل والفضل والفضل
ثلاثة أملاك مضوا لسبيلهم ... أبادهم الموت المشتت والقتل

يريد الفضل بن الربيع والفضل بن يحيى والفضل بن سهل ووجد تحت فراش يحيى بن خالد البرمكى رقعة مكتوب فيها

وحق الله ان الظلم لؤم ... وان الظلم مرتعه وخيم
إلى ديان يوم الدين نمضى ... وعند الله تجتمع الخصوم

ووجد القاسم بن عبيد الله وزير المكتفى فى مصلاه رقعة مكتوبا فيها

بغى والبغى سهام تنتظر * أنفذ فى الأحشاء من وخز الابر * سهام أيدى القانتين فى السحر

وقال المنصور بن المعتمر لابن هبيرة حين أراد أن يوليه القضاء ما كنت لآلى هذا بعد ما حدثنى إبراهيم قال وما حدثك إبراهيم قال حدثنى عن علقمة عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الظلمة وأعوان الظلمة وأشياع الظلمة حتى من برى لهم قلما أولاق لهم دواة فيجمعون فى تابوت من حديد ثم يرمى بهم فى نار جهنم * وروى هرون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال جلس أبى للمظالم يوما فلما انقضى المجلس رأى رجلا جالسا فقال له ألك حاجة قال نعم ادننى إليك فإنى مظلوم وقد أعوزنى العدل والانصاف قال ومن ظلمك قال أنت ولست أصل إليك فأذكر حاجتى قال وما يحجبك وقد ترى مجلسى مبذولا قال يحجبنى عنك هيبتك وطول لسانك وفصاحتك قال ففيم ظلمتك قال فى ضيعتى الفلانية أخذها وكيلك غصبا منى ثمن فاذا وجب عليها خرج أديته باسمى لئلا يثبت لك اسم فى ملكها فيبطل ملكى فوكيلك يأخذ غلتها وأنا أؤدى خراجها وهذا لم يسمع بمثله فى المظالم فقال له محمد هذا قول تحتاج معه إلى بينة وشهود وأشياء فقال له الرجل أيؤمننى الوزير من غضبه حتى أجيب قال نعم قد أمنتك قال البينة هم الشهود واذا شهدوا فليس يحتاج معهم إلى شىء آخر فما معنى قولك بينة وشهود وأشياء وأى شىء هذه الأشياء ان هى الا الجور وعدولك عن العدل فضحك محمد وقال صدقت والبلاء موكل بالمنطق وإنى لأرى فيك مصطنعا ثم وقع له برد ضيعته وان يطلق له مائة دينار يستعين بها على عمارة ضيعته وصيره من أصحابه فكان قبل أن يتوصل إلى الانصاف وإعادة ضيعته له يقال له يافلان كيف الناس فيقول بشر بين مظلوم لا ينصر وظالم لا ينتصر فلما صار من أصحاب محمد

فقال لقد قسمتها تقسيما فلسفيا انتهى ونقل الشيخ جمال الدين بن نباتة فى كتابه المسمى بسرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون أن واضع العود بعض حكماء الفرس ولما فرغ منه سماه البربط وتفسيره باب النجاه ومعناه أنه مأخوذ من صرير باب الجنة وجعلت أوتارا أربعة بإزاء الطبائع الاربع فالزير بإزاء السوداء والبم بإزاء الصفراء والمثنى بإزاء الدم والمثلث بإزاء البلغم فإذا اعتدلت أوتاره المرتبة على ما يجب جانست الطبائع وانتجب الطرب وهو رجوع النفس إلى الحالة الطبيعية دفعة واحدة وبدىء هذا العلم ببطليموس وختم بإسحق ابن ابراهيم الموصلى (وحكى ابن حمدون فى تذكرته) أن الحسن ابن حماد قال كنت بالمدينة فخلا لى الطريق نصف النهار فجعلت أتغنى بشعر ذى يزن وهو

ما بال قومك يارب ... خزرا كأنهم غضاب

فإذا كوة قد فتحت وإذا وجه قد بدا منها تتبعه لحية حمراء فقال يافاسق أسأت التأدية ومنعت القائلة وأذعت الفاحشة ثم اندفع يغنى فغنى الصوت غناء لم أسمع بمثله فقلت أصلحك الله من أين لك هذا الغناء قال نشأت وأنا غلام يعجبنى الأخذ عن المغنين فقالت أمى يابنى ان المغنى إذا كان قبيح الوجه لم يلتفت إلى غنائه فدع الغناء واطلب للفقه فتركته وتبعت الفقهاء فبلغ بى إلى ما ترى فقلت أعدلى الصوت جعلت فداك فقال لا ولا كرامة أتريد أن تقول أخذته عن مالك بن أنس

{ فائدة غريبة } روى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال

سمعت رسول الله ﷺ يقول ان هذا القرآن ينزل بحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وتغنوا به فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا رواه ابن ماجه (نادرة لطيفة) قال عبد الله بن أبي يزيد مر بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته فاذا رجل رث الهيئة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس منا من لم يتغن بالقرآن قال فقلت لابن أبي ملكية يا أبا محمد أرأيت ان لم يكن حسن الصوت قال يحسنه ما استطاع رواه أبو دواد (نادرة لطيفة) تتضمن المثل السائر في قولهم من الخائب رجع بخفي حنين المنقول عن حنين انه كان اسكافا من أهل الحيرة ساومه اعرابي بخفين ولم يشتر منه شيئا وغاظه ذلك فخرج إلى الطريق التي لا بد للاعرابي من المرور منها فعلق الفردة الواحدة منهما في شجرة على طريقه وتقدم قليلا فطرح الفردة الثانية واختفى فجاء الاعرابي فرأى أحد الخفين فوق الشجرة فقال ما أشبهه بخف حنين لو كان معه آخر لتكلفت أخذه وتقدم فرأى الخف الآخر مطروحا فنزل وعقل بعيره وأخله ورجع ليأخذ الأول فخرج حنين من الكمين فأخذ بعيره وذهب ورجع الاعرابي إلى ناحية بعيره فلم يجده فرجع بخفي حنين فصارت مثلا (نادرة لطيفة) قيل ان بعض وفود العرب قدموا على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وكان فيهم شاب فقام وتقدم وقال يا أمير المؤمنين أصابتنا سنون سنة

ابن عبد الملك ورد عليه ضيعته وأنصفه قال له ليلة كيف الناس الآن قال بخير قد اعتمدت معهم الانصاف ورفعت عنهم الاجحاف ورددت عليهم الغضوب وكشفت عنهم الكروب وانا أرجو لهم ببقائك نيل كل مرغوب والفوز بكل مطلوب (ومما نقل) في الآثار الاسرائيلية في زمان موسى صلوات الله وسلامه عليه أن رجلا من ضعفاء بني إسرائيل كان له عائلة وكان صيادا يصطاد السمك ويقوت منه أطفاله وزوجته فخرج يوما للصيد فوقعت في شبكته سمكة كبيرة ففرح بها ثم أخذها ومضى إلى السوق ليبيعها ويصرف ثمنها في مصالح عياله فلقيه بعض العوانية فرأى السمكة معه فأراد أخذها منه فمنعه الصياد فرفع العواني خشبة كانت بيده فضرب بها رأس الصياد ضربة موجعة وأخذ السمكة منه غصبا بلا ثمن فدعا الصياد عليه وقال إلهي جعلتني ضعيفا وجعلته قويا عنيفا فخذلي بحقي منه عاجلا فقد ظلمني ولا صبر لي إلى الآخرة ثم ان ذلك الغاصب الظالم انطلق بالسمكة إلى منزله وسلمها إلى زوجته وأمرها ان تشويها فلما شوتها قدمتها له ووضعتها بين يديه على المائدة ليأكل منها ففتحت السمكة فاها ونكزته في أصبع يده نكزة طار بها عقله وصار لا يقر بها قراره فقام وشكا إلى الطبيب ألم يده وما حل به فلما رآها قال له دواؤها أن تقطع الأصبع لئلا يسري الألم إلى بقية الكف فقطع أصبعه فانتقل الألم والوجع إلى الكف واليد وازداد التألم وارتعدت من خوفه فرائصه فقال له الطبيب ينبغي أن تقطع اليد إلى المعصم لئلا يسري الألم إلى الساعد فقطعها فانتقل الألم إلى الساعد فما زال هكذا كلما قطع عضوا انتقل الألم إلى العضو الآخر الذي يليه فخرج هائما على وجهه مستغيثا إلى ربه ليكشف عنه ما نزل به فرأى شجرة فقصدها فأخذه النوم عندها فنام فرأى في منامه قائلا يقول يا مسكين إلى كم تقطع أعضاءك امض إلى خصمك الذي ظلمته فارضه فانتبه من النوم وفكر في أمره فعلم ان الذي أصابه من جهة الصياد فدخل المدينة وسأل عن الصياد وأتى اليه فوقع بين يديه يتمرغ على رجليه وطلب منه الاقالة مما جناه ودفع اليه شيئا من ماله وتاب من فعله فرضي عنه خصمه الصياد فسكن في الحالة ألمه وبات تلك الليلة فرد الله تعالى عليه يده كما كانت ونزل الوحي على موسى عليه السلام يا موسى وعزتي وجلالي لولا ان ذلك الرجل أرضى خصمه لعذبته مهما امتدت به حياته (ومما تضمنته أخبار الاخيار) ما رواه أنس رضي الله عنه قال بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قاعد جاءه رجل من أهل مصر فقال يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك فقال عمر رضي الله عنه لقد عذت بمجير فما شأنك فقال سابقت بفرسي ابنا لعمرو بن العاص وهو يومئذ أمير على مصر فجعل يقنعني بسوطه ويقول انا ابن الاكرمين فبلغ ذلك عمرا أباه فخشي أن آتيك فحبسني في السجن فانفلت منه فهذا الحين أتيتك فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص اذا أتاك كتابي هذا فاشهد الموسم أنت وولدك فلان وقال للمصري أقم حتى يأتيك فأقام حتى قدم عمرو وشهد موسم الحج فلما قضى الحج وهو قاعد مع الناس وعمرو بن العاص وابنه إلى جانبه قام المصري فرمى اليه عمر رضي الله عنه بالدرة قال أنس رضي الله عنه فلقد ضربه ونحن نشتهي ان يضربه فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ما ضربه وعمر يقول اضرب ابن الاكرمين قال يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت قال ضعها على صلع عمرو فقال يا أمير المؤمنين لقد ضربت الذي ضربني قال اما والله لو فعلت ما منعك أحد حتى تكون أنت الذي تنزع ثم أقبل على عمرو بن العاص قال ومتى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احرارا فجعل عمرو يعتذر اليه ويقول اني لم أشعر بهذا • وقيل لما ظلم أحد

أحمد بن طولون قبل أن يعدل استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا إلى السيدة نفيسة يشكونه إليها فقالت لهم متى يركب قالوا في غد فكتبت رقعة ووقفت في طريقه وقالت يا أحمد يا ابن طولون فلما رآها عرفها فترجل عن فرسه وأخذ منها الرقعة وقرأها فإذا فيها ملكتم فأسرتم وقدرتم فقهرتم وخولتم ففسقتم وردت اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم أن سهام الاسحار نافذة غير مخطئة لا سيما من قلوب أوجعتموها وأكباد جوعتموها وأجساد عريتموها فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم اعملوا ماشئتم فانا صابرون وجوروا فانا بالله مستجيرون واظلموا فانا إلى الله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون قال فعدل لوقته (وحكى أن الحجاج حبس رجلا في حبسه ظلما فكتب اليه رقعة فيها قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعيمك أيام والموعد القيامة والسجن جهنم والحاكم لا يحتاج إلى بينة وكتب في آخرها .

ستعلم يا نؤوم إذا التقينا غدا عند الإله من الظلوم

أما والله أن الظلم لؤم وما زال المظلوم هو اللوم

سينقطع التلذذ عن أناس أداموه وينقطع النعيم

إلى ديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

(وحكى) أبو محمد الحسين بن محمد الصالحي قال كنا حول سرير المعتضد بالله ذات يوم نصف النهار فنام بعد أن أكل فانتبه منزعجا وقال ياخدم فأسرعنا الجواب فقال ويلكم أعينوني والحقوا بالشط فأول ملاح ترونه منحدرا في سفينة فارغة فاقبضوا عليه واتوني به ووكلوا بالسفينة من يحفظها فأسرعنا فوجدنا ملاحا في سفينة منحدرة وهي فارغة فقبضنا عليه ووكلنا بها من يحفظها وصعدنا به إلى المعتضد فلما رآه الملاح كاد يتلف فصاح عليه المعتضد صيحة عظيمة كادت روحه تذهب منها وقال اصدقني ياملعون عن قضيتك مع المرأة التي قتلتها اليوم والا ضربت عنقك فتلعثم وقال نعم كنت سحرا في المشرعة الفلانية فنزلت امرأة لم أر مثلها عليها ثياب فاخرة وحلي كثير وجواهر فطمعت فيها واحتلت عليها حتى سددت فمها و [غرقتها] وأخذت جميع ما كان عليها ثم طرحتها في الماء ولم أجسر على حمل سلبها إلى داري لئلا يفشوا الخبر فعولت على الهروب والانحدار إلى واسط فصبرت إلى ان خلا الشط في هذه الساعة من الملاحين وأخذت في الانحدار فتعلق بي هؤلاء القوم فحملوني اليك فقال وأين الحلي والسلب قال في صدر السفينة تحت البواري قال المعتضد علي به الساعة فحضروا به فأمر بتغريق الملاح ثم أمر أن ينادى ببغداد من خرجت له امرأة إلى المشرعة الفلانية سحرا وعليها ثياب فاخرة وحلي فليحضر فحضر في اليوم الثاني ثلاثة من أهلها وأعطوا صفتها وصفة ما كان عليها فسلم ذلك اليهم قال فقلت يامولاي من أعلمك أو أوحى اليك بهذه الحالة وأمر هذه الصبية فقال بل رأيت في منامي رجلا شيخا أبيض الرأس واللحية والثياب وهو ينادي يا أحمد أول ملاح ينحدر الساعة فاقبض عليه وقرره على المرأة التي قتلها ظلما وسلبها ثيابها وأقم عليه الحد ولا يفتك فكان ماشاهدتم . فيتعين على كل ولي أمر أن يعدل في الاحكام وان يتبصر في رعيته وعلى كل عاقل ان يكف يده عن الظلم ويسلك سنن العدل ويعامل بالنصفة ويراقب الله في السر والعلانية ويعلم ان الله يجازي على الخير والشر ويعاقب الظالم على ظلمه وينتصر للمظلوم ويأخذ حقه من ظالمه وإذا أخذ الظالم لم يفلته والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم

أذابت الشحم وسنة أكلت اللحم وسنة أذابت العظم وفي أيديكم فضول أموال فإن كانت لنا فلام تمنعونها عنا وإن كانت لله ففرقوها على عباد الله وإن كانت لكم فتصدقوا بها علينا أن الله يجزي المتصدقين فقال عمر بن عبد العزيز ماترك الأعرابي لنا عذرا في واحدة (ووقف اعرابي على حلقة الحسن البصري) فقال رحم الله من تصدق من فضل أو واسى من كفاف أو آثر من قوت فقال الحسن البصري ماترك الاعرابي أحدا منكم حتى عمه بالسؤال قلت هذا النوع سماه البديعيون بالتقسيم (نادرة أدبية بديعة) حكى ضياء الدين بن الاثير في المثل السائر بعد ما أورد لغزا في الخلخال .

ومضروب بلا جرم مليح اللون معشوق
له شكل الهلال على رشيق القد ممشوق
واكثر مايرى ابدا على الامشاط في السوق

قال بلغني أن بعض الناس سمع هذه الابيات فقال دخلت السوق فلم أر على الامشاط شيئا (ومن نوادر الادب ايضا) اشارة الحجاج إلى قول ابن نباتة السعدي في فرس أغر محجل

غضبت صباح وقد رآني قابضا
ابري فقلت لها مقالة فاجر

بالله الا الطمت جبينه حتى يحقق فيك قول الشاعر يريد بذلك قوله

وكأنما لطم الصباح جبينه فاقتص منه فخاض في أحشائه

(ومن المنقول

الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

﴿ الباب الحادى والعشرين فى بيان الشروط التى تؤخذ على العمال وسيرة السلطان فى استجبا الخراج وأحكام أهل الذمة وفيه فصلان ﴾

(الفصل الاول فى سيرة السلطان فى استجباء الخراج والانفاق من بيت المال وسيرة العمال) قال جعفر بن يحيى الخراج عماد الملوك وما استعزوا بمثل العدل وما استنذروا بمثل الظلم وأسرع الأمور فى خراب البلاد تعطيل الأرضين وهلاك الرعية وانكسار الخراج من الجور مثل السلطان إذا أجحف بأهل الخراج حتى يضعفوا عن عمارة الأرضين مثل من يقطع لحمه ويأكله من الجوع فهو وان شبع من ناحية فقد ضعف من ناحية أخرى وما أدخل على نفسه من الضعف والوجع أعظم مما دفع عن نفسه من ألم الجوع ومثل من كلف الرعية فوق طاقتهم كالذى يطين سطحه بتراب أساس بيته وإذا ضعف المزارعون عجزوا عن عمارة الأرضين فيتركونها فتخرب الأرض ويهرب المزارعون فتضعف العمارة ويضعف الخراج وينتج من ذلك ضعف الاجناد وإذا ضعف الجند طمع الاعداء فى السلطان (وروى) أن المأمون أرق ذات ليلة فاستدعى سميرا يحدثه فقال ياأمير المؤمنين كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة فخطبت بومة الموصل بنت بومة البصرة لابنها فقالت بومة البصرة لا أجيب خطبة ابنك حتى تجعلى فى صداق ابنتى مائة ضيعة خربة فقالت بومة الموصل لا أقدر عليها لكن أن دام والينا سلمه الله علينا سنة واحدة فعلت ذلك قال فاستيقظ لها المأمون وجلس للمظالم وأنصب الناس بعضهم من بعض وتفقد أمور الولاة والعمال والرعية * وقال أبو الحسن بن على الاسدى اخبرنى أبى قال وجدت فى كتاب قبطى باللغة الصعيدية مما نقل بالعربية أن مبلغ ما كان يستخرج لفرعون فى زمن يوسف الصديق صلوات الله وسلامه عليه من أموال مصر لخراج سنة واحدة من الذهب العين أربعة وعشرون ألف ألف وأربعمائة دينار من ذلك ما ينصرف فى عمارة البلاد كحفر الخلجان والانفاق على الجسور وسد الترع وتقوية من يحتاج إلى التقوية من غير رجوع عليه بها لإقامة العوامل والتوسعة فى البلدان وغير ذلك من الآلات وأجرة من يستمان به لحمل البذر وسائر نفقات تطبيق الأرض ثمانمائة الف دينار ولما ينصرف للأرامل والايتام وأن كانوا غير محتاجين حتى لا يخلو أمثالهم من برفرعون أربعمائة الف دينار ولما ينصرف لكهنتهم وبيوت صلاتهم مائتا الف دينار ولما ينصرف فى الصدقات مما يصب صبا وينادى عليه برئت الذمة من رجل كشف وجهه لفاقة ولم يحضر فيحضر لذلك جمع كثير مائتا الف دينار فاذا فرقت الاموال على أربابها دخل أمناء فرعون اليه وهنؤه بتفرقة الاموال ودعواله بطول البقاء ودوام العز والنعماء والسلامة وأنهوا إليه حال الفقراء فيأمر باحضارهم وتغيير شعثهم ويمد لهم السماط فيأكلون بين يديه ويشربون ويستفهم من كل واحد منهم عن سبب فاقته فان كان ذلك من آفة الزمان زاد غلة مثل الذى كان له ولما ينصرف فى نفقات فرعون الراتبة فى كل سنة مائتا الف دينار ويفضل بعد ذلك مما يتسلمه يوسف الصديق عليه السلام للملك ويجعله فى بيت المال لنوائب الزمان أربعة عشر الف الف وستمائة الف دينار * وقال أبو رهم كانت أرض مصر أرضا مديرة حتى أن الماء ليجرى من تحت منازل لها وأفنيتها تجرى من تحتى الآية وكان ملك مصر عظيما لم يكن فى الأرض أعظم منه ملكا وكانت الجنان بحافتى النيل

ومن سلفه الطاهر وما ذاك إلا أن زكى الدين المذكور أنشد الملك المظفر محمودا قبل أن يتملك حماة .

متى أراك ومن تهوى وأنت كما . تهوى على غمهم روحين فى بدن .
هناك أنشد والآمال حاضرة . هنئت بالملك والاحباب والوطن .

فوعده أن تملك حماة أن يعطيه ألف دينار فلما ملكها أنشد .

مولاى هذا الملك قد نلته برغم مخلوق من الخالق
والدهر منقاد لما شئته فذا أوان الموعد الصادق

فدفع له ألف دينار وأقام معه مدة ولزمته أسفار أنفق فيها المال الذى أعطاه ولم يحصل بيده زيادة عليه فقال أن الذى أعطوه لى جملة قد استردوه قليلا قليل فليت لم يعطوا ولم يأخذوا .
وحسبنا الله ونعم الوكيل فبلغ ذلك الملك المظفر فأخرجه من دار كان قد أنزله بها فقال

أتخرجنى من كسر بيت مهدم . ولى فيك من حسن الثناء بيوت .
فإن عشت لم اعدم مكانا يضمنى وأنت فتدرى ذكر من سيموت

فحبسه المظفر فقال ماذنبى اليك فقال حسبنا الله ونعم الوكيل وأمر بخنقه فلما احس بذلك قال اعطيتنى الالف تعظيما وتكرما

النيل متصلة لاتنقطع منها شيء عن شيء والزروع كذلك من أسوان إلى رشيد وكانت أرض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا دبروا من جسورها وحافاتها والزروع مابين الجبلين من أولها إلى آخرها وذلك قوله تعالى تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم (وقال) عبد الله بن عمر رضى الله عنهما استعمل فرعون هامان على حفر خليج سردوس فأخذ فى حفره وتدبيره فجعل أهل القرى يسألونه أن يجرى لهم الخليج تحت قراهم ويعطوه مالا فكان يذهب به من قرية إلى قرية من المشرق إلى المغرب ومن الشمال إلى القبلة ويسوقه كيف أراد وإلى حيث قصد فليس خليج بمصر أكثر عطوفا منه فاجتمع له من ذلك أموال عظيمة جزيلة فحملها إلى فرعون وأخبره بالخبر فقال له فرعون إنه ينبغى للسيد أن يعطف على عبيده ويفيض عليه من خزائنه وذخائره ولا يرغب فيما بأيديهم رد على أهل القرى أموالهم فردعليهم ماأخذه منهم * فاذا كانت هذه سيرة من لايعرف الله ولايرجو لقاءه ولايخاف عذابه ولايؤمن بيوم الحساب فكيف تكون سيرة من يقول لاإله إلاالله محمد رسول الله يوقن بالحساب والثواب والعقاب وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى اجعلنى على خزائن الارض قال هى خزائن مصر ولما استوثق امر مصر ليوسف عليه السلام وكمل وصارت الأشياء اليه وأراد الله تعالى أن يعوضه على صبره لمالم يرتكب محارمه وكانت مصر أربعين فرسخا فى مثلها وما أطاع يوسف فرعون وهو الريان بن مصعب ومات عنه إلا بعد أن دعاه إلى الإسلام فأسلم وكانت السنون التى حصل فيها الغلاء والجوع مات العزيز وتملك يوسف وافتقرت زليخا وعمى بصرها فجعلت تتكفف الناس فقيل لها وتعرضت للملك ربما يرحمك الله ويعينك ويغنيك فطالما كنت تحفظينه وتكرمينه ثم قيل لها لاتفعلى لانه ربما يتذكر ماكان منك اليه من المراودة والحبس فيسىء اليك ويكافئك على ماسبق منك اليه فقالت أنا أعلم عليه وكرمه فجلست له على رابية فى طريقه يوم خروجه وكان يركب فى زهاء مائة الف من عظماء قومه وأهل مملكته فلما أحست به قامت ونادت سبحان من جعل الملوك عبيدا بمعصيتهم والعبيد ملوكا بطاعتهم فقال يوسف عليه السلام من أنت فقالت أنا التى كنت أخدمك بنفسى وأرجل شعرك بيدى وأكرم مثواك بجهدى وكان منى ماكان وقد ذقت وبال أمرى وذهبت قوتى وتلف مالى وعمى بصرى وصرت أسأل الناس فمنهم من يرحمنى ومنهم من لايرحمنى وبعد ماكنت مغبوطة أهل مصر كلها صرت مرحومتهم بل محرومتهم وهذا جزاء المفسدين فبكى يوسف عليه السلام بكاء شديدا وقال لها فى قلبك من حبك اياى شىء قالت نعم والذى اتخذ ابراهيم خليلا لنظرة اليك أحب الى من ملء الارض ذهبا وفضة فمضى يوسف وأرسل اليها يقول ان كنت أيما تزوجناك وان كنت ذات بعل أغنيناك فقالت لرسول الملك أنا أعرف أنه يستهزىء بى هولم يردنى فى ايام شبابى وجمالى فكيف يقبلنى وأنا عجوز عمياء فقيرة فأمر بها يوسف عليه السلام فجهزت وتزوج بها وأدخلت عليه فصف عليه السلام قدميه وقام يصلى ودعا الله تعالى باسمه العظيم الاعظم فرد الله عليها حسنها وجمالها وشبابها وبصرها كهيئتها يوم راودته فواقعها فاذا هى بكر فولدت له افرائيم بن يوسف ومنشا بن يوسف وطاب فى الاسلام عيشهما حتى فرق الموت بينهما فينبغى للقوى أن لاينسى الضعيف وللغنى أن لايتمنى الفقير فرب مطلوب يصير طالبا ومرغوب فيه يصير راغبا ومسئول يصير سائلا وراحم يصير مرحوما فنسأل الله تعالى ان يرحمنا برحمته ويغنينا بفضله ولما ملك يوسف عليه السلام بخزائن الارض كان يجوع

كقول الشاعر :

وكنت كالمتمنى ان يرى فلقا
من الصباح فلما ان رآه عمى

(قلت) وكان والد السلطان الملك المظفر المنصور من كبار أهل الادب وكان أحب الناس لاهله وله كتاب طبقات الشعراء عشر مجلدات وسمع الحديث من الحافظ السلفى بالاسكندرية وكان مغرما بحب الأدباء والعلماء وجمع تاريخا على السنين فى عشر مجلدات ومن مصنفاته كتابه المسمى بمظاهر الحقائق وسر الخلائق وهو كبير نفيس يدل على فضله وجمع عنده من الكتب مالا مزيد عليه وكان فى خدمته ماييناهز مائتى متعمم من الفقهاء والادباء والنحاة والمشتغلين بالحكمة والمنجمين والكتاب وأقامت دولته ثلاثين سنة وتوفى سنة عشر وستمائة ومن شعره

اربى راح وريحا
ن ومحبوب وشادى
والذى ساق لى الملا
ك له دفع الاعادى

(قلت) وقد تقدم القول وقد تقرر أن جميع ملوك حماة المحروسة من بنى أيوب وكان لهم المام بالادب وأهله وقد تعين أن نذكر هنا ترجمة مؤيدهم انه كان بدر كمالهم ومسك ختامهم وهو الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء اسمعيل بن

ويأكل من خبز الشعير فقيل له أتجوع وبيدك خزائن الأرض فقال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع (ومن حسن سيرة العمال) ماروى أن عمر رضى الله عنه استعمل على حمص رجلا يقال له عمير ابن سعد فلما مضت السنة كتب اليه عمر رضى الله عنه أن أقدم علينا فلم يشعر عمر إلا وقدقدم عليه ماشياً حافياً عكازته بيده وأداوته ومزوده وقصعته على ظهره فلما نظر اليه عمر قال له ياعمير أجبتنا أم البلاد بلاد سوء فقال ياأمير المؤمنين أما نهاك الله أن تجهر بالسوء وعن سوء الظن وقد جئت اليك بالدنيا اجرها بقرابها فقال له وما معك من الدنيا قال عكازة أتوكأ عليها وأدفع عدوا إن لقيته ومزود أحمل فيه طعامى وأداوة أحمل فيها ماء لشربى ولطهورى وقصعة أتوضأ فيها وأغسل فيها رأسى وآكل فيه طعامى فوالله ياأمير المؤمنين ماالدنيا بعد إلا تبع لما معى قال فقام عمر رضى الله عنه من مجلسه إلى قبر رسول الله ﷺ وأبى بكر رضى الله عنه فبكى بكاء شديدا ثم قال اللهم ألحقنى بصاحبى غير مفتضح ولا مبدل ثم عاد إلى مجلسه فقال ماصنعت فى عملك ياعمير فقال أخذت الإبل من أهل الإبل والجزية من الذمة عن يدوهم صاغرون ثم قسمتها بين الفقراء والمساكين وأبناء السبيل فوالله ياأمير المؤمنين لو بقى عندى منها شىء لأتيتك به فقال عمر عد إلى عملك ياعمير قال أنشدك الله ياأمير المؤمنين أن تردنى إلى أهلى فأذن له فأتى أهله فبعث عمر رجلا يقال له حبيب بمائة دينار وقال له اختبر لى عميرا وانزل عليه ثلاثة أيام حتى ترى حاله هل هو فى سعة أم ضيق فان كان فى ضيق فادفع اليه المائة دينار فأتاه حبيب فنزل به ثلاثا فلم ير له عيشاً الا الشعير والزيت فلما مضت ثلاثة أيام قال ياحبيب ان رأيت أن تتحول إلى جيراننا فلعلهم أن يكونوا أوسع عيشاً منا فانا والله وتالله لوكان عندنا غير هذا لآثرناك به قال فدفع اليه المائة دينار وقال قد بعث بها أمير المؤمنين اليك فدعا بفرو خلق لامرأته فجعل يصر منها الخمسة دنانير والستة والسبعة ويبعث بها الى اخوانه الفقراء الى ان انفذها فقدم حبيب على عمر وقال جئتكم ياأمير المؤمنين من عند أزهد الناس وماعنده من الدنيا قليل ولا كثير وأمر له عمر بوسقين من طعام وثوبين فقال ياأمير المؤمنين أما الثوبان فأقبلهما وأما الوسقا فلا حاجة لى بهما عند أهلى صاع من بر هو كافيهم حتى أرجع اليهم (وروى) أن عمر رضى الله عنه صر أربعمائة دينار وقال للغلام اذهب بها الى أبى عبيدة بن الجراح ثم تربص فى البيت ساعة حتى تنظر مايصنع بها فذهب الغلام اليه وقال له يقول لك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب اجعل هذه فى بعض حوائجك قال وصله الله رحمه ثم دعا بجاريته وقال لها إذهبى بهذه السبعة إلى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى أنفذها فرجع الغلام الى عمر وأخبره فوجده قد عد مثلها لمعاذ بن جبل فقال له انطلق بها الى معاذ بن جبل وانظر مايكون من أمره فمضى اليه وقال له كما قال لابى عبيدة بن الجراح ففعل معاذ كما فعل أبو عبيدة فرجع الغلام فأخبره عمر فقال انهم اخوة بعضهم من بعض رضى الله تعالى عنهم أجمعين

(الفصل الثانى فى أحكام أهل الذمة) روى عن عبد الرحمن بن غنم قال كتبنا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه حين صالح نصارى أهل الشام وبسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من نصارى مدينة كذا الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب انكم لما قدمتم علينا سألناكم الامان لانفسنا وذرارينا واموالنا واهل ملتنا وشرطنا لكم على انفسنا ان لانحدث فى مدائننا ولا فيما حوالها كنيسة ولا ديرا ولا قلية ولا صومعة راهب ولا نجدد ماخرب منها ولا ما كان مختطا منها فى خطط المسلمين فى ليل ولا فى نهار وان نوسع ابوابها للمار وابن السبيل وان ننزل من مر بنا من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نؤوى فى كنائسنا ولا

الملك الأفضل ابن الملك المظفر بن الملك المنصور بن الملك المظفر صاحب حماة المحروسة كان أميرا بدمشق المحروسة لخدم الملك الناصر لما كان بالكرك وبالغ فى خدمته فوعده بحماة ووفى له بذلك وجعله بها سلطانا يفعل فيها مايشاء من أقطاع وغيره ليس لأحد من الدولة المصرية معه حديث وأركبه فى القاهره بشعار المملكة وأبهة السلطنة ومشى الأمراء فى خدمته حتى الأمير سيف الدين ابن أرغون النائب وقام له القاضى كريم الدين بكل ما يحتاج اليه فى ذلك المهم من التشاريف والانعامات على وجوه الدولة ولقبه الملك الصالح ثم بعد ذلك بقليل لقب بالمؤيد وتقدم أمر السلطان الملك الناصر إلى نوابه أن يكتبوا اليه يقبل الأرض والمقام الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى المؤيدى العمادى وفى العنوان صاحب حماة وكان الملك الناصر يكتب اليه أخوه محمد بن قلاوون اعز الله المقام الشريف العالى السلطانى الملكى المؤيدى العمادى المولوى ٭ وكان الملك المؤيد من علماء الفقه والادب والطب والحكمة والهيئة ونظم الحاوى وله تاريخ بديع وكتاب تقويم البلدان هذبه وجدوله واجاد فيه ماشاء الله وله كتاب الموازين ٭ وكان قد رتب للشيخ جمال الدين ابن نباتة فى كل شهر الف درهم غير مايتحفه وهو مقيم بدمشق وتوجه الملك المؤيد فى بعض السنين إلى الديار

ولا فى منازلنا جاسوسا ولا نكتمه عن المسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ولا نظهر شرعنا ولا ندعو اليه أحد ولا نمنع أحدا من ذوى قراباتنا الدخول فى دين الاسلام أن أراده وأن نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا إذا أراد الجلوس وأن لا نتشبه بالمسلمين فى شىء من ملابسهم من قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكنى بكناهم ولا نركب فى السروج ولا نتقلد بالسيوف ولا نتخذ شيئا من السلاح ولا نحمله معا ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخمر وأن نجز مقادم رؤسنا ونلزم زينا حيثما كنا وأن نشد الزنار على أوساطنا ولا نظهر صلباننا ولا كتبنا فى شىء من أسواق المسلمين وطرقهم ولا نضرب بالنواقيس فى كنائسنا الاضربا خفيفا ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نظهر النيران فى شىء من طرق المسلمين ولا أسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين ولا نتطلع على منازلهم وقد شرطنا ذلك على أنفسنا وعلى ملتنا وقبلنا عليه الامان فان نحن خالفنا فى شىء طناه لكم وضمناه على أنفسنا فلا ذمة لنا وقد حل بنا ما يحل بأهل المعاندة والشقاق فكتب اليه عمر رضى الله عنه أن امض ما سألوه والحق فيه حرفين واشترطهما عليهم مع ما شرطوا على أنفسهم أن لا يشتروا شيئا من سبايا المسلمين ومن ضرب مسلما عمدا فقد خلع عهده * وروى أن بنى تغلبة دخلوا على عبد العزيز رضى الله عنه فقالوا يا أمير المؤمنين انا قوم من العرب افرض لنا قال نصارى قالوا نصارى قال ادعوا إلى حجاما ففعلوا لجز نواصيهم وشق من أرديتهم حزما يحتزمون بها وأمرهم أن لا يركبوا بالسروج وأن لا يركبوا على الاكف من شق واحد وروى أن أمير المؤمنين الخليفة جعفر المتوكل أقصى اليهود والنصارى ولم يستعملهم وأذلهم وأبعدهم وخالف بين زيهم وزى المسلمين وقرب منه أهل الحق وابعد عنه أهل الباطل فاحيا الله به الحق وامات به الباطل فهو يذكر بذلك ويترحم عليه ما دامت الدنيا وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لا تستعملوا اليهود والنصارى فانهم أهل رشا فى دينهم ولا يحل فى دين الله الرشا ولما استقدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه أبا موسى الاشعرى رضى الله عنه من البصرة وكان عاملا عليها للحساب ودخل على عمر وهو فى المسجد فاستأذن لكاتبه وكان نصرانيا فقال له عمر قاتلك الله وضرب بيده على فخذه وليت ذميا على المسلمين أما سمعت الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض الآية هلا اتخذت حنيفيا فقال يا أمير المؤمنين لى كتابته وله دينه فقال لا أكرمهم إذا أهانهم الله ولا أعزهم إذا أذلهم الله ولا أدنيهم إذا أقصاهم الله وكتب بعض العمال إلى عمر رضى الله عنه أن العدو قد كثر وإن الجزية قد كثرت أفنستعين بالأعاجم فكتب اليه أنهم أعداء الله وانهم لنا غششة فأنزلوهم حيث أنزلهم الله ، ولما خرج رسول الله ﷺ الى بدر لحقه رجل من المشركين عند الحرة فقال انى أريد أن أتبعك فأصيب معك قال أتؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن نستعين بمشرك ثم لحقه عند الشجرة فقال جئتك لأتبعك وأصيب معك قال أتؤمن بالله ورسوله قال لا قال فارجع فلن أستعين بمشرك ثم لحقه عند ظهر البيداء فقال له مثل ذلك فأجابه بمثل الاول فقال نعم فخرج به وفرح المسلمون وكان له قوة وجلد وهذا أصل عظيم فى ان لا يستعان بكافر هذا وقد خرج ليقاتل بين يدى النبى ﷺ ويرق دمه فكيف استعمالهم على رقاب المسلمين وكتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه إلى عماله ان لا تولوا على أعمالنا الا أهل القرآن فكتبوا اليه انا قد وجدنا فيهم خيانة فكتب اليهم ان لم يكن فى أهل القرآن خيرا فاجدروا ان لا يكون فى غيرهم قال اصحاب الشافعى ويلزمهم

المصرية ومعه ابنه الملك الافضل محمد فرض ولده فجهز اليه السلطان الحكيم جمال الدين المغربى رئيس الاطبار فكان يجىء اليه بكرة وعشيا فيراه ويبحث معه فى مرضه ويقدر له الادوية ويطبخ له الشراب بيده فى دست فضة فقال له ابن المغربى يا مولانا السلطان أنت والله ما تحتاج إلى المملوك وما أجىء إلا امتثالا للاوامر الشريفة ولما عوفى أعطاه بغلة بسرج ذهب ولجام وكنبوش مزركش وعشرة آلاف درهم والدست الفضة وقال يا رئيس اعذرنى فانى لما خرجت ما حماة ما حسنت مرض هذا الولد ومدحه شعراء زمانه وأجازهم وبنى بظاهر حماة المحروسة جامعا حسنا وسماه وجامع الدهيشة واوقف عليه كتبا قيل انهاما اجتمعت لغيره من سائر الفنون فانه اجتهد فى جمعها من سائر البلاد شرقا وغربا وتوفى رحمه الله سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة ومن شعره

كم من دم حلت وما نه مت … تفعل ما تشتهى فلا عدمت
سمعت فلو تبلغ الشموس إلى … لثم مواطىء أقدامها لثمت

والمنقول عن القاسم والمكنى بأبى دلف) أنه جمع بين طرفى الكرم والشجاعة ولى دمشق فى خلافة المعتصم فأما شجاعته فانه لحق قوما من الاكراد قطعوا الطريق فطعن فارسا طعنة فنفذت الطعنة إلى فارس آخر رديفه فقتلهما فقال بكر بن النطاح

قالوا وينظم فارس بطعنه … يوم الهياج ولا تراه كليلا

أن يتميزوا فى اللباس عن المسلمين وأن يلبسوا قلانس يميزونها عن قلانس المسلمين بالحمرة ويشدوا الزنانير على أوساطهم ويكون فى رقابهم خاتم من نحاس أو رصاص أو جرس يدخلون به الحمام وليس لهم أن يلبسوا العمائم ولا الطيلسانات وأما المرأة فانها تشد الزنار تحت الإزار وقيل فوق الازار وهو الأولى ويكون فى عنقها خاتم تدخل به الحمام ويكون أحد خفيها أسود والآخر أبيض ولا يركبون الخيل ولا البغال ولا الحمير إلا بالأكف عرضا ولا يركبون بالسروج ولا يتصدرون فى المجالس ولا يبدأون بالسلام ويلجأون إلى أضيق الطرق ويمنعون أن يتطاولوا على المسلمين فى البناء وتجوز المساواة وقيل لا تجوز وان تملكوا دارا عالية أقروا عليها ويمنعون من إظهار المنكر كالخمر والخنزير والناقوس والجهر بالتوراة والانجيل ويمنعون من المقام فى أرض الحجاز وهى مكة والمدينة واليمامة وان امتنعوا من أداء الجزية والتزام أحكام أهل الملة انتقض عهدهم وإن زنى أحد منهم بمسلمة أو أصابها بنكاح أو آوى عينا للكفار أو دل على عورة المسلمين أو فتن مسلما عن دينه أو قتله أو قطع عليه الطريق تنتقض ذمته وفى تقدير الجزية اختلاف بين العلماء فنهم من قال انها مقدرة الأقل والأكثر على ما كتب به عمر رضى الله عنه إلى عثمان بن حنيف بالكوفة فوضع على الغنى ثمانية وأربعين درهما وعلى من دونه أربعة وعشرين درهما وعلى من دونه اثنى عشر درهما وذلك بمحضر من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ولم يخالفه أحد وكان الصرف اثنى عشر بدينار وهذا مذهب أبى حنيفة وأحمد بن حنبل وأحد قولى الشافعى ويجوز للإمام أن يزيد على ماقدره عمر ولا يجوز أن ينقص عنه ولا جزية على النساء والمماليك والصبيان والمجانين وأما الكنائس فأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن تهدم كل كنيسة بعد الاسلام ومنع أن تجدد كنيسة وأمر أن لا تظهر عليه خارجة من كنيسة ولا يظهر صليب خارج من كنيسة الاكسر على رأس صاحبه وكان عروة بن محمد يهدمها بصنعاء وهذا مذهب علماء المسلمين أجمعين وشدد فى ذلك عمر ابن عبد العزيز وأمر أن لا يترك فى دار الاسلام بيعة ولا كنيسة بحال قديمة ولا حديثة والله تعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثانى والعشرون فى اصطناع المعروف واغاثة الملهوف وقضاء حوائج المسلمين وادخال السرور عليها)

قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال رسول الله ﷺ من مشى فى عون أخيه ومنفعته فله ثواب المجاهدين فى سبيل الله وعن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال الخلق كلهم عيال الله فأحب خلقه اليه أنفعهم لعياله رواه البزار الطبرانى فى معجمة ومعنى عيال الله فقراء الله تعالى والخلق كلهم فقراء الله تعالى وهو يعولهم وروينا فى مسند الشهاب عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال خير الناس أنفعهم للناس وعن كثير بن عبيد بن عمرو بن عوف المزنى عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ان لله خلقا خلقهم لقضاء حوائج الناس آلى على نفسه أن لا يعذبهم بالنار فاذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يحدثون الله تعالى والناس فى الحساب وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ من سعى لأخيه المسلم فى حاجة فقضيت له أو لم تقض غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

وأما شهرته فى الكرم فهو الذى قال فيه أبو تمام ياطالبا للكيمياء وعلمها مدح ابن عيسى الكيمياء الأعظم
لو لم يكن فى الأرض إلا درهم ومدحته لأتاك ذاك الدرهم
ودخل عليه بعض الشعراء فأنشد أبودلف ان المكارم لم تزل
مغلغلة تشكو إلى الله حلها فبشرها منه بميلاد قاسم
فأرسل جبريلا اليها قاسم فأمر له بمال فقال الخازن لم يكن هذا القدر ببيت المال فأمر له بضعفه فقال هذا غير ممكن فأمر له بضعفه فلما حمل اليه المال قال أبودلف
أتعجب إن رأيت دينا وان ذهب الطريف مع التلاد
وما وجبت على زكاة مال وهل تجب الزكاة على جواد
وقال آخر
إن سار سار المجد أوحل وقف أنظر بعينيك إلى أسنى الشرف
هل ناله بقدرة أو بكلف خلق من الناس سوى أبى دلف فأعطاه خمسين ألف درهم وفيه يقول العكوك بن على بن أبى جبلة
إنما الدنيا أبودلف بين باديه ومحتضره فاذا ولى أبودلف ولت الدنيا على إثره
وكتب

وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق وعن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ من قضى لأخيه المسلم حاجة كنت واقفا عند ميزانه فان رجح وإلا شفعت له رواه أبو نعيم فى الحلية وروينا فى مكارم الاخلاق لأبى بكر الخرائطى عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من مشى فى حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة وكفر عنه سبعين سيئة فان قضيت حاجته على يديه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فان مات فى خلال ذلك دخل الجنة بغير حساب وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ من مشى مع أخيه فى حاجة فناصحه فيها جعل الله بينه وبين النار سبع خنادق ما بين الخندق والخندق كما بين السماء والارض رواه أبو نعيم وابن ابى الدنيا وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ ان لله عند أقوام نعما يقرها عندهم ما داموا فى حوائج الناس مالم يملوا فاذا ملوا نقلها الله إلى غيرهم رواه الطبرانى وروينا من طريق الطبرانى باسناد جيد على ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ مامن عبد أنعم الله عليه نعمة فاسبغها عليه ثم جعل حوائج الناس إليه فتبرم فقد عرض تلك النعمة للزوال وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من اغاث ملهوفا كتب الله ثلاثا وسبعين حسنة واحدة منها يصلح بها آخرته ودنياه والباقى فى الدرجات وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ أتدرون مايقول الاسد فى زئيره قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول اللهم لاتسلطنى على أحد من أهل المعروف رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قيل يارسول الله أى الناس أحب إليك قال أنفع الناس للناس قيل يارسول الله فأى الاعمال أفضل قال ادخال السرور على المؤمن قيل وما سرور المؤمن قال اشباع جوعته وتنفيس كربته وقضاء دينه ومن مشى مع أخيه فى حاجة كان كصيام شهر واعتكافه ومن مشى مع مظلوم يعينه ثبت الله قدمه يوم تزل الاقدام ومن كف غضبه ستر الله عورته وان الخلق السىء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من لقى أخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك سره الله يوم القيامة رواه الطبرانى فى الصغير باسناد حسن وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ من أدخل على أهل بيت من المسلمين سرورا لم يرض الله سرورا دون الجنة رواه الطبرانى وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ما أدخل رجل على مؤمن سرورا إلا خلق الله من ذلك السرور ملكا يعبد الله تعالى ويوحده فاذا صار العبد فى قبره أتاه ذلك السرور فيقول له أما تعرفنى فيقول له من أنت فيقول أنا السرور الذى ادخلتنى على فلان أنا اليوم أؤانس وحشتك وألقنك حجتك وأثبتك بالقول الثابت وأشهد مشاهدك يوم القيامة وأشفع لك إلى ربك وأريك منزلتك فى الجنة رواه ابن أبى الدنيا وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه يرفعه إذا أراد أحدكم الحاجة فليبكر لها يوم الخميس وليقرأ إذا خرج من منزله آخر سورة آل عمران وآية الكرسى وإنا أنزلناه فى ليلة القدر وأم الكتاب فان فيها حوائج الدنيا والآخرة وهو حديث مرفوع ٭ ومن كلام الحكماء إذا سألت كريما حاجة فدعه يفكر فانه لايفكر إلا فى خير وإذا سألت لئيما حاجة فعاجله لئلا يشير عليه طبعه أن لايفعل وسأل رجل رجلا حاجة ثم توانى عن طلبها فقال المسئول أنمت عن حاجتك فقال مانام عن حاجته من أسهرك لها ولا عدل بها عن محجة النجح من قصدك بها فعجب من فصاحته وقضى حاجته

كل من فى الارض من عرب بين باديه إلى حضره مستعير منك مكرمة يكتسبها يوم مفتخره فأعطاه أبو دلف مائة ألف درهم ولما بلغت المأمون غضب غضبا شديدا على العكوك (١١٣) فطلب فهرب فاجتهدوا إلى ان جاؤا به متقيدا فلما صار بين يديه قال له يا ابن اللخناء أنت القائل فى مدحك لأبى دلف كل من فى الأرض من عرب البيتين جعلتنا ممن يستعير المكارم منه ويفتخر بها فقال ياأمير المؤمنين أنتم أهل بيت لايقاس بكم لأن الله تعالى اختصكم لنفسه على عباده وآتاكم الكتاب والحكم وانما ذهبت فى شعرى لاقران وأشكال أبى دلف فقال والله ما أبقيت من أحد ولقد ادخلتنا فى الكل وما أستحل دمك بهذا ولكن بكفرك حيث قلت فى عبد ذليل مهين

أنت الذى تنزل الآيات منزلها
وتنقل الدهر من حال إلى حال
وما نظرت مدى طرف إلى أحد
الا قضيت بأرزاق وآجال

ذاك هو الله ياكافر اخرجوا لسانه من قفاه ففعلوا به ذلك فمات ٭ ومن مصنفاته كتاب البزة والصيد وكتاب السلاح وكتاب النزه وكتاب سياسة الملوك وكانت له اليد الطولى فى الغناء وهو مترجم بذلك فى كتاب الاغانى وذكر أبو عبيدة فى كتاب مثالب أهل البصرة أن النضر بن شميل النحوى البصرى كان عالما بفنون من العلم صاحب غريب وفقه وشعر ومعرفة بأيام العرب ورواية الحديث وهو من اصحاب الخليل بن احمد فاتفق ان ضاقت به المعيشة ورق حاله فخرج يريد خراسان فشيعه من

وأمر له بمال جزيل * وقال مسلمة لنصيب سلني فقال كفك بالعطية أبسط من لساني بالمسئلة فأمر له بألف دينار وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها وعنه أيضا وقال لا تكثر على أخيك الحوائج فان العجل إذا أفرط في مص ثدي أمه نطحه وقال ذو الرياستين لثمامة بن شرس ما أدري ما أصنع بكثرة الطلاب فقال زل عن موضعك وعلي أن لا يلقاك منهم أحد فقال له صدقت وجلس لهم في قضاء حوائجهم وحدث أبو جعفر محمد بن القاسم الكرخي قال عرضت على أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات رقعة في حاجة فقرأها ووضعها من يده ولم يوقع فيها بشيء فأخذتها وقمت وأنا أقول متمثلا من حيث يسمع هذين البيتين

وإذا خطبت إلى كريم حاجة ... وأبى فلا تقعد عليه بحاجب

فلربما منع الكريم وما به ... بخل ولكن سوء حظ الطالب

فقال وقد سمع ما قلت ارجع يا أبا جعفر بغير سوء حظ الطالب ولكن إذا سألتمونا الحاجة فعاودونا فان القلوب بيد الله تعالى فأخذ الرقعة ووقع فيها بما أردت * وسأل إسحق بن يحيى إسحق بن إبراهيم المصعبي ان يوصل له رقعة إلى المأمون فقال لكاتبه ضمها إلى رقعة فلان فقال

تأن لحاجتي واشدد عراها ... فقد أضحت بمنزلة الضياع

إذ شاركتها بلبان أخرى ... أضر بها مشاركة الرضاع

(وقال أبو دقانة البصري)

أضحت حوائجنا إليك مناخة ... معقولة برحابك الوصال

أطلق فديتك بالنجاح عقالها ... حتى تثور دمما بغير عقال

(وقال سلم الخاسر)

إذا أذن الله في حاجة ... أتاك النجاح على رسله

فلا تسأل الناس من فضلهم ... ولكن سل الله من فضله

(ولله در القائل حيث قال)

أيها المادح العباد ليعطى ... ان لله ما بأيدي العباد

فاسأل الله ما طلبت إليهم ... وارج فرض لمقسم الجواد

وعن عبد الله بن الحسن الحسنين رضي الله تعالى عنهم قال أتيت باب عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال إذا كانت لك حاجة إلى فارسل إلى رسولا أو اكتب لي كتابا فاني لأستحي من الله ان يراك ببابي وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال والذي وسع سمعه الاصوات ما من أحد أودع قلبا سرورا إلا خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فاذا نزلت به نائبة جرى إليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقال لجابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما يا جابر من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه فان قام بما يجب لله فيها عرضها للدوام والبقاء وإن لم يقم فيها بما يجب لله عرضها للزوال نعوذ بالله من زوال النعمة ونسأله التوفيق والعصمة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

(الباب الثالث والعشرون في محاسن الأخلاق ومساويها)

قال الله تعالى لنبيه ﷺ وإنك لعلى خلق عظيم فخص الله تعالى نبيه ﷺ من كريم الطباع ومحاسن الاخلاق

أهل البصرة ثلاثة آلاف رجل ما فيهم إلا محدث أو نحوي أو عروضي أو لغوي أو اخباري أو فقيه فلما بعدوا عن المدينة جلس فقال يا أهل البصرة يعز علي فراقكم والله ولو وجدت كل يوم أكلة باقلاء ما فارقتكم قال فلم يكن أحد فيهم يتكلف له ذلك القدر اليسير وسار حتى وصل إلى خراسان فاستفاد بها مالا عظيما ثم ذلك أنه أخذ على حرف ثمانين ألف درهم وهذه القصة نقلها الحريري صاحب المقامات في كتابه المسمى بدرة الغواص في أوهام الخواص قال حكى عن محمد بن ناصح الاهوازي قال حدثني النضر بن شميل المازني قال كنت أدخل المأمون في سمره فدخلت ذات ليلة وعلي قميص مرقوع فقال يا نضر ما هذا التقشف حتى تدخل على أمير المؤمنين في هذه الخلقان قلت يا أمير المؤمنين أنا رجل كبير وضعيف وحر مرو شديد فأتبرد بهذه الخلقان قال لا ولكنك تقشف ثم أجرينا الحديث فأجرى ذكر النساء فقال حدثني هشام عن مجاهد عن الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ إذا تزوج الرجل المرأة لجمالها ودينها كانت سدادا من عوز بفتح السين من سداد فقلت صدق يا أمير المؤمنين هشام حدثنا عوف عن ابن أبي جميلة عن الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كانت سدادا من عوز بكسر السين قال وكان أمير

المؤمنين متكئا فاستوى جالسا وقال يا نضر كيف قلت سدادا قلت نعم يا أمير المؤمنين لأن سدادا بالفتح هنا لحن قال أو تلحنني قلت إنما لحن هشام وكان لحانة فتتبع أمير المؤمنين لفظه قال فما الفرق بينهما قلت السداد بالفتح القصد

الأخلاق من الحياء والكرم والصفح وحسن العهد بما لم يؤته غيره ثم ما أثنى الله تعالى عليه بشيء من فضائله بمثل ما أثنى عليه بحسن الخلق فقال تعالى وإنك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يغضب لغضبه ويرضى لرضاه وكان الحسن رضي الله عنه إذا ذكر رسول الله ﷺ قال أكرم ولد آدم على الله عز وجل أعظم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام منزلة عند الله اتى بمفاتيح الدنيا فاختار ما عند الله تعالى وكان يأكل على الأرض ويجلس على الأرض ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ولا يأكل متكئا ولا على خوان وكان يأكل خبز الشعير غير منخول وكان يأكل القثاء بالرطب ويقول برد هذا يطفئ حر هذا وكان أحب الطعام اليه اللحم ويقول هذا يزيد في السمع ولو سألت ربي أن يطعمنيه كل يوم لفعل وكان يحب الدباء ويقول يا عائشة إذا طبختم قدرا فأكثروا فيه من الدباء فانها تشد قلب الحزين وكان يقول إذا طبختم الدباء فأكثروا من مرقها وكان يكتحل بالاثمد ولا يفارقه في سفره قارورة الدهن والكحل والمرآة والمشط والابرة يخيط ثوبه بيده وكان يضحك من غير قهقهة ويرى اللعب المباح ولا ينكره وكان يسابق أهله قالت عائشة رضي الله عنها سابقته فسبقته فلما كثر لحمي سابقته فسبقني فضرب بكتفي وقال هذه بتلك وكان له عبيد وإماء لا يرتفع على أحد منهم في مأكل ولا مشرب ولا ملبس وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجهل والصحاري يتيما لا أب له ولا أم فعلمه الله تعالى جميع محاسن الاخلاق وكان أفصح الناس منطقا وأحلاهم كلاما وكان يقول أنا أفصح العرب وقال أنس رضي الله عنه والذي بعثه بالحق نبيا ما قال لي في شيء قط كرهه لم فعلته ولا في شيء لم أفعله لم لا فعلته ولا مني احد من أهله إلا قال دعوه إنما كان هذا بقضاء وقدر وقال بعض مشايخنا رحمهم الله تعالى لا مانع من أن النبي ﷺ إذا هضم نفسه وتواضع لا يمنع من المرتبة التي هي أعلى مرتبة من العبودية فالنبي ﷺ أعطاه الله تعالى مرتبة الملك مع كونه عبدا له متواضعا لحاز المرتبتين مرتبة العبودية ومرتبة الملكية ومع ذلك كان يلبس المرقع والصوف ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويركب الحمار بلا اكاف ويردف خلفه ويأكل الخشن من الطعام وما شبع قط من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله تعالى من دعاء لباه ومن صافحه لم يرفع يده حتى يكون هو الذي يرفعها يعود المريض ويتبع الجنائز ويجالس الفقراء أعظم الناس من الله مخافة وأنعمهم لله عز وجل بدنا وأجدهم في أمر الله لا تأخذه في الله لومة لائم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأما والله ما كان تغلق من دونه الابواب ولا كان دونه حجاب ﷺ وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها ما ضربت رسول الله ﷺ امرأة قط ولا خادما له ولا ضرب بيده شيئا إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون اثما أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس منه وقال إبراهيم بن عباس لو وزنت كلمه رسول الله ﷺ بمحاسن الناس لرجحت وهي قوله عليه الصلاة والسلام انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم وفي رواية أخرى فسعوهم ببسط الوجه والخلق الحسن وعنه ﷺ حسن الخلق زمام من رحمة الله تعالى في أنف صاحبه والزمام بيد الملك والملك يجره إلى الخير والخير يجره إلى الجنة وسوء الخلق زمام من عذاب الله تعالى في انف صاحبه والزمام بيد الشيطان والشيطان يجره الى الشر والشر يجره إلى النار وقال بعض السلف الحسن الخلق ذو قرابة عند الاجانب والسيء الخلق أجنبي عند أهله وقال الفضيل لأن يصحبني فاجر حسن الخلق

في الدين والسبيل والسداد بالكسر البلغة وكل ما سددت به شيئا فهو سداد قال أو تعرف العرب ذلك قلت نعم هذا العرجي يقول أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر فقال المأمون قبح الله من لا أدب له وأطرق مليا ثم قال ما مالك يا نضر قلت أريضة لي بمرو قال أفلا نفيدك معها مالا قلت اني إلى ذلك لمحتاج قال فأخذ القرطاس وأنا لا أدري ما يكتب ثم قال كيف تقول إذا أمرت أن يترب قلت أترب قال فهو ماذا قلت مترب قال فمن الطين قلت مطين قال هذه ماذا قلت مطين قال هذه احسن من الأولى ثم قال يا غلام أتربه ثم صلى بنا العشاء ثم قال لخادمه تبلغ النضر إلى الفضل بن سهل قال فلما قرأ الفضل الكتاب قال يا نضر ان أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسين الف درهم فما كان السبب فأخبرته ولم أكذبه شيأ فقال ألحنت أمير المؤمنين قلت كلا انما لحن هشام وكان لحانة فتتبع أمير المؤمنين لفظه وقد تتبع الفاظ الفقهاء ورواة الآثار ثم أمر الفضل بثلاثين الف فأخذت ثمانين الف درهم بحرف واحد انتهى، وحكى ان النضر ابن شميل مرض فدخل عليه قوم يعودونه فقال له رجل منهم يكنى أبا صالح مسح الله ما بك فقال لا تقل مسح

بالسين ولكن قل مصح الله بالصاد أى أذهبه وفرقه أما سمعت قول الأعشى

وإذا ما الخمر فيها أزبدت

أحب إلى من أن يصحبنى عابد سيء الخلق لأن الفاجر إذا حسن خلقه خف على الناس وأحبوه والعابد إذا ساء خلقه مقتوه (بيت مفرد)

إذا رام التخلق جاذبته • خلائقه إلى الطبع القديم

قيل أبى الله لسيء الخلق التوبة لأنه لا يخرج من ذنب إلا دخل فى ذنب آخر لسوء خلقه وعن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن الرجل شيء لم يقل ما بال فلان ولكن يقول ما بال أقوام يقولون حتى لا يفضح أحدا وعنه ﷺ ماشيء فى الميزان أثقل من حسن الخلق وعنه أيضا ﷺ قال ثلاث من كن فيه كن له من صدق لسانه زكى عمله ومن حسنت نيته زيد فى رزقه ومن حسن بره لأهل بيته زيد له فى عمره ثم قال وحسن الخلق وكف الأذى يزيدان فى الرزق وقيل سوء الخلق يعدى لأنه يدعو إلى أن يقابل بمثله • وكتب الحسن بن على إلى أخيه الحسين رضى الله عنهم فى إعطائه الشعراء فكتب اليه الحسين أنت أعلم منى بأن خير المال ماوقى به العرض فانظر إلى شرف أدبه وحسن خلقه كيف ابتدأ كتابه بأنت أعلم منى وكان بينه وبين أخيه كلام فقيل له ادخل على أخيك فهو أكبر منك فقال انى سمعت جدى رسول الله ﷺ يقول أيما اثنين جرى بينهما كلام فطلب أحدهما رضا الآخر كان سابقه إلى الجنة وأنا أكره أن أسبق أخى الأكبر إلى الجنة فبلغ ذلك الحسن فجاءه عاجلا رضى الله عنهما وأنشد فى المعنى

وانى لألقى المرء أعلم أنه • عدو وفى أحشائه الضغن كامن
فأمنحه بشرا فيرجع قلبه • سليما وقد ماتت لديه الضغائن

(وسرق) بعض حاشية جعفر بن سليمان جوهرة نفيسة وباعها بمال جزيل فأنفذ إلى الجوهريين بصفتها فقالوا باعها فلان من مدة ثم ان ذلك الرجل الذى سرقها قبض عليه وأحضر بين يدى جعفر فلما رأى ماظهر عليه قال له أراك قد تغير لونك ألست يوم كذا طلبت منى هذه الجوهرة فوهبتها لك وأقسم بالله لقد أنسيت هذا ثم أمر للجوهرى بثمنها وقال للرجل خذها الآن حلالا طيبا وبعها بالثمن الذى يطيب خاطرك به لا تبعها بيع خائف • ودخل محمد بن عباد على المأمون فجعل يعممه بيده وجارية على رأسه تتبسم فقال لها المأمون مم تضحكين فقال ابن عباد أنا أخبرك يا أمير المؤمنين تتعجب من قبحى واكرامك اياى فقال لا تعجبى فان تحت هذه العمامة كرما ومجدا قال الشاعر

وهل ينفع الفتيان حسن وجوههم | إذا كانت الاعراض غير حسان
فلا تجعل الحسن الدليل على الفتى | فما كان مصقول الحديد يمانى

(وحكى) أن بهرام الملك خرج يوما للصيد فانفرد عن أصحابه فرأى صيدا فتبعه طامعا فى لحاقه حتى بعد عن عسكره فنظر إلى راع تحت شجرة فنزل عن فرسه ليبول وقال للراعى احفظ على فرسى حتى أبول فعمد الراعى إلى العنان وكان ملبسا ذهبا كثيرا فاستغفل بهرام وأخرج سكينا فقطع أطراف اللجام وأخذ الذهب الذى عليه فرفع بهرام نظره اليه فرآه فغض بصره وأطرق برأسه إلى الارض وأطال الجلوس حتى أخذ الرجل حاجته ثم قام بهرام فوضع يده عن عينيه وقال للراعى قدم إلى فرسى فانه قد دخل فى عينى من سافى الريح فلا أقدر على فتحهما فقدمه اليه فركب وسار إلى أن وصل إلى عسكره فقال لصاحب مراكبه ان أطراف اللجام قد وهبتها فلا تتهمن بها أحدا وذكر أن أنوشروان وضع الموائد للناس فى يوم نوروز وجلس ودخل وجوه أهل مملكته

بالصاد كما يقال الصراط والسراط وصقر وسقر فقال له النضر فأنت إذا أبو صالح (قلت) ويشبه هذه النادرة ماحكى أن بعض الأدباء جوز بحضرة الوزير أبى الحسن بن الفرات أن تقام السين مقام الصاد فى كل موضع فقال الوزير أتقول جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم أم سلح فخجل الرجل وانقطع والذى ذكره أرباب اللغة فى جواز ابدال الصاد من السين انه فى كل كلمة كان فيها سين وجاء بعدها أحد الحروف الأربعة وهى الطاء والخاء والغين والقاف فتقول الصراط والسراط وفى سخر لكم صخر لكم وفى مسغبة مصغبة وفى سيقل صيقل وقس على هذا (ونقل قاضى القضاة شمس الدين ابن خلكان فى تاريخه) ان أبا جعفر أحمد بن عيسى البلادرى المؤرخ قال كنت من جلساء المستعين فقصده الشعراء فقال لست أقبل الا من يقول مثل قول البحترى فى المتوكل

فلو أن مشتاقا تكلف فوق ما • فى وسعه لسعى إليك المنبر

قال البلادرى فرجعت إلى دارى وأتيته وقلت قد قلت فيك أحسن مما قال البحترى قال هاته فأنشدته

ولو أن برد المصطفى إذا لبسته يظن لظن البرد أنك صاحبه وقال وقد أعطيته ولبسته نعم هذه أعطافه ومناكبه
فقال ارجع إلى منزلك وافعل ما آمرك به فرجعت فبعث لى سبعة آلاف دينار وقال ادخر هذه الحوادث

فى الايوان فلما فرغوا من الطعام جاؤا بالشراب وأحضرت الفواكه والمشموم فى آنية الذهب والفضة فلما رفعت آنية المجلس أخذ بعض من حضر جام ذهب وزنه ألف مثقال وخبأه تحت ثيابه وأنوشروان يراه فلما فقده الشرابى صاح بصوت عال لا يخرجن أحد حتى يفتش فقال كسرى ولم فأخبره بالقضية فقال قد أخذه من لا يرده ورآه من لا ينم عليه فلا تفتش أحدا فأخذ الرجل الجام ومضى فكسره وصاغ منه منطقة وحلية لسيفه وجدد له كسوة جميلة فلما كان فى مثل ذلك اليوم جلس الملك ودخل ذلك الرجل بتلك الحلية فدعاه كسرى وقال له هذا من ذاك فقبل الأرض وقال نعم أصلحك الله . وقال عبد الله بن طاهر كنت عند المأمون يوما فنادى بالخادم يا غلام فلا يجيبه أحد ثم نادى ثانيا وصاح يا غلام فدخل غلام تركى وهو يقول ما ينبغى للغلام أن يأكل ولا يشرب كلما خرجنا من عندك تصيح يا غلام يا غلام فنكس المأمون رأسه طويلا فما شككت أنه يأمرنى بضرب عنقه ثم نظر إلى فقال يا عبد الله أن الرجل إذا حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خدمه وإذا ساءت أخلاقه حسنت أخلاق خدمه وان لا نستطيع أن نسىء أخلاقنا لتحسن أخلاق خدمنا . وقال ابن عباس رضى الله عنهما ورد علينا الوليد بن عتبة بن أبى سفيان المدينة واليا وكأن وجهه ورقة من ورق المصحف فوالله ما ترك فينا فقيرا الا أغناه ولا مديونا إلا أدى عنه دينه وكان وجهه الينا بعين أرق من الماء ويكلمنا بكلام أحلى من الجنى ولقد شهدت منه مشهدا لو كان من معاوية لذكرته تغدينا يوما عنده فأقبل الفراش بصحفة فعثر فى وسادة فوقعت الصحفة من يده فوالله ماردها الا ذقن الوليد وانكب جميع ما فيها فى حجره فبقى الغلام متمثلا واقفا ما معه من روحه الا ما يقيم رجليه فقام الوليد فغير ثيابه وأقبل علينا تبرق أسارير جبهته فأقبل على الفراش وقال يا بائس ما أرانا الا روعناك اذهب فأنت وأولادك أحرار لوجه الله تعالى . ومرض أحمد بن أبى داود فعاده المعتصم وقال نذرت أن عافاك الله تعالى أن أتصدق بعشرة آلاف دينار فقال له أحمد يا أمير المؤمنين فاجعلها فى أهل الحرمين فقد لقوا من غلاء الاسعار شدة فقال نويت أن اتصدق بها على من ههنا واطلق لأهل الحرمين مثلها فقال أحمد متع الله الاسلام واهله بك يا أمير المؤمنين فانك كما قال النميرى لابيك الرشيد رحمة الله تعالى عليه .

إن المكارم والمعروف أودية ... أحلك الله منها حيث تجتمع
من لم يكن بأمين الله معتصما ... فليس بالصلوات الخمس ينتفع

(وقيل) للاحنف بن قيس ممن تعلمت حسن الخلق فقال من قيس بن عاصم بينما هو ذات يوم جالس فى داره إذ جاءته خادم له بسفود عليه شواء حار فنزعت السفود من اللحم وألقته خلف ظهرها فوقع على ابن له فقتله لوقته فدهشت الجارية فقال لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى . وكان ابن عمر رضى الله عنه إذا رأى أحدا من عبيده يحسن صلاته يعتقه فعرفوا ذلك من خلقه فكانوا يحسنون الصلاة مراآة له فكان يعتقهم فقيل له فى ذلك فقال من خدعنا فى الله انخدعنا له وروى أن أبا عثمان الزاهد اجتاز ببعض الشوارع فى وقت الهاجرة فألقى عليه من فوق سطح طست رماد فتغير أصحابه وبسطوا ألسنتهم فى الملقى للرماد فقال أبو عثمان لا تقولوا شيئا فان من استحق أن يصب عليه النار فصولح بالرماد لم يجز له أن يغضب وقيل لإبراهيم بن أدهم تغمده الله تعالى برحمته هل فرحت فى الدنيا قط فقال نعم مرتين إحداهما انى كنت قاعدا ذات يوم فجاء انسان فبال على والثانية كنت جالسا

من بعدى ولك الجراية والكفاية ما دمت حيا

(ويعجبنى من المدائح الرافلة فى حلل الحشمة) قول عبد الله الاسطرلابى

اهدى لمجلسه الكريم وانما ... أهدى له ما حزت من نعمائه
كالبحر يمطره السحاب وماله ... فضل عليه لأنه من مائه

(ومثله) قول القاضى الفاضل وقد كتبت به إلى وزير بغداد

يا أيها المولى الوزير ومن له ... منن حللن من الزمان وثاقى
من شاكر عنى نداك فاننى ... من عظم ما أوليت ضاق نطاقى
منن تخف على يديك وإنما ... ثقلت مؤونتها على الاعناق

(قلت) كان نظم القاضى الفاضل رحمه الله ونثره كفرسى رهان ولكن نثره أكثر مما نظم وأجمع الناس أنه أتى مع الاكثار بالعجائب وذكر قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان فى تاريخه) أن مسودات رسائله إذا جمعت ما تقصر من مائة مجلد وهو مجيد فى أكثرها ولعمرى ان الإنشاء الذى صدر فى الأيام الأموية والأيام العباسية نسى وألغى بإنشاء الفاضل وما اخترعه من النكت الأدبية والمعانى المخترعة

والانواع البديعة والذى يؤيده قول العماد الكاتب فى الجريدة انه فى صناعة الانشاء كالشريعة المحمدية نسخت الشرائع (ومن غرر نثره) هذه الرسالة التى أنشأها فى حمائم (١١٨) الرسائل وسحب فيها ذيل البلاغة والفصاحة على سحبان وائل (وهى) سرحه لا تحمل تحمل من البطائق أجنحة وتجهز جيوش المقاصد والاقلام أسلحة وتحمل من الاخبار ماتحمله الضمائر وتطوى الأرض إذا نشرت الجناح الطائر وتزوى لها الأرض حتى ترى ماسيبلغه ملك هذه الامة وتقرب منها السماء حتى ترى مالا يبلغه وهم ولاهمة وتكون مراكب الاغراض والاجنحة قلوعا وتركب الجو بحرا تصفق فيه هبوب الرياح موجا مرفوعا وتعلق الحاجات على أعجازها ولا تعوق الاردات عن انجازها ومن بلاغات البطائق استفادت ماهى مشهورة به من السجع ومن رياض كتبها الفت الرياض فهى دائمة الرجع وقد سكنت النجوم فهى أنجم وأعدت فى كنانتها فهى للحاجات أسهم وكادت تكون ملائكة لانها رسل وإذا أنيطت بالرقاع صارت اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع وقد باعد الله بين اسفارها وقربها وجعلها طيف خيال اليقظة الذى صدق العين وما كذبها وقد أخذت عهود إداء الامانة فى رقابها أطواقا وادنت من اذنابها اوراقا وصارت خوافى من وراء الخوافى واعطت سرها المودع بكتمان سحبت عليه ذيول ريشها الصوافى نرغم انف النوى بتقريب المودود وتكاد العيون

حصن

فجاء انسان فصفعنى وروى أن على بن أبى طالب كرم الله وجهه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فرآه مضطجعا فقال أما تسمع ياغلام قال نعم قال فما حملك على ترك جوابى قال أمنت عقوبتك فتكاسلت فقال اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى (وحكى) أن عثمان الحيرى دعاه انسان إلى ضيافة فلما وافى باب الدار قال له الرجل ياأستاذ ليس لى وجه فى دخولك فانصرف رحمك الله فانصرف أبو عثمان فلما وافى منزله عاد الرجل اليه وقال ياأستاذ ندمت وأخذ يعتذر له وقال احضر الساعة فقام معه فلما وافى داره قال له مثل ماقال فى الأولى ثم فعل به ذلك أربع مرات وأبو عثمان ينصرف ويحضر ثم قال له ياأستاذ انما أردت بذلك اختبارك والوقوف على أخلاقك ثم جعل يعتذر له ويمدحه فقال أبو عثمان لا تمدحنى على خلق تجده فى الكلاب فان الكلب إذا دعى حضر وإذا زجر انزجر وقال الحرث بن قصى يعجبنى من القراء كل فصيح مضحاك فاما الذى تلقاه ببشر ويلقاك بوجه عبوس فلا كثر الله فى المسلمين مثله (ومن محاسن الأخلاق) ماحكى عن القاضى يحيى بن اكثم قال كنت نائما ذات ليلة عند المأمون فعطش فامتنع أن يصيح بغلام يسقيه وأنا نائم فينغص على نومى فرأيته وقد قام يمشى على اطراف اصابعه حتى أتى موضع الماء وبينه وبين المكان الذى فيه الكيزان نحو من ثلثمائة خطوة فأخذ منها كوزا فشرب ثم رجع يمشى على أطراف أصابعه حتى قرب من الفراش الذى أنا عليه فخطا خطوات خائف لئلا ينبهنى حتى صار إلى فراشه ثم رأيته آخر الليل قام يبول وكان يقوم فى أول الليل وآخره فقعد طويلا يحاول أن أتحرك فيصيح بالغلام فلما تحركت وثب قائما وصاح ياغلام وتأهب للصلاة ثم جاءنى فقال كيف أصبحت ياأبا محمد وكيف كان مبيتك قلت خير مبيت جعلنى الله فداك ياأمير المؤمنين قال لقد استيقظت للصلاة فكرهت أن أصيح بالغلام فازعجك فقلت ياأمير المؤمنين قد خصك الله تعالى باخلاق الانبياء وأحب لك سيرتهم فهناك الله تعالى بهذه النعمة وأتمها عليك فأمر لى بألف دينار فأخذتها وانصرفت قال وبت عنده ذات ليلة فانتبه وقد عرض له السعال فجعلت أرمقه وهو يحشو فى بكم قميصه يدفع به السعال حتى غلبه فسعل وأكب على الأرض لئلا يعلو صوته فانتبه قال يحيى وكنت معه يوما فى بستان ندور فيه فجعلنا نمر بالريحان فيأخذ منه الطاقة والطاقتين ويقول لقيم البستان أصلح هذا الحوض ولا تغرس فى هذا الحوض شيئا من البقول قال يحيى ومشينا فى البستان من أوله إلى آخره وكنت انا مما يلى الشمس والمأمون مما يلى الظل فكان يجذبنى أن أتحول انا فى الظل يكون هو فى الشمس فأمتنع من ذلك حتى بلغنا آخر البستان فلما رجعنا قال يحيى والله لتكونن فى مكانى ولأكونن فى مكانك حتى آخذ نصيبى من الشمس كما اخذت نصيبك وتأخذ نصيبك من الظل كما اخذت نصيبى فقلت والله ياأمير المؤمنين لو قدرت أن أقيك يوم الهول بنفسى لفعلت فلم يزل بى تحولت إلى الظل وتحول هو إلى الشمس ووضع يده على عاتقى وقال بحياتى عليك الا ما وضعت يدك على عاتقى مثل ما فعلت أنا فانه لاخير فى صحبة من لاينصف فانظر إلى اخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ما احسنها وإلى افعالهم ما ازينها نسأل الله تعالى أن يحسن اخلاقنا وان يبارك لنا فى ارزاقنا انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الرابع والعشرون فى حسن المعاشرة والمودة والاخوة والزيارة وما أشبه ذلك ﴾

(اعلم) ان المودة والاخوة والزيارة سبب التألف والتألف سبب القوة والقوة سبب التقوى والتقوى

بملاحظتها تلاحظ نجم السعود وهي أنبياء الطيور لكثرة ماتأتى به من الأنباء وخطباؤ وما لأنها تقوم على منابر الاغصان مقام الخطباء

ومن غريب المنقول أنني حضرت في بعض الليالي على جانب النيل المبارك في خدمة مولانا المقر الأشرف

حصن منيع وركن شديد وبها يمنع الضيم وتنال الرغائب وتنجح المقاصد وقدمن الله تعالى على قوم وذكرهم نعمته عليهم بأن جمع قلوبهم على الصفاء وردها بعد الفرقة إلى الألفة والاخاء فقال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ووصف نعيم الجنة وما أعد فيها لأوليائه من الكرامة إذ جعلهم إخوانا على سرور متقابلين وقدسن رسول الله ﷺ الاخاء وندب إليه وآخى بين الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وقدذكر الله تعالى أهل جهنم ومايلقون فيها من الآلام إذ يقولون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه الرجل بلا أخ كشمال بلا يمين وأنشدوا في ذلك .

وما المرء إلا باخوانه ... كما يقبض الكف بالمعصم

ولا خير في الكف مقطوعة ... ولا خير في الساعد الاجذم

وقال زياد خير ما اكتسب المرء الاخوان فانهم معونة على حوادث الزمان ونوائب الحدثان وعون في السراء والضراء . ومن كلام علي رضي الله عنه وكرم وجهه .

عليك باخوان الصفاء فإنهم ... عماد إذا استنجدتهم وظهور

وأن قليلا الف خل وصاحب ... وأن عدوا واحداً لكثير

وقال الاوزاعي الصاحب للصاحب كالرقعة في الثوب أن لم تكن مثله شانته وقال عبدالله بن طاهر المال غاد ورائح والسلطان ظل زائل والاخوان كنوز وافرة وقال المأمون للحسن بن سهل نظرت في اللذات فوجدتها كلها مملولة سوى سبعة قال وما السبعة يا أمير المؤمنين قال خبز الحنطه ولحم الغنم والماء البارد والثوب الناعم والرائحة الطيبة والفراش الوطيء والنظر إلى الحسن من كل شيء قال فأين أنت يا أمير المؤمنين من محادثة الرجال قال صدقت وهي أولاهن وقال سليمان بن عبد الله أكلت الطيب ولبست اللين وركبت الفاره وافتضضت العذراء فلم يبق من لذاتي إلا صديق أطرح معه مؤنة التحفظ وكذلك قال معاوية رضي الله عنه نكحت النساء حتى ما فرق بين امرأة وحائط وأكلت الطعام حتى لا أجدما أستمرئه وشربت الاشربة حتى رجعت إلى الماء وركبت المطايا حتى اخترت لعلي ولبست الثياب حتى اخترت البياض فما بقي من اللذات ماتتوق إليه نفسي إلا محادثة أخ كريم وأنشدوا في معنى ذلك

وما بقت من اللذات الا ... محادثة الرجال ذوي العقول

وقد كنا نعدهم قليلا ... فقد صاروا أقل من القليل

(وقال لبيد) ماعاتب المرء اللبيب كنفسه ... والمرء يصلحه الجليس الصالح

(وقال آخر) إذا أنت من صاحب لك زلة ... فكن أنت محتالا لزلته عذرا

وقيل لابن السماك أي الاخوان أحق ببقاء المودة قال الوافر دينه الوافي عقله الذي لا يملك على القرب ولا ينساك على البعدان دنوت منه داناك وان بعدت عنه راعاك وان استعنت به عضدك وان احتجت اليه رفدك وتكون مودة فعله أكثر من مودة قوله وأنشدوا في المعنى

ان أخاك الصديق من يسعى معك ... ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ريب الزمان صدعك ... شتت فيك شمله ليجمعك

(وقال غيره) وليس أخي من ودني بلسانه ... ولكن أخي من ودني وهو غائب

المرحومي القاضوي الناصري محمد بن البارزي الجهني الشافعي صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الإسلامية المحروسة كان تغمده الله تعالى بالرحمة والرضوان وبيده الكريمة جزء من تذكرة الشيخ صلاح الدين الصفدي بخطه وهذه الرسالة أول الجزء فشرع في قراءتها وكررها وهو يترنم في بديعها وغريبها ورسم في أثناء ذلك بمعارضتها فلم أجد بدا من الشروع لالتزام الواجب وأوترت قوس العزم مطمئنا بهذا الرأي الصائب وقد أوصلت هنا شمل القطعتين ليتأمل المتأمل في جنى الجنتين وينزه نظره في حدائق الروضتين ويطرب بسجع حمائم الدوحتين (قلت) شرح فاسرح العيون الادون رسالته المقبولة وطلب السبق فلم يرض معرق العرق سرجا ولا استطلى صفحته المصقولة وهمز جواد التسليم مقصرا وأمست أذياله بعرق السحب مبلولة وأرسل فأفر الناس رسالته وكتابه الصدق وانقطع

كوكب الصبح خلفه فقال عند التقصير كنت نجابا وعلى يدي مخاق يؤدي ماجاء على يده من الرسل فيهيج الاشواق ومابرحت الحمائم تحسن الاداء في الاوراق وصحبناه على الهدى فقال ماضل صاحبكم وماغوى ومن روى عنه حديث الفضل المسند

ومن ماله مالى إذا كنت معدما ... ومالى له أن أعوزته النوائب

(وقال أبو تمام) من لى بإنسان إذا أغضبته ... وجهلت كان الحلم رد جوابه

وإذا صبوت إلى المدام شربت من ... أخلاقه وسكرت من آدابه

وتراه يصغى للحديث بطرفه ... وبقلبه ولعله أدرى به

وقيل لخالد بن صفوان أى اخوانك أحب اليك قال الذي يسد خللى ويغفر زللى ويقيل عثرتى وقيل من لا يؤاخى إلا من لا عيب فيه قل صديقه ومن لم يرض من صديقه إلا بإيثاره على نفسه دام سخطه ومن عاتب على كل ذنب ضاع عتبه وكثر تعبه قال الشاعر

ومن لم يغمض عينه عن صديقه ... وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

(وقال آخر) إذا كنت فى كل الأمور معاتبا ... صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه

وإن أنت لم تشرب مرارا على القذى ... ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

وقالوا إذا رأيت من أخيك أمرا تكرهه أو خلة لا تحبها فلا تقطع حبله ولا تصرم وده ولكن داو كلمته واستر عورته وأبقه وابرأ من عمله قال الله تعالى فإن عصوك فقل إنى برىء مما تعملون فلم يأمره بقطعهم وإنما أمره بالبراءة من عملهم السيء وقال ﷺ الارواح أجناد مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقال عليه الصلاة والسلام أن روحى المؤمنين ليلتقيان من مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه وفى ذلك قال بعضهم

هويتكم بالسمع قبل لقائكم ... وسمع الفتى يهوى لعمرى كطرفه

وخبرت عنكم كل جود ورفعة ... فلما التقينا كنتم فوق وصفه

وقال (آخر) تنسم الثغر عن أوصافكم فغدا ... من طيب ذكركم نشرا فأحيانا

فمن هناك عشقناكم ولم نركم ... والأذن تعشق قبل العين أحيانا

ماتحاب اثنان فى الله الا كان أفضلهما عند الله أشدهما حبا لصاحبه مازار أخ أخا فى الله شوقا ورغبة فى لقائه الا نادته ملائكة من ورائه طبت وطابت لك الجنة وقالوا ليس سرور يعدل لقاء الإخوان ولا غم يعدل فراقهم وقالوا شر الإخوان الواصل فى الرخاء الخاذل عند الشدة وقالوا ان من الوفاء أن تكون من لصديق صديقك صديقا ولعدو صديقك عدوا وقالوا عجب الاشياء ودمن يهودى وحفظ من نصرانى ورياضة من دهرى وكرم من أعجمى والحذر من الكريم اذا أهنته واللئيم اذا أكرمته والعاقل اذا أحرجته والاحمق اذا مازحته والفاجر اذا عاشرته وقالوا اصحب من الاخوان من أولاك جمائل كثيرة فكافأته بجميلة واحدة فنسى جمائله وبقى شاكرا ناشرا ذكرا لجميلتك بوليك عليها الإحسان الكثير الجزيل ويجعل انه ما بلغ من مكافأتك القليل وقال ابن عائشة لقاء الخليل شفاء الغليل وقال بعض الحكماء اذا وقع بصرك على شخص فكرهته فاحذره جهدك قال عبد الله بن طاهر

خليلى للبغضاء حال مبينة ... وللحب آثار ترى ومعارف

فما تنكر العينان فالقلب منكر ... وما تعرف العينان فالقلب عارف

(وقال آخر) كنت اذا الصديق أراد غيظى ... وشرقنى على ظمأ بريقى

غفرت ذنوبه وكظمت غيظى ... مخافة أن أعيش بلا صديق

وقال

فمن عكرمة قد روى يطير مع الهواء لفرط صلاحه ولم يبق على السر المصون جناح إذا دخل تحت جناحه إن برز مقفصه لم يبق للبرد قيمة بل تنعزل بتدبيج أوراقه وتعلق عليه من المين النميمة ماسجن إلا صبر على السجن وضيق الأطواق ولهذا حمدت عواقبه على الاطلاق ولا غنى على عود إلا أسال دموع الندى من حدائق الرياض ولا أطلق من كبد الجو إلا كان سهما مريشا تبلغ به الأغراض كم علا فصار بريش القوادم كالأهداب لعين الشمس وأمنى عند الهبوط لعين الهلال كالشمس فهو الطائر الميمون والغاية السباقة والأمير الذى إذا أودع أسرار الملوك حملها بطاقة فهو من الطيور التى خلا لها الجو فنقرت ما شاءت من حبات النجوم والعجماء التى من أخذ عنها شرح المعلقات فقد أعرب عن دقائق الفهوم والمقدمة والنتيجة لكتاب الحجلى فى منطق الطير وهى من جملة الكتاب الذى إذا وصل القارىء منه الى الفتح تهلل بفاتحة الخير وإن تصدر البارزى بغير علم فكم جمعت بين طرفى كتاب وإن سألت العقبان عن بديع السجع أحجمت عن رد الجواب

(شعر)

رعت النسور بقوة جيف الفلا ... ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

ماقدمت إلا وأوردتنا من شمائلها اللطيفة نعم القادمه وأظهرت لنا من خوافيها ما كانت له خبر كاتمة كم

(وقال آخر) وليس فتى الفتيان من جل همه ... صبوح وان أمسى ففضل غبوق
ولكن فتى الفتيان من راح أو غدا ... لضر عدو أو لنفع صديق

(وأما آداب المعاشرة) فالبشاشة والبشر وحسن الخلق والأدب فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال من أخلاق النبيين والصديقين البشاشة إذا تراءوا والمصافحة إذا تلاقوا وكان القعقاع بن شور الذهلي إذا جالسه رجل يجعل له نصيبا من ماله ويعينه على حوائجه ودخل يوما على معاوية فأمر له بألف دينار وكان هناك رجل قد فسح له في المجلس فدفعها للذي فسح له فقال

وكنت جليس قعقاع بن شور ... وما يشقى بقعقاع جليس
ضحوك السن ان نطقوا بخير ... وعند الشر مطرق عبوس

وقال ابن عباس رضي الله عنهما لجليسي على ثلاث ان أرمقه بطرفي إذا أقبل وأوسع له إذا جلس وأصغي له إذا حدث ويقال لكل شيء محل ومحل العقل مجالسة الناس ومثل الجليس الحسن كالعطار ان لم يصبك عطره أصابك من رائحته ومثل الجليس السوء مثل الكبريت ان لم يحرق ثوبك بناره آذاك بدخانه وكانت تحية العرب صبحتك الانعمة وطيب الأطعمة وتقول أيضا صبحتك الأفلاح وكل طير صالح ووصف المأمون ثمامة بحسن المعاشرة فقال انه يتصرف مع القلوب تصرف السحاب مع الجنوب وقيل أول ما يتعين على الجليس الانصاف في المجالسة بأن يلحظ بعين الأدب مكانه من مكان جليسه فيكون كل منهما في محله وقال ﷺ ذو العلم والسلطان أحق بشرف المنزل وقال جعفر الصادق رضي الله عنه إذا دخلت منزل أخيك فاقبل كرامته كلها ماعدا الجلوس في الصدر وينبغي للانسان أن لا يقبل بحديثه على من لا يقبل عليه فقد قيل ان نشاط المتكلم بقدر اقبال السامع ويتعين عليه أن يحدث المستمع على قدر عقله ولا يبتدع كلاما لا يليق بالمجلس فقد قيل لكل مقام مقال وخير القول ما وافق الحال وأوجبوا على المستمع أنه إذا ورد عليه من المتكلم ماكان قد سمعه أولا أن لا يقطع عليه ما يقوله بل يسكت الى أن يستوعب منه القول وعد ذلك من باب الادب ولعله اذا صبر وسكت استفاد من ذلك زيادة فائدة لم تكن في حفظه وقيل ثمانية ان اهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم الجالس في مجلس ليس له بأهل والمقبل بحديثه على من لا يسمعه والداخل بين اثنين في حديثهما ولم يدخلاه فيه والمتعرض لما لا يعنيه والمتآمر على رب البيت في بيته والآتي إلى مائدة بلا دعوة وطالب الخير من أعدائه والمستخف بقدر السلطان ويتعين على الجليس ان يراعي ألفاظه ويكون على حذر أن يعثر لسانه خصوصا إذا كان جليسه ذا هيبة فقد قيل رب كلمة سلبت نعمة وقال أبو العباس السفاح ما رأيت أغزر من فكر أبي بكر الهذلي لم يعد علي حديثه قط وقيل ان أبا العباس كان يحدثه يوما إذا عصفت الريح فأرمت طستا من سطح إلى المجلس فارتاع من حضر ولم يتحرك الهذلي ولم تزل عينه مطابقة لعين السفاح فقال ما أعجب شأنك يا هذلي فقال ان الله يقول ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وانما لي قلب واحد فلما غمره النور بمحادثة أمير المؤمنين لم يكن فيه لحادث مجال فلو انقلبت الخضراء على الغبراء ما أحسست بها ولا وجمت لها فقال السفاح لئن بقيت لك لأرفعن مكانك ثم أمر له بمال جزيل وصلة كبيرة وكان ابن خارجة يقول ما غلبني أحد قط غلبة رجل يصغي إلى حديثي * وفي نوابغ الحكم أكرم حديث أخيك بانصاتك وصنه من وصمة التفاتك وقيل من حق الملك إذا تثاءب أو ألقى المروحة من يده أو مد رجليه أو تمطى أو

أهدت من مخلقها وهي غادية رائحة وكم حنت إليها الجوارح وهي أدام اطلاقها غير جارحة وكم أدارت من كؤوس السجع ماهو أرق من قهوة الانشا وأبهج على زهر المنثور من صبيح الاعشا وكم عامت (١٢١) بحور الفضا ولم تحفل بموج الجبال وكم جاءت بيشارة وخضبت الكف ورمت من تلك الانملة قلامة الهلال وكم زاحمت النجوم بالمناكب حتى ظفرت بكف الخضيب وانحدرت كأنها دمعة سقطت على خد الشفق لامر مريب وكم لمع في أصيل الشمس خضاب كفها الوضاح فصارت بسموها وفرط البهجة كمشكاة فيها مصباح والله تعالى يديم بأفنان أبوابه العالية ألحان السواجع ولا برح تغريدها لطربا بين البادي والراجع انتهى (وذكر ضياء الدين أبو الفتح نصر الله المعروف بابن الاثير الجزري في كتابه المسمى بالوشي المرقوم في حل المنظوم) قال حدثني الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني بمدينة دمشق سنة (٥٨٨) ثمان وثمانين وخمسمائة وكان إذ ذاك كاتب الدولة الصلاحية أن فن الانشاء لا تخلو منه رأس مكانا أو بيانا وكل من أنشأ أقام لسلطانه بانشائه سلطانا وكان من العادة أن كلا من أرباب البيوت إذا نشأ له ولد أحضره الى ديوان المكاتبات ليتعلم

فن الكتابة ويتدرب ويسمع فأرسلني والدي وكان إذ ذاك قاضيا بثغر عسقلان إلى الديار المصرية في أيام الحافظ للعبيدي وهو أحد خلفائها فدخلت ديوان المكاتبات وكان الذي يترأس به في تلك الايام وهو صاحب الانشاء

عصر موفق الدين أبا الحجاج يوسف المعروف بابن الخلال فلما مثلت بين يديه وعرفته من أنا وما طلبي رحب بي ثم قال ما الذي أعددت لفن الانشاء وكتابته فقلت ليس عندي أنى أحفظ القرآن الكريم وكتاب الحماسة فقال في هذا بلاغ ثم أمرني بملازمته فلما ترددت اليه وتدربت عليه وطال تدربي بين يديه أمرني أن أحل عليه ديوان الحماسة فحللته من أوله إلى آخره ثم أمرني أن أحله مرة أخرى فحللته اه ما ذكره ابن الأثير (قلت) وقال عماد الدين الكاتب في كتاب الخريدة في حق موفق الدين بن الخلال كان فن الترسل والانشاء آل اليه وكان في ذلك ناظر مصره وانسان ناظره وقبلة جامع مفاخره (قلت) الذي ثبت عند المؤرخين وعلماء هذا الفن أن القاضي الفاضل رحمه الله تعالى أخذ علم الانشاء وحكم عن موفق الدين ابن الخلال منشيء الخليفة الحافظ العلوي ورتبته في الانشاء معلومة ولكن جنحت إلى الوقوف على شيء من نظمه لأنظر في الرتبتين كما قررت ذلك في نظم القاضي الفاضل ونثره فوجدت قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان رحمه الله قد أورد له في تاريخه نظما ونثرا دلني على أن نظمه ونثره رضيعا لبان وفرسا رهان (فمن ذلك قوله في الشمعة ولله دره حيث أجاد)

وصبيحة بيضاء تطلع في الدجا ... صبحا وتشفي الناظرين بدائها
شابت ذوائبها أوان شبابها ... واسود مفرقها أوان فنائها

وأما

انكارا أو فعل ما يدل على كسله أن يقوم من بحضرته وكان أردشير إذا تمطى قام سماره ومن حق الملك أن لا يعاد عليه حديث وإن طال الدهر قال روح بن زنباع أقمت مع عبد الملك سبع عشرة سنة فما أعدت عليه حديثا إلا مرة واحدة فقال لي قد سمعته منك وعن الشعبي قال ما حدثت بحديث مرتين رجلا بعينه وقال عطاء بن أبي رباح أن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأني لم أسمعه قط وقد سمعت به من قبل أن يولد وقيل المودة طلاقة الوجه والتودد إلى الناس وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه أن المسلمين إذا التقيا فضحك كل واحد منهما في وجه صاحبه ثم أخذ بيده تحاتت ذنوبهما كتحات ورق الشجر وقيل البشر يدل على السخاء كما يدل النور على الثمر وقيل من السنة إذا حدثت القوم أن لا تقبل على واحد منهم ولكن اجعل لكل واحد منهم نصيبا وقالوا إذا أردت حسن المعاشرة فالق عدوك وصديقك بالطلاقة ووجه الرضا والبشاشة ولا تنظر في عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات وإذا جلست فلا تتكبر على أحد وتحفظ من تشبيك أصابعك ومن العبث بلحيتك وسن اللعب بخاتمك وتخليل أسنانك وادخال أصبعك في أنفك وكثرة بصاقك وكثرة التمطي والتثاؤب في وجوه الناس وفي الصلاة وليكن مجلسك هادئا وحديثك منظوما مرتبا واصغ إلى كلام جالسك واسكت عن المضاحك ولا تتصنع تصنع المرأة في التزين ولا تلح في الحاجات ولا تشجع أحدا على الظلم ولا تهازل أمتك ولا عبدك فيسقط وقارك عندهما وإذا خاصمت فانصف وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك وتفكر في حجتك ولا تكثر الاشارة بيدك ولا الالتفات إلى من وراءك واهدئ غضبك وتكلم وإذا أقربك سلطان فكن منه على حذر واحذر انقلابه عليك وكلمه بما يشتهي ولا يحملنك لطفه بك على أن تدخل بينه وبين أهله وحشمه وان كنت لذلك مستحقا عنده وإياك وصديق العافية فانه أعدى الاعداء ولا تجعل مالك أكرم من عرضك ولا تجالس الملوك فان فعلت فالتزم ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب الالفاظ والمذاكرة بأخلاق الملوك والحذر منهم وإن ظهرت المودة ولا تتجشأ بحضرتهم ولا تخلل أسنانك بعد الأكل عندهم ولا تجالس العامة فان فعلت فآداب ذلك الخوض في حديثهم وقلة الاصغاء إلى أراجيفهم والتغافل عما يجري من سوء ألفاظهم وإياك أن تمازح لبيبا أو سفيها فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يتجرأ عليك ولأن المزح يخرق الهيبة ويذهب بماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الإيمان والود ويشين فقه الفقيه ويجرئ السفيه ويميت القلب ويباعد عن الرب تعالى ويكسب الغفلة والذلة ومن بلي في مجلس بمزاح أو لغط فليذكر الله عند قيامه فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب اليك غفر له ما كان في مجلسه

(وأما آداب المسايرة) فقد روي أن رسول الله ﷺ تعقب هو وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورجل آخر من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين في سفر على بعير فكان إذا جاءت نوبته في المشي مشى فيعزمان عليه أن لا يمشي فيأبى ويقول ما أنتم بأقدر مني على مشي وما أنا بأغنى منكم عن أجر وقال ﷺ لا تتخذوا ظهور الدواب كراسي وقيل لا تتقدم الاصاغر على الأكابر الا في ثلاث إذا ساروا ليلا أو خاضوا سيلا أو واجهوا خيلا وقال علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ في ثلاث في نكبته وغيبته ووفاته

﴿ وأما ما جاء في الاخوان القليلي الموافاة العديمي المكافأة الذين ليس عندهم الصديق مصافاة ﴾

قال وهب بن منبه صحبت الناس خمسين سنة فما وجدت رجلا غفرلي زلة ولا أقالني عثرة ولا ستر عورة وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إذا كان الغدر طبعا فالثقة بكل أحد عجز وقيل لبعضهم ما الصديق قال اسم وضع على غير مسمى وحيوان غير موجود (قال الشاعر)

سمعنا بالصدق ولا نراه ... على التحقيق يوجد في الانام
وأحسبه محـــالا نمقوه ... على وجه المجاز من الكلام

وقال أبو الدرداء كان الناس ورقا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه وقال جعفر الصادق لبعض إخوانه أقلل من معرفة الناس وأنكر من عرفت منهم وإن كان لك مائة صديق فاطرح تسعة وتسعين وكن من الواحد على حذر ه وقيل لبعض الولاة كم صديق لك فقال أما في حال الولاية فكثير وأنشد

الناس اخوان ما دامت له نعم ... والويل للمرء ان زلت به القدم

(ولما) نكب علي بن عيسى الوزير لم ينظر ببابه أحد من أصحابه الذين كانوا يألفونه في ولايته فلما ردت إليه الوزارة وقف أصحابه ببابه ثانيا فقال

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها ... فكلما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان ثبت ... يوما عليه بما لا يشتهي وثبوا

(وقال آخر) فما أكثر الأصحاب حين نعدهم ... ولكنهم في النائبات قليل

(وقال البحتري) اياك تغتر أو تخدعك بارقة ... من ذي خداع يرى بشرا وألطافا
فلو قلبت جميع الأرض قاطبة ... وسرت في الأرض أوساطا وأطرافا
لم تلق فيها صديقا أبدا ... ولا أخا يبذل الانصاف ان صافى

(وقال بعضهم في المعنى أيضا)

خليلي جربت الزمان وأهله ... فما نالني منهم سوى الهم والعنا
وعاشرت أبناء الزمان فلم أجد ... خليلا يوفى بالعهود ولا أنا

(وقال آخر) لما رأيت بني الزمان وما بهم ... خل وفي للشـــدائد اصطفي
فعلمت أن المستحيل ثلاثة ... الغول والعنقـــاء والخل الوفي

(بيت مفرد) وكل خليل ليس في الله وده ... فاني به في وده غـــير واثق

(وقال آخر) إذا ما كنت متخذا خليلا ... فلا تأمن خليلك أن يخونا
فانك لم يخنك أخ أمـــين ... ولكن قلمـــا تلقى أمينا

(وقال آخر) تحب عدي ثم تزعم أنني ... أودك أن الرأي عنك لعازب
وليس أخي من ودني بلسانه ... ولكن أخي من ودني وهو غائب
ومن ماله مالي إذا كنت معدما ... ومالي له أن أعوزته النوائب

ولما غضب السلطان على الوزير ابن مقلة وأمر بقطع يده لما بلغه انه زور عنه كتابا إلى أعدائه وعزله لم يأت إليه أحد ممن كان يصحبه ولا توجع له أن السلطان ظهر له في بقية يومه انه بريء مما نسب إليه فخلع عليه ورد إليه وظائفه فأنشد يقول هذه الأبيات

تحالف الناس والزمان ه فحيث كان الزمان كانوا ه عاداني الدهر نصف يوم
فانكشف الناس لي وبانوا ه يا أيها المعرضون عنا ه عودوا فقد عاد لي الزمان

كالمين في طبقاتها ودموعها ... وسوادها وبياضها وضيائها (وله) وأغن سيف لحاظه ... يغزى الحسام بحده
عجيب الورى لما جننت وقد فنيت ببعده ... وبقاء جسمي ناحلا يصلى بوقدة صده (نادرة)

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن ارطاة أن اجمع بين اياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة قول القضاء أفقههما فجمع بينهما فقال اياس أيها الرجل سل عني وعنه فقيهي المصر الحسن وابن سيرين وكان القاسم يأتيهما واياس لا يأتيهما ففهم القاسم ان سألها عنه أشار به فقال لا تسل عني ولا عنه فوالله الذي لا إله إلا هو ان اياس بن معاوية أفقه مني ولا أعلم مني بالقضاء فان كنت كاذبا فما عليك أن تولني وانا كاذب وان كنت صادقا فينبغي أن تقبل قولي فقال له اياس انك جئت برجل وقفت به على شفير جهنم فنجى نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر الله تعالى منها وينجو مما يخاف فقال له عدي أما إذ فهمتها فأنت لها أهل فاستقضاه (نادرة لطيفة) نقل ابن عبد ربه في العقد ان أبا سفيان زار معاوية في الشام فلما رجع من عنده دخل على الإمام عمر رضي الله عنه فقال له الإمام اجدنا قال ما أصبنا شيئا فنجديك فأخذ الإمام عمر خاتمه فبعث به إلى هند وقال للرسول قل لها يقول أبو سفيان انظري الخرجين اللذين جئت بهما من عند معاوية فأحضر بهما فلم يلبث عمر أن أتي بالخرجين فيهما عشرة آلاف درهم فألقاها عمر في بيت المال فلما

ولى عثمان بن عفان رضى الله عنه أراد ردها اليه قال ما كنت لآخذ مالا عابه عمر على والله ان لنا اليه حاجة ولكن لا ترد على من قبلك فيرد عليك من بعدك

(قلت) وماظنك بشيء قد جعله الله فى كتابه العزيز مدحة وفخرا لأنبيائه فقال واذكر فى الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد ولو لم يكن فى خلف الوعد الا قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون لكفى قال عمر بن الحرث كانوا يقولون ويفعلون فصاروا يقولون ولا يفعلون ثم صاروا لا يقولون ولا يفعلون فهم ضنوا بالكذب فضلا عن الصدق (ويعجبنى قول العباس بن الأحنف)

ماضر من شغل الفؤاد ببخله . لو كان عللنى بوعد كاذب
صبرا عليك فما أرى لى حيلة . الا التمسك بالرجاء الخائب
سأموت من مطل وتبقى حاجتى . فيما لديك وما لها من طالب

وذكر حيان بن سليمان عامر بن الطفيل فقال) والله كان إذا وعد الخير وفى وإذا وعد الشر أخلف وهو القائل

ومثله فى المعنى أخوك أخوك من يدنو وترجو . مودته وان دعى استجابا
إذا حاربت حارب من تعادى . وزاد سلاحه منك اقترابا

(وقال أبو بكر الخالدى) وأخ رخصت عليه حتى ملنى . والشيء مملول إذا ما يرخص
ما فى زمانك من يعز وجوده . ان رمته الا صديق مخلص

فيجب على الانسان ان لا يصحب إلا من له دين وتقوى فان المحبة فى الله تنفع فى الدنيا والآخرة وما أحسن ما قال بعضهم .

وكل محبة فى الله تبقى . على الحالين من فرح وضيق
وكل محبة فيما ســواه . فكالحلفاء فى لهب الحريق

فينبغى للانسان ان يتجنب معاشرة الاشرار ويترك مصاحبة الفجار ويهجر من ساءت خاتمته وقبحت بين الناس سيرته قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقال تعالى وما من دابة فى الأرض ولا طائر بجناحيه الا امم أمثالكم فأثبت الله المماثلة بيننا وبين البهائم وذلك انما هو فى الاخلاق خاصة فليس أحد من الخلق الا وفيه خلق من أخلاق البهائم لهذا تجد أخلاق الخلائق مختلفة فإذا رأيت الرجل جاهلا فى خلائقه غليظا فى طبائعه قويا فى بدنه لا تؤمن ضائقته فألحقه بعالم الثورة والعرب تقول أجهل من ثور وإذا رأيت الرجل هجاما على اعراض الناس فقد ماثل عالم الكلاب فان دأب الكلب أن يجفو من يجفوه ويؤذى من لا يؤذيه فعامله بما كنت تعامل به الكلب إذا نبح ألست تذهب وتتركه وإذا رأيت انسانا قد جبل على الخلاف ان قلت نعم قال لا وان قلت لا قال نعم فالحقه بعالم الحمير فان دأب الحمار أن أدنيته بعد وأن أبعدته قرب فلا تنتفع به ولا يمكنك مفارقته وان رأيت انسانا يهجم على الأموال والأرواح فألحقه بعالم الأسود وخذ حذرك منه كما تأخذ حذرك من الأسد وإذا بليت بانسان خبيث كثير الروغان فالحقه بعالم الثعالب وإذا رأيت من يمشى بين الناس بالنميمة ويفرق بين الأحبة فألحقه بعالم الظربان وهى دابة صغيرة تقول العرب عند تفرق الجماعة مشى بينهم ظربان فتفرقوا وإذا رأيت انسانا لا يسمع الحكمة والعلم وينفر من مجالسة العلماء ويألف أخبار أهل الدنيا فألحقه بعالم الخنافس فانه يعجبها أكل القذرات وملامسة النجاسات وتنفر من ريح المسك والورد وإذا شمت الرائحة الطيبة ماتت لوقتها وإذا رأيت الرجل يصنع بنفسه كما تصنع المرأة لبعلها يبيض ثيابه ويعدل عمامته وينظر فى عطفيه فألحقه بعالم الطواويس وإذا بليت بانسان حقود لا ينسى الهفوات ويجازى بعد المدة الطويلة على السقطات فألحقه بعالم الجمال والعرب تقول أحقد من جمل فتجنب قرب الرجل الحقود وعلى هذا النمط فليحترز العاقل من صحبة الاشرار وأهل الفجور ومن لا وفاء لهم فانه إذا فعل ذلك سلم من مكائد الخلق وأراح قلبه وبدنا والله أعلم

(وأما الزيارة والاستدعاء اليها) فقد قال رسول الله ﷺ يقول الله تعالى وجبت محبتى للمتحابين فى المتباذلين فى والمتزاورين فى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى وقال ﷺ من عاد مريضا أو زار أخا نادى مناد ان طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا وقيل المحبة شجرة أصلها الزيارة قال الشاعر

زر من تحب وان شطت بك الدار . وحال من دونه حجب وأستار

ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتى . ويأمن منى صولة المتهدد
وانى وان أوعدته أو وعدته . لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

لايمنعك بعد من زيارته ... أن المحب لمن يهواه زوار

ولكن الزيارة غبا لقوله ﷺ زرغبا تزدد حبا قال الشاعر في معنى ذلك

عليك يا غباب الزيارة انها ... إذا كثرت صارت إلى الهجر مسلكا

ألم تر أن الغيث يسأم دائما ... ويسأل بالايدي إذا هو أمسكا

ويقال الاكثار من الزيارة ممل والاقلال منها مخل وكتب صديق إلى صديقه هذا البيت

إذا ما تقاطعنا ونحن ببلدة ... فما فضل قرب الدار منا على

(وقال آخر) وان مزوري بالديار التي بها ... سليمى ولم ألمم بها الجفاء

(وقال آخر) قد أتانا من آل سعد رسول ... حبذا ما يقول لي وأقول

(وقال آخر) ازور بيوتا لاصقات ببيتها ... وقلبي في البيت الذي لاأزور

وزار محمد بن يزيد المولى المستعين ووهب له مائتي ألف درهم وأقطعه أرضا فقال

وخصصتني بزيارة أضحى لنا ... مجد بها طول الزمان مؤثل

وقضيت ديني وهو دين وافر ... لم يقضه مع جوده المتوكل

وكتب المأموم إلى جاريته الخيزران يستدعيها للزيارة

نحن في أفضل السرور ولكن ... ليس إلا بكم يتم السرور
عيب مانحن فيه ياأهل ودى ... انكم غبتم ونحن حضور
فأجدوا المسير بل ان قدرتم ... أن تطيروا مع الرياح فطيروا

وقيل لفيلسوف أي الرسل أنجح قال الذي له جمال وعقل وقيل إذا أرسلتم رسولا في حاجة فاتخذوه حسن الوجه حسن الاسم وقال لقمان لابنه لاتبعث رسولا جاهلا فان لم تجد حكيما عارفا فكن رسول نفسك وقال بعضهم

إذا أبطأ الرسول فقل نجاح ... ولا تفرح إذا عجل الرسول

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الخامس والعشرون في الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم وفضل الشفاعة واصلاح ذات البين وفيه فصلان)

(الفصل الأول في الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم) قال الله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ووصف الله تعالى لعباده فقال عز وجل أن الله بالناس لرؤوف رحيم وقال الله تعالى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم قال المفسرون الرحمن اسم رقيق يدل على العطف والرقة واللطف والكرم والمنة والحلم على الخلق والرحيم مثله وقيل يقال رحمن الدنيا ورحيم الآخرة وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لايضع الله الرحمة إلا على رحيم قلنا يارسول الله كلنا رحيم قال ليس الرحيم الذي يرحم نفسه وأهله خاصة ولكن الرحيم الذي يرحم المسلمين رواه أبو يعلى والطبراني وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال من لايرحم ومن لا يغفر لايغفر له وعنه ﷺ قال ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ قال الله عز وجل ان كنتم تريدون رحمتي فارحموا خلقي رواه أبو محمد بن عدى في كتاب الكامل ورويناه من طريق الطبراني عن الشعبي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ مثل المؤمنين

أخالد أن الرى قد أجحفت بنا
وضاق علينا رسمها ومعاشها
وقد أطمعتنا منك يوما سحابة
أضاءت لنا برقا وأبطأ رشاشها
فلا غيمها يصحو فيرجع طامعا
ولا ودقها يهمى فتروى عطاشها

(قلت) ومن البلاغة المرقصة في هذا الباب خطاب كوثر بن وفروقد وعده يزيد المهلب وأبطأ بوعده وهو * أصلح الله الأمير أنت أعظم من أن يستعان بك أو يستعان عليك ولست تفعل من الخير شيئا إلا هو يصغر عنك وأنت تكبر عنه وليس العجب أن تفعل ولكن العجب أن لا تفعل * وقيل إن يزيد بن المهلب لما سمع هذا الخطاب البليغ مال سكرا وطربا وقال له سل حاجتك قال حمالات من عشيرعشر ديات قال قد أمرت لك بها وشفعتها بمثلها (ويعجبني قول بعضهم) أما بعد فان شجرة وعدك قد أورقت فليكن وعدها سالما من حوايج المطل والسلام (لطيف الاستمناح) قال الحكماء لطيف الاستمناح سبب النجاح والنفس ربما انطلقت وانشرحت للطيف السؤال وامتنعت وانقبضت بجفاء السائل (ولله در القائل) أن الكريم أخو المودة والنهى * من ليس في حاجاته بمثقل

في اترحمهم وتوادهم وتواعلهم كمثلهم الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى قال الطبراني اني رأيت رسول الله ﷺ في المنام فسألته عن هذا الحديث فقال النبي ﷺ وأشار بيده صحيح صحيح صحيح ثلاثا وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال من مسح على رأس يتيم كان له بكل شعرة تمر عليها يده نور يوم القيامة ودخل عامل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فوجده مستلقيا على ظهره وصبيانه يلعبون على بطنه فأنكر ذلك عليه فقال له عمر كيف أنت مع أهلك قال إذا دخلت سكت الناطق فقال له اعتزل فإنك لا ترفق بأهلك وولدك فكيف ترفق بأمة محمد ﷺ وروى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ان إبدال أمتي لن يدخلوا الجنة بالأعمال ولكن يدخلونها برحمة الله وسخاوة النفس وسلامة الصدر والرحمة لجميع المسلمين

(الفصل الثاني في الشفاعة وإصلاح ذات البين) قال الله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا وقال رسول الله ﷺ ان الله تعالى يسأل العبد عن جاهه كما يسأله عن عمره فيقول له جعلت لك جاها فهل نصرت به مظلوما أو أقمت به ظالما أو أغثت به مكروبا وقال ﷺ فضل الصدقة أن تعين بجاهك من لا جاه له وعن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إذا جاءني طالب حاجة فاشفعوا له لكي تؤجروا ويقضي الله تعالى على لسان نبيه ماشاء وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ أفضل الصدقة صدقة اللسان قيل يا رسول الله وما صدقة اللسان قال الشفاعة تفك بها الأسير وتحقن بها الدماء وتجر بها المعروف إلى أخيك وتدفع عنه بها كريهة رواه الطبراني في المكارم وقال على رضي الله عنه الشفيع جناح الطالب وقال رجل لبعض الولاة ان الناس يتوسلون إليك بغيرك فينالون معروفك ويشكرون غيرك وأنا أتوسل اليك بك ليكون شكري لك لا لغيرك * وقيل كان المنصور معجبا بمحادثة بن محمد جعفر بن عبدالله بن عباس رضي الله عنهم وكان الناس لعظم قدره يفزعون إليه في الشفاعات فثقل ذلك على المنصور فحجبه مدة ثم لم يصبر فامر الربيع أن يكلمه في ذلك فكلمه وقال أعف يا أمير المؤمنين لا تثقن عليه في الشفاعات فقبل ذلك منه فلما توجه إلى الباب اعترضه قوم من قريش معهم رقاع فسألوه ايصالها إلى المنصور فقص عليهم القصة فأبوا الا ان يأخذها فقال اقذفوها في كمي ثم دخل عليه وهو في الخضراء مشرف على مدينة السلام وما حولها من البساتين فقال له أما ترى إلى حسنها يا أبا عبدالله فقال له أمير المؤمنين بارك الله لك فيما آتاك وهناك باتمام نعمتك عليك فما أعطاك فما بنت العرب في دولة الاسلام ولا العجم في سالف الأيام أحصن ولا أحسن من مدينتك ولكن سمجتها في عيني خصلة قال وما هي قال ليس لي فيها ضيعة فتبسم وقال قد حسنتها في عينك بثلاث ضياع قد أقطعتها فقال أنت والله يا أمير المؤمنين شريف الموارد كريم المصادر فجعل الله تعالى باقي عمرك أكثر من ماضيه ثم أقام معه يومه ذلك فلما نهض ليقوم بدت الرقاع من كمه فجعل يردهن ويقول ارجعن خائبات خاسرات فضحك المنصور وقال بحق عليك الا اخبرتني وأعلمتني بخبر هذه الرقاع فاعلمه وقال ما أتيت يا ابن معلم الخير الا كريما وتمثل بقول عبدالله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

لسنا وان احسابنا كرمت ... يوما على الاحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا ... تبني ونفعل مثل ما فعلوا

(دخل عبد الملك بن صالح) على الرشيد فقال له أسألك بالقرابة والخاصة أم بالخاصة أم بالخلافة والعامة فقال بالخلافة والعامة فقال يا أمير المؤمنين يداك بالعطية أطلق من (١٢٦) لساني فاجزل عطيته (وقفت امرأة على قيس بن سعد بن عبادة) فقالت أشكو إليك قلة الجرذان فقال ما أحسن هذه الكناية املؤوا لها بيتها لحما وخبزا وسمنا (نادرة لطيفة) كان أبو جعفر المنصور أيام بني أمية إذا دخل البصرة دخل متنكرا وكان يجلس في حلقة أزهر السمان المحدث فلما أفضت إليه الخلافة قدم أزهر عليه فرحب به وقربه وقال ما حاجتك يا أزهر فقال يا أمير المؤمنين داري متهدمة وعلى أربعة آلاف درهم وأريد أزوج إبني محمدا فوصله باثني عشر ألف درهم وقال قد قضينا حاجتك يا أزهر فلا تأتنا بعد هذا طالبا فأخذها وارتحل فلما كان بعد سنة أتاه فقال له أبو جعفر ما حاجتك يا أزهر قال جئت مسلما فقال لا والله بل جئت طالبا وقد أمرنا لك باثني عشر الفا فلا تأتنا طالبا أو مسلما فأخذها ومضى فلما كان بعد سنة أتاه فقال ما حاجتك يا أزهر قال أتيت عائدا فقال لا والله بل جئت طالبا وقد أمرنا لك باثني عشر الفا فاذهب ولا تأتنا بعد طالبا ولا مسلما ولا عائدا فأخذها وانصرف فلما مضت السنة أقبل فقال له ما حاجتك يا أزهر قال يا أمير المؤمنين دعاء كنت أسمعك تدعو به جئت لأكتبه فضحك أبو جعفر وقال الدعاء الذي تطلبه غير مستجاب فاني دعوت الله به ان لا اراك فلم يستجب

لى وقد أمرنا لك باثنى عشر ألفا وتعالى إذا شئت فقد أعيتنا الحيلة فيك (ودخل رجل من الشعراء) على يحيى بن خالد بن برمك فأنشده سألت الندى هل أنت حر فقال لا ولكنني عبد ليحيى بن خالد فقلت شراء قال لا بل وراثة

ثم تصفح الرقاع وقضى حوايجهم عن آخرها فقال محمد فخرجت من عنده وقد بحت وأريحت وقال المبرد أتاني رجل لأشفع له في حاجة فأنشدني لنفسه

إنى قصدتك لا أدلى بمعرفة ... ولا بقرب ولكن قد فشت نعمتك
فبت حيران مكروبا يؤرقنى ... ذل الغريب ويغشينى الكرى كرمك
مازلت أنكب حتى زلزلت قدمى ... فاحل لتثبيتها لازلزلت قدمك
فلو هممت بغير العرف ماعلقت ... به يداك وإلا انقادت له شيمك

قال فشفعت له وأنلته من الإحسان ماقدرت عليه وكتب رجل إلى يحيى بن خالد رقعة فيها هذا البيت

شفيعى إليك الله لاشيء غيره ... وليس إلى رد الشفيع سبيل

فأمره بلزوم الدهليز فكان يعطيه كل يوم عند الصباح الف درهم فلما استوفى ثلاثين الفا ذهب الرجل فقال يحيى والله لو أقام إلى آخر عمره ماقطعتها عنه (شعر)

وقد جئتكم بالمصطفى متشفعا ... وماخاب من بالمصطفى يتشفع
إلى باب مولانا رفعت ظلامتى ... عسى الهم عنى والمصائب ترفع

وقال آخر

تشفع بالنبى فكل عبد ... يجار إذا تشفع بالنبى
ولاتجزع إذا ضاقت أمور ... فكم لله من لطف خفى

وروى أن جبريل عليه السلام قال يامحمد لو كانت عبادتنا لله تعالى على وجه الأرض لعملنا ثلاث خصال سقى الماء للمسلمين وإعانة أصحاب العيال وستر الذنوب على المسلمين إذا أذنبوا اللهم استر ذنوبنا واقض عنا تبعاتنا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السادس والعشرون فى الحياء والتواضع ولين الجانب وخفض الجناح وفيه فصلان)

(الفصل الأول فى الحياء) قالت عائشة رضى الله تعالى عنها مكارم الاخلاق عشرة صدق الحديث وصدق اللسان وأداء الامانة وصلة الرحم والمكافأة بالصنيع وبذل المعروف وحفظ الذمام للجار وحفظ الذمام للصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء وقال رسول الله ﷺ الحياء شعبة من الإيمان وقال رسول الله ﷺ إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ماشئت وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه من كسا بالحياء ثوبه لم ير الناس عيبه وعن زيد بن على عن آبائه يرفعونه من لم يستح فهو كافر وقال أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه إنى لأدخل البيت المظلم اغتسل فيه من الجنابة فأحنى فيه صلبى حياء من ربى وقال بعضهم الوجه المصون بالحياء كالجوهر المكنون فى الوعاء وقال الخواص ان العباد عملوا على أربع منازل على الخوف والرجاء والتعظيم والحياء فأرفعها المنزلة لما أيقنوا أن الله يراهم على كل حال قالوا سواء علينا رأيناه أو رآنا وكان الحاجز لهم عن معاصيه الحياء منه ويقال القناعة دليل الأمانة والأمانة دليل الشكر والشكر دليل الزيادة والزيادة دليل بقاء النعمة والحياء دليل الخير كله

(الفصل الثانى فى التواضع ولين الجانب وخفض الجناح) قال الله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين وقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال رسول الله ﷺ أفضل العبادة التواضع وقال ﷺ لاترفعونى فوق قدرى فتقولوا فى ماقالت النصارى فى المسيح فان الله عزوجل اتخذنى عبدا قبل أن يتخذنى رسولا وأتاه ﷺ رجل فكلمه

تواراثنى من والد بعد والد فأمر له بعشرة آلاف درهم (أجواد الجاهلية الذين انتهى اليهم الجود ثلاثة نفر) حاتم بن عدى الطائى وهرم بن سنان المزانى وكعب بن مامه الأيادى ولكن المضروب به المثل حاتم وحده وكان إذا اشتد البرد وكلب الشتاء أوقد نارا فى بقاع الأرض لينظر إليها المار ليلا فيبادر إليها وهو القائل لغلامه يسار

أوقد فان الليل ليل قمر ... والريح ياموقد ريح صر
حتى يرى نارك من يمر ... إن جلبت ضيفا فأنت حر

(وأما) هرم بن سنان فهو صاحب زهير الذى يقول فيه

تراه إذا ماجئته متهللا ... كأنك تعطيه الذى أنت سائله

(وأما) كعب بن مامة الأيادى فلم يأت له إلا ماذكر عنه من إيثاره رفيقه السعدى بالماء حتى مات عطشا ونجا السعدى وناهيك بهذا الكرم الذى ماسبق إليه وأما أجواد الحجاز) فثلاثة فى عصر واحد وهم عبيد الله بن العباس وعبد الله بن جعفر وسعيد بن العاص واجود أهل البصرة خمسة فى عصر واحد وهم عبد الله بن عامر وعبد الله بن أبى بكر مولى رسول الله ﷺ وسالم بن زيادة وعبدالله بن معمر القرشى التيمى وطلحة الطلحات وهو طلحة بن خالد الخزاعى (وأجود أهل

فأخذته رعدة فقال ﷺ له هون عليك فاني لست بملك انما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد وكان ﷺ يرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم في مهنة أهله ولم يكن متكبرا ولا متجبرا أشد الناس حياء وأكثرهم تواضعا وكان إذا حدث بشيء مما آتاه الله تعالى قال ولا فخر وقال ﷺ ان العفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله وان التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله وإن الصدقة لا تزيد المال إلا نماء فتصدقوا يزدكم الله وقال عدي بن أرطاة لاياس بن معاوية إنك لسريع المشية قال ذلك أبعد من الكبر وأسرع في الحاجة وخرج معاوية على ابن الزبير وابن عامر فقام ابن عامر وجلس ابن الزبير فقال معاوية لابن عامر اجلس فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول من أحب أن يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار وقيل التواضع سلم الشرف ولبس مطرف بن عبد الله الصوف وجلس مع المساكين فقيل له في ذلك فقال أن أبي كان جبارا فأحببت أن أتواضع لربي لعله أن يخفف عن أبي تجبره وقال مجاهد ان الله تعالى لما أغرق قوم نوح شمخت الجبال وتواضع الجودي فرفعه فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه وقال الله تعالى لموسى عليه السلام هل تعرف لم كلمتك من بين الناس قال لا يارب قال لأني رأيتك تتمرغ بين يدي في التراب تواضعا لي وقيل من رفع نفسه فوق قدره استجلب مقت الناس وقال أبو مسلم صاحب الذخيرة ما تاه الا وضيع ولا تأخر إلا لقيط وكل من تواضع لله رفعه الله فسبحان من تواضع كل شيء لعز جبروت عظمته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب السابع والعشرون في العجب والكبر والخيلاء وما أشبه ذلك ﴾

(اعلم) ان الكبر والاعجاب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل وحسبك من رذيلة تمنع من سماع النصح وقبول التأديب والكبر يكسب المقت ويمنع التآلف قال رسول الله ﷺ لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر وقال رسول الله ﷺ من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه وقال الأحنف ابن قيس ما تكبر أحد إلا من ذلة يجدها في نفسه ولم تزل الحكماء تتحامى الكبر وتأنف منه ونظر أفلاطون إلى رجل جاهل معجب بنفسه فقال وددت اني مثلك في ظنك وأن أعدائي مثلك في الحقيقة ورأى رجل رجلا يختال في مشيه فقال جعلني الله مثلك في نفسك ولا جعلني مثلك في نفسي وقال الأحنف عجبت لمن جرى في مجرى البول مرتين كيف يتكبر * ومر بعض أولاد المهلب بمالك بن دينار وهو يتبختر في مشيه فقال له مالك يا بني لو تركت هذه الخيلاء لكان أجمل بك فقال أوما تعرفني قال أعرفك معرفة جيدة أولك مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة فأرخى الفتى رأسه وكف عما كان عليه وقالوا لا يدوم الملك مع الكبر وحسبك من رذيلة تسلب الرياسة والسيادة وأعظم من ذلك أن الله تعالى حرم الجنة على المتكبرين فقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا فقرن الكبر بالفساد وقال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق قال بعض الحكماء ما رأيت متكبرا الا تحول ما به بي يعني أتكبر عليه * واعلم أن الكبر يوجب المقت ومن مقته رجاله لم يستقم حاله والعرب تجعل جذيمة الابرش غاية في الكبر يقال انه كان لا ينادم أحدا لتكبره ويقال إنما ينادمني الفرقدان وكان ابن عوانة من أقبح الناس كبرا روي أنه قال لغلامه اسقني ماء فقال نعم فقال انما يقول نعم من يقدر أن يقول لا اصفعوه فصفع ودعا أكارا فكلمه فلما فرغ دعا بماء فتمضمض به استقذارا لمخاطبته ويقال فلان وضع نفسه في درجة لو سقط منها لتكسر

الكوفة ثلاثة في عصر واحد) وهو عتاب بن ورقاء الرياحي وأسماء بن خارجة وعكرمة الفياض * ومن جود عبيد الله أنه أول من فطر جيرانه وأول من وضع الموائد على الطريق (ومن جوده) أن أتاه رجل وهو بفناء داره فقام بين يديه وقال يا ابن عباس أن لي عندك يدا وقد احتجت اليها فصعد فيه بصره وصوبه فلم يعرفه فقال له ما يدك عندنا قال رأيتك واقفا بزمزم وغلامك يملأ من مائها والشمس قد صهرتك فظللتك بطرف كسائي حتى شربت فقال أجل إني لأذكر لك ذلك ثم قال لغلامه ما عندك قال مائتا دينار وعشرة آلاف درهم قال ادفعها إليه وما أراها تفي بحق يد عندنا فقال له الرجل والله لو لم يكن لإسماعيل ولد غيرك لكان فيك كفاية فكيف وقد ولد سيد المرسلين ثم شفع بك وبأبيك (ومن جوده أيضا) أن معاوية حبس عن الحسين بن علي رضي الله عنه صلاته حتى ضاقت عليه الحال فقيل له لو وجهت إلى عمك عبيد الله بن العباس لكفاك وقد قدم بألف ألف قال الحسين فما مقدارها عنده والله إنه لأجود من الريح إذا عصفت وأسخى من البحر إذا زخر ثم وجه اليه رسوله بكتاب يذكر فيه حبس معاوية عنه صلاته وضيق حاله وأنه يحتاج إلى مائة ألف فلما قرأ عبيد الله كتابه وكان أرق الناس قلبا وألينهم عطفا انهملت عيناه ثم قال ويلك يا معاوية تكون لين المهاد رفيع العماد والحسين يشكو ضعف الحال وكثرة العيال

لتكسر * قال الجاحظ المشهورون بالكبر من قريش بنو مخزوم وبنو أمية ومن العرب بنو جعفر ابن كلاب وبنو زرارة بن عدي وأما الأكاسرة فكانوا لا يعدون الناس الا عبيدا وأنفسهم إلا أربابا وقيل لرجل من بني عبد الدار ألا تأتي الخليفة فقال أخاف أن يحمل الجسر شرفي وقيل للحجاج بن أرطاة مالك لا تحضر الجماعة قال أخشى أن يزاحمني البقالون وقيل أتى وائل بن حجر إلى النبي ﷺ فأقطعه أرضا وقال لمعاوية أعرض هذه الأرض عليه واكتبها له فخرج معه معاوية في هاجرة شديدة ومشى خلف ناقته فأحرقه حر الشمس فقال له أردفني خلفك على ناقتك قال لست من أرداف الملوك قال فاعطني نعليك قال ما بخل يمنعني يا ابن سفيان ولكن أكره أن يبلغ أقيال اليمن انك لبست نعلي ولكن امش في ظل ناقتي فحسبك بها شرفا وقيل إنه لحق زمن معاوية ودخل عليه فأقعده معه على السرير وحدثه * وقال المسرور بن هند لرجل أتعرفني قال لا قال أنا المسرور بن هند قال ما أعرفك قال فتعسا ونكسا لمن لم يعرف القمر قال الشاعر

قولا لأحمق يلوي التيه أخدعه ... لو كنت تعلم ما في التيه لم تته
التيه مفسدة للدين منقصة ... للعقل مهلكة للعرض فانتبه

وقيل لا يتكبر إلا كل وضيع ولا يتواضع إلا كل رفيع والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والعشرون في الفخر والمفاخرة والتفاضل والتفاوت)

فمن شواهد المفاخرة قوله تعالى أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون نزلت في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وعقبة بن معيط وكانا تفاخرا وقوله تعالى أفمن يلقى في النار خير أمن يأتي آمنا يوم القيامة نزلت في أبي جهل وعمار بن ياسر والنسب إلى سيدنا رسول الله ﷺ أشرف في الإنساب وقد قال ﷺ أنا سيد ولد آدم ولا فخر وقد نفى الله تعالى الفخر بالانساب بقوله تعالى إن أكرمكم عند الله أتقاكم فالفخر في الاسلام بالتقوى وقال رسول الله ﷺ ان نبيكم واحد وان أباكم واحد وانه لا فضل لعربي على عجمي ولا لأحمر على أسود الا بالتقوى ألا هل بلغت (وقال الاصمعي) بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة إذا رأيت شابا متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول.

يا من يجيب دعاء المضطر في الظلم ... يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا ... وأنت يا حي يا قيوم لم تنم
أدعوك ربي حزينا هائما قلقا ... فارحم بكائي بحق البيت والحرم
إن كان جودك لا يرجوه ذو سفه ... فمن يجود على العاصين بالكرم

ثم بكى بكاء شديدا وأنشد يقول.

ألا أيها المقصود في كل حاجتي ... شكوت إليك الضر فارحم شكايتي
ألا رجائي أنت تكشف كربتي ... فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي
أتيت بأعمال قباح رديئة ... وما في الورى عبد جنى كجنايتي
أتحرقني بالنار يا غاية المنى ... فأين رجائي ثم أين مخافتي

ثم سقط على الأرض مغشيا عليه فدنوت منه فاذا هو زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين فرفعت رأسه في حجري وبكيت فقطرت دمعة من دموعي على خده ففتح عينيه

ثم قال لقهرمانه احمل إلى الحسين نصف ما نملكه من ذهب وفضة ودابة واخبره أني شاطرته فان أقنعه ذلك والا فارجع واحمل إليه النصف الآخر فلما وصل الرسول إلى الحسين قال ان الله ثقلت والله على عمي وما ظننت أنه يتقلع بهذا كله فاخذ الشطر من ماله وهو أول من فعل هذا في الاسلام (ومن جوده أيضا) ان معاوية أهدى اليه وهو عنده في شهر من هدايا النوروز حللا كثيرة ومسكا وآنية من ذهب وفضة ووجهها اليه مع حاجبه فلما وضعها بين يديه نظر إلى الحاجب وهو يطيل النظر فيها فقال هل في نفسك منها شيء. قال نعم والله ان في نفسي منها ما كان في نفس يعقوب من يوسف فضحك عبيد الله فقال فشأنك بها فهي لك قال جعلت فداءك أنا أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيغضب لذلك قال فاختمها بخاتمك وادفعها إلى الخازن وهو يحملها اليك ليلا فقال الحاجب والله ان هذه الحيلة في الكرماء أكثر من الكرم ولوددت أني لا أموت حتى اراك مكانه يعني معاوية فظن عبيد الله انها مكيدة منه فقال دع هذا الكلام انا من قوم نفي بما عقدنا ولا ننقض ما أكدنا وقال له رجل من الأنصار جعلت فداءك والله لو سبقت حاتما بيوم ماذكرته العرب وأنا أشهد ان عفو جودك أكثر من مجهوده وطل صوبك أكثر من وابله (ومن جود عبد الله بن جعفر) ان عبد الله بن عمارة دخل على نخاس يعرض قيانا للبيع فشغفه حب واحدة منهن ولم يكن له جدة يتوصل بها إلى المشتري فشبب

يذكرها حتى مشى اليه عطاء وطاوس ومجاهد يعدلونه فى ذلك فكان جوابه ان قال

يلومنى فيك أقوام أجالسهم * فما ابالى أطار اللوم أم وقعا

 فانتهى خبره الى عبد الله بن جعفر فلم يكن له هم غيره فحج وبعث الى مولى الجارية فاشتراها منه بأربعين ألف درهم وأمر قيمة جواريه ان تزينها وتحليها ففعلت وبلغ الناس قدومه فدخلوا عليه فقال مالى لاأرى ابن عمارة زائرا فأخبر بذلك فأتى مسلما فلما أراد أن ينهض استجلسه ثم قال مافعل بك حب فلانة قال حبها فى اللحم والدم والمخ والعصب قال أتعرفها ان رأيتها قال لو أدخلت الجنة لم أنكرها فأمرها عند الله أن تخرج اليه وقال انما اشتريتها لك والله مادنوت منها فشأنها بك بارك الله لك فيها فلما ولى قال ياغلام احمل اليه مائة الف درهم قال فبكى عبد الله وقال ياأهل البيت لقد خصكم الله بشرف ماخص به أحدا من صلب آدم فهناكم الله بهذه النعمة وبارك لكم فيها (ولقد) تقرر أن أجواد الاسلام أحد عشر جوادا ذكرت من جود بعضهم ماتيسر وقال صاحب العقد انه جاء بعدهم طبقة اخرى وهى الطبقة الثانية (فمنهم) الحكم بن أحطب قيل سأله أعرابى فأعطاه خمسمائة دينار فبكى الأعرابى فقال لعلك استقلت ماأعطيناك فقال لا والله ولكنى أبكى لما تأكل الأرض منك ثم أنشد

لك

فكأن آدم حين حان وفاته * أوصاك وهو يجود بالوفاه
بنيه ان ترعاهم فرعيتهم * وكفيت آدم عيلة الأبناء

وقال من هذا الذى يهجم علينا قلت عبدك الأصمعى سيدى ماهذا البكاء والجزع وأنت من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أليس الله تعالى يقول إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فقال هيهات هيهات ياأصمعى ان الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا وخلق النار لمن عصاه ولو كان حرا قرشيا أليس الله تعالى يقول فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون والفخر وإن نهت عنه الأخبار النبوية ومجته العقول الذكية إلا ان العرب كانت تفتخر بمافيها من البيان طبعا لاتكلفا وجبلة لاتعلما ولم يكن لهم من ينطق بفضلهم إلاهم ولا ينبه على مناقبهم سواهم وكان كعب بن زهير إذا أنشد شعرا قال لنفسه أحسنت وجاوزت والله الإحسان فيقال له أتحلف على شعرك فيقول نعم لأنى أبصر به منكم وكان الكميت إذا قال قصيدة صنع لها خطبة فى الثناء عليها ويقول عند إنشادها أى علم بين جنبى وأى لسان بين فكى وقال الجاحظ لولم يصف الطبيب مصانع دوائه للمعالجين ماوجد له طالب ولما أبدع ابن المقفع فى رسالته التى سماها باليتيمة تنزيها لها عن المثل سكنت من النفوس موضع إرادته من تعظيمها ولولم ينحلها هذا الاسم لكانت كسائر رسائله وسنذكر فى هذا الباب إن شاء الله تعالى شيئا من نظم البلغاء ونترهم فى الافتخار ومن تفاخر منهم بعون الله وفضله وتيسيره قال أبو بكر الهذلى سايرت المنصور فعرض لنا رجل ناقة حمراء تطوى الفلاة وعليه جبة خز وعمامة عدنية وفى يده سوط يكاد يمس الأرض فلما رآه المنصور أمرنى بإحضاره فدعوته وسألته عن نسبه وبلاده وعن قومه وعشيرته وعن ولاة الصدقة فاحسن الجواب فاعجبه مارأى منه فقال انشدنى شعرا فانشده شعرا لاوس بن حجر وغيره من الشعراء من بنى عمرو بن تميم وحدثه حتى أتى على بيت شعر لطريف بن تميم وهو قوله

إن الأمور إذا أوردتها صدرت … ان الأمور لها ورد وإصدار

فقال ويحك ما كان طريف فيكم حيث قال كان هذا البيت قال كان أثقل العرب على عدوه وطأة وأقراهم لضيفه وأحوطهم من وراء جاره اجتمعت العرب بعكاظ فكلهم أقر واله بهذه الخلال فقال له والله ياأخا بنى تميم لقد أحسنت إذا وصفت صاحبك ولكن أحق ببيته منه ومن شعر أبى الطمحان

وانى من القوم الذين هم هم … إذامات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب … بدا كوكب تأوى اليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم … دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
ومازال فيهم حيث كان مسودا … تسير المنايا حيث سارت ركائبه

ولما قدم معاوية المدينة صعد فخطب وقال من ابن على رضى الله تعالى عنه فقام الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الله عزوجل لم يبعث بعثا الا جعل له عدوا من المجرمين فأنا ابن على وأنت ابن صخر وأمك هند وأمى فاطمة وجدتك قيلة وجدتى خديجة فلعن الله ألأمنا حسبا وأخملنا ذكرا وأعظمنا كفرا وأشدنا نفاقا فصاح أهل المسجد آمين آمين فقطع معاوية خطبته ودخل منزله * وروى أن معاوية خرج حاجا فمر بالمدينة ففرق على أهلها أموالا ولم يحضر الحسن بن على رضى الله عنهما فلما خرج من المدينة اعترضه الحسن بن على فقال له معاوية مرحبا برجل تركنا حتى نفد ماعندنا وتعرض لنا ليبخلنا فقال له الحسن ولم ينفد ماعندك وخراج الدنيا يجبى اليك فقال معاوية انى قد أمرت

(وحكى) عن العتبي أنه قال حدثني رجل قال قدم علينا الحكم بن أحطب وهو مملق فأغنانا فقلت وكيف أغناكم وهو مملق فقال علمنا المكارم فعاد غنيا على فقيرنا (ومنهم معن بن زائدة) يقال فيه (١٣١) حدث عن البحر ولا حرج وحدث عن معن ولا حرج وأتاه رجل يستحمله فقال يا غلام أعطه فرسا وبرذونا وبغلا وعيرا وبعيرا وجارية ولو عرفت مركوبا غير هذا لأعطيتك (ومنهم يزيد بن المهلب) قيل كان هشام بن حسان إذا ذكره قال كانت السفن تجرى فى بحر جوده (حكى) الأصمعي أنه قدم على يزيد قوم من قضاعة فقال رجل منهم

والله ما ندرى اذا ما فاتنا ... طلب اليك من الذى نتطلب

ولقد ضربنا فى البلاد فلم نجد ... أحدا سواك الى المكارم ينسب

فاصبر لعادتك التى عودتنا ... أولا فأرشدنا الى من نذهب

فأمر له بألف دينار (ومنهم يزيد بن حاتم) قيل ان ربيعة الرأى قدم مصر فأتى يزيد السلمى فلم يعطه شيئا ثم عطف على يزيد بن حاتم فشغل عنه لامر ضرورى فخرج وهو يقول

أرانى ولا كفران لله راجعا ... بخفى حنين من نوال ابن حاتم

فلما فرغ يزيد من ضرورته سأل عنه فأخبر عنه أنه خرج وهو يقول كذا وأنشد البيت فأرسل من يجد فى طلبه فأتى به فقال كيف قلت فأنشد البيت فقال شغلنا عنك وعجلت علينا ثم

لك بمثل ما أمرت به لأهل المدينة وأنا ابن هند فقال الحسن قد رددته عليك وأنا ابن فاطمة * ودخل الحسين يوما على يزيد بن معاوية فجعل يزيد يفتخر ويقول نحن ونحن ولنا من الفخر والشرف كذا والحسين ساكت فأذن المؤذن فلما قال أشهد أن محمدا رسول الله قال الحسين يا يزيد جد من هذا فخجل يزيد ولم يرد جوابا وفى ذلك يقول على بن محمد بن جعفر

لقد فاخرتنا من قريش عصابة ... بمط خدود وامتداد أصابع

فلما تنازعنا الفخار قضى لنا ... عليهم بما نهوى نداء الصوامع

ترانا سكوتا والشهيد بفضلنا ... عليهم جهير الصوت من كل جامع

(وقال أيضا) إنى وقومى من أنساب قومهم ... كمسجد الخيف من محبوحة الخيف

ما علق السيف بابن عاشرة ... إلا وهمته أمضى من السيف

وتفاخر العباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبة وعلى بن أبى طالب فقال العباس أنا صاحب السقاية والقائم عليها وقال طلحة أنا خادم البيت ومعى مفتاحه فقال على ما أدرى ما تقولان أنا صليت إلى هذه القبلة قبلكما بستة أشهر فنزلت أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر الآية * وتفاخر رجلان على عهد موسى عليه السلام فقال أحدهما أنا فلان بن فلان حتى عد تسعة آباء مشركين فقال الآخر أنا ابن فلان ولولا أنه مسلم ماذكرته فأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام أما الذى عد تسعة آباء مشركين فحق على الله أن يجعل عاشرهم فى النار والذى انتسب إلى أب مسلم فحق على الله أن يجعله مع أبيه المسلم فى الجنة قال سلمان الفارسى

أبى الإسلام لا أب لى سواه ... إذا فتخروا بقيس أو تميم

وتفاخر جرير والفرزدق عند سليمان بن عبد الملك فقال الفرزدق أنا ابن محيى الموتى فأنكر سليمان قوله فقال يا أمير المؤمنين قال الله تعالى ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا وجدى فدى الموءودات فاستحياهن فقال سليمان انك مع شعرك لفقيه وكان صعصعة جد الفرزدق أول من فدى الموءودات وللعباس بن عبد المطلب

ان القبائل من قريش كلها ... ليرون أناهام أهل الأبطح

وترى لنا فضلا على ساداتها ... فضل المنار على الطريق الأوضح

وكتب الحكم بن عبد الرحمن المروانى من الأندلس إلى صاحب مصر يفتخر

ألسنا بنى مروان كيف تبدلت ... بنا الحال أو دارت علينا الدوائر

إذا ولد المولود منا تهللت ... له الأرض واهتزت اليه المنابر

وكتب اليه كتابا يهجوه فيه ويسبه فكتب اليه صاحب مصر أما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لأجبناك والسلام ، وكان أبو العباس السفاح يعجبه السمر ومنازعة الرجال بعضهم لحضر عنده ذات ليلة ابن إبراهيم بن مخرمة الكندى وخالد بن صفوان بن الأهتم فخاضوا فى الحديث وتذاكروا مصر واليمن فقال إبراهيم بن مخرمة يا أمير المؤمنين ان أهل اليمن هم العرب الذين دانت لهم الدنيا ولم يزالوا ملوكا ورثوا الملك كابرا عن كابر وآخرا عن أول منهم النعمان والمنذر ومنهم عياض صاحب البحرين ومنهم من كان يأخذ كل سفينة غصبا وليس من شىء له خطر إلا اليهم ينسب ان سئلوا أعطوا وان نزل بهم ضيف قروه فهم العاربة وغيرهم المتعربة فقال أبو العباس ما اظن التميمى رضى بقولك ثم قال ما تقول أنت يا خالد قال ان أذن أمير المؤمنين فى الكلام تكلمت قال تكلم ولا

أمر بخفيه لخلعا من رجليه وملئا وقال ارجع بهما بدلا من خفي حنين (ومنهم أبو دلف) واسمه القاسم وفيه يقول ابن أبي جبلة

إنما الدنيا أبو دلف بين باديه ومحتضره فاذا ولى أبو دلف ولت الدنيا على أثره

وقال :

إن سار سار المجد أو حل وقف

انظر بعينك إلى أعلى الشرف هل ناله بقدرة أو بكلف

خلق من الناس سوى أبي دلف

فاعطاه خمسين الف درهم (ومنهم خالد بن عبدالله القسري) قيل أنه كان جالسا في مظلة إذ نظر إلى أعرابي يخب على بعيره مقبلا نحوه فقال لحاجبه إذا قدم لا تحجبه فلما قدم أدخله فسلم فقال

أصلحك الله قل ما بيدي فما أطيق العيال إذ كثروا

أناخ دهر رمى بكلكله فأرسلوني اليك وانتظروا

فقال خالد إذا أرسلوك إلى وانتظروا والله لتعودن اليوم بما يسرهم فأمر له بجائزة عظيمة وكسوة شريفة (ومنهم عدى بن حاتم) حكى صاحب العقد قال دخل أبو دارة على عدى بن حاتم فقال إني مدحتك قال امسك حتى آتيك بمال فإني أكره أن أعطيك ثمن ما تقول هذه الف شاة وألف درهم وثلاثة أعبد وثلاث اماء وفرسي هذا حبس في سبيل الله فامدحني على حسب ما اجزتك (قيل) ان أروى بنت الحرث بن عبد المطلب كانت أغلظ الوافدات على معاوية خطابا وكان حلم معاوية أعظم من خطابها دخلت عليه وهي فانا

تهب أحدا قال أخطأ المقتحم بغير علم و نطق بغير صواب . كيف يكون ذلك لقوم ليس لهم ألسن فصيحة ولا لغة صحيحة نزل بها كتاب ولا جاءت بها سنة يفتخرون علينا بالنعمان والمنذر ونفتخر عليهم بخير الأنام وأكرم الكرام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فلله المنة به علينا وعليهم فمنا النبي المصطفى والخليفة المرتضى ولنا البيت المعمور وزمزم والحطيم والمقام والحجابة والبطحاء ومالا يحصى من المآثر ومنا الصديق والفاروق وذو النورين والرضا والولي وأسد الله وسيد الشهداء وبنا عرفوا الدين وأتاهم اليقين فمن زاحمنا زاحمناه ومن عادانا اصطلمناه ثم أقبل خالد على ابراهيم فقال ألك علم بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين عندكم قال الجمجمة قال فما اسم السن قال الميدان فما اسم الأذن قال الصنارة قال فما اسم الأصابع قال الشناتير قال فما اسم الذئب قال الكنع قال أفعالم أنت بكتاب الله عز وجل قال نعم قال فان الله تعالى يقول إنا أنزلناه قرآنا عربيا وقال تعالى بلسان عربي مبين وقال تعالى وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه فنحن العرب والقرآن بلساننا أنزل ألم تر أن الله تعالى قال والعين بالعين ولم يقل والجمجمة بالجمجمة وقال تعالى والسن بالسن ولم يقل والميدان بالميدان وقال تعالى والأذن بالاذن ولم يقل الصنارة بالصنارة وقال تعالى يجعلون أصابعهم في آذانهم ولم يقل شناتيرهم في صناراتهم وقال تعالى فأكله الذئب ولم يقل فأكله الكنع ثم قال لابراهيم اني أسألك عن أربع ان أقررت بهن قهرت وان جحدتهن كفرت قال وما هن قال الرسول منا أو منكم قال منكم قال فالقرآن أنزل علينا أو عليكم قال عليكم قال فالمنبر فينا أو فيكم قال فيكم قال فالبيت لنا أو لكم قال لكم قال فاذهب فما كان بعد هؤلاء فهو لكم بل ما أنتم الا سائس قرد أو دابغ جلد أو ناسج برد قال فضحك أبو العباس وأقر لخالد وحباهما جميعا ﴾ وقال بشار بن بردة يفتخر

إذا نحن صلنا صولة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

إذا ما أعرنا سيدا من قبيلة ذرا منبر صلى علينا وسلما

﴿ وقال السموءل بن عادياء ﴾

إذ المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل وأن هو لم يحمل على النفس ضيمها

فليس إلى حسن الثناء سبيل تعيرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها أن الكرام قليل

وما قل من كانت بقاياه مثلنا شباب تسامى للعلا وكهول وما ضرنا أنا قليل وجارنا

عزيز وجار الأكثرين ذليل لنا جبل يحتله من نجيره منيع يرد الطرف وهو كليل

رسا أصله تحت الثرى وسما به إلى النجم فرع لا يزال طويل وانا أناس لا نرى القتل سبة

إذا ما راته عامر وسلول يقرب حب الموت اجالنا لنا وتكرهه اجالهم فتطول

وما مات منا سيد حتف أنفه ولا ضل منا حيث كان قتيل تسيل على حد الظبات نفوسنا

وليست على غير الظبات تسيل ونحن كماء المزن ما في نصابنا كهام ولا فينا يعد بخيل

وننكر ان شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول إذا سيد منا خلا قام سيد

قئول بما قال الكرام فعول وما خمدت نار لنا دون طارق ولا منا في النازلين نزيل

وأيامنا مشهورة في عدونا لها غرر مشهورة وحجول وأسيافنا في كل شرق ومغرب

بها من قراع الدارعين فلول معودة أن لا تسل نصالها فتغمد حتى يستباح قتيل

سلي ان جهلت الناس عنا وعنهم فليس سواء عالم وجهول

فأنا بنى الريان قطب لقومهم تدور رحاهم حولهم وتجول

(ولما) قدم وفد تميم على رسول الله ﷺ ومعهم خطيبهم وشاعرهم خطب خطيبهم فافتخر فلما سكت أمر رسول الله ﷺ ثابت بن قيس أن يخطب بمعنى ما خطب به خطيبهم فخطب ثابت بن قيس فأحسن ثم قام شاعرهم وهو الزبرقان بن بدر فقال

نحن الملوك فلا حى يفاخرنا فينا العلاء وفينا تنصب البيع ونحن نطعمهم فى القحط ما أكلوا من العبيط إذا لم يؤنس القزع وننحر الكوم عبطا فى أرومتنا للنازلين إذا ما أنزلوا اشبعوا

تلك المكارم حزنا مقارعة إذا الكرام على أمثالها اقترعوا

ثم جلس فقال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت قم فقام فقال

أن الذوائب من فهر وإخوانهم قد بينوا سننا للناس تتبع يرضى بها كل من كانت سريرته تقوى الإله وبالأمر الذى شرعوا قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا سجية تلك منهم غير محدثة أن الخلائق فاعلم شرها البدع لو كان فى الناس سباقون بعدهم فكل سبق لأدنى سبقهم تبع لا يرفع ما أوهت أكفهم عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا ولا يضنون عن جار بفضلهم ولا يمسهم فى مطمع طمع خذ منهم ما أتو عفوا إذا عطفوا ولا يكن همك الأمر منعوا أكرم بقوم رسول الله شيعتهم إذا تفرقت الأهواء والشيع فقال التميميون عند ذلك وربكم أن خطيب القوم أخطب من خطيبنا وأن شاعرهم أشعر من شاعرنا وما انتصفنا ولا قاربنا وقال شاعر من بنى تميم :

أيبغى آل شداد علينا وما يرعى لشداد فصيل

فإن تغمد منا صلنا نجدد غلاظا فى أنامل من يصول

(وقال سالم بن أبى وابصة)

عليك بالقصد فيما أنت فاعله أن التخلق يأتى دونه الخلق

وموقف مثل حد السيف قمت به أحمى الذمار وترمينى به الحدق

فما زلقت ولا أبديت فاحشة إذا الرجال على أمثالها زلقوا

(وأما التفاضل والتفاوت)

فقد روى أن رسول الله ﷺ كان إذا نظر لخالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل قال يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى لأنهما كانا من خيار الصحابة وأبواهما أعدى عدو لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ومن كلام على رضى الله عنه لمعاوية رضى الله عنه أما قولك أنا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن ليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كأبى طالب وقال أحمد ابن سهل الرجال ثلاثة سابق ولاحق وماحق فالسابق الذى سبق بفضله واللاحق الذى لحق بأبيه فى شرفه والماحق الذى محق شرف آبائه ، وقيل ان عائشة بنت عثمان كفلت أبا الزناد صاحب الحديث واشعب الطماع وربتهما قال اشعب فكنت أسفل وكان يعلو حتى بلغت أنا وهو هاتين الغايتين وقال أبو العواذل زكريا بن هرون

على وعبد الله بينهما أب وشتان ما بين الطبائع والفعل

ألم تر عبد الله يلحى على الندى عليا ويلحاه على على البخل

عجوز كبيرة فلما رآها معاوية قال مرحبا بك ياخالة كيف كنت بعدنا قالت بخير يا أمير المؤمنين لقد كفرت النعمة وأسأت بابن عمك الصحبة وتسميت بغير اسمك وأخذت غير حقك من غير دين كان منك ولا من آبائك ولا سابقة فى الاسلام بعد أن كفرتم برسول الله فأتعس الله منكم الجدود وأضرع منكم الخدود ورد الحق إلى أهله ولو كره المشركون وكانت كلمتنا هى العليا ونبينا هو المنصور فوليتم علينا بعد فأصبحتم تحتجون على سائر العرب بقرابتكم من رسول الله ﷺ ونحن أقرب اليه منكم وأولى بهذا منكم فكنا فيكم بمنزلة بنى إسرائيل فى آل فرعون وكان على رضى الله عنه عند نبينا محمد ﷺ بمنزلة هرون من موسى فغايتنا الجنة وغايتكم النار فقال لها عمرو ابن العاص كفى أيتها العجوز الضالة واقصرى عن قولك مع ذهاب عقلك اذ لاتجوز شهادتك وحدك فقالت له وأنت يا ابن الباغية تتكلم وأمك كانت أشهر بغى بمكة وأرخصهن أجرة وادعاك خمسة نفر كلهم يزعم انك ابنه فسئلت أمك عن ذلك فقالت كلهم أتانى فانظروا اشبههم به فألحقوه به فغلب عليك شبه العاص ابن وائل فلحقت به فقال مروان كفى أيتها العجوز واقصدى ما شئت له فقالت وأنت أيضا يا ابن الزرقاء تتكلم ثم التفتت إلى معاوية فقالت والله ما أجرأ هؤلاء غيرك وأمك القائلة فى قتل حمزة عم النبى ﷺ

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات عسر

وحج أبو الاسود الدؤلى بامرأته وكانت شابة جميلة فعرض لها عمر بن أبى ربيعة فغازلها فأخبرت أبا الاسود فأتاه فقال

وانى لينهانى عن الجهل والخنا وعن شتم أخلاق خلائق أربع حياء وإسلام وتقوى وانني
كريم ومثلى من يضر وينفع فشتان ما بينى وبينك اننى على كل حال استقيم وتضلع

(وقال ربيعة البرق)

لشتان ما بين اليزيدين فى الندى يزيد سليم والاغر بن حاتم يزيد سليم سالم المال والفتى
فتى الازد للأموال غير مسالم فهم الفتى الازدى اتلاف ماله وهم الفتى القيسى جمع الدراهم
فلا يحسب لقيسى انى هجوته ولكنني فضلت أهل المكارم

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فى أخيه الحسين

يقول أنا الكبير فعظمونى ألا ثكلتك أمك من كبير إذا كان الصغير أعم نفعا
وأجلد عند نائبة الامور ولم يأت الكبير بيوم خير فما فضل الكبير على الصغير

والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب التاسع والعشرون فى الشرف والسودد وعلو الهمة)

قال رسول الله ﷺ من رزقه الله مالا فبذل معروفه وكف أذاه فذلك السيد وقيل لقيس بن عاصم بم سدت قومك قال لم أخاصم أحدا إلا تركت للصلح موضعا وقال سعيد بن العاص ماشاتمت رجلا مذ كنت رجلا لأنى لم أشاتم إلا أحد رجلين إما كريم فأنا أحق أن أجله وإما لئيم فأنا أولى أن أرفع نفسى عنه وقالوا من نعت السيد أن يكون يملأ العين جمالا والسمع مقالا وقيل قدم وفد من العرب على معاوية وفيهم الأحنف بن قيس فقال الحاجب أن أمير المؤمنين يعزم عليكم أن يتكلم منكم أحدا إلا لنفسه فلما وصلوا إليه قال الاحنف لولا عزم أمير المؤمنين لأخبرته أن رادفة ردفت ونازلة نزلت ونائبة نابت والكل بهم حاجة إلى المعروف من أمير المؤمنين فقال له معاوية حسبك يا أبا بحر فقد كفيت الشاهد والغائب . وقال رجل للأحنف بم سدت قومك وما أنت بأشرفهم بيتا ولا أصبحهم وجها ولا أحسنهم خلقا فقال بخلاف مافيك قال وماذاك قال تركى من أمرك مالا يعنينى كما عناك من أمرى مالا يعنك وقيل السيد من يكون للأولياء كالغيث الغادى وعلى الأعداء كالليث العادى . وكان سبب ارتفاع عرابة الأوسى وسودده أنه قدم من سفر لجمعه والشماخ بن ضرار المزنى الطريق فتحادثا فقال له عرابة ما الذى أقدمك المدينة ياشماخ قال قدمتها لامتار منها فملأ له عرابة رواحله برا وتمرا وأتحفه غير ذلك فأنشد يقول

رأيت عرابة الاوسى يسمو إلى الخيرات منقطع القرين
إذا ما راية رفعت بمجد تلقاها عرابة باليمين

(وأما علو الهمة فهو أصل الرياسة)

فمن علت همته وشرفت نفسه عمارة بن حمزة قيل انه دخل يوما على المنصور وقعد فى مجلسه فقام رجل وقال مظلوم ياأمير المؤمنين فقال من ظلمك قال عمارة بن حمزة غصبنى ضيعتى فقال المنصور ياعمارة قم فاقعد مع خصمك فقال ماهو لى بخصم إن كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها وإن كانت لى فقد وهبتها له ولا أقوم من مقام شرفنى به أمير المؤمنين ورفعنى وأقعد فى أدنى منه لأجل ضيعة . وتحدث السفاح هو

قال معاوية عفا الله عما سلف ياخالة هات حاجتك فقالت مالى إليك حاجة وخرجت عنه وهذه العبارة لابن عبد ربه رحمه الله تعالى (وحكى صاحب العقد أيضا) قال قدم عقيل بن أبى طالب على معاوية فأكرمه وقربه وقضى عنه دينه ثم قال له فى بعض الأيام ياعقيل أنا خير لك من أخيك على قال صدقت أخى آثر دينه على دنياه وأنت آثرت دنياك على دينك فانت خير لى من أخى وأخي خير لنفسه منك لنفسك (ودخل) عقيل أيضا على معاوية وقد كف بصره فأقعده على سرير معه ثم قال له أنتم معاشر بنى هاشم تصابون فى أبصاركم فقال عقيل وأنتم معاشر بنى أمية تصابون فى بصائركم (ودخل) عليه يوما فقال معاوية لأصحابه هذا عقيل عمه أبو لهب فقال عقيل وهذا معاوية عمته حمالة الحطب ثم قال يامعاوية إذا دخلت النار فأعدل ذات اليسار فانك ستجد عمى أبى لهب مفترشا عمتك حمالة الحطب فانظر أيهما خيرا الفاعل أم المفعول به (وقال له يوما) ما أبين الشبق فى رجالكم يابنى هاشم قال لكنه فى نسائكم أبين يابنى أمية (وقال الجاحظ)

وأم سلمة يوما فى نزاهة نفس عمارة وكبره فقالت له ادع به وأنا أهب له سبحتى هذه فان ثمنها خمسون ألف دينار فان هو قبلها علمنا أنه غير نزه النفس فوجه اليه فحضر فحادثته ساعة ثم رمت اليه بالسبحة وقالت هى من الطرف وهى لك فجعلها عمارة بين يديه ثم قام وتركها فقالت لعله نسيها فبعثت بها اليه مع خادم فقال للخادم هى لك فرجع الخادم فقال قد وهبها لى فأعطت أم سلمة للخادم ألف دينار واستعادتها منه * وأهدى عبيد الله بن السرى إلى عبدالله بن طاهر لما ولى مصر مائة وصيف مع كل وصيف ألف دينار ووجه إليه بذلك ليلا فرده وكتب اليه لو قبلت هديتك ليلا لقبلتها نهارا وما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون (وكان سبب فتح المعتصم بالله عمورية أن امرأة من الثغر سبيت فنادت وامحمداه وامعتصماه فبلغه الخبر فركب لوقته وتبعه الجيش فلما فتحها قال لبيك أيتها المنادية * وكان سعيد بن عمرو بن العاص ذا نخوة وهمة قيل له فى مرضه والمريض يستريح إلى الأنين وإلى شرح ما به إلى الطبيب فقال أما الأنين فهو جزع وعار والله لا يسمع منى أنينا فأكون عنده جزوعا وأما وصف ما بى إلى الطبيب فوالله لا يحكم غير الله فى نفسى ان شاء امسكها وان شاء قبضها * ومن كبر النفس ماروى عن قيس بن زهير أنه أصابته الفاقة واحتاج فكان يأكل الحنظل حتى قتله ولم يخبر أحدا بحاجته ومن شرف الرياسة حفظ الجوار وحمى الذمار وكانت العرب ترى ذلك دينا تدعوا اليه وحقا واجبا تحافظ عليه وكان أبو سفيان بن حرب إذا نزل به جار قال يا هذا انك اخترتنى جارا واخترت دارى دارا فجناية يدك على دونك وان جنت عليك يد فاحتكم حكم الصبى على اهله * وكان الفرزدق يجير من عاذ بقبر أبيه غالب بن صعصعة فمن استجار بقبر أبيه أجاره فاستجارت امرأة من بنى جعفر بن كلاب خافت لما هجا الفرزدق بنى جعفر أن يسميها وينسبها فعاذت بقبر أبيه فلم يذكر لها اسما ولا نسبا ولكن قال

عجوز تصلى الخمس عاذت بغالب ... فلا والذى عاذت به لا أضيرها

وقال مروان بن أبى حفصة

هم يمنعون الجار حتى كأنما ... لجارهم بين السماكين منزل

(وقال ابن نباتة)

ولو يكون سواد الشعر فى ذمم ... ما كان للشيب سلطان على اللمم

(وقيل أن الحجاج أخذ يزيد بن المهلب بن أبى صفرة وعذبه واستأصل موجوده وسجنه فتوصل يزيد بحسن تلطفه وأرغب السجان واستماله وهرب هو والسجان وقصد الشام إلى سليمان بن عبد الملك بن مروان وكان الخليفة فى ذلك الوقت الوليد بن عبد الملك فلما وصل يزيد بن المهلب إلى سليمان بن عبد الملك اكرمه واحسن اليه وأقامه عنده فكتب الحجاج إلى الوليد يعلمه أن يزيد هرب من السجن وانه عند سليمان بن عبد الملك اخى أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين وأمير المؤمنين أعلى رأيا فكتب الوليد إلى اخيه سليمان بذلك فكتب سليمان إلى اخيه يقول يا أمير المؤمنين انى ما أجرت يزيد بن المهلب الا لانه هو وابوه واخوته من صنائعنا قديما وحديثا ولم أجر عدوا لأمير المؤمنين وقد كان الحجاج قصده وعذبه واغرمه أربعة آلاف ألف درهم ظلما ثم طالبه بعدها بثلاثة آلاف ألف درهم وقد صار إلى واستجار بى فاجرته وانا اغرم عنه هذه الثلاثة آلاف ألف درهم فان رأى أمير المؤمنين ان لا يخزينى فى ضيفى فليفعل فانه اهل الفضل والكرم فكتب اليه الوليد انه لابد ان ترسل إلى يزيد مغلولا مقيدا فلما ورد ذلك على سليمان احضر ولده أيوب فقيده ودعا بيزيد بن المهلب فقيده ثم شد قيد هذا إلى قيد هذا بسلسلة وغلهما جميعا بغلين وارسلهما إلى اخيه الوليد وكتب اليه اما بعد يا أمير المؤمنين فقد وجهت اليك بيزيد وابن اخيك ايوب بن سليمان ولقد هممت ان اكون ثالثهما يا أمير المؤمنين بقتل

اجتمعت يوما بنو هاشم عند معاوية فاقبل عليهم فقال يا بنى هاشم والله ان خيرى لكم لممنوح وأن بابى لكم لمفتوح وقد نظرت فى أمرى وأمركم فرأيت أمرا مختلفا انكم ترون أنكم أحق منى بما فى يدى فاذا اعطيتكم عطية فيها قضاء حقوقكم قلتم اعطانا دون حقنا وقصر بنا عن قدرنا هذا مع انصاف قائلكم واسعاف سائلكم فاقبل عليه ابن عباس رضى الله عنهما وكان جريئا عليه فقال والله مامنحتنا شيئا حتى سألناه ولا فتحت لنا بابا حتى قرعناه واما هذا المال فمالك منه الا ما لرجل واحد من المسلمين ولولا حقنا فى هذا المال لم يأتك منا اثر تحمله خف ولا حافر وأما حربنا اياك بصفين فعلى تركك الحق وادعائك الباطل اكفاك أم أزيدك قال كفانى (وقال الشعبى) قال ابن الزبير يوما لابن عباس قاتلت أم المؤمنين وحوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما أم المؤمنين فأنت أخرجتها انت وأبوك وخالك وبنا سميت ام المؤمنين وكنا لها خير بنين وقاتلت وابوك عليا فان كان على مؤمنا ضللتم بقتال المؤمنين وان كان على كافرا فقد بؤتم بسخط من الله بفراركم من الزحف (وذكر صاحب العقد ان عبدالله بن الزبير تزوج امرأة من فزارة يقال لها أم عمرو فلما دخل بها قال اهل تدرين من معك قالت نعم عبدالله بن الزبير بن العوام بن خويلد قال ليس هذا قالت وأى شىء تريد قال معك من اصبح فى قريش كمنزلة الرأس من الجسد لا بل العينين من

الرأس قالت أما والله لو أن بعض الهاشميين حضرك قال خلافا لقولك قال فالطعام والشراب على حرام حتى حضر الهاشميين وغيرهم ولا يستطيعون ولذلك انكارا قالت ان أطمتنى لم تفعل فأنت أعلم بشأنك فخرج من المجلس فاذا بحلقة فيها جماعة من قريش وفيها من بنى هاشم عبدالله بن عباس رضى الله عنه وعبد الله بن الحرث بن عبدالمطلب فقال لهم ابن الزبير انى أحب أن تنطلقوا معى إلى منزلى فقام القوم بأجمعهم حتى وقفوا على باب بيته فقال ابن الزبير ياهذه اطرحى عليك سترك ثم اذن للقوم فلما اخذوا مجالسهم دعا ابن الزبير بالمائدة فتغدى القوم فلما فرغوا قال ابن الزبير انما جمعتكم لحديث ردته على صاحبة هذا الستر وزعمت أن لو كان بعض بنى هاشم حاضرا ما أقر لى بما قلت وقد حضرتم جميعا والحديث الذى ردته على قلت لها ليلة الدخول بها وأنا معها فى خدرها إن معك من أصبح فى قريش بمنزلة الرأس من الجسد لابل العينين من الرأس فردت على مقالى فقال ابن عباس إن شئت أقول وان شئت أكف قال لابل قل وما عسيت أن تقول ألست تعلم أن الزبير حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وان أمى أسماء بنت أبى بكر الصديق ذات النطاقين وأن خديجة سيدة نساء أهل الجنة عمتى وأن صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم جدتى وأن عائشة ام المؤمنين خالتى فهل تستطيع لهذا انكارا يا ابن عباس قال ابن عباس اليوم

يزيد فبالله عليك ابدأ بأيوب من قبله ثم اجعل يزيد ثانيا واجعلنى إذا شئت ثالثا والسلام فلما دخل يزيد بن المهلب وأيوب بن سليمان فى سلسلة واحدة أطرق الوليد استحياء وقال لقد أسأنا إلى أبى أيوب إذا بلغنا به هذا المبلغ فأخذ يزيد ليتكلم ويحتج لنفسه فقال له الوليد يحتاج إلى الكلام فقد قبلنا عذرك وعلمنا ظلم الحجاج ثم أحضر حدادا وأزال عنهما الحديد وأحسن اليهما ووصل أيوب ابن أخيه بثلاثين الف درهم ووصل يزيد بن المهلب بعشرين الف درهم وردهما إلى سليمان وكتب كتابا إلى الحجاج يقول له لا سبيل لك على يزيد المهلب فاياك أن تعاودنى فيه بعد اليوم فسار يزيد إلى سليمان بن عبد الملك وأقام عنده فى أعلى المراتب وأرفع المنازل (وحكى) أن رجلا من الشيعة كان يسعى فى فساد الدولة فجعل المهدى لمن دل عليه أو أتى به مائة الف درهم فأخذه رجل من بغداد فأيس من نفسه فربه معن بن زائدة فقال له يا أبا الوليد أجرنى أجارك الله فقال معن للرجل مالك وماله فقال أن أمير المؤمنين طالبه قال خل سبيله قال لا أفعل فأمر معن غلمانه فأخذوه غصبا وأردفه بعضهم خلفه ومضى الرجل فأخبر أمير المؤمنين المهدى بالقصة فأرسل خلف معن فأحضره فلما دخل عليه قال له يا معن أتجير على قال نعم يا أمير المؤمنين قتلت فى يوم واحد فى طاعتكم خمسة آلاف رجل هذا مع أيام كثيرة تقدمت فيه طاعتى أفما ترونى أهلا ان تجيروا إلى رجلا واحدا استجار بى فاستحيا المهدى وأطرق طويلا ثم رفع رأسه وقال قد أجرنا من أجرت يا أبا الوليد قال ان رأى أمير المؤمنين أن يصل من استجار بى فيكون قد أجاره وحباه وقال قد أمرت له بخمسين الف درهم فقال معن يا أمير المؤمنين ينبغى أن تكون صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية وان ذنب الرجل عظيم فان رأى أمير المؤمنين ان يجزل صلته فليفعل قال قد أمرت له بمائة الف درهم فرجع معن إلى منزله ودعا بالرجل ودفع له المال ووعظه وقال له لا تتعرض لمساخط الخلفاء وكان جعفر بن أبى طالب يقول لأبيه يا أبت إنى لا أستحى أن أطعم طعاما وجيرانى لا يقدرون على مثله فكان أبوه يقول انى لا أرجو أن يكون فيك خلف من عبد المطلب * وسقط الجراد قريبا من بيت بعض العرب فجاء أهل الحى فقالوا نريد جارك فقال اما اذ جعلتموه جارى فوالله لا تصلون اليه واجاره حتى طار فسمى مجير الجراد وقيل هو ابو حنبل والحكايات فى معنى ذلك كثيرة والله سبحانه وتعالى اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى وآله وصحبه وسلم

﴿الباب الثلاثون فى الخير والصلاح وذكر السادة الصحابة وذكر الاولياء والصالحين رضى الله تعالى عنهم أجمعين﴾

(اعلم) أن أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم أجمعين وفضائلهم اكثر من أن تحصر وأشهد من ان تذكر وانى والله احبهم وأحب من يحبهم واسأل الله أن يميتنى على محبة النبى محمد ﷺ ومحبتهم وأن يحشرنا فى زمرتهم وتحت ألويتهم انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير (شعر)

انى احب ابا حفص وشيعته ... كما احب عتيقا صاحب الغار
وقد رضيت عليا قدوة علما ... وما رضيت بقتل الشيخ فى الدار
كل الصحابة ساداتى ومعتقدى ... فهل على بهذا القول من عار

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من أصبح منكم اليوم صائما فقال أبو بكر انا يارسول الله فقال رسول الله ﷺ فمن اطعم اليوم منكم مسكينا فقال أبو بكر انا قال فمن عاد منكم

لا ولكن ذكرت شرفا شريفا وفخرا عظيما غير أنك نلت ذلك كله وأنت تفاخر من بفخره فخرت وتسامى من بفضله سموت وقال ابن الزبير وكيف ذلك فان لم تذكر مفخراً إلا برسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أهل بيته وأقرب إليه

اليوم مريضا قال أبو بكر أنا فقال رسول الله ﷺ ما اجتمعن فى أحد إلا دخل الجنة وقال ﷺ لو كان بعدى نبى لكان عمر وقال له النبى ﷺ والذى بعثنى بالحق بشيراً ما سلكت واديا إلا سلك الشيطان واديا غيره ولما أسلم رضى الله عنه قال يارسول الله ألسنا على الحق قال بلى قال والذى بعثك بالحق نبيا لانعبد الله سراً بعد هذا اليوم ولما قدم عمر رضى الله عنه الشام وقف على طور سيناء فأرسل البطريق عظيما لهم وقال انظر إلى ملك العرب فرآه على فرس وعليه جبة صوف مرقعة مستقبل الشمس بوجهه ومخلاته فى قربوس السرج وعمر يدخل يده فيها ويخرج فلق خبز يابس يمسحها من التبن ويلوكها فوصفه للبطريق فقال لانرى بمحاربة هذا طاقة اعطوه ماشاء.وأما أمير المؤمنين عثمان رضى الله تعالى عنه ففضائله كثيرة ومناقبه شهيرة فهو جامع القرآن ومن استحيت منه ملائكة الرحمن رضى الله عنه وقال جميع بن عمير دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت لها اخبرينى من كان أحب الناس إلى رسول الله ﷺ قالت فاطمة قلت انما أسألك عن الرجال قالت زوجها فوالله لقد كان صواما قواما ولقد سالت نفس رسول الله ﷺ فى يده فردها إلى فيه قلت فما حملك على ما كان فأرسلت خمارها على وجهها وبكت وقالت أمر قضى على وقال معاوية لضرار بن حمزة الكنانى صف لى عليا فاستعفى فألح عليه فقال أما اذن فلابد انه والله كان بعيد المدى شديد القوى يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته كان والله غزير العبرة طويل الفكرة يقلب كفه ويعاتب نفسه يعجبه من اللباس ماقصر ومن الطعام ماخشن وكان والله يجيبنا إذا سألناه ويأتينا إذا دعوناه ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة له يعظم أهل الدين يحب المساكين لايطمع القوى فى باطله ولاييأس الضعيف من عدله فاشهد الله لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وقد مثل فى محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ الخائف ويبكى بكاء الحزين فكانى الآن أسمعه يقول يادنيا إلى تعرضت أم إلى تشوقت هيهات هيهات غرى غيرى لقد أبنتك ثلاثا لا رجعة لى فيك فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير آه من قلة الزاد ووحشة الطريق قال فوكفت دموع معاوية حتى مايملكها على لحيته وهو يمسحها وقد اختنق القوم بالبكاء وقال رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه ياضرار قال حزنى عليه والله حزن من ذبح ولدها فى حجرها فلاترقأ عبرتها ولاتسكن حيرتها ثم قام فخرج * وقيل أول من سل سيفا فى سبيل الله تعالى الزبير بن العوام رضى الله عنه وذلك أنه صاح على أهل مكة ليلا صائح فقال قتل محمد فخرج متجرداً وسيفه معه صلتا فتلقاه رسول الله ﷺ فقال مالك يازبير قال سمعت انك قتلت قال فاذا أردت أن تصنع قال أردت والله أن أستعرض على أهل مكة وروى أخبط بسيفى من قدرت عليه فضمه رسول الله ﷺ وأعطاه ازاراً له فاستتر به وقال له انت حوارى ودعا له * قال الاوزاعى كان للزبير ألف مملوك يؤدون الضريبة لايدخل بيت ماله منها درهم بل كان يتصدق بها وباع داراً له بستمائة ألف درهم فقيل له يا أبا عبدالله غبنت قال كلا والله انى لم اغبن أشهدكم أنها فى سبيل الله تعالى وهبط جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ يوم أحد فقال من حملك على ظهره وكان حمله على ظهره طلحة حتى استقل على الصخرة قال طلحة قال أقرئه السلام وأعلمه انى لأأراه يوم القيامة فى هول من أهوالها إلا استنقذته منه من هذا الذى عن يمينك قال المقداد بن الاسود وقال ان الله يحبه ويأمرك أن تحبه من هذا الذى بين يديك يتقى عنك قال عمار بن ياسر قال بشره بالجنة حرمت النار عليه * ومر أبو ذر على النبى ﷺ

وأولى بالفخر به قال ابن الزبير فأنا أفاخرك بما كان قبل النبى صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس لقد انصفت أسائلكم أيها الحضور أعبد المطلب كان أشرف فى قريش أم خويلد قالوا عبدالمطلب قال أسائلكم أهاشم كان أشرف فى قريش أم أمية قالوا بل هاشم قال فأسألكم بالله أعبد مناف كان أشرف أم عبد العزى قالوا اللهم عبد مناف فأنشأ ابن عباس يقول

تف . يا ابن الزبير وقد مضى
عليك رسول الله لاقول هازل
فلو غيرنا يا ابن الزبير فخرته
ولكن بنا ساميت شمس الاصائل

وروى عن رسول الله ﷺ انه قال ما افترقت فرقتان إلا وكنت فى خيرهما فقد فارقك من لدن قصى بن كلاب فنحن فى فرقة الخير أولا ونحن فى فرقة الخير آخراً فان قلت نعم خصمت وإن وقلت لا كفرت قال فضحك بعض القوم وقالت امرأة من خلف الستر واماوالله لقد نهيته عن هذا المجلس فأبى إلا ما ترى فقال ابن عباس مه أيتها المرأة اقنعى يبعلك وأخذ القوم بيد ابن عباس فقالوا انهض أيها الرجل فقد أفحمته فى منزله غير مرة فنهض ابن عباس وهو يقول

ومعه جبريل عليه السلام فى صورة دحية الكلبي فلم يسلم فقال جبريل هذا أبو ذر لو سلم لرددنا عليه فقال أتعرفه ياجبريل قال والذى بعثك بالحق نبيا لهو فى ملكوت السموات السبع أشهر منه فى الأرض قال ثم نال هذه المنزلة قال بزهده فى هذه الحطام الفانية وقال ابن عمر رضى الله عنهما سمعت رسول الله ﷺ يقول أن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن الف بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض الآية وقال أبو بكر السفاح لابى بكر الهذلى بم بلغ الحسن ما بلغ قال جمع كتاب الله تعالى وهو ابن اثنتى عشرة سنة لم يجاوز سورة إلى غيرها حتى يعرف تأويلها ولم يقلب درهما قط فى تجارة ولم يل عملا لسلطان ولم يأمر بشىء حتى يفعله ولم ينه عن شىء حتى يدعه فقال السفاح بهذا بلغ وقال الجاحظ كان الحسن يستثنى من كل غاية فقال فلان أزهد الناس إلا الحسن وافقه الناس إلا الحسن وأفصح الناس إلا الحسن واخطب الناس إلا الحسن وقال بعضهم كان عمر بن عبد العزيز أزهد من اويس لان عمر مالك الدنيا فزهد فيها وأويس لم يملكها فقيل لو ملكها لفعل كما فعل عمر فقال ليس من لم يجرب كمن جرب وقال انس فى ثابت البنانى ان للخير مفاتيح وأن ثابتا من مفاتيح الخير وكان حبيب الفارسى من اخيار الناس وهو الذى اشترى نفسه من ربه أربع مرات أربعين الفا كان يخرج البدرة فيقول يارب اشتريت نفسى منك بهذه ثم يتصدق بها وكان أيوب السختيانى من أزهد الناس وأورعهم ذكر عند أبى حنيفة رحمه الله تعالى فقال رحم الله أيوب لقد شهدت منه مقاما عند منبر النبى ﷺ لا اذكر ذلك المقام إلا اقشعر جلدى وقال سفيان الثورى جهدى جهدى على أن اكون فى السنة ثلاثة أيام على ما عليه ابن المبارك فلم اقدر وكان الخليل بن أحمد النحوى من أزهد الناس وأعلاهم نفسا وكان الملوك يقصدونه ويبذلون له الاموال فلا يقبل منها شيئا وكان يحج سنة حتى مات رحمه الله وقال ابن خارجة جالست ابن عون عشرين سنة فما ظن الملكين كتبا عليه شيئا وروى أنه غسل كرز بن وبرة فلم يوجد على جسده مثقال لحم وعن محمد بن الحسن قال كان أبو حنيفة واحد زمانه لو انشقت عنه الأرض لانشقت عن جبل من الجبال فى علم والكرام والزهد والورع وحج وكيع بن الجراح أربعين حجة ورابط فى عبادان اربعين ليلة وختم القرآن أربعين ختمة وتصدق بأربعين الفا وروى أربعة آلاف حديث وما رؤى واضعا جنبه قط ووقف عمر بن عبد العزيز على عطاء بن أبى رباح وهو أسود مفلفل الشعر يفتى الناس فى الحلال والحرام فتمثل يقول * تلك المكارم لا قعبان من لبن * ومن مشايخ الرسالة رضوان الله عليهم اجمعين سيدى أبو عبد الله محمد اسمعيل المغربى استاذ ابراهيم بن شيبان كان عجيب الشأن لم يأكل مما وصلت اليه أيدى بنى آدم سنين كثيرة وكان اكله من اصول العشب شيئا تعود اكله (ومنهم) سيدى فتح بن شحرف بن داود ويكنى ابا نصر من الزاهدين الوارعين لم يأكل الخبز ثلاثين سنة قال احمد بن عبد الجبار سمعت أبى يقول صحبت فتح شحرف ثلاثين سنة فلم أره رفع رأسه إلى السماء ثم رفعها يوما فقال طال شوقى اليك فعجل قدومى عليك وقال محمد بن جعفر سمعت إنسانا يقول غسلنا فتح بن شحرف فرأينا مكتوبا على فخذه لا إله إلا الله فتوهمناه مكتوبا وإذا هو عرق داخل الجلد ومات ببغداد فصلى عليه ثلاثا وثلاثين مرة اقل قوم كانوا يصلون عليه كانوا نحو من خمسة وعشرين الفا إلى ثلاثين الفا (ومنهم) سيدى فتح بن سعيد الموصلى يكنى أبا نصر من أقران بشر الحافى وسرى السقطى كبير الشأن فى باب الورع والمجاهدات قال ابراهيم بن نوح الموصلى رجع فتح الموصلى إلى أهله بعد صلاة العتمة وكان صائما فقال عشونى فقالوا ماعندنا شىء نعشيك به فقال ما بالكم جلوس فى الظلمة فقالوا

ألا يا قوم ارتحلوا وسيروا فلو ترك القطا ليلا لناما (وحكى) صاحب العقد قال بينما معاوية جالس وعنده وجوه الناس إذ دخل رجل من أهل الشام فقام خطيبا وقال لعن الله عليا فأطرق الناس وفيهم الأحنف فقال الاحنف ياأمير المؤمنين ان هذا القائل ان علم أن رضاك لعن المرسلين لعنهم فاتق الله ودع عنك عليا فقد لقى ربه وأفرد بقبره وخلا بعمله وكان والله مبرورا فى سبقه ظاهر الثوب ميمون النقيبة عظيم المصيبة فقال له معاوية ياأحنف لقد أغضيت العين على القذى أما والله لتصعدن المنبر وتلعن عليا طوعا أو كرها فقال أن تعفنى خير الله وأن تجبرنى على ذلك فوالله لا تجدنى شفيا أبدا قال وما انت قائل ياأحنف قال أحمد الله وأصلى على نبيه ثم أقول أن أمير المؤمنين امرنى أن ألعن عليا ومعاوية وعلى اقتتلا واختلفا وادعى كل واحد منهما أنه مبغى عليه فاذا دعوت فأمنوا رحمكم الله اللهم العن أنت وملائكتك وانبياؤك وجميع خلقك الباغى منهما على صاحبه والعن الفئة الباغية أمنوا ارحمكم الله يامعاوية لاأزيد على ذلك ولا انقص ولو كان فيه ذهاب نفسى فقال معاوية إذا أعفيك انتهى

(وقال معاوية) لعقيل ان عليا قطعك ووصلتك ولا يرضينى منك إلا ان تلعنه على المنبر قال افعل ما
فصعد المنبر وحمد الله واثنى عليه ثم قال ان امير المؤمنين امرنى أن ألعن عليا فالعنوه عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين

ماعندنا شيء نسرج به فجعل يبكي من الفرح ويقول إلهي مثلي يترك بلاعشاء ولا سراج بأي يد كانت مني فما زال يبكي الى الصباح وقال فتح رأيت بالبادية غلاما لم يبلغ الحلم وهو يمشي وحده ويحرك شفتيه فسلمت عليه فرد على السلام فقلت الى أين فقال إلى بيت ربي عز وجل فقلت بماذا تحرك شفتيك قال أتلو كلام ربي فقلت انه لم يجر عليك قلم التكليف قال رأيت الموت يأخذ من هو أصغر سنا مني فقلت خطاك قصيرة وطريقك بعيدة فقال إنما على نقل الخطا وعليه البلاغ فقلت أين الزاد والرحلة قال زادي يقيني وراحلتي رجلاي فقلت أسألك عن الخبز والماء قال ياعماه أرأيت لو دعاك مخلوق إلى منزله أكان يجمل بك أن تحمل زادك الى منزله قلت لا فقال ان سيدي دعا عباده إلى بيته وأذن لهم في زيارته فحملهم ضعف يقينهم على حمل أزوادهم واني استقبحت ذلك فحفظت الأدب معه أفتراه يضيعني فقلت حاشا وكلا ثم غاب عن بصري فلم أره إلا بمكة فلما رآني قال أنت أيها الشيخ بعد على ذلك الضعف من اليقين

(ومنهم) سيدي أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري صحب شاة الكرماني ويحيى بن معاذ الرازي وكان يقال في الدنيا ثلاثة لا رابع لهم أبو عثمان الحيري بنيسابور والجنيد ببغداد وأبو عبد الله الحلاج بالشام ومن كلامه لايكمل الرجل حتى يستوي في قلبه أربعة أشياء المنع والعطاء والعز والذل وقال منذ أربعين سنة ما أقامني الله تعالى حال فكرهته ولا نقلني إلى شيء فسخطته

(ومنهم) سيدي سليمان الخواص يكنى أبا تراب كان أحد الزهاد المعروفين والعباد الموصوفين سكن الشام ودخل بيروت وكان أكثر مقامه ببيت المقدس قيل اجتمع حذيفة المرعشي وابراهيم بن أدهم ويوسف بن اسباط فتذاكروا الفقر والغنى وسليمان ساكت فقال بعضهم الغني من كان له بيت يسكنه وثوب يستره وسداد من عيش يكفه عن فضول الدنيا وقال بعضهم الغني من لم يحتج إلى الناس فقيل لسليمان ما تقول أنت في ذلك فبكى وقال رأيت جوامع الغنى في التوكل ورأيت جوامع الفقر في القنوط والغني حق الغني من أسكن الله في قلبه من غناه يقينا ومن معرفته توكلا ومن قسمته رضا فذلك الغني حق الغني وإن أمسى طاويا وأصبح معوزا فبكى القوم من كلامه

(ومنهم) سيدي أبو سليمان بن عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الداراني أحد رجال الطريقة قدس الله سره كان من أجل السادات وأرباب الجد في المجاهدات ومن كلامه من أحسن في نهاره كوفي في ليلة ومن أحسن في ليلة كوفي في نهاره ومن صدق في ترك شهوة ذهب الله بها من قلبه والله تعالى أكرم من أن يعذب قلبا بشهوة تركت له وقال لكل شيء علامة وعلامة الخذلان ترك البكاء وقال لكل شيء صدأ وصدأ نور القلب شبع البطن وقال أحمد بن أبي الحواري شكوت إلى أبي سليمان الوسواس فقال إذا أردت أن ينقطع عنك فأي وقت أحسست به فافرح فانك إذا فرحت به انقطع عنك لأنه لاشيء أبغض إلى الشيطان من سرور المؤمن وإذا اغتممت به زادك وقال ذو النون المصري رحمه الله اجتمعوا ليلا على أبي سليمان الداراني فسمعوه يقول يارب ان طالبتني بسريرتي طالبتك بتوحيدك وان طالبتني بذنوبي طالبتك بكرمك وان جعلتني من أهل النار أخبرت أهل النار بحبي اياك وقال علي ابن الحسين الحداد سألت أبا سليمان بأي شيء تعرف الأبرار قال بكتمان المصائب وصيانة الكرامات وروى عنه أنه قال نمت ليلة عن وردي فاذا حوراء تقول لي أتنام وأنا أربى لك في الخدور منذ خمسمائة عام

(ومنهم) سيدي أبو محمد عبد الله بن خنيف من زهاد المتصوفة كوفي الأصل ولكنه سكن انطاكية . ومن كلامه لاتغتم الامن شيء يضرك غدا ولاتفرح الابشيء يسر غدا وله كرامات ظاهرة وبركات متواترة

(ومنهم) سيدي أبو عبد الله محمد بن يوسف البناء أصبهاني الأصل

ثم نزل فقال له معاوية ياعقيل انك لم تبين من المراد منا قال والله لازدت حرفا والكلام راجع إلى نية المتكلم (ومن غريب المنقول) ما نقل عن المنصور وهو أنه وعد الهذلي بجائزة ونسي فحجا معا ومر في المدينة النبوية ببيت عاتكة فقال الهذلي يا أمير المؤمنين هذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الأحوص

* يادار عاتكة التي أتغزل *

فأنكر عليه أمير المؤمنين المنصور ذلك لأنه تكلم من غير أن يسئل فلما رجع الخليفة نظر في القصيدة الى آخرها ليعلم ما أراد الهذلي بانشاد ذلك البيت من غير استدعاء فاذا فيها * وأراك تفعل ماتقول وبعضهم * مذق اللسان يقول مالا يفعل * فعلم المنصور أنه أشار الى هذا البيت فتذكر ماوعده به وأنجز له واعتذر اليه من النسيان (ومثله) ما حكى أن أبا العلاء المعري يتعصب لأبي الطيب المتنبي فحضر يوما بمجلس المرتضى فجرى ذكر أبي الطيب فهضم من جانبه المرتضى فقال أبو العلاء لو لم يكن لأبي الطيب من الشعر الا قوله

لك يا منازل في القلوب منازل

لكفاه فغضب المرتضى وأمر به فسحب وأخرج وبعد اخراجه قال المرتضى هل تعلمون ما أراد بذكر البيت قالوا لا قال عنى به قول أبي الطيب في القصيدة

وإذا أتتك مذمتي من ناقص * فهي الشهادة لي بأني كامل

(ومثله قصة السري الرفاء مع سيف الدولة بسبب المتنبي أيضا) فان السري الرفاء كان من مداح سيف الدولة وجرى

كتب عن ستمائة شيخ ثم غلب عليه الانفراد والخلوة إلى أن خرج إلى مكة بشرط التصوف وقطع البادية على التجريد وكان فى ابتداء أمره يكسب فى كل يوم ثلاثة دراهم وثلثا فيأخذ من ذلك لنفسه دانقا ويتصدق بالباقى ويختم مع العمل كل يوم ختمة فاذا صلى العتمة فى مسجده خرج الى الجبل الى قريب الصبح ثم يرجع إلى العمل وكان يقول فى الجبل يارب اما أن تهب لى معرفتك أو تأمر الجبل أن ينطبق على فانى لاأريد الحياة بلا معرفتك (ومنهم) سيدى يحيى بن معاذ الرازى قدس الله سره يكنى أبا زكرياء أحد الطريق كان أوحد وقته ومن كلامه لاتكن ممن يفضحه يوم موته ميراثه ويوم حشره ميزانه وقال وليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال ان لم تنفعه فلا تضره وان لم تسره فلا تغمه وان لم تمدحه فلا تذمه وقال الصبر على الخلوة من علامات الاخلاص وقال بئس الصديق صديقا يحتاج الى أن يقال له اذكرنى فى دعائك وقال على قدر حبك لله يحبك الخلق وعلى قدر خوفك من الله تهابك الخلق وعلى قدر شغلك بالله تشتغل فى أمرك الخلق وقال من كان غناه فى كيسه لم يزل فقيرا ومن كان غناه فى قلبه لم يزل غنيا ومن قصد بحوائجه المخلوقين لم يزل محروما وروى أنه قدم شيرازا فجعل يتكلم على الناس فى علم الأسرار فأتته امرأة من نسائها فقالت كم تريد أن تأخذ من هذه البلدة قال ثلاثون ألفا أصرفها فى دين على بخراسان فقالت لك على ذلك على أن تأخذها وتخرج من ساعتك فرضى بذلك فحملت اليه المال فخرج من الغد فعوتبت تلك المرأة فيما فعلت فقالت انه كان يظهر أسرار أولياء الله تعالى للسوقة والعامة فغرت على ذلك (ومنهم) سيدى يوسف بن الحسين الرازى يكنى أبا يعقوب كان وحيد وقته فى اسقاط التصنع عالما أديبا صحب ذا النون المصرى وأبا تراب النخشبى من كلامه إذا أردت ان تعلم العاقل من الأحمق فحدثه بالمحال فان قبل فاعلم أنه أحمق وقال إذا رأيت المريد يشتغل بالرخص فاعلم أنه لايجىء منه شىء وقال لأن ألقى الله تعالى بجميع المعاصى أحب إلى من أن ألقاه بذرة من التصنع وقال أبو الحسن الدراج قصدت زيارة ابن الحسين الرازى من بغداد فلما دخلت بلده سألت عن منزله فكل من سألته يقول أى شىء تريد من هذا الزنديق فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف فبت تلك الليلة فى مسجد ثم قلت فى نفسى جئت هذه البلدة فلا أقل من زيارته فلم أزل أسأل عنه حتى وصلت إلى مسجده فوجدته جالسا فى المحراب وبين يديه مصحف يقرأ فيه فدنوت منه وسلمت عليه فرد على السلام وقال من أين قلت من بغداد فقال أتحسن من قولهم شيئا قلت نعم وأنشدته :

رأيت تبنى دائما فى قطيعتى * ولو كنت ذا حزم لهدمت ماتبنى

فأطبق المصحف ولم يزل يبكى حتى ابتلت لحيته وثوبه ورحمته من كثرة بكائه ثم التفت إلى وقال يابنى أتلوم أهل البلد على قولهم يوسف بن الحسين زنديق وها أنذا من وقت صلاة الصبح أقرأ القرآن ولم تقطر من عينى قطرة وقد قامت على القيامة بهذا البيت (ومنهم) سيدى حاتم بن علوان الأصم قدس الله سره يكنى أبا عبد الرحمن من أكابر خراسان صاحب شقيق البلخى ومن كلامه الزم خدمة مولاك تأتك الدنيا راغمة والآخرة راغبة وقال من ادعى ثلاثا بغير ثلاث فهو كذاب من ادعى حب الله تعالى من غير ورع عن محارمه فهو كذاب ومن ادعى محبة النبى ﷺ من غير محبة الفقر كذاب ومن ادعى حب الجنة من غير انفاق ماله فهو كذاب وسأله رجل علام بنيت أمرك فى التوكل على الله عز وجل قال على أربع خصال علمت أن رزقى لا يأكله غيرى فاطمأنت به نفسى وعلمت أن عملى لا

يعمله

فى مجلسه يوما ذكر أبى الطيب فبالغ سيف الدولة فى الثناء عليه فقال له السرى أشتهى ان الامير ينتخب لى قصيدة من غرر قصائده لأعارضها ويتحقق الأمير بذلك أنه ركب المتنبى فى غير سرجه فقال له سيف الدولة على الفور عارض لنا قصيد مالتى مطلعها

لعينيك مايلقى الفؤاد وما لقى * وللحب مالم يبق منى وما بقى

قال السرى فكتبت القصيدة واعتبرتها فى تلك الليلة فلم أجدها من مختارات أبى الطيب لكن رأيته يقول فى آخرها عن ممدوحه

إذا شاء أن يلهو بلحية أحمق * أراه غبارى ثم قال له الحق

فقلت والله ماأشار سيف الدولة إلا إلى هذا البيت (ومثله) ماحكاه ابن الجوزى فى كتاب الأذكياء وهو من الغرائب فى هذا الباب أن رجلا من طلبة العلم قعد على جسر بغداد يتنزه فأقبلت امرأة بارعة فى الجمال من جهة الرصافة إلى الجانب الغربى فاستقبلها شاب فقال لها رحم الله على ابن الجهم فقالت المرأة رحم الله أبا العلاء المعرى ومارقفا بل سارا مشرقا ومغربا قال الرجل فتبعت المرأة وقلت والله ان لم تقولى لى ماأراد بابن الجهم فضحتك قال أراد به قوله

عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث أدرى ولاأدرى

وعنيت أنا بأبى العلاء قوله

فيادارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك أهوال

(ومثله) ماهو منقول عن الإمام الحافظ فتح الدين أبى الفتح محمد بن

يعمله غيرى فأنا مشغول به وعلمت إن الموت يأتيني بغتة فأنا أبادره وعلمت أنى لا أخلوا من عين الله عزوجل حيث كنت فأنا أستحى منه ◦ وسبب تسميته بالاصم ماحكاه أبو على الدقاق أن امرأة جاءت تسأله عن مسألة فاتفق انه خرج منها صوت ريح فخجلت المرأة فقال حاتم إرفعى صوتك وأراها أنه أصم فسرت المرأة بذلك وقالت انه لم يسمع الصوت فغلب عليه هذا الاسم رحمة الله تعالى عليه (ومنهم) الحسن بن أحمد الكاتب من كبار مشايخ المصريين صحب أبا بكر المصرى وأبا على الروذبارى وكان أوحد مشايخ وقته من كلامه روائح نسيم المحبة تفوح من المحبين وإن كتموها وتظهر عليهم دلائلها وإن اخفوها وتدل عليهم وإن ستروها وأنشدوا فى هذا المعنى

إذا ماأسرت أنفس الناس ذكره　　تبينه فيهم ولم يتكلموا
تطيب به أنفاسهم فتذيعها　　وهل سرمسك اودع الريح يكتم

ومن كلامه أيضا إذا انقطع العبد إلى الله تعالى بالكلية فأول مايعيد الاستغناء به عن الناس وقال صحبة الفساق داء ودواء ودواؤها مفارقتهم وقال إذا سكن الخوف فى القلب لاينطق اللسان بما لايعنيه (ومنهم) سيدى جعفر بن نصر الخلدى يكنى بأبى محمد بغدادى المنشأ والمولد صحب الجنيد وانتمى اليه وحج قريبا من ستين حجة روى أنه مر بمقبرة الشونيزية وامرأة على قبر تندب وتبكى بكاء بحرقة فقال لها مالك تبكين فقالت ثكلى بولدى فأنشأ يقول

يقولون ثكلى ومن لم يذق　　فراق الأحبة لم يثكل
لقد جرعتنى ليالى الفراق　　شرابا أمر من الحنظل

وروى أنه كان له فص فوقع منه يوما فى الدجلة وكان عنده دعاء مجرب لرد الضالة إذ دعا به عادت فدعا به فوجد الفص فى وسط أوراق كان يتصفحها وصورة الدعاء أن تقول ياجامع الناس ليوم لاريب فيه اجمع على ضالتى وقد روى أنه يقرأ قبله سورة الضحى ثلاثا وروى الحافظ أبو بكر الخطيب فى تاريخه قال ودعت فى بعض حجاتى المزين الكبير الصوفى فقلت زودنى شيئا فقال ان فقدت شيئا أو أردت أن يجمع الله بينى وبينك وبين إنسان فقل ياجامع الناس ليوم لاريب فيه اجمع بينى وبين كذا فإن الله يجمع بينك وبين ذلك الشىء أو الإنسان (ومنهم) سيدى معروف أن فيروز الكرخى قدس الله سره يكنى أبا محفوظ من كبار المشايخ مجاب الدعوة وهو أستاذ السرى وكان أبواه نصرانيين فأسلماه إلى مؤدبهم وهو صبى فكان المؤدب يقول له قل هو ثالث ثلاثة فيقول بل هو الواحد الصمد فضربه المؤدب على ذلك ضربا وجيعا فهرب منه فكان أبواه يقولان ليته يرجع الينا على أى دين شاء فنوافقه عليه فرجع إلى أبويه فدق الباب فقيل من الباب فقال معروف فقيل على أى دين فقال على دين الإسلام فاسلم أبواه ◦ كان مشهورا باجابة الدعوة ومن كلامه رضى الله عنه إذا أراد الله بعبد خيرا فتح له باب العمل واغلق عليه باب الفترة والكسل وكان يعاتب نفسه ويقول يامسكين كم تبكى وتندب اخلص تخلص وقال سرى سألت معروفا عن الطائعين لله بأى شىء قدروا على الطاعات لله عز وجل قال يخرج حب الدنيا من قلوبهم ولو كانت فى قلوبهم لما صحت لهم سجدة ومن انشاداته .

الماء يغسل ما بالثوب من درن　　وليس يغسل قلب المذنب الماء

وقال إبراهيم الاطروش كان معروف قاعدا يوما على الدجلة ببغداد فمر بنا صبيان فى زورق

محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى أن الشيخ بهاء الدين بن النحاس رحمه الله دخل إلى الجامع الأزهر فوجد أبا الحسين الجزار جالسا وإلى جانبه مليح ففرق بينهما وصلى ركعتين ولما

فرغ قال لابى الحسين ما أردت الا قول ابن سناء الملك فقال أبو الحسين الجزار وأنا تفاءلت بقول صاحبنا السراج الوراق أما مراد الشيخ بهاء الدين فهو إشارة إلى قول ابن سناء الملك

أنا فى مقعد صدق　　بين قواد وعلق

وأما مراد أبى الحسين من قول سرج الوراق فهو

ومهفهف راضى الابى　　ففداه سلس القياد
فلما وسط بيننا　　جرت الأمور على السداد

فبلغ كل منهما ما راد من صاحبه ولم يشعر احد بمراد الاثنين غيرهما (قلت) وبالنسبة إلى هذا الذكاء المفرط الصادر من هؤلاء القوم يتعين أن نورد هنا نبذة من كتاب الاذكيا لابن الجوزى (فمن ذلك) ماروى عن منصور بن العباس وهو أنه جلس يوما فى احدى قباب المدينة فرأى رجلا ملهوفا يجول فى الطرقات فأرسل اليه من أتاه به فسأله عن حاله فأخبره أنه خرج فى تجارة فأفاد فيها مالا كثيرا وأنه رجع بها إلى زوجته ودفع المال اليها فذكرت المرأة أن المال سرق من المنزل ولم ير نقبا ولا مسلقا فقال له المنصور منذكم تزوجتها قال منذ سنة قال تزوجتها بكرا أم ثيبا قال ثيبا قال لى شابة أم مسنة قال شابة فدعا كل

يضربون بالملاهى ويشربون فقال له أصحابه أماترى هؤلاء لايعصون الله تعالى على هذا الماء فادع عليهم فرفع يده إلى السماء وقال إلهى وسيدى كما فرحتهم فى الدنيا أسألك أن تفرحهم فى الآخرة فقال أصحابه إنما سألناك أن تدعوا عليهم ولم نقل لك ادع لهم فقال إذا فرحهم فى الآخرة تاب عليهم فى الدنيا ولم يضركم ذلك وقال سرى رأيت معروفا فى المنام كأنه تحت العرش والله تعالى يقول لملائكته من هذا فقالوا أنت أعلم يارب قال هذا معروف الكرخى سكر بحبى لايفيق الا بلقائى وقيل له فى مرضه أوص فقال إذا مت فتصدقوا بقميصى هذا فانى أحب أن أخرج من الدنيا عريانا كما دخلتها عريانا وقال أبوبكر الخياط رأيت فى المنام كأنى دخلت المقابر فاذا أهل القبور جلوس على قبورهم وبين أيديهم الريحان وإذا أنا بمعروف الكرخى بينهم يذهب ويجى فقلت ياأبا محفوظ مافعل الله بك أوليس قد مت قال بلى ثم أنشد يقول

موت التقى حياة لانفاد لها ... قد مات قوم وهم فى الناس أحياء

(ومنهم) قاسم بن عثمان الكرخى يكنى أبا عبد الملك من أجلاء المشايخ صحب أبا سليمان الدارانى وغيره وكان من اقران السرى والحرث المحاسبى وكان أبو تراب النخشبى يصحبه ومن كلامه من أصلح فيما بقى من عمره غفر له مامضى وما بقى ومن أفسد فيما بقى من عمره أخذ بما مضى وما بقى وقال السلامة كلها فى اعتزال الناس والفرح كله فى الخلوة بالله عزوجل وسئل عن التوبة فقال التوبة رد المظالم وترك المعاصى وطلب الحلال وأداء الفرائض وقال لاصحابه أوصيكم بخمس ان ظلمتم فلا تظلموا وان مدحتم فلا تفرحوا وان ذممتم فلاتحزنوا وان كذبتم فلا تغضبوا وأن خانوكم فلا تخونوا وقال محمد بن الفرج سمعت قاسم بن عثمان يقول أن لله عبادا قصدوا الله بهممهم فافردوه بطاعتهم واكتفوا به فى توكلهم ورضوا به عوضا عن كل ماخطر على قلوبهم من أمر الدنيا فليس لهم حبيب غيره ولا قرة عين إلا فيما قرب اليه وكان يقول قليل العمل مع المعرفة خير من كثير العمل بلامعرفة ثم قال اعرف وضع رأسك ونم فما عبد الله الخلق بشيء أفضل من المعرفة وروى عنه أنه قال رأيت فى الطواف حول البيت رجلا فتقربت منه فإذا هو لايزيد على قوله اللهم قضيت حاجة المحتاجين وحاجتى لم تقض فقلت له مالك لاتزيد على هذا الكلام فقال أحدثك كنا سبعة رفقاء من بلاد شتى غزونا أرض العدو فاستأسرونا كلنا فاعتزل بنا لنضرب اعناقنا فنظرت إلى السماء فإذا سبعة أبواب مفتحة عليها سبع جوار من الحور العين فى كل باب جارية فقدم رجل منا فضربت عنقه فرأيت جارية فى يدها منديل قد هبطت إلى الأرض فضربت اعناق الستة وبقيت أنا وبقى باب وجارية فلما قدمت لتضرب عنقى استوهبنى بعض خواص الملك فوهبنى له فسمعتها تقول بأى شيء فاتك هذا يامحروم واغلقت الباب فأنا ياأخى متحسر على مافاتنى قال قاسم بن عثمان أراه أفضلهم لأنه رأى مالم يروا وترك يعمل على الشوق (ومنهم) سيدى أبوبكر دلف بن جحدر الشبلى كان جليل القدر مالكى المذهب عظيم الشأن صحب الجنيد ومن فى عصره وكان يبالغ فى تعظيم الشرع المطهر وكان إذا دخل شهر رمضان المعظم جد فى الطاعات ويقول هذا شهر عظمه ربى فأنا أولى بتعظيمه وسئل عن قول النبى ﷺ خير عمل المرء كسب يمينه فقال إذا كان الليل فخذ ماء وتهيأ للصلاة وصل ماشئت ومد يديك وسل الله عز وجل فذلك كسب يمينك ولما رأى مكة المشرفة شرفها الله تعالى وقع مغشيا عليه فلما افاق أنشد يقول

المنصور بقارورة طيب وقال تطيب بهذا فانه يذهب همك فأخذها وانقلب إلى أهله فقال المنصور الجماعة من ثقاته اقعدوا على أبواب المدينة فمن مر بكم وشممتم فيه روائح الطيب فأتونى به ومضى الرجل بالطيب إلى بيته فدفعه إلى المرأة وقال هذا من طيب أمير المؤمنين فلما شمته أعجبها إلى الغاية فبعثت به إلى رجل كانت تحبه وهو الذى دفعت المال إليه فقالت له تطيب بهذا الطيب فتطيب به ومر مجتازا ببعض الأبواب ففاحت منه روائح الطيب فأخذ وأتى به إلى المنصور فقال له من أين استفدت هذا الطيب فتلجلج فى كلامه فسلمه إلى صاحب شرطته وقال له ان أحضر كذا وكذا من الدنانير فخذ منه والا فاضربه الف سوط فما هو إلا ان جرد وهدد حتى أذعن برد الدنانير وأحضرها كهيئتها ثم أعلم المنصور بذلك فدعا صاحب الدنانير وقال له أرأيتك ان رددت اليك الدنانير أتحكمنى فى امرأتك قال نعم ياأمير المؤمنين قال هاهى دنانيرك وقد طلقت امرأتك وقص عليه الخبر (ومن ذلك) ماروى عن المهدى وهو شريك بن عبدالله القاضى دخل عليه يوما فأراد المهدى أن يبخره فقال الخادم احضر للقاضى عود فذهب الخادم فجاء بالعود الذى يلهى به فوضعه فى حجر شريك من فاضطرب شريك هذه اك وقال ماهذا ياأمير المؤمنين قال عود أخذه صاحب العسس البارحة فأحببنا أن يكون كسره على يد القاضى فقال شريك

هذه دارهم وأنت محب — ما بقاء الدموع في الآماق

وروى أنه قال كنت يوما جالسا فجرى في خاطري أني بخيل فقلت مهما فتح الله علي به اليوم أدفعه إلى أول فقير يلقاني قال فبينما أنا متفكر إذا دخل علي شخص ومعه خمسون دينارا فقال اجعل هذه في مصالحك فأخذتها وخرجت وإذا أنا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق رأسه فتقدمت إليه وناولته الصرة فقال لي ادفعها للمزين فقلت له انها دنانير فقال انك لبخيل قال فناولتها للمزين فقال المزين ان من عاداتنا أن الفقير إذا جلس بين أيدينا لا نأخذ منه أجرا قال فرميتها في الدجلة وقلت ما أعزك أحد إلا أذله الله تعالى (ومنهم) سيدي زرقان بن محمد أخو ذي النون المصري صاحب سياحة كان بجبل لبنان (حكى) عن يوسف بن الحسين الرازي قال بينما أنا بجبل لبنان أدور إذ أبصرت زرقان أخا ذي النون المصري جالسا على عين ما وقت صلاة العصر فسلمت عليه وجلست من ورائه فالتفت إلي وقال ما حاجتك فقلت بيتا شعر سمعتهما من أخيك ذي النون المصري أعرضهما عليك فقال قل فقلت سمعته يقول :

قد بقينا مذبذبين حيارى — نطلب الوصل ما إليه سبيل
فدواعي الهوى يخف علينا — وخلاف الهوى علينا ثقيل

فقال زرقان ولكني أقول

قد بقينا مذهلين حيارى — حسبنا ربنا ونعم الوكيل
حيثما الفوز كان ذاك منافا — ليه في كل أمر نميل

فعرضت أقوالهما على طاهر المقدسي فقال رحم الله ذا النون المصري رجع إلى نفسه فقال ما قال ورجع زرقان إلى ربه فقال ما قال وقال أبو عبد الرحمن السلمي زرقان بن محمد أخو ذي النون المصري وأظن أنه أخوه مؤاخاة لا أخوة نسب وكان من أقرانه ورفقائه (ومنهم) سيدي أبو عبد الله النباجي سعيد بن بريد كان من أقران ذي النون المصري ومن أقران أستاذي أحمد بن أبي الحواري له كلام حسن في المعرفة وغيرها روى منه أنه قال أصابني ضيق وشدة فبت وأنا مفكر في السير إلى بعض اخواني فسمعت قائلا يقول لي في النوم أيجمل بالحر المريد اذا وجد عند الله ما يريد أن يميل بقلبه إلى العبيد فانتبهت وأنا من أغنى الناس (ومنهم) سيدي بشر بن الحرث قدس الله روحه يكنى أبا نصر أحد رجال الطريقة أصله من مرو وسكن بغداد وكان من كبار الصالحين وأعيان الاتقياء المتورعين صحب الفضيل بن عياض وروى عن سري السقطي وغيره ومن كلامه لا تكون كاملا حتى يأمنك عدوك وكيف يكون فيك خير وأنت لا يأمنك صديقك وقال أول عقوبة يعاقبها ابن آدم في الدنيا مفارقة الأحباب وقال غنيمة المؤمن غفلة الناس عنه وخفاء مكانه عنهم وقال التكبر على المتكبر من التواضع وسئل عن الصبر الجميل فقال الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه إلى الناس وقيل أنه لقي رجلا سكران فجعل الرجل يقبل يد بشر ويقول يا سيدي يا أبا نصر وبشر لا يدفعه عن نفسه فلما ولى الرجل تغرغرت عينا بشر وجعل يقول رجل احب رجلا على توهمه لعل المحب قد نجا والمحبوب لا يدري ما حاله * وروى ان امرأة جاءت إلى أحمد بن حنبل تسأله فقالت اني امرأة أغزل بالليل والنهار وأبيعه ولا أبين غزل الليل من غزل النهار فهل علي في ذلك شيء فقال يجب ان تبيني فلما انصرفت قال أحمد لابنه اذهب فانظر أين تدخل فرجع فقال دخلت دار بشر فقال قد عجبت ان تكون هذه بيت السائلة من غير بشر ولما مرض مرضه الذي مات فيه قال لأهله ترفع ماءك الى الطبيب قال

جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين ثم أفاضوا في الحديث حتى نسي الأمر فقال المهدي لشريك ما تقول في رجل أمر وكيلا له أن يأتي بشيء بعينه فجاء بغيره فتلف ذلك الشيء فقال يضمن يا أمير المؤمنين فقال للخادم اضمن ما أتلفت (ومن ذلك) أنه حكي انه قدم رجل الى بغداد ومعه عقد يساوي ألف دينار فأراد بيعه فلم يتفق فجاء إلى عطار موصوف بالخير والديانة فأودع العقد عنده وحج وأتى بهدية للعطار وسلم عليه فقال من أنت ومن يعرفك فقال أنا صاحب العقد فلما كلمه رفسه وألقاه عن دكانه فاجتمع الناس وقالوا ويلك هذا رجل صالح فما وجدت من تكذب عليه الا هذا فتحير الحاج وتردد اليه فما زاده الا شتما وضربا فقيل له لو ذهبت إلى عضد الدولة لحصل لك من فراسته خير فكتب قصته وجعلها على قصبة وعرضها عليه فقال ما شأنك فقص عليه القصة فقال اذهب غدا واجلس في دكان العطار ثلاثة أيام حتى أمر عليك في اليوم الرابع فأقف وأسلم عليك فلا ترد على الا السلام فاذا انصرفت أعد عليه ذكر العقد ثم أعلمني بما يقول لك ففعل الحاج ذلك فلما كان في اليوم الرابع جاء عضد الدولة في موكبه العظيم فلما رأى الحاج وقف وقال السلام عليكم فقال الحاج وعليكم السلام ولم يتحرك فقال يا أخي تقدم من العراق ولا تأتينا ولا تعرض علينا حوائجك فقال له ما اتفق ولم يزده على ذلك شيئا هذا والعسكر واقف بكماله فانذهل العطار وأيقن بالموت فلما

تصرف عضد الدولة التفت العطار إلى الحاج وقال له يا أخي متى أودعتني هذا العقد وفي أي شيء هو ملفوف فذكرني لعلي أتذكر فقال من صفته كذا وكذا فقام وفتش ثم فتح جرابا وأخرج منه العقد وقال الله أعلم انى كنت ناسيا ولو لم تذكرني ما تذكرت فأخذ الحاج العقد ومضى إلى عضد الدولة فاعلمه فعلقه في عنق العطار وصلبه على باب دكانه ونودي عليه هذا جزاء من استودع ثم جحد ثم أخذ الحاج العقد ومضى إلى بلاده (ومثله ما نقل عن ذكاء اياس الذى سارت به الركبان) قيل ان رجلا استودع أمين اياس مالا وخرج المودع إلى الحجاز فلما رجع طلبه فجحده فأتى اياسا فأخبره فقال له اياس أعلمته إنك أتيتني قال لا قال أفنازعته عند غيري قال لا قال فانصرف واكتم سرك ثم عد إلى بعد يومين فمضى الرجل ودعا اياس أمينه فقال قد حضر عندنا مال كثير أريد أن اسلمه إليك أفحصين منزلك قال نعم قال فاعد موضعا للمال وقوما يحملونه وعاد الرجل إلى اياس فقال انطلق إلى صاحبك فان أعطاك المال فذاك وان جحد فقل له انى اخبر القاضي بالقصة فأتى الرجل صاحبه فقال تعطيني الوديعة أو اشكوك إلى القاضي وأخبره بالحال فدفع إليه المال فرجع الرجل وأخبر اياسا وقال أعطاني الوديعة وجاء الأمين إلى اياس ليأخذ المال الموعود به فزجره وقال له لا تقربني بعد هذا يا خائن (ومثله) انه ولى القضاء بواسط مشهور بالدين والذكاء المفرط فجاءه رجل استودع

أنا بمين الطبيب يفعل بي ما يريد فألحوا عليه فقال لأخته ادفعي إليهم الماء فدفعته إليهم في قارورة وكان بالقرب منهم طبيب نصراني فدفعوا إليه القارورة حركوا الماء فحركوه فقال ضعوه فوضعوه فقالوا له ما بهذا وصفت لناقاك وبماذا وصفت لكم قالوا وصفت بأنك أحذق أهل زمانك في الطب قال هو كما وصفت لكم ان هذا الماء ان كان ماء نصراني فهو ماء راهب قدفتت الخوف كبده وإن كان ماء مسلم فماء بشر الحافي لأن ما في زمانه أخوف منه قالوا هو ماء بشر فقال أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فلما رجعوا إلى بشر قال لهم أسلم الطبيب قالوا والله ومن أعلمك بهذا فقال لما خرجتم من عندي نوديت يا بشر ببركة مائك أسلم الطبيب توفي سنة سبع وعشرين ومائتين (ومنهم) سيدي أبو يزيد طيفور بن عيسى البسامي من أجل المشايخ كبير الشأن ومن كلامه مازلت أسوق إلى الله تعالى نفسي وهي تبكي إلى أن سقتها وهي تضحك وسئل بأي شيء وجدت هذه المعروفة فقال ببطن جائع وبدن عار وقيل له أشد ما لقيت في سبيل الله تعالى فقال لا يمكن وصفه فقيل له ما أهون ما لقيته نفسك منك فقال أما هذا فنعم دعوتها إلى شيء من الطاعات فلم تجبني فمنعتها سنة وقال الناس كلهم يهربون من الحساب ويتجافون عنه وأنا أسأل الله تعالى أن يحاسبني فقيل له لم فقال لعله يقول فيما بين ذلك ياعبدي فأقول لبيك فقوله لي ياعبدي أحب إلي من الدنيا وما فيها ثم بعد ذلك يفعل بي ما يشاء وقال له رجل دلني على عمل أتقرب به إلى ربي فقال أحب أولياء الله ليحبوك فان الله تعالى ينظر إلى قلوب أوليائه فلعله ينظر إلى اسمك في قلب ولي فيغفر لك وسئل عن المحبة فقال استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك توفي سنة احدى وستين ومائتين رحمه الله تعالى (ومنهم) شيخ الطائفة سيدي أبو القاسم الجنيد بن محمد القواريري شيخ وقته وفريد عصره أصله من نهاوند ومولده ومنشؤه ببغداد صحب جماعة من المشايخ وصحب خاله السري والحرث المحاسبي ودرس الفقه على أبي ثور وكان يفتي في مجلسه بحضرته وهو ابن عشرين سنة * ومن كلامه رضي الله عنه علامة اعراض الله تعالى عن العبد أن يشغله بما لا يعنيه وقال الأدب أدبان أدب السر وأدب العلانية فأدب السر طهارة القلوب وأدب العلانية حفظ الجوارح من الذنوب ورؤي في يده يوما سبحة فقيل له أنت مع تمكنك وشرفك تأخذ بيدك سبحة فقال نعم سبب وصلنا به إلى ما وصلنا لا نتركه أبدا وقال حسن بن محمد السراج سمعت الجنيد يقول رأيت إبليس في منامي وكأنه عريان فقلت له ألا تستحي من الناس فقال بالله هؤلاء عندك من الناس لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم كما يتلاعب الصبيان بالكرة ولكن الناس عندي ثلاث نفر فقلت ومن هم قال في مسجد الشونيزي قد اضنوا قلبي وانحلوا جسمي كلما هممت بهم أشاروا إلى الله عز وجل فأكاد أن احرق قال الجنيد فانتبهت من نومي ولبست ثيابي وجئت إلى مسجد الشونيزي بليل فلما دخلت أخرج أحدهم رأسه وقال يا أبا القاسم أنت كلما قيل لك شيء تقبل قيل ان الثلاثة الذين كانوا في مسجد الشونيزي أبو حمزة وأبو الحسن الثوري وأبو بكر الدقاق رضي الله عنهم وقال محمد ابن قاسم الفارسي بات الجنيد ليلة العيد في الموضع الذي كان يعتاده في البرية فاذا هو وقت السحر بشاب ملتف في عباءة وهو يبكي ويقول

بحرمة غربتي كم ذا الصدود ... ألا تحنوا علي ألا تجودوا
سرور العيد قد عم النواحي ... وحزني في أزدياد لا يبيد
فان كنت اقترفت خلال سوء ... فعذري في الهوى أن لا أعود

توفي الجنيد رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين ومائتين ببغداد وصلى عليه نحو ستين ألفا رضوان الله عليهم أجمعين

أجمعين ومن صحبته بصحبته وفاضت الخيرات على ببركته سيدى الشيخ الإمام العالم العامل أبو المعالى وأبو الصدق أبو بكر بن عمر الطريني المالكى قدس الله سره وروحه ونور ضريحه كان أوحد زمانه فى الزهد والورع قامعا لأهل الضلال والبدع وله أسرار ظاهرة وبركات متوازنة قد أطاع أمره الخلائق عجما وعربا وانتشر ذكره فى البلاد شرقا وغربا وأتت إلى بابه واختاروا أن يكونوا من جملة أصحابه ما أتاه مكروب إلا فرج الله كربته ولا طالب حاجة إلا قضى الله حاجته كان محافظا على النوافل ملازما للفرض وكان أكثر أكله من المباح من نبات الأرض لم يمتنع نفسه فى الدنيا بالمآكل والمشارب اللذيذة بل قيل إنه غضب على نفسه مرة فمنعها شرب الماء شهوراً عديدة وكان رضى الله عنه كثير الشفقة والحنو على أصحابه نصوحا لجميع خلق الله من أعدائه وأحبابه يدخل عليه أعدى عدوه فيقبل ببشره وبره عليه فيخرج من عنده وهو أحب الناس إليه كما قال بعضهم

وإنى لألقى المرء أعلم أنه ... عدوى وفى أحشائه الضغن كامن
فأمنحه بشرى فيرجع قلبه ... سليما وقد ماتت لديه الضغائن

وكانت حملة أهل زمانه عليه وأحوالهم فى كل أمر راجعة اليه وكنت كثيرا ما أسمعه يتمثل بهذا البيت

وحملونى الضيم الا حملته ... لأنى محب والمحب حمول

وكان رضى الله عنه كثير المصافى عظيم الموافاة شأنه الحلم والستر لم يهتك مسلم ولا فضحه وما استشاره أحد فى أمر إلا أرشده إلى خير ونصحه صحبته رضى الله عنه نحو خمس عشرة سنة فكأنها من طيبها كانت سنة ما قطع بره يوما واحدا عنى حتى كنت أظن أن ليس عنده أخف منى وكان ذلك فعله مع جميع أصحابه قاطبة بيض الله وجهه فى القيامة وبلغه من فضل ربه وكان رضى الله عنه فقيها فى مذهب الإمام مالك امام كبير لم ير له فى زمانه من شبيه ولا نظير وله فى علم الحقيقة أقوال وكم رأينا له من مكاشفات وأحوال ولو تتبعت مناقبه لاتسع الكلام ولكنى أقول كان أوحد عصره عليه السلام عاش رضى الله عنه نيفا وستين سنة وكان الناس فى زمانه فى عيشة راضية وأحوال حسنة وكان رضى الله عنه كثير الامراض والأسقام حصل له فى آخر عمره ضعف شديد أقام به نحو سنة ثم تزايد مرضه فى العشر الأول من ذى الحجة الحرام فلما كانت ليلة الحادى عشر اشتد به الامر واحتضر ولم يزل فى النزع إلى ثلث الليل الأول من الليلة المذكورة ثم توفى رحمه الله تعالى سعيدا حميدا فى ليلة الجمعة حادى عشر ذى الحجة الحرام سنة سبع وعشرين وثمانمائة ولما أخبر الناس بوفاته عظم مصابه على المسلمين ووقع النوح والبكاء والأسف فى أقطار البلدان حتى طوائف المخالفين للملة من النصارى وغيرهم وصاروا يبكون ويتوجعون ويتأسفون على فراقه وكيف لا وهو امام العصر علامة الدهر حق فيه قول القائل

حلف الزمان ليأتين بمثله ... حلت يمينك يازمان فكفر

رضى الله عنه ورضى عنا به ونفعنا ببركته فى الدين والدنيا والآخرة فشرعوا فى تجهيزه وغسله فكنت ممن حضر غسله ولكن لم يكن ذهنى معى فى تلك الساعة لما جرى علينا من المصيبة بفقده كيف لا وقد كان لى والدا شفوقا وبارا محسنا عشوقا فلما انتهى غسله رضى الله عنه القضاة والنواب والكشاف والولاة وحملوه على أعناقهم ومضوا به إلى جامع الخطبة بالمحلة فضاق بهم الجامع على سعته وضاقت الشوارع والسكك والطرقات من كثرة الناس فلم ير أكثر جمعا ولا أغزر دمعا من ذلك اليوم وهذا دليل على أنه كان قطب أهل زمانه . قال الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه بيننا وبينهم الجنائز يريد بذلك

بعض الشهود كيسا مختوما ذكر ان فيه ألف دينار فلما حصل الكيس عند الشاهد وطالت غيبة المودع ظن أنه قد مات فهم بانفاق المال وخشى من مجىء صاحبه ففتق الكيس من أسفله وأخذ الدنانير وجعل مكانها دراهم وأعاد الخياطة كما كانت فقدر أن الرجل حضر إلى واسط وطالب الشاهد بوديعته فأعطاه الكيس بختمه فلما حصل فى منزله فض ختمه فاذا فى الكيس دراهم فرجع إلى الشاهد وقال له أردد على مالى فانى أودعتك دنانير والذى وجدت دراهم فأنكر فاستدعى عليه إلى القاضى المتقدم ذكره فلما حضرا بين يديه قال الحاكم للمستودع منذ كم أودعك الكيس قال منذ خمس عشرة سنة فقال القاضى لصاحب الكيس احضر لى الدراهم فأحضرها فقال القاضى للشهود اعتبروا تواريخ الدراهم فقرؤا سككها فاذا منها ماله سنتان وثلاث سنين ونحو ذلك فأمره أن يدفع له الدنانير فدفعها وعزله القاضى وأطاف به البلد وأسقطه (ومثله بل أغرب منه) أن رجلا استودع رجلا مالا ثم طلبه فجحده فخاصمه إلى إياس وقال المدعى انى أطالبه بمال وادعته اياه وقدره كذا وكذا فقال له إياس له ومن حضرك قال كان رب العزة حاضرا قال دفعته اليه فى مكان قال فى موضع كذا قال فأى شىء تعهده من ذلك الموضع قال شجرة عظيمة قال فانطلق إلى الموضع وانظر إلى الشجرة لعل الله يظهر لك علامة يتبين بها حقك او لعلك

اجتماع الناس والله أعلم فارتفع نعشه على أعناقهم وتقدم للصلاة شيخه العارف بالله تعالى سيدى سليمان الدواخلى نفعنا الله ببركته ودفن يوم الجمعة بزاويته التى أنشأها بسند فامع والده الشيخ الإمام العالم العلامة مفتى المسلمين سراج الدين أبى حفص عمر الطرينى المالكى فى قبر واحد نفعنا الله ببركته وجعل الجنة متقلبه ومثواه وحشرنا وإياه فى زمرة سيد الأولين والآخرين محمد خاتم النبيين وأفضل المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ونسأله لنا التوفيق والإعانة وأن يمتع المسلمين بطول بقاء أخيه سيدنا ومولانا الشيخ شمس الدين محمد الطرينى أدام الله أيامه للمسلمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

﴿ الباب الحادى والثلاثون فى مناقب الصالحين وكرامات الأولياء رضى الله عنهم ﴾

(اعلم) أن كرامات الأولياء لا تنكروا مناقبهم أكثر من أن تحصر نسأل الله تعالى أن يحشرنا معهم فى زمرة نبينا محمد ﷺ يوم المحشر انه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير وهو حسبنا الله ونعم الوكيل (حكاية) قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى احتبس عنا المطر بالبصرة فخرجنا نستسقى مراراً فلم نر للإجابة أثراً فخرجت أنا وعطاء السلمى وثابت البنانى ويحيى البكاء ومحمد بن واسع وأبو محمد السختيانى وحبيب الفارسى وحسان بن ثابت بن أبى سنان وعتبة الغلام وصالح المزنى حتى إذا صرنا إلى المصلى بالبصرة خرج صبيان من المكاتب ثم استسقينا فلم نر للإجابة أثراً حتى انتصف النهار وانصرف الناس وبقيت أنا وثابت البنانى بالمصلى فلما أظلم الليل إذا أنا بعبد أسود مليح رقيق الساقين عليه جبة صوف قومت ما عليه بدرهمين فجاء بماء فتوضأ ثم جاء إلى المحراب فصلى ركعتين خفيفتين ثم رفع طرفه إلى السماء وقال إلهى وسيدى ومولاى إلى كم ترد عبادك فيما لا ينفعك أنفذ ما عندك أم نقص ما فى خزائنك أقسمت عليك بحبك لى الا ما أسقيتنا غيثك الساعة قال فما تم كلامه حتى تغيمت السماء وجاءت بمطر كأفواه القرب قال مالك فتعرضت له وقلت له يا أسود أما تستحى مما قلت قال وما قلت قلت قولك بحبك لى وما يدريك أنه يحبك قال تنح عنى يا من اشتغل عنه بنفسه أفتراه بدأنى بذلك إلا لمحبته إياى ثم قال محبته لى على قدره ومحبتى له على قدرى فقلت له يرحمك الله ارفق قليلا فقال انى مملوك وعلى فرض من طاعة مالكى الصغير قال فانصرف وجعلنا نقفوا أثره على البعد حتى دخل دار نخاس فلما أصبحنا أتينا النخاس فقلت يرحمك الله عندك غلام تبيعه منا للخدمة قال نعم عندى مائة غلام للبيع فجعل يعرض علينا غلاما بعد غلام حتى عرض علينا سبعين غلاما فلم ألق حبيبى فيهم فقال عودا إلى فى غير هذا الوقت فلما أردنا الخروج من عنده دخلنا حجرة خربة خلف داره وإذا بالأسود قائم يصلى فقلت حبيبى ورب الكعبة فجئت إلى النخاس فقلت له يعنى هذا الغلام فقال يا أبا يحيى هذا الغلام ليست له همة فى الليل إلا البكاء وفى النهار إلا الخلوة والوحدة فقلت له لا بد من أخذه منك ولك الثمن وما عليك منه فدعاه فجاء وهو يتناعس فقال خذه بما شئت بعد أن تبرئنى من عيوبه كلها فاشتريته منه بعشرين ديناراً وقلت ما اسمك قال ميمون فأخذت بيده أريد المنزل فالتفت إلى وقال يا مولاى الصغير لماذا اشتريتنى وأنا لا أصلح لخدمة المخلوقين فقلت له والله يا سيدى انما اشتريتك لأخدمك بنفسى قال ولم ذلك فقلت ألست صاحبنا البارحة بالمصلى قال بلى وقد اطلعت على ذلك قلت نعم وأنا الذى عارضتك البارحة فى الكلام بالمصلى قال فجعل يمشى حتى أتى إلى مسجد فاستأذننى ودخل المسجد فصلى فيه ركعتين خفيفتين ثم رفع طرفه إلى السماء وقال إلهى وسيدى ومولاى سر كان بينى وبينك

دفنت مالك تحت الشجرة فنسيت فتذكره إذا رأيت الشجرة فمضى الرجل مسرعا فقال إياس للرجل المدعى عليه اقعد حتى يرجع خصمك فجلس وإياس يقضى بين الناس ونظر إليه بعد ذلك ثم قال له يا هذا أترى صاحبك بلغ موضع الشجرة التى ذكرها قال لا فقال له والله يا عدو الله انك لخائن فقال أقلنى أقالك الله يا أمير المؤمنين فأمر من يحتفظ به حتى جاء الرجل فقال إياس قد أقر بحقك فخذه (ومن لطائف المنقول من كتاب الأذكياء) أن يحيى بن أكثم القاضى ولى القضاء بالبصرة وسنه عشرون سنة فاستصغره أهل البصرة فقال أحدهم كم سن القاضى فعلم يحيى أنه استصغره فقال أنا أكبر من عتاب بن أسيد حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على أهل مكة يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل حين وجه به رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على أهل اليمن وأنا أكبر من كعب بن سور حين ولاه عمر بن الخطاب قاضيا على أهل البصرة قال فعظم فى أعين أهل البصرة وهابوه (ومن المنقول من كتاب الأذكياء) أن بعض اللصوص دخل بيته ومعه جماعة تحت أمره ونهيه فى القتل والسرقة فظفروا بصاحب البيت وأوقفوه للقتل فتدخل عليهم فى ابقاء مهجته وأخذ ما فى البيت بكماله فقال كبيرهم حلفوه بالطلاق الثلاث وعلى المصحف انه لا يعلم بهم أحدا فأصبح الرجل يرى اللصوص يبيعون متاعه فلا

وبينك اطلعت عليه غيرك فكيف يطيب الآن عيشي أقسمت عليك بك إلا ماقبضتني إليك الساعة ثم سجد فانتظرته ساعة فلم يرفع رأسه فجئت إليه وحركته فاذا هو قد مات رحمة الله تعالى عليه قال فمددت يديه ورجليه فاذا هو ضاحك مستبشر وقد غلب البياض على السواد ووجهه كالقمر ليلة البدر وإذا شاب قد دخل من الباب وقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أعظم الله أجورنا وأجوركم في أخينا ميمون هاكم الكفن فناولني ثوبين مارأيت مثلهما قط فغسلناه وكفناه فيهما ودفناه قال مالك ابن دينار فبقبره نستسقي إلى الآن ونطلب الحوائج من الله تعالى رحمة الله عليه (وحكي) عن حذيفة المرعشي رضي الله عنه وكان قد خدم إبراهيم الخواص رضي الله عنه وصحبه مدة فقيل له ما أعجب مارأيت منه فقال بقينا في طريق مكة أياما لم نأكل طعاما فدخلنا الكوفة فأوينا إلى مسجد خرب فنظر إلى إبراهيم وقال ياحذيفة أرى بك أثر الجوع فقلت هو كما ترى فقال علي بدواة وقرطاس فأحضرتهما إليه فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود بكل حال والمشار إليه بكل معنى ثم قال:

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر ... أنا جائع أنا ضائع أنا عاري
هي ستة وأنا الضمين لنصفها ... فكن الضمين لنصفها ياباري
مدحي غيرك لهب نار خضتها ... فأجر عبيدك من لهيب النار

قال حذيفة ثم دفع إلي الرقعة وقال اخرج بها ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفعها إلى أول من يلقاك قال فخرجت فأول من لقيني رجل على بغلة فناولته الرقعة فأخذها فقرأها وبكى وقال ما فعل بصاحب هذه الرقعة قلت هو في المسجد الفلاني فدفع إلي صرة فيها ستمائة درهم فأخذتها ومضيت فوجدت رجلا فسألته من هذا الراكب على البغلة فقال هو رجل نصراني قال فجئت إبراهيم وأخبرته بالقصة فقال لاتمس الدراهم فان صاحبها يأتي الساعة فلما كان بعد الساعة أقبل النصراني راكبا على بغلته فترجل على باب المسجد ودخل فأكب على إبراهيم يقبل رأسه ويديه ويقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله قال فبكى إبراهيم الخواص فرحا به وسرورا وقال الحمد لله الذي هداك للإسلام وشريعة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام (وحكي) أن بعضهم كان ملاحا ببحر النيل المبارك بمصر قال كنت أعدي من الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي ومن الجانب الشرقي إلى الجانب الغربي فبينما أنا ذات يوم في الزورق إذا بشيخ مشرق الوجه عليه مهابة فقال السلام عليكم فرددت عليه السلام فقال أتحملني إلى الجانب الغربي لله تعالى فقلت نعم فطلع إلى الزورق وعديت به الجانب الغربي وكان على ذلك الفقير مرقعة وبيده ركوة وعصا فلما أراد الخروج من الزورق قال اني أريد ان أحملك امانة قلت وماهي قال إذا كان غدا وقت الظهر تجدني عند تلك الشجرة ميتا وستنسى فاذا ألهمت فأتني وغسلني وكفني في الكفن الذي تجده عند رأسي وصل علي وادفني تحت الشجرة وهذه المرقعة والعصا والركوة يأتيك من يطلبها منك فادفعها إليه ولا تحتقره قال الملاح ثم ذهب وتركني فتعجبت من قوله وبت تلك الليلة فلما أصبحت انتظرت الوقت الذي قال لي فلما جاء وقت الظهر نسيت فما تذكرت الا قريب العصر فسرت بسرعة فوجدته تحت الشجرة ميتا ووجدت كفنا جديدا عند رأسه تفوح منه رائحة المسك فغسلته وكفنته فلما فرغت من غسله حضر عندي جماعة عظيمة لم أعرف منهم أحدا فصلينا عليه ودفنته تحت الشجرة كما عهد إلي ثم عدت إلى الجانب الشرقي وقد دخل الليل فنمت فلما طلع الفجر وبانت

يقدر أن يتكلم لأجل اليمين فجاء إلى أبي حنيفة وأعلمه بحاله فقال له احضر أكابر حيك وأخبرت جيرانك وإمام جماعتك فلما حضروا قال لهم أبو حنيفة هل تحبون أن يرد الله على هذا الرجل متاعه قالوا نعم فقال اجمعوا داعريكم فادخلوهم الجامع ثم اخرجوهم واحدا واحدا وكلما خرج منهم واحد قولوا هذا لصك فان كان ليس بلصه قال لا وان كان لصه فليسكت فاذا سكت فاقبضوا عليه ففعلوا ذلك فرد الله عليه ماسرق له (ومنه) ان الربيع صاحب المنصور كان يعادي أبا حنيفة فحضر يوما عند أمير المؤمنين فقال الربيع يا أمير المؤمنين ان أبا حنيفة يخالف جدك ابن عباس وكان جدك يقول إذا حلف الرجل على شيء ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو بيومين كان ذلك جائزا وأبو حنيفة لايجوز ذلك الا متصلا باليمين فقال أبو حنيفة يا أمير المؤمنين ان الربيع يزعم ان ليس لك في رقاب جندك عهد قال كيف ذلك قال يحلفون لك ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم فضحك المنصور وقال ياربيع لاتتعرض لأبي حنيفة (ومنه) أن الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه قال دخلت البادية فاحتجت إلى الماء فجاءني اعرابي ومعه قربة ملآنة فأبى ان يبيعها الا بخمسة دراهم فدفعتها له ثم أخذت القربة فقلت ما رأيك يا اعرابي في السويق فقال هات فأعطيته سويقا ملتوتا بزيت فجعل يأكل حتى امتلأ ثم عطش فقال علي بشربة فقلت بخمسة دراهم

الوجود إذا أنا بشاب قد أقبل على فحققت النظر فى وجهه فاذا هو من صبيان الملاهى كان يخدمهم فأقبل وعليه ثياب رقاق وهو مخضوب الكفين وطاره تحت إبطه فسلم على فرددت عليه السلام فقال ياملاح أنت فلان ابن فلان قلت نعم قال هات الوديعة التى عندك قلت ومن أين لك هذا قال لا تسأل فقلت لابد أن تخبرنى فقال لا أدرى الا أن البارحة كنت فى عرس فلان التاجر فسهرنا نرقص ونغنى إلى أن ذكر الله الذاكرون على المآذن فنمت لأستريح وإذا برجل قد أيقظنى وقال ان الله تعالى قد قبض فلانا الولى وأقامك مقامه فسر إلى فلان بن فلان صاحب الزورق فان الشيخ أودع لك عنده كيت وكيت قال فدفعتها له فخلع أثوابه الرقاق ورمى بها فى الزورق وقال تصدق بها على ماشئت وأخذ الركوة والعصا ولبس المرقعة وسار وتركنى أتحرق وأبكى لما حرمت من ذلك وأقمت يومى ذلك أبكى إلى الليل ثم نمت فرأيت رب العزة جل جلاله فى النوم فقال يا عبدى أثقل عليك ان مننت على عبد عاص الرجوع إلى انما ذلك فضلى أوتيه من أشاء من عبادى وأنا ذو الفضل العظيم (وحكى) أبو إسحق الصعلوكى قال خرجت سنة إلى الحج فبينما أنا فى البادية تائه وقد جن الليل وكانت ليلة مقمرة إذ سمعت صوت شخص ضعيف يقول يا إسحق قد انتظرتك من الغداة فدنوت منه فاذا هو شاب نحيف الجسم قد أشرف على الموت وحوله رياحين كثيرة منها ما اعرف ومنها ما لا أعرف فقلت له من أنت ومن أين أنت قال من مدينة شمشاط كنت فى عز ورفعة فطالبتنى نفسى بالغربة والعزلة فخرجت وقد أشرفت الآن على الموت فدعوت الله تعالى أن يقيض لى وليا من أوليائه وأرجو أن تكون أنت هو فقلت ألك حاجة قال نعم لى والدة وإخوة وأخوات فقلت هل اشتقت اليهم قط قال لا إلا اليوم أشفقت أن أشم ريحهم فهممت أريدهم فاحتوشتنى السباع والهوام وبكين معى وحملوا إلى هذه الرياحين متى تراها قال أبو اسحق فبينما أنا معه يرق له قلبى وإذا بحية عظيمة فى فيها باقة نرجس كبيرة فقالت دع ولى الله تعالى فان الله تعالى يغار على أوليائه فغشى عليه وغشى على فما أفقت الا وهو قد خرجت روحه رحمه الله قال فدخلت مدينة شمشاط بعدما حججت فاستقبلتنى امرأة بيدها ركوة ما رأيت أشبه بالشاب منها فلما رأتنى نادت يا اسحق ما شأن الشاب الغريب الذى مات غريبا فانى منتظرتك منذ كذا فذكرت لها القصة إلى ان قلت أشم ريحهم فصاحت أواه أواه قد بلغ والله الشم ثم شهقت شهقة خرجت روحها فخرج اليها بنات أتراب عليهن مرقعات ومروط فكفلن أمرها وتولين دفنها وهن مستترات رضوان الله على الجميع (شعر)

يا نسيما هب من وادى قبا ... خبرينى كيف حال الغربا
كم سألت الدهر ان يجمعنا ... مثل ما كنا عليه فأبى

(حكى) أن رجلا كان يعرف بدينار العيار وكان له والدة صالحة تعظه وهو لا يتعظ فمر فى بعض الأيام بمقبرة فأخذ منها عظما فتفتت فى يده ففكر فى نفسه وقال ويحك يا دينار كأنى بك وقد صار عظمك هكذا رفاتا والجسم ترابا فندم على تفريطه وعزم على التوبة ورفع رأسه إلى السماء وقال إلهى وسيدى القيت اليك مقاليد أمرى فاقبلنى وارحمنى ثم أقبل نحو أمه متغير اللون منكسر القلب فقال يا أماه ما يصنع بالعبد الآبق إذا أخذه سيده قالت يخشن ملبسه ومطعمه ويغل يديه وقدميه فقال أريد جبة من صوف وأقراصا من شعير وغلين وافعلى بى كما يفعل بالعبد الآبق لعل مولاى يرى ذلى فيرحمنى ففعلت به ما أراد فكان إذا جن عليه الليل أخذ فى البكاء والعويل ويقول لنفسه ويحك يا دينار ألك قوة على النار كيف تعرضت لغضب الجبار ولا يزال كذلك إلى الصباح فقالت له أمه يابنى ارفق بنفسك

قدح من ماء فاستردت الخمسة وبقى الماء (ومنه) أنه استودع رجل بالكوفة رجلا مالا وحج ورجع فطالبه فجحده وجعل يحلف له فانطلق الرجل إلى أبى حنيفة فخلا به وأخبره بذلك فقال له الإمام لا تكلم أحدا بجحوده وكان الرجل يجالس أبا حنيفة فقال وقد خلا لهم المكان أن هؤلاء بعثوا يستشيروننى فى رجل يصلح للقضاء وقد اخترتك فانصرف من عند الإمام فجاء صاحب الوديعة فقال له الإمام ارجع إلى صاحبك وذكره لاحتمال أن يكون ناسيا فذهب اليه وسأله فلم يحتج معه إلى علامة بل دفع اليه متاعه وتوجه بعد ذلك إلى أبى حنيفة فقال له أبو حنيفة انى نظرت فى أمرك فأردت أن أرفع قدرك ولا أسميك حتى يحضر ما هو أنفس من هذا (ومنه) أنه كان بجوار أبى حنيفة شاب يغشى مجلسه فقال له يوما من الأيام يا إمام أريد التزويج إلى فلانة من أهل الكوفة وقد خطبتها من وليها فطلب منى من المهر فوق وسعى وطاقتى فقال أبو حنيفه فاستخر الله تعالى وأعطهم ما طلبوه فلما عقدوا النكاح جاء إلى أبى حنيفة فقال انى سألتهم أن يأخذوا منى البعض ويدعوا البعض عند الدخول فأبوا فما ترى قال احتل واقترض حتى تدخل بأهلك فان الأمر يكون أسهل عليك من تعقيدهم ففعل ذلك فلما زفت اليه ودخل بها قال أبو حنيفة فقال ما عليك أن تظهر الخروج بأهلك عن هذا البلد إلى موضع بعيد فاكترى الرجل جملين وأحضر آلة السفر وما يحتاج اليه وأظهر أنه يريد

الخروج من البلد في طلب المعاش وأن يصحب أهله معه فاشتد ذلك على أهل المرأة وجاؤا إلى أبي حنيفة يستفتونه فقال لهم أبو حنيفة
له أن يخرجها إلى حيث شاء فقالوا لم نصبر على ذلك فقال أرضوه بأن تردوا عليه ما أخذتم منه فأجابوه إلى ذلك
فقال أبو حنيفة للفتى أن القوم قد سمعوا وأجابوا إلى أن يردوا عليك ما أخذوا منك من المهر ويبروك فقال الفتى لابد من زيارة آخذها منهم فقال أبو حنيفة أيما أحب إليك أن ترضى بما بذلوا لك وإلا أقرت المرأة لرجل بدين عليها ولا يمكنك حملها ولا السفر بها حتى يقضي ما عليها من الدين قال فقال الفتى الله الله يا إمام لا يسمع أحد منهم بذلك ثم أجاب وأخذ ما بذلوه من المهر (ومنه) أن رجلا جاء إلى أبي حنيفة وقال يا إمام دفنت مالا من مدة طويلة ونسيت الموضع الذي دفنته فيه فقال الإمام ليس في هذا فقه فأحتال لك ولكن اذهب فصل الليلة إلى الغداة فإنك ستذكره إن شاء الله تعالى ففعل فلم يمض إلا أقل من ربع الليل حتى ذكر الموضع الذي دفن فيه فجاء إلى أبي حنيفة فأخبره فقال قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلي الليل كله فهلا تممت ليلتك كلها شكرا لله تعالى (ومنه) أن بعضهم كانت له
زوجة جميلة وكان يحبها حبا شديدا وتبغضه بغضا شديدا ولم تزل المنافرة بينهما البتة واضجره ذلك وطالت مدة تجرئها عليه في
الكلام فقال لها يوما أنت طالق ثلاثا بتاتا أن خاطبتيني بشيء ولم أخاطبك بشيء مثله فقالت له في الحال أنت طالق ثلاثا بتاتا فأبلس

فقال دعيني أتعب قليلا لعلي أستريح طويلا يا أماه ان لي غدا موقفا طويلا بين يدي رب جليل ولا أدري أيؤمر بي إلى ظل ظليل أو إلى شر مقيل قالت يا بني خذ لنفسك راحة قال لست للراحة أطلب كأنك يا أماه غدا بالخلائق يساقون إلى الجنة وأنا أساق إلى النار مع أهلها فتركته وما هو عليه فأخذني البكاء والعبادة وقراءة القرآن فقرأ في بعض الليالي فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ففكر فيها وجعل يبكي حتى غشي عليه فجاءت أمه إليه فنادته فلم يجبها فقالت له يا حبيبي وقرة عيني أين الملتقى فقال بصوت ضعيف يا أماه ان لم تجديني في عرصات القيامة فاسألي مالكا خازن النار عني ثم شهق شهقة فمات رحمه الله تعالى فغسلته أمه وجهزته وخرجت تنادي أيها الناس هلموا إلى الصلاة على قتيل النار فجاء الناس من كل جانب فلم ير أكثر جمعا ولا أغزر دمعا من ذلك اليوم فلما دفنوه نام بعض أصدقائه تلك الليلة فرآه يتبختر في الجنة وعليه حلة خضراء وهو يقرأ الآية فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ويقول وعزته وجلاله سألني ورحمني وغفر لي وتجاوز عني ألا أخبروا عني والدتي بذلك
(وحكى) عن الحسن البصري قال نزل سائل بمسجد فسأل الناس أن يطعموه كسرة فلم يطعموه فقال الله تعالى لملك الموت اقبض روحه فإنه جائع فقبض روحه فلما جاء المؤذن رآه ميتا فأخبر الناس بذلك فقاموا ونووا على دفنه فلما دخل المؤذن المسجد وجد الكفن في المحراب مكتوبا عليه هذا الكفن مردود عليكم بئس القوم أنتم استطعمكم فقير فلم تطعموه حتى مات جوعا من كان من أحبابنا لا نكله إلى غيرنا (وحكى) أبو علي المصري قال كان لي جار شيخ يغسل الموتى فقلت له يوما حدثني بأعجب ما رأيت من الموتى فقال جاءني شاب في بعض الأيام مليح الوجه حسن الثياب فقال لي أتغسل لنا هذا الميت قلت نعم فتبعته حتى أوقفني على باب فدخل هنيهة فإذا بجارية هي أشبه الناس بالشاب قد خرجت وهي تمسح عينيها فقالت أنت الغاسل قلت نعم قالت بسم الله ادخل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فدخلت الدار وإذا بالشاب الذي جاءني يعالج سكرات الموت وروحه في لبته وقد شخص بصره وقد وضع كفنه وحنوطه عند رأسه فلم أجلس إليه حتى قبض فقلت سبحان الله هذا ولي من أولياء الله تعالى حيث عرف وقت وفاته فأخذت في غسله وأنا أرتعد فلما أدرجته أتت الجارية وهي أخته فقبلته وقالت أما إني سألحق بك عن قريب فلما أردت الانصراف شكرت لي وقالت أرسل إلى زوجتك إن كانت تحسن ما تحسنه أنت فارتعدت من كلامها وعلمت أنها لاحقة به فلما فرغت من دفنه جئت أهلي فقصصت عليها القصة وأتيت بها إلى تلك الجارية فوقفت بالباب فاستأذنت فقالت بسم الله تدخل زوجتك فدخلت زوجتي وإذا بالجارية مستقبلة القبلة وقد ماتت فغسلتها زوجتي وأنزلتها على أخيها رحمة الله عليهما (شعر)

أأحبابنا بنتم عن الدار فاشتكت ... لبعدكم آصالها وضحاها
وفارقتم الدار الأنيسة فاستوت ... رسوم مبانيها وفاح كلاها
كأنكم يوم الفراق رحلتم ... بنومي فعيني لا تصيب كراها
وكنت شحيحا من دموعي بقطرة ... فقد صرت سمحا بعدكم بدماها
يراني بساما خليلي يظن بي ... سرورا وأحشاء السقام ملاها
وكم ضحكة في القلب منها حرارة ... يشب لظاها لو كشفت غطاها
رعى الله أياما يطيب حديثكم ... تقضت وحياها الحيا وسقاها
فما قلت أيها بعدها لمسافر ... من الناس إلا قال قلبي آها

(وحكى) سري السقطي رحمه الله تعالى قال أرقت ليلة ولم أقدر على النوم فلما طلع الفجر صليت فلما

الرجل ولم يدر ما يجيب وخاف فى جوابها من وقوع الطلاق وأرشد إلى أبى جعفر الطبرى فأخبره بما جرى فقال له إذا طالبتك بالجواب فقل لها أنت طالق بتاتا إن أنا طلقتك فتكون قد خاطبتها ووفيت بيمينك (ومنه) ما قيل إن ذا النون المصرى كان يعرف الاسم الاعظم قال يوسف بن الحسن لما تحققت منه ذلك قصدت مصر وخدمته سنة ثم قلت له يرحمك الله انى قد خدمتك ووجب حقى عليك واشتهى ان تعلمنى اسم الله الأعظم فلا تجد له موضعا مثلى قال فسكت ولم يجبنى ستة أشهر وأوما إلى أنه يعلمنى ثم أخرج من بيته طبقا ومكبة وقد شدا بمنديل وكان ذو النون يسكن الجيزة فقال تعرف فلانا صديقنا من الفسطاط قلت نعم قال فأحب أن تؤدى هذا إليه قال فأخذت الطبق وهو مشدود وجعلت أمشى طول الطريق وأقول مثل ذى النون يوجه إلى فلان بهدية ترى أى شىء هى فلم أصبر أن بلغت الجسر فحللت المنديل ورفعت المكبة فاذا فأرة نفرت من الطبق وفرت فاغتظت غيظا شديدا وقلت ذو النون المصرى يسخر بى ويوجه مع مثلى فأرة فرجعت على ذلك الغيظ فلما رآنى علم ما فى وجهى فقال يا أحمق ائتمنتك على فأرة فخنتنى فكيف أأتمنك على اسم الله الأعظم فسرعنى فلا أراك بعدها (ومن ذلك ما هو منقول عن الافراط فى ذكاء العرب) قيل سار مضر وربيعة وإياد وانمار أولاد نزار بن معد إلى أرض نجران فبينما هم

أصبحت دخلت المارستان فإذا أنا بجارية مقيدة مغلولة وهى تقول .

تغل يدى إلى عنقى . وما خانت وما سرقت . وبين جوانحى كبد . أحس بها قد احترقت

قال فقلت للقيم ما هذه الجارية قال هذه جارية اختل عقلها فحبست لعلها تصلح فلما سمعت كلامه تبسمت وقالت .

معشر الناس ما جننت ولكن أنا سكرانة وقلبى صاحى
لم غللتم يدى ولم آت ذنبا غير هتكى فى حبه وافتضاحى
أنا مفتونة بحب حبيب لست أبغى عن بابه من براح
ما على من أحب مولى الموالى وارتضاه لنفسه من جناح

قال فلما سمعت كلامها بكيت بكاء شديدا فقالت ياسرى هذا بكاؤك من الصفة فكيف لو عرفته حق المعرفة قال فبينما هى تكلمنى إذ جاء سيدها فلما رآنى عظمنى فقلت والله هى أحق منى بالتعظيم فلم فعلت بها هذا وقال لتقصيرها فى الخدمة وكثرة بكائها وشدة حنينها وأنينها كأنها ثكلى لا تنام ولا تدعنا ننام وقد اشتريتها بعشرين ألف درهم لصناعتها فإنها مطربة قلت فما كان بدء أمرها قال كان العود فى حجرها يوما فجعلت تقول .

وحقك لا نقضت الدهر عهدا ولا كدرت بعد الصفو ودا
ملأت جوانحى والقلب وجدا فكيف اقر ياسكنى واهدا
فيا من ليس لى مولى سواه تراك رضيتنى بالباب عبدا

فقلت لسيدها اطلقها وعلى ثمنها فصاح واففقراه من أين لك عشرون ألفا ياسرى فقلت لا تعجل على فقال تكون فى المارستان حتى توفينى ثمنها فقالت نعم قال سرى فانصرفت وعينى تدمع وقلبى يخشع وأنا والله ما عندى درهم من ثمنها فبت طول ليلتى أتضرع إلى الله تعالى فإذا بطارق الباب ففتحت ودخل على رجل ومعه ستة من الخدم ومعهم خمس بدر فقال أتعرفنى ياسرى قلت لا قال أنا أحمد بن المثنى كنت نائما فهتف بى هاتف وقال لى يا أحمد هل لك فى معاملتنا فقلت ومن أولى منى بذلك فقال احمل إلى سرى السقطى خمس بدر من أجل الجارية الفلانية فإن لنا بها عناية قال سرى فسجدت لله شكرا وجلست أتوقع طلوع الفجر فلما طلع صلينا وذكرنا وانصرفنا نحوها فسمعناها تقول

قد تصبرت إلى أن . عيل من حبك صبرى . ضاق من غلى وقيدى . وامتهانى منك صدرى
ليس يخفى عنك أمرى . يا منى قلبى وذخرى . أنت قد تعتق رقى . وتفك اليوم أسرى

قال سرى فبينما أنا أسمعها وإذا بمولاها قد جاء وهو يبكى فقلت لا بأس عليك قد جئناك برأس مالك وربح عشرة آلاف درهم فقال والله لا فعلت ذلك قلت نزيدك قال والله لو أعطيتنى ما بين الخافقين ما فعلت وهى حرة لوجه الله تعالى قال فتعجبت من ذلك وقلت ما كان هذا كلامك بالأمس فقال حبيبى لا توبخنى فالذى وقع لى من التوبيخ كفانى وأشهدك أنى قد خرجت من جميع مالى صدقة فى سبيل الله تعالى وانى هارب إلى الله تعالى فبالله لا تردنى عن صحبتك فقلت نعم ثم التفت فرأيت صاحب المال يبكى فقلت ما يبكيك قال يا أستاذى ما قبلنى مولاى لما ندبنى إليه وردت على ما بذلت أشهدك انى قد خرجت من جميع ما أملكه لله تعالى فى سبيل الله وكل عبد أملكه وجارية احرار لوجه الله تعالى قال سرى فقلت ما أعظم بركتك يا جارية قال فنزعنا الغل من عنقها والقيد من رجلها وأخرجناها من المارستان فنزعت ما كان عليها من ناعم الثياب ولبست خمارا من صوف

ومدرعة

ومدرعة من شعر وولت قال سرى فتوجهت أنا ومولاها وصاحب المال إلى مكة فبينما نحن نطوف إذ سمعنا صوتا فتبعناه فإذا هى امرأة كالخيال فلما رأتنى قالت السلام عليك ياسرى فقلت لها وعليك السلام ورحمة الله وبركاته من أنت فقالت لا إله إلا الله وقع الشك بعد المعرفة فتأملتها فإذا هى الجارية فقلت لها ماالذى أفادك الحق بعد انفرادك عن الخلق فقالت انسى به ووحشتى من غيره ثم توجهت إلى البيت وقالت إلهى كم تخلفنى فى دار لا أرى فيها أنيسا قد طال شوقى إليك فعجل قدومى عليك ثم شهقت شهقة وخرت ميتة رحمة الله تعالى عليها فلما نظر إليها مولاها بكى وجعل يدعو ويضعف كلامه إلى أن خر إلى جانبها ميتا رحمة الله عليه فدفناهما فى قبر واحد (شعر) .

بحرمة ماقدكان بينى وبينكم ... من الود الاما رجعتم إلى وصل ... ولا تحرمونى نظرة من جمالكم
فلن تجدوا عبداً ذليلا لكم مثلى ... فوالله مايهوى فؤادى سواكم ... ولو رشقوه بالأسنة والنبل

(وحكى) أنه كان فى زمن بنى إسرائيل رجل من العباد الموصوفين بالزهد وكان قد سخر الله له سحابة تسير معه حيث يسير فاعتراه فتور فى بعض الأيام فأزال عنه سحابته وحجب اجابته فكثر لذلك حزنه وشجونه وطال كمده وأنينه ومازال يشتاق إلى زمن الكرامة ويبكى ويتأسف ويتحسر ويتلهف فقام ليلة من الليالى فصلى ماشاء الله وبكى وتضرع ودعا الله تعالى ونام فقيل له فى المنام إذا أردت أن يرد الله تعالى عليك سحابتك فائت الملك الفلانى فى بلد كذا واسأله أن يدعو الله لك أن يرد عليك سحابتك قال فسار الرجل يقطع الأرض حتى وصل إلى تلك البلد التى ذكرت له فى المنام فدخلها وسأل من يرشده إلى قصر الملك فجاء إلى القصر وإذا عند بابه غلام جالس على كرسى عظيم من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر والناس بين يديه يسألونه حوائجهم وهو يصرف الناس فوقف الرجل الصالح بين يديه وسلم عليه فقال له الغلام من أين أنت وماحاجتك فقال من بلاد بعيدة وقصدى الاجتماع بالملك فقال له الغلام لاسبيل لك إليه اليوم فسل حاجتك اقضها لك ان استطعت فقال ان حاجتى لايقضيها إلا الملك فقال له الغلام ان الملك ليس له إلا يوم واحد فى الجمعة يجتمع إليه الناس فيه فاذهب حتى يأتى ذلك اليوم فانصرف الرجل إلى مسجد داثر وأقام يعبد الله تعالى فيه وأنكر على الملك لاحتجابه عن الناس فلما كان ذلك اليوم الذى يجلس فيه الملك جاء إلى القصر فوجد خلقا كثيراً عند الباب ينتظرون الاذن فوقف مع جملة الناس فلما خرج الوزير أذن للناس فى الدخول فدخل أرباب الحوائج ودخل صاحب السحابة معهم وإذا بالملك جالس وبين يديه أرباب دولته على قدر مراتبهم فجعل رأس النوبة يقدم الناس واحداً بعد واحد حتى وصلت النوبة لصاحب السحابة فلما نظر اليه الملك قال مرحبا بصاحب السحابة اجلس حتى أفرغ من حوائج الناس وانظر فى أمرك قال فتحير صاحب السحابة فى أمره فلما فرغ الملك من حوائج الناس قام من مجلسه فأخذ بيد صاحب السحابة وأدخله معه إلى قصره ثم مشى به فى دهليز القصر فلم يجد فى طريقه الا مملوكا واحداً فسار حتى انتهى إلى باب من جريد وإذا به بناء مهدوم وحيطان مائلة وبيت خرب فيه برش وليس هناك مايساوى عشرة دراهم الا سجادة خلقة وقدح للوضوء وحصير رثة وشىء من الخوص فانخلع الملك من ثياب الملك ولبس مرقعة من صوف وجعل على رأسه قلنسوة من شعر ثم جلس وأجلس صاحب السحابة ونادى يافلانة قالت لبيك قال أتدرين من هو الليلة ضيفنا قالت نعم هو صاحب السحابة فدعا بها لحاجة فخرجت فاذا هى امرأة كالشن البالى عليها مسح من شعر خشن وهى شابة صغيرة قال الرجل فالتفت

يسيرون إذ رأى مضر كلأ قد رعى فقال البعير الذى رعى هذا أعور فقال ربيعة وهو أزور وقال اياد وهو أبتر وقال إنمار وهو شرود فلم يسيروا إلا قليلا حتى لقيهم رجل على راحلة فسألهم عن البعير فقال مضر أهو أعور قال نعم قال ربيعة أهو أزور قال نعم قال اياد أهو أبتر قال نعم قال إنمار أهو شرود قال نعم والله هذه صفات بعيرى دلونى عليه فحلفوا أنهم مارأوه فلزمهم وقال فكيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيرى بصفته فساروا حتى قربوا نجران فنزلوا بالأفعى الجرهمى فنادى صاحب البعير هؤلاء القوم وصفوا لى بعيرى بصفته ثم أنكروه فقال الجرهمى كيف وصفتموه ولم تروه فقال مضر رأيته يرعى جانبا ويترك جانبا فعلمت أنه أعور وقال ربيعة رأيت احدى يديه ثابتة الأثر والاخرى فاسدة الأثر فعلمت أنه أفسدها بشدة وطئه لازوراره وقال اياد عرفت بتره باجتماع بعره ولو كان زيالا لتفرق وقال إنمار انما عرفت أنه شرود لأنه كان يرعى فى المكان الملتف نبته ثم يجوزه إلى مكان أرق منه وأخبث فقال الأفعى ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه ثم سألهم من هم فأخبروه فرحب بهم وأضافهم وبالغ فى اكرامهم (ومنه) أن عقبة الازدى كان مشهوراً بمعالجة الجن وصدق العزائم فأتوه بجارية قد جنت فى ليلة عرسها فعزم عليها فاذا هى قد سقطت فقال لأهلها اخلونى بها فأجابوه فلما خلا بها قال اصدقينى عن نفسك وعلى خلاصك فقالت انه كان لى

إلى الملك وقال يا أخي نطلعك على حالنا أو نقضي حاجتك و تنصرف فقلت والله لقد شغلني حالكما عما جئت بسببه فقال الملك الله يعلم أنه كان لي في الأمر آباء كرام صالحون يتوارثون المملكة كابرا عن كابر فلما توفوا إلى رحمة الله تعالى ووصل الأمر إلى بغض الله إلى الدنيا وأهلها فأردت أن أسيح في الأرض وأترك الناس ينظرون لهم من يسوس أمرهم فيملكونه عليهم فخفت عليهم دخول الفتنة وتضييع الدين والشرائع وتبديل شمل الدين فبايعوني وأنا والله كاره فتركت أمورهم على ما كانت عليه وجعلت السماط على عادته والحراس على حالها والمماليك على دأبها ولم أغير شيئا وأقعدت المماليك على الابواب بالسلاح أرهابا لأهل الشرور وردعا عن أهل الخيرات وتركت القصر مزينا على حاله وفتحت له بابا وهو الذي رأيته يوصلني إلى هذه الخربة فادخل فيها وأنزع ثياب الملك وألبس هذا وأضفر الخوص وأبيعه وأتقوت من ثمنه أنا وزوجتي هذه التي رأيتها وهي ابنة عمي زهدت في الدنيا كزهدي واجتهدت حتى صارت كالشن البالي والناس لا يعلمون ما نحن فيه ثم أني أقمت لي نائبا ينوب عني طول الجمعة وعلمت أني مسئول فجعلت لي يوما في الجمعة أبرز للناس فيه وأكشف عن مظالمهم كما رأيت وأنا على هذه الحالة مدة فأقم عندنا يرحمك الله حتى نبيع خويصاتنا ونبتاع من ثمنها طعاما وتفطر معنا وتبيت عندنا الليلة ثم تنصرف بحاجتك إن شاء الله تعالى فلما كان آخر النهار دخل علينا غلام خماسي العمر فأخذ ما عملاه من خوص وسار به إلى السوق فباعه واشترى من ثمنه خبزا وفولا واشترى بباقي ثمنه خوصا فلما كان عند الغروب أفطرا وأفطرت معهما وبت عندهما فقاما في نصف الليل يصليان ويبكيان فلما كان عند السحر قال الملك اللهم أن عبدك هذا يطلب منك رد سحابته وأنك قد دللته علينا اللهم اردده عليه انك على كل شيء قدير والمرأة تؤمن على دعائه وإذا بالسحابة قد طلعت من قبل السماء فقال لي الملك البشارة بقضاء حاجتك وتعجيل اجابتك قال فودعتهما وانصرفت والسحابة معي كما كانت فأنا بعد ذلك لا أسأل الله تعالى بسرهما شيئا إلا أعطاني إياه رحمة الله تعالى عليهما

(شعر)

استعمل الصبر تحظى بعده العسلا ... ولازم الباب حتى تبلغ الأملا ... ومرغ الخد في أعتابه سحرا
واحمل لمرضاته في الحب كل بلا ... فما يفوز بوصل يا أخي سوى ... صب لثقل الهوى والوجد قد حملا
هذا الحبيب ينادي في الدجى سحرا ... فانهض وكن رجلا بالسعي قد وصلا

(وحكي) عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال خرجت إلى مكة حاجا فبينما أنا سائر إذا رأيت شابا ساكتا لا يذكر الله تعالى فلما جن الليل رفع وجهه نحو السماء وقال يا من لا تسره الطاعات ولا تضره المعاصي هب لي ما لا يسرك واغفر لي ما لا يضرك ثم رأيته بذي الحليفة وقد لبس حرامه والناس يلبون وهو لا يلبي فقلت هذا جاهل فدنوت منه فقلت له يا فتى قال لبيك قلت لم لا تلبي فقال يا شيخ وما تغني التلبية وقد بارزته بذنوب سالفات وجرائم مكتوبات والله اني لأخشى ان أقول لبيك فيقول لا لبيك ولا سعديك لا أسمع كلامك ولا أنظر اليك فقلت له لا تقل ذلك فانه حليم إذا غضب رضي وإذا رضي لم يغضب وإذا وعد وفى ومتى توعد عفا فقال يا شيخ أتشير علي بالتلبية قلت نعم فبادر إلى الأرض واضطجع ووضع خده على التراب واخذ حجرا فوضعه على خده الآخر وأسبل دموعه وقال لبيك اللهم لبيك قد خضعت لك وهذا مصرعي بين يديك فأقام كذلك ساعة ثم مضى فما رأيته الا بمنى وهو يقول اللهم ان الناس قد ذبحوا ونحروا وتقربوا اليك وليس لي شيء اتقرب به اليك سوى نفسي فتقبلها مني ثم شهق

صديق وأنا في بيت أهلي وإنهم أرادوا أن يدخلوني على زوجي ولست ببكر لحصلت الفضيحة فهل عندك حيلة في أمري وقال نعم ثم خرج إلى أهلها فقال إن الجني أجابني إلى الخروج منها فاختاروا من أي عضو واعلموا أن العضو الذي يخرج منه الجني لابد أن يهلك ويفسد فإن خرج من عينها عميت وإن خرج من اذنها صمت وإن خرج من يدها شلت وإن خرج من رجلها زمنت وإن خرج من فرجها ذهبت بكارتها فقال أهلها انا لم نجد شيئا أهون من ذهاب عذرتها فاخرج الشيطان منه فأوهمهم انه فعل ذلك وأدخلت المرأة على زوجها (ومن ذلك) أن الإمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل رجلا على عمل فبلغه عنه أنه قال

اسقني شربة ألذ عليها ... واسق بالله مثلها ابن هشام

قال فاشخصه وعلم الرجل الحال فضم اليه بيتا آخر فلما قدم على الإمام قال أنت القائل

اسقني شربة ألذ عليها ... واسق بالله مثلها ابن هشام

قال نعم يا أمير المؤمنين ان لهذا البيت ثانيا وهو

عسلا باردا بماء سحاب ... انني لا أحب شرب المدام

فقال الإمام الله الله ارجع إلى عملك (ومن لطائف هزليات الأذكياء) أن الرشيد خرج متنزها فانفرد عن العسكر ومعه الفضل بن الربيع فاذا هو بشيخ ركب حمارا ضعيفا وهو رطب العينين فغمز الفضل عليه فقال له الفضل أين تريد يا شيخ؟ فقال حائطا لي قال هل أدلك على شيء تداوي

به عينيك تذهب هذه الرطوبة فقال ما أحوجني إلى ذلك فخذ عيدان الهواء وغبار الماء وورق الكماة فصير الجميع في قشر جوزة واكتحل من القشر فانه يذهب رطوبة عينيك فاتكأ الشيخ على ظهر حماره وضرط ضرطة طويلة ثم قال خذ هذه

شهق شهقة وخر ميتا رحمه الله تعالى عليه (وحكى) أنه كان بمدينة بغداد رجل يعرف بأبي عبد الله الأندلسي وكان شيخا لكل من بالعراق وكان يحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله ﷺ وكان يقرأ القرآن بجميع الروايات فخرج في بعض السنين إلى السياحة ومعه جماعة من أصحابه مثل الجنيد والشبلي وغيرهما من مشايخ العراق قال الشبلي فلم نزل في خدمته ونحن مكرمون بعناية الله تعالى إلى أن وصلنا إلى قرية من قرى الكفار فطلبنا ماء نتوضأ به فلم نجد فجعلنا ندور بتلك القرية وإذا نحن بكنائس وبها شمامسة وقساقسة ورهبان وهم يعبدون الأصنام والصلبان فتعجبنا منهم ومن قلة عقلهم ثم انصرفنا إلى بئر في آخر القرية وإذا نحن بجوار يستقين الماء على البئر وبينهم جارية حسنة الوجه ما فيهن أحسن ولا أجمل منها وفي عنقها قلائد الذهب فلما رآها الشيخ تغير وجهه وقال هذه ابنة من فقيل له هذه ابنة ملك هذه القرية فقال الشيخ فلم لا يدللها أبوها ويكرمها ولا يدعها تستقي الماء فقيل له أبوها يفعل ذلك بها حتى إذا تزوجها رجل أكرمته وخدمته ولا تعجبها نفسها فجلس الشيخ ونكس رأسه ثم أقام ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب ولا يكلم أحدا غير انه لا يؤدي الفريضة والمشايخ واقفون بين يديه ولا يدرون ما يصنعون قال الشبلي فتقدمت إليه وقلت له يا سيدي ان أصحابك ومريديك يتعجبون من سكوتك ثلاثة أيام وأنت ساكت لم تكلم أحدا فأقبل علينا وقال يا قوم اعلموا أن الجارية التي رأيتها بالأمس قد شغفت بها حبا واشتغل بها قلبي وما بقيت أقدر أفارق هذه الأرض قال الشبلي فقلت له يا سيدي أنت شيخ أهل العراق ومعروف بالزهد في سائر الآفاق وعدد مريديك اثنا عشر ألفا فلا تفضحنا وإياهم بحرمة الكتاب العزيز فقال يا قوم جرى القلم بما حكم ووقعت في بحار العدم وقد انحلت عني عرى الولاية وطويت عني أعلام الهداية ثم انه بكى بكاء شديدا وقال يا قوم انصرفوا فلقد نفذ القضاء والقدر فتعجبنا من أمره وسألنا الله تعالى أن يجيرنا من مكره ثم بكينا وبكى حتى أروى التراب ثم انصرفنا عنه راجعين إلى بغداد فخرج الناس إلى لقائه ومريدوه في جملة الناس فلم يروه فسألوا عنه فعرفناهم بما جرى فمات من مريديه جماعة كثيرة حزنا عليه وأسفا وجعل الناس يبكون ويتضرعون الى الله تعالى أن يرده عليهم وغلقت الرباطات والزوايا والخوانق ولحق الناس حزن عظيم فأقمنا سنة كاملة وخرجت مع بعض أصحابي نكشف خبره فأتينا القرية فسألنا عن الشيخ فقيل لنا انه في البرية يرعى الخنازير قلنا وما السبب في ذلك قالوا انه خطب الجارية من أبيها فأبى أن يزوجها الا من هو على دينها ويلبس العباءة ويشد الزنار ويخدم الكنائس ويرعى الخنازير ففعل ذلك كله وها هو في البرية يرعى الخنازير قال الشبلي فانصدعت قلوبنا وانهملت بالبكاء عيوننا وسرنا اليه وإذا به قائم قدام الخنازير فلما رآنا نكس رأسه وإذا عليه قلنسوة النصارى وفي وسطه زنار وهو متوكئ على العصا التي كان يتوكأ عليها إذا قام إلى المحراب فسلمنا عليه فرد علينا السلام فقلنا يا شيخ ماذاك وما هذه الكروب والهموم بعد تلك الأحاديث والعلوم فقال يا اخواني وأحبابي ليس لي من الأمر شيء سيدي تصرف في كيف شاء وحيث أراد أبعدني عن بابه بعد أن كنت من جملة أحبابه فالحذر الحذر يا أهل وداده من صده وابعاده والحذر الحذر يا أهل المودة والصفاء من القطيعة والجفاء ثم رفع طرفه الى السماء وقال يا مولاي ما كان ظني فيك هذا ثم جعل يستغيث ويبكي ونادى يا شبلي اتعظ بغيرك فنادى الشبلي بأعلى صوته بك المستعان وأنت المستغاث وعليك التكلان اكشف عنا هذه الغمة بحلمك فقد دهمنا أمر لا كاشف له غيرك قال فلما سمعت الخنازير بكاهم وضجيجهم

الضرطة أجرة وصفك فان نفعتنا زدناك فضحك الرشيد حتى كاد يسقط عن ظهر دابته (ومن الجد المفحم) أن رجلا من اليهود قال للامام علي رضي الله عنه ما دفنتم نبيكم حتى قال الأنصار منا أمير ومنكم أمير فقال الإمام أنتم ما جفت أقدامكم من ماء البحر حتى قلتم ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة (ومنه) أن المتوكل قال يوما لجلسائه نقم المسلمون على عثمان أشياء منها أن الإمام أبا بكر رضي الله عنه لما تسنم المنبر هبط عن مقام النبي صلى الله عليه وسلم بمرقاة ثم قام عمر دون مقام أبي بكر وصعد عثمان ذروة المنبر فقال عبادة ما أحد أعظم منة عليك من عثمان يا أمير المؤمنين قال وكيف ويلك قال لأنه صعد ذروة المنبر ولو أنه كلما قام خليفة نزل مرقاة ونزل عثمان كن تقدمه كنت أنت تخطبنا من بئر فضحك المتوكل ومن حوله (ومن المنقول عن أذكياء الأطباء) أن جارية من جواري الرشيد تمطت فلما أرادت أن تمد يدها لم تطق وحصل فيها الورم فصاحت وآلمها

 فشق على الرشيد وعجز الأطباء عن علاجها فقال له طبيب حاذق يا أمير المؤمنين لا دواء لها إلا أن يدخل اليها رجل أجنبي غريب فيخلو بها ويمرخها بدهن نعرفه فأجابه الخليفة إلى ذلك رغبة في عافيتها فأحضر الطبيب الرجل

والدهن وقال أريد أن أمير المؤمنين يأمر بتعريتها حتى يمرخ أعضاءها بهذا الدهن ففعل ذلك على الخليفه وأمره أن يفعل وأضمر في نفسه قتل الرجل وقال

للخادم خذه وأدخله عليها بعد أن تعريها فعريت الجارية وأقيمت فلما دخل عليها وقرب منها وسعى إليها أو مأ بيده إلى فرجها ليمسه غطت الجارية فرجها بيدها التي قد كانت عطلت حركتها ولشدة ما داخلها من الحياء والجزع حمي جسمها بانتشار الحرارة الغريزية فأعانها على ما أراد من تغطية فرجها واستعمال يدها في فرجها فلما غطت فرجها قال لها الرجل الحمد لله على العافية فأخذه الخادم وجاء به إلى الرشيد وأعلمه بالحال وما اتفق فقال الرشيد للرجل فكيف نعمل في رجل نظر إلى حرمنا فمد الطبيب يده إلى لحية الرجل فانتزعها فاذا هي ملصقة وإذا الشخص جارية وقال يا أمير المؤمنين ما كنت لأبذل حرمك الرجل ولكن خشية أن أكشف لك الخبر فيتصل بالجارية فتبطل الحيلة ولا يفيد العلاج لأني أردت أن أدخل على قلبها فزعا شديدا ليحمى طبعها ويقودها إلى تحريك يدها وتمشي الحرارة الغريزية في سائر أعضائها بهذه الواسطة فسر عن الرشيد ما كان وقر في صدره من الرجل وأجزل عطيته (ومن المنقول عن أذكياء المتطفلين) قال أبو عمر والجهضمي كان لي جار طفيلي وكان من أحسن الناس منظرا وأعذبهم منطقا وأطيبهم رائحة فكان من شأنه إذا دعيت إلى وليمة يتبعني فيكرمه الناس من أجلي ويظنون

أقبلت اليهم وجعلت تمرغ وجهها بين أيديهم وزعقت زعقة واحدة دويت منها الجبال قال الشبلي فظننت أن القيامة قد قامت ثم إن الشيخ بكى بكاء شديدا قال الشبلي فقلنا له هل لك أن ترجع معنا إلى بغداد فقال كيف لي بذلك وقد استرعيت الخنازير بعد أن كنت أرعى القلوب فقلت ياشيخ كنت تحفظ القرآن وتقرؤه بالسبع فهل بقيت تحفظ منه شيأ فقال نسيته كله إلا الآيتين فقلت وماهما قال قوله تعالى ومن يهن الله فماله من مكرم إن الله يفعل مايشاء والثانية قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل فقلت ياشيخ كنت تحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله ﷺ فهل تحفظ منها شيئا قال حديثا واحدا وهو قوله ﷺ من بدل دينه فاقتلوه قال الشبلي فتركناه وانصرفنا ونحن متعجبون من أمره فسرنا ثلاثة أيام وإذا نحن به أمامنا قد تطهر من نهر وطلع وهو يشهد شهادة الحق ويجدد اسلامه فلما رأيناه لم نملك أنفسنا من الفرح والسرور فنظر الينا وقال ياقوم أعطوني ثوبا طاهرا فأعطيناه ثوبا فلبسه ثم صلى وجلس فقلنا له الحمد لله الذي ردك علينا وجمع شملنا بك فصف لنا ماجرى لك وكيف كان أمرك فقال ياقوم لما وليتم من عندي سألته بالوداد القديم وقلت له يامولاي أنا المذنب الجاني فعفا عني بجوده وستره غطاني فقلنا له بالله نسألك هل كان لمحنتك من سبب قال نعم لما وردنا القريه وجعلتم تدورون حول الكنائس قلت في نفسي ماقدر هؤلاء عندي وأنا مؤمن موحد فنوديت في سري ليس هذا منك ولو شئت عرفناك ثم أحسست بطائر قد خرج من قلبي فكان ذلك الطائر هو الايمان قال الشبلي ففرحنا به فرحا شديدا وكان يوم دخولنا يوما عظيما مشهودا وفتحت الزوايا والرباطات والخوانق ونزل الخليفة للقاء الشيخ وأرسل اليه الهدايا وصار يجتمع عنده لسماع علمه أربعون ألفا وأقام على ذلك زمانا طويلا ورد الله عليه ما كان نسيه من القرآن والحديث وزاده على ذلك فبينما نحن جلوس عنده في بعض الأيام بعد صلاة الصبح وإذا نحن بطارق يطرق باب الزاوية فنظرت من الباب فاذا شخص ملتف بكساء أسود فقلت له ما الذي تريد فقال قل لشيخكم أن الجارية الرومية التي تركتها بالقرية الفلانية قد جاءت لخدمتك قال فدخلت فعرفت الشيخ فاصفر لونه وارتعد ثم أمر بدخولها فلما دخلت عليه بكت بكاء شديدا فقال لها الشيخ كيف كان مجيئك ومن أوصلك إلى ههنا قالت ياسيدي لما وليت من قريتنا جاءني من أخبرني بك فبت ولم يأخذني قرار فرأيت في منامي شخصا وهو يقول إن أحببت أن تكوني من المؤمنات فاتركي ماأنت عليه من عبادة الأصنام واتبعي ذلك الشيخ وادخلي في دينه فقلت ومادينه قال دين الاسلام قلت وماهو قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقلت كيف لي بالوصول اليه قال اغمضي عينيك واعطيني يدك ففعلت فمشى قليلا ثم قال افتحي عينيك ففتحتهما فاذا أنا بشاطىء الدجلة فقال امضي إلى تلك الزاوية واقرئي الشيخ مني السلام وقولي له ان أخاك الخضر يسلم عليك قال فأدخلها الشيخ إلى جواره وقال تعبدي ههنا فكانت أعبد أهل زمانها تصوم النهار وتقوم الليل حتى نحل جسمها وتغير لونها فمرضت مرض الموت وأشرفت على الوفاة ومع ذلك لم يرها الشيخ فقالت قولوا للشيخ يدخل علي قبل الموت فلما بلغ الشيخ ذلك دخل عليها فلما رأته بكت فقال لها لاتبكي فان اجتماعنا غدا في القيامة في دار الكرامة ثم انتقلت إلى رحمة الله تعالى فلم يلبث الشيخ بعدها إلا أياما قلائل حتى مات رحمة الله تعالى عليه قال الشبلي فرأيته في المنام وقد تزوج بسبعين حوراء وأول ماتزوج بالجارية وهما مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين

النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثاني والثلاثون في ذكر الاشرار والفجار وما يرتكبون من الفواحش والوقاحة والسفاهة)

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال قبل قيام الساعة يرسل الله ريحا باردة طيبة فتقبض روح كل مؤمن ويبقى شرار الخلق يتهارجون تهارج الحمير وعليهم تقوم الساعة وقال مالك ابن دينار رحمه الله تعالى كفى بالمرء شرا أن لا يكون صالحا ويقع في الصالحين وقال لقمان لابنه يا بني كذب من قال الشر يطفىء الشر فان كان صادقا فليوقد نارين ثم ينظر هل تطفىء احداهما الأخرى وانما يطفىء الماء النار ووصف بعضهم رجلا من أهل الشر فقال فلان عرى من حلة التقوى وعمي عنه طابع الهدى لا تثنيه يد المراقبة ولا تكفه خيفة المحاسبة وهو لدعائم دينه مضيع ولداعي شيطانه مطيع (شعر)

كأنه التيس قد أودى به هرم ... فلا لحم ولا صوف ولا ثمر

وقيل من فعل ما شاء لقي ما ساء. وقيل زنى رجل بجارية فأحبلها فقالوا يا عدو الله هلا إذا ابتليت بفاحشة عزلت قال قد بلغني ان العزل مكروه قالوا فما بلغك أن الزنا حرام وقيل لأعرابي كان يعشق قينة ما يضرك لو اشتريتها ببعض ما تنفق عليها قال فمن لي إذ ذاك بلذة الخلسة ولقاء المسارقة وانتظار الموعد. وقال ابو العيناء رأيت جارية مع النخاس وهي تحلف أن لا ترجع لمولاها فسألتها عن ذلك فقالت يا سيدي أنه يواقعني من قيام ويصلي من قعود ويشتمني باعراب ويلحن في القرآن ويصوم الخميس والاثنين ويفطر رمضان ويصلي الضحى ويترك الفرض فقلت لا أكثر الله المسلمين مثله. وكانت ظلة القوادة وهي صغيرة في المكتب تسرق دويات الصبيان وأقلامهم فلما شبت زنت فلما كبرت قادت وقال صاحب المسالك والممالك أن عامة ملوك الهند يرون الزنا مباحا خلا ملك قمار قال الزمخشري رحمه الله أقمت بقمار سنين فلم أر ملكا أغير منه وكان يعاقب على الزنا وشرب الخمر بالقتل وقمار ينسب اليها العود القماري كما ينسب إلى مندل قال مسكين الدارمي

ولا ذنب للعود القماري انه ... يحرق أن نمت عليه روائحه

وقال ابن عباس رضي الله عنهما عهدت الناس وهو أهم تبع لاديانهم وأن الناس اليوم اديانهم تبع لاهوائهم وقال رسول الله ﷺ حسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم

ماجاء في الوقاحة والسفاهة وذكر الغوغاء) قال رسول الله ﷺ ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت وفي ذلك قيل

إذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا ... وتستح مخلوقا فما شئت فاصنع

وقال ابن سلام العاقل شجاع القلب ولا أحمق شجاع الوجه وذم رجل قوما فقال وجوههم وأيديهم حديد أي وقاح بخلاء ووصف رجل وقحا فقال لودق الحجارة بوجهه لرضها ولو خلا بأستار الكعبة لسرقها قال الشاعر

لو أن لي من جلد وجهه رقعة ... لجعلت منها حافرا للاشهب

وقال آخر

إذا رزق الفتى وجها وقاحا ... تقلب في الامور كما يشاء

صحبتي له فاتفق ان جعفر بن القاسم الهاشمي أمير البصرة أراد أن يختن أولاده فقلت في نفسي كأني برسول الامير قد جاءني وكأني بالطفيلي قد تبعني والله لئن فعل لأفضحنه فأنا على ذلك اذ جاءني رسول الامير يدعوني فما زدت على أن لبست ثيابي وخرجت فاذا أنا بالطفيلي واقف على باب داره وقد سبقني فالتأهب فتقدمت وتبعني فلما حضرت الموائد كان معي على المائدة فلما مد يده ليأكل قلت حدثني درستة ابن زياد عن أبان بن طارق عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل دار قوم بغير اذنهم فأكل طعامهم دخل سارقا وخرج مغيرا فلما سمع الطفيلي ذلك قال انفت لك والله يا أبا عمرو من هذا الكلام على مائدة سيد من أطعم الطعام فانه ما من أحد من الجماعة الا هو يظن أنك تعرض به دون صاحبه وقد بخلت بطعام غيرك على من سواك ثم ما استحييت حتى حدثت عن درستة ابن زياد وهو ضعيف وعن أبان بن طارق وهو متروك الحديث والمسلمون على خلاف ما ذكرت فان حكم السارق القطع وحكم المغير أن يعزر على ما يراه الامام وأين أنت من حديث حدثناه أبو عاصم عن ابن جريج عن الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الاربعة وطعام الاربعة يكفي الثمانية وهو إسناد صحيح ومتن صحيح متفق عليه قال أبو عمرو والله لقد أفحمني ولم يحضرني جواب فلما خرجنا فارقني من جانب

وقالو أنو شروان أربعة قبائح وهي في أربعة أقبح البخل في الملوك والكذب في القضاة والحسد في العلماء والوقاحة في النساء ويقال من جسر أيسر ومن هاب خاب قال الشاعر

لا تكونن في الأمور هيوبا ... فإلى خيبة يصير الهيوب

وقال علي رضي الله عنه إذا هبت أمرا فقع فيه فان شر توقيه أعظم مما تخاف منه وقال رضي الله عنه الغوغاء إذا اجتمعوا ضروا وإذا افترقوا نفعوا فقيل قد علمنا مضرة اجتماعهم فما منفعة افتراقهم قال يرجع أهل المهن إلى مهنهم فينتفع الناس بهم كرجوع البناء إلى بنائه والنساج إلى منسجه والخباز إلى مخبزه وقال بعض السلف لا تسبوا الغوغاء فانهم يطفئون الحريق ويخرجون الغريق وقال الأحنف ما قل سفهاء قوم إلا ذلوا وقال حكيم لا يخرجن أحد من بيته إلا وقد أخذ في حجره قيراطين من جهل فان الجهل لا يدفعه إلا الجهل أراد السفه قال الشاعر

ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقيل الجاهل من لا جاهل له أي من لا سفيه له يدفع عنه وقيل بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالس إذا جاء أعرابي فلطمه فقام إليه واقد بن عمرو فجلد به الأرض فقال عمر ليس بعزيز من ليس في قومه سفيه وقال الشاعر

ولا يلبث الجاهل أن يتهضموا ... أخا الحلم ما لم يستعن بجهول

وقال صالح بن جناح اذا كنت بين الجهل والحلم قاعدا ... وخيرت أنى شئت فالحلم أفضل

ولكن إذا أنصفت من ليس منصفا ... ولم يرض منك الحلم فالجهل أمثل

وقال الأحنف بن قيس وذي ضغن أميت القول عنه ... بحلم فاستمر على المقال

(وقال آخر) ومن يحلم وليس له سفيه ... يلاق المعضلات من الرجال

فان كنت محتاجا الى الحلم انني ... الى الجهل في بعض الاحايين أحوج

ولي فرس للخير بالخير ملجم ... ولي فرس للشر بالشر مسرج

فمن رام تقويمي فاني مقوم ... ومن رام تعويجي فاني معوج

(وقال آخر) فان قيل حلم قلت للحلم موضع ... وحلم الفتى في غير موضعه جهل

اللهم انا نعوذ بك أن نجهل أو يجهل علينا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الثالث والثلاثون في الجود والسخاء والكرم ومكارم الأخلاق واصطناع المعروف وذكر الأمجاد وأحاديث الأجواد ﴾

(اعلم) ان الجود بذل المال وأنفعه ما صرف في وجه استحقاقه وقد ندب الله تعالى اليه في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قيل ان الجود والسخاء والايثار بمعنى واحد وقيل من أعطى البعض وأمسك البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الأكثر فهو صاحب جود ومن آثر غيره بالحاضر وبقي هو في مقاساة الضرر فهو صاحب ايثار وأصل السخاء هو السماحة وقد يكون المعطي بخيلا اذا صعب عليه البذل والممسك سخيا اذا كان لا يستصعب العطاء (فمن الايثار ما حكى) عن حذيفة العدوي أنه قال انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي في القتلى ومعي شيء من الماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته فاذا أنا به بين القتلى فقلت أسقيك فأشار الي أن نعم فاذا برجل يقول آه فأشار الي ابن

عمي

الطريق إلى الجانب الآخر بعدما كان يمشي ورائي وسمعته يقول ومن ظن ممن يلاقي الحروب ... بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

(ومن المنقول عن أذكياء المتلصصين) (١٥٦) أن بعض التجار قال احتال علي رجل بحوالة فكان يأتيني كل يوم ويأخذ قدر نفقته الى ان نفدت وصار بيننا معرفة وألف الجلوس عندي وكان يراني أخرج من صندوق لي فأعطيه فقال لي يوما ان قفل الرجل صاحبه في سفره وأمينه في حضره وخليفته على حفظ ماله وان لم يكن وثيقا تطرقت الحيل اليه وأرى قفلك هذا وثيقا فقل لي ممن ابتعته لأبتاع مثله لنفسي فقلت من فلان الاقفالي قال فما شعرت يوما وقد جئت الى دكاني وتقدمت الى الصندوق لأخرج منه شيئا من الدراهم ففتحته فاذا ليس فيه شيء فقلت لغلامي وهو عندي أمين غير متهم هل أنكرت شيئا من أحوال الدكان قال لا فقلت ففتش هل ترى نقبا أم في السقف حيلة قال لا فقلت فاعلم ان الذي كان في الصندوق قد ذهب فقلق الغلام فاسكنته وقمت مفكرا وتأخر الرجل عني فتيقظت له وذكرت سؤاله عن القفل وقلت للغلام أخبرني كيف تفتح دكاني وتقفله فقال أحمل الدراريب دفعتين وثلاثة حتى أضعها في محلها وهكذا أصنع في غلقها قلت فمن تدع عند الدكان اذا نقلت الدراريب قال اتركه خاليا قلت فمن ههنا ذهبت فمضيت الى الصانع ابتعت منه القفل فقلت جاءك انسان منذ أيام اشترى منك مثل هذا القفل قال نعم رجل من

عمى أن انطلق اليه واسقه فاذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فأشار إلى أن نعم فسمع آخر يقول آه فأشار إلى أن انطلق اليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت إلى هشام فاذا هو قد مات فرجعت إلى ابن عمى فاذا هو قد مات (ومن عجائب ما ذكر فى حكاه الايثار) بو محمد الازدى قال لما احترق المسجد بمرو ظن المسلمون أن النصارى أحرقوه فأحرقوا خاناتهم فقبض السلطان على جماعة من الذين أحرقوا الخانات وكتب رقاعا فيها القطع والجلد والقتل ونثرها عليهم فمن وقع عليه رقعة فعل به ما فيها فوقعت رقعة فيها القتل بيد رجل فقال والله ما كنت أبالى لولا أمى وكان بجنبه بعض الفتيان فقال له فى رقعتى الجلد وليس لى أم فخذ أنت رقعتى واعطى رقعتك ففعل فقتل ذلك الفتى وتخلص من هذا الرجل ❊ وقيل لقيس بن سعد هل رأيت قط أسخى منك قال نعم نزلنا بالبادية على امرأة فجاء زوجها فقالت له انه نزل بنا ضيفان فجاء بناقة فنحرها وقال شأنكم فلما كان من الغد جاء بأخرى فنحرها وقال شأنكم فقلنا ما أكلنا من التى نحرت البارحة إلا القليل فقال انى لا اطعم ضيفانى البائت فبقينا عنده أياما والسماء تمطر وهو يفعل كذلك فلما أردنا الرحيل وضعنا مائة دينار فى بيته وقلنا للمرأة اعتذرى لنا اليه ومضينا فلما ارتفع النهار وإذا رجل يصيح خلفنا قفوا أيها الركب اللئام أعطيمونا ثمن قرانا ثم انه لحقنا وقال خذوها والا طعنتكم برمحى هذا فأخذناها وانصرفنا ❊ وقال بعض الحكماء أصل المحاسن كلها الكرم وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام وسخاؤها بما يملك على الخاص والعام وجميع خصال الخير من فروعه وقال رسول الله ﷺ تجاوزوا عن ذنب السخى فان الله أخذ بيده كلما عثر وفاتح له كلما افتقر وعن جابر بن عبدالله رضى الله تعالى عنه قال ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال لا وعنه ﷺ أنه قال السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار والجاهل سخى أحب إلى الله من عابد بخيل وقال بعض السلف منع الموجود سوء ظن بالمعبود وتلا قوله تعالى وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين وقال الفضيل ما كانوا يعدون القرض معروفا وقال اكثم بن صيفى صاحب المعروف لا يقع وإن وقع وجد له متكأ وقيل للحسن بن سهل لا خير فى السرف فقال لا سرف فى الخير فقلب اللفظ واستوفى المعنى ووجد مكتوبا على حجر انتهز الفرص عند امكانها ولا تحمل نفسك هم ما لم يأتك واعلم أن تقتيرك على نفسك توفير لخزانة غيرك جامع لبعل حليلته وقال على رضى الله تعالى ما جمعت من المال فوق قوتك فانما أنت فيه خازن لغيرك قال النعمان بن المنذر يوما لجلسائه من أفضل الناس عيشا وأنعمهم بالا وأكرمهم طباعا فى النفوس قدرا فسكت القوم فقام فتى فقال أبيت اللعن أفضل الناس من عاش للناس فى فضله فقال ❊ صدقت وكان اسماء بن خارجة يقول ما أحب أن أرد أحدا عن حاجة لأنه ان كان كريما أصون عرضه أو لئيما أصون عنه عرضى وكان مورق العجلى يتلطف فى ادخال السرور والرفق على أخوانه فيضع عند أحدهم البدرة ويقول امسكها حتى أعود اليك ثم يرسل يقول له أنت منها فى حل وقال الحسن رضى الله عنه باع طلحة بن عثمان رضى الله تعالى عنه أرضا بسبعمائة الف درهم فلما جاءه المال قال أن رجلا يبيت هذا عنده لا يدرى ما يطرقه لغرير بالله تعالى ثم اقسمه فى المسلمين ❊ ولما دخل المنكدر على عائشة رضى الله عنها قال لها يا أم المؤمنين اصابتنى فاقة فقالت ما عندى شىء فلو كان عندى عشرة آلاف درهم لبعثت بها اليك فلما خرج من عندها جاءتها عشرة آلاف درهم من عند خالد بن أسيد

صفته كذا وكذا واعطانى صفة صاحبى فعلمت أنه احتال على الغلام وقت المساء ودخل الدكان واختبأ فيها ومعه مفتاح القفل وأخذ المال ومكث طول الليل إلى الصباح فلما فتح الغلام وحمل الدراريب ليضعها فى محلها خرج وانه ما فعل ذلك الا وقد خرج من المدينة فخرجت من البصرة ومعى قفلى ومفتاحى فقلت أبتدىء بواسط فلما صعدت طلبت خانا أنزله فلما دخلت وجدت قفلا مثل قفلى باب بيت فقلت لقيم الخان هذا البيت من ينزله قال رجل قدم أمس من البصرة فقلت ما صفته فوصف لى صاحبى فما شككت أنه هو وأن الدراهم فى بيته فاكتريت بيتا إلى جانبه ورصدته حتى انصرف قيم الخان ففتحت القفل ودخلت البيت فوجدت كيسى بعينه فأخذته وخرجت ووضعت قفله على بابه ونزلت على الفور فى السفينة وانحدرت إلى البصرة ولم أقم بواسط غير ساعة من نهار فرجعت إلى منزلى بمالى كله (ومن المنقول عن أذكياء الصبيان) أنه وقف اياس بن معاوية وهو صبى على قاضى دمشق ومعه شيخ فقال أصلح الله القاضى هذا الشيخ ظلمنى وأكل مالى فقال القاضى وارفق بالشيخ ولا تستقبله بمثل هذا الكلام فقال إياس أن الحق أكبر منى ومنك قال اسكت قال وان سكت فمن يقوم بحجتى قال فتكلم فوالله لا تتكلم بخير فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له فبلغ ذلك الخليفة فعزل القاضى وولى اياسا (ومن المنقول عن أذكياء النساء)

فأرسلت بها إليه في أثره فأخذها ودخل بها السوق فاشترى جارية بألف درهم فولدت له ثلاثة أولاد فكانوا عباد المدينة وهم محمد وأبو بكر وعمر بنو المنكدر وأكرم العرب في الإسلام طلحة بن عبيد الله رضي الله تعالى عنه جاءه اليه رجل فسأله برحم بينه وبينه فقال هذا حائطي بمكان كذا وكذا وقد أعطيت فيه مائة ألف درهم براح إلى بالمال العشية فان شئت فالمال وإن شئت فالحائط وقال زياد بن جرير رأيت طلحة بن عبيد الله فرق مائة ألف في مجلس وانه ليخيط ازاره بيده (وذكر) الامام أبو علي القالي في كتاب الامالي أن رجلا جاء إلى معاوية رضي الله تعالى عنه فقال له سألتك بالرحم التي بيني وبينك الا ما قضيت حاجتي فقال له معاوية أمن قريش أنت قال لا قال فأي رحم بيني وبينك قال رحم آدم عليه السلام قال رحم مجفوة والله لأكونن أول من وصلها ثم قضى حاجته (وروى) أن الاشعث بن قيس أرسل إلى عدي بن حاتم يستعير منه قدوراً كانت لأبيه حاتم فملأها مالا وبعث بها إليه وقال أنا لا نعيرها فارغة وكان الأستاذ أبو سهل الصعلوكي من الاجواد ولم يناول أحداً شيئاً وانما كان يطرحه في الأرض فيتناوله الآخذ من الأرض وكان يقول الدنيا أقل خطراً من أن ترى من أجلها يد فوق يد أخرى وقد قال النبي ﷺ اليد العليا خير من اليد السفلى وسأل معاوية الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهم عن الكرم فقال هو التبرع بالمعروف قبل السؤال والرأفة بالسائل مع البذل وقدم رجل من قريش من سفر فمر على رجل من الاعراب على قارعة الطريق قد أقعده الدهر وأضر به المرض فقال له يا هذا أعنا على الدهر فقال لغلامه ما بقي معك من النفقة فادفعه إليه فصب في حجره أربعة آلاف درهم فهم ليقوم فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت ما دفعناه إليك فقال لا والله لكن ذكرت ما تأكل الأرض من كرمك فأبكاني * وقال بعضهم قصد رجل إلى صديق له فدق عليه الباب فخرج إليه وسأله عن حاجته فقال على دين كذا وكذا فدخل الدار وأخرج إليه ما كان عليه ثم دخل الدار باكيا فقالت زوجته هلا تعللت حيث شقت عليك الإجابة فقال إنما أبكي لأني لم أتفقد حاله حتى احتاج إلى أن سألني * ويروى أن عبد الله بن أبي بكر وكان من أجود الأجواد عطش يوما في طريقه فاستسقى من منزل امرأة فأخرجت له كوزاً وقامت خلف الباب وقالت تنحوا عن الباب وليأخذه بعض غلمانكم فاني امرأة عزب مات زوجي منذ أيام فشرب عبد الله الماء وقال يا غلام احمل إليها عشرة آلاف درهم فقالت سبحان الله أتسخر بي فقال يا غلام احمل إليها عشرين ألفا فقالت أسأل الله العافية فقال يا غلام احمل إليها ثلاثين ألفا فما أمست حتى كثر خطابها وكان رضي الله تعالى عنه ينفق على أربعين داراً من جيرانه عن يمينه وأربعين عن يساره وأربعين أمامه وأربعين خلفه ويبعث إليهم بالأضاحي والكسوة في الأعياد ويعتق في كل عيد مائة مملوك رضي الله تعالى عنه * ولما مرض قيس ابن سعد بن عبادة استبطأ اخوانه في العيادة فسأل عنهم فقيل له انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال أخزى الله مالا يمنع عني الاخوان من الزيارة ثم أمر منادياً ينادي من كان لقيس عنده مال فهو منه في حل فكسرت عتبة بابه بالعشي لكثرة العواد * وكان عبد الله ابن جعفر من الجود بالمكان المشهود وله فيه أخبار يكاد سامعها ينكرها لبعدها عن المعهود وكان معاوية يعطيه ألف ألف درهم في كل سنة فيفرقها في الناس ولا يرى إلا وعليه دين * وسمن رجل بهيمة ثم خرج بها ليبيعها فمر بعبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنه فقال يا صاحب البهيمة أتبيعها فقال ولكنها هي لك هبة ثم تركها له وانصرف إلى بيته فلم يلبث إلا يسيرا وإذا بالحمالين على بابه عشرين

عفرا

حكى المدائني قال خرج ابن زياد في فوارس ولقوا رجلا ومعه جارية لم ير مثلها في الحسن فصاحوا به خل عنها وكان معه قوس فرمى أحدهم فهابوا الاقدام عليه فعاد ليرمى فانقطع الوتر فهجموا عليه وأخذوا الجارية فهرب واشتغلوا عنه بالجارية ومد بعضهم يده إلى أذنها وفيها قرط وفي القرط درة يتيمة لها قيمة عظيمة فقالت وما قدر هذه الدرة انكم لو رأيتم ما في قلنسوته من الدر لاستحقرتم هذه فتركوها واتبعوه وقالوا له ألق ما في قلنسوتك وكان فيها وتر قد أعده فنسيه من الدهش فلما ذكره ركبه في القوس ورجع إلى القوم فولى القوم هاربين وخلوا الجارية (وحكى ابن الجوزي في كتاب الاذكياء) نبذة عن الحيوان الذي كان بذكائه يشبه ذكاء الآدميين * فمن ذلك أن بعض الكتاب مر بمقبرة فاذا قبر عليه قبة مكتوب عليها هذا قبر الكلب فمن أحب أن يعلم خبره فليمض إلى قرية كذا وكذا فان فيها من يخبره فسأل الرجل عن القرية فدلوه عليها فقصدها فقيل له ما يعلم ذلك إلا شيخ هنا قد جاوز المائة فسأله فقال كان هنا ملك عظيم الشأن وكان يحب التنزه والصيد وكان له كلب قد رباه لا يفارقه فخرج يوما إلى بعض متنزهاته فقال لبعض غلمانه قل للطباخ يصلح لنا ثريدة بلبن فجاؤا باللبن إلى الطباخ ونسي أن يغطيه بشيء واشتغل بالطبيخ فخرجت من بعض الشقوق أفعى فكرعت في ذلك اللبن ومجته في الثريدة والكلب رابض يرى ذلك ولم يجد له حيلة يصل بها

إلى الأفعى وكان هناك جارية زمنة خرساء قد رأت ماصنعت الأفعى ووافى الملك من الصيد فى آخر النهار فقال ياغلمان ادركونى بالثريدة فلما وضعت بين يديه أومأت الخرساء فلم يفهم (١٥٩) ماتقول ونبح الكلب وصاح فلم يتفت اليه ولج فى الصياح فلم يعلم مراده فقال للغلمان نحوه عنى ومد يده إلى اللبن بعد مارمى الى الكلب ما ان يرمى فلم يلتفت الكلب إلى شىء من ذلك ولم يلتفت إلى غير الملك فلما رآه يريد أن يضع اللقمة من اللبن فى فيه وثب إلى وسط المائدة وأدخل فمه وكرع فى اللبن فسقط ميتا وتناثر لحمه وبقى الملك متعجبا من الكلب وفعله فأومأت الخرساء اليهم فعرفوا مرادها وما صنع الكلب فقال الملك لحاشيته هذا الكلب فدانى بنفسه وقد وجب أن أكافئه وما يحمله ويدفنه غيرى فدفنه وبنى عليه القبة التى رأيتها (قلت) قد أوردنا نبذة لطيفة من كتاب الأذكياء لابن الجوزى مختلفة الأنواع وقد تعين أن نورد له هنا نبذة لطيفة من كتاب الحمق والمغفلين لأنه قال فى ذلك الالأن النفس قد تمل من ملازمة الجد وترتاح إلى بعض المباح من اللهو كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال المنظلة ساعة وساعة ◦ وعن على رضى الله عنه أنه قال روحوا القلوب بطرائف الحكم فانها تمل كما تمل الأبدان (وكان) رجل يجالس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحدثهم فاذا أكثروا وثقل عليه الحديث قال ان الاذن مجاجة وان القلوب حمضة هاتوا من أشعاركم

نفرا عشرة منهم يحملون حنطة وخمسة لحما وكسوة وأربعة يحملون فاكهة ونقلا وواحد يحمل مالا فأعطاه جميع ذلك واعتذر اليه رضى الله تعالى عنه ◦ ولما مات معاوية رضى الله تعالى عنه وفد عبد الله ابن جعفر على يزيد ابنه فقال كم كان أمير المؤمنين معاوية يعطيك فقال كان رحمه الله يعطينى الف الف فقال يزيد قد زدناك لترحمك عليه الف الف فقال بأبى وأمى أنت فقال ولهذه الف الف فقال أما إنى لا قولها لأحد بعدك فقيل ليزيد أعطيت هذا المال كله من مال المسلمين لرجل واحد فقال والله ماأعطيته إلا لجميع أهل المدينة ثم وكل به يزيد من صحبه وهو لا يعلم لينظر ما يفعل فلما وصل المدينة فرق جميع المال حتى احتاج بعد شهر الى الدين ◦ وخرج رضى الله تعالى عنه هو والحسنان وأبو دحية الأنصارى رضى الله تعالى عنهم من مكة إلى المدينة فأصابتهم السماء بمطر فلجؤا إلى خباء أعرابى فأقاموا عنده ثلاثة أيام حتى سكنت السماء فذبح لهم الأعرابى شاة فلما ارتحلوا قال عبد الله للأعرابى ان قدمت المدينة فسل عنا فاحتاج الأعرابى بعد سنين فقالت له امرأته لو أتيت المدينة فلقيت أولئك الفتيان فقال قد نسيت أسماءهم فقالت سل عن ابن الطيار فأتى المدينة فلقى سيدنا الحسن رضى الله تعالى عنه فأمر له بمائة ناقة بفحولها ورعاتها ثم أتى الحسين رضى الله تعالى عنه فقال كفانا أبو محمد مؤونة الابل فأمر له بألف شاة ثم أتى عبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنه فقال كفانى إخوانى الابل والشاة فأمر له بمائة الف درهم ثم أتى أبا دحية رضى الله تعالى عنه فقال والله ماعندى مثل ماأعطوك ولكن ائتنى بابلك فأوقرها لك تمرا فلم يزل اليسار فى عقب الأعرابى من ذلك اليوم ◦ وقال الحسن والحسين يوما لعبد الله بن جعفر رضى الله عنهم أنك قد أسرفت فى بذل المال فقال بأبى أنتما ان الله عز وجل عودنى أن يتفضل على وعودته أن أتفضل على عباده فأخاف أن أقطع العادة فتقطع على المادة وامتدحه نصيب فأمر له بخيل وأساس ودنانير ودراهم فقال له رجل مثل هذا الأسود تعطى له هذا المال فقال ان كان أسود فان ثناءه أبيض ولقد استحق بما قال أكثر مما نال وهل أعطيناه إلا ثيابا تبلى ومالا يفنى وأعطانا مدحا يروى وثناء يبقى وخرج عبد الله رضى الله عنه يوما إلى ضيعة له فنزل على حائط به نخيل لقوم وفيه غلام أسود يقوم عليه فأتى بقوته ثلاثة أقراص فدخل كلب فدنا من الغلام فرمى اليه بقرص فأكله ثم رمى بالثانى والثالث فأكلهما وعبد الله ينظر اليه فقال ياغلام كم قوتك كل يوم قال مارأيت قال فلم آثرت هذا الكلب قال أرضنا ماهى بأرض كلاب وأنه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت أن أرده قال فما أنت صانع اليوم قال أطوى يومى هذا فقال عبد الله بن جعفر ألام على السخاء وان هذا الأسخى منى فاشترى الحائط وما فيه من النخيل والآلات واشترى الغلام ثم أعتقه ووهبه الحائط بما فيه من النخيل والآلات فقال الغلام أن كان ذلك لى فهو فى سبيل الله تعالى فاستعظم عبد الله ذلك منه فقال يجود هذا وأبخل أنا لا كان لك أبدا وكان عبيد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما من الأجواد أتاه رجل وهو بفناء داره فقام بين يديه وقال ياابن عباس ان لى عندك يدا وقد احتجت اليها فصعد فيه بصره فلم يعرفه فقال ما يدك رأيتك واقفا بفناء زمزم وغلامك يمتح لك من مائها والشمس قد صهرتك فظللتك بفضل كسائى حتى شربت فقال أجل انى لأذكر ذلك ثم قال لغلامه ماعندك قال مائتا دينار وعشرة آلاف درهم فقال ادفعها اليه وما أراد نفى بحق يده ◦ وقدم عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما على معاوية مرة فأهدى اليه من هدايا النوروز حللا كثيرة

وحديثكم (وقال) أبو الدرداء رضى الله عنه انى لاستجم نفسى بشىء من الباطل كراهة أن أحملها من الحق ما يملها (وعن) ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان يحدث أصحابه ساعة ثم يقول حمضونا فيأخذ فى أحاديث العرب وأشعارهم

ومسكا وآنية من ذهب وفضة ووجهها إليه مع حاجبه فلما وضعها بين يديه نظر إلى الحاجب وهو ينظر إليها فقال له هل فى نفسك منها شىء قال نعم والله إن فى نفسى منها ما كان فى نفس يعقوب من يوسف عليهما الصلاة والسلام فضحك عبد الله وقال خذها فهى لك قال جعلت فداءك أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيحقد على قال فاختمها بخاتمك وسلمها إلى الخازن فاذا كان وقت خروجنا حملناها إليك ليلا فقال الحاجب والله لهذه الحيلة فى الكرم أكثر من الكرم * وحبس معاوية عن الحسين ابن على رضى الله تعالى عنهما صلاته فقيل لو وجهت إلى ابن عمك عبدالله بن عباس فانه قدم بنحو ألف ألف فقال الحسين وأين تقع ألف ألف من عبد الله فوالله لهو أجود من الريح إذا عصفت وأسخى من البحر إذا زخر ثم وجه إليه مع رسوله بكتاب يذكر فيه حبس معاوية صلاته عنه وضيق حاله وأنه يحتاج إلى مائة ألف درهم فلما قرأ عبد الله كتابه انهملت عيناه وقال ويلك يامعاوية أصبحت لين المهاد رفيع العماد والحسين يشكوا ضيق الحال وكثرة العيال ثم قال لوكيله احمل إلى الحسين نصف ماأملكه من ذهب وفضة ودواب وأخبره إنى شاطرته فان كفاه وإلا أحمل إليه النصف الثانى فلما أتاه الرسول قال إنا لله وإنا إليه راجعون ثقلت والله على ابن عمى وما حسبت أنه يسمح لنا بهذا كله رضوان الله عليهم أجمعين وجاء رجل من الأنصارى إلى عبدالله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فقال يا ابن عم محمد صلى الله عليه وسلم أنه ولد لى فى هذه الليلة مولود وإنى سميته باسمك تبركا بك وأن أمه ماتت فقال له بارك الله لك فى الهبة وآجرك على المصيبة ثم دعا بوكيله وقال له انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه وادفع لأبيه مائتى دينار لينفقها على تربيته ثم قال للأنصارى عد إلينا بعد أيام فانك جئتنا وفى العيش يبس وفى المال قلة فقال الأنصارى جعلت فداءك لو سبقت حاتما بيوم ماذكرته العرب وقال أبو جهم بن حذيفة يوما لمعاوية عندنا يا أمير المؤمنين كما قال ابن كلال

يقينا ما نخاف وإن ظننا ... به خيرا أراناه يقينا ... نميل على جوانبه كأنا
إذا ملنا نميل على أبينا ... نقلبه لنخبر حالتيه ... فنخبر منهما كرما ولينا

فأمر له بمائة ألف درهم وأنشده عبدالله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما

بلوت الناس قرنا بعد قرن ... فلم أر غير ختال وقال ... ولم أر فى الخطوب أشد وقعا
وأمضى من معادات الرجال ... وذقت مرارة الأشياء طرا ... فما شىء أمر من السؤال

فأعطاه مائة ألف درهم ودخل عليه الحسن يوما وهو مضطجع على سريره فسلم عليه واقعده عند رجليه وقال له ألا تعجب من قول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها تزعم أنى لست للخلافة أهلا ولا لها مرضا فقال الحسن أو عجبا مما قالت قال كل العجب قال الحسن وأعجب من هذا كله جلوسى عند رجليك فاستحيا معاوية واستوى جالسا ثم أقسمت عليك يا أبا محمد الا ما أخبرتنى كم عليك دينار قال مائة ألف درهم فقال ياغلام اعط أبا محمد ثلثمائة ألف درهم مائة ألف يقضى بها دينه ومائة ألف يفرقها على مواليه ومائة ألف يستعين بها على نوائبه وسوغها اليه الساعة وكان معن بن زائدة من الأجواد وكان عاملا على العراق بالبصرة قيل أنه أتى اليه بعض الشعراء فأقام ببابه يريد الدخول عليه فلم يتهيأ له ذلك فقال يوما لبعض الخدم إذا دخل الأمير البستان فعرفنى فلما دخل أعلمه بذلك فكتب الشاعر بيتا ونقشه على خشبة وألقاها فى الماء الذى يدخل البستان وكان معن

جالساً

ومثله عن الزهرى ومالك ابن دينار (وكان) شعبة يحدث فاذا رأى أبا زيد قال له انه أبا زيد

استعجمت دار نعم وما تكلمنا
والدار لو كلمتنا ذات أخبار

(ووصف) رجل عند ابن عائشة فقيل هو جد كله فقال ابن عائشة لقد أعان على نفسه وقصر لها طول المدى ولو فكهها بالانتقال من حال إلى حال نفس عنها ضيق العقد ورجع إلى الجد بنشاط (وقال) الرشيد النوادر تشحذ الاذهان وتفتق الآذان (وقال آخر) لايحب الملح الا ذكران الرجال ولا يكرهها الا مؤنثوهم وقال الشاعر

اروح القلب ببعض الهزل
تجاهلا منى بغير جهل
أمزح فيه مزح أهل الفضل
والمزح أحيانا جلاء العقل

(قال ابن الجوزى فى كتاب الحمقى) أن الأحنف بن قيس قال إذا رأيتم الرجل طويل القامة عظيم اللحية فاحكموا عليه بالحمق * وقال معاوية لرجل كفى أن نشهد عليك بالحمق ماتراه من طول لحيتك * وقال آخر وتلطف ماشاه من طالت لحيته تكوسج عقله * وقال أصحاب الفراسة من طالت قامته وطالت لحيته وجبت تعزيته فى عقله * وقالوا إذا كان الرجل طويلا طويل

اللحية وأضيف إلى ذلك أن يكون صغير الرأس فاحكم عليه بالحمق (وقال زياد) مازادت لحية الرجل على قبضة الا كان ذلك نقصانا من عقله وقال الشاعر

إذا عرضت للفتى لحية   وطالت وصارت إلى سرته
فقد ضاق عقل الفتى عندنا   بمقدار مازاد من لحيته

(وقال ابن الرومى)

ان تطل لحيته عليك وتعرض   فالمخالى معلوقة للحمير
علق الله فى عذاريك مخلا   ة ولكنها بغير شعير

(وقال بعضهم) صارم الأحمق فليس له خير من الهجران * وقيل مكتوب فى التوراة من اصطنع إلى أحمق معروفا فهى خطيئة مكتوب عليه وقال سفيان الثورى هجران الأحمق قربة إلى الله تعالى (فمن ضرب المثل بحمقه وتغفله) هبنقة واسمه يزيد وكان قد جعل فى عنقه قلادة من عظام وودع وقال أخشى ان أضيع من نفسى ففعلت ذلك لأعرفها فحولت أمه القلادة إلى عنق أخيه فلما أصبح ورآها قال ياأخى أنا أنت وأنت أنا وصاح له بمين الجمل يقول من وجده فهو له فقيل له فلم تنشده قال * قال الحلاوة الظفر (واختصمت) بنو طفاوة وبنو راسب فى رجل ادعى كل من الفريقين انه منهم فقال هبنقة حكمه أن يلقى فى الماء فان طفا فهو من طفاوة وان رسب فهو راسب فقال ان كان الحكم هكذا فقد زهدت فى الطائفتين (ومنهم أبو غيشان) رجل

جالسا على القناة فلما رأى الخشبة اخذها وقرأها فاذا فيها بيت مفرد

أيا جود معن ناج معنا بحاجتى   فليس إلى معن سواك شفيع

فقال من الرجل صاحب هذه فأتى به إليه فقال كيف قلت فأنشده البيت فأمر له بعشر بدر فأخذها وانصرف ووضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان فى اليوم الثانى أخرجها من تحت البساط ونظر فيها وقال على بالرجل صاحب هذه فأتى به إليه فقال له كيف قلت فأنشده البيت فأمر له بعشر بدر فأخذها وانصرف ووضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان فى اليوم الثالث أخرجها ونظر فيها وقال على بالرجل صاحب هذه فأتى به إليه كيف له قلت فانشده البيت فأمر له بعشر بدر فأخذها وتفكر فى نفسه وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج من البلد بما معه فلما كان فى اليوم الرابع طلب الرجل فلم يجده فقال معن لقد ساء والله ظنه ولقد هممت أن أعطيه حتى لا يبقى فى بيت مالى درهم ولا دينار وفيه يقول القائل

يقولون معن لا زكاة لماله   وكيف يزكى المال من هو باذله
إذا حال حول لم تجد فى دياره   من المال الا ذكره وجمائله
تراه إذا ما جئته متهللا   كأنك تعطيه الذى أنت سائله
تعود بسط الكف حتى لو انه   أراد انقباضا لم تطعه أنامله
فلو لم يكن فى كفه غير نفسه   لجاد بها فليتق الله سائله

(ومن قول معن)

دعينى أنهب الاموال حتى   أعف الاكرمين عن اللئام

وكان يزيد بن المهلب من اجواد الاسخياء وله أخبار فى الجود عجيبة * من ذلك ما حكاه عقيل ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال لما أراد يزيد بن المهلب الخروج إلى واسط أتيته فقلت أيها الامير إن رأيت ان لى فأصبحك قال قدمت واسط فائتنا ان شاء الله تعالى فسافر وأقمت فقال لى بعض اخوانى اذهب إليه فقلت كان جوابه فيه ضعيف قالوا أتريد من يزيد جوابا أكثر مما قال قال فسرت حتى قدمت عليه فلما كان فى الليل دعيت إلى السمر فتحدث القوم حتى ذكروا الجوارى فالتفت إلى يزيد وقال ايه ياعقيل فقلت

أفاض القوم فى ذكر الجوارى   فأما الاعربون فلن يقولوا

قال انك لم تبق عزبا فلما رجعت إلى منزلى إذا أنا بخادم قد أتانى ومعه جارية وفرش بيت وبدرة عشرة آلاف درهم وفى الليلة الثانية كذلك فمكثت عشر ليالى وأنا على هذه الحالة فلما رأيت ذلك دخلت عليه فى اليوم العاشر فقلت أيها الأمير قد والله أغنيت وأنيت فان رأيت أن تأذن لى فى الرجوع فأكبت عدوى وأسر صديقى فقال انما أخيرك بين خلتين اما أن تقيم فنوليك أو ترحل فنغنيك فقلت أولم أيها الأمير قال انما هذا تفتنى أثاث المنزل ومصلحة القدوم فنالنى من فضله مالا أقدر على وصفه (وحدث) أبو اليقظان عن أبيه قال حج يزيد بن المهلب فطلب حلاقا يحلق رأسه فجاؤه بحلاق فحلق رأسه فأمر له بخمسة آلاف درهم فتحير الحلاق ودهش وقال آخذ الخمسة الآلاف وأمضى إلى أم فلان أخبرها أنى قد استغنيت فقال أعطوه خمسة آلاف أخرى فقال امرأته طالق ان حلقت رأس أحد بعدك وقيل ان الحجاج حبسه على خراج وجب عليه مقداره مائة ألف درهم فجمعت له وهو فى السجن فجاءه الفرزدق يزوره فقال للحاجب استأذن لى عليه فقال انه فى مكان لا يمكن

الدخول عليه فيه فقال الفرزدق إنما أتيت متوجعا لما هو فيه ولم آت ممتدحا فأذن له فلما أبصره قال

أبا خالد ضاقت خراسان بعدكم * وقال ذوو الحاجات أين يزيد
فما قطرت بالمشرق بعدك قطرة * ولا اخضر بالمروين بعدك عود
وما السرور بعد عزك بهجة * وما لجواد بعد جودك جود

فقال يزيد للحاجب ادفع اليه المائة الف درهم التي جمعت لنا ودع الحجاج ولحمي يفعل فيه ما يشاء فقال الحاجب للفرزدق هذا الذي خفت منه لما منعتك من دخولك عليه ثم دفعها اليه فأخذها وانصرف

مر يزيد المهلب عند خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه بعجوز أعرابية فذبحت له عنزا فقال لابنه ما معك من النفقة قال مائة دينار قال ادفعها اليها فقال هذه يرضيها اليسير وهي لا تعرفك قال إن كان يرضيها اليسير فأنا لا أرضى إلا بالكثير وإن كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي وقال مروان بن أبي الجنوب الشاعر أمر لي المتوكل بمائة وعشرين ألفا وخمسين ثوبا ورواحل كثيرة فقلت أبياتا في شكره فلما بلغت قولي

فأمسك ندى كفيك عني ولا تزد * فقد خفت أن أطغى وأن أتجبر

فقال والله لا أمسك حتى أغرقك بجودي وأمر له بضياع تقول بألف ألف وقال أبو العيناء تذاكروا السخاء فاتفقوا على آل المهلب في الدولة المروانية وعلى البرامكة في الدولة العباسية ثم اتفقوا على أن أحمد ابن أبي داود أسخى منهم جميعا وأفضل وسئل اسحق الموصلي عن سخاء أولاد يحيى بن خالد فقال أما الفضل فيرضيك فعله وأما جعفر فيرضيك قوله وأما محمد فيفعل بحسب ما يجد وفي يحيى يقول القائل

سألت الندى هل أنت حر فقال لا * ولكن عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة * توارثني من والد بعد والد

(وفي الفضل يقول القائل)

إذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة * رأيت بها غيث السماحة ينبت
فليس بمعال إذا سيل حاجة * ولا بمكب في ثرى الأرض ينكت

وفي محمد يقول القائل:

سألت الندى والجود مالي أراكما * تبدلتما عزا بذل مؤبد
وما بال ركن المجد أمسى مهدما * فقالا أصبنا بابن يحيى محمد
فقلت فهلا متما بعد موته * وقد كنتما عبديه في كل مشهد
فقالا أقمنا كي نعزى بفقده * مسافة يوم ثم نتلوه في غد

وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه من كانت له إلى حاجة فليرفعها إلي في كتاب لأصون وجهه عن المسألة وجاءه رضي الله تعالى عنه أعرابي فقال يا أمير المؤمنين ان لي اليك حاجة الحياء يمنعني أن أذكرها فقال خطها في الأرض فكتب إني فقير فقال يا قنبر اكسه حلة فقال الأعرابي

كسوتني حلة تبلى محاسنها * فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
ان نلت حسن الثناء قد نلت مكرمة * وليس تبغي بما قدمته بدلا
ان الثنا ليحيي ذكر صاحبه * كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر في عرف بدأت به * كل امرىء سوف يجزى بالذي فعلا

فقال يا قنبر زده مائة دينار فقال يا أمير المؤمنين لو فرقتها في المسلمين لأصلحت بها من شأنهم فقال رضي الله تعالى عنه صه يا قنبر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول اشكروا لمن أثنى عليكم وإذا أتاكم كريم قوم فأكرموه ولعبد الله بن جدعان

إني وإن لم ينل مالي مداخلي * ووهاب ما ملكت كفي من المال

من خزاعة كان يلي سدانة البيت فاجتمع مع قصي بن كلاب بالطائف على الشراب فلما سكر اشترى منه قصي ولاية سدانة البيت بزق من خمر وأخذ منه مفاتيحه وسار بها إلى مكة وقال يا قريش هذه مفاتيح أبيكم إبراهيم ردها الله عليكم من غير غدر ولا ظلم وأفاق أبو غبشان فندم غاية الندم فقيل أحمق من أبي غبشان وقال شاعرهم

باعت خزاعة بيت الله عن خمر * فبئست صفقة البادي
باعت سدانتها بالخمر وانقرضت * عن المقام وظل البيت والنادي

(ومنهم ربيعة البكاء) سمي البكاء لأنه دخل على أمه وهي تحت زوجها فبكى وصاح أتقتل أمي فقال أهون مقتول أم تحت زوج فذهبت مثلا (ومنهم حمزة ابن بيض) قال يوما لغلامه أي يوم صلينا الجمعة بالرصافة فافتكر الغلام ساعة ثم قال يوم الثلاثاء (ومنهم جحى) قال بعضهم كان من أذكياء الناس وإنما كان بينه وبين قوم عداوة فوضعوا عليه حكايات سارت بها الركبان وقيل كان من كبار الحمق والمغفلين (قيل) أنه دخل الحمام وخرج منه فضربته ريح باردة فمس خصيتيه فإذا إحداهما قد تقلصت فرجع إلى الحمام وجعل يفتش الناس فقالوا له مالك فقال سرقت بيضتي ثم أنه دخل الحمام وحمي فرجعت البيضة فلما وجدها سجد شكرا لله وقال كل لا شيء لا تسرقه اليد لا يفقد (واشترى) يوما دقيقا وحمله على حمال فلما دخل الحمال في الزحام هرب فرآه جحى بعد أيام فاستتر منه لئلا

يطالبه بالأجرة (وكان) لهم جارية تسمى عميرة فضربتها ذات يوم أمه فصاحت الجارية فاجتمع الناس على الباب فخرج إليهم فقال مالكم عافاكم الله انما هي تجلد عميرة (ومنهم ابن الجصاص) قيل انه كان يقصد التبالة خيفه من الوزير ابن الفرات (فمن المنقول من حمقه) انه كان يوما مع الوزير في مركب ومعه بطيخة فأراد أن يعطيها للوزير ويبصق في البحر فبصق في وجه الوزير ورمى البطيخة في البحر هذا هو المنقول عما ظهر عنه من التباله وإلا فقد روى عنه أنه قال لما ولى ابن الفرات الوزارة قصدني قصدا قبيحا وأنفذ العمال إلى ضياعي وبسط لسانه بثلبي ونقصني في مجلسه فدخلت يوما داره فسمعت حاجبه وقد وليت يقول هذا بيت مال يمشي على وجه الأرض ليس له من يأخذه فقلت هذا من كلام صاحبه وقد كان عندي في ذلك الوقت سبعة آلاف ألف دينار عينا سوى الجواهر والذخائر وغير ذلك فسهرت في ليلتي أفكر في أمري معه فوقع في نفسي في الثلث الأخير من الليل ان ركبت إلى داره على الفور فوجدت الأبواب مغلقة فطرقتها فقال البواب من هذا قلت ابن الجصاص فقال ليس هذا وقت وصول والوزير نائم فقلت عرف الحجاب انى حضرت في مهم فعرفهم فخرج إلى أحدهم وقال إنه في هذا الوقت لا ينتبه

لا أحبس المال إلا حيث أنفقه ... ولا يغيرني حال إلى حال

وقال بعض العرب لولده يابني لا تزهدن في معروف فان الدهر ذو صروف فكم راغب كان مرغوبا إليه وطالب مطلوبا مالديه وكن كما قال القائل

وعد من الرحمن فضلا ونعمة ... عليه إذا ماجاءه للخير طالب
ولا تمنعن ذا حاجة جاء راغبا ... فانك لاتدرى متى أنت راغب

(وقال بعضهم) أبيت خميص البطن عريان طاويا ... وأوثر بالزاد الرفيق على نفسي
وأمنحه فرشي وافترش الثرى ... وأجعل ستر الليل من دونه لبسى
حذرا أحاديث المحافل في غد ... إذا ضمني يوما إلى صدره رمسي

وقال يحيى البرمكي أعط من الدنيا وهى مقبلة فان ذلك لاينقصك منها شيئا واعط منها وهى مدبرة فان منعت لايبقى عليها منها شيئا فكان الحسن بن سهل يتعجب من ذلك ويقول الله دره ما أطبعه على الكرم وأعلمه بالدنيا وقد أمر يحيى من نظمه فقال

لا تبخلن بدنيا وهى مقبلة ... فليس ينقصها التبذير والسرف
فان تولت فأحرى أن تجود بها ... فليس تبقى ولكن شكرها خلف

وقال يحيى لولده جعفر يابنى مادام فلك يرعد فامطره معروفا وقال بعضهم

لا تنكثري في الجود لائمتي ... وإذا بخلت فاكثري لومي
كفي فلست بحامل أبدا ... ماعشت غد إلى يوم

وقال رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه لاتستح من عطاء القليل فالحرمان أقل منه * وسئل إسحق الموصلي عن المخلوع فقال كان أمره كله عجبا كان لايبالى أين يقعد مع جلسائه وكان عطاؤه عطاء من لايخاف الفقر كان عنده سليمان بن أبي جعفر يوما فأراد الرجوع إلى أهله فقال له سفر البر أحب إليك أم سفر البحر قال البحر ألين على فقال أوقروا له زورقه ذهبا وامر له بألف ألف درهم * وشكا سعيد بن عمرو بن عثمان بن عمان موسى شهوات إلى سليمان بن عبد الملك وقال قد هجاني ياأمير المؤمنين فاستحضره سليمان وقال لأم لك أتهجو سعيدا قال ياأمير المؤمنين أخبرك الخبر عشقت جارية مدنية وأتيت سعيدا فقلت انى أحب هذه الجارية وإن مولاتها أعطيت فيها مائتي دينار وقد أتيتك فقال لى بورك فيك فقال سليمان ليس هذا موضع بورك فيك قال فأتيت أمير المؤمنين سعيد بن خالد فذكرت له حالى فقال ياجارية هاتى مطرفة فأتته بمطرف خز فصر لى في كل زاوية مائتي دينار فخرجت وأنا أقول

أبا خالد أعنى سعيد بن خالد ... أخا العرف لا أعنى ابن بنت سعيد * ولكنني أعنى ابن عائشة الذي
أبو أبويه خالد بن أسيد ... عقيد الندى ماعاش يرضى به الندى * فان مات لم يرض الندى بعقيد
ذووه ذووه انكم قد رقدتمو ... وماهو عن احسانكم برقود

فقال سليمان قل ماشئت * وكتب كلثوم بن عمر إلى بعض الكرماء رقعة فيها

إذا تكرهت أن تعطي القليل ولم ... تقدر على سعة لم يظهر الجود
بث النوال ولا تمنعك قلته ... فكل ماسد فقرا فهو محمود

فشاطره ماله حتى بعث إليه بنصف خاتمه وفردة نعله * وباع عبد الله بن عتبة بن مسعود أرضا بثمانين

فقلت الأمر أهم من ذلك فأيقظه وعرفه عنى ماقلت لك فدخل وأبطأ ساعة ثم خرج وأدخلني فارتاع لدخولى وظن أني جئته برسالة من الخليفة أو حدثت حادثة وهو موقع لما أورده عليه فنظر إلي

وقال ما الذي جاء بك في هذا الوقت خير ما حدثت حادثة ولا معي رسالة ولا جئته إلا في أمر يخصني ويخص الوزير ولم تصلح مفاوضته إلا على خلوة فسكن روعه وقال لمن حوله انصرفوا فمضوا فقال هات فقلت أيها الوزير إنك قصدتني بأقبح قصد وشرعت في هلاكي وإزالة نعمتي وفي ازالتها خروج نفسي وليس عن النفس عوض وقد جملت هذا الكلام غدرا بيني وبينك فإن نزلت تحت حكمي في الصلح وإلا قصدت الخليفة في هذه الساعة وحولت اليه ألف ألف دينار وأنت تعلم قدرتي عليها وأقول له خذ هذا المال وسلم إلى ابن الفرات وأسلمك لمن أختاره للوزارة ويقع في نفسي أنه يجيب إلى تقيده ممن له وجه القبول ولسان عذب وخط حسن ولا أعتمد الاعلى بعض كتابك فإنه لا يفرق بينك وبينه إذا رأى المال حاضرا فيسلمك في الحال اليه ويفرغ عليك العذاب بحضوري ويأخذ منك المال المعين وأنت تعلم أن حالك تقى بها ولكنك تفتقر بعدها ويرجع المال إلى وأكون أهلكت عدوي وشفيت غيظي وزاد على بتقليدي وزيرا فلما سمع هذا الكلام سقط في يده وقال يا عدو الله أو تستحل ذلك فقلت بل عدو الله من استحل مني هذا فقال وما تريد فقلت تحلف الساعة بما استحلفك من الإيمان المغلظة أن تكون معي لا علي في صغير أمري وكبيره ولا تنقص لي رسما ولا تضع مني بل تبالغ في رفعتي ولا تبطن علي فقال وتحلف أنت أيضا لي بمثل هذا اليمين على جميل النية وحسن الطاعة

وقدم

الغا فقيل له لو اتخذت لولدك من هذا المال ذخرا فقال بل أجعله ذخرا لي واجعل الله ذخرا لولدي وقسمه بين ذوي الحاجات وكان أبن مالك القشيري من الجواد قيل أنه نهب الناس ماله بعكاظ ثلاث مرات فعاتبه خاله فقال

يا خال ذرني ومالي ما فعلت به ... وخذ نصيبك منه إني مودي

فلن أطيعك إلا أن تخلدني ... فانظر يكيدك هل تستطيع تخليدي

الحمد لا يشترى الا بكرمة ... ولن أعيش بمال غير محمود

وقال المهلب عجبت لمن يشتري المماليك بماله كيف لا يشتري الأحرار بفعاله ونزل بأبي البختري وهب بن وهب القرشي ضيفا فسارع عبيده إلى انزاله وخدموه أحسن خدمة وفعلوا به كل جميل فلما هم بالرحيل لم يقربه أحد منهم وتجنبوه فأنكر ذلك عليهم فقالوا نحن إنما نعين النازل على الاقامة ولا نعينه على الرحيل ووفدت ليلى الاخيلية على الحجاج فقالت فيه

إذا ورد الحجاج أرضا مريضة ... تتبع داءها أقصى فشفاها

شفاها من الداء العضال الذي بها ... غلام إذا هز القناة سقاها

فقال لا تقولي غلام ولكن قولي همام يا غلام أعطها خمسمائه فقال أيها الامير اجعلها نعما فجعلها إبلا أناثا وقال أبو الفياض الطبري

والعز ضيف لا يراه بربعه ... من لا يرى بذل التلاد تلادا

والجود أعلى كعب كعب قبلنا ... فقضى جوادا يوم مات جوادا

وقال آخر أيقنت أن من السماح شجاعة ... وعلمت أن من السماحة جودا

وقال أحمد بن حمدون النديم عملت أم المستعين بساطا على صورة كل حيوان من جميع الاجناس وصورة كل طائر من ذهب وأعينهم يواقيت وجواهر انفقت عليه مائة ألف ألف دينار وثلاثين ألف دينار وسألته أن يقف عليه وينظر اليه فكسل ذلك اليوم عن رؤيته قال أحمد بن حمدون فقال لي ولأترجة الهاشمي اذهبا فانظرا اليه وكان معنا الحاجب فمضينا ورأيناه والله ما رأينا في الدنيا شيئا أحسن منه ولا شيئا حسنا الاوقد عمل فيه فمددت أنا يدي إلى غزال من ذهب عيناه ياقوتتان فوضعته في كمي ثم جئناه فوصفنا له حسن ما رأيناه فقال أترجة يا أمير المؤمنين أنه قد سرق منه شيئا وغمزه على كمي فأريته الغزال فقال بحياتي عليكما ارجعا فخذا ما أحببتما فمضينا فملأنا أكمامنا وأقبيتنا وأقبلنا نمشي كالحبالى فلما رآنا ضحك فقال بقية الجلساء ونحن فما ذنبنا يا أمير المؤمنين فقال قوموا فخذوا ما شئتم ثم قام فوقف على الطريق ينظر كيف يحملون ويضحك ونظر يزيد المهلبي سطلا من ذهب مملوءا مسكا فأخذه بيده وخرج فقال له المستعين إلى أين فقال إلى الحمام يا أمير المؤمنين فضحك من قوله وأمر الفراشين والخدم أن ينهبوا الباقي فنهبوه فوجهت اليه أمه تقول سر الله أمير المؤمنين لقد كنت أحب أن يراه قبل أن يفرقه فانني انفقت عليه مائة ألف ألف وثلاثين ألف دينار فقال يحملي اليه مثل ذلك حتى تعيد مثله ففعلت ومضى حتى رآه وفعل به كفعله بالأول ودخل طلحة بن عبد الله بن عوف السوق يوما الموافي فيه الفرزدق فقال يا أبا فراس اختر عشرا من الإبل ففعل قال ضم اليها مثلها فلم يزل يقول مثل ذلك حتى بلغت مائة قال هي لك فقال

يا طلح أنت أخو الندى وعقيده ... أن الندى ما مات طلحة ماتا

أن الندى لقى اليك رحاله ... فبحيث بت من المنازل باتا

فقلت آفعل فقال لعنك الله والله لقد سخرتني واستدعى بدواة فعملنا نسخة بيمين وخلف كل مناعليها فلما أردت القيام قال لي يا أبا عبد الله لقد عظمت في نفسي والله ما كان المقتدر يفرق بيني

وبين أحسن كتابي إذا رآني المال فليكن ما جرى بيننا مطويا فقلت سبحان الله فقال إذا كان غدا فسر إلى المجلس فترى ما أعاملك به فقمت فأمر الغلمان أن يسيروا في خدمتي بأجمعهم إلى داري ولما أصبحت جئته فبالغ في الاكرام والتعظيم وامر بانشاء الكتب إلى النواحي باعزازي وكلائي وحماية أملاكي فشكرته وقت فأمر الغلمان أيضا بالمشي بين يدي والحجاب والناس يتعجبون من ذلك ولم يعلم أحد ما السبب وما حدثت بهذا الحديث الا بعد القبض عليه (وذكر ابن الجوزي في الباب السابع من كتاب الحمقى والمغفلين) ان جماعة من العقلاء صدر عنهم افعال الحمقى وأصروا على ذلك مستصوبين لها فصاروا بذلك الاصرار حمقى ومغفلين (فأول القول ابليس لعنه الله تعالى) فانه صوب نفسه وخطأ حكمة الله تعالى ورمى عن قوس الاعتراض في عدم السجود لآدم عليه السلام ثم قال انظرني إلى يوم يبعثون فصارت لذته في ايقاع العاصي في الذنب كأنه يغيظ ونسي عقابه بالدائم فلا حمق كحمقه ولا غفلة كغفلته ولله در القائل في إبليس عجب من ابليس في غفلته وخبث ما أظهر من نيته ، تاه على آدم في سجدة ، وصار قوادا لذريته (الثاني فرعون) في دعواه الربوبية

وقدم زياد الأعجم على عبدالله بن الحشرج بنيسابور فأكرمه وأنعم عليه وبعث إليه بألف دينار

أن السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج

فقال زدني فقال كل شيء وثمنه ، ووفد أبو عطاء السدي على نصر بن سيار بخراسان مع رفيقين له فأنزله وأحسن إليه وقال ماعندك يا أبا عطاء فقال وما عسى أن أقول وأنت أشعر العرب غير اني قلت بيتين قال هات ماقلت فقال

يا طالب الجود أما كنت تطلبه فاطلب على بابه نصر بن سيار

الواهب الخيل تعدو في أعنتها مع القيان وفيها ألف دينار

فأعطاه ألف دينار ووصائف وكساه كسوة جميلة فقسم ذلك بين رفيقه ولم يأخذ منه شيئا فبلغ ذلك نصرا فقال ياله قاتله الله سيدا ماأضخم قدره ثم أمر له بمثله ، وقال العتبي أشرف عمرو بن هبيرة يوما من قصره فاذاهو أعرابي قل قلوصه فقال عمرو أردت الأمير فدخل به اليه فلما مثل بين يديه قال له ماحاجتك فأنشد الاعرابي يقول

أصلحك الله قل ما بيدي ولا أطيق العيال إذ كثروا

أناخ دهري على كلكله فأرسلوني اليك وانتظروا

فأخذت عمرا الأريحية فجعل يهتز في مجلسه ثم قال أرسلوك إلى وانتظروا اذن والله لاتجلس حتى ترجع اليهم ثم أمر له بألف دينار ، وقيل أراد ابن عامر أن يكتب لرجل بخمسين ألف درهم فجرى القلم بخمسمائة ألف فراجعه الخازن في ذلك فقال انفذه فما بقي إلا لانفاذه وان خروج المال أحب إلى من الاعتذار فاستكثره الخازن فقال إذا أراد الله بعبد خيرا صرف القلم عن مجرى ارادة كاتبه إلى ارادته وأنا أردت شيئا وأراد الجواد الكريم أن يعطي عبده عشرة أضعافه فكانت ارادة الله الغالبة وأمره النافذه ووقف اعرابي على ابن عامر فقال ياقمر البصرة شمس الحجاز ويا ابن ذروة العرب وابن بطحاء مكة برحت بي الحاجة وأكدت بي الآمال إلا بفنائك فامنحني بقدر الطاقة لابقدر الجد والشرف والهمة فأمر له بمائتي ألف درهم وسمع المأمون قول عمارة بن عقيل أأترك إن قلت دراهم خالد زيارته اني إذا للئيم

فقال أوقلت دراهم خالد احملوا اليه مائة ألف درهم فبعثها خالد بن يحيى إلى عمارة بن عقيل وقال هذه قطرة من سحابك ، ولما عزل عبد الرحمن بن الضحاك عن المدينة بكى ثم قال والله مابكائي جزعا من العزل ولا أسفا على الولاية ولكن أخاف على هذه الوجوه أن يلي أمرها من لايعرف لها حقا ، وأراد الرشيد أن يخرج إلى بعض المتفرجات فقال يحيى بن خالد لرجاء بن عبد العزيز وكان على نفقاته ماعندك من الأموال قال سبعمائة ألف درهم قال فاقبضها اليك يارجاء فلما كان من الغد دخل عليه رجاء فقبل يده وعنده منصور بن زياد فلما خرج رجاء قال يحيى لمنصور قد ظننت أن رجاء توهم أنا قد وهبنا المال له وانما أمرناه بقبضه من الوكلاء ليحفظه علينا لحاجتنا اليه في وجهنا هذا فقال منصور أنا استخبر لك هذا فقال يحيى اذن يقول لك قل له يقبل يدي كما قبلت يده فلاتقل له شيئا فقد تركتها له وقيل ان الرشيد وصل في يوم واحد بألف ألف ألف وثلثمائة ألف وخمسين ألفا ووصل المنصور في يوم واحد لبني هاشم ووجوه قواده بعشرة آلاف ألف دينار على ماذكر ، وعن الأخفش الصغير قال كان أسيد بن عنقاء الفزاري من أكبر أهل زمانه قدرا وأكثرهم أدبا وأفصحهم لسانا وأثبتهم

جنانا فطال عمره ونكبه دهره فخرج عشية ينتقل لاهله فربه عميلة الفزارى فسلم عليه وقال ماأصارك يا عم إلى ما أرى فقال بخل مثلك بماله وصون وجهى عن مسئلة الناس فقال والله لئن بقيت إلى غد لأغيرن ما أرى من حالك فرجع ابن عنقاء إلى أهله فأخبرها بما قال له عميلة فقالت له لقد غرك كلام غلام فى جنح ليل قال فكأنما ألقمت فاه حجرا وبات متململا بين رجاء وبأس فلما كان وقت السحر سمع رغاء الإبل وصهيل الخيل تحت الأموال فقال ما هذا قالوا عميلة قد قسم ماله شطرين وبعث اليك بشطره فأنشأ يقول :

رآنى على ما بى عميلة فاشتكى ... إلى ماله حالى فواسى وما هجر
ولما رآنى المجد استعيرت ثيابه ... تردى رداء سابغ الذيل واتزر
غلام حباه الله بالحسن يافعا ... له سيمياء لا تشق على البصر
كأن الثريا علقت فى جبينه ... وفى أنفه الشعرى وفى جيده القمر

وكان عمر بن عبيد الله بن معمر التميمى من الأجواد قيل انه كان لرجل جارية يهواها فاحتاج إلى بيعها فابتاعها منه ابن معمر بمال جزيل فلما قبض ثمنها أنشأت تقول

هنيئا لك المال الذى قد قبضته ... ولم يبق فى كفى غير التحسر
أبوء بحزن من فراقك موجع ... أناجى به صدرا طويل التفكر

فأجابها بقوله : ولولا قعود الدهر عنك لم يكن ... يفرقنا شئ سوى الموت فاعذرى
عليك سلام لا زيارة بيننا ... ولا وصل الا أن يشاء ابن معمر

فقال ابن معمر قد شئت وهبتك الجارية وثمنها فخذها وانصرف * ووفد أبو الشمقمق إلى مدينة سابور يريد عبد السلام فلما دخلها توجه إلى منزله فوجده فى دار الخراج بطالب فدخل عليه يتوجع له فلما رآه محمد قال

ولقد قدمت على رجال طالما ... قدم الرجال عليهم فتمولوا
أخنى الزمان عليهم فكأنما ... كانوا بأرض أقفرت فتحولوا

فقال أبو الشمقمق

الجود أفلسهم وأذهب مالهم ... فاليوم ان راموا السماحه يبخلوا

فخلع محمد ثوبه وخاتمه ودفعهما اليه وكتب ذلك مستوفى الخراج إلى الخليفة فوقع إلى عامله باسقاط الخراج عن محمد بن عبد السلام فى تلك السنة واسقاط ما عليه من البقايا وأمر له بمائة ألف درهم معونة له على مروءته * وقال أبو العيناء حصلت لى ضيقة شديدة فكتمتها عن أصدقائى فدخلت يوما على يحيى ابن أكثم القاضى فقال ان أمير المؤمنين المأمون جلس للمظالم وأخذ القصص فهل لك فى الحضور قلت نعم فمضيت معه إلى دار أمير المؤمنين فلما دخلنا عليه أجلسه وأجلسنى ثم قال يا أبا العيناء بالألفة والمحبة ما الذى جاء بك فى هذه الساعة فأنشدته :

لقد رجوتك دون الناس كلهم ... والرجاء حقوق كلها تجب
ان لم يكن لى أسباب أعيش بها ... ففى الملك أخلاق هى السبب

فقال ياسلامة انظر أى شئ فى بيت مالنا دون مال المسلمين فقال بقية من مال قال ادفع له منها مائة ألف درهم وابعث له بمثلها فى كل شهر فلما كان بعد أحد عشر شهرا مات المأمون فبكى عليه أبو العيناء حتى تقرحت أجفانه فدخل عليه بعض أولاده فقال ياأبتاه بعد ذهاب العين ماذا ينفع البكاء فأنشأ أبو العيناء يقول

شيآن لو بكت الدماء عليهما ... عيناى حتى يؤذنا بذهاب

وافتخاره بقوله أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى فافتخر بساقية لا هو أجراها ولا يعرف مبدأها ولا منتهاها ونسى أمثالها مما ليس تحت قدرته وليس (١٦٦) فى الحمق أعظم من ادعائه الإلهية وقد ضربت الحكماء بذلك مثلا فقالوا دخل إبليس على فرعون فقال له من أنت قال إبليس قال ماجاء بك قال جئت متعجبا من جنونك قال كيف قال أنا عاديت مخلوقا مثلى فامتنعت من السجود له فطردت ولعنت وأنت تدعى أنك إله هذا والله هو الحمق والجنون البارد (ومن عجيب الحمق والتغفل) اتخاذ الأصنام باليد والاقبال على عبادتها والإله ينبغى أن يفعل ولا يفعل (وكذلك) نمروذ فى بنائه الصرح ثم رميه بنشابة يريد أن يقتل إله السموات والأرض (وكذلك) بنو إسرائيل حين جاوزوا البحر وقد أنجاهم الله تعالى من تلك الأهوال واستنقذهم من فرعون قالوا اجعل لنا إلها كما لهم آلهة (وكذلك) قول النصارى أن عيسى إله وابن إله ثم يقرون أن اليهود صلبوه وهذا غاية البله والغفلة (وكذلك) الرافضة يعلمون اقرار على ببيعة أبى بكر وعمر واستيلاده الحنفية من سبى أبى بكر وتزويجه أم كلثوم ابنته من عمر وكل ذلك دليل على رضاه ببيعتهما ثم فى الرافضة من يسبهما وفيهم من يكفرهما وكل ذلك يطالبون به حب على بزعمهم وقد تركوا حبهم وراء ظهورهم (وقد روى) عن الامام أحمد بن حنبل أنه قال لو جاءنى رجل فقال انى حلفت بالطلاق ان لا أكلم فى هذا اليوم من هو أحمق وكلم رافضيا أو نصرانيا لم

لم يبلغا المعشار من حقيهما　　فقد الشباب وفرقة الأحباب

وكان أحمد بن طولون كثير الصدقة وكان راتبه فى الشهر ألف دينار سوى ما يطرأ عليه من نذر أوصلة وسوى ما يطبخ فى دار الصدقة وكان الموكل بصدقته سليم الخادم فقال له سليم يوما أيها الأمير انى أطوف القبائل وأدق الأبواب لصدقاتك وان اليد تمتد إلى وفيها الحناء وربما كان فيها الخاتم الذهب والسوار الذهب أفأعطى أم أرد قال فأطرق طويلا ثم قال كل يد امتدت إليك فلا تردها * وقال سلمة بن عباس فى جعفر بن سليمان

وما شم أنفى ريح كف شممتها　　من الناس إلا ريح كفك أطيب

فأمر له بألف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر * وكان عبد العزيز بن عبد الله جوادا مضيافا فتغدى عنده اعرابى يوما فلما كان من الغد مر على بابه فرأى الناس فى الدخول على هيئتهم الامس فقال أو كل يوم يطعم الأمير الناس قالوا نعم فأنشأ يقول

كل يوم كأنه عيد أضحى　　عند عبد العزيز أو عيد فطر

وله ألف جفنة مترعات　　كل قدر يمدها ألف قدر

و تعشى الناس ليلة عند سعيد بن العاص فلما خرجوا بقى فتى من الشام قاعدا فقال له سعيد ألك حاجة واطفأ الشمعة كراهة أن يخجل الفتى فذكر ان أباه مات وخلف دينا وعيالا وسأله ان يكتب له كتابا إلى أهل دمشق ليقوموا ببعض اصلاح حاله فدفع اليه عشرة آلاف دينار وقال له لاأدعك تقاسى الذل على أبوابهم * ودخل رجل على على بن سليمان الوزير فقال له سألتك بالله العظيم ونبيه الكريم الا ما أجرتنى من خصمى فقال ومن خصمك حتى أجيرك منه فقال الفقر فاطرق الوزير ساعة وقال قد أمرت لك بمائة ألف درهم فأخذها وانصرف فبينما هو فى الطريق إذ أمر الوزير برده إليه فلما رجع قال له سألتك بالله العظيم ونبيه الكريم متى أتاك خصمك معنفا فارجع إلينا متظلما وقال الأعمش كانت عندى شاة فمرضت وفقدت الصبيان لبنها فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشى ويسألنى هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتى لبدا أجلس عليه فكان إذا خرج يقول خذ ما تحت اللبد حتى وصل إلى من علة الشاة أكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت ان الشاة لم تبرأ (وحكى) أبو قدامة القشيرى قال كنا مع يزيد بن مزيد يوما فسمع صائحا يقول يا يزيد بن مزيد فطلبه فأتى به إليه فقال ما حملك على هذا الصياح قال فقدت دابتى ونفذت نفقتى وسمعت قول الشاعر

إذا قيل من للجود والمجد والندى　　فنادى بصوت يا يزيد بن مزيد

فامر له بفرس أبلق كان معجبا به وبمائة دينار وخلعة سنية فأخذها وانصرف (وحكى) أن قوما من العرب جاؤا إلى قبر بعض أسخيائهم يزورونه فباتوا عند قبره فرأى رجل منهم صاحب القبر فى المنام وهو يقول له هل لك أن تبيعنى بعيرك بنجيبى وكان الميت قد خلف نجيبا وكان للرائى بعير سمين فقال نعم وباعه فى النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما عقد البيع عمد صاحب القبر إلى البعير فنحره فى النوم فانتبه الرائى من نومه فوجد الدم يسيح من نحر بعيره فقام وأتم نحره وقطع لحمه وطبخوه وأكلوا ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثانى وهم فى الطريق سائرون استقبلهم ركب فتقدم منهم شاب فنادى هل فيكم فلان بن فلان فقال صاحب البعير نعم ها أنا فلان بن فلان

لقلت له حنثت فقال له ابن الدينارى أعزك الله ولم صارا أحمقين قال لأنهما خالفا الصادقين (أما الصادق الأول) فعيسى عليه السلام قال للنصارى انى عبد الله وقال أن اعبدوا الله فقالوا لا وعبدوه جهلا وحمقا (والصادق الثانى) الإمام على رضى الله عنه فانه قال عنه صلى الله عليه وسلم انه قال عن أبى بكر وعمر هذان سيدا كهول أهل الجنة والرافضة يسبونهما (ومن المنقول عن حمق النساء) أن الامين لما حوصر قال لجاريته غنى فغنت

أبكى فراقهم عينى فأرقها　　ان التفرق للأحباب بكاء

فقال لعنك الله أما تعرفين غير هذا فغنت

ما اختلف الليل والنهار ولا　　دارت نجوم السماء فى فلك

الا لينتقل السلطان من ملك　　غيب تحت الثرى إلى ملك

فقال لها قومى فقامت فعثرت بقدح بلور فكسرته فقال قائل قضى الامر الذى فيه تستفتيان ولما قتله المأمون دخل على زبيدة ليعزيها به فقالت ان اردت ان تسلينى فتغد عندى فتغدى عندها فأخرجت له من جوارى الأمين من تغنيه فغنت

هم قتلوه كى يكونوا مكانه　　كما غدرت يوما بكسرى مرازبه

فوثب المأمون مغضبا فقالت له زبيدة أحرمنى الله أجره إن كنت دسسته إليها أو لقنتها فصدقها وانصرف (ومن ذلك) أن المعتصم لما فرغ من بناء قصره أدخل الناس عليه فاستاذن بن اسحق بن إبراهيم فى الإنشاء فأذن له فأنشد

يادار غيرك البلى ومحاك ياليت شعرى ما الذى اباك فتطير المعتصم وجميع من حضر المجلس وتعجبوا كيف يصدر من
مثل اسحق هذا التغفل المفروط ولم (١٦٨) يجتمع بعدذلك بالدار اثنان (ومن لطائف المنقول عن الحمقى والمغفلين) أن عيسى بن
صالح تولى قنسرين والعواصم للرشيد وكان من الحمق على جانب عظيم قال بعضهم أتانى رسوله بالملل فأمرنى بالحضور فتوهمت أن كتابا جاءه من أمير المؤمنين فى مهم احتاج فيه إلى حضور مثلى فركبت إلى داره فلما دخلت سألت الحجاب هل ورد كتابا من الخليفة أو حدث أمر فقالوا لا فامضيت إلى الخدم فسألتهم فقالوا مثل مقالة الحجاب فمررت إلى المواضع الذى هو فيه فقال لى ادخل ليس عندى أحد فدخلت فدجدته على فراشه فقال اعلم أنى سهرت الليلة مفكراً فى أمر إلى ساعة هذه فقلت وما هو الأمر أصلح الله الأمير قال اشتهيت أن يصيرنى الله حورية فى الجنة ويجعل زوجى يوسف الصديق فطال لذلك فكرى فقلت له هلا اشتهيت محمداً صلى الله عليه وسلم أن يكون زوجك فانه سيد الأنبياء عليهم السلام فقال لا تظن إنى لم أفكر فى هذا قد فكرت فيه ولكنى كرهت أن أغيظ عائشة رضى الله عنها

كعب

(ومن لطائف المنقول عن المغفلين من الأعراب) قيل صلى اعرابى خلف بعض
الأئمة فى الصف الأول وكان اسم الاعرابى مجرما فقرأ الإمام والمرسلات عرفا فلما بلغ إلى قوله تعالى ألم نهلك الأولين

فقال هل بعث من فلان الميت شيئا قال نعم بعثه بعيرى بنجيبة فى النوم فقال هذا نجيبه فخذه وأنا ولده وقد رأيته فى النوم وهو يقول ان كنت ولدى فادفع نجيبى إلى فلان فانظر إلى هذا الرجل الكريم كيف كرم أضيافه بعد موته (وروى) عن الهيثم بن عدى أنه قال تمارى ثلاثة نفر فى الاجواد فقال رجل أسخى الناس فى عصرنا هذا عبد الله بن جعفر فقال الآخر اسخى الناس قيس بن سعد بن عباده فقال الآخر اسخى الناس اليوم عرابة الأوسى فتنازعوا بفناء الكعبة فقال لهم رجل لقد أفرطتم فى الكلام فليمض كل واحد منكم إلى صاحبه يسأله حتى ننظر بما يعود فنحكم على العيان فقام صاحب ابن جعفر فوافاه وقد وضع رجله فى ركاب راحلته يريد ضيعة له فقال الرجل يا ابن عم رسول الله ﷺ ابن سبيل ومنقطع به قال فاخرج رجله وقال ضع رجلك واستو على الناقة وخذ ما فى الحقيبة وكان فيها مطارف خز وأربعة دينار ومضى صاحب قيس فوجده نائما فقالت له جارية لقيس ما حاجتك فقال ابن سبيل ومنقطع به فقالت الجارية حاجتك أهون من ايقاظه هذا كيس فيه سبعمائة دينار ما فى دار قيس اليوم غيرها وامض الى معاطن الابل فخذ رحلة من رواحله وما يصلحها وعبداً وامض لشأنك قيل ان قيسا لما انتبه أخبرته الجارية بما صنعت فاعتقها ولو لم تعلم ان ذلك يرضيه ماجسرت أن تفعله فخلق خدم الرجل مقتبس من خلقه قال بعض الشعراء

وإذا ما اختبرت ود صديق ... فاخبر وده من الغلمان

ومضى صاحب عرابة فوجده قد خرج من منزله يريد الصلاة فقال يا عرابة ابن سبيل ومنقطع به وكان معه عبدان فصفق بيده اليمنى على اليسرى وقال أواه أواه والله ما أصبح ولا أمسى الليلة عند عرابة شيء ولا تركت له الحقوق مالا ولكن خذ هذين العبدين فقال الرجل والله ما كنت بالذى يسلبك عبديك فقال ان أخذتهما أولا فهما حران لوجه الله تعالى فان شئت فخذ وإن شئت فاعتق وأخذ الرجل العبدين ومضى ثم اجتمعوا وذكروا قصة كل واحد فحكموا لعرابة لأنه أعطى على جهده * قيل أن الشاعر قصد خالد بن يزيد فأنشده شعراً يقول فيه

سألت الندى والجود حران أنتما ... فقالا يقينا اننا لعبيد
فقالت ومن مولاكما فتطاولا ... إلى وقالا خالد ويزيد

فقال يا غلام اعطه مائة الف درهم وقل له أن زدناك فأنشد يقول

كريم كريم الامهات مهذب ... تدفق يمناه الندى وشمائله
هو البحر من أى الجهات أتيته ... فلجته المعروف والجود ساحله
جود بسيط الكف حتى لو انه ... دعاها لقبض لم تجبه أنامله

فقال يا غلام اعطه مائة الف درهم وقل له أن زدتنا زدناك فأنشد يقول

تبرعت لى بالجود حتى نعشتنى ... واعطيتنى حتى حسبتك تلعب
وأنبت ريشا فى الجناحين بعدما ... تساقط منى الريش أوكاد يذهب
فانت الندى وابن الندى واخو الندى ... حليف الندى ما للندى عنك مذهب

فقال يا غلام اعطه مائة الف درهم وقل له أن زدتنا زدناك فقال حسب الأمير ما سمع وحسبى ما أخذت وانصرف (وأما الذين ينتهى اليهم الجود فى الجاهلية) فهم حاتم بن عبد الله الطائى وهرم ابن سنان وخالد بن عبد الله وكعب بن مامة الايادى وضرب المثل بحاتم أشهرهما * فأما

ناخر الأعرابي إلى الصف الاخير فقال تتبعهم الآخرين فرجع إلى الصف الاوسط فقال كذلك نفعل بالمجرمين فولى هاربا وهو يقول والله ما المطلوب غيري (ومثله) صلى أعرابي خلف امام الصبح فقرأ الامام

كعب فجاد بنفسه وآثر رفيقه بالماء في المفازة ومات عطشا وليس له خبر معروف ، وأما خالد بن عبيد الله فانه جاء اليه بعض الشعراء ورجله في الركاب يريد الغزو فقال له اني قلت فيك بيتين من الشعر فقال في مثل هذا الحال قال نعم فقال هاتهما فأنشده يقول :

يا واحد العرب الذي ما في الانام له نظير
لو كان مثلك آخره ماكان في الدنيا فقير

فقال ياغلام أعطه عشرين الف دينارا فأخذها وانصرف وأما حاتم فأخباره كثيرة وآثاره في الجهود شهيرة ويكنى أباسفانة وأباعدي وكان يسير في قومه بالمرباع والمرباع ربع الغنيمة وكان ولده عدي يعادي النبي ﷺ فبعث النبي ﷺ عليا إلى طيء فهرب عدي بأهله وولده ولحق بالشام وخلف أخته سفانة فأسرتها خيل رسول الله ﷺ فلما أتي بها إلى النبي ﷺ قالت يامحمد هلك الوالد وغاب الرافد فان رأيت أن تخلي عنا ولا تشمت بي أحياء العرب فان أبي كان سيد قومه يفك العاني ويقتل الجاني ويحفظ الجار ويحمي الزمار ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشي السلام ويحمل الكل ويعين على نوائب الدهر وما أتاه أحد في حاجة فرده خائبا أنا بنت حاتم الطائي فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ياجارية هذه صفات المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الأخلاق وقال فيها ارحموا عزيزا ذل وغنيا افتقر وعالما ضاع بين جهال فأطلقها ومن عليها فاستأذنته في الدعاء فأذن لها وقال لأصحابه اسمعوا وعوا فقالت أصاب الله ببرك مواقعه ولا جعل لك إلى لئيم حاجة ولاسلب نعمة عن كريم قوم الا وجعلك سببا في ردها عليه فلما أطلقها ﷺ رجعت إلى قومها فأتت أخاها عديا وهو بدومة الجندل فقالت له يا أخي ائت هذا الرجل قبل أن تعلقك حبائله فاني قد رأيت هديا ورأيا سيغلب أهل الغلبة رأيت خصالا تعجبني رأيته يحب الفقير ويفك الاسير ويرحم الصغير ويعرف قدر الكبير ما رأيت أجود ولا أكرم منه ﷺ واني أرى أن تلحق به فان يك نبيا فللسابق فضله وان يك ملكا فلن يزل عن عز اليمن فقدم عدي الى النبي ﷺ فالقى له وسادة محشوة ليفا وجلس النبي ﷺ على الارض فأسلم عدي بن حاتم وأسلمت اخته سفانة بنت حاتم المتقدم ذكرها وكانت من أجود نساء العرب وكان أبوها يعطيها الضريبة من ابله فتهبها وتعطيها للناس فقال لها أبوها يابنية الكريمين إذا اجتمعا في المال أتلفاه فاما ان أعطي وتمسكي وأما أن أمسك وتعطي فانه لا يبقى على هذا شيء فقالت له منك تعلمت مكارم الاخلاق. قال ابن الاعرابي كان حاتم الطائي من شعراء الجاهلية وكان جوادا يشبه جوده شعره ويصدق قوله فعله وكان حيثما نزل عرف منزله وكان مظفرا إذا قاتل غلب وإذا سئل وهب وإذا سابق سبق وإذا أسر أطلق وكان إذا أهل رجب الذي كانت تعظمه مضر في الجاهلية نحر كل يوم عشرا من الإبل وأطعم الناس واجتمعوا اليه وكان قد تزوج مارية بنت عفير وكانت تلومه على اتلاف المال فلا يلتفت لقولها وكان لها ابن عم يقال له مالك فقال لها يوما ما تصنعين بحاتم فوالله لئن وجد مالا ليتلفنه وان لم يجد ليتكلفن ولئن مات ليتركن أولاده عالة على قومك فقالت مارية صدقت انه كذلك وكانت النساء يطلقن الرجال في الجاهلية وكان طلاقهن أن يكن في بيوت من شعر فان كان باب البيت من جهة المشرق حولته إلى المغرب وان كان من قبل المغرب حولته إلى المشرق وان كان من قبل اليمن حولته إلى الشام وان كان من قبل الشام حولته إلى اليمن فاذا رأى الرجل ذلك علم انها طلقته فلم يأتها ثم قال لها ابن عمها طلقي حاتما وأنا أتزوجك وأنا خير لك منه وأكثر مالا وأنا أمسك

فامر باخراجه فقام على الباب يبكي فأخبره سيف الدولة ببكائه فرق له وأمر برده وقال له مالك تبكي قال قصدت مولانا بكل ما أقدر عليه أطلب منه بعض ما يقدر عليه فلما خاب أملي بكيت فقال سيف الدولة ويلك فمن يكون له مثل هذا النسل يكون له في ذلك النظم وكم كنت أملت قال خمسمائة درهم فأمر بألف درهم فأخذها وانصرف (ومن المنقول عن المغفلين على الاطلاق قال بعضهم دخلت مسجد دمشق فاذا أنا بجماعة عليهم سمة العلم فجلست اليهم وهم ينتقصون من علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقمت من عندهم مغضبا فرأيت شيخا جميلا يصلي فظننت به الخير فجلست اليه فقلت له ياعبد الله أما ترى هؤلاء القوم يشتمون علي بن أبي طالب ويصنفون وهو زوج فاطمة الزهراء وابن عم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقال لي ياعبد الله لو نجا أحد من الناس لنجا منهم أبو محمد رحمه الله تعالى قال فقلت ومن أبو محمد قال الحجاج

مات الخليفة ايها الثقلان ، فقالوا هذا شعر الناس فانه نعى الخليفة الى الانس والجن في نصف بيت ومدت الناس أبصارهم وأسماعهم اليه فقال ، فكأنني افطرت في رمضان ، قال فضحك

الناس وصار شهرة فى الحق (ومثله) أن سيف الدولة بن حمدان انصرف من حرب وقد نصر على عدوه فدخل عليه الشعراء فأنشده فدخل معهم رجل شامى (١٧٠) فأنشدوه وكانوا كفار وسوسوا خلف حائط وكنت كسنور عليهم تسقفا فأمر باخراجه فقام على الباب يبكى فأخبر سيف الدولة ببكائه فرق له وأمر برده وقال له مالك تبكى قال قصدت مولانا بكل ما أقدر عليه أطلب منه بعض ما يقدر عليه فلما خاب أملى بكيت فقال سيف الدولة ويلك فمن يكون له مثل هذا النسل يكون له ذلك النظم وكم كنت أملت قال خمسمائة درهم يأمر له بألف درهم فأخذها وانصرف (ومن المنقول عن المغفلين على الاطلاق) قال بعضهم دخلت مسجد دمشق فاذا أنا بجماعة عليهم سمة العلم فجلست إليهم وهم ينقصون من على بن أبى طالب رضى الله عنه فقمت من عندهم مغضبا فرأيت شيخا جميلا يصلى فظننت به الخير فجلست إليه فقلت له يا عبد الله أما ترى هؤلاء القوم يشتمون على بن أبى طالب وينقصونه وهو زوج فاطمة الزهراء وابن عم سيدنا محمد ﷺ فقال لى يا عبد الله لو نجا أحد من الناس لنجا منهم أبو محمد رحمه الله تعالى قال فقلت ومن أبو محمد قال الحجاج ابن يوسف وجعل يبكى فقمت من عنده وحلفت لا أقيم بها (ومن ذلك) أن رجلا سأل بعضهم وكان من الحمق على جانب عظيم فقال أيما أفضل عندك معاوية أو عيسى بن مريم فقال ما رأيت سائلا أجهل منك

أخره

عليك ولدك فلم تزل بها حتى طلقته فأتاها حاتم وقد حولت باب الخباء فقال حاتم لولده يا عدى ما ترى بما فعلت أمك فقال قد رأيت ذلك قال فاخذ ابنه وهبط بطن واد فنزل فيه فجاءه قوم فنزلوا على باب الخباء كما كانوا ينزلون وكانت عدتهم خمسين فارسا فضاقت بهم ماوية ذرعا وقالت لجاريتها اذهبى إلى ابن عمى مالك وقولى له ان أضيافا لحاتم قد نزلوا بنا وهم خمسون رجلا فارسل إلينا بشىء نقريهم وابن نسقيهم وقالت لها انظرى إلى جبينه وفمه فان شافهك بالمعروف فاقبلى منه وإن ضرب بلحيته على زوره ولطم رأسه فاقبلى ودعيه فلما أتته وجدته متوسدا وطبا من لبن فأيقظته وأبلغته الرسالة وقالت له انما هى الليلة حتى يعلم الناس مكان حاتم فلطم رأسه بيده وضرب بلحيته وقال اقرئيها السلام وقولى لها هذا الذى أمرتك أن تطلقى حاتما لأجله وما عندى لبن يكفى أضياف حاتم فرجعت الجارية فأخبرتها بما رأت وبما قال لها فقالت لها اذهبى إلى حاتم وقولى له أن أضيافك قد نزلوا بنا الليلة ولم يعلموا مكانك فارسل إلينا بناقة نقريهم وابن نسقيهم فأتت الجارية حاتما فصاحت به فقال لبيك قريبا دعوت فأخبرته بما جاء بسببه فقال لها حبا وكرامة ثم قام إلى الإبل فاطلق اثنتين من عقالها وصاح بهما حتى أتيا الخباء ثم ضرب عراقيبها فطفقت ماوية تصيح هذا الذى طلقتك بسببه تترك أولادنا وليس لهم شىء فقال ويحك ياماوية الذى خلقهم وخلق الخلق متكفل بأرزاقهم وكان إذا اشتد البرد وغلب الشتاء وأمر غلمانه بنار فيوقدونها فى بقاع الأرض لينظر إليها من ضل عن الطريق ليلا فيقصدها ولم يكن حاتم يمسك شيئا ما عدا فرسه وسلاحه فانه كان لا يجود بهما ثم جاد بفرسه فى سنة مجدبة (حكى) ان ملكا ابن أخى ماوية قال قلت لها يا عمة حدثينى ببعض عجائب حاتم وبعض مكارم أخلاقه فقالت يا ابن أخى أعجب ما رأيت منه أصابت الناس سنة أذهبت الخف والظلف وقد أخذنى وإياه الجوع وأسهرنا فأخذت سفانا وأخذ عديا وجعلنا نعللهما حتى ناما فأقبل على يحدثنى ويعللنى بالحديث حتى أنام فرققت به لما به من الجوع فأمسكت عن كلامه لينام فقال لى أنمت فلم أجبه فسكت ونظر فى فناء الخباء فاذا شىء قد أقبل فرفع رأسه فاذا امرأة فقال ما هذا فقالت يا أبا عدى أتيتك من عند صبية يتعاوون كالكلاب أو كالذئاب جوعا فقال لها احضرى صبيانك فوالله لأشبعنهم فقامت سريعة لأولادها فرفعت رأسى وقلت له يا حاتم بماذا تشبع أطفالها فوالله ما نام صبيانك من الجوع إلا بالتعليل فقال والله لأشبعنك وأشبعن صبيانك وصبيانها فلما جاءت المرأة نهض قائما وأخذ المدية بيده وعمد إلى فرسه فذبحه ثم أجج نارا ودفع إليها شفرة وقال قطعى واشوى وكلى واطعمى صبيانك فأكلت المرأة وأطعمت صبيانها فأيقظت أولادى وأكلت وأطعمتهم فقال والله ان هذا لهو اللؤم تأكلون وأهل الحى مثل حالكم ثم أتى الحى بيتا بيتا يقول لهم انهضوا عليكم بالنار فاجتمعوا حول الفرس وتقنع حاتم بكسائه وجلس ناحية فوالله ما أصبحوا وعلى وجه الأرض منها قليل ولا كثير إلا العظم والحافر ولا والله ما ذاقها حاتم وانه لأشدهم جوعا وأخباره كثيرة مشهورة فمن شعره

أماوى ان المال غاد ورائح ويبقى من المال الأحاديث والذكر
وقد علم الأقوام لو أن حاتما أراد ثراء المال كان له وفر

وأغار قوم على طىء فركب حاتم فرسه وأخذ رمحه ونادى فى جيشه وأهل عشيرته ولقى القوم فهزمهم وتبعهم فقال له كبيرهم يا حاتم هب لى رمحك فرمى به إليه فقيل لحاتم عرضت نفسك للهلاك ولو عطف عليك لقتلك فقال قد علمت ذلك ولكن ما جواب من يقول هب لى ولما مات عظم على طىء موته فادعى

أخوه أنه يخنقه فقالت له أمه هيهات شتان والله ما بين خلقتيكما صعته فبقي والله سبعة أيام لا يرضع حتى ألقمت إحدى ثديي طفلا من الجيران وكنت أنت ترضع ثديي ويدك على الآخر فأنى لك ذلك قال الشاعر

يعيش الندى ما عاش حاتم طيء ... وإن مات قامت للسخاء مآتم

وكانت العرب تسمى الكلب داعي الضمير ومتمم النعم وشيد الذكر لما يجلب من الاضياف بنباحه والضمير الغريب وكانوا إذا اشتد البرد وهبت الرياح ولم تشب النيران فرقوا الكلاب حول الحي وربطوها إلى العمد لتستوحش فتنبح فتهتدي الضلال وتأتي الاضياف على نباحها والحكايات في ذكر الاجواد والكرماء والاسخياء وأهل المعروف وما كانوا عليه من السخاء والكرم أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر في مثل هذه المناقب فليتنافس المتنافسون ولمثلها فليعمل العاملون فان فيها عز الدنيا وشرف الآخرة وحسن الصيت وخلود جميل الذكر فانا لم نجد شيئا يبقى على ممر الدهر الا الذكر حسنا كان أو قبيحا وقد قال الشاعر

ولا شيء يدوم فكن حديثا ... جميل الذكر فالدنيا حديث

فانتهز فرصة العمر ومساعدة الدنيا ونفوذ الامر وقدم لنفسك كما قدموا واذكر بالصالحات كما ذكروا وادخر نفسك في القيامة كما ادخروا واعلم أن المأكول للبدن والموهوب للمعاد والمتروك للعدو فاختر أي الثلاث شئت وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الرابع والثلاثون في البخل والشح وذكر البخلاء وأخبارهم وما جاء عنهم ﴾

قال الله تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الآية وقال رسول الله ﷺ إياكم والشح فان الشح أهلك من كان قبلكم وعنه ﷺ أنه قال البخل جامع لمساوي القلوب وهو زمام يقاد به إلى كل سوء وقالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنهما ان البخل لو كان قميصا ما لبسته أو كان طريقا ما سلكته * وقيل بخلاء العرب أربعة الحطيئة وحميد الارقط وأبو الاسود الدؤلي وخالد بن صفوان * فأما الحطيئة فمر به انسان وهو على باب داره وبيده عصا فقال أنا ضيف فأشار إلى العصا وقال لكعاب الضيفان أعددتها وأما حميد الارقط فكان هجاء للضيفان فحاشا عليهم نزل به مرة أضياف فأطعمهم تمرا وهجاهم وذكر أنهم أكلوه بنواه * وأما أبو الاسود فتصدق على سائل بتمرة فقال له جعله الله نصيبك من الجنة مثلها وكان يقول لو أطعمنا المساكين في أموالنا كنا أسوأ حالا منهم * وأما خالد بن صفوان فكان يقول الدرهم إذا دخل عليه يا عيار كم تعيرون كم تطوف وتطير لأطيلن حبسك ثم يطرحه في الصندوق ويقفل عليه وقيل له لم لا تنفق ومالك عريض فقال الدهر أعرض منه وأنشد بعضهم

وهبني جمعت المال ثم خزنته ... وحانت وفاتي هل أزاد به عمرا
إذا خزن المال البخيل فانه ... سيورثه غما ويعقبه وزرا

واستأذن حنظلة على صديق له بخيل فقيل هو محموم فقال كلوا بين يديه حتى يعرق وكتب سهل بن هارون كتابا في مدح البخل وأهداه إلى الحسن بن سهل فوقع على ظهره قد جعلنا ثوابك عليه ما أمرت به فيه وقال ابن أبي فنن

ذريني واتلافي المال فانني ... أحب من الاخلاق ما هو أجمل

ولا سمعت بمن قاس كاتب الوحي إلى نبي النصارى (ومن ذلك) أن لصا تسور روزنة وكان اللص مغفلا فنظر من خلال الروزنة فوجد رجلا وزوجته وهي تقول له يا رجل من أين اكتسبت هذا المال العظيم فقال لها كنت لصا وكنت إذا تسورت روزنة بيت صبرت إلى أن يطلع القمر فاذا طلع اعتنقت الضوء الذي في الروزنة وتدليت بلا حبل وقلت شولم شولم ونزلت فآخذ جميع ما في البيت ولا نبقي ذخيرة من ذخائر البيت الا ظهرت لي ثم أقول شولم شولم واصعد في الضوء ولا ينتبه أحد من أهل البيت واذهب بلا تعب ولا كلفة فسمع اللص ذلك فصبر الى ان طلع القمر ونام أهل البيت فتعلق في ضوء الروزنة فوقع وتكسرت أضلاعه فقام اليه صاحب البيت وقبض عليه وأسلمه إلى صاحب الشرطة (ومنهم) من كان يسوق عشرة حمير فركب واحدا منها وعدها فاذا هي تسعة حمير فنزل وعدها فاذا هي عشرة فقال أمشي وأربح حمارا خير من أن اركب واخسر حمارا فمشى حتى كاد يتلف إلى ان بلغ قريته (ومنهم) مات بعض أقاربه فقيل له لم لا تبعت جنازته فقال هذا الكلام ما يقوله عاقل أكون منسيا فاذكر بنفسي (ومن ذلك) ان بعض المغفلين سمع رجلا ينشد

وكان بنو عمي يقولون مرحبا ... فلما رأوني معدما مات مرحب

فقال كذب الشاعر مرحب قتله علي بن أبي طالب ولم يمت إلا قتيلا (ومنهم) من باع دارا وكان يؤذن بباب مسجد بالقرب منها أنسي وأنه باعها فصلى ورجع

وان أحق الناس باللوم شاعر ... يلوم على البخل الرجال ويبخل

وكان عمر بن يزيد الاسدي بخيلا جدا أصابه القولنج في بطنه فحقنه الطبيب بدهن كثير فانحل مافي بطنه في الطست فقال لغلامه اجمع الدهن الذي نزل من الحقنة وأسرج به وكان المنصور شديد البخل جداً مر به السلم الحادي في طريقه الى الحج فحدا له يوما بقول الشاعر

أغر بين الحاجبين نوره ... يزينه حياؤه وخيره ومسكه يشوبه كافوره ... إذا تغدى رفعت ستوره

فطرب حتى ضرب برجله المحمل ثم قال يا ربيع اعطه نصف درهم فقال مسلم نصف درهم يا أمير المؤمنين والله لقد حدوت لهشام فأمر لي بثلاثين ألف درهم فقال تأخذ من بيت مال المسلمين ثلاثين ألف درهم يا ربيع وكل به من يستخلص منه هذا المال قال الربيع فمازلت أمشي بينهما وأرضه حتى شرط مسلم على نفسه أن يحدوله في ذهابه وإيابه بغير مؤنة وكان أبو العتاهية ومروان بن أبي حفصة بخيلين يضرب ببخلهما المثل قال مروان مافرحت بشيء أشد مما فرحت بمائة ألف درهم وهبها لي المهدي فوزنتها فرجحت درهما فاشتريت به لحما واشترى يوما لحما بدرهم فلما وضعه في القدر دعاه صديقه فرد اللحم على القصاب بنقصان دانقين فجعل القصاب ينادي على اللحم يقول هذا لحم مروان واجتاز يوما بأعرابية فأضافته فقال ان وهب لي أمير المؤمنين مائة ألف درهم وهبت درهما فوهبه سبعين ألف درهم فوهبها أربعة دوانق * ومن الموصفين بالبخل أهل مرو يقال ان من عادتهم إذا ترافقوا في سفر أن يشتري كل واحد منهم قطعة لحم ويشكها في خيط ويجمعون اللحم كله في قدر ويمسك كل واحد منهم طرف خيطه فاذا استوى جر كل منهم خيطه وأكل لحمه وتقاسموا المرق وقيل لبخيل من اشجع الناس قال من سمع وقع أضراس الناس على طعامه ولم تنشق مرارته وقيل لبعضهم أمايكسوك محمد بن يحيى فقال والله لوكان له بيت مملوء إبرا وجاءه يعقوب ومعه الانبياء شفعاء والملائكة ضمناء يستعيره منه أبرة ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر ماأعاره اياها فكيف يكسوني وقد نظم ذلك من قال

لو أن دارك أنبتت لك واحتشت ... إبرا يضيق بها فناء المنزل

وأتاك يوسف يستعيرك ابرة ... ليخيط قد قميصه لم تفعل

وكان المتنبي بخيلا جداً مدحه انسان بقصيدة فقال له كم أملت منا على مدحك قال عشرة دنانير قال له والله لو ندفت قطن الأرض بقوس السماء على جباه الملائكة مادفعت لك دانقا وقال دعبل كنا عند سهل بن هرون فلم نبرح حتى كدنموت من الجوع فقال ويلك ياغلام آتنا غداءنا فأتى بقصعة فيها ديك مطبوخ تحته ثريد قليل فتأمل الديك فرآه بغير رأس فقال لغلامه وأين الرأس فقال رميته فقال والله إني لأكره من يرمي برجله فكيف برأسه ويحك أماعلمت أن الرأس رئيس الأعضاء ومنه يصيح الديك ولولاصوته ماأريد وفيه فرقه الذي يتبرك به وعينه التي يضرب بها المثل فيقال شراب كعين الديك ودماغه عجيب لوجع الكلية ولم تر عظما أهش تحت الاسنان من عظم رأسه وهبك ظننت أني لا آكله أما قلت عنده من يأكله أنظر في أي مكان رميته فأتني به فقال والله لا أدري أين رميته فقال لكني أنا أعرف أين رميته في بطنك الله حسبك وقيل من الناس من يبخل بالطعام ويجود بالمال وبالعكس قال بعضهم في أبي دلف

أبو دلف يضيع ألف ألف ... ويضرب بالحسام على الرغيف

اليها ودخل من الباب فصاحت النسوة وقلن له يارجل اتق الله فينا فقال اعذروني فاني ولدت في هذا الدار ولم أذكر البيع (ومنهم) من رأى جاريته تحت رجل يجامعها فقال (١٧٢) لها يا جارية ماحملك على هذا فقالت له يامولاي حلفني بحياة راسك وأنت تعلم صدق محبتي لك فسكت (ومنهم) من سمع أن صوم يوم عرفة يعدل صوم سنة فصام الى الظهر وقال يكفيني ستة أشهر (ومنهم) من جاء إلى الجب ونظر فيه فرأى خيال وجهه فذهب إلى أمه وقال ياأمي في الجب لص فجاءت الأم فتطلعت فيه فرأت خيال وجهها فقالت صدقت ومعه قحبة (ومنهم) من دعا فقال اللهم اغفر لي ولأمي ولأختي ولامرأتي فقيل له لم تركت ذكر أبيك قال لانه مات وأنا لم أدركه (وقال) رجل لرجل كم يوم في هذا الشهر فنظر وقال والله لست من أهل هذه المدينة (ومن ذلك) أن هشام ابن عبد الملك عرض الجند فتقدم رجل حمصي بفرس كلما قدمه يتأخر فقال له هشام ماهذا قال ياسيدي قاره ولكنه شبهك ببيطار كان يعالجه فنفر (ومنهم) من قيل له عندك مال جزيل وليس لك إلا والدة عجوز وإن مت ورثتك فأفسدت مالك فقال انها لا ترثني قيل وكيف قال لان أبي طلقها قبل أن يموت (ومنهم) من جاء اليه جماعة يسألونه في كفن لجار له مات فقال ماعندي الآن شيء ولكن عاودوني في وقت آخر قالوا أفنسلخه إلى أن تيسر عندك شيء (ومنهم) من تقدم يصلي المغرب بجماعة فأطال القيام فلما فرغ من الصلاة سجد

أبو

سجدتى السهو ولم يكن سها فقيل نحن أنكرنا عليك طول القراءة فا الجواب عن سجدتى السهو ولم تكن سهوت فقال ذكرت انى صليت بكم على غير وضوء فسجدت للسهو (ومن ذلك) أن عبدا كان بين اثنين فى الشركة فجعل

أبو دلف لمطبخه قتار ٭ ولكن دونه سل السيوف

واشتكى رجل مروزى صدره من سعال فوصفوا له سويق اللوز فاستثقل النفقة ورأى الصبر على الوجع أخف عليه من الدواء فبينما هو يماطل والأيام ويدافع الآلام إذ أتاه بعض أصدقائه فوصف له ماء النخالة وقال انه يجلو الصدر وأمر بالنخالة فطبخت له وشرب من مائها فجلا صدره ووجده يعصم فلما حضر غداؤه أمر به فرفع الى العشاء وقال لامرأته اطبخى هذه النخالة بين دواء وغداء فالحمد لله على هذه النعمة ٭ وعن خاقان بن صبيح قال دخلت على رجل من أهل خراسان ليلا فأتانا بمسرجة فيها فتيلة فى غاية الرقة وقد علق فيها عودا بخيط فقلت له ما بال هذا العود مربوطا قال قد شرب الدهن وإذا ضاع ولم تحفظه احتجنا الى غيره فلا نجد الا عودا عطشانا ونخشى أن يشرب الدهن فبينما أنا أتعجب وأسأل الله العافية اذ دخل علينا شيخ من أهل مرو فنظر إلى العود فقال للرجل يافلان لقد فررت من شىء ووقعت فيما هو شر منه أما علمت أن الريح والشمس يأخذان من سائر الاشياء وينشفان هذا العود لم لااتخذت مكان هذا العود إبرة من حديد فان الحديد أملس وهو مع ذلك غير نشاف والعود أيضا ربما يتعلق به شعرة من قطن الفتيلة فينقصها فقال له الرجل الخراسانى أرشدك ونفع بك فقد كنت فى ذلك من المسرفين ٭ وقال الهيثم بن عدى نزل على أبى حفصة الشاعر رجل من اليمامة فأخلى له المنزل ثم هرب مخافة أن يلزمه قراء فى هذه الليلة فخرج الضيف واشترى ما احتاج اليه ثم رجع وكتب اليه

يا أيها الخارج من بيته ٭ وهاربا من شدة الخوف
ضيفك قد جاء بزاد له ٭ فارجع وكن ضيفا على الضيف

واشترى رجل من البخلاء دارا وانتقل اليها فوقف ببابه سائل فقال لها ما أكثر السؤال فى هذا المكان قالت ياأبت مادمت مستمسكا لهم بهذه الكلمة فما تبالى كثروا أم قلوا ٭ والام اللئام وأبخلهم حميد الأرقط الذى يقال له هجاء الأضياف وهو القائل فى ضيف له يصف أكله بهذا البيت من قصيدة له

ما بين لقمته الأولى إذا انحدرت ٭ وبين أخرى تليها قيد اظفور
(وقال فيه أيضا) تجهز كفاه ويحدر حلقه ٭ إلى الزور ماضمت عليه الأنامل

وأكل أعرابى مع أبى الأسود رطبا فأكثر ومد أبو الأسود يده إلى رطبة ليأخذها فسبقه الاعرابى اليها فسقطت منه فى التراب فأخذها أبو الأسود وقال لاأدعها للشيطان يأكلها فقال الأعرابى والله ولا لجبريل وميكائيل لو نزلا من السماء ماتركها وقال أعرابى انزيل نزل به نزل بواد غير عطور ورجل بك غير مسرور فأقم بعدم أو ارحل بندم وللحمدونى

رأيت أبازرارة قال يوما ٭ لحاجبه وفى يده الحسام
لئن وضع الجرار ولاح شخص ٭ لاحتطفن رأسك والسلام
فقال سوى أبيك فذاك شيخ ٭ بغيض ليس يردعه الكلام
فقام وقال من حنق اليه ٭ بيت لم يرد فيه القيام
أبى وأبناء أبى والكلب عندى ٭ بمنزلة إذا حضر الطعام
وقال له أبن لى يا ابن كلب ٭ على خبرى أصادر أو أضام
فاذا حضر الطعام فلا حقوق ٭ على لوالدى ولا ذمام

أحدهما يضربه فلامه شريكه فقال إنما ضربت حصتى (ومنهم) من قيل كيف صنعتم فى رمضان فقال اجتمعنا ثلاثين فأنفذناه فى يوم واحد واسترحنا منه (قال الاصمعى) خرج جماعة من بنى عفار ومعهم رجل مغفل فأصابتهم ريح فى البحر أسوا معها من الحياة فأعتق كل واحد منهم مملوكا أو مملوكة فقال ذلك الرجل اللهم إنك تعلم أنى ليس لى مملوك ولا مملوكة ولكن امرأتى طالق طلقة واحدة لوجهك الكريم (وقال ابن الجوزى فى آخر كتاب الحمقى والمغفلين) ان المعلمين للصبيان صناعتهم تكاد أن تكون اكسيرا لقلة العقل وإبرز للحماقة (وقال) عدل عقل امرأة سبعين حائكا وعدل عقل حائك سبعين معلما وسبب قلة عقل المعلم أنه مع الصبيان بالنهار ومع النساء بالليل (وكان) يحيى بن أكثم لايقبل شهادة المعلم (وقيل) لصبى مالنا نراك كثير الحمق فقال لولم أكن كذلك لكنت ولد زنا (وقيل للمعلم مالك تضرب هذ

الصبى ولم يذنب قال انما ضربته قبل ان يذنب لئلا يذنب وقال الجاحظ مررت بمعلم وهو يقرىء صبيا واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا وأكيد كيدا فقلت له ويحك قد ادخلت سورة فى سورة فقال نعم حافاك الله

فما في الأرض أقبح من خوان ... عليه الخبز يحضره الزحام

فأين هذا من بخيل يرى في الجود عارا وإنما ... يرى المرء عارا أن يضن ويبخلا

إذا المرء أثرى ثم لم يرج نفعه ... صديق فلاقته المنية أولا

(وقال آخر) وآمرة بالبخل قلت لها اقصري ... فليس إليه ما حييت سبيل

أرى الناس إخوان الكريم وما أرى ... بخيلا له في العالمين خليل

وقالوا إذا سألت لئيما شيئا فعاجله ولا تدعه يفكر فإنه كلما فكر ازداد بعدا وقال ربعي الهمداني

جمعت صنوف المال من كل وجهه ... ومن نلتها إلا بكف كريم

وإني لأرجو أن أموت وتنقضي ... حياتي وما عندي يد للئيم

(وأنشد الجاحظ لأبي الشمقمق)

بمن تعلمت هذا . أن لا تجود بشيء . أما مررت بعبد . لعبد حاتم طي

(ومما قالته الشعراء في البخلاء وطعامهم) فمن أهجى ما قيل فيهم بيت جرير في بني تغلب

والتغلبي إذا تنحنح للقرى ... حك استه وتمثل الأمثالا

(وله أيضا فيهم) قوم إذا أكلوا أخفوا كلامهم ... واستوثقوا من رتاج الباب والدار

قوم إذا استنبح الضيفان كلبهم ... قالوا لأمهم بولي على النار

فتمنع البول شحا أن تجود به ... وما تبول لهم إلا بمقدار

والخبز كالعنبر الهندي عندهم ... والقمح خمسون أردبا بدينار

(فأين هؤلاء من الذي قال فيه الشاعر)

أبلج بين حاجبيه نوره ... إذا تغذى رفعت ستوره

(قال بعضهم في بخيل)

أتانا بخيل بخبز له ... كمثل الدراهم في رقته

إذا ما تنفس حول الخوان ... تطاير في البيت من خفته

(وقال آخر) تراهم خشية الأضياف خرسا ... يقيمون الصلاة بلا أذان

(وقال آخر) وقد بات عند بخيل

فبتنا كأنا بينهم أهل مأتم ... على ميت مستودع بطن ملحد

يحدث بعضنا بعضا بمصابه ... ويأمر بعضنا بعضا بالتجلد

(وقال آخر) وخيرة لا ترى في الناس مثلهم ... إذا يكون لهم عيد وإفطار

إن يوقدوا يوسعونا من دخانهم ... وليس يبلغنا ما تطبخ النار

(وقال آخر وأجاد)

فصدق إيمانه إن قال مجتهدا ... لا والرغيف فذاك البر من قسمه

فإن هممت به فافتك بخبزته ... فإن موقعها من لحمه ودمه

قد كان يعجبني لو أن غيرته ... على جرادقه كانت على حرمه

(وقال آخر) ذهب الكرام فلا كرام ... وبقي المضاريط اللئام

من لا يقبل ولا ينيل ولا يشم له طعام

(وقال آخر) خليلي من كعب أعينا أخاكما ... على دهره إن الكريم معين

ولا تبخلا بخل ابن قزعة إنه ... مخافة أن يرجى نداه حزين

إذا كان أبوه يدخل شهرا في شهر فأنا أيضا أدخل سورة في سورة ولا آخذ شيئا ولا ابنه يتعلم شيئا انتهى ما تخيرته من كتاب الأذكياء والحمقى والمغفلين (ومما تخيرته من سلوان المطاع لابن ظفر) أن الوليد بن يزيد لما بلغه أن ابن عمه يزيد ابن الوليد ابن عبد الملك قد شرد عنه القلوب واستجاش عليه أهل اليمن ونازعه في ملكه احتجب عن سماره ودعا في بعض الليالي خادما فقال له انطلق متنكرا حتى تقف ببعض الطرق وتأمل من يمر بك من الناس فإذا رأيت كهلا رث الهيئة يمشي مشيا هوينا وهو مطرق فسلم عليه وقل له في أذنه أمير المؤمنين يدعوك فإن أسرع في الإجابة فائتني به وإن استراب فدعه واطلب غيره حتى تجد رجلا على الشرط الذي ذكرت لك فانطلق الخادم فأتاه برجل على الشرط فلما دخل الرجل على الوليد حياه بتحية الخلافة فأمر الوليد بالجلوس والدنو منه وصبر إلى أن ذهب روعه وسكن جأشه ثم أقبل عليه فقال له أتحسن المسامرة للخلفاء فقال نعم يا أمير المؤمنين فقال الوليد إن كنت تحسنها فأخبرنا ما هي فقال يا أمير المؤمنين المسامرة إخبار لمنصت وإنصات لمخبر ومفاوضة فيما يعجب ويليق فقال له الوليد أحسنت لأزيدك امتحانا فقل أسمع لقولك فقال الكهل نعم يا أمير المؤمنين ولكن المسامرة صنفان لا ثالث لهما إذا أحدهما الإخبار بما يوافق خبرا مسموعا والثاني الإخبار بما يوافق غرضا من أغراض صاحب المجلس وإني لم أسمع بحضرة أمير المؤمنين

طريقة . فامحو محوها والزم أسلوبها فقال الوليد صدقت وها نحن نقترح لك ما نقتضيه قد بلغنا أن رجلا من رعيتنا سعى فى طرق ملكنا فأثر سعيه وشق ذلك علينا فهل سمعت بذلك فقال الكمل نعم يا أمير المؤمنين فقال له الوليد قل الآن

إذا جئته فى حاجة سد بابه	فلم تلقه إلا أنت كمين
(وقال آخر) له يومان يوم ندى ويوم	يسل السيف فيه من القراب
فاما جوده فعلى الخاب	وأما سيفه فعلى الكلاب
(وقال آخر) زفقت إلى نبهان من صفو فكرتى	عروسا غدا بطن الكتاب لها صدرا
فقبلها عشرا وهام بحبها	فلما ذكرت المهر طلقها عشرا
(وقال آخر) لو عبر البحر بأمواجه	فى ليلة مظلمة بارده
وكفه مملوءة خردلا	ما سقطت من كفه واحده
(وقال آخر) يا قائما فى داره قاعدا	من غير معنى لا ولا فائده
قد مات أضيافك من جوعهم	فاقرأ عليهم سورة المائده
(وقال آخر) تراك دونه شوك القتاد	وخبزك كالثريا فى البعاد
فلو أبصرت صيفا فى منام	لحرمت الرقاد إلى المعاد
(وقال آخر) لا تعجبن لخبز زل من يده	فالكوكب النحس يسقى الأرض أحيانا

(وقال ابن أبى حازم)

وقالوا قد مدحت فتى كريما	فقلت وكيف لى بفتى كريم
بلوت ومر بى خمسون حولا	وحسبك بالجرب من عليم
فلا أحد يعد ليوم خير	ولا أحد يجود على عديم

(ومن رؤساء أهل البخل) محمد بن الجهم وهو الذى قال وددت لو أن عشرة من الفقهاء وعشرة من الخطباء وعشرة من الشعراء وعشرة من الأدباء تواطؤا على ذمى واستهلوا بهتمى حتى ينتشر ذلك فى الآفاق فلا يمتد إلى أمل آمل ولا يبسط نحوى رجاء راج وقال له أصحابه يوما انا نخشى ان نقعد عندك فوق مقدار شهوتك فلو جعلت لنا علامة نعرف بها وقت استثقالك لنا لستنا فقال علامة ذلك أن أقول يا غلام هات الغداء وقال عمر بن ميمون مررت ببعض طرق الكوفة فاذا أنا برجل يخاصم جاره له فقلت ما بالكما فقال أحدهما أن صديقا لى زارنى فاشتهى رأسا فاشتريته و تغدينا وأخذت عظامه فوضعتها على باب دارى أتجمل بها فجاء هذا فأخذها و وضعها على باب داره يوهم الناس أنه هو الذى اشترى الرأس قال رجل من البخلاء لأولاده اشتروا لى لحما فاشتروه فأمر بطبخه فلما استوى اكله جميعه حتى لم يبق فى إلا عظمة وعيون أولاده ترمقه فقال ما أعطى أحدا منكم هذه العظمة حتى يحسن وصف أكلها فقال ولده الأكبر أمشمشها يا أبت وأمصها حتى لا أدع للذر فيها مقيلا قال لست بصاحبها فقال الأوسط الوكها يا أبت والحسها حتى لا يدرى أحد العام هى أم لعامين قال لست بصاحبها فقال الأصغر يا أبت أمصها أدقها وأسفها سفا قال أنت صاحبها وهى لك زادك الله معرفة وحزما . ووقف أعرابى على أبى الأسود وهو يتغذى فسلم فرد عليه ثم أقبل على الأكل ولم يعزم عليه فقال له الاعرابى أما انى قد مررت بأهلك قال كذلك كان طريقك قال وامرأتك حبلى قال كذلك كان عهدى بها قال قد ولدت قال كان لا بد لها أن تلد قال ولدت غلامين قال كذلك كانت أمها قال مات أحدهما قال

على حسب ما سمعت وعلى ما ترى من التدبير فقال يا أمير المؤمنين بلغنى ممن أمير المؤمنين عبد الملك ابن مروان أنه لما ندب الناس لقتال ابن الزبير وخرج بهم متوجها إلى مكة حرسها الله تعالى استصحب عمرو ابن سعيد ابن العاص وكان عمرو قد انطوى على فساد نية وخبث طوية وطماعية فى نيل الخلافة وكان أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قد فطن لذلك الا أنه كان يحترمه ولما أبعد أمير المؤمنين عن دمشق تمارض عمرو ابن سعيد فاستأذن أمير المؤمنين فى العود إلى دمشق فأذن له فلما دخل عمرو دمشق صعد المنبر فخطب الناس خطبة قال فيها من الخليفة واستولى على دمشق ودعا الناس إلى خلع عبد الملك .فأجابوه إلى ذلك وبايعوه وحصن بعد ذلك سور دمشق وحمى حوزتها فبلغ ذلك عبد الملك وهو متوجه إلى ابن الزبير و بلغه مع ذلك ان والى حمص قد نزع يده

من الطاعة وأن أهل الثغور قد تشوفوا للخلاف فأحضر وزراءه فأطلعهم على ما بلغه وقال لهم دمشق ملكنا قد استولى عليها عمر بن سعيد وهذا عبد الله بن الزبير قد استولى على الحجاز والعراق واليمن ومصر وخراسان وهذا النعمان بن بشير أمير حمص وزفر بن الحرث

ما كانت تقوى على ارضاع اثنين قال ثم مات الآخر قال ما كان ليبقى بعد موت أخيه قال وماتت الأم قال حزنا على ولديها قال ما أطيب طعامك قال لأجل ذلك أكلته وحدي ووالله لا ذقته يا أعرابي .

وقيل خرج أعرابي قد ولاه الحجاج بعض النواحي فأقام بها مدة طويلة فلما كان في بعض الأيام ورد عليه أعرابي من حيه فقدم إليه الطعام وكان إذ ذاك جائعا فسأله عن أهله وقال ما حال ابني عمير قال على ما تحب قد ملأ الأرض والحي رجالا ونساء قال فما فعلت أم عمير قال صالحة أيضا قال فما حال الدار قال عامرة بأهلها قال وكلبنا إيقاع قال قد ملأ الحي نبحا قال فما حال جملي زريق قال على ما يسرك قال فالتفت إلى خادمه وقال ارفع الطعام فرفعه ولم يشبع الاعرابي ثم أقبل عليه يسأله وقال يا مبارك الناصية أعد على ما ذكرت قال سل عما بدا لك قال فما حال كلبي إيقاع قال مات قال وما الذي أماته قال اختنق بعظمة من عظام جملك زريق فمات قال أو مات جملي زريق قال نعم قال وما الذي أماته قال كثرة نقل الماء إلى قبر أم عمير قال أو ماتت أم عمير قال نعم قال وما الذي أماتها قال كثرة بكائها على عمير قال أو مات عمير قال نعم قال وما الذي أماته قال سقطت عليه الدار قال أو سقطت الدار على عمير قال فقام له بالعصا فولى من بين يديه هاربا (وحكى) بعضهم قال كنت في سفر فضللت عن الطريق فرأيت بيتا في الفلاة فأتيته فاذا به اعرابية فلما رأتني قالت من تكون قلت ضيف قالت أهلا ومرحبا بالضيف انزل على الرحب والسعة قال فنزلت فقدمت لي طعاما فأكلت وماء فشربت فبينما أنا على ذلك إذ أقبل صاحب البيت فقال من هذا فقالت ضيف فقال لا أهلا ولا مرحبا مالنا وللضيف فلما سمعت كلامه ركبت من ساعتي وسرت فلما كان من الغد رأيت بيتا في الفلاة فقصدته فاذا فيه اعرابية فلما رأتني قالت من تكون قلت ضيف قالت لا أهلا ولا مرحبا بالضيف مالنا وللضيف فبينما هي تكلمني إذ أقبل صاحب البيت فلما رآني قال من هذا قالت ضيف قال مرحبا وأهلا بالضيف ثم أتى بطعام حسن فأكلت وماء فشربت فتذكرت ما مر بي بالأمس فتبسمت فقال مم تبسمك فقصصت عليه ما اتفق لي مع تلك الأعرابية وبعلها وما سمعت منه ومن زوجته فقال لا تعجب ان تلك الاعرابية التي رأيتها هي أختي وأن بعلها أخو امرأتي هذه فغلب على كل طبع أهله وحكايات هؤلاء وأمثالهم كثيرة وأخبارهم ونوادرهم شهيرة وفيما ذكرته كفاية وأسأل الله تعالى التوفيق والهداية انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الخامس والثلاثون في الطعام وآدابه والضيافة وآداب المضيف وأخبار الأكلة وما جاء عنهم وغير ذلك ﴾

(أما اباحة الطيب من المطاعم) فقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله ان كنتم إياه تعبدون وقال تعالى يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين وقال تعالى قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة وقال رسول الله ﷺ محرم الحلال كمحل الحرام وقال عليه الصلاة والسلام ان الله يحب ان يرى أثر نعمته على عبده في مأكله ومشربه وكان الحسن رضي الله تعالى عنه يقول ليس في اتخاذ الطعام سرف وسئل الفضل عمن يترك الطيبات من اللحم والخبيص للزهد فقال ما للزهد وأكل الخبيص ليتك تأكل وتتقي الله ان الله لا يكره أن تأكل الحلال إذا اتقيت الحرام انظر كيف برك بوالديك وصلتك للرحم وكيف

عطفك

أمير فلسطين قد خرجا عن الطاعة وبايعا الناس لابن الزبير وهذه الضربة بسيوفها تطالبنا بقتلى المرج فلما سمع وزراؤه مقالته ذهلت عقولهم فقال لهم عبد الملك مالكم لا تنطقون هذا وقت الحاجة إليكم فقال أفضلهم وددت أن أكون طيرا على عود من أعواد تهامة حتى تنقضي هذه الفتن فلما سمع عبد الملك مقالة صاحبه قام وأمرهم بلزوم موضع وركب منفردا وأمر جماعة شجعانه أن يتبعوه متباعدين ففعلوا وسار عبد الملك حتى انتهى إلى شيخ ضيف البدن سيء الحال وهو يجمع سماقا فسلم عليه عبد الملك وآنسه بحديثه ثم قال له أيها الشيخ ألك علم بنزول هذا العسكر فقال الشيخ وما سؤالك عنه فقال عبد الملك اني أردت الانتظام في سلكه فقال له اني أرى عليك سمة الرياسة فينبغي لك أن تصرف نفسك عن هذا الرأي فان الأمير الذي أنت قاصده قد انحلت عرا ملكه والسلطان في اضطراب أموره كالبحر إذا هاج فقال عبد الملك أيها الشيخ قد قوي على جذب نفسي إلى صحبة هذا الأمير فهل لك أن ترشدني إلى رأي اتفق به عنده فلعله يكون سبب قربي منه فقال الشيخ ان هذه النازلة التي نزلت بهذا الامير من النوازل التي لا تنفذ فيها العقول واني لأكره ان ارد مسئلتك بالخيبة فقال له عبد الملك قل جزاك الله خيرا فقال الشيخ ان هذا الخليفة خرج إلى قتال عدو . والارادة غير قابلة ارادة والدليل إلى ذلك ان الله تعالى لم يرد ما قصده من محاربة ابن الزبير ونوب

عطفك على الجار وكيف رحمتك للمسلمين وكيف كظمك للغيظ وكيف عفوك عن أظلمك وكيف إحسانك إلى من أساء اليك وكيف صبرك واحتمالك الأذى أنت إلى أحكام هذا أحوج من ترك الخبيص

(وأما نعوت الأطعمة وما جاء فيها) فقد نقل عن الرشيد أنه سأل أبا الحرث عن الفالوذج واللوزينج أيهما أطيب فقال يا أمير المؤمنين لا أقضي على غائب فأحضرهما اليه فجعل يأكل من هذا لقمة ومن هذا لقمة ثم قال يا أمير المؤمنين كلما أردت أن أقضي لأحدهما أتى الآخر بحجته * واختلف الرشيد وأم جعفر في الفالوذج واللوزينج أيهما أطيب فحضر أبو يوسف القاضي فسأله الرشيد عن ذلك فقال يا أمير المؤمنين لا يقضى على غائب فأحضرهما فأكل حتى اكتفى فقال له الرشيد أحكم قال قد اصطلح الخصمان يا أمير المؤمنين فضحك الرشيد وأمر له بألف دينار فبلغ ذلك زبيدة فأمرت له بألف دينار إلا دينارا وسمع الحسن البصري رجلا يعيب الفالوذج فقال لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن ما أظن عاقلا يعيبه وقال الأصمعي أول من صنع الفالوذج عبد الله بن جدعان وأتى أعرابي بفالوذج فأكل منه لقمة فقيل له هل تعرف هذا فقال هذا وحياتك الصراط المستقيم وكان أحب الطعام إلى رسول الله ﷺ اللحم وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم وكان ﷺ يقول هو سيد الطعام في الدنيا والآخرة وهو يزيد في السمع ولو سألت ربي أن يطعمنيه كل يوم لفعل وكان ﷺ يحب الدباء ويقول ياعائشة إذا طبختم قدرا فأكثروا فيها الدباء فإنها تشد القلب الحزين وهي شجرة أخي يونس وعنه ﷺ أنه قال عليكم بالقرع فإنه يشد الفؤاد ويزيد في الدماغ وعليكم بالعدس فإنه يرق القلب ويغزر الدمعة وعن أبي رافع قال كان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه يقول أكل التمر أمان من القولنج وشرب العسل على الريق أمان من الفالج وأكل السفرجل يحسن الولد وأكل الرمان يصلح الكبد والزبيب يشد العصب ويذهب بالنصب والوصب والكرفس يقوي المعدة ويطيب النكهة وأطيب اللحم الكتف وكان يديم أكل الهريسة وكان يأكل على سماط معاوية ويصلي خلف علي ويجلس وحده فسئل عن ذلك فقال طعام معاوية أدسم والصلاة خلف علي أفضل وهو أعلم والجلوس وحدي لي أسلم وسميت المتوكلية بالمتوكل والمأمونية بالمأمون وقال الحسن بن سهل يوما على مائدة المأمون الأرز يزيد في العمر فسأله المأمون عن ذلك فقال يا أمير المؤمنين أن طب الهند صحيح وهم يقولون أن الأرز يرى منامات حسنة ومن رأى مناما حسنا كان في نهارين فاستحسن قوله ووصله وقال أبو صفوان الأرز الأبيض بالسمن والسكر ليس من طعام أهل الدنيا وقيل لأبي الحرث ما تقول في الفالوذجة قال وددت لو أنها وملك الموت اعتلجا في صدري والله لو أن موسى لقي فرعون بالفالوذجة لآمن ولكن لقيه بعصا وكان العرب لا تعرف الألوان إنما كان طعامهم اللحم يطبخ بالماء والملح حتى كان زمن معاوية رضي الله تعالى عنه فاتخذ الألوان ويقال للمرقة المسخنة بنت نارين وكان بعض المترفين يقول جنبوا مائدتي بنت نارين وقالوا كل طعام أعيد عليه التسخين مرتين فهو فاسد وقيل إذا ألقي اللحم في العسل ثم أخرج بعد شهر طريا فإنه لا يتغير ويقال للسكباج سيد المرق وشيخ الأطعمة وزين الموائد ويقال إذا طبخت اللحم بالخل فقد القيت عن معدتك ثلث المؤنة ويقال للخبز أبن حبة قال بعضهم

في حبة القلب مني زرعت حب ابن حبه

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما رفعه أكرموا الخبز قالوا وما كرامته يارسول الله قال لا ينتظر به

عمرو بن سعيد على منبره واستيلائه على بيوت أمواله وسرير خلافته فإذا قصدت هذا الأمير وانتظمت في سلكه أنظر في أمره فإن رأيته قد أصر على قصده ابن الزبير فاعلم أنه مخذول فاجتنبه وإن رأيته قد رجع من حيث جاء وترك قصده الأول فارج له النصر والسلامة فقال عبد الملك ياشيخ وهل رجوعه إلى دمشق إلا كمسيره إلى ابن الزبير فقال الشيخ أن الذي أشكل عليك لواضح وها أنا أزيل عنك اللبس وهو أن عبد الملك إذا قصد ابن الزبير كان في صورة ظالم لأن ابن الزبير لم يطعه طاعة قط ولا وثب له على مملكة فإذا قصد ابن سعيد كان في صورة مظلوم لأنه نكث بيعته وخان أمانته ووثب على دار ملك لم تكن له ولا لأبيه من قبله بل كانت لعبد الملك ولأبيه من قبله وعمرو عليهما معتمده ومن الأمثال سمين الغصب مهزول وولي الغدر معزول وسأضرب لك مثلا يشفي النفس ويزيل اللبس زعموا أن ثعلبا كان يسمى ظالما وكان له جحر يأوي اليه وكان مغتبطا به فخرج يوما يبتغي ما يأكل ثم رجع فوجد فيه حية فانتظر خروجها فلم تخرج فعلم إنها استوطنته وذلك أن الحية لا تتخذ جحرا بل إذا أعجبها جحرا

اغتصبته وطردت من به من الحيوان ولهذا قيل فلان أظلم من حية فهذا ظالم ولما رأى ظالم أن الحية قد استوطنت جحره ولم يمكنه السكنى معها ذهب يطلب لنفسه مأوى فانتهى به المسير إلى جحر حسن الظاهر حصين

الادام إذا وجدتم الخبز فكلوه حتى تؤتوا بغيره وفى الحديث من داوم على اللحم أربعين يوما قسا قلبه ومن تركه أربعين يوما ساء خلقه وقيل المائده التى أنزلت على بنى إسرائيل كان عليها كل البقول إلا الكراث وسمكة عند رأسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة أرغفة على كل واحد زيتون وحب رمان ودخل ابن قزعة يوما على عز الدولة وبين يديه طبق فيه موز فتأخر عن استدعائه فقال مابال مولانا ليس يدعونى إلى الفوز بأكل الموز فقال صفه حتى أطعمك منه فقال ما الذى اصف من حسن لونه فيه سبائك ذهبية كأنها حشيت زبداً وعسلا اطيب من التمر الشحم سهل المقشر ألين المكسر عذب المطعم بين الطعوم سلس فى الحلقوم ثم مد يده وأكل وسمع رجلا يذم الزيد فقال له ما الذى ذممت منه سواد لونه أم بشاعة طعمه أم صعوبة مدخله أم خشونة ملمسه وقيل له ما تقول فى الباذنجان قال أذناب المحاجم وبطون العقارب وبزور الزقوم قيل له أنه يحشى باللحم فيكون طيبا فقال لو حشى بالتقوى والمغفرة ما أفلح وصنع الحجاج وليمة احتفل فيها ثم قال لزاذان هل عمل كسرى مثلها فاستعفاه فأقسم عليه فقال أولم عبد عند كسرى فأقام على رؤس الناس ألف وصيفة فى يد كل واحدة ابراق من ذهب فقال الحجاج أف والله ما تركت فارس لمن بعدها من الملوك شرفا وأهدى رجل إلى آخر فالوذجة زنخة وكتب اليه إنى اخترت لعملها السكر السوسى والعسل الماردانى والزعفران الاصبهانى فأجاب والله العظيم ماعملت الاقبل أن توجد أصبهان وقبل أن تفتح السوس وقبل أن يوحى ربك إلى النحل وقيل أن أباجهم بن عطية كان عينا لأبى مسلم الخولانى على المنصور فأحس المنصور بذلك فطاوله الحديث يوما حتى عطش فاستسقى فدعا له بقدح من سويق اللوز فيه السم فناوله اياه فشرب منه فما بلغ داره حتى مات فقيل فى ذلك

تجنب سويق اللوز لا تقربنه ... فشرب اللوز أردى اباجهم

﴿ وقال أبو طالب المأمونى ﴾

فما حملت امرىء منطها ... ألذ وأشهى من أصابع زينب

وأصابع زينب ضرب من الحلوى يعمل ببغداد يشبه أصابع النساء المنقوشة ودخل السائب على على رضى الله تعالى عنه فى يوم شاة فناوله قدحا فيه عسل وسمن ولبن فأباه فقال أما إنك لو شربته لم تزل دفئا شبعان سائر يومك وعن نافع بن أبى نعيم قال كان أبو طالب يعطى عليا قدحا من اللبن يصبه على اللات فكان على يشرب اللبن ويبول على اللات ﴿ وأما الزهد فى المآكل ﴾ فقد زهد فيه كثيرة من الاخيار مع القدرة عليه ومنهم من لا يقدر عليه قالت عائشة رضى الله تعالى عنها والذى بعث محمدا ﷺ بالحق ماكان لنا منخل ولا أكل رسول الله ﷺ خبزا منخولا منذ بعثه الله تعالى إلى أن قبض قيل فكيف كنتم تأكلون الشعير قالت كنا نقول أف أف وعن جابر رضى الله تعالى عنه رفعه نعم الادم الخل وكفى بالمرء شرفا يتسخط ماقرب اليه وقال عمر رضى الله تعالى عند ما اجتمع عنه رسول الله ﷺ ادمان الا أكل أحدهما وتصدق بالآخر وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها ماكان يجتمع لونان فى لقمة فى فم رسول الله ﷺ أن كان لحما لم يكن خبزا وأن كان خبزا لم يكن لحما وعن النبى ﷺ أنه قال ياعلى أبدأ بالملح واختم به فإن فيه شفاء من سبعين داء وروى أن نبيا من الإنبياء عليهم الصلاة والسلام شكا إلى الله الضعف فأمره أن يطبخ اللحم باللبن فإن القوة فيهما وسنذكر فضل الزهد فى المآكل والمشارب فى باب

فى أرض منيمة ذات أشجار ملتفة وماء معين فأعجبه وسأل عنه فقالوا هذا الجحر يملكه ثعلب اسمه مفوض وأنه ورثه عن أبيه فناداه ظالم فخرج اليه ورحب به وأدخله إلى جحره وسأله عن حاله فقص عليه خبره مع الحية فرق له مفوض وقال له الموت فى طلب النار خير من الحياة فى العار والرأى عندى أن تنطلق معى إلى مأواك الذى أخذ منك غصبا حتى أنظر اليه فلعلى أهتدى إلى مكيدة تخلص بها مأواك فانطلقا معا إلى ذلك الجحر فتأمله مفوض وقال لظالم اذهب معى فبت الليلة عندى لأنظر الليلتى هذه فيما يسنح من الرأى والمكيدة ففعلا ذلك وبات مفوض مفكرا وجعل ظالم يتأمل مسكن مفوض فرأى من سعته وطيب هوائه وحصانته ما اشتد به حرصه عليه وطفق يدبر فى حيلة اغتصابه ونفى مفوض عنه فلما أصبحا قال مفوض لظالم انى رأيت ذلك الجحر بعيد من الشجر والماء فاصرف نفسك عنه وهلم أعينك على احتفار جحر فى هذا المكان المشتهى فقال هذا غير ممكن لان لى نفسا تهلك لبعد الوطن حنينا فلما سمع مفوض مقالة ظالم وما تظاهر به من الرغبة فى وطنه قال له انى أرى أن نذهب يومنا هذا فنحتطب حطبا ونربط منه حزمتين فاذا جاء الليل انطلقنا الى بعض هذه الخيام فأخذنا قبس نار واحتملنا الحطب والقبس إلى مسكنك فنحمل الحزمتين فى باب ونضرم النار فان خرجت الحية احترقت وان لزمت

مدح الفقراء ان شاء الله تعالى (وأما ماجاء فى آداب الاكل) فقد قال رسول الله ﷺ من قال عند مطعمه ومشربه بسم الله خير الاسماء بسم الله رب الارض والسماء لم يضره ما أكل وما شرب وكان ﷺ إذا وضع بين يديه الطعام قال بسم الله اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وعليك خلفه وقال ﷺ من أكل طعاما فقال الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه ومن لبس ثوبا فقال الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ماتقدم من ذنبه • وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها قال رسول الله ﷺ إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله فان نسى فى أوراء فليقل بسم الله أوله وآخره وفى حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وإذا شرب فليشرب بيمينه فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله وقال ﷺ الأكل فى السوق دناءة وعن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ زجر عن الشرب قائما قال فسألناه عن الاكل قائما فقال هو شر من الشرب وأوصى رجل من خدم الملوك ابنه فقال إذا أكلت فضم شفتيك ولا تلتفتن يمينا ولا شمالا ولا تلقمن بسكين ولا تجلس فوق من هو أشرف منك وأرفع منزلة ولا تبصق فى الاماكن النظيفة ومن هذا ماروى الزهرى أن النبى ﷺ نهى عن النفخ فى الطعام والشراب وقال على رضى الله تعالى عنه نهى رسول الله ﷺ أن يؤكل الطعام حارا وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال ماعاب النبى ﷺ طعاما قط ان أشتهاه أكله والا تركه وقال عمرو بن هريرة عليكم بباكرة الغداء فان مباكرته تطيب النكهه وتعين على المروءة قيل وما إعانته على المروءة قال أن لا تتوق نفسك الى طعام غيرك وعن النبى ﷺ قال من أكل من سقط المائدة عاش فى سعة وعوفى فى ولده وولد ولده من الحمق وعنه ﷺ من لقط شيئا من الطعام فأكله حرم الله جلده على النار وكان الحرث بن كلدة يقول إذا تغدى أحدكم فلينم على غدائه وإذا تعشى فليخط أربعين خطوة وقيل خير الغداء بواكره وخير العشاء سوافره وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال نهى رسول الله ﷺ أن يتبع الرجل بصره لقمة أخيه وقال الحجاج لاعرابى يوما على سماطه ارفق بنفسك فقال وأنت ياحجاج اغضض من بصرك وقال معاوية لرجل على مائدته خذ الشعرة من لقمتك فقال وانك تراعينى مراعاة من يرى الشعرة فى لقمتى لا أكلت لك طعاما أبدا ووضع معاوية بين يدى الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما دجاجة ففكها فقال معاوية هل بينك وبين أمها عداوة فقال الحسن فهل بينك وبين أمها قرابة أراد معاوية أن الحسن يوقر مجلسه كما يوقر مجالس الملوك والحسن أعلم منه بالآداب والرسوم المستحسنة رضى الله تعالى عنهما وحضر أعرابى على مائدة بعض الخلفاء فقدم جدى مشوى فجعل الاعرابى يسرع فى أكله منه فقال له الخليفة أراك تأكله بحرد كان أمه نطحتك فقال أراك تشفق عليه كان أمه أرضعتك (وأما ماجاء فى كثرة الأكل) فقد روى عن حذيفة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ من قل طعامه صح بطنه وصفا قلبه ومن كثر طعامه سقم بطنه وقسا قلبه وعنه صلى الله عليه وسلم لاتميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع إذا كثر عليه الماء مات وقال ﷺ مازين الله رجلا بزينة أفضل من عفاف بطنه وقال عمرو ابن عبيد مارأيت الحسن ضاحكا إلا مرة واحدة قال رجل من جلسائه ما آذانى طعام قط فقال آخر أنت لو كانت فى معدتك الحجارة لطحنتها وقال على كرم الله وجهه البطنة تذهب الفطنة وقال

الجحر قتلها الدخان فقال له ظالم هذا نعم الرأى فذهبا واحتطبا حزمتين ولما جاء الليل انطلق مفوض إلى ظاهر ثالث الخيام فاخذ قبسا فعمد ظالم الى إحدى الحزمتين فأزالها الى موضع غيبها فيه ثم جر الحزمة الاخرى الى باب مسكن مفوض فسدها سدا محكما وقدر فى نفسه أو مفوضا إذا أتى الجحر لم يمكنه الدخول اليه لحصانته فاذا يئس منه ذهب فنظر لنفسه مارق وكان ظالم قد رأى فى منزل مفوض طعاما ادخره لنفسه فعول ظالم على أنه يقتات به إن حاصره مفوض وهو من داخل وأذهله الشره والحرص عن فساد هذا الرأى ثم ان مفوضا جاء بالقبس فلم يجد ظالما ولا وجد الحطب فظن أن ظالما قد حمل الحزمتين تخفيفا عنه وانه سبقه إلى مسكنه الذى فيه الحية اشفاقا على مفوض فشق ذلك عليه وظهر له من الرأى أن يبادر اليه ويلحقه ليحمل معه الحطب فوضع القبس بالقرب من الحطب ولم يشعر أن الباب مسدود به لشدة الظلمة فما بعد عن الباب إلا وضوء النار وشدة الدخان قد لحقا به فعاد وتأمل الباب فرأى الحطب قد صار نارا فعلم مكيدة ظالم ورآه قد احترق من داخل الجحر وحاق به مكره فقال هذا الباحث على حتفه بظلفه ثم أن مفوضا صبر حتى انطفأت النار فدخل جحره فأخرج جثة ظالم فألقاها واستوطن جحره آمنا فهذا المثل ضربته لك لأنه ملائم لفعل عمرو بن سعيد فى بغيه ومخادعته عبد الملك وحيلته فى أخذ دار سلكه وتحصينها منه وهذا

ابن المقفع كانت ملوك الاعاجم إذا رأت الرجل نهما شرها أخرجوه من طبقة الجد إلى باب الهزل ومن باب التعظيم إلى باب الاحتقار وتقول العرب أقلل طعاما تحمد مناما وكانت العرب تعير بعضها بكثرة الأكل وأنشدوا

لست بأكال كأكل العبد ... ولا بنوام كنوم الفهد

وأنشد الاصمعي لرجل من بني فهد

إذا لم أزر إلا لآكل أكلة ... فلا رفعت كفي إلى طعامي

فما أكلة ان نلتها بغنيمة ... ولا جوعة ان جعتها بغرام

وقالت عائشة رضي الله عنها أراد رسول الله ﷺ أن يشتري غلاما فألقى بين يديه تمرا فأكل فأكثر فقال ﷺ ان كثرة الأكل شؤم وقالوا الواحدة خير من الجليس السوء والجليس السوء خير من الأكيل السوء وشكا أبو العيناء إلى صديق له سوء الحال فقال اشكر فان الله قد رزق الاسلام والعافية قال أجل ولكن بينهما جوع يقلقل الكبد ودعت أبا الحرث حبيبة له فحادثته ساعة فجاع فطلب الأكل فقالت له أما في وجهي مايشغلك عن الأكل قال جعلت فداءك لو أن جميلا وبثينة قعدا ساعة لا يأكلان لبصق كل منهما في وجه صاحبه وافترقا

(وأما أخبار الاكلة) فقد قيل ان وهب بن جرير سأل ميسرة البراش عن أعجب ما أكل فقال أكلت مائة رغيف بمكوك بلح * ومر ميسرة المذكور يوما بقوم زهو راكب حمارا فدعوه للضيافة فذبحوا له حماره وطبخوه وقدموه له فأكله كله فلما أصبح طلب حماره ليركبه فقيل له هو في بطنك * وقال المتعمر بن سليمان قلت هلال المازني ما أكلة بلغتني عنك قال جعت مرة ومعي بعير لي فنحرته وشويته وأكلته ولم أبق منه شيئا يسير احملته على ظهري فلما كان الليل أردت أن أجامع أمة لي فلم أقدر أصل اليها فقالت كيف تصل إلي وبيننا جمل فقلت له كم تكفيك هذه الاكلة فقال أربعة أيام وقال الاصمعي أن سليمان بن عبد الملك كان شرها نهما وكان من شرهه أنه إذا أتى بالسفود وعليه الدجاج السمين المشوي لا يصبر إلى أن يبرد ولا أن يؤتى بمنديل فيأخذ بكمه فيأكل واحدة واحدة حتى يأتي عليها فقال الرشيد ويحك يا أصمعي ما أعلمك بأخبار الناس أني عرضت على جباب سليمان فرأيت فيها آثار الدهن فظننته طيبا حتى حدثني ثم أمر لي بجبة منها فكنت إذا لبستها أقول هذه جبة سليمان بن عبد الملك * وقال الشمردل وكيل عمرو بن العاص قدم سليمان بن عبد الملك الطائف فدخل هو وعمر بن عبد العزيز إلى وقال ياشمردل ما عندك ما تطعمني قلت عند جدي كأعظم مايكون سمنا قال عجل به فأتيته به كأنه عكة سمن فجعل يأكل منه ولا يدعو عمر حتى إذا لم يبق منه الا الفخذ قال يا أبا جعفر فقال إني صائم فأكله ثم قال ياشمردل ويلك أما عندك شيء قلت ست دجاجات كأنهن افخاذ نعام فأتيته بهن فأتى عليهن ثم قال ياشمردل أما عندك شيء قلت سويق كأنه قراضة الذهب فأتيته به فعبه حتى أتى عليه ثم قال ياغلام أفرغت من غدائنا قال نعم قال ماهو قال نيف وثلاثون قدرا قال ائتني بقدر بقدر فأتاه بها ومعه الرقاق فأكل من كل قدر ثلثه ثم مسح يده واستلقى على فراشه وأذن للناس فدخلوا وصف الخوان فقعد وأكل مع الناس وكان هلال بن الاسعر يضع القمع على فيه ويصب اللبن أو النبيذ وكان غليظا عتلا * وقال اعرابي لرجل رآه سمينا أرى عليك قطيفة من

كفل ظالم مع مفوض والله أعلم فلما سمع عبد الملك حكمة الشيخ في ضرب أمثاله سر بذلك سرورا عظيما ثم أقبل عليه فقال جزيت عني خيرا واني أريد أن تجعل بيني وبينك موعدا وتعرفني مكانك لألقاك له بعد يومي هذا فقال الشيخ وما تريد بذلك فقال له عبد الملك اني أريد مكافأتك على ما كان منك فقال له الشيخ اني أعطيت الله عهدا أن لا أقبل منه لبخيل فقال عبد الملك ومن أين علمت أني بخيل فقال لانك أخرت صلتي مع القدرة فما عليك لو وصلتني ببعض ما عليك فقال عبد الملك أقسم بالله لقد ذهبت ثم نزع سيفه وقال له اقبل مني هذا واحرص عليه فقيمته عشرون ألف درهم فقال الشيخ أني لا أقبل صلة ذاعل قدعني ورب الذي لايذل ولا يبخل فهو حسبي فلما سمع عبد الملك كلام الشيخ عظم في عينه وعلم بفضله في دينه فقال له انا عبد الملك فارفع حوائجك إلى فقال الشيخ وانا ايضا عبد الملك فلم ترفع حوائجنا إلى من أنا وانت له عبدان فانطلق وعبد الملك وعمل برأى الشيخ فانجح الله قصده وانتصر على أعدائه فلما سمع الوليد ما اخبره به الكهل استرجح عقله واستظرف أدبه واستحسن محاضرته وسأله عن نفسه فتسمى له وتنسب فلم يعرف الوليد فاستحى منه وقال له من جهل مثلك في رعيته ضاع فقال له الكهل يا أمير المؤمنين ان الملوك نسبح لا تعرف الامن تعرف اليها ولزم ابوابها فقال له الوليد صدقت ثم امر له بصدقة معجلة وعهد اليه في ملازمته فكان يتمتع

نسج أضراسك ٭ وقال أبو الحسر الاعرابى كانت لى بنت تجلس معى على المائدة فتبرز كفا كأنها صلفة فى ذراع كأنه جمارة فلا تقع عينها على لقمة نفيسة الاخصتنى بها فكبرت وزوجتها وصرت أجلس على المائدة مع ابن لى فيبرز كفا كأنها كرنافة فو الله لن تسبق عينى إلى لقمة طيبة الاسبقت يده إليها وقال مسلم بن قتيبة عددت للحجاج أربعة وثمانين رغيفا مع كل رغيف سمكة ٭ ويقال فلان يحاكى حوت يونس فى جودة الالتقام وعصا موسى فى سرعة الالتهام ٭ وقيل لأبى مرة أى الطعام أحب إليك قال لحم سمين وخبز سميد أضرب فيه ضرب ولى السوء فى مال اليتيم ٭ وقال صدقة بن عبيد المازنى أولم لى أبى لما تزوجت فعمل عشر جفان ثريد من جزور فكان أول من جاءنا هلال المازنى فقدمنا له جفنة مترعة فأكلها ثم أخرج فأكلها حتى أتى على الجميع ثم أتى بقربة مملوءة من النبيذ فوضع طرفها فى شدقه وفرغها فى جوفه ثم قام فخرج واستأنفنا عمل الطعام ٭ وكان عبيد الله بن زياد يأكل فى كل يوم خمس أكلات فخرج يوما يريد الكوفة فقال له رجل من بنى شيبان الغداء أصلح الله الأمير فنزل فذبح له عشرين طائرا من الاوز فأكلها ثم قدم الطعام فأكل ثم أتى بزنبيلين فى إحداهما تين وفى الآخر بيض فجعل يأكل من هذا تينة ومن هذا بيضة حتى أتى على ذلك جميعه ثم رجع وهو جائع وكان ميسرة البراش يأكل الكبش العظيم ومائة رغيف فذكر ذلك للمهدى فقال دعوت يوما بالفيل وأمرت فأتى إليه رغيف رغيف فأكل تسعة وتسعين وألقى اليه تمام المائة فلم يأكله ٭ وحدث الشيخ نبيه الدين الجوهرى انه سمع الشيخ الإمام عز الدين بن عبد السلام يقول ان معاوية بن أبى سفيان كان يأكل فى كل يوم مائة رطل بالدمشقى ولا يشبع ٭ ونزل رجل بصومعة راهب فقدم إليه الراهب أربعة أرغفة وذهب ليحضر اليه العدس فحمله وجاء فوجده قد أكل الخبز فذهب فأتى بخبز فوجده قد أكل العدس ففعل معه ذلك عشر مرات فسأله الراهب أين مقصدك قال الى الأردن قال لماذا قال بلغنى ان بها طبيبا حاذقا أسأله عما يصلح معدتى فانى قليل الشهوة للطعام فقال له الراهب ان لى إليك حاجة قال وماهى قال إذا ذهبت وأصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك على

(وأما المهازلة على الطعام) فقد روى عن يحيى بن عبد الرحمن رضى الله تعالى عنه قال قالت عائشة رضى الله تعالى عنها كان عندى رسول الله ﷺ وسودة فصنعت حريرة فجئت به فقلت لسودة كلى فقالت لاأحبه فقلت والله لتأكلين أو لألطخن وجهك فقالت ما أنا بذائقته فأخذت من الصفحة شيئا فلطخت به وجهها ورسول الله ﷺ جالس بينى وبينها فتناولت من الصفحة شيئا فلطخت به وجهى وجعل رسول الله ﷺ يضحك ٭ واشترى غندر يوما سمكا وقال لأهله اصلحوه ٭ ونام فأكل عياله السمك ولطخوا يده فلما انتبه قال قدموا إلى السمك قالوا قد أكلت قال لاقالوا شم يدك ففعل فقال صدقتم ولكن ماشبعت ٭ ودخل الحدونى على رجل وعنده أقوام بين أيديهم أطباق الحلوى ولا يمدون أيديهم فقال لقد ذكرتمونى ضيف ابراهيم وقول الله تعالى فلما رأى أيديهم لاتصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ثم كلوا رحمكم الله فضحكوا وأكلوا والحكايات فى ذلك كثيرة

(وأما الضيافة وإطعام الطعام) فقد قال الله تعالى هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين وقال رسول الله ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ولا يؤذ جاره وقال صلى الله

بأدبه وحكمته الى كان من أمر الوليد ماهو مشهور والله أعلم (ومما نخبرته من عجائب سلوان المطاع) قيل لما عزم سابور ابن هرمز على الدخول إلى بلاد متنكرا نهاه نصحاؤه وعقلاء وزرائه وحذروه من ذلك فعصاهم وكان يقال أوزر الناس وزراء الاحداث من الملوك وعشاق الفتيان من المشايخ فان سابور توجه نحو بلاد الروم واستصحب وزيرا كان له ولأبيه من قبله وكان من أدهى الناس فى الحزم وسداد الرأى واختلاف الأديان ولغاتها وكان من المتبحرين فى العلوم والمبرزين بالمكايد فسلم إليه سابور جميع مايحتاج إليه فى سفره وأمر أن لايتجاوز فى السير ولا يبعد عنه بحيث يراعى جميع أحواله فى ليله ونهاره فتوجها نحو الشام ولبس ذلك الوزير زى الرهبان وتكلم بلسانهم وتعرف بصناعة الطب الجرائحى وكان معه الدهن الصينى الذى إذا دهنت به الجراحات ختمت بسرعة واندملت فكان ذلك الوزير فى مسير نحو بلاد الروم يداوى الجراحات بأدوية يضيف إليها يسيرا من ذلك الدهن فتبرأ بسرعة وإذا عنى بأحد من ذوى الاقدار داواه بذاك الدهن صرفا فيبرأ ذلك الفور ولا يأخذ على ذلك أجرة فانتشر ذكره فى بلاد الروم وعقدت عليه الخناصر وأقبل عليه الناس وكان مع انفراده مع سابور يراعى جميع أحواله فلم يزل كذلك حتى طاف جميع الشام وقصد القسطنطينية فقدماها فذهب الوزير الى البطرك وتفسير هذا الاسم أبو الآباء

فاستأذن عليه فأذن له وسأله عن قصده فأخبره أنه هاجر اليه ليتشرف بخدمته ويدخل فى اتباعه ثم أهدى اليه هدية نفيسة حسن موقعها من البطرك فقربه (١٨٢) وأكرمه وأحسن نزله وألحقه ببطانته واختبره فوجده عالما بدينهم بل مبرزا فاعجب به غاية الاعجاب وجعل الوزير يتأمل أحوال البطرك ليصحبه بما يلائمه وينفق عنده فوجده مائلا إلى الفكاهات معجبا بنوادر الاخلاق وكان الوزير فى ذلك غاية فأخذ يتحفه بكل نادرة غريبة وملحة عجيبة فصار البطريق لم يطق عن الوزير صبرا لانه حلا لعينيه وحل بقلبه وجعل الوزير مع ذلك يعالج الجراحات ولا يأخذ على ذلك عوضا فعظم قدره فى الناس هذا وهو يتعاهد أحوال سابور فى كل وقت إلى أن صنع قيصر وليمة وحضر الناس اليها على طبقاتهم فأراد سابور حضورها ليطلع على أحوال قيصر وعلى رتبته فى قصره وعظم وليمته فنهاه وزيره عن ذلك فعصاه وتزيا بزى ظن أنه يستتر به ودخل دار قيصر مع حضر الوليمة وكان قيصر من شدة احتراسه من سابور وخيفته من أن يطرق بلاده وتحسن له همته العالية وحدة الشبيبة ذلك صور سابور فى مجلسه وعلى ستور بيته وعلى فرشه وفى آلات أكيله

مطيعة

ولما دخل سابور يوم الوليمة واستقر فى مجلسه وأكل مع من حضر أتوا بالشراب فى كؤوس البللور والذهب والفضة والزجاج المحكم

عليه وسلم من أكل وذل عينين ينظر اليه ولم يواسه ابتلى بداء لادواء له وقال الحسن كنا نسمع أن احدى مواجب الرحمة اطعام الاخ المسلم الجائع وقيل لابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام بم اتخذك الله خليلا قال بثلاث ماخيرت بين شيئين إلا اخترت الذى لله على غيره ولا اهممت بما تكفل لى به ولا تغديت ولا تعشيت الا مع ضيف ويقولون ما خلا مضيف الخليل عليه الصلاة والسلام إلى يومنا هذا ليلة واحدة من ضيف وكان الزهرى إذا لم يأكل أحد من أصحاب من طعامه حلف لايحدثه عشرة أيام وقالوا المائدة مرزوقة أى من كان مضيافا وسع الله عليه وقالوا أول من سن القرى ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وأول من ثرد الثريد هشمه هاشم وأول من أفطر جيرانه على طعامه فى الاسلام عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما وهو أول من وضع موائده على الطريق وكان إذا خرج من بيته لايعود منه شىء فان لم يجد من يأكله تركه على الطريق وقيل لبعض الكرماء كيف اكتسبت مكارم الاخلاق والتأديب مع الاضياف فقال كانت الاسفار تحوجنى إلى أن أفد على الناس فما استحسنته من اخلاقهم اتبعه وما استقبحته اجتنبته

(وأما آداب المضيف) فهو أن يخدم أضيافه ويظهر لهم الغنى وبسط الوجه فقد قيل البشاشة فى الوجه خير من القرى قالوا فكيف بمن يأتى بها وهو ضاحك وقد ضمن الشيخ شمس الدين البديوى رحمه الله هذا الكلام بأبيات فقال

إذا المرء وافى منزلا منك قاصدا ... قراك وأرمته لديك المسالك
فكن باسما فى وجهه متهللا ... وقل مرحبا أهلا ويوما مبارك
وقدم له ما تستطيع من القرى ... عجولا ولا تبخل بما هو هالك
فقد قيل بيت سالف متقدم ... تداوله زيد وعمرو ومالك
بشاشة وجه المرء خير من القرى ... فكيف بمن يأتى به وهو ضاحك

وقالت العرب تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة واطالة الحديث عند المؤاكلة وقال حاتم الطائى

سلى الطارق المعتر ياأم مالك ... اذا ما أتانى بين نارى ومجزرى
أأبسط وجهى انه أول القرى ... وأبذل معروفى له دون منكرى

(وقال آخر فى عبد الله بن جعفر) انك ياابن جعفر خير فتى ... وخيرهم لطارق إذا أتى

(ولله در القائل)

الله يعلم أنه ماسرنى ... شىء كطارقة الضيوف النزل
مازلت بالترحيب حتى خلتنى ... ضيفا له والضيف رب المنزل

أخذه من قول الشاعر) ياضيفنا لو زرتنا لوجدتنا ... نحن الضيوف وأنت رب المنزل

(وما أحسن ماقال سيف الدولة بن حمدان)

منزلنا رحب لمن زاره ... نحن سواء فيه والطارق
وكل ما فيه حلال له ... إلا الذى حرمه الخالق

(وقال الاصمعى) سألت عيينة بن وهب الدارمى عن مكارم الاخلاق فقال أو ما سمعت قول عاصم بن وائل

وانا لنقرى الضيف قبل نزوله ... ونشبعه بالبشر من وجه ضاحك

(وقال بعض الكرام) أضاحك ضيفى قبل أنزل رحله ... ويخصب عندى والمحل جديد
وما الخصب للاضياف أن تكثر القرى ... ولكنما وجه الكريم خصيب

(وقال آخر) عودت نفسى إذا ما الضيف نبهنى ... عقر العشار على عسر وايسار

(ومن آداب المضيف) أن يتفقد دابة ضيفه ويكرمها قبل اكرام الضيف قال الشاعر

مطية الضيف عندى تلو صاحبها * لن يأمن الضيف حتى تكرم الفرسا

وقال على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما من تمام المروءة خدمة الرجل ضيفه كما خدمهم أبونا إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه بنفسه وأهله أما سمعت قول الله عز وجل وامرأته قائمة * ومن آداب المضيف أن يحدث أضيافه بما تميل اليه نفوسهم ولا ينام قبلهم ولا يشكو الزمان بحضورهم ويبش عند قدومهم ويتألم عند وداعهم وأن لا يحدث بما يروعهم به كما حكى بعضهم قال استدعانى إسحق بن إبراهيم الطاهرى إلى أكل هريسة فى بكرة نهار فدخلت فأحضرت لنا الهريسة فأكلنا فاذا شعرة قد جاءت على لقمة قد غفل عنها طباخه فاستدعى خادمه فأسر اليه شيأ لم نعلمه فعاد الخادم ومعه صينية مغطاة فكشف عن الصينية فاذا يد الطباخ مقطوعة تختلج فتكدر علينا عيشنا وقمنا من عنده ونحن لا نعقل فيجب على المضيف أن يراعى خواطر أضيافه كيفما أمكن ولا يغضب على أحد بحضورهم ولا ينغص عيشهم بما يكرهونه ولا يعبس بوجهه ولا يظهر نكدا ولا ينهر أحدا ولا يشتمه بحضرتهم بل يدخل على قلوبهم السرور بكل ما أمكن كما حكى عن بعض الكرام أنه دعا جماعة من أصحابه إلى بستانه وعمل لهم سماطا وكان له ولد جميل الطلعة فكان الولد فى أول النهار يخدم القوم ويأنسون به ففى آخر النهار صعد الى السطح فسقط فمات لوقته فحلف أبوه على أمه بالطلاق الثلاث أن لا تصرخ ولا تبكى الى أن تصبح فلما كان الليل سأله أضيافه عن ولده فقال هو نائم فلما أصبحوا وأرادوا الخروج قال لهم ان رأيتم أن تصلوا على ولدى فإنه بالأمس سقط من على السطح فمات لساعته فقالوا له لم لا أخبرتنا حين سألناك فقال ما ينبغى لعاقل أن ينغص على أضيافه فى التذاذهم ولا يكدر عليهم فى عيشهم فتعجبوا من صبره وتجلده ومكارم أخلاقه ثم صلوا على الغلام وحضروا دفنه وبكوا وانصرفوا وعلى المضيف أن يأمر غلمانه بحفظ نعال أضيافه وتفقد غلمانهم بما يكفيهم ويرسل حجابه وقت الطعام ولا يمنع واردا * وقيل لبعض الأمراء الكرام لا بأس بالحجاب لئلا يدخل من يعرفه الأمير ويحترز عن العدو فقال ان عدوا يأكل طعامنا ولا ينخدع يمكنه الله منا والأليق بالكريم الرئيس أن يمنع حاجبه من الوقوف ببابه عند حضور الطعام فإن ذلك أول الشناعة عليه أن يسهر مع أضيافه ويؤانسهم بلذيذ المحادثة وغريب الحكايات وأن يستميل قلوبهم بالبذل لهم من غرائب الطرف إن كان من أهل ذلك وأن يرى أضيافه مكان الخلاء فقد قيل عن ملك الهند أنه قال إذا ضافك أحد فأره الكنيف فانى ابتليت به مرة فوضعته فى قلنسوتى وقالوا لا بأس أن يدخل الرجل دار أخيه يستطعم للصداقة الوكيدة وقصد النبى صلى الله عليه وسلم والشيخان منزل الهيثم بن التيهان وأبى أيوب الأنصارى وكذلك كانت عادة السلف رضى الله تعالى عنهم وكان لعون بن عبد الله المسعودى ثلثمائة وستون صديقا فكان يطور عليهم فى السنة ولا بأس أن يدخل الرجل بيت صديقه فيأكل وهو غائب فقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة رضى الله عنها فأكل طعامها وهى غائبة وكان الحسن رضى الله عنه يوما عند بقال فجعل يأخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه فستقة فيأكلها فقال له هشام ما بدا لك يا أبا سعيد فى الورع فقال له يالكع اتل على آية الأكل فتلا ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم إلى قوله أو صديقكم فقال الصديق من استروحت اليه النفس واطمأن اليه القلب وعلى المضيف الكريم أن لا يتأخر عن أضيافه ولا يمنعه عن ذلك قلة ما فى يده بل يحضره اليهم ما وجد فقد جاء عن أنس وغيره من الصحابة رضى الله عنهم أنهم كانوا

وكان فى المجلس رجل من حكماء الروم ودهاتهم فلما وقعت عينه على سابور أنكره وجعل يتأمل شخصه فرأى عليه مخايل الرياسة ولما زاد فى تأمله وصل اليه دور الكأس فتأمل الصورة التى على الكأس وراجع النظر فى سابور فما شك أن الصورة التى على الكأس وضعت على مثاله وغلب على ظنه انه سابور فأمسك الكأس فى يده مساكا طويلا ثم قال رافعا صوته ان هذه الصورة التى على هذا الكأس تخبرنى إخبارا عجيبا فقيل له وما الذى تخبرك فقال تخبرنى ان الذى هى مثال له معنا فى مجلسنا هذا ثم نظر الى سابور وقد تغير لونه حين سمع مقالته فحقق ظنه فبلغ ذلك قيصر فأدناه وقربه وسأله فأخبره أن سابور معه فى مجلسه وأشار اليه فأمر قيصر بالقبض عليه وقرب من قيصر فسأله عن نفسه فتعلل بضروب ومن العلل لم تقبل فقال ذلك المتفرس أيها الملك لا تقبل قوله فإنه سابور لامحالة فهدده قيصر بالقتل فاعترف أنه سابور فحبسه قيصر مكرما وأمر أن أن يعمل له من جلود البقر صورة بقرة تطبق عليها الجلود سبع طبقات ويتخذ لها باب وتجعل لها كوة لأجل المبال ويستقر سابور بها وتجمع يداه إلى عنقه بجامعة من الذهب ذات سلسلة يمكنه معها تناول مايعمل له من طعام وشراب وغير ذلك فلما دخل سابور جوف تلك الصورة جمع قيصر جنوده واستعد لغزو بلاد فارس ووكل بسابور وهو داخل البقرة مائة رجل من اليأس والشدة

محاولتها وصرف أمره إلى المطران وهو خليفة البطرك فكانت تلك الصورة تحمل بين يديه فاذا نزل العسكر نزلت الصورة التي فيها سابور وسط العسكر وضربت عليها قبة وتضرب المطران قبة مجاورة لقبة سابور وسار قيصر

يقدمون الكسرة اليابسة وحشف التمر ويقولون ماندرى أيهما أعظم وزرا الذى يحتقر ماقدم اليه أوالذى يحتقر ماعنده أن يقدمه وعن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال من ألقم أخاه لقمة حلوة صرف الله عنه مرارة الموقف (وحكى) عن الإمام الشافعى رضى الله عنه أنه كان نازلا عند الزعفرانى ببغداد فكان الزعفرانى يكتب فى كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان ويدفعها إلى الجارية فأخذها الشافعى منها يوما وألحق فيها لونا آخر فعرف الزعفرانى ذلك فأعتق الجارية سرورا بذلك وكانت سنة السلف رضى الله عنهم أن يقدموا جملة الألوان دفعة ليأكل كل شخص مايشتهى ومن السنة أن يشيع المضيف إلى باب الدار وعلى المضيف إذا قدم الطعام إلى أضيافه أن لاينتظر من يحضر من عشيرته فقد قيل ثلاثة تضنى سراج لايضىء ورسول بطىء ومائدة ينتظر لها من يجىء ونزل الامام الشافعى رضى الله عنه بالإمام مالك رضى الله عنه فصب بنفسه الماء على يديه وقال لايرعك مارأيت منى لخدمة الضيف على المضيف فرض

اعرض طعامك وابذل لمن أكلا ... واحلف على من أبى واشكر لمن فعلا
ولا تكن سابرى الفرض محتشما ... من القليل فلست الدهر محتفلا

ومن البخلاء من يعزم على الضيف ليعتذرله فيمسك عنه بمجرد الاعتذار كأنه تخلص من ورطة وقيل لبعض البخلاء ماالفرج بعد الشدة قال أن يعتذر الضيف بالصوم ومن البخلاء من يعجبه طعامه ويصف زبادية ويشتهى أن تبقى على حالها ومنهم من يحضر طعامه فاذا رآه ضيوفه أمر بأن يرفع منها أطيبها وأشهاها إلى النفوس ويعتذر أن فى أصحابه من يحضر بالغداة عنده (وحكى) عن بعض البخلاء أنه استأذن عليه ضيف وبين يديه خبز وزبدية فيها عسل نحل فرفع الخبز وأراد أن يرفع العسل فدخل الضيف من قبل أن يرفعه فظن البخيل أن ضيفه لايأكل العسل بلاخبز فقال له ترى أن تأكل عسلا بلا خبز قال نعم وجعل يلعق العسل لعقة بعد لعقة فقال له البخيل مهلا يا أخى والله أنه يحرق القلب قال نعم صدقت ولكنه قلبك (وحكى) عن بعضهم أنه قال غلب على الجوع مرة فقلت امضى إلى دار فلان لأتغدى عنده فجئت إلى باب بيته فوجدت غلامه فقلت أين سيدك فقال والله لاقلت لك عليه الا أن أعطيتنى كسرة قال فرجعت هاربا * ومن البخل تقديم الشىء اليسير وتفخيمه * حكى عن بعض البخلاء أنه حلف يوما على صديقه وأحضر له خبزا وجبنا وقال له لاتستقل الجبن فان الرطل منه بثلاثة دراهم فقال له ضيفه أنا أجعله بدرهم ونصف قال وكيف ذلك قال آكل لقمة بجبن ولقمة بلا جبن فأين هؤلاء من الذى يقول :

قالت أما ترحل تبغى الغنى ... قلت فمن للطارق المعتم
قالت فهل عندك شىء له ... قلت نعم جهد الفتى المعدم
فكم وحق الله من ليلة ... قد أطعم الضيف ولم أطعم
أن الغنى بالنفس ياهذه ... ليس الغنى بالمال والدرهم

(وقال بعض البخلاء)

مسرى نحونا يبغى القرى طاوى الحشى ... لقد عملت فيه الظنون الكواذب
فبات له منا إلى الصبح شاتم ... يعدد تطفيل الضيوف وضارب

فشتان مابين القائلين

(وأما آداب الضيف) فهو أن يبادر إلى موافقة المضيف فى أمور منها أكل الطعام ولا يعتذر بشبع بل يأكل كيف أمكن * فقد حكى أنه ورد على بعض الأعراب ضيف فدخل به إلى بيته

محتفلا بجنوده وعساكره وقد عزم على خراب فارس ولما وجد السير قال وزير سابور للبطرك أيها الأب إنما استفدت بخدمتك الرغبة فى مصالح الأعمال ولا عمل أصلح من تنفيس كربة عن مجهود وجر منفعة إلى مضطر وقد علمت اجتهادى فى مداواة الجرحى وان نفسى تنازعنى إلى صحبة الملك قيصر فى سفره هذا لاغير فلعل الله تعالى يستنقذ بى نفسا صالحة أويسوقنى إلى مداواة جريح من العسكر ليتقدم قلبى بهذه المثوبات فكره البطرك ذلك وقال له قد علمت إنى لاأستطيع فراقك فكيف تطالبنى بالسفر البعيد قال فلم يزل وزير سابور يتضرع إلى البطرك إلى أن استحى منه وسمح له بذلك وزوده وكتب معه إلى المطران يخبره برتبته عنده وأنه يحله فى أعلى المراتب ويستضىء برأيه إذا أشكل عليه أمر فقدم وزير سابور على المطران فعرف له حقه وأنزله فى قبته وجعل زمام أمره ونهيه بيده وصار الوزير يستميله بما يميل اليه ويطرفه فى كل ليلة بطرف الأخبار رافعا بها صوته ليسمع سابور حديثه فيتسلى بذلك ويدس فى أحاديثه مايريد أن يعلمه به ويبطنه من الأسرار فكان سابور يجد بذلك راحة عظيمة وقدم

وكان الوزير قد أعد لخلاص سابور أنواعا من المكايد رتبها عند ماقدم على المطران منها أنه امتنع عن مؤاكلة المطران وأخبره أنه لا يخلط بطعام البطرك غيره لأجل بركته فكان إذا حضر طعام المطران اخرج هو ذلك الزاد الذى معه وانفرد بالاكل وحده فلم يزل قيصر سائرا بجنوده حتى بلغ أرض فارس فاكثر فيها القتل والسبي وتغرير المياه وقطع الأشجار وخراب القرى والحصون وهو مع ذلك يواصل السير ليستولى على دار ملك سابور وقبل أن يشعروا فيملكوا عليهم رجلا منهم ولم يكن للفرس هم الا الفرار من بين يديه والاعتصام بالمعقل والحصون فلم يزل قيصر على تلك الحال حتى بلغ مدينة سابور وقرار ملكه فأحاط بها ونصب عليها آلات الحصار ولم يكن عندها قوة ولامنعة فى دفعه أكثر من ضبط الاسوار والقتال عليها . وكل ذلك فهمه سابور من كنايات الوزير فى محاضراته للمطران ولكن لم يسمع له كلمة من حين سجنه قيصر فى تلك الصور فلما علم سابور أن قيصر قد ثقلت وطأته وأشرف على فتح البلد عيل صبره وساء ظنه ويئس من الحياة فلما جاءه الموكل بطعامه قال له ان هذه الجامعة قد نالت مني منالا ضعفت قوتى عن احتماله فان كنتم تريدون بقاء نفسي فنفسوا عني منها واجعلوا بينها وبين يدي وعنق خرقا من الحرير فجاء بالموكل بالطعام إلى المطران وأعلمه بالذى قال شابور فسمعه الوزير وعلم ان سابور قدجزع وساء ظنه وفطن

وقدم له الطعام فقال الضيف لست بجائع وانما احتاج إلى مكان أبيت فيه فقال الاعرابى إذا كان هذا عزمك فكن ضيف غيرى فانى لا أرى أن تمدحنى فى البلاد وتهجونى فيما بينى وبينك (وحكى) عن بعض التجار قال استدعانى أبو حفص محمد بن القاسم الكرخى لأعرض عليه قماشا من تجارتى فبينما أنا بين يديه وإذا بأطباق الفاكهة قد حضرت فقمت من مجلسه فقال يافلان ماهذا الخلق العامى اجلس فجلست وتحققت كرمه وجعلت آكل الكمثراة فى لقمة والتفاحة فى لقمة ثم قدم الطعام وكنت جائعا فأكلت أكلا جيدا ثم انصرفت فلم أشعر فى اليوم الثانى إلى وقدجاءنى غلامه ببغلته فاستدعانى اليه فقال الى يافلان أنى قليل الأكل بطىء الهضم ولقد طابت لى مؤاكلتك بالأمس فأريد أن لا تنقطع بعدها عنى قال فكنت متى انقطعت حضر غلامه فى طلبى فحصل لى بقربى منه مال كثير وجاه عريض ومن آداب الضيف أن لايسأل صاحب المنزل عن شىء من داره سوى القبلة وموضع قضاء الحاجة وأن لايطلع إلى ناحية الحريم وأن لا يخالفه إذا أجلسه فى مكان وأكرمه به وأن لا يمتنع من غسل يديه وإذا رأى صاحب المنزل قد تحرك بحركة فلا يمنعه منها فقد نقل فى بعض المجاميع أن بعض الكرماء كان عربيدا على أضيافه سيء الخلق بهم فبلغ ذلك بعض الأذكياء فقال الذى يظهر لى من هذا الرجل أنه كريم الأخلاق وما أظن سوء أخلاقه الا لسوء أدب الاضياف ولا بد أن أتطفل عليه لأرى حقيقة أمره قال فقصدته وسلمت عليه فقال هل لك أن تكون ضيفى قلت نعم فسار بين يدى إلى أن جاء بباب داره فأذن لى فدخلت فأجلسنى فى صدر مجلسه فجلست حيث أجلسنى وأعطانى مسندا فاستندت اليه فأخرج لى شطرنجا وقبل أن أتقن شيئا قلت نعم فلعبت معه فلما حضر الطعام جعل يقدم لى ما استطابه وأنا آكل فلما فرغنا قدم طستا وأبريقا وأراد أن يسكب الماء على فلم أمنعه من ذلك وأراد الخروج من بين يدى بعدأن قدم نعلى فلم أرده عن ذلك فلما أراد الرجوع قلت ياسيدى أنشدك الله الافرجت عنى كربة قال وهى فأخبرته الخبر فقال والله مايحوجنى لذلك إلا سوء أدبهم يصل الضيف إلى دارى فأجلسه فى الصدر فيأبى ذلك ثم اقدم اليه الطعام فلا أتحفه بشىء مستظرف إلا رده على ثم أريد أن أصب الماء على يديه عند الغسل فيحلف بالطلاق الثلاث ما تفعل ثم أريد أن أشيعه فلا يمكننى من ذلك فأقول فى نفسى لا يحكم الانسان على نفسه حتى فى بيته فعند ذلك اشتمه وألعنه بل وأضربه وفى معنى ذلك يقول بعضهم

لا ينبغى للضيف أن يتعرض ... ان كان ذا حزم وطبع لطيف
فالامر للانسان فى بيته ... ان شاء الله أن ينصف أوأن يحيف

(ومما) يعاب على الضيف أمور منها كثيرة الاكل المفرط الاان يكون بدويا فانها عادته ومنهاان يتبع طريق الشرهين كن يتخذ معه خريطة مشمعة يقلب فيها الزبادى والامراق والحلوى وغير ذلك ومنهاان يأخذ معه ولده الصغير ويعلمه ان يبكى وقت الانصراف من الطعام ليعطى على اسم ولده الصغير ومنها قبح المؤاكلة وقد عدفيها عيوب كثيرة فمنها المتشاوف والعداد والجراف والرشاف والنفاض والقراض والبهات واللتات والعوام والقسام والمخلل والمزبد والمرغ والمرشش والمفتش والمنشف والملبب والصباغ والنفاخ والمحاسى والمجنح والشطرنجى والمهندس والمتمنى والفضولى . فأما المتشاوف فهو الذى يستحكم جوعه قبل فراغ الطعام فلا نراه الا متطلعا لناحية الباب يظن أن كل ما دخل هو الطعام وأما العداد فهو الذى يستغرق فى عد الزبادى

لما أراد سابور فلما جن الليل وجلس اسامره المطران قال له قد ذكرت الليلة حديثا عجيبا ماذكرته مذكذا وكذا ووددت أنى كنت
حدثت به البطرك قبل سفرى فقال له المطران انى أرغب إليك أن تحدثنى الليلة أيها الراهب الحكيم فقال الوزير

ويعد على أصابعه ويشير إليها وينسى نفسه والجراف هو الذى يحمل اللقم فى جانب الزبيدة ويحرف
بها إلى الجانب الآخر والرشاف هو الذى يجعل اللقمة فى فيه ويرتشفها فيسمع لها حين البلع حس
لا يخفى على جلسائه وهو يلتذ بذلك والنفاض هو الذى يجعل اللقمة فى فيه وينفض أصابعه فى الزبدية
والقراض هو الذى يقرض اللقمة باطراف أسنانه حتى تهذبها ويضعها فى الطعام بعد ذلك والبهات
هو الذى يبهت فى وجوه الآكلين حتى يبهتهم ويأخذ اللحم من بين أيديهم واللتات هو الذى يلت
اللقمة بأطراف اللقمة قبل وضعها فى الطعام والعوام هو الذى يميل ذراعيه يمنة ويسرة لأخذ
الزبادى والقسام الذى يأكل نصف اللقمة ويعيد باقيها فى الطعام من فيه والخلل هو الذى يخلل
أسنانه بأظفاره والمذبد هو الذى يحمل معه الطعام والمرنخ هو الذى يرنخ اللقمة فى الامراق فلا
يبلع الأولى حتى تلين الثانية والمرشش هو الذى يفسخ الدجاج بغير خبرة فيرش على مؤاكليه
والمفتش هو الذى يفتش اللحم بأصابعه والمنشف هو الذى ينشف يديه من الدهن باللقم ثم
يأكلها والملبب هو الذى يملأ الطعام لبابا والضباغ هو الذى ينقل الطعام من زبدية إلى زبدية ليبرده
والنفاخ هو الذى ينفخ فى الطعام والحامى هو الذى يجعل اللحم بين يديه فيحميه عن مؤاكليه والمجنح
هو الذى يزاحم مؤاكليه بجناحيه حتى يفسح له فى المجلس فلايشق عليه الاكل والشطرنجى هو الذى
يرفع زبدية ويضع زبدية أخرى مكانها والمهندس هو الذى يقول لمن يضع الزبادى ضع هذه هنا وهذه ههنا
حتى يأتى قدامه ما يحب والمتمنى هو الذى يقول ليتنى لم يكن معى من يأكل والفضولى هو الذى
يقول لصاحب المنزل عند فراغ الطعام ان كان قد بقى عندك فى القدور شىء فاطعم الناس
فان فيهم من لم يأكل * ومن الاضياف من لا يلذله حديث إلا وقت غسل يديه فيبقى الغلام واقفا والابريق
فى يده والناس ينتظرونه ومنهم من يغسل يديه بالاشنان مرة واحدة فاذا اجتمع الوسخ والدفر
تسوك بهما ومنهم من يدخل الدار فيبتدىء بالهندسة أولا فيقول كان ينبغى أن يكون باب المجلس
من ههنا والايوان كان ينبغى أن يكون ههنا وينتقل من الهندسة إلى ترتيب المجلس فينقل الفاكهة
من موضعها إلى موضع آخر وإن كان قد استحكم جوعه استحق من الطعام وذهل عن بقية الاضياف
وشدة جوعهم * ومنهم من يخرج فيطوف على أصدقاء صاحب الدعوة فيتألم من انقطاعهم ويستوحش
من غيبتهم ويسلطهم على عرض صاحبهم * ولقد حكى عن مغن غير جيد أنه لم يبطل ولا ليلة
واحدة وماذاك إلا انه كان إذا سئل أين كنت قال كنت عند الناس وإذا قيل له أين أكلت قال
أكلت فى بطنى وإذا قيل له أين شربت قال شربت فى فى ومنهم من يفهم عن صاحب الدعوة أنه يقول
لغلامه اشتر كذا فيقول والله العظيم أو الطلاق الثلاث يلزمه مايشترى شيئا فأذوقه فيعجز صاحب
المنزل ويخجله إذا لم يكن فى بيته شىء موجود وليت شعرى إذا كان لا يأكل فلأى شىء حضر ومنهم
من يرى صاحب البيت قد أسر إلى صديقه شيئا فيقول ما الذى قال المولى لصاحبنا وهو لا يريد أن يعلمه
ومنهم من يستعجل صاحب المنزل بالأكل ويشكو الجوع ويظن أن ذلك بسط ومكارم أخلاق وانما
ذلك فى بيته لافى بيوت الناس ومنهم من يقول لصاحب الدعوة من يغنى لنا فيقول فلان فيقول له
غلطت لم لادعوت فلانا ومنهم من يسأل صاحب البيت كيف قوتك فى النكاح فيقول له أنا رجل كبير
قد ضعفت قوتى وشهوتى أو يقول مالى قوة طائلة فى ذلك فيقول أنا والله كلما مر على عام تزايدت
شهوتى وكثر لهذا الفن تشوقى ويعلن بذلك حتى تسمعه صاحبة البيت ومنهم من يشكو حاله مع أهل

حبا وكرامة ثم اندفع
يحدثه ورافعا صوته ليسمع
سابور ويفهم الغرض
يستأنس فقال اعلم أيها
المطران أنه كان ببلادنا
فتى وفتاة ليس فى زمانهما
أحسن منهما اسم الفتى
عين أهله واسم الفتاة
سيدة الناس وكانا
زوجين مؤتلفين لاينبغى
أحدهما بالآخر بدلا
ثم أن عين أهله جلس
يوما مع أصحابه
فتذاكروا النساء الى أن
ذكر أحدهم امرأة أطنب
فى وصفها وبالغ وذكر
أن اسمها سيدة الذهب
فوقع فى قلب عين أهله
حبها فسأل الواصف عن
منزلها فذكر أنها ببلد
بالقرب من بلده ففكر
عين أهله فى أمرها وخامره
حبها فانطلق إلى البلد
التى هى ساكنتها وسأل
عن منزلها فعرفه ولم يزل
يتردد إلى بابها حتى رآها
فرأى منظرا حسنا
ولكن لم تكن بأحسن
من امرأته بل ضرورات
النفس حب التنقل فى
الأحوال ولازم عين
أهله المعاودة إلى منزل
سيدة الذهب حتى فطن
له بعلها وكان جافيا غليظ
الطبع شديد البطش يسمى
الذئب فرصد عين أهله حتى مر به فلما رآه وثب عليه وقتل فرسه ومزق ثيابه واستعان بجماعته
بيته
عليه فاحتملوه إلى داخل دار الذئب وربطوه إلى سارية فى الدار ووكل به عجوزا مقطوعة اليد جدعاء عوراء شوهاء فلما جن

بيته و يذكر نفقته عليهن وكسوتهن لهن وكثرة إنعامه وإحسانه اليهن وماعليه زوجته من سوء الأخلاق وكبر النفس لتستقل زوجة صاحب البيت ماهى فيه مع زوجها وربما كان ذلك سببا لفراقها منه ومنهم من تعجبه نفسه ويستحسن لباسه ويستطيب رائحته وإذاسمع الغناء تواجدوأظهر الطرب وحرك رأسه ويقوم قائما يتمايل حتى يرى أهل الرجل أنه لطيف الشكل بديع الحركات ويظن فى نفسه أنه يعشق وأن رسول صاحبة البيت لايبطىء عنه ومنهم من يقال له العب الشطرنج فيأباه ويشتغل بالدندنة فيقع فى الفضول ومنهم من يتآمر على غلمان صاحب البيت ويهين أولاده ويظن أنه يدل عليهم ومنهم من يقول له صاحب البيت كل فيقول ما آكل الا أنا ورفيقى ومنهم من يسمع السائل على الباب فيتصدق عليه من مال صاحب البيت بغير إذنه أو يقول للسائل فتح الله عليك ومنهم من يدعو الناس لصاحب الوليمة بغير إذنه ويقلده بذلك المنن وأكثر الناس واقع فى ذلك نسأل الله تعالى ان يلهمنا رشدنا وأن يعيذنا من شرور أنفسنا بمنه وكرمه إنه جواد كريم رؤف رحيم ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب السادس والثلاثون فى العفو والحلم والصفح وكظم الغيظ والاعتذار وقبول المعذرة والعتاب وماأشبه ذلك ﴾

قد ندب الله عز وجل نبيه ﷺ الى الصفح والعفو بقوله تعالى فاصفح الصفح الجميل قيل هو الرضا بلاعتب وقال تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال تعالى ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى قال قال رسول الله ﷺ رأيت قصورا مشرفة على الجنة فقلت ياجبريل لمن هذه قال للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه لما بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قال مازال جبريل عليه السلام يوصينى بالعفو فلولا علمى بالله لظننت أنه يوصينى بترك الحدود وقال الحسن بن أبى الحسن إذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم فلايقوم إلا العافون عن الناس وتلا قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله وقال على كرم الله وجهه أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وكان المأمون رحمه الله تعالى يحب العفو ويؤثره ويقول لقد حبب العفو حتى إنى أخاف أن لا أثاب عليه وكان يقول لوعلم أهل الجرائم لذتى فى العفو لارتكبوها وقال لوعلم الناس حبى للعفو لما تقربوا إلى إلا بالجنايات وقال على كرم الله وجهه إذاقدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه وقال رضى الله تعالى عنه أقيلوا ذوى المروءات عثراتهم فما يعثر منهم عاثر إلا ويده بيد الله يرفعه وقال رضى الله عنه ان أول عوض الحليم عن حلمه أن الناس أنصار له على الجاهل وقال المنتصر لذة العفو يلحقها حمد العاقبة ولذة التشفى يلحقها ذم الندم وقال ابن المعتز لاتشن وجه العفو بالتقريع به وقيل ماعفا عن الذنب من قرع به وقال رجل لرجل سبه إياك أعنى فقال له وعنك أعرض وكان الأحنف رحمه الله تعالى كثير العفو والحلم وكان يقول ما آذانى أحد إلا أخذت فى أمره بإحدى ثلاث ان كان فوقى عرفت له فضله وإن كان مثلى تفضلت عليه وإن كان دونى أكرمت نفسى عنه وكان مشهورا بين الناس بالحلم وبذلك ساد عشيرته وكان يقول وجدت الاحتمال أنصر لى من الرجال وقيل له ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم كنا نختلف اليه فى الحلم كما يختلف إلى الفقهاء فى الفقه ولقد حضرت عنده يوما وقد أتوه بأخ له قد قتل ابنه فجاؤا به

عليه الليل أوقدت تلك العجوز النار بالقرب منه وجعلت تصطلى فذكر عين اهله ماكان فيه من السلامة والعافية والرفاهية والعز فبكى بكاء شديدا فأقبلت عليه العجوز وقالت له ماذنبك الذى أوجب هذا فقال عين أهله ماعلمت لى ذنبا فقالت العجوز هكذا قال الفرس للخنزير وكذب فقال عين أهله للعجوز وماالذى كذب فيه الفرس عند الخنزير فقالت له العجوز ذكروا أن فرسان كان لأحد الشجعان فكان يبالغ فى اكرامه ويحسن اليه ويعده لمهماته ولايصبر عنه ساعة وكان يخرج به فى صحبته كل يوم فيزيل لجامه وسرجه ويطيل رسنه فيتمرغ ويرعى فى كل مرج مخصب حتى يرتفع النهار فيرده وهو على يده ثم انه خرج يوما الى المرج راكبا ونزل عنه فلما استقرت قدماه على الأرض نفر الفرس وجمح ومر يعدو بسرجه ولجامه فطلبه الفارس يومه كله فأعجزه وغاب عن عينه عند غروب الشمس فرجع الفارس إلى أهله وقد يئس من الفرس ولما انقطع الطلب عن الفرس وأظلم عليه الليل جاع وطلب أن يرعى فمنعه اللجام ورام أن يتمرغ فمنعه السرج ورام أن يضطجع فمنعه الركاب فبات بشر فلما أصبح ذهب يبتغى فرجا مماهو فاعترضه نهر فدخله ليقطعه إلى جهته الأخرى فاذاهو بعيد القعر فسبح فيه وكان حزامه ولببه من جلد ما أنقع فى دبغه فلما خرج أصابت الشمس الحزام واللبب فيبسا واشتدا عليه فورم موضع اللبب والحزم واشتد به الضرر وقوى به الجوع ومضت عليه أيام فتزايد

مكتوفا فقال ذعرتم أخي أطلقوه واحملوا إلى أم ولدي ديته فانها ليست من قوامنا ثم أنشأ يقول

أقول للنفس تصبيرا وتعزية … احدى يدي أصابتني ولم ترد

كلاهما خلف من فقد صاحبه … هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

وقيل من عادة الكريم إذا قدر غفر وإذا رأى زلة ستر وقالوا ليس من عادة الكرام سرعة الغضب والانتقام وقيل من انتقم فقد شفى غيظه وأخذ حقه فلم يجب شكره ولم يحمد في العالمين ذكره والعرب تقول لاسودد مع الانتقام والذي يجب العاقل إذا أمكنه الله تعالى أن لايجعل العقوبة شيمته وإن كان ولابد من الانتقام فليرفق في انتقامه إلا أن يكون حدا من حدود الله تعالى وقال المنصور لجان عجز عن العذر ماهذا الوجود وعهدي بك خطيبا لسنا فقال ياأمير المؤمنين ليس هذا موقف مباهاة ولكنه موقف توبة والتوبة بالاستكانة والخضوع فرق له وعفا عنه وسعى إلى المنصور برجل من ولد الاشتر النخعي ذكر له عنه أنه يميل الى بني علي والتعصب لهم فأمر باحضاره فلما مثل بين يديه قال ياأمير المؤمنين ذنبي أعظم من نقمتك وعفوك أعظم من ذنبي ثم قال

فهبني مسيئا كالذي قلت ظالما … فعفوا جميلا كي يكون ذلك الفضل

فان لم أكن للعفو منك لسوء ما … أتيت به أهلا فأنت له أهل

فعفا عنه وأمر له بصلة وأحضر إلى المأمون رجل قد أذنب ذنبا فقال له أنت الذي فعلت كذا وكذا قال نعم ياأمير المؤمنين أنا ذاك الذي أسرف على نفسه واتكل على عفوك فعفا عنه وخلى سبيله . وأحضر إلى الهادي رجل من أصحاب عبد الله بن مالك فوبخه على ذنب فقال ياأمير المؤمنين ان اقراري يلزمني ذنبا لم افعله ويلحق بي جرما لم أقف عليه وانكاري رد عليك ومعارضة لك ولكني أقول

فان كنت تبغي بالعقاب تشفيا … فلا تزهدن عند التجاوز في الأجر

فقال لله درك من معتذر بحق أو باطل ماأمضى لسانك وأثبت جنانك وعفا عنه وخلى سبيله وركب يوما عمرو بن عاص رضي الله عنه له بغلة له شهباء ومر على قوم فقال بعضهم من يقوم للأمير فيسأله عن أمه وله عشرة آلاف فقال واحد منهم أنا فقام وأخذ بعنان بغلته وقال أصلح الله الأمير أنت أكرم الناس خيلا فلم ركبت دابة اشهاب ووجهها فقال اني لاأملي دابتي حتى تملني ولاأمل رفيقي حتى يملني فقال أصلح الله الأمير أما العاص فقد عرفناه وعلمنا شرفه فن الام قال على الخبير سقطت أي النابغة بنت حرملة بن عزة سبتها رماح العرب فأتي بها سوق عكاظ فبيعت فاشتراها عبد الله بن جدعان ووهبها للعاص بن وائل فولدت وانجبت فان كان قد جعل لك جعلا فارجع وخذه وأرسل عنان الدابة وقيل ان أمه كانت بغيا عند عبد الله ابن جدعان فوطئها في طهر واحد أبو لهب وأمية بن خلف وأبو سفيان بن حرب والعاص بن وائل فولدت عمر فادعاه كلهم فحكمنا فيه أمه فقالت هو للعاص لأن العاص هو الذي كان ينفق عليها وقال كان أشبه بأبي سفيان . وكان الواثق يتشبه بالمأمون في أخلاقه وحلمه وكان له المأمون الصغير نقل عنه أنه دخلت عليه ابنة مروان بن محمد فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال لست به فقالت السلام عليك أيها الأمير فقال لها وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقالت ليسعنا عدلكم فقال إذا لايبقى على وجه الأرض منكم أحد لأنكم حاربتم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه ومنعتم حقه وسممتم الحسن رضي الله عنه ونقضتم شرطه وقتلتم الحسين رضي الله عنه وسبيتم أهله ولعنتم علي بن أبي طالب رضي الله عنه على منابركم

ضعفه وعجز عن المشي فمر به خنزير فهم بقتله فرآه ضعيفا جدا فسأله عن حاله فأخبره بما هو فيه أضرار اللجام واللبب والحزام وسأله أن يصنع معه معروفا ويخلصه مما هو فيه فسأله الخنزير عن الذنب الذي أوقعه في تلك العقوبة فزعم الفرس ان لاذنب له فقال له الخنزير كذبت ولو صدقت خلصتك مما أنت فيه ومن جهل ذنوبه وأصر عليها لم يرج فلاحه فحدثني يافرس عن ابتداء أمرك فيما نزل بك وعن حالك قبل ذلك فصدقه الفرس وأخبره بجميع أمره وكيف كان عند فارسه مكرما وكيف فارقه وما لقي في طريقه إلى حين اجتماعه بالخنزير فقال الخنزير قاتلك الله لقد كفرت النعم وأكثرت الذنوب منها خلافك لفارسك الذي بالغ في الاحسان اليك وأعدك لمهماته ومنها كفرك احسانه ومنها تعديك على ما ليس لك وهو السرج واللجام ومنها اساءتك لنفسك بتعاطيك التوحش الذي لست من أهله ولا لك عليه القدرة ومنها اصرارك على ذنبك وكنت قادرا على العود الى فارسك قبل أن يوهنك اللجام والجوع والحزام واللبب بالالم فقال الفرس للخنزير قد عرفت ذنبي فانطلق عني ودعني فاني استحق أضعاف ما أنا فيه فقال الخنزير بعد أن عرفت وعدت على نفسك باللوم واخترت لها العقوبة على جهلها تعين الشروع وضربتم في خلاصك ثم ان الخنزير قطع عذار اللجام فسقط وقطع الحزام فتنفس عن الفرس قال فلما سمع عين أهله ما خاطبته به العجوز قال له صدقت فما نطقت

قد أدبتنى فتأدبت ثم أعلمها بخبره ثم رغبها فى أن تمن عليه بالخلاص كما فعل الخنزير بالفرس فقالت العجوز الذى سألتنى لا يمكننى فله الآن ولعلى أجد لك فرجا ومخرجا عن قريب فعليك بالصبر وأمسكت العجوز عن مخاطبته

قال فلما انتهى الوزير فى حديثه إلى هذه الغاية أقبل على المطران وقال انى أحس فى أعضائى فتورا وفى رأسى صادعا ولم اقدر الليلة على إتمام الحديث ولعلى أكون الليلة القابلة نشيطا إلى ذلك فنهض إلى مضجعه فجعل سابور يتأمل حديث الوزير ويتأمل الأمثال التى ضربها له ودسها فى المسامرة ففهم أن الوزير كنى عن سابور بعين أهله وكنى عن مملكته بسيدة الناس وكنى عن بلاد الروم بسيدة الذهب وكنى عن قيصر بالذئب الذى ذكر انه بعل سيدة الذهب وكنى عن طموح نفس سابور الى مملكة الروم بطموح نفس عين أهله الى رؤية سيدة الذهب وكنى عن أخذ قيصر له بقبض الذئب على عين أهله وكنى عن نفسه وحاله وعجزه بالعجوز القطعاء وعرفه أنه لا يمكنه تخليصه فى هذا الوقت كما قررت العجوز لعين أهله وأنه شاع فى خلاصه فاستروح سابور ريح الفرج فسكنت نفسه ووثق بوزيره

فلما كانت الليلة القابلة وتعشى المطران واخذ مقعده للمسامرة قال الوزير أيها الحكيم الراهب أخبرنى عن ما كان من أمر عين أهله وهل خلصته العجوز من وثاق الذئب أم لا فقال الوزير سمعا وطاعة فشرع فى حديثه وقال ان عين أهله أقام على حالته عدة أيام وكل يوم فدخل

وضربتم على بن عبد الله ظلما بسياطكم فعدلنا لا يبقى منكم أحد فقالت فليسعنا عفوكم قال أما هذا فنعم وأمر برد أموالها عليها وبالغ فى الاحسان اليها ٭ وكان معاوية رضى الله عنه يعرف بالحلم وله فيه أخبار مشهورة وآثار مذكورة وكان يقول انى لآنف أن يكون فى الأرض جهل لا يسعه حلمى وذنب لا يسعه عفوى وحاجة لا يسعها جودى وهذه مروءة عالية المرتبة وقال له رجل يوما ما أشبه استك باست أمك فقال ذاك الذى أعجب أبا سفيان منها وكتب معاوية إلى عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه يعتذر اليه من شىء جرى بينهما يقول من معاوية بن أبى سفيان إلى عقيل بن أبى طالب أما بعد يا بنى عبد المطلب فأنتم والله فروع قصى ولباب عبد مناف وصفوة هاشم فأين أخلاقكم الراسية وعقولكم الكاسية وقد والله أساء أمير المؤمنين ما كان جرى ولن يعود لمثله إلى أن يغيب فى الثرى فكتب اليه عقيل يقول :

صدقت وقلت حقا غير أنى ٭ أرى أن لا أراك ولا ترانى
ولست أقول سوأ فى صديقى ٭ ولكن أصد إذا جفانى

فركب اليه معاوية رضى الله عنه وناشده فى الصفح عنه واستعطفه حتى رجع (وحكى) عنه رضى الله عنه أنه لما ولى الخلافة وانتظمت اليه الأمور وامتلأت منه الصدور وأذعن لأمره الجمهور وساعده فى مراده القدر المقدور استحضر ليلة خواص أصحابه وذاكرهم وقائع أيام صفين ومن كان يتولى كبر الكريهة من المعروفين فانهمكوا فى القول الصحيح والمريض وآل حديثهم إلى من كان يجتهد فى إيقاد نار الحرب عليهم بزيادة التحريض فقال امرأة من أهل الكوفة تسمى الزرقاء بنت عدى كانت تتعمد الوقوف بين الصفوف وترفع صوتها صارخة يا أصحاب على تسمعهم كلاما كالصوارم مستحثة لهم يقول لوسمعه الجبان لقاتل والمدبر لاقابل والمسالم لحارب والفار لكر والمتزلزل لاستقر فقال لهم معاوية رضى الله عنه أيكم يحفظ كلامها فقالوا كلنا نحفظه قال فما تشيرون على فيها قالوا نشير بقتلها فانها أهل لذلك فقال لهم معاوية رضى الله عنه بئسما أشرتم به وقبحا ما قلتم أيحسن أن يشتهر عنى أننى بعد ما ظفرت وقدرت قتلت امرأة قد وفت لصاحبها انى إذا للئيم لا والله لافعلت ذلك أبدا ثم دعا بكاتبه فكتب كتابا إلى واليه بالكوفة أن أنفذ الى الزرقاء بنت عدى مع نفر من عشيرتها وفرسان من قومها ومهد لها وطاء لينا ومركبا ذا ولا فلما ورد عليه الكتاب ركب اليها وقرأه عليها فقالت بعد قراءة الكتاب ما أنا بزائغة عن الطاعة فحملها فى هودج وجعل غشاءه مخزا مبطنا ثم أحسن صحبتها فلما قدمت على معاوية قال لها مرحبا وأهلا خير مقدم قدمه وافد كيف حالك ياخالة وكيف رأيت سيرك قالت خير مسير فقال هل تعلمين لم بعثت اليك قالت لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى قال ألست راكبة الجمل الأحمر يوم صفين وأنت بين الصفوف توقدين نار الحرب وتحرضين على القتال قالت نعم قال فما حملك على ذلك قالت يا أمير المؤمنين انه قدمات الرأس وبتر الذنب والدهر ذو غير ومن تفكر أبصر والأمر يحدث بعده الأمر فقال صدقت فهل تعرفين كلامك وتحفظين ما قلت قالت لا والله قال لله أبوك فلقد سمعتك تقولين أيها الناس ان المصباح لا يضىء فى الشمس وان الكواكب لا تضىء مع القمر وان البغل لا يسبق الفرس ولا يقطع الحديد الا بالحديد ألا من استرشدنا أرشدناه ومن سألنا أخبرناه ان الحق كان يطلب ضالة فأصابها فصبرا يامعشر المهاجرين والأنصار فكأنكم وقد التأم شمل الشتات وظهرت كلمة العدل وغلب الحق باطله فانه

لا يستوى المحق والمبطل أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون فالنزال النزال والصبر الصبر ألا وان خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء والصبر خير الأمور عاقبة ائتوا الحرب غير ناكصين فهذا يوم له مابعده يازرقاء أليس هذا قولك وتحريضك قالت لقد كان ذلك قال لقد شاركت عليا فى كل دم سفكه فقالت أحسن الله بشارتك ياأمير المؤمنين وأدام سلامتك مثلك من يبشر بخير ويسر جليسه فقال معاوية أوقد سرك ذلك قالت نعم والله لقد سرنى قولك وأنى لى بتصديقه فقال لها معاوية والله لوفاؤكم له بعد موته أعجب إلى من حبكم له فى حياته فاذكرى حوائجك تقض فقالت ياأمير المؤمنين انى آليت على نفسى أن لاأسأل أحدا بعد على حاجة فقال قد أشار على بعض من عرفك بقتلك فقالت لؤم من المشير ولو أطعته لشاركته قال كلا بل نعفو عنك ونحسن إليك ونرعاك فقالت ياأمير المؤمنين كرم منك ومثلك من قدر فعفا وتجاوز عمن أساء واعطى من غير مسألة قال عطاها كسوة ودراهم وأقطعها ضيعة تغل لها فى كل سنة عشرة آلاف درهم وأعادها إلى وطنها سالمة وكتب إلى والى الكوفة بالوصية بها وبعشيرتها وقيل كان لعبد الله بن الزبير رضى الله عنهما أرض وكان له فيها عبيد يعملون فيها وإلى جانبها أرض لمعاوية وفيها أيضا عبيد يعملون فيها فدخل عبيد معاوية فى أرض عبد الله بن الزبير فكتب عبد الله كتابا إلى معاوية يقول له فيه أما بعد يامعاوية ان عبيدك قد دخلوا فى الأرض فانههم عن ذلك وإلا كان لى ولك شأن والسلام فلما وقفا معاوية على كتابه وقرأه دفعه إلى ولده يزيد فلما قرأه قال له معاوية يابنى ماترى قال أرى أن تبعث إليه جيشا يكون أوله عنده وآخره عندك يأتونك برأسه فقال بل غير ذلك خير منه يابنى ثم أخذ ورقة وكتب فيها جواب كتاب الله بن عبد الله بن الزبير يقول فيه وقفت على كتاب ولد حوارى رسول الله ﷺ وساءنى ماساءه والدنيا بأسرها هينة عندى فى جنب رضاه نزلت عن أرضى لك فأضفها إلى أرضك بما فيها من العبيد والأموال والسلام فلما وقف عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما على كتاب معاوية رضى الله عنه كتب إليه قد وقف على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ولا أعدمه الرأى الذى أحله من قريش هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله بن الزبير وقرأه رمى به إلى ابنه يزيد فلما قرأه تهلل وجهه وأسفر فقال له أبوه يابنى من عفا ساد ومن حلم عظم ومن تجاوز استمال إليه القلوب فاذا ابتليت بشىء من هذه الأدواء فدواه بمثل هذا الدواء ولما دخل الفيل من دمشق واجتمع الناس لرؤيته صعد معاوية فى مكان مرتفع ينظر إليه فبينما هو كذلك إذ نظر فى بعض الحجر من قصره رجلا مع حرمه فأتى الحجرة ودق الباب فلم يكن من فتحه بد فوضعت عينه على الرجل فقال له ياهذا فى قصرى وتحت جناحى تهتك حرمتى وأنت فى قبضتى ماحملك على هذا قال فبهت رجل وقال حلمك أوقعنى فقال له معاوية فان عفوت عنك تسترها على قال نعم فعفا عنه وخلى سبيله هذا من الحلم الواسع أن يطلب الستر من الجانى وهو عروض قول الشاعر

إذا مرضتم أتيناكم نعودكم ... وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

وحكى عن الربيع مولى الخليفة المنصور قال مارأيت رجلا أربط جأشا وأثبت جنانا من رجل سعى به إلى المنصور أن عنده ودائع وأموالا لبنى أمية فأمرنى باحضاره فأحضرته إليه فقال له المنصور قد رفع إلينا خبر الودائع والأموال التى عندك لبنى أمية فاخرج لنا منها وأحضرها ولا تكتم منها شيئا فقال ياأمير المؤمنين أنت وارث بنى أمية قال لا قال فوصى لهم فى أموالهم ورباعهم

عليه الذئب ويهدده بالقتل ويزيده قيدا ثم ان العجوز جاءته فى بعض الليالى وأضرمت لها بالقرب منه نارا وجلست تصطلى ثم أقبلت على عين أهله وقالت له ساعدنى على خلاصك بالصبر فقال لها عن أهله هان على الطليق مالقى الاسير فقالت العجوز حداثة سنك قصرت فهمك عن ادراك الحقائق أفتسمع حديثا لك فيه سلوة قال نعم فقالت العجوز ذكروا أن بعض التجار كان له ولد وكان مشغوفا به فاتحفه بعض معارفه بخشف غزال فعلق قلب الصبى بذلك الخشف الصغير فكان لايفارقه وجعلوا فى جيده حليا نفيسا وربطوا له شاة ترضعه حتى اشتد ونجم قرناه فأعجبه بريقهما وسوادهما وقال لأهله ماهذا الذى ظهر فى رأس الخشف قالوا قرناه وقالوا له انهما سيكبران ويطولان فقال الغلام لأبيه إنى أحب أن أرى غزالا كبيرا له قرنان كاملان فأمر أبوه بعض الصيادين أن يصيد له غزالا كبيرا فأحضر له غزالا قد استكمل قوة ونموا فأعجب الغلام وحلى جيده أيضا فتأنس الغزال الكبير بالخشف الصغير للمجانسة الطبيعية فقال الخشف للغزال ماكنت أظن لى فى الأرض شكلا قبل أن أراك فقال له الغزال إن أشكالك كثيرة فقال الخشف وأين هى فأخبره الغزال بتوحشها وانفرادها فى فلوات الأرض وتناسلها فارتاح الخشف قال لذلك وتمنى أن يراها فقال له الغزال هذه أمنية لاخير لك فيها لأنك نشأت فى رفاهية من العيش ولو تحصلت على ماتمنيت لندمت

فقال الخشف للغزال لابد من اللحاق باشكالى فلما رأى الغزال أن الخشف غير راجع لم يجد بدا من قضاء أربه لحرمة الألفة فرصدا وقتا قابلا وخرجا معه حتى لحقا بالصحراء. فلما عاينها الخشف فرح ومرح ومر يعدو ولا يلتفت إلى ماوراءه فسقط فى أخدود ضيق قد قطعه السيل فانتظر أن يأتيه الغزال فتخلصه فلم يأته وأما ولد التاجر فانه تنكد لفقد الخشف والغزال وأشفق أبوه عليه فاستدعى كل من يعانى الصيد فعرفهم القصة وكلفهم طلب الخشف والغزال ووعدهم بالمكافاة على ذلك وركب التاجر معهم وفرق أتباعه على أبواب المدينة ينتظرون من يأتى من الصيادين وانطلق هو وعبيده حتى دخلوا الصحراء فرأوا على بعد رجلا منكبا على شىء بين يديه فأسرعوا نحوه فرأوا صيادا قد أوثق غزالا كبيرا وقد عزم على ذبحه فتأمله التاجر فاذا هو الغزال الكبير الذى لولده فخلصه من الصياد وأمر عبيده ففتشوه فوجدوا معه الحلى الذى كان على الغزال فسأله كيف ظفر به وأين وجده فقال انى بت فى هذه الصحراء ونصبت شركا ومكثت قريبا منه فلما أصبحت مر على الغزال ومعه خشف يعدو ويمرح فى جهة غير جهة الشرك وجاء هذا الغزال يمشى حتى حصل على فيه فقنصته وقصدت به فلما بلغت هذا الموضع ظهر لى أنى مخطىء فى إدخال هذا الظبى إلى المدينة حيا لعلمى أنه إذا رؤى حيا طولبت بما كان عليه من الحلى فرأيت أن أذبحه وأدخل به لحما فهذا خبرى فقال له التاجر لقد جنى عليك

قال لا قال فما مسئلتك عما فى يدى من ذلك قال فأطرق المنصور وتفكر ساعة ثم رفع رأسه وقال أن بنى أمية ظلموا المسلمين فيها وأنا وكيل المسلمين فى حقوقهم وأريد أن آخذ ما ظلموا المسلمين فيه فاجعله فى بيت أموالهم فقال ياأمير المؤمنين فتحتاج إلى إقامة بينة عادلة أن ما فى يدى لبنى أمية مما خانوه وظلموه فان بنى أمية قد كانت لهم أموال غير أموال المسلمين قال فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال يا ربيع ما أرى الشيخ إلا قد صدق وما يجب عليه شىء وما يسعنا إلا أن نعفو عما قيل عنه ثم قال هل لك من حاجة قال نعم حاجتى ياأمير المؤمنين أن تجمع بينى وبين من سعى فى اليك فوالله الذى لا إله إلا هو ما فى يدى لبنى أمية مال ولا وديعة ولكن لما مثلت بين يديك وسألتنى عما سألتنى عنه قابلت بين هذا القول الذى ذكرته الآن وبين ذلك القول الذى ذكرته أولا فرأيت ذلك أقرب إلى الخلاص والنجاة فقال ياربيع اجمع بينه وبين من سعى به فجمعت بينهما فلما رآه قال هذا غلامى اختلس لى ثلاثة آلاف دينار من مالى وأبق منى وخاف من طلبى له فسعى بى عند أمير المؤمنين قال فشدد المنصور على الغلام وخوفه فأقر بأنه غلامه وأنه أخذ المال الذى ذكره وسعى به كذبا عليه وخوفا من أن يقع فى يده فقال له المنصور سألتك أيها الشيخ أن تعفو عنه فقال قد عفوت عنه وأعتقته ووهبته الثلاثة آلاف التى أخذها وثلاثة آلاف أخرى أدفعها اليه فقال له المنصور ما على ما فعلت من مزيد قال بلى ياأمير المؤمنين ان هذا كله لقليل فى مقابلة كلامك لى وعفوك عنى ثم انصرف قال الربيع فكان المنصور يتعجب منه وكلما ذكره يقول ما رأيت مثل هذا الشيخ ياربيع * وغضب الرشيد على حميد الطوسى فدعا له بالنطع والسيف فبكى فقال له ما يبكيك فقال والله ياأمير المؤمنين ما أفزع من الموت لأنه لابد منه وإنما بكيت أسفا على خروجى من الدنيا وأمير المؤمنين ساخط على فضحك وعفى عنه وقال ان الكريم إذا خادعته انخدع * وأمر زياد بضرب عنق رجل فقال أيها الأمير ان لى بك حرمة قال وما هى قال ان أبى جارك بالبصرة قال ومن أبوك قال يا مولاى انى نسيت اسم نفسى فكيف لا أنسى اسم أبى فرد زياد كمه على فيه وضحك وعفا عنه * وأمر الحجاج بقتل رجل فقال أسألك بالذى أنت غدا بين يديه أذل موقفا منى بين يديك إلا عفوت عنى فعفا عنه ولما ضرب الحجاج رقاب أصحاب ابن الأشعث أتى رجل من بنى تميم فقال والله ياحجاج لئن كنا أسأنا فى الذنب ما أحسنت فى العفو فقال الحجاج أف لهذه الجيف أما كان فيهم من يحسن الكلام مثل هذا وعفا عنه وخلى سبيله * وكان إبراهيم بن المهدى يقول والله ما عفا عنى المأمون تقربا إلى الله تعالى ولا صلة للرحم ولكن له سوق فى العفو يكره أن تكسد بقتلى * وسئل الفضل عن الفتوة فقال الصفح عن عثرات الإخوان فى بعض الكتب المنزلة ان كثرة العفو زيادة فى العمر وأصله قوله تعالى وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض وقال يزيد بن مزيد أرسل الرشيد ليلا يدعونى فأوجست منه خيفة فقال له أنت القائل أنا ركن الدولة والثائر لها والضارب أعناق بغاتها لا أم لك أى ركن وأى ثائر أنت قلت ياأمير المؤمنين ما قلت. هذا إنما قلت أنا عبد الدولة والثائر لها فأطرق وجعل ينحل غضبه عن وجهه ثم ضحك فقلت أحسن من هذا قولى

خلافة الله فى هرون ثابتة * وفى بنيه إلى أن ينفخ الصور

فقال يافضل أعطه مائة الف درهم قبل أن يصبح ، وأمر مصعب بن الزبير بقتل رجل فقال ما أقبح

فى أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة ووجهك هذا الذى يستضاء به فأتعلق باطوقك وأقول أى رب سل مصعبا لم قتلنى فقال اطلقوه فلما أطلقوه قال أيها الأمير اجعل ما وهبت لى من حياتى فى خفض عيش قال قد أمرت لك بمائة ألف درهم فقال

أنا المذنب الخطاء والعفو واسع ... ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو

وتغيظ عبد الملك بن مروان على رجل فقال والله لئن أمكننى الله منه لأفعلن به كذا وكذا فلما صار بين يديه قال رجاء بن حيوة يا أمير المؤمنين قد صنع الله ما أحببت فاصنع ما أحب الله فعفا عنه وأمر له بصلة وقال الحسن ان أفضل رداء تردى به الإنسان الحلم وهو والله عليك أحسن من برد الحبر وفيه قال أبو تمام

رقيق حواشى الحلم لو أن حلمه ... بكفيك ما ماريت فى أنه برد

ويقال الحليم سليم والسفيه كليم وقال محمد بن عجلان ماشىء أشد على الشيطان من عالم معه حلم أن تكلم تكلم بعلم وان سكت سكت بحلم يقول الشيطان سكوته على اشد من كلامه (شعر)

إذا كنت تبغى شيمة غير شيمة ... طبعت عليها لم تطعك الضرائب

وعن على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما أقرب ما يكون العبد من غضب الله إذا غضب * وفى التوراة اذكرنى إذا غضبت أذكرك إذا غضبت فلا أمحقك فيما أمحق وإذا ظلمت فاصبر وارض بنصرتى فان نصرتى لك خير من نصرتك لنفسك * وكان ابن عون إذا غضب على انسان قال له بارك الله فيك وكانت له ناقة كريمة فضربها الغلام فاندر عينها فقالوا ان غضب ابن عون فانه يغضب اليوم فقال للغلام غفر الله لك وقال رجل لرسول الله ﷺ أى شىء أشد قال غضب الله قال فما يباعدنى من غضب الله قال أن لا تغضب ويقال من أطاع الغضب أضاع الارب قال أبو العتاهية

ولم أر فى الأعداء حين اختبرتهم ... عدوا لعقل المرء أعدى من الغضب

وقال أبو هريرة رضى الله عنه ليس الشديد بالشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب وقال ابن مسعود رضى الله عنه كفى بالمرء اثما أن يقال له اتق الله فيغضب ويقول عليك نفسك وكتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه إلى عامل من عماله أن لا تعاقب عند غضبك وإذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فاخرجه تعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز خمسة عشر سوطا * وقيل لابن المبارك رحمه الله تعالى اجمع لنا حسن الخلق فى كلمة واحدة قال ترك الغضب * وقال المعتمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب ويشتد غضبه فكتب ثلاث صحائف فأعطى كل صحيفة رجلا وقال للأول إذا اشتد غضبى فقم إلى بهذه الصحيفة وناولنيها وقال للثانى إذا سكن بعض غضبى فناولنيها وقال للثالث إذا ذهب غضبى فناولنيها وكان فى الأولى اقصر فما أنت وهذا الغضب انك لست باله انما انت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضا وفى الثانية ارحم من فى الأرض يرحمك من فى السماء وفى الثالثة احمل عباد الله على كتاب الله فانه لا يصلحهم إلا ذاك روى أنه أنوشروان وكان الشعبى أولع شىء بهذا البيت

ليست الأحلام فى حال الرضا ... انما الأحلام فى حال الغضب

وعن معاذ بن جبل عن أنس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ من كظم غيظه وهو قادر على ان ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره فى أى الحور شاء وروى ملأه الله أمنا وايمانا

طمعك الخيبة فاذا عليك لو أطلقته وخلصت ماكان عليه من الحلى ثم ان التاجر أرسل الغزال إلى ولده مع أحد عبيده وقال للصياد ارجع معى فأرنى الجهة التى رأيت الخشف سعى نحوها فرجع به إلى تلك الجهة فسمع من قريب صوته فصاح به التاجر فعرف الخشف صوته فصوت فسمع التاجر الصوت فادركه فاذا هو فى ذلك الأخدود ملقى فأخذوه ووهب التاجر للصياد ما رضى به فصرفه ورجع التاجر بالخشف إلى ولده فكملت مسرة الغلام وجعل الخشف يتجنب الغزال الكبير إذا رآه ولا يألفه فتنغصت المسرة الغلام لذلك وجهد أهله بكل حيلة أن يجمعوا بين الخشف والغزال فلم يقدروا على ذلك فبينما الخشف نائم فى كناسة إذ دخل عليه الغزال فايقظه وعاتبه على نفاره منه فقال الخشف أما أنت الذى غدرت وقد علمت احتياجى فى غربتى إلى معاونتك فقال له والله ما أخرنى عن ذلك الا وقوعى فى شرك الصياد وقص عليه القصة فقبل عذره وعادا إلى الألفة كما كانا فلما سمع عين أهله خطاب العجوز فهم كنايتها عن عجزها فى تخليصه أمسك عن خطابها قليل فلما انتهى وزير سابور من حديثه إلى هذا الحديث سكت فقال له المطران أيها الحكيم الراهب ماهذا السكوت فقال الوزير قد عاودنى ذلك الفتور الذى اجده فى اعضائى فقال المطران لا تفعل فان ذلك يشق فقال على الوزير نعم افعل ذلك طلبا لمرضاتك ثم اندفع يحدثه قال وباب عين أهله تلك الليلة فى أضيق

الاحوال ولما أصبح دخل عليه الذئب فنال منه وهدد بالقتل وخرج من عنده فجعل يطل نفسه بقية نهاره ويمنيها بالفرج
فلما أقبل عليه الليل استوحش وانتظر أن تجلس اليه العجوز وتحادثه فلم تفعل فأيقن بقتله فى تلك الليلة فأقبل على البكاء حتى مضى جانب من الليل ثم قال للعجوز لم أحظ فى هذه الليلة بمؤانستك فقالت قد جرحت قلبى لقولك لى هان على الطليق مالقى الأسير ولو اعتبرت باطن حالى لعلمت أن أسرى أشد من أسرك فاستمع لى أحدثك واعلم أيها الفتى أنى كنت زوجة لبعض الفرسان وكان لى محبا فكنت معه فى أرغد عيش وولدت له أولادا كثيرة فغضب الملك على زوجى لأمر كان منه فقتله وقتل أولادى الذكور وباعنى أنا وبناتى فاشترانى هذا الفارس الذى عدا عليك واحتملنى إلى هذه البلدة وأساء إلى وكلفنى من العمل مالا أطيق ولى معه على هذه الحالة سبع سنين ثم فررت منه فظفر بى فقطع يدى وعاود عسفى وقهرتى وقد عزمت على تخليصك الليلة وما أشك أنه يقتلنى وجل قصدى ذلك لأجل الراحة مما أنا فيه ولأجل ذلك أنا أكثر الدخول والخروج اليك وأنا فى غاية الحيرة من الفزع والجزع ثم إنها فتحت قيود عين أهله وقطعت وثاقه وتناولت سكينا لتقتل نفسها
فقال لها عين أهله ان تركتك تقتلين نفسك فقد شاركتك فى دمك وانتزع السكين من يدها وقال لها قومى اذهبى معى لكى تنجوا معا

وإيمانا . وقال ابن السماك أذنب غلام لامرأة من قريش فأخذت السوط ومضت خلفه حتى إذا قاربته رمت بالسوط وقالت ماتركت التقوى أحدا يشفى غيظه . وقال أبوذر لغلامه لم أرسلت الشاه على علف الفرس قال أردت أن أغيظك قال لأجمعن أجرا أنت حر لوجه الله تعالى واستأذن رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فأذن لهم فقالوا السام عليك يامحمد فقالت عائشة رضى الله تعالى عنها بل السام عليكم واللعنة فقال ياعائشة ان الله يحب الرفق فى الأمر كله فقالت ألم تسمع ماقالوا قال قد قلت وعليكم . ورفع إلى عبد الملك بن مروان أعرابى يقال له حمزة سرق وقامت عليه البينة فهم عبد الملك بقطع يده فكتب اليه حمزة من السجن يقول (شعر)

يدى ياأمير المؤمنين أعيذها ... بعفوك أن تلقى مقاما يشينها
فلا خير فى الدنيا وكانت خبيثة ... إذا ماشمال فارقتها يمينها

قال فأبى عبدالملك الا قطعه فدخلت عليه أم حمزة وقالت ياأميرالمؤمنين بنى وكاسبى وواحدى فقال لها عبد الملك بئس الكاسب لك هذا حد من حدود الله تعالى فقالت ياأمير المؤمنين فاجعله أحد ذنوبك التى تستغفرالله منها فقال عبد الملك ادفعوه اليها وخلى سبيله (شعر)

إذا ماطاش حلمك عن عدو ... وهان عليك هجران الصديق ... فلست إذا أخا عفو وصفح
ولا لأخ على عهد وثيق ... إذا زل الرفيق وأنت عن ... بلا رفق بقيت بلا رفيق
إذا أنت اتخذت أخا جديدا ... لما أنكرت من خلق عتيق ... فما تدرى لعلك مستجير
من الرمضاء فر إلى الحريق ... فكم من سالك لطريق أمن ... أتاه مايحاذره فى الطريق

وشتم رجل رجلا فقال له هذا لاتغرق فى شتمنا ودع للصلح موضعا فانى أبيت مشاتمة الرجال صغيرا فلن أحييها كبيرا وإنى لا أكافىء من عصى الله فى بأكثر من أن أطيع الله فيه (وحكى) عن جعفر الصادق رضى الله عنه أن غلاما له وقف يصب الماء على يديه فوقع الابريق من يد الغلام فى الطست فطار الرشاش فى وجهه فنظر جعفر اليه نظر مغضب فقال يامولاى والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظى قال والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قال والله يحب المحسنين قال اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى وقيل لما قدم نصر بن منيع بين يدى الخليفة وكان قد أمر بضرب عنقه قال ياأميرالمؤمنين اسمع منى كلمات أقولها قال قل فأنشأ يقول

زعموا بأن الصقر صادف مرة عصفور ... برساقه التقدير فتكلم العصفور تحت جناحه
والصقر منقض عليه يطير إلى لمثلك ... لاأتمم لقمة ولئن شويت فانى لحقير
فتهاون الصقر المدل بصيده ... كرما وأفلت ذلك العصفور

قال فعفا عنه وخلى سبيله (قال الشاعر)

أقرر بذنبك ثم أطلب تجاوزهم ... عنه فان جحود الذنب ذنبان

(وقال بعضهم)

يستوجب العفو الفتى إذا اعترف ... وتاب عما قد جناه واقترف
لقوله قل للذين كفروا ... ان ينتهوا يغفرلهم ماقدسلف

(وقال آخر)

إذا ذكرت أياديك التى سلفت ... مع قبح فعلى وزلاتى وجرمى

أو نعطب معا فقالت ان كبر سنى وضعف بصرى يمنعانى من اتباعك فقالت لها عين أهله ان الليل متسع والموضع الذى أنا فيه قريب ولى قوة على حملك فقالت له (١٩٤) العجوز اذا عزمت على هذا فانى لا أحوجك إلى حملى وخرجا معا فلم ينقض الليل حتى بلغا حيث أمنا فجزاها عين أهله خيرا على ماصنعت واتخذها أما فهذا ما بلغنى من ذلك فقال المطران ماأعجب أحاديثك أيها الحكم ولقد وددت انى لا أفارقك أبدا ونهض كل واحد منهما إلى مضجعه وبات سابور يتصفح حديث وزيره ويتأمل أمثاله ففهم أن الخشف مثل لسابور وأن الغزال الكبير مثل للوزير وأن خروج الخشف مع الغزال إلى الصحراء وحصول الخشف فى الاخدود مثل لصحبة سابور وزيره حتى حصل سابور فى حبس قيصر وان نفار الخشف عن الغزال لسوء ظن سابور بوزيره لتأخره عن استنقاذه وتحقق أن الوزير قد عزم على خلاصه والخروج به إلى المدينة ليلا وان المدينة قريبة منهما وأنه يحمله ان عجز عن المشى فأيقن سابور بالفرج ولما كانت الليلة القابلة تلطف وزير سابور حتى دخل الخيمة التى يطبخ بها الطعام للمطران وبها الموكلون بقية سابور نائمون ينتظرون الطعام فتحيل إلى أن التى فى الطعام مرقدا قوى الفعل

أكاد أقتل نفسى ثم يدركنى علمى بانك مجبول على الكرم

وروى أن عمر رضى الله عنه رأى سكران فأراد أن يأخذه ليعزره فشتمه السكران فرجع عنه فقيل له ياأمير المؤمنين لما شتمك تركته قال انما تركته لانه أغضبنى فلو عزرته لكنت قد انتصرت لنفسى فلا أحب أن أضرب مسلما لحمية نفسى وغضب المنصور على رجل من الكتاب فأمر بضرب عنقه فأنشأ يقول

وانا الكاتبونا وان أسأنا فهبنا للكرام الكاتبينا

فعفا عنه وخلى سبيله وأكرمه * وقال الرشيد لاعرابى بم بلغ فيكم هشام بن عروة هذه المنزلة قال بحلمه عن سفيهنا وعفوه عن مسيئنا وحمله عن ضعيفنا لامنان اذا وهب ولا حقود اذا غضب رحب الجنان سمح البنان ماضى اللسان قال فأومأ الرشيد إلى كلب صيد كان بين يديه وقال والله لو كانت هذه فى هذا الكلب لاستحق بها السودد * وقيل لمعن بن زائدة المؤخذ بالذنب من السودد قال لا ولكن أحسن ما يكون الصفح عن عظم جرمه وقل شفعاؤه ولم يجد ناصرا وقال محمود الوراق

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب وان عظمت منه على الجرائم
فما الناس الا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثل مقاوم
فأما الذى فوقى فأعرف قدره وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذى دونى فان قال صنت عن اجابته نفسى وان لام لائم
وأما مثلى فان زل أوهفا تفضلت أن الحر بالفضل حاكم

وقال الاحنف بن قيس لابنه يابنى إذا أردت أن تواخى رجلا فأغضبه فان أنصفك والا فاحذره (قال الشاعر)

إذا كنت مختصا لنفسك صاحبا فمن قبل ان تلقاه بالود أغضبه
فان كان حال القطيعة منصفا والا فقد جربته فتجنبه

ومن أمثال العرب احلم تسد (قال الشاعر)

لن يبلغ المجد أقوام وان شرفوا حتى يذل وان عزوا لاقوام
ويشتموا فترى الالوان مسفرة لاصفح ذل ولكن صفح اكرام

(وقال آخر) وجهول رددناه بفضل حلومنا ولو أننا شئنا رددناه بالجهل

وقال الاحنف أياكم ورأى الاوغاد قالوا وما رأى الاوغاد قال الذين يرون الصفح والعفو عارا * وقال رجل لأبى بكر الصديق رضى الله عنه لأسبنك سبا يدخل معك قبرك فقال معك والله يدخل لامعى وقيل ان الاحنف سبه رجل وهو يماشيه فى الطرق فلما قرب من المنزل وقف الاحنف وقال له ياهذا ان كان قد بقى معك شىء فهات وقله ههنا فانى أخاف أن يسمعك فتيان الحى فيؤذوك اونحن لانحب الانتصار لانفسنا وقال لقمان لابنه يابنى ثلاثة لايعرفون الا عند ثلاثة لايعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا اخوك الا عند الحاجة اليه ومن الشعر بيت قيل فى الحلم قول كعب بن زهير

إذا انت لم تعرض عن الجهل والخنا أصبت حليما أو أصابك جاهل

ولما حضر طعام المطران انفرد الوزير بأكل زاده على ماجرت به العادة فلم تكن الا ساعة حتى صرع القوم فبادر الوزير

(وقال آخر) وإذا بغى باغ عليك بجهله ... فاقتله بالمعروف لا بالمنكر

(وقال آخر) قل ما بدا لك من صدق ومن كذب ... حلمي أصم وأذني غير صماء

ويروى في بعض الأخبار أن ملكا من الملوك أمر أن يصنع له طعام وأحضر قوما من خاصته فلما مد السماط أقبل الخادم وعلى كفه صحن فيه طعام فلما قرب من الملك أدركته الهيبة فعثر فوقع من مرق الصحن شيء يسير على طرف ثوب الملك فأمر بضرب عنقه فلما رأى الخادم العزيمة على ذلك عمد بالصحن فصب جميع ما كان فيه على رأس الملك فقال له ويحك ماهذا فقال أيها الملك انما صنعت هذا شحا على عرضك وغيرة عليك لئلا يقول الناس إذا سمعوا ذنبي الذي به تقتلني قتله في ذنب خفيف لم يضره وأخطأ فيه العبد ولم يقصده فتنسب إلى الظلم والجور فصنعت هذا الذنب لتعذر في قتلي وترفع عنك الملامة قال فأطرق الملك مليا ثم رفع اليه وقال ياقبيح الفعل ياحسن الاعتذار قد وهبنا قبيح فعلك وعظيم ذنبك لحسن اعتذارك أذهب فأنت حر لوجه الله تعالى

(وحكى) عن أمير المؤمنين المأمون وهو المشهود له بالاتفاق على علمه والمشهور في الآفاق بعفوه وحلمه أنه لما خرج عمه إبراهيم بن المهدي عليه وبايعه العباسيون بالخلافة ببغداد وخلعوا المأمون وكان المأمون إذ ذاك بخراسان فلما بلغه الخبر قصد العراق فلما بلغ بغداد اختفى إبراهيم بن المهدي وعاد العباسيون وغيرهم إلى طاعة المأمون ولم يزل المأمون متطلبا لإبراهيم حتى أخذه وهو متنقب مع نسوة لحبس ثم أحضر حتى وقف بين يدي المأمون فقال السلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال المأمون لاسلم الله عليك ولاقرب دارك استغواك الشيطان حتى حدثتك نفسك بما تنقطع دونه الأوهام فقال له إبراهيم مهلا ياأمير المؤمنين فان ولي الثأر محكم في القصاص والعفو اقرب للتقوى ولك من رسول الله ﷺ شرف القرابة وعدل السياسة وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب كما جعل كل ذي ذنب دونك فان أخذت فبحقك وان عفوت فبفضلك والفضل أولى بك ياأمير المؤمنين ثم قال هذه الابيات

ذنبي اليك عظيم ... وأنت أعظم منه ... فخذ بحقك أولا

فاصفح بعفوك عنه ... أن لم أكن في فعالي ... من الكرام فكنه

فلما سمع المأمون كلامه وشعره ظهرت الدموع في عينيه وقال ياإبراهيم الندم توبة وعفو الله تعالى اعظم مما تحاول وأكثر مما تؤمل ولقد حبب إلى العفو حتى خفت أن لا أوجر عليه لا تثريب عليك اليوم ثم أمر بفك قيوده وادخاله الحمام وازالة شعثه وخلع ورد أمواله جميعا اليه فقال فيه مخاطبا

رددت مالي ولم تبخل علي به ... وقبل ردك مالي حقنت دمي

فان جحدتك ما أوليت من كرم ... أني لباللوم أولى منك بالكرم

وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج يأمره أن يبعث اليه برأس عباد بن أسلم البكري فقال له عباد أيها الأمير أنشدك الله لاتقتلني فوالله اني لأعول أربعا وعشرين امرأة مالهن كاسب غيري فرق لهن واستحضرهن وإذا واحدة منهن كالبدر فقال لها الحجاج ما أنت منه قالت أنا ابنته فاسمع ياحجاج مني ما أقول ثم قالت

أحجاج إما أن تمن بتركه ... علينا وإما أن تقتلنا معا

أحجاج لا تفجع به ان قتلته ... ثمانا وعشرا اثنتين وأربعا

إلى فتح باب البقرة واستخرج سيده أزال الجامعة عن عنقه ويديه وتلطف حتى أخرجه من عسكر قيصر وقصد به المدينة فانتهيا معا إلى سورها فصرح بهم الموكلون فتقدم الوزير اليهم وأمرهم بخفض أصواتهم وأعلمهم بسلامة الملك ثم عرفهم نفسه فابتدروا لها وأدخلوهما المدينة فقويت نفوس أهلها وأمرهم سابور بالاجتماع وفرق فيهم السلاح وأمرهم أن يأخذوا أهبتهم فاذا ضربت نواقيس النصارى الضرب الأول يخرجون من المدينة ويفترقون على عسكر الروم فاذا ضربت النواقيس الضرب الثاني يحملون بأجمعهم فامتثلوا أمره ثم أن سابور انتخب كتيبة عظيمة فيها شجعان أساورته ووقف معهم مما يلي الجهة التي فيها أخبية قيصر فلما ضربت النواقيس وضرب الثاني حملوا من كل وجهة وقصد سابور أخبية قيصر ولم يكن الروم متأهبين لعلمهم بضعف الفرس عن مقاومتهم وسد أبوابهم فما شعروا حتى دهموهم وأخذ سابور قيصر أسيراً وغنم جميع ما في عسكره واحتوى على جميع خزائنه ولم ينج من جنوده إلا اليسير ثم عاد سابور إلى مدينته ودار مملكته فقسم تلك الغنائم بين أهل عسكره وأحسن إلى حفظة ملكه وفوض جميع اموره إلى الوزير ثم انه احضر قيصر فلاطفه وأكرمه وقال له انى مبق عليك كما ابقيت على ومجير مجازاتك على التضييق ولكن آخذك باصلاح ما افسدت من جميع ملكي فتبني ما هدمت وتغرس جميع ما قلعت وتطلق كل ما عندك من أسارى الفرس فضمن

له جميع ذلك ووفى به لها أنم سابور ما أراد من ذلك كله أحسن إلى قيصر وأطرفه وجهزه إلى دار ملكه واستمر قيصر على مهادنته والانقياد إلى طاعته انتهى (١٩٦) (ومن لطائف المنقول قصة أرينب بنت اسحق زوج عبدالله بن سلام)

احجاج لاتترك عليه بناته ... وخالاته يندبنه الدهر اجمعا

فبكى الحجاج ورق له واستوهبه من أمير المؤمنين عبدالملك وأمر له بصلة ﴿ ولما قدم عيينة بن حصن على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر رضى الله عنه وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولا كانوا أوشبانا فقال عيينة لابن أخيه يا ابن أخي لك وجه عند هذا الامير فاستأذن لى عليه فاستأذن له عمر فلما دخل قال هيه يا ابن الخطاب فوالله ماتعطينا الجزل ولا تحكم فينا بالعدل فغضب عمر حتى هم أن يوقع به فقال له الحر يا أمير المؤمنين ان الله سبحانه وتعالى قال لنبيه عليه الصلاة والسلام خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وان هذا من الجاهلين فوالله ماجاوزها عمر رضى الله عنه وحين تلاها عليه وكان وقافا عند كتاب الله تعالى (وحكى أن رجلا زور ورقة عن خط الفضل بن الربيع تتضمن أنه أطلق له الف دينار ثم جاء بها إلى وكيل الفضل فلما وقف الوكيل عليها لم يشك انها خط الفضل فشرع فى أن يزن له الالف دينار وإذا بالفضل قد حضر ليتحدث مع وكيله فى تلك الساعة فى أمر مهم فلما جلس أخبره الوكيل بأمر الرجل وأوقفه على الورقة فنظر الفضل فيها ثم نظر فى وجه الرجل فرآه كاد يموت من الوجل والخجل فأطرق الفضل بوجهه ثم قال للوكيل أتدرى لم أتيتك فى هذا الوقت قال لا قال جئت لاستنهضك حتى تعجل لهذا الرجل اعطاء المبلغ الذى فى هذه الورقة فأشرع عند ذلك الوكيل فى وزن المال وناوله الرجل فقبضه وصار متحيراً فى أمره فالتفت اليه الفضل وقال له طب نفسا وامض إلى سبيلك آمنا على نفسك فقبل الرجل يده وقال له سترتنى سترك الله فى الدنيا والآخرة ثم اخذ المال ومضى فيجب على الإنسان أن يتأسى بهذه الاخلاق الجميلة والجليلة ويقتفى سنة نبيه عليه الصلاة والسلام فقد كان أكثر الناس حلما وأحسنهم واكرمهم خلقا وأكثرهم تجاوزاً وصفحا وأرحم للعثر عليه نجحا صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين وأما ماجاء فى العتاب فقد قيل العتاب خير من الحقد ولا يكون العتاب إلا على زلة وقد مدحه قوله فقالوا والعتاب حدائق المتحابين ودليل على بقاء المودة وقد قال أبو الحسن بن منقذ (شعرا)

أسطو عليه وقلبي لو تمكن من ... يدى غلهما غيظا إلى عنق

وأستعير له من سطوتى ... وأين ذلا لهوى من عزة الخنق

وذمه بعضهم قال اياس بن معاوية خرجت فى سفر ومعى رجل من الاعراب فلما كان فى بعض المناهل لقيه ابن عم له فتعانقا وتعاتبا إلى جانبهما شيخ من الحى فقال لهما انعما عيشا ان المعاتبة تبعث التجنى والتجنى يبعث المخاصمة والمخاصمة تبعث العداوة ولا خير فى شيء ثمرته العداوة وقال الشاعر

فدع ذكر العتاب فرب شر ... طويل هاج أوله العتاب

وقيل العتاب من حركات الشوق وانما يكون هذا بين المتحابين قال الشاعر

علامة مابين المحبين فى الهوى ... عتابهم فى كل حق وباطل

وكتب بعضهم يعاتب صديقه على تغير حاله يقول

عرضنا انفسنا عزت علينا ... عليكم فاستخف بها الهوان

ولو أنا رفعناها لعزت ... ولكن كل معروض مهان

(وقال آخر يعاتب صديقه)

وكنت إذا ماجئت ادنيت مجلسى ... ووجهك من البشاشة يقطر

كان عبدالله بن سلام واليا بالعراق من قبل معاوية وكانت أرينب بنت اسحق زوجا له وهى من اجل نساء عصرها وأحسنهن أدبا وأكثرهن مالا وكان يزيد بن معاوية قد هام بجمالها وأدبها على السماع بما بلغه عنها من حسن الخلق والخلق وفتن بها فلما عيل صبره خص بسره خصيصا بمعاوية اسمه رفيف فذكر ذلك رفيف لمعاوية وذكر شدة شغف يزيد بها فبعث معاوية إلى يزيد فاستفسره عن امره فبث له شأنه فقال معاوية مهلا يا يزيد قال علام تأمرنى بالمهل وقد انقطع منها الأمل فقال معاوية وأين حجاك ومروءتك فقال له يزيد قد عيل الحجى ونفذ الصبر قال له يابنى ساعدنى على أمرك بالكتمان والله بالغ امره وكانت أرينب بنت اسحق قد سار بذكر جمالها الركبان وضربت بها الأمثال فأخذ معاوية فى الحيلة حتى يبلغ يزيد رضاه وينال غرضه ومناه فكتب إلى عبد الله بن سلام يستحثه على الحضور لمصلحة عينها له وكان عند معاوية يومئذ بالشام أبو الدرداء صاحبا رسول الله ﷺ فلما قدم عليه عبد الله بن سلام الشام أعد له معاوية منزلا حسنا وقدمه اليه وبالغ فى اكرامه ثم قال لأبى هريرة وأبى الدرداء ان بنتى قد بلغت وأريد انكاحها وقد رضيت

فمن

عبد الله بن سلام لدينه وشرفه وفضله وأدبه وقد كنت جعلت لها فى نفسها شورى ولكن ارجو أن لا تخرج عن رأيى إن شاء الله تعالى فخرجا من عنده متوجهين إلى منزل عبد الله بن سلام بالذى قال لهما معاوية (١٩٧) ثم دخل معاوية على ابنته فقال لها إذا دخل عليك أبو الدرداء وأبو هريرة فعرضا عليك عبد الله ابن سلام وانكاحى اياك منه وحضاك على المسارعة إلى رضائى فقولى لهما عبد الله بن سلام كفء كريم غير أن تحته أرينب بنت اسحق وأنا خائفة أن يعرض لى من الغيرة مايعرض للنساء ولست نفاعة حتى يفارقها وأما أبو الدرداء وأبو هريرة فانهما لما وصلا إلى عبد الله بن سلام أعلماه بما قال لهما معاوية فردهما خاطبين عنه فلما مثلا بين يدى معاوية قال انى كنت أعلمتكما انى جعلت لها فى نفسها شورى فادخلا عليها وأعلماها بما رأيت لها فدخلا عليها وأعلماها بذلك فأبدت ماقرره أبوها عندها من قبل فعادا إلى عبد الله بن سلام فأعلماه بذلك ففهم المراد وأشهدهما عليه بطلاق أرينب وبعثهما إليه خاطبين فلما دخلا على معاوية أعلماه بطلاق أرينب فاظهر معاوية كراهية ذلك وقال ما استحسنت طلاق زوجته ولا أحببته فانصرفا فى عافية وغدوا وكتب إلى ابنه يزيد يعلمه بما كان من طلاق عبد الله ابن سلام لأرينب بنت اسحق وعاد بعد ذلك أبو هريرة إلى معاوية فأمرهما بالدخول على ابنته وسؤالها عن رضاها وهو يقول

فمن لى بالعين التى كنت مرة ... إلى بها فى سالف الدهر تنظر

(وقال أبو الحسن بن منقذ)

أخلاقك الغر السجايا مالها ... حملت قذى الواشين وهى سلاف
ومرآة رأيك فى عبيدك مالها ... صدئت وأنت الجوهر الشفاف

وقال آخر يعاتب صديقه على كتاب أرسله إليه وفيه خط علية

اقرأ كتابك واعتبره قريبا ... فكفى بنفسك لى عليك حسيبا
أكذا يكون خطاب أخوان الصفا ... ان أرسلوا جعلوا الخطاب خطوبا
ماكان عذرى ان أجبت بمثله ... أو كنت بالعتب العنيف مجيبا
لكننى خفت انتقاص مودتى ... فيعد احسانى إليك ذنوبا

(وقال آخر) أراك إذا ماقلت قولا قبلته ... وليس لأقوالى لديك قبول
وما ذاك إلا أن ظنك سىء ... بأهل الوفا والظن فيك جميل
فكن قائلا قول الحماسى تائها ... بنفسك عجبا وهو منك قليل
ونتكران شئنا على الناس قولهم ... ولا ينكرون القول حين يقول

وكان لمحمد بن الحسن بن سهل صديق فناولته اضاقة ثم ولى عملا فاثرى فقصده محمد مسلما فرأى منه تغيرا فكتب إليه

لئن كانت الدنيا أنالتك ثروة ... فأصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر
فقد كشف الاثراء منك خلائقا ... من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

(وقال آخر فى المعنى) دعوت الله أن تسمو وتعلو ... علو النجم فى أفق السماء
فلما أن سموت بعدت عنى ... فكان إذا على نفسى دعائى

وكان ابن عرادة السعدى مع سلم بن زياد بخراسان وكان له مكرما وابن عرادة يتجنى عليه ففارقه وصاحب غيره ثم ندم ورجع إليه وقال

عتبت على سلم فلما فقدته ... وصاحبت أقواما بكيت على سلم
رجعت إليه بعد تجريب غيره ... فكان كبرء بعد طول من السقم

(وقال مسلم بن الوليد) ويرجعنى إليك إذا نأت بى ... ديارى عنك تجربة الرجال

(وقال أبو الحسن القابسى)

إذا أنا عاتبت الملوم فانما ... أخط بأقلامى على الماء أحرفا
وهبه ارعوى بعد العتاب ألم تكن ... مودته طبعا فصارت تكلفا

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه معاتبة الصديق أهون من فقده وما أحسن ماقيل فى العتاب

وفى العتاب حياة بين أقوام ... وهو المحك لذى لبس وابها

فانم شىء أحسن من معاتبة الأحباب ولا ألذ من مخاطبة ذوى الألباب والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والثلاثون فى الوفاء بالوعد وحفظ العهد ورعاية الذمم)

أرجع دليل يتمسك به الإنسان كتاب الله تعالى الذى من تمسك به هداه ومن استدل به أرشده هداه قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال جل ذكره وتقدس اسمه الذين يوفون بعهد

لم يكن لى ان أكرهها وقد جعلت الشورى فى نفسها فدخلا عليها وأعلما بطلاق عبد الله بن سلام امرأته ليسرها بذلك وذكرت فضلة وشرفه وكرمه ومروءته فقالت جف القلم بما هو كائن ولا أنكر شرفه وفضله وإنى سائلة عنه حتى اعرف دخيلة خبره ولا قوة إلا بالله فان يك صدر هذا اليوم ولى فان غدا لناظره قريب ثم تزايد حديث الناس بطلاق أرينب وخطبة ابنة معاوية واستحث عبد الله أبا الدرداء وأبا هريرة فأتياها فقال لها اصنعى ماأنت صانعة واستخيرى الله فقالت أرجو والحمد لله ان يكون الله قد اختار لى فانه لا يكل إلى غيره وقد سيرت أمره وسألت عنه فوجدته غير ملائم ولا موافق لما أريد لنفسى مع اختلاف من استشرته فيه فنهم الناهى عنه والآمر به فلما بلغه كلامها علم أنها حيلة وانه مخدوع وقال متعزيا ليس لأمر الله راد ولعل ماسرورا به لايدوم لهم سروره قال وذاع أمره وفشا فى الناس وقالوا خدعه معاوية حتى طلق امرأته لغرض ابنه بئس ماصنع ثم أن معاوية بعد انقضاء أيامها المعلومة وجه أبا الدرداء إلى العراق خاطبا لها على ابنه يزيد فخرج حتى قدمها وبها يومئذ الحسين ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهما فقال ابو الدرداء إذا قدم العراق ماينبغى لذى عقل أن يبدأ بشىء قبل زيارة الحسين سيد شباب أهل الجنة إذا دخل موضعا هو فيه فقصد الحسين رضى الله عنه فلما رآه قام اليه وصافحه اجلالا وقال

الله ولا ينقضون الميثاق وقال جل وعلا وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقال تعالى وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا والآيات فى ذلك كثيرة ومن أشدها قوله تعالى ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون * وروى فى صحيحى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان فالوفاء من شيم النفوس الشريفة والأخلاق الكريمة والخلال الحميدة يعظم صاحبه فى العيون وتصدق فيه خطرات الظنون ويقال الوعد بوجه والانجاز محاسنه والوعد سحابة والانجاز مطره وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لكل شىء رأس ورأس المعروف تعجيله وأنشدوا

اقلت فى شىء نعم فأتمه ... فان نعم دين على الحر واجب

والافقل لاتسترح وترح بها ... لئلا يقول الناس انك كاذب

(وقال) آخر لاكلف الله نفسا فوق طاقتها ... ولا تجود يد الا بما تجد

فلا تعد عدة الا وفيت بها ... واحذر خلاف مقال الذى تعد

وقال أعرابى وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطال وتعليل وقال أعرابى أيضا العذر الجميل خير من المطل الطويل * ومدح بشار خالد ابن برمك بعشرين الفا فأمر له بعشرين الفا فابطأت عليه فقال لقائده أقنى حيث يمر فاقامه فمر فأخذ بلجام بغلته وأنشأ يقول

أظللت علينا منك يوما سحابة ... أضاء لها برق وأبطأ رشاشها

فلا غيمها يجلى فييأس طامع ... ولاغيثها يأتى فتروى عطاشها

فقال لاتبرح حتى تؤتى بها وقال صالح اللخمى

لئن جمع الافات فالبخل شرها ... وشر من البخل المواعيد والمطل

ولاخير فى وعد إذا كان كاذبا ... ولاخير فى قول إذا لم يكن فعل

وقيل ماتت للهذلى أم ولد فامر المنصور الربيع أن يعزيه ويقول له ان أمير المؤمنين موجه اليك جارية نفيسة لها أدب وظرف يسليك بها وأمر لك معها بفرس وكسوة وصلة فلم يزل الهذلى يتوقع وعد أمير المؤمنين ونسيه المنصور فحج المنصور ومعه الهذلى فقال المنصور وهو بالمدينة انى أحب أن أطوف الليلة المدينة فاطلب لى من يطوف بى فقال الهذلى أنا لها ياأمير المؤمنين فطلق به حتى وصل بيت عاتكة فقال ياأمير المؤمنين وهذا بيت عاتكة الذى يقول فيه الأحوص

يابيت عاتكة الذى اتعزل ... حذر العدا وبه الفؤاد موكل

انى لأمنحك الصدود وانى ... قسما اليك مع الصدود لأميل

فنكر المنصور ذكر بيت عاتكة من غير أن يسأله عنه فلما رجع المنصور أمر القصيدة على قلبه فاذا فيها

وأراك تفعل ماتقول وبعضهم ... مذق اللسان يقول مالايفعل

فذكر المنصور الوعد الذى كان وعده الهذلى فأنجزله واعتذر اليه وقال الشاعر :

تعجيل وعد المرء اكرومة ... تنشر عنه أطيب الذكر

الحر لا يمطل معروفه ... ولا يليق المطر بالحر

لصحبته لجده ﷺ وقال آتى بك يا أبا الدرداء قال وجهني معاوية خاطبا على ابنه يزيد أرينب بنت اسحق فرأيت علي حقا أن لا أبدأ بشيء قبل تسلام عليك فشكره الحسين على

ذلك وأثنى عليه وقال لقد ذكرت نكاحها وأردت الارسال اليها إذا انقضت عدتها وقد أتى الله بك فاخطب على بركة الله علي وعليه وهي أمانة في عنقك واعطها من المهر مثل ما بذل لها معاوية عن ابنه فقال أفعل ان شاء الله فلما دخل قال أيتها المرأة ان الله خلق الامور بقدرته وكونها بعزته وجعل لكل أمر قدرا ولكل قدر سببا فليس لأحد عن قدر الله مخلص فكان ما سبق لك وقدر عليك من فراق عبد الله ابن سلام على غير قياس ولعل ذلك لا يضيرك وجعل الله فيه خيرا كثيرا وقد خطبك أمير هذه الامة وابن ملكها وولي عهده والخليفة من بعده يزيد ابن معاوية والحسين بن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن أول من أقر به من امته وسيد شباب اهل الجنة فاختاري أيهما شئت فسكتت طويلا ثم قالت يا أبا الدرداء لو جاءني هذا الامر وانت غائب لأشخصت فيه الرسل اليك واتبعت فيه رأيك فأما إذا كنت أنت المرسل فيه فقد فوضت أمري فيه بعد الله اليك وجعلته في يديك فاختر ارضاهما لربك والله شاهد عليك فاقض ولا يصدنك عن ذلك اتباع الهوى فليس أمرهما عليك خفيا فقال ابو الدرداء ايتها المرأة انما علي اعلامك ولك الاختيار لنفسك فقالت عفا الله

وقال آخر: ولقد وعدت وأنت أكرم واعد ... لا خير في وعد بغير تمام
أنعم علي بما وعدت تكرما ... فالمطل يذهب بهجة الانعام

وقال آخر: لعبدك وعد قد تقدم ذكره ... فأوله حمد وآخره شكر
وقد جمعت فيك المكارم كلها ... فمالك عن تأخير مكرمة عذر

وقال آخر: وميعاد الكريم عليه دين ... فلا ترد الكريم على السلام
يذكره سلامك ما عليه ... ويغنيك السلام عن الكلام

وقال آخر: شكاك لساني ثم أمسكت نصفه ... فنصف لساني بامتداحك ينطق
فان لم تنجز ما وعدت تركتني ... وباقي لساني بالمذمة مطلق

وقال آخر: باتت لوعدك عيني غير راقدة ... والليل حتى الدياجي منبت السحر
هذا وقد بت من وعد على ثقة ... فكيف لو بت من هجر على حذر

وقال آخر: نذكر بالرقاع إذا نسينا ... ويأبى الله أن تنسى الكرام

(وما الوفاء بالعهود ورعاية الذمم) فقد نقل فيه من عجائب الوقائع وغرائب البدائع ما يطرب السماء ويشنف المسامع كقضية الطائي وشريك نديم النعمان بن المنذر وتلخيص معناها أن النعمان كان قد جعل له يومين يوم بؤس من صادفه فيه قتله وأرداه ويوم نعيم من لقيه فيه أحسن إليه وأغناه وكان هذا الطائي قد رماه حادث دهره بسهام فاقته وفقره فأخرجته الفاقة من محل استقراره ليرتاد شيئا لصبيته وصغاره فبينما هو كذلك اذ صادفه النعمان في يوم بؤسه فلما رآه الطائي علم انه مقتول وان دمه مطلوب فقال حيا الله الملك ان لي صبية صغارا وأهلا جياعا وقد ارقت ماء وجهي في حصول شيء من البلغة لهم وقد أقدمني سوء الحظ على الملك في هذا اليوم العبوس وقد قربت من مقر الصبية والاهل وهم على شفا تلف من الطوى ولن يتفاوت الحال في قتلي بين أول النهار وآخره فان رأى الملك أن يأذن لي في أن أوصل اليهم هذا القوت وأوصي بهم أهل المروءة من الحي لئلا يهلكوا ضياعا ثم اعود إلى الملك وأسلم نفسي لنفاذ أمره فلما سمع النعمان صورة مقاله وفهم حقيقة حاله ورأى تلهفه على ضياع وأطفاله رق له ورثى لحاله غير انه قال لا آذن لك حتى يضمنك رجل معنا فان لم ترجع قتلناه وكان شريك بن عدي بن شرحبيل نديم النعمان معه فالتفت الطائي إلى شريك وقال له

يا شريك بن عدي ... ما من الموت انهزام
من لأطفال ضعاف ... عدموا طعم الطعام
بين جوع وانتظار ... وافتقار وسقام
يا أخا كل كريم ... أنت من قوم كرام
يا أخا النعمان جد لي ... بضمان والتزام
ولك الله بأني ... راجع قبل الظلام

فقال شريك بن عدي أصلح الله الملك علي ضمانه فمر الطائي مسرعا وصار النعمان يقول لشريك ان صدر النهار قد ولى ولم يرجع وشريك يقول ليس للملك علي سبيل حتى يأتي المساء فلما قرب المساء قال النعمان لشريك قد جاء وقتك قم فتأهب للقتل فقال شريك هذا شخص قد لاح مقبلا وأرجو أن يكون الطائي فان لم يكن فأمر الملك ممتثل قال فبينما هم كذلك وإذا بالطائي قد اشتد عدوه في سيره مسرعا حتى وصل فقال خشيت أن ينقضي النهار قبل وصولي ثم وقف قائما وقال أيها الملك مر بأمرك فاطرق النعمان ثم رفع رأسه وقال والله ما رأيت أعجب منكما أما أنت يا طائي فما تركت لاحد في الوفاء مقاما يقوم فيه ولا ذكرا يفتخر به وأما أنت يا شريك فما تركت لكريم سماحة يذكر بها في

عنك إنما أنا بنت أخيك ولا يمنعك أحد من قول الحق فيما طوقتك به فقد وجب عليك أداء الأمانة فلم يجد بدا من القول
فقال يابنية ابن بنت رسول الله صلى الله (٢٠٠) عليه وسلم أحب إلى فى ذلك وأرضى عندى والله أعلم وقد رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم واضعا
شفتيه على شفتى الحسين
فضعى شفتيك حيث
وضع رسول الله صلى الله
عليه وسلم شفتيه قالت
قد اخترته ورضيته
فتزوجها الحسين بن على
عليهما السلام فساق لها
مهرا عظيما وبلغ معاوية
مافعله أبو الدرداء فعظم
عليه وقال من يرسل ذا بله
وعمى ركب خلاف ما
يهوى وكان عبد الله بن
سلام قد استودعها قبل
فراقه إياها ذهبا وكان
معاوية قد أطرحه وقطع
عنه جميع روادفه لقوله
انه خدعه حتى طلق
امرأته فلم يزل يجفوه حتى
قل ما بيده فرجع إلى
العراق فلما قدمها لقى
الحسين فسلم عليه ثم
قال لقد علمت ما كان من
خبرى وخبر أرينب
وكنت قبل فراقى إياها
استودعتها مالا وكان
الذى كان ولم أقبضه
ووالله ان ظنى بها جميل
فذاكرها فى أمرى فان
الله يجزيك به أجرك
فسكت عنه فلما انصرف
إلى أهله قال لها قدم عبيد
الله بن سلام وهو كثير
الثناء عليك فى دينك
وحسن صحبتك فسرنى
ذلك وأعجبنى وذكر أنه استودعك مالا فقالت صدق استودعنى مالا وقال
لاأدرى لمن هو وانه لمطبوع عليه بختامه وها هو ذا فادفعه اليه بطابعه فأثنى عليه الحسين خيرا وقال ألا أدخله عليك حتى

الكرماء فلا أكون أنا ألأم الثلاثة الا وانى قد رفعت يوم بؤسى عن الناس ونقضت عادتى كرامة
لوفاء الطائى وكرم شريك فقال الطائى

ولقد دعتنى للخلاف عشيرتى * فعددت قولهمو من الاضلال
انى امرؤ منى الوفاء سجية * وفعال كل مهذب مفضال

فقال له النعمان ماحملك على الوفاء وفيه اتلاف نفسك فقال دينى فمن لا وفاء فيه لادين له فأحسن
اليه النعمان ووصله بما أغناه وأعاده مكرما إلى أهله وأناله ما تمناه (ومن ذلك) ماحكى أن الخليفة
المأمون لما ولى عبد الله بن طاهر بن الحسين مصر والشام وأطلق حكمه دخل على المأمون بعض
اخوانه يوما فقال ياأمير المؤمنين ان عبدالله بن طاهر يميل إلى ولد أبى طالب وهواه مع العلويين
وكذلك كان أبوه قبله فحصل عند المأمون شىء من كلام أخيه من جهة عبدالله بن طاهر فتشوش
فكره وضاق صدره فاستحضر شخصا وجملة فى زى الزهاد والنساك الغزاة ودسه الى عبد الله بن
طاهر وقال له امض الى مصر وخالط أهلها وداخل كبراءها واستملهم إلى القاسم بن محمد العلوى
واذكر مناقبه ثم بعد ذلك اجتمع ببعض بطانة عبد الله بن طاهر ثم اجتمع بعبد الله بن طاهر بعد
ذلك وادعه إلى القاسم بن محمد العلوى واكشف باطنه وابحث عن دفين نيته واتتنى بما تسمع
ففعل ذلك الرجل ماأمره به المأمون وتوجه إلى مصر ودعا جماعة من أهلها ثم كتب ورقة لطيفة ودفعها
إلى عبد الله بن طاهر وقت ركوبه فلما نزل من الركوب وجلس فى مجلسه خرج الحاجب اليه وأدخله
على عبد الله بن طاهر وهو جالس وحده فقال له لقد فهمت ماقصدته فهات ماعندك فقال ولى
الأمان قال نعم فأظهر له ماأراده ودعاه إلى القاسم بن محمد فقال له عبدالله أوتنصفنى فيما أقوله لك قال نعم
قال فهل يجب شكر الناس بعضهم لبعض عند الإحسان والمنة قال نعم قال فيجب على وأنا فى هذه
الحالة التى تراها من الحكم والنعمة والولاية ولى خاتم فى المشرق وخاتم فى المغرب وأمرى فيما بينهما
مطاع وقولى مقبول ثم انى التفت يمينا وشمالا فأرى نعمة هذا الرجل غامرة وإحسانه فائضا على
أفتدعونى إلى الكفر بهذه النعمة وتقول اغدر وجانب الوفاء والله لودعوتنى إلى الجنة عيانا لما
غدرت ولما نكثت بيعته وتركت الوفاء له فسكت الرجل فقال له عبد الله ما أخاف إلا على نفسك
فارحل من هذا البلد فلما يئس الرجل منه وكشف بطنه وسمع كلامه رجع إلى المأمون فأخبره
بصورة الحال فسره ذلك وزاد فى إحسانه اليه وضاعف انعامه عليه (ومما) يعد من محاسن الشيم
ومكارم أخلاق أهل الكرم ويحث على الوفاء بالعهود ورعاية الذمم مارواه حمزة بن الحسين الفقيه
فى تاريخه قال قال لى أبو الفتح المطيقى كنا جلوسا عند كافور الاخشيدى وهو يومئذ صاحب مصر
والشام وله من البسطة والمكنة ونفوذ الأمر وعلو القدر وشهرة الذكر مايتجاوز الوصف والحصر
فحضرت المائدة والطعام فلما أكلنا نام وانصرفنا فلما انتبه من نومه طلب جماعة منا وقال امضوا
الساعة إلى عقبة النجارين وسلوا عن شيخ منجم أعور كان يقعد هناك فان كان حيا فاحضروه وان
كان قد توفى فسلوا عن أولاده واكشفوا أمرهم قال فمضينا إلى هناك وسألنا عنه فوجدناه قد مات
وترك بنتين احداهما متزوجة والأخرى عاتق فرجعنا إلى كافور وأخبرناه بذلك فسير فى الحال
واشترى لكل واحدة منهما دارا وأعطاهما مالا جزيلا وكسوة فاخرة وزوج العاتق وأجرى على
كل واحدة منهما رزقا وأظهر أنهما من المتعلقين به لرعاية أمورهما فلما فعل ذلك وبالغ فيه ضحك

وقال اتعلمون سبب هذا قلنا لا فقال اعلموا أنى مررت يوما بوالدهما المنجم وأنا فى ملك ابن عباس الكاتب وأنا بحالة رثة فوقفت عليه فنظر إلى واستجلبنى وقال أنت تصير إلى رجل جليل القدر وتبلغ منه مبلغا كبيرا وتنال خيرا كثيرا ثم طلب منى شيئا فأعطيته درهمين كانا معى ولم يكن معى غيرهما فرما بهما إلى وقال أبشرك بهذه البشارة وتعطينى درهمين ثم قال وأزيدك أنت والله تملك هذا البلد وأكثر منه فاذكرنى إذا صرت إلى الذى وعدتك به ولا تنس فقلت له نعم فقال عاهدنى أنك تنيلنى ولا يشغلك ذلك عن افتقادى فعاهدته ولم يأخذ منى الدرهمين ثم انى شغلت عنه بما تجدد لى من الامور والأحوال وصرت إلى هذه المنزلة ونسيت ذلك فلما أكلنا اليوم ونمت رأيته فى المنام قد دخل على وقال لى أين الوفاء بالعهد الذى بينى وبينك واتمام وعدك لا تغدر فيغدر بك فاستيقظت وفعلت ما رأيتم ثم زاد فى احسانه إلى بنات المنجم وفاء لوالدهما بما وعده والله أعلم (ومما) أسفرت عنه وجوه الاوراق وأخبرت به الثقات فى الآفاق وظهرت روايته بالشام والعراق وضرب به الأمثال فى الوفاء بالاتفاق حديث السموءل بن عاديا وتلخيص معناه أن امرىء القيس الكندى لما أراد المضى إلى قيصر ملك الروم أودع عند السموءل دروعا وسلاحا وأمتعة تساوى من المال جملة كثيرة فلما مات امرؤ القيس أرسل ملك كندة يطلب الدروع والأسلحة المودعة عند السموءل فقال السموءل لا أدفعها إلا لمستحقها وأبى أن يدفع اليه منها شيئا فعاوده فأبى وقال أغدر بذمتى ولا أخون أمانتى ولا أترك الوفاء الواجب على فقصده ذلك الملك من كندة بعسكره فدخل السموءل فى حصنه وامتنع به فحاصره ذلك وكان ولد السموءل خارج الحصن فظفر به ذلك الملك فأخذه أسيرا ثم طاف حول الحصن وصاح بالسموءل فأشرف عليه من أعلى الحصن فلما رآه قال له ان ولدك قد أسرته وها هو معى فان سلمت إلى الدروع والسلاح التى لامرىء القيس عندك رحلت عنك وسلمت اليك ولدك وان امتنعت من ذلك ذبحت ولدك وأنت تنظر فاختر أيهما شئت فقال له السموءل ما كنت لأخفر ذمامى وأبطل وفائى فاصنع ما شئت فذبح ولده وهو ينظر ثم لما عجز عن الحصن رجع خائبا واحتسب السموءل ذبح ولده وصبر محافظة على وفائه فلما جاء الموسم وحضر ورثة امرىء القيس سلم اليهم الدروع والسلاح ورأى حفظ ذمامه ورعاية وفائه أحب اليه من حياة ولده وبقائه فصارت الامثال فى الوفاء تضرب بالسموءل وإذا مدحوا أهل الوفاء فى الانام ذكر السموءل فى الأول وكم أعلى الوفاء رتبة من اعتلقه بيديه وأعلى قيمة من جعله نصب عينيه واستنطق الأفواه لفاعله بالثناء عليه واستطلق الأيدى المقبوضة عنه بالاحسان اليه (ومما) وضع فى بطون الدفاتر واستحسنته عيون البصائر ونقلته الأصاغر عن الأكابر وتداولته الألسنة من الاوائل والأواخر رواه خادم أمير المؤمنين المأمون قال طلبنى أمير المؤمنين ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لى خذ معك فلانا وفلانا وسماهما أحدهما على بن محمد والآخر دينار الخادم واذهب مسرعا لما أقوله لك فانه قد بلغنى أن شيخا يحضر ليلا إلى دور البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكرا كثيرا ويندبهم ويبكى عليهم ثم ينصرف فامض الآن أنت وعلى ودينار حتى تردوا هذه الخرابات فاستتروا وراء بعض الجدران فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد شيئا فائتونى به قال فأخذتهما ومضينا حتى أتينا الخرابات وإذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسى حديد وإذا شيخ وسيم له جمال وعليه مهابة ووقار قد أقبل فجلس على الكرسى وجعل يبكى وينتحب ويقول

تبرئ منه ثم لقى عبد الله فقال ما أنكرت مالك وزعمت أنه كما دفعته اليها بطابعك فادخل يا هذا اليها واستوف مالك منها بحيث تحصل البراءة من الطرفين فلما دخل عليها قال لها الحسين هذا عبد الله بن سلام قد جاء يطلب وديعته فأخرجت اليه البدر فوضعتها بين يديه وقالت له هذا مالك فشكر وأثنى فخرج الحسين عنهما وفض عبد الله خواتم بدره وحثى لها من ذلك جانبا كبيرا وقال لها والله هذا قليل منى فاستعبرا حتى علت أصواتهما بالبكاء على ما ابتليا به فدخل الحسين عليهما وقد رق لهما ثم قال أشهد الله انها طالق ثلاثا اللهم أنت تعلم أنى لم أستنكحها رغبة فى مالها ولا فى احلالها لزوجها فطلقها ولم يأخذ شيئا مما ساق لها فى مهرها بعدما عرضته عليه وقال الذى أرجوه من الثواب خير لى فلما انقضت عدتها تزوجها عبد الله ابن سلام وعادا على ما كانا عليه من حسن الصحبة إلى أن فرق الموت بينهما هكذا نقله ابن بدرون فى تاريخه والله أعلم

(ومن غرائب المنقول وعجائبه) عن الامير بدر الدين أبى المحاسن يوسف المهمندار المعروف بمهمندار العرب أنه قال حكى الامير شجاع الدين محمد الشيرازى متولى القاهرة فى الأيام الكاملية سنة ثلاث وستمائة قال كنا عند رجل ببعض بلاد الصعيد فأكرمنا وكان الرجل شديد السمرة وهو شيخ فحضر له أولاد بيض الوجوه حسان الاشكال فقلنا له هؤلاء أولادك فقال نعم وكأنى بكم وقد

ولما رأيت السيف جندل جعفرا ونادى مناد للخليفة فى يحيى
بكيت على الدنيا وزاد تأسفى عليهم وقلت الآن لاتنفع الدنيا

مع ابيات اطالها ورددها فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا له أجب امير المؤمنين ففزع فزعا شديدا وقال دعونى حتى أوصى وصية فانى لا أوقع بعدها بحياة ثم تقدم إلى بعض الدكاكين فاستفتح واخذ ورقة وكتب فيها وصية ودفعها إلى غلامه ثم سرنا به فلما مثل بين يدى أمير المؤمنين زجره وقال له من أنت وبماذا استوجبت البرامكة منك ما تفعله فى خرائب دورهم وما تقوله فيها قال الخادم ونحن وقوف نسمع فقال ياأمير المؤمنين ان للبرامكة عندى ايادى خطيرة أفتأذن لى ان احدثك حديثى معهم قال قل ياامير المؤمنين أنا المنذر بن المغيرة من أولاد الملوك وقد زالت عنى نعمتى كما تزول عن الرجال فلما ركبنى الدين واحتجت إلى بيع مسقط رأسى ورؤس أهلى اشاروا على بالخروج إلى البرامكة فخرجت من دمشق ومعى نيف وثلاثون امرأة وصبيا وصبية وليس معنا مايباع ولا مايوهب حتى دخلنا بغداد ونزلنا فى بعض المساجد فدعوت بثويبات لى كنت قد اعددتها لأستمتع بها الناس فلبستها وخرجت وتركتهم جياعا لا شىء عندهم ودخلت شوارع بغداد أسائل عن دور البرامكة فاذا أنا بمسجد مزخرف وفيه مائة شيخ بأحسن زى وزينة وعلى الباب خادمان فطمعت فى القوم ولجت المسجد وجلست بين أيديهم وأنا أقدم وأؤخر والعرق يسيل منى لأنها لم تكن صناعتى وإذا بخادم قد أقبل فدعا القوم فقاموا وأنا معهم فدخلوا داريحيى بن خالد ودخلت معهم وإذا غلام أمرد عذاراه خداه قد اقبل من بعض المقاصير بين يديه مائة خادم ممنطقون فى وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من الف مثقال ومع كل خادم مجمرة من ذهب فى كل مجمرة قطعة من عود كهيئة الفهر قد قرن بها مثلها من العنبر السلطانى فوضعوه بين يدى الغلام وجلس الغلام إلى جنب يحيى ثم قال يحيى للقاضى تكلم وزوج بنتى عائشة من ابن عمى هذا فخطب القاضى وزوجه وشهد أولئك الجماعة واقبلوا علينا بالنثار ببنادق المسك والعنبر فالتقطت والله ياأمير المؤمنين ملء كمى ونظرت فاذا نحن فى المكان ما بين يحيى والمشايخ وولده والغلام مائة واثناعشر رجلا فخرج الينا مائة واثناعشر خادما مع كل خادم صينية من فضة عليها الف دينار ووضعوا بين يدى كل رجل منا صينية فرأيت القاضى والمشايخ يصبون الدنانير فى أكمامهم ويجعلون الصوانى تحت آباطهم ويقوم الأول فالأول حتى بقيت وحدى بين يدى يحيى لاأجسر على أخذ الصينيه فغمزنى الخادم فجسرت وأخذتها وجعلت الذهب فى كمى وأخذت الصينية فى يدى وقمت وجعلت التفت إلى ورائى مخافة أن أمنع من الذهاب بها فبينما انا كذلك فى صحن الدار ويحيى يلحظنى إذ قال للخادم ائتنى بذلك الرجل فرددت اليه فامر بصب الدنانير والصينية وما كان فى كمى ثم امرنى بالجلوس فجلست فقال لى ممن الرجل فقصصت عليه قصتى فقال للخادم ائتنى بولد موسى فأتى به فقال له يابنى هذا رجل غريب فخذه اليك واحفظه بنفسك وبنعمتك فقبض موسى على يدى وأدخلنى إلى دار من دوره فأكرمنى غاية الاكرام وأقمت عنده يومى وليلتى فى ألذ عيش وأتم سرور فلما أصبح دعا بأخيه العباس ان الوزير قد أمرنى بالعطف على هذا الرجل وقد علمت اشتغالى فى دار أمير المؤمنين فاقبضه اليك واكرمه ففعل ذلك واكرمنى غاية الاكرام فلما كان من الغد تسلمنى اخوه احمد ثم لم أزل فى أيدى القوم يتداولونى

أنكرتم بياضهم وسوادى فقلنا له نعم قال هؤلاء أمهم افرنجية أخذتها فى أيام الملك الناصر صلاح الدين وأنا شاب فقلنا وكيف أخذتها قال حديثى بها عجيب قلنا أتحفنا به قال زرعت كتانا فى هذه البلدة وقلعته ونفضته فانصرف عليه خمسمائة دينار ولم يبلغ الثمن إلى أكثر من ذلك فحملته إلى القاهره فلم يصل إلى أكثر من ذلك فأشير على بحمله إلى الشام فحملته فما زاد على تلك القيمة شيئا فوصلت به إلى عكا فبعت بعضه بالأجل والبعض تركته عندى واكتريت حانوتا ابيع فيه على مهل إلى حيث انقضاء المدة فبينما أنا ابيع اذمرت بى امرأة افرنجيه ونساء الافرنج يمشون فى الاسواق بلا نقاب فأتت تشترى منى كتانا فرايت من جمالها مابهرنى فبعتها وسامحتها ثم انصرفت وعادت إلى بعد أيام فبعتها وسامحتها اكثر من المرة الأولى فتكررت إلى وعلمت انى أحبها فقلت للعجوز التى معها اننى قد تلفت بحبها واريد منك الحيلة فقالت لها ذلك فقالت تروح ارواحنا الثلاثة انا وأنت وهو فقلت لها قد سمحت بروحى فى حبها واتفق الحال على أن ادفع خمسين دينار صورية فوزنتها وسلمتها للعجوز فقالت نحن الليلة عندك فمضيت وجهزت ماقدرت عليه من مأكول ومشروب وشمع وحلاوة فجاءت الافرنجية فأكلنا وشربنا وجن الليل ولم يبق غير النوم فقلت فى نفسى اما تستحى من الله وأنت غريب تعصى الله مع نصرانية اللهم انى اشهدك انى قد عففت عنها فى هذه الليلة حياء منك وخوفا من عقابك ثم نمت

يتداولوني عشرة أيام لا أعرف خبر عيالي وصبياني أفي الأموات هم أم في الأحياء فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا لي قم فاخرج إلى عيالك بسلام فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينية وأخرج إلى عيالي على هذه الحالة انا لله وإنا إليه راجعون فرفع الستر الأول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم الستر الأخير قال مهما كان لك من الحوائج فارفعها إلي فاني مأمور بقضاء جميع ما تأمرني به فلما رفع الستر رأيت حجرة كالشمس حسنا ونورا واستقبلني منها رائحة الند والعود ونفحات المسك واذا بصبياني وعيالي يتقلبون في الحرير والديباج وحمل إلي ألف ألف درهم وعشر آلاف دينار ومنشورين بضيعتين وتلك الصينية التي كنت أخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق وأقمت يا أمير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أمن البرامكة أنا أم رجل غريب اصطنعوني فلما جاءتهم البلية ونزل بهم من أمير المؤمنين الرشيد ما نزل أجحفني عمرو بن مسعدة وألزمني في هاتين الضيعتين من الخراج ما لا يفي دخلهما به فلما تحامل على الدهر كنت في أواخر الليل اقصد خرابات القوم فاندبهم واذكر حسن صنيعهم إلي واشكرهم على إحسانهم فقال المأمون علي بعمرو بن مسعدة فلما أتى به قال يا عمرو أتعرف هذا الرجل قال نعم يا أمير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال كم ألزمته في ضيعته قال كذا وكذا قال رد له كل ما استأديته منه في مدته ووقع له بهما ليكونا له ولعقبه من بعده قال فعلا نحيب الرجل وبكاؤه فلما رأى المأمون كثرة بكائه قال له يا هذا قد أحسنا اليك فلم تبكي قال يا أمير المؤمنين وهذا أيضا من صنائع البرامكة إذ لو لم آت خراباتهم فأبكيهم وأندبهم حتى اتصل خبري بأمير المؤمنين ففعل ما فعل فمن أين كنت أصل إلى أمير المؤمنين قال إبراهيم بن ميمون فلقد رأيت المأمون وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه وقال لعمري هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابك وإياهم فاشكر ولهم فأوف ولإحسانهم فاذكره وقيل اذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ودوام عهده فانظر إلى حنينه والى أوطانه وتشوقه الى إخوانه وكثرة بكائه على ما مضى من زمانه قال الشاعر

سقى الله أطلال الوفاء بكفه . فقد درست أعلامه ومنازله

(وقال آخر) أشدد يديك بمن بلوت وفاءه . ان الوفاء من الرجل عزيز

وقال مالك بن عمارة اللخمي كنت جالسا في ظل الكعبة أيام الموسم عند عبد الملك بن مروان وقبيصة بن ذؤيب وعروة بن الزبير وكنا نخوض في الفقه مرة وفي المذاكرة مرة وفي أشعار العرب وأمثال الناس مرة فكنت لا أجد عند أحد ما أجده عند عبد الملك بن مروان من الاتساع في المعرفة والتصرف في فنون العلم وحسن استماعه إذا حدث وحلاوة لفظه اذا حدث فخلوت معه ليلة فقلت له والله إني لمسرور بك لما شاهدته من كثرة تصرفك وحسن حديثك وإقبالك على جليسك فقال إن تعش قليلا فسترى العيون طامحة الى الأعناق ونحوي متطاولة فاذا صار الأمر الي فلعلك ان تنقل الى ركابك فلأملأن يديك فلما أفضت اليه الخلافة توجهت اليه فوافيته يوم الجمعة وهو يخطب على المنبر فلما رآني أعرض عني فقلت لعله لم يعرفني أو عرفني وأظهر لي نكره فلما قضيت الصلاة ودخل بيته لم ألبث أن أخرج الحاجب فقال أين مالك بن عمارة فقمت فأخذ بيدي وأدخلني عليه فمد إلي يده وقال إنك تراءيت لي في موضع لا يجوز فيه الا ما رأيت فأما الآن فمرحبا وأهلا كيف وكنت بعدي فأخبرته فقال لي اتذكر ما كنت قلت لك قلت نعم فقال والله ما هو بميراث وعيناه ولا أثر رويناه ولكني أخبرك بخصال مني سمت بها نفسي إلى الموضع الذي ترى ما خنت

فنامت إلى الصبح وقامت في السحر وهي غضبى ومضت ومضيت أنا إلى حانوتي فجلست فيه وإذا هي قد عبرت علي هي والعجوز وهي مغضبة وكأنها القمر فهلكت فقلت في نفسي من هو أنت حتى تترك هذه البارعة في حسنها ثم لحقت العجوز وقلت ارجعي فقالت وحق المسيح ما أرجع اليك الا بمائة دينار فقلت نعم رضيت فوزنت مائة دينار فلما حضرت الجارية عندي لحقتني الفكرة الاولى وعففت عنها وتركتها حياء من الله تعالى ثم مضت ومضيت الى موضعي ثم عبرت بعد ذلك علي وكانت مستعربة فقالت وحق المسيح ما بقيت تفرح بي عندك الا بخمسمائة دينار أو تموت كمدا فارتعدت لذلك وعزمت انني أصرف عليها ثمن الكتان جميعه فبينما أنا كذلك والمنادي ينادي معاشر المسلمين ان الهدنة التي بيننا وبينكم قد انقضت وقد أمهلنا من هنا من المسلمين الى جمعة فانقطعت عني وأخذت أنا في تحصيل ثمن الكتان الذي لي والمصالحة على ما بقي منه وأخذت معي بضاعة حسنة وخرجت من عكا وفي قلبي من الافرنجية ما فيه فوصلت الى دمشق وبعت البضاعة بأوفى ثمن بسبب فراغ الهدنة ومن الله بكسب وفر وأخذت أتجر في الجواري عسى أن يذهب ما بقلبي من الافرنجية فمضت ثلاث سنين وجرى للسلطان الملك الناصر ما جرى من وقعة حطين وأخذه جميع الملوك وفتحه بلاد الساحل باذن الله تعالى فطلب مني جارية للملك الناصر فأخذت جارية حسناء فاشتريت له مني بمائة

داود قط ولا شمت بمصيبة عدو قط ولا أعرضت عن محدث حتى حديثه ولا قصدت كبيرة من محارم الله تعالى متلذذا بها فكنت أؤمل بهذه أن يرفع الله تعالى منزلتي وقد فعل ثم عاد بغلام فقال له ياغلام بوئه منزلا في الدار فأخذ الغلام بيدي وأفرد لي منزلا حسنا فكنت في ألذ حال وأنعم بال وكان يسمع كلامي وأسمع كلامه ثم أدخل عليه في وقت عشائه وغدائه فيرفع منزلتي ويقبل علي ويحادثني ويسألني مرة عن العراق ومرة عن الحجاز حتى مضت لي عشرون ليلة فتغذيت يوما عنده فلما تفرق الناس نهضت قائما فقال على رسلك فقعدت فقال أي الامرين أحب اليك المقام عندنا مع النصفة في المعاشرة والرجوع إلى أهلك ولك الكرامه فقلت ياأمير المؤمنين فارقت أهلي وولدي على أني أزور أمير المؤمنين وأعود اليهم فان أمرني أمير المؤمنين اخترت رؤيته على الاهل والولد فقال لا بل أرى لك الرجوع اليهم والخيار لك بعد زيارتنا وقد أمرنا لك بعشرين ألف دينار وكسوناك وحملناك أتراني قد ملأت يديك فلا خير فيمن ينسى إذا وعد وعدا إذا شئت صحبتك السلامة (ومن بولا جلالة أمير المؤمنين وأمضاء طاعته ما لبست لأحد بعد هشام نعمة فقال له المنصور لله درك فلم يكن في قومك غيرك لكنت قد أبقيت لهم مجدا مخلدا ٭ وخرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب في بعض جبابين الشام فاذا امرأة جالسة على قبر تبكي قال سليمان فرفعت البرقع عن وجهها فحكت شمسا عن متون غمامة متحيرين ننظر اليها فقال لها يزيد المهلب ياأمة الله هل لك في أمير المؤمنين بعلا فنظرت الينا ثم انشأت تقول

فان تسألاني عن هواي فانه ... يحول بهذا القبر يا فتيان
واني لأستحييه والتراب بيننا ... كما كنت أستحييه وهو يراني

(ومن ذلك) ماروي عن نائلة بنت الفرافصة بن الاحوص الكلبي زوج عثمان رضي الله عنهما أن عثمان لما قتل أصابتها ضربة على يدها وخطبها معاوية فردته وقالت ما يعجب الرجل مني قالوا ثناياك فكسرت ثناياها وبعثت بها إلى معاوية فكان ذلك مما رغب قريشا في نكاح نساء بني كلب ٭ ومن محاسن (ذلك) ماروي عن أبي بكار الاعمى وكان قد انقطع إلى آل برمك قال مسرور الكبير لما أمرني الرشيد بقتل جعفر بن يحيى دخلت عليه فوجدت عنده أبا بكار الاعمى يغنيه ويقول

فلا تحزن فكل فتى سيأتي ... عليه الموت يطرق أو يغادي

فقلت في هذا والله قد أتيتك ثم أمسكت بيد جعفر وأقمته وضربت عنقه فقال أبو بكار ناشدتك الله إلا ما ألحقتني به فقلت له ما الذي حملك على هذا فقال أغناني عن الناس فقلت حتى استأمر الرشيد ثم أحضرت الرأس إلى الرشيد وأخبرته بخبر أبي بكار فقال هذا رجل فيه مصطنع أضممه اليك وانظر ما كان يجري عليه جعفر فادفعه اليه وكان يحيى بن خالد اذا أكد في يمينه قال لا والذي جعل الوفاء أعز ما يرى ٭ قال أبو فراس بن حمدان الشاعر ٭

بمن يثق الانسان فيما ينوبه ... ومن أين للحر الكريم صحاب
وقد صار هذا الناس الا أقلهم ... ذئابا على أجسادهن ثياب

وسأل المنصور بعض بطانة هشام عن تدبيره في الحروب فقال كان رحمه الله تعالى يعمل كذا وكذا فقال المنصور عليك لعنة الله تطأ بساطي وتترحم على عدوي فقال ان نعمة عدوك لقلادة في عنقي لا ينزعها إلا غاسلي فقال له المنصور ارجع ياشيخ فاني اشهد انك لوفي حافظ للخير ثم أمر له بمال فأخذه ثم قال والله

مصحب

دينار فأوصلوا إلى تسعين دينارا وبقيت عشرة دنانير فلم يلتقوها في الخزانة ذلك اليوم لانه انفق جميع الاموال فشاوروه على ذلك فقال امضوا به إلى الخزانة التي فيها السبي من نساء الافرنج فخيروه في واحدة منهن يأخذها بالعشرة الدنانير التي له فأتيت الخيمة فعرفت غريمتي الافرنجية فقلت اعطوني هاتيك فأخذتها ومضيت إلى خيمتي وخلوت بها وقلت لها أتعرفيني قالت لا فقلت أنا صاحبك التاجر الذي جرى لي معك ماجرى وأخذت مني الذهب وقلت ما بقيت تبصرني الا بخمسمائة دينار وقد أخذتك ملكا بعشرة دنانير فقالت مد يدك أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فأسلمت وحسن إسلامها فقلت والله وصلت اليها الا بأمر القاضي فرحت إلى ابن شداد وحكيت له ماجرى فعجب وعقد لي عليها وباتت تلك الليلة عندي فحملت مني ثم رحل العسكر وأتينا دمشق وبعد مدة يسيرة أتى رسول الملك يطلب الاسارى والسبايا باتفاق وقع بين الملوك فردوا من كان أسيرا من الرجال والنساء ولم يبق الا التي عندي فسألوا عنها واتضح الخبر أنها عندي وطلبت مني فحضرت وقد تغير لوني وأحضرتها معي بين يدي مولانا السلطان الملك الناصر والرسول حاضر فقال لها الملك الناصر بحضرة الرسول ترجعين إلى بلادك أو الى زوجك فقد فككنا اسرك واسر غيرك فقالت يامولاي السلطان انا قد اسلمت وحبلت وها بطني كما ترونه

مصعب بن الزبير بالقتل دفع إلى مولاه زياد فص ياقوت قيمته الف الف وقال له انج بهذا فأخذه زياد ودقه بين حجرين وقال والله لا ينتفع به أحد بعدك ه ولما قدم هدبة بن الخشرم للقتل بحضرة مروان ابن الحكم قالت زوجته ان لهدبة عندى وديعة فامهله حتى آتيك بها فقال اسرعى فان الناس قد كثروا وكان مـــروان قد جلس لهم بارزا عن داره فمضت إلى السوق وأتت إلى قصاب فقالت أعطنى شفرتك وخذ هذين الدرهمين وأنا أردها عليك فأخذتها وقربت من حائط وارسلت ملحفتها على وجهها ثم جدعت أنفها من أصله وقطعت شفتيها وردت الشفرة إلى القصاب ثم أقبلت حتى دخلت بين الناس فقالت أترانى ياهدبة متزوجة بعدما ترى فقال الآن طابت نفسى بالموت فجزاك الله من حليلة وفيه خيرا (ولنجعل) لهذا الباب من القضايا ختاما هو أجزها كلاما وأحسنها نظاما وأبينها حكما وأحكاما وهى قضية جمعت الأمرين وفاء وعذرا وعرفا ونكرا وخيرا وشرا ونفعا وضرا واشتملت على حال شخصين أحدهما وفى بعهده ففاز ونجا وحاز من مقترحات مناه ما أمل ورجا وغدر الآخر فلم يجد له من جزاء عذره إلى النجاة فرجا ولم يلق له من ضيق العذر مخرجا وهو ما ذكره عبد الله بن عبد الكريم وكان مطلعا على أحوال أحمد بن طولون عارفا بأموره عالما بوروده وصدوره فقال ما معناه أن أحمد بن طولون وجد عند سقايته طفلا مطروحا فالتقطه ورباه وسماه أحمد وشهره باليتيم فلما كبر ونشأ كان أكثر الناس ذكاء وفطنة وأحسنهم زيا وصورة فصار يرعاه ويعلمه حتى تهذب وتمرن فلما حضرت أحمد بن طولون الوفاة أوصى ولده أبا الجيش خمارويه فأخذه اليه فلما مات أحمد بن طولون أحضر الأمير ابو الجيش اليه وقال له أنت عندى بمكانة أرعاك بها ولكن عادتى انى آخذ العهد على كل من أصرفه فى شىء انه لا يخوننى فعاهده ثم حكمه فى أمواله وقدمه فى أشغاله فصار أحمد اليتيم مستحوذا على المقام حاكما على جميع الحاشية الخاص والعام والأمير أبو الجيش بن طولون يحسن اليه فلما رأى خدمته متصفة بالنصح ومساعيه متسمة بالنجح ركن اليه واعتمد فى أمور بيوته عليه فقال له يوما ياأحمد امض إلى الحجرة الفلانية ففى المجلس حيث أجلس سبحة جوهر فائتنى بها فمضى أحمد فلما دخل الحجرة وجد جارية من محظيات الأمير وحظاياه مع شباب من الفراشين ممن هو من الأمير بمحل قريب فلما رآه خرج الفتى وجاءت الجارية إلى احمد وعرضت نفسها عليه ودعته إلى قضاء وطره فقال لها معاذ الله أن أخون الأمير وقد أحسن إلى وأخذ العهد على ثم تركها وأخذ السبحة وانصرف إلى الامير وسلمها اليه وبقيت الجارية شديدة الخوف من أحمد بعدما أخذ السبحة وخرج من الحجرة لئلا يذكر حالها للامير فأقامت أياما تجد من الأمير ما غيره عليها ثم انفق أن الأمير اشترى جارية وقدمها على حظاياه وغمرها بعطاياه واشتغل بها عمن سواها وأعرض لشغفه بها عن كل من عنده حتى كاد لايذكر جارية غيرها ولا يراها وكان أولا مشغولا بتلك الجارية الخاسرة الخائنة الخائبة الغادرة العائبة العاهرة الفاسقة الفاجرة فلما أعرض عنها اشتغالا بالجارية الجديدة الممجدة السعيدة المسعدة الحامدة المحمودة الوصيفة الموصوفة الأليفة المألوفة العارفة المعروفة وصرف لبهجة محاسنها وكثرة آدابها وجهه من ملاعبة أترابها وشغلته بعذوبة رضابها عن ارتشاف ضرب أضرابها وكانت تلك الجارية الأولى لحسنها متأمرة على تأميره لاتخاف من وليه ولا نصيره فكبر عليها اعراضه عنها ونسبت ذلك إلى أحمد اليتيم لاطلاعه على ما كان منها فدخلت على الأمير وقد

وما بقيت الأفرنج تتشفع بى فقال لها الرسول أيما أحب اليك هذا المسلم أو زوجك الأفرنجى فلان فأعادت عبارتها الأولى فقال الرسول لمن معه من الافرنج اسمعوا كلامها ثم قال لى الرسول خذ زوجتك فولعت بها فطلبنى ثانيا وقال أن أمها أرسلت معو وديعة وقالت أن ابنتى أسيرة وأشتهى أن توصل لها هذه الكسوة فقبلت الكسوة ومضيت إلى الدار وفتحت القماش فاذا هو قماشى بعينه قد سيرته لها أمها ووجد الصرتين الذهب الخمسين دينارا والمائة دينار كما هو بربطتى لم يتغيرا وهؤلاء الأولاد منها وهى التى صنعت لكم هذا الطعام (ومن لطائف المنقول عن المستجاد) قال الواقدى كان ابراهيم ابن المهدى قد ادعى الخلافة لنفسه بالرى وأقام مالكها سنة وأحد عشر شهرا واثنى عشر يوما وله أخبار كثيرة أحسنها عندى ما حكاه إلى قال لما دخل المأمون الرى فى طلبى وجعل لمن أتاه بى مائة الف درهم خفت على نفسى وتحيرت فى أمرى فخرجت من دارى وقت الظهر وكان يوما صائفا وما أدرى أين أتوجه فوقفت فى شارع غير نافذ وقلت إنا لله وإنا اليه راجعون أن عدت على أثرى يرتاب فى أمرى فرأيت فى صدر الشارع عبدا أسود قائما على باب دار فتقدمت اليه هل عندك موضع أقيم فيه ساعة من نهار فقال نعم وفتح الباب فدخلت إلى بيت نظيف فيه حصر وبسط ووسائد جلود إلا أنها نظيفة ثم أغلق الباب علىّ ومضى فتوهمته قد سمع الجعالة فىّ وأنه خرج ليدل علىّ فبقيت على مثل النار فبينما أنا كذلك إذ أقبل

جمال عليه كل ما يحتاج اليه من خبز ولحم وقدر جديدة وجرة نظيفة وكيزان جدد لحط عن الحال ثم التفت إلى وقال جعلنى الله
فداك أنا رجل حجام وأنا أعلم أنك تتقرب منى لما أتولاه من معيشتى فشأنك بما لم تقع عليه يد وكان

ارتدت من المكآبة بجلبات نكرها وأعلنت بالبكاء بين يديه لاتمام كيدها ومكرها وقالت أن أحمد اليتيم راودنى عن نفسى فلما سمع الأمير ذلك استشاط غيظا وغضبا وهم فى الحال بقتله ثم عاوده حاكم عقله فتأنى فى فعله واستحضر خادما يعتمد عليه وقال له إذا أرسلت اليك إنسانا ومعه طبق من ذهب وقلت لك على لسانه املأ هذا الطبق مسكا فاقتل ذلك الإنسان واجعل رأسه فى الطبق وأحضره مغطى ثم أن الأمير أبا الجيش جلس لشربه وأحضر عنده ندماءه الخواص وأدنا لمجلس قربه وأحمد اليتيم واقف بين يديه آمن فى شربه لم يخاطره شىء ولا هجس هاجس فى قلبه فلما مثل بين يدى الأمير وأخذ منه الشراب شرع فى التدبير فقال يا أحمد خذ هذا الطبق وامض به إلى فلان الخادم وقل له يقول لك أمير المؤمنين املأ هذا الطبق مسكا فأخذه أحمد اليتيم ومضى فاجتاز فى طريقه بالمغنى وبقية الندماء والخواص فقاموا اليه وسألوه الجلوس معهم فقال أنا ماض فى حاجة للأمير أمرنى باحضارها فى هذا الطبق فقالوا له أرسل من ينوب عنك فى إحضارها وخذها أنت وادخل على الأمير فأدار عينيه فرأى الفتى الفراش الذى كان مع الجارية فأعطاه الطبق وقال له امض إلى فلان الخادم وقل له يقول لك الأمير املأ هذا الطبق مسكا فمضى ذلك الفراش إلى الخادم فذكر له ذلك فقتله وقطع رأسه وغطاه وجعله فى الطبق وأقبل به فناوله لاحمد اليتيم فأخذه وليس عنده علم من باطن الأمر فلما دخل به على الأمير كشفه وتأمله وقال ماهذا فقص عليه خبره وقعوده من المغنين وبقية الندماء وسؤالهم له الجلوس معهم وما كان من انفاذ الطبق وإرساله مع الفراش وإنه لا علم عنده غير ماذكره قال أتعرف لهذا الفراش خبرا يستوجب به ماجرى عليه فقال ايها الأمير إن الذى تم عليه بما ارتكبه من الخيانة وقد كنت رأيت الأعراض عن أعلام الأمير بذلك وأخذ أحمد يحدثه بما شاهده وماجرى له من حديث الجارية من أوله إلى آخره لما أنفذه لاحضار السبحة الجوهر فدعا الأمير أبو الجيش بتلك الجارية واستقررها فأقرت بصحة ماذكره أحمد فأعطاه أياها وأمره بقتلها ففعل وازدادت مكانة أحمد عنده وعلت منزلته لديه وضاعف احسانه اليه وجعل أزمة جميع مايتعلق به بيديه ۰ فانظر رحمك الله آثار الوفاء كيف تحمى من المعاطب وتنجى من قبضة التلف بعد امضاء القواضب ويفضى بصاحبه إلى ارتقاء غوارب المراتب فهذا الغلام لماوفى لمولاه بعهده وهو بشر مثله وليس فى الحقيقة بعبده واطلع الله عز وجل على صدق نيته دفع عنه هذه القتلة الشنيعة بلطف من عنده فإذا كان العبد مع خالقه ورازقه وافيا فى طاعته بعقده كيف لا يفيض عليه من ألطاف مواهب بره ورفده ويفتح له من أنواع رحمته وأقسام نعمته مالا ممسك له من بعده وقالوا ليس شىء أوفى من القمرية إذا مات ذكرها لم تقرب آخر بعده ولا تزال تنوح عليه إلى أن تموت والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

(الباب الثامن والثلاثون فى كتمان السر وتحصينه وذم افشائه)

قال الله تعالى حكاية عن يعقوب صلوات الله وسلامه عليه يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك الآية فلما أفشى عليه السلام رؤياه بمشهد امرأة يعقوب أخبرت أخوته فحل به ماحل ۰ ومن شواهد الكتاب العزيز فى السر قوله تعالى فأوحى إلى عبده ما أوحى وقوله تعالى وما هو على الغيب بضنين أى

فى حاجة إلى الطعام فطبخت لنفسى قدر ما أذكر إنى اكلت مثلها فلما قضيت أربى من الطعام قال هل لك فى شراب فإنه يسلى الهم فقلت ما اكره ذلك رغبة فى مؤانسته فأتى بقطر ميز جديد لم تمسه يد وجاء فى بدست شراب مطينة وقال لى روق لنفسك فروقت شرابا فى غاية الجودة وأحضر لى قدحا جديدا وفاكهة وابقالا مختلفة فى طسوت فخار جدد ثم قال بعد ذلك اتأذن لى جعلت فداك أن أقعد ناحية وآتى بشرابى فأشربه سرورا بك فقلت له افعل فشربت وشرب ثم دخل إلى خزانة له فأخرج عودا مصفحا ثم قال ياسيدى ليس من قدرى أن أسألك فى الغناء ولكن قد وجبت على مروءتك حرمتى فإن رأيت أن تشرف عبدك فلك علو الرأى فقلت ومن أين لك إنى أحسن الغناء فقال ياسبحان الله مولانا أشهر من ذلك أنت إبراهيم بن المهدى خليفتنا بالأمس الذى جعل المأمون لمن دله عليك مائة ألف درهم فلما قال ذلك عظم
فى عينى وثبتت مروءته عندى فتناولت العود وأصلحته وغنيت وقد مر بخاطرى فراق أهلى وولدى بجمعهم
وعيسى الذى أهدى ليوسف اهله وأعزه فى السجن وهو أسير أن يستجيب لنا فيجمع شملنا والله رب العالمين قدير

بينهم وفى الحديث استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذى نعمة محسود وقال على رضى الله عنه وكرم وجهه سرك أسيرك فاذا تكلمت به صرت أسيره واعلم أن أمناء الأسرار أقل وجودا من أمناء الأموال وحفظ الأموال أيسر من كتمان الأسرار لان احراز الاموال منيعة بالأبواب والأقفال واحراز الأسرار بارزة يذيعها لسان ناطق ويشيعها كلام سابق وحمل الأسرار اثقل من حمل الأموال فان الرجل يستقل بالحمل الثقيل فيحمله ويمشى به ولا يستطيع كتم السر وان الرجل يكون سره فى قلبه فيلحقه من القلق والكرب مالا يلحقه من حمل الأثقال فاذا أذاعه استراح قلبه وسكن خاطره وكأنما ألقى عن نفسه حملا ثقيلا وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه القلوب أوعية والشفاه أقفالها والألسن مفاتيحها فليحفظ كل إنسان مفتاح سره * ومن عجائب الأمور أن الأموال كلما كثرت خزائنها كان أوثق لها وأما الأسرار فانها كلما كثرت خزانها كان أضيع لها وكم من إظهار سر أراق دم صاحبه ومنعه من بلوغ مآربه ولو كتمه أمن من سطوته وقال أنوشروان من حصن سره فله بتحصينه خصلتان الظفر بحاجته والسلامة من السطوات وقيل كلما كثرت خزان الأسرار زادت ضياعا وقيل انفرد بسرك لاتودعه حازما فيزل ولا جاهلا فيخون وقال كعب بن سعد الغنوى

ولست بمبد للرجال سريرتى * ولا أنا عن أسرارهم بسؤل

وقال أبو مسلم صاحب الدولة :

أدركت بالحزم والكتمان ماعجزت * عنه ملوك بنى مروان إذ جهدوا * مازلت أسعى عليهم فى ديارهم والقوم فى غفلة بالشام قد رقدوا * حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا * من نومة لم ينمها قبلهم أحد

ومن رعى غنما فى أرض مسبعة * ونام عنها تولى رعيها الأسد

وأسر رجل إلى صديقه حديثا ثم قال له أفهمت قال بل جهلت ثم قال له أحفظت قال بل نسيت وقيل لبعضهم كيف كتمانك للسر قال أجحد المخبر وأحلف للمستخبر وقال المهلب أدنى أخلاق الشريف كتمان السر وأعلى أخلاقه نسيان ماأسر اليه ومن أحسن ماقيل فى كتمان السر قول الشاعر :

ولها سرائر فى الضمير طويتها * نسى الضمير بانها فى طيه

وقد أجازه الشيخ شمس الدين البدوى فقال :

انى كتمت حديث ليلى لم أبح * يوما بظاهره ولا بخفيه * وحفظت عهد ودادها متمسكا فى حبها برشاده أو غيه * ولها سرائر فى الضمير طويتها * نسى الضمير بأنها فى طيه

وقيل كتمان الأسرار يدل على جواهر الرجال وكما أنه لاخير فى آنية لاتمسك مافيها فكذلك لاخير فى إنسان لايمسك سره قال :

ومستودعى سرا كتمت مكانه * عن الحسن خوفا أن يتم به
وخفت عليه من هوى النفس شهوة * فأودعته من حيث لايبلغ الحسن

وقال قيس بن الحطيم :

أجود بمكنون التلاد وانى * بسرى عمن سائلنى لضنين
وإن ضيع الاقوام سرى فاننى * كتوم الأسرار العشير أمين

فاستولى عليه الطرب المفرط وطاب عيشه كثيرا ومن شدة طربه وسروره. قال لى ياسيدى أتأذن لى أن أغنى ماسنح بخاطرى وإن كنت من غير أهل هذه الصناعة فقلت هذا زيادة فى أدبك ومروءتك فأخذ العود وغنى

شكونا الى أحبابنا طول ليلنا
فقالوا لنا ماأقصر الليل عندنا
وذاك لان النوم يغشى عيونهم
سريعا ولايغشى لناالنوم أعينا
إذا مادنا الليل المضر بذى الهوى
جزعنا وهم يستبشرون إذا دنا
فلو أنهم كانوا يلاقون مثلى ما
نلاقى لكانوا فى المضاجع مثلنا

فوالله لقد أحسست بالبيت قد سار بى وذهب عنى كل ما كان بى من الهلع وسألته أن يغنى فغنى

تعيرنا أنا قليل عديدنا
فقلت لها إن الكرام قليل
وماضرنا أنا قليل وجارنا
عزيز وجار الأكثرين ذليل
وانا لقوم لانرى القتل سبة
إذا مارأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا
وتكرهه آجالهم فتطول

فداخلنى من الطرب مالا مزيد عليه إلى أن عاجلنى السكر فلم استيقظ إلا بعد المغرب فعاودنى فكرى فى نفاسة هذا الحجام وحسن أدبه وظرفه فقمت وغسلت وجهى وأيقظته وأخذت خريطة كانت صحبتى فيها دنانير لها قيمة فرميت بها اليه وقلت له استودعتك الله فانى ماض من عندك وأسألك أن تصرف مافى

(وقال جعفر بن عثمان)

ياذا الذى أودعنى سره ... لا ترج أن تسمعه منى

لم أجره قط على فكرتى ... كأنه لم يجر فى أذنى

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول عنه ماأفشيت سرى إلى أحد قط فأفشاه فلمته إذا كان صدرى به أضيق وقال الاحنف بن قيس يضيق صدر الرجل بسره فاذا حدث به أحدا قال اكتمه على قال الشاعر

إذا المرء أفشى سره بلسانه ... ولام عليه غيره فهو أحمق

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه ... فصدر الذى يستودع السر أضيق

وقال آخر إذا ما ضاق صدرك عن حديث ... وأفشته الرجال فمن تلوم

وان عاتبت من أفشى حديثى ... وسرى عنده فأنا الملوم

وقال صالح بن عبد القدوس لاتودع سرك إلى طالبه فالطالب للسر مذيع ولا تودع مالك عند من يستدعيه فالطالب للوديعة خائن . وقيل لاعرابى ما بلغ من حفظك للسر قال افرقه تحت شغاف قلبى ثم أجمعه وأنساه كانى لم اسمعه وكان يقال أحزم الناس من لايفشى سره إلى صديقه مخافة أن يقع بينهما شر فيفشيه عليه وقال حكيم قلوب الأحرار قبور الاسرار وقيل الطمأنينة إلى كل احد قبل الاختبار حمق وقال بعضهم

إذا ماغفرت الذنب يوما لصاحب ... فلست معيدا ماحييت له ذكرا

إذا ما صاحب خان عهده ... وعندى له سر مذيعا له سرا

واين هذا من قول القائل

ولا تودع الاسرار أذنى فانما ... تصب ماء فى اناء مثلم

أو للقائل ولا أكتم الاسرار لكن اذيعها ... ولا أدع الاسرار تغلوا على قلبى

وان قليل العقل من بات ليلة ... تقلبه الاسرار جنبا إلى جنب

وقال آخر وانك كلما استودعت سرا ... أنم من النسيم على الرياض

وقال اسحق بن ابراهيم الموصلى

أناس أمناهم فنموا حديثنا ... فلما كتمنا السر عنهم تقولوا

(والله در المتنبى حيث قال)

وللسر منى موضع لا يناله ... نديم ولا يفضى شراب

وقد اقتصرنا من ذلك على هذا القدر اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

(الباب التاسع والثلاثون فى الغدر والخيانة والسرقة والعداوة والبغضاء والحسد وفيه فصول)

(الفصل الأول فى الغدر والخيانة قال رسول الله ﷺ أعجل الأشياء عقوبة البغى وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ المكر والخديعة والخيانة فى النار قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه ثلاث من كن فيه كن عليه البغى والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على انفسكم وقال تعالى فمن نكث فانما ينكث على نفسه وقال تعالى ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله وكم أوقع الغدر فى المهالك من غادر وضاقت عليه موارد الهلكات فسبحات المصادر وطوقه غدره طوق خزى فهو على فكه

هذه الخريطة فى بعض مهماتك ولك عندى المزيد ان آمنت من خوفى فاعادها على منكدا وقال ياسيدى ان الصعاليك منا لاقدر لهم عندكم آخذ على ماوهبنيه الزمان من قربك وحلولك عندى ثمنا والله لئن راجعتنى فى ذلك لاقتلن نفسى فاعدت الخريطة إلى كمى وقد أثقلنى حملها فلما انتهيت إلى باب داره قال لى ياسيدى ان هذا المكان أخفى لك من غيره وليس فى مؤنتك على ثقل فاقم عندى إلى أن يفرج الله عنك فرجعت وسألته ان ينفق من تلك الخريطة ولم يفعل فاقمت عنده أياما على تلك الحالة فى ألذ عيش فتذممت من الاقامة فى مؤنته واحتشمت من التثقيل عليه فتركته وقد مضى يجدد لنا حالا وقمت فتزييت بزى النساء بالخف والنقاب وخرجت فلما صرت فى الطريق داخلنى من الخوف امر شديد وجئت لأعبر الجسر فاذا أنا بموضع مرشوش بماء فبصرنى جندى ممن كان يخدمنى فعرفنى فقال هذه حاجة المأمون فتعلق بى فمن حلاوة الروح دفعته هو وفرسه فرميتها فى ذلك الزلق فصار عبرة وتبادر الناس اليه فاجتهدت فى المشى حتى قطعت الجسر ودخلت شارعا فوجدت باب دار وامرأة واقفة فى دهليز فقلت يا سيدة النساء احقنى دمى فانى رجل خائف فقالت على الرحب وأطلعتنى إلى غرفة مفروشة وقدمت لى طعاما وقالت غير

ليهدأ روعك فما علم بك مخلوق وإذا بالباب يدق دقا عنيفا فخرجت وفتحت الباب واذا بصاحبى الذى دفعته على الجسر وهو مشدوخ

غير قادر وأوقعه فى خطة خسف وورطة حتف فماله من قوة ولا ناصر ويشهد لصحة هذه
الاسباب ما أحاطت به علوم ذوى الالباب من قصة ثعلبة بن حاطب الانصارى وتلخيص معناها
أن ثعلبة هذه كان من أنصار النبي ﷺ فجاء يوما وقال يارسول الله ادع الله يرزقنى مالا فقال له رسول
الله ﷺ ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه ثم أتاه بعد ذلك مرة أخرى فقال يارسول
الله أدع الله أن يرزقنى مالا فقال رسول الله ﷺ يا ثعلبة أمالك فى رسول الله أسوة حسنة والذى نفسى
بيده لو أردت أن تسير الجبال معى ذهبا وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك مرة ثالثة فقال يارسول الله أدع الله
أن يرزقنى مالا والذى بعثك بالحق نبيا لئن رزقنى الله مالا لأعطين كل ذى حق حقه وعاهد الله تعالى على
ذلك فقال رسول الله ﷺ اللهم ارزق ثعلبة ماقال فاتخذ ثعلبة غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه
المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من أوديتها وهى تنمو كما ينمو الدود وكان ثعلبة لكثرة ملازمته
للمسجد يقال لها حمامة المسجد فلما كثرت الغنم وتنحى صار يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الظهر والعصر ويصلى بقية الصلوات فى غنمه فكثرت ونمت حتى بعد المدينة فصار لا يشهد
إلا الجمعة ثم كثرت ونمت فتباعد أيضا عن المدينة حتى صار لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان إذا كان يوم
الجمعة خرج يتلقى الناس ويسألهم عن الأخبار فذكره رسول الله ﷺ ذات يوم فقال ما فعل
ثعلبة قالوا يارسول الله اتخذ غنما ما يسعها واد فقال رسول الله ﷺ ياويح ثعلبة فأنزل الله تعالى آية
الصدقة فبعث رسول الله ﷺ رجلين رجلا من بنى سليم ورجلا من جهينة وكتب لهما أنصاب
الصدقة كيف يأخذانها وقال لهما مرا بثعلبة بن حاطب وبرجل آخر من بنى سليم فخذا صدقتهما
فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ فقال ما هذه إلا جزية
أوما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلى فانطلقا وسمع بهما السلمى فنظر إلى خيار
ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياه قال ماهذا قال خذاه فان نفسى به طيبة فمرا على الناس
وأخذا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة فقال أرونى كتابكما فقرأه ثم قال ماهذه إلا جزية أوماهذه إلا أخت
الجزية اذهبا حتى أرى رأيا قال فذهبا من عنده وأقبلا على رسول الله ﷺ فلما رآهما قال قبل أن يتكلما
يا ويح ثعلبة فأنزل الله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين
فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا
الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب وكان عند
رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد أنزل
الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ فسأله أن يقبل صدقته فقال أن الله تعالى منعنى
أن أقبل منك صدقة فجعل ثعلبة يحثو التراب على رأسه ووجهه فقال رسول الله ﷺ هذا عملك
قد أمرتك فلم تطعنى فلما أبى رسول الله ﷺ أن يقبل صدقته رجع إلى منزله وقبض رسول الله
ﷺ ولم يقبل منه شيئا ثم أتى إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين استخلف فقال قد علمت
منزلتى من رسول الله ﷺ وموضعى من الانصار فاقبل صدقتى فقال أبو بكر رضى الله عنه لم
يقبلها رسول الله ﷺ منك ولا أقبلها أنا فقبض أبو بكر رضى الله تعالى عنه ولم يقبلها فلما ولى عمر
رضى الله عنه أتاه فقال ياأمير المؤمنين اقبل صدقتى فلم يقبلها منه وقال لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا
أبو بكر رضى الله عنه فأنا لا أقبلها وقبض عمر رضى الله عنه ولم يقبلها ثم ولى عثمان بن عفان رضى الله

الرأس ودمه يجرى على ثيابه وليس معه فرس فقالت ياهذا ما دهاك فقال ظفرت بالمنى وانفلت عنى فأخبرها بالحال فأخرجت
خرقا وعصبته بها وفرشت له ونام عليلا وطلعت إلى وقالت أظنك صاحب القصه فقلت نعم قالت لا بأس
عليك ثم جددت لى الكرامة
وأقمت عندها ثلاثا ثم
قالت انى خائفة عليك
من هذا الرجل لئلا يطلع
عليك فينم بك فانج لنفسك
فسألتها المهلة إلى الليل
ففعلت فلما دخل الليل
لبست زى النساء وخرجت
من عندها فأتيت إلى بيت
مولاة كانت لنا فلما رأتنى
بكت وتوجعت وحمدت
الله على سلامتى وخرجت
كأنها تريد السوق للاهتمام
بالضيافة فظننت خيرا فما
شعرت إلا بإبراهيم
الموصلى نفسه فى خيله
ورجله والمولاة معه حتى
سلمتنى اليه فرأيت الموت
عيانا وحملت بالزى الذى
أنا فيه إلى المأمون فجلس
مجلسا عاما وأدخلنى اليه
فلما مثلت بين يديه سلمت
عليه بالخلافة فقال لا
سلم الله عليك ولا حياك
ولا رعاك فقلت له على
رسلك ياأمير المؤمنين أن
ولى الثار محكم فى القصاص
والعفو أقرب للتقوى وقد
جعلك الله فوق كل عفو
كما جعل ذنبى فوق كل ذنب
فان تأخذ فبحقك وان
تعف فبفضلك ثم أنشدت
ذنبى اليك عظيم
فخذ بحقك أولا .. فاصفح بحلمك عنه
ان لم اكن فى فعالى من الكرام فكنه
فرفع إلى رأسه فبدرته وقلت

أتيت ذنبا عظيما وأنت للعفو أهل فان عفوت فمن وان جزيت فعدل ز فرق المأمون واستروحت روائح الرحمة
من سمائه ثم أقبل على ابنه العباس وأخيه أبى اسحق وجميع من حضر من خاصته فقال ما ترون فى أمره فكل أشار
بقتلى الا انهم اختلفوا
فى القتلة كيف تكون
فقال المأمون لأحمد بن
أبى خالد ما تقول يا أحمد
فقال يا أمير المؤمنين أن
تقتله وجدنا مثلك قتل
مثله وإن عفوت عنه لم
نجد مثلك عفا عن مثله
فنكس المأمون رأسه
وجعل ينكت فى الأرض
وأنشد متمثلا
قومى هم قتلوا أميم أخى
فاذا رميت يصيبنى سهمى
فكشفت المقنعة عن
رأسى وكبرت تكبيرة
عظيمة وقلت عفا والله
عنى أمير المؤمنين فقال
المأمون لا بأس عليك
ياعم فقلت ذنبى يا أمير
المؤمنين أعظم من أن
أتفوه معه بعذر وعفوك
أعظم من أن أنطق معه
بشكر ولكن أقول
ان الذى خلق المكارم
حازها
فى صلب آدم للامام
السابع
ملئت قلوب الناس منك
مهابة
وتظل تكلؤهم بقلب خاشع
ما ان عصيتك والغواة
تمدنى
أسبابها الا بنية طائع
فعفوت عمن لم يكن عن
مثله
عفو ولم يشفع اليك بشافع ورحمت اطفالا كأفراخ القطا وحنين والدة بلب جازع فقال المأمون لا تثريب أينسى
عليك اليوم قد عفوت عنك ورددت عليك مالك وضياعك فقلت رددت به إلى ولم تبخل على به وقبل ردك مالى قد حقنت دمى

عنه فسأله أن يقبل صدقته فقال لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر رضى الله عنهما فانا لا أقبلها ثم مات ثعلبة فى خلافة عثمان رضى الله عنه * فانظر إلى سوء عاقبة غدره كيف أذاقه وبال أمره ووسمه بسمة عار قضت عليه بخسره وأعقبه نفاقا يخزيه يوم فاقته وفقره فأى خزى أرجح من ترك الوفاء بالميثاق وأى سوء أقبح من غدر يساق إلى النفاق وأى عار أفضح من نقض العهد إذا عدت مساوى الاخلاق وكان يقال لم يغدر غادر قط إلا لصغر همته عن الوفاء واتضاع قدره عن احتمال المكاره فى جنب نيل المكارم قال الشاعر

غدرت بأمر كنت أنت جذبتنا اليه وبئس الشيمة الغدر بالعهد

ولما حلف محمد الامين للمأمون فى بيت الله الحرام وهما وليا عهد طالبه جعفر بن يحيى أن يقول خذلنى الله ان خذلته فقال ذلك ثلاث مرات فقال الفضل بن الربيع قال لى الامين فى ذلك الوقت عند خروجه من بيت الله يا أبا العباس أجد فى نفسى أن أمرى لا يتم فقلت له ولم ذلك أعز الله الامير قال لانى كنت أحلف وانا انوى الغدر وكان كذلك لم يتم أمره (وورد) فى أخبار العرب ان الضيزن بن معاوية ابن قضاعة كان ملكا بين دجلة والفرات وكان له هناك قصر مشيد يعرف بالجوسق وبلغ ملكه الشام فأغار على مدينة سابور ذى الاكتاف فأخذها وأخذ أخت سابور وقتل منهم خلقا كثيرا ثم ان سابور جمع جيوشا وسار إلى الضيزن فأقام على الحصن أربع سنين لا يصل منه إلى شىء ثم ان النضيرة بنت الضيزن عركت أى حاضت فخرجت من الربض وكانت اجمل اهل دهرها وكذلك كانوا يفعلون بنسائهم إذا حضن وكان سابور من أجمل اهل زمانه فرآها ورأته فعشقها وعشقته وأرسلت اليه تقول ماتجعل لى ان دللتك على ما تهدم به هذه المدينة وتقتل أبى فقال أحكمك فقالت عليك بحمامة مطرقة ورقاء فاكتب عليها بحيض جارية ثم أطلقها فانها تقعد على حائط المدينة فتتداعى المدينة كلها وكان ذلك طلسما لا يهدمها الا هو ففعل ذلك فقالت له وانا أسقى الحرس الخمر فاذا صرعوا فاقتلهم ففعل ذلك فتداعت المدينة وفتحها عنوة وقتل الضيزن واحتمل ابنته النضيرة وأعرس بها فلما دخل بها لم تزل ليلتها تتضرر وتتململ فى فراشها وهو من حرير محشو بريش النعام فالتمس ما كان يؤذيها فاذا هو ورقة آس التصقت بعكنتها وأثرت فيها وقيل كان ينظر إلى مخ عظمها من صفاء بشرتها ثم أن سابور بعد ذلك غدر بها وقتلها قيل انه أمر رجلا فركب فرسا جموحا وضفر غدائرها بذنبه ثم استركضه فقطعها قطعا قطعه الله ما أغدره * وتقول العرب جزانى جزاء سنمار وهو أن أزدجر بن سابور لما خاف على ولده بهرام وكان قبله لا يعيش له ولد سائل عن منزل صحيح مرىء فدل على ظهر الجزيرة فدفع ابنه بهرام إلى النعمان وهو عامله على أرض العرب وأمره أن يبنى له جوسقا فامتثل أمره وبنى له جوسقا كأحسن ما يكون وكان الذى بنى الجوسق رجلا يقال له سنمار فرغ من بنائه فلما تعجبوا من حسنه فقال لو علمت انكم توفونى اجرته لبنيته بناء يدور مع الشمس حيث دارت فقالوا وانك لتبنى أحسن من هذا ولم يبنه ثم أمر به فطرح من أعلى الجوسق فتقطع فكانت العرب تقول جزانى جزاء سنمار * وممن غدر عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله غدر بعلى رضى الله عنه وقتله وعمر بن جرموز غدر بالزبير بن العوام رضى الله عنه وقتله وابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة لعنه الله غدر بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقتله * وجعل المنصور العهد إلى عيسى بن موسى ثم غدر به وأخره وقدم المهدى عليه فقال عيسى

إليك لولم تعرها كنت لم تلم إن من الكلام دارا وهذه منه وخلع عليه وقال يا عم ان أبا إسحق والعباس أشارا بقتلك فقلت أنهما نصحاك يا أمير المؤمنين ولكن أتيت بما أنت أهله ودفعت ما خفت بما رجوت فقال المأمون يا عم أمتت حقدى بحياة عذرك وقد عفوت عنك ولم أجرعك مرارة امتنان الشافعين ثم سجد المأمون طويلا ورفع رأسه وقال يا عم أتدرى لم سجدت قلت شكرا لله تعالى الذى أظفرك بعدو دولتك فقال ما أردت هذا ولكن شكرا لله الذى ألهمنى العفو عنك فحدثنى الآن حديثك فشرحت له صورة أمرى وما جرى لى مع الحجام والجندى والمرأة والمولاة التى نمت على فأمر المأمون باحضارها وهى فى دارها تنتظر الجائزة فقال لها ما حملك على ما فعلت مع سيدك فقالت الرغبة فى المال فقال لها هل لك ولد أو زوج قالت لا فأمر بضربها مائتى سوط وخلد سجنها ثم قال احضروا الجندى وامرأته والحجام فاحضروا فسأل الجندى عن السبب الذى حمله ما فعل فقال الرغبة فى المال فقال المأمون أنت يجب ان تكون حجاما ووكل به ما يلزمه الجلوس فى دكان الحجام ليتعلم الحجامة واكرم زوجته وأدخلها إلى القصر. وقال هذه امرأة عاقلة تصلح المهمات ثم قال للحجام

أينسى بنو العباس ذبى عنهم بسيفى ونار الحرب زاد سعيرها فتحت لهم شرق البلاد وغربها
فذل معاديها وعز نصيرها أقطع أرحاما على عزيزة وأبدى مكيدات لها وأثيرها
فلما وضعت الأمر فى مستقره وأوسق أوساقا من الغد غيرها

وخرج قوم لصيد فطردوا ضبعة حتى ألجأوها إلى خباء أعرابى فأجارها وجعل يطعمها ويسقيها فبينما هو نائم ذات يوم إذ وثبت عليه فبقرت بطنه وهربت فجاء ابن عمه يطلبه فوجده ملقى فتبعها حتى قتلها وأنشد يقول

ومن يصنع المعروف مع غير أهله يلاق كما لاقى مجيرا أم عامر أعد لها لما استجارت ببيته
أحاليب ألبان اللقاح الدرائر وأسمنها حتى إذا ما تمكنت بقرته بأنياب لها وأظافر
فقل لذوى المعروف هذا جزاء من يجود بمعروف على غير شاكر

(وحكى) بعضهم قال دخلت البادية فاذا أنا بعجوز بين يديها شاة مقتولة وإلى جانبها جرو ذئب فقالت أتدرى ما هذا فقلت لا قالت هذا جرو ذئب أخذناه صغيرا وأدخلناه بيتنا وربيناه فلما كبر فعل بشاتى ما ترى وأنشدت

بقرت شويهتى وفجعت قلبى وأنت لشاتنا ابن ربيب غذيت بدرها ونشأت معها
فمن أنباك أن أباك ذيب إذا كان الطباع طباع سوء فلا أدب يفيد ولا أديب

اللهم انا نعوذ بك من البغى وأهله ومن الغادر وفعله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الفصل الثانى فى السرقة والسراق) قيل مر عمر بن عبيد بجماعة وقوف فقال ما هذا قيل السلطان يقطع سارقا فقال لا إله إلا الله سارق العلانية يقطع سارق السر وأمر الاسكندر بصلب سارق فقال أيها الملك انى فعلت ما فعلت وأنا كاره فقال وتصلب أيضا وأنت كاره . وسرق مدنى قميصا فأعطاه لابنه يبيعه فسرق فجاء له فقال بكم بعته قال برأس المال وقال أكتل مسلمى وكان لصا فانكا

وانى لأستحى من الله أن أرى أجرجر حبلى ليس فيه بعير
وان أسأل المرأ المدنى بعيره وإجمال ربى فى البلاد كثير

(قال الفرزدق) وان أبا الكرشاء ليس بسارق ولكن متى ما يسرق القوم يأكل

وكان لعمرو بن دويرية البجلى أخ قد كلف ببنت عم له فتسور عليها الدار ذات ليلة فأخذه أخوتها وأتوا به خالد بن عبد الله القسرى وجعلوه سارقا فسأله خالد فصدقهم ليدفع الفضيحة عن الجارية فهم خالد بقطعه فقال عمر وأخوه

أخالد قد والله أوطئت عشوة وما العاشق المظلوم فينا بسارق
أقر بما لم يأته المرء أنه رأى القطع خيرا من فضيحة عاشق

فعفا عنه خالد وزوجه الجارية

(الفصل الثالث فيما جاء فى العداوة والبغضاء) قد ذكر الله عز وجل العداوة والبغضاء فى كتابه العزيز فقال تعالى والقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وقال تعالى ان الشيطان للإنسان

عدو مبين وقال تعالى إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وقال تعالى إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال رسول الله ﷺ أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه العداوة تتورث وقال زياد بن عبد الله

فلو أني بليت بهاشمي ... خؤولته بنو عبد المدان
صبرت على عداوته ولكن ... تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

وبث رجل في وجه أبي عبيدة مكروها فانشأ يقول

فلو أن لحمي إذا وهى لعبت به ... سباع كرام أو ضباع أوذؤب
لهون وجدي أو لسلى مصيبتي ... ولكنما أودى بلحمي أكلب

وقيل لكسرى أي الناس أحب إليك أن يكون عاقلا قال عدوي قيل وكيف ذلك قال لأنه إذا كان عاقلا كنت منه في عافية وأمن وقيل كونوا من المرء الدغل أخوف من الكاشح المعلن فإن مداواة أهل العلل الظاهرة أهون من مداواة ما خفي وبطن وقالوا إياك أن تعادي من إذا شاء طرح ثيابه ودخل مع الملك في لحافه وقال أبو العتاهية

تنح عن القبيح ولا ترده ... ومن أوليته حسنا فزده
ستلقى من عدوك كل كيد ... إذا كاد العدو ولم تكده

وكانت جليلة بنت مرة أخت جساس تحت كليب فقتل أخوها وزوجها وهي حبلى بهجرس بن كليب فلما كبر وشب قال

أصاب أبي خالد وما أنا بالذي ... أميل وأمري بين خالي ووالدي
وأورث جساس بن مرة غصة ... إذا ما اعترتني حرها غير بارد

ثم قال بعد ذلك يا للرجال لقلب ماله جلد ... كيف العزاء وثاري عند جساس

ثم حمل على خاله فقتله وقال

ألم ترني ثأرت ابي كليبا ... وقد يرجى المرشح للدخول
غسلت العار عن جشم أبي بكر ... بجساس بن مرة ذي البتول

(بيت) سن العداوة آباء لنا سلفوا ... فلن تبيد وللآباء أبناء

ويقال دار عدوك لأحد أمرين إما لصداقة تؤمنك أو لفرصة تمكنك وكتب سويد إلى مصعب

فبلغ مصعبا عني رسولي ... وهل تلقى النصيح بكل واد
تعلم أن أكثر من تناجي ... وإن ضحكوا إليك هم الأعادي

ويقال فلان كثير المزاق مر المزاق وقال الحجاج لخارجي والله إني لأبغضك قال أدخل الله الجنة أشدنا بغضا لصاحبه ه ولما أراد أنوشروان أن يقلد ابنه هرمز ولاية العهد استشار عظماء مملكته فأنكروا عليه وقال بعضهم أن أمه تركية وقد علمت في أخلاقهم ما علمت قال أن الأبناء ينسبون إلى الآباء لا إلى الأمهات وكانت أم قباذ تركية أوقد رأيتم من حسن سيرته ما رأيتم فقيل هو قصير وذلك يذهب ببهاء الملك فقال ان قصره من رجليه ولا يكاد يرى الا جالسا أو راكبا فلا يستبين ذلك فيه فقيل هو بغيض في الناس فقال أواه هلك ابني هرمز فقد قيل إذا كان في الإنسان خير واحد ولم يكن في ذلك الخير المحبة في الناس فلا خير فيه وإذا كان فيه عيب واحد ولم يكن ذلك العيب

البغض

لقد ظهر من مروءتك ما يوجب المبالغة في إكرامك وسلم إليه دار الجندي بما فيها وخلع عليه وأنعم عليه برزقه وزيادة ألف دينار في كل سنة ولم يزل في تلك النعمة إلى أن مات (ومما يضارع ذلك) أنه لما أفضت الخلافة إلى بني العباس اختفت رجال بني أمية ومنهم إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك وكان إبراهيم رجلا عالما عاملا أديبا كاملا وهو في سن الشبيبة فأخذ له أمانا من السفاح فقال له يوما حدثني عما مر بك في اختفائك قال كنت يا أمير المؤمنين مختفيا بالحيرة في منزل بشارع على الصحراء فبينما أنا على ظهر البيت إذ نظرت إلى أعلام سود وقد خرجت من الكوفة تريد الحيرة فتخيلت أنها تريدني فخرجت من الدار متنكرا حتى أتيت الكوفة ولا أعرف أحدا أختفي عنده فبقيت في حيرة فإذا أنا بباب كبير رحبته واسعة فدخلت فيها فإذا رجل وسيم حسن الهيئة على فرس قد دخل الرحبة ومعه جماعة من غلمانه وأتباعه فقال من أنت وما حاجتك فقلت رجل خائف على دمه وقد استجار بمنزلك فأدخلني منزله ثم صيرني في حجرة تلي حرمه وكنت عنده في ذلك على ما أحبه من مطعم ومشرب وملبس لا يسألني عن شيء من حالي إلا أنه يركب في كل يوم فقلت له يوما أراك تدمن الركوب ففهم ذلك فقال إبراهيم سليمان قتل أبي صبرا وقد بلغني أنه مختف فأنا أطلبه لأدرك منه ثأري فكثر

البغض في الناس فلا عيب فيه

ولست براء عيب ذي الود كله ولا بعض ما فيه إذا كنت راضيا

فعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدى المساواة

وفي المعنى قيل وعين البغض تبرد كل عيب وعين الحب لا تجد العيوبا

وعن أبي حيان قال قال لقمان نقلت الصخر وحملت الحديد فلم أر شيئا أثقل من الدين وأكلت الطيبات وعانقت الحسان فلم أر شيئا ألذ من العافية وأنا أقول لو نزحوا البحار وكنسوا القفار لوجدوها أهون من شماتة الأعداء خصوصا إذا كانوا مساهمين في نسب أو مجاورين في بلد اللهم انا نعوذ بك من تتابع الاثم وسوء الفهم وشماتة ابن العم وقيل لأيوب عليه السلام أي شيء كان عليك في بلائك اشد قال شماتة الأعداء وانشد الجاحظ

تقول العاذلات تسل عنها وداو غليل قلبك بالسلو

وكيف ونظره منها اختلاسا ألذ من الشماتة بالعدو

وقال ابن أبي جهينه المهلبي كل المصائب قد تمر على الفتى فتهون غير شماتة الأعداء

وقال الجاحظ ما رأيت سنانا أنفذ من شماتة الأعداء وقيل لما قبض رسول الله ﷺ سمع بموته نساء من كندة وحضر موت فخضبن أيديهن وضربن بالدفوف فقال رجل منهم

أبلغ أبا بكر إذا ما جئته أن البغايا من بني مرام

أظهرن في موت النبي شماته وخضبن أيديهن بالعلام

فاقطع هديت أكفهن بصارم كالبرق أومض في متون غمام

فكتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه الى المهاجر عامله فأخذهن وقطع أيديهن ويقال فلان يتربص بك الدوائر ويتمنى لك الغوائل ولا يؤمل صلاحا الا في فسادك ولا رفعه الا في سقوط حالك وقال حكيم لا تأمن عدوك وان كان ضعيفا فان القناة قد تقتل وان عدمت السنا قال الشاعر

فلا تأمن عدوك لو تراه أقل إذا نظرت من القراد

فان الحراب ينشأ من جبان وان النار تضرم من رماد

(بيت مفرد) فمن لم يكن منكم مسيئا فانه يشد على كف المسيء فيجلب

وقال عبد الله بن سليمان بن وهب

كفاية الله خير من توقينا وعادة الله في الماضين تكفينا

كاد الاعادي فلا والله ما تركوا قولا وفعلا وتلقينا للتهجينا

ولم نزد نحن في سر وفي علن على مقالتنا يا ربنا اكفينا

فكان ذاك ورد الله حاسدنا بغيظه لم ينل تقريرا فينا

(الفصل الرابع في الحسد) قال تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال رسول الله ﷺ استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فان ذي كل نعمة محسود وقال علي رضي الله عنه الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له وقيل الحسود غضبا على القدر ويقال ثلاثة لا تهنأ لصاحبها عيش الحقد والحسد وسوء الخلق وقيل بئس الشعار الحسد وقيل لبعضهم ما بال فلان يبغضك قال لأنه شقيقي في النسب وجاري في البلد وشريكي في الصناعة فذكر جميع دواعي الحسد وقال اعرابي الحسد داء منصف يفعل في الحاسد أكثر من فعله في المحسود وهو مأخوذ من الحديث قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله وقال الفقيه ابو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى يصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل حسده إلى المحسود أولاها غم لا ينقطع الثانية

[illegible] تعجبني وقلت القدر ساقني الى حتفي في منزل من يطلب دمي وكرهت الحياة فسألت الرجل عن اسمه واسم أبيه فأخبرني فعلمت أن الخبر صحيح وأنا الذي قتلت أباه فقلت له يا هذا قد وجب على حقك ومن حقك أن أدلك على خصمك وأقربه اليك الخطوة قال وما ذاك قلت انا ابراهيم بن سليمان قاتل أبيك فخذ بثأرك فقال اني أحسبك رجلا قد مضه الاختفاء فأحببت الموت فقلت لا والله ولكن أقول لك الحق يوم كذا وكذا بسبب كذا وكذا فلما علم صدقي تغير لونه واحمرت عيناه واطرق مليا ثم قال اما انت فستلقى ابي عند حكم عدل فيأخذ بثأره واما أنا فغير مخفر ذمتي فاخرج عني فلست آمن عليك من نفسي واعطاني الف دينار فلم آخذها منه وانصرفت عنه فهذا أكرم رجل رأيته بعد أمير المؤمنين (ومن لطائف ما نقلته من المستجاد) حدث أبو الحسن بن صالح البلخي بمصر قال أخبرني بعض عمال شيوخنا عن شيبة بن محمد الدمشقي قال كان في أيام سليمان بن عبد الملك رجل يقال له خزيمة ابن بشر من بني أسد مشهور بالمروءة والكرم والمواساة وكانت نعمته وافرة فلم يزل على تلك الحالة حتى احتاج إلى اخوانه الذين كان يواسيهم ويتفضل عليهم فواسوه حينا ثم ملوه فلما لاح له تغيرهم أتى امرأته وكانت ابنة عمه فقال لها يا بنت العم قد رأيت من اخواني تغيرا وقد عزمت على لزوم بيتي إلى أن يأتيني الموت ثم اغلق بابه عليه واقام يتقوت بما عنده حتى نفد وبقي حائرا في حاله فكان عكرمة

مصيبة لايؤجر عليها الثالثة مذمة لايحمد عليها الرابعة سخط الرب الخامسة يغلق عنه باب التوفيق (ومن ذلك) ماحكى أن رجلا من العرب دخل على المعتصم فقربه وأدناه وجعله نديمه وصار يدخل على حريمه من غير استئذان وكان له وزير حاسد فغار من البدوى وحسده وقال فى نفسه ان لم أحتل على هذا البدوى فى قتله أخذ بقلب أمير المؤمنين وأبعدنى منه فصار يتلطف بالبدوى حتى أتى به إلى منزله فطبخ له طعاما وأكثر فيه من الثوم فلما أكل البدوى منه قال له احذر أن تقترب من أمير المؤمنين فيشم منك رائحة الثوم فيتأذى من ذلك فانه يكره رائحته ثم ذهب الوزير إلى أمير المؤمنين فخلا به وقال ياأمير المؤمنين ان البدوى يقول عنك للناس ان أمير المؤمنين أبخر وهلكت من رائحة فمه فلما دخل البدوى على أمير المؤمنين جعل كمه على فمه مخافة أن يشم منه رائحة الثوم فلما رآه أمير المؤمنين وهو يستر فمه بكمه قال ان الذى قاله الوزير عن هذا البدوى صحيح فكتب أمير المؤمنين كتابا إلى بعض عماله يقول له فيه إذا وصل إليك كتابى هذا فاضرب رقبة حامله ثم دعا بالبدوى ودفع اليه الكتاب وقال له امض به إلى فلان وائتنى بالجواب فامتثل البدوى مارسم به أمير المؤمنين وأخذ الكتاب وخرج به من عنده فبينما هو بالباب إذ لقيه الوزير فقال أين تريد قال أتوجه بكتاب أمير المؤمنين إلى عامله فلان فقال الوزير فى نفسه ان هذا البدوى يحصل له من هذا التقليد مال جزيل فقال له يابدوى ماتقول فيمن يريحك من هذا التعب الذى يلحقك فى سفرك ويعطيك ألفى دينار فقال أنت الكبير وأنت الحاكم مهما رأيته من الرأى أفعل قال اعطنى الكتاب فدفعه اليه فأعطاه الوزير الفى دينار وسار بالكتاب الى المكان الذى هو قاصده فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب رقبة الوزير فبعد أيام تذكر الخليفة فى أمر البدوى وسأل عن الوزير فأخبر بأن أياما ماظهر وان البدوى بالمدينة مقيم فتعجب من ذلك وأمر باحضار البدوى فحضر فسأله عن حاله فأخبره بالقصة التى اتفقت له مع الوزير من أولها إلى آخرها فقال له أنت قلت عنى للناس أنى أبخر فقال معاذ الله ياأمير المؤمنين أنى أتحدث بما ليس لى به علم وإنما كان ذلك مكرا منه وحسدا وأعلمه كيف دخل به إلى بيته وأطعمه الثوم وماجرى له معه فقال أمير المؤمنين قاتل الله الحسد ماأعدله بدأ بصاحبه فقتله ثم خلع على البدوى واتخذه وزيرا وراح الوزير بحسده ولقال المغيرة شاعر آل المهلب

آل المهلب قوم ان مدحتهم * كانوا الأكارم آباء وأجدادا
ان العرانين تلقاها محسدة * ولا ترى للئام الناس حسادا

وقال عمر رضى الله عنه يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك وقال مالك بن دينار شهادة القراء مقبولة فى كل شىء إلا شهادة بعضهم على بعض فانهم أشد تحاسدا من التيوس وعن أنس رضى الله تعالى عنه رفعه ان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال منصور الفقيه

منافسة الفتى فيما يزول * على نقصان همته دليل
ومختار القليل أقل منه * وكل فوائد الدنيا قليل

يقول الله عزوجل الحاسد عدو نعمتى متسخط لفعلى غير راض بقسمتى التى قسمت لعبادى قال الشاعر

ألا يا حاسدا لى على نعمتى * أتدرى على من أسأت الأدب

الفياض واليا على الجزيرة فبينما هو فى مجلسه وعنده جماعة من أهل البلد إذ ذكر خزيمة بن بشر فقال عكرمة ماحاله فقالوا صار فى أسوأ الأحوال وقد أغلق بابه ولزم بيته فقال عكرمة الفياض وما سمى الفياض إلا للافراط فى الكرم فما وجد خزيمة ابن بشر مواسيا ولا مكافئا فامسك عن ذلك فلما كان الليل عمد إلى أربعة آلاف دينار فجعلها فى كيس واحد ثم أمر باسراج دابته وخرج سرا من أهله فركب ومعه غلام واحد يحمل المال ثم سار حتى وقف بباب خزيمة فأخذ الكيس من الغلام ثم أبعده عنه وتقدم إلى الباب فطرقه بنفسه فخرج خزيمة فقال له أصلح بهذا شأنك فتناوله فرآه ثقيلا فوضعه وقبض على لجام الدابة وقال له من أنت جعلت فداك قال له ماجئت فى هذا الوقت وأنا أريد أن تعرفنى قال خزيمة فما أقيله أوتخبرنى من أنت قال أنا جابر عثرات الكرام قال زدنى قال لاثم مضى ودخل خزيمة بالكيس إلى امرأته فقال لها أبشرى فقد أتى والله بالفرج فلو كان فى هذا فلوس كانت كثيرة قومى فاسرجى فقالت لاسبيل إلى السراج فبات يلمس الكيس فيجد تحت يده خشونة الدنانير ورجع عكرمة إلى منزله فوجد امرأته قد افتقدته وسألت عنه فأخبرت بركوبه منفردا فارتابت وشقت أسات جيبها ولطمت خدها فلما رآها على تلك الحالة قال لها مادهاك ياابنة العم قالت سوء فعلك بابنة عمك أمير الجزيرة يخرج

بعد هدأة من الليل منفردا عن غلمانه فى سر من أهله إلا زوجة أوسرية فقال لقد علم الله ماخرجت لواحدة منهما قالت لابد أن تعلمنى قال فاكتميه إذا قالت أفعل فأخبرها بالقصة على وجهها

أسأت على الله فى حكمه ... لأنك لم ترض لى ماوهب
فأخزاك ربى بأن زادنى ... وسد عليك وجوه الطلب

وقال الأصمعى رأيت اعرابيا قد بلغ عمره مائة وعشرين سنه فقلت له ماأطول عمرك فقال تركت الحسد فبقيت وقالوا لايخلو السيد من ودود يمدح وحسود يقدح وقال ابن مسعود رضى الله عنه ألا لاتعادوا نعم الله قيل ومن يعادى نعم الله قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقيل لعبد الله بن عروة لم لزمت البدو وتركت قومك فقال وهل بقى الاحاسد على نعمة أوشامت على نكبة وقال الشاعر

ياطالب العيش فى أمن وفى دعة ... رغدا بلا قترصفوا بلا رنق
خلص فؤادك من غل ومن حسد ... فالغل فى القلب مثل الغل فى العنق

(وقال آخر) اصبر على حسد الحسو ... د فان صبرك قاتله
كالنار تأكل بعضها ... ان لم تجد ماتأكله

وفى نوابغ الحكم الحسد حسك من تعلق به هلك ولبعضهم

انى حسدت فزاد الله فى حسدى ... لاعاش من عاش يوما غير محسود

(وقال نصر بن سيار)

انى نشأت وحسادى ذووا عدد ... ياذا المعارج لاتنقص لهم عددا
ان تحسدونى على مابى لما بهم ... فمثل مابى مما يجلب الحسدا

وكان عمر رضى الله عنه يقول نعوذ بالله من كل قدر وافق ارادة حاسد وقيل لارسطاطاليس مابال الحسود أشد غما قال لأنه أخذ بنصيبه من غموم الدنيا ويضاف إلى ذلك غمه لسرور الناس والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الأربعون فى الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها وفضل الجهاد وشدة البأس والتحريض على القتال وفيه فصلان ﴾

(الفصل الأول فى فضل الجهاد فى سبيل الله وشدة البأس) قد أثنى الله تعالى على الصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ووصف المجاهدين فقال تعالى ان يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وندب إلى جهاد الأعداء ووعد عليه فضل الجزاء والرأى فى الحرب أمام الشجاعة قال رسول الله ﷺ الحرب خدعة وقال ﷺ مامن قطرة أحب إلى الله تعالى من قطرة دم فى سبيله أوقطرة دمع فى جوف ليل من خشيته وسمع رجل عبدالله بن قيس رضى الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ ان الجنة تحت ظلال السيوف فقال ياأبا موسى أنت سمعت رسول الله ﷺ يقوله قال نعم فرجع إلى أصحابه فقال أقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه فألقاه ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قتل وكتب أبوبكر الصديق رضى الله عنه إلى خالد بن الوليد اعلم ان عليك عيونا من الله ترعاك وتراك فاذا لقيت العدو فاحرص على الموت توهب لك السلامة ولاتغسل الشهداء من دمائهم فان دم الشهيد يكون له نورا يوم القيامة وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ حين انتهينا إلى خيبر الله أكبر خربت خيبر انا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وعنه رفعه لغدوة فى سبيل الله أوروحة خير من الدنيا ومافيها وعن ابن مسعود رفعه أن أرواح الشهداء فى حواصل طيور

قال أتحبين أن أحلف لك قالت لاقد سكن قلبى ثم أصبح خزيمة صالح غرماءه وأصلح من حاله ثم تجهز يريد سليمان ابن عبد الملك بفلسطين فلما وقف ببابه دخل الحاجب فأخبره بمكانه وكان مشهورا لمروءته وكان الخليفة به عارفا فأذن له فلما دخل عليه وسلم بالخلافة قال ياخزيمة ماأبطاك عنا فقال سوء الحال ياأمير المؤمنين قال فما منعك من النهضة إلينا قال ضعفى قال فمن أنهضك قال لم أشعر ياأمير المؤمنين بعد هدأة من الليل الا ورجل يطرق بابى وكان منه كيت وكيت وأخبره بقصته من أولها إلى آخرها فقال هل عرفته قال لا والله لأنه كان متنكرا وما سمعت منه الا جابر عثرات الكرام قال فتلهف سليمان بن عبد الملك على معرفته وقال لوعرفناه لأعناه على مروءته ثم قال على بقناة فأتى بها فعقد لخزيمة الولاية على الجزيرة وعلى عمل عكرمة الفياض وأجزل عطاياه وأمره بالتوجه إلى الجزيرة فخرج خزيمة متوجها إليها فلما قرب منها خرج عكرمة وأهل البلد للقائه فسلم عليه ثم سارا جميعا إلى أن دخلا البلد فنزل خزيمة فى دار الامارة وأمر أن يؤخذ عكرمة وان يحاسب فحوسب ففضل عليه مال كثير فطلبه خزيمة بالمال فقال مالى

إلى شيء منه سبيل فأمر بحبسه ثم بعث يطالبه فارسل إليه أني لست ممن يصون ماله لعرضه فاصنع ماشئت فأمر به فكبل بالحديد وضيق عليه وأقام على ذلك شهرا فأضناه ثقل الحديد وأضر به وبلغ ذلك ابنة عمه فجزعت عليه واغتمت

خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل وقيل أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضي الله عنه لم يشهد بدرا فلم يزل متحسرا يقول أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غيبت عنه فلما كان يوم أحد قال واها لريح الجنة دون أحد فقاتل حتى قتل فوجد في بدنه بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية فقالت أخته الربيع بنت النضر فما عرفت أخي إلا ببنانه وعن فضالة بن عبيد رفعه كل ميت يختم عمله إلا المرابط فانه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر وعن سهل بن حنيف رفعه من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه فنسأل الله أن يرزقنا الشهادة ويجعلنا من الذين أحسنوا فلهم الحسنى وزيادة

(الفصل الثاني في الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها) اعلم أن الشجاعة عماد الفضائل ومن فقدها لم تكمل فيه فضيلة ويعبر عنها بالصبر وقوة النفس قال الحكماء وأصل الخير كله في ثبات القلب والشجاعة عند اللقاء على ثلاثة أوجه الوجه الأول إذا التقى الجمعان وتزاحف العسكران وتكالحت الأحداق بالأحداق برز من الصف إلى وسط المعترك يحمل ويكر وينادي هل من مبارز والثاني إذا نشب القوم واختلطوا ولم يدر أحد منهم من أين يأتيه الموت يكون رابط الجأش ساكن القلب حاضر اللب لم يخالطه الدهش ولا تأخذه الحيرة فيتقلب تقلب المالك لأموره القائم على نفسه والثالث إذا انهزم أصحابه يلزم الساقة ويضرب في وجوه القوم ويحول بينهم وبين عدوهم يقوي قلوب أصحابه ويرجي الضعيف ويمدهم بالكلام الجميل ويشجع نفوسهم فمن وقع أقامه ومن وقف حمله ومن الفارين كالمستغفر من وراء المستغفلين ومن أكرم الكرم الدفاع عن الحرم (وحكى) سيدي أبو بكر الطرطوشي رحمة الله تعالى عليه في كتابه سراج الملوك قال كان شيوخ الجند يحكون لنا في بلادنا قالوا دارت حرب بين المسلمين والكفار ثم افترقوا فوجدوا في المعترك قطعة خودة قدر الثلث بما حوته الرأس فقالوا انه لم يرقط ضربة أقوى منها ولم يسمع بمثلها في جاهلية ولا إسلام فحملتها الروم وعلقتها في كنيسة لهم فكانوا إذا عيروا بانهزامهم يقولون لقينا أقواما هذا ضربهم فيرحل أبطال الروم اليها ليروها قالوا ومن الحزم أن لا يحتقر الرجل عدوه وإن كان ذليلا ولا يغفل عنه وإن كان حقيرا فكم برغوث أسهر ليلا ومنع الرقاد ملكا جليلا قال الشاعر

فلا تحقرن عدوا رماك ... وإن كان في ساعديه قصر
فان السيوف تحز الرقاب ... لا تعجز عما تنال الابر

واعلموا أن الناس قد وضعوا في تدبير الحروب كتبا ورتبوا فيها ترتيبا ولنصف منها أشياء نبدأ منها أولا بما ذكره الله تعالى في القرآن العظيم قال الله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم فقوله تعالى ما استطعتم مشتمل على كل ماهو في مقدور البشر من العدة والآلة والحيلة وفسر النبي ﷺ القوة حين مر على أناس يرمون فقال ألا ان القوة الرمي ألا ان القوة الرمي ألا ان القوة الرمي وأفضل العدة أن تقدم بين يدي اللقاء عملا صالحا من صدقة وصيام ورد المظالم وصلة الرحم ودعاء مخلص وأمر بمعروف ونهي عن منكر وأمثال ذلك والشأن كل الشأن في استجادة القواد وانتخاب الأمراء وأصحاب الالوية فقد قالت حكماء العجم أسد يقود ألف ثعلب خير من ثعلب يقود ألف أسد فلا ينبغي أن يقدم الجيش الا الرجل ذو البسالة والنجدة والشجاعة والجراءة ثابت الجأش صارم القلب صادم البأس

ثم دعت مولاة لها ذات عقل وقالت امضي الساعة إلى باب هذا الأمير فقولي عندي نصيحة فاذا طلبت منك قولي لاأبوحها إلا للأمير خزيمة فاذا دخلت عليه سليه الخلوة فاذا فعل فقولي له ما كان هذا جزاء جابر عثرات الكرام منك في مكافأتك له بالضيق والحبس والحديد قال ففعلت ذلك فلما سمع خزيمة قولها قال واسوأتاه جابر عثرات الكرام غريمي قالت نعم فأمر من وقته بدابته فأسرجت وركب إلى وجوه أهل البلد فجمعهم وسار بهم إلى باب الحبس ففتح ودخل فرأى عكرمة الفياض في قاع الحبس متغيرا قد أضناه الضر فلما نظر عكرمة إلى خزيمة وإلى الناس أحشمه ذلك فنكس رأسه فاقبل خزيمة حتى انكب على رأسه فقبله فرفع رأسه اليه وقال ماأعقب هذا منك قال كريم فعالك وسوء مكافأتي قال يغفر الله لنا ولك ثم أمر بفك قيوده وأن توضع في رجليه فقال عكرمة ماذا تريد قال أريد أن ينالني من الضر مثل ما نالك فقال أقسم عليك بالله أن لا تفعل فخرجا ممن
جميعا إلى أن وصلا إلى دار خزيمة فودعه عكرمة وأراد الانصراف فلم يمكنه من ذلك قال وما تريد قال أغير من حالك وحيائي

من ابنة عمك أشد من حيائي منك ثم أمر بالحمام فاخليت ودخلا جميعا ثم قام خزيمة فتولى خدمته بنفسه ثم خرج فخلع عليه وحمل اليه
مالا كثيراً ثم سار معه إلى داره واستأذنه في الاعتذار من ابنة عمه فأذن له فاعتذر اليها وتذمم من ذلك ثم سأله أن

يسير معه إلى امير المؤمنين وهو يومئذ يقيم بالرملة فأنعم له بذلك فساروا جميعا حتى قدما على سليمان بن عبد الملك فدخل الحاجب فاخبره بقدوم خزيمة بن بشر فراعه ذلك وقال والى الجزيرة يقدم علينا بغير أمرنا مع قرب العهد به ما هذا الا لحادث عظيم فلما دخل عليه قال قبل أن يسلم ماوراءك ياخزيمة قال خير يا أمير المؤمنين قال فما أقدمك قال ظفرت بجابر عثرات الكرام فاحببت أن أسرك لما رأيت من شوقك الى رؤيته قال ومن هو قال عكرمة مفياض فأذن له في الدخول فدخل فسلم عليه بالخلافة فرحب به وأدناه من مجلسه وقال يا عكرمة كان خيرك له وبالا عليك ثم قال له اكتب حوائجك وما تختاره في رقعة فكتبها وقضيت على الفور ثم أمر له بعشرة آلاف دينار مع ما أضيف اليها من التحف والظرف ثم دعا بقناة وعقد له على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان وقال له أمر خزيمة اليك ان شئت أبقيته وان شئت عزلته قال بل اردُّه الى عمله يا أمير المؤمنين ثم انصرفا جميعا ولم يزالا لسليمان بن عبد الملك مدة خلافته (ويضارع ذلك من المستجاد أيضا) ماروي عن أبي موسى

ممن قد توسط الحروب ومارس الرجال ومارسوه ونازل الاقران وقارع الابطال عارفا بمواضع الفرس خبيراً بمواضع القلب والميمنة والميسرة من الحروب فانه إذا كان كذلك وصدر الكل عن رأيه كانوا جميعا كأنهم مثله فانه ان رأى لمراح الكتائب وجها والارد الغنم إلى الزريبة . واعلم أن الحرب خدعة عند جميع العقلاء. وكان عظماء الترك يقولون ينبغي للعاقل العظيم القياد أن يكون فيه عدة أخلاق من البهائم شجاعة الديك وبحث الدجاجة وقلب الاسد وحملة الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلب على الجراح وحراسة الكركي وغارة الذئب وسمن تغير وهي دويبة تكون بخراسان تسمن على التعب والشقاء .

وكان يقال أشد خلق الله تعالى عشرة الجبال والحديد ينحت الجبال والنار تأكل الحديد والماء يطفىء النار والسحاب يحمل الماء والريح تصرف السحاب والانسان يتقي الريح بجناحيه والسكر يصرع الانسان والنوم يذهب السكر والهم يمنع النوم فأشد الناس خلق ربك الهم اللهم إنا نعوذ بك من الهم والحزن .

ومن الحيل في الحرب أن يبث جواسيسه في عسكر عدوه وليستعلم أخبارهم ويستميل قلوب رؤسائهم وذوي الشجاعة منهم فيدس اليهم ويعدهم وعدا جميلا ويقوي أطماعهم في نيل ماعنده من الهبات الفخيمة والولايات السنية وان رأى وجها عاجلهم بالهدايا وسامهم اما الغدر بصاحبهم واما الاعتزال وقت اللقاء ويكتب على السهام أخبار مزورة ويرمي بها في جيوشهم واعلم أن الحيلة لا ترد القضاء والقدر وأن الدول إذا زالت صارت حيلتها وبالا عليها وإذا أذن الله تعالى في حول البلاء كانت الآفة في الحيلة وقال الحكماء إذا نزل القضاء كان العطب في الحيلة ويغلب الضعيف باقبال دولته كما يغلب القوي ببقاء مدته فمن الحزم المألوف عند سواس الحروب أن تكون حماة الرجال وكماة الابطال في القلب فإنه إذا انكسر الجناح كانت العيون ناظرة إلى القلب فاذا كانت رايته تخفق وطبوله تضرب كان حصنا للجناحين يأوي اليه كل منهزم وإذا انكسر القلب تمزق الجناحان ومثال ذلك أن الطائر اذا انكسر أحد جناحيه ترجى عودته ولو بعد حين واذا انكسر الرأس ذهب الجناحان وقل عسكر انكسر قلبه فأفلح أو تراجع اللهم الا أن تكون مكيدة من صاحب الجيش فيخلي القلب قصدا وتعمدا حتى اذا توسط العدو واشتغل بنهبه انطبق الجناحان فقد فعل ذلك رجال من اهل الحروب ويقال حبب الى عدوك الفرار بان لا تتبعهم اذا انهزموا ويقال الشجاع محبب حتى الى عدوه والجبان مبغض حتى الى أمه . ولما أقبل كسرى بن هرمز الى محاربة بهرام قال له صاحبه أما تستعد قال عدتي ثبات قلبي واصابة رأيي ونصل سيفي ونصرة خالقي . وخرج يزيد بن عبد الملك من بعض مقاصيره وعليه ادرع وذلك في أيام قتال يزيد بن المهلب فأنشده مسلمة قول الحطيئة

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم ... دون النساء ولو باتت بأطهار

فقال يزيد انما ذاك اذا حاربنا أكفاءنا وأماثل هذا ونظرائه فلا فقام اليه مسلمة فقبله بين عينيه وقيل لما مات ملك الفرس أراد أن يملكوا عليهم رجلا من آل ساسان فوفد عليهم بهرام جور فقال اعمدوا إلى اسد بن جائعين فاطرحوا بينهما التاج فمن أخذه فهو الملك ففعلوا فقدم اليهما فاهويا نحوه فأخذ برأس أحدهما فأدناه من رأس الآخر ثم نطحه به فقتلهما جميعا ثم شد على التاج فأخذه ووضعه على رأسه وملكته الفرس عليهم (وقيل) لم يكن في العجم أرمى من الملك بهرام خرج يتصيد يوما وهو مردف حظية له كان يعشقها فعرضت له ظباء فقال في أي موضع تريدين أن أضع هذا

محمد بن الفضل يعقوب كاتب عيسى بن جعفر قال حدثنى أبى قال كنت أتردد إلى زينب بنت سليمان بن على بن
عبد الله بن عباس وأخدمها فتوجهت إلى خدمتها يوما فقالت اقعد حتى أحدثك حديثا كان بالامس يكتب

السهم فقالت أريد أن تشبه ذكرانها بالاناث واناثها بالذكران فرمى ظبيا ذكراً بنشابة ذات شعبتين فاقتلع قرنيه ورمى ظبية بنشابتين أثبتهما فى موضع القرنين ثم سألته أن يجمع بين ظلف الظبى وأذنه بنشابة فرمى أصل الاذن ببندقة ثم أهوى الظبى برجله إلى أذنه ليحتك فرماه بنشابة فوصل أذنه بظلفه ۞ ويقال أن من أعظم المكايد فى الحرب الكمين وذلك أن الفارس لا يزال على حمية فى الدفاع وحمى الذمار حتى يلتفت فيرى وراءه بنداً منشوراً ويسمع صوت الطبل فحينئذ يكون همه خلاص نفسه وعليك بانتخاب الفرسان واختيار الابطال ولا تنس قول الشاعر

والناس الف منهم كواحد ... وواحد كالألف أن أمر عنى

بل قد جرب ذلك فوجد الواحد خيراً من عشرة آلاف وسأحكى لك من ذلك ما ترى فيه العجب فمن ذلك لما التقى المستعين بن هود مع الطاغية بن روميل النصرانى على مدينة وشقة من ثغور بلاد الاندلس وكان العسكران كالمتكافئين كل واحد منهما يقارب عشرين الف مقاتل خيل ورجل فحدثنى من حضر الوقعة من الاجناد قال لما دنا اللقاء قال الطاغية بن روميل لمن يثق بعقله وممارسته للحروب من رجاله استعلم لى من فى عسكر المسلمين من الشجعان الذين نعرفهم كما يعرفون ومن غاب منهم ومن حضر فذهب ثم رجع فقال فيهم فلان وفلان فعد سبعة رجال فقال له انظر من فى عسكرى من الرجال المعروفين بالشجاعة ومن غاب منهم فعدهم فوجدهم ثمانية رجال لا يزيدون فقام الطاغية ضاحكا مسروراً وهو يقول ما أبيضك من يوم ثم ثارت الحرب بينهم فلم تزل المضاربة بين الفريقين لم يول أحدهم دبره ولا تزحزح عن مقامه حتى فنى أكثر العسكرين ولم يفر واحد منهم قال فلما كان وقت العصر ونظروا الينا ساعة ثم حملوا علينا جملة وداخلونا مداخلة ففرقوا بيننا وصرنا شطرين وحالوا بيننا وبين اصحابنا فكان ذلك سبب وهننا وضعفنا ولم تقم الحرب إلا ساعة ونحن فى خسارة معهم فأشار مقدم العسكر على السلطان أن ينجو بنفسه وانكسر عسكر المسلمين وتفرق جمعهم وملك العدو مدينة وشقة فيعتبر ذو الحزم والبصيرة من جمع يحتوى على اربعين الف مقاتل ولم يحضره من الشجعان المعدودين الى خمسة عشر نفراً وليعتبر بضمان العلج بالظفر واستبشاره بالغنيمة لما زاد فى أبطاله رجل واحد (وحكى) سيدى أبو بكر الطرطوشى رحمة الله تعالى عليه قال سمعت أستاذنا القاضى أبا وليد يحيى قال بينما المنصور بن أبى عامر فى بعض غزواته اذ وقف على نشز من الارض مرتفع فرأى جيوش المسلمين من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله قد ملأوا السهل والجبل فالتفت الى مقدم العسكر وهو رجل يعرف بابن المصحفى فقال له كيف ترى هذا العسكر أيها الوزير قال أرى جمعا كثيراً وجيشا واسعاً كبيراً فقال له المنصور ترى هل يكون فى هذا الجيش الف مقاتل من أهل الشجاعة والنجدة والبسالة فسكت ابن المصحفى فقال له المنصور ما سكوتك أليس فى هذا الجيش الف مقاتل قال لا فتعجب المنصور ثم قال فهل فيها خمسمائة مقاتل من الابطال المعدودين قال لا قال لاختنق المنصور ثم قال فيهم مائة رجل من الابطال قال لا قال أفيهم خمسون رجلا من الابطال قال لا فسبه المنصور وأغلظ عليه وأمر به فأخرج على أسوأ حال فلما توسطوا بلاد الروم اجتمعت الروم وتصادف الجمعان فبرز علج من الروم بين الصفين شاكى السلاح وجعل يكر ويفر ويقول هل من مبارز فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج ففرح المشركون وصاحوا واضطرب المسلمون لها ثم جعل العلج يموج بين الصفين وينادى هل من مبارز اثنين لواحد فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج وجعل يكر ويحمل وينادى ويقول هل مبارز ثلاثة لواحد

فبرز

على الآماق كنت امس عند الخيزران ومن عادتى أن اجلس بازئها وفى الصدر مجلس للمهدى يجلس فيه وهو يقصدنا فى كل وقت فيجلس قليلا ثم ينهض فبينما نحن كذلك إذ دخلت علينا جارية من جواريها فقالت أعز الله السيدة بالباب امرأة ذات جمال وخلقة حسنة وليس وراء ماهى عليه من سوء الحال غاية تستأذن عليك وقد سألتها عن اسمها فامتنعت من ان تخبرنى فالتفتت الى الخيزران وقالت ماتريدين فقلت أدخلها فإنه لابد من فائدة أو ثواب فدخلت امرأة من أجمل النساء لا تتوارى بشىء فوقفت بجنب عضادة الباب ثم سلمت متضائلة ثم قالت أنا مزنة بنت مروان بن محمد الاموى فقالت الخيزران لاحياك الله ولا قربك فالحمد لله الذى ازال نعمتك وهتك سترك واذلك أتذكرين ياعدوة الله حين أتاك عجائز أهل بيتى يسألنك أن تكلمى صاحبك فى الاذن فى دفن ابراهيم بن محمد فوثبت عليهن واسمعتهن مالا اسمعن وأمرت فأخرجن على تلك الحالة فضحكت مزنة فما أنسى حسن ثغرها وعلو صوتها بالقهقهة ثم قالت يابنت العم أى شىء أعجبك من حسن صنيع الله فى

على العقوق حتى أردت ان تتأسى بى فيه والله انى فعلت بنسائك ما فعلت فاسلمنى الله لك ذليلة جائعة عريانة وكان ذلك مقدار
شكرك لله تعالى على ما أولاك بى ثم قالت السلام عليكم ثم ولت مسرعة فصاحت بها الخيزران
فرجعت قالت زينب
فنهضت اليها الخيزران
لتعانقها فقالت ليس فى
ذلك موضع مع الحال
التى أنا عليها فقالت
الخيزران لها فالحمام اذا
وأمرت جماعة من
جواريها بالدخول معها
إلى الحمام فدخلت وطلبت
ماشطة ترمى ما على وجهها
من الشعر فلما خرجت من
الحمام وافتها الخلع والطيب
فأخذت من الثياب ما
أرادت ثم تطيبت ثم
خرجت الينا فعانقتها
الخيزران واجلستها فى
الموضع الذى يجلس فيه
أمير المؤمنين المهدى ثم
قالت لها الخيزران هل
لك فى الطعام فقالت
والله ما فيكن أحوج منى
اليه فعجلوه فأتى بالمائدة
فجعلت تأكل غير محتشمة
إلى أن اكتفت ثم غسلنا
أيدينا فقالت لها الخيزران
من وراءك مما تعتنين به
قالت ما خارج هذه الدار
من بينى وبينه نسب
فقالت إذا كان الأمر
هكذا فقومى حتى تختارى
لنفسك مقصورة من
مقاصيرنا وتحولى لها
جميع ما تحتاجين اليه ثم
لا نفترق إلى الموت فقامت
ودارت بها فى المقاصير فاختارت أوسعها وأنزهها ولم تبرح حتى حولت اليها جميع ما تحتاج اليه من الفرش والكسوة قالت
زينب ثم تركناها وخرجنا عنها فقالت الخيزران هذه المرأة قد كانت فيما كانت فيه وقد مسها الضر وليس يغسل ما فى قلبها إلا المال

فبرز اليه رجل من المسلمين فقتله العلج فصاح المشركون وذل المسلمون وكادت أن تكون كسرة فقيل
للمنصور ما لها إلا ابن المضجعى فبعث اليه فحضر فقال له المنصور ألا ترى ما صنع هذا العلج الكلب
منذ اليوم فقال لقد رأيته فما الذى تريد قال أن تكفى المسلمين شره قال الآن يكفى المسلمون شره إن
شاء الله تعالى ثم قصد إلى رجال يعرفهم فاستقبله رجل من أهل الثغور على فرس فنهرت أوراكها
هزالا وهو حامل قربة ماء بين يديه على الفرس والرجل فى حليته ونفسه غير متصنع فقال له ابن
المضجعى ألا ترى ما يصنع هذا العلج منذ اليوم قال قد رأيته فما الذى تريد أن تكفى المسلمين
شره قال حبا وكرامة ثم انه وضع القربة بالارض وبرز اليه غير مكترث به فتجاولا ساعة فلم ير الناس
الا المسلم خارجا اليهم يركض ولا يدرون ما هناك وإذا برأس العلج يلعب بها فى يده ثم ألقى الرأس
بين يدى المنصور فقال له ابن المضجعى عن هؤلاء الرجال أخبرتك قال فرد ابن المضجعى إلى
منزلته وأكرمه ونصر الله جيوش المسلمين وعساكر الموحدين (حكى) أنه كان للعرب
فارس يقال له ابن فتحون وكان أشجع العرب والعجم فى زمانه وكان المستعين يكرمه
ويعظمه ويجرى له فى كل عطية خمسمائة دينار وكانت جيوش الكفار تهابه وتعرف منه
الشجاعة وتخشى لقاءه فيحكى أن للرومى كان إذا سقى فرسه ولم يشرب يقول له ويلك لم لا تشرب
هل رأيت ابن فتحون فى الماء فحسده نظراؤه على كثرة العطاء إلى بلاد الروم فتقابل المسلمون
عند المستعين فابعده ومعه من عطائه ثم ان المستعين أنشأ غزوة الى بلاد الروم فتقابل المسلمون
والمشركون صفوفا ثم برز علج إلى وسط الميدان ونادى وقال هل من مبارز فبرز اليه فارس
من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله الرومى فصاح المشركون سرورا وانكسرت نفوس المسلمين
وجعل الكلب الرومى يجول بين الصفين وينادى هل من إثنين لواحد فخرج اليه فارس من
المسلمين فقتله الرومى فصاح الكفار سرورا وانكسرت نفوس المسلمين وجعل الكلب يجول بين
الصفين وينادى ويقول ثلاثة لواحد فلم يجترىء أحد من المسلمين أن يخرج اليه وبقى الناس فى
حيرة فقيل للسلطان ما لها إلا أبو الوليد بن فتحون فدعاه وتلطف به وقال له يا أبا الوليد أما ترى ما يصنع
هذا العلج فقال ها هو بعينى قال فما الحيلة فيه قال الساعة أكفى المسلمين شره فلبس قميص كتان
واستوى على سرج فرسه بلا سلاح وأخذ بيده سوطا طويلا وفى طرفه عقدة معقودة ثم برز اليه
فتعجب منه النصرانى ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فلم تخط طعنة النصرانى سرج ابن فتحون
وإذا ابن فتحون متعلق برقبة للفرس ونزل إلى الأرض لا شىء منه فى السرج ثم انقلب فى سرجه
وحمل على العلج وضربه بالسوط فالتوى على عنقه فجذبه بيده من السرج فاقتلعه وجاء به يجره حتى
ألقاه بين يدى المستعين فعلم المستعين أنه كان قد أخطأ فى صنعه مع أبى الوليد بن فتحون فاعتذر اليه
وأكرمه وأحسن اليه وبالغ فى الأنعام عليه ورده إلى أحسن أحواله وكان من أعز الناس اليه وينبغى
لقائد الجيش أن يخفى العلامة التى هو مشهور بها فإن عدوه قد يستعلم حيلته وألوان خيله ورايته ولا يلزم
خيمته ليلا ولا نهارا وليبدل زيه ويغير خيمته كى لا يلتمس عدوه غرة منه وإذا سكن الحرب فلا يمشى
فى النفر اليسير من قومه خارج عسكره فإن عيون عدوه متجسسة عليه وبهذا الوجه كسر المسلمون
جيوش أفريقية عند فتحها وذلك أن الحرب سكنت وسط النهار فجعل مقدم العدو يمشى خارج عسكره
يتميز عساكر المسلمين فجاء الخبر إلى عبد الله بن أبى السرح وهو نائم فى قبته فخرج فيمن وثق به من

فأوصلوا اليها خمسمائة ألف درهم فحملت اليها وفي أثناء ذلك وافي المهدى فسألنا عن الخبر فحدثته الخيزران حديثها وما لقيتها به فوثب مغضبا وقال للخيزران هذا

مقدار شكر الله على أنعمه وقد أمكنك من هذه المرأة مع الحالة التي هي عليها فوالله لولا محلك بقلبي لحلفت أن لا أكلمك أبدا فقالت الخيزران يا أمير المؤمنين قد اعتذرت اليها ضيعت وفعلت معها كذا وكذا فلما علم المهدى بذلك قال لخادم كان معه احمل اليها مائة بدرة وادخل اليها وأبلغها منى السلام وقل لها والله ما سررت في عمرى كسرورى اليوم وقد وجب على أمير المؤمنين اكرامك ولولا احتشامك لحضر اليك مسلما عليك وقاضيا لحقك فمضى الخادم بالمال والرسالة وأقبلت على الفور فسلمت على المهدى بالخلافة وشكرت صنعه وبالغت في الثناء على الخيزران عنده وقالت ما على أمير المؤمنين حشمة أنا في عدد حرمه ثم قامت إلى منزلها فجعلتها عند الخيزران وهي تتصرف في المنازل والجوارى كتصرف الخيزران فأرخها عندك إنها من أحسن النوادر

رجاله وحمل على العدو فقتل الملك وكان الفتح وبمثل هذا قهر الب أرسلان ملك الروم وقمعه وقتل رجاله وأباد جمعه وكانت الروم قد جمعت جيوشا يقل أن يجمع لغيرهم مثلها وكان قد بلغ عددهم ستمائة ألف مقاتل كتائب متواصلة وعساكر مترادفة وكراديس يتلو بعضها لا يدركهم الطرف ولا يحصيهم العدد وقد استمدوا من الكراع والسلاح والمجانيق والآلات المعدة للحروب وفتح الحصون بما لا يحصى وكانوا قد قسموا بلاد المسلمين الشام والعراق ومصر وخراسان وديار بكر ولم يشكوا أن الدولة قد دارت لهم وأن نجوم السعود قد خدمتهم ثم استقبلوا بلاد المسلمين فتواترت أخبارهم إلى بلاد المسلمين واضطربت لها ممالك أهل الاسلام فاحتشد للقائهم الملك الب أرسلان وهو الذى يسمى الملك العادل وجمع جموعه بمدينة أصبهان واستعد بما قدر عليه ثم خرج يؤمهم فلم يزل العسكران يتدانيان إلى أن عادت طلائع المسلمين إلى المسلمين وقالوا لالب أرسلان غدا يتراءى الجمعان فبات المسلمون ليلة الجمعة والروم في عدد لا يحصيهم الا الله الذى خلقهم وما المسلمون فيهم الا أكلة جائع فبقى المسلمين وجلين لما دهمهم فلما أصبحوا صباح يوم الجمعة نظر بعضهم إلى بعض فهال المسلمين ما رأوا من كثرة العدو فامر الب أرسلان أن يعد المسلمون فبلغوا اثنى عشر ألفا فكانوا كالشامة البيضاء في الثور الاسود فجمع ذوى الرأى من أهل الحرب والتدبير والشفقة على المسلمين والنظر في العواقب واستشارهم في استخلاص أصوب الرأى فتشاوروا برهة ثم اجتمع رأيهم على اللقاء فتوادع القوم وتحاللوا وناصحوا الاسلام وأهله وتأهبوا أهبة اللقاء وقالوا لالب أرسلان بسم الله نحمل عليهم فقال لالب أرسلان يا معشر أهل الاسلام أمهلوا فان هذا يوم الجمعة والمسلمين يخطبون على المنابر ويدعون لنا في شرق البلاد وغربها فاذا زالت الشمس وعلمنا المسلمين قد صلوا ودعوا الله أن ينصر دينه حملنا عليهم أدراك وكان ألب أرسلان قد عرف خيمة ملك الروم وعلامته وزيه وزينته وفرسه ثم قال لرجاله لا يتخلف أحد منكم أو يفعل كفعلى ويتبع أثرى ويضرب بسيفه ويرمى سهمه حيث أضرب بسيفي وأرمي بسهمي ثم حمل برجاله حملة رجل واحد إلى خيمة ملك الروم فقتلوا من كان دونها ووصلوا إلى الملك فقتلوا من كان دونه وجعلوا ينادون بلسان الروم قتل الملك فسمعت الروم أن ملكهم قد قتل فتبددوا وتمزقوا كل ممزق وعمل السيف فيهم أياما وأخذ المسلمون أموالهم وغنائمهم وأتوا بالملك أسيرا بين يدى ألب أرسلان والحبل في عنقه فقال له ألب أرسلان ماذا كنت تصنع بى لو أسرتنى قال وهل تشك أنى كنت أقتلك فقال له ألب أرسلان أنت أقل في عينى من أن أقتلك اذهبوا به فبيعوه لمن يزيد فيه فكان يقاد والحبل في عنقه وينادى عليه من يشترى ملك الروم وما زالوا كذلك مطوفون به على الخيام ومنازل المسلمين وينادوا عليه بالدراهم والفلوس فلم يدفع فيه أحد شيئا حتى باعوه من إنسان بكلب فأخذه الذى ينادى عليه وأخذ الكلب وأتى بهما إلى ألب أرسلان وقال قد طفت به جميع العسكر وناديت عليه فلم يبذل أحد فيه شيئا سوى رجل واحد دفع فيه هذا الكلب فقال قد أنصفت أن الكلب خير منه ثم أمر ألب أرسلان بعد ذلك باطلاقه وذهب إلى القسطنطينية فعزلته الروم وكحلوه بالنار * فانظر ماذا يأتى على الملوك إذا عرفوا في الحرب من الحيلة والمكيدة اللهم انصر جيوش المسلمين وعساكر الموحدين وأهلك الكفرة والمشركين وانصر المسلمين نصرا عزيزا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .

(وروى) عن عبد الرحمن بن عمر الفهرى عن رجال سماهم أمر المأمون أن يحمل اليه عشرة من أهل البصرة كانوا قد رموا بالزندقة فحملوا فرآهم أحد الطفيلية قد اجتمعوا بالساحل فقال ما اجتمع هؤلاء الا لوليمة فدخل معهم ومضى بهم الموكلون إلى البحر وأطلعوهم في زورق قد أعد لهم فقال الطفيلي لا شك أنها نزهة فنسعد

(الباب الحادي والأربعون في ذكر أسماء الشجعان وذكر الأبطال وطبقاتهم وأخبارهم وذكر الحشناء وأخبارهم وذم الجبن)

(الطبقة الأولى الذين ادركوا الجاهلية والإسلام) حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه عم رسول الله ﷺ أسد الله وأسد رسوله ﷺ قتل فى غزة أحد رماه وحشى مولى جبير بن مطعم بحربة فقتله وكان فارس قريش غير مدافع وبطلها غير ممانع وعظم قتله على النبي ﷺ ونذر ان يقتل به سبعين رجلا من قريش وكبر عليه فى الصلاة سبعين تكبيرة ﻫ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه آية من آيات الله ومعجزة من معجزات رسول الله ﷺ ومؤيدا بالتأييد الالهى كاشف الكروب ومجليها ومثبت قواعد الإسلام ومرسيها وهو المتقدم على ذوى الشجاعة كلهم بلا مرية ولا خلاف روى عنه رضى الله عنه أنه قال والذى نفس ابن ابى طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون على من موتة على فراش وقال بعض العرب ما لقينا كتيبة فيها على بن أبى طالب رضى الله عنه إلا أوصى بعضنا على بعض وقال رضى الله عنه لمعاوية قد دعوت الناس إلى الحرب فدع الناس جانبا واخرج إلى ليعلم أينا المران على قلبه والمغطى على بصره وأنا أبو الحسن قاتل جدك وخالك وأخيك شدخا يوم بدر وذلك السيف معى وبذلك القلب ألقى عدوى وقيل له كرم الله وجهه اذا جالت الخيل فأين نطلبك قال حيث تركتمونى وقيل له كيف كنت تقتل الأبطال قال لانى كنت ألقى الرجل فاقدر أنى اقتله ويقدر هو أنى قتلته فأكون أنا ونفسه عونا عليه وقال مصعب بن الزبير كان على رضى الله عنه حذرا فى الحروب شديد الروغان لا يكاد احد يتمكن منه وكانت درعه صدرا لا ظهر لها فقيل له أما تخاف أن تؤتى من قبل ظهرك فقال اذا مكنت عدوى من ظهرى بلا أبقى الله عليه أن أبقى على قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادى لعنه الله تعالى عليه غدره وهو فى صلاة الصبح وسبب ذلك ان عبد الرحمن بن ملحم لعنه الله تروج بقطاع بيت علقمة وكانت خارجية فقالت له لا أقنع الا بصداق اسميه وهو ثلاثة آلاف درهم وعبد وامه وان تقتل على بن أبى طالب فقال لها لك ما سألت الا على بن أبى طالب وكيف لى به قالت تغتاله فان سلمت أرحت الناس من شره وأقمت مع أهلك وان أصبت دخلت الجنة فقال

ثلاث آلاف وعبد وقينة ... وضرب على بالحسام المخذم

فلا مهر أعلى من على وان علا ... ولا فتك إلا دون فتك بن ملجم

قيل انه طعنه وهو داخل المسجد فى الغلس وذلك فى تاسع عشر رمضان المعظم سنة أربعين كفن رضى الله عنه فى ثلاثة اثواب ودفن فى الرحبة مما يلى باب كندة من أبواب المسجد قالوا ولما ضربه ابن ملجم لعنه الله ثار الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضى الله عنهم فاحتضنوه وقام المغيرة بن نوفل ابن الحارث بن عبد المطلب فأخذه فأوما على رضى الله عنه إلى المغيرة ان صل بالناس فصلى بهم الفجر وأقبلت همدان فدخل على على فقالوا يا أمير المؤمنين لا تقوم لهم قائمة ان شاء الله تعالى فقال لا تفعلوا انما النفس بالنفس قال ثم ان الحسين رضى الله عنه صلى الفجر وصعد المنبر فأراد الكلام فخنقته العبرة ثم نطق فقال الحمد لله على ما احببنا وكرهنا وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وانى احتسب عند الله عز وجل مصابى بأفضل الآباء رسول الله القائل ﷺ من أصيب بمصيبة فليتسل بمصيبة فى فانها أعظم المصائب والله الذى لا إله

منهم فى الزورق فلم يكن بأسرع من أن قيدوا وقيد الطفيلى معهم فعلم أنه قد وقع ورام الخلاص فلم يقدر وساروا بهم إلى أن دخلوا بغداد وحلوا حتى دخلوا على المأمون فلما مثلوا بين يديه أمر بضرب اعناقهم فاستدعوهم بأسمائهم حتى لم يبق إلا الطفيلى وهو خارج عن العدة فقال لهم المأمون من هذا قالوا والله ما ندرى يا أمير المؤمنين غير أنا وجدناه مع القوم فجئنا به فقال له المأمون ما قصتك قال يا أمير المؤمنين امرأتى طالق ان كنت أعرف من أقوالهم شيئا ولا أعرف غير لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم انما رأيتهم مجتمعين فظننت انهم يدعون إلى وليمة فالتحقت بهم قال فضحك المأمون ثم قال بلغ من شؤم التطفل ان احل صاحبه هذا المحل لقد سلم هذا الجاهل من الموت ولكن يؤدب حتى يتوب قال ابراهيم ابن المهدى هبه لى واجدك بحديث عن نفسى فى التطفل عجيب قال المأمون قد وهبته لك هات حديثك قال يا أمير المؤمنين خرجت يوما متنكرا التنزه فانتهى بى المشى إلى موضع شممت منه روائح طعام وأبازير قد فاحت فتاقت نفسى اليها ووقفت يا أمير المؤمنين لا أقدر على المضى فرفعت بصرى وإذا بشباك ومن خلفه كنف ومعصم ما رأيت أحسن منهما فوقفت حائراً ونسيت روائح الطعام بذلك الكتف والمعصم واخذت فى أعمال الحيلة فاذا خياط من ذلك الموضع فتقدمت إليه وسلمت عليه فرد على السلام فقلت لمن هذه الدار قال

لرجل من التجار قلت ما اسمه قال فلان بن فلان فقلت هو ممن يشرب الخمر قال نعم وأحسب اليوم أن عنده دعوة وليس ينادم إلا للتجار فبينما نحن فى الكلام إذا أقبل رجلان نبيلان راكبان فأعلمنى أنهما أخص الناس بصحبته واعلمنى باسميهما فحركت دابتى فلقيتهما وقلت جعلت فداكما قد استبطأكما أبو فلان وسايرتهما حتى أتيا الباب فدخلت ودخلا فلما رآنى صاحب الدار معهما لم يشك انى منهما فرحب بى واجلسنى فى أفضل المواضع ثم جىء بالمائدة فقلت فى نفسى هذه الألوان قد من الله على ببلوغ الغرض منها بقى الكف والمعصم ثم نقلنا الى مجلس المنادمة فرأيت مجلسا محفوفا باللطائف وجعل صاحب المجلس يتلطف بى ويقبل على فى الحديث لظنه انى ضيف لاضيافه وهم على مثل ذلك حتى شربنا اقداحا اذ خرجت علينا جارية كأنها غصن بان فى غاية الظرف وحسن الهيئة فسلمت غير خجلة واتى بعود فأخذته وجسته فاذا هى حاذقة واندفعت تقول

أليس عجيبا أن بيتا يضمنى ... وإياك لا نخلو ولا نتكلم
سوى أعين تبدى سرائر أنفس ... وتقطيع انفاس على النار تضرم
اشارة أفواه وغمز حواجب ... وتكسير أجفان وكف يسلم

فهيجت يا أمير المؤمنين بلابلى فطربت لحذقها وحسن شعرها الذى غنت به لحسدتها وقلت قد بقى عليك ياجاريه شىء فرمت العود وقالت متى كنتم تحضرون البغضاء

صراع

الأهوال الذى أنزل على عبده الفرقان لقد قبض فى هذه الليلة رجل ما سبقه الأولون بعد رسول الله ﷺ ولا يدركه الآخرون فعند الله نحتسب ما دخل علينا وعلى جميع أمة محمد ﷺ فو الله لا أقول اليوم إلا حقا لقد دخلت مصيبة اليوم على جميع العباد والبلاد والشجر والدواب ولقد قبض فى الليلة التى رفع فيها عيسى بن مريم عليهما السلام إلى السماء وقبض فيها موسى ابن عمران ويوشع بن نون عليهما السلام وأنزل فيها القرآن على محمد ﷺ ولقد كان رسول الله ﷺ يبعثه فى السرية ويسير جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فما يرجع حتى يفتح الله عز وجل على يديه وماترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم أراد أن يبتاع بها خادما لأهله ألا أن أمور الله تعالى تجرى على أحوالها فما احسنها من الله وأسوأها من أنفسكم ألا أن قريشا أعطت أزمتها شياطينها فقادتها بأعنتها إلى النار فمنهم من قاتل رسول الله ﷺ حتى أظهره الله تعالى عليه ومنهم من أسر الضغينة حتى وجد عن النفاق أعوانا رفع الكتاب وجف القلم وأمور تقضى فى كتاب قد خلا ثم أطرق الحسن فبكى الناس بكاء شديدا ثم نزل فجرد سيفه ودعا بابن ملجم فأقبل يخطر واضعا شعره على أذنيه حتى قام بين يديه فقال ياحسن انى ماعاهدت الله تعالى على عهد قط إلا وفيت به عاهدت الله تعالى على أن اقتل أباك وقد قتلته فان تخلنى أقتل معاوية فان انا قتلته أضع يدى على يدك وان أقتل فهو الذى تريد فقال الحسن رضى الله عنه أما والله لاسبيل الى بقائك ثم قام اليه فضربه بالسيف فاتقاه ابن ملجم بيد ثم أسرع بالسيف فيه فقتله * ومن الأبطال خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى رضى الله عنه سيف الله وسيف رسوله ﷺ بطل مذكور وفارس مشهور فى الجاهلية والإسلام قتل مالك بن نويرة وقتل مسيلمة الكذاب لعنه الله وكان الفتح لخالد يوم اليمامة وهو الذى فتح دمشق وأكثر بلاد الشام وله وقائع عظيمة فى الروم أيد الله بها الإسلام مات على فراشه وكان يقول لقد شهدت كذا وكذا ازحفا ومافى جسدى موضع شبر إلا وفيه أثر طعنة أو ضربة أو رمية وها أنا أموت على فراشى لانامت عين الجبان وكان ينشد ويرتجز ويقول :

لاترعبونا بالسيوف المبرقه ... ان السهام بالردى مفرقه
والحرب دونها العقال مطلقه ... وخالد من دينه على ثقه

رضى الله عنه * الزبير بن العوام رضى الله عنه حوارى رسول الله ﷺ وابن عمته بطل شجاع لايمارى وشهم لايحاول قتله عمرو بن جرموز اغتاله وهو فى الصلاة * عمرو بن معديكرب الزبيدى فارس من فرسان الجاهلية وله مواقف مذكورة ومواطن مشهورة واسلم ثم ارتد ثم عاد إلى الإسلام وشهد حروب الترس وكان له فيها افعال عظيمة واحوال جسيمة وكان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا رآه قال الحمد لله الذى خلقنا وخلق عمرا روى عنه رضى الله عنه انه سأله يوما فقال له يا عمرو أى السلاح أفضل فى الحرب قال فعن أيها تسأل قال ما تقول فى السهام قال منها ما يخطىء ويصيب قال فما تقول فى الرمح قال اخوك وربما خانك قال فما تقول فى الترس قال هو الدائر وعليه تدور الدوائر قال فما تقول فى السيف قال ذلك العدة عند الشدة وقيل انه نزل يوم القادسية على النهر فقال لأصحابه انى عابر على هذا الجسر قال أسرعتم مقدار جزر الجزور وجدتمونى وسيفى بيدى أقاتل به تلقاء وجهى وقد عرفنى القوم وأنا قائم بينهم وان بطأتم وجدتمونى قتيلا بينهم ثم انغمس فحمل على القوم فقال بعضهم لبعض يا بنى زبيد علام تدعون صاحبكم والله ما نظن انكم تدركونه حيا فحملوا فانتهوا اليه وقد

صرع على فرسه وقدأخذ برجل فرس رجل من العجم فأمسكها والفارس يضرب فرسه فلم تقدرأن تتحرك فلما رآنا أدركناه رمى الرجل نفسه وخلى فرسه فركبه عمرو وقال أنا ابو ثور كدتم والله تفقدونى فقالوا أين فرسك فقال رمى بنشابة فخار وشب فصرعنى ويروى أنه حمل يوم القادسية على رستم وهو الذى كان قدمه يزدجرد ملك الفرس يوم القادسية على قتال المسلمين فاستقبله عمرو وكان رستم على فيل فضرب عمرو الفيل فاطع عرقوبه فسقط رستم وسقط الفيل عليه مع خرج كان فيه أربعون الف دينار فقتل رستم وانهزمت العجم وقتل عمرو بنهاوند فى وقعة الفرس بعدأن عمرحتى ضعف وكان من الشعراء المعدودين وفيه يقول العباس بن مرداس

إذا مات عمرو قلت للخيل أوطىء زبيدا فقد أودى بنجدتها عمرو

. طلحة الأسدى رضى الله عنه كان من أكبر الشجعان جاهلية واسلاما ثم ارتد وتنبأ وجمع جمعا عظيما ففل خالد بن الوليد جمعه وكان يتسكن ثم عاد الى الاسلام وشهد حرب القادسية وغيرها من الفتوح . المقداد بن الأسود رضى الله عنه كان من أشجع الفرسان شديد البأس قوى الجنان رابط الجأش وله فى الشجعان اسم مشهور ووصف مذكور يعجز الواصف عن وصف صفاته رضى الله عنه وأرضاه . سعد بن ابي وقاص الزهرى الانصارى رضى الله عنه كان فارسا بطلا راميا وهو اول من رمى فى سبيل الله بسهم ولما قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه اعتزل ولم يشهد الحرب بعده ومات حتف انفه . ابو دجانة الانصارى رضى الله عنه الذى خرج يتبختر بين الصفين فقال عليه الصلاة والسلام انها لمشية يبغضها الله تعالى إلا فى هذا الموضع . المثنى بن حارثة الشيبانى رضى الله عنه هو أول من فتح حرب الفرس . أبو عبيد بن مسعود الثقفى رضى الله عنه قاتل القوم يوم قس الناطف فى حرب القادسية . عمار بن ياسر رضى الله عنه صاحب رسول الله ﷺ الذى قال فيه رسول الله ﷺ الحق يدور مع عمار حيث دار وأخبر أنه تقتله الفئة الباغية فقتل بصفين مع على رضى الله عنه . هاشم ابن عتبة رضى الله عنه من أكابر الشجعان صاحب راية على رضى عنه بصفين . مالك بن الحرث النخعى الأشتر رضى الله عنه مات مسموما فى شربة من عسل فقال معاوية ان لله جنودا منها العسل والقعقاع بن عمرو طاعن الفيل فى عشية القادسية رضى الله عنه

(الطبقة الثانية) عبد الله بن الزبير بن العوام رضى الله عنه قاتل جرجير ملك افريقية الذى كان يرى أنه اشجع أهل عصره قال عمر بن عبد العزيز لابن أبى مليكة صف لى عبد الله بن الزبير فقال والله مارأيت جلدا قط ركب على لحم ولا لحما على عصب ولا عصبا على عظم مثل جلده ولحمه وعصبه ولارأيت نفسا بين جنبين مثل نفس ركبت بين جنبيه ولقد قام يوما إلى الصلاة فمر حجر من حجارة المنجنيق بين لحيته وصدره فوالله ماخشع له بصره ولاقطع له قراءته ولاركع دون الركوع الذى كان يركع قتله الحجاج بعد أن حوصر بمكة وسلمه أصحابه وعشيرته وصلبه الحجاج ألا إلى الله تصير الأمور . أبو هاشم محمد بن على بن أبى طالب بن الحنيفة رضى الله عنه كان أبوه يلقيه فى الوقائع ويتقى به العظائم وهو شديد البأس ثابت الجنان قيل له يوما ما بال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه يقحمك الحروب دون الحسن والحسين رضى الله عنهما فقال لأنهما كانا عينيه وكنت أنا يديه فكان يتقى عينيه بيديه وقيل أن اباه على رضى الله عنه اشترى درعا فاستطالها فأراد ان يقطع منها فقال له محمد ياأبت علم موضع القطع فعلم على موضع منها فقبض محمد بيده اليمنى على ذيلها وبالأخرى

فى مجالسكم فندمت على ما كان منى ورأيت القوم قد أنكروا على ذلك فقيت فى نفسى فانى جملع ماأملت قلت ثم اعود قالوا نعم فأحضروا عود فأصلحت ماأردت فيه ثم اندفعت فغنيت

هذا محبك مطوى على كمده صب مدامعه تجرى على جسده
له يد تسأل الرحمن راحته مما به ويد أخرى على كبده
يامن رأى كلفا مستبعدا دنفا كانت منيته فى عينه ويده

فوثبت الجارية فأكبت على رجلى تقبلها وقالت المعذرة اليك ياسيدى والله ماعلمت بمكانك ولا سمعت بمثل هذه الصناعة ثم اخذ القوم فى اكرامى وتبجيلى بعد ماطربوا غاية الطرب وسألنى كل منهم الغناء فغنيت لهم نوبات مطربة فغلب القوم السكر وغابت عقولهم فخلوا إلى منازلهم وبقى صاحب المنزل فشرب معى اقداحا ثم قال ياسيدى ذهب مامضى من عمرى مجانا إذ لم أعرف مثلك فبالله يامولاى من انت لا أعرف نديمى الذى من على به فى هذه الليلة فأخذت أدارى وهو يقسم على فاعلمته فوثب قائما وقال قد عجبت أن يكون هذا الفضل إلا لمثلك ولقد أسدى إلى الزمان يدا لاأقوم بشكرها . ومتى طمعت أن تزورنى الخلافة فى منزلى وتنادمنى ليلتى وماهذا الا فى المنام فاقسمت عليه أن يجلس فجلس واخذ يسألنى عن السبب فى حضورى عنده بألطف معنى فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها وماسترت منها شيئا ثم قلت أما الطعام فقد نلت منه بغيتى

فقال والكف والمعصم ان شاء الله ثم قال يافلانة قولى لفلانة تنزل ثم جعل يستدعى واحدة بعد واحدة يعرضها على وأنا
لأرى صاحبتى إلى أن قال والله مابقى إلا أمى وأختى ووالله لتنزلان فعجبت من كرمه وسعة صدره

فقلت جعلت فداءك تبدأ
بالأخت قال حبا وكرامة
ثم نزلت اخته فارانى
يدها فاذاهى التى رأيتها
فقالت هذه الحاجة فأمر
غلمانه لوقته فأحضروا
الشهود وأحضروا بدرتين
فلما حضر الشهود قال
لهم هذا سيدى ابراهيم
ابن المهدى يخطب أختى
فلانه وأشهدكم انى قد
زوجتها له وامهرتها
عنه عشرين الف درهم
فقلت قبلت ذلك ورضيت
فشهدوا علينا فدفع
البدرة الواحدة إلى اخته
والأخرى فرقها على
الشهود ثم قال ياسيدى
امهد لك بعض البيوت
فتنام مع أهلك فأحشمنى
ما رأيت من كرمه
وندمت ان أخلو بها
فى داره ثم قلت بل أحضر
عمارتى وأحملها إلى منزلى
فقال افعل ماشئت
فأحضرت عمارتى وحملتها
إلى منزلى فوحقك ياأمير
المؤمنين لقد حمل إلى من
الجهاز ماضاقت عنه بيوتى
على سعتها وأولدتها هذا
الغلام القائم بين يدى
أمير المؤمنين فعجب
المأمون من كرم هذا
الرجل وقال الله دره
ماسمعت قط بمثلها وأمر
إبراهيم باحضار الرجل
لمشاهده فأحضره بين يديه فاستنطقه فأعجبه وصيره
من جملة خواصه ومحاضريه (ومن غريب المنقول) ان فتى من ذوى النعم قعد به زمانه وكانت له جارية حسناء محسنة فى الغناء

على موضع العلامة ثم جذبها فقطعها من الموضع الذى أخذه أبوه وكان عبد الله بن الزبير مع تقدمه
فى الشجاعة يحسده على قوته واذ حدث بها الحديث غضب مات حتف انفه بشعب رضوى ❊
عبد الله بن حازم السلمى رضى الله عنه والى خراسان شجيع مصر وفارسها فى عصره قتله وكيع بن
أبى سويد بخراسان فى الفتنة ❊ وكيع بن أبى سويد قاتل عبد الله بن حازم المتقدم ذكره شجاع
فاتك أهوج ولى خراسان قيل لما قتل عبد الله بن حازم ولم يتم أمره لهوجه مات حتف أنفه ❊
مصعب بن الزبير بن العوام شجاع بطل جواد جاد بماله وبنفسه قتله عبد الله بن زياد فى الحروب
التى كانت فى بينه وبين عبد الملك بن مروان ❊ عمير بن الحباب السلمى فارس الاسلام قتله بنو تغلب
فى الحرب التى كانت بينهم وبين قيس ❊ مسلمة بن عبد الملك بن مروان فحل بنى أمية وفارسها
ووالى حروبها قيل انه جلس يوما ليقضى بين الناس بمصر فكلمته امرأة فما يقبل عليها فقالت
مارأيت أقل حياء من هذا قط فكشف عن ساقه فاذا فيها أثر تسع طعنات فقال لها هل ترين
اثر هذا الطعن والله لو أخرت رجلى قيد شبر ماأصابتنى واحدة منهن وما يعنى من تأخيرها الا
الحياء وأنت تنحلينى قلته ❊ المعتصم بطل شجاع فارس صنديد لم يكن فى بنى العباس أشجع منه ولا
أشد قلبا قال ابن أبى داود كان المعتصم يقول لى ياأبا عبد الله عض على ساعدى بأكثر قوتك
فأقول والله ياأمير المؤمنين ماتطيب نفسى بذلك فيقول انه لا يضرنى فأروم ذلك فاذا هو لاتعمل
فيه الأسنة فكيف تعمل فيه الاسنان ويقال انه طعنه بعض الخوارج وعليه درع فأقام المعتصم
ظهره فقصم الرمح نصفين وكان يشد يده على كتابة الدينار فيمحوها ويأخذ عمود الحديد فيلويه
حتى يصير طوقا فى العنق ❊ إبراهيم بن الاشتر النخعى كان من الشجعان المعدودين حارب عبيد
الله بن زياد وهو فى اربعة آلاف وعبد الله فى سبعين الفا فكسر وقتله بيده وهزم به جيشه ❊
عبد الله بن الحر الجعفى شجاع شاعر فاتك له وقائع عظيمة هائلة وأخباره فى الشجاعة مشهورة
❊ جحدر بن ربيعة العكلى كان بطلا شجاعا فاتكا مغيرا شاعرا اقهر أهل اليمامة وأبادهم فبلغ ذلك الحجاج
ابن يوسف فكتب إلى عامله يوبخه بتغلب جحدر عليه ويأمره بالتجرد له حتى يقتله أو يحمله اليه أسيرا
فوجه العامل اليه فتية من بنى حنظلة وجعل لهم جعلا عظيما ان هم قتلوا جحدرا وأتوا به أسيرا فتوجه
الفتية فى طلبه حتى إذا كانوا قريبا منه أرسلوا يقولون له انهم يريدون الانقطاع اليه والارتفاق به فوثق
بذلك منهم وسكن إلى قولهم فبينما هو معهم يوما إذا وثبوا عليه فشدوه وثاقا وقدموا به على العامل فوجه
به إلى الحجاج معهم فلما قدموا به عليه ومثل بين يديه قال له أنت جحدر قال نعم اصلح الله الامير
قال ماجرأك على ما بلغنى عنك قال أصلح الله الامير كلب الزمان وجفوة السلطان وجراءة الجنان قال
وما بلغ من امرك قال لو ابتلانى الامير وجعلنى من الفرسان لرأى منى ما يعجبه قال فتعجب الحجاج
من ثبات عقله ومنطقه ثم قال ياجحدر انى قاذف بك فى حاجر فيه أسد عظيم فان قتلك كفانا مؤنتك
وان قتلته عفونا عنك قال اصلح الله الامير قرب الفرج ان شاء الله تعالى فامر به فصفد بالحديد ثم
كتب إلى عامله ان يرد له أسدا ويحمله اليه فتحيل العامل وارتاد له اسدا كان كاسرا خبيثا قد أفنى
عامة المواشى فتحيلوا حتى أخذوه وصيروه فى تابوت وسحبوه على عجل فلما قدموا به على الحجاج
امر به فألقى فى الحاجر ولم يطعم شيئا ثلاثة أيام حتى جاع واستكلب ثم أمر بجحدر أن ينزلوه
اليه فأعطوه سيفا وانزلوه اليه مقيدا واشرف الحجاج والناس حوله ينظرون إلى الاسد ماهو صانع

بجحدر فلما نظر الأسد إلى جحدر نهض ووثب وتمطى وزعق زعقة دوت منها الجبال وارتاعت أهل الأرض فشد عليه جحدر وهو ينشد ويقول :

ليث وليث فى مجال ضنك * كلاهما ذو قوة وسفك * وصولة وبطشة وفتك
ان يكشف الله قناع الشك * فأنت لى فى قبضتى وملكى

ثم دنا منه وضربه بسيفه ففلق هامته فكبر الناس وأعجب الحجاج ذلك وقال لله درك ماأنجاك ثم أمر به فأخرج من الحاجز وفك عنه قيوده وقال له اخترما أن تقيم معنا فنكرمك ونقرب منزلتك واما أن نأذن لك فتلحق ببلادك وأهلك أن تضمن لنا أن لاتحدث بها حدثا ولا تؤذى بها أحدا قال بل اختار صحبتك أيها الأمير فجعل من سماره وخواصه ثم لايلبث أن ولاه على اليمامه وكان من أمره ماكان * المهلب بن أبى صفرة كان من الشجعان ومن الأبطال المعدوده وأولاده كلهم أنجاد أبطال إلا أن المغيرة من بينهم كان أشد تمكنا وكان المهلب يقول ماشهد معى حربا إلا رأيت البشرى فى وجهه وحمل عليه بعض الشجعان وفى يديه شجرة فلما رآها نكس رأسه على قربوس السرج وحمل من تحتها فبراها بسيفه وكان المهلب يقول أشجع الناس ثلاثة ابن الكلبية واحمر قريش وراكب البغلة فابن الكلبية مصعب بن الزبير وأحمر قريش عمر بن عبيد الله بن معمر مالقى خيلا قط إلا فرقها وراكب البغلة عباس بن الحصين ماكان قط فى كربة إلا فرجها وهو من فرسان الاسلام وكان للمهلب فى الحروب مكايد مشهورة ووقائعه أبادت الخوارج بعد أن كانوا قد استولوا على المسلمين وكان سيدا كريما مات حتف أنفه كذلك ابنه المغيرة وفيه يقول زياد الأعجم

مات المغيرة بعد طول تعرض * للقتل بين أسنة وصفائح

فمنهم أبو بلال مرداس خرج فى أربعين فهزم ألفين * وشبيب الخارجى الذى غرق فى الفرات نذرت امرأته غزالة أن تصلى فى جامع الكوفة ركعتين تقرأ فى الأولى البقرة وفى الثانية آل عمران فعبر بها جسر الفرات وأدخلها الجامع ووقف على بابه يحميها حتى وفت بنذرها والحجاج فى الكوفة فى خمسين ألفا * ومنهم قطرى بن الفجاءة كان رأس الخوارج وخاطبوه بأمير المؤمنين وعظموه وبجلوه وأشعاره فى الشجاعة تدل على مكانه منها قتل فى بعض وقائع الخوارج

﴿ الطبقة الثالثة ﴾ معن بن زائدة الشيبانى قتله الخوارج بسجستان فى أيام المهدى * بن الوليد بن طريف الشيبانى قتله يزيد بن مزيد * عمرو بن حنيف كان من الفرسان المعدودة نقل عنه انه كان يتصيد فتتبع حمار وحش ومازال يركض إلى أن حاذاه فجمع رجليه) وثب من على فرسه) وصار على ظهر حمار الوحش وصار يحز عنقه بسيف أو سكين فى يده حتى قتله * أبو دلف القاسم ابن عيسى العجلى فارس بطل شاعر نديم جامع تفرق فى غيره بطعن فارسين رديفين فانفذ الرمح من ظهريهما وحمل برمحه أربعة نفر وفيه يقول بكر النطاح

قالوا وينظم فارسين بطعنه * يوم اللقاء ولايراه جليلا
لاتعجبوا لو كان مد قناته * ميلا إذا نصب الفوارس ميلا

وسأله يوما رجل شيئا فقال له أتسأل وجدك القائل

فضاق بها الخناق واشتد بهما الحال فى عدم مايقتاتان به فقال لها قد ترين ماقد صرنا اليه من هذه الحالة السيئة ووالله لموتى وأنت معى أحسن وأهون على ماذكره لك فان رأيت أن أبيعك لمن يحسن اليك ويفضل عنك ماأنت فيه وانفرد أنا بما لعله يصير الى من الثمن ولعلك تخلصين عند من تتوصلين إلى نفعى معه فقالت والله لموتى على تلك الحالة معك آثر عندى من انتقالى الى غيرك ولو كان خليفة ولكن اصنع مابدا لك قال فخرج وعرضها للبيع فأشار عليه أحد أصدقائه ممن له رأى ان يحملها الى ابن معمر أمير العراق فحملها اليه فلما عرضت عليه استحسنها فقال لمولاها كم كان شراؤها عليك قال مائة الف درهم وقد أنفقت عليها مالا كثيرا حتى صارت فى رتبة الاستاذين قال أما ماأنفقت عليها فغير محتسب لك به لانك أنفقته فى لذاتك وأما ثمنها فقد أمرنا لك بمائة الف درهم وعشرة اسفاط من الثياب وعشرة رؤس من الرقيق أرضيت قال نعم أرضى الله الامير فأمر بالمال فأحضر وأمر قهرمانة بادخال الجارية إلى الحرام فأمسكت بجانب الستر وبكت وقالت هنيئا لك المال الذى قد أفدته ولم تبق فى كفى غير التفكر أقول لنفسى وهى فى كرباتها

أقلى فقد بان الحبيب أو اكثرى * اذا لم يكن للامر عندك موضع * لم تجدى بدا من الصبر فاصبرى

فبكى مولاها وأجاب قائلا ولو قعود الدهر بى عنك لم يكن يفرقنا شىء سوى الموت فاعذرى
أروح بهم من فراقك موجع (٢٢٦) أناجى بهقلبا قليل التصبر عليك سلامى لا زيارة بيننا
ولا قرب إلا أن يشاء ابن معمر

فقال له ابن معمر قد شئت فخذها بارك الله لك فيها وفيما وصل إليك منا فأخذها وأخذ المال والخيل والرقيق والثياب وعاد وقد حسنت حاله (ومما جنيته من ثمرات الأوراق) أن الحجاج لما ولى قتل عبدالله بن الزبير ودخل إلى عبد الملك بن مروان ومعه إبراهيم بن محمد بن طلحة فلما قدم على عبدالملك سلم عليه بالخلافة وقال قدمت عليك يا أمير المؤمنين برجل الحجاز فى الشرف والأبوة وكمال المروءة لأدب وحسن المذهب والطاعة والنصيحة مع القرابة وهو إبراهيم ابن محمد بن طلحة بن عبيد الله فافعل به ياأمير المؤمنين مايستحق أن يفعل بمثله فى أبوته وشرفه فقال عبدالملك ياأبا محمد أذكرتنا حقا واجبا ائذنوا لإبراهيم فلمادخل وسلم بالخلافة أمره بالجلوس فى صدر المجلس وقال له عبدالملك ان أبا محمد ذكرنا مالم نزل نعرفه منك من الأبوة والشرف فلا تدع حاجة

ومن يفتقر منا يعش بحسامه ومن يفتقر من سائر الناس يسأل
وأنا لنلهو بالسيوف كما لهت فتاة بعقد أو سحاب قرنفل

فخرج الرجل فجرد سيفه فلم يصادفه فى طريقه إلا وكيل لأبى دلف ومعه مال جزيل فاستلبه منه وقتله فبلغ الخبر أبا دلف فقال دعوه فانى عملته على نفسى * بكر بن النطاح بطل شجاع فارس له أشعار مشهورة وأخبار مذكورة (ومما جاء فى مدح السيف) قال رسول الله ﷺ الخير فى السيف والخير مع السيف والخير بالسيف وكان صمصام عمرو أشهر سيوف العرب وممن تمثل به نهشل فقال

أخ ماجد ماخاننى يوم مشهد كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه

ولما وهبه عمرو لخالد بن سعيد بن العاص عامل رسول الله ﷺ على اليمن قال

خليلى لم أخنه ولم يخنى إذا ماصاب أوساط العظام خليلى لم أهبه من قلاه
ولكن المواهب للكرام حبوت به كريما من قريش فسر بهوصين عن اللئام
وودعت الصفى صفى نفسى على الصمصام أضعاف السلام

ولم يزل فى آل سعيد حتى اشتراه خالد بن عبدالله القسرى بمال جزيل لهشام وكان قد كتب إليه فيه فلم يزل عند بنى مروان ثم طلبه السفاح والمنصور والمهدى فلم يجدوه فجد الهادى فى طلبه حتى ظفر به وكان مكتوبا عليه هذا البيت

ذكر على ذكر يصول بصارم ذكر يمان فى ذكر يمان فى يمين يمانى

وقال ابن الرومى

لم أر شيئا حاضرا نفعه للمرء كالدرهم والسيف
يقضى له الدرهم حاجاته والسيف يحميه من الحيف

(وقال زيد بن على رضى الله عنهما)

السيف يعرف عزمى عند هزته والرمح بى خبر والله لى وزر
أنا لنأمل ماكانت أوائلنا من قبل تأمله ان ساعد القدر

(وقال عبدالله بن طاهر)

يبيت ضجيعى السيف طورا وتارة يعض بهامات الرجال مضاربه أخو ثقة أرضاه فى الروع صاحبا
وفوق رضاه اننى أنا صاحبه وليس أخو العلياء الا فتى له بها كلف ماتستقر ركائبه

وقدم عروة بن الزبير على عبدالملك بن مروان بعد قتل أخيه عبدالمطلب فطلب منه سيف الزبير وقال له رده على فانه السيف الذى أعطاه رسول الله ﷺ له يوم حنين فقال له عبد الملك أو تعرفه قال بماذا قال أعرفه بما لا تعرف به سيف أبيك أعرفه بقول الشاعر

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

(وقال الأجدع الهمدانى)

لقد علمت نسوان همدان أننى لهن غداة الروع غير خذول
وأبذل فى الهيجاء وجهى وأننى له فى سوى الهيجاء غير بذول

(وقال آخر)

عشرون ألف فتى مامنهم أحد الا كألف فتى مقدامة بطل
راحت مزاودهم مملوءة أملا ففرغوها وأوكوها من الأجل

(ومن أخبار الشجعان ماحكاه الفضل بن يزيد) قال نزل بنو ثعلب فى بعض السنين وكنت مشغوفا بأخبار العرب أن أسمعها وأجمعها فبينما أنا أدور فى بعض أحيائهم إذا أنا بمرأة واقفة

فى خاصة أمرك وعامته الا سألتها فقال ابراهيم أما الحوائج التى تبتغى بها الزلفى وترجى بها الثواب فما كان فى
لله خالصا ولنبيه ﷺ ولكن لك ياأمير المؤمنين عندى نصيحة لاأجد بدا من ذكرى اياها قال أهى دون آل محمد قال نعم

قال ثم يا حجاج فنهض الحجاج خجلا لا يبصر أين رجله يضع ثم قال عبد الملك قل يا ابن طلحة فقال تالله يا أمير المؤمنين إنك عمدت إلى الحجاج فى ظنه وتعديه على الحق وإصغائه إلى الباطل فوليته الحرمين وفيهما من (٢٢٧) فيهما من أصحاب رسول الله ﷺ وأبناء المهاجرين والانصار يسومهم الخسف ويطاهم العسف بطعام أهل الشام ومن لا رؤية له فى إقامة الحق ولا إزاحة الباطل قال فأطرق عبد الملك ساعة ثم رفع رأسه وقال كذبت يا ابن طلحة ظن فيك الحجاج غير ما هو فيك قم فربما ظن الخير بغير أهله قال فقمت وأنا ما أبصر طريقا قال وأتبعنى حرسيا وقال اشدد يديك به قال إبراهيم فما زلت جالسا حتى دعا الحجاج فما زالا يتناجيان طويلا حتى ساء ظنى ولا أشك أنه فى أمرى ثم دعا بى فلقينى الحجاج فى الصحن خارجا فقبل بين عينى وقال أحسن الله جزاءك قال فقلت فى نفسى أنه يهزأ بى ودخلت على عبد الملك فأجلسنى مجلسى الأول ثم قال يا ابن طلحة هل أطلع على نصيحتك أحد فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ولا أوردت إلا الله ورسوله والمسلمين وأمير المؤمنين علم ذلك فقال عبد الملك قد عزلت الحجاج عن الحرمين لما كرهت لها وأعلمته أنك استقللت ذلك وسألتنى له ولاية كبيرة وقررت له أن ذلك بسؤلك ليلزمه من حقك ما لا بد له من القيام به فاخرج معه غير ذام لصحبته (ومن لطائف المنقول) عن القاضى أبى الحسين ابن عبد المحسن بن التنوخى رحمه الله تعالى أن الاسكندر لما انتهى إلى الصين ونزل على ملكها أتاه حاجبه وقد مضى من الليل شطره فقال

فى فناء خبائها وهى آخذة بيد غلام فلما رأيت مثله فى حسنه وجماله له ذؤابتان كالسبج المنظوم وهى تعاتبه بلسان رطب وكلام عذب تحن إليه الأسماع وترتاح له القلوب وأكثر ما أسمع منها أى بنى وهو يبتسم فى وجهها قد غلب عليه الحياء والخجل كأنه جارية بكر لا يرد جوابا فاستحسنت ما رأيت واستحليت ما سمعت فدنوت منه وسلمت فرد على السلام فوقفت أنظر إليهما فقالت يا حضرى ما حاجتك فقلت الاستكثار مما أسمع والاستمتاع بما أرى من هذا الغلام فقالت يا حضرى أن شئت سقت إليك من خبره ما هو أحسن من منظره فقلت قد شئت يرحمك الله فقالت حملته والرزق عسر والعيش نكد حملا خفيفا حتى مضت له تسعة أشهر وشاء الله عز وجل أن أضعه فوضعته خلقا سويا فوربك ما هو إلا أن صار ثالث أبويه حتى أفضل الله عز وجل وأعطى وأتى من الرزق بما كفى وأغنى ثم أرضعته حولين كاملين فلما استتم الرضاع نقلته من خرق المهد إلى فراش أبيه فربى كأنه شبل أسد أقيه برد الشتاء وحر الهجير حتى إذا مضت له خمس سنين أسلمته إلى المؤدب فحفظه القرآن فتلاه وعلمه الشعر فرواه ورغب فى مفاخر قومه وآبائه وأجداده فلما أن بلغ الحلم واشتد عظمه وكمل خلقه حملته على عتاق الخيل فتفرس وتمرس ولبس السلاح ومشى بين بيوتات الحى الخيلاء فأخذ فى قرى الضيف وإطعام الطعام وأنا عليه وجلة أشفق عليه من العيون أن تصيبه فاتفق أن نزلنا بمنهل من المناهل بين أحياء العرب فخرج فتيان الحى فى طلب ثارهم وشاء الله تعالى أن أصابته وعكة شغلته عن الخروج حتى إذا أمعن القوم ولم يبق فى الحى غيره ونحن آمنوا وادعون ما هو إلى أن أدبر الليل وأسفر الصباح حتى طلعت علينا غرر الجياد وطلائع العدو فما هو إلا هنيهة حتى أحرزوا الأموال دون أهلها وهو يسألنى عن الصوت وأنا أستر عنه الخبر اشفاقا عليه وضنا به حتى إذا علت الأصوات وبرزت المخدرات رمى دثاره وثار كما يثور الأسد وأمر باسراج فرسه ولبس لامة حربه وأخذ رمحه بيده ولحق حماة القوم فطعن أدناهم منه فرمى به ولحق أبعدهم منه فقتله فانصرفت وجوه الفرسان فرأوه صبيا صغيرا لا مدد وراءه فحملوا عليه فأقبل يؤم البيوت ونحن ندعوا الله عز وجل له السلامة حتى إذا مدهم وراءه وامتدوا فى أثره عطف عليهم ففرق شملهم وشتت جمعهم وقلل كثرتهم ومزقهم كل ممزق ومرق كما يمرق السهم وناداهم خلوا عن المال فوالله لا رجعت إلا به أو لاهلكن دونه فانصرفت إليه الأقران وتمايلت نحوه الفرسان وتميزت الفتيان وحملوا عليه وقد رفعوا إليه الأسنة وعطفوا عليه الأعنة فوثب عليهم وهو يهدر كما يهدر الفحل من وراء الإبل وجعل لا يحمل على ناحية إلا حطمها ولا كتيبة إلا مزقها حتى لم يبق من القوم إلا من نجا به فرسه ثم ساق المال وأقبل به فكبر القوم عند رؤيته وفرح الناس بسلامته فوالله ما رأينا قط يوما كان أسمح صباحا وأحسن رواحا من ذلك اليوم ولقد سمعته يقول فى وجوه فتيان الحى هذه الأبيات

تأملن فعلى هل رأيتن مثله ... إذا حشرجت نفس الجبان من الكرب
وضاقت عليه الأرض حتى كأنه ... من الخوف مسلوب العزيمة والقلب
ألم أعط كلا حقه ونصيبه ... من السمهرى اللدن والمرهف العضب
أنا ابن أبى هند قيس بن مالك ... سليل المعالى والمكارم والحسب
أبى لى أن أعطى الظلامة مرهف ... وطرف قوى الظهر والجوف والجنب
وعزم صحيح لو ضربت بحده الـ ... جبال الرواسى لانحطمن إلى التراب
وعرض نقى أتقى أن أعيبه ... وبيت شريف فى ذرى تغلب الغلب
فإن لم أقاتل دونكن وأحتمى

لـكن وأحميكن بالطعن والضرب فلا صدق اللاتي مشين إلى أبي بهنيته بالفارس البطل الندب

(وقال الشاعر) آراؤهم ووجوههم وسيوفهم ... في الحادثات إذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصابح ... تجلو الدجى والآخريات رجوم

(وقال آخر) فوارس قوالون للخيل اندامى ... وليس على غير الرؤس مجال
بأيديهم سمر العوالي كأنما ... تشب على غير اطرافهن ذيال

(وقال آخر) قوم إذا اقتحموا العجاج رأيتهم ... شمسا وخلت وجوههم أقمارا
لا يعدلون برفدهم عن سائل ... عدل الزمان عليهم أو جارا
وإذ الصريخ دعاهم للملة ... بذلوا النفوس وفارقوا الاعمارا

ذكر الجبن والجبناء وأخبارهم وما جاء عنهم قد استعاذ سيدنا رسول الله ﷺ من الجبن فقال اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال نعوذ بالله بما استعاذ منه سيد الخلق رسول الله ﷺ يكفيك أن يقال في وصف الجبان أن أحس بعصفور طار فؤاده وإن طنت بعوضة طال سهاده يفزع من صرير الباب ويقلق من طنين الذباب أن نظرت إليه شزرا أغمي عليه شهرا يحسب خفوق الرياح قعقعة الرماح قال الشاعر

إذا صوت العصفور طار فؤاده ... وليث حديد الناب عند الثرائد

وكان حسان بن ثابت رضي الله عنه من الجبناء روي عن ابن الزبير أنه قال كان حسان في قاع أطم مع النساء يوم الخندق فأتاهم في ذلك اليوم يهودي يطوف بالحصن فقالت صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها يا حسان أن هذا اليهودي كما ترى يطوف بالحصن وإني والله ما آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءه من اليهود فانزل إليه فاقتله فقال يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قال فاعتجرت صفية ثم أخذت عمودا ونزلت من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته ورجعت إلى الحصن فقالت يا حسان قم إليه فاسلبه فإنه ما منعني من سلبه إلا أنه رجل فقال مالي بسلبه من حاجة (وقيل) كان لفتى من قريش جارية مليحة الوجه حسنة الأدب وكان يحبها حبا شديدا فأصابته اضاقة وفاقة فاحتاج إلى ثمنها فحملها إلى العراق وكان ذلك في زمن الحجاج بن يوسف فابتاعها منه الحجاج فوقعت منه بمنزلة فقدم عليه فتى من ثقيف من أقاربه فأنزله قريبا منه وأحسن إليه فدخل على الحجاج والجارية تكبسه وكان الفتى جميلا فجعلت الجارية تسارقه النظر ففطن الحجاج بها فوهبها له فأخذها وانصرف فباتت معه ليلتها وهربت بغلس فأصبح لا يدري أين هي وبالغ الحجاج ذلك فأمر مناديا أن ينادي برئت الذمة ممن رأى وصيفة من صفتها كذا وكذا ولم يحضرها فلم يلبث أن أتى له بها فقال لها الحجاج يا عدوة الله كنت عندي من أحب الناس إلي فاخترت لك ابن عمي شابا حسن الوجه ورأيتك تسارقينه النظر فعلمت إنك شغفت به فوهبتك له فهربت من ليلتك فقالت يا سيدي اسمع قصتي ثم اصنع بي ما شئت قال هاتي ولا تخفي شيئا قالت كنت للفتى القرشي فاحتاج إلى ثمني فحملني إلى الكوفة فلما قربنا منها دنا مني فوقع علي فسمع زئير الأسد فوثب واخترط سيفه وحمل عليه وضربه فقتله وأتى برأسه ثم أقبل علي وما برد ما عنده ثم قضى حاجته وأن ابن عمك هذا الذي اخترته لي لما أظلم الليل قام إلي فلما علا بطني وقعت فارة من السقف فضرب ثم غشي عليه فمكث زمانا طويلا

وأنا

له رسول ملك الصين يستأذن عليك فقال ائذن له فلما دخل عليه وقف بين يديه وسلم وقال أن رأى الملك أن يخلي مجلسه فليفعل فأمر الاسكندر من بخدمه بالانصراف ولم يبق غير حاجبه فقال له رسول الذي جئت به لا يحتمل أن يسمعه غيرك فأمر بتفتيشه ففتش فلم يوجد معه شيء من السلاح فوضع الاسكندر بين يديه سيفا مجردا وقال له قل ما شئت ثم أخرج جميع ما عنده فلما خلا المكان قال له الرسول أنا ملك الصين لا رسوله وقد حضرت أسألك عما تريده فإن كان مما يمكن الانقياد إليه ولو على أصعب الوجوه أجبت إليه وغنيت أنا وأنت عن الحرب فقال له الاسكندر وما الذي أمنك مني قال علمي بأنك رجل عاقل وليس بيننا عداوة متقدمة ولا مطالبة بذخل ومتى قتلتني أقاموا غيري ولم يسلموا اليك البلد ثم تنسب أنت إلى غير الجميل وضد الحزم فأطرق الاسكندر مفكرا في مقاله وعلم أنه رجل عاقل فقال له أريد ارتفاع ملكك لثلاث سنين عاجلا ونصف ارتفاعه في كل سنة قال أجبتك قال فكيف تكون حالك قال أكون قتيلا أو محاربا قال فإن قنعت منك بارتفاع سنتين كيف حالك قال أصلح مما تقدم ذكره قال فإن قنعت منك بارتفاع سنة واحدة قال يكون مضرا بملكي ومذهبا لجميع لذاتي قال فإن اقتصرت منك على السدس قال يكون السدس موفرا والباقي للجيش ولأسباب الملك

وأنا أرش عليه الماء وهو لا يفيق فخفت أن يموت فتتهمني به فهربت فزعا منك فملك الحجاج نفسه من شدة الضحك وقال ويحك اكتمي هذا ولا تعلمي به أحدا قالت على أن لا تردني إليه قال لك ذلك (وحدث) جار لأبي حنيفة النميري قال كان لأبي حنيفة سيف ليس بينه وبين العصا فرق وكان يسميه لعاب المنية فأشرفت عليه ذات ليلة وقد انتضاه وهو واقف على باب بيته وقد سمع حسا في داره وهو يقول أيها المغتر بنا المجترى علينا بئس والله ما اخترت لنفسك خير قليل وسيف صقيل وهو لعاب المنية الذي سمعت به أخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك ثم فتح الباب على رجل فاذا كلب قد خرج فقال الحمد لله الذي مسخك كلبا وكفانا حربا ٭ وخرج المعتصم يوما إلى بعض متصيداته فظهر له أسد فقال لرجل من أصحابه أعجبه قوامه وسلاحه وتمام خلقه أفيك خير يا رجل قال لا فضحك المعتصم وقال قبح الله الجبان ورأى الاسكندر سيماله لا يزال ينهزل فقال له يا رجل اما أن تغير فعلك واما أن تغير اسمك ٭ ووقع في بعض العساكر ضجة فوثب خراساني إلى دابته ليلجمها فصير اللجام في الذنب من الدهش وقال يخاطب الفرس هب جبهتك عرضت فناصيتك كيف طالت (وخرج) أسلم بن زرعة الكلابي في ألفين لمحاربة أبي بلال مرداس وكان مرداس في أربعين رجل فانهزم أسلم منه فلاموه على ذلك وذمه ابن أبي زياد فقال لأن يذمني ابن أبي زياد حيا أحب إلى من يمدحني ميتا وكان أسلم بعد ذلك إذا خرج إلى السوق ومر بصبيان صاحوا به أبو بلال وراءك فكبر ذلك عليه فشكاهم إلى ابن أبي زياد فأمر صاحب الشرطة أن يكفهم عنه وفي ذلك يقول بعضهم شعرا

يقول جبان القول في حال سكره ... وقد شرب الصهباء هل من مبارزة
وأين الخيول الاعوجيات في الوغى ... أنازل منهم كل ليث مناهز
ففي السكر قيس وابن معدي وعامر ... وفي الصحو تلقاه كبعض العجائز

هذا ما انتهى إلينا من هذا الباب والحمد لله الكريم الوهاب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطاهرين والحمد لله رب العالمين

﴿الباب الثاني والأربعون في المدح والثناء وشكر النعمة والمكافأة وفيه فصول﴾

(الفصل الأول في المدح والثناء) المدح وصف الممدوح بأخلاق يمدح عليها صاحبها يكون نعتا حميدا وهذا يصح من المولى في حق عبده فقال قال الله تعالى في حق نبيه أيوب عليه الصلاة والسلام إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب وقال تعالى لنبيه محمد ﷺ وانك لعلى خلق عظيم وقال تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون إلى آخر الآية فعلى هذا يجوز مدح الانسان بما فيه من الاخلاق الحميدة وأما قوله ﷺ إذا رأيتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب فقد قال العتبي هو المدح الباطل والكذب وأما مدح الرجل بما فيه فلا بأس به وقد مدح أبو طالب والعباس وحسان وكعب وغيرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبلغنا انه حثا في وجه مادح ترابا وقد مدح هو صلى الله عليه وسلم المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم وفي حثو التراب معنيان أحدهما التغليظ في الرد عليه والثاني كأنه يقال له يكفيك التراب وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا مدح قال اللهم أنت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم اللهم اجعلني خيرا مما يحسبون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون ومدح سارية الدبلي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سارية الذي

قال قد اقتصرت على هذا فشكره وانصرف فلما أصبح وطلعت الشمس أقبل جيش الصين حتى طبق الأرض واختلط بجيش الاسكندر فارتعد وتواثبت أصحابه فركبوا واستعدوا للحرب فبينما هم كذلك إذ ظهر ملك الصين وعليه التاج فلما رأى الاسكندر ترجل فقال له الاسكندر أغدرت قال لا والله قال فما هذا الجيش قال أردت أن أعلمك اني لم أطعك من ضعف ولا من قلة وما غاب عنك من الجيش أكثر لكني رأيت العالم الاكبر مقبلا عليك ممكنا لك فعلمت انه من حارب العالم الأكبر غلب فأردت طاعته بطاعتك والذلة لأمره بالذلة لأمرك فقال الاسكندر ليس مثلك يؤخذ منه شيء فما رأيت بيني وبينك أحدا يستحق التفضيل والوصف بالفضل غيرك وقد أعفيتك من جميع ما أردته منك وأنا منصرف عنك فقال ملك الصين أما إذ فعلت ذلك فلست تخسر فلما انصرف الاسكندر أتبعه ملك الصين من الهدايا والتحف بضعف ما كان قدره عليه (ومن غريب المنقول عن أبي الفرج الاصبهاني) أنه قال أخبرني عمي عن أبيه الكلبي عن أبيه قال أخبرني شيخ من بني نبهان قال أصابت بني نبهان سنة ذهبت بالاموال فخرج رجل منهم بعياله حتى أنزلهم الحيرة وقال كونوا قريبا من الملك يصبكم من خيره حتى أرجع إليكم ومضى على وجهه يسوق راحلته سبعة أيام حتى انتهى إلى عطن ابل عند تطفيل الشمس فاذا خباء عظيم وقبة

أمره عمر رضى الله عنه على السرية وناداه فى خطبته بقوله يا سارية الجبل فمن مدحه فى رسول الله ﷺ قوله

فما حملت من ناقة فوق ظهرها ... أبر وأوفى فى ذمة من محمد

وهو أصدق بيت قالته العرب ومن أحسن ما مدحه به حسان رضى الله عنه قوله

وأحسن منك لم تر قط عينى ... وأجمل منك لم تلد النساء

خلقت مبرأ من كل عيب ... كأنك قد خلقت كما تشاء

ومن أحسن ما مدحه به عبد الله بن رواحة الأنصارى رضى الله عنه قوله

لو لم تكن فيه آيات مبينة ... كانت بديهة تنبيك بالخبر

(ولما) حججت وزرته ﷺ تطفلت على جنابه المعظم وامتدحته بأبيات مطولة وانشدتها بين يديه بالحجرة الشريفة تجاه الشريف وأنا مكشوف الرأس وأبكى من جملتها

ياسيد السادات جئتك قاصدا ... أرجو رضاك وأحتمى بحماكا ... والله ياخير الخلائق ان لى
قلبا مشوقا لا يروم سواكا ... وبحق جاهك اننى بك مغرم ... والله يعلم اننى أهواكا
أنت الذى لولاك ماخلق امرؤ ... كلا ولا خلق الورى لولاكا ... أنت الذى من نورك البدر اكتسى
والشمس مشرقة بنور بهاكا ... أنت الذى لما رفعت إلى السما ... بك قد سمت وتزينت اسراكا
أنت الذى ناداك ربك مرحبا ... ولقد دعاك لقربه وحباكا ... أنت الذى فينا سألت شفاعة
أنت الذى ناداك تكن لسواكا ... أنت الذى لما توسل آدم ... من ذنبه بك فاز وهو أباكا
وبك الخليل دعا فعادت ناره ... بردا وقد خمدت بنور سناكا ... ودعاك أيوب لضر مسه
فأزيل عنه الضر حين دعاكا ... وبك المسيح أتى بشيرا مخبرا ... بصفات حسنك مادحا لعلاكا
وكذاك موسى لم يزل متوسلا ... بك فى القيامة مرتجى لنداكا ... والانبياء وكل خلق فى الورى
والرسل والاملاك تحت لواكا ... لك معجزات اعجزت كل الورى ... وفضائل جلت فليس تحاكى
نطق الذراع بسمه لك معلنا ... والضب قد لباك حين أتاكا ... والذئب جاءك والغزالة قد أتت
بك تستجير وتحتمى بحماكا ... وكذا الوحوش أتت اليك وسلمت ... وشكا البعير اليك حين رآكا
ودعوت أشجارا أتتك مطيعة ... وسعت إليك مجيبة لنداكا ... والماء فاض براحتيك وسبحت
صم الحصى بالفضل فى يمناكا ... وعليك ظللت الغمامة فى الورى ... والجذع حن إلى كريم لقاكا
وكذاك لا أثر لمشيك فى الثرى ... والصخر قد غاصت به قدماكا ... وشفيت ذا العاهات من أمراضه
وملأت كل الأرض من جدواكا ... ورددت عين قتادة بعد العمى ... وابن الحصين شفيته بشفاكا
وكذا حبيب وابن عفرا عندما ... جرحا شفيتهما بلمس يداكا ... وعلى من رمد به داويته
فى خيبر فشفى بطيب لماكا ... وسألت ربك فى ابن جابر بعدما ... قد مات أحياه وقد أرضاكا
ومسست شاة لأم معبد بعدما ... نشفت فدرت من شفا رقياكا ... ودعوت عام المحل وبك معلنا
فانهل قطر السحب عند دعاكا ... ودعوت كل الخلق فانقادوا إلى ... دعواك طوعا سامعين نداكا
وخفضت دين الكفر ياعلم الهدى ... ورفعت دينك فاستقام هناكا ... أعداك عادوا فى القليب بجهلهم
صرعى وقد حرموا الرضا بجفاكا ... فى يوم بدر قد أتتك ملائك ... من عند ربك قاتلت أعداكا
والفتح جاءك يوم فتحك مكة ... والنصر فى الاحزاب قد وافاكا • ... هود ويونس من بهاك تجملا

بن أدم قال فقلت فى نفسى ما لهذا الخباء بد من أهل وما لهذه القبة بد من رب وما لهذه العطن بد من أبل فنظرت فى الخباء فاذا شيخ كبير قد أوهاه الكبر وهو (٢٣٠) شبه النسر فجلست خلفه فلما انصرم النهار أقبل فارس لم أر أعظم من شكله وفى خدمته أسودان يمشيان بين جنبيه وإذا مائة من الابل معها فحلها فبرك الفحل وبركن حوله فقال لأحد عبيده احلب فلان فحلبها ثم وضع اللبن بين يدى الشيخ فكرع منه وأخذه وقدمه إلى فشربت نصفه ثم أمر بشاة وأكلنا منها وشويت وأكلنا منها جميعا فامهلت حتى إذا ناموا وحكم عليهم النوم ثرت إلى الفحل فحللت عقاله وركبته فاندفع بى وتبعته الابل فمشيت إلى الصباح فلما أصبحت نظرت فلم أجد أحدا ولما تعالى النهار التفت فاذا أنا بخيال كأنه طائر فما زال يدنو حتى تبينته فاذا هو فارس على فرس وإذا هو صاحبى بالامس فعقلت الفحل وعمدت إلى كنانتى فقال احلل عقاله فقلت كلا لقد خلفت خلفى عيالا جياعا بالحيرة قال فانك ميت حل عقاله لا أم لك وانصب لى خطامه واجعل فيه خمس عقد وقل لى أين تحب أن أضع سهمى فقلت فى هذا الموضع فكأنما وضعه بيده ثم أقبل يرمى حتى أصاب الخمس بخمسة أسهم فرددت نبلى وحططت قوسى ووقفت مستسلما فدنا منى وأخذ القوس والسيف ثم أردفنى خلفه وقد عرف أنى الذى شربت اللبن عنده وأكلت اللحم

وجمال يوسف من ضياء سناكا	قد فقت ياطه جميع الانبياء	نورا فسبحان الذى سواكا
والله ياياسين مثلك لم يكن	فى العالمين وحق من نباكا	عن وصفك الشعراء يامدثر
عجزوا وكلوا عن صفات علاكا	انجيل عيسى قد أتى بك مخبرا	واتى الكتاب لنا بمدح حلاكا
ماذا يقول المادحون وماعسى	أن يجمع الكتاب من معناكا	والله لوان البحار مدادهم
والعشب أقلام جعلن لذاكا	لم تقدر الثقلان تجمع ذرة	أبدا وما استطاعوا له ادراكا
لى فيك قلب مغرم ياسيدى	وحشاشة محشوة بهواكا	فاذا سكت ففيك صمتى كله
وإذا نطقت فمادح علياكا	وإذا سمعت عنك قولا طيبا	وإذا نظرت فلا أرى إلا كا
يامالكى كن شافعى من فاقتى	انى فقير فى الورى لغناكا	يا أكرم الثقلين يا كنز الورى
جدلى بجودك وارضنى برضاكا	أنا طامع فى الجود منك ولم يكن	لابن الخطيب من الانام سواكا
فعساك تشفع فيه عند حسابه	فلقد غدا مستمسكا بعراكا	ولأنت أكرم شافع ومشفع
ومن التجا لحماك نال وفاكا	فاجعل قراى شفاعة لى فى غد	فعسى أرى فى الحشر تحت لواكا

صلى عليك الله ياخير الورى ... ما حن مشتاق إلى مثواكا
وعلى صحابتك الكرام جميعهم ... والتابعين وكل من والاكا

وماذا عسى أن يقول المادحون فى وصف من مدحه الله تعالى واثنى عليه وقد قال ﷺ أنا سيد ولد آدم ولا فخر والله لو أن البحار مداد والاشجار أقلام وجميع الخلائق كتاب لما استطاعوا أن يجمعوا النزر اليسير من بعض صفاته ولنكلوا عن الاتيان ببعض بعض وصف معجزاته ﷺ ومدح رجل هشام بن عبد الملك فقال له ياهذا إنه قد نهى عن مدح الرجل فى وجهه فقال مامدحتك ولكن ذكرتك نعم الله عليك لتجدد لها شكرا فقال له هشام وهذا أحسن من المدح ووصله وأكرمه وكتب رجل إلى عبد الله بن يحيى بن خاقان رأيت نفسى فيما أتعاطى من مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر وأيقنت أنى حيث انتهى من القول منسوب إلى العجز مقصر عن الغاية فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك ووكلت الاخبار عنك إلى علم الناس بك • وقال الحرث بن ربيعة فى رجل من آل المهلب

فتى دهره شطران فيما ينوبه ... ففى بأسه شطر وفى جوده شطر
فلا من بغاث الخير فى عينه قذى ... ولا من ذئير الحرب فى أذنه وقر

وقال اعرابى لرجل لايذم بلد ابت تأويه ولا يشتكى زمان انت فيه • وكان الحجاج يستثقل زياد بن عمر العكلى فلما قدم على عبد الملك بن مروان قال ياأمير المؤمنين ان الحجاج سيفك الذى لا ينبو وسهمك الذى لايطيش وخادمك الذى لا تأخذه فيك لومة لائم فلم يكن بعد ذلك على قلب الحجاج أخف منه وقال رجل لآخر أنت بستان الدنيا فقال له وانت النهر الذى يسقى منه ذلك البستان وقال رجل لابى عمر والزاهد صاحب كتاب الياقوتة فى اللغة وانت والله عين الدنيا فقال له وانت والله نور تلك العين وقال القاسم بن أمية بن أبى الصلت الثقفى

قوم إذا نزل الغريب بدارهم ... تركوه رب صواهل وقيان
وإذا دعوتهم ليوم كريهة ... سدوا شعاع الشمس بالفرسان

(وقال أوس بن حاتم الطائى)

فان تنحكى مارية الخير حاتما ... فما مثله فيه ولا فى الاعاجم

فقال كيف ظنك بى فقلت أحسن ظن فقال ابشر انه لن ينالك شر وقد كنت ضيف مهلهل فقلت أزيد الخيل أنت قال نعم أنا زيد الخيل فلما انتهينا إلى منزله قال لو كانت هذه الابل لى لسلمتها اليك ولكنها لابنة مهلهل فأقم عندى فأقمت عنده أياما فشن الغارة على بنى نمير فأصاب مائة بعير فقال هذه أحب اليك أم تلك قلت هذه قال دونكها وبعث معى خفراء من ماء إلى ماء إلى أن وردت الحيرة فلقينى نبطى فقال يا اعرابى احتفظ ببالك فقد قرب مخرج النبى صلى الله عليه وسلم الذى يملك هذه الأرض ويطرد اهلها حتى أن أحدكم ليبتاع البستان بثمن بعير قال فاحتملت بأهلى إلى النبط حتى جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمنا على يديه وما مضت إلا أيام حتى اشتريت بثمن بعير من ابلى بستانا بالحيرة والله أعلم (ونقل عن الواقدى) قال كان لى صديقان أحدهما هاشمى والآخر نبطى فكنا فى الصداقة كنفس واحدة فنالتنى ضيقة شديدة وحضر العيد فقالت امرأتى أما نحن فنصبر على البؤس والشدة وأما صبياننا هؤلاء فقد تقطع قلبى عليهم رحمة لانهم يرون صبيان جيراننا وقد تزينوا فى عيدهم وهم فرحون ولا بأس بالاحتيال فيما نصرفه فى كسوتهم قال فكتبت إلى صديقى الهاشمى أسأله التوسعة على بشيء فوجه إلى كيسا فيه الف درهم فما استقر قراره حتى كتب إلى صديقى الآخر يشكو إلى مثل ما شكوته إلى الهاشمى فوجهت اليه

فتى لا يزال الدهر أكبر همه   فكاك أسير أو معونة غارم

(وقال ابن حمدون فى آل مهلب)

آل المهلب معشر أمجاد   ورثوا المكارم والوفاء فسادوا   شاد المهلب ما بنى آباؤه
وأتى بنوه مابناه فشادوا   وكذاك من طابت مغارس نبته   وبنى له الآباء والاجداد

وكان الفرزدق هجاء لعمر بن هبيرة فسجن ونقب له السجن وسار هو وبنوه تحت الأرض قال الفرزدق

ولما رأيت الأرض قد سد ظهرها   ولم يبق إلا بطنها لك مخرجا
دعوت الذى ناداه يونس بعدما   ثوى فى ثلاث مظلمات ففرجا

فقال ابن هبيرة ما رأيت أشرف من الفرزدق هجانى أميرا ومدحنى أسيرا وقال سرى بن عبد الرحمن الرفاء فى خالد بن حاتم : ياواحد العرب الذى دانت له   قحطان قاطبة وساد نزارا

انى لأرجو ان لقيتك سالما   ان لا أعالج بعدك الأسفارا

(وقال كعب بن مالك الأنصارى فى آل هاشم)

يا آل هاشم الإله حباكم   ما ليس يبلغه اللسان المفصل
قوم لأصلهم السيادة كلها   قدما وفرعهم النبى المرسل

(وقال الحسين بن دعبل الخزاعى)

ملك الامور بجوده وحسامه   شرفا يقود عدوه بزمامه
فأطاع أمر الجود فى أمواله   وأطاع أمر الله فى أحكامه

(وقال آخر) يلقى السيوف بصدره وبنحره   ويقيم هامته مقام المغفر
ويقول للطرف اصطبر لسنى القنا   فعقرت ركن المجد ان لم تعقر
وإذا تراءى شخص ضيف مقبل   متسربل أثواب محل أغبر
أومى إلى الكوماء هذا طارق   نحرتنى الاعداء ان لم تنحر

(وقال شاعر بنى تميم) إذا لبسوا عمائمهم طووها   على كرم وان سفروا أناروا
يبيع ويشترى لهم سواهم   ولكن بالطعان هم تجار
إذ ما كنت جار بنى تميم   فأنت لأكرم الثقلين جار

وقالت امرأة من بنى نمير وقد حضرتها الوفاة وأهلها مجتمعون من ذا الذى يقول

لعمرى ما رماح بنى نمير   بطائشة الصدور ولا قصار

قالوا زياد الأعجم قالت أشهدكم ان له الثلث من مالى وكان مالا كثيرا وأثنى رجل على رجل فقال هو أفصح أهل زمانه إذا حدث وأحسنهم استماعا إذا حدث وأمسكهم عن الملاحات إذا خولف يعطى صديقه النافلة ولا يسأله الفريضة له نفس عن الفحشاء محصورة وعلى المعالى مقصورة كالذهب الابريز الذى يعز كل أوان والشمس المنيرة التى لا تخفى بكل مكان هو النجم المضىء للحيران والمنهل البارد العذب للعطشان وقال الحسن بن هانىء : إذا نحن أثنينا عليك بصالح   فأنت كما نثنى وفوق الذى نثنى

وان جرت الالفاظ يوما بمدحة   لغيرك انسانا فانت الذى نعنى

(وله فى الفضل بن الربيع)

لقد نزلت أبا العباس منزلة   ما ان ترى خلفها الأبصار مطرحا

بالكيس على حاله وخرجت إلى المسجد وأنا مستح من امرأتى فلما دخلت عليها لم تعنفنى لعلمها بالحال فبينما أنا كذلك إذا أقبل صديقى الهاشمى ومعه الكيس بختمه فقال أصدقنى عما فعلته فيما وجهت به إليك فأعلمته بالخبر فقال انك وجهت إلى ولا أملك إلا ما بعثت إليك وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة فوجه إلى كيسى بختمه فأخرجنا للمرأة مائة درهم وتقاسمنا الباقى أثلاثا ونما الخبر إلى المأمون فأحضرنى وسألنى عن الخبر فشرحته له فأمر لنا بسبعة آلاف دينار منها ألف للمرأة وألفان لكل واحد منا (ويضارع ذلك ما هو منقول عن الاصمعى) قال قصدت فى بعض الأيام رجلا كنت أغشاه لكرمه فوجدت على بابه بوابا فمنعنى من الدخول إليه ثم قال والله يا أصمعى ما أوقفنى على بابه لأمنع مثلك إلا لرقة حاله وقصور يده فكتبت رقعة فيها . إذا كان الكريم له حجاب . فما فضل الكريم على اللئيم ثم قلت له أوصل رقعتى إليه ففعل وعاد ظهرها . إذا كان الكريم قليل مال . تحجب بالحجاب عن الغريم . ومع الرقعة صرة فيها خمسمائة دينار فقلت والله لأتحفن المأمون بهذا الخبر فلما رآنى قال من أين يا أصمعى قلت من عند رجل من أكرم الأحياء حاشى أمير المؤمنين قال ومن هو فدفعت إليه الورقة والصرة وأعدت عليه الخبر فلما رأى الصرة قال هذا من بيت مالى ولابد لى من الرجل

وكان

وكان بالدهر عينا غير غافلة — بجود كفك تأسو كل ما جرحا

(وقال زياد الاعجم في محمد بن القاسم الثقفي)

ان المنابر اصبحت مختالة — بمحمد بن القاسم بن محمد
قاد الجيوش لسبع عشر حجة — يا قرب سورة سودد من مولد

(ومن بدائع مدائح المتنبي قوله)

ليت المدائح تستوفي مناقبه — فما كليب وأهل الاعصر الاول
خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به — طلعة البدر ما يغنيك عن زحل
وقد وجدت مكان القول ذا سعة — فان وجدت لسانا قائلا فقل

ومدح أبو العتاهية عمرو بن العلاء فأعطاه سبعين الفا وخلع عليه خلعا سنية حتى أنه لم يستطع أن يقوم فغار الشعراء منه لجمعهم وقال بالله العجب ما أشد حسد بعضكم لبعض ان أحدكم يأتينا ليمدحنا فيتغزل في قصيدته بخمسين بيتا فما يبلغنا حتى يذهب رونق شعره وقد تشبب أبو العتاهية بأبيات يسيره ثم قال

اني امنت من الزمان وصرفه — لما علقت من الأمير حبالا
لو يستطيع الناس من اجلاله — جعلوا له حر الوجوه نعالا
ان المطايا تشتكيك لأنها — قطعت اليك سباسبا ورمالا
فان وردن بنا وردن خفائفا — وإذا صدرن بنا صدرن ثقالا

ووفد ابو نواس على الخطيب بمصر فاذا له وعنده الشعراء فأنشد الشعراء واشعارهم فلما فرغوا قال ابو نواس انشد أيها الامير قصيدة هي كعصا موسى تلقف ماصنعوا قال انشد فأنشده قصيدته التي منها قوله

إذا لم تزر ارض الخصيب ركابنا — فأي فتى بعد الخصيب تزور
فتى يشتري حسن الثناء بماله — ويعلم ان الدائرة تدور
فما فاته جود ولا ضل دونه — ولكن يسير الجود حيث يسير

فاهتز الخصيب طاربا وامر له بالف دينار ووصيف ووصيفة (وحكي) ان ابادلف سار يوما مع اخيه معقل فرأيا امرأتين يتماشيان فقالت احداهما للاخرى هذا ابو دلف قالت نعم الذي يقول فيه الشاعر

انما الدنيا أبو دلف — بين بادية ومحتضره
فإذا ولى أبو دلف — ولت الدنيا على أثره

فبكى ابو دلف حتى جرت دموعه فقال له معقل مالك ياأخي تبكي فقال لاني لم اقض حق الذي قال هذا قال اولم نعطه مائة الف درهم قال والله مافي نفسي حسرة الا انكوني لم أعطه مائة الف دينار ويقال هذه المدح فأين المنحة قال بعضهم

إذا ما المدح صار بلا نوال — من الممدوح كان هو الهجاء

وامتدح محمد بن سلطان المعروف بابن جيوش محمد بن نصر صاحب حلب فاجازه بألف دينار ثم مات محمد بن نصر وقام ولده مقامه فقصده محمد بن سلطان بقصيدة مدحه بها منها

تباعدت عنكم حرمة لازهادة — وسرت اليكم حين مسني الضر
فجاء ابو نصر بالف نصرتها — واني عليم ان سيخلفها نصر

فلما فرغ من انشادها قال نصر والله لو قال سيضعفها نصر لاضعفتها له واعطاه الالف دينار في طبق فضة ومدح بعض الشعراء وقيل هو البديع الهمداني انسانا فقال

يكاد يحكيه صوب الغيث منسكبا — لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت — والليث لو لم يصدر والبحر لو عذبا

(وقال آخر) اخو كرم يقضي الورى بساطه — إلى روض مجد بالسماح مجود

فقلت والله يا أمير المؤمنين أني استحي أن أروعه برسلك فقال لبعض خاصته امض الى الاصمعي فاذا أراك الرجل فقل له أجب أمير المؤمنين من غير ازعاج قال فلما حضر الرجل بين يدي المأمون قال له أما أنت الذي وقفت لنا بالامس وشكوت رقة الحال فان الزمان قد أناخ عليك بكلكله فدفعنا اليك هذه الصرة لتصلح بها حالك فقصدك الاصمعي ببيت واحد فدفعتها اليه فقال نعم يا أمير المؤمنين والله ما كذبت فيما شكوت لامير المؤمنين رقة من الحال لكن استحييت من الله تعالى أن أعيد قاصدي كما أعادني أمير المؤمنين فقال له المأمون لله أنت فما ولدت العرب اكرم منك ثم بالغ في اكرامه وجعله من جملة ندمائه

(ومن لطائف المنقول)

ما هو المنقول عن الربيع أنه قال ما رأيت رجلا أثبت ولا أربط جاشا من رجل رفع إلى المنصور أن عنده ودائع وأموالا لبني أمية فامرني باحضاره فاحضرته ودخلت اليه فقال له المنصور قد رفع الينا خبر الودائع والاموال التي لبني أمية عندك فاخرج لنا منها فقال يا أمير المؤمنين أوارث أنت لبني امية قال لا قال فوصي قال لا قال فما سؤالك عما في يدي من ذلك قال فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال ان بني امية ظلموا المسلمين فيها وانا وكيل المسلمين في حقهم فأريد ان آخذ اموال المسلمين واجعلها في بيت مالهم فقال يا أمير المؤمنين تحتاج في ذلك إلى اقام

وكم لجباه الراغبين لديه من ... مجال سجود في مجالس جود

ويقال فلان رفيق الجود ودخيله وزميل الكرم ونزيله وغرة الدهر وتحجيله مواهبه الانواء وصدره الدهناء عونه موقوف على اللهيف وغوثه مبذول للضعيف يطفو بجوده على موجوده وهمته على قدرته ينابيع الجود تنفجر من أنامله وربيع السماح يضحك عن فواضله ان طلبت كريما في جوده مت قبل وجوده أو ماجدا في أخلاقه مت ولم تلاقه باسل تعود الاقدام حيث نزل الاقدام وشجاع ترى الاحجام عارا لا تمحوه الايام له خلق لو مازج البحر لنفى ملوحته وصفى كدورته خلق كنسيم الاسحار على صفحات الانهار واطيب من زمن الورد في الايام وأبهج من نور البدر في الظلام خلق يجمع الاهواء المتفرقة على محبته ويؤلف الآراء المتشتتة في مودته هو ملح الأرض إذا فسدت وعمارة الدنيا إذا خربت يحل دقائق الاشكال ويزيل جلائل الاشكال البيان أصغر صفاته والبلاغة عنوان خطراته كانما أوحى التوفيق إلى صدره وحبس الصواب بين طبعه وفكره فهو يبعث بالكلام ويقوده بألين زمام حتى كان الالفاظ تتحاسد في التسابق إلى خواطره والمعاني تتغاير في الامتثال لاوامره يوجز فلا يخل ويطنب فلا يمل كلامه يشتد مرة حتى يقول الصخر أو أيبس ويلين تارة حتى تقول الماء أو أسلس فهو إذا أنشأ وشي وإذا عبر حبر وإذا أوجز أعجز تاهت به الايام وباهت في يمينه الاقلام له أدب لو تصور شخصا لكان بالقلوب مختصا قال الشاعر

له خلق على الايام يصفو ... كما تصفو على الزمن العقار

(وقال آخر) لوكان يحوي الروضة ناضر خلقه ... ما كان يذبل نوره بشتائه

أو قابل الافلاك طالع سعده ... ماصار نحس في نجوم سمائه

(وقال آخر) ووجهك في الغياهب مشرق ... وكفك في شهب السنين غمام

عجيب لبدر لايزال أمامه ... سحاب ولا يغشاه منه ظلام

وأعجب من هذا غمام إذا سطا ... تلظى مكان البرق من حسام

(وقال الحسين بن مطير الاسدي)

له يوم بؤس فيه للناس ابؤس * ويوم نعيم فيه للناس أنعم * فيمطر يوم الجود من كفه الندى ويمطر يوم البؤس من كفه الدم * لو أن يوم البؤس خلى عقابه * على الناس لم يصبح على الارض مجرم

ولو أن الجود خلى يمينه ... عن المال يصبح على الارض معدم

(وللشيخ جمال الدين بن نباتة)

والله ما عجبي لقدك انه ... قدر على باغي مداه بعيد

الا لكونك لست تشكو وحشة ... في هذه الدنيا وأنت وحيد

(ولصفي الدين الحلي) اثني فتثنيني صفاتك مظهرا ... عيا وكم أعيت صفاتك خاطبا

لو أنني والخلق جمعا ألسن ... تثني عليك لما قضينا الواجبا

(وللشيخ برهان الدين القيراطي)

اوصافكم تجري أحاديثها ... مجرى النجوم الزهر في الافق

كما أحاديث الندى عنكم ... تسندها الركبان من طرق

البينة العادلة على أن الذي في يدي لبني أمية مما خانوه وظلموه واغتصبوه من أموال المسلمين فان بني أمية كان لهم أموال غير أموال المسلمين قال فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه إلي وقال صدق الرجل يا ربيع ماوجب عليه عندنا شيء ثم بش في وجهه فقال هل لك من حاجة فقال نعم يا أمير المؤمنين حاجتي أن تنفذ كتابي مع البريد الى أهلي ليسكنوا الى سلامتي فقد راعهم اشخاصي وقد بقيت لي حاجة أخرى يا أمير المؤمنين قال ماهي قال تجمع بيني وبين من سعى بي اليك فوالله مالبني أمية عندي ولا في يدي وديعة ولكنني لما مثلت بين يديك وسألتني ورأيت ماقلته أقرب الى الخلاص والنجاة فقال يا ربيع اجمع بينه وبين من سعى به فجمعت بينهما فقال هذا غلامي ضرب على ثلاثة آلاف من مالي وأبق فشدد المنصور على الغلام فأقر أنه غلامه وأنه أخذ المال الذي ذكره وأبق منه وكذب عليه خوفا من الوقوع في يده فقال المنصور للرجل نسألك أن تصفح عنه فقال يا أمير المؤمنين صفحت عن جرمه وابرأته من المال واعطيته ثلاثة آلاف دينار اخرى فقال المنصور ما على مافعلت مزيد في الكرم قال بلى يا أمير المؤمنين هذا حق كلامك وانصرف

(وللشيخ

وكان المنصور يتعجب منه كلما ذكره ويقول ما رأيت مثل هذا الرجل يا ربيع

(رحلة الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه)

قال الشيخ الامام العالم المقرى أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الأردبيلي المالكي بالجامع العتيق بمصر في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله ابن فتح المعروف بابن الحبشي سنة ثلاثين وخمسمائة أخبرنا الشريف القاضي الموسوي أبو اسمعيل موسى بن الحسين بن اسمعيل بن علي الحسيني المقرى في سنة اربع وثمانين وأربعمائة بالجامع العتيق بمصر قال أخبرنا الشيخ أبو العباس أحمد بن ابراهيم الفارسي في ربيع الأول سنة احدى وخمسين وأربعمائة قال أخبرنا يحيى بن عبد الله الرجل الصالح ويحيى بن موسى المعدل بمصر قال حدثنا أبو الحسن احمد بن محمد الواعظ المصري الكرازة قال حدثني أبو الفرج عبد الرازق حمدان البطين قال حدثني أبو بكر محمد بن المثنى قال حدثني الربيع بن سليمان قال سمعت الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه يقول فارقت مكة وانا ابن أربع عشر سنة لا نبات بعارضي من الأبطح الى ذوي طوى وعلى بردتان يمانيتان فرأيت ركبا فسلمت عليهم فردوا على السلام ووثب إلى شيخ كان فيهم قال سألتك بالله الا ماحضرت طعامنا قال الشافعي رضي الله تعالى عنه قال كنت اعلم انهم احضروا طعاما فأجبت مسرعا غير محتشم فرايت القوم يأخذون الطعام بالخمس ويدفعون بالراحة فأخذت

(وللشيخ جمال الدين بن نباتة)

روت عنك أخبار المعالي محاسنا ... كفت بلسان الحال آلسن الحمد
فوجهك عن بشر وكفك عن عطا ... وخلقك عن سهل ورأيك عن سعد

(وقال غيره) من زار بابك لم تبرح جوارحه ... تروي أحاديث ما أوليت من منن
فالعين عن قرة والكف عن صلة ... والقلب عن جابر والسمع عن حسن

(ولأبي فراس بن حمدان)

لئن خلق الأنام لحب كاس ... ومزمار وطنبور وعود
فلم يخلق بنو حمدان إلا ... لمجدا أو لبأس أو لجود

(وقال آخر) ان الهبات التي جاد الكرام بها ... مطروقة وندى كفيك مبتكر
مازالت تسبق حتى قال حاسدكم ... له طريق إلى العلياء مقتصر

(ولمحمد بن مناذر في آل برمك)

أتانا بنو الاملاك من آل برمك ... فيا طيب أخبار وأحسن منظر
لهم رحلة في كل عام إلى الندا ... وأخرى إلى البيت العتيق المنور
إذ نزلوا بطحاء مكة أشرقت ... بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فما حفت الا الجود أكفهم ... وأقدامهم الا لسعي ومظفر
إذا رام يحيى الأمر ذلت صعابه ... وناهيك من راع له ومدبر

ولما عزل ابراهيم بن المنذر عن صدقات البصرة تلقاه مجنون وأنشد

ليت شعري أي قوم أجدبوا ... فأغيثوا بك من بعد العجف
نظر الله لهم من بيننا ... وحرمناك بذنب قد سلف
يا أبا إسحق سر في دعة ... وامض مصحوبا فما منك خلف
انما أنت ربيع باكر ... حيثما صرفه الله انصرف

(وقال آخر) لو كان يقعد فوق الشمس من كرم ... قوم لقيل اقعدوا يا آل عباس
ثم ارتقوا في شعاع الشمس وارتفعوا ... الى السماء فأنتم سادة الناس

للحسين بن مطير الأسدي في المهدي

لو يعبد الناس يا مهدي أفضلهم ... ما كان في الناس إلا أنت معبود
أضحت يمينك من جود مصورة ... لا بل يمينك منها صور الجود
لو أن من نوره مثقال خردلة ... في السود طرا اذا لابيضت السود

(وقال آخر) أوليتني نعما وفضلا زائدا ... وبررتني حتى رأيتك والدا
أقسمت لو جاز السجود لمنعم ... ما كنت الا راكعا لك ساجدا

وقال آخر ثناؤك في الدنيا من المسك أعطر ... وحظك في الدنيا جزيل موفر
وكفك بحر والأنامل أنهر ... رعى الله كفا فيه بحر وأنهر
اعيذك بالرحمن من كل حاسد ... فلا زالت الحساد تغبى وتصغر
لساني قصير في مديحك سيدي ... لأني فقير والفقير مقصر

(الفصل الثاني من هذا الباب في شكر النعمة) فما الشكر الواجب على جميع الخلائق فشكر القلب وهو أن يعلم العبد أن النعمة من الله عز وجل وان لا نعمة على الخلق من اهل السموات والأرض الا وبدايتها من الله تعالى حتى يكون الشكر لله عن نفسك وعن غيرك والدليل على ان الشكر محله القلب وهو المعرفة قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله أيقنوا أنها من الله ونيل الشكر معرفة العجز عن الشكر وقد

روى أن داود عليه السلام قال إلهى كيف أشكرك وشكرى لك نعمة من عندك فأوحى الله تعالى اليه الآن قد شكرتنى وفى هذا يقال الشكر على الشكر أتم الشكر ، ولمحمود الوراق

إذا كان شكرى نعمة الله نعمة ... على له مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله ... وان طالت الأيام واتصل العمر
إذا مع بالسراء عم سرورها ... وان مس بالضراء أعقبها الأجر
فما منهما الا له فيه نعمة ... تضيق بها الأوهام والسر والجهر

وفى مناجاة موسى عليه السلام الهى خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف أشكرك فقال اعلم أن ذلك منى فكانت معرفته بذلك شكره لى وأما شكر اللسان فقد قال الله تعالى فيه وأما بنعمة ربك فحدث ويروى عن النعمان بن بشير رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بالنعم شكر وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه تذكروا النعم فان ذكرها شكر ، وأما الشكر الذى فى الجوارح فقد قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا الآية فجعل العمل شكرا وروى أن النبى ﷺ قام حتى تورمت قدماه فقيل له يارسول الله تفعل هذا بنفسك وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا وقال أبو هرون دخلت على أبى حازم فقلت له يرحمك الله ماشكر العينين قال إذا رأيت بهما خيرا ذكرته واذا رأيت بهما شرا سترته قلت فما شكر الأذنين قال إذا سمعت بهما خيرا حفظته وإذا سمعت بهما شرا نسيته وفى حكمة ادريس عليه الصلاة والسلام لن يستطيع أحد أن يشكر الله على نعمة بمثل الانعام على خلقه ليكون صانعا الى الخلق مثل ماصنع الخالق اليه فاذا اردت أن تحرس دوام النعمة من الله تعالى عليك فأدم مواساة الفقراء وقد وعد الله تعالى عباده بالزيادة على الشكر فقال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وقد جعل لعباده علامة يعرف بها الشاكر فمن لم يظهر عليه المزيد علمنا أنه لم يشكر فاذا رأينا الغنى يشكر الله تعالى بلسانه وماله فى نقصان علمنا أنه قد أخل بالشكر أما إنه لا يزكى ماله أو يزكيه لغير أهله أو يؤخره عن وقته أو يمنع حقا واجبا عليه من كسوة عريان أو إطعام جائع أو شبه ذلك فيدخل فى قول النبى ﷺ لو صدق السائل ما أفلح من رده قال الله تعالى ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا غيروا مابهم من الطاعات غير الله مابهم من الاحسان وقال بعض الحكماء من أعطى أربعا لم يمنع من أربع من اعطى الشكر لا يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لا يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب وقال المغيرة بن شعبة أشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك فانه لابقاء للنعم اذا كفرت لازوال لها اذا شكرت وكان الحسن يقول ابن آدم متى تنفك من شكر النعمة وأنت مرتهن بها كلما شكرت تجد نعمة ذلك الشكر أعظم منا عليك فأنت لا تنفك بالشكر من نعمة الى ماهو أعظم منها وروى أن عثمان بن عفان رضى الله عنه دعى إلى أقوام ليأخذهم على زبيعة فافترقوا قبل أن يأخذهم عثمان فأعتق رقبة شكر الله تعالى اذلم يجر على يديه فضيحة مسلم ويروى ان نملة قالت لسليمان بن داود عليهما السلام يانبى الله انا على قدرى اشكر الله منك وكان راكبا على فرس ذلول فخر ساجدا لله تعالى ثم قال لولا انى اجلك لسألتك عن ان تنزع منى ما أعطيتنى وقال صدقة بن يسار بينما داود عليه السلام فى محرابه اذ مرت به دودة فتفكر فى خلقها وقال مايعبأ الله بخلق هذه فأنطقها الله تعالى له فقالت له ياداود تعجبك نفسك وأنا على ماقدرما آتانى الله تعالى أذكر الله واشكر له منك على ما آتاك وقال على رضى الله عنه احذروا نفار النعم فما كل شارد مردود عنه عليه

كأخذهم كى لا يستبشع عليهم مأكلى والشيخ ينظر إلى ثم أخذت السقاء فشربت وحمدت الله وأثنيت فأقبل عليه على الشيخ وقال أمكى أنت قلت مكى قال أقرشى أنت قلت قرشى ثم أقبلت عليه وقلت ياعم لم استدللت على قال أما فى الحضر فبالزى وأما فى النسب فبأكل الطعام لأنه من أحب أن يأكل طعام الناس أحب أن يأكلوا طعامه وذلك فى قريش خصوصا قال الشافعى رضى الله تعالى عنه فقلت للشيخ من أين أنت قال من يثرب مدينة النبى صلى الله عليه وسلم فقلت له من العالم بها والمتكلم فى نص كتاب الله تعالى والمفتى بأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيدنى أصبح مالك ابن أنس رضى الله تعالى عنه قال الشافعى رضى الله عنه فقلت واشوقاه إلى مالك فقال لى قد بل الله شوقك انظر إلى هذا البعير الأورق فانه أحسن جمالنا ونحن على رحيل ولك منا حسن الصحبة حتى تصل إلى مالك فما كان غير بعد حتى قطروا بعضها إلى بعض وأركبونى البعير الأورق وأخذ القوم فى السير وأخذ القوم وأنا فى الدرس ختمت من مكة إلى المدينة ست عشر ختمة بالليل ختمة وبالنهار ختمة ودخلت المدينة فى اليوم الثامن بعد صلاة العصر فصليت العصر فى مسجد رسول الله ﷺ ودنوت من القبر فسلمت على النبى ﷺ ولذت بقبره فرأيت مالك بن أنس السلام متزرا ببردة متوشحا بأخرى قلت حدثنى نافع بن عمر عن صاحب هذا القبر وضرب بيده الى قبر رسول الله ﷺ

قال الشافعي رضي الله عنه فلما رأيت ذلك هبته مهابة عظيمة وجلست حيث انتهى بي المجلس فأخذت عودا من الأرض فجعلت كلما أملى حديثا كتبته بريقي على يدي والإمام

مالك رضي الله عنه ينظر إلى من حيث لا أعلم حتى انقضى المجلس وانتظرني مالك أن أنصرف فلم يرني انصرفت فأشار إلي فدنوت منه فنظر إلي ساعة ثم قال أحرمي أنت قلت حرمي قال أمكي أنت قلت مكي قال أقرشي أنت قلت قرشي قال كملت أوصافك لكن فيك اساءة أدب قلت وما الذي رأيت من سوء أدبي قال رأيتك وأنا أملي ألفاظ الرسول عليه الصلاة والسلام تلعب بريقك على يدك فقلت له عدمت البياض فكنت أكتب ما تقول فجذب مالك يدي اليه فقال ما أرى عليها شيئا فقلت ان الريق لا يثبت على اليد ولكن فهمت جميع ما حدثت به منذ جلست وحفظته الى حين قطعت فتعجب الإمام مالك من ذلك فقال أعد علي ولو حديثا واحدا قال الشافعي رضي الله عنه) فقلت حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر وأشرت بيدي الى القبر كاشارته حتى أعدت عليه خمسة وعشرين حديثا حدث بها من حين جلس إلى وقت قطع المجلس وسقط القرص فصلى مالك المغرب وأقبل على عبده وقال خذ بيد سيدك اليك وسألني النهوض معه) قال الشافعي رحمه الله فقمت غير ممتنع إلى ما دعا من كرمه فلما أتيت الدار أدخلني الغلام الى خلوة في الدار وقال لي القبلة في البيت هكذا وهذا إناء فيه ماء وهذا

السلام إذا وصلت اليكم أطراف النعم فلا تنفروا اقصاها بقلة الشكر وقيل إذا قصرت يداك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر وقال حكيم الشكر ثلاث منازل ضمير القلب ونشر اللسان ومكافأة اليد قال الشاعر

أفادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا

وقال ابن عائشة كان يقال ما أنعم الله على عبد نعمة فظلم بها إلا أن كان حقا على الله تعالى أن يزيلها عنه وأنشد أبو العباس ارة في المعنى

أعارك ماله لتقوم فيه ... بواجبه وتقضي على بعض حقه

فلم تقصد لطاعته ولكن ... قويت على معاصيه برزقه

(وقال آخر) ولو أن لي في كل منبت شعرة ... لسانا يطيل الشكر كنت مقصرا

وقال محمد بن حنبل الراوية إذا قل الشكر خسر المن وروى إذا جحدت الصنيعة خسر الامتنان وسئل بعض الحكماء ما أضيع الاشياء قال مطر الجود في أرض سبخة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها وسراج يوقد في الشمس وجارية حسناء يزف إلى أعمى وصنيعة تسدى إلى من لا يشكرها قال عبد الأعلى بن حماد دخلت إلى المتوكل فقال يا أبا يحيى قد هممنا أن نصلك بخير فدافعته الأمور فقلت يا أمير المؤمنين بلغني عن جعفر بن محمد الصادق أنه قال من لم يشكر الهمة لم يشكر النعمة وأنشدته

لأشكرن لك معروفا هممت به ... فإن همك بالمعروف معروف

ولا ألومك إن لم يمضه قدر ... فالشر بالقدر المحتوم مصروف

(قال أبو فرس بن حمدان)

وما نعمة مكفورة قد صنعتها ... الى غير ذي شكر بمانعتي اخرى

سآتي جميلا ما حييت فانني ... إذا لم أفد شكرا أفدت به أجرا

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من امتطى الشكر بلغ به المزيد وقيل من جعل الحمد خاتمة النعمة جعله الله فاتحة للمزيد وقال ابن السماك النعمة من الله تعالى على عبده مجهولة فاذا فقدت عرفت وقيل من لم يشكر على النعمة فقد استدعى زوالها وكان يقال اذا كانت النعمة وسيمة فاجعل الشكر لها تميمة وقال حكيم لا تصطنعوا ثلاثة اللئيم فإنه بمنزلة الأرض السبخة والفاحش فإنه يرى أن الذي صنعت اليه انما هو لمخافة فحشه والأحمق فإنه لا يعرف قدر ما أسديت اليه وإذا اصطنعت الكريم فازرع المعروف واحصد الشكر ودخل أبو نخيلة على السفاح لينشد فقال ما عسيت أن تقول بعد قولك المسلمة

أمسلمة يا فخر كل خليفة ... ويا فارس الدنيا ويا جبل الأرض

شكرتك ان الشكر دين على الفتى ... وما كل من أوليته يقضي

وأحييت لي ذكرى وما كان خاملا ... ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

وسمعه الرشيد فقال هكذا يكون شعر الأشراف مدح صاحبه ولم يضع نفسه وعن نصر بن سيار عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال من أنعم على رجل نعمة فلم يشكر له فدعا عليه استجيب له ثم قال نصر اللهم اني أنعمت على بني بسام فلم يشكروا اللهم اقتلهم فقتلوا كلهم وعن ابن الحسين رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ إن المؤمن ليشبع من الطعام فيحمد الله تعالى فيعطيه من الاجر ما يعطى الصائم القائم ان الله شاكر يحب الشاكرين وعن محمد بن علي ما أنعم الله على عبد بنعمة فعلم انها من الله الا كتب الله له شكرها قبل أن يحمده عليها ولا أذنب عبد ذنبا فعلم أن الله قد اطلع عليه ان شاء غفر له وإن شاء آخذه قبل أن يستغفره الا غفر الله له قبل أن يستغفره وأولى رجل اعرابيا

بيت الخلاء (وقال الشافعي رضي الله عنه) فالبث مالك رضي الله عنه حتى أقبل هو والغلام حاملا طبقا فوضعه من يده وسلم على الإمام ثم قال لعبد

اغسل علينا فوثب الغلام إلى الاناء أراد أن يغسل على أولا فصاح عليه مالك وقال الغسل في أول الطعام لرب البيت وفي آخر الطعام للضيف (وقال الشافعي رضي الله عنه) فاستحسنت ذلك من الإمام مالك رضي الله عنه وسألته عن شرحه فقال انه يدعو الناس إلى كرمه فحكمه أن يبتدى بالغسل وفي آخر الطعام ينظر من يدخل فيأكل منه (فقال الشافعي رضي الله عنه) فكشف الإمام رضي الله عنه الطبق فكان فيه صحفتان في إحداهما لبن والأخرى تمر فسمى الله تعالى وسميت فاتيت أنا ومالك على جميع الطعام وعلم مالك أنا لم تأخذ من الطعام الكفاية فقال لي يا أبا عبدالله هذا جهد من مقل إلى فقير معدم فقلت لاعذر على من أحسن انما العذر على من أساء (قال الشافعي رضي الله عنه) فأقبل مالك يسألني عن أهل مكة حتى دنت العشاء الآخرة ثم قام عني وقال حكم المسافر أن يقل تعبه بالاضطجاع فنمت ليلتي فلما كان في الثلث الأخير من الليل قرع على مالك الباب فقال لي الصلاة يرحمك الله فرأيته حامل إناء فيه ماء فتبشع على ذلك فقال لي لايرعك ما رأيته لخدمة الضيف فرض (قال الشافعي رضي الله عنه) فتجهزت للصلاة وصليت الفجر مع

من

خيراً فقال لا أبلاك الله ببلاء يعجزه عن صبرك وأنعم عليك بنعمة يعجز عنها شكرك وأنشد بعضهم وأجاد

ساشكر لا انى أجازيك منعما ... بشكرى ولكن كى يزداد لك الشكر
وذكر أياما لدى اصطنعتها ... وآخر مايبقى على الشاكر الذكر

(وقال آخر) أوليتنى نعما أبوح بشكرها ... وكفيتنى كل الأمور بأسرها
فلأشكرنك ماحييت وان أمت ... فتشكرنك أعظمى فى قبرها

(وقال آخر) أيارب أحسنت عودا وبدأة ... إلى فلم ينهض باحسانك الشكر
فمن كان ذا عذر لديك وحجة ... فعذرى اقرارى بأن ليس لى عذر

وقال محمود الوراق الهى لك الحمد الذى أنت أهله ... على نعم ماكنت قط لها أهلا
ان زدت تقصيراً تزدنى تفضلا ... كأنى بالتقصير أستوجب الفضلا

وقد أحسن نصيب فى صف الثناء والشكر بقوله

فعاجوا فاثنوا بالذى أنت أهله ... ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

(وقال رجل من غطفان)

الشكر أفضل ماحاولت ملتمسا ... به الزيادة عند الله والناس

وقيل شكر المنعم عليك وانعم على الشاكر لك تستوجب من ربك الزيادة ومن أخيك المناصحة (الفصل الثالث من هذا الباب فى المكافأة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسدى إليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا له ولما قدم وفد النجاشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يخدمهم بنفسه فقيل له يارسول الله لو تركتنا كفيناك فقال كانوا لاصحابى مكرمين وقيل أتى رجل من الانصار إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال

اذكر صنيعى إذا فاجاك ذو سفه ... يوم السفينة والصديق مشغول

فقال عمر بأعلى صوته ادن منى فدنا منه فأخذ بذراعه حتى استشرفه الناس وقال الا ان هذا ردعنى سفيها من قومه يوم السفينة ثم حمل على نجيب وزاد فى عطائه وولاه صدقة قومه وقرأ جزاء الاحسان إلا الاحسان وقال رجل لسعيد بن العاص وهو أمير الكوفة يدى عندك بيضاء قال وماهى قال كبت بك فرسك فتقدمت اليك قبل غلمانك فأخذت بعضك وأركبتك وأسقيتك ماء قال فأين كنت الى الآن قال حجبت عن الوصول اليك قال قد أمرنا لك بمائتى الف درهم وبما يملكه الحاجب اذ حجبك عنا (وقال) قطرى بن الفجاءة لخارجى أسره الحجاج على من عليه فأطلقه عاود قتال عدو الله هيهات شديداً مطلقها وأرق رقبة معتقها ثم قال

أقاتل الحجاج عن سلطانه ... بيد تقر بأنها مولاتى
ماذا أقول اذا وقفت ازاءه ... فى الصف واحتجت له فعلاته
أأقول جار على لا انى اذا ... لاحق من جارت عليه ولاته
وتحدث الاقوام ان صنائعا ... غرست لدى لحنظلت نخلاته

واجتاز الشافعى رحمه الله تعالى بمصر فى سوق الحدادين فسقط سوطه فقام انسان فأخذه ومسحه وناوله اياه فقال لغلامه كم معك قال عشرة دنانير قال ادفعها اليه واعتذر له واستنشد عبد الملك عامر الشعبى فأنشده لغير ماشاعر حتى أنشد الحسان

من سره شرف الحياة فلم يزل ... فى عصبة من صالحى الانصار
البائعين نفوسهم لنبيهم ... بالمشرفى وبالقنا الخطار
الناظرين بأعين محمرة ... كالجمر غير كليلة الأبصار

فقام أنصارى فقال يا أمير المؤمنين استوجب عامر الصلة على ستون من الابل كما أعطينا حسنا يوم قالها فقال عبد الملك وله عندى ستون الفا وستون من الابل وعن على كرم الله وجهه أحسنوا فى عقب غيركم تحفظوا فى عقبكم وقال المدائنى رأيت رجلا يطوف بين الصفا والمروة على بغلة ثم رأيته ماشيا فى سفر فسألته عن ذلك فقال ركبت حيث يمشى الناس فكان حقا على الله أن يرجلنى حيث يركب الناس

(ومما جاء فى المكافأة) ما حكى عن الحسن بن سهل قال كنت يوما عند يحيى بن خالد البرمكى وقد خلا فى مجلسه لاحكام أمر من أمور الرشيد فبينما نحن جلوس إذ دخل عليه جماعة من أصحاب الحوائج فقضاها لهم ثم توجهوا لشأنهم فكان آخرهم قياما أحمد بن أبى خالد الاحول فنظر يحيى اليه والتفت إلى الفضل ابنه وقال يا بنى أن لأبيك مع أبى هذا الفتى حديثا فاذا فرغت من شغلى هذا فذكرنى أحدثك به فلما فرغ من شغله وطعم قال له ابنه الفضل أعزك الله يا أبى أمرتنى أن أذكرك حديث أبى خالد الاحول قال نعم يا بنى لما قدم أبوك من العراق أيام المهدى كان فقيراً لايملك شيئا فاشتدبى الامر إلى أن قال لى من فى منزلى أنا قد كتمنا حالنا وزاد ضررنا ولنا اليوم ثلاثة أيام ما عندنا شىء نقتات به فبكيت يا بنى لذلك بكاء شديداً وبقيت ولهان حيران مطرقا مفكرا ثم تذكرت منديلا كان عندى فقلت لهم ما حال المنديل فقالوا هو باق عندنا فقلت أدفعوه لى فأخذته ودفعته إلى بعض أصحابى وقلت له بعه بما تيسر فباعه بسبعة عشر درهما فدفعتها إلى أهلى وقلت انفقوها إلى أن يرزق الله غيرها ثم بكرت من الغد إلى باب أبى خالد وهو يومئذ وزير المهدى فاذا الناس وقوف على داره ينتظرون خروجه فخرج عليهم راكبا فلما رآنى سلم على وقال كيف حالك فقلت يا أبا خالد ما حال رجل يبيع من منزله بالامس منديلا بسبعة عشر درهما فنظر إلى نظراً شديداً وما أجابنى جوابا فرجعت إلى أهلى كسير القلب وأخبرتهم بما اتفق لى مع أبى خالد فقالوا بئس والله ما فعلت توجهت إلى رجل كان يرتضيك لامر جليل فكشفت له سرك وأطلعته على مكنون أمرك فأزريت عنده بنفسك وصغرت عنده منزلتك بعد أن كنت عنده جليلا فما يراك بعد اليوم الا بهذه العين فقلت قد قضى الامر الآن بما لا يمكن استدراكه فلما كان من الغد بكرت إلى باب الخليفة فلما بلغت الباب استقبلنى رجل فقال لى قد ذكرت الساعة بباب أمير المؤمنين فلم التفت لقوله فاستقبلنى آخر فقال لى كمقالة الأول ثم استقبلنى حاجب أبى خالد فقال لى أين تكون قد أمرنى أبو خالد باجلاسك إلى أن يخرج من عند أمير المؤمنين فجلست حتى خرج فلما رآنى دعانى وأمر لى بمركوب فركبت وسرت معه إلى منزله فلما نزل قال على بفلان وفلان الحناطين فأحضرا فقال لهما ألم تشتريا منى غلات السواد بثمانية عشر الف الف درهم قالا نعم قال ألم أشترط عليكما شركة رجل معكما قالا بلى قال هو هذا الرجل الذى اشترطت شركته لكما ثم قال لى قم معهما فلما خرجنا قالا لى ادخل معنا بعض المساجد حتى نكلمك فى أمر يكون لك فيه الربح الهنىء فدخلنا مسجدا فقال لى انك تحتاج فى هذا الامر إلى وكلاء وأمناء وكيالين وأعوان ومؤن لم تقدر منها على شىء فهل لك أن تبيعها شركتك بمال نعجله لك فتنتفع به وتسقط عنك التعب والكلف فقلت لهما وكم تبذلان لى فقالا مائة

الامام مالك فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس لايعرف بعضهم بعضا من شدة الغلس وجلس كل واحد منا فى مصلاه يسبح الله تعالى إلى أن طلعت الشمس على رؤس الجبال فجلس مالك فى مجلسه بالامس وناولنى الموطأ عليه وأقرؤه على الناس وهم يكتبونه (وقال الشافعى رضى الله عنه) فأتيت على حفظه من أوله إلى آخره وأقمت ضيف مالك ثمانية أشهر فما علم أحد من الانس الذى كان بيننا أينا الضيف ثم قدم على مالك المصريون بعد قضاء حجتهم للزيارة واسماع الموطأ (قال الشافعى) فأمليت عليهم حفظا منهم عبد الله بن عبد الحكم وأشهب وابن القاسم قال الربيع أحسب أنه ذكر الليث بن سعد ثم قدم بعد ذلك أهل العراق لزيارة النبى صلى الله عليه وسلم قال الشافعى رضى الله عنه فرأيت بين القبر والمنبر فتى جميل الوجه لطيف الثوب حسن الصلاة فتوسمت فيه خيراً فسألته عن اسمه فأخبرنى وسألته عن بلده فقال العراق فقلت أى العراق فقال لى الكوفة فقلت من العالم بها والمتكلم فى نص الكتاب والمفتى بأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى أبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحبا أبى حنيفة رضى الله عنه (وقال الشافعى رضى الله عنه) فقلت ومتى عزمتم تظعنون فقال لى فى غداة غد وقت الفجر فعدت إلى مالك فقلت له خرجت من مكة فى طلب العلم بغير استئذان العجوز فأعود اليها أو ارحل فى طلب العلم فقال لى العلم فائدة يرجع منها إلى فائدة أم تعلم

الف درهم فقلت لاأفعل فمازال يزيدانى وأنا لا ارضى إلى أن قال ثلثمائة الف درهم ولا زيادة عندنا على هذا فقلت حتى أشار أبا خالد قال ذلك لك فرجعت اليه وأخبرته فدعاهما وقال لهما هل وافقتماه على ماذكر قال نعم قال اذهبا فاقبضاه المال الساعة ثم قال لى أصلح أمرك وتهيأ فقد قلدتك العمل فاصلحت شأنى وقلدنى ما وعدنى به فمازلت فى زيادة حتى صار أمرى إلى ما صار ثم قال لولده الفضل يا بنى فما تقول فى ابن من فعل بابيك هذا الفعل وما جزاؤه قال حق لعمرى وجب عليك له فقال والله يا ولدى ما أحد له مكافأة غير انى أعزل نفسى وأوليه ففعل ذلك رضى الله عنه وهكذا تكون المكافأة ومن ذلك ما حكى عن العباس صاحب شرطة المأمون قال دخلت يوما مجلس امير المؤمنين ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد فلما رآنى قال لى عباس قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال خذ هذا اليك فاستوثق منه واحتفظ به وبكر به إلى غدفى واحترز عليه كل الاحتراز قال العباس فدعوت جماعة فحملوه ولم يقدر أن يتحرك فقلت فى نفسى مع هذه الوصية التى أوصانى بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب الا أن يكون معى فى بيتى فأمرتهم فتركوه فى مجلس لى فى دارى ثم أخذت أسأله عن قضيته وعن حاله ومن أين هو فقال أنا من دمشق فقلت جزى الله دمشق وأهلها خيرا فمن أنت من أهلها قال وعمن تسأل قلت أتعرف فلانا قال ومن أين تعرف ذلك الرجل فقلت وقع لى معه قضية فقال ما كنت بالذى أعرفك خبره حتى تعرفنى قضيتك معه فقال ويحك كنت مع بعض الولاة بدمشق فبغى أهلها وخرجوا علينا حتى ان الوالى تدلى فى زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو وأصحابه وهربت فى جملة القوم فبينما أنا هارب فى بعض الدروب وإذا بجماعة يعدون خلفى فمازلت أعدو أمامهم حتى فتهم فمررت بهذا الرجل الذى ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت أغثنى أغاثك الله قال لا بأس عليك ادخل الدار فدخلت فقالت زوجته ادخل تلك المقصورة فدخلتها ووقف الرجل على باب الدار فما شعرت إلا وقد دخل والرجال معه يقولون هو والله عندك فقال دونك الدار ففتشوها ففتشوها حتى لم يبق سوى تلك المقصورة وامرأته فيها فقالوا هو هنا فصاحت بهم المرأة ونهرتهم فانصرفوا وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة وأنا قائم أرجف ما تحملنى رجلاى من شدة الخوف فقالت المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم ألبث حتى دخل الرجل فقال لا تخف قد صرف الله عنك شرهم وصرت إلى الأمن والدعة ان شاء الله تعالى فقلت له جزاك الله خيرا فمازال يعاشرنى أحسن معاشرة وأجملها وأفرد لى مكانا فى داره ولم يحوجنى إلى شىء ولم يفتر عن تفقد أحوالى فأقمت عنده أربعة أشهر فى أرغد عيش وأهنئه إلى أن سكنت الفتنة وهدأت وزال أثرها فقلت له أتأذن لى فى الخروج حتى أتفقد حال غلمانى فلعلى أقف منهم على خبر فأخذ على المواثيق بالرجوع اليه فخرجت وطلبت غلمانى فلم أر لهم أثرا فرجعت اليه وأعلمته الخبر وهو مع هذا كله لا يعرفنى ولا يسألنى ولا يعرف اسمى ولا يخاطبنى الا بالسكنية فقال غلام تعزم فقلت عزمت على التوجه إلى بغداد فقال القافلة بعد ثلاثة أيام تخرج وها أنا قد أعلمتك فقلت له انك تفضلت على هذه المدة ولك على عهد الله انى لا أنسى لك هذا الفضل ولأفينك مهما استطعت قال فدعا غيرما له أسود وقال له أسرج الفرس الفلانى ثم جهز اله السفر فقلت فى نفسى أظن أنه يريد أن يخرج إلى ضيعة أو ناحية فى النواحى فأقاموا يومهم ذلك فى كد وتعب فلما كان يوم خروج القافلة جاء فى السحر وقال لى يا فلان قم فان القافلة تخرج الساعة وأكره أن تنفرد عنها فقلت فى نفسى كيف أصنع وليس معى ما أتزود به ولا ما أكرى به مركوبا ثم قمت فاذا هو وامرأته يحملان بقجة من أفخر الملابس وخفين جديدين وآلة

أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلبه (قال الشافعى رضى عنه) فلما أزمعت على السفر زودنى الإمام مالك رضى الله عنه فلما كان فى السحر سار معى مشيعا إلى البقيع ثم صاح بعلو صوته من يكرى راحلته إلى الكوفة فأقبلت عليه وقلت بم تكترى وليس معك ولا معى شىء فقال لى انصرفت البارحة بعد صلاة العشاء الآخرة إذا قرع على قارع الباب فخرجت اليه فأصبت ابن القاسم فسألنى قبول هديته فقبلتها فدفع لى صرة فيها مائة دينار وقد أتيتك بنصفها وجعلت النصف لعيالى فاكترى لى بأربعة دنانير ودفع إلى باقى الدنانير وودعنى وانصرف وسرت فى جملة الخلق حتى وصلت إلى الكوفة يوم أربع عشرين من المدينة فدخلت المسجد بعد صلاة العصر وصليت فبينما أنا كذلك إذ رأيت غلاما قد دخل المسجد وصلى العصر فما أحسن الصلاة فقمت إليه ناصحا فقلت له أحسن صلاتك لئلا يعذب الله هذا الوجه الجميل بالنار فقال لى أنا أظن أنك من أهل الحجاز لأن فيكم الغلظة والجفاء وليس فيكم رقة أهل العراق وأنا أصلى هذه الصلاة خمس عشرة سنة بين يدى محمد بن الحسن وأبى يوسف فما عابا صلاتى قط وخرج منفجعا ينفض رداءه فى وجهى فلق للتوفيق محمد بن الحسن وأبا يوسف بباب المسجد السفر فقال اعلمانى صلاتى من عيب فقالا اللهم لا فقال فى مسجدنا هذا من عاب صلاتى فقالا اذهب اليه فقل له بم تدخل فى الصلاة

قال الشافعي رضي الله عنه) فقال لي يا من عاب صلاتي ثم تدخل في الصلاة فقلت بفرضين وسنة فعاد إليهما وأعلمها بالجواب فعلما أنه جواب من نظر في العلم فقالا اذهب إليه فقل له ما الفرضان وما السنة فأتى إلى فقال ما الفرضان وما السنة فقلت له أما الفرض الأول فالنية والثاني تكبيرة الاحرام والسنة رفع اليدين فعاد إليهما فأعلمهما بذلك فدخلا إلى المسجد فلما نظرا إلى أظنهما ازدرياني فجلسا ناحية وقالا اذهب إليه وقل له أجب الشيخين (قال الشافعي رحمه الله تعالى). فلما أتاني علمت انى مسئول عن شيء من العلم فقلت من حكم العلم أن يؤتى إليه وما علمت لى إليهما حاجة قال الشافعي رضي الله عنه فقاما من مجلسهما إلى فلما سلما على قمت إليهما وأظهرت البشاشة لهما وجلست بين أيديهما فأقبل على محمد بن الحسن وقال أحرمى أنت فقلت نعم فقال اعربي أم مولى فقلت عربي فقال من أى العرب فقلت من ولد المطلب قال من ولد من قلت من ولد شافع قال رأيت مالكا قلت من عنده أتيت قال لى نظرت في الموطأ قلت أتيت على حفظه فعظم ذلك عليه ودعا بدواة وبياض وكتب مسئلة في الطهارة ومسئلة في الزكاة ومسئلة في البيوع والفرائض والرهان والحج والايلاء ومن كل باب في الفقه مسئلة وجعل بين كل مسئلتين بياضا ودفع إلى الدرج (٢٤١) وقال أجب عن هذه المسائل كلها من الموطأ (قال الشافعي رضي الله عنه) فأجبت بنص كتاب الله وبسنة نبيه عليه الصلاة والسلام واجماع المسلمين في المسائل كلها ثم دفعت إليه الدرج فتأمله ونظر فيه ثم قال لعبده خذ سيدك إليك (قال الشافعي رضي الله تعالى عنه) ثم سألني النهوض مع العبد فنهضت غير ممتنع .فلما صرت إلى الباب قال لى العبد أن سيدى أمرني أن لا نسير إلى المنزل الا راكبا (قال) الشافعي رضي الله تعالى عنه فقلت له قدم فقدم إلى بغلة بسرج محلى فلما علوت على ظهرها رأيت نفسي باطمار رثة فطاف بى أزقة الكوفة إلى منزل محمد بن الحسن فرأيت أبوابا ودهاليز منقوشة بالذهب والفضة فذكرت ضيق أهل الحجاز وماهم فيه فبكيت وقلت أهل العراق ينقشون سقوفهم بالذهب والفضة وأهل الحجاز يأكلون القديد ويمصون النوى ثم أقبل على محمد بن الحسن وأنا في بكائي فقال لا يروعك ياعبد الله ما رأيت فما إلا هو من حقيقة حلال ومكتسب وما يطالبني الله فيها بفرض واني أخرج زكاتها في كل عام بأسر بها الصديق وأكبت بها العدو (قال الشافعي رضي الله تعالى عنه) فما بت حتى كساني محمد بن الحسن خلعة بألف درهم ثم دخل خزانته فأخرج إلى الكتاب الاوسط تأليف الإمام أبي حنيفة فنظرت في أوله وفي آخره ثم ابتدأت الكتاب في ليلتي أتحفظه فما أصبحت إلا قد حفظته ومحمد بن الحسن لا يعلم بشيء من ذلك وكان المشهور بالكوفة فالفتوى والمجيب في النوازل فأنا قاعد عن يمينه في بعض الأيام إذ سئل عن مسئلة أجاب فيها وقال هكذا قال أبو حنيفة فقلت وهمت في الجواب في هذه المسئلة والجواب من قول الرجل كذا وكذا وهذه المسئلة تحتها المسئلة الفلانية وفوقها المسئلة الفلانية في الكتاب الفلاني فأمر محمد بن الحسن بالكتاب فأحضر فتصفحه ونظر فيه فوجد القول كما قلته

السفرة ثم جاءني بسيف ومنطقة فشدهما في وسطى ثم قدم بغلا لحمل عليه صندوقين وفوقهما فرش ودفع إلى نسخة ما في الصندوقين وفيهما خمسة آلاف درهم وقدم إلى الفرس الذى كان جهزه وقال اركب وهذا الغلام الاسود يخدمك ويسوس مركوبك وأقبل هو وامرأته يعتذران إلى من التقصير في أمرى وركب معى يشيعني وانصرفت إلى بغداد وأنا أتوقع خبره لأنى بعهدي له في مجازاته ومكافأته واشتغلت مع أمير المؤمنين فلم أتفرغ أن أرسل إليه من يكشف خبره فلهذا أنا أسأل عنه فلما سمع الرجل الحديث قال فقد أمكنك الله تعالى من الوفاء له ومكافأته على فعله ومجازاته على صنيعه بلا كلفة عليك ولا مؤنة تلزمك فقلت وكيف ذلك قال أنا ذلك الرجل وإنما الضر الذى أنا فيه غير عليك حالي وما كنت تعرفني ثم لم يزل يذكر تفاصيل الاسباب حتى أثبت معرفته فما تمالكت أن قمت وقبلت رأسه ثم قلت له فما الذى أصارك إلى ما أرى فقال هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التى كانت في أيامك فنسبت إلى وبعث أمير المؤمنين بجيوش فاصلحوا البلد وأخذت أنا وضربت إلى أن أشرفت على الموت وقيدت وبعث بى إلى أمير المؤمنين وأمرى عنده عظيم وخطبى لديه جسيم وهو قاتل لا محالة وقد أخرجت من عند أهلى بلا وصية وقد تبعني من غلماني من ينصرف إلى أهلى بخبرى وهو نازل عند فلان فان رأيت أن تجعل من مكافأتك لى أن ترسل من يحضره لى حتى أوصيه بما أريد فان أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافأة وقمت لى بوفاء عهدك قال العباس قلت يصنع الله خيرا ثم أحضر حدادا في الليل ففك قيوده وأزال ما كان فيه من الانكال وأدخله حمام داره وألبسه من الثياب ما احتاج إليه ثم سير من أحضر إليه علامه فلما رآه جعل يبكى ويوصيه فاستدعى العباس نائبه وقال على بالفرس الفلانى والفرس الفلانى

فرجع عن جوابه إلى ما قلت ولم يخرج إلى كتابا بعد هذا (قال الشافعي) أستاذنته في الرحيل فقال ما كنت لآذن لك بف
بالرحيل عني وبذل لي في مشاطرة نعمته ما لذا قصدت ولا لذا أردت ولا رغبتي إلا في السفر قال فامر غلامه أن
يأتي بكل ما في خزانته من بيضاء وحمراء فدفع إلى ما كان فيها وهو ثلاثة آلاف درهم وأقبلت أطوف العراق وأرض
فارس وبلاد الاعاجم وألقى الرجال حتى صرت ابن احدى وعشرين سنة ثم دخلت العراق في خلافة هرون الرشيد
عند دخول الباب تعلق بي غلام فلاطفني وقال لي ما اسمك فقلت محمد قال ابن من قلت ابن ادريس الشافعي فقال مطلبي
قلت أجل فكتب ذلك في لوح كان في كمه وخلى سبيلي فأويت إلى بعض المساجد أفكر في عاقبة ما فعل حتى إذا
ذهب من الليل النصف كبس المسجد وأقبلوا يتأملون وجه كل رجل حتى أتوا إلى فقالوا للناس لا بأس عليكم هذا هو
الحاجة والغاية المطلوبة ثم أقبلوا على وقالوا أجب أمير المؤمنين فقمت غير ممتنع فلما بصرت بأمير المؤمنين سلمت عليه سلاما
بينا فاستحسن الالفاظ ورد على الجواب ثم قال تزعم انك من بني هاشم فقلت يا أمير المؤمنين كل زعم في كتاب الله باطل
فقال أبن لي عن نسبك فانتسبت حتى لحقت آدم عليه السلام فقال لي الرشيد ما تكون هذه الفصاحة

ولا هذه البلاغة الا في رجل من ولد المطلب هل لك أن أولك قضاء المسلمين وأشاطرك ما أنا فيه وتنفذ فيه حكمك وحكمي على ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام واجتمعت عليه الامة فقلت يا أمير المؤمنين لو سألتني أن أفتح باب القضاء بالغداة واغلقه بالعشي بنعمتك هذه ما فعلت ذلك أبدا فبكى الرشيد وقال تقبل من عرض الدنيا شيء قلت يكون معجلا فأمر لي بألف دينار فما برحت من مقامي حتى قبضتها ثم سألني الغلمان والحشم أن أصلهم من صلتي
فلم تسع المروءة أن كنت مسئولا غير المقاسمة فيما أنعم الله به على فخرج لي قسم كأقسامهم ثم عدت إلى المسجد الذي كنت
فيه في ليلتي فتقدم يصلي بنا غلام صلاة الفجر في جماعة فأجاد القراءة ولحقه سهو ولم يدر كيف الدخول ولا كيف
الخروج فقلت له بعد السلام أفسدت علينا وعلى نفسك أعد فأعاد مسرعا وأعدنا ثم قلت له أحضر بياضا أعمل لك باب
السهو في الصلاة والخروج منها فسارع إلى ذلك ففتح الله عز وجل على فألفت له كتابا من كتاب الله وسنة نبيه عليه
الصلاة والسلام وإجماع المسلمين وسميته باسمه وهو أربعون جزءا يعرف بكتاب الزعفران وهو الذي وضعته بالعراق حتى
تكامل في ثلاث سنين وولاني الرشيد الصدقات بنجران وقدم الحجاج فخرجت أسألهم عن الحجاز فرأيت فتى في قبته فلما
أشرت إليه بالسلام أمر قائد القبة أن يقف وأشار إلى بالكلام فسألته عن الإمام مالك وعن الحجاز أجاب بخير ثم عاودته
إلى السؤال عن مالك فقال لي أشرح لك أو أختصر قلت في الاختصار البلاغة فقال في صحة جسم وله ثلثمائة جارية يبيت
عند الجارية ليلة فلا يعود إليها إلى سنة فقد اختصرت لك خبره (قال الشافعي رضي الله تعالى عنه) فاشتهيت أن أراه

والبغل الفلاني والبغلة الفلانية حتى عد عشرة ثم عشرة من الصناديق ومن الكسوة كذا كذا ومن
الطعام كذا وكذا قال ذلك الرجل وأحضر بدرة عشرة آلاف درهم وكيسا فيه خمسة آلاف دينار
وقال لنائبه في الشرطة خذ هذا الرجل وشيعه إلى حد الانبار فقلت له ان ذنبي عند أمير المؤمنين عظيم
وخطبي جسيم وان أنت احتججت بأني هربت بعث أمير المؤمنين في طلبي كل من على بابه فأرد وأقتل
فقال انج بنفسك ودعني أدبر أمري فقلت والله ما أبرح من بغداد حتى أعلم ما يكون من خبرك فان
احتجت إلى حضوري حضرت فقال لصاحب الشرطة ان كان الامر على ما يقول فليكن في موضع كذا
فإن أنا سلمت في غداة أعلمته وان أنا قتلت فقد وقيته بنفسي كما وقاني بنفسه وأنشدك الله أن
لا يذهب من ماله درهم وتجتهد في اخراجه من بغداد قال الرجل فأخذني صاحب الشرطة وصيرني في
مكان أثق به وتفرغ العباس لنفسه وتحنط وجهز له كفنا قال العباس فلم أفرغ من صلاة الصبح إلا
ورسل المأمون في طلبي ويقولون يقول لك أمير المؤمنين هات الرجل معك وقم قال فتوجهت إلى
دار أمير المؤمنين فإذا هو جالس وعليه ثيابه وهو ينتظرنا فقال أين الرجل فسكت فقال ويحك
أين الرجل فقلت يا أمير المؤمنين اسمع مني فقال لله على عهد لئن ذكرت أنه هرب لأضربن عنقه فقلت
لا والله يا أمير المؤمنين ما هرب ولكن اسمع حديثي وحديثه ثم شأنك ما تريد أن تفعله في أمري قال
قل فقلت يا أمير المؤمنين كان من حديثي معه كيت وكيت وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته إنني
اريد أن أفي له وأكافئه على ما فعله معي وقلت أنا وسيدي ومولاي أمير المؤمنين بين أمرين أما أن
يصفح عني فأكون قد وفيت وكافأت وأما أن يقتلني فأفيه بنفسي وقد تحنطت وها كفني يا أمير المؤمنين
فلما

فى حال غناه كما رأيته فى حال فقره فقلت له أما عندك من المال مايصلح للسفر فقال انك لتوحشنى خاصة وأهل العراق عامة وجميع مالى فيه لك فقلت له فبم تعيش قال بالجاه ثم نظر إلى وحكمنى فى ماله فأخذت منه على حسب الكفاية والنهاية وسرت على ديار ربيعة ومصر فأتيت حران ودخلتها يوم الجمعه فذكرت فضل الغسل وما جاء فيه فقصدت الحمام فلما سكبت الماء رأيت شعر رأسى شعثا فدعوت المزين فلما بدأ بدأ برأسى وأخذ القليل من شعرى دخل قوم من أعيان البلد فدعوه إلى خدمتهم فسارع اليهم وتركنى فلما قضوا ماأرادوا منه عاد إلى فما أردته وخرجت من الحمام فدفعت اليه أكثر ما كان معى من الدنانير وقلت له خذ هذه وإذا وقف بك غريب لاتحتقره فنظر لى متعجبا فاجتمع على باب الحمام خلق كثير فلما خرجت عاتبنى الناس فبينما أنا كذلك اذ خرج بعض من كان فى الحمام من الأعيان فقدمت له بغلة ليركبها فسمع خطابى لهم فانحدر عن البغلة بعد أن استوى عليها وقال لى انت الشافعى فقلت نعم فمد الركاب مما يلينى وقال بحق الله اركب ومضى الغلام مطرقا بين يدى حتى أتيت إلى منزل الفتى ثم أتى وقد حصلت فى منزله فأظهر البشاشة ثم دعا بالغسل فغسل علينا ثم حضرت المائدة فسمى وحبست يدى فقال مالك ياعبد الله فقلت له طعامك حرام على حتى أعرف من أين هذه المعرفة فقال أنا ممن سمع منك الكتاب الذى وضعته ببغداد وأنت لى أستاذ (قال الشافعى رضى الله عنه) فقلت العلم بين أهل العقل رحم متصلة فأكلت بفرحة إذ لم يعرف الله تعالى الا بينى وبين أبناء جنسى وأقمت ضيفه ثلاثا فلما كان بعد ثلاث قال ان لى حول حران اربع ضياع مابحران أحسن منها أشهد الله ان اخترت المقام فانها هدية منى اليك فقلت فبم تعيش قال بما فى صناديق تلك وأشار اليها وهى اربعون الف درهم وقال أتجر بها فقلت ليس إلى هذا قصدت ولاخرجت من بلدى لغير طلب العلم فالمال إذا إلى من شأن المسافر فقبضت الاربعين ألفا وودعته وخرجت من مدينة حران وبين يدى أحمال ثم تلقانى الرجال وأصحاب الحديث منهم أحمد بن حنبل وسفيان ابن عيينة الأوزاعى فاجزت كل واحد منهم على قدر ماقسم له حتى دخلت مدينة الرملة وليس معى الاعشرة دنانير فاشتريت بها راحلة واستويت على كورها وقصدت الحجاز فما زلت من منهل الى منهل حتى وصلت إلى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم بعد سبعة وعشرين يوما بعد صلاة العصر فصليت العصر ورأيت كرسيا من الحديد عليه مخدة من قباطى مصر مكتوب عليها لاإله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الشافعى رضى الله عنه) وحوله أربعمائة أو دفتر يزدن وبينما أنا كذلك إذ رأيت مالك بن أنس رضى الله عنه قد دخل من باب النبى ﷺ وقد فاح عطره فى المسجد وحوله أربعمائة أو يزيدون يحمل ذيوله منهم أربعة فلما وصل قام اليه من كان قاعدا وجلس على الكرسى فألقى مسئلة فى جراح العمد فلما سمعت ذلك لم يسعنى الصبر فقمت قائما فى سور الحلقة فرأيت انسانا فقلت له قل الجواب كذا وكذا فبادر بالجواب قبل فراغ مالك من السؤال فاضرب عنه مالك وقبل على اصحابه فسألهم عن الجواب فخالفوه فقال لهم أخطأتم

فلما سمع المأمون الحديث قال ويلك لاجزاك الله عن نفسك خيرا انه فعل بك مافعل من غير معرفة وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهذا لاغير هلا عرفتنى خبره فكنا نكافئه عنك ولا نقصر فى وفائك له فقلت ياأمير المؤمنين انه ههنا قد حلف أن يبرح حتى يعرف سلامتى فان احتجت إلى حضوره حضر فقال المأمون وهذه منه اعظم من الاولى اذهب الآن اليه فطيب نفسه وسكن روعه وائتنى حتى اتولى مكافأته قال العباس فأتيت اليه وقلت له ازل خوفك ان امير المؤمنين قال وكيت فقال الحمد لله الذى لايحمد على السراء والضراء سواه ثم قام فصلى ركعتين ثم ركب وجئنا فلما مثل بين يدى أمير المؤمنين أقبل عليه وأدناه من مجلسه وحدثه حتى حضر الغداء وأكل معه وخلع عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستعفى فأمر له المأمون بعشرة افراس بسروجها ولجمها وعشرة أبغال بآلاتها وعشر بدر وعشرة آلاف دينار وعشرة مماليك بدوابهم وكتب إلى عامله بدمشق بالوصية به واطلاق خراجه وأمره بمكاتبته بأحوال دمشق فصارت كتبه تصل إلى المأمون وكلما وصلت خريطة البريد وفيها كتابه يقول لى ياعباس هذا كتاب صديقك والله تعالى اعلم (ومن عجائب هذا الاسلوب وغرائبه) ماأورده محمد بن القاسم الانبارى رحمه الله تعالى ان سوارا صاحب رحبة سوار وهو من المشهورين قال انصرفت يوما من دار الخليفه المهدى فلما دخلت منزلى دعوت بالطعام فلم تقبله نفسى فأمرت به فرفع ثم دعوت جارية كنت أحبها وأحب حديثها واشتغل بها فلم تطب نفسى فدخلت وقت القائلة فلم يأخذنى النوم فنهضت وأمرت ببغلة لى فأسرجت وأحضرت فركبتها فلما خرجت من المنزل استقبلنى وكيل لى ومعه مال فقلت ماهذا فقال ألفا درهم جبيتها من مستغلك الجديد قلت امسكها

وأصاب الرجل ففرح الجاهل باصابته فلما ألقى السؤال الثانى أقبل على الجاهل يطلب منى الجواب فقلت له الجواب كذا وكذا فبادر بالجواب فلم يلتفت اليه مالك فبادر إلى أصحابى واستخبرهم عن الجواب فخالفوه فقال لهم أخطأتم وأصاب الرجل (قال الشافعى رضى الله عنه) فلما ألقى السؤال الثالث قلت له قل الجواب كذا وكذا فبادر بالجواب فأعرض مالك عنه وأقبل على اصحابه فخالفوا فقال أخطأتم وأصاب الرجل ثم قال للرجل ادخل ليس ذلك موضعك فدخل الرجل طاعة منه لمالك وجلس بين يديه فقال له مالك قرأت الموطا قال لا قال فنظرت ابن جريج قال لا قال فلقيت جعفر بن محمد الصادق قال لا قال فهذا العلم من أين قال إلى جانبى غلام شاب يقول لى قل الجواب كذا وكذا فكنت أقول قال فالتفت مالك والتفت الناس بأعناقهم لالتفات مالك رضى الله عنه فقال للجاهل قم فأمر صاحبك الدخول الينا وقال الشافعى رضى الله عنه فدخلت فاذا أنا من مالك بالموضع الذى كان الجاهل فيه جالسا بين يديه فتأملنى ساعة وقال أنت الشافعى فقلت نعم فضمنى إلى صدره ونزل عن كرسيه وقال أتمم هذا الباب الذى نحن فيه حتى ننصرف إلى المنزل الذى هو لك المنسوب إلى (قال الشافعى رضى الله عنه) فألقيت أربعمائة مسئلة فى جراح العمد فما أجابنى أحد بجواب واحتجت أن آتى بأربعمائة جواب فقلت الأول كذا وكذا الثانى كذا وكذا حتى سقط القرص وصلينا المغرب فضرب مالك بيده إلى فلما تقدم وصلت المنزل رأيت بناء غير الأول فبكيت فقال مم بكاؤك كأنك خفت يا أبا عبد الله آن قد بعت الآخرة بالدنيا قلت هو والله ذلك قال طب نفسا وقر عينا هذه هدايا خرسان وهدايا مصر والهدايا تجىء من اقاصى الدنيا وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يقبل الهداية ويرد الصدقة وان لى ثلثمائة خلعة من زق خرسان وقباطى مصر وعندى عبيد بمثلها لم تستكمل الحلم فهم هدية منى اليك وفى صناديق تلك خمسة الاف دينار أخرج زكاتها عند كل حول فلك منى نصفها قلت انك موروث

معك واتبعنى فأطلقت رأس البغلة حتى عبرت الجسر ثم مضيت فى شارع دار الرقيق حتى انتهيت إلى الصحراء ثم رجعت إلى باب الانبار وانتهيت إلى باب دار نظيف عليه شجرة على الباب خادم فعطشت فقلت للخادم أعندك ماء تسقينيه قال نعم ثم دخل واحضر قلة نظيفة طيبة الرائحة عليها منديل فناولنى فشربت وحضر وقت العصر فدخلت مسجدا على الباب فصليت فيه فلما قضيت صلاتى إذا أنا بأعمى يلتمس فقلت ماتريد ياهذا قال إياك أريد قلت فما حاجتك فجاء حتى جلس إلى جانبى وقال شممت منك رائحة طيبة فظننت انك من أهل النعم فأردت أن أحدثك بشىء فقلت قل قال ألا ترى إلى باب هذا القصر قلت نعم قال هذا قصر كان لأبى فباعه وخرج إلى خراسان وخرجت معه فزالت عنا النعم التى كان فيها وعميت فقدمت هذه المدينة فأتيت صاحب هذه الدار لأسأله شيئا يصلنى به وأتوصل إلى سوار فانه كان صديقا لأبى فقلت ومن أبوك قال فلان بن فلان فعرفته فاذا هو كان من أصدق الناس إلى فقلت له ياهذا ان الله تعالى قد أتاك بسوار منعه من الطعام والنوم والقرار حتى جاء به فأقعده بين يديك ثم دعوت الوكيل فأخذت الدراهم منه فدفعتها إليه وقلت له إذا كان الغد فسر إلى منزلى ثم مضيت وقلت ماأحدث أمير المؤمنين بشىء اظرف من هذا فأتيته فاستأذنت عليه فأذن لى فلما دخلت عليه حدثته بما جرى لى فأعجبه ذلك وأمرلى بألفى دينار فاحضرت فقال ادفعها الى الأعمى فنهضت لاقوم فقال اجلس فجلست فقال أعليك دين قلت نعم قال كم دينك قلت خمسون ألفا فحدثنى ساعة وقال امض إلى منزلك فمضيت إلى منزلى فاذا بخادم معه خمسون ألفا وقال يقول لك امير المؤمنين اقض بها دينك قال فقبضت منه ذلك فلما كان من الغد أبطأ على الاعمى وأتانى رسول المهدى يدعونى فجئته فقال قد فكرت البارحة فى أمرك فقلت يقضى دينه ثم يحتاج إلى القرض أيضا وقد أمرت لك بخمسين ألفا أخرى قال فقبضتها وانصرفت فجاءنى الاعمى فدفعت اليه الالفى دينار وقلت له قد رزقك الله تعالى بكرمه وكافأك على احسان ابيك وكافأنى على اسداء المعروف اليك ثم أعطيته شيأ آخر من مالى فأخذه وانصرف والله سبحانه وتعالى أعلم (ومما هو أوضح حسنا وأرجح معنى) ماحكاه القاضى يحيى ابن اكثم رحمة الله عليه قال دخلت يوما على الخليفة هرون الرشيد المهدى وهو مطرق مفكر فقال لى اتعرف قائل هذا البيت

الخير أبقى وان طال الزمان به والشر أخبث ما أوعيت من زاد

فقلت ياأمير المؤمنين ان لهذا البيت شأنا مع عبيد بن الابرص فقال على بعبيد فلما حضر بين يديه قال له اخبرنى عن قضية هذا البيت فقال ياأمير المؤمنين كنت فى بعض السنين حاجا فلما توسطت البادية فى يوم شديد الحر سمعت ضجة عظيمة فى القافلة ألحقت أولها بآخرها فسألت عن القصة فقال لى رجل من القوم

تقدم قوما بالناس فتقدمت الى أول القافلة فاذا أنا بشجاع أسود فاغرفاه كالجذع وهو يخور كما يخور الثور ويرغو كرغاء البعير فهالنى أمره وبقيت لا أهتدى الى ما أصنع فى أمره فعدلنا عن طريقه إلى ناحية أخرى فعارضنا ثانيا فعلمت أنه لسبب ولم يجسر أحد من القوم أن يقربه فقلت أفدى هذا العالم بنفسى وأتقرب الى الله تعالى بخلاص هذا القافلة من هذا فأخذت قربة من الماء فتقلدتها وسللت سيفى وتقدمت فلما رآنى قربت منه سكن وبقيت متوقعا منه وثبة يبلعنى فيها فلما رأى القربة فتح فاه فجعلت فم القربة فى فيه وصببت الماء كما يصب فى الإناء فلما فرغت القربة تسيب فى الرمل ومضى فتعجبت من تعرضه لنا وانصرافه عنا من غير سوء لحقنا منه ومضينا لحجنا ثم عدنا فى طريقنا ذلك وحططنا فى منزلنا ذلك فى ليلة الظلمة مدلهمة فأخذت شيأ من الماء وعدلت الى ناحية من الطريق فقضيت حاجتى ثم توضأت وصليت وجلست أذكر الله تعالى فأخذتنى عينى فنمت مكانى فلما استيقظت من النوم لم أجد للقافلة حسا وقد ارتحلوا وبقيت منفردا لم أر أحدا ولم أهتد إلى ما أفعله وأخذتنى حيرة وجعلت أضطرب وإذا بصوت هاتف أسمع صوته ولا أرى شخصه يقول :

يا أيها الشخص المضل مركبه	ما عنده من ذى رشاد يصحبه
دونك هذا البكر منا تركبه	وبكرك الميمون حقا تجنبه
حتى إذا ما الليل زال غيبه	عند الصباح فى الفلا تسيبه

فنظرت فاذا أنا ببكر قائم عندى وبكرى الى جانبى فأنخته وركبته وجنبت بكرى فلما سرت قدر عشرة أميال لاحت لى القافلة وانفجر الفجر ووقف البكر فعلمت أنه قد حان نزولى فتحولت الى بكرى وقلت :

يا أيها البكر قد أنجيت من كرب	ومن هموم تضل المدلج الهادى
ألا تخبرنا بالله خالقنا	من ذا الذى جاد بالمعروف فى الوادى
وارجع حميدا فقد بلغتنا مننا	بوركت من ذى سنام رائح غادى

فالتفت البكرى إلى وهو يقول :

أنا الشجاع الذى ألفيتنى رمضا	والله يكشف ضر الحائر الصادى
فجدت بالماء لما ضن حامله	تكرما منك لم تمنن بانكاد
فالخير أبقى وإن طال الزمان	والشر أخبث ما أوعيت من زاد
هذا جزاؤك منى لا أمن به	فاذهب حميدا رعاك الخالق الهادى

تعجب الرشيد من قوله وأمر بالقصة والأبيات فكتبت عنه وقال لا يضيع المعروف أين وضع والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .

(تم الجزء الأول من الكتاب المستطرف ويليه الجزء الثانى أوله الباب الثالث والأربعون)

وأنا موروث فلا يبيت جميع ماوعدتنى به الاتحت خاتمى ليجرى ملكى عليه فان حضرنى أجلى كان لورثتى دون ورثتك وان حضرك أجلك كان لى دون ورثتك فتبسم وجهى وقار أبيت الا العلم فقلت لا يستعمل أحسن منه ومابت الا وجميع ماوعدنى به تحت ختمى فلما كان فى غداة غد صليت الفجر فى جماعة وانصرفت الى المنزل أنا وهو وكل واحدمنا يده فى يد صاحبه إذ رأيت كراعا على بابه من جياد خراسان وبغال من مصر فقلت ما رأيت كراعا أحسن من هذ افقال هو هدية منى اليك ياأبا عبدالله فقلت له دع لك منها دابة فقال انى أستحى من الله أن أطأ قرية فيها نبى الله ﷺ بحافر دابة) قال الشافعى) رضى الله عنه فعلمت أن ورع الامام مالك باق على حاله فأقمت عنده ثلاثة ثم ارتحلت الى مكة وأنا أسوق خير الله ونعمه ثم ألفنت من يعلم بخبرى فلما وصلت الى الحرم خرجت العجوز ونسوة معها فضمتنى الى صدرها وضمتنى بعدها عجوز كنت آلفها دعوها خالتى وقالت

ليس امسك اجتاحت المنا يا كل فؤاد عليك أم

فهرست مافى النصف الأول من كتاب المستطرف فى كل فن مستظرف من الأبواب والفصول المعروف جميعها فى ديباجة الكتاب وهى أربعة وثمانون بابا منها فى هذا النصف اثنان وأربعون كما هو موضح بهذه الفهرست المجعولة للاستدلال على أى باب من الأبواب أو فصل من الفصول فى أى صحيفة من صحائف هذا النصف

{ فهرست كتاب ثمرات الاوراق الموشى به الجزء الاولى من كتاب المستطرف }

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(تمت)

المستطرف

فى كل فن مستظرف

تأليف

﴿ شهاب الدين محمد بن أحمد أبى الفتح الأبشيهى المحلى ﴾

﴿ ٧٩٠ — ٨٥٠ هـ ﴾

ثمرات الأوراق فى المحاضرات

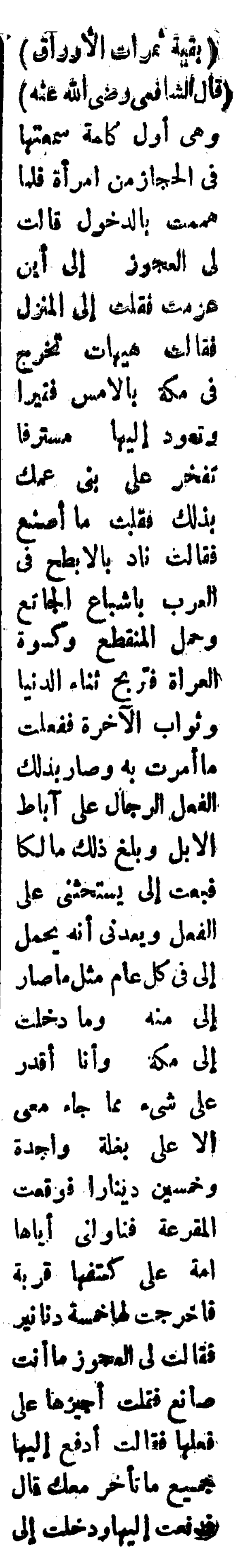
الجزء الثانى

لتقى الدين أبى بكر بن على بن محمد بن حجة الحموى القادرى الحنفى

ويليه ذيلان

١ — لابن حجة الحموى ٢ — لمحمد بن ابراهيم الأحدب

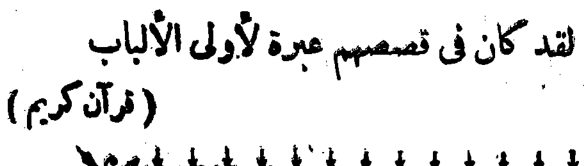
الناشر
مكتبة الجمهورية العربية
لصاحبها، عبدالفتاح عبدالحميد مراد
شارع الصنادقية بجوار الأزهر - مصر



(بقية ثمرات الأوراق)

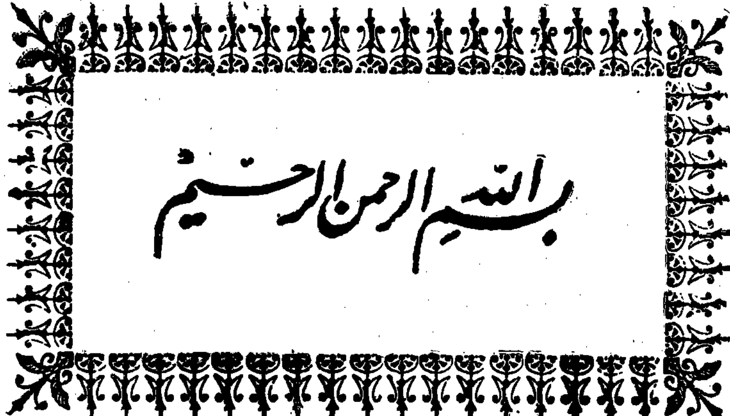
(قال الشافعي رضي الله عنه)

وهي أول كلمة سمعتها في الحجاز من امرأة فلما هممت بالدخول قالت لي العجوز إلى أين عزمت فقلت إلى المنزل فقالت هيهات تخرج في مكة بالامس فقيرا وتعود إليها مسترفا تفخر على بني عمك بذلك فقلت ما أصنع فقالت ناد بالابطح في العرب باشباع الجائع وحمل المنقطع وكسوة العراة فتربح ثناء الدنيا وثواب الآخرة ففعلت ماأمرت به وصار بذلك الفعل الرجال على آباط الابل وبلغ ذلك مالكا فبعث إلى يستحثني على الفعل ويعدني أنه يحمل إلى في كل عام مثل ماصار إلى منه وما دخلت إلى مكة وأنا أقدر على شيء مما جاء معي الا على بغلة واجدة وخمسين دينارا فوقعت المقرعة فناولني اياها امة على كتفها قربة فاخرجت لها خمسة دنانير فقالت لي العجوز ما أنت صانع فقلت أجيزها على فعلها فقالت أدفع إليها جميع ماتأخر معك قال فدفعت إليها ودخلت إلى



لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب

(قرآن كريم)



الباب الثالث والأربعون

في الهجاء ومقدماته

القصد من الهجاء الوقوف على ملحه وما فيه من ألفاظ فصيحة ومعان بديعة لا التشفي بالاعراض والوقوع فيها وليس الهجاء دليلا على اساءة المهجو ولاصدق الشاعر فيما رماه به فما كل مذموم بذميم وقد يهجى الإنسان بهتانا وظلما أوعبثا أوارهابا * قال المتوكل لأبي العيناء كم تمدح الناس وتذمهم قال ماأحسنوا أوأساؤا * وقد رضي الله تعالى على عبد من عبيده فمدحه فقال نعم العبد انه أواب وغضب على آخر فقال مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم قيل الزنيم الملصق بالقوم وليس منهم وقال دعبل في المأمون بعد البيعة له وقتل الأمين

إني من القوم الذين همو همو ... قتلوا أخاك وشرفوك بمقعد
شادوا لذكرك بعد طول خموله ... واستنقذوك من الحضيض الأوهد

فقال المأمون ماأبهته ليت شعري متى كنت خاملا وفي حجر الخلافة ربيت وبدرها غذيت ولما قتل جعفر بن يحيي بكى عليه أبو نواس فقيل له أتبكي على جعفر وأنت هجوته فقال كان ذلك لركوب الهوى وقد بلغه والله إني قلت

ولست وإن أطنبت في وصف جعفر ... بأول إنسان خرى في ثيابه

فكتب يدفع إليه عشرة آلاف درهم يغسل بها ثيابه * ومن العبث بالهجو ماروي ان الحطيئة هم بهجاء فلم يجد من يستحقه فقال

أبت شفتاي اليوم الاتكلما ... بسوء فلا أدري لمن أنا قائله
أرى لي وجها قبح الله خلقه ... فقبح من وجه وقبح حامله

وعبث بأمه فقال:

تنحي فاجلسي عنا بعيدا ... أراح الله منك العالمينا ... أغربالا إذا استودعت سرا
وكانونا على المتحدثينا ... حياتك ماعلمت حياة سوء ... وموتك قد يسر الصالحينا

وقال رجل ماأبالي أهجيت أم مدحت فقال له الاحنف أرحت نفسك من حيث تعب الكرام * وقال رجل لآخر ان هجوتني أتموت ابنتي قال لا قال أتنخرب ضيعتي قال لا قال فرجلي مع ساقي إلى حلقي في

حرأمك قال ولم تركت رأسك قال لأنظر ما تصنع ٭ وأنا أقول انما يخشى من الهجو من يخاف على عرضه وأما من لم يخاف على عرضه فقد يستوى عنده المدح والذم وبئس الرجل ذاك ٭ وكان الرجل من نمير إذا قيل له ممن الرجل يقول من نمير وأمال بها عنقه فلما هجاهم جرير بقوله

فغض الطرف انك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا

صار إذا قيل لأحدهم ممن الرجل يقول من بنى عامر وما لقيت قبيلة من العرب بهجو ما لقيت نمير بهجو جرير وهجا ابن يسام رجلا فقال

يا طلوع الرقيب من غير إلف ... يا غريما أتى على ميعاد

ياركودا فى يوم غيم وصيف ... يا وجوه التجار يوم كساد

(وقصد) ابن عيينة قبيصة المهلبى واستماحه فلم يسمح له بشىء فانصرف مغضبا فوجه اليه داود بن يزيد بن حاتم فترضاه وأحسن اليه فقال

داود محمود وأنت مذمم ... عجبا لذاك وانتما من عود

ولرب عود قد يشق لمسجد ... نصفا وباقيه لحش يهودى

فالحش أنت له وذاك بمسجد ... كم بين موضع مسلح وسجود

هذا جزاؤك ياقبيص لأنه ... جادت يداه وأنت قفل حديد

وله هجاء فى خالد

أبوك لنا غيث يغيث بوبله ... وأنت جراد لست تبقى ولا تذر

له أثر فى المكرمات يسرنا ... وانت تعفى دائما ذلك الأثر

(وقال) المبرد فى حقه لم يجتمع لأحد من المحدثين فى بيت واحد هجاء رجل ومدح أبيه الا له ٭ ولما قعد حماد عجرد لتأديب ولد الأمين قال بشار بن برد

قل للامين جزاك الله صالحة ... لا يجمع الله بين السخل والذئب

السخل يعلم أن الذئب آكله ... والذئب يعلم ما بالسخل من طيب

(وقال فيه أيضاً)

ياابا الفضل لاتنم وقع الذئب فى الغنم ... ان حماد عجرد شيخ سوء قد اغتنم

بين فخذيه حربة فى من الادم ... ان رأى ثم غفلة يجمع الميم بالقلم

فضاعت الأبيات فأمر الأمين باخراج حماد (وقال) رجل لأخيه لأبويه لاهجونك هجاء يدخل معك فى قبرك قال كيف تهجونى وأبوك أبى وأمك أمى فأن أقول:

بنى أميه هبوا طال نومكموا ... أن الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا ... خليفة الله بين الماء والعود

فدخل يعقوب على المهدى فأخبره ان بشارا هجاه فاغتاظ المهدى وانحدر إلى البصرة لينظر فى أمرها فسمع أذانا فى ضحى النهار فقال انتظروا ماهذا وإذا به بشاراً وهو سكران فقال له يازنديق عجب أن يكون هذا من غيرك ثم أمر به فضرب به سبعين سوطا حتى أتلفه بها وألقى فى سفينة فقال عين الشمقمق ترانى حيث يقول: ان بشار بن برد تيس أعمى فى سفينة فلما مات ألقيت جثته فى الماء فحمله الماء فاخرجه إلى الدجلة فجاء بعض أهله فحملوه إلى البصرة وأخرجت جنازته فما تبعه أحد وتباشر عامة الناس بموته لما كان يلحقهم من الأذى منه وخاصم أبو دلامة رجلا فارتفعا إلى عافية القاضى فلما رآه أبو دلامه أنشد يقول:

لقد خاصمتنى دهاة الرجال ... وخاصمتها سنة وافيه

فما ادحض الله لى حجة ... ولاخيب الله لى قافيه

ومن خفت جوره فى القضاء ... فلست أخافك ياعافيه

مكة فبت تلك الليلة الامديونا وأقام مالك رضى الله عنه يحمل إلى فى كل عام مثل ما كان دفع إلى أولا احدى عشرة سنة فلما مات ضاق فى الحجاز وخرجت الى مصر فعوضنى الله عبدالله ابن عبدالحكم فقام بالكلفة فهذا جميع ما لقيته فى سفرى فافهم ذلك ياربيع قال الربيع وسألنى المزنى إملاء ذلك بحضرته فلما وجدنا للمجلس فرغة فما وقع كتاب السفر إلى أحد غيرى (ومن لطائف المنقول) ما نقله القرطبى فى كتابه المسمى بالاعلام عن صدق محبة أبى طالب لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج إلى الكعبة يوما وأراد ان يصلى فلما دخل فى الصلاة قال أبو جهل لعنة الله من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته فقام عبد الله بن الزبعرى فأخذ فرثا ودما فلطخ به وجه النبى صلى الله عليه وسلم فانفتل النبى صلى الله عليه وسلم من صلاته وأتى إلى أبى طالب عمه وقال ياعم ألا ترى مافعل بى فقال له أبو طالب من فعل بك

فقال عافية لأشكونك إلى أمير المؤمنين ولأعلمنه أنك هجوتني قال أبو دلامة إذاً والله يعزلك قال ولم قال لأنك لا تعرف الهجاء من المدح قال فبلغ ذلك المنصور فضحك وأمر له بجائزة * ودخل أبو دلامة على المهدي وعنده اسمعيل بن علي وعيسى بن موسى والعباس بن محمد وجماعة من بني هاشم فقال له المهدي والله لئن لم تهج واحداً ممن في هذا البيت لأقطعن لسانك فنظر إلى القوم وتحير في أمره وجعل ينظر إلى كل واحد فيغمزه بأن عليه رضاه قال أبو دلامة فازددت حيرة فما رأيت أسلم لي من أن أهجو نفسي فقلت

ألا أبلغ لديك أبا دلامة　　فلست من الكرامة ولا كرامه
جمعت دمامة وجمعت لؤما　　كذاك اللؤم تتبعه الدمامة
إذا لبس العمامة قلت قردا　　وخنزيرا إذا نزع العمامة

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد إلا أجازه (وقال) ابن الأعرابي إن أهجى بيت قاله المحدثون قول محمد ابن وهب في محمد بن هاشم

لم تند كفاك من بذل النوال كما　　لم يند سيفك مذ قلدته بدم

(وهجا) بعضهم القمر فقال يهدم العمر ويوجب اجرة المنزل ويشحب الالوان ويقرض الكتان ويضل السارى ويعين السارق ويفضح العاشق * ولابن منقذ في ابن طليب المصري وقد احترقت داره

أنظر إلى الايام كيف تسوقنا　　قسرا إلى الاقدار بالاقدار
ما أوقد ابن طليب قط بداره　　نارا وكان خرابها بالنار

وكان للوجيه ابن صورة المصري دلال الكتب دار بمصر موصوفة بالحسن فاحترقت فقال فيها ابن المنجم :

أقول وقد عاينت دار ابن صورة　　وللنار فيها وهجة تتضرم
فما هو إلا كافر طال عمره　　فجاءته لما استبطأته جهنم

وقد أحسن الأديب كمال الدين علي بن محمد بن المبارك الشهير بابن الأعمى في ذم دار كان يسكنها حيث قال

دار سكنت بها أقل صفاتها　　أن تكثر الحشرات في جنباتها
الخير عنها نازح متباعد　　والشر دان من جميع جهاتها
من بعض ما فيها البعوض عدمته　　كم أعدم الأجفان طيب سناتها
وتبيت تسعدها براغيث متى　　غنت لها رقصت على نغماتها
رقص بتنقيط ولكن قافه　　قد قدمت فيه على أخواتها
وبها ذباب كالضباب يسده　　بين الشمس ما طرفي سوى غناتها
أين الصوارم والقنا من فتكها　　فينا وأين الأسد من وثباتها
وبها من الخطاف ماهو معجز　　أبصارنا عن وصف كيفياتها
وبها خفافيش تطير نهارها　　مع ليلها ليست على عاداتها
وبها من الجرذان ما قد قصرت　　عنه العتاق الجرد في حملاتها
وبها خنافس كالطنافس أفرشت　　في أرضها وعلت على جنباتها
لو شم أهل الحرب منتن فسواها　　أردى الكماة الصيد عن صهواتها
وبنات وردان وأشكال لها　　مما يفوت العين كنه ذواتها
أبدا تمص دماءنا فكأنها　　حجامة لبدت على كاساتها
وبها من النمل السليماني ما　　قد قل ذر الشمس عن ذراتها
ماراعني شيء سوى وزغاتها　　فتعوذوا بالله من لدغاتها
سجعت على أوكارها فظننتها　　ورق الحمام سجعن في شجراتها
وبها زنابير تظن عقاربها　　حر السموم أخف من زفراتها
وبها عقارب كالاقارب رحـ　　فينا حمانا الله لدغ حماتها
كيف السبيل إلى النجاة ولا نجا　　ة ولا حياة لمن رأى حياتها
منسوجة بالعنكبوت سماؤها　　والأرض قد نسجت على آياتها

هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله ابن الزبعرى فقام أبو طالب فوضع سيفه على عاتقه ومشى حتى أتى القوم فلما رأوه قد أقبل نهضوا له فقال أبو طالب والله ان قام رجل جللته بسيفي هذا ثم قال يا بني من الفاعل بك هذا فقال عبد الله ابن الزبعرى فأخذوا أبو طالب فرسا ودما فلطخ وجوههم ولحاهم وثيابهم وأساء لهم القول فنزلت هذه الآية الشريفة وهم ينهون عنه وينأون عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم نزلت فيك آية قال وما هي قال تمنع قريشا أن يؤذوني وتأبى أن تأمن بي فقال أبو طالب

والله لن يصلوا إليك بجمعهم　　حتى أوسد في التراب دفينا
فامض لأمرك قد زعمتك ناصحي　　فلقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا قد عرفت بأنه　　من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة　　لوجدتني سمحا بذاك يقينا

* وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هل تنفع نصرة أبي

فضجيجها كالرعد فى جنباتها وترابها كالرمل فى خشناتها واليوم عاكفة على أرجائها
والدود يبحث فى ثرى عرصاتها والجن نأتيها إذا جن الدجى تحكى الخيول الجرد فى حلاتها
والنار جزء من تلهب حرها وجهنم تعزى إلى لفحاتها شاهدت مكتوبا على أرجائها
ورأيت مسطوراً على جنباتها لاتقربوا منها وخافوها ولا تلقوا بأيديكم إلى هلكاتها
أبداً يقول الداخلون ببابها يارب نج الناس من آفاتها قالوا إذا اندب الغراب منازلا
يتفرق السكان من ساحاتها وبدارنا الفا غراب ناعق كذب الرواة فأين صدق رواتها
صبرا امل الله يعقب راحة للنفس إذا غلب على شهواتها دار تبيت الجن تحرس نفسها
فيها وتندب باختلاف لغاتها كم بت فيها مفردا والعين من شوق الصباح تسح من عبراتها
وأقول يارب السموات العلا يارازقا للوحش فى فلواتها أسكنتنى بجهنم الدنيا فنى
أخراى هب لى الخلد فى جناتها واجمع بمن أهواه شملى عاجلا ياجامع الأرواح بعد شتاتها

(ولبعضهم فى بلان) أشكو إلى الله بلانا بليت به مست أنامله ظهرى فأدمانى
فلا يدلك تدليكا بمعرفة ولا يسرح تسريحا باحسان

(وللشيخ شمس الدين البدوى فى بلان أيضا)

وبلان له ظفر يباهى به حد الشفار المرهفات هرى جسمى فألبسه نجيعا
على حلل الستور السابلات ورام بلين أعضائى برفق فأيبسها وكسر فوقعاتى
ولم أنظر له أبدا جميلا وذلك من عظيم المهلكات وأعمى مقلتى بصنان ابط
يفوح به على كل الجهات فلا تجعل الهى مثل هذا يغسلنى إذا حانت وفاتى

(ولبعضهم فى حمام) وحمام دخلنا لامره حكى سقراوفيها المجرمون
فيصطرخوا يقولوا أخرجونا فان عدنا فانا ظالمونا

وللشريف أبى يعلى الهاشمى البغدادى فى نظام الملك يهدده بالهجاء يقول

أتجمل يانظام الملك أنى أعود من ذراك كما قدمت وأصدر عن حياضك وهى نهب
بأفواه السقات وما ردت يدل على فمالك سوء حالى ويخبر عن نوالك ان كتمت
إذا استخبرت مانلت منه وقد عم الورى كوما سكت

(وممن) عرض بالهجو فى شعره الخوارزمى قال فى أبى جعفر

أبا جعفر است بالمنصف ومثلك إن قال قولا يفى فان أنت أنجزت لى ماوعدت
والا هجيت وأدخلت فى وقد علم الناس مابعد فى فقط الحديث ولا تكشف

ومدح السراج الوراق انسانا فلم يجزه فكتب يعرض له بالهجاء ويهدده ويقول

أعد مدحى على وخذ سواه فقد أتعبتنى يامستريح
ولا تغضب إذا أنشدت يوما سواه وقيل لى هذا صحيح

(وله أيضا يقول) أعدمدحا كذبت عليك فيه وقد عوقبت بالحرمان عنه
ولكنى سأصدق فيك قولا فلا يصعب عليك الحق منه

(وقال بعضهم فى حجاج قدموا ولم يهدوا اليه شيئا)

مضوا ليحجوا والوجوه كأنها تكاد لفرط البشر أن توضح السبلا
وعادوا كان الفارقون وجوههم فلا مرحبا بالقادمين ولا سهلا
وجاؤا وماجادوا بعود أراكة ولاوضعوا فى كف طفلالنا نقلا

طالب قال نعم رفع عنه بذلك الفعل انه لم يقرن مع الشياطين ولم يدخل جب الحيات والعقارب انما عذابه فى نعلين من نار فى رجليه يغلى منهما دماغه وهو أهون أهل النار عذاباه وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى طالب قل لا إله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة فقال أبو طالب لولا ان يعايرونى بها يعنى قريشا يقولون انما حمله الجزع لاقررت بها عينيك فأنزل الله تعالى انك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء (وأما) عبد الله بن الزبعرى فانه أسلم عام الفتح وحسن أسلامه واعتذر إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقبل عذره وكان شاعرا مجيدا فقال يمدح النبى صلى الله عليه وسلم بأبيات منها فى حكاية حاله

أنى لمعتذر اليك من الذى أسديت إذ أنا فى الضلال مقيم
فاغفر فداؤك والدى كلاهما وارحم فانك راحم مرحوم

(ومن غريب مانقله (القرطبى فى الاعلام)

النبي صلى الله عليه وسلم كانوا من أولاد العلماء والحكماء الذين كانوا مع تبع الأول فيما ذكر ابن اسحق وكان تبع من الخبة الذين كانت لهم الدنيا بأسرها وكان كثير الوزراء فاختار واحدا منهم وأخرجه معه لينظر فى ملكه فكان إذا أتى بلده يختار من حكمائها عشرة رجال وكان معه من العلماء والحكماء مائة ألف رجل ثم الذين اختارهم من البلدان وهذا القدر غير محسوب من الجيش فلما انتهى إلى مكة لم تخضع له أهل مكة كخضوع أهل البلاد ولم تعظمه فغضب لذلك ودعا وزيره وكان اسمه عماريا فقال له كيف شاهدت هذه البلدة فانهم لم يهابونى ولم يخشوا عسكرى فقال انهم عرب لا يعرفون شيئا ولهم بيت يقال له الكعبة وهم معجبون به ويسجدون فيه للاصنام قال فنزل الملك بعسكره ببطحاء مكة وعزم على هدم البيت وقتل الرجال وسبى النساء فأخذه الله بالصداع وتفجر من عينيه وأذنيه ومنخريه وفمه ماء منتن فلم يصبر عنده أحد طرفة

وقال آخر) إذا رمت هجوا فى فلان تصدنى خلائق قبح عنه لا تتزحزح
تجاوز قدر الهجو حتى كأنه بأقبح مايهجى به المرء يمدح

(وهجا بعضهم امرأة فقال)

لها جسم برغوث وساق بعوضة ووجه كوجه القرد بل هو أقبح
تبرق عينيها إذا ما رأيتها وتعبس فى وجه الضجيع وتكلح
لها منظر كالنار تحسب أنها إذا ضحكت فى أوجه الناس تلفح
إذا عاين الشيطان صورة وجهها تعوذ منها حين يمسى ويصبح

(لبعضهم فى عظيم أنف)

لك وجه وفيه قطعة أنف كجدار قد دعموه ببغله
وهو كالقبر فى المثال ولكن جعلوا نصفه على غير قبله

(وفيه أيضا) رأينا للزكى جدار أنف يضاهى فى تشامخه الجبالا
تصدى للهلال لكى يراه فلولا عظمه لرأى الهلالا

(ولبعضهم فى أبخر مخنث)

قالوا فلان به نتن فقلت لهم ياقوم قد حار فكرى فى مساويه
ياقوم لا تعجبوا من نتن نكهته فالإير يدفع مافيه إلى فيه

(ولصفى الدين الحلى)

رأى فرسى اصطبل عيسى فقال لى قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
به لم أذق طعم الشعير كأننى بسقط اللوى بين الدخول فحومل
نقعقع من برد الشتاء أضالعى لما نسجتها من جنوب وشمأل

(وله أيضا) ليهنك ان لى ولدا وعبدا سواء فى المقال وفى المقام
فهذا سابق من غير سين وهذا عاقل من غير لام

(وله فى الطبيب يدعى اسحق)

مباضع اسحق الطبيب كأنها لها بفناء العالمين كفيل
معودة أن لا تسل نصالها فتغمد حتى يستباح قتيل

(وله فى أحمق طويل اللسان)

لو ان قوة وجهه فى قلبه قنص الأسود وجندل الابطالا
أو كان طول لسانه بيمينه أفنى الكنوز وأنفذ الأموالا

(وهجا اعرابى رجلا ثم مدحه فقال)

انى مدحتك من فساد قريحتى وعلمت أن المدح فيك يضيع
لكن رأيت المسك عند فساده يدنى إلى بيت الخلا فيضوع

وقيل) لبعضهم ماتقول فى فلان قال هما الخمر والميسر اثمهما أكبر من نفعهما (وقيل لرجل كيف وجدت فلانا قال طويل اللسان فى اللؤم قصير الباع فى الكرم وثابا على الشر مناعا للخير * وسمع اعرابى قوله تعالى الاعراب أشد كفرا ونفاقا فانتقص سمع قوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال الله أكبر هجانا ثم مدحنا وكذلك قال الشاعر

هجوت زهيرا ثم انى مدحته وما زالت الاشراف تهجى وتمدح

استب رجلان فقال أحدهما للآخر لوقطع زبك لم تبق وعلق زانية بالكوفه إلا عرفته (وقال) أبو زيد العبدي

ولقد قتلتك بالهجاء فلم تمت ... ان الكلام طويلة الأعمار

وقال المتوكل لأبي العيناء ما بقي أحد في المجلس إلا هجاك وذمك غيري فقال

إذا رضيت عني كرام عشيرتي ... فلا زال غضبانا على لئامها

(الباب الرابع والأربعون في الصدق والكذب وفيه فصلان)

(الفصل الأول في الصدق) قال الله تعالى مبشرا للصادقين هذا اليوم ينفع الصادقين صدقهم وقال تعالى والصادقين والصادقات فمدحهم وبين لهم المغفرة والأجر العظيم (وقال) عمر رضي الله عنه عليك بالصدق وان قتلك * وما أحسن ما قيل في ذلك

عليك بالصدق ولو أنه ... أحرقك الصدق بنار الوعيد

وابغ رضا المولى فأغبى الورى ... من أسخط المولى وأرضى العبيد

وقال اسمعيل بن عبيد الله لما حضرت أبي الوفاة جمع بنيه فقال لهم يا بني عليكم بتقوى الله وعليكم بالقرآن فتعاهدوه وعليكم بالصدق حتى لو قتل أحدكم قتيلا ثم سئل عن أقر به والله ما كذبت كذبة قط مذ قرأت القرآن * وعن عائشة رضي الله عنها قالت سألت رسول الله ﷺ بم يعرف المؤمن قال بوقاره ولين كلامه وصدق حديثه * وقيل لكل شيء حلية وحلية النطق الصدق (وقال محمود الوراق)

الصدق مناجاة لأربابه ... وقربة تدني من الرب

وقيل الصدق عمود الدين وركن الادب واصل المروءة فلا تتم هذه الثلاثة الا به وقال ارسطاطاليس احسن الكلام ماصدق فيه قائله وانتفع به سامعه * وقال المهلب بن أبي صفرة ما السيف الصارم في يد الشجاع بأعزله من الصدق * وكان يقال على الصدوق فلان وقف لسانه على الصدق ويقال الصدق محمود من كل أحد إلا من الساعي ويقال لو صدق عبد فيما بينه وبين الله تعالى حقيقة الصدق لاطلع على خزائن الغيب ولكان امينا في السموات والأرض وقيل من لزم الصدق وعود لسانه به وفق ويقال الصدق بالحر أحرى وقال عتبة بن أبي سفيان إذا اجتمع في قلبك أمران لاتدري أيهما أصوب فانظر أيهما أقرب إلى هواك فخالفه فإن الصواب إلى مخالفة الهوى وقال ارسطاطاليس والموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب وكان نقش خاتم ذي يزن وضع الخد للحق عز وامتدح ابن ميادة جعفر بن سليمان فأمر له بمائة ناقة فقبل يده وقال والله ماقبلت يد قرشي غيرك إلا واحد فقال أهو المنصور قال لا والله قال فمن هو قال الوليد بن يزيد قال فغضب وقال والله ماقبلتها لله تعالى فقال والله ولا يدك ما قبلتها لله تعالى ولكن قبلتها لنفسي فقال والله لاضرك الصدق عندي أعطوه مائة أخرى (وقال) عامر العدواني في وصيته اني وجدت صدق الحديث طرفا من الغيب فاصدقوا يعني من لزم الصدق وعودة لسانه وفق فلا يكاد ينطق بشيء يظنه الاجاء على ظنه وخطب بلال لأخيه امرأة قرشية فقال لأهلها نحن من قد عرفتم كنا عبدين فأعتقنا الله تعالى وكنا ضالين فهدانا الله تعالى وكنا فقيرين فأغنانا الله تعالى وأنا أخطب اليكم فلانة لاخي فان تنكحوها له فالحمد لله تعالى وأن تردونا فالله أكبر فأقبل بعضهم على بعض فقالوا بلال ممن عرفتم سابقته ومشاهده ومكانه من رسول الله ﷺ فزوجوا أخاه فزوجوه فلما انصرفوا قال له أخوه يغفر الله لك أما كنت تذكر سوابقنا ومشاهدنا مع رسول الله ﷺ ونترك ماعدا ذلك فقال مه يا أخي صدقت فأنكحك

عين من نتن الريح فاستيقظ لذلك وقال لوزيره اجمع العلماء والحكماء والأطباء وتكلم معهم في أمري فاجتمع عنده العلماء والحكماء والاطباء فلم يقدروا على الجلوس عنده ساعة وعجزوا عن مداواته وقالوا نحن نقدر على مداواة ما يعرض من أمور الأرض وهذا شيء من السماء لا نستطيع له ردا ثم اشتد أمره ونفرت الناس عنه ولم يزل أمره في شدة حتى أقبل الليل فجاء أحد العلماء الى وزيره فقال له أن بيني وبينك سرا وهو أن كان الملك يصدقني في حديثه عالجته فاستبشر الوزير بذلك وقال له قل ماشئت فقال أريد الخلوة فأخلى له المكان فلما خلا مجلس الملك قال له العالم أيها الملك أنت نويت لهذا البيت سوءا قال نعم نويت خرابه وقتل رجاله وسبي نسائه فقال له العالم أيها الملك هذه النية هي التي أحدثت لك هذا الداء ورب هذا البيت قادر يعلم الاسرار فبادر وأخرج من قلبك ماهممت به من أمر هذا البيت وأهله ولك خير الدنيا والآخرة قال الملك قد أخرجت ذلك من قلبي ونويت لهذا البيت

الصدق (وخطب) الحجاج فاطال فقال رجل الصلاة فان الوقت لاينتظرك والرب لا يعذرك فأمر بحبسه فاتاه قومه وزعموا أنه مجنون وسألوه ان يخلى سبيله فقال ان أقر بالجنون خليته فقيل له فقال معاذ الله لا أزعم أن الله ابتلانى وقد عافانى فبلغ ذلك الحجاج فعفا عنه لصدقه (الفصل الثانى من هذا الباب) فى الكذب وما جاء فيه قال الله تعالى فى الكاذبين ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون وقال تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقال رسول الله ﷺ اياكم والكذب فان الكذب يهدى إلى الفجور والفجور يهدى إلى النار وتحروا الصدق فان الصدق يهدى إلى البر والبر يهدى إلى الجنة * وعن عبدالله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ إذا كذب العبد كذبة تباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به * ويقال راوى الكذب أحد الكذابين * ويقال رأس المآثم الكذب وعمود الكذب البهتان وقيل أمران لاينفكان من الكذاب كثرة والمواعيد وشدة الاعتذار وقال الحسن فى قوله تعالى ولكم الويل مما تصفون وهى لكل واصف كذب إلى يوم القيامة * وقال الاصمعى قلت لكذاب أصدقت قط قال لولا أنى أخاف أصدق فى هذا لقلت لك لا فتعجب (وقال محمود بن أبى الجنود)

لى حيلة فيمن ينم وليس فى الكذاب حيلة ... من كان يخلق ما يقو ل فحيلتى فيه قليله

(ويقال) فلان اكذب من لمعان السراب ومن سحاب تموز وكان بفارس محتسب يعرف بجراب الكذب وكان يقول أن منعت الكذب انشقت مرارتى وانى والله لأجد به مع ما يلحقنى من عاره من المسرة مالا أجده بالصدق مع ما ينالنى من نفعه * وقال فلسوف من عرف نفسه الكذب لم يصدق الصادق فيما يقوله (ولبعضهم)

حسب الذوب من البليـــة ... بعض ما يحكى عليه

فمتى سمعت بكذب ... من غيره نسبت اليه

وأضاف صيرفى قوما فأقبل يحدثهم فقال بعضهم نحن كما قال تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت * وعن عبدالله بن السدى قالت قلت لابن المبارك حدثنا حديثا قال ارجعوا فلست أحدثكم فقيل له انك لم تحلف فقال لوحلفت لكفرت وحدثتكم ولكن لست أكذب فكان هذا أحب الينا من الحديث وقال مجاهد يكتب على ابن آدم كل شىء حتى أنينه فى سقمه وحتى أن الصبى ليبكى فتقول له أمه اسكت وأشترى لك كذا ثم لا تفعل فتكتب كذبة * وقال الفضيل مامن مضغة أحب إلى الله تعالى من اللسان إذا كان صدوقا ولا مضغة أبغض إلى الله تعالى من اللسان إذا كان كذوبا وعن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا أعظم الخطايا اللسان الكذوب (قال الشاعر)

لايكذب المرء الا من مهانته ... أو فعله السوء ومن قلة الادب

لبعض جيفة كلب خير رائحة ... من كذبه المرء فى وجد وفى لعب

(ولما نصب معاوية رضى الله تعالى عنه ابنه يزيد لولاية العهد فى قبة حمراء وجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يسلمون على يزيد حتى جاء رجل فعل ذلك ثم رجع إلى معاوية فقال ياأمير المؤمنين اعلم انك لولم تول هذا أمور المسلمين لاضعتها والاحنف ساكت فقال معاوية مالك لا تقول ياأبا بحر فقال أخاف الله تعالى ان كذبت وأخافكم ان صدقت فقال جزاك الله خيرا عما تقول ثم أمر له بالوف فلما خرج الاحنف لقيه ذلك الرجل بالباب فقال ياأبا بحر انى لأعلم ان هذا شرار خلق الله تعالى ولكنهم استوثقوا من الاموال بالابواب والاقفال فلسنا نطمع فى اخراجها الا بما سمعت فقال له

المبارك ولاهله كل خير فلم يخرج العالم من عنده حتى برىء ممن عليه وعافاه الله تعالى بقدرته فآمن بالله من ساعته وخلع على الكعبة سبعة أثواب وهو أول من كسا الكعبة وخرج إلى يثرب وهى يومئذ بقعة فيها عين ماء ليس فيها بيت فنزل على رأس العين هو وعسكره وجميع العلماء الذين كانوا معه ومعهم رئيسهم عماريا الذين يرى الملك برأيه ثم أن العلماء والحكماء أخرجوا من بينهم أربعمائة وهم أعلمهم وبايع كل واحد منهم صاحبه أن لايخرجوا من ذلك الطعام وأن قتلهم الملك فلما علم الملك بما عزموا عليه قالوا للوزير ماشأنهم يمتنعون عن الخروج معى وأنا محتاج اليهم وأى حكمة اقتضت نزولهم فى هذا المكان واختيارهم اياه على سائر النواحى فسألهم الوزير عن ذلك فقالوا ايها الوزير ان فى ذلك البيت وهذه البقعة التى نحن فيها يشرفان برجل يبعث آخر الزمن يقال له محمد ووصفوه له قالوا طوبى لمن أدركه وآمن به ونحن على رجاء أن ندركه أو تدركه أولادنا فلما سمع

الاحنف

الاحنف ياهذا أمسك فان إذا الوجهين خليق أن لا يكون عند الله وجيها وقيل ان الكذب يحمد إذا وصل بين المتقاطعين أو أصلح بين الزوجين ويذم الصدق إذا كان غيبة وقد رفع الحرج عن الكاذب فى الحرب وعن المصلح بين المرء وزوجه * وكان المهلب فى حرب الخوارج يكذب لأصحابه يقوى بذلك جأشهم فكانوا إذا رأوه مقبلا اليهم قالوا جاء يكذب وقال يحيى ابن خالد رأينا شارب خمر نزع ولصا أقلع وصاحب فواحش رجع ولم نر كذابا صار صادقا وكان عمرو بن معد يكرب مشهورا بالكذب * وقيل لخلف الاحمر وكان شديد التعصب لليمن أكان ابن معد يكرب يكذب فقال كان يكذب فى المقال ويصدق فى الفعال * قيل ان بلالا لم يكذب مذ أسلم رضى الله تعالى عنه والحمد لله وحده

(الباب الخامس والاربعون فى بر الوالدين وذم العقوق وذكر الاولاد وما يجب لهم وعليهم وصلة الرحم والقرابات وذكر الانسان وفيه فصول)

(الفصل الاول فى بر الوالدين وذم العقوق) قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا . وقال تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا اياه وبالوالدين احسانا * وقال تعالى أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير * وقال تعالى فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا * وعن على رضى الله تعالى عنه لو علم الله شيئا فى العقوق أدنى من أف لحرمه فليعمل العاق ماشاء أن يعمل فلن يدخل الجنة وليعمل البار ماشاء أن يعمل فلن يدخل النار * وقيل أن رضا الرب فى رضا الوالدين وسخط الرب فى سخط الوالدين (وحكى) أبو سهل عن أبى صالح عن أبى نجيح عن ربيعة عن عبد الرحمن عن عطاء بن أبى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حج عن والده بعد وفاته كتب لوالده حجة وكتب له براءة من النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم وعقوق الوالدين فان ريح الجنة يوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق * وكان رجل من النساك يقبل كل يوم قدم أمه فابطأ يوما على إخوته فسألوه فقال كنت أتمرغ فى رياض الجنة فقد بلغنا أن الجنة تحت أقدام الامهات وبلغنا أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام ثلاثة آلاف وخمسمائة كلمة فكان آخر كلامه يارب أوصنى قال أوصيك بأمك حسنا قاله سبع مرات قال حسبى ثم قال ياموسى ألا إن رضاها رضاى وسخطها سخطى وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه لابن مهران لا تأتين أبواب السلاطين وإن أمرتهم بمعروف أو نهيتهم عن منكر ولا تخلون بامرأة وإن علمتها سورة من القرآن ولا تصحبن عاقا فانه لن يقبلك وقد عق والديه * وقال فيلسوف من عق والديه عقه ولده وقال المأمون لم أر أحدا أبر من الفضل بن يحيى بأبيه بلغ من بره له أنه كان لا يتوضأ إلا بماء سخن فمنعهم السجان من الوقود فى ليلة باردة فلما أخذ يحيى مضجعه قام الفضل إلى قمقم نحاس فملأه ماء وأدناه من المصباح فلم يزل قائما وهو فى يده إلى الصباح حتى استيقظ يحيى من منامه (وقيل) طلب بعضهم من ولده أن يسقيه ماء فلما أتاه بالشربة نام أبوه فمازال الولد واقفا بالشربة فى يده إلى الصباح حتى استيقظ أبوه من منامه * وقال رجل لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ان لى أما بلغ منها الكبر انها لا تقضى حاجتها الا وظهرى لها مطية فهل أديت حقها قال لا لانها كانت تصنع بك ذلك وهى بقاءك وأنت تصنعه وتتمنى فراقها وقال ابن المنكدر بت أكبس رجل أبى وبات أخى يصلى ولا يسرنى ليلته بليلتى وقيل أن محمد بن سيرين كان يكلم أمه كما يتكلم الامير الذى لا ينتصف منه وقيل لعلى بن الحسين رضى الله تعالى عنه إنك من أبر الناس ولا تأكل مع أمك فى صحفة فقال أخاف أن تسبق يدى يدها إلى ما تسبق عيناها اليه فأكون قد عققتها

بحكمة مقامنا فدعا بالوزير فأخبره بما سمع منهم فتفكر الملك وهم أن يقيم معهم رجاء أن يدرك محمدا صلى الله عليه وسلم فأقام وأمر الناس أن يبنوا أربعمائة دار على عدة العلماء والحكماء واشترى لكل واحد منهم جارية وأعتقها وزوجها برجل منهم واعطى كل واحد منهم عطاء جزيلا وأمرهم أن يقيموا فى ذلك المكان إلى أن يجىء زمان النبى صلى الله عليه وسلم ثم كتب الكتاب وختمه بخاتم من ذهب ودفعه إلى عالمهم الكبير وامره أن يدفع الكتاب إلى محمد صلى الله عليه وسلم أن أدركه وإلا فيوصى به أولاده مثل ما أصابه وكذلك الاولاد حتى يتصل بالنبى صلى الله عليه وسلم وكان فى ذلك الكتاب * أما بعد فانى آمنت بك وبكتابك الذى أنزل عليك وأنا على دينك وسنتك وآمنت بربك وبكل ما جاء من ربك من شرائع الإيمان والإسلام فان أدركتك فيها ونعمت والا فاشفع لى ولا تنسنى يوم القيامة فانى من أمتك الاولين وقد بايعتك قبل مجيئك وأنا على ملتك وملة أبيك ابراهيم عليه السلام ثم ختم الكتاب

(الفصل الثانى فى الاولاد وحقوقهم وذكر النجباء والاذكياء والبلداء والأتقياء) قال رسول الله ﷺ الولد ريحانة من الجنة وقال الفضل ريح الولد من الجنة وكان يقال ابنك ريحانتك سبعا ثم حاجبك سبعا ثم عدو أو صديق * وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قلت لسيدى رسول الله ﷺ يارسول الله هل يولد لاهل الجنة قال والذى نفسى بيده أن الرجل يشتهى أن يكون له ولد فيكون حمله ووضعه وشبابه الذى يشتهى اليه ساعة واحدة وقيل من حق الولد على والده أن يوسع عليه حاله كى لا يفسق وقال عمر رضى الله تعالى عنه انى لأكره نفسى على الجماع رجاء أن يخرج الله منى نسمة تسبحه وتذكره وقال رضى الله تعالى عنه أكثروا من العيال فانكم لا تدرون بمن ترزقون وقال شبيب بن شبة ذهب اللذات من ثلاث شم الصبيان وملاقات الاخوان والخلو مع النسوان ودخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال من هذه يا امير المؤمنين قال هذه تفاحة القلب فقال انبذها عنك فانهن يلدن الاعداء ويقربن البعداء ويورثن الضغائن وقال لا تقل يا عمرو ذلك فوالله مامرض المرضى ولا ندب الموتى ولا أعان على الاخوان الاهن فقال عمرو يا أمير المؤمنين انك حببتهن إلى وقيل لرجل أى ولدك أحب اليك قال صغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يبرأ وغائبهم حتى يحضر وقال ابن عامر لامرأته أمامة بنت الحكم الخزاعية ولدت غلاما فلك حكمك فلما ولدت قالت حكمى أن تطعم سبعة أيام كل يوم على الف خوان من فالوذج وأن تعق بألف شاة ففعل لها ذلك * وغضب معاوية على يزيد فهجره فقال الاحنف يا أمير المؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم سماء ظليلة وأرض ذليلة وبهم نصول على كل جليلة فان غضبوا فارضهم وان سألوا فاعطهم وإن لم يسألوا فابتدئهم ولا تنظر اليهم شزرا فيملوا حياتك ويتمنوا وفاتك فقال معاوية ياغلام إذا رأيت يزيد فاقرأه السلام واحمل اليه مائتى الف درهم ومائتى ثوب فقال يزيد من عند أمير المؤمنين فقيل له الاحنف فقال يزيد بن معاوية على به فقال يا أبا بحر كيف كانت القصة فحكاها له فشكر صنيعه وشاطره الصلة (وحكى) الكسائى أنه دخل على الرشيد يوما فأمر باحضار الامين والمأمون ولديه قال فلم يلبث قليلا أن أقبلا ككوكبى أفق يزينهما هداهما وقد غضا أبصارهما حتى وقفا فى مجلسه فسلما عليه بالخلافة ودعوا له بأحسن الدعاء فاستدناهما محمدا عن يمينه وعبد الله عن يساره ثم أمرنى أن ألقى عليهما أبوابا من النحو فما سألتهما شيئا الا أحسنا الجواب عنه فسره ذلك سرورا عظيما وقال كيف تراهما فقلت .

أرى قمرى أفق وفرعين أشامة ... يزينهما عرق كريم ومحتد
سليلى أمير المؤمنين وحائزى ... مواريث ما أبقى النبي محمد
يسدان أنفاق النفاق بشيمة ... يزينهما حزم وسيف مهند

ثم قلت مارأيت أعز الله أمير المؤمنين أحدا من أبناء الخلافه ومعدن الرسالة وأغصان هذه الشجرة الزلالية آدب منهما ألسنا ولا أحسن ألفاظا ولا أشد اقتدارا على الكلام روية وحفظا منهما أسأل الله تعالى أن يزيد بهما الإسلام تأييدا وعزا ويدخل بهما على أهل الشرك ذلا وقمعا وأمن الرشيد على دعائه ثم ضمهما اليه وجمع عليهما يديه فلم يبسطهما حتى رأيت الدموع تنحدر على صدره ثم أمرهما بالخروج وقال كأنكم بهما وقدهم القضاء ونزلت مقادير السماء وقد تشتت أمرهما وافترقت كلمتهما بسفك الدماء وتهتك الستور * وكان يقال بنو أمية دن خل أخرج الله منه زق عسل يعنى عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه * وسب اعرابى والده وذكر له حقه فقال يا أبتاه أن عظيم حقك على لا يبطل الصغير حقى عليك قال سيدى عبد العزيز الديرينى رحمه الله تعالى

أحب بنيتى ووددت أنى ... دفنت بنيتى فى قاع لحد

ونفسى عليه (لله الأمر من قبل ومن بعد) كتب عنوانه إلى محمد بن عبد الله ونبي الله ورسوله وخاتم النبيين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم من تبع الاول الحميرى ودفع الكتاب إلى الرجل العالم الذى أبرأه من علته وسار تبع من يثرب حتى وصل إلى بلاد الهند فمات بها وكان من اليوم الذى مات فيه تبع إلى اليوم الذى بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم الف سنة لا تزيد ولا تنقص وكانت الانصار الذين نصروا النبي صلى الله عليه وسلم من أولاد أولئك العلماء والحكماء فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة سأله أهل القبائل أن ينزل عليهم فكانوا يتعلقون بناقته وهو يقول خلوا الناقة فانها مأمورة حتى جاءت إلى دار أبى أيوب وكان من أولاد العالم الذى أبرأ تبعا برأيه ثم استشار الانصار عبد الرحمن بن عوف فى إيصال الكتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم لما ظهر خبره قبل هجرته فأشار عبد الرحمن أن يدفعوه إلى رجل ثقة فاختاروا رجلا يقال له أبو ليلى وكان من الانصار فدفعوا الكتاب اليه وأوصوه بحفظه فأخذ الكتاب وخرج من المدينة على طريق مكة فوجد النبي ﷺ فى قبيلة بنى سليم فعرفه رسول الله ﷺ

وما بى ان تهون على ... مخافة أن تذوق الذل بعدى
فان زوجتها رجلا فقيرا ... أراها عنده والهم عندى
وان زوجتها رجلا غنيا ... فيلطم خدها ويسب جدى
سألت الله يأخذها قريبا ... ولو كانت أحب الناس عندى

(وقال هرون بن على بن يحيى المنجم)

ارى ابنى تشابه من على ... ومن يحيى وذاك به خليق
وان يشبههما خلقا وخلقا ... فقد تسرى إلى الشبه العروق

(وقال أبو النصر مولى بنى سليم)

ونفرح بالمولود من آل برمك ... ولا سيما ان كان من ولد الفضل

(وقال الحسن بن زيد العلوى)

قالوا عقيم ولم يولد له ولد ... والمرء يخلفه من بعده الولد
فقلت من علقت بالحرب همته ... عاف النساء ولم يكثر له عدد

(وكان الزبير بن العوام رضى الله عنه يرقص ولده ويقول)

أزهر من آل بنى عتيق ... مبارك من ولد الصديق ... ألذه كما ألذ ريقى

(وكانت أعرابية ترقص ولدها وتقول)

ياحبذا ريح الولد * ريح الخزامى فى البلد * أهكذا كل ولد * أم لم يلد مثلى أحد

(وكان اعرابى يرقص ولده ويقول)

أحبه حب الشحيح ماله ... قد ذاق طعم الفقر ثم ناله ... اذا أراد بذله بدا له

(وكان) لاعرابى امرأتان فولدت احداهما جارية والأخرى غلاما فرقصته أمه يوما وقالت معايرة لضرتها

الحمد لله الحميد العالى ... انقذنى العام من الجوالى
من كل شوهاء كشن بالى ... لا تدفع الضيم عن العيال

فسمعتها ضرتها فأقبلت ترقص ابنتها وتقول

وما على أن تكون جارية ... تغسل رأسى وتكون الغالية
وترفع الساقط من خمارية ... حتى إذا ما بلغت ثمانية
أزرتها بنقبة يمانية ... أنكحتها مروان أو معاوية
(أصهار صدق ومهور غالية)

قال فسمعها مروان فزوجها على مائة ألف مثقال وقال ان أمها حقيقة أن لا يكذب ظنها ولا يخان عهدها فقال معاوية لولا مروان سبقنا اليها لأضعفنا لها المهر ولكن لا تحرم الصلة فبعث اليها بمائة ألف درهم والله أعلم

(وما جاء فى الاولاد البلداء القليلى التوفيق)

(قيل) نظر اعرابى الى ولده وقبيح المنظر فقال له يا بنى انا لسعه من زينة الحياة الدنيا * قال رجل لولده وهو فى المكتب فى أى سورة أنت قال لا أقسم بهذا الولد ووالد بلا ولد فقال لعمرى من كنت أنت ولده فهو بلا ولد وأرسل رجل ولده يشترى له رشاء للبئر طوله عشرون ذراعا فوصل الى نصف الطريق ثم رجع فقال يا أبت عشرون فى عرض كم قال فى عرض مصيبتى فيك يا بنى وكان لرجل من الأعراب ولد اسمه حمزة فبينما هو يمشى مع أبيه إذا رجل يصيح بشاب يا عبدالله فلم يجبه ذلك الشاب فقال ألا تسمع فقال ياعم كلنا عبيد الله فاى عبدالله تعنى فالتفت أبو حمزة اليه وقال يا حمزة ألا تنظر الى بلاغة هذا الشاب فلما كان من الغد إذا برجل ينادى شابا يا حمزة فقال ابن حمزة الاعرابى كلنا حاميز الله فأى حمزة تعنى فقال له أبوه ليس يعنيك يامن أخمد الله به ذكر أبيه وكان لمحمد بن بشير

فدعاه وقال أنت أبو ليلى قال نعم قال ومعك كتاب تبع الأول قال نعم فبقى أبو ليلى متفكرا وقال فى نفسه ان هذا من العجائب ثم قال له أبو ليلى من أنت فانى لست أعرفك وتوهم انه ساحر وقال فى وجهك أثر السحر فقال له بل أنا محمد رسول الله هات الكتاب فأخرجه ودفعه إلى رسول الله ﷺ فأخذه النبى ﷺ ودفعه إلى على كرم الله وجهه فقرأه عليه فلما سمع النبى ﷺ كلام تبع قال مرحبا بالاخ الصالح ثلاث مرات ثم أمر أبا ليلى بالرجوع إلى المدينة ليبشرهم بقدومه عليهم (قال أبو عبد الله محمد القرطبى نور الله ضريحه) ما ذكرت هذا الخبر وان كان فيه طول الا لما احتوى عليه من فضل مكة والمدينة والتصديق بنبوة النبى صلى الله عليه وسلم قبل ايجاده بألف عام (ومن لطائف ما نقلته من كتاب الاعلام للقرطبى) ما أورده مسند أبى داود عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ فى قول الله عز وجل إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه إلى آخر الآية إن أول من جحد الدين آدم عليه السلام لانه لما رآه الله تعالى ذريته رأى فيهم رجلا أزهر ساطع النور فقال يارب من هذا قال ابنك داود قال يارب فما عمره قال ستون سنة قال

الشاعر بن جسيم فأرسله فى حاجته فأبطأ عليه ثم عاد ولم يقضها فنظر اليه ثم قال :

عقله عقل طائر وهو فى خلقه الجمل

فأجابه

مشبها بك ياأبى ليس لى عنك منتقل.

ونهى أعرابى ابنه عن شرب النبيذ فلم ينته وقال :

أمن شربة من ماء كرم شربتها غضبت على الآن طابت لى الخمر
ساشرب فاسخط لارضيت كلاهما حبيب إلى قلبى عقوقك والسكر

وقيل قال ذلك يزيد بن معاوية لأبيه حين نهاه عن شرب الخمر .

﴿ وبما جاء فى صلة الرحم ﴾

قال رسول الله ﷺ صلة الرحم منها للوالدة مثراة للمال وقيل وجد حجر حين حفر إبراهيم الخليل عليه السلام أساس البيت مكتوب عليه بالعبرانية أنا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسماً من أسمائى فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته أى قطعته وقال رسول الله ﷺ أعجل الخير ثوابا صلة الرحم وحدثنا سهل عن صالح بن جرير بن عبد الحميد عن منصور عن عطاء بن أبى مروان عن أبيه عن كعب الأحبار إنه قال والذى فلق البحر لموسى بن عمران ان فى التوراة لمكتوبا يا ابن آدم اتق ربك وبر والديك وصل رحمك أزد فى عمرك وأيسر لك فى يسيرك وأصرف عنك فى عسيرك وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال صانع المعروف تقى مصارع السوء وصدقة السر تطفىء غضب الرب جلا وعلا وصلة الرحم تزيد فى العمر وذكر تمام الحديث

(الفصل الثالث من هذا الباب فى ذكر الانساب والاقارب والعشيرة) قال عمر رضى الله عنه تعلموا أنسابكم تعرفوا بها أصولكم فتصلوا بها أرحامكم وقيل لو لم يكن من معرفة الانساب لاعتزازها من صولة الاعداء وتنازع الأكفاء لكان تعلمها من أحزم الرأى وأفضل الثواب ألا ترى إلى قول شعيب عليه السلام حيث قالوا ولولا رهطك لرجمناك فأبقوا عليه لرهطه وقال عمر رضى الله عنه تعلموا العربية فانها تزيد فى المروءة وتعلموا النسب فرب رحم مجهولة قد وصلت بعرفان نسبها (وسئل) عيسى عليه السلام أى الناس أشرف فقبض قبضتين من تراب وقال أى هاتين أشرف ثم جمعهما وطرحهما وقال الناس كلهم من تراب ان أكرمكم عند الله أتقاكم كان أبو كبشة جد رسول الله ﷺ من قبل أمه فلما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم دين قريش قالوا نزعه عرق أبى كبشة حيث خالفهم فى عبادة الشعرى وقال خالد بن عبد الله القشيرى سألت واصل بن عطاء عن نسبه قال نسبى الإسلام الذى من ضيعه فقد ضيع نسبه ومن حفظه فقد حفظ نسبه فقال خالد وجه عبد وكلام حر ، ومن كلام على كرم الله وجهه أكرم كريمهم وعد سقيمهم وأشركهم فى أمورك ويسر عن معسرهم وكان يقال إذا كان لك قريب فلم تمش اليه برجلك ولم تعطه من مالك فقد قطعته ويقال حق الأقارب اعظام الاصغر الأكبر وحنو الاكبر على الأصغر قال رسول الله ﷺ حق كبيرة الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده قال بعضهم

وإذا رزقت من النوافل ثروة فامنح عشيرتك الادنى فضلها
واعلم بأنك لم تسود فيهم حتى ترى دمث الخلائق سهلها

﴿ الباب السادس والاربعون فى الخلق وصفاتهم واحوالهم وذكر الحسن والقبيح والطول والقصر والألوان والثياب وما أشبه ذلك ﴾

يارب زد فى عمره قال لا إلا أن تزيده من عمرك قال وماعمرى قال الف سنة قال آدم فقد وهبته أربعين سنة قال فكتب الله عليه كتابا وأشهد عليه ملائكته فلما حضرته الوفاة قال بقى من عمرى أربعون سنة فقيل له قد وهبتها لابنك داود قال ماوهبت لأحد شيئاً فأخرج الله ذلك الكتاب وفيه شهادة الملائكة . وفى رواية ان الله جل جلاله أتم لداود مائة سنة ولآدم ألف سنة أخرجه الترمذى بمعناه وصححه وفيه فقال عليه الصلاة والسلام نسى آدم فنسيت ذريته وجحد آدم فجحدت ذريته والله أعلم (ومن لطائف الغرائب المنقولة من كتاب الأعلام للقرطبى) ان العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه مدح النبى صلى الله عليه وسلم بأبيات على قافية بديعة أعجبت النبى صلى الله عليه وسلم منها قوله

وأنت لما ولدت أشرقت الأر ض وضاءت بنورك الأفق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النو ر وسبل الرشاد نخترق

فقال يا عم لكل شاعر جائزة وجائزتك ان الخلافة فى عقبك إلى يوم القيامة (ومن غرائب التفسير ما نقلته من الأعلام) ان فى قوله

(الفصل الأول فى الحسن ومحاسن الأخلاق) وإلى سيدنا محمد رسول الله ﷺ ينتهى الحسن والجمال كان سيدنا محمد ﷺ ربعة من القوم لا بائنا من طول ولا تقتحمه عين من قصر أبيض اللون مشربا بحمرة أدعج العينين مفلج الثنايا دقيق المسربة أزهر الجبين واضح الخد أقنى الأنف كأن عنقه أبريق فضة ظاهر الوضاءة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر شثن الكفين مسيح القدمين واسع الصدر من لبته الى سرته شعره يجرى كالقضيب ليس فى بطنه ولا صدره شعر غيره أشعر الذراعين والمنكبين لم يبلغ شيبه فى رأسه ولحيته عشرين شعرة ضخم الكراديس أنور المتجرد إذا مشى كأنما ينحط من صبب وإذا التفت التفت جميعا بين كتفيه خاتم النبوة كانه زر حجلة أو بيض حمامة لونه كاون جسده أبلج الوجه حسن الخلق وسيما قسيما فى جبينه زجج وفى عينيه دعج وفى عنقه سطع وفى لحيته كثافة ان صمت فعليه الوقار وإن تكلم سما وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاهم من بعد وأحسنهم وأكلمهم من قريب كانما منطقة خرزات نظم يتحدرن قال أنس رضى عنه ما رأيت من ذى لمة سوداء فى حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال :

وأحسن منك لم تر قط عينى ... واجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب ... كانك قد خلقت كما تشاء

اللهم صل وسلم عليه واجعله شفيعا لمن يصلى عليه وقال صلى الله عليه وسلم ماحسن الله خلق عبد وخلقه إلا استحيا أن يطعم لحمه النار وقدكان المتوكل رحمه الله من أحسن الخلفاء العباسية وجهاو أبهاهم منظرا وكان مصعب بن الزبير من أحسن الناس وجها (حكى) أنه كان جالسا بفناء داره يوما بالبصرة إذ جاءت امرأة فوقفت تنظر اليه فقال لها ما وقوفك يرحمك الله فقالت طفىء مصباحنا فجئنا نقتبس من وجهك مصباحا وقيل لاعرابية ظريفة ما بال شفتيك مشققة فقالت ان التين إذا حلا تشقق والورد يتشقق إذا مسه الندى وكانت لبابة بنت عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهم من أجمل الناس وجها وكانت عند الوليد بن عتبة بن أبى سفيان فكانت تقول ما نظرت وجهى فى مرآة مع إنسان إلا رحمته من حسن وجهى إلا الوليد فكنت إذا نظرت إلى وجهى مع وجهه رحمت وجهى من حسن وجهه قال الشاعر :

ولو أنها فى عهد يوسف قطعت ... قلوب رجال لا أكف نساء

وقال كثير ولو أن عزة حاكمت شمس الضحى ... فى الحسن عند موفق لقضى لها

(وما جاء فى محاسن الخلق منظوما على الترتيب من الفرق إلى القدم)

(ماقيل فى الشعر) كان يقال من تزوج امرأة أو اتخذ جارية فليتحسن من شعرها فان الشعر الحسن أحد الوجهين قال بكر بن النطاح

بيضاء تسحب من قيام شعرها ... وتغيب فيه وهو وجه أسحم
فكأنها فيه نهار ساطع ... وكأنه ليل عليها مظلم

وللمتنبى : نشرت ثلاث ذوائب من شعرها ... فى ليلة فأرت ليالى أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها ... فأرتنى القمرين فى وقت معا

وله أيضا لبسن الوشى لا متجملات ... ولكن كى يصن به الجمالا
وضفرن الغدائر لا لحسن ... ولكن خفن فى الشعر الضلالا

وقال الصفدى: لولا شفاعة شعره فى صبه ... ما كان زار ولا أزال سقاما

العرب كانت اذا وجدت شجرة منفرده فى فلاة من الأرض لاشجر معها سموها ضالة فيهتدى بها على الطريق فقال الله تعالى لنبيه ﷺ ووجدك ضالا فهدى أى وجدتك لا أحد على دينك فهديت بك الخلق الى (قلت) قد تقدم الكلام فى سعادة العباس ابن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم وما نال الاسلام من العز وقول النبى صلى الله عليه وسلم ان الخلافة فى عقبه إلى يوم القيامة وتقدم ذكر شفقة عمه أبى طالب بالشرك مع حمايته ورعايته لجانب النبى صلى الله عليه وسلم وهو الذى تقدم قول مشيرا إلى قريش فى خطابه إلى النبى صلى الله عليه وسلم والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى أوسد فى التراب دفينا (قال السهيلى) نور الله ضريحه فى الروض الانف هذا من باب النظر فى حكمة الله (ونقل فى) الروض الأنف أيضا عن هشام بن السائب أن أبا طالب لما حضرته الوفاة جمع وجوه قريش وقال لهم انكم صفوة الله من خلقه وقلب العرب وفيكم السيد المطاع وفيكم المتقدم الشجاع والواسع لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيبا إلا أحرزتموه

لكن تنازل في الشفاعة عنده ... فغدا على أقدامه يترامى

وقال ابن الصائغ: تنى غصبا ومد عليه فرعا ... كحظى حين أطلب منه وصلا

وبليـــله على الأرداف منه ... فلم أر مثل ذاك الفرع أصلا

وقال آخر: أرخى ثلاثا يوم حمامه ... ذوائبا تعبق منها الغوال

فقلت والقصد ذوابته ... واسهرى في ذى الليالى الطوال

وقال آخر: بدت ثريا قرطها وشعرها ... متصل بكعبها كما ترى

ياعجبا لشعرها لما ابتدى ... من الثريا فانتهى إلى الثرى

وقال ابن المعتز: توارت عن المواشى بليل ذوائب ... لها من محيا واضح تحته فجر

يغطى عليها شعرها بظلامه ... وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

(ومما قيل في الاصداغ)

قال ابن المعتز: ريم بتيه بحسن صورته ... عبث النعاس بلحظ مقلته

وكان عقرب صدغه وقفت ... لما دنت من ورد جنته

وقال العادلى: وعهدى بالعقارب حين تشتو ... يخفف لدغها ويقل ضرا

فما بال الشتاء أتى وهـــذى ... عقارب صدغها تزداد شرا

وقال آخر: وما ضره نار بخديه تلتوى ... وأمواج رد فيه بخصريه تلعب

عناقيد صدغيه بخديه تلتوى ... وأمواج رد فيه بخصريه تلعب

شربت الهوى صرفا زلالا وإنما ... لواحظه تسقى وقلبى يشرب

وقال آخر: حل القباولوى صدغيه فانعقدا ... واحيرتى بين محلول ومعقود

وأسكرتنى ثناياه وريقته ... هل هذه الخمر من تلك العناقيد

(ومما قيل في مدح العذار) قال أبو فراس بن حمدان

يامن يلوم على هواه جهالة ... انظر إلى تلك السوالف تعذر

حسنت وطاب نسيمها فكأنها ... مسك تساقط فوق خد أحمر

(وقال محمد بن وهب)

صدوه والهوى معتكا استتارى ... وساعدنى البكاء على اشتهارى

وكم أبصرت من حسن ولكن ... عليك اشفوتى وقع اختيارى

ولم أخلع عذارا فيك الا ... لما عاينت من خلع العذار

(وقال آخر): ومعنفر رقت حواشى خده ... فقلوبنا وجدا عليه رقاق

لم يكس عارضة السواد وانما ... نفضت عليه سوادها الاحداق

وقال آخر: ومهفهف راقت نضارة وجهه ... والعين تنظر منه أحسن منظر

أصلى بنار الخد عنبر خاله ... فبدا العذار دخان ذاك العنبر

وقال آخر: أصبحت سلطان القلوب ملاحة ... وجمال وجهك للبرية عسكر

طلعت طلائع وجنتيك مغيرة ... بالنصر يقدمها اللواء الأخضر

وقال آخر: ياذا الذى خط العذار بخـــده ... خطين هاجا لوعة وبلابلا

ماصح عندى أن لحظك صارم ... حتى حملت بعارضيك حمائلا

وقال آخر: من لا أرى كعبه الحسن التى حرست ... بالنمل حيث مقام النحل فى فمه

لا شرفا إلا أدركتموه فلكم على الناس بذلك الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حربكم ألب وإنى أوصيكم بتعظيم هذه البنية فإن فيهما مرضاة للرب وقواما للمعاش وثباتا للوطأة صلوا أرحامكم ولا تقطعوها فإن فى صلة الرحم منسأة فى الأجل وزيادة فى العدد واتركوا البغى والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم وأجيبوا الداعى وأعطوا السائل فإن فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة فإن فيهما محبة فى الخاص ومكرمة فى العام وأنا أوصيكم بمحمد خيرا فإنه الأمين فى قريش والصديق فى العرب وهو جامع لكل ما أوصيكم به وقد جاء بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن وأيم الله كأنى أنظر إلى صعاليك العرب وأهل البر فى الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا وإذا أعظمهم عليه أحوجهم اليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته العرب ودادها وأصفت له فؤادها وأعطته قيادها دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك أحد منكم سبيله إلا رشد فلينظر

فلينظر النمل أضحى فوق عارضه ... يطوف سبعا وسبعا حول مبسمه

(وقال بدر الدين الدماميني)

تحدث ليل عارضه بأني ... سألوه وينصرم المزار

فأشرق صبح غرته ينادي ... حديث الليل يمحوه النهار

(وقال آخر) وقالوا تسلى فقد شانه ... عذار أراحك من صده

فقلت وهمتم ولكنني ... خلعت العذار على خده

(سيدي أبو الفضل بن أبي الوفاء)

على وجنتيه جنة ذات بهجة ... ترى لعيون الناس فيها تزاحما

حمى ورد خديه حماة عذاره ... فياحسن ريحان العذار حماحي

(وقال ابن نباتة) وبمهجتي رشأ يميس قوامه ... فكأنه نشوان من شفتيه

شغف العذار بخده ورآه قد ... نعست لواحظه فدب عليه

(وقال الموصلي) لحديث نبت العارضين حلاوة ... وطلاوة هامت بها العشاق

فاذا نهاني المرء قلت ترفقوا ... فاليكم هذا الحديث يساق

(وقال آخر) أصبحت مكسورا بسهم لحاظه ... ومقيدا من صدغه بلسانه

حتى بدا سيف العذار مجردا ... فخشيت يقتلني وذا من شأنه

(وقال آخر) ياصاح قد حضر المدام ومنيتي ... وحظيت بعد الهجر بالايناس

وكسا العذار الخد حسنا فاسقني ... واجل جديثك كله في الكاس

(ابن نباتة) وضعت سلاح الصبر عنه فماله ... يغازل بالالحاظ من لا يغازله

وسال عذار فوق خديه ... على خده فليتق الله سائله

(ومما قيل في ذم العذار) قال الشاعر

غدا لما التحى ليلا بهيما ... وكان كأنه قمر منير

وقد كتب السواد بعارضيه ... لمن يقرا وجاءكم النذير

(آخر في ذمه) قلت لأصحابي وقد مر بي ... منتقبا بعد الضيا بالظلم

بالله يا أهل ودي قفوا ... ثم انظروا كيف زوال النعم

(وقال آخر) ما زال ينتف ريحانا بعارضه ... حتى استطال عليه صار يحلقه

كأنما طورسينا فوق عارضه ... طول الزمان فموسى لا يفارقه

(وقال آخر) ما زال يحلف لي بكل ألية ... أن لا يزال مدى الزمان مصاحبي

لما جنى نزل العذار بخده ... فتعجبوا السواد وجه الكاذب

(ابن المعتز) يارب ان لم يكن في وصله طمع ... ولم يكن من طول جفوته

فاشف السقام الذي في لحظ مقلته ... واستر ملاحة خديه بلحيته

(ومما قيل في الجبين والحواجب) خالد الكاتب

لها من ظباء الرمل عين مريضة ... ومن ناضر الريحان خضرة حاجب

ومن يانع الاغصان قد وقامة ... ومن حالك الحبر اسوداد الذوائب

(وقال آخر) غزاني الهوى في جيشه وجنوده ... وهب على الجيش من كل جانب

بميسرة أجنادها أعين المها ... وميمنة تقضي بزج الحواجب

ولا يأخذ أحد بهديه الأسعد ولو كان لنفسي مدة ولأجلي تأخير لكفيت عنه المزاهر ولدفعت عنه الدواهي ثم هلك (ومن شهي المجتنى من ثمرات الأوراق) ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه مر على طائفة بالمدينة أيام خلافته فاذا بجارية تبكي وتقول

وهويته من قبل قطع تمائمي ... متناشيا مثل القضيب الناعم

فكان نور البدر سنة وجهه ... يمشي ويصعد من ذؤابة هاشم

فقرع الباب فخرجت اليه فقال لها أحرة أنت أم أمة فقالت بل أمة يا صاحب رسول الله ﷺ فقال من هويت فبكت وقالت بحق صاحب هذا القبر الا انصرفت عني فقال لست بمنصرف من مكاني حتى تعلميني وتقولي فقالت

وان الذي عمل الفراق بقلبها ... فبكت بحب محمد بن القاسم

فسار أبو بكر رضي الله عنه الى المسجد وبعث الى مولاها فاشتراها منه وبعث بها الى علي ابن القاسم بن جعفر بن أبي طالب عفى عنه (ومن مناقب الإمام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في فتح بيت المقدس) ان المسلمين تكامل لهم فتوح الشام فأقاموا على دمشق شهرا فجمع أبو عبيدة أمراء المسلمين واستشارهم في المسير الى قيسارية أو الى بيت المقدس

(وقال آخر) أيا قمر تبسم عن اقاح … ويا غصنا يميل مع الرياح
جبينك والمقبل والثنايا … صباح فى صباح فى صباح

(ومما قيل فى العيون) قال الاصمعى ماوصف أحد العيون بمثل ماوصف أحد بن الرقاع فى قوله

وكأنما دون النساء أعارها … عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان اقصده النعاس تلاعبت … فى جفنه سنة وليس بنائم

(وقال ابن المعتز) عليم بما تحت العيون من الهوى … سريع بكسر اللحظ والقلب جازع
فيجرح احشائى بعين مريضة … كما لان متن السيف والحد قاطع

(وقال الأخطل) ولا تلم بدار بنى كليب … ولا تقرب لها أبدا رجالا
ترى فيها بوارق مرهفات … يكدن يكدن بالحق الرجالا

(وقال أبو فراس وأحسن)

وبيض بألفاظ العيون كأنما … هززن سيوفا واستللن خناجرا
تصدين لى يوما بمنعوج اللوى … فغادرن قلبى بالتصبر غادرا
سفرن بدورا وانتقبن أهلة … ومسن غصونا والتفتن جآذرا

(وقال آخر) ومريض جفن ليس تصرف طرفه … نحو امرىء الا رماه بحتفه
قد قلت إذا أبصرته متمايلا … والردف يجذب خصره من خلفه
يامن سلم خصره من ردفه … سلم فؤاد محبه من طرفه

(وقال أبو هتان) أخو دنف رمته فاقصدته … سها من جفونك لاتطيش
فواتك لا يقال سوى احورار … بهن ولا سوى الاهداب ريش
أصبن فؤاد مهجته فأضحى … سقيما لا يموت ولا يعيش
كئيبا ان ترحل عنه جيش … من البلوى أناخ به جيوش

(وقال آخر) وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى … فصبوا عليه الماء من شدة النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة … ولو أنصفوا قالوا به أعين الإنس

(وقال عز الدين الموصلى) لها عين لهاغزو وغزل … مكحلة ولى عين تباكت
وحاكت فى فعائلها المواضى … فيالك مقلة عزلت وحاكت

(وقال برهان الدين القيراطى)

شبه السيف والسنان بعينى … من لقتلى بين الانام استحلا
فأتى السيف والسنان وقالا … حدثنا دون ذاك حاشى وكلا

(وله أيضا) بأبى أهيف المعاطف لدن … حسد الأسمر المثقف قده
ذو جفون مذ رمت منها كلاما … كلمتنى سيوفهن بحده

(قال بدر الدين حبيب)

عيناه قد شهدت بأنى مخطىء … وأتت بخط عذاره تذكارا
يا حاكم الحب اتئد فى قتلتى … فالخط زور والشهود سكارى

(وقال جلال الدين بن خطيب داريا)

شهدت جفون معذبى بملالة … منى وأن وداده تكليف
لكننى لم أنا عنه لأنه … خبر رواه الجفن وهو ضعيف

فقال له معاذ بن جبل أيها الأمير اكتب الى أمير المؤمنين عمر فحيث أمرك امتثله قال له أصبت الرأى يامعاذ ثم كتب إلى أمير المؤمنين عمر يعلمه بذلك وأرسل الكتاب مع عرفجة بن ناصح النخعى فسار حتى وصل المدينة فسلم الكتاب إلى عمر رضى الله عنه فقرأه على المسلمين واستشارهم فقال على رضى الله تعالى عنه ياأمير المؤمنين مر صاحبك ينزل بجيوش المسلمين إلى بيت المقدس فاذا فتح الله بيت المقدس صرف وجهه إلى قيسارية فانها تفتح بعدها ان شاء الله تعالى كذا أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر صدق المصطفى ﷺ وصدقت أنت ياأبا الحسن ثم دعا بدواة وبياض وكتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر إلى عامله بالشام أبى عبيدة أما بعد فانى أحمد الله الذى لا إله إلا هو وأصلى وأسلم على نبيه وقد وصلنى كتابك تستشيرنى إلى أى ناحية تتوجه وقد أشار ابن عم رسول الله ﷺ بالمسير إلى بيت المقدس فان الله يفتحها على يديك والسلام فلما وصل الكتاب إلى أبى عبيدة قرأه على المسلمين ففرحوا بالمسير إلى بيت المقدس وتقدمه الجيش إلى بيت المقدس وأقام المسلمون فى القتال عشرة أيام وأهل بيت المقدس يظهرون الفرح لعدم

فضج الناس ضجة عظيمة بالتهليل والتكبير فوقع الرعب فى أهل بيت القدس فاجتمعوا بقمامة وهى البيعة المعظمة عندهم فلما وقفوا بين يدى البطرك قال لهم ماهذه الضجة التى أسمع قالوا ياأبانا قد قدم أمير المؤمنين ببقية المسلمين فلما سمع البطرك منهم ذلك انخطف لونه وتغير وجهه وقال أنا وجدنا فى علمنا الذى ورثناه ان الذى يفتح الارض هو الرجل الاحمر صاحب نبيهم محمد فان كان قدم عليكم فلا سبيل إلى قتاله ولا بد أن أشرف عليه وأنظر إلى صفته فان كان هو أجبته إلى ما يريدوان كان غيره فلا بأس عليكم ثم وثب قائما والقسس والرهبان والشمامسة من حوله وقد رفعوا الصلبان على رأسه فصعدوا إلى السور إلى أن ورد أبو عبيدة رضى الله عنه فناداهم رجل من الروم باذن البطرك يامعاشر المسلمين كفوا عن القتال حتى نسألكم فأمسك المسلمون عنهم فناداهم الرجل بلسان عربى اعلموا ان الرجل الذى يفتح بلادتنا هذه وجميع الارض صفته عندنا فان كانت فى أميركم لم نقاتلكم بل

(وقال الشيخ عز الدين الموصلى)

يامقلة الحب مهلا ❊ فقد اخذت بثارك ❊ وأنت ياوجنتيه ❊ لاتحرقينى بنارك

(وقال ابن الصائغ) لمثلى من لواحظها سهام ❊ لها فى القلب فتك أى فتك
إذا رامت تشك به فؤادا ❊ يموت المستهام بغير شك

(وقال الصلاح الصفدى)

ياعاذلى على عين محجبة ❊ خف سحر ناظرها فالسحر فيه خفى
وخذ فؤادى ودعه نصب مقلتها ❊ لاترم نفسك بين السهم والهدف

(وقال آخر) بسهم أجفانه رمانى ❊ فذبت من هجره وبينه
ان مت مالى سواه خصم ❊ لانه قاتلى بعينه

(وقال آخر) سهام الجفن كم قتلت لنفس ❊ مبرأة من السلوى زكيه
فما أقوى جفونك وهى مرضى ❊ وأقدرها على قتل البريه

(ومما قيل فى الخال) للصلاح الصفدى

بروح خده المحمر أضحى ❊ عليه شامة شرط المحبه
كان الحسن يعشقه قديما ❊ فنقطه بدينار وحبه

(ولابن الصائغ) بروحى أفدى خاله فوق خده ❊ ومن أنا فى الدنيا فأفديه بالمال
تبارك من أخلى من الشعر خده ❊ وأسكن كل فى ذلك الخال

(للشيخ جمال الدين بن نباتة)

لله خال خد الحبيب له ❊ فى العاشقين كما شاء الهوى عبث
أورثته حبة القلب القتيل به ❊ وكان عهدى بان الخال لايرث

(وقال آخر) ياسالبا قمر السماء جماله ❊ ألبستنى فى الحزن ثوب سمائه
أحرقت قلبى فارتمى بشرارة ❊ علقت بخدك فانطفت فى مائه

(للشيخ تقى الدين بن حجة)

قلت للخال إذ بدا ❊ فى نقا جيده السعيد ❊ فزت ياعبد قال لى ❊ أنا عبد لكل جيد

(وقال ابن أبيك) فى الجانب الايمن من خدها ❊ نقطة مسك اشتهى شمها
حسبته لما بدا خالها ❊ وجدته من حسنها عمها

(وقال الحسين بن الضحاك)

ياصائد الطير كذا ❊ باللحظ تضنى وتسبى ❊ نصبت نقطة خال ❊ فصدت طائر لبى

(ومما قيل فى الخدود) ابن المعتز

صل بخدى خديك تلق عجيبا ❊ من معان يحار فيها الضمير
فبخديك للربيع رياض ❊ وبخدى للدموع غدير

(وقال آخر) ورد الخدود ونرجس اللحظات ❊ وتصافح الشفتين فى الخلوات
شىء أسر به وأعلم أنه ❊ وحياته أحلى من اللذات

(ومما قيل فى الثغور) قال يوسف بن مسعود الصراف

بروحى من ولى قولى بمهجتى ❊ وولى منامى وهو كالوصل شارد
حمى ثغره منى بسيف لحاظه ❊ وحتام يحمى ثغره وهو بارد

فسلم اليكم وإن لم تكن هذه صفته فلا نسلم إليكم أبدا فاعلم المسلمون أباعبيدة بذلك فخرج أبو عبيدة

(وقال آخر) أنفقت كنزا مدامعي في ثغره ... وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة ... فمضى وراح تغزلى فى البارد

(وقال آخر) رأى ثغر من أهوى عذولى فقال لى ... ولم يدر أن اللوم فى خده يغرى
شغلت بهذا وارتبطت بحسنه ... وأحسن ما كان الرباط على ثغر

(وقال ابن ريان) لاحت على مبسمه المشتهى ... ثلاث شامات غدت فى المنام
لاتعجبوا إن كثرت حوله ... فالمنهل العذب كثير الزحام

(ومما قيل فى طيب الريق والنكهة قال ذو الرمة)
أسيلة مجرى الدمع هيفاء طفلة ... عروب كايماض الغمام ابتسامها
كأن على فيها وماذقت طعمه ... زجاجة خمر طاب فيها مدامها

(وقال شهاب الدين الكردى)
ذكرت ريح حبيبى بشرب راح ... تعطر وليس ذا بعجيب فالشىء بالشىء يذكر

(غيره) رشفت ريقك حلوا ولم يكن لى صبر ... وسوف أحظى بوصل فأول الغيث قطر

(الصلاح الصفدى) نقل الأراك بان ثغر ... من قهوة مزجت بماء للكوثرا
قد صح مانقل الاراك لأنه ... يرويه نصا عن صحاح الجوهرى

(وقال آخر) ثلاث تجمعن فى ثغرها ... ملاح أدلتها واضحة
فان قيل ما هى لى قل أقل ... هى الطعم واللون والرائحة

(وقال آخر) يارب ممتنع الوصال محجب ... بستوره كالبدر بين غيومه
دارت مراشفه على وكاسه ... فسكرت فى الحالين من خرطومه

(وقال آخر) أريقا من رضا بك أم ... رحيقا رشفت فكدت منه لن أفيقا
وللصهباء أسماء ولكن ... جهلت بأن فى الأسماء ريقا

(ومما قيل فى حسن الحديث) قال البحترى
ولما التقينا والنقا موعد لنا ... تعجب رائى الدر حسنا ولاقطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها ... ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

(وقال سلم الخاسر) ظللنا فبتنا عند أم محمد ... بيوم ولم نشرب شرابا ولاخمرا
إذا صمتت عنا ضجرنا لصمتها ... وان نطقت هاجت لألبابنا سكرا

(وقال ابن الرومى) يمسى ويصبح معرضا فكأنه ... ملك عزيز قاهر سلطانه
ليست اساءته بناقصة له ... در يساقطه إلى لسانه

(وما أحسن هذه الأبيات) وهى من طارف الشعر ووافره وناقده وجيد الكلام وبارع الوصف
وكل حديث الناس الاحديثها ... رجيع وفيها حدثتك الطرائف
جآذروا وارتجت بهن الروادف ... رجحن بأرداف ثقال وأسرق ... جرحن باعناق الظباء وأعين ... جزال وأعضاء عليها المطارف

(ومما قيل فى رقة البشرة) قال ابن المعتز
نضت عنها القميص لصب ماء ... فورد خدها فرط الحياء
وقابلت الهواء وقد تعرت ... بمعتدل أرق من الهواء
ومدت راحة كالماء منها ... إلى ماء عتيد فى اناء
فلما ان قضت وطرا وهمت ... على عجل إلى أخذ الرداء
رأت شخص الرقيب على تدان ... فاسبلت الظلام على الضياء
فغاب الصبح منها تحت ليل ... وظل الماء يقطر فوق ماء

اليهم إلى أن حاذاهم فنظر البطرك وحقق صورته فقال ليس هو الرجل فابشروا وقاتلوا عن دينكم وحريمكم وكان نزول المسلمين على بيت المقدس فى فصل الشتاء والبرد فأقاموا عليها أربعة أشهر فى أشد قتال مع الصبر على المطر والثلج فلما نظر أهل بيت المقدس إلى شدة الحصار فى ذلك الفصل الصعب ومانزل بهم من المسلمين وقفوا بين يدى البطرك وقالوا له قد عظم الأمر ونريد منك أن تشرف على القوم وتسأل ماالذى يريدون فان كان أمرا صعبا فتحنا الأبواب وخرجنا اليهم فاما نقتل عن آخرنا أو نهزمهم عنا فأجابهم البطرك إلى ذلك وصعد السور واجتمع القسيسون والرهبان حوله ونادى منهم رجل بالعربى وقال يامعشر الفرسان عمدة دين النصرانية قد أقبل يخاطبكم فليدن منا أميركم فقام أبو عبيدة يمشى ومعه جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجمان فلما وقف بازائهم قال ماالذى تريدون هذا أمير العرب فقال البطرك انكم لو أقمتم علينا عشرين سنة لم تصلوا إلى فتح بلدتنا أبدا وانما يفتحه رجل موصوف وليست الصفة معكم قال أبو عبيدة وما صفة من يفتح بلدكم قال البطرك لانخبركم بصفته ولكن قرأنا ان هذا البلد يفتحه صاحب لمحمد اسمه عمر الخطاب بن

(وقال

(وقال آخر) تغير عن مودته وحالا وكان مواصلا فطوى الوصالا
وعلمه التدلل كيف هجرى فليت الوصل كان له دلالا
ترى من فوق حقويه قضيبا اذا ما حركته خطاه مالا
إذا كلمته أثرت فيه وان حركته فالخمر سالا

(وقال بشار) وما ظفرت عيني عداة لقيتها بشيء سوى أطرافها والمحاجر
كحوراء من حور الجنان غريرة يرى وجهه فى وجهها كل ناظر

(ومنه أخذ أبو نواس قوله)

نظرت إلى وجهه نظرة فأبصرت وجهي فى وجهه

(وقال آخر) توهمه قلبي فأصبح خده وفيه مكان الوهم من نظرى أثر
ومر بفكرى جسمه فجرحته ولم أر جسما قط تجرحه الفكر

(وقال آخر) سقى الله روضا قد تبدى لناظر به شادن كالغصن يلهو ويمرح
وقد نضحت خداه من ماء ورده وكل اناء بالذى فيه ينضح

(وقال آخر) ولطيف قده كدى احرار وحاز الحسن فهو بلا شبيه
فلو أخجلته بالقول جهدى لحمرة خده ما بان فيه

(ومما قيل فى التقبيل) لمظفر الأعمى

قبلته فتلظى جمر وجنته وفاح من عارضيه العنبر العبق
وجال بينهما ماء ولا عجب لا ينطفى ذا ولا ذا منه يحترق

(وقال آخر) سألته فى ثغره قبلة فقال ثغرى لم يجز لثمه
فها كها فى الخد واقنع بها ما قارب الشيء له حكمه

(وقال صاحب حماة) قال الذى نيمنى فولوا لمن خبلته يروم منى قبلة لو مات ماقبلته

(الشيخ عز الدين الموصلي) كالزرد المنظوم أصداغه وخده كالورد لما ورد
بالغت فى اللثم وقبلته فى الخد تقبيلا يفك الزرد

(وقال آخر) رأيت الهلال على وجهه فلم أدر أيهما أنور سوى أن ذاك بعيد المزار
وهذا قريب لمن ينظر وذاك يغيب وذا حاضر وما من يغيب كمن يحضر
ونفع الهلال قليل لنا ونفع الحبيب لنا أكثر

(وقال ابن صابر) قبلت وجنته فألفت جيده خجلا وماس بعطفه المياس
فانهل مد خديه فوق عذاره عرق يحاكى الطل فوق الآس
فكأننى استقطرت ورد خدوده بتصاعد الزفرات من أنفاسى

(وقال آخر).

قبلت رجل حبيبي فازور واحمر خدا وقال تلثم رجلي لقد تنازلت جدا
فقلت ماجئت بدعا ولا تجاوزت حدا رجل سعت بك نحوى حقوقها لا تؤدى

(ومما قيل فى الوجه الحسن) ابن نباته.

إنسية فى مثال الجن تحسبها شمسا بدت بين تشريق وتغميم
شقت لها الشمس ثوبا من محاسنها فالوجه للشمس والعينان للريم

(عبد الله بن أبى خبص) تصد من غير علة بالعز أضحت مذله كأنها حين تدنو
شمس عليها مظله وأن أضاءت بليل تفرق نور الأهله

البطرك تبسم وقال فتحنا البلد ورب الكعبة ثم أقبل على البطرك وقال ان رأيت الرجل تعرفه وصفته عندنا قال أبو عبيدة نبينا صلى الله عليه وسلم قال البطرك فاذا كان الأمر على ما ذكرتم فاحقن الدماء وابعث إلى صاحبك يأتى فاذا رأيناه وتبينا نعته فتحنا له البلد وأعطيناه الجزية فانصرف أبو عبيدة وأمر الناس بالكف عن القتال وأعلمهم بالخبر فكبروا وكتب أبو عبيدة إلى الإمام عمر رضى الله عنه يعلمه بالخبر على يد ميسرة بن مسروق فلما وصل الكتاب إلى عمر رضى الله عنه فرح وقرأه على المسلمين وقال ما ترون رحمكم الله فيما كتب الينا أمين الأمة فكان أول من تكلم عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فقال يا أمير المؤمنين أن الله قد أذل الروم فان أنت أقمت ولم تسر اليهم علموا أنك بأمرهم مستخف فلا يثبتون إلا يسيرا فلما سمع عمر ذلك من عثمان جزاه خيرا وقال هل عند أحد منكم رأى غير هذا فقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه نعم عندي غير هذا الرأى وأنا أبديه إليك رحمك الله فقال له عمر وما هو يا أبا الحسن قال أن القوم قد سألوك وفى سؤالهم ذل وهو على المسلمين فتح وقد أصابهم جهد عظيم

(وقال آخر) قسم بالله وآياته   ما نظرت عيني إلى مثله
ولا بدا وجهه طالعا   إلا سألت الله من فضله

(وقال آخر) أقيمي مكان البدر إن أفل البدر   وقومي مقام الشمس قد أمها الفجر
ففيك من الشمس المنيرة نورها   وليس لها منك التبسم والثغر

(عمر بن أبي ربيعة) ذات حسن إن تغب شمس الضحى   فلنا من وجهها عنها خلف
أجمع الناس على تفضيلها   وهواهم في سوى هذا اختلف

(أخذ أبو تمام هذا المعنى فرده إلى المدح فقال)
لو أن إجماعنا في فضل سودده   في الدين لم يختلف في الأمة اثنان

(وقال آخر) يا مفردا في الحسن والشكل   من دل عينيك على قتلي
البدر من شمس الضحى نور   والشمس من نورك تستملي

(وقال آخر) ففي أربع مني حلت منك أربع   فما أنا أدري أيها هاج لي كربي
أوجهك في عيني أم الريق في فمي   أم النطق في سمعي أم الحب في قلبي

فلما سمعه إسحق بن يعقوب الكندي قال هذا تقسيم فلسفي وجعله العلوي خمسة فقال
وفي خمسة مني حلت منك خمسة   فريقك منها في فمي طيب الرشف
ووجهك في عيني ولمسك في يدي   ونطقك في سمعي وعرفك في أنفي

(ابن نباتة) أيها العاذل الغبي تأمل   من غدا في صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين (محمود المخزومي)   أن في الليل والنهار عجائب
رأيت في الشمس المنيرة غدوة   فكنت على عيني أبهى من الشمس
لأنك تزهو إن بدا الليل بهجة   وشمس الضحى ليست تضيء إذا تمسي

(وقال آخر).
إذا احتجبت لم يكفك البدر وجهها   وتكفيك البدر أن غرب البدر
وحسبك من خمر مذاقة ريقها   ووالله ما من ريقها حسبك الخمر

(ومما قيل في البنان المخضب) قال ابن الرومي.
وقفت وقفة بباب الطاق   ظبية من مخدرات العراق   بنت سبع وأربع وثلاث
أسرت قلب صبها المشتاق   قلب من أنت يا غزال فقالت   أنا من لطف صنعة الخلاق
لا ترم وصلنا فهذا بنان   قد صبغناه من دم العشاق

(وقال الراضي بالله)
قالوا الرحيل فأنشبت أظفارها   في خدها وقد اعتلقت خضابها
فظننت أن بنانها من فضة   قطعت بنور بنفسج عنابها

(وقال آخر) لما اعتنقنا للوداع وأعربت   عبراتنا عنا بدمع ناطق
فرقن بين محاجر ومعاجر   وجمعن بين بنفسج وشقائق

(وقال آخر) ولما تلاقينا رأيت بنانها   مخضبة تحكي عصارة عندم
فقلت خضبت الكف بعدي أهكذا   يكون جزاء المستهام المتيم
فقالت وأذكت في الحشى لاعج الجوى   مقالة من بالود لم يتبرم

البرد والقتال وطول المقام وإن (٢٠) سرت إليهم فتح الله على يديك هذه المدينة وكان لك في مسيرك الأجر العظيم ولست آمن منهم أنهم إذا يئسوا منك أن يأتيهم المدد من طاغيتهم فيحصل للمسلمين بذلك الضرر والصواب أن تسير إليهم ففرح عمر بمشورة علي وقال لقد أحسن عثمان النظر في المكيدة للعدو وعلي أحسن النظر للمسلمين جزاهما الله خيرا ولست آخذ إلا بمشورة علي فما عرفناه إلا محمود المشورة ميمون الطلعة ثم إن عمر أمر الناس أن يأخذوا الأهبة للسير معه واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب وخرج من المدينة وهو على بعير له أحمر عليه غراران في أحدهما سويق وفي الأخرى تمر وبين يديه قربة وخلفه جفنة للزاد وسار إلى أن أقبل على بيت المقدس فالتقاه أبو عبيدة فلما رآه أناخ قلوصه وأناخ عمر بعيره وترجلا ومد أبو عبيدة يده وصافح عمر وتعانقا وسلم كل منهما على صاحبه وأقبل المسلمون يسلمون على عمر ثم ركبوا جميعا إلى أن نزلوا فصلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر ثم خطبهم فلما فرغ من خطبته جلس وأبو عبيدة يحدثه بما لاقى من الروم إلى أن حضرت صلاة الظهر أذن بلال في ذلك اليوم فلما قال الله أكبر خشعت جوارحهم واقشعرت أبدانهم فلما قال أشهد أن لا إله إلا الله بكيت

بكيت دما يوم النوى فمسحته بكفى فاحمرت بنانى من دمى
(وقال آخر) دنوت عشية التوديع منى ولى عينان بالدم تجريان
فلم يمحن اكراما جفونى ولكن رمن تخضيب البنان

(وما قيل فى النحور) قال دعبل
أتاح لك الهوى بياضا حسانا تباهى بالعيون وبالنجوم
نظرت إلى النحور فكدت تقضى فكيف إذا نظرت إلى الخصور

(وما قيل فى نعت النهود) قال العباس بن الاحنف
والله لو أن القلوب كقلبها ما رق للولد الضعيف الوالد
جال الوشاح على قضيب دائه قدفناح صدر ما حوته ناهد
(وقال آخر) ومحبوبة عند الوداع رأيتها تنشف دمعا بالرداء المسك
وتبكى حذار البين منها بدمعة تسيل على الخدين فى حسن مسلك
فتحسب مجرى الدمع من وجناتها بقية طل فوق ورد ممعك
وقد سفرت عن غرة بابلية وصدر به نهد بحق مفكك
(عمر بن كلثوم) تراك إذا دخلت على خلاء قد امتدت عيون الكاشحينا
لنهد مثل حق العاج حسنا حصينا من أكف اللامسينا
(وقال آخر) بصدرها كوكبا در كأنهما ركنان لم يدنسا من لمس مستلم
صانتهما بستور من غلائلها فالناس فى الحل والركنان فى الحرم
(وقال آخر) صدور فوقهن حقاق عاج ودر زانه حسن اتساق
تقول للناظرون إذ رأوه أهذا الحلى من هذى الحقاق
وما تلك الحقاق سوى ثدى جعلن من الحقاق على وفاق
نواهد لايعد لهن عيب سوى منع المحب من العناق
(وقال آخر) لقد فتكت عيون الغيد فينا ببيض مرهفات وهى سود
وتطعننا القدود إذا التقينا بسمر من أسنتها النهود

(وما قيل فى الأرداف والخصور) قال ابن الرومى
وشربت كأس مدامة من كفها مقرونة بمدامة من ثغرها
وتمايلت فضحكت من أردافها عجبا ولكنى بكيت لخصرها
(الطنبغا المحاربى) ردفه زاد فى الثقالة حتى أقعد الخصر والقوام السويا
نهض الخصر والقوام وقالا فضعيفان يغلبان قويا
(وقال آخر) ياخصره كم جفاه * تبدى وأنت نحيل * يادرفه ملت عنى * ماأنت الابخيل
(القيراطى) بدت روادف بدرى * تحت الحنين لعينى * فقلت يابدر هذا * حيا خيال الحينى
(وقال آخر) أسائلها أين الوشاح وقدسرت معطلة منه معطرة النشر
فقالت وأومت للسوار نحلته الى معصمى اا تلقاق فى خصرى
(وقال آخر) بيض وسمر مقلتاه وقده بدر وليل وجنتاه وشعره
أقسى من الحجر الاصم فؤاده وأرق من شكوى المتيم خصره
(وقال آخر) رخيمات المقال مدللات جواعل فى الثرى قضبا جدالا
جمعن فخامة وخلوص جيد وقدا بعد ذلك واعتدالا

وأشهد أن محمدا رسول الله بكى الناس بكاء شديدا عند ذكر الله وذكر رسوله وكاد بلال ان يقطع الاذان فلما فرغ الاذان صلى عمر وجلس ثم أمرهم بالركوب فلما هم بالركوب على بعيره وعليه مرقعة الصوف وفيها أربع عشر رقعة بعضها من أدم قال المسلمون ياأمير المؤمنين لو ركبت غير بعيرك جواد ولبست ثيابا بيضا لكان ذلك أعظم لهيبتك فى قلوب أعدائك وأقبلوا يسألونه ويتلطفون به إلى أن أجابهم إلى ذلك ونزع مرقعته ولبس ثيابا بيضا قال الزبير احسبها كانت من ثياب مصر تساوى خمسة عشر درهما وطرح على كتفيه منديلا من الكتان دفعه اليه أبو عبيدة وقدم له برذون الروم فلما صار عمر فوقه جعل البرذون يهملج به فلما نظر عمر الى ذلك نزل مسرعا وقال أقيلونى عثرتى أقالكم الله عثراتكم يوم القيامة لقد كاد أميركم يهلك مما داخله من الكبر ثم أنه نزع البياض وعاد الى لبس مرقعته وركوب بغيره فعلت ضجة المسلمين بالتهليل والتكبير فقال البطرك للروم انظروا ماشأن العرب فأشرف رجل من المتنصر فقال يامعاشر العرب ماقضيتكم فقالوا ان عمر بن الخطاب قد قدم علينا من مدينة نبينا صلى الله عليه وسلم فرجع المتنصر وأعلم البطرك فأطرق ولم يتكلم فلما كان من الغد صلى عمر

(ومما قيل فى المعاصم) قال عمر بن أبى ربيعة

حسروا الوجوه بأذرع ومعاصم ... ورنوا بنجل للقلوب كوالم
حسروا الاكمة عن سواعد فضة ... فكانما انتصبت متون صوارم

(ومما قيل فى اعتدال القوام) قال صلاح الدين الصفدى

تقول له الاغصان مذ هز عطفه ... أتزعم أن اللين عنــــد ما ثوى
فقم نحتكم للروض عند نسيمه ... ليقضى على من مال منا إلى الهوى

وقيل) ليس لأحد من شعراء العرب فى نعت محاسن النساء من الأوصاف البارعة مع جودة السبك ورقة اللفظ مالذى الرمة حتى كأنه حضرى من أهل المدن لا من أهل الوبر (وقال) القاضى مجد الدين بن مكانس

أقول لحبى قم ومل يا * معذنى ... كميلة خود غير السكر حالهــــا
ولا تله عن شىء إذا ما حكيتهــا ... فقام كغصن البان لينا ومالها

(وقال آخر)

ومحكم أعطافه * فى قتل ضب ما غوى * فاعجب لعادل قده * فى نفس يحكم بالهوى

(وقال آخر) ومهفهف عنى يميل ولم يمل ... يوما الى فضحت من ألم الجوى
لم لا تميل الى يا غصن النقا ... فأجاب كيف وأنت من أهل الهوى

(ومما قيل فى السارق) قال ذو الرمة

لم أنسه اذ قام يكشف عامــدا ... عن ساقه كاللؤلؤ البراق
لاتعجبوا ان قام فيه قيامتى ... ان القيامة يوم كشف الساق

(وقال آخر) جاءت بساق أبيض أملس ... كاللؤلؤ يبدو لعشاقها
فافتتنت فيها جميع الورى ... وقامت الحرب على ساقها

(وقال ابن منقذ) بدر ولكنه قريب ... ظبى لكنه أنيس
ان لم يكن قده قضيبا ... فما لأعطافه تميس

(ومما قيل فى مشى النساء) قال بعضهم

يهززن للمشى اطرافا مخضبة ... هز الشمال ضحى عيدان نسرين
أو كاهتزاز رديني تداوله ... أيدى الرجال فزاد المتن فى اللين

(وقال آخر)

يمشين مشى قطا البطاح تأودا ... قب البطون رواجح الاكفال
فكأنهن اذا أردن زيارة ... يقلعن أرجلهن من أوحال

(ومما قيل فى العناق وطيبه) لابن المعتز

ماأقصر الليل على الراقـــد * وأهون السقم على العائد * كأنى عانقت ريحانة تنفست فى ليلها البارد * فلو ترانا فى قميص الدجى * حسبتنا فى جسد واحد

(وقال آخر) وموشح نازعت فصل وشاحه ... وأعرته من ساعد وشاحا
بات الغيور يشق جلده وجهه ... وأمال أعطافا على ملاحا

(وقال ابن المعدل)

أقول وجنح الدجى مسبل ... والليل فى كل فج يد

بالمسلمين صلاة الفجر ثم قال لأبى عبيدة تقدم الى القوم واعلمهم أنى قد اتيت فخرج أبو عبيدة وصاح بهم وقال ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد أتى فما تصنعون فيما قلتم فاعلم البطرك بذلك فخرج من قامة وعليه المسوح ومن حوله الرهبان والقسس ثم علا السور وأشرف على أبى عبيدة وقال ماهذا أيها الشيخ قال أبو عبيدة هذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقال البطرك قل له يدنو منى فانا نعرفه بصفاته ونعته وأفردوه من بينكم حتى نراه فرجع أبو عبيدة إلى عمر فأخبره بما قال البطرق فهم عمر بالقيام فقال له أصحاب رسول الله ﷺ يخشى عليك من الانفراد بلا عدة فقال عمر قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ثم لبس مرقعته وركب بعيره وأبو عبيدة سائر بين يديه الى أن أتى بازاء البطرك قريبا من الحصن فقال أبو عبيدة هذا أمير المؤمنين فمد البطرك عنقه ونظر اليه فزعق زعقة وقال هذا والله الذى صفته ونعته فى كتبنا ثم قال يا أهل بيت المقدس انزلوا اليه وخذوا منه الامان والذمة فهذا والله صاحب محمد بن عبد الله فنزلوا مسرعين وكانت أنفسهم قد ضاقت من شدة الحصار وفتحوا الباب وخرجوا الى

ونحن ضجيعان فى مسجد فلله ماضمنا المسجد أيا غدان كنت لى محسنا
فلان تدن من ليلى ياغد ويا ليلة الوصل لاتقصرى كما ليلة الهجر لاتنفد

وقال آخر : أوليل رقيق الطرتين تظلت كواكبه من بدره المتألق
لهونا بغزلان الصريمة تحته تميت الهوى ما بين صدر ومرفق

وقال ابن المعتز : وكم عناق وكم قبل مختلسات حذار مرتقب
نقل العصافير وهى خائفة من النواطير يانع الرطب

(وقال ديك الجن)

ومعدولة مهما أمالت أزارها فغصن وأما قدها فقضيب
لها القمر السارى شقيق وانها لتطلع أحيانا له فيغيب
أقول لها والليل مرخ سدوله وغصن الهوى غض النبات رطيب
لأنت المنى يازين كل مليحة وأنت الهوى أدعى له فأجيب

(وقال على بن الجهم)

سقى الله ليلا ضمنا بعد فرقة وأدنى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعاً لو تراق زجاجة من الخمر فيما بيننا لم تشرب

وقال آخرين : ياليل دم لى لا أريد براحا حسبى بوجه معذبى مصباحا
حسبى به نور وحسبى ريقه خمرا وحسبى خده تفاحا
حسبى بمضحكه إذا استضحكته مستغنيا عن كل نجم لاحا
طوقته طوق العناد بساعد وجعلت كفى للثام وشاحا
هذا هو اليوم النعيم لخلنا متعانقين فلا نديم براحا

وقال آخر : ولم أنس ضمى للحبيب على رضا ورشفى رضابا كالرحيق المسلسل
ولا قوله لى عند تقبيل خده تنقل فلذات الهوى فى التنقل

(ومما قيل فى السمن) قال الربيع بن سليمان سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول مارأيت سمينا عاقلا إلا محمد بن الحسن قال الشافعى :

لأعشق الأبيض المنفوخ من سمن لكننى أعشق السمر المهازيلا
انى امرؤ أركب المهر المضمر فى يوم الرهان وغيرى يركب الفيلا

(ومما قيل فى مدح الألوان والثياب)

(مدح البياض) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البياض نصف الحسن وكان ﷺ أبيض أزهر اللون مشربا بحمرة قال الشاعر :

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الاول

(ومما قيل فى مدح السواد) قيل لبعضهم ما تقول فى السواد قال النور فى السواد أراد بذلك نور العينين فى سوادهما وقال بعضهم :

قالوا تعشقتها سوداء قلت لهم لون الغوالى ولون المسك والعود
إنى امرؤ ليس بشأن البيض مرتفعا عندى ولو خلت الدنيا من السود

(وقال الحيقطان)

لئن كنت جعد الرأس واللون فاحم فانى بسيط الكف والعرض ازهر
ان سواد اللون ليس بضائرى إذا كنت يوم الروع بالسيف أخطر

عمر يسألونه العهد فلما رآهم عمر رضى الله عنه فى تلك الحالة تواضع لله سبحانه وتعالى وخر ساجدا على قتب بغيره ثم أقبل عليهم وقال ارجعوا إلى بلدكم ولكم العهد فرجع القوم إلى البلد ولم يغلقوا الباب رجع عمر فلما كان من الغد وهو يوم الاثنين دخل إليها وأقام بها إلى يوم الجمعة وخطبها محرابا وهو موضع مسجد وتقدم وصلى بالمسلمين صلاة الجمعة وأقام فى بيت المقدس عشرة أيام وبها أسلم كعب الأحبار على يده وارتحل معه إلى المدينة لزيارة قبر النبى ﷺ وذلك بعد أن كتب الإمام عمر لأهل بيت المقدس وأقرهم فى بلدهم على عهدهم وأداء الجزية (ومن شهى الجنى من ثمرات الأوراق) مانقله أبو الحسن على بن عبد المحسن التنوخى فى المستجاد أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه لما بات على فراش النبى ﷺ ليفديه بنفسه أوحى الله تعالى الى جبريل وميكائيل عليهما السلام انى آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخرة فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كل منهما الحياة فأوحى الله إليهما أفلا كنتما مثل على بن أبى طالب آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره الحياة اهبطا الى الارض واحفظاه من عدوه فكان جبريل عنده

رأسه وميكائيل عند رجليه وجبريل ينادى بخ بخ من مثلك يابن أبى طالب يباهى الله بك الملائكة فأنزل الله تعالى ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد (قال أبو الحسن المدائنى) خرج الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله ابن جعفر رضى الله عنهم حجاجا ففاتتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز فى خباء لها فقال أحدهم هل من شراب قالت نعم فأناخوا إليها وليس لها إلا شويهة فقالت احلبوها فاشربوا لبنها ففعلوا فقالوا هل من طعام قالت لا إلا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيء لكم ما تأكلون فقام إليها أحدهم فذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فأكلوا وأقاموا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فالمى بنا فانا صانعون إليك خيرا فارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة فغضب وقال ويحك تذبحين شاتى لقوم لا أعرفهم ثم تقولين نفر من قريش ثم بعد مدة ألجأتهم الحاجة إلى دخول المدينه فدخلاها وجعلا ينتقلان البعر ويعيشان بثمنه فمرت العجوز ببعض سكك المدينة فاذا الحسن بن على على باب داره فعرف العجوز وهى منكرة فبعث إليها غلامه ، منها

(دخل) إبراهيم بن المهدى على المأمون فقال إنك لتمم الخليفة الأسود فقال إبراهيم نعم فتمثل المأمون بيت نصيب فقال ان كنت عبدا فنفسى حرة كرما ، أو أسود اللون انى أبيض الخلق ثم قال ياعم أخرجنا الهزل إلى الجد فأنشد إبراهيم

ليس يزرى السود بالرجل الشهم ... ولا الفتى إلا ريب الأديب
إن يكن للسواد فيك نصيب ... فبياض الأخلاق منك نصيبى

وقال آخر: لام العواذل في سوداء فاحمة ... كأنها فى سواد القلب تمثال
وهام فى الخال أقوام وماعلموا ... انى أهيم بشخص كله خال

وقيل لمدنى كيف رغبتم فى السواد فقال لو وجدنا بيضاء لسودناها (وقال آخر)

ويكون الخال فى خد قبيح ... فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف يلام ذو عشق على من ... يراها كلها فى الخد خالا

وقال آخر: فاستحسنوا الخال فى خد فقلت لهم ... إنى عشقت مليحا كله خال

وكان أبو حاتم المدنى ينشد

ومن يك معجبا ببنات كسرى ... فانى معجب ببنات حام

وتفاخرت حبشية ورومية فقالت الرومية أنا حبة كافور وأنت عدل فحم فقالت الحبشية أنا حبة مسك وأنت عدل ملح (وقد قال الشاعر)

أحب لحبها السودان حتى ... أحب لحبها سود الكلاب

وقال آخر: أشبهك المسك وأشبهته ... قائمة فى لونه قاعده
لاشك إذ لونكما واحد ... أنكما من طينة واحده

(ومما قيل فى الصفرة) قال الشاعر

أصفراء كان الهجر منك مزاحا ... ليالى كان الود منك مباحا
كأن نساء الحى مادمت فيهم ... قباحا فلما غبت صرن ملاحا

وقال آخر: قالوا به صفرة شانت محاسنه ... فقلت ماذاك من عيب به نزلا
عيناه مطلوبة فى ثار من قتلت ... فلست تلقاه إلا خائفا وجلا

(ومما قيل فى طول اللحية) قيل إن اللحية الطويلة عش البراغيث ، ونظر يزيد الشيبانى إلى رجل ذى لحية عظيمة تلتف على صدره وإذاهو خاضب فقال له ياهذا انك من لحيتك فى مؤنة فقال أجل ولذلك أقول

لها درهم للدهن فى كل جمعة ... وآخر للحناء يبتديان
ولولا نوال من يزيد بن مزيد ... لأصبح فى حافاتها الحنان

(وقال إسحق بن خلف فى قصير طويل اللحية)

ماشيت داود فاستضحكت من عجب ... كأنه والد يمشى بمولود
ماطول داود إلا طول لحيته ... يظن داود فيها غير موجود

(وقال ابن المقفع) تأملت أسواق العراق فلم أجد ... دكاكينهم إلا عليها المواليا
جلوسا عليها ينفضون لحاهم ... كما نفضت عجف البغال المخاليا

(ومما جاء فى عظم الخلقة والطول والقصر)

(قيل خرب القهندز فبرزت منه جماجم أموات فتصدعت جمجمة فانتثر أسنانها فوزن السن

منها فكان وزنها أربعة أرطال فأتى بها إلى ابن مبارك لجعل يقلبها ويتعجب من عظمها ثم قال

إذا ماتذكرت أجسامهم تصاغرت النفس حتى تهون

(وأراد) ملك الروم أن يباهى أهل الإسلام فبعث إلى معاوية رجلين أحدهما طويل والثانى قصير شديد القوة فدعا للطويل بقيس بن سعد بن عبادة فنزع قيس سراويله ورمى بها اليه فلبسها الطويل فبلغت ثدييه فلاموا قيسا على نزع السراويل فقال

أردت لكيما يعلم الناس * سراويل قيس والوفود شهود * وكى لايقولوا غاب قيس وهذه سراويل عاد أحرزتها ثمود * وانى من القوم اليمانين سيد * وما الناس إلا سيد ومسود

ثم دعا معاوية للرجل الشديد فى قوته بمحمد بن الحنفية فخيره بين أن يقعد فيقيمه أو يقوم فيقعده فغلبه فى الحالتين وانصرفا مغلوبين ﴿ وقيل ﴾ كان سلمة بن مرة الناموسى أسر امرأ القيس بن النعمان اللخمى الملك وكان الناموسى قصيرا مقتحما واللخمى طويلا جسيما فقالت بنت امرىء القيس ياهذا القصير أطلق أبى فسمعها سلمة بن مرة فقال :

لقد زعمت امرىء القيس إننى قصير وقد أعيا أباها قصيرها

ورب طويل قد نزعت سلاحه وعانقته والخيل تدمى نحورها

(وقالوا) عظم اللحية يدل على البله وعرضها على قلة العقل وصغرها على لطف الحركة وإذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة فى حجمها تدل على الفطنة وحسن الخلق والمروءة والتى يطول تحديقها تدل على الحق والتى تكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر على الأذن يدل على جودة السمع والأذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان (ومما قيل فى القبح والدمامة) أراد رجل أن يكتب كتابا لبعض أصحابه فلم يجد من يرسله معه إلا رجلا وحش الصورة بشع المنظر فلم يقدر على تحليته لفرط دمامته فكتب إلى صاحبه يأتيك بهذا الكتاب آية من آيات الله تعالى وقدمه فدعه يذهب إلى نار الله وسقره (ومر) أبو الاسود الدؤلى بمجلس لبنى بشير فقال بعض فتيانهم كأن وجهه وجه عجوز راحت إلى أهلها بطلاقها وقال الجاحظ ما أخجلنى قط إلا امرأة مرت بى إلى صائغ فقالت له اعمل لها صورة شيطان فقلت لاأدرى كيف أصوره فأتت بك إلى لأصوره على صورتك وفى الجاحظ يقول الشاعر

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا ما كان إلا دون قبح الجاحظ

رجل ينوب عن الجحيم بوجهه وهو القذى فى عين كل ملاحظ

ولو أن مرآة جلت تمثاله ورآه كان له كأعظم واعظ

وقال الاصمعى رأيت بدوية من أحسن الناس وجها ولها زوج قبيح فقلت ياهذه أترضين أن تكونى تحت هذا فقالت ياهذا لعله أحسن فيما بينه وبين ربه فجعلنى ثوابه وأسأت فيما بينى وبين ربى فجعله عذابى أفلا أرضى بما رضى الله به وحج مخنث فرأى رجلا قبيح الوجه يستغفر فقال ياحبيبى ماأراك أن تبخل بهذا الوجه على جهنم ، وقال بعضهم لرجل طلع لى دمل فى اقبح المواضع فقال له كذبت هذا وجهك ليس فيه شىء وخرج رجل قبيح الوجه إلى المتجر فدخل اليمن فلم ير فيها أحسن منه وجها فقال

لم أر وجها حسنا * منذ دخلت اليمنا فيا شقاء بلدة * أحسن من فيها أنا

وخطب رجل عظيم الانف امرأة فقال لها قد عرفت أنى رجل كريم المعاشرة محتمل المكاره فقالت لاشك فى احتمالك المكاره مع حملك هذا الانف أربعين سنة (وقال)الشاعر فى رجل كبير الانف

فدعا بها فقال يا أمة الله أتعرفيننى قالت لا قال أنا ضيفك بالأمس يوم كذا وكذا قالت بأبى أنت وأمى ثم اشترى لها من شاة الصدقة ألف شاة وأمر لها بألف دينار وبعث بها من غلامه إلى الحسين رضى الله عنهما فأمر لها بمثل ذلك وبعث بها مع غلامه إلى عبدالله بن جعفر رضى الله عنه فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بألفى شاة وألفى دينار فقال لها لو بدأت بى لاتبعتهما فى العطاء أعطوها عطيتها فرجعت العجوز إلى زوجها بأربعة آلاف دينار وأربعة آلاف شاة (ومما أنه جرى بين الحسين بن على بن أبى طالب وبين أخيه محمد بن الحنفية رضى الله عنهما كلام فانصرفا متغاضبين فلما وصل محمد إلى منزله أخذ رقعة وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن على بن أبى طالب إلى أخيه الحسين ابن على بن أبى طالب أما بعد فان لك شرفا لا أبلغه وفضلا لا أدركه فاذا قرأت رقعتى هذه فالبس رداءك ونعليك وسر إلى فترضنى وإياك أن أكون سابقك إلى الفضل الذى أنت أولى به منى والسلام فلما قرأ الحسين رضى الله عنه الرقعة لبس رداءه ونعليه ثم جاء إلى أخيه محمد فترضاه (وقال أبو الفرج الاصفهانى

لك وجه وفيه قطعة أنف　　كجدار قد أدعموه ببغله
وهو كالقبر فى المثال ولكن　　جعلوا نصبه على غير قبله

(وقال آخر)
لك أنف أنوف أنفت منه الأنوف
أنت فى القدس تصلى　　وهو فى البيت يطوف

(ومما جاء فى الثقلاء) قال مطيع بن اياس
قلت لعباس أحيينا　　ياثقيل للثقلاء　　أنت فى الصيف سموم
وجليد فى الشتاء　　أنت فى الأرض ثقيل　　وثقيل فى السماء

(ومما جاء فى الملابس وألوانها والعمائم ونحوها)

قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وقال تعالى يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال رسول الله ﷺ ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده وقال ﷺ تعمموا تزدادوا جمالا وقال ﷺ العمائم تيجان العرب وكان الزبير بن العوام يقاتل يوم بدر وعليه عمامة صفراء فنزلت الملائكة وعليهم عمائم صفر قد أرخوها وبعث رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل فتخلف عن الجيش وأتى إلى رسول الله ﷺ وعليه عمامة سوداء من خز فنقضها رسول الله ﷺ وعممه بيده وأسدلها بين كتفيه قدر شبر وقال هكذا اعتم ياابن عوف وبعث ملك الروم إلى النبى ﷺ جبة ديباج فلبسها ثم كساها عثمان وكان سعيد بن المسيب يلبس الحلة بألف درهم ويدخل المسجد فقيل له فى ذلك فقال انى أجالس ربى وقيل المروءة الطاهرة الثياب الطاهرة وقيل البس البياض والسواد فان الدهر هكذا بياض نهار وسواد ليل

(ومما قيل فى لبس السواد قول أبى قيس)
رأيتك فى السواد فقلت بدرا　　بدا فى ظلمة الليل البهيم
والقيت السواد فقلت شمس　　محت بشعاعها ضوء النجوم

وقدم تاجر إلى المدينة يحمل من خمر العراق فباع الجميع الا السود وشكا الى الدارمى ذلك وكان الدارمى قد نسك فعمل بيتين وأمر من يغنى بهما فى المدينه وهما هذان البيتان
قل للمليحة فى الخمار الاسود　　ماذا فعلت بزاهد متعبد
قد كان شمر للصلاة إزاره　　حتى قعدت له بباب المسجد

قال فشاع الخبر فى المدينة ان الدارمى رجع عن زهده وتعشق صاحبة الخمار الاسود فلم يبق فى المدينة مليحة إلا اشترت لها خمارا اسود فلما أنفد التاجر ما كان معه رجع الدارمى إلى تعبده وعمد إلى ثياب نسكه فلبسها وقال آخر فى لابسة الاحمر
وشمس من قضيب فى كثيب　　تبدت فى لباس جلنارى
سقتنى ريقها صرفا وحيت　　بوجنتها فهاجت جل نارى

(وقال آخر فى لابسة ثوب خمرى)
فى ثوبها الخمرى قد أقبلت　　بوجنة حمراء كالجمر
قلت سكرا حين أبصرتها　　لا تنكروا سكرى من الخمر

وقال الصنوبرى فى لابسة أخضر
وجارية أدبتها الشطاره　　ترى الشمس من حسنها مستعاره　　بدت فى قميص لها أخضر
كما ستر الورق الجلناره　　فقلت لها ما اسم هذا اللباس　　فأبدت جوابا لطيف العبارة

حدثنى أحمد بن محمد بن الجمدى وحمد بن يحيى قال حدثنا محمد بن زكريا العلائى قال حدثنا ابن عائشة قال حج هشام بن عبد الملك فى خلافة أخيه الوليد ومعه رؤساء أهل الشام فطاف وجهد أن يستلم الحجر فلم يقدر من الازدحام فنصب له منبر وجلس عليه ينظر إلى الناس فأقبل على بن الحسين رضى الله عنهما وهو احسن الناس وجها وانظفهم ثوبا وأطيبهم رائحة فلما طاف بالبيت وبلغ الحجر تنحى الناس كلهم إجلالا له فاستلم الحجر وحده فغاظ ذلك هشاما وبلغ منه فقال رجل من أهل الشام لهشام من هذا أصلح الله الأمير قال أعرفه وكان به عارفا ولكن خاف من رغبة أهل الشام فقال الفرزدق وكان حاضرا أنا أعرفه ياشامى قال من هو قال

هذا ابن من تعرف البطحاء وطأته　　والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا التقى النقى الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلهم　　إلى مكارم هذا ينتهى الكرم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله　　بجده أنبياء الله قد ختموا
يكاد يمسكه عرفان راحته　　ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
أى الخلائق ليست فى رقابهم　　الاولية هذا اوله نعم
من يعرف الله يعرف أولية ذا　　شققنا

شققنا مرائر قوم به ❊ فنحن نسميه شق المراره

وقال حكيم لابنه إياك أن تلبس ما يديم الملك نظره اليك بهواعلم أن الوشى لا يلبسه إلا الأحمق أوملك وعليك بالبياض وقيل لباس البخلاء الاستبرق لطول بقائه ولباس المترفين السندس لقلة بقائه ولباس المقتصدين من الديباج لتوسط بقائه ❊ وقال بعض الأمراء لحاجبه أدخل على عاقلا فأتاه برجل فقال بم عرفت عقله فقال رأيته يلبس الكتان فى الصيف والقطن فى الشتاء والملبوس فى الحر والجديد فى البر وقيل كان لأبرويز عمامة طولها خمسون ذراعا إذا اتسخت فيلقاها فى النار فيحترق الوسخ ولا تحترق وكان له رداء حسن يتلون كل ساعة وسراويل بجوهر وتكة من أنابيب الزمرد وقيل الاقبية لباس الفرس والقراطق لباس الهند والازر لباس العرب وسئل بعض العرب عن الثياب فقال الصفر أشكل والحمر أجمل والخضر أقبل والسود أهول والبيض أفضل وقال أفلاطون الصبغ الشقائقى والروائح الزعفرانية تسكن الغضب والصبغ الياقوتى والروائح الورديه تحرك السرور وإذا قرب اللون الأحمر الى اللون الأصفر تحركت القوة العشقية وإذا مزجت الحمرة بالصفرة تحركت القوة الغريزية واذا مزجت التفاحية بالحمرة تحركت الطبائع كلها ❊ وكان مصعب بن الزبير يقول لكل شىء راحة وراحة البيت كنسه وراحة الثوب طيه وقال بعض الأعراب رأيت بالبصرة برودا كأنها نسجت بأنواع الربيع ودخل بعض العذريين على معاوية وعليه عباءة فازدراه فقال يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك وإنما يكلمك من فيها

﴿ وما قيل فيمن رذل لبسه وعرف نفسه ﴾ قال الاصمعى رأيت أعرابيا فاستنشدته فأنشدنى أبياتا وروى أخبارا فتعجبت من جماله وسوء حاله فسكنت سكنة ثم قال

أأخى ان الحادثا ... ت عركتنى عرك الاديم
لا تنكرن أن قد رأيت ... أخاك فى طمرى عديم
ان كان أثوابى رثا ... ث فانهن على كريم

قال بعضهم وقيل للشافعى رحمه الله تعالى .

على ثياب لو تقاس جميعها ... بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو تقاس ببعضها ... نفوس الورى كانت أجل وأكبرا
وما ضر نصل السيف أخلاق غمده ... إذا كان عضبا حيث وجهه برى

ودخل بعضهم على الرشيد فازدراه فأنشده

ترى الرجل الخفيف فتزدريه ... وفى أثوابه أسد هصور
ويعجبك الطرير فتبتليه ... فيخلف ظنك الرجل الطرير
لقد عظم البعير بغير لب ... فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصبى بغير وجه ... ويحبسه على الخسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوى ... فلا عار عليه ولا نكير
فان أك فى شراركم قليلا ... فانى فى خياركم كثير

ويقال كل ما تشتهيه نفسك والبس ما تشتهيه الناس وقد نظمه من قال

أن العيون رمتك إذ فاجأتها ... وعليك من سوء الثياب لباس
أما الطعام فكل لنفسك ما اشتهيت ... وأجعل لباسك ما اشتهته الناس

وفى هذا القدر كفاية والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب السابع والاربعون فى التختم والحلى والمصوغ والتطيب والطيب وما أشبه ذلك ﴾

(ما جاء فى التختم) عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يتختم فى يمينه وقبض عليه الصلاة والسلام والخاتم فى يمينه قال بعض من مدحه عليه الصلاة والسلام

فالدين من بيت هذا ناله الامم ... وليس قولك من هذا بضائره ... فالعرب تعرف من أنكرت والعجم ثم حبسه هشام ثم أطلقه فوجه اليه على بن الحسين عشرة آلاف درهم وقال اعذرنا يا أبا فراس فلو كان معنا فى هذا الوقت أكثر من هذا لوصلناك به فردها الفرزدق وقال ما قلت ما كان الا لله فقال له على بن الحسين قد رأى الله مكانك ولكنا أهل بيت إذا أنفذنا شيئا لم نرجع فيه وأقسم عليه فقبلها (ومن غالى جواهر العقد لابن عبد ربه) قال يزيد حدثنى أبى أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قدم من المدينة الى الشام على حمار فتلقاه معاوية فى موكب نبيل فأعرض عمر فجعل يمشى إلى جنبه راجلا فقال له عبد الرحمن بن عوف أتعبت الرجل فأقبل عليه وقال يا معاوية أنت صاحب الموكب مع ما بلغنى من وقوف ذوى الحاجات ببابك قال نعم يا أمير المؤمنين قال ولم ذلك قال لأنا فى بلاد لا نمتنع من الجواسيس ولابد لهم ما يروعهم من هيبة السلطان فان أمرتنى بذلك قمت عليه وان نهيتنى عنه انتهيت قال ان كان الذى قلت حقا فانه رأى أريب وإن كان باطلا فانها خدعة أديب فلا آمرك ولا أنهاك عنه

(ومن لطائف معاوية) أنه كان لعبد الله بن الزبير أرض قريبة لأرض معاوية فيها عبيد له من الزنوج يعمرونها فدخلوا

كف الرسالة لبس يخفى حسنها   وتمام حسن الكف لبس الخاتم

وذكر السلامى أن رسول الله ﷺ كان يختم فى يمينه والخلفاء بعده فنقله معاوية رضى الله تعالى عنه إلى اليسار وأخذ الاموية بذلك ثم نقله السفاح الى اليمين فبقى الى ايام الرشيد رضى الله تعالى عنه فنقله إلى اليسار وأخذ الناس بذلك وعن على رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ تختموا بخواتيم العقيق فانه لا يصيب أحدكم غم مادام عليه ذلك وبلغ عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه ان ابنه اشترى فص خاتم بألف دينار فكتب عليه عزمت عليك الا ما بعت خاتمك بألف دينار وجعلتها فى بطن جائع واستعمل خاتما من ورق وانقش عليه رحم الله امرأ عرف نفسه وكان خاتم على رضى الله عنه من ورق ونقشه نعم القادر الله وكان لأبى نواس خاتما أحدهما عقيق مربع وعليه مكتوب

تعاظمنى ذنبى فلما قرنته   بعفوك ربى كان عفوك أعظما

والآخر حديد صينى عليه اشهد أن لا إله إلا الله مخلصا وأوصى عند موته أن يغسل الفص ويجعل فى فمه قال جعفر بن محمد رضى الله تعالى عنه ما افترقت يد تختمت بخاتم فيروزج وقيل الخواتم أربعة الياقوت للعطش والفيروزج للبال والعقيق للسنة والحديد الصينى للحرز وقيل للخوف والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر ماجاء فى الحلى) قيل إن قرطى مارية بنت ظالم بن وهب الحرث بن معاوية كان فيهما درتان كبيض الحمام لم ير مثلهما ولم يدر قيمتهما (وقال محمد) بعثنى يوسف بن عمر الى هشام بياقوتة حمراء يخرج طرفاها من كفى كانت للرائقة جارية خالد بن عبد الله القسرى اشتراها بثلاثة وسبعين ألف دينار وحبة لؤلؤ أعظم مايكون من الحب فدخلت عليه بهما فقال اكتب معك بوزنها فقلت يا أمير المؤمنين هما أعظم من أن يكتب بوزنهما فقال صدقت وبعث معاوية الى عائشة رضى الله تعالى عنها بطوق من ذهب فيه جوهرة قومت بمائة ألف دينار فقسمته بين أزواج النبى ﷺ وكان ملك العرب كلما مرت عليه سنة من سنى ملكه زيدت فى تاجه خرزة وكان يقال لها خرزات الملك

(ذكر ماجاء فى الطيب والتطيب) قال رسول الله ﷺ أطيب الطيب المسك وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كأنى أنظر الى وبيص الطيب فى مفارق رسول الله ﷺ وهو محرم * وعن سهل بن سعد رفعه ان فى الجنة لمرعى من مسك مثل مراعى دوابكم هذه وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال دخل علينا رسول الله ﷺ فنام عندنا فعرق فجاءت أمى بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ وقال يا أم سليم ماهذا الذى تصنعين فقالت هذا عرقك نجعله فى طيبنا وهو من أطيب الطيب وعن عمر رضى الله تعالى عنه قال لو كنت تاجرا ما اخترت على العطر ان فاتنى ربحه لم يفتنى ريحه وناول المتوكل فتى فارة المسك فقال   لئن كان هذا طيبنا وهو طيب   لقد طيبته من يديك الانامل

وأهدى عبدالله بن جعفر لمعاوية قارورة من الغالية فسأله كم أنفق عليها فذكر مالا جزيلا فقال هذه غالية فسميت بذلك وشمها مالك بن سليمان بن خارجة من أخته هند بنت أسماء فقال علمينى كيف تصنعين طيبك فقالت لا أفعل تريد أن تعلمه جواريك هو لك منى كلما أردته ثم قالت والله انى ماتعلمته الا من شعرك حيث تقول : أطيب الطيب عرف أم أبان   فار مسك بعنبر مسحوق

قال أبو قلابة كان ابن مسعود رضى الله تعالى عنه إذا خرج من بيته إلى المسجد عرف جيران الطريق انه مر من طيب ريحه وعن الحسن بن زيد الهاشمى عن أبيه قال رأيت ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يطلى جنده فاذا مر فى الطريق قال الناس أمر ابن عباس أم مر المسك * وعنه وعن أبيه قال رأيت ابن عباس رضى الله تعالى عنهما حين احرم والغالية على صدغيه كأنها ازقة وقال أبو الضحى رأيت على رأس الزبير من المسك مالو كان لى لكان رأس مالى وقيل لما بنى عمار بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه بفاطمة

فى أرض عبدالله فكتب الى معاوية أما بعد فانه يامعاوية ان لم تمنع عبيدك من الدخول فى أرضى والاكان لى ولك شأن فلما وقف معاوية على الكتاب دفعه الى ابنه يزيد فلما قرأه قال له ماترى قال أرى أن تنفذ اليه جيشا أوله عنده وآخره عندك يأتوك برأسه فقال يابنى عندى خير من ذلك على بدواة وقرطاس وكتب وقفت على كتابك يا ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساءنى والله ما ساءك والدنيا هينة عندى فى جنب رضاك وقد كتبت على نفسى رقما بالارض والعبيد وأشهدت على فيه ولتضف الارض الى أرضك والعبيد إلى عبيدك والسلام فلما وقف عبد الله على كتاب معاوية كتب اليه وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه فلا عدم الرأى الذى أحله من قريش هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله رماه إلى ابنه يزيد فلما قراه اصفر وجهه فقال يا بنى إذا رميت بهذا الدواء داره بهذا الدواء. (نادرة لطيفة) قال الاستاذ أبو على لما سعى غلام خليل بالصوفية إلى الخليفة بالزندقة أمر بضرب أعناقهم فاما الجنيد فانه استتر بالفقه وأما الشحام والرقام والثورى وجماعة فقبض عليهم وبسط النطع لضرب أعناقهم فتقدم الثورى فقال له السياف أتدرى لماذا تتقدم قال نعم قال فما

ينتبه

بنت عبدالملك أسرج فى مسارجه تلك الليلة بالغالية وقال الشعبي الرائحة الطيبة تزيد فى العقل وقال على كرم الله تعالى وجهه تشمموا النرجس ولو فى العام مرة فإن فى قلب الإنسان حالة لا يزيلها إلا النرجس وكان الشعبي يقول إذا ورد الورد صدر البرد وكانت الصحابة رضى الله تعالى عنهم يستحبون إذا قاموا من الليل أن يمسوا الحاهم بالطيب وكان من اختلف فى طرقات المدينة وجد عرقا طيبا قيل ولذلك سميت طيبة وأقول والله ماطابت طيبة إلا بالطيب الطاهر ﷺ وما أحسن ماقيل

إذا لم أطب فى طيبة عند طيب ... به طيبة طابت فأين أطيب

وقيل ان فارة المسك دويبة شبيهة بالخشف تصاد لسرتها فإذا اصادها الصياد عصب السرة بعصابة شديدة فيجتمع فيها دمها ثم يذبحها ثم يأخذ السرة فيدفنها فى الشعير حتى يستحيل الدم المجتمع فيها مسكا ذكيا بعد ان كان لا يرام نتنا وقد يوجد جرذان سود يقال لها فارات المسك ليس عندها إلا رائحة لازمة لها وحكى أن العنبر يأتى على طفاوة الماء لا يدرى أحد معدنه فلا يأكله شىء إلا مات ولا ينقره طائر إلا بقى منقاره فيه ولا يقع عليه حيوان الا فصلت أظفاره فيه والتجار والعطارون بما وجدوا أظفارا فيه وقال الزمخشري عفا الله عنه سمعت أناسا من أهل مكة يقولون هو من زبد بحر سرنديب وأجود العنبر الاشهب ثم الازرق وأدونه الأسود * وفى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ليس فى العنبر زكاة إنما هو شىء نثره البحر وأما العود فأجوده المندلى وهو منسوب إلى مندل قرية من قرى الهند وأجوده أصلبه وامتحان رطبه ان تطبع فيه نقش الخاتم فإن انطبع فرطب والا فلا ومن خصائصه ان رائحته الطبيع فى الثوب أسبوعا فلا يقمل مادمت فيه وأما الكافور فهو ماء شجر بجزيرة الكافور يحزونه بالحديد فإذا خرج ظاهرا وضربه الهواء انعقد كالصموغ الجامدة على الاشجار وأما الند فمصنوع وهو العود المستقطر والعنبر واللبان

لو كنت أحمل جرا حين زرتكم ... لم ينكر الكلب أني صاحب الدار
لكن أتيت وريح المسك يقدمني ... والعنبر الند مشبوب على النار

وكانت ملوك الفرس تأمر برفع الطيب أيام الورد وكان المتوكل يلبس الثياب الموردة ويفرش الورد فى مجلسه ويطيب جميع آلاته بالورد وقال الحسن بن سهل أمهات الرياحين تقوى بأمهات الطيب فالنرجس يقوى بالورد والورد يقوى بالمسك والبنفسج يقوى بالعنبر والريحان يقوى بالكافور والنسرين يقوى بالعود وقال جالينوس المسك يقوى القلب والعنبر يقوى الدماغ والكافور يقوى الرئة والعود يقوى المعدة والغالية تحل الزكام والصندل يحل الاورام وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال لا تردوا الطيب فإنه طيب الريح خفيف المحمل تبخر بعض الأمراء وعنده أعرابى فخرجت من الأمير ريح خفيفة فأراد أن يعلم هل فطن بها الأعرابى أم لا فقال ماأطيب هذا المثلث قال نعم ولكنك ربعتها وقال الأحنف ان شم رائحة المسك يحيى القلب وقال سلمة لابن عباس وعنده جعفر بن سليمان ماشمت أذكى من ريح مسك شممته من الناس إلا ريح كفك أطيب فأمر له بألف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والأربعون فى الشباب والصحة والعافية وأخبار المعمرين وما أشبه ذلك وفيه فصول

(الفصل الأول فى الشباب وفضله) روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال مابعث الله نبيا إلا شابا ولا أوتى العلم إلا شابا ثم تلا هذه الآية قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم وقد أخبر الله تعالى به ثم آتى يحيى بن زكريا الحكمة قال تعالى وآتيناه الحكم صبيا وقال تعالى إذ أوى الفتية إلى الكهف وقال تعالى انهم فتية آمنوا بربهم وقال تعالى وإذ قال موسى لفتاه وقال أنس رضى الله

بعجابك قال أوثر أصحابي بحياة ساعة فتحير السياف ونما الخير إلى الخليفة فردهم إلى القاضي ليعرف أحوالهم فألقى القاضى على أبى الحسن الثورى مسائل فقهية فأجاب عن الكل ثم أخذ يقول إن لله عبادا إذا قاموا قاموا بالله وإذا نطقوا نطقوا بالله وسرد حتى بكى القاضى فأرسل إلى الخليفة يقول إن كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الأرض مسلم فأكرمهم وأطلقهم (ومن المروى عن أحمد بن أبى داود القاضى) أنه قال ما رأيت رجلا عرض على الموت فلم يكترث به إلا تميم بن جميل الخارجي كان قد خرج على المعتصم ورأيته قد جىء به أسيرا فأدخل عليه فى يوم موكب وقد جلس المعتصم للناس مجلسا عاما ودعا بالسيف والنطع فلما مثل بين يديه نظر اليه المعتصم فأعجبه شكله وقد رآه يمشى إلى الموت غير مكترث به فأطال الفكرة فيه ثم استنطقه لينظر فى عقله وبلاغته فقال يا تميم إن كان لك عذر فأت به فقال أما إذا أذن أمير المؤمنين جبر الله به صدع الدين ولم به شعث المسلمين وأخمد شهاب الباطل وأنار سبل الحق فالذنوب يا أمير المؤمنين تخرس الألسن وتصدع الأفئدة وايم الله لقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق الا العفو وهو الأليق بشيمتك الطاهرة ثم أنشد

تعالى عنه قبض رسول الله ﷺ وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء وقد قدم رسول الله ﷺ أسامة بن زيد على جميع الأنصار وكبار المهاجرين على حداثة سنه وعتاب بن أسيد ولاه مكة وبها أكابر قريش وعبدالله بن عباس على جلالة قدره وحفظه من العلم وقال بعض البلغاء الشباب باكورة الحياة وأطيب العيش أوائله كما أن أطيب الثمار بواكيرها والشباب أبلغ الشفعاء عند النساء وأكثر الوسائل لقلوبهن ولذلك قال الشاعر :

أحلى الرجال مع النساء مواقعا ... من كان أشبههم بهن خدودا

وما بكت العرب على شيء مابكت على الشباب ولو لم يكن هذا الشباب حميدا وزمانه حبيبا لوسامة صورته وبهجة منظره وجمال خلقته واعتدال قامته لما جاور الله فى جنات خلده كما قال رسول الله ﷺ جردا مردا أبناء ثلاثين وقد جاء فى ذلك أشياء كثيرة ليس هذا موضع بسطها .

(الفصل الثانى فى الشيب وفضله) أول من شاب سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وفى الخبر أن الله تعالى يقول الشيب نورى وأنا أستحى أن أحرقه بنارى وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال جاء رجلان إلى النبى ﷺ شيخ وشاب فتكلم الشاب قبل ان يتكلم الشيخ فقال عليه الصلاة والسلام كبر كبر وبهذه الرواية من وقر كبيرا لكبر سنه آمنه الله من فزع يوم القيامة وعن أنس رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ انه قال يقول الله تعالى وعزتى وجلالى وفاقة خلقى إلى انى لأستحى من عبدى وأمتى يشيبان فى الإسلام أن أعذبهما ثم بكى فقيل له مايبكيك يارسول الله قال أبكى ممن يستحى الله منه وهو لايستحى من الله وقال من بلغ ثمانين من هذه الأمة حرمه الله على النار وقال إذا بلغ المؤمن ثمانين سنة فانه أمير الله فى الأرض تكتب له الحسنات وتمحى عنه سيئات وقيل كان الرجل فيمن كان قبلكم لايحتلم حتى يبلغ ثمانين سنة وقال ابن وهب ان أصغر من مات من ولد آدم ابن مائتى سنة فبكيته الإنس والجن لحداثة سنه وقال النخعى كان يقال إذا بلغ الرجل أربعين سنة على خلق لم يتغير عنه حتى يموت وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما رفعه من أتى عليه أربعون سنة ثم لم يغلب خيره على شره فليتجهز إلى النار وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال ملك الموت لنوح عليه الصلاة والسلام ياأطول النبيين عمرا كيف وجدت الدنيا ولذتها قال كرجل دخل فى بيت له بابان فقام فى وسط البيت ساعة ثم خرج من الباب الثانى ويقال أطع أكبر منك ولو بليلة وقال عبدالعزيز ابن مروان من لم يتعظ بثلاث لم ينته بشيء الإسلام والقرآن والشيب قال الشاعر

ياعامر الدنيا على شيبه ... فيك أعاجيب لمن يعجب
ما عذر من يعمر بنيانه ... وعمره متهدم يخرب

وقال الشعبى الشيب علة لايعاد منها ومصيبة لايعزى عليها وقال الفرزدق

ويقول كيف يميل مثلك للصبا ... وعليك من عظم المشيب عذار
والشيب ينهض فى الشباب كأنه ... ليل يصيح بعارضيه نهار

(وقال أبودلف فى بياض اللحية)

تكوننى هم لبيضاء نابته ... لها بغضة فى مضمر القلب ثابته
ومن عجب أنى إذا رمت قصها ... قصصت سواها وهى تضحك نابته

(وقال أيضا) أرى شيب الرجال من الغوانى ... بملغ شيبهن من الرجال

(وقال ابن المعتز) فظللت أطلب وصلها بتذلل ... والشيب يغمزها بأن لا تفعلى

قيل صاح شاب بشيخ أحدب بكم ابتعت هذا القوس ياعماه فقال يابنى إن أعطيتها بغير ثمن ه ومر رجل

أشمط

أرى الموت بين النيف والنطع كامنا ... يلاحظنى من حيث لاأتلفت ه وأكثر ظنى أنك اليوم قاتلى ... رأى امرىء عماقضى الله يفلت ... ومن ذا الذى يأتى بعذر وحجة ... وسيف المنايا بين عينيه مصلت ... وماجزعى من آن أموت وانى ... لأعلم أن الموت شيء موقت ... ولكن خلفى صبية قد تركتهم ... واكبادهم من حسرة تتفتت ... كأنى أراهم حين أنعى إليهم ... وقد لطموا تلك الخدود وصوتوا ... وان عشت عاشوا سالمين بغبطة ... أذود الردى عنهم وان مت موتوا ... وكم قائل لايبعد الله داره ... وآخر جذلان يسر ويشمت

قال فبكى المعتصم وقال ان من البيان لسحرا ثم قال كاد والله ياتميم أن يسبق السيف العذل وقد وهبتك لله ولصبيتك وأعطاه خمسين ألف درهم (ومن لطائف المنقول من المستجاد) إنه كان بين غسان بن عباد وبين على بن عيسى القمى عداوة عظيمة وكان على بن عيسى ضامنا أعمال الخراج والضياع ببلده فبقيت عليه بقية مبلغها أربعون ألف دينار فألح المأمون عليه بطلبها

المحيط بامرأة عجيبة في الجمال فقال يا هذه إن كان لك زوج فبارك الله لك فيه وإلا فأعلمينا فقالت كأنك تخطبني قال نعم فقالت ان في عيبا قال وما هو قالت شيب في رأسي فثنى عنان دابته فقالت على رسلك فلا والله ما بلغت عشرين سنة ولا رأيت في رأسي شعرة بيضاء ولكنني أحببت أن أعلمك أني أكره منك مثل ما تكره مني فأنشد ويقال انه لابن المعتز

رأيت الغواني الشيب لاح بمفرقي ... فأعرضن عني بالخدود النواضر

وقال آخر: سألتها قبلة يوما وقد نظرت ... شيبي وقد كنت ذا مال بذا نعم
فأعرضت ونولت وهي قائلة ... لا والذي أوجد الأشياء من عدم
ما كان لي في بياض الشيب من أرب ... أفي الحياة يكون القطن حشو فمي

وقال آخر: قالت أرى مسك الشعر البهيم غدت ... كافورة قد أحالتها يد الزمن
فقلت طيب بطيب والتنقل في ... معادن الطيب أمر غير ممتهن
قالت صدقت وما أنكرت ذاك بذا ... المسك للشم والكافور للكفن

وقال آخر: قالت أراك خضبت الشيب قلت لها ... سترته عنك يا سمعي ويا بصري
فقهقهت ثم قالت من تعجبها ... تكاثر الغش حتى صار في الشعر

وقال ابن نباتة: تبسم الشيب بوجه الفتى ... يوجب سح الدمع من جفنه
وكيف لا يبكي على نفسه ... من ضحك الشيب على ذقنه

وقال ابن المعتز: فما أقبح التفريط في زمن الصبا ... فكيف به والشيب في الرأس شامل

وكان المأمون يتمثل بقول الشاعر

رأيت وضحا في الرأس من قراعها ... فريقان مبيض به وبهيم
تفاريق شيب في السواد لوامع ... فيا حسن ليل لاح فيه نجوم

ويقال في الرجل إذا شاب ليله عسعس وصبحه تنفس

إذا نازع الشيب الشباب فاصلتا ... بسيفيهما فالشيب لا شك غالب

وقال آخر: ألا ان شيب العبد من نقرة القفا ... وشيب كرام الناس شيب المفارق

وقال المتنبي: قالت عهدتك مجنونا فقلت لها ... ان الشباب جنون برؤه الكبر

وقال علي بن ربيع: كبرت ودق العظم مني وعقني ... بني وزالت عن فراشي العقائد
وأصبحت أعشى أخبط الأرض بالعصا ... يقودني بين البيوت الولائد

وقال آخر: عريت من الشباب وكنت غصنا ... كما يعرى من الورق القضيب
ونحت على الشباب بدمع عيني ... فما نفع البكاء ولا النحيب
فياليت الشباب يعود يوما ... فأخبره بما فعل المشيب

وقال ابن الثقيب: وكم كان من عين علي وحافظ ... كم كان كامن واش لها ورقيب
فلما بدا شيبي اطمأنت قلوبهم ... ولم يحفظوني واكتفوا بمشيبي

وقال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ما شبهت الشباب إلا كشيء كان في كمي فسقط قال الشاعر

شيآن لو بكت الدماء عليهما ... عيناك حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما ... فقد الشباب وفرقة الأحباب

وقال الحافظ: أترجو أن تكون وأنت شيخ ... كما قد كنت في زمن الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب ... دريس كالجديد من الثياب

إلى أن قال لعلي بن صالح الحاجب أمهله ثلاثة أيام فان أحضر المال وإلا فاضربه بالسياط حتى يؤدي بالمال أو يتلف فانصرف على ابن عيسى من دار المأمون آيسا من نفسه وهو لا يدري وجها يتجه اليه فقال له كاتبه لو عرجت على غسان بن عباد وعرفته خبرك لرجوت أن يعينك على أمرك فقال له على ما بيني وبينه من العداوة فقال نعم فان الرجل أريحي كريم فدخل على غسان فقام اليه وتلقاه بالجميل وأوفاه حقه بالخدمة ثم قال له الحال الذي بيني وبينك على حاله ولكن دخولك إلى داري له حرمة توجب بلوغ ما رجوته مني فاذكر إن كان لك حاجة فقص عليه القصة فقال أرجو أن يكفيكه الله تعالى ولم يرده على ذلك شيأ فنهض على بن عيسى وخرج آيسا نادما على قصد غسان وقال لكاتبه ما أفدتني بالدخول على غسان غير تعجيل الشماتة والهوان فلم يصل على بن عيسى إلى داره حتى حضر اليه كاتب غسان ومعه البغال عليها المال فتقدم وسلمه وبكر إلى دار أمير المؤمنين فوجد غسان قد سبقه اليها ودخل على المأمون وقال يا أمير المؤمنين أن لعلى ابن عيسى بحضرتك حرمة وخدمة وسالف أصل وقد لحقه من الخسران في ضمانه ما تعارفه الناس وقد توعدته بضرب السياط بما أطار عقله وأذهب لبه فان رأى

(ومما جاء فى الخضاب) قال رسول الله ﷺ عليكم بالخضاب فانه أهيب لعدوكم وأعجب لنسائكم وعن أبى عامر الأنصارى رضى الله عنه رأيت أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما يغير بالحناء والكتم وقيل خضاب الحناء يصفى البصر ويذهب بالصداع ويزيد فى الباه

تسود أعلاها وتأبى أصولها * وليس إلى رد الشباب سبيل

وقيل وفد عبد المطلب بن هاشم على سيف بن ذى يزن فقال له لو خضبت شعرك فلما رجع إلى مكة اختضب فقالت امرأة نبيلة ماأحسن هذا لودام فقال

لودام لى هذا الخضاب حمدته * وكان بديلا من خليل قد انصرم
تمتعت منه والحياة قصيرة * ولابد من موت نبيلة أو هرم

وقيل آخر : ياخاضب الشيب الذى * فى كل ثالثة يعود
إن الخضاب إذا نضا * فكأنه شيب جديد
فدع المشيب وما يريد * فلن يعود كما تريد

وقال محمود الوراق : فامنك الشباب ولست منه * إذا سامتك لحيتك الخضابا

(الفصل الثالث فى العافية والصحة) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ اليك انتهت الأمانى ياصاحب العافية وعنه ﷺ أنه قال أول مايحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له ألم أصح بدنك وأروك بالماء البارد وقال على رضى الله تعالى عنه فى قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم هو الأمن والصحة والعافية وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يسأل الله العباد عن الأبدان والأسماع والأبصار فيم استعملوها وهو أعلم بذلك وقال ابن عيينة من تمام النعمة طول الحياة فى الصحة والامن والسرور وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها لو رأيت ليلة القدر ما سألت الله العفو والعافية وقال قبيصة بن ذؤيب كنا نسمع نداء عبد الملك بن مروان من وراء الحجرة فى مرضه ياأهل النعم لا تستقلوا شيأ من النعم مع العافية ويقال البحر لاجوار له والملك لا صديق له والعافية لا ثمن لها قال ابن الرومى

إذا ماكساك الدهر سربال صحة * ولم تخل من قوت يحل ويقرب
فلا تغبطن أهل الكثير فانما * على قدر ما يعطيهم الدهر يسلب

ويقال صحة الجسم أوفر القسم وذكر بعضهم العافية فقال وأى وطاء وأى غطاء وقال حكيم إن كان شىء فوق الحياة فالصحة وان كان شىء مثل الحياة فالغنى وان كان شىء فوق الموت فالمرض وإن كان شىء مثل الموت فالفقر وقال على رضى الله تعالى عنه ما المبتلى الذى اشتد به البلاء بأحوج إلى الدعاء من المعافى الذى لا يأمن البلاء وقيل ان فأرة البيوت رأت فأرة الصحراء فى شدة ومحنة فقالت لها ما تصنعين ههنا اذهبى معى إلى البيوت التى فيها أنواع النعيم والخصب فذهبت معها وإذا صاحب البيت الذى كانت تسكنه قد هيألها الرصد لبنة تحتها شحمة فاقتحمت الشحمة فوقعت عليها اللبنة فحطمتها فهربت الفأرة البرية وهزت رأسها متعجبة وقالت أرى نعمة كثيرة وبلاء شديدا الاوان العافية والفقر أحب إلى من غنى يكون فيه الموت ثم فرت إلى البرية * وكان عند رومى خنزير فربطه إلى اسطوانة ووضع العلف بين يديه ليسمنه وكان بجنبه أتان لها جحش وكان ذلك الجحش يلتقط من العلف مايتناثر فقال لأمه ياأماه ما أطيب هذا العلف لودام فقالت له يابنى لا تقربه فان وراءه الطامة الكبرى فلما أراد الرومى أن يذبح الخنزير ووضع السكين على حلقه وجعل يضطرب وينفخ هرب الجحش وأتى إلى

أمير المؤمنين أن يخبرنى على حسن كرمه ببعض ما عليه فهى صنيعة يجددها على تحرس مما تقدمها من إحسانه ولم يزل يتلطف إلى أن حط عنه النصف واقتصر على عشرين ألف دينار فقال غسان على أن يجدد عليه أمير المؤمنين الضمان ويشرفه بخلعة تقوى نفسه وترهف عزمه ويعرف بها مكان الرضا عنه فأجابه المأمون إلى ذلك قال فيأذن أمير المؤمنين أن أحمل الدواة إلى حضرته ليوقع مارآه من هذا الانعام قال افعل فحمل الدواة إلى أمير المؤمنين فوقع ذلك وخرج على ابن عيسى بالخلعة والتوقيع بيده فلما حضر فى داره حمل من المال عشرين ألف دينار وارسلها إلى غسان وشكره على جميل فعله معه فقال غسان لمكاتبه والله ماشفعت عند أمير المؤمنين إلا لتوفر عليه وينتفع بها فامض بها اليه فلما رده كاتبه إلى على بن عيسى علم قدر ما فعل معه غسان فلم يزل يخدمه إلى آخر العمر (ومن غريب مايقتطف من ثمرات الاوراق) أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله خلف أحد عشر ابنا فأصاب كل ابن نصف وربع دينار وقال لهم عند وفاته يابنى ليس لى مال فأوصى فيه وخلف هشام بن عبد الملك أحد عشر ابنا فأصاب كل واحد من البنين ألف ألف دينار فأما أولاد

أمير

أمة وأخرج لها أسنانه وقال ويحك ياأماه أنظرى هل بقى فى خلال أسنانى شىء من ذلك العلف فاقمليه . فما أحسن القنع مع السلامه والله أعلم بالصواب .

(الفصل الرابع فى أخبار المعمرين فى الجاهلية والإسلام) قال الحسن رضى الله تعالى عنه أفضل الناس ثوابا يوم القيامة المؤمن المعمر وقال رسول الله ﷺ الا أنبئكم بخياركم قالوا بلى يارسول الله قال أطولكم أعمارا فى الإسلام إذا صددوا وزعموا أن تبما الفزارى كان من المعمرين وأنه دخل على بعض خلفاء بنى أمية فسأله عن عمره فقال عشت أربعمائة وعشرين سنة فى فترة عيسى بن مريم عليه السلام فى الجاهليـة وسنين فى الإسلام قال له أخبرنى عما رأيت فى سالف عمرك قال رأيت الدنيا ليلة فى اثر ليلة ويوما فى اثر يوم ورأيت الناس بين جامع مال مفرق ومفرق مال مجموع وبين قوى يظلم وضعيف يظلم وصغير يكبر وكبير يهرم وحى يموت وجنين يولد وكلهم بين مسرور بموجود ومحزون بمفقود وقد قال ابن الجوزى أن آدم عليه السلام عاش ألف سنة وعاش ابنه شيث تسعمائة سنه وعاش ابنه مهلاييل ثمانمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه أدريس ثلثمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه هود تسعمائة واثنتين وستين سنة وعاش ابنه متوشلح تسعمائة وستين سنة وأما ابنه نوح عليه السلام فروى عن عبدالله بن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال عاش نوح عليه السلام ألفا وأربعمائة وخمسين عاما وأما الخضر عليه السلام واسمه خضرون فهو أطول بنى آدم عمرا وذكر أن لقمان عليه السلام عاش ثلاثة آلاف وخمسمائه سنة وكانت العرب لاتعد من الاعمار إلا مابلغ مائة وعشرون سنة فما فوقها وعاش أكثم بن صيفى ثلثمائة وستين سنة وأدرك الإسلام وعاش سطيح سبعمائة سنة وعاش قس بن ساعدة الايادى سبعمائة سنة وكان من حكماء العرب وعاش لبيد بن ربيعة الشاعر مائة وعشرين سنة وأدرك الإسلام وعاش دريد بن الصمة مائة وسبعين سنة حتى سقط حاجباه على عينيه وأدرك الإسلام ولم يسلم ومن المعمرين عدى ابن حاتم الطائى وزهير بن جنادة عاش مائتين وعشرين سنة ومن المعمرين ذو الاصابع العدوى عاش مائتين وعشرين سنة وهو أحد حكماء العرب فى الجاهلية ومن المعمرين عمر بن معد يكرب الزبيدى ومن المعمرين عبد المسيح بن نفيلة عاش ثلثمائة وعشرين سنة وأدرك الاسلام وقد رأيت رجلا من أهل محلة مسير بالغربية وذكر أنه بلغ من العمر مائة وأربعين سنة وان امرأته بلغت من العمر كذلك ولقد رأيت منه مالم أره من بعض شبان هذا العصر فى القوة وشدة البأس ورأيت له ولدا شيخا هو أشد قوة من ولده وذلك فى صفر سنة تسع وعشرين وثمانمائة والله سبحانه وتعالى أعلم

(الباب التاسع والاربعون فى الأسماء والكنى والالقاب وما استحسن منها)

فأشرف الاسماء وأعظمها بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى هل تعلم له سميا وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن رسول الله ﷺ من دفع قرطاسا من الأرض مكتوبا عليه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا له ولاسمه عن أن يداس كان عند الله من الصديقين وخفف عنه وعن والديه العذاب وان كانا مشركين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لم رن إبليس لعنه الله قط الا ثلاث رنات حين لعن وأخرج من ملكوت السموات والأرض ورنة حين ولد محمد ﷺ ورنة حين أنزلت سورة الحمد وفى أولها بسم الله الرحمن الرحيم وعن رسول الله ﷺ لايرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم وأن امتى يأتون يوم القيامة يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فتثقل حسناتهم فى الميزان فتقول الأمم ما اثقل موازين امة محمد فتقول الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ابتداء كلامهم ثلاثة اسماء من سماء الله تعالى لو وضعت فى كفة الميزان ووضعت سيئات الخلق فى كفة لرجحت كفة الاسماء

الف فرس فى سبيل الله تعالى وما روى أحد من أولاد هشام بن عبد الملك الا وهو فقير ولقد شوهد احدهم وهو يوقد فى الاتون (قيل) لمعاوية ابن ابى سفيان إن بالحيرة رجلا من بنى جرهم قد عمر ورأى اعاجيب فقال معاوية على به فلما حضر قال من الرجل قال عبيد ابن شرية قال ثم ممن قال من قوم لم يبق منهم بقية قال فكم مضى من عمرك قال عشرون ومائتا سنة قال اخبرنى بأعجب ما رأيت فى عمرك قال نعم ياامير المؤمنين كنت فى حى من احياء العرب فمات عندهم ميت يقال له عشير بن لبيد العذرى فمشيت فى جنازته وتأسيت بجماعته فلما دفن فى قبره وأعول النساء فى أثره أدركتنى عليه عبرة ولم استطع ردها وتمثلت بابيات كنت سمعتها قديما وعلق الآن على خاطرى منها هذه الأبيات

ياقلب إنك من أسماء مغرور . فاذكر وهل ينفعك اليوم تذكير .

قد بحت بالحب ماتخفيه من أحد . حتى جرت لك اطلاقا محاضير .

فلست تدرى ولاتدرى أعاجلها . ادنى لرشدك أم مافيه تأخير

فاستقدر الله خيرا وارضين به . فبينما العسر إذ دارت مياسير

(وأما الأسماء والكنى) ففي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ أحب أسمائكم إلى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة وينبغي أن تنادي من لا نعرف اسمه بعبارة لطيفة لا يتأذى بها ولا يكون فيها كذب كقولك يا فقيه يا أخي يا فقير يا سيدي يا صاحب الثوب الفلاني أو البغل الفلاني أو الفرس الفلاني أو السيف الفلاني وما أشبه ذلك ودخل عبادة على المتوكل وبين يديه جام من ذهب فيه ألف مثقال فقال له أسألك عن شيء أن أجبتني عنه ابتداء من غير أن تفكر فلك الجام بما فيه فقال سل يا أمير المؤمنين قال أسألك عن شيء له اسم ولا كنية له وعن شيء له كنية ولا اسم له قال المنارة وأبو رياح فعجب المتوكل وأعطاه الجام بما فيه وقيل لعثمان ذو النورين رضي الله عنه لأنه هو ورقية كانا أحسن زوجين في الإسلام وقيل لأنه تزوج برقية ثم بأم كلثوم ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يوجد من تزوج بابنتي نبي غيره وكان قتادة بن النعمان الانصاري رضي الله تعالى عنه أصيب في عينه يوم أحد فسقطت على خده فردها رسول الله ﷺ فكانت أحسن وأصح من الأخرى فكانت تعتل أي ترمد عينه الباقية ولا تعتل عينه المردودة فقيل له ذو العينين وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه كنيت بهرة صغيرة كنت أحملها في حجري فالعب بها وكان رسول الله ﷺ يقول يا أبا هريرة واختلف في اسمه فقيل عبد الرحمن وقيل عبد شمس وقيل عمير وقيل سليمان وقال الشعبي رضي الله تعالى عنه كنية الدجال أبو يوسف ٭ ذو الشهرة أبو دجانة الانصاري رضي الله تعالى عنه كان له شهرة يلبسها بين الصفين ٭ ذو الرياستين الفضل بن سهل لأنه دبر أمر السيف والقلم وولي رياسة الجيوش والدواوين ودخل عليه شاعر يوم المهرجان وبين يديه هدايا فقال:

اليوم يوم المهرجان هديتي فيه اللسان لك دولتان حديثة
وقديمة ورياستان لك في الورى من هاشم بنت وبيت خسروان
علم الخليفة كيف أنـ ـت قصرت في هذا المكان

فأمر له بجميع الهدايا ٭ المطيبون بنو عبد مناف وبنو أسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة والحرث بن فهر غمسوا أيديهم في خلوف ثم تحالفوا ٭ شيبة الحمد عبد المطلب لقب بشيبة كانت في رأسه حين ولد قال حذافة بنو شيبة الحمد الذي كان وجهه ٭ يضيء في ظلام الليل كالقمر البدر وقيل له عبد المطلب لأن عمه المطلب مر به في سوق مكة مردوفا له فجعلوا يقولون من هذا الذي وراءك فيقول عبد لي ٭ سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه اسمه عبد الله ولقباه العتيق والصديق لجماله وتصديقه بخبر الاسراء أو لأنه أول من صدق رسول الله ﷺ ٭ سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه لقب بالفاروق لأنه قال يوم أسلم لا يعبد الله اليوم سرا فظهر به الإسلام وفرق بين الحق والباطل ٭ الكامل سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه كان يكتب ويحسن الرمي والعوم ٭ طلحة بن عبيد الله رضي الله تعالى عنه كان يقال له طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الطلحات لسخائه ٭ رشح الحجر وأبو الريان عبد الملك بن مروان لقب بذلك لبخله وبخره ٭ عكة العسل سعيد بن العاص رضي الله تعالى عنه ٭ الحبر عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنه لقب بذلك لعلمه كان يقال له مرة الحبر ومرة البحر ٭ الاشدق عمرو بن سعيد لأنه كان مائل الشدق ٭ الفياض عكرمة بن ربعي لقب بذلك لسخائه ٭ المصطلق خزيمة بن سعد الخزاعي قيل له المصطلق لحسن صوته وكان أول من غنى من خزاعة ٭ راح يكذب لقب به المهلب لأنه كان يضع الحديث أيام الخوارج فيحدث به فاذا رأوه قالوا راح يكذب وأصل الغزال كان يكثر الجلوس في سوق الغزالين وكان يتبع العجائز فيتصدق عليهم ولم يكن غزال

وبينما المرء في الأحياء مغتبط إذا هو الرمس تعفوه الأعاصير
يبكي الغريب عليه ليس يعرفه وذو قرابته في الحي مسرور.
وذاك آخر عهد من أخيك إذا ما المرء ضمنه اللحد الخناسير.
فبينما أنا أردد هذه الأبيات وعيناي ينسكبان إذ قال لي رجل إلى جنبي من عذرة يا عبد الله هل تعرف قائل هذا الشعر قلت لا والله قال قائله هذا الميت الذي دفناه وأنت الغريب الذي تبكي عليه ولا تعرفه ولا تعلم أنه قائل هذه الأبيات وذو قرابته الذي ذكرته مسرور هو ذاك وأشار إلى رجل في الجماعة فرأيته لا يستطيع كتمان ما هو عليه من المسرة فقال معاوية يا أخا جرهم سل ما شئت قال ما مضى من عمري ترده والأجل إذا حضر تدفعه قال ليس ذلك لي سل غيره قال يا أمير المؤمنين ليس إليك رد شبابي ولا الآخرة فتكرم مآبي وأما المال فقد أخذت منه في عنفواني ما كفاني قال لابد أن تسألني قال اما اذ شئت فأمر لي برغيفين أتغدى بأحدهما وأتعشى بالآخر واتق الله واعلم إنك مفارق ما أنت فيه وقادم على ما قدمت فأمر له معاوية

* سليمان التيمي كان داره ومسجده في بني تيم ولم يكن منهم وهو شيباني * أبو عمرو الشيباني لم يكن من بني شيبان وانما كان يعلم يزيد بن مزيد الشيباني * اليزيدي كان يعلم يزيد بن منصور الحميري فنسب اليه . ذو القروح امرؤ القيس كان ملك الروم كساه الحلة المسمومة فقرحته وقالوا لم تكن الكنى لأحد من الامم الا للعرب وهي مفاخرهم وقال بعضهم

أكنيه حين أناديه لاكرمه ولا ألقبه والسوءة اللقب

وقيل في قوله تعالى فقولا له قولا لينا أي كنياه ولما ضرب موسى عليه الصلاة والسلام البحر ولم ينفلق أوحى الله تعالى اليه أن كنه فقال أباخالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (وأما الالقاب) فقد قال الله تعالى ولاتنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان سماه الله تعالى فسوقا واتفق العلماء رضي الله تعالى عنهم على جواز ذلك على وجه التعريف لمن يعرف الا بذلك كالاعمش والأعمى والأعرج والأحول والأقطس والأقرع ونحو ذلك وقل من المشاهير في الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم يزل في الامم كلها يجري في المخاطبات والمكاتبات من غير نكير غير أنها كانت تطلق على حسب الموسومين وأما ما استحسن من تلقيب السفلة بالالقاب العلية حتى زال الفضل وذهب التفاوت وانقلب النقص والشرف شرعا واحدا فنكر وهب أن العذر مبسوط في ذلك فما العذر في تلقيب من ليس من الدين في دبير ولا قبيل ولا له فيه ناقة ولا فصيل بل هو محتو على ما يضاد الدين وينافي كمال الدين وشرف الاسلام وهي لعمر الله الغصة التي لا تساغ والغبن الذي يعجز الصبر دونه فلا يستطاع نسأل الله تعالى اعزاز دينه واعلاء كلمته وان يصلح فسادنا ويوقظ غافلنا

* الرجل يكنى باسم ولده والمرأة كذلك واذا كنوا من لم يكن له ولد فعلى جهة التفاؤل وبناء الامر على رجاء أن يعيش فيولد له وقد يتكنون بما يلائم المكنى من غير الاولاد كقول رسول الله ﷺ في علي رضي الله تعالى عنه أبو تراب وذلك أنه نام في غزوة ذي العشيرة فذهب بدمه نوم فجاء رسول الله ﷺ وهو متمرغ في التراب فقال له اجلس أبا تراب وكان أحب اسمائه اليه وكقولهم أبي لهب لحمرة خديه ولونه وقال الزمخشري رحمه الله تعالى وسمعتهم يكنون الكبير الرأس والعمامة بأبي الرأس وأبي العمامة وسمعت العرب ينادون الطويل اللحية يا أبا الطويلة وسمعت عرب البحيرة يكنون باسماء ابنائهم كأبي زهو وأبي سلطانة وأبي ليلى ونحو ذلك ولا حرج في ذلك وقد تكنى جماعة من أفاضل الصحابة بأبي فلانة منهم سيدنا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه كان له ثلاث كنى أبو عمرو وأبو عبدالله وأبو ليلى ومنهم أبو أمامة وأبو رقية تميم الداري وأبو كريمة المقداد بن معد يكرب وكثير من الصحابة ومن التابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين . أبو عائشة مسروق بن الاجدع وكان لأنس أخ صغير وله نغير يلعب به فمات فدخل رسول ﷺ فرآه حزينا فقال ماشأنه فقالوا مات نغيره فقال يا أبا عمير مافعل النغير . ونظر المأمون الى غلام حسن في الموكب فسأله عن اسمه فقال لا أدري فقال:

تسميت لا أدري فانك لا تدري بما فعل الحب المبرح في صدري

وعن علي رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ اذا سميتم الولد محمدا فأكرموه ووسعوا له في المجلس ولا تقبحوا له وجها وعنه مامن قوم كان بينهم مشورة فحضر معه من كان اسمه محمد أو أحمد فادخلوه في مشورتهم الا كان خيرا لهم ومامن مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه محمد أو أحمد الا قدس الله ذلك المنزل في كل يوم مرتين كل ذلك ببركة هذا الاسم الشريف (ومما جاء في مدح الاسماء منظوما) قال بعضهم في مليح اسمه ابراهيم

بأشياء من حنطة وغيرها فردها وقال ان أعطيت المسلمين كلهم مثلها أعطيتني والا فلا حاجة لي في ذلك ثم ودعه وانصرف (قيل) وفد عبدالله بن جعفر رضي الله عنه على احد خلفاء بني أمية فقال له الخليفة كم كان أمير المؤمنين يعطيك يعني اباه قال كان رحمه الله يعطيني الف الف درهم قال زدناك لترحمك عليه الف الف درهم قال بأبي انت وأمي قال وبهذه الالف الف قال لا اقولها لاحد بعدك قال منعني من الاطناب في وصفك الاشفاق عليك من جودك قال ولهذه الالف الف فقيل له فرقت يا أمير المؤمنين بيت مال المسلمين على رجل واحد قال انما فرقته على أهل المدينة اجمعين ثم وكل به من يعلمه بخبره من حيث لا يشعر فلما قدم المدينة فرق جميع مامعه حتى احتاج بعد شهر الى القرض) ومن لطائف المنقول) ان رجلا قال لهشام القرطبي كم تعد قال من واحد الى الف الف واكثر قال لم أرد هذا كم تعد من السن قال اثنتين وثلاثين سنا عشر من أعلى وستة عشر من أسفل قال لم أرد هذا كم لك من السنين قال والله ليس لي منها شيء والسنون كلها لله قال يا هذا ماسنك قال عظم قال ابن لي ابن كم انت قال اثنين رجل وامرأة قال كم أتى عليك قال لو أتى علي شيء قتلني قال كيف أقول قال تقول كم مضى من عمرك (قيل) وعرض

رأيت حبيبى فى المنام معانقى وذلك للمهجور مرتبة عليا
وقد رق لى من بعد هجر وقسوة وماضر إبراهيم لو صدق الرؤيا

(وفيه أيضا) لازال بابك كعبة محجوجة وترابها فوق الجباه وسيم
حتى ينادى فى البقاع بأسرها هذا المقام وأنت إبراهيم

(وفيه أيضا) سمى الخليل ان فؤادى فيه من لوعة الغرام جحيم
وعجيب يا قائلى ان قلبى فيه نار وأنت فيه مقيم

(ولبعضهم فى مليح اسمه عمر)

ياأعدل الناس أسماكم تجور على فؤاد مضناك بالهجران والبين
أظنهم سرقوك القاف من قمر وأبدلوها بعين خيفة للعين

(وفيه أيضا) ماعليهم فى الهوى لونظروا حين • سموك فقالوا عمر
أبدلوا قافك عينا غلطا أخطؤا ما أنت إلا قمر

(ولبعضهم فى مليح حامل شمعة موقودة اسمه عثمان)

وافى بشمعة وضاؤها وضياؤه حكيا لنا القمرين
ناديته ماالاسم ياكل المنى فأجابنى عثمان ذو النورين

(ولبعضهم فى مليح اسمه يوسف)

يامن سبى الشعراء نمل عذاره النجم يشهد لى بأنى هدهد
صيرت قلبى من صدورك فاطرا فامنن على بزورة يايوسف

(وللصفى الحلى فيمن اسمه داود)

وثقت بأن قلبى من حديد وفيه على الهوى بأس شديد
فلان على هواك ولا عجيب اذا داود لان له الحديد

(وله فيمن اسمه موسى)

أتى موسى بآية خال خد حرته صوارم الحدق والمراض
آية ذا بياض فى سواد وآية ذا سواد فى بياض
فجاء بضد ما قد جاء موسى كليم الله فى الحقب المواضى

(وللقرطبى فى مليح اسمه بدر)

سموه بدرا وذاك لما أن فاق فى حسنه ونما وأجمع الناس إذ رأوه بأنه اسم على مسمى

(ولمؤلفه رحمه الله تعالى) فى قاضى القضاة علم الدين صالح البلقينى

وعظ الأنام أمامنا الحبر الذى سكب العلوم كبحر فضل طافح
فشفى القلوب بعلمه وبوعظه والعلم تشفى ان يكن من صالح

وتوجهت مرة الى بلتاج لاجتمع بالحاج خليل منصور فى ضرورة فلم أجده ولم يقم أحد من أخوته بقضاء ماتوجهت بسببه فقلت

خصال خليل كلهن حميدة وأوصافه تزرى بكل جميل
فلاخير فى بلتاج ان لم يكن بها ولا خير فى الدنيا بغير خليل

(وقال آخر فى مقبل)

يامن تحجب عن محب صادق مازال عنه كل يوم يسال

والجوار يباع قال وكيف لايباع جوار من إن سألته أعطاك وإن سكت عنه ابتداك وإن أسأت اليه أحسن اليك فبلغ ذلك سعيدا فوجه إليه بمائة الف درهم وقال أمسك دارك عليك (قيل) خرج عبد الله ابن جعفر إلى ضيعة له فنزل على نخل قوم فيها غلام أسود يقوم عليها فدخل بثلاثة أقراص فأتى كلب فدنا منه رمى اليه بقرص فأكله ثم رمى اليه بالثانى والثالث فأكلهما وعبدالله ينظر اليه فقال ياغلام كم قوتك كل يوم قال مارأيت قال فلم آثرت الكلب قال لأن أرضنا ماهى بأرض كلاب وأخاله جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال فا كنت صانعا اليوم قال أطوى يومى هذا فقال عبدالله بن جعفر الأمر منبنى على السخاء والله ان هذا لأسخى منى فأشترى النخل والعبد فأعتقه ووهب ذلك له) ومن اطائف المنقول إنه رفع الرشيد موت العباس بن الأحنف وإبراهيم الموصلى المعروف بالنديم وعشيمة لخارة فى يوم واحد فخرج للصلاة عليهم فصفوا بين يديه فقال من الأول إبراهيم الموصلى فقال أخروه وقدموا ابن الأحنف فقدم وصلى عليه فلما فرغ

من لى بيوم فيه تسمح بالقا ويقال لى هذا حبيبك مقبل

(ولبعضهم فى مليح اسمه محسن)

واهيف يعلو على عشاقه برتبة من الجمال نالها
واسمه وهو العجيب محسن وكم دموع فى الهوى أسالها

(وأصفى الدين الحلى فى اسم حسين)

حبيبى وافر والشوق منى طويل والهوى عندى مديد
واعجب اننى أهوى حسينا وشوقى فى محبته يزيد

(ومما قيل فى أسماء النساء) فى فاطمة

عجبت من فاتنة لم تزل لمرتجى الوصل لها فاطمة
تنكر ما القاه من وجدها وهى بشوقى والجوى عالمة

(قال ابن مكانس فى اسم عائشة)

يادهر خربى بحقك واشفنى فسهام فكرى فى أمورك طائشة
أيحل أنى فى المحبة ميت وحبيبى من بعد موتى عائشة

(وقال شمس الدين البديرى فى اسم حليمة)

ولما رأتنى فى هواها متيما أكابد من حر الغرام أليمه
فجادت بطيب الوصل منها ولم تجر ومن أين تدرى الجور وهى حليمة

(ولبعضهم فى اسم بركة دوبيت)

لما نصب الهوى لقلبى شركه ناديت وقلبى تارك من تركه
يا قلب أفق ولا تمل لشركه تفنيك سنين ساعة من بركة

(مردوفا أيضا) لما نصب الهوى لقلبى شركه فى كل طريق
ناديت وقلبى تارك من تركه لو كان يفيق ياقلب أفق ولا تمل لشركه
ما الشرك يليق تفنيك سنين ساعة من بركة عن كل صديق

ولو تتبعت هذا المعنى لاحتجت إلى مجلدات ولكن فيما ذكرته كفاية والله الموفق وأسأله العناية صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الخمسون فيما جاء فى الاسفار والاغتراب وما قيل فى الوداع والفراق والحث على ترك الاقامة بدار الهوان وحب الوطن والحنين اليه)

(أما ما جاء فى الاسفار والحث على ترك الاقامة بدار الهوان)

فقد قال الله تعالى هو الذى جعل لكم الارض ذلولا الآية وفى الأثر سافروا تغنموا وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ لو يعلم الناس رحمة الله للمسافر لأصبح الناس على ظهر سفر وهو ميزان الأخلاق أن الله بالمسافر رحيم ويقال الحركة ولود والسكون عاقر وقال حكيم السفر يسفر عن أخلاق الرجال وكان بعضهم يريد السفر فيمنعه والده إشفاقا عليه فقال يوما

ألا خلنى أمضى لشانى ولا أكن على الأهل كلا ان ذا لشديد
تهيبنى ريب المنون ولم أكن لا هرب عما ليس منه محيد
فلو كنت ذا مال لقرب مجلسى وقيل إذا أخطأت أنت رشيد
فدعنى أجول الأرض عمرى لعله يسر صديق أو يغاظ حسود

حضر فقال بقوله وسعى بها قوم وقالوا انها لهى التى تشقى بها وتكابد فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم انى ليعجبنى المحب الجاحد

ثم قال أتحفظهما قلت نعم قال ليس من قال هذا الشعر أولى بالتقديم فقلت بلى والله يا أمير المؤمنين (قلت ويضارع هذا ما حكاه صاحب الاغانى) حكى أن رجلا أدى شهادة عند بعض القضاة فقال القاضى هل يعرفك أحد من ذوى العدالة قال نعم فلان فلما حضر هذا القاضى هل تعرف قال له قال نعم أعرفه عدلا وما ذاك إلا أنى سمعته ينشد لجرير

ان الذين غدوا بلبك غادروا
وشلا بعينك لا يزال معينا
غضضن من أبصارهن وقلن لى
ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فعلمت أن هذا لا يرسخ الا فى قلب مؤمن (وقال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله) كانت رقائق الشيخ تقى الدين السروجى تسلب العقول وكان يغنى بها فى عصره لأنها فى الطريق الغزلى غاية لا تدرك فمن ذلك قوله رحمه الله

وقال رسول الله ﷺ عليكم بالدلجة فان الأرض تطوى بالليل ولا تطوى بالنهار فى غير رفقة وقال ابن مالك رضى الله تعالى عنه كان رسول الله ﷺ يكره أن يسافر الرجل فى غير رفقه فقال صلى الله عليه وسلم الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب وقال ﷺ إذا خرج ثلاثة فى ركب فليؤمروا أحدهم (وقيل) أغار حذيفة بن بدر على هجان النعمان بن المنذر ابن ماء السماء وسار فى ليلة مسافة ثمان ليال فضرب به المثل وقال قيس بن الحطيم

هممنا بالاقامة ثم سرنا مسير حذيفة الخير بن بدر

وسار ذكوان مولى عمر رضى الله تعالى عنه من مكة إلى المدينة فى يوم وليلة وقال المأمون لاشىء ألذمن السفر فى كفاية وعافية لانك تحل كل يوم فى محلة لم تحل فيها وتعاشر قوما لم تعرفهم (ومما قيل فى ترك الاقامة بدار الهوان

(قال الفرزدق) وفى الأرض عن دار القلى متحول وكل بلاد أوطنتك بلاد

(وقال آخر) وما هى إلا بلدة مثل بلدتى خيارهما ما كان عونا على دهر

(وقال آخر) وإذا البلاد تغيرت عن حالها فدع المقام وبادر التحويلا

ليس المقام عليك فرضا واجبا فى بلدة تدع العزيز ذليلا

(وقال الصفى الحلى)

تنقل فلذات الهوى فى التنقل ورد كل صاف لاتقف عند منهل

ففى الأرض أحباب وفيها منازل فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل

ولا تستمع قول امرىء القيس أنه مضل ومن ذا يهتدى بمظلل

(وقال عبد الله الحمدى)

فان تجف عنى أو تزرنى اهانة أجد عنك فى الأرض العريضة مذهبا

(ومما قيل فى الوداع والفراق والشوق والبكاء) قال جرير

لو كنت أعلم ان آخر عهدكم يوم الرحيل فعلت مالم أفعل

وقيل لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ماكان جدك صانعا فى قوله فعلت مالم أفعل قال كان يقلع عينيه حتى لايرى مظعن أحبابه ثم انشد يقول

وما وجد مغلول بصنعاء موثق ۞ بساقيه من ماء الحديد كبول ۞ قليل الموالى مسلم بجزيرة له بعد نومات العيون الليل ۞ يقول له الحداد أنت معذب ۞ غداة غد أو مسلم فقتيل

باكبر منى لوعة يوم راعنى فراق حبيب ماإليه سبيل

(وقال الشاعر) ومأم خشف طويل يوم وليلة ببلقعة بيداء ظمآن صاديا

تهيم ولا تدرى إلى أين تبتغى ۞ مرلهة حزنا العفافيا ۞ أضربها حر الهجير فلم تجد لعلتها من بارد الماء شافيا ۞ إذا بعدت عن خشفها انعطفت له ۞ فالفته ملهوف الجوانح طاويا

بأوجع منى يوم شدوا حمولهم ونادى منادى البين أن لاتلاقيا

وقال عبد العزيز الماجشون وهو من فقهاء المدينة قال لى المهدى ياماجشون ماقلت حين فارقت أحبابك قال قلت ياأمير المؤمنين

لله باك على أحبابه جزعا قد كنت أحذر هذا قبل ان يقعا ماكان والله شؤم الدهر يتركنى حتى يجرعنى من بعدهم جرعا . ان الزمان رأى الف السرور لنا . فدب بالبين فيم بيننا يسعى

فليصنع الدهر بى ماشاء مجتهدا فلا زيادة شىء فوق ماصنعا

وصولا بالذى أنفقته

يامن شغلت بحبه عن غيره وسلوت كل الناس حين عشقته

كم جال فى ميدان حسنك فارس بالسبق فيك إلى رضاك سبقته

أنت الذى جمع المحاسن وجهه لكن عليه تصبرى فرقته

قال الوشاة قد ادعى بك نسبة فسررت لما قلت قد صدقته

بالله إن سألوك عنى قل عبدى وملك يدى وما أعتقته

أو قيل مشتاق اليك فقل لهم أدرى بذا وأنا الذى سوقته

(قلت) لو كان الشيخ تقى الدين السروجى رحمه الله فى جملة من صلى عليه الرشيد لم يقدم غيره عليه (فان الشهاب محمود) وكان الشيخ تقى الدين السروجى مع دينه وورعه وزهده وعلمه مغرما بالجمال وكذلك قال الشيخ أثير الدين وكان يكره مكانا فيه امرأة ومن دعاه من أصحابه قال شرطى معروف وهو أن لايحضر بالمجلس امرأة (قال الشهاب محمود) وكنا يوما فى دعوة فأحضر صاحب الدعوة شواء وأمر بادخاله الى النساء ليجعلنه فى صحون فلما أحضر فقال

فقال والله لأعيذنك فأعطاه عشرة آلاف دينار (وقال آخر)

وقفت يوم النوى منهم على بعد ... ولم أودعهم وجدا واشفاقا

انى خشيت على الأظعان من نفسى ... ومن دموعى احراقا واغراقا

(وقال عمر بن أحمد) أنى الرحيل لحين جد ترحلت ... مهج النفوس له عن الأجساد

من لم يبت والبين يصدع قلبه ... لم يدر كيف تفتت الأكباد

وحكى بعضهم قال دخلنا إلى دير هرقل فنظرنا إلى مجنون فى شباك وهو ينشد شعرا فقلنا له أحسنت فأومأ بيده إلى حجر يرمينا به وقال المثلى يقال أحسنت ففررنا منه فقال أقسمت عليكم إلا ما رجعتم حتى أنشدكم فان أنا أحسنت فقولوا أحسنت وان أنا أسأت فقولوا أسأت فرجعنا اليه فأنشد يقول

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهمو ... وحملوها وسارت بالدمى الابل

وقلبت بخلال السجف ناظرها ... ترنو إلى ودمع العين ينهمل

وودعت ببنان زانه عنم ... ناديت لاحملت رجلاك ياجمل

يا حادى العيس عرج كى أودعهم ... ياحادى العيس فى ترحالك الأجل

انى على العهد لم أنقض مودتهم ... ياليت شعرى لطول البعد مافعلوا

فقلنا له ماتوا فقال والله وأنا أموت ثم شهق شهقة فاذا هو ميت رحمه الله تعالى

(وقال آخر) لما علمت بأن القوم قد رحلوا ... وراهب الدير بالناقوس مشتغل

شبكت عشرى على رأسى وقلت له ... ياراهب الدير هل مرت بك الابل

لحن لى وبكى لى رق لى ورثى ... وقال لى يافتى ضاقت بك الحيل

ان الخيام التى قد جئت تطلبهم ... بالامس كانوا بها والآن قد رحلوا

(وقال الشيخ الاكبر سيدى محيى الدين بن العربى رحمه الله تعالى .

مارحلوا يوم ساروا البزل العيسا ... إلا وقد حملوا فيها الطواويسا

من كل فاتكة الالحاظ مالكة ... تخالها فوق عرش الدر بلقيسا

إذا تمشت على صرح الزجاج ترى ... شمسا على فلك فى حجر ادريسا

أسقفة من بنات الروم عاطلة ... ترى عليها من الأنوار ناموسا

وحشية مالها أنس قد اتخذت ... فى بيت خلوتها للذكر ناووسا

أن أومأت تطلب الانجيل تحسبهم ... قساقسا أو بطاريقا شماميسا

ناديت إذ رحلوا للبين ناقتها ... ياحادى العيس لاتحدو بها العيسا

غيبت أجناد صبرى يوم بينهم ... على الطريق كراديسا كراديسا

ساروا وأصبحت أنعى الربع بعدهموا ... والوجد فى القلب لاينفك مغروسا

(وقال آخر) ولما تبدت للرحيل جمالنا ... وجد بنا سير وفاضت مدامع

تبدت لنا مذعورة من خبائها ... وناظرها باللؤلؤ الرطب دامع

أشارت بأطراف البنان وودعت ... وأومت بعينيها متى أنت راجع

فقلت لها الله مامن مسافر ... يسير ويدرى ما به الله صانع

فشالت نقاب الحسن من فوق وجهها ... فسالت من الطرف الكحيل مدامع

وقالت إلهى كن عليه خليفة ... فيارب ما خابت لديك الودائع

بعد ذلك تقرف منه وقال كيف يؤكل وقد مسته بأيديهن (قال الشيخ أثير الدين) ولما توفى الشيخ تقى الدين بمصر رابع رمضان المعظم سنة ثلاث وتسعين وستمائة حلف أبو محبوبه أن لا يدفنه إلا فى قبر ابنه وقال كان الشيخ يهواه بالحياة وما افرق بينهما بالممات هذا لما كان يعلمه من دينه وعفافه (قلت) والشيخ مدرك هو أبو هذه العذرة وثمرة هذه الشجرة فانه ممن هام مع زهده وتورعه بالجمال وعف وصبر إلى أن مات وكان الشيخ مدرك المذكور من أكابر علماء المغرب المتفقهين وكان مطبوعا فى نظم الشعر الجيد الرقيق وكان يقرىء الادب وله مجلس بمحلة دار الروم وكان لا يقرىء إلا الأحداث ففتن بنصرانى اسمه عمرو بن يوحنا كان من أحسن أهل زمانه وأسلمهم طبعا فهام الشيخ به وكتب رقعة وطرحها فى حجره وهى

بمجالس العلم التى ... بك تم جمع جموعها

الارثيت لمقلة ، غرقت ... بماء دموعها

بينى وبينك حرمة ، ... الله فى تضييعها

فلما قرأها عمرو استحيا وعلم بها من فى المجلس فانقطع عمرو واشتد بالشيخ الوجد فترك المجلس ونظم القصيدة المشهورة وقيل انها اشتملت على سائر عبادات النصارى ومواقيتهم وأسماء المعظمين فى دينهم وعده صاحب مصارع العشاق

(وقال آخر) يا راحلا وجميل الصبر يتبعه   هل من سبيل إلى لقياك يتفق
ما أنصفتك دموعى وهى دامية   ولا وفى لك قلبى وهو يحترق
(وقال البغدادى) قالت وقد نالها للبين أوجعه   والبين صعب على الاحباب موقعه
اجعل يديك على قلبى فقد ضعفت   قواه عن حمل مافيه وأضلعه
واعطف على المطايا ساعة فعسى   من شقت شمل اهوى بالبين يجمعه
كأننى يوم ولت حسرة وأسى   غريق بحر يرى الشاطى ويمنعه

(وقال ابن البديرى)

قفا حاديا ليلى فانى وامق   ولا تعجلا يوما على من يفارق   وزما مطاياها قبيل مسيرها
ليلتذ منها بالتزود عاشق   ولاتزجرا بالسوق أظعان عيسها   فان حبيبى للظعائن سائق
ولما التقينا والغرام يذيبنا   ونحن كلانا فى التفكر غارق
وقفنا ودمع البين يحجب بيننا   تسارقنى فى نظرة اسارق
فلا تسألا ما حل بالبين بيننا   ولا تعجبا أنا مشوق وشائق
(وقال آخر) تذكرت ليلى حين شط مزارها   وعادت منازلها خليات بلقع
بكيت عليها والقنا يقرع القنا   وسمر العوالى للمنايا تشرع   وخالفت لوامى عليها وعدل
وحالفت سهدى والخليون هجع   ولم أستطع يوم النوى رد عبرة   فؤادى أسى من حرها يتقطع
فقال خليلى إذ رأى الدمع دائما   يفيض دما من مقلتى ليس يدفع
لئن كان هذا الدمع يجرى صبابة   على غير ليلى فهو دمع مضيع
(وقال آخر) مددت إلى التوديع كفا ضعيفة   وأخرى على الرمضاء فوق فؤادى
فلا كان هذا آخر العهد بيننا   ولا كان ذا التوديع آخر زادى
(وقال آخر) ولما وقفنا للوداع عشية   وطرفى وقلبى دامع وخفوق
بكيت فأضحكت الوشاة شماتة   كأنى سحاب والوشاة بروق

(ولمؤلفه رحمه الله تعالى)

ياسادة فى سويد القلب مسكنهم   وفى منامى أرى أنى أعانقهم
أوحشتمونا وعز الصبر بعدكمو   يا من يعز علينا أن نفارقهم
(وقال آخر) لو أن مالك مالم بذى الهوى   ومحله من أضلع العشاق
ماعذب العشاق إلا بالهوى   وإذا استغاثوا غاثهم بفراق

(وقال ابن الوردى)

دهر قد أضحى ضنينا . باللقا حتى ضنينا   ياليالى الوصل عودى اجمعينا أجمعينا

(وقال الشريف الرضى)

عللانى بذكرهم واسقيانى   وامزجا لى دمعى بكاس دهاق
وخذا النوم من جفونى فانى   قد خلعت الكرى على العشاق

(وقال آخر عند ذلك)

قالوا أترقد اذ غبنا فقلت لهم   نعم واشفق من دمعى على بصرى
ماحق طرف هدانى نحو حسنكمو   أنى أعذبه بالدمع والسهر
(قال الموصلى) فسدت لطول بعادكم أحلامنا   وعقولنا وجفا الجفون منام

مع الذين ماتوا غراما (وقال فى كتابه المرسوم بمصارع العشاق) أخبرنا القاضى أبو القاسم التنوخى سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة قال حدثنا القاضى أبو الفرج المعافى قال أنشدنا أبو القاسم مدرك بن محمد الشيبانى لنفسه فى عمر النصرانى قال القاضى أبو الفرج وقد رأيت عمرا وقد ابيض رأسه . ٠

من عاشق ناء هواه دان   ناطق دمع صامت اللسان
موثق قلب مطلق الجثمان   معذب بالصد والهجران
من غير ذنب كسبت يداه   لكن هوى نمت به عيناه
شوقا إلى رؤية من أشقاه   كأنما عافاه من أبلاه
ياويحه من عاشق ما يلقى   من أدمع منهلة ما ترقى
ذاب إلى أن كاد يفنى عاشقا   وعن دقيق الفكر سقما دقا
لم يبق منه غير طرف يبكى   بأدمع مثل نظام السلك
تخمد نيران الهوى وتذكى   منهله قطر السماء تحكى
إلى غزال من بنى النصارى   فضل بالحسن على العذارى
وغادر الأسد به حيارى   فى ربقة الحب له أسارى
ريم به أى هزبر لم يصد   يقتل باللحظ ولا يخشى القود
متى يقل هاقالت الألحاظ قد   كأنه ناسوته حين اتحد
ياليتنى كنت له زنارا   يديرنى فى الخصر كيف دارا
حتى إذا الليل طوى النهارا   صرت له حينئذ ازارا

والطيف

والطيف قد وعد الجفون بزوره يا حبذا ان صحت الاحلام

(ومما قيل فى البكاء) قال الشاعر

وجرت طيف خياله وكيف لى بهجوع والناويات جفونى والمراسلات دموعى

(وقال آخر) ارحم رحمت للوعتى وابعث خيالك فى الكرى

ودموع عينى لاتسل عن حالها يا ما جرى

(وقال آخر) ان عينى مذغاب شخصك عنها يأمر السهد فى كراها وينهى

بدموع كأنهن الفوادى لاتسل ماجرى على الخد منها

(وقال آخر) ياقلب صبرا على الفراق ولو روعت بمن تحب بالبين

وأنت يادمع ان ظهرت بما أخفيه من قلبي سقطت من عيني

(وقال آخر)

خاض العواذل فى حديث مدامعى لما غدا كالبحر سرعة سيره

فحبسته لاصون سر هواكموا حتى يخوضوا فى حديث غيره

(وقال ابن المواز)

رحت يوم الفراق أجرى دموعى حسرة اذ قضى الفراق ببينى

قيل كم إذا تجرى دموعك تدمى أوقف الدمع قلت من بعد عينى

(وقال آخر) لما لبست لبعده ثوب الضنى وغدوت من ثوب اصطبارى عاريا

أجريت وقف مداعى من بعده وجعلته وقفا عليه جاريا

(وقال آخر) ولم أرمثل غار من طول ليله عليه كأن الليل بعشقه معى

ومازلت أبكى فى دجى الليل صبوة من الوجد حتى ابيض من فيض أدمعى

(وقال الموصلى) عين أفاضت دموعى لطول صد وبين

ووجنة الخد قالت رأيت غسلى بعينى

(وقال آخر) وما فارقت ليلى من مراد ولكن شقوة بلغت مداها

بكيت نعم بكيت وكل إلف إذا ماتت خبيبته بكاها

وفى بعض الكتب السماوية ان مما عاقبت به عبادى أن ابتليتهم بفرق الاحبه

(ومما جاء فى الحنين إلى الوطن) أماصحبة الوطن فستولية على الطباع مستدعية أشد الشوق اليها روى أن أبان قدم على النبي ﷺ فقال ياأبان كيف تركت مكة قال تركت الاذخر وقد أعذق والثمام وقد أورق فاغرورقت عينا رسول الله ﷺ وقال بلال رضى الله عنه

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بواد وحولى إذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل

وقيل من علامة الرشد أن تكون النفس إلى بلدها توافة وإلى مسقط رأسها مشتاقة ومن حب الوطن) ماحكى أن سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام أوصى بأن يحمل تابوته إلى مقابر آبائه فمنع أهل مصر أولياءه من ذلك فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام وأهلك الله تعالى فرعون لعنه الله حمله موسى إلى مقابر آبائه فقبره بالأرض المقدسة * وأوصى الاسكندر رحمه الله تعالى أن تحمل ميته فى تابوت من ذهب إلى بلاد الروم حبا لوطنه * واعتل سابور ذو الاكتاف وكان أسيرا ببلاد الروم فقالت له بنت الملك وكانت قد عشقته ما تشتهى قال شربة من ماء دجلة وشمة من

ياعمر بالحق مع اللاهوت
والروح روح القدس والناسوت
ذاك الذى فى مهده المنعوت
عوض بالنطق عن السكوت
بحق ناسوت ببطن مريم
حل محل الريق منها بالفم
ثم استحال فى القنوم الاقدم
يكلم الناس ولما يفطم
بحق من بعد الممات قصا
يوما مقداره ماقصصا
وكان لله تقيا مخلصا
يشفى ويبرى أكمها وأبرصا
بحق محيى صورة الطيور
وباعث الموتى من القبور
ومن اليه مرجع الامور
يعلم ما فى البر والبحور
بحق من فى شامخ الصوامع
من ساجد لربه وراكع
يبكى إذا مانام كل هاجع
بحق قوم حلقوا الرءوسا
وعالجوا طول الحياة بوسا
وقرعوا فى البيعة الناقوسا
مشمعلين يعبدون عيسى
بحق مار مريم وبولس
بحق شمعون الصفا وبطرس
بحق دانيل بحق يونس
بحق حزقيل وبيت المقدس

ونينوى إذا قام يدعو ربه مطهرا من كل سوء قلبه ومستقبلا قاقيل ذنبه ونال من مولاه ماأحبه

تراب اصطخر فأتته بعد أيام بشربة من ماء وقبضة من تراب وقالت له هذا ماء دجلة ومن تربة أرضك فشرب واشتم بالوهم فنفعه من علته وقال الجاحظ كان النفر في زمن البرامكة إذا سافر أحدهم أخذ معه من تربة أرضه في جراب يتداوى به وما أحسن ما قال بعضهم

بلاد ألفناها على كل حالة وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن
وتستعذب الأرض التي لا هواء بها ولا ماؤها عذب ولكنها وطن

ووصف بعضهم بلاد الهند فقال بحرها در وجبالها ياقوت وشجرها عود وورقها عطر وقال عبدالله بن سليمان في نهاوند أرضها مسك وترابها الزعفران وثمارها الفاكهة وحيطانها الشهد وقال الحجاج لعامله على أصبهان وقد وليتك على بلدة حجرها الكحل وذبابها النحل وحشيشها الزعفران وكان يقال البصرة خزانة العرب وقبة الإسلام لانتقال قبائل العرب إليها واتخاذ المسلمين بها وطنا ومركزا وكان أبو إسحق الزجاج يقول بغداد حاضرة الدنيا وما سواها بادية وأنا أقول مصر كنانة الله في أرضه والسلام

(ومما جاء في ذم السفر) قيل لرجل السفر قطعة من العذاب فقال بل العذاب قطعة من السفر وقال بعضهم

كل العذاب قطعة من السفر يا رب فارددنا على خير الحضر

وقيل لأعرابي ما الغبطة قال الكفاية مع لزوم الأوطان * ومر إياس بن معاوية بمكان فقال أسمع صوت كلب غريب فقيل له بم عرفت ذلك قال بخضوع صوته وشدة نباح غيره وأراد أعرابي السفر فقال لامرأته

عدي السنين لغيبتي وتصبري وذري الشهور فإنهن قصار
فاذكر صبابتنا إليك وشوقنا وارحم بناتك إنهن صغار

فأقام وترك السفر ويقال رب ملازم لمهنته فاز ببغيته (وقال ابن لهيثم)

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق

وفيما ذكرته كفاية وأسأل الله التوفيق والهداية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الحادي والخمسون في ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه ﴾

قال الله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا وقيل الفقر رأس كل بلاء وداعية إلى مقت الناس وهو مع ذلك مسلبة للمروءة مذهبة للحياء فمتى نزل الفقر بالرجل لم يجد بدا من ترك الحياء ومن فقد حياءه فقد مروءته ومن فقد مروءته مقت ومن مقت ازدرى به ومن صار كذلك كان كلامه عليه لا له وقال رسول الله ﷺ إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس وفي الحديث لا خير فيمن لا يحب المال ليصل به رحمه ويؤدي به أمانته ويستغني به عن خلق ربه وقال علي كرم الله تعالى وجهه الفقر الموت الأكبر وقد استعاذ رسول الله ﷺ من الكفر والفقر وعذاب القبر وقيل من حفظ دنياه حفظ الأكرمين دينه وعرضه قال الشاعر

لا تلمني إذا وقيت الأواقي بالأواقي الماء وجهي واقي

وقال لقمان لابنه يا بني أكلت الحنظل وذقت الصبر فلم أر شيئا أمر من الفقر فإن افتقرت فلا تحدث به الناس كيلا ينتقصوك ولكن اسأل الله تعالى من فضله فمن الذي سأل الله فلم يعطه أو دعاه فلم يجبه أو تضرع إليه فلم يكشف ما به وكان العباس رضي الله تعالى عنه يقول الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس وهو عندهم أعذب من الماء وأرفع من السماء وأحلى من الشهد وأزكى من الورد

خطؤه

بحق ما في قلة الميرون من نافع
بحق أعياد الصليب الزهر
وعيد اشمعون وعيد الفطر
وبالشعانين الجليل القدر
وعيد مزماري الرفيع الذكر
وعيد شمياء وبالهيا كل
والدخن اللاتي بكف الحامل
يشفي بها من خبل كل خابل
ومن دخل السقم في المفاصل
بحق سبعين من العباد
قاموا بدين الله في البلاد
وأرشدوا الناس إلى الرشاد
حتى اهتدى من لم يكن بهاد
بحق ثنى عشر من الأمم
ساروا إلى الأقطار يتلون الحكم
حتى إذا صبح الهدى جلا الظلم
ساروا إلى الله ففازوا بالنعم
بحق ما في محكم الإنجيل
من منزل التحريم والتحليل
وخبري ذي نبأ جليل
يرويه جيل قد مضى عن جيل
بحق مرعيد التقي الصالح
بحق لوقا بالحكيم الراجح
والشهداء بالفلا الصحاصح
من كل غاد منهم ورائح
بحق معمودية الأرواح
والمذبح المشهور في النواحي
ومن به من لابس الأمساح
من راهب باك ومن نواح
بحق تنسك في الأعياد
وشربك القهوة كل صاد
بما يعينك من السواد بطول تقطيعك للأكباد

خطاؤه صواب وسيئاته حسنات وقوله مقبول يرفع مجلسه ولا يمل حديثه والمفلس عند الناس أكذب من لمعان السراب وأثقل من الرصاص يسلم عليه ان قدم ولا يسئل عنه ان غاب وان حضر ازدروه وان غاب شتموه وان غضب صفعوه مصافحته تنقض الوضوء وقراءته تقطع الصلاة وقال بعضهم طلبت الراحة لنفسي فلم أجد لها أروح من ترك مالا يعنيها وتوحشت في البرية فلم أر أوحش من قرين السوء وشهدت الزحوف وغالبت الاقران فلم أر قرينا أغلب للرجل من المرأة السوء ونظرت الى كل ما يذل القوى ويكسره فلم أر شيئا أذل له ولا أكسر من الفاقة قال الشاعر

وكل مقل حين يغدو لحاجة ... الى كل ما يلقى من الناس مذنب
وكانت بنو عمي يقولون مرحبا ... فلما رأوني بعدما مات مرحب
(وقال آخر) المال يرفع سقفا لاعماد له ... والفقر يهدم بيت العز والشرف
(وقال آخر) جروح الليالي مالهن طبيب ... وعيش الفتى بالفقر ليس يطيب
وحسبك أن المرء في حال فقره ... تحقه الأقوام وهو لبيب
ومن يغتر بالحادثات وصرفها ... يبت وهو مغلوب الفؤاد سليب
وما ضرني ان قال اخطأت جاهل ... اذا قال كل الناس انت مصيب
(وقال آخر) الفقر يزرى بأقوام ذوى حسب ... وقد يسود غير السيد المال
(وقال آخر) لعمرك ان المال قد يجعل الفتى ... سنيا وان الفقر بالمرء قد يزرى
وما رفع النفس الدنية كالغنى ولا ... ولا وضع النفس النفيسة كالفقر
(وقال آخر) إذا قل مال المرء لانت قناته ... وهان على الادنى فكيف الأباعد
(وقال ابن الاحنف) يمشى الفقير وكل شيء ضده ... والناس تغلق دونه أبوابها
وتراه مبغوضا وليس بمذنب ... ويرى العداوة لا يرى أسبابها
حتى الكلاب اذا رأت ذا ثروة ... خضعت لديه وحركت أذنابها
واذا رأت يوما فقيرا عابرا ... نبحت عليه وكشرت أنيابها
(وقال آخر) فقر الفتى يذهب أنواره ... مثل اصفرار الشمس عند المغيب
والله ما الانسان في قومه ... إذا بلى بالفقر إلا غريب
(وقال آخر) ان الدراهم في المواطن كلها ... تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحة ... وهي السلاح لمن أراد قتالا
(وقال آخر) ما الناس الامع الدنيا وصاحبها ... فكلما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبت ... يوما عليه بما لا يشتهي وثبوا

وقال بعض الفرس من زعم انه لا يحب المال فهو عندى كذاب

(قال الكناني) أصبحت الدنيا لنا عبرة ... فالحمد لله على ذلكا
قد أجمع الناس على ذمها ... وما أرى منهم لها تاركا
(وقال الزمخشري) وإذا رأيت صعوبة في مطلب ... فاحمل صعوبته على الدينار
وابعثه فيما تشتهيه فانه ... حجر يلين قوة الأحجار

قال الثوري رحمه الله تعالى لان أخلف عشرة آلاف درهم يحاسبني الله عليها أحب إلى من أن أحتاج إلى لئيم وفي هذا المعنى قال الشاعر

احفظ عرى مالك تحظى ... ولا تفرط فيه تبقى ذليل
وان يقولوا ياخلى بالعطا ... فالبخل خير من سؤال البخيل
واحفظ على نفسك من زلة ... يرى عزيز القوم فيها ذليل

شيخان كانا من شيوخ العلم وبعض أركان التقى والحلم لم ينطقا قط بغير الفهم موتهما كان حياة الخصم بحرمة الاسقف والمطران والجاثليق العالم الرباني والقس والشماس والديراني والبطرق الاكبر والرهبان بحرمة المحبوس في أعلى الجبل ومار قولا حين صلى وابتهل وبالكنيسات القديمات الاول وبالمسيح المرتضى وما فعل بحرمة الاسقوفيا والبيرم وما حوى مغفر رأس مريم بحرمة الصوم الكبير الاعظم بحق كل ركعة وبحرم بحق يوم الذبح في الإشراق وليلة الميلاد والثلاثي والذهب الابريز لا الاوراق بالفصح يا مذهب الأخلاق بكل قداس على قداس قدسه القس مع الشماس وقربوا يوم خميس الناس وقدموا الكاس لكل حاس الا رغبت في رضا أديب باعده الحب عن الحبيب فذاب من شوق إلى المذيب أعلى مناه أيسر التقريب أنظر أميرى في صلاح أمرى محتسبا في عظيم الاجر مكتسبا في عظيم الاجر مكتسبا مني جميل الشكر من نثر ألفاظ و نظم شعر (قلت والشيء بالشيء يذكر) الشيخ مدرك ألجأته الضرورة الغرامية أن يتجشم المشاق ويتقرب إلى محبوبه بأقسام لها عند دين النصرانية محل عظيم الموقع كما ألجأت الشيخ مهذب الدين بن منير الطرابلسي

(وأما ماجاء في الاحتراز على الأموال)

فقد قالوا ينبغي لصاحب المال أن يحترز ويحتفظ عليه من المطمعين والمبرطحين والمحترفين الموهمين والمتمسين (فأما المطمعون) فهم الذين يتلقون أصحاب الأموال بالبشر والاكرام والتحية والاعظام إلى أن يأنسوا بهم ويعرفوهم بالمشاهدة وربما قضوا ماقدموا عليه من حوائجهم الى أن يألفوهم ويحصل بينهم سبب الصداقة ثم ان أحدهم يذكر لصاحب المال في معرض المقال أنه كسب فائدة كثيرة في معيشته ثم يمشي معه في الحديث الى أن يقول انى فكرت فيما عليك من المؤن والنفقات وهذا أمر يعود ضرره في المستقبل ان لم تساعد بالمكاسب وغرضي التقرب اليك ونصحك وخدمتك وأريد أن أوجه اليك فائدة من المتجر بشرط أن لاأضع يدي لك على مال بل يكون مالك تحت يدك أو تحت يد أحد من جهتك ويخرج له في صفة الناصحين المشفقين فاذا أجابه الى ذلك كان أمره معه على قسمين ان ائتمنه وجعل المال بيده أعطاه اليسير منه على صفة أنه من الربح وطاول به الأوقات ودفع اليه في المدة الطويلة الشيء اليسير من ماله ثم يحتج عليه ببعض الآفات ويدعي الخسارة فان لزمه صاحب المال قاعده ورطل من جملة المال صاحب جاه فيدفعه ويقول هذا رابا ز فان روعي صاحب المال وفق بينهما على أن يكتب عليه ببقية المال وثيقة فلا يستوفي مافيها الا في الآخرة وان هو لم يأتمنه وعول أن يكون القبض بيده والمتاع مخزونا لديه واطأ عليه البائعين والمشترين حصل لنفسه وعمل مايقول به فان حل لصاحب المال أدنى ربح أوهمه أن مفاتيح الأرزاق بيده وان كسد المشتري أو رخص أحال الامر على الاقدار وقال ليس لي علم بالغيب * ومن أشد المطمعين المتعرضون لصنعة الكيمياء وهم الطماعون المطمعون في عمل الذهب والفضة من غير معدنهما فيجب أن يحذر التقرب منهم والاستماع لهم في شيء من حديثهم فان كذبهم ظاهر وذلك انهم يوهمون الغر أنهم ينيلونهم خيرا ويطلعونهم على صنعتهم ابتداء منهم الا لحاجة وهذا يستحيل ويحتجون بأن مايلجئهم الى ذلك إلا عدم الامكان وتعذر المكان فمنهم من يكون شوقه إلى أن يدخل إلى مكان ويترك عنده عدة لها قيمة فتأخذها وينسحب ومنهم من يشترط أن عمله لاينتهي إلى مدة فيقنع في تلك المدة بالاكل غدوة وعشية وسبيله بعد ذلك ان كان معروفا قال فسد على العمل من جهة كيت وكيت ويقول للذي ينفق عليه هل لك في المعاودة فان حمله الطمع ووافقه كان هذا له أتم غرض ثم يحتال آخر المدة على الفراق بأن سبب كان وان كان منكورا غافل صاحب المكان وخرج هاربا . ومن المطمعين قوم يحملون في الجبال أمارات من ردم وحجر ويأتون الى أصحاب الاموال ويقولون انا نعرف علم كنز فيه من الامارات كيت وكيت ثم يوقفونهم على ورقة ويقولون نريد أن نأخذ لنا عده وتنفق علينا ومهما حصل من فضل الله تعالى لنا ولك فيواتيهم على ذلك ويوطن نفسه على أن المدة تكون قريبة فيعملون يوم أو يومين فيظهر لهم أكثر الامارات فيزداد طمعا ويعتقد الصحة ثم يدرجونه الى أن ينفق عليهم ماشاء الله تعالى ويكون آخر أمرهم كصاحب الكيمياء وان كانوا منكورين دعتهم الطمعة في قماشه أي العدة التي معه فربما قتلوه هناك لاجل ذلك ومضوا فهذا أمر المطمعين (وأما المبرطحون) فهم من الخونة والناس بهم أكثر غررا وذلك أنهم إذا ندب صاحب المال أحداً منهم لشراء حاجه سارع فيها واحتاط في جودتها وتوفير كيلها او وزنها او ذرعها ووضع من أصل ثمنها شيئا وزنه عنده حتى يبيض وجهه عند صاحب المال ويعتقد نصحه وامانته ونجح مساعيه وكذلك ان ندبه لشيء يبيعه استظهر واستجاد النقد ولا يزال هكذا دأبه حتى يلقي مقاليد أموره اليه فيستعطفه ويفوز به ثم يظهر الحال الأول في الباطن فينبغي لصاحب المال ان لايغفل عنه (وأما المحترفون

(الموهمون)

الشاعر المشهور أن يترك التشيع (٤٤) وكان من كبار الشيعة ويرجح جانب السنة ويوهي أقوال الرافضة وموجب ذلك أن مهذب الدين المذكور هاجر إلى بغداد بسبب مع الشريف الموسوي نقيب الاشراف بها وكان الشريف أيضا من كبار الشيعة فلما دخل بغداد جهز الى الشريف هدية مع مملوكه بل معشوقه تتر الذي سارت الركبان بغرامه فيه فأخذ الهدية وأعجبه المملوك فأخذه فلما وصل الخبر إلى مهذب الدين بن منير أشرف على ذهاب روحه وكتب إلى الشريف وإلى تتر

عذبت طرفي بالسهر
وأذبت قلبي بالفكر
ومزجت صفو مودتي
من بعد بعدك بالكدر
ومنحت جثماني الضنا
وكحلت جفني بالسهر
وجفوت صبا ماله
عن حسن وجهك مصطبر
ياقلب ويحك كم تخا
دع بالغرور وكم تغر
والام تكلف بالأغن
من الظباء وبالأغر
ريم يفوق ان رما
ك بسهم ناظره النظر
تركتك أعين تركها
من بأسهن على خطر
ورمت فاصمت عن قسي
ى لاينا ط بها وتر
جرحتك جرحا لايخيـ
ط بالخيوط ولا الابر
تلهو وتلعب بالعقو
ل عيون أبناء الخزر
فكأنهن صوالج وكأنهن
لها أكر تخفي الهوى وتسره وخفي سرك قد ظهر

الموهمون) فهم الذين يتعرضون لذوى الأموال فيظهرون لهم الغنى والكفاية ويباسطونهم مباسطة الأصدقاء . ويعتمدون جودة اللباس ويستعملون كثيرا من الطيب ثم ان أحدهم يذكر أنه ربح الأرباح العظيمة فيما يعانيه ويذكر ذلك مع الغير ولا يزال كذلك حتى يثبت ويستقر فى ذهن صاحب المال انه يكتسب فى كل سنة الجمل الكثيرة من المال وانه لا يبالى إذا انفق أو أكل أو شرب فاشره نفس صاحب المال لذلك فيقول له على سبيل المداعبة يافلان تريد الدنيا كلها لنفسك لم تشركنا فى متاجرك هذه وأرباحك فيقول له أنت جبان يعز عليك اخراج الدينار وتظن أنك ان أظهرته خطف منك ولا تدرى أنه مثل البازى إن أرسلته أكل وأطعمك وان أمسكته لم يصد شيئا واحتجب إلى أن تطعمه وإلا مات وأنا والله لو كان عندى علم انك تنبسط لهذا كنت فعلت معك خيرا كثيرا ولكن ما كان إلا هكذا وما كان لا كلام فيه والعمل فى المستأنف فيشكره صاحب المال ويسأله أخذ المال فيمطله بتسليمه فيزداد فيه رغبة إلى ان يسلمه اليه فيكون حاله كحال المطمع إذا صار المال تحت يده (وأما المتمسون) فهو أهل الرياء المظهرون التعفف والنسك ومجانبة الحرام ومواظبة الصلاة والصيام لكى يشتهر ذكرهم عند الخاص والعام ثم يلقون ذوى الأموال بالبشر والاكرام والتلطف فى المقال ويمشون إلى أبواب الملوك على صفة التهانى بالاعياد وربما يأتى معه بأحد من الاولاد يظهرون النزاهة والغنى ويجعلون الدين سلما إلى الدنيا وأكبر أغراضهم أن تودع عندهم الاموال وتفوض اليهم الوصايا ويجعلهم العوام وتقبل شهاداتهم الحكام وتندبهم الملوك إلى الوصايا والاقوال وهؤلاء أشر من اللصوص والقطاع وذلك إن شهرة اللصوص والقطاع تدعو الى الاحتراز منهم وتشبه هؤلاء بأهل الخير يحمل الناس على الاغترار بهم قال الشاعر :

صلى وصام لأمر كان أمله ... حتى حواه فما صلى ولا صاما

وقيل لافقير لمفقر من غنى يأمن الفقر قال الشاعر .

ألم تر أن الفقر يرجى له الغنى ... وأن الغنى يخشى عليه من الفقر

وأوصى بعض الحكماء ولده فقال له يا بنى عليك بطلب العلم وجمع المال فان الناس طائفتان خاصة وعامة فالخاصة تكرمك للعلم والعامة يكرمك للمال وقال بعض الحكماء إذا افتقر الرجل اتهمه من كان به موثقا وأساء به الظن من كان ظنه حسنا ومن نزل به الفقر والفاقة لم يجد بدا من ترك الحياء ومن ذهب حياؤه ذهب بهاؤه وما من خلة هى للغنى مدح الاوهى للفقير عيب فان كان شجاعا سمى أهوج وان كان مؤثرا سمى مفسدا أن كان حليما سمى ضعيفا وان كان وقورا سمى بليدا وان كان لسنا سمى مهذارا وان كان صموتا سمى عييا قال ابن كثير

الناس أتباع من دامت له انعم ... والويل للمرء ان زلت به القدم

المال زين ومن قلت دراهمه ... حى كمن مات الا أنه صنم

لما رأيت أخلائى وخاصتى ... والكل مستتر عنى وحتشم

أبدوا احتقار وأعراضا فقلت لهم ... اذنبت ذنبا فقالوا ذنبك العدم

وكان ابن مقلة وزيرا لبعض الخلفاء فزور عنه يهودى كتابا إلى بلاد الكفار وضمنه امورا من اسرار الدولة ثم تحيل اليهودى إلى ان وصل الكتاب إلى الخليفة فوقف عليه وكان عند ابن مقلة جارية هويت هذا اليهودى فأعطته درجا بخطه فلم يزل يجتهد حتى حاكى خطه ذلك الخط الذى كان فى الدرج فرأى الخليفة الكتاب امر بقطع يد ابن مقلة وكان ذلك يوم عرفة وقد لبس خلعة العيد ومضى إلى داره وفى موكبه كل من فى الدولة فلما قطعت يده واصبح يوم العيد لم يأت احد اليه ولا توجع له ثم اتضحت القضية فى اثناء النهار للخليفة انها من جهة اليهودى والجارية فقتلهما شر

رشا تحاوله الحلوا
طران تثنى أو خطر
عذل العذول وما رآ
ه لخين عاينه عذر
قمر بزين ضوءه صـ
ـبح جبينه ليل الشعر
تدمى للواحظ خده
فيرى لها فيه أثر
هو كالهلال ملثما
والبدر حسنا ان سفر
ويلاه ما أحلاه فى
قلبى الشقى وما أمر
نومى المحرم بعده
وربيع لذاتى صفر
بالمشعرين وبالصفا
والبيت أقسم والحجر
وبمن سعى به وطا
ف ولبى واعتمر
لان الشريف الموسوى
ابن الشريف أبى مضر
أيدى الجحود ولم يرد
إلى ملوكى تتر
والبيت آل أمية الـ
طهر الميامين الغرر
وجحدت بيعة حيدر
وعدالت عنه إلى عمر
وإذا جرى ذكر الصحا
بة بين قوم واشتهر
قمت المقدم شيخ تيـ
ـم ثم صاحبة عمر
ماسل قط ظبا على آل
النبى ولا شهر كلا ولا صد
البتو
ل عن التراب ولا زجر
وأثابها الحسنى وما
شق الكتاب ولا بقر
جنح الظلام المعتكر

قتلة ثم أرسل الى ابن مقلة أموالا كثيرة وخلعا سنية وندم على فعله واعتذر اليه فكتب ابن مقلة على باب داره يقول :

تحالف الناس والزمان حيث كان الزمان كانوا ... عاداني الدهر نصف يوم

فانكشف الناس لى وبانوا ... يأيها المعرضون عنى عودوا فقد عاد لى الزمان

ثم أقام بقية عمره يكتب بيده اليسرى قال بعضهم

لأنها قوة الظهور النقود ... وبها يكمل الفتى ويسود

كم كريم أزرى به الدهر يوما ... ولئيم تسعى اليه الوفود

والأطباء يلزمون أمراضا من علاجها اللعب بالدينار وشرب الأدوية والمساليق التي يغلى فيها الذهب قال الشاعر

احرص على درهم والعين ... تسلم من العيلة والدين

فقوة العين بانسانها ... قوة الإنسان بالعين

(واعلم) أن القلب عمود البدن فاذا قوى القلب قوى سائر البدن وليس له قوة أشد من المال وبالضد إذا ضعف الفقر ضعف له البدن (حكى) أن ملكا رأى شيخا قد وثب وثبة عظيمة على نهر تخطاه والشباب يعجز عن ذلك فعجب منه فاستحضره لحادثه فى ذلك فأراه ألف دينار مربوطة على وسطه وقال لقمان لابنه يا بنى شيآن إذ أنت حفظتهما لاتبالى بما صنعت بعدهما دينك لمعادك ودرهمك لمعاشك والكلام فى هذا المعنى كثير وقد اقتصرت منه على النزر اليسير وتذكر فى الناس من يتظاهر بالغنى ويراه مروءة وفخرا (فمن ذلك) ما حكى عن أحمد بن طولون أنه دخل يوما بعض بساتينه فرأى النرجس وقد تفتح زهره فاستحسنه فدعا بغدائه فتغدى ثم دعا بشرابه فشرب فلما انتشى قال على بألف مثقال من المسك فنشره على أوراق النرجس . ولنذكر الآن نبذة من الذخاير والتحف (حكى) الرشيد بن الزبير فى كتابه الملقب بالعجائب الطرف ان أبا الوليد ذكر فى كتابه المعروف بأخبار مكة أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة عام الفتح فى سنة ثمان من الهجرة وجد فى الجب الذى كان فى الكعبة سبعين الف أوقيه من الذهب مما كان يهدى للبيت قيمتها الف الف وتسعمائة الف وتسعون الف دينار وباع زهرة التميمى يوم القادسية منطقة كان قتل صاحبها بثمانين الف دينار ولبس سلبه وقيمته خمسمائة الف وخمسون الفا وأصاب رجل يوم القادسية راية كسرى فعوض عنها ثلاثين الف دينار وكانت قيمتها الف الف دينار ومائتى الف ووجد المستوردين ربيعة يوم القادسية ابراق ذهب مرصعا بالجوهر فلم يدر أحد ماقيمته فقال رجل من الفرس أنا أخذه بعشرة آلاف دينار ولم يعرف قيمته فذهب به إلى سعد بن أبى وقاص فأعطاه اياه وقال لاتبعه إلا بعشرة آلاف دينار فباعه سعد بمائة الف دينار ولما أتت الترك الى عبد الله بن زياد ببخارى فى سنة أربع وخمسين كان مع ملكهم امرأته خاتون فلما هزمهم الله تعالى أعجلوها عن لبس خفها فلبست احدى فردتيه ونسيت الاخرى فأصابها المسلمون فقومت بمائتى الف دينار ولما فتح قتيبة بن مسلم بخارى فى سنة تسع وثمانين وجد قدور ذهب يترل اليها بسلالم . ودفع مصعب ابن الزبير حين أحس بالقتل إلى زياد مولاه فصا من ياقوت أحمر وقال له انج به وكان قد قوم ذلك الفص بألف الف درهم فأخذه زياد ورضه بين حجرين وقال والله لاينتفع به أحد بعد مصعب وذكر مصعب بن الزبير أن بعض عمال خراسان فى ولايته ظهر على كنز فوجد فيه حلة كانت لبعض الاكاسرة مصوغة من الذهب مرصعة بالدر والجوهر والياقوت الأحمر والأصفر والزبرجد فحملها الى مصعب بن الزبير فخرج من قومها فبلغها قيمتها ألفى الف دينار فقال الى من أدفعها فقيل الى

نسائه

وقرأت من أوراق مصـ
وأزور قبرهما واز
جر من لحانى أو زجر
وأقول أم المؤمنـ
ين عقوقها احدى الكبر
ركبت على جمل ليصـ
لح من بنيها فى زمر
وأتت لصلح بين جيـ
ش المسلمين على غرر
فأتى أبو حسن وسا
ل حسامه وسط وكر
وأذاق اخوته الردى
وبغير أمنهم عقر
ماضره لو كان كف
وعف عنهم اذ قدر
وأقول ان امامكم
ولى بصفين وفر
وأقول أن أخطأ معا
وية فما إخطا القدر
هذا ولم يغدر معا
وية ولا عمرو ومكر
بطل بسوأته يقا
تل لا يصارمه الذكر
وجنيت من رطب النوا
صب ما انتصر واختصر
أقول ذنب الخارج
ين على على مغتفر
لاثائر اقتالهم
فى النهر وان ولا اثر
والأشعر بما يقو
ل اليه أمرهما شعر
قال انصبوا لى منبرا
فأنا البرىء من الخطر
فعلا وقال خلعت صا
حبكم واوجز واختصر
واقول ان يزيد ما
شرب الخمور ولا فجر
والجيشه بالكف
عن ابناء طيبة أمر

نسائك وأهلك فقال لا بل إلى رجل قدم عندنا يدا وأولانا جميلا أدع لى عبد الله بن أبى دريد فدفعها اليه (ولما) صار موجود عماد الدولة فى قبضة أمير الجيوش وجد فى جملته دملج ذهب فيه جوهرة حمراء كالبيضة وزنها سبعة عشر مثقالا فانفذها أمير الجيوش إلى المستنصر فقومت بتسعين ألف دينار ووجد فى بستان العباس بن الحسن الوزير مما أعده من آلة الشرب يوم قتل سبعمائة صينية من ذهب وفضة ووجد له مائة ألف مثقال عنبر وترك هشام بن عبد الملك بعد موته اثنى عشر ألف قميص وشى وعشرة آلاف تكة حرير وحملت كسوته لما حج على سبعمائة جمل وترك بعد وفاته أحد عشر ألف دينار ولم تأت دولة بنى العباس الا وجميع أولاده فقراء لا مال لواحد منهم وبين الدولة العباسية ووفاة هشام سبع سنين (ولما) قتل الافضل بن أمير الجيوش فى شهر رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة خلف بعده مائة ألف ألف دينار ومن الدراهم مائة وخمسين أردبا وخمسة وسبعين ألف ثوب ديباج ودواة من الذهب قوم ماعليها من الجواهر واليواقيت بمائتى ألف دينار وعشرة بيوت فى كل بيت منها مسمار ذهب قيمته مائة دينار على كل مسمار عمامة لونا وخلف كعبة عنبر يجعل عليه ثيابه إذا نزعها وخلف عشرة صناديق مملوءة من الجوهر الفائق الذى لا يوجد مثله وخلف خمسمائة صندوق كبار لكسوة حشمه وخلف من الزبادى الصينى والبلور المحكم وسق مائة جمل وخلف عشرة آلاف ملعقة فضة وثلاثة آلاف ملعقة ذهب وعشرة آلاف زبدية فضة كبار وصغار وأربع قدور ذهبا كل قدر وزنها مائة رطل وسبعمائة جام ذهبا بفصوص زمرد وألف خريطة مملوءة دراهم خارجا عن الأرادب فى كل خريطة عشرة آلاف درهم وخلف من الخدم والرقيق والخيل والبغال والجمال وحلى النساء مالا يحصى عدده إلا الله تعالى وخلف ألف حسكة ذهبا وألفى حسكة فضة وثلاثة آلاف ترجسة ذهبا وخمسة آلاف ترجسة فضة وألف صورة فضة منقوشة عمل المغرب وثلثمائة تور ذهبا وأربعة آلاف تور فضة وخلف من البسط الرومية والاندلسية ماملأ به خزائن الايوان وداخل قصر الزمرد وخلف من البقر والجاموس والاغنام ما يباع لبنه فى كل سنة بثلاثين ألف دينار وخلف من الحواصل المملوءة من الحبوب مالا يحصى (ولما) احتوى الناصر على ذخائر قصر العاضد وجد فيه طبلا كان بالقرب من موضع العاضد محتفظا به فلما رأوه سخروا منه فضرب عليه انسان فضرط فضحكوا منه ثم أمسكه آخر وضرب به فضرط فضحكوا عليه فكسروه استهزاء وسخرية ولم يدروا خاصيته وكانت الفائدة فيه انه وضع للقولنج فلما أخبروا بخاصيته ندموا على كسره ، وقد جمعت الملوك من الاموال والذخائر والتحف كنوزا لا تحصى وبعد ذلك ماتوا ونفدت ذخائرهم وفنيت أموالهم فسبحان من يدوم ملكه وبقاؤه قال بعضهم

هب الدنيا تقاد اليك عفوا ... أليس مصير ذلك للزوال

(فضمنت أنا هذا البيت وقلت)

أيا من عاش فى الدنيا طويلا ... وأفنى العمر فى قيل وقال
وأتعب نفسه فيما سيفنى ... وجمع من حرام أو حلال
هب الدنيا تقاد اليك عفوا ... أليس مصير ذلك للزوال

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثانى والخمسون فى ذكر الفقر ومدحه)

قد دل قوله تعالى كلا ان الإنسان ليطغى أن رآه استغنى على ذم الغنى ان كان سبب الطغيان وسئل أبو حنيفة رحمه الله تعالى عن الغنى والفقر فقال وهل طغى من طغى من خلق الله عز وجل الا بالغنى

ونويت صوم نهاره
وصيام أيام أخر
ولبست فيه أجل ثو
ب الملابس يدخر
وسهرت فى طبخ الحبو
ب من العشاء إلى السحر
وغدوت مكتحلا أصا
فح من لقيت من البشر
ووقفت فى وسط الطريق
أقص شارب من عبر
وأكلت جرجير البقو
ل بلحم جونى الجفر
وجعلتها خير المآ
كل والفواكه والخضر
وغسلت رجلى كلها
ومسحت خفى فى السفر
وأمين أجهر فى الصلاة
من بها قبلى جهر
وأسن تسنيم القبو
ر لكل قبر يحتفر
وإذا جرى ذكر الغدير
سكنت خلق وافتدي
ت بهم وان كانوا بقر
وأقول مثل مقالهم
بالفاشر ياقذفشر
مصطيحتى مكسورة
وقطيرتى فيها قصر
بقرتى برئيسهم
طيش الظليم إذا نفر
وخفيفهم مستثقل
وصواب قولهم هذر
وطباعهم كجبالهم
خشن وقدت من حجر
مايدرك للتشبيب تغر
يد البلابل فى السحر

هذا الشريف أضلني بعد الهداية والنظر مالي مقبل فى الورى إلا الشريف أبو مضر

وتلا هذه الآية المتقدمة والمحققون يرون الغنى والفقر من قبل النفس لا فى المال وكان الصحابة رضى الله تعالى عنهم يرون الفقر فضيلة وحدث الحسن رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الاغنياء بأربعين عاما فقال جليس للحسن أمن الأغنياء أنا أم من الفقراء فقال هل تغديت اليوم قال نعم قال فهل عندك ما تتعشى به قال نعم قال فاذاً أنت من الاغنياء وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان النبي ﷺ يبيت طاويا الليالي ماله ولا لأهله عشاء. وكان عامة طعامه الشعير وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع وكان ﷺ خبز الشعير غير منخول هذا وقد عرضت عليه مفاتيح كنوز الأرض فأبى أن يقبلها صلوات الله وسلامه عليه وكان يقول اللهم توفنى فقيرا ولا تتوفنى غنيا واحشرنى فى زمرة المساكين وقال جابر رضى الله تعالى عنه دخل النبي ﷺ على ابنته فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها وهى تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الابل فبكى وقال تجرعى يا فاطمة مرارة الدنيا لنعيم الآخرة ٥ قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال ﷺ الفقر موهبة من مواهب الآخرة وهبها الله تعالى لمن اختاره ولا يختاره إلا أولياء الله تعالى وفى الخبر إذا كان يوم القيامة يقول الله عز وجل للملائكته ادنوا إلى أحبائى فتقول الملائكة ومن أحباؤك يا إله العالمين فيقول فقراء المؤمنين أحبائى فيدنونهم منه فيقول يا عبادى الصالحين انى ما زويت الدنيا عنكم لهوانكم على ولكن لكرامتكم تمتعوا بالنظر إلى وتمنوا ما شئتم فيقولون وعزتك وجلالك لقد أحسنت الينا بما زويت عنا منها لقد أحسنت بما صرفت عنا بأمرهم فيكرمون ويحبرون ويزفون إلى أعلى مراتب الجنان وقال ﷺ هل تنصرون إلا بفقرائكم وضعفائكم والذى نفسى بيده ليدخلن فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام والأغنياء يحاسبون على زكاتهم وقال عليه الصلاة والسلام رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله تعالى لأبره أى لو قال اللهم انى أسألك الجنة لأعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وقال عليه الصلاة والسلام ان أهل الجنة كل أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه به الذين إذا استأذنوا على الامير لا يؤذن لهم وان خطبوا النساء لم ينكحوا وإذا قالوا لم ينصت لهم حوائج أحدهم تتلجلج فى صدره لو قسم نوره على الناس يوم القيامة لوسعهم . وروى عن خالد بن عبد العزيز أنه قال كان حيوة بن شريح من البكائين وكان ضيق الحال جدا فجلست اليه ذات يوم وهو جالس وحده يدعو فقلت له يرحمك الله لو دعوت الله تعالى ليوسع عليك فى معيشتك قال فالتفت يمينا وشمالا فلم ير أحدا فأخذ حصاة من الأرض وقال اللهم اجعلها ذهبا فاذا هى تبرة فى كفه ما رأيت أحسن منها قال فرمى بها إلى وقال هو أعلم بما يصلح عباده فقلت ما أصنع بهذه قال أنفقها على عيالك فهبته والله ان أردها عليه وقال عون بن عبد الله صحبت الأغنياء فلم أجد فيهم أحدا أكثر منى هما لانى كنت أرى ثيابا احسن من ثيابى ودابة احسن من دابتى ثم صحبت الفقراء بعد ذلك فاسترحت قال بعضهم

وقد يهلك الإنسان كثرة ماله ... كما يذبح الطاوس من أجل ريشه

(وقال عبد الله بن طاهر)

ألم تر ان الدهر يهدم ما بنى ... ويأخذ ما أعطى ويفسد ما سدى

فمن سره أن لا يرى ما يسوءه ... فلا يتخذ شيئا يخاف به فقدا

وكان من دعاء السلف رضى الله تعالى عنهم اللهم انى أعوذ بك من ذل الفقر وبطر الغنى وقيل مكتوب على باب مدينة الرقة ويل لمن جمع المال من غير حقه وويل لمن ورثه لمن لا يحمده وقدم على من لا يعذره (ولما) فتحت بلخ فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه وجد على بابها صخرة مكتوب

فيقال خذ بعيد الشرع ... فب فستقر كما سقر

لواحه تسطو فما ... تبقى عليه ولا تذر

والله يغفر للمسيء ... إذا تنصل واعتذر

فاحش الإله بسوء فعلك ... واحتذر كل الحذر

والبكما بدوية ٥ رقت ... لرقتها الحضر

شامية لو شامها ... قس الفصاحة لا فتخر

وردى وأيقن انني بحر ... وألفاظي درر

حبرتها فغدت كزهر ... الروض باكره المطر

والى الشريف بعثتها ... لما قرأها وانبهر

رد الغلام وما استمر ... على الجحود ولا أصر

وأثابني وجزيته ... شكرا وقال لقد صبر

(ومن لطائف المنقول) ما نقله الشيخ الإمام العالم العلامة الحبر زين الدين أبو حفص عمر بن الوردى رحمه الله تعالى لما دخل دمشق المحروسة فى أيام قاضي القضاة نجم الدين بن صصري ورضوانه فأجلسه فى حلقة الشهود المعروفة بالشباك وكان الشيخ زين الدين يلبس زى أهل المعرة فاحتزراه الشهود فحضر كتابة مشترى فقال بعضهم أعطوا المعرى يكتبه فقال الشيخ زين الدين

فيها إنما يتبين الفقير من الغني بعد الانصراف من بين يدى الله تعالى أى بعد العرض قال الشاعر

ومن يطلب إلا على من العيش لم يزل حزينا على الدنيا رهين غبونها
إذا شئت أن تحيا سعيدا فلا تكن على حالة إلا رضيت بدونها

(وقال آخر) ولا ترهبن الفقر ماعشت فى غد لكل غد رزق من الله وارد

(قال هرون بن جعفر الطالبى)

بوعدت همتى وقورب مالى فقعالى مقصر عن مقالى ما اكتسى الناس مثل ثوب اقتناع
وهو من بين ما اكتسوا سربالى ولقد تعلم الحوادث أنى ذو اصطبار على صروف الليالى

وقال اعرابى من ولد فى الفقر أبطره الغنى ومن ولد فى الغنى لم يزده إلا تواضعا فا أحسن الفقير وأكثر ثوابه وأعظم أجر من رضى به وصبر عليه اللهم اجعلنا من الصابرين برحمتك يا أرحم الراحمين يارب العالمين وصلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(الباب الثالث والخمسون فى التلطف فى السؤال وذكر من سئل فجاد)

(روى) الإمام مالك فى الموطأ عن زيد بن أسلم رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال أعطوا السائل ولو جاء على فرس وما سئل عليه السلام شيئا قط فقال لا وأتى اعرابى على على رضى الله تعالى عنه فسأله شيئا فقال والله ما أصبح فى بيتى شىء فضل عن قوتى فولى الاعرابى وهو يقول والله ليسألنك الله عن موقفى بين يديك يوم القيامة فبكى على رضى الله تعالى عنه بكاء شديدا وأمر برده وقال ياقنبر ائتنى بدرعى الفلانية فدفعها إلى الاعرابى وقال لاتخدعن عنها فطالما كشفت بها الكروب عن وجه رسول الله ﷺ فقال قنبر يا أمير المؤمنين كان يجزيه عشرون درهما فقال ياقنبر والله مايسرنى ان لى زنة الدنيا ذهبا وفضة فتصدقت به وقبل الله منى ذلك وانه يسألنى عن موقف هذا بين يدى وقال على رضى الله تعالى عنه ان لكل شىء ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وقال مسلمة لنصيب سلنى فقال كفك بالعطية أبسط من لسانى بالمسئلة فقال لحاجبه لدفع اليه الف دينار ، وسأل رجل الحسن رضى الله تعالى عنه فقال لهماوسيلتك قال وسيلتى انى أتيتك عام أول فبررتنى فقال مرحبا بمن توسل الينا بنا ثم وصله وأكرمه ويقال الكريم إذا سئل ارتاح واللئيم إذا سئل ارتاع (ولما) وفد المهدى من الرى إلى العراق امتدحه الشعراء فقال أبو دلامة

انى نذرت لئن رأيتك قادما أرض العراق وأنت ذو وفر
لتصلين على النبى محمد ولتملأن دراهما حجرى

فقال المهدى صلى الله على محمد فقال ابو دلامة ما أسرعك للأولى وأبطأك عن الثانية فضحك وأمر ببدرة فصبت فى حجره ، وسمع الرشيد أعرابية بمكة تقول

طحنتنا كلا كل الاعوام وبرتنا طوارق الايام فأتينا كو نمد أكفا
لالتقام من زادكم والطعام فاطلبوا الاجر والمثوبة فينا أيها الزائرون بيت حرام

فبكى الرشيد وقال لمن معه بسألتكم بالله تعالى الامادفعتم اليها صدقتكم فألقوا عليها الثياب حتى وارتها كثرة وملؤا حجرها دراهم ودنانير ، وسأل اعرابى بمكة وأحسن فى سؤاله فقال أخ فى الله وجار فى بلد الله وطالب خير من عند الله فهل من أخ يواسينى فى الله قال الشاعر

ليس فى كل وهلة وأوان تتهيا صنائع الإحسان
فاذا أمكنت فبادر اليها حذرا من تعذر الامكان

وقال البصرى أضحت حوائجنا اليك مناخة معقولة برحابك الوصال

محمد بن يونس بن سنقرا من مالك بن أحمد بن الازرق كلاهما قد عرف من خاق فباعه قطعة أرض واقعه بكوره الغوطة وهى جامعة لشجر مختلف الاجناس والأرض فى البيع مع الغراس وذرع هذى الأرض بالذراع عشرون فى الطول بلا نزاع وذرعها فى العرض أيضا عشرة ، وهى ذراع باليد المعتبره وحدها من قبلة ملك التقى وجائز الرومى حد المشرق ومن شمال ملك أولاد على والغرب ملك عامل برجبيل وهذه تعرف من قديم بأنها قطعة بيت الرومى بيعا صحيحا لازما شرعيا ثم شراء قاطعا مرعيا بثمن مبلغه من فضه وازنة جيدة مبيضه جارية للناس فى المعاملة الفان منها النصف الف كامله قبضها البائع منه وافيه فعادت الذمة منه خاليه وسلم الأرض إلى من اشترى فقبض القطعة منه وجرى بينهما بالبدن التفرق طوعا فما لأحد تعلق ثم ضمان الدرك المشهور فيه على بائعه المذكور وأشهد عليهما بذاك فى رابع عشر رمضان الاشرف من بعد خمس تلوها الهجره والحمد لله وصلى ربى

على النبى وآله والصحب يشهد بالمضمون من هذا عمر ابن المظفر المعرى إذا حضر فلما فرغ الشيخ

أطلق فديتك بالنجاح عقالها ٭ حتى تثور بنا بغير عقال

وعن علي رضي الله تعالى عنه قال ياكميل مر أهلك أن يروحوا في كسب المكارم ويدلجوا في حاجة من هو نائم فوالذى وسع سمعه الأصوات مامن أحد أودع قلبا سرورا الاخلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فإذا نابته نائبة جرى اليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقال لجابر بن عبد الله يا جابر من كثرت نعم الله تعالى عليه كثرت حوائج الناس اليه فإذا قام بما يجب لله فيها فقد عرضها للدوام والبقاء ومن لم يقم بما يجب لله فيها عرض نعمه لزوالها وكان لبيد رحمه الله تعالى آلى على نفسه كلما هبت الصبا أن ينحر ويطعم وربما ذبح العناق إذا ضاق الخناق فخطب الوليد بن عتبة يوما فقال قد علمت ماجعل أبو عقيل على نفسه فأعينوه على مروءته ثم بعث اليه بخمس من الابل وبهذه الابيات .

أرى الجزار يشحذ مديتيه ٭ إذا هبت رياح بنى عقيل
طويل الباع أبلج جعفرى ٭ كريم الجد كالسيف الصقيل
وفى ابن الجعفرى بما نواه ٭ على العلات بالمال القليل

فدعا لبيد بنتاله خماسية وقال يا بنية إنى تركت قول الشعر فأجيبي الامير عنى فقالت .

إذا هبت رياح بنى عقيل ٭ تداعينا لهبتها الوليدا
طويل الباع أبلج عبشمى ٭ أعان على مروءة لبيد
بأمثال الهضاب كان ركبا ٭ عليها من بنى حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيرا ٭ نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعد أن الكريم له معاد ٭ وظنى في ابن عتبة أن يعودا

فقال لقد أحسنت والله يابنية لولا أنك سألت وقلت عد فقال ياأبت ان الملوك لايستحيا منهم فى المسئلة فقال والله لأنت فى هذا أشعر منى ، ووفد رجل من بنى ضبة على عبد الملك فأنشده

والله ماندرى إذا مافاتنا ٭ طلب اليك من الذى نتطلب
ولقد ضربنا فى البلاد فلم نجد ٭ أحدا سواك إلى المكارم ينسب
فاصبر لعادتك التى عودتنا ٭ أولا فأرشدنا إلى من نذهب

فأمر له بألف دينار فعاد اليه من قابل وقال ياأمير المؤمنين ان الرّوى لينازعنى وان الحياء يمنعنى فأمر له بألف دينار وقال والله لوقلت حتى تنفد بيوت الاموال لأعطيتك ٭ وقيل ان رجلا عرض للمنصور فسأله حاجة فلم يقضها فعرض له بعد ذلك فقال له المنصور أليس قد كلمتنى مرة قبل هذه قال نعم ياأمير المؤمنين ولكن بعض الاوقات أسعد من بعض وبعض البقاع أعز من بعض فقال صدقت وقضى حاجته وأحسن اليه ٭ وروى أن أبادلامة مشاعر كان واقفا بين يدى السفاح فى بعض الايام فقال له سلنى حاجتك فقال كلب صيد فقال اعطوه اياه فقال ودابة أصيد عليها فقال أعطوه دابة فقال وغلاما يقود الكلب ويصد به قال اعطوه غلاما قال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه قال أعطوه جارية فقال هؤلاء ياأمير المؤمنين عيال ولابدلهم من دار يسكنونها قال أعطوه دارا تجمعهم قال فان لم يكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون قال قد أقطعته عشر ضياع عامرة وعشر ضياع غامرة فقال ما الغامرة ياأمير المؤمنين قال مالا نبات فيها قال قد أقطعتك ياأمير المؤمنين مائة ضيعة عامرة من فيافى بنى أسد فضحك وقال اجعلوا كلها عامرة فانظر إلى حذقه بالمسئلة ولطفه فيها كيف ابتدأ بكلب صيد فسهل القضية وجعل يأتى بمسئلة بعد مسئلة على ترتيب وفكاهة حتى سأل ماسأله ولو سأل ذلك بديهة لما وصل اليه (وحكى) عن المأمون أنه قال ليحيي بن أكثم يوما سربنا نتفرج فسار فبينما هما فى الطريق وإذا بعقصبة خرج منها رجل بقصبة

وأجلسوه فى الصدر ولكنهم عجزوا عن رسم الشهادة نظما وسألوه ذلك فكتب عن شخص منهم إلى جانبه يدعى ابن رسول .

قدحضر العقد لذاك أحمد ابن ر ول وبذاك يشهد

(تحفة من فوائد كتاب الانشاء) قال عبد الحميد كاتب مروان آخر ملوك بنى أمية لوكان الوحى ينزل على أحد بعد الأنبياء لنزل على كتاب الانشاء وقال البلاغة هى مارضيته الخاصة وفهمته العامة ومن كلامه خير الكلام ماكان لفظه فحلا ومعناه بكرا (اسمعيل بن صبيح كاتب الرشيد) كتب إلى يحيى بن خالد فى شكر ماتقدم من إحسانك شاغل عن استبطاء ماتأخر منه جمع من الشكر والاستزادة بأبلغ عبارة وأوجز (عمر بن مسعدة كاتب المأمون) كتب اليه كتابى هذا وأجناد أمير المؤمنين على أحسن مانكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم فقال المأمون لاحمد بن يوسف لله در عمرو ماأبلغه ألاترى إلى ادماجه المسئلة فى الاخبار واعفائه من الاكثار (إبراهيم الصولى كاتب المعتصم والواثق والمتوكل) كان يقول التصفح للكتاب أبصر بمواقع الخلل من

للمأمون يتظلم له فنفرت دابته فألقته على الأرض صريعا فأمر بضرب ذلك الرجل فقال يا أمير المؤمنين ان المضطر يرتكب الصعب من الأمور وهو عالم به ويتجاوز حد الأدب وهو كاره لتجاوزه ولو أحسنت الأيام مطالبتي لأحسنت مطالبتك ولانت على رد مالم تفعل أقدر من رد ما قد فعلت قال فبكى المأمون وقال بالله أعد على ما قلت فأعاده فالتفت المأمون الى يحيى بن أكثم وقال أما تنظر إلى مخاطبة هذا الرجل بأصغريه والنبي ﷺ يقول المرء بأصغريه قلبه ولسانه والله لا وقفت لك الا وأنا قائم على قدمي فوقف وأمر له بصلة جزيلة واعتذر اليه فلما هم المأمون بالانصراف قال الرجل يا أمير المؤمنين بيتان قد حضراني ثم أنشد يقول

ما جاد بالوفر الا وهو معتذر ... ولا عفا قط الا وهو مقتدر
وكلما قصدوه زاد نائلة ... كالنار يؤخذ منها وهي تستعر

(وقيل) ان بعض الحكماء لزم باب كسرى في حاجة دهرا فلم يوصل اليه فكتب أربعة أسطر في ورقة ودفعها للحاجب فكان في السطر الأول العديم لايكون معه صبر على المطالبة وفي السطر الثاني الضرورة والامل أقدماني عليك وفي السطر الثالث الانصراف من غير فائدة شماتة الاعداء وفي السطر الرابع أما نعم فمثمرة وأما لا فمريحة فلما قرأها كسرى دفع له في كل سطر الف دينار (وحكى) أن رجلا كان جارا لابن عبيد الله فأصاب الناس قحط بالعراق حتى رحل أكثر الناس عنه فعزم جار ابن عبيد الله على الخروج من البلاد في طلب المعيشة وكانت له زوجة لا نقدر على السفر فلما رأت زوجها تهيأ للسفر قالت له اذا سافرت من ينفق علينا قال ان لي على ابن عبيد الله دينا ومعي به اشتهاد عليه شرعي فخذي الاشهاد وقدميه اليه فاذا قرأه أنفق عليك مما عنده حتى أحضر ثم ناولها رقعة كتب فيها هذه الابيات يقول

قالت وقد رأت الاحمال محدجة ... والبين قد جمع المشكو والشاكي
من لي اذا غبت في ذا المحل قلت لها ... الله وابن عبيد الله مولاكي

فمضت اليه المرأة وحكت له ماقال زوجها وأخبرته بسفره وناولته الرقعة فقرأها وقال صدق زوجك وما زال ينفق عليها ويواصلها بالبر والاحسان الى أن قدم زوجها فشكره على فضله واحسانه (وحكى) أن مطيع بن اقاس مدح معن بن زائدة بقصيدة حسنة ثم أنشدها بين يديه فلما فرغ من انشاده وأراد معن أن يباسطه فقال يا مطيع ان شئت أعطيناك وان شئت مدحناك كما مدحتنا فاستحيا مطيع من اختيار الثواب وكره اختيار المدح وهو محتاج فلما خرج من عند معن أرسل اليه بهذه البيتين

ثناء من أمير خير كسب ... لصاحبه نعمة وأخي ثراء
ولكن الزمان يرى عظامي ... ومالي كالدراهم من دواء

فلما قرأها معن ضحك وقال ما مثل الدراهم من دواء وأمر له بصلة جزيلة ومال كثير قال الشاعر

هززتك لا اني جهلتك ناسيا ... لامري ولا اني أردت التقاضيا
ولكن رأيت السيف من بعد سله ... الى الهز محتاجا وان كان ماضيا

(وقال آخر) ماذا أقول اذا رجعت وقيل لي ... ماذا لقيت من الجواد الافضل
ان قلت أعطاني كذبت وان أقل ... بخل الجواد بماله لم يجمل
فاختر لنفسك ما أقول فانني ... لابد أخبرهم وان لم أسئل

(وقال آخر) لنوائب الدنيا خبأتك فانتبه ... يا نائما من جملة النوام
أعلى الصراط تزيل لوعة كربتي ... أم في المعاد تجود بالانعام

(ومما يستحسن الحاقه بهذا الباب ذكر شيء مما جاء في ذم السؤال والنهي عنه) روى عن

إلى بعض الخارجين يتهددهم ويتوعدهم أما بعد فان لأمير المؤمنين أناة فان لم تغن عقب بعدها وعيدا فان لم يغن أغنت عزائمه والسلام وهذا الكلام وجازنه في غاية الابداع وينشأ منه بيت شعر وهو

أناة فان نغن عقب بعدها ... وعيدا فان لم يغن أغنت عزائمه

(وكان) يقول ما اتكلت في مكاتبتي الا على ما يتخيله خاطري ويجلس في صدري الا قولي وصار ما يحرزهم يبرزهم وما كان يعقلهم يعتقلهم وقولي من أخرى فأنزلوه من معقل إلى عقال وبدلوه آجالا من آمال فاني ألممته بقول آجالا من آمالي بقول مسلم بن الوليد الانصاري المعروف بصريع الغواني

موف على مهج في يوم ذي وهج ... كأنه أجل يسعى إلى أمل

(وفي المعقل والعقال يقول أبي تمام)

فان باشر الاصحى فبالبيض والقنا ... قراه وأحواض المنايا مناهله
وان تبن حيطانا عليه فانما ... أولئك عقالاته لا معاقله
والا فاعلمه بأنك ساخط ... عليك فان الخوف لاشك قاتله

(ومن رفيق شعره حين

عبد الرحمن بن عوف بن مالك الاشجعي رضي الله تعالى عنه كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله ﷺ فبسطنا أيدينا وكنا حديثي عهد بالمبايعة فقلنا قد بايعناك يارسول الله فعلام يارسول الله نبايعك قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وتقيموا الصلوات الخمس وتطيعوا الله وأسر كلمة خفية وهي ولا تسألوا الناس شيئا فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا ويتناوله اياه رواه مسلم * وقال رجل لابنه اياك أن تريق ماء وجهك عند من لا ماء في وجهه وكان لقمان يقول لولده يابني اياك والسؤال فانه يذهب ماء الحياء من الوجه وأعظم من هذا استخفاف الناس بك وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام لأن تدخل يدك في فم التنين إلى المرفق خير لك من أن تبسطها إلى غني قد نشأ في الفقر * وقيل لاعرابي ما السقم الذي لا يبرأ والجرح الذي لا يندمل قال حاجة الكريم إلى اللئيم وقال أبو علي السعدي

إذا مارماك الدهر في الضيق فانتجع ... قديم الغنى في الناس انك حامده
ولا تطلبن الخير ممن أفاده ... حديثا ومن لا يورث المجد والده

وقال رسول الله ﷺ مسئلة الناس من الفواحش ماأحل من الفواحش غيرها وقال عليه الصلاة والسلام لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلا فيسأله أعطاه أو منعه

قال الشاعر: ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله ... عوضا ولو نال الغنى بسؤال
وإذا السؤال مع النوال وزنته ... رجح السؤال وخف كل نوال

وقال أحمد الانباري: لموت الفتى خير من البخل للغنى ... وللبخل خير من سؤال بخيل
لعمرك ما شيء لوجهك قيمة ... فلا تلق إنسانا بوجه ذليل

وقال سلم الخاسر: إذا أذن الله في حاجة ... أتاك النجاح على رسله
فلا تسأل الناس من فضله ... ولكن سل الله من فضله

ويقال أحب الناس إلى الله من سأله وأبغض الناس إلى الناس من احتاج اليهم وسألهم وفي هذا المعنى قيل

لا تسألن بني آدم حاجة ... وسل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب ان تركت سؤاله ... وبني آدم حين يسئل يغضب

وقال محمود الوراق: شاد الملوك قصورهم وتحصنوا ... من كل طالب حاجة أو راغب
فارغب إلى ملك الملوك ولا تكن ... ياذا الضراعة طالبا من طالب

وقال ابن دقيق العيد: وقائلة مات الكرام فمن لنا ... إذا عضنا الدهر الشديد بنابه
فقلت لها من كان غاية قصده ... سؤالا لمخلوق فليس بنابه
إذا مات من يرجى فمقصودنا الذي ... ترجيه باق فلوذي ببابه

وقال بعض أهل الفضل: لما افتقرت اصحبي ماوجدتهو ... لجأت لله لباني أغناني
واها على بذل وجهي للورى سفها ... فلو بذلت إلى مولاي والاني

وسأل رجل رجلا حاجة فلم يقضها فقال سألت فلانا حاجة قل من قيمته فردني ردا أقبح من خلقته وسأل عروة مصعبا حاجة فلم يقضها فقال علم الله تعالى ان لكل قوم شيخا يفزعون اليه وأنا أفزع منك ويقال لا شيء أوجع للاخيار من الوقوف بباب الأشرار وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى

بلوت بني الدنيا فلم أر فيهم ... سوى من غدا والبخل ملء اهابه
فجردت من غمد القناعة صارما ... قطعت رجائي منهم بذبابه
فلا ذا يراني واقفا في طريقه ... ولا ذا يراني قاعدا عند بابه
غني بلا مال عن الناس كلهم ... وليس الغنى إلا عن الشيء لا به
إذا ظالم يستحسن الظلم مذهبا

أتراه يكون شهر صدود ... وعلى وجهه رأيت الهلالا
فطرب المتوكل واهتز وخلع عليه (ومن رقيق شعره أيضا قوله)

دنت بأناس عن تناء زيارة ... وشط بليلى عن دنو مزارها
وان مقيمات بمنعرج اللوى ... لأقرب من ليلى وهاتيك دارها

(الحسن بن وهب سئل عن مبيته فقال) شربت البارحة على عقد الثريا ونطاق الجوزاء فلما تنبه الصبح نمت فلم أستيقظ الا بلبس قميص الصبح (بديع الزمان الهمداني) الحمد لله الذي بيض القار وسماه الوقار وعسى الله أن يغسل الفؤاد كما غسل السواد (ومن انشائه البديع) قد يوحش اللفظ وكله ود ويكره الشيء وليس منه هذه العرب تقول لا أبا لك ولا يقصدون الذم وويل امه لأمر إذا هم وسبيل ذوي الالباب في الدخول من هذا الباب أن ينظروا في القول إلى قائله فان كان وليا فهو للولاء وان خشن وان كان عدوا فهو للبلاء وان حسن (ومن انشاء أبي القاسم علي بن الحسن المعروف بالمغربي) وصلت الرقعة فاستجفيت النسيم بالاضافة إلى لطافتها واستثقلت عقود اللؤلؤ بالقياس إلى خفة موقعها (ومن بديع انشائه) وغرقت في هواجس الفكر ووساوس الذكر حتى نسيتكم من شدة التذكر أو لقيتكم من حدة التصور والله تعالى أسأل وجل

وبح عتوا في قبيح اكتسابه ... فكله الى صرف الليالي فانها ... ستبدى له مالم يكن في حسابه
فكم قد رأينا ظالما متمردا ... يرى النجم تيها تحت ظل ركابه ... فعما قليل وهو في غفلاته
أناخت صروف الحادثات ببابه ... فأصبح لا مال ولا جاه يرتجى ... ولا حسنات تلتقى في كتابه
وجوزى بالامر الذى كان فاعلا ... وصب عليه الله صوب عذابه

(وقال آخر) لا تسألن الى صديق حاجة ... فيحول عنك كما الزمان يحول
واستغن بالشئ القليل فإنه ... ماصان عرضك ما يقال قليل ... من عف خف على الصديق لقاؤه
وأخو الحوائج وجهه مملول ... وأخوك من وفرت ما في كفه ... ومتى علقت به فأنت ثقيل

(وقال آخر) ليس جودا أعطيته بسؤال ... قد يهز السؤال غير جواد
انما الجود ما أتاك ابتداء ... لم تذق فيه ذلة الترداد

(وقال آخر) لا تحسبن الموت موت البلى ... أنما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا ... أخف من ذاك لذل السؤال

(وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه)

قنعت بالقوت من زماني ه وصنت نفسي عن الهوان ه خوفا من الناس أن يقولوا
فضل فلان على فلان ه من كنت عن ماله غنيا ه فلا أبالى إذا جفاني
ومن رآني بعين نقص ه رأيته بالتى رآني ومن رآني بعين تم ه رأيته كامل المعاني

والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والخمسون في ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك)

قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أوردوها فسرها بعضهم بالهدية وقال ﷺ تهادوا تحابوا فانها تجلب المحبة وتذهب الشحناء وقال ﷺ الهدية مشتركة وقال ﷺ من سألكم بالله فأعطوه ومن استعاذكم فأعيذوه ومن أهدى اليكم كراعا فاقبلوه وكان ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها ماهو خير منها ه وفي الأثر الهدية تجلب المودة إلى القلب والسمع والبصر ه ومن الامثال إذا قدمت من سفر فأهد لأهلك ولو حجرا وقال الفضل بن سهل ما استرضى الغضبان ولا استعطف السلطان ولا سلبت السخائم ولا دفعت المغارم ولا استميل المحبوب ولا توقى المحذور بمثل الهدية وأتى فتح الموصلى بهدية وهى خمسون دينارا فقال حدثنا عطاء عن النبي ﷺ انه قال من آتاه الله رزقا من غير مسئلة ورده فكأنما رده على الله تعالى وأهدى رسول الله ﷺ هدية إلى عمر فردها فقال يا عمر لم رددت هديتى فقال عمر رضي الله تعالى عنه انى سمعتك تقول خيركم من لم يقبل شيئا من الناس فقال يا عمر انما ذاك ما كان عن ظهر مسئلة فأما اذا أتاك من غير مسئلة فانما هو رزق ساقه الله اليك وقالت أم حكيم الخزاعية سمعت رسول الله ﷺ يقول تهادوا فانه يضاعف الحب ويذهب بغوائل الصدر ويقال في نشر المهادة طى المعادة

(ذكر أنواع الهدايا للخلفاء وغيرهم بمن قصرت به قدرته فاهدى اليسير وكتب معه مكاتبة يعتذر بها)

أهدى إلى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ثمانية أشياء متباينة في يوم واحد فيلة من ملك الهند وجارية من ملك الترك وفرس من ملك العرب وجوهرة من ملك الصين وإستبرق من ملك الروم ودرة من ملك البحر وجرادة من ملك النمل وذرة من ملك البعوض فتأمل ذلك وقل سبحان القادر على جميع الاضداد وأهدى ملك الروم إلى المأمون هدية فقال المأمون أهدوا له ما يكون ضعفها مائة امرة ليعلم عز الاسلام ونعمة الله تعالى علينا ففعلوا ذلك فلما عزموا على حملها قال ما أعز الاشياء

لان يسقط أنيننا في تشاكى لم الفراق أسناد القلم بمشافهة للفم أبو الحسن بن بسام (٥٣) من انشائه عارض اذا همع استوشلت البحار ونجم اذا طلع تضاءلت الشموس والاقمار وسابق لا يمسح وجهه الا هيدب الغيوم وصارم لا يخلى غمده الا بافراد النجوم ضياء الدين بن الاثير الجزرى) ودولته هى الضاحكة وان كان نسبها إلى العباس وهى خير دولة أخرجت للدهر ورعاياها خير أمة أخرجت للناس ولم يجعل شعارها من لون الشباب الا تفاؤلا بأنها لا تهرم وانها لا تزال محبوة من أبكار السعادة بالوصل الذى لا يصرم (وله في القلم) فهو المقلب الجواد المضمر واذا أخذت السوابق في احضارها بلغ الغاية وما أحضر واله لون تحقق فيه القول النبوى لو جمعت الخيل في صعيد لسبقها الأشقر (ومن انشاء القاضى تاج الدين بن الأثير) والمنجنيقات تفوق اليهم قسيها وتخيل لهم انها ساعية بحبالها اليهم وعصيها وهى للحصون من أكد الخصوم واذا أمت حصنا حكم بأنه ليس بامام معصوم ومتى امترى خاق في آلات الفتوح لم يكن فيها أحد من الممترين واذ نزلت بساحة قوم فساء صباح المنذرين تدعى إلى لوغى فتكلم وما أقيمت صلاة حرب عند حصن الاركان ذلك الحصن من يسجد ويسلم ولقد سهوت عن الصابى وكان في هذا الفن أمة

عندهم قالوا المسك والسمور قال وكم فى الهدية من ذلك قالوا ماتتا رطل مسكا ومائة فروة سمور
(وأهدت قطر الندى إلى المعتضد بالله فى يوم نيروز فى سنة اثنتين وثمانين ومائتين هدية كان فيها
عشرون صينية ذهب فى عشرة منها مشام عنبر وزنها أربعة وثمانون رطلا وعشرون صينية فضة فى
عشرة منها مشام صندل زنتها نيف وثلاثون رطلا وخمس خلع وشى قيمتها خمسة آلاف دينار * وعملت
شمامات ليوم النيروز بلغت النفقة عليها ثلاثة عشر ألف دينار * وأهدى يعقوب بن الليث الصفار إلى
المعتمد على الله هدية فى بعض السنين من جملتها عشرة بازات منها باز أبلق لم ير مثله ومائة مهر وعشرون
صندوقا على عشر بغال فيهم طرائف الصين وغرائبه ومسجد فضة بدرابزين يصلى فيه خمسة عشر
انسانا ومائة رطل من مسك ومائة رطل عودة هندى أربعة آلاف ألف درهم * وأهدت ثريا بنت
الأوبارى ملكة أفرنجة وماوالاها إلى المكتفى بالله فى سنة ثلاث وسبعين ومائتين خمسين سيفا وخمسين
رمحا وعشرين ثوبا منسوجا بالذهب وعشرين خادما صقلبيا وعشرين جارية صقلبية وعشرة كلاب
كبار لا تطيقها السباع وستة بازات وسبع صقور ومضرب حرير متلون بجميع الالوان كلون قوس قزح
يتلون فى كل ساعة من ساعات النهار وثلاثة أطيار من الأطيار الافرنجية إذا نظرت إلى الطعام والشراب
المسموم صاحت صياحا منكرا وصفقت بأجنحتها حتى يعلم بذلك وخرزا يجذب النصول بعد نبات اللحم
عليها بغير وجع وحمارة وحشية عظيمة الخلقة فى قدر البغل وآذانها شبه آذان البغل وهى مخططة تخطيطا
عاما لجميع خلقتها * وأهدى قسطنطين ملك الروم إلى المستنظر بالله فى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة هدية
عظيمة اشتملت قيمتها على ثلاثين قنطارا من الذهب الاحمر كل قنطار منها عشرة آلاف دينار عربية قيمة
ذلك ثلثمائة ألف دينار عربية (وحكى) أن الخيزران جارية المهدى كانت أديبة شاعرة فعزم المهدى على
شرب دواء فأنفذت اليه جام بلور فيه شراب اختارته له مع وصيفة بكر بارعة الجمال كتبت اليه تقول

إذا خرج الإمام من الدواء ... وأعقب بالسلامة والشفاء
وأصلح حاله من بعد شرب ... بهذا الجام من هذا الطلاء
فينعم للتى قد أنفذته ... اليه بزورة بعد العشاء

فسر بذلك ووقعت الجارية منه أعظم موقع وزار الخيزران وأقام عندها يومين * وأهدى الصابى
إلى عضد الدولة إسطرلابا فى يوم المهرجان وكتب اليه يقول

أهدى اليك بنو الاملاك واحتفلوا ... فى مهرجان جديد أنت تبليه
لكن عبدك ابراهيم حين رأى ... سمو قدرك عن شىء يدانيه
لم يرض بالارض يهديها اليك وقد ... أهدى لك الفلك الاعلى بما فيه

واهدى رجل إلى المتوكل قارورة ذهب وكتب معها ان الهدية إذا كانت من الصغير إلى الكبير فكلما
لطفت ودقت كانت أبهى وأحسن وإذا كانت من الكبير إلى الصغير فكلما عظمت وجلت كانت
اوقع وأنفع * وأهدى مرة أبو الهذيل إلى موسى بن عمران دجاجة ووصفها له بصفات جليلة
ثم لم يزل يذكرها وكلما ذكر شىء بجمال أو سمن قال هو أحسن أو أسمن من الدجاجة التى أهديتها اليكم
وان ذكر حادث قال ذلك قبل أن أهدى لكم الدجاجة بشهر وما كان بين ذلك وبين اهداء الدجاجة
إلا أيام قلائل فصارت مثلا لمن يستعظم الهدية ويذكرها قال الشاعر

ان امرأ أهدى إلى صنيعة ... وذكرنيها مرة للئيم

وقال سفيان الثورى اذا أردت ان تتزوج فاهد للام وكان سفيان يروى عن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما من اهديت اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها فأهدى اليه صديق له ثيابا من ثياب مصر
وعنده قوم فذكر والخبز فقال انما ذلك فيما يؤكل ويشرب اما فى ثياب مصر فلا * وكتب الحمدونى

وهو أبو اسحاق ابراهيم بن هلال صاحب الرسائل المشهورة والنظم البديع كان كاتب الانشاء ببغداد عند الخليفة وعند معز الدولة ابن بويه وكان متشددا فى دينه واجتهد معز الدولة أن يسلم فلم يفعل وكان يصوم شهر رمضان ويحفظ القرآن الكريم أحسن حفظ واستعمله فى رسائله والصابى عند العرب من خرج عن دين قومه (قيل) للصابىء ان صاحب بن عباد قال ما بقى من أوطارى وأغراضى الا وأملك العراق وأتصد ببغداد وأستكتب الصابىء ويكتب عنى وأغير عليه فقال الصابىء ويغير على وان أصبت (ومن انشائه) ما كتب به إلى أبى الخير عن رقعة وصلت تتضمن أنه أهدى اليه جملا وصلت رقعتك ففضضتها عن بلاغة يعجز عنها عبد الحميد فى بلاغته وسحبان فى خطابته وتصرف بين جد أمضى من القدر وهزل أرق من نسيم السحر الا أن الفعل قصر عن القول لانك ذكرت جملا جعلته لصفتك جملا وكان المعيدى ان تسمع لا أن تراه صغر عن الكبر وكبر عن القد يعجب العاقل من حلول الحياة به ومن تأتى الحركة فيه لانه أعظم مجلدة قد طال الكلا فقده وبعد بالمرعى عهده لم ير القت الا نائما

إلى جارية اسمها برهان وقد حج مواليها فقال .

حجوا مواليك يابرهان واعتمروا ... قد أتتك الهدايا من مواليك

فأطرفيني بما أطرفوك به ... ولا تكن طرفتي غير المساويك

ولست أقبل الا ماجلوت به ... ثنيتيك وما رددت فيك

وكتب بعضهم إلى صديقه وقد أهدى اليه هدية يسيرة يقول .

تفضل بالقبول على أني ... بعثت بما يقل العبد عندك

وأهدى بعضهم إلى صديقه هدية في يوم نيروز وكتب اليه يقول هذا يوم جرت فيه العادة بالطاف العبيد للسادة وقدر الأمير يجل عما تحيط به المقدرة وفي سودده مايوجب التفضل ببسط المعذرة وقد وجهت ماحضر علما بأنه لا يستكثر ماجل ولا يستقل لعبده ماقل فإن رأي أن يتطول بقبول القليل كتطوله باهداء الجزيل فعل وجعل يقول .

رأيت كثير مايهدى اليكم ... قليلا فاقتصرت على الدعاء

وبلغ الحسن بن عمارة أن الاعمش يقع فيه ويقول ظالم ولي المظالم فاهدى اليه هدية فمدحه الأعمش بعد ذلك وقال الحمد لله الذي ولى علينا من يعرف حقوقنا فقيل له كنت تذمه ثم الآن تمدحه فقال حدثني خيثمة عن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها وقال عبد الملك بن مروان ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها الكتاب يدل على عقل كاتبه والرسول يدل على عقل مرسله والهدية تدل على عقل مهديها والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(الباب الخامس والخمسون في العمل والكسب والصناعات والحرف وما أشبه ذلك)

(وأما العمل) فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال أفضل العمل أدومه وان قل وقال علي بن أبي طالب يكرم الله تعالى وجهه قليل مدام عليه خير من كثير مملول وفي التوراة حرك يدك أفتح لك باب الرزق . وكان ابراهيم بن أدهم يسقي ويرعى ويعمل بالكراء ويحفظ البساتين والمزارع ويحصد بالنهار ويصلي بالليل * وعن علي رضي الله تعالى قال جاء رجل الى النبي ﷺ فقال يارسول الله ماينفي عني حجة العلم قال العمل وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني . وقال الاوزاعي اذا أراد الله بقوم سوأ أعطاهم الجدل ومنعهم العمل وأنشد يقول

وما المرء الاحيث يجعل نفسه ... في صالح الاعمال نفسك فاجعل

وقال بعض الحكماء لاشيء أحسن من عقل زانه حلم ومن عمل زانه علم ومن حلم زانه صدق ودخل بعض الخواص على ابراهيم بن صالح وهو أمير فلسطين فقال له عظني فقال له الولي بلغني رحمك الله ان أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم الموتى فانظر ماذا تعرض على رسول الله ﷺ من عملك فبكى ابراهيم حتى سالت دموعه * وقيل من جد وجد وأنشدوا في المعنى

اني رأيت وفي الايام تجربة ... للصبر عاقبة محمودة الأثر

وقل من جد في أمر يحاوله ... واستصحب الصبر الافاز بالظفر

وتقول العرب فلان وثب على الفرص وقال بعضهم

واني اذا باشرت أمراً أريده ... تدانت أقاصيه وهان أشده

وعن أنس رضي الله تعالى عنه يتبع الميت ثلاث يرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله

ولا عرف الشعير إلا حالما وقد كنت ملت إلى استبقائه لما تعرفه من محبتي للتوفير ورغبتي في التشمير فلم أجد فيه مستبق لبقاء ولا مدفعا لعناء لأنه ليس بانثى فتلد ولا بفتى فينسل ولا بصحيح فيرعى ولا بسليم فيبقى فقلت اذبحه ليكون وظيفة للعيال وأقيمه رطبا مقام قديد الغزال فأنشدني وقد أضرمت النار وحددت الشفار .

أعيذها نظرات منك صادقة ... أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

واست بذي لحم فاصبح للاكل لأن الدهر قد أكل لحمي ولا بذي جلد يصلح للداغ لأن الأيام قد مزقت أدمي ولا بذي صوف يصلح للغزل لأن الحوادث قد حصت وبرى الا أن تطالبني بذحل أو بيني وبينك دم فوجدته صادقا في مقالته ناصحا في مشورته ولم أعلم من أي أمر به أعجب من مطالبته الدهر بالبقاء أم من صبره على الضر والبلاء أم من قدرتك عليه مع عدم مثله أم من هديتك اياه للصديق مع خساسة قدره وياليت شعري ماكنت مهديا لو أني رجل من عرض الكتاب كأبي علي وأبي الخطاب ماكنت مهديا الا كلبا أجرب أو قردا أحدب والسلام (وله من رسالة) هو أخفض قدرا ومكانه وأظهر عجزا مهانة من أن يستقبل به قدم في

فيرجع أهله وماله ولا يرجع عمله * وقال بعضهم العمل سعى الأركان إلى الله والنية سعى القلوب إلى الله والقلب ملك والأركان جنوده ولا يحارب الملك إلا بالجنود ولا الجنود إلا بالملك * وقيل الدنيا كلها ظلمات إلا موضع العلم والعلم كله هباء إلا موضع العمل والعمل كله هباء إلا موضع الاخلاص هذا هو العمل (وأما الكسب) فقد جاء فى تفسير قوله تعالى وعلمنا صنعة لبوس لكم أى دروع من الحديد وذلك أن داود عليه الصلاة والسلام كان يدور فى الصحارى فإذا رأى من لا يعرفه تحدث معه فى أمر داود فإذا سمعه عابد بشىء يصلحه من نفسه فسمع يوما من يقول إنى لا أجد فى داود عيبا إلا أنه يأكل من كسبه فعند ذلك صلى داود عليه الصلاة والسلام فى محرابه وتضرع بين يدى الله تعالى وسأله أن يعلمه ما يستعين به على قوته فعلمه الله تعالى صنعة الحديد وجعله فى يده كالشمع فاحترفها واستعان بها على أمره وسار يحكم منها الدروع * وقال رسول الله ﷺ جعل رزقى تحت رمحى فكانت حرفته الجهاد وقال رسول الله ﷺ أن الله يحب العبد المحترف وقال ﷺ أن الله تعالى يبغض العبد الصحيح الفارغ وقال عليه الصلاة والسلام من اكتسب من قوته ولم يسأل الناس لم يعذبه الله تعالى يوم القيامة ولو تعلمون ما أعلم من المسئلة لما سأله رجل رجلا شيئا وهو يجد قوت يومه وليس عند الله أحب من عبد يأكل من كسب يده أن الله تعالى يبغض كل فارغ من أعمال الدنيا والآخرة * وعن أنس رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ من بات كالا فى طلب الحلال أصبح مغفورا له وعن الحسن رحمه الله كسب الدرهم الحلال أشد من لقاء الزحف وقيل لمحمد بن مهران أن ههنا أقواما يقولون نجلس فى بيوتنا وتأتينا أرزاقنا فقال هؤلاء قوم حمق أن كان لهم مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن فليفعلوا وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وقال أيضا إنى لأرى الرجل فيعجبنى فأقول أله حرفة فان قالوا لا سقط من عينى واشترى سلمان وسقا من طعام وهو ستون صاعا فقيل له فى ذلك فقال ان النفس إذا أحرزت رزقها اطمأنت قال بعضهم فى السعى

خاطر بنفسك كى تصيب غنيمة ... ان الجلوس مع العيال قبيح

وقيل ان أول من صنع لسان الميزان عبد الله بن عامر وكان الناس انما يزنون بالشاهينى وعن أنس رضى الله عنه قال غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا يارسول الله سعر لنا فقال ان الله الخالق القابض المسعر الرزاق وانى لأرجو أن ألقى الله تعالى وليس أحد يطلبنى بمظلمة ظلمته بها فى أهل ولا ما (وأما ما جاء فى العجز والتوانى) فقد روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال من أطاع التوانى ضيع الحقوق ومن العجز طلب ما فات بما لا يمكن استدراكه وترك ما أمكن مما تحمد عواقبه (قال الشاعر)

على المرء أن يسعى ويبذل جهده ... ويقضى إله الخلق ما كان قاضيا

ومثله قوله: على المرء أن يسعى لما فيه نفعه ... وليس عليه أن يساعده الدهر

وقيل احذر مجالسة العاجز فانه من سكن الى عاجز أعداه من عجزه وأمده من جزع وعوده قلة الصبر ونساه ما فى العواقب وليس للعجز ضد الا الحزم وقال بعض العلماء من الخذلان مسامرة الامانى ومن التوفيق بغض التوانى وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال باكروا فى طلب الرزق والحوائج فان الغد بركة ونجاح وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه احرص على ما ينفعك ودع كلام الناس فانه لا سبيل الى السلامة من ألسنة الناس وقال على رضى الله تعالى عنه التوانى مفتاح البؤس وبالعجز والكسل تولدت الفاقة ونتجت الهلكة ومن لم يرقب يجد وافضى الى

الفساد

وكان له عبد احه يمن وكان يهواه وله فيه المعانى البديعة فمن ذلك قوله فيه

قد قال بن وهو أسود الذى ... ببياضه استعلى علو الخائن
ما فخر وجهك بالبياض وهل ترى ... أن قد أفدت به مزيد محاسن
ولو ان منى فيه خالا زانه ... ولو ان منه فى خالا شانى

(الصاحب بن عباد) من بلاغاته المخترعه أن قيل له ماهو أحسن السجع قال ماخف على السمع قيل مثل ماذا قال مثل هذا * وسئل ابن العميد عن بغداد فقال بغداد فى البلاد كالاستاذ فى العباد (وله جواب كتاب) وصل كتاب مولاى فكانت فاتحته أحسن من كتاب الفتح وواسطته أنفس من واسطة العقد وخاتمته أشرف من خاتم الملك (ومن شعره) يرثى كثير بن أحمد الوزير

يقولون قد أودى كثير ابن أحمد ... وذلك رزء فى الانام جليل
فقلت دعونى والعلا نبكه معا ... فمثل كثير فى الرجال قليل

(القاضى الفاضل أبو على عبد الرحيم) علم المتقدمين والمتأخرين وزير السلطان صلاح الدين بن أيوب

الفساد * وقال حكيم من دلائل العجز كثرة الاحالة على المقادير * وقال بعض الحكماء الحركة بركة والتوانى هلكة والكسل شؤم وكلب طائف خير من أسد رابض ومن لم يحترف لم يعتلف * وقيل من العجز والتوانى تنتج الفاقة قال هلال بن العلاء الرقاء هذين البيتين من جملة أبيات

كأن التوانى أنكح العجز بنته ... وساق اليها حين زوجها مهرا
فراشا وطيئا ثم قال لها اتكى ... فانكما لابد أن تلدا الفقرا

(وقال آخر)

توكل على الرحمن فى الأمر كله ... ولا ترغبن فى العجز يوما عن الطلب
ألم تر أن الله قال لمريم ... وهزى اليك الجذع يساقط الرطب
ولوشاء أن تجنيه من غير هزة ... جنته ولكن كل رزق له سبب

وسأل معاوية رضى الله عنه سعيد بن العاصى عن المروءة فقال العفة والحرفة * وكان أيوب السختيانى يقول يافتيان احترفوا فانى لا آمن عليكم أن تحتاجوا إلى القوم يعنى الأمراء وقال رجل للحسن انى أنشر مصحفى فاقرؤه بالنهار كله فقال اقرأه بالغداة والعشى ويكون يومك فى صنعتك وما لابد منه ومر رحمه الله تعالى باسكاف فقال ياهذا اعمل وكل فان الله يحب من يعمل ويأكل ولايحب من يأكل ولايعمل وقال أبو تمام

أعاذلتى ماأحسن الليل مركبا ... وأحسن منه فى الملمات راكبه
ذرينى وأهوال الزمان أقاسها ... فأهواله العظمى تليها رغائبه
أرى عاجزا يدعى جليد القسمه ... ولو كلف التقوى لكلت مضاربه
وعفا يسمى عاجزا بعفافه ... ولولا التقى ما أعجزته مذاهبه
وليس بعجز المرء أخطاه الغنى ... ولا باحتيال أدرك المال كاسبه

(وقال آخر) فلا تركنن إلى كسل وعجز ... تحيل على المقادر والقضاء

وقال اعرابى العاجز هو الشاب القليل الحيلة الملازم للأمانى المستحيلة ويقال فلان يخدعه الشيطان عن الحزم فيمثل له التوانى فى صورة التوكل ويريه الهوينا باحالته على القدر * وقال لقمان لابنه يابنى إياك والكسل والضجر فانك إذا كسلت لم تؤد حقا وإذا ضجرت لم تصبر على حق (وقال أبو العتاهية)

إذا وضع الراعى على الأرض صدره ... فحق على المعزى بأن تتبددا

فالتوانى هو الكسل وتضييع الحزم وعدم القيام على مصالح النفس وترك التسبب والاحتراف والاحالة على المقادير وهذا من أقبح الأفعال (وأما التأنى) فانه خلاف التوانى وهو الرفق ورفض العجلة والنظر فى العواقب وقد قيل من نظر فى عواقب الأمور سلم من آفات الدهور * ومما جاء فى ذلك قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه * وقال رسول الله ﷺ من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من الدنيا والآخرة وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة عليك بالرفق فان الرفق لايخالط شيئا الازانه ولا يفارق شيئا إلاشانه * وفى التوراة مرفق رأس الحكمة وقالوا العقل أصله التثبت وثمرته السلامة * ووجد على سيف مكتوب التأنى فيما لايخاف فيه الفوت أفضل من العجلة فى ادراك الأمل * وقال بعض الحكماء إذا شككت فاجزم وإذا استوضحت فاعزم * وقالوا يد الرفق تجنى ثمرة السلامة ويد العجلة تغرس شجرة الندامة وأنشدوا فى ذلك

قد يدرك المتأنى بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل

الملقب بالملك الناصر تمكن منه غاية التمكين وبرز فى صناعة الانشاء على المتقدمين قال ابن خلكان فى تاريخه أخبرنى أحد الفضلاء الثقات المطلعين على حقيقة أمره أن مسودات رسائله إذا جمعت ماتقصر عن مائة مجلد وهو مجيد فى أكثرها (وذكر) ابن خلكان فى تاريخه أيضا أن العماد الكاتب قال فى الخريدة هو كالشريعة المحمدية التى نسخت الشرائع وكانت ولادته خامس عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة مدينة عسقلان وولى أبوه القضاء ببيسان فلهذا نسبوه اليها (وقال الفقيه عمارة اليمنى فى كتاب النكت العصرية فى أخبار الوزارة المصرية فى ترجمة العادل بن الصالح بن رزيك ومن أيامه الحسنة التى لا توازى بل هى اليد البيضاء التى لا تجازى خروج أمره إلى والى الاسكندرية باحضار القاضى الفاضل إلى الباب واستخدامه بحضرته فى الديوان فانه عروس والدولة بل للملة شجرة مباركة متزايدة النماء أصلها ثابت وفرعها فى السماء (وتوفى الفاضل فى ليلة الاربعاء سابع ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة ودفن فى تربة بسفح المقطم فى القرافة الصغرى (قال) ابن خلكان كان القاضى الفاضل من محاسن الدنيا وهيهات أن يخلف الزمان مثله (فن انشائه المرقص المطرب قوله)

وقالوا التأنى حسن السلامة والعجلة مفتاح الندامة وقالوا إذا لم يدرك الظفر بالرفق والتأنى فبماذا يدرك وقال المهلب أناة فى عواقبها درك خير من عجلة فى عواقبها فوت وقالوا من تأنى نال ماتمنى والرفق مفتاح النجاح * وقال بعض الحكماء إياك والعجلة فإنها تكنى أم الندامة لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم ويجيب قبل أن يفهم ويعزم قبل أن يفكر ويحمد قبل أن يجرب وأن تصحب هذه الصفة أحد إلاصحب الندامة وجانب السلامة

(وأما الصناعات والحروف وما يتعلق بها) فقد روى عن سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ عمل الابرار من الرجال الخياطة وعمل الابرار من النساء الغزل * وكان ﷺ يخيط ثوبه ويخصف نعله ويحب شانه ويعلف ناضحه * وقال سعيد بن المسيب كان لقمان الحكيم خياطا وقيل كان إدريس عليه السلام خياطا * ووقف على بن أبى طالب كرم الله وجهه على خياط فقال له ياخياط ثكلتك الثواكل صلب الخيط ودق الدروز وقارب الغروز فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول يحشر الله الخياط الخائن وعليه قميص ورداء مما خاط وخان فيه واحذر السقاطات فان صاحب الثوب أحق بها ولا تتخذبها الايادى وتطلب المكافأة * وقال فيلسوف ان من القبيح أن يتولى امتحان الصناع من ليس بصانع * وفى الحديث أكذب أمتى الصواغون والصباغون وكذب الدلال مثل وقالوا لكل أحد رأس مال ورأس مال الدلال الكذب وقال عبد الرحمن بن شبل سمعت رسول الله ﷺ يقول التجار هم الفجار فقيل أليس الله تعالى قد أحل البيع قال نعم ولكن يحدثون فيكذبون ويحلفون فيحنثون وقال الفضيل بخس الموازين سواد فى الوجه يوم القيامة وإنما أهلكت القرون الأولى لأنهم أكلوا الربا وعطلوا الحدود ونقصوا الكيل والميزان وقال مجاهد فى قوله تعالى واتبعك الأرذلون قيل هم الحاكة والاساكفة وقيل ان حائكا سأل إبراهيم الحربى ما تقول فيمن صلى العيد ولم يشتر ناطفا ما الذى يجب عليه فتبسم إبراهيم ثم قال يتصدق بدرهمين فلما مضى قال ما علينا أن نفرح المساكين من مال هذا الاحمق وقيل لرواحل هل فيكم حائك قال لا قيل فمن ينسج لكم ثيابكم قال كل منا ينسج لنفسه فى بيته وكان أردشير بن بابك لايرتضى لمنادمته ذا صناعة رديئة كحائك وحجام ولو أن يعلم الغيب مثلا وقال كعب لا تستشيروا الحاكة فان الله تعالى سلب عقولهم ونزع البركة من كسبهم لأن مريم عليها السلام مرت بجماعة من الحاكين فسألتهم عن الطريق فدلوها على غير الطريق فقالت نزع الله البركة من كسبكم

(قال أبو العتاهية)

ألا إنما التقوى هى العز والكرم ... وحبك للدنيا هو الذل والسقم

وليس على عبد تقى نقيصة ... إذا صحح التقوى وان حاك أو حجم

وهذا ما أردنا سياقه فى هذا الباب والله الموفق للصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السادس والخمسون فى شكوى الزمان وانقلابه بأهله والصبر على المكاره والتسلى عن نوائب الدهر وفيه ثلاثة فصول)

(الفصل الأول فى شكوى الزمان وانقلابه بأهله) روى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أنه قال مامن يوم ولا ليلة ولا شهر ولا سنة إلا والذى قبله خير منه سمعت ذلك من نبيكم ﷺ وكان معاوية رضى الله تعالى عنه يقول معروف زماننا منكر زمان قد مضى ومنكره معروف زمان لم يأت وكانت ناقة رسول الله ﷺ العضباء لاتسبق فجاء اعرابى فسبقها فشق ذلك على الصحابة رضى الله تعالى عنهم فقال ﷺ ان حقا على الله أن يرفع شيئا من هذا الدنيا إلا (وضعه وحكى) عن شيخ من همدان قال بعثنى أهلى فى الجاهلية إلى ذى الكلاع الحميرى بهدايا فمكثت شهرا لا أصل اليه

وقد كان يقال ان الذهب الابريز لاتدخل عليه آفة وأن يد الدهر البخيلة به كافة وأنتم يابنى أيوب أيديكم آفة نفائس الأموال كما أن سيوفكم آفة نفوس الأبطال فلو ملكتم الدهر لامتطيتم لياليه أداهم أو قلدتم أيامه صوارم من الكحل وهو لص عوهبتم شموسه وقماره دنانير ودراهم وأيام دولتكم أعراس ومآتم فيها لاعلى أموال مآتم والجود فى أيديكم خاتم ونفس خاتم فى نفس ذلك الخاتم (ومن انشائه فى كاحل) كأنه غاسل يدخل إلى انسان العين بحنوط من كحله الملعون لعلة المنون ويدرجه فى كفن الحرقة السوداء التى يلبسها سواد العيون ينقل العين إلى بياض الثغور ويسلبها سوادها ومابرحت عصيه مردودة ولديها عصا المعاقد انتهى إلى فوق ما يضرب به المثل إذ قيل يسرق الكحل من العين فهذا يسرق العين من أكابر اللصوص وسموا كحالين وهم صاغة لما يركبون فوق العين من الفصوص قد أودع كحله حزن يعقوب فمن كحل منه ابيضت عيناه وجحد معجز القميص اليوسفى فلو مروا به على ناظر انفرجت جفناه وهو من الذين إذا رفعوا أميالهم فانما هى اشمس للعيون متداولة وإذا أولج أحدهم الميل فى المكحلة أو بالرجم ممن أولج الميل فى المكحلة (ومن انشائه سق الله ثم

ثم بعد ذلك أشرف شراقة من كوة له فخر من حوله القصر سجدا ثم رأيته من بعد ذلك وقد هاجر
إلى حمص وإشترى بدرهم لحما وسمطه خلف دابته وهو القائل هذه الأبيات

أف للدنيا إذا كانت كـذا   أنا منها فى بلاء وأذى   ان صفا عيش امرىء فى صبحها
جرعته ممسيا كاس الردى   ولقد كنت إذا ما قيل من   أنعم العالم عيشا قيل ذا

وقال يونس بن ميسرة لا يأتى علينا زمان الا بكينا منه ولا يتولى عنا زمان الا بكينا عليه ومن ذلك قوله

رب يوم بكيت منه فلما   صرت فى غيره بكيت عليه

(ومثله)   ومامر يوم أرتجى فيه راحة   فأخبره الا بكيت على أمسى

(ومن كلام ابن اعرابى)

عن الأيام عد فمن قليل   ترى الأيام فى صور الليالى

وقال رضى الله عنه ما قال الناس لشىء طوبى الا وقد خبأ الدهر يوم سوء قال الشاعر

فما الناس بالناس الذين عهدتهم   ولا الدار بالدار التى كنت أعهد

ودخل داود عليه الصلاة والسلام غارا فوجد فيه رجلا ميتا وعند رأسه لوح مكتوب أنا فلان ابن فلان الملك عشت الف عام وبنيت مدينة وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف جيش ثم صار أمرى إلى أن بعثت زنبيلا من الدراهم فى رغيف فلم يوجد ثم بعثت من الجوهر فلم يوجد فدققت الجواهر واستفيتها فمت مكانى فمن أصبح وله رغيف وهو يحسب أن على وجه الأرض أغنى منه أماته الله كاماتنى ، وذكر أن عبد الرحمن بن زياد لما ولى خراسان حاز من الاموال ماقدر لنفسه أنه ان عاش مائة سنة ينفق فى كل يوم الف درهم على نفسه انه يكفيه فرؤى بعد مدة وقد احتاج إلى باع حلية مصفحة وأنفقها . وقال هيثم بن خالد الطويل دخلت على صالح مولى منارة فى يوم شات وهو جالس فى قبة مغشاة بالسمور وجميع فرشها سمور وبين يديه كانون فضة يبخر فيه بالعود ثم رأيته بعد ذلك فى رأس الجسر وهو يسأل الناس ولما قتل عامر بن اسمعيل مروان بن محمد ونزل فى داره وقعد على فرشه دخلت عليه عبدة بنت مروان فقالت ياعامر ان دهرا أنزل مروان عن فرشه وأقعد على لقد أبلغ فى عظتك وقال مالك بن دينار مررت بقصر تضرب فيه الجوارى بالدفوف ويقلن

ألا يا دار لا يدخلك حزن   ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار تأوى كل ضيف   إذا ماضاق بالضيف المكان

ثم مررت عليه بعد حين وهو خراب وبه عجوز فسألتها عما كنت رأيت وسمعت فقال ياعبد الله ان الله يغير ولا يتغير والموت غالب كل مخلوق قد والله دخل بها الحزن وذهب بأهلها الزمان

(وقال أبو العتاهية)

لئن كنت فى الدنيا بصيرا فانما   بلاغك منها مثل زاد المسافر
إذا أبقت الدنيا على المرء دينه   فما فاته منها فليس بضائر

وقال عبد الملك بن عمير رأيت رأس الحسين رضى الله تعالى عنه بين يدى ابن زياد فى الكوفة ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدى المختار ثم رأس المختار بين يدى مصعب ثم رأيت رأس مصعب بين يدى عبد الملك قال سفيان فقلت له كم كان بين أول الرؤس وآخرها اثنتا عشرة سنة وقال الشاعر

ان للدهر صرعة فاحذرنها   لا تبيتن قد أمنت الشرورا
قد يبيت الفتى معافى فيردى   ولقد كان آمنا مسرورا

ثراه) والجو يتنفس عن صدر مسجور كصدر المجهور والحر وصاليه فى هذا النحو جار ومجرور والمهامه قد نشرت فيها ملاء السراب وزخر فيها بحر ماء ولد لغير رشدة على غير فراش السحاب وحر الرمل قد منع حث الرمل ونحن فى أكثر من جموع صفين الا أننا نخاف وقعة الجمل ووردنا ماء هذه العيون وهو كالحابر يغترف منه المجرم مثل عمله ويرسله سهما فلا يخطىء نقرة مقتلة وهو مع هذا قليل كأنه مما جادت به الآماق فى ساحات النفاق لا فى ساعات الفراق فيالك من ماء لا تتميز أوصافه من التراب ولا يرتفع به فرض التيمم كالا يرتفع بالسراب ولا يبعد ماوصف به أهل الجحيم فى قوله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب فنحن حوله كالعوائد حول المريض يمللون عليلا لا يرد الجواب بل يندبون ميتا قد حال بينه وبينهم التراب يجهز للدفن وتمشه المراد ويحفر عليه ليقوم من قبره وذلك خلاف المعتاد وفى غير من قد وارت الأرض فاطمع على أنه لو كان دمعا لما بل الاجفان ولو كان مالا لما رفع كفة الميزان (ومن انشائه إلى أن يرد كتب العسكر وأعلامها من مدات الفاته وروس العدا قطعات هيزلته (ومنه) فينبت سنابك الخيل سماء من العجاج نجومها الاسنة وطارت اليهم

اغصان الخيول قوادمها القوائم وخوافيها الاعنة وتصويت عيون السمر إلى قلوبهم كأنما تطالب سوداها وقصدت

وكان محمد بن عبد الله بن طاهر فى قصره على الدجلة ينظر فاذا هو بحشيش فى وسط الماء وفى وسط قصبة على رأسها رقعة فدعا بها فاذا فيها مكتوب شعرا وهو للشافعى رضى الله تعالى عنه

تاه الأعيرج واستعلى به البطر   فقل له خير ما استعملته الحذر   أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتى به القدر   سالمتك الليالى فاغتررت بها   وعند صفو الليالى يحدث الكدر

قال فما انتفع بنفسه مدة وأعجب ما وجد فى السير خبر القاهر أحد الخلفاء وقيامه من الملك وخروجه إلى الجامع فى بطانة جبة بغير ظهارة ومد يده يسأل الناس بعد أن كان ملك الاقطار الأرض فتبارك الله يعز من يشاء ويذل من يشاء . وقيل كان لمحمد المهلبى قبل اتصاله بالسلطان حال ضعيف فبينما هو فى بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الحرث والحراث إلا أنه من أهل الادب إذا انشده يقول

ألا موت يباع فأشتريه   فهذا العيش مالا خير فيه
ألا رحم المهيمن نفس حر   تصدق بالوفاة على أخيه

قال فرثى له رفيقه وأحضر له بدرهم ماسد به رمقه وحفظ الابيات وتفرقا ثم ترقى المهلبى إلى الوزارة وأخنى الدهر على ذلك الرجل الذى كان رفيقه فتوصل إلى إيصال رقعة اليه مكتوب فيها :

ألا قل للوزير فدته نفسى   مقالا مذكرا ما قد نسيه
أتذكر إذ تقول لضنك عيش   ألا موت يباع فأشتريه

فلما قرأها تذكر فأمر له بسبعمائة درهم ووقع تحت رقعته مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ثم قلده عملا يرتزق منه (ودخل) مسلمة بن زيد بن وهب على عبد الملك بن مروان فقال له أى الزمان أدركته أفضل وأى الملوك أكمل فقال أما الملوك فلم ار إلا حامدا وذاما وأما الزمان فيرفع أقواما ويضع آخرين وكلهم يذكر أنه يبلى جديدهم ويفرق عديدهم ويهرم صغيرهم ويهلك كبيرهم وقال حبيب بن أوس

لم أبك من زمن لم أرض خلته   إلا بكيت عليه حين ينصرم

وقال آخر : يامعرضا عنى بوجه مدبر   ووجوه دنياه عليه مقبله
هل بعد حالك هذه من حالة   أو غاية إلا انحطاط المنزله

وقال عبد الله بن عروة بن الزبير

ذهب الذين إذا رأونى مقبلا   ابشوا إلى ورحبوا بالمقبل
وبقيت فى خلف كأن حديثهم   ولغ الكلاب تهارشت فى المنزل

وقال آخر فى معناه يامنزلا عبث الزمان بأهله   فأبادهم بتفرق لايجمع
أين الذين عهدتهم بك مرة   كان الزمان بهم يضر وينفع   أيام لايغشى لذكرك مربع
إلا وفيه للمكارم مرتع   ذهب الذين يعاش فى أكنافهم   وبقى الذين حياتهم لاتنفع

وقال إسحق بن إبراهيم الموصلى :

وانى رأيت الدهر منذ صحبته   محاسنه مقرونة ومعايبه
إذا سرنى فى أول الامر لم أزل   على حذر من أن تذم عواقبه

وقال بعضهم : ذهب الرجال المقتدى بفعالهم   والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت فى خلف يزين بعضه   بعضا فيدفع معور عن معور
خلف الزمان ليأتين بمثلهم   حنثت يمينك يازمان فكفر

وكان يقال إذا أدبر الأمر أتى الشر من حيث يأتى الخير وكان يقال بتقلب الدهر تعرف جواهر

أنهار السيوف صدورهم لتروى أكبادها ومنه) وما أحسن الأقلام جعلت ساجدة الا لان طرسه محراب ولا أنها سميت خرسا الا قبل أن ينفث سيدنا فى روعها رائع أهدا الصواب ولا أنها اضطجعت إلا ليبعثها ماينفخ فيها من روحه من مرقدها ولا سودت رؤسها الا لانها أعلام عباسية وتناولتها الحضرة بيدها لاجرم أنها تحامى الحمى وتسفك وتحقن دما وتشيح بها يده عنانا وترسلها فتعلم الفرسان ان فى الكتاب لفرسانا تقوم الخطباء بما كتبت تعلم الألسنة أن فى الايدى كما فى الافواه لسانا (وقلت ومن) مخترعاته قوله وان ادعى سحر البيان أنه يقضى أيسر حقوقه ويثمر مايجب من شكر فروعه وعروقه كنت أفضح باطل سحره وأذيقه وبال أمره وأصب الخواطر السحارة على جذوع الاقلام وأعقد ألسنتها كما تعقد السحرة الألسنة عن الكلام (ومن إنشائه فى وفاء النيل المبارك عن الملك الناصر صلاح الدين نور الله ضريحه) نعم الله سبحانه وتعالى من أضوئها بزوغا وأصفاها سبوغا وأصفاها ينبوعا وأسناها منفوعا

الرجال ويقال زمام العافية بيد البلاء ورأس السلامة تحت جناح العطب وقال بعضهم نحن في زمن لا يزداد الخير فيه الا ادبارا والشر الا اقبالا والشيطان في هلاك الناس الا طمعا اضرب بطرفك حيث شئت هل تنظر إلا فقيرا يكابد فقرا أو غنيا بدل نعمة الله كفرا أو بخيلا اتخذ بحق الله وفرا أو متمردا كأن بسمعه عن سماع المواعظ وقرا * وقال آخر نحن في زمان إذا ذكرنا الموتى حييت القلوب وإذا ذكرنا الاحياء ماتت القلوب ويؤيد ذلك قوله ﷺ لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر أخيه فيقول يا ليتني مكانه (ويقال) لا يقاوم عز الولاية بذل العزل

(بيت)

ما من مسيء وان طالت اساءته ... الا ويكفيك يوم من مساعية

(وقال الأمين) يا نفس قد حق الحذر ... أين المفر من القدر
كل امرئ مما يخا ... ف ويرتجيه على خطر
من يرتشف صفو الزما ... ن يغص يوما بالكدر

(وقال بعضهم) وقائلة ما بال وجهك قد نضت ... محاسنه والجسم بان شحوبه
فقلت لها هاتي من الناس واحداً ... صفا وقته والنائبات تنوبه

(وللأمير أبي علي بن منقذ)

أما والذي لا يملك الأمر غيره ... ومن هو بالسر المكتم أعلم
لئن كان كتمان المصائب مؤلما ... لاعلانها عندي أشد وأعظم
وفي كل ما يبكي العيون أقله ... وان كنت منه دائما أتبسم

وقال علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه وايم الله ما كان قوم قط في خفض عيش فزال عنهم الا بذنوب اقترفوها لان الله تعالى ليس بظلام للعبيد ولو أن الناس حين ينزل بهم الفقر ويزول عنهم الغنى فزعوا إلى ربهم بصدق نياتهم لرد عليهم كل شارد وأصلح لهم كل فاسد قال الشاعر

يقولون الزمان به فساد ... وهم فسدوا وما فسد الزمان

وكفى بالقرآن واعظا قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم والله سبحانه وتعالى أعلم

(الفصل الثاني في الصبر على المكاره ومدح التثبت وذم الجزع) قد مدح الله تعالى الصبر في كتابه العزيز في مواضع كثيرة وأمر به وجعل أكثر الخيرات مضافا إلى الصبر وأثنى على فاعله وأخبر أنه سبحانه وتعالى معه وحث على التثبت في الأشياء ومجانبة الاستعجال فيها فمن ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين فبدأ بالصبر قبل الصلاة ثم جعل نفسه مع الصابرين دون المصلين وقوله تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقوله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا وبالجملة فقد ذكر الله سبحانه وتعالى الصبر في كتابه العزيز في نيف وسبعين موضعا وأمر نبيه ﷺ به فقال تعالى فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وقد روي عن النبي ﷺ في ذلك أخبار كثيرة فمن ذلك قوله ﷺ النصر في الصبر وقوله عليه الصلاة والسلام بالصبر يتوقع الفرج وقوله الاناة من الله تعالى والعجلة من الشيطان فمن هداه الله تعالى بنور توفيقه ألهمه الصبر في موطن طلباته والتثبت في حركاته وسكناته وكثيرا ما أدرك الصابر مرامه أو كاد وفات المستعجل غرضه أو كاد * وقال الاشعث بن قيس دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فوجدته قد أثر فيه صبره على العبادة الشديدة ليلا ونهارا فقلت يا أمير المؤمنين إلى كم تصبر على مكابدة هذه الشدة فما زادني الا أن قال

صبر على مضض الادلاج في السحر ... وفي الرواح إلى الطاعات في البكر
إني رأيت وفي الأيام تجربة ... للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقل من جد في أمر يؤمله ... واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

وأمدها بحر مواهب وأضمنها حسن عواقب النعمة بالنيل المصري الذي يبسط الآمال ويقبضها مده وجزره يربي النبات حجره ويحيي مطلقه الحيوان ويحيي ثمرات الارض صنوان وغير صنوان وينشر مطوي حريرها وينشر مواتها ويوضح معنى قوله عز وجل وبارك فيها وقدر فيها أقواتها وكان وفاء النيل المبارك تاريخ كذا فاسفر وجه الارض وان كانت تنقب وأمن يوم بشراه من كان خائفا يترقب ورأينا الابانة عن لطائف الله التي حققت الظنون ووفت بالرزق المضمون أن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقد أعلمناك لتوفي حقه من الاذاعة وتبعده من الإضاعة وتتعرف على ما يصرفك في الطاعة وتشهر ما أورده البشير من اليسرى بأناته وتمدو بايصال رسمه منها على عادته (ورسم لي في الأيام المؤيدية وأنا منشئ الديوان الشريف المؤيدي سنة تسع عشرة وثمانمائة أن أنشئ رسالة بوفاء النيل المبارك لم أسبق اليها ممن تقدمني من المنشئين بالديار المصرية حتى أن المقر الاشرف المرحومي القاضوي الناصري محمد بن البارزي الجهني الشافعي سقى الله ثراه قرأ على المسامع الشريفة هذه الرسالة المعطرة ورسالة من انشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة وكان

لحفظتها منه وألزمت نفسى الصبر فى الأمور فوجدت بركة ذلك وعن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهما عن النبى ﷺ انه قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا حط الله بها من خطاياه وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا وإذا أراد الله بعبد الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة وقال ﷺ إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط رواه الترمذى وقال حديث حسن. وعن اسحق بن عبد الله بن أبى فروة عن أنس بن مالك قال قال النبى ﷺ الضرب على الفخذ عنه المصيبة يحبط الاجر والصبر عند الصدمة الأولى وعظم الاجر على قدر المصيبة ومن استرجع بعد مصيبته جدد الله له أجرها كيوم أصيب بها * وروى عن بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال احفظوا عنى خمسا ثنتين وثنتين وواحدة لا يخافن أحدكم الا ذنبه ولا يرجو الا ربه ولا يستحى أحدمنكم إذا سئل عان شىء وهو لا يعلم أن يقول لا أعلم واعلموا أن الصبر من الامور بمنزلة الرأس من الجسد إذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد وإذا فارق الصبر الامور فسدت الامور وأيما رجل حبسه السلطان ظلما فمات فى حبسه مات شهيدا فان ضربه فمات فهو شهيد وروى فى الخبر لما نزل قوله تعالى من يعمل سوأ يجز به قال ابوبكر الصديق رضى الله تعالى عنه يارسول الله كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله ﷺ غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض ألست يصيبك الاذى ألست تحزن قال بلى يارسول الله قال فهذا ما تجزون به يعنى جميع ما يصيبك من سوء يكون كفارة لك وبهذا اتضح لك ان العبد لا يدرك منزلة الاخيار الا بالصبر على الشدة والبلاء * وروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه قال بينما رسول الله ﷺ يصلى عند الكعبة وابو جهل واصحابه جلوس وقد نحرت جزور بالامس فقال ابو جهل لعنه الله ايكم يقوم إلى سلا الجزور فيلقيه على كتفى محمد إذا سجد فانبعث اشقى القوم فأخذه وأتى به فلما سجد ﷺ وضع بين كتفيه السلا والفرث والدم فضحكوا ساعة وأنا قائم أنظر فقلت لو كان لى منعة لطرحته عن ظهر رسول الله ﷺ والنبى ﷺ ساجد مايرفع رأسه حتى انطلق انسان فأخبر فاطمة رضى الله تعالى عنها فجاءت فطرحته عن ظهره ثم أقبلت عليهم فسبتهم فلما قضى ﷺ الصلاة رفع يديه فدعا عليهم فقال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات فلما سمع القوم صوته ودعاءه ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته فقال اللهم عليك بأبى جهل وعتبة وشيبة وربيعة والوليد وأمية بن خلف فقال على رضى الله تعالى عنه والذى بعث محمدا بالحق رأيت الذين سماهم صرعى يوم بدر وكان الصالحون يفرحون بالشدة لأجل غفران الذنوب لأن فيها كفارة السيئات ورفع الدرجات وروى عن رسول الله ﷺ انه قال ثلاث من رزقهن فقد رزق خيرى الدنيا والآخرة الرضا بالقضاء والصبر على البلاء والدعا فى الرخاء (وحكى) ان امرأة من بنى إسرائيل لم يكن لها إلا دجاجة فسرقها سارق فصبرت وردت أمرها إلى الله تعالى ولم تدع عليه فلما ذبحها السارق ونتف ريشها نبت جميعه فى وجهه فسعى فى أزالته فلم يقدر على ذلك إلى أن أتى حبرا من أحبار بنى إسرائيل فشكا له فقال لا أجد لك دواء إلا تدعوا عليك هذه المرأة فارسل اليها من قال لها أين دجاجتك فقالت سرقت فقال لقد آذاك من سرقها قالت قد فعل ولم تدع عليه قال وقد فجعك فى بيضها قالت هو كذلك فمازال بها حتى أثار الغضب منها فدعت عليه فتساقط الريش من وجهه فقيل لذلك الحبر من أين علمت ذلك قال لأنها لما صبرت ولم تدع عليه انتصر لها الله فلما انتصرت لنفسها ودعت عليه سقط الريش من وجهه فالواجب على العبد أن يصبر على ما يصيبه من الشدة ويحمد الله تعالى ويعلم أن النصر مع الصبر وأن مع العسر يسرا وان المصائب والرزايا إذا توالت أعقبها الفرج والفرج عاجلا ومن

ظهور آية النيل الذى عاملنا فيه بالحسنى وزيادة واجراه لنا فى طرق الوفا على اجمل عادة وخلق اصابعه ليزول الاهتمام فأعلن المسلمون بالشهادة كسر جسره فأمسى كل قلب بهذا الكسر مجبورا واتبعناه بنوروز وما برح هذا الاسم بالسعد المؤبدى مكسورا دق فما السودان فالراية البيضاء من كل قلع عليه وقبل ثغور الأسلام وارشفها ريقه الحلو فمالت اعطاف غصونها إليه وشبب جريره فى الصعيد بالقصب ومد سبائكه الذهبية إلى جزيرة الذهب فضرب الناصرية واتصل بأم دينار وقلنا انه صبغ بقوة لماجا وعليه ذلك الاحمراز وأطال الله عمر زيادته فتردد فى الآثار وعمته لبركة فأجرى سواقى مكة إلى أن غدت جنة تجرى من تحتها الانهار وحضن مشتهى الروضة فى صدره حنا عليها حنو المرضعات على الفطام

وارشفنا على ظمأ زلالا ألذ من المدامة للنديم ورواق مديد بحره لما انتظمت عليه تلك الأبيات وسقى الأرض سلافته الخمرية بخدمته محلو النبات وأدخله إلى جنات النخيل

والاعناق فالق النوى والحب فأرضع جنين النبت وأحياله أمهات العصف والاب وصاغته كفوف أحسن

أحسن ماقيل في ذلك من المنظوم

وإذا مسك الزمان بضر عظمت دونه الحصوب وحلت وأتت بعده نوائب أخرى
سئمت نفسك الحياة وملت فاصطبر وانظر بلوغ الامالي فالرزايا إذا توالت تولت
وإذا أوهنت وجلت كشفت عنك جملة وتخلت

ولمحمد بن بشر الخارجي أن الأمور إذا استدت مسالكها فالصبر يفتح منها كل مارتجا
لاتيأسن وان طالت مطالبه اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا

(ولزهير بن أبي سلمى)

وثلاث يعز الصبر عند حلولها ويذهل عنها عقل كل لبيب
خروج اضطرار من بلاد يحبها وفرقة اخوان وفقد حبيب

(وقال بعضهم) باظهار التجلد للعدا ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا
اما تنظر الريحان يشم ناضرا ويطرح في البيدا اذا ماتغيرا

(ولابن نباتة) صبراً على نوب الزما ن وان أبى أبى القلب الجريح
فلكل شيء آخر إما جميل او قبيح

(وقال أبو الاسود وأجاد) وان امرأ قد جرب الدهر لم يخف تقلب عصريه لغير لبيب
وما الدهر والأيام كما ترى رزية مال أو فراق حبيب

ومن كلام الحكماء ماجوهد الهوى بمثل الرأي ولا استنبط الرأي بمثل المشورة ولا حفظت النعم بمثل المواساة ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر وما استنجحت الأمور بمثل الصبر

(وقال نشهل)

ويوم كان المصطلين بحره وان لم يكن نار قيام على الجمر
صبرنا له صبراً جميلا وانما نفرج أبواب الكريمة بالصبر

(وقال ابن طاهر)

حذرتني وذا الحذرى * ليس يغني من القدر ليس من يكتم الهوى * مثل من باح واشتهر
انما يعرف الهوى * من على مره صبر نفس يانفس فاصبري * فان الصبر من صبر

وكان يقال من تبصر تصبر وكان يقال ان نوائب الدهر لاتدفع الا بعزائم الصبر وكان يقال لادواء لداء الدهر الا بالصبر ولله در القائل الدهر أدبني والصبر رباني والقوت أقنعني واليأس أغناني
وحنكتني من الآيام تجربة حتى نهيت الذي قد كان نهاني

(وما أحسن ما قال محمود الوراق)

اني رأيت الصبر خير معول في النائبات لمن أراد معولا ورأيت أسباب القناعة أكذب
بعرى الغنى فجعلتها لي معقلا فاذا نبابي منزلا جاوزته وجعلت منه غيره لي منزلا
واذا غلا شيء على تركته فيكون أرخص مايكون اذا غلا

(وقال بعضهم) اذاما أتاك الدهر يوما بنكبة فافرغ لها صبرا ووسع لها صدرا
فان تصاريف الزمان عجيبة فيوما ترى يسرا ويوما ترى عسرا

(وقال بعضهم) وما مسني عسر ففوضت أمره الى الملك الجبار الا تيسرا

(وما أحسن ماقيل) الدهر لايبقى على حالة لابد أن يقبل أو يدبرا
فان تلقاك بمكروهه فاصبر فان الدهر لايصبرا

ونقل عن محمد بن الحسن رحمه الله تعالى قال كنت معتقلا بالكوفة فخرجت يوما من السجن مع بعض

الزهر بحلاوة لقائه مرارة النوى وهامت به مخدرات الاشجار فارخت ضفائر فروعها عليه من شدة الهوى واستوفى النبات ماكان له في ذمة الري من الديوان ومازج الحوامض بحلاوته فهام الناس بالسكر والليمون وانجذب اليه الكباد وامتدو لكن قوى قوسه لما حظي منه بسهم لايرد وليس شربوس الاترج وترفع الى أن لبس بعده التاج وفتح منشور الأرض لعلامته بسعة الرزق وقد نفذ أمره وراج فتناول مقالم الشنبر وعلم بافلامها ورسم لمحبوس كل سد بالافراج وسرح بطائق السفن فخفقت أجنحتها بمخلق بشائره وأشار بأصبعه الى قتل المحل فبادر الخصب الى امتثال أوامره وحظى بالمعشوق وبلغ من كل منية مناه فلا سكن على البحر الا تحرك ساكنه بعد ماتفقه واتقن باب المياه ومدشفه أمواجه الى تقبيل فم الجسر وزاد بسرعته استحلى المصريون زائدة على الفور ونزل في بركة الحبش فدخل السكر وفي طاعته وحمل على الجهات البحرية فكسر

 المنصورة وعلا على الطويلة بشهامته وأظهر في مسجد الخضر عين الحياة فأقر الله عينه وصان

الرجال وقد زاد همي وكادت نفسي ان تزهق وضاقت علي الأرض بما رحبت وإذا برجل عليه آثار العبادة قد أقبل علي ورأى ما أنا فيه من الكآبة فقال ما حالك فأخبرته القصة فقال الصبر الصبر فقد روى عن النبي ﷺ أنه قال الصبر ستر للكروب وعون على الخطوب وروى عن ابن عمه علي رضي الله تعالى عنه أنه قال الصبر مطية لا تكبو وسيف لا يكل وأنا أقول

ما أحسن الصبر في الدنيا وأجمله ... عند الإله وأنجاه من الجزع
من شد بالصبر كفا عند مؤلمة ... ألوت يداه بحبل غير منقطع

فقلت له بالله عليك زدني فقد وجدت راحة فقال ما يحضرني شيء عن النبي ﷺ ولكني أقول

أما والذي لا يعلم الغيب غيره ... ومن ليس في كل الأمور له كفو
لئن كان بدء الصبر مرا مذاقه ... لقد يجتنى من بعده الثمر الحلو

ثم ذهب فسألت عنه فما وجدت أحدا يعرفه ولا رآه أحد قبل ذلك في الكوفة ثم أخرجت في ذلك اليوم من السجن وقد حصل لي سرور عظيم بما سمعت منه وانتفعت به ووقع في نفسي أنه من الابدال الصالحين قيضه الله تعالى لي يوقظني ويؤدبني ويسليني * وقيل ان رجلا كان يضرب بالسياط ويجلد جلدا بليغا ولم يتكلم ويصبر ولم يتأوه فوقف عليه بعض مشايخ الطريقة فقال له أما يؤلمك هذا الضرب الشديد فقال بلى قال لم لا تصيح فقال ان في هذا القوم الدين وقفوا على صديقا لي يعتقد في الشجاعة والجلادة وهو يرقبني بعينه فأخشى ان ضجيت يذهب ماء وجهي عنده ويسوء ظنه بي فأنا أصبر على شدة الضرب وأحتمله لأجل ذلك قال الشاعر

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه ... ويحمد منه الصبر مما يصيبه
فمن قل فيما يتقيه اصطباره ... لقد قل فيما يرتجيه نصيبه

وقال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله تعالى عنها يا عائشة ان الله تعالى لم يرض من أولي العزم من الرسل الا بالصبر ولم يكلفني الا ما كلفوا به فقال عز وجل فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل واني والله لأصبرن كما صبروا فان النبي ﷺ لما صبر كما أمر أسمر وجهه صبره عن ظفره ونصره وكذلك الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين هم أولو العزم لما صبروا ظفروا وانتصروا وقد اختلف أهل العلم فيهم على أقوال كثيرة فقال مقاتل رضي الله تعالى عنه هم نوح وإبراهيم وإسحق ويعقوب ويونس وأيوب صلوات الله عليهم وقال قتادة هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ويقال ما الذي صبروا عليهم حتى سماهم الله تعالى أولي العزم فأقول ذكر ما صبروا عليه (أما نوح عليه الصلاة والسلام) فقد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان نوح عليه الصلاة والسلام يضرب ثم يلف في لبد ويلقى في بيته يرون انه قد مات ثم يعود ويخرج إلى قومه ويدعوهم إلى الله تعالى ولما أيس منهم ومن إيمانهم جاءه رجل كبير يتوكأ على عصاه ومعه ابنه فقال لابنه يا بني انظر الى هذا الشيخ وأعرفه ولا يغرك فقال له ابنه يا أبت مكني من العصا فأخذها من أبيه وضرب بها نوحا عليه الصلاة والسلام شج بها رأسه وسال الدم على وجهه فقال رب قد ترى ما يفعل بي عبادك فان يكن لك فيهم حاجة فاهدهم والا فصبرني الى أن تحكم فأوحى الله تعالى اليه لن يؤمن من قومك الا من آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك قال يا رب وما الفلك قال بيت من خشب يجري على وجه المياه أنجي فيه أهل طاعتي وأخرج أهل معصيتي قال يا رب وأين الماء قال أنا على كل شيء قدير قال يا رب وأين الخشب قال اغرس الخشب فغرس الساج عشرين سنة وكف عن دعائهم وكفوا عن ضربه الا أنهم كانوا استهزؤن به فلما أدرك الشجر أمره ربه فقطعها

وجففها

أهل دمياط في برزخ بين المالح وبينه وطلب المالح رده بالصدر وطعن في حلاوة شمائله فما شعر إلا وقد ركب عليه ونزل في ساحله وأمست واوات دوائره على وجنات الدهر عاطفة ونقلت أرداف أمواجه على خصور الجوار فاضطربت كالخائفة ومال شبق النخيل اليه فأثم تغر طلعه قبل سالفه وأمست سود الجواري كالحسنات في حمرة وجناته وكلما زاد زاد الله في حسناته فلا فقير سد الا حصل له من فيض نماء فتوح ولا ميت خليج الا عاش به ودبت فيه الروح ولكنه احمرت عينه على الناس بزيادة وترفع فقال له المقياس عندي قبالة كل عين اصبع فنشر أعلام قلوعه وحمل وله على ذلك الخرير زجره ورام أن يهجم على غير بلاده فبادر اليه عزم المؤيدي وكسره وقد أثر ذا المقر بهذه البشرى التي عم نفعها برا وبحره وحدثناه عن البحر ولا حرج وشرحنا له حالا وصددا ليأخذ حظه من هذه البشارة البحرية بالزباد الوافرة وينشق من طيبها نشرا فقد حملت له من طيبات ذلك النسيم أنفاسا عاطره والله تعالى يوصل بشائرنا الشريفة بسمعه الكريم أليصير بها في كل وقت مشنفا ولا برج من نيلها المبارك وإنعامنا الشريف على كلا الحالين في وفا (قلت)

وجففها وقال يارب كيف أتخذ هذا البيت قال اجعله على ثلاث صور وبعث الله جبريل فعلمه وأوحى الله تعالى اليه أن عجل بعمل السفينة فقد اشتد غضبي على من عصاني فلما فرغت السفينة جاء أمر الله سبحانه وتعالى بانتصار نوح ونجاته واهلاك قومه وعذابهم إلا من آمن معه وفار التنور وظهر الماء على وجه الأرض بأمطار وتدفقت الأرض كأفواه القرب حتى عظم الماء وصارت أمواجه كالجبال وعلا فوق أعلى جبل في الأرض أربعين ذراعا وانتقم الله سبحانه وتعالى من الكافرين ونصر نبيه نوحا عليه الصلاة والسلام وفي تمام قصته وحديث السفينة كلام مبسوط لأهل التفسير ليس هذا موضع شرحه بسطه فهذا زبدة صبر نوح عليه الصلاة والسلام وانتصاره على قومه

(وأما إبراهيم) عليه الصلاة والسلام فانه لما كسر أصنام قومه التي كانوا يعبدونها لم يروا في قتله ونصرة آلهتهم أبلغ من احراقه فأخذوه وحبسوه ببيت ثم بنوا حائزا كالحوش طول جداره ستون ذراعا إلى سفح جبل عال ونادى منادي ملكهم أن احتطبوا لاحراق ابراهيم ومن تخلف عن الاحتطاب احرقه فلم يتخلف منهم أحدا وفعلوا ذلك أربعين يوما ليلا ونهارا حتى كاد الحطب يساوي رؤس الجبال وسدوا ابواب ذلك الحائز وقذفوا فيه النار فارتفع لهبها حتى كان الطائر يمر بها فيحترق من شدة لهبها ثم بنوا بنيانا شامخا بنوا فوقه منجنيقا ثم رفعوا إبراهيم على رس البنيان فرفع ابراهيم عليه الصلاة والسلام طرفه إلى السماء مودعا الله تعالى وقال حسبي الله ونعم الوكيل قيل كان عمره يومئذ ستة وعشرين سنة فنزل اليه جبريل عليه الصلاة والسلام قال ابراهيم ألك حاجة قال أما اليك فلا فقال جبريل سل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فقال الله تعالى يانار كوني بردا وسلاما على إبراهيم فلما قذفوه فيها نزل معه جبريل عليه الصلاة والسلام فجلس به على الأرض وأخرج الله له ماء عذبا قال كعب ما احرقت النار غير كتافه أقام في ذلك الموضع سبعة أيام وقيل أكثر من ذلك ونجاه الله تعالى ثم هلك نمرود وقومه بأخس الاشياء وانتقم منهم وظفر إبراهيم عليه الصلاة والسلام بهم فهذه ثمرة صبره على مثل هذه الحالة العظمى ولم يجزع منها وصبر وفوض أمره إلى الله تعالى في ذلك وتوكل عليه ووثق به ثم جاءته قصة ذبح ولده وأمره الله تعالى بذلك فقابل أمره بالتسليم والامتثال وسارع إلى ذبحه من غير اهمال لا امهال وقصته مشهورة وتفاصيل القصة في كتب التفسير مسطورة فلما ظهر صدقه ورضاه ومبادرته إلى طاعة مولاه وصبره على ماقدره وقضاه عوضه الله تعالى عن ذبح ولده أن فدوه واتخذه خليلا من بين خلقه واجتباه وأما الذبيح صلوات الله وسلامه عليه فانه صبر على بلية الذبح وتلخيصها أن الله تعالى لما ابتلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام بذبح ولده قال اني أريد أن أقرب قربانا فأخذ ولده والسكين والحبل وانطلق فلما دخل بين الجبال قال ابنه أين قربانك ياأبت قال ان الله تعالى قد أمرني بذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ماتؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين ياأبت أشدد وثاقي كي لا اضطرب وأجمع ثيابك حتى لايصل اليها رشاش الدم فتراه أمي فيشتد حزنها وأسرع امرار السكين على حلقي ليكون أهون الموت علي وإذا لقيت أمي فاقرأ السلام عليها فأقبل إبراهيم عليه الصلاة والسلام على ولده يقبله ويبكي ويقول نعم العون أنت يابني على ما أمر الله تعالى قال مجاهد لما أمر السكين على حلقه انقلبت السكين فقال ياأبت اطعن بها طعنا وقال السدي جعل الله حلقه كصفيحة من نحاس لاتعمل فيها السكين شيئا فلما ظهر فيهما أمر التسليم نودي أن ياإبراهيم هذا فداء ابنك فأتاه جبريل عليه السلام بكبش أملح فأخذه وأطلق ولده وذبح الكبش فلا جرم ان جعل الذبيح نبيا بصبره وامتثاله لامره (وأما يعقوب عليه الصلاة والسلام فانه لما ابتلى بفراق ولده غاب

تقدم قولي أن الشيء يذكر وقد ذكرت بوصف النيل المبارك

هنا رسالتي البحرية التي كتبت بها إلى علامة عصرنا الشيخ بدر الدين الدماميني فسح الله في أجله من القاهرة المحروسة إلى ثغر الاسكندرية المحروسة عند دخولي اليها من ثغر طرابلس الشام وقد غضت على أنياب الحرب بثغرها من أهوال برها وبحرها وذلك في منتصف ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانمائة (وهي) بقبل الأرض التي سقى دوحها بنزول الغيث فأثمر الفواكه البدرية وطلع بدر كمالها من المغرب فسلمنا لمعجزاتها المحمدية وجرى لسان البلاغة لي بثغرها قسما على العقد بنظمه المستجاد وأنشد وقد ابتسم عن محاسنه التي لم يخلق مثلها في البلاد

لقد حسنت بك الايام حتى
كأنك في فم الدهر ابتسام

فأكرم به مورد فضل ما برح منهله العذب كثير الزحام ومدينة علم تشرفت بالجناب المحمدي فعلى ساكنها السلام ومجلس حكم ما ثبت للباطل به حجة وعرفات أدب ان وقفت بها وقفة كنت على الحقيقة ابن حجة وأفق معال بالغ في سمو بدره فلم يقنع بدون النجوم وعيدان عرشه تجول به فرسان الفصاحة من بني مخزوم وناهيك بها لفرسان الفقراء

بصره واشتداد حزنه قال فصبر جميل وكذلك يوسف صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لما ابتلاه الله تعالى بالقائه فى ظلمة الجب وبيعه كما تباع العبيد وفراقه لأبيه وادخاله السجن وحبسه فيه بضع سنين وانه تلقى ذلك كله بصبره وقبوله فلا جرم أورثهما صبرهما جمع شملهما واتساع القدرة تعالى بهلاك أهله وماله وتتابع المرض المزمن والسقم المهلك حتى أفضى أمره إلى ما تضعف القوى البشرية عن حمله ، ولنذكر شيئا مختصرا من ذلك وهو أن ملكا من ملوك بنى اسرائيل كان يظلم فنهاه جماعة من الانبياء عن الظلم وسكت عنه أيوب عليه الصلاة والسلام فلم يكلمه ولم ينهه لأجل خيل كانت له فى مملكته فأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه الصلاة والسلام تركت نهيه عن الظلم لأجل خيلك لأطيلن بلاءك فقال ابليس لعنه الله يارب سلطنى على أولاده وماله فسلطه فبث ابليس مردته من الشياطين فبعث بعضهم إلى دوابه وزرعاتها فاحتملوها جميعا وقذفوها فى البحر وبعث بعضهم إلى زرعه وجناته فأحرقوها وبعث بعضهم إلى منازله وفيها أولاده وكانوا ثلاثة عشر ولدا وخدمه وأهله فزلزلوها فهلكوا ثم جاء ابليس إلى أيوب عليه الصلاة والسلام وهو يصلى فتمثل له فى صورة رجل من غلمانه فقال يا أيوب أنت تصلى ودوابك ورعاتك قد هبت عليها ريح عظيمة وقذفت الجميع فى البحر وأحرقت زرعك وهدمت منازلك على أولادك وأهلك فهلك الجميع ماهذه الصلاة فالتفت اليه وقال الحمد لله الذى أعطانى ذلك كله ثم قبله منى ثم إلى صلاته فرجع ابليس ثانيا فقال يارب سلطنى على جسده فسلطه فنفخ فى ابهام رجله فانتفخ ولا زال يسقط لحمه من شدة البلاء إلى أن بقى أعماؤه تبين وهو مع ذلك كله صابر محتسب مفوض أمره إلى الله تعالى وكان الناس قد هجروه واستقذروه وألقوه خارجا عن البيوت من نتن ريحه وكانت زوجته رحمة بنت يوسف الصديق قد سلمت فترددت اليه متفقدة فجاءها إبليس يوما فى صورة شيخ ومعه سخلة وقال لها اذبحى لأيوب هذه السخلة على اسمى فيبرأ فجاءته فقال لها ان شفانى الله تعالى لأجلدنك مائة جلدة تأمرينى ان أذبح لغير الله تعالى فطردها عنه فذهبت وبقى ليس له من يقوم به فلما رأى أنه لاطعام له ولاشراب ولا أحد من الناس يتفقده خر ساجدا لله تعالى وقال رب مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فلما علم الله تعالى منه ثباته على هذه البلوى طول هذه المدة وهى على ماقيل ثمانى عشرة سنة وقيل غير ذلك وانه تلقى جميع ذلك بالقبول وماشكا إلى مخلوق مانزل به عاد الله تعالى بالطافه عليه فقال تعالى (فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا) وأفاض عليه من نعمة ماأنساه بلوى نقمه ومنحه من أقسام كرمه أن أفتاه فى يمينه تحلة قسمه ومدحه فى نص الكتاب فقال تعالى (وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب) فلو لم يكن الصبر من أعلى المراتب وأسنى المواهب لما أمر الله تعالى به رسله ذوى الحزم وسماهم بسبب صبرهم أولى العزم وفتح لهم صبرهم أبواب مرادهم وسؤالهم ومنحهم من لدنه غاية أمرهم ومأمولهم ومرامهم فما أسعد من اهتدى بهداهم واقتدى بهم وان قصر عن مداهم ، وقيل العسر يعقبه اليسر والشدة يعقبها الرخاء والتعب يعقبه الراحة والضيق يعقبه السعة والصبر يعقبه الفرج وعند تناهى الشدة تنزل الرحمة والموفق من رزقه صبرا وأجرا والشقى من ساق القدر اليه جزعا ووزرا (ربما) شنف السمع من نهج هذه الإشارة وأتحف النفع فى نهج هذه العبارة ماروى عن الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه قال كنت بواسط فرأيت رجلا كأنه قد نبش من قبر فقلت ماذهاك ياهذا فقال اكتم على أمرى حبسنى الحجاج منذ ثلاث سنين فكنت فى أضيق حال وأسوأ عيش وأقبح مكان وأنا مع ذلك كله صابر لاأتكلم فلما كان بالامس أخرجت جماعة كانوا

القتال وينهى بعد أدعية ما برح المملوك منتصبا لرفعها وثغر ثلاثية ما لسجع المطوق فى الاوراق النباتية حلاوة سجعها وأشواق برحت بالمملوك ولكن تمسك فى مصر بالاثار

وابرح ما يكون الدهر يوما إذا دنت الديار من الديار

بوصول المملوك إلى مصر محتميا بكنانتها وهو بسهام البين مصاب مذعور لما شاهده من المصارع عند مقابلة الفرسان فى منازل الاحباب مكلما من ثغر طرابلس الشام بأسنة الرماح محمولا على جناح غراب وقد حكم عليه البين أن لا يبرح من سفره على جناح

وكان فى البين ما كفانى فكيف بالبين والغراب

(يامولانا) لقد قرعت من هذا الثغر بأصابع السهام وقلع منه ضرس الامن ولم يبق له بعد ماشعر به البين نظام وكثرت الحروب فى ثناياه عن أنياب واقتلعنا منه مع انهم لم يتركوا لنا فيه ثنية ولا نابا وأمست شهب الرماح قافية على آثارنا والسابق السابق منا الجواد ولزمت الروى من دمائنا لئلا يظهر لقافيتها عند نظم الحرب سناد وفسد انسجام تلك الابيات

منى فضربت رقابهم وتحدث بعض أعوان السجن أن غدا تضرب عنقي فأخذني حزن شديد وبكاء مفرط أجرى الله تعالى على لساني فقلت إلهي اشتد الضر وفقد الصبر وأنت المستعان ثم ذهب من الليل أكثره فأخذتني غشية وأنا بين اليقظان والنائم إذ أتاني آت فقال لي قم فصل ركعتين وقل يامن لا يشغله شيء عن شيء يامن أحاط علمه بما ذرأ وبرأ وأنت عالم بخفيات الأمور ومحصي وساوس الصدور وأنت بالمنزل الأعلى وعلمك محيط بالمنزل الأدنى تعاليت علوا كبيرا يامغيث أغثني وفك أسري واكشف ضري فقد نفد صبري فقمت وتوضأت في الحال وصليت ركعتين وتلوت ما سمعته منه ولم تختلف على منه كلمة واحدة فأتمم القول حتى سقط القيد من رجلي ونظرت إلى أبواب السجن فرأيتها قد فتحت فقمت فخرجت ولم يعارضني أحد فأنا والله طليق الرحمن وأعقبني الله بصبري فرجا وجعل لي من ذلك الضيق مخرجا ثم ودعني وانصرف بقصد الحجاز ، وفيما روى عن الله تعالى أنه أوحى إلى داود عليه الصلاة والسلام ياداود من صبر علينا وصل الينا وقال بعض الرواة خلت مدينة يقال لها دقار فبينما أنا أطوف في خرابها إذ رأيته مكتوبا بباب قصر خرب بماء الذهب واللازورد هذه الأبيات

يامن ألح عليه الهم والفكر ... وغيرت حاله الأيام والغير
أما سمعت لما قد قيل في مثل ... عند الاياس فأين الله والقدر
ثم الخطوب إذا أحداثها طرقت ... فاصبر فقد فاز أيام بما صبروا
وكل ضيق سيأتي بعده سعة ... وكل فوت وشيك بعده الظفر

(ولما) حبس أبو أيوب في السجن خمس عشرة سنة ضاقت حيلته وقل صبره فكتب إلى بعض إخوانه يشكو إليه طول حبسه وقلة صبره فرد عليه جواب رقعته يقول

صبرا أبا أيوب صبر مبرح ... وإذا عجزت عن الخطوب فمن لها
أن الذي عقد الذي انعقدت به ... عقد المكاره فيك يملك حلها
صبرا فإن الصبر يعقب راحة ... ولعلها أن تنجلي ولعلها

فأجابه أبو أيوب يقول .

صبرتني ووعظتني وأنا لها ... وستنجلي بل لا أقول لعلها
ويحلها من كان صاحب عقدها ... كرما به إذ كان يملك حلها

فما لبث بعد ذلك أياما حتى أطلق مكرما (وأنشدوا)

إذا ابتليت فثق بالله وأرض به ... أن الذي يكشف البلوى هو الله
اليأس يقطع أحيانا بصاحبه ... لا تيأسن فإن الصانع الله
إذا قضى الله فاستسلم لقدرته ... فما ترى حيلة فيما قضى الله

(الفصل الثالث من هذا الباب في التأسي في الشدة والتسلي عن نوائب الدهر) قال الثوري رحمه الله تعالى لم يفقه عندنا من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة وقيل الهموم التي تعرض للقلوب كفارات للذنوب . وسمع حكيم رجلا يقول لآخر لا أراك الله مكروها فقال كأنك دعوت عليه بالموت فان صاحب الدنيا لا بد له أن يرى مكروها وتقول العرب ويل أهون من ويلين وقال ابن عيينة الدنيا كلها غموم فما كان فيها من سرور فهو ربح وقال العتبي اذا تناهى الغم انقطع الدمع بدليل أنك لا ترى مضروبا بالسياط ولا مقدما لضرب العنق يبكي (وقيل) تزوج مخنث بنائحة فسمعها تقول اللهم أوسع لنا في الرزق فقال لها ياهذه إنما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفي ذلك فإن كان فرح دعوتي وان كان حزن دعوتك وقال وهب بن منبه إذا سلك بك طريق البلاء سلك بك طريق الانبياء وقال مطرف ما نزل بي مكروه قط فاستعظمته إلا ذكرت ذنوبي فاستصغرته وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه يرفعه يود أهل العافية يوم القيامة أن لحومهم كانت تقرض بالمقاريض لما يرون من ثواب

ونفذ حكم القضاء وكم جرح خصم السيف في ذلك اليوم شهودا واتصل الحكم بقضاء القضاة فلم يسلم منهم الامن كان مسعودا ووقع غالبنا في القبض من عروض حربهم الطويل وتبدلت محاسن طرابلس الشام بالوحشة فلم نفارقها على وجه جميل والله لم يدخلها المملوك في هذه الواقعة الامكرها لا بطل وكم قبلت لسارية العزم لما كشف لي عن مضيق سهلها يا سارية الجبل ولم يطلق المملوك غروس حماته إلا جبرا أظهروا به كسره والعلوم الكريمة محيطة كيف يكون طلاق المكره (يامولانا) بوادي حماة الشام من أيمن الشط وحقك تطوى شقة الهم بالبسط . بلاد إذا ماذقت كوثر مائها . أهيم كأني قد تملت باسفنط . ومن يجتهد في أن الأرض بقعة . تشاكلها قل أنت مجتهد مخطىء . وصوب صديقي ماؤها وهواؤها . فإن أحاديث الصحيحين ماتخطى بعصمها أن دار ملوى سوارها فما الشام بالخلخال أو مصر بالقرط تنظم بالشطين در ثمارها عقودا لها العاصي وأبناه كالسمط

وترخى علينا للغصون ذوائبا ٭ يسرحها كف النسيم بلا مشط ٭ وقد مد ذاك النهر صابقا ملدماجا

الله تعالى لأهل البلاء . وروى أبو عتبة عن النبي ﷺ قال إذا أحب الله عبدا ابتلاه فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه قالوا وما اقتناه لا يترك له مالا ولا ولدا ٭ وموسى عليه الصلاة والسلام برجل كان يعرفه مطيعا الله على عزوجل قدمزقت السباع لحمه وأضلاعه وكبده ملقاة على الأرض فوقف متعجبا فقال أى رب عبد ابتليه بما أرى فأوحى الله تعالى اليه انه سألنى درجة لم يبلغها بعمله فأحببت أن أبتليه لأبلغه تلك الدرجة (وكان) عروة بن الزبير صبورا حين ابتلى ٭ وحكى أنه خرج إلى الوليد ابن يزيد فوطىء عظما فما بلغ إلى دمشق حتى بلغ به كل مذهب فجمع له الوليد الاطباء فأجمع رأيهم على قطع رجله فقالوا له شرب مرقدا فقال ما أحب أن أغفل عما ذكرها الله تعالى فأحمى له المنشار وقطعت رجله فقال ضعوها بين يدى ولم يتوجع ثم قال لئن كنت ابتليت فى عضوا فقد عوفيت فى أعضاء فبينما هو كذلك إذ اتاه خبر ولده أنه اطلع من سطح على دواب الوليد فسقط بينها فمات فقال الحمد لله على كل حال لئن أخذت واحدا لقد أبقيت جماعة ٭ وقدم على دواب وفد من عبس فيهم شيخ ضرير فسأله عن حاله وسبب ذهب بصره فقال خرجت مع رفقة مسافرين وهى مالى وعيالى ولا أعلم عبسيا يزيد ماله على مالى فعرسنا فى بطن واد فطرقنا سيل فذهب ما كان لى من أهل ومال وولد غير صبى صغير وبعير فشرد البعير فوضعت الصغير على الأرض ومضيت لآخذ البعير فسمعت صيحة الصغير فرجعت اليه فاذا رأس الذئب فى بطنه وهو يأكل فيه فرجعت إلى البعيرة فحطم وجهى برجليه فذهبت عيناى فأصبحت بلاعينين ولا ولد ولا مال ولا أهل فقال الوليد اذهبوا به إلى عروة ليعلم أن فى الدنيا من أعظم مصيبة منه ٭ وقيل الحوادث الممضه مكسبة لحظوظ جليلة اما ثواب مدخر أو تطهير من ذنب أو تنبيه من غفلة أو تعريف لقدر النعمة قال البحترى يسلى محمد بن يوسف على حبسه

ماوهذه الايام الامنازل ٭ فمن منزل رحب إلى منزل ضنك ٭ وقد دهمتك الحادثات وانما
صفا الذهب الابريز قبلك بالسك ٭ أما فى نبى الله يوسف أسوة ٭ لمثلك محبوس عن الظلم والافك
أقام جميل الصبر فى السجن برهة ٭ قال به الصبر الجميل إلى الملك

(وقال على بن الجهم لما حبسه المتوكل)

قالوا حبست فقلت ليس بضائرى ٭ حبسى وأى مهند لايغمد ٭ والشمس لولا أنها محجوبة
عن ناظر بك لما أضاء الفرقد ٭ والنار فى أحجارها مخبوءة ٭ لاتصطلى ان لم تثرها الا زند
والحبس مالم تغشه لدينية ٭ شنعاء نعم المنزل المتودد ٭ بيت يجدد للكريم كرامة
ويزار فيه ولا يزور ويحمد ٭ لو لم يكن فى الحبس الاانه ٭ لا تستذلك بالحجاب الأعبد
غر الليالى باديات عود ٭ والمال عارية يعار وينفذ ٭ ولكل حى معقب ولربما
أجلى لك المكروه عما يحمد ٭ لا يؤيسنك من تفرج نكبة ٭ خطب رماك به الزمان الا نكد

كم من عليل قد تخطاه الردى ٭ فنجا ومات طبيبة والعود
صبرا فإن اليوم يعقبه غد ٭ ويد الخلافة لاتطاولها يد

قال وأنشد اسحق الموصلى وإبراهيم بن المهدى حين حبس .

هى المقادير تجرى فى أعنتها ٭ فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريك خسيس الأصل ترفعه ٭ إلى العلاء ويوما تخفض العالى

فما أمسى حتى وردت عليه الخلع السنية من المأمون ورضى عنه وقال إبراهيم بن عيسى الكاتب فى إبراهيم بن المدبر حين عزل

وراح بنقش النبت يمشى على بسط ٭ لوينا خلاليل النواعير فالتوت ٭ وأبدت لنا دورا على ساقط البسط ٭ سقى سفحها ان قل دمعى سحابه ٭ مطنبة بالدمع منهلة النقط ٭ ويا أسطر النبت التى قد تسلسلت ٭ بصفحتها لازلت واضحة الخط ولازال ذاك الخط بالطل معجما ومن شكل أنواع الازاهر فى ضبط ٭ لويت عنانى فى حماها من اللوى ٭ وهمت بها لا بالمحصب والسقط ٭ ولذعناق الفقر لى بفنائها ٭ وفى غيرها لم أرض بالملك والرهط ٭ منازل أحبابى ومنبت شعبتى ٭ وأوطان أو طارى بها روضا سخطى ٭ نعمت بها دهرا ولكن سلبته ٭ برغمى وهذا الدهر يسلب مايعطى ٭ وقد جاء شرط البين إنى أغيب عن ٭ حماها لقد أوفى فؤادى بالشرط ٭ وحط على الدهر عمدا وشالنى ٭ إلى غيرها صبرا على الشيل والحط ٭ وسبحة جمع الشمل كانت لنا بها منظمة لكن قضى الدهر بالفرط ٭ أمثل شوقا شكلها فى ضمائرى

لهين

ليهن أبا إسحق أسباب نعمة ... مجددة بالعزل والعزل أنبل
شهدت لقد منوا عليك وأحسنوا ... لأنك يوم العزل أعلى وأفضل

(وقال آخر) قد زاد ملك سليمان فعاوده ... والشمس تنحط في المجرى وترتفع

وقال أبو بكر الخوارزمي لمعزول الحمد لله الذي ابتلى في الصغير وهو المال وعافى الكبير وهو الحال

ولا عار إن زالت عن الحر نعمة ... ولكن عارا أن يزول التجمل

وعار المال حظ ينقص ثم يزيد وظل ينحسر ثم يعود وسئل بزرجمهر عن حاله في نكبته فقال عولت على أربعة أشياء أولها أني قلت القضاء والقدر لابد من جريانهما الثاني أني قلت لم أصبر فما أصنع الثالث أني قلت قد كان يجوز أن يكون أعظم من هذا الرابع أني قلت لعل الفراغ قريب والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والخمسون ما جاء في اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة والفرح والسرور ونحو ذلك مما يتعلق بهذا الباب)

(فمما) يليق بهذا الباب من كتاب الله عز وجل وقوله تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا وقوله تعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد وقوله تعالى حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ويروى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال لو كان العسر في حجر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه وقال عليه الصلاة والسلام عند تناهي الشدة يكون الفرج وعند تضايق البلاء يكون الرخاء وقال علي رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أفضل عبادة أمتي انتظارها فرج الله تعالى وقال الحسن لما نزل قوله تعالى فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا قال النبي ﷺ أبشروا فلن يغلب عسر يسرين ومن كلام الحكماء ان تيقنت لم يبق وقال أبو حاتم

إذا اشتملت على البؤس القلوب ... وضاقت مما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت ... وأرست في مكامنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها ... ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث ... يمن به اللطيف المستجيب

(وقال آخر) عسى الهم الذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويفاث عان ... ويأتي أهله النائي الغريب

(وقال آخر) تصبر أيها العبد اللبيب ... لعلك بعد صبرك ما تخيب
وكل الحادثات إذا تناهت ... يكون وراءها فرج قريب

(وقال ابراهيم بن العباس)

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ... ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها ... فرجت وكان يظنها لا تفرج

(وقال آخر) لئن صدع البين المشتت شملنا ... فللبين حكم في الجموع صدوع
وللنجم من بعد الرجوع استقامة ... وللشمس من بعد الغروب طلوع
وإن نعمة زالت عن الحر وانقضت ... فإن لها بعد الزوال رجوع
فكن واثقا بالله واصبر لحكمه ... فإن زوال الشر عنك سريع

(ولنذكر نبذة مما حصل له الفرج بعد الشدة)

روى ان الوليد بن عبد الملك كتب إلى صالح بن عبد الله عامله المدينة المنورة أن أخرج

فتنبخ عيني ذلك الشكل بالنقط وقد سار بمشي الهم نحوي بنزعة قباليته لو كان في مشيه ببطي وأصبح نظمي راجعا بي إلى ورا كأني في الديوان أكتبه بالقبطي

(يا مولانا) وأبيك ما لقيت من أهوال هذا البحر وأحدث عنه ولا حرج فكم وقع المملوك من أعاريضه في زحاف تقطع منه القلب لما دخل إلى دوائر اللج وشاهدت منه سلطانا جائرا يأخذ كل سفينة غصبا ونظرت إلى الجواري الحسان وقد رمت أرز قلوعها وهي بين يديه لقلة رجالها تسبى فتحققت أن رأى من جاء يسعى في الفلك جالسا غير صائب واستصوبت هنا رأي من جاء يمشي وهو راكب وزاد الظما بالملوك وقد اتخذ بالبحر سبيلا وكم قلت من شدة الظما

يا ترى قبل الحفرة هل أطوى من البحر هذه الشقة الطويلة
وهل أبا بكر نحو النيل منشرحا وأشرب الحلو من أكواب ملاح

بحر تلاطمت علينا أمواجه حين متنا من الخوف وحملنا على نعش الغراب وقامت وأوات دوائره مقامع فتصبتنا للغرق لما استوت المياه والأخشاب وقارن العبد فيه سوداء استرقت موالينا وهي جارية وغشيهم منها ما غشيهم فهل أتاك حديث الغاشية واقعها الحرب لحملت بنا ودخلها الماء لجاءها المخاض وانشق قلبها لفقد رجالها

الحسن بن على من السجن وكان محبوسا وأضربه فى مسجد رسول الله ﷺ خمس مائة صوت فأخرجه إلى المسجد واجتمع الناس وصعد صالح يقرأ عليهم الكتاب ثم نزل يأمر بضربه فبينما هو يقرأ الكتاب إذ جاء على بن الحسين عليه السلام فأفرج له الناس حتى أتى إلى جنب الحسن فقال يا ابن العم مالك دع الله تعالى بدعاء الكرب يفرج الله عنك قال ماهو يا ابن العم فقال لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله العلى العظيم سبحان رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين ثم انصرف عنه وأقبل الحسن يكررها فلما فرغ صالح من قراءة الكتاب ونزل قال أراه فى سجنه مظلوما أخروه وأنا أراجع أمير المؤمنين فى أمره فأطلق بعد أيام وأتاه الفرج من عند الله تعالى * وقال الربيع لما حبس المهدى موسى بن جعفر رأى فى المنام عليا رضى الله تعالى عنه وهو يقول يا محمد فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم قال الربيع فأرسل المهدى إلى ليلا فراعنى ذلك فجئته فإذا هو يقرأ هذه الآية وكان حسن الصوت فقص على الرؤيا ثم قال ائتنى بموسى بن جعفر فجئته به فعانقه وأجلسه إلى جانبه وقال يا أبا الحسن رأيت أمير المؤمنين يقرأ على كذا فعاهدنى ان لاتخرج على ولا على أحد من ولدى فقال والله ماذاك من شأنى فقال صدقت ثم قال يا ربيع اعطه ثلاثة آلاف دينار ورده إلى أهله بالمدينة قال الربيع فأحكمت أمره ليلا فأصبح إلا على الطريق وقال اسمعيل بن بشار

وكل حروان طالت بلينته … يوما تفرج غماه وتنكشف

(وقال) مسلم بن الوليد كنت يوما جالسا عند خياط بازاء منزلى فمر بى إنسان أعرفه فقمت إليه وسلمت عليه وجئت به إلى منزلى لأضيفه وليس معى درهم بل كان زوج أخفاف فأرسلتهما مع جاريتى لبعض معارفه فباعتهما بتسعة دراهم واشترى بها ما قلته لها من الخبز واللحم فجلسنا نأكل وإذا بالباب يطرق فنظرت من شق الباب وإذا بانسان يسأل هذا منزل فلان ففتحت الباب وخرجت فقال أنت مسلم ابن الوليد قلت نعم واستشهدت له بالخياط على ذلك فاخرج لى كتابا وقال هذا من الامير يزيد بن مزيد فاذا فيه قد بعثنا لك بعشرة آلاف درهم لتكون فى منزلك وثلاثة آلاف درهم تتجمل بها لقدومك علينا فادخلته فى دارى وزدت فى الطعام واشتريت فاكهة وجلسنا فاكلنا ثم وهبت لصفى شيئا يشترى به هدية لاهله وتوجهنا إلى باب يزيد باقة فوجدناه فى الحمام فلما خرج استؤذن لى عليه فدخلت فاذا هو جالس على كرسى وبيده مشط يسرح به لحيته فسلمت عليه فرد أحسن رد وقال ما الذى أقعدك عنا قلت قلة ذات اليد وأنشدته قصيدة مدحته بها قال أتدرى لم أحضرتك قلت لا أدرى قال كنت عند الرشيد منذ ليال أحادثه فقال لى يا يزيد من القائل فى هذه الأبيات

سل الخليفة سيفا من بنى مضر … يمضى فيخترق الأجساد والهاما

كالدهر لا ينثنى عما يهم به … قد أوسع الناس انعاما وارغاما

فقلت والله لا أدرى يا أمير المؤمنين فقال سبحان الله أيقال فيك مثل هذا ولا تدرى من قاله فسألت فقيل لى هو مسلم بن الوليد فارسلت اليك فانهض بنا إلى الرشيد فسرنا اليه واستوذن لنا فدخلنا عليه فقبلت الارض وسلمت فرد على السلام فانشدته مالى فيه من شعر فامر لى بمائتى الف درهم وأمر لى يزيد بمائة وتسعين الف درهم وقال ما ينبغى لى أن أساوى أمير المؤمنين فى العطاء فانظر إلى هذا التيسير الجسيم بعد العسر العظيم وما أحسن ما قيل

الامن والخوف أيام مداولة … بين الانام وبعد الضيق تتسع

وجرى ما جرى على ذلك القلب وفاض وتوشحت بالسواد فى هذا الماء ثم سارت على البحر وهى مثل وكم سمع للمغاربة على ذلك التوشيح زجل برح مانى ولكن تعرب فى رفعها وخفضها عن النسر والحوت وتشامخ كالجبال وهى خشب مسندة من تبطنها عد من المتصبرين فى تابوت تأتى بالطاق ولكن بالقلوب لأن صغيرها كبير وبياضها سواد وتمشى على الماء وتطير مع الهواء وصلاحها عين الفساد ان نقر الموج على دفوفها لعبت أنامل قلوعها بالعود ورقص على آلاتها الحدباء فتقوم قيامتنا من هذا الرقص الخارج ونحن قعود نتشاءم وهى كما قيل أنف فى السماء واست فى الماء وكم نطيل الشكوى التى قامة صاربها عند الميل وهى الضعدة الصماء فيما الهدى وليس لها عقل ولا دين وتتصابى إذا هبت الصبا وهى بنت أربعمائة وثمانين وتوقف أحوال القوم وهى تجرى بهم فى موج كالجبال وتدعى براءة الذمة وكم استغرقت لهم من أموال هذا وكم ضعف نحيل خصرها عن تثاقل أرداف الأمواج وكم وجلت القلب لما صار لاهداب مجاديفها فى مقلة البحر اختلاج وكم أسبلت على وجنته طرة قلعها فبالغ الريح فى تشويشها وكم مر على قرينها العامرة فتركها وهى خاوية على عروشها فتهزل

(ولما) وجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد الى العراق ليطلق أهل السجون ويقسم الأموال ضيق على يزيد بن أبي مسلم فلما ولي يزيد بن عبد الملك الخلافة ولي يزيد بن أبي مسلم أفريقية وكان محمد بن يزيد واليا عليها فاستخفى محمد بن يزيد فطلبه يزيد بن أبي مسلم وشدد في طلبه فأتى به اليه في شهر رمضان عند المغرب وكان في يد يزيد بن أبي مسلم عنقود عنب فقال لمحمد بن يزيد حين رآه يا محمد بن يزيد قال نعم قال طالما سألت الله أن يمكنني منك فقال وأنا والله طالما سألت الله أن يجيرني منك فقال وأنا ما أجارك ولا أعاذك وأن سبقني ملك الموت إلى قبض روحك سبقته والله آكل هذه الحبة العنب حتى أقتلك ثم أمر به فكتف ووضع في النطع وقام السياف فأقيمت الصلاة فوضع العنقود من يده وتقدم ليصلي وكان أهل أفريقية قد أجمعوا على قتله فلما رفع رأسه ضربه رجل بعمود على رأسه فقتله وقيل لمحمد بن يزيد اذهب حيث شئت فسبحان من قتل الأمير وفك الاسير (وقال) اسحق بن ابراهيم الموصلي رأيت رسول الله ﷺ في النوم وهو يقول اطلق القاتل فارتعت لذلك ودعوت بالشموع ونظرت في أوراق السجن وإذا ورقة انسان ادعي عليه بالقتل وأقر به فأمرت باحضاره فلما رأيته وقد ارتاع فقلت له ان صدقتني أطلقتك فحدثني انه كان هو وجماعة من أصحابه يرتكبون كل عظيمة وان عجوزا جاءتهم بامرأة فلما صارت عندهم صاحت الله الله وغشي عليها فلما أفاقت قالت أنشدك الله في أمري فان هذه العجوزة غرتني وقالت ان في هذا الدار نساء صالحات وأنا شريفة جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمي فاطمة وأبي الحسين بن علي فاحفظوهم في فقمت دونها وناضلت عنها فاشتد علي واحد من الجماعة وقال لابد منها وقاتلني فقتلته وخلصت الجارية من يده فقالت سترك الله كما سترتني وسمع الجيران الصيحة فدخلوا علينا فوجدوا الرجل مقتولا والسكين بيدي فامسكوني وأتوا بي اليك وهذا أمري فقال اسحق قد وهبتك لله ولرسوله فقال وحق اللذين وهبتني لهما لا أعود إلى معصية أبدا وأمر الحجاج باحضار رجل من السجن فلما حضر أمر بضرب عنقه فقال أيها الأمير أخرني إلى غد قال وأي فرج لك في تأخير يوم واحد ثم أمر برده إلى السجن فسمعه الحجاج إلى السجن يقول

عسى فرج يأتي به الله أنه ... له كل يوم في خليقته أمر

فقال الحجاج والله ما أخذه الا من كتاب الله وهو قوله تعالى كل يوم هو في شأن وأمر بإطلاقه (وقال) بعض جلساء المعتمد كنا بين يديه ليلة نخفق رأسه بالنعاس فقال لا تبرحوا حتى أغفي سويعة فغفا ساعة ثم أفاق جزعا مرعوبا وقال امضوا إلى السجن وائتوني بمنصور الجمال فجاؤا به فقال له كم لك في السجن قال سنة ونصف قال على ماذا قال أنا جمال من أهل الموصل وضاق علي الكسب ببلدي فأخذت جملي توجهت إلى بلد غير بلدي لأعمل عليه فوجدت جماعة من الجند قد ظفروا بقوم غير مستقيمي الحال وهم مقدار عشرة أنفس وجدوهم يقطعون الطريق فدفع واحد منهم شيئا للاعوان فاطلقوه وأمسكوني عوضه وأخذوا جملي فناشدتهم الله فابوا وسجنت أنا والقوم فاطلق بعضهم ومات بعضهم وبقيت أنا فدفع له المعتمد خمسمائة دينار وأجرى له ثلاثين دينارا في كل شهر وقال اجعلوه على جمالنا ثم قال أتدرون ما سبب فعلي هذا قلنا لا قال رأيت رسول الله ﷺ وهو يقول اطلق منصورا الجمال من السجن وأحسن اليه . وأخذ الطاعون أهل بيت فسد بابه ففضل فيه طفل يرضع لم يشعر به أحد ففتح الباب بعد شهر فوجدا الطفل قد عطف الله عليه كلبة ترضعه مع جرو لها فسبحان

إلى أن ترى ضلوعها من السقم تعد ولقد رأيناها بعد ذلك قد ثبت وهي حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد وخلاص المملوك من كدر المالح الى النيل المبارك فوجده من أهل الصفا واخوان الوفا وتتصل من ذلك العدو الأزرق ذي الباطن الكدر وجمع من عذوبة النيل ونضارة شطوطه بين عين الحياة والخضر وتلا لسان الحال على المملوك وأصحابه ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وقضي الأمر وقيل بعدا للقوم الظالمين (وبعد) فان المملوك يسأل الاقالة من عثرات هذه الرسالة فقد علم الله أنها صدرت من فكر تركه البين مشتتا وأعضاء من كثرة بردها قد خرجت من البحر عارية في فصل الشتاء وليستر عوراتها بستائر الحلم وينظر اليها من الرحمة بعين وليسكن ضربها بسيف النقد صفحا فقد كفى ما جرحت بسيوف البين وتالله لم يسلك المملوك هذه الجادة الا ليجد له سبيلا إلى نهلة من عذب تلك الموارد ويعود على الضعيف الذي قطعت صلاته من صفاء هذا المشرب عائد ويصير العبد مسعودا إذا عد للابواب العالية من جملة الخدام ويحصل لكبده الحراء من ذلك النسيم الغربي برد وسلام والله تعالى يمن بقرب المثول بين يديه ليحصل للملوك بمسد التخلص

القادر على كل شىء لا إله غيره ولا معبود سواه قال الشاعر

إذا تضايق أمر فانتظر فرجا … فأضيق الأمر أدناه الى الفرج

(وقال آخر) فلا تجزع عن أظلم الدهر مرة … فان اعتكا الليل يؤذن بالفجر

(وقال آخر) لعمرك ما كل التعاطيل ضائرا … ولا كل شكل فيه للمرء منفعه

إذا كانت الأرزاق فى القرب والنوى … عليك سواء فاغتنم لذة الدعه

فان ضقت فاصبر يفرج الله ماترى … ألا رب ضيق فى عواقبه سعه

وقال الرياشى مااعترانى هم فانشدت قول العتاهيه حيث قال

هى الايام والغير … وأمر الله ينتظر … أتيأس أو ترى فرجا … فأين الله والقدر

الأسرى عن وهبت ربح الفرج ويروى أن سلطان صقلية أرق ذات ليلة ومنع النوم فارسل الى قاعد البحر وقال له انفذ الان مركبا الى أفريقية يأتونى باخبارهم فعمد القائد الى مقدم مركب وأرسله فلما اصبحوا إذا بالمركب فى موضعه كأنه لم يبرح فقال الملك لقائد البحر أليس قدفعلت ماأمرتك به قال نعم قد امتثلت أمرك وأنفذت مركبا فرجع بعد ساعه وسيحدثك مقدم المركب فأمر باحضاره فجاء ومعه رجل فقال له الملك مامنعك أن تذهب حيث أمرت قال ذهبت بالمركب فبينما أنا فى جوف الليل والرجال يجذفون إذا بصوت يقول يا الله يا الله ياغياث المستغيثين يكررها مراراً فلما استقر صوته فى أسماعنا ناديناه مراراً لبيك لبيك وهو ينادى يا الله يا الله ياغياث المستغيثين فجدفنا بالمركب نحو الصوت فلقينا هذا الرجل غريقا فى آخر رمق من الحياة فطلعنا به المركب وسألناه عن حاله فقال كنا مقلعين من أفريقية فغرقت سفينتنا منذ أيام وأشرفت على الموت ومازلت أصيح حتى أتانى الغوث من ناحيتكم فسبحان من أسهر سلطان وأرقه فى قصر لغريق فى البحر حتى استخرجه من تلك الظلمات الثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الوحدة فسبحانه لاإله غيره ولامعبود سواه (وحكى) سيدى أبو بكر الطرطوشى فى كتابه سراج الملوك قال أخبر أبو الوليد الباجى عن أبى ذر قال كنت أقرأ على الشيخ أبى حفص عمر بن أحمد بن شاهين ببغداد جزءا من الحديث فى خانوت رجل عطار فبينما أنا جالس معه فى الحانوت إذ جاء رجل من مطوفين ممن يبيع العطر فى طبق يحمله على يديه فدفع اليه عشرة دراهم وقال له اعطنى بها أشياء سماها له من العطر فأعطاه اياها فأخذها فى طبقه وأراد أن يمضى فسقط الطبق من يده فانكب جميع مافيه فبكى الطواف وجزع حتى رحمناه فقال أبو حفص لصاحب الحانوت لعلك تعنيه على بعض هذ الأشياء فقال سمعا وطاعة فنزل وجمع له ماقدر على جمعه منها ودفع له ماعدم منها وأقبل الشيخ على الطواف بصبره ويقول له لاتجزع فأمر الدنيا أيسر من ذلك فقال الطواف أيها الشيخ ليس جزعى لضياع لقد علم الله تعالى أنى كنت فى القافلة الفلانية فضاع لى هميان فيه أربعة آلاف دينار ومعها فصوص قيمتها كذلك فما جزعت لضياعها حيث كان لى غيرها من المال ولكن ولدلى ولد فى هذه الليلة فاحتجنا لأمه ماتحتاج النفساء ولم يكن عندى غير هذه العشرة دراهم فخشيت أن أشترى بها النفساء فأبقى بلا رأس مال وأنا قدصرت شيخا كبيرا لاأقدر على التكسب فقلت فى نفسى أشترى بها شيئا من العطر فاطوف به صدر النهار فعسى أستفضل شيئا أسد به رمق أهلى ويبقى رأس المال أتكسب به واشتريت هذا العطر فحين انكب الطبق علمت أنه لم يبق لى إلاالفرار منهم فهذا الذى أوجب جزعى قال أبو حفص وكان رجل من الجندى جالسا إلى جانبى يستوعب الحديث فقال للشيخ أبى حفص ياسيدى أريد أن يأتى

من البين حتى الختام (القاضى السعيد هبة الله بن سناء الملك) وان الشوق بحر وقلبه والله الغريق بأمواجه وجمر وصدره المظالم بسراجه (ومن انشائه) فالاسلام من طلقائه والكفر مجاهد ولكن بانقائه وسيوفه تحسن فى الاجسام البسط وفى الارواح القبض ورماحه تكاد لطولها تمسك السماء ان تقع على الأرض (ومن انشائه) وكيف لايجمد المملوك تلك الأشواق وهى تقربه من المولى بالتخييل إذا بعدته الايام وتمثل المقام الكريم فيقابله كل ساعة بالسجود ويشافهه بالسلام ويرفع ناظره فلولا نظره اليه لكانت عينه مطرقة وستور أهدابه مسبلة وأبواب جفونه مغلقة ولولا اشتغالها بمطالعة طلعته لانتهب من دمرعها بمياه محرقة فهو منها فى نار وجنه مغلول بغله مطوق بمنه (ومن انشائه) ولقد أنساه فراق مولاه حروف المعجم فما يعرف منها حرفا وعاقب خاطره الذى كفر بالبلاد فاسقط عليه من سمائها كسفا شوق ماخطر مثله على قلب بشر ودمع ماسر على بصر الاوس كلمح بالبصر ولسان لاينفك من الدعاء على يوم الفراق ومن دعا على ظالمه فقد انتصر (القاضى محيى الدين عبد الظاهر) خليفة الفاضل (ومن انشائه قوله)

بهذا الرجل إلى منزلى فظننا أنه يريد أن يعطيه شيئا قال فدخلنا إلى منزله فاقبل على الطواف
وقال له عجبت من جزعك فاعاد عليه القصة فقال له الجندى وكنت فى تلك القافلة قال نعم
وكان فيها فلان وفلان فعلم الجندى صحة قوله فقال وما علامة الهميان وفى أى موضع سقط
منك فوصف له المكان والعلامة قال الجندى إذا رأيته تعرفه قال نعم فاخرج الجندى له هميانا
ووضعه بين يديه فحين رآه صاح وقال هذا همياني والله وعلامة صحة قولى ان فيه من الفصوص
ماهو كيت وكيت ففتح الهميان فوجده كما ذكر فقال الجندى خذ مالك بارك الله لك فيه فقال
الطواف ان هذه الفصوص قيمتها مثل الدنانير وأكثر فخذها وأنت فى حل منها ونفسى طيبة
بذلك فقال الجندى ما كنت لآخذ على أمانتى مالا وأبى أن يأخذ شيئا ثم دفعها للطواف جميعها
فأخذها ومضى ودخل الطواف وهو من الفقراء وخرج وهو من الاغنياء اللهم أغن فقرنا
ويسر أمرنا برحمتك يا أرحم الراحمين (وحكى) ان الملك نصر الدولة من آل حمدان كان يشكو
وجع القولنج حتى أعيا الاطباء دواؤه لم يجدواله شفاء فدسوا على قتله وارصدواله رجلا ومعه خنجر
فلما كان فى بعض دهاليز القصر وثب عليه ذلك الرجل وضربه بالخنجر فجاءت الضربة أسفل خاصرته
فلم تخط المعى الذى فيه القولنج فخرج مافيه من الخلط فعافاه الله تعالى وبرىء أحسن ماكان *
وبضد هذا ماحكاه أبو بكر الطرطوشى قال حدثنا القاضى أبو مروان الدارانى بطرطوشة
قال نزلت قافلة بقرية خربة من أعمال دانية فأووا إلى دار خربة هناك فاستكنوا فيها
من الرياح والأمطار واستوقدوا نارهم وسووا معيشتهم وكان فى تلك الخربة حائط مائل قد
أشرف على الوقوع فقال رجل منهم ياهؤلاء لاتقعدوا تحت هذا الحائط ولا يدخلن أحد
فى هذه البقعة فابوا الادخولها فاعتزلهم ذلك الرجل وبات خارجا عنهم ولم يقرب ذلك المكان فاصبحوا
فى عافية وحملوا على دوابهم فبينماهم كذلك اذ دخل ذلك الرجل إلى الدار ليقضى حاجته فخر عليه الحائط
فمات لوقته * قال وأخبر أبو القاسم بن حبيش بالموصل قال لقد جرت فى هذه الدار وأشار إلى
دار هناك قضية عجيبة قلت وماهى قال كان يسكن هذه الدار رجل من التجار ممن يسافر الكوفة فى
تجارة الخز فاتفق أنه جعل جميع مامعه من الخز فى خرج وحمله حماره وسار مع القافلة فلما نزلت القافلة
أراد انزال الخرج عن الحمار فثقل عليه فأمر إنسانا هناك فأعانه على انزاله ثم جلس يأكل فاستدعى ذلك
الرجل ليأكل معه فسأله عن أمره فأخبره أنه من أهل الكوفة وأنه خرج لحاجة عرضت له بغير
نفقة ولا زاد فقال له الرجل كن رفيقى آنس بك وتعيننى على سفرى ونفقتك ومؤنتك على فقال
له الرجل وأنا أيضا أختار صحبتك وأرغب فى مرافقتك فسار معه فى سفره وخدمه أحسن خدمة إلى
أن وصلا إلى تكريت فنزل الرفقة خارج المدينة ودخل الناس إلى قضاء حوائجهم فقال التاجر
لذلك الرجل احفظ حوائجنا حتى أدخل المدينة واشترى مانحتاج اليه ثم دخل المدينة وقضى جميع
حوائجه ورجع فلم يجد القافلة ولاصاحبه ورحلت الرفقة ولم ير أحدا فظن أنه لما رحلت الرفقة
رحل ذلك الخادم معهم فلم يزل يسير ويجد السير فى المشى إلى أن أدرك القافلة بعد جهد عظيم وتعب
شديد فسألهم عن صاحبه فقالوا مارأيناه ولاجاء معنا ولكنه ارتحل على أثرك فظننا أنك أمرته
فكر الرجل راجعا إلى تكريت وسأل عن الرجل فلم يجد له أثرا ولا سمع له خبرا فيئس منه ورجع
إلى الموصل مسلوب المال فوصلها نهارا فقيرا جائعا عريانا مجهودا فاستحى أن يدخلها نهارا فتشمت
به الاعداء نعوذ بالله من شماتتهم وخشى أن يحزن الصديق إذا رآه على تلك الحالة فاستخفى إلى الليل
ثم عاد إلى داره فطرق الباب فقيل له من هذا قال فلان يعنى نفسه فاظهروا له سرورا عظيما وحاجة اليه

نعله بفتوحات آستطعم الايمان حلاوتها من أطراف المران واستنطق الاسلام عبارتها من ألسنة الخرسان
وذلك بفتح حصن
الاكراد الذى كان فى
حلق البلاد الشامية غصة
لم تسغ بمياه السيوف
المجردة وشجى فى صدرها
لم تقومه أدوية العزائم
المفردة (ومن انشائه)
بابطال الحشيش بعد
الخمر نعله أن المنكرات
أمرنا أن نملأ الصحائف
بأجرها وتفرغ الصحاف
وإن لايخلو بيت من بيوتها
من كسر أوزحاف وقد
بلغنا الآن انها اختصرت
وان كلمة الشيطان
بالتعريض عنها ماقصرت
وان أم الخبائث ما
عقمت وان الجماعة التى
كانت ترضع ثدى
الكاس عن ثديها
ما فطمت وانها فى النشوة
ماخيب إبليس مسقاها
وانها لما أخرج المنع عنها
ماء الخمر أخرج لها من
الحشيش مرعاها وانها
استراحت من الخمار
واستغنت بما تشتريه
بدرهم عما كانت تبتاعه
من الخمر بدينار وان ذلك
فساق كثير من الناس
وعرف فى عيونهم مايعرف
من الاحرار فى الكاس
وصاروا كأنهم خشب
مسندة سكرى واذا مشوا
يقدمون لفساد عقولهم
رجلا ويؤخرون أخرى
ونحن نأمر بان تجتث
أصولها وتقتلع ويؤدب غارسها حتى يحصد الندامة مما زرع وتطهر منها المساجد

والجوامع ويشهر مستعملها في المحافل (٧٤) والمجامع حتى تنتبه العيون من هذا الوسن وحتى لاتشتهى بعدها خضراء ولاخضراء

الدمن (ومن انشائه عن لسان الشريف إلى الفرنج وقد أخذت شتواني السلطان) وفرق بين من يتصيد بالصقور من الخيل العراب وبين من إذا افتخر قال تصيدت بغراب فلئن أخذتم لنا قرية مكسورة فكم أخذنا لكم قرية معمورة وقد قال الملك فقلنا وعلم الله أن قولنا من الصحيح وانكل وانكلنا وأين من انكل على الله عن انكل على الريح (ومن انشاء الصدر عز الدين بن سينا) في بشارة بكسر عساكر للفرنج عن الملك الصالح نجم الدين ايوب سنة اثنتين وأربعين وستمائة فلا روضة الا درع ولا جدول الا حسام ولا غمامة الا نقع ولا وبل الا سهام ولا مدامة الا دم ولا نغم الا صليل ولا معربدا الا قاتل ولا سكران الا قتيل حتى أنبت كافور الرمال شقيقا واستحال بلور الحصباء عقيقا وازدحمت الجنائب في الفضاء بجملته مضيقا وضرب النقع في السماء طريقا

وضاقت الارض حتى كادها وبهم
إذا رأى غير شيء ظنه رجلا

(قلت) ذكرت بهذا التلاعب المطرب من انشاء الصدر عز الدين

وقالوا الحمد لله الذى جاء بك في هذا الوقت على ما نحن فيه من الضرورة والحاجة فانك أخذت مالك معك وما تركت لنا نفقة كافية وأطلت سفرك واحتجنا وقد وضعت زوجتك اليوم والله ما وجدنا ما نشترى به شيئا للنفساء فأتنا بدقيق ودهن نسرج به علينا فلا سراج عندنا فلما سمع ذلك ازداد غما على غمه وكره أن يخبرهم بحاله فيحزنهم بذلك فأخذ وعاء للدهن ووعاء للدقيق وخرج إلى حانوت أمام داره وكان فيه رجل يبيع الدقيق والزيت والعسل ونحو ذلك وكان البياع أطفأ سراجه وأغلق حانوته ونام فناداه فعرفه فأجابه وشكر الله على سلامته فقال له افتح حانوتك وأعطنا ما نحتاج اليه من دقيق وعسل ودهن فنزل البياع إلى حانوته وأوقد المصباح ووقف يزن له ما طلب فبينما هو كذلك إذ حانت من التاجر التفاتة إلى قعر الحانوت فرأى خرجه الذى هرب به صاحبه فلم يملك نفسه أن وثب اليه والتزمه وقال ياعدو الله ائتنى بمالى فقال له البياع ماهذا يافلان والله ما علمتك متعديا وأنا أبدا ما جنيت عليك ولا على غيرك فما هذا الكلام قال هذا خرجى هرب به خادم كان يخدمنى وأخذ حمارى وجميع مالى فقال البياع والله مالى علم غير أن رجلا ورد على بعد العشاء واشترى منى عشاءه وأعطانى هذا الخرج لجملته في حانوتى وديعة إلى حين يصبح والحمار في دار جارنا والرجل في المسجد نائم قال له احمل معى الخرج وامض بنا إلى الرجل فرفع الخرج على عاتقه ومضى معه إلى المسجد فاذا الرجل نائم في المسجد فوكزه برجله فقام الرجل مرعوبا فقال مالك أين مالى ياخائن قال ماهو في خرجك فوالله ما أخذت منه ذرة قال فأين الحمار وآلته قال هو عند هذا الرجل الذى معك فمفاعنه وخلى سبيله ومضى بخرجه إلى داره فوجد متاعه سالما فوسع على أهله وأخبرهم بقصته فازداد سرورهم وفرحهم وتبركوا بذلك المولود فسبحان من لا يخيب من قصده ولا ينسى من ذكره (ولنلحق بهذا الباب ذكر شيء مما جاء في التهنئة والبشائر) كتب بعضهم إلى أخيه وقد أتاه خبر استبشر به سمعت عنك خبرا سارا كتب في الألواح وامتزج بالارواح وعد في جملة البشائر العظام وجرى في العروق وتمشى في العظام وكان خالد بن عبدالله القسرى أخا هشام بن عبد الملك من الرضاع وكان يقول له انى لأرى فيك آثار الخلافة ولا تموت حتى تليها فقال له ان أنا وليتها فلك العراق فلما ولى أتاه فقام بين الصفين وقال ياأمير المؤمنين أعزك الله بعزته وأيدك بملائكته وبارك لك فيما ولاك ورعاك فيما استرعاك وجعل ولايتك على أهل الاسلام نعمة وعلى أهل الشرك نقمة لقد كانت الولاية اليك أشوق منك اليها وأنت لها أزين منها لك وما مثلها ومثلك الا كما قال الاحوص هذه الابيات

وان الدر زان حسن وجوه ... كان للدر حسن وجهك زينا
وتزيدين أطيب الطيب طيبا ... ان تمسه أين مثلك أينا

(ودخل) على المهدى أعرابى فقال له فيم جئت قال أتيتك برسالة قال هاتها قال أتانى آت في منامى فقال ائت أمير المؤمنين فأبلغه هذه الأبيات

لكم أرث الخلافة من قريش ... تزف اليكموا أبدا عروسا
إلى هرون تهدف بعد موسى ... تميس ومالها أن لا تميسا

فقال المهدى ياغلام على بالجوهر لجشا فاه حتى كاد ينشق ثم قال اكتبوا هذه الابيات واجعلوها في مخانق صبياننا (وقال) إبراهيم الموصلى في تهنئة الرشيد بالخلافة

ألم تر ان الشمس كانت مريضة ... فلما أتى هرون أشرق نورها
تلبست الدنيا جمالا علـــكه ... فهرون اليها ويحيى وزيرها

وغناه بهما من وراء الحجاب فوصله بمائة ألف دينار ويحيى بخمسين للفاه ودخل عطاء بن أبى

صيفى على يزيد بن معاوية وهو أول من جمع بين التهنئة والتعزية فقال رزئت خليفة الله وأعطيت خلافة الله قضى معاوية نحبه فغفر الله ذنبه ووليت الرئاسة وكنت أحق بالسياسة فاحتسب عند الله أعظم الرزية واشكر الله على أعظم العطيه * ومر عمر بن هبيرة بعد اطلاقه من السجن بالرقة فاذا امرأة من بنى سليم على سطح لها تحادث جارة لها ليلا وهى تقول لاوالذى أسأله ان يخلص عمر ابن هبيرة مما هو فيه ما كان كذا فرمى اليها بصرة فيها مائة دينار وقال قد خلص الله عمر بن هبيرة فطيبى نفسا وقرى عينا والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والخمسون فى ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان)

(الفصل الأول فى مدح العبيد والاماء والاستيصاء بهم خيرا) عن على رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ أول من يدخل الجنة شهيد وعبد أحسن عبادة ربه ونصح لسيده وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما رفعه ان العبد اذا نصح لسيده وأحسن عبادة ربه فله أجره مرتين وكان زيد بن حارثة خادما لخديجة رضى الله تعالى عنها اشترى لها بسوق عكاظ فوهبته لرسول الله ﷺ فجاء أبوه يريد شراءه منه فقال رسول الله ﷺ ان رضى بذلك فعلت فسئل زيد فقال ذل الرق مع صحابة رسول الله ﷺ أحب الى من عز الحرية مع مفارقته فقال رسول الله ﷺ اذا اختارنا اخترناه فأعتقه وزوجه أم أيمن وبعدها زينب بنت جحش وعن على رضى الله تعالى عنه قال كان آخر كلام رسول الله ﷺ أوصيكم بالصلاة واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم * وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه لايقولن أحدكم عبدى وأمتى كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامى وجاريتى وفتاى وفتاتى وعن ابن مسعود الانصارى قال ضربت غلاما لى فسمعت من خلفى صوتا اعلم ياأبا مسعود ان الله أقدر عليك منك عليه فالتفت فاذا هو النبى ﷺ فقلت يارسول الله هو حر لوجه الله تعالى فقال اما انك لولم تفعل للفحتك النار * وروى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله كم تعفو عن الخادم ثم أعاد عليه فصمت فلما كانت الثالثة قال له أعفو عنه كل يوم سبعين مرة وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال حدثنى أبو القاسم نبى التوبة ﷺ من قذف مملوكه وهو برىء مما قال جلد له يوم القيامة حدا وقيل أراد رجل بيع جاريته فبكت فقال لها مالك فقالت لو ملكت منك ماملكت منى ما أخرجتك من يدى فأعتقها وزوجها وقال أبو اليقظان ان قريشا لم تكن ترغب فى أمهات الاولاد حتى ولدن ثلاثة هم خير أهل زمانهم على ابن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وذلك ان عمر رضى الله تعالى عنه اتى ببنات يزدجرد بن شهريار بن كسرى مسبيات فأراد بيعهن فأعطاهن للدلال ينادى عليهن باسواق فكشف عن وجه احداهن فلطمته لطمة شديدة على وجهه فصاح واعمراه وشكا إليه فدعاهن عمر وأراد أن يضربهن بالدرة فقال على رضى الله تعالى عنه ياأمير المؤمنين أن رسول الله ﷺ قال اكرموا عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر ان بنات الملوك لايبعن ولكن قوموهن فقوموهن وأعطاه أثمانهن وقسمهن بين الحسن بن علي ومحمد بن أبى بكر وعبد الله بن عمر فولدن هؤلاء الثلاثة وقيل استبق بنو عبد الملك فسبقه مسلمة وكان ابن أمة فتمثل عبد الملك يقول عمرو الغنوى

نهيتكموا أن تحملوا فوق خيلكم	هجينا لكم يوم الرهان فيدرك
فتعثر كفاره ويسقط سوطه	ويخدر ساقاه فما يتحرك
وهل يستوى المرآن هذا ابن حرة	وهذا ابن أخرى ظهرها متشرك

فقال له مسلمة يغفر الله لك ياأمير المؤمنين ليس هذا مثلى ولكن كما قال ابن المعمر هذه الأبيات

أدام الله نعمة مولانا ولا زال ظل عله مرفوعا أبدا وبناء مجده منصوبا يخفض المدا ولا برحت أقلامه لافعال الشك جازمه ولاعدائه متعدية ولآرائه لازمه (أما بعد) فان فلانا حضر وادعى أنه رحم فى غير النداء وجزم والجزم لايدخل فى الاسماء واستثنى من غير موجب لخفض والخفض من أدوات الاستثناء وذكر أن العامل الذى دخل عليه منعه من الصرف ولزمه لزوم البناء واجتمع معه فى الشرط وأفرده بالجزاء والمأثور من مكارم مولانا نصب محله على المدح لاعلى الاغراء. ورفع اسمه المعرى من العوامل على الابتداء ففيه من التمييز والظرف مايوجب العطف من المعرفة والعدل ما يمنعه من الصرف لازال مولانا بابا للعطف والصلة ومآثر مكارمه متصلة لامنفصلة (قلت) قد انتهت الغاية هنا الى التحلى بالقطر النباتى وقد عن لى أن أورد هنا حظيرة الإنس الى حضرة القدس فانها من بديع إنشائه وهى فى رحلته الى القدس الشريف مع الصاحب أمين الدين (وهى) الحمد لله حافظ سر الملك بأمينه وحامى حماه بمن قسم الشكر والاجر بين دنياه ودينه ومن إذا رفعت راية مجد تلقاها عرابة براعته بيمينه واذا امتدت اليه أجياد الممالك حلاها

فما أنكحونا طائعين بناتهم ... ولكن خطبناهم بأرماحنا قسرا
فما زادنا فيها السباء مذلة ... ولا كلفت خبزا ولا طبخت قدرا
وكم قد ترى فينا من ابن سبية ... إذا لقى الأبطال يطعنهم شزرا
ويأخذ رايات الطعان بكفه ... فيوردها بيضا ويصدرها حمرا

فقبل رأسه وعينيه وقال أحسنت يا بنى ذاك والله أنت وأمر له بمائة ألف درهم مثل ما أخذ السابق والله أعلم

(الفصل الثاني في ذم العبيد والخدم) روى عن رسول الله ﷺ أنه قال بئس المال في آخر الزمان المماليك وقال مجاهد إذا كثرت الخدم كثرت الشياطين وقال لقمان لابنه لا تأمنن امرأة على سر ولا تطأ خادما تريدها للخدمة ٠ وصف بعضهم عبدا فقال يأكل فارها ويعمل كارها ويبغض قوما ويحب نوما وقيل لبعضهم ألك غلام فقال

ومالي غلام فادعو به ... سوى من أبوه أخو عمتي

وقال أكثم الحر حر وإن مسه الضر والعبد عبد وإن ألبسته الدر ٠ ودعا بعض أهل الكوفة اخوانه وله جارية فقصر فيما ينبغي لهم من الخدمة فقال

إذا لم يكن في منزل المرء حرة ... رأى خللا فيم تولى الولائد
فلا يتخذ منهن حر قعيدة ... فهن لعمر الله بئس القعائد

وكان لرجل غلام من أكسل الناس فأرسله يوما يشترى له عنبا وتينا فأبطأ عليه حتى عيل صبره ثم جاء بأحدهما فضربه وقال ينبغي لك إذا استقضيتك حاجة أن تقضى حاجتين فمرض الرجل فأمر الغلام أن يأتيه بطبيب فغاب ثم جاء بالطبيب ومعه رجل آخر فسأله عنه فقال لما ضربتني وأمرتني أن أقضى حاجتين في حاجة جئتك بالطبيب فإن شفاك الله تعالى والا حفر لك هذا قبرك فهذا طبيب وهذا حفار وقيل كان عمر والأعجمي يلي حكم السند فكتب إلى موسى الهادى أن رجلا من أشراف أهل الهند من آل مهلب بن أبي صفرة اشترى غلاما أسود فرباه وتبناه فلما كبر وشب اشتد به هوى مولاته فراودها عن نفسها فأجابته فدخل مولاه يوما على غفلة منه حيث لا يعلم فإذا هو على صدر مولاته فعمد اليه فجب ذكره وتركه يتشحط في دمه ثم أدركته عليه رقة وندم على ذلك فعالجه الى ان برىء من علته فأقام بعدها مدة يطلب أن يأخذ ثأره من مولاه ويدبر عليه أمرا يكون فيه شفاء غليله وكان لمولاه ابنان أحدهما طفل والآخر يافع كأنهما الشمس والقمر فغاب الرجل يوما عن منزله لبعض الأمور فأخذ الأسود الصبيين فصعد بهما على ذروة سطح عال فصيرهما هناك وجعل يعللهما بالمطعم مرة وباللعب أخرى الى أن دخل مولاه فرفع رأسه فرأى ابنيه في شاهق مع الغلام فقال ويلك عرضت ابنى للموت قال أجل والله الذي لا يحلف العبد بأعظم منه لئن لم تجب ذكرك مثل ما جببتني لأرمين بهما فقال الله الله يا ولدى في تربيتي لك قال دع هذا عنك فوالله ما هي الا نفسى وانى لأسمح بها في شربة ماء فجعل يكرر عليه ويتضرع له وهو لا يقبل ذلك ويذهب الوالد يريد الصعود اليه فيدليهما من ذلك الشاهق فقال أبوهما ويلك فاصبر حتى أخرج مدية وأفعل ما أردت ثم أسرع وأخذ مدية فجب نفسه وهو يراه فلما رأى الأسود ذلك رمى الصبيين من ذلك الشاهق فتقطعا وقال ان جبك لنفسك ثأرى وقتل أولادك زيادة فيه فأخذ الأسود وكتب بخبره لموسى الهادى فكتب موسى لصاحب السند عمر والأعجمي بقتل الغلام وقال ما سمعت بمثل هذا قط وأمر أن يخرج من مملكته كل أسود فاترى أردأ من العبيد ولا أقل خيرا منهم وأكثرهم رداءة المولدون ولو أحسنت الى أحدهم

الدهر

من عقد التدبير بثمينة وإذا نوى في السيادة فعلا أمضى العزم السنى قبل دخول ضيفه وإذا حل بساحة القلم روية عن ابن بحر كتاب بيانه في الفضل وتبيينه وصلى الله على سيدنا محمد الذي أيد بالروح الأمين وعضد بوزراء آله وصحبه الغر الميامين وسلم عليه وعليهم سلاما باقيا إلى يوم الدين (أما بعد) فان الله سبحانه وتعالى لما يريد من صلاح عباده وانتظام هذا العالم الأرضى في سلك سداده وتمام أمر هذا السواد الأعظم بمدبرة تماما بخط الطرس بسواده جعل لكل دولة قائمة وزيرا قائما بتدبيرها مفرغا غص القلم بتثميرها منفذا أمر سلطانها ومبلغا احكام عدلها واحسانها يبنى ممالكها على الأسل من اقلامه ويحوط اطرافها احاطة الزهر بكمامه ويتحفها بأوصاف وزيرته يقدم عليها العدل خنصره ويتضح بها وجه الاستحقاق من ابهامه (وكان) صاحب هذه الدولة التي خضعت لها الدول وفاضل امرها الجليل وراسخ دوحها الذي ما مال مع الهوى وقديم صحائفها الذي تلا تسديده ما ضل صاحبكم وما غوى وضابط أمورها الذي طال ما استشرفت اليه اسماع وأبصار وانتصرت به تقديم هجرته فلا غرو أن صار من المهاجرين بها والانصار المقر الاشرف الصاحبى الوزيرى الاميني

الدهر كله ما تصل يدك إليه أنكره كأن لم ير منك شيئا وكلما أحسنت إليه تمرد وإن أسأت إليه خضع وذل وقد جربت أنا ذلك كثيرا وما أحسن ما قيل

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

وقيل أن العبد إذا شبع فسق وإن جاع سرق وكان جدى لأمى يقول شر المال تربية العبيد والمولدون منهم الأم من الزنوج وأردأ لأن المولد لا يعرف له أبا وربما يعرف الزنجى أبويه ويقال فى المولد بغل لأنه مجنس والبغل تكون أمه فرسا وأبوه حمارا أو بالعكس فلا تثق بمولد لأنه قل أن تكون فيه خير وإن كان فذاك نادر والنادر لا حكم له وأنا أستغفر الله العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب التاسع والخمسون فى أخبار العرب الجاهلية وأوابدهم وذكر غرائب من عوائدهم وعجائب من أكاذيبهم ﴾

للعرب أوابد وغوائد كانوا يرونها فضلا وقد دل على بعضها القرآن العظيم وأكذب الله دعاويها فيها فمن ذلك قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون . قال أهل اللغة البحيرة ناقة كانت إذا نتجت خمسة أبطن وكان الأخير ذكرا بحروا أذنها أى شقوا أذنها وامتنعوا من ذكاتها ولا يمنع من ماء ولا مرعى . وكان الرجل إذا أعتق عبدا وقال هو سائبة فلا عقد بينهما ولا ميراث . وأما الوصيلة ففى الغنم كانت الشاة إذا ولدت أنثى فهى لهم وإن ولدت ذكرا جعلوه لآلهتهم فإن ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلا يذبح الذكر لآلهتهم . وأما الحام فالذكر من الإبل كانت العرب إذا نتج من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا حمى ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى . وقال تعالى إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون فالخمر ما خامر العقل ومنه سميت الخمر خمرا والميسر القمار والأنصاب حجارة كانت لهم يعبدونها وهى الأوثان واحدها نصب والأزلام سهام كانت لهم مكتوب على بعضها أمرنى ربى وعلى بعضها نهانى ربى فإذا أراد الرجل سفرا أو أمرا يهتم به ضرب بتلك القداح فإذا خرج الأمر مضى لحاجته وإذا خرج النهى لم يمض . ومن أوابدهم وأد البنات أى دفنهن أحياء كانوا فى الجاهلية إذا رزق أحدهم أنثى وأدها وإذا بشر بها ضاق صدره وكظم وجهه وهو قوله تعالى وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم وقال تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم وقد قيل إنهم كانوا يقتلونهن خوف العار وبمكة جبل يقال له أبو دلامة كانت قريش تئد فيه البنات . وقيل إن صعصعة جد الفرزدق كان يشترى البنات ويفديهن من القتل كل بنت بناقتين عشراوين وجمل . وفاخر الفرزدق رجلا عند بعض بنى أمية فقال أنا ابن محيى الموتى فأنكر الرجال ذلك فقال إن الله تعالى يقول ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا (وأما الرفادة فى الحج) فكانت خرجا تخرجه قريش فى كل موسم من أموالهم إلى قصى فيصنع به طعاما للحاج فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد وذلك أن قصيا فرضه على قريش فقال لهم حين أمرهم به يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم وإن الحجاج ضيوف الله وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج حتى يصدروا عنكم ففعلوا . وكانوا يخرجون لك كل عام من أموالهم فيدفعونه إليهم . وقيل أول من أقام الرفادة عبد المطلب وهو الذى حفر بئر زمزم وكانت مطمومة واستخرج منها الغزالين الذهب اللذين عليهما الدر والجوهر وغير ذلك من الحلى وسبعة أسياف وخمسة دروع سوابغ فضرب من الأسياف باب الكعبة وجعل أحد الغزالين الذهب صفائح الذهب وجعل الآخر

أعلى الله تعالى أبدا شأنه ورفع على فرق الفرقدين مكانه وزان بأقلامه أقاليم مصر فهذه سهام وهذه كنانة من استدعته رواة المحافل وتردد فى المناصب العلية تردد الأقمار فى المنازل وجمع الأوصاف الوزيرية جمع أبى جاد للحروف وتنبيه قلبه ونامت ملء أجفانها السيوف وعرف بالسيادة والزهد فعلى كلا الحالين هو السرى وقدره معروف وكنت أود لو نقلت الشهادة بصفاته عن الخبر إلى المعاينة وجمعت بملازمة مقره الشريف الظاهر الوصف باطنه ورويت الأخبار عن لسنه وجنيت الورد من غصنه بل التبر من معدنه . هذا واشتغاله بتدبير الدول شاغله وأيام البعد عند فراغه بينى وبين القصد حائلة فلما عزم بدمشق المحروسة سنة خمس وثلاثين على زيارة القدس الشريف اطلع رأيه الشريف على ما فى خاطرى وأمرنى بالمسير فى ظل ركابه فسر على الحقيقة سائرى وكاشف ولا ينكر التكشف لمن كثرت زواياه فى البلاد ونظر لحالى ولا ينكر النظر فى الأحوال لسيد الوزراء والزهاد وكان له فى استصحابى مقصد تقبل الله عمله الصالح ومتجره الرابح وذلك أنى كنت لابسا ثياب الحزن على ولدى مقيما بين المقابر إقامة تفت حبة قلبى على قطعة كبدى ساقيا روض الحزن بغمائم الجفون باكيا على دينار

في الكعبة (والله أعلم) وفقني الله وإياك انه لم يسمع بعجب أعظم من عجب سعيد بن زرارة وعبدالله بن زياد التيمي وابن سماك الاسدي الذين ضرب بهم المثل ، فأما سعيد بن زرارة فقيل انه مرت به امرأة فقالت له ياعبد الله كيف الطريق إلى مكان كذا فقال لها ياهنتاه مثلي يكون من عبيدالله ، وأما عبد الله بن زياد التيمي فقيل انه خطب الناس بالبصرة فأحسن وأوجز فنودي من نواحي المسجد كثر الله فينا مثلك فقال لقد كلفتم الله شططا وأما ابن سماك فانه أضل راحلته فالتمسها فلم توجد فقال والله لئن لم يرد راحلتي على لاصليت له أبدا فوجدت وقد تعلق زمامها ببعض أغصان الشجر فقيل له قد رد الله عليك راحلتك فصل فقال إنما كانت يميني يمينا قصدا فانظر رحمك الله إلى هذا المخبث كيف ذهب بهم حتى أفضى بهم إلى الكفر وصاروا حديثا مستبشعا نعوذ بالله من الخذلان المؤدي إلى النيران ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

(حكي) عن الحجاج بن يوسف الثقفي انه قيل له كيف وجدت منزلك بالعراق قال خير منزل ان الله أظفرني بأناس بلغني الأمل فيهم وأني على الانتقام منهم فكنت أتقرب اليه بدمائهم فقيل له من هم فذكر هؤلاء الثلاثة وذكر حديثهم ولا محالة أنها من محاسن الحجاج وان قلت في جنب سيئاته والله تعالى أعلم

(ذكر أديان العرب في الجاهلية) كانت النصرانية في ربيعة وغسان وبعض قضاعة وكانت اليهودية في حميرة بني كنانة وبني الحرث بن كعب وكندة وكانت المجوسية في بني تميم منهم زرارة بن عدي وابنه على وكان تزوج ابنته ثم ندم ومنهم الاقرع بن حابس كان مجوسيا وكانت الزندقة في قريش اخذوها من الجزيرة وكانت بنو حنيفة اتخذوا في الجاهلية صنما من حيس فعبدوه دهرا طويلا ثم أدركتهم مجاعة فأكلوه ، وقد قيل ان أول من غير الحنيفية عمرو بن لحي أبو خزاعة وهو انه رحل إلى الشام فرأى العماليق يعبدون الأصنام فأعجبه ذلك فقال ماهذه الاصنام التي أراكم تعبدونها قالوا هذه أصنام نستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال أعطوني منها صنما أسير به إلى أرض العرب فيعبدونه فأعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه ، وقيل ان أول ما كانت عبادة الاحجار في بني اسمعيل وسبب ذلك انه كان لايظعن من مكة ظاعن منهم حتى ضاقت عليهم وتفرقوا في البلاد وما من أحد الاحمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم فحيثما نزلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة وأفضى ذلك بهم إلى أن عبدوا ما استحسنوه من الحجارة ثم خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه من دين اسمعيل فعبدوا الاوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الامم قبلهم من الضلال وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر جوف الكعبة يقال له هبل وأيضا اتخذوا اسافا ونائلة على موضع زمزم فينحرون عندها ويطعمون وكان اساف ونائلة رجلا وامرأة فوقع اساف على نائلة في الكعبة فمسخهما الله حجرين واتخذ أهل كل دار في دارهم صنما يعبدونه فاذا أراد الرجل سفرا تمسح به حين يركب وكان ذلك آخر ما يصنع إذا توجه إلى سفره وإذا قدم من سفره بدأ به قبل أن يدخل إلى أهله واتخذت العرب الاصنام وانهمكوا على عبادتها وكانت لقريش وبني كنانة العزى وكان حجابها بني شيبة وكانت اللات لثقيف بالطائف وكان حجابها بني مغيث من ثقيف وكانت مناة للاوس والخزرج ومن دان بدينهم ، وأما يغوث ويعوق ونسر فقيل انهم كانوا أسماء أولاد آدم عليه الصلاة والسلام وكانوا أتقياء عبادا فمات أحدهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فجاءهم الشيطان وحسن لهم ان يصوروا صورته في قبلة مسجدهم ليذكروه إذا نظروه فكرهوا ذلك فقال اجعلوه في مؤخر المسجد ففعلوا وصوروه من صفر ورصاص ثم مات

وجه عاجلته الأيام بصرف المنون أطلب قلبي في التراب وأنشده وأطارح صوت الصدا فيفيدني وأنشده

يالهف قلبي على عبد الرحيم ويا شوقي اليه ويا شجوي ويا دائي
في شهر كانون وافاه الحمام لقد أحرقت بالنار ياكانون أحشائي

(وقال أيضا)

آها لعقد قد وهي سلكه وكان ذادر بعبد الرحيم
فليتني لاقيت عنه الردى وعاد ذاك الدر درا يتيم

فاقتضى تدقيق النظر الصاحبي في اسداء العوارف وإبداء عواطف الفضل وفضل العواطف ان ينزع عني بصحبة ركابه والكريم لباس الباس ويشغلني بمشافهة الانس القابل ألا هكذا فليصنع الناس وينهضني بالانعام من حوادث الزمن ويقرب مثلي قربانا لايفطن لمثله الا من ومن فيالها سفرة قابلها وجه الإقبال بالسفور وتلا فضلها الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور ومد فيها الانعام على ظلا ظليلا وملأ بيتي وعيني دقيقا وجليلا وأمرني أن أصف له المنازل والطرق وصفا كقصده الجميل جميلا فسرنا وأيدي السعد قد ذللت الطرق بل طوتها وقدمت وعود الآمال بل أنجزتها والأرض قد شرعت في لباس

عليها وحللها ومراعي الربيع وقد عدت حتى الشمس لتسمين حملها والشتاء قد آن ان يقوض الخيام والاثق

آخر ففعلوا ذلك إلى أن ماتوا كلهم فصوروهم هناك وأقام من بعدهم على ذلك إلى أن تركوا الدين وحسن لهم الشيطان عبادة شيء غير الله فقالوا له من نعبد قال آلهتكم المصورة في مصلاكم تعبدوها إلى أن بعث الله نوحا عليه الصلاة والسلام فنهاهم عن عبادتها فقالوا كما أخبر الله عنهم لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الآية ولما عم الطوفان الأرض طمها وعلا عليها التراب زمانا طويلا فأخرجها الشيطان لمشركي العرب فعبدوها وذكر الواحدي في الوسيط أن هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما الصلاة والسلام فسول الشيطان لقومهم من بعد موتهم أن يصوروا صور ليكون أنشط لهم وأشوق للعبادة كما رأوهم ففعلوا ثم نشأ من بعدهم قوم جهال بالأحوال فحسن لهم عبادتها وأن من سبقهم من قومهم عبدوها على قيسموها بأسمائهم وقال الواقدي كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر والله تعالى أعلم أي ذلك كان

(ذكر أوابدهم) الرتم شجر معروف كانت العرب إذا خرج أحدهم إلى سفر عمد إلى شجرة منه فيعقد غصنا منها فإذا عاد سفره ووجده قد انحل قال قد خانتني امرأتي وان وجده على حالته قال لم تخني . الرتيمة ناقة كانت العرب إذا مات واحد منها عقلوا ناقته عند قبره وسدوا عينيها حتى تموت يزعمون أنه إذا بعث من قبره ركبها ، التعمية والتفقئة كان الرجل إذا بلغت إبله ألفا فلع عين الفحل يقولون ان ذلك يدفع عنها العين فإذا زادت على الألف فقأ عينه الأخرى ، العرداء يصيب الإبل شبه الجرب كانوا يكوون السليمة ويزعمون أن ذلك يبرئ داء العر ، ضرب الثور عن البقر كانت البقر إذا امتنعت عن الشرب ضربوا الثور يزعمون أن الجن يركبون الثيران فيصدون البقر عن الشرب الهامة كانوا يزعمون أن الإنسان إذا قتل ولم يؤخذ بثأره يخرج من رأسه طائر يسمى الهامة وهو النفس فلا يزال يصيح على قبره أسقوني إلى أن يؤخذ بثاره ، وكان للعرب مذاهب في الجاهلية كالبومة وتنازع في كيفياتها فمنهم من زعم أن النفس هي الدم وأن الروح الهواء الذي في باطن جسم الإنسان الذي منه نفسه وقالوا إن الميت لا يوجد فيه الدم وإنما وجد في الحياة مع الحرارة والرطوبة لأن كل حي فيه حرارة ورطوبة فإذا مات ذهبت حرارته وحل به اليبس والبرودة وطائفة منهم يزعمون أن النفس طائر ينبسط من جنس الإنسان إذا مات أو قتل ولا يزال متصورا في صورة الطائر يصرخ على قبره مستوحشا له وفي ذلك يقول بعضهم .

سلط الموت والمنون عليهم ... فلهم في صدى المقابر هام

ثم جاء الإسلام والعرب ترى صحة أمر الهام حتى قال النبي ﷺ لا عدوى ولا صفر ولا هام وزعموا أن هذا الطائر يكون صغيرا ويكبر حتى يصير كضرب من البوم ويتوحش ويصرخ ويوجد في الديار والمعطلة والنواويس ومصارع القتلى ويزعمون أن الهامة لا تزال عند ولد الميت لتعلم ما يكون من خبره فتخبر الميت ، والصفر زعموا أن الإنسان إذا جاع عض على شرسوفه الصفر وهي حية تكون في البطن . تثنية الضربة زعموا أن الحية تموت في أول ضربة فإذا ثنيت عاشت (والغيلان والتغول للعرب) في الغيلان والتغول أخبار وأقاويل يزعمون أن الغول يتغول لهم في الخلوات في أنواع الصور فيخاطبونها وتخاطبهم وزعمت طائفة من الناس أن الغول حيوان مشؤوم وأنه خرج منفردا لم يستأنس وتوحش وطلب القفار وهو يشبه الإنسان والبهيمة ويتراءى لبعض السفار في أوقات الخلوات وفي الليل (وحكي) أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه رآه في سفره إلى الشام فضربه بالسيف وقال الجاحظ الغول كل شيء يتعرض للسيارة ويتلون في ضروب من الصور والثياب وفيه خلاف وقالوا أنه ذكر وأنثى إلا أن أكثر كلامهم أنه أنثى . وأما القطرب في

قد شمر للانصراف ذيل الغمام ومبدأ الروض حتى بقول أبي الطيب المتنبي

لقد حسنت بك الأيام حتى ... كأنك في فم الدهر ابتسام

فأتينا الكسوة فلبسنا منها للمسرة ثيابا سابغة الذيول وطفنا منها بكعبة الفضل طوافا واضح الاقبال والقبول وقلنا للمقاصد تباشري بالحظوة ولعيون الاقبال تأملي فما أحسن الكعبة في الكسوة ومررنا والخيل تجمز جمزا وجزنا بالصنمين فهمت أن تفخر بمواطي خيلنا على اللات والعزى وصعدنا منزلة رأس الماء فكاد الطرب يهزه هزا ورأينا بينها وبين منزلة الغير روضا أخضر جناباها طرزت بآثار طرف ثيابها فأمرت بالقول فقلت سقى الله أرضا طرقها مثل طارزها وسائرها يرد من الوشي أخضر تذكرت أحبابي بمثوى يديها فميني رأس الماء وجسمي المغير ووافينا الحصين وقد راغت الخيل روغان أبيه وتلقتنا بالبشر البشرى وجوه أهلية وسألونا أن نريح عندهم الركاب من الابن وعجلوا بالضيافة على الفتوح ولا ينكر تعجيل الفتوح للحصين وجدنا هناك فقيرا مغربيا حسن التلاوة وقد عجز عن المسي

قولهم فهو نوع من الاشخاص المتشيطنة يعرف بهذا الاسم فيظهر فى أكناف اليمن وصعيد مصر فى أعاليه وربما انه يلحق الانسان فينكحه فيدود دبره فيموت وربما نزل على الانسان وأمسكه فيقول أهل تلك النواحى التى ذكرناها أمنكوح هو أو مذعور فان كان قد نكحه أيسوا منه وإن كان قد ذعر سكن روعه وشجع قلبه وإذا رآه الانسان وقع مغشيا عليه ومنهم من يظهر له فلا يكترث به لشهامته وثبات قلبه

(ذكر الهواتف) أما الهواتف فقد كانت كثرت فى العرب وكان أكثرها أيام ولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان من حكم الهواتف ان تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئى (ومن عجيب ما حكى من أمر الهواتف) ماحكاه أبو عمرو بن العلاء قال خرجنا حجاجا فصاحبنا رجل وجعل يقول فى طريقه

ليت شعرى هل بغت على * فلما انصرفنا من مكة قالها فى بعض الطريق فأجابه صوت فى الظلام نعم نعم وناكها حجيه * وهو رجل أحمر ضخم فى قفاه كية * فسكت الرجل فلما سرنا إلى البصرة أخبرنا ذلك الرجل قال دخل جيرانى يسلمون على فاذا فيهم رجل أحمر ضخم فى قفاه كية فقلت لأهلى من هذا قالت رجل كان ألطف جيراننا فجزاه الله خيرا فسألتها عن اسمه فقالت حجية فقلت الحقى بأهلك (وأما) بكاء المقتول فكانت النساء لا يبكين المقتول حتى يؤخذ بثاره فاذا أخذ بثاره بكينه (وأما) رمى السن فكانوا يزعمون أن الغلام إذا ثغر فرمى سنه فى عين الشمس بسبابته وابهامه وقال ابدلينى بأحسن منها فانه يأمن على أسنانه العوج والفلج (وأما) خضاب النحر فكانوا إذا أرسلوا الخيل على الصيد فسبق واحد منها خضبوا صدره بدم الصيد علامة (وأما) نصب الراية فكانت العرب تنصب الرايات على أبواب بيوتها لتعرف بها (وأما) جز النواصى فكانوا إذا أسروا رجلا ومنوا عليه وأطلقوه جزوا ناصيته (وأما) الالتفات فكانوا يزعمون أن من خرج فى سفر والتفت وراءه لم يتم سفره فإن التفت تطيروا له وكانوا يقولون من علق عليه كعب الأرنب لم تصبه عين ولا سحر وذلك أن الجن تهرب من الأرانب لأنها تحيض وليست من مطايا الجن ويزعمون أن المرأة إذا أحبت رجلا وأحبها ثم لم يشق عليها رداءه ويشق عليه برقعها فسد حبهما ويزعمون أن الرجل إذا قدم قرية يخاف وباءها فوقف على بابها قبل أن يدخلها ونهق كما تنهق الحمير لم يصبه وباؤها ويزعمون أن الحرقوص وهو دويبة أكبر من البرغوث تدخل فى فروج الابكار فتفتضهن ويزعمون أن الرجل إذا ضل فقلب ثيابه اهتدى وكانوا يزعمون أن الناقة إذا نفرت وذكر اسم أمها فإنها تسكن وكانت لهم خرزة يزعمون أن العاشق إذا حكها وشرب ما يخرج منها صبر وتسمى السلوانة ونكاح المقت من سنتهم وهو أن الرجل إذا مات قام ولده الاكبر فألقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها فإن لم يكن لها حاجة زوجها لبعض اخوته بمهر جديد فكانوا يرثون النكاح كما يرثون المال ولهم حكايات عجيبة وأحوال غريبة والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

﴿ الباب الستون فى الكهانة والقيافة والزجر والعرافة والفأل والطيرة . والفراسة والنوم والرؤية وما أشبه ذلك ﴾

(أما الكهانة) فكانت فاشية فى الجاهلية حتى جاء الإسلام فلم يسمع فيه بكاهن وكان ذلك من معجزات النبوة وآياتها وللكهنة أخبار (فمنهم) سطيح ورد عليه عبد المسيح وهو يعالج الموت وأخبره على ما يزعمون بما جاء لأجله وذلك أن الموبذان رأى إبلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها فلما أصبح أعلم كسرى بذلك فتصبر كسرى تشجعا ثم رأى أن لا يكتم ذلك

وارتد طرف قصده عن القدس خاسئا وهو حسير فامرت له الصدقات الصاحبية بمركوب ونفقة تعينه على السفر والاقامة ولحقه فى ذلك فقير عجمى ينشد لسان حاله * فى مثل ما بك ياحمامة * فلم أر مثلها صدقات تجود من الزاد والراحلة بالغيث والبرق ولا مثله متصد يجلس لحظة واحدة فيركض نداه فى الغرب والشرق الناس لديناضحى وجاء أهل المدينة يستبشرون فرحا وارتفعت الأصوات بالأدعية الوافية وأردنا أن نكتم دخولنا البلد وكيف نكتمها وهى ذات عين صافية ثم نزلنا بالخيام فى مرجها الخضراء تحت قلعتها الغراء وهى فى معارج السحب صاعدة شائدة فى الجو كأنها فى السحر على عمود الصبح قاعدة مضيئة بين عقود الأنجم كأنها درتها اليتيمة جالسة على سرير الخيل تنادم الفرقدين كأنها جذيمة فنظر فى المصالح وميز بالعدل بين الصالح والطالح وعجل من عجلون المسير فلم ينظر الغادى الذى هو رائح وأشرفنا على بركات القصد المنجية واقتحمنا إلى الغور عقبة سهلها السعد فلا تقل ما أدراك ما العقبة واستفتحنا المزارات التى نوينا قصدها وطوينا غورها ونجدها بمشهد صاحب رسول الله ﷺ وهو أبو عبيدة بن الجراح

عن وزرائه ورؤساء مملكته فلبث تاجه وقعد على سريره وجمع وزراءه ورؤساء مملكته فأخبرهم بالخبر فبينما هم كذلك إذ ورد عليهم كتاب بخمود النيران وارتجاس الايوان فازدادوا غما على غمهم فكتب كسرى كتابا إلى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه إلى رجلا عالما بما أريد أن أسأله عنه فوجه إليه عبد المسيح الغسانى فقال له كسرى أعندك علم بما أريد أن أسألك عنه قال ليخبرنى الملك فان كان عندى علم منه والا أخبرته بمن يعلمه به فأخبره بما رآه الموبذان فقال علم ذلك عند كاهن يسكن مشارف الشام يقال له سطيح قال فأته فسأله عما سألتك وائتنى بالجواب فركب عبد المسيح وتوجه إلى سطيح فوجده قد أشرف على الضريح فسلم عليه وحياه ولم يخبره عبد المسيح بما جاء بسببه غير أنه أنشده شعرا يذكر فيه أنه جاء برسالة من قبل ملك العجم ولم يذكر له السبب فرفع رأسه وقال عبد المسيح على جمل يسيح إلى سطيح بعثك ملك بنى ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت الدجلة وانتشرت فى بلادها ياعبد المسيح إذا كثرت التلاوة وفاض وادى سماوة وغاصت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما ولا العجم لعبد المسيح مقاما يرتفع أمر العرب وأظن أن وقت ولادة محمد قد اقترب يملك منهم ملوك وملكات بعدد الشرافات وكل ما هو آت آت ثم قضى سطيح مكانه فثار وعبد المسيح إلى راحلته وعاد فأخبر كسرى بذلك (وحكى) أن ربيعة بن مضر اللخمى رأى مناما هاله فأراد تفسيره فقال له أهل مملكته ما يفسر لك الا شق وسطيح فأحضرهما وقال لسطيح إنى رأيت مناما هالنى فان عرفته فقد أصبت تفسيره فقال رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهمة فأكل منها كل ذات جمجمة فقال له الملك ما أخطأت شيئا فما تفسيره قال ليهبطن بأرضك الحبش وتملك ما بين أبين إلى جرش فقال الملك أن هذا لغائظ موجع فتى هو كائن أفى زمانى أم بعده قال بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين تمضى من السنين ثم يقتلون بها أجمعين ويخرجون منها هاربين قال ومن ذا الذى يملك بعدهم قال أراه ذا يزن يخرج عليهم من عدن فما يترك منهم احد باليمن قال الملك فيدوم ذلك أم ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبى زكى يأتيه الوحى من العلى قال وممن يكون هذا النبى قال من ولد عدنان فهو بن مالك بن النضر يكون فى قومه الملك إلى آخر الدهر قال وهل للدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الأولون والآخرون ويسعد فيه المحسنون ويشقى المسيئون قال أوحق ما تخبر قال والشفق والقمر إذا اتسق أن ما أنبأتك به لحق ثم دعا بشق فقال مثل ما قال سطيح ٥ ومن ذلك ما حكى أن أمية بن عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف إلى المفاخرة فقال هاشم أفاخرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة فرضى أمية بذلك وجعل بينهما الخزاعى الكاهن حكما فخبؤا اليه شيئا وخرجا اليه ومعهما جماعة من قومهما فقالوا خبأنا لك خبأ فان علمته تحاكما اليك وان لم تعلمه تحاكمنا إلى غيرك فقال لقد خبأتم لى كيت وكيت قالوا صدقت أحكم بين هاشم بن عبد المناف وبين أمية بن عبد شمس أيهما أشرف بيتا ونسبا ونفسا فقال والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو طائر وما اهتدى بعلم مسافر لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر ولأمية أواخر فأخذ هاشم الابل ونحرها وأطعمها من حضر وخرج أمية إلى الشام وأقام بها عشر سنين ويقال إنها أول عداوة وقعت بنى هاشم وبنى أمية (وحكى) أن هند بنت عتبة بن ربيعة كانت تحت الفاكه بن المغيرة وكان الفاكه من فتيان قريش وكان له بيت ضيافة خارجا عن البيوت تغشاه الناس من غير أذن فخلا البيت ذات يوم واضطجع فيه هو وهند ثم نهض لحاجة فأقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولجه فلما رأى هند رجع هاربا فلما نظره الفاكه دخل عليها فضربها برجله وقال لها من هذا الذى خرج من عندك قالت ما رأيت أحدا قط وما انتبهت حتى أنبهتنى قال فارجعى إلى بيت أبيك وتكلم الناس فيها

رضى الله تعالى عنه فترآمينا اليه بالعزم الفاخر وزار أمين هـذه الأمة الأول أمينها الآخر وأجرى أمر مشهده على سنن الصلاة ونظر فى مرتبه بعين العدل وأعانه بيد السماح وجعل وإلى الناحية عبيدة وما جعل لشاهده المعروف بالجراح وسلكنا جانب الغور المطور فأعجبنا رياوراء وكنا نظن الماء فيه غورا فوجدنا المغور ماء وخضنا فى حديثه وخاضت الخيل وتركنا عقبانه كالمعلقة وملنا إلى السهل كل الميل وتلقينا كل ذى القصد يبشر الصباح ولم نقل أهلك والليل وما زلنا كذلك لانمر بواد الاأنت مع الابتهال بطول العمر ماله وأرامله ولا بناد لا قامت للدعاء رجاله واطفاله وحلائله ولا بولاية الا ارتج غدرها ولا ببلدة الازهاعلى التى بين السماكين بدرها ولاوماش الاحمله المعروف ولا عابر سبيل الا آنسه من النعماء صنوف ولا جائز الا شملته جائزة ولا منقطع بمفازة الا وعقباه فائزة ولاظبية من ظبيات دمشق الا والمكارم توالبها وتواليها توجدها فى القفار كما توجدها أولياء الله فيها إلى أن قدمنا القدس الشريف نحن والغمام وسبقنا اليه طرف الصبح تحت أذيال الظلام وخف بنا جناح الشوق والسوق حين دنت الخيام من الخيام وألقينا بباب حرمه عصى

فقال أبوها يا بنية ان الناس قد أكثروا فيك الكلام فان يكن الرجل صادقا دسيت عليه من يقتله لينقطع كلام الناس وان يك كاذبا حاكمته إلى بعض كهان اليمن فقالت له لا والله ماهو على بصادق فقال له يافاكه انك قد رميت ابنتي بأمر عظيم فحاكمني إلى بعض كهان اليمن فخرج بفاكه في جماعة من بني مخزوم وخرج أبوها في جماعة من بني عبد مناف ومعهم هند ونسوة فلما شارفوا البلاد قالوا غدا نرد على هذا الرجل فتغيرت حالة هند فقال لها أبوها إني أرى حالك قد تغير وما هذا إلا لمكروه عندك فقالت لا والله ولكن أعرف أنكم تأتون بشرا يخطىء ويصيب ولا آمنه أن يسمني بسيما تكون على سبة فقال لها لاتخشى فسوف أختبره فصفر لفرسه حتى أدلى ثم دخل في إحليله حبة حنطة وربطه فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم فلما نفدوا قال له عتبة قد جئناك في أمر وقد خبأنا لك خبيئة نختبرك بها قال خبأتم لي ثمرة في كمرة قال إني أريد أبين من هذا قال حبة بر في احليل مهر قال فانظر في أمر هؤلاء النسوة فجعل يأتي إلى كل واحدة منهن ويضرب بيده على كتفها ويقول لها انهضي حتى بلغ هندا فقال انهضي غير رسحاء ولا زانية وستلدين ملكا اسمه معاوية فنهض إليها الفاكه فأخذ بيدها فجذبت يدها من يده وقالت إليك عني فوالله إني لأحرص أن يكون ذلك من غيرك فتزوجها أبو سفيان فولدت منه أمير المؤمنين معاوية رضي الله تعالى عنه (وأما القيافة) فهي على ضربين قيافة البشر وقيافة الاثر ۞ فأما قيافة البشر فالاستدلال بصفات أعضاء الإنسان وتختص بقوم من العرب يقال لهم بنو مدلج يعرض على أحدهم مولود في عشرين نفرا فيلحقه بأحدهم (وحكى) عن بعض أبناء التجار أنه كان في بعض أسفاره راكبا على بعيره يقوده غلام أسود فمر بهؤلاء القبيلة فنظر إليه واحد منهم وقال وما أشبه الراكب بالقائد قال ولد التاجر فوقع في نفسي من ذلك شيء فلما رجعت إلى أمي ذكرت لها القصة فقالت ياولدي أن أباك كان شيخا كبيرا ذا مال وليس له ولد فخشيت أن يفوتنا ماله فمكنت هذا الغلام من نفسي فحملت بك ولولا أن هذا شيء ستعلمه غدا في الدار الآخرة لما أعلمتك به في الدنيا ۞ وأما قيافة الاثر فالاستدلال بالاقدام والحوافر والخفاف وقد اختص به قوم من العرب أرضهم ذات رمل إذا هرب منهم هارب أو دخل عليهم سارق تتبعوا آثار قدمه يظفروا به ومن العجب إنهم يعرفون قدم الشاب من الشيخ من المرأة من الرجل والبكر من الثيب والغريب من المستوطن ويذكر أن في قطية ونفر البرلس أقواما بهذه الصفة وقد وقمت من قريش حين خروج النبي ﷺ وأبو بكر إلى الغار على صخر صلد وأحجار صم ولا طين ولا تراب تبين فيه الاقدام فحجبهم الله تعالى عن نبيه ﷺ بما كان من نسج العنكبوت وما لحق القائف من الحيرة وقوله إلى ههنا إنتهت الاقدام هذا ومعهم الجماعة من قريش وأبصارهم سليمة ولو أن هناك لطيفة لا يتساوى الإنسان فيها يعني فعلها لما استأثر بعلم ذلك طائفة دون أخرى وقيل القيافة لبني مدلج في أحياء مضر واختلف رجلان من القافة في أمر بعير وهما بين مكة ومنى فقال أحدهما و جمل وقال الآخر هي ناقة وقصدا يتبعان الاثر حتى دخلا شعب بني عامر فإذا بعير واقف فقال أحدهما لصاحبه أهو ذا قال نعم فوجداه خنثى فأصابا جميعا ۞ ومنهم من كان يخط الرمل في الأرض ويقول فيوافق قوله ما يأتي بعد وقال رجل شردت لي ابل فجئت إلى خراش فسألته عنها فأمر ابنته أن تخط في الأرض فخطت ثم قامت فضحك خراش ثم قال أتدري قيامها لأي شيء قلت لا قال قد علمت إنك تجد ابلك وتتزوجها فاستحيت ثم خرجت فوجدت ابلي ثم تزوجتها ۞ وخرج عمرو بن عبد الله بن معمر ومعه مالك بن خراش الخزاعي غازيين فرأى بامرأة وهي تخط للناس في الأرض فضحك منها مالك هزوا وقال ماهذا فقالت أما والله لا

السفر وألقت هناك رحالها ركائب المطر وزرنا باب الرحمة من الأرض وزارنا باب الرحمة من السما. وصرنا من الصالحين عند زيارة الاقصى فمشينا على الماء وحمدنا الأوطان والأقطار واستمرت بلسحب حتى عادت الصخرة كحجز موسى تنفجر منها الأنهار وأقمنا في بيوت أذن الله أن يرفع شأنها ويسبح فيها بالغدو والآصال سكانها وكان معنا شخص يلقب بالخلد سكن بيتا حسنا وغمض عينه على الرفاق تغميضا بينا (فقال) مولانا الصاحب ماتقول في بيته فقلت ما أقول في جنة الخلد وشكا قوم عشرة هـذا الرجل فكتبت على ورقتهم اصبروا على ماتفعلون وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ثم دخل الناس على الأبواب الصاحبية أفواجا وما ترك أحد منهم منها جاذا ناحية إلا منهاجا ومكثنا في البيوت إلى أن صحا الافق من مدامة غمامه وحسر عن وجهه للابصار فضل لثامه وقمنا لبقية المشاهد قاصدين ولتلك المباني المعظمة شاهدين ومشاهدين فعاودنا الصخرة بقلوب قد لانت ونثرنا على مواطىء القدم دموعا عزت بلبسها ولا تقول هانت ونظر آثارا قديمة تذهل عيون النظارة وآثارا متجددة في هذه الدولة القاهرة تقصر عنها العبارة ومحاسن يقف

لا تخرجن من سجستان حتى تموت ويتزوج عمرو عذاز وجتك فكان كما ذكرت (وأما الزجر والعرافة) فأحسنه ما روى ان كسرى ابرويز بعث إلى النبى صلى الله عليه وسلم حين بعث زاجرا ومصورا فقال للزاجر انظر ما ترى فى طريقك وعنده وقال للمصور ائتنى بصورته فلما عاد إليه أعطاه المصور صورته ﷺ فوضعها كسرى على وسادته ثم قال للزاجر ماذا رأيت قال ما رأيت ما أزجر به الا أنه سيعلو أمره عليك لأنك وضعت صورته على وسادتك ٭ وبعث صاحب الروم إلى النبى ﷺ رسولا وقال له انظر اليه ومل إلى جانبه وانظر إلى ما بين كتفيه حتى ترى الخاتم والشامة فقدم الرسول فرأى النبى ﷺ على نشز عال واضعا قدميه فى الماء وعن يمينه على رضى الله تعالى عنه ولما رآه رسول الله ﷺ قال له تحول فانظر ما أمرت به فنظر الرسول فلما رجع إلى صاحبه أخبره الخبر فقال ليعلون أمره وليملكن ما تحت قدمى فتفاءل بالنشز العلو وبالماء الحياة ٭ وقال المدائنى وقع الطاعون بمصر فى ولاية عبد العزيز بن مروان حين أتاها فخرج هاربا ونزل بقرية من قرى الصعيد فقدم عليه حين نزلها رسول لعبد الملك بن مروان فقال للرسول ما أسمك قال طالب بن مدرك فقال أواه ما أظن أنى أرجع إلى الفسطاط فمات ولم يرجع وكانت نائلة بنت عمار الكلبى تحت معاوية فقال لفاختة بنت قرظة اذهبى فانظرى إليها فذهبت ونظرت فقالت ما رأيت مثلها ولكنى رأيت تحت سرتها خالا ليوضعن معه رأس زوجها فى حجرها فطلقها معاوية وتزوجها بعده رجلان حبيب ابن مسلمة والنعمان بن بشير فقتل أحدهما ووضع رأسه فى حجرها وبينما مروان بن محمد جالس فى ايوانه يتفقد الأمور إذا تصدعت زجاجة من الايوان فوقعت منها الشمس على منكب مروان وكان هناك عراف وقيل قياف فقام فتبعه ثوبان مولى مروان فسأله فقال صدع الزجاج صدع السلطان سيذهب الشمس بملك مروان بقوم من الترك أو خراسان ذلك عندى واضح البرهان فما مضى غير شهرين حتى مضى ملك مروان (وروى) المدائنى ان عليا رضى الله تعالى عنه بعث معقلا فى ثلاثة آلاف ليقيم بالرقة وذلك فى وقعة صفين فسار حتى نزل الحديبية فبينما هو ذات يوم جالس إذا نظر إلى كبشين ينتطحان فجاء رجلا وأخذ كل واحد منهما كبشا فذهب به فقال شداد بن أبى ربيعة الخثعمى الزاجر إنكم لتنصرفون من موجهكم هذا لا تغلبون ولا تغلبون أما ترى الكبشين كيف انتطحا حتى حجز بينهما فتفرقا ولا فضل لأحدهما على الآخر (وحكى) أن الاسكندر ملك بعض البلاد فدخل فيها فوجد امرأة تنسج ثوبا فلما رأته قالت له أيها الملك قد أعطيت ملكا ذا طول وعرض ثم دخل عليها بعد ذلك فقالت ستعزل من الملك قال فغضب عند ذلك فقالت له لا تغضب فانك فى المرة الأولى دخلت على والشقة بيدى أدبر طولها وعرضها ودخلت على الآن والشقة فى يدى أريد قطعها لأنى قد فرغت من نسجها فلا تغضب فان النفوس تعلم أشياء بعلامات قال الراوى فكان كذلك (وحكى) أن سيف بن ذى يزن لما استنجد كسرى على قتال الحبشة بعث إليه بجيش عظيم فخرج إليهم ملك الحبشة وهو مسروق بن أبرهة فى مائة ألف من الحبشة وكان بين عينيه ياقوتة حمراء بعلاقة من الذهب على تاجه تضىء كالنور وهو على فيل عظيم قال وكان فى عسكر ذى يزن رجل يقال له زهير فتأمل ذلك منه ثم قال لأميره اصبر لننظر ما يكون من أمره قال فتحول مسروق من الفيل إلى جمل فقال اصبر فتحول بعد ذلك إلى فرس ثم إلى بغل ثم إلى حمار وكأنه أنف من مقاتلتهم على شىء من ذلك إلا على حمار لما أنه استصغرهم واستحقرهم وتفرس ذلك الرجل فيه من الانتقال من أعلى إلى أدنى وقال احملوا عليهم فان ملكهم قد ذهب فانه انتقل من كبير إلى صغير فحملوا عليهم فكسروهم وقتل الملك (وحكى) أنه كان عراف من الطرقيين ببغداد يخبر بما يسئل عنه فلم يخطىء

كالحجاج أركانه وتقلب وجوهنا فى سماء سقف يكاد يمطر علينا لجينه وعقبانه ونشاهد رخاما بلغ فى الحسن والمحل الاقصى فى الاقصى وتمت به فى بهجة المكان زيادة تخالف قول النجاة أن فى الترخيم نقصا فاما المياه التى تجرى فى الحرم على رأسها وتطوف على مواضع المنافع بنفسها فتلك نعمة مقيمة يكافىء الله عنها فى دار المقامة وحسنة فى المعنى والصورة جارية إلى يوم القيامة ومن المبانى المذكورة ما هو خصيص بمولانا ملك الأمراء أعز الله أنصاره وأبقاه سيفا يقف كل ذى قدر عند حده فلا يجاوز مقداره من مدرسة علم يدرس ولا يدرس معهده ودار حديث يروى فيروى الاسماع الظامئة مورده وخانقاه تضىء عليها أنوار البركات الكوامل ورباط ومكتب هما كما قيل
ثمال اليتامى عصمة للأرامل
(وقلت فيها)
بنيت رباطا للنساء ومكتبا
يدير على الأيتام سحب الفواضل
فلله من هذا وذاك كما ترى
ثمال اليتامى عصمة للأرامل فحينا من تلك المحاسن بستانين دانية القطوف ولحظنا من الظلال السيفية جنة نشأت

فسأله رجل عن شخص محبوس هل ينطلق قال نعم ويخلع عليه قال فقلت له بأي شي عرفت ذلك فقال انك لما سألتني التفت يمينا وشمالا فوجدت رجلا على ظهره قربة ماء ففرغها ثم حملها على كتفه فأولت الماء بالمحبوس وتفريغه بالانطلاق ووضعها على كتفه بالخلعة قال وكان الأمر كذلك (وأما الفأل) فقد روى أن النبي ﷺ كان يحب الفأل الصالح والاسم الحسن وروى أنه ﷺ لما نزل المدينة على كلثوم دعا غلامين له يا بشار ويا سالم فقال ﷺ لأبي بكر رضي الله تعالى عنه أبشر يا أبا بكر فقد سلمت لنا الدار وقال الأصمعي سألت ابن عون عن الفأل فقال هو أن يكون مريضا فيسمع يا سالم أو طالب حاجة فيسمع يا واجد وما أشبه ذلك (وأما الطيرة) فقد كان ﷺ يحب الفأل ويكره الطيرة وقيل ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال من عرض له من هذه الطيرة شيء فليقل اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وعنه ﷺ أنه قال ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما رفعه من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه من أتى كاهنا فصدقه فيما يقول أو أتى امرأته حائضا في دبرها فقد بريء بما نزل على محمد وأنشد المبرد هذه الأبيات يقول

لا يعلم ليـــلا ما يصبحه ... إلا كوذاب مايجرى به الفال
والفال والزجر والكهان كلهم ... مضللون ودون الغيب أقفال

(وقال لبيد) لعمرى ماتدرى الطوارق بالحصى ... ولا زاجرات الطير ما الله صانع

(وقال آخر) تعـــلم أنه لاطير إلا ... على متطير وهو الثبور
بلى شيء يوافق بعض شيء ... أحايينا وباطله كثير

وكانت العرب تتطير بأشياء كثيرة منها العطاس وسبب تطيرهم منه ان دابة يقال لها العاطوس كانوا يكرهونها وكانوا إذا أرادوا سفرا خرجوا من الغلس والطير في أوكارها على الشجر فيطيرونها فان أخذت يمينا أخذ يمينا وان أخذت شمالا أخذ شمالا ومنه قول امرىء القيس

وقد اغتدى والطير في وكناتها ... بمنجرد قيد الأوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا ... كجلمود صخر حطه السيل من علي

والعرب أعظم مايتطيرون منه الغراب فالقول فيه أكثر من أن يطلب عليه شاهد ويسمونه حاتما لأنه يحتم عندهم بالفراق ويسمونه الأعور على جهة التطير اذ كان أصلح الطير بصرا وفيه يقول بعضهم

إذا ماغراب البين صاح فقل له ... ترفق رماك الله ياطير بالبعد
لأنت على العشاق أقبح منظر ... وأبشع في الابصار من رؤية اللحد
تصيح ببين ثم تعثر ماشيا ... وتبرز في ثوب من الحزن مسود
متى صحت صح البين وانقطع الرجا ... كأنك من يوم الفراق على وعد

وأعرض بعضهم عن الغراب وتطير بالابل وسبب ذلك لكونها تحمل أثقال من وفى ذلك قال بعضهم مفردا وأجاد زعموا بأن مطيهم سبب النوى ... والمؤذنات بفرقة الأحباب

وقالوا من تطير من شيء وقع فيه (وحكى) عن إبراهيم بن المهدي قال أرسل إلى محمد بن زبيدة في ليلة من ليالي الصيف مقمرة يقول ياعم اني مشتاق إليك فاحضر الآن عندنا فجئته وقد بسط له على سطح زبيدة وعنده سليمان بن أبي جعفر وجاريته نعيم فقال لها غنينا فقد سررت بعمومتي فغنت وهي تقول هذه الأبيات

وكذلك الجنة تحت ظلال السيوف وشرعت صدقات السر والجهر وقوبل السؤال ببحر لايسمع عنده نهر وغض بفقرائهم المكان والطريق وجاؤا رجالا ونساء وعلى كل ضامر من العصى يأتين من كل فج عميق فوضع في مواضع النوال وقددت الكساوى حتى على المستورين والاطفال هذا وكم ثياب صوف أعرض اشرافها عن مقال اللاحين واتخذ الفقراء والاغنياء من أصوافها أثاثا ومتاعا إلى حين وجاءت الدراهم بعد التفاصيل بالجمل وقال جودها الخاتم هذى التى لا ناقة فيها ولا جمل (ومما قلت فى ذلك)

لله حال امرىء مقتر ... قضيت فى القدس بتنفيسه
ودرهم ولى ولكنه ... وقد أخذ الاجر على كيسه

ثم تليت الختمات التى شرف الله تعالى ذكرها ومواعيد التفاسير والرقائق التى أجرت الأوقات الصاحبية أجرها وشرع فى بناء الرواق على سطح الزاوية الصاحبية بباب الحرم الشريف وأخذ راقم الرخام فى التوشيع والتفويف فيالها الواحا كتب فيها من الحسن كل شيء واطرد ماء رونقها فكأن العين منها فى ماء وفيء وياله رواقا شاق وصفه ورواق ورقم عليه فقال لسان المتصرف حبذا رفاعي الرواق

همو قتلوه كي يكونوا مكانه كما فعلت يوما بكسرى مرازبه
بنى هاشم كيف التواصل بيننا وعند أخيه سيفه ونجائبه

قال فغضب وتطير وقال لها ما قصتك ويحك انتبهى وغنى ما يسرنى فغنت تقول

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا وأكثر حزما منك ضرج بالدم

فقال لها ويحك ما هذا الغناء فى هذه الليلة غنى غير هذا فغنت تقول هذه الابيات

مازال يعدو عليهم ريب دهرهم حتى تفانوا وريب الدهر عداء
تبكى فراقهم عينى فأرقها ان التفرق للمشتاق بكاء

قال فانتهرها وقال لها قومى إلى لعنة الله فقالت والله يامولاى لم يجر على لسانى غير هذا وما ظننت إلا أنك تحبه ثم انها قامت من بين يديه وكان بين يديه قدح بلور كان أبوه يحبه فأصابه طرف ردائها فانكسر قال إبراهيم بن المهدى فالتفت إلى وقال ياعمى أرى أن هذا آخر أمرنا فقلت كلا بل يبقيك الله ياأمير المؤمنين ويسرك فسمعت هاتفا يقول قضى الامر الذى فيه تستفتيان فقال لى أسمعت ما سمعت ياعم فقلت سمعت شيئا وما هذا إلا توهم فاذا الصوت قد علا فقال ياعم اذهب إلى بيتك فمحال أن يكون بعد هذا اجتماع قال فانصرفت من عنده وكان هذا آخر عهدى به ٭ وخرج أبو الشمقمق مع خالد بن يزيد بن مزيد وقد تقلد الموصل فلما أراد الدخول اليها اندق لواؤه فى أول درب منها فتطير لذلك فأنشده أبو الشمقمق يقول

ما كان مندق اللواء لريبة تخشى ولا أمر يكون مبدلا
لكن هذا الرمح ضعف متنه صغر الولاية فاستقبل الموصلا

فسر خالد وأمر لأبى الشمقمق بعشرة آلاف درهم ٭ ودخل الحجاج الكوفة متوجها إلى عبد الملك فصعد المنبر فانكسر تحت قدمه لوح فعلم أنهم قدتطيروا له بذلك فالتفت إلى الناس قبل أن يحمد الله تعالى فقال شاهت الوجوه وتبت الايدى وبؤتم بغضب من الله اذانكسر عود جذع ضعيف تحت قدم أسد شديد تفاءلتم بالشؤم وانى على أعداء الله تعالى لأنكد من الغراب الأبقع وأشأم من يوم نحس مستمر وانى لأعجب من لوط وقوله لو ان لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد فاى ركن أشد من الله تعالى أوعلمتم ما أنا عليه من التوجيه إلى أمير المؤمنين وقد وليت عليكم أخى محمد بن يوسف وأمرته بخلاف ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا فى أهل اليمن فانه أمره ان يحسن إلى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وقد أمرته ان يسىء إلى محسنكم وان لا يتجاوز عن مسيئكم وانا أعلم أنكم تقولون بعدى لاأحسن الله له الصحابة وأنا معجل لكم الجواب لاأحسن الله عليكم الخلافة أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم ٭ وخرج بعض ملوك الفرس إلى الصيد فأول من استقبله أعور فضربه وأمر بحبسه ثم ذهب للصيد فاصطاد صيدا كثيرا فلما عاد استدعى بالأعور فأمر له بمال فقال لاحاجة لى به ولكن ائذن لى فى الكلام فقال تكلم فقال أيها الملك انك تلقيتنى فضربتنى وحبستنى وتلقيتنى فصدت وسلمت فأينا أشأم صباحا على صاحبه فضحك منه وأمر له بصلة (وحكى) أيضا أن صاحب قرطبة أصابه وجع فأمر بعض جواريه أن تغنيه ليلهو عن وجعه فقالت

هذى الليالى علمنا ان ستطوينا فشعشعينا بماء المزن واسقينا

قال فتطير من ذلك وأمرها بالانصراف ولم يقم بعد ذلك غير خمسة أيام ومات (وحكى) أن نور الدين

مريد وبرزنا فى اليوم السابع من الاقامة وقد قدمنا نقصد الخليل صلوات الله عليه بالنية الجليلة وطربنا لتلك المنازل وكيف لا نطرب لها وهى الخليلية وزرنا قبر يونس عليه السلام فى طريقنا ورفعنا لأنواره الجفون وتملى عند الزياره ذو المنن بذى النون نزلنا من محل الخليل على محل القوى وحمدنا عند صباح ذلك الوجه السرى واستقبلنا بمقام إبراهيم أماناو استأمنا من ضريح شائد الركن ومن ضرائح أهله أركانا وأكلنا من شهى عدسه لونا ووجدنا من الهناء ألوانا وقلنا لأنفاس الشوق كونى بردا وسلاما على إبراهيم ووردنا مورد اللقاء نشفى ظمأ إبراهيم وفرقت الهبات وتليت الختمات وجردت المواعيد على عوائدها المحكمات فقلت

قصدنا خليل الله فى ... صاحب
جلى العلى والمكرمات جليل
فهذه الدنيا وهذا لدينا
فياحبذا من صاحب وخليل

وسرنا فى ظل الصاحب من الخليل وكانت دمشق

تمد ايدى اعطائها الجاذبة ركابه ومصر تتضرع بأصابع نيلها طمعا فى اقترابه وترضع ثدى هرمها داعية إلى الله بعودة اليها وايابه وهم شبابك

محمودا وهمام الدين ركبا فى يوم عيد وخرجا للفتوح فتجاولا فى الكلام ثم قال محمود يا من درى هل نعيش
إلى مثل هذا اليوم فقال له همام الدين قل هل نعيش إلى آخر الشهر فان العام كثير قال فأجرى الله
على منطقهما ما كان مقدرا فى الازل فمات أحدهما قبل تمام الشهر ومات الآخر قبل تمام العام (وأما
الفراسة) فقد قال الله تعالى ان فى ذلك لآيات للمتوسمين وقال رسول الله ﷺ اتقوا فراسة المؤمن
فانه ينظر بنور الله وقال على رضى الله تعالى عنه ما أضمر أحد شيئا الا ظهر فى فلتات لسانه وصفحات
وجهه وقيل أشار ابن عباس رضى الله تعالى عنهما على على رضى الله تعالى عنه بشىء فلم يعمل به
ثم ندب فقال يرحم الله ابن عباس كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق (وحكى) أبو سعيد الخراز
أنه كان فى الحرم فقير ليس عليه إلا ما يستر عورته فأنفت نفسى منه فتفرس ذلك منى فقرأ واعلموا
ان الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه فندمت واستغفرت الله فى قلبى فتفرس ذلك أيضا فقرأ وهو
الذى يقبل التوبة عن عباده (وحكى) عن الشافعى ومحمد بن الحسن أنهما رأيا رجلا فقال أحدهما
أنه نجارا وقال الآخر انه حدادا فسألاه عن صنعته فقال كنت حدادا وأنا الآن نجارا (وحكى)
أن شخصا من أهل القرآن سأل بعض العلماء مسئلة فقال له أجلس فانى أشم من كلامك رائحة الكفر
فاتفق بعد ذلك أنه سافر السائل فوصل إلى القسطنطينية فدخل فى دين النصرانية قال من رآه
ولقد رأيته مكتشا على دكة وبيده مروحة يروح بها عليه فقلت السلام عليك يا فلان فسلم على وتعارفنا
ثم قلت له بعد ذلك هل القرآن على حاله أم لا فقال له لا أذكر منه إلا آية واحدة وهى قوله تعالى
ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال فبكيت عليه وتركته وانصرفت وكان الحسن بن
السقاء من موالى بنى سليم ولم يكن فى الأرض أحزر منه كان ينظر إلى السفينة فيحزر ما فيها فلا
يخطىء وكان حزره المكيول والموزون والمعدود سواء كان يقول فى هذه الرمانة كذا وكذا حبة
وزنتها كذا وكذا ويأخذ العود الاس فيقول فيه كذا وكذا ورقة فلا يخطىء وقالوا إذا رأيت الرجل
يخرج بالغداة ويقول لشىء ما عند الله خير وأبقى فاعلم ان فى جوره وليه ولم يدع اليها وإذا رأيت
قوما يخرجون من عند قاض وهم يقولون ما شهدنا الا بما علمنا فاعلم ان شهادتهم لم تقبل وإذا قيل
المتزوج صبيحة البناء على أهله كيف ما تقدمت عليه فقال الصلاح خير من كل شىء فاعلم أن امرأته قبيحة
وإذا رأيت انسانا يمشى ويتلفت فاعلم انه يريد أن يحدث وإذا رأيت فقيرا يعدو ويهرول فاعلم انه فى حاجة
غنى وإذا رأيت رجلا خارجا من عند الوالى وهو يقول يد الله فوق أيديهم فاعلم أنه صفع ويقول
عين المرء عنوان قلبه وكانوا يقولون عظم الجبين يدل على قلة وعرضه يدل على قلة العقل وصغره
يدل على لطف الحركة وإذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة فى حجمها
دليل فى الفطنة وحسن الخلق والمروءة والتى يطول تحديقها يدل على الحمق والتى يكسر طرفها
تدل على خفة وطيش والشعر فى الاذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق
وهذيان وكانت الفرس تقول إذا فشا الموت فى الوحش دل على ضيقة وإذا فشا فى الفار دل على
الخصب وإذا نعق غراب فجاوبته دجاجة عمر الخراب وإذا قوقت دجاجة فجاوبها غراب خرب
العمار والله أعلم بكل شىء عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم
ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة لا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا
فى كتاب مبين (وأما النوم والسهر وما جاء فيهما) فقد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما عن النبى ﷺ أنه قال أشراف أمتى حملة القرآن واصحاب الليل وروى ان أم سليمان بن داود
عليهما الصلاة والسلام قالت له يا بنى لا تكثر النوم بالليل فان صاحب النوم يجىء يوم القيامة مفلسا وكان

الوزارة أن يتلقى صاحب قمة وصدر الخزائن أن يملق ما اعتادة من رأى عطفه منحه فانه ما جلس فيه أبهر وأبهى من
الطلعة الأمينيه باجماع
الآملين المتأملين والخزائن
التى كم قال لها تدبيره
ابى حفيظ عليم فقال
الملك انك لدينا مكين
أمين ثم عطفتنا الاقدار
إلى جهة الرملة وجاءت
الوفود كالرمل وخفت
أكياس دراهم الصلات
وثقلت أكياس دراهم
الحمل وأقمنا ثلاثا ايام
نكاد ننشد
خرجنا على أن المقام
ثلاثة
فطاب لنا حتى أقمنا
بها عشرا
ورأينا مسجدا يعرف
بالركن تدغير الزمان
محاسنه الأنيقة وهدم
الخراب والموت ركنيه
على الحقيقة بأمر مولانا
الصاحب بعمارة ما منه
اندثر ولحظت لآراء
حجارته المنقضه فتبين
أن السعادة تلحظ الحجر
ولقد صنع فى هذه المنزلة
من المعروف ما لا صنع
ذوو الدهر الطويل مثله
وبنى من المكرمات ما ثبت
ولولا ابداع سعادته
ما ثبت البناء فوق الرملة
ورحلنا عن الرملة بنية
الزيارة لمشهد زكريا ويحيى
عليهما الصلاة والسلام
فررنا فى طريقنا بجملة
خير معرضة وبنية فى
وجهة القبول مبيضة تحتوى على قبر بنيامين أخى يوسف عليهما السلام

زمعة

زمعة بن صالح يصلي ليلا طويلا فاذا أسحر نادى أهله

يا أيها الركب المعرسونا ... أكل هذا الليل ترقدونا

فيتواثبون بين باك وداع ومتضرع فاذا أصبح نادى *عند الصباح يحمد القوم السرى* (وانشدوا)

يا أيها الراقد كم ترقد ... قم ياحبيبي قد دنا الموعد

وخذ من الليل وساعاته ... حظا إذا ماهجع الرقد

من نام حتى ينقضي ليله ... لم يبلغ المنزل أو يجهد

قل لذوي الألباب أهل التقى ... قنطرة الحشر لكم موعد

وقيل ان نومة الضحى تورث الغم والخوف ونومة العصر تورث الجنون وأنشد بعضهم

ألا ان نومات الضحى تورث الفتى ... غمومات ونومات العصير جنون

وعن العباس بن عبد المطلب أنه مر يوما بابنه وهو نائم نومة الضحى فوكزه برجله وقال له قم لا أنام الله عينيك أتنام في ساعة يقسم الله تعالى فيها الرزق بين العباد أو ما سمعت ما قالت العرب انها مكسلة مهزلة منسية للحاجة * والنوم على ثلاثة أنواع نومة الخرق ونومة الخلق ونومة الحمق فنومة الخرق نومة الضحى ونومة الخلق هي التي أمر النبي ﷺ بها أمته فقال قيلوا فان الشياطين لا تقيل ونومة الحمق النومة بعد العصر لا ينامها إلا سكران أو مجنون وكان هشام بن عبد الملك يقول لولده لا تصطبح بالنوم فانه شؤم ونكد وقال الثوري لطبيب دلني على شيء إذا أردت النوم جاءني فقال ادهن رأسك واكثر من ذلك واتق الله * وكان طاوس يقول لأن تختلف السياط على ظهري أحب إلي من أن أنام يوم الجمعة والامام يخطب وكان شداد بن أوس يتلوى على فراشه كالحبة على المقلى ويقول اللهم إن النار منعتني النوم وأنشدوا في المعنى:

غيرت موضع مرقدي * يوما ففارقني السكون ... قل لي فأول ليلتي في حفرتي انى أكون

(وأنشد أبو دلف) أما لكني ردي على رقاديا ... ونومي فقد شردته عن وساديا

أما تتقين الله في قتل عاشق ... أمن الكرى عنه فأحيا اللياليا

(وأنشد أبو غانم الثقفي)

رقدت رقاد الهيم حتى لوانني ... يكون رقادي منهما لمنيت

فقيل لمن هذا فقال لرقاد من رقاد العرب وقيل ان نوم عبود يضرب به المثل وكان عبود هذا عبدا اسود قيل انه نام أسبوعا وقيل انه تماوت على أهله وقال اندبوني لأعلم كيف تندبوني إذا أنا مت فسجي ونام وندب فاذا هو مات (واما الرؤيا) فقد قيل فيها اقاويل وهو أنهم قالوا ان النوم هو اجتماع الدم وانحداره إلى الكبد ومنهم من رأى ان ذلك هو سكون النفس وهدوء الروح ومنهم من زعم ان مايجده الإنسان في نومه من الخواطر إنما هو من الأطعمة والاغذية والطبائع وذهب جمهور الاطباء إلى أن الاحلام من الاخلاط وان ذلك بتدبر مزاج كل واحد منها وقوته فالذي يغلب عليه الصفراء يرى بحورا وعيونا ومياها كثيرة ويرى انه يسبح ويصيد سمكا ومن غلبت على مزاجه السوداء رأى في منامه اجداثا واموانا مكفنين بسواد وبكاء واشياء مفزعة ومن غلب على مزاجه الدم رأى الخمر والرياحين وانواع الملاهي والثياب المصبغة والذي يقع عليه التحقيق ان الرؤيا الصالحة كما قد جاء جزء من ستين جزأ من النبوة وكان النبي ﷺ أول مابدىء به من الوحي الرؤيا الصالحة فكان لايرى رؤيا الاجاءت مثل فلق الصبح * والرؤيا على ضربين فمنها من يرى رؤيا فتجيء على حالها لاتزيد ولاتنقص ومنهم من يرى الرؤيا في صورة مثل ضرب له (فمن ذلك ماحكى) ان النبي ﷺ رأى في الجنة غرفا فقال لمن هذه فقيل لأبي جهل بن هشام

فالحقناه بالزيارة بأخيه وتوكلنا على الله في القبول توكل أبيه وتيممنا ببنيامين وقرعنا أبواب السماء بأدعية فاتحة فقال النجيح عقيب الفاتحة آمين وسرنا والصدور منشرحة والطريق الى خير الدارين متضحة وجئنا المشهد وقد ظهرت عليه بضريحين كريمين بهجة الدين والدنيا وتلا مزارها للقادم إنا نبشرك بيحيى وبتنا ليلة طيبة نحييها ونميت النوم ونعصي بالسهر أمره فماله سلطان على أعين القوم وأصبحنا وقد امتلأت القلوب سرورا والاعين نورا وقوينا على قصد جنى الجنان واستقبلنا محاسن بيسان وختمنا الزيارة بمشهد معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه فأنقذت أنواره القلوب من الهم أي انقاذ وكدنا نفتتن بالانس حتى نقول أفتان أنت يامعاذ ومسكنا عنده من الدعاء بعروة لاتنفصم وأوينا من طوفان الذنوب إلى جبل ينجح من به يعتصم وأمر بما يحتاج اليه من تجديد عمارة وانشاء طهارة وألحق بكل مزار وردنا عليه في هذه السيارة فانا لانفارقه الاعن اقامة صلاة وصلات وتجديد آثار يزين به وجه القبول كاتب الحسنات ثم نهضنا على الفور نهوض ليثه الملبد وجزنا مبتسمين فما بكينا بكاء لبيد يوم فراقه لأربد واتنشقنا من لقاء طيبة الاسم اطيب العرف وسكنا بحرف واديها مستبشرين فكانت طيبة

فقال مالأبى جهل واجنة والله لايدخلها أبدا قال فأتاه عكرمة ولده مسلما فتأولها به وكذلك
تاول فى قتل الحسين لما رأى أن كلبا أبقع يلغ فى دمه وكان ذلك بعد رؤياه عليه الصلاة والسلام
بخمسين عاما وكذلك حين قال لأبى بكر رضى الله تعالى عنه انى رأيت كانى رقيت أنا وأنت
درجا فى الجنة فسبقتك بدرجتين ونصف فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه يارسول الله أقبض
بعدك بسنتين ونصف ورأت عائشة رضى الله تعالى عنها سقوط ثلاثة أقمار فى حجرتها فأولها
ابوها بموته وموت النبى ﷺ وموت عمر رضى الله تعالى عنهما ودفنهم فى حجرتها فكان الأمر
كذلك (وحكى) أن أم الشافعى رضى الله تعالى عنه لما حملت به رأت كان المشترى خرج من فرجها
وانقض بمصر ثم تفرق فى كل بلد قطعة فأول بعالم يكون بمصر وينتشر علمه بأكثر البلاد فكان
كذلك (وحكى أيضا) أن عاملا أتى عمر رضى الله تعالى عنه فقال رأيت الشمس والقمر اقتتلا
فقال له عمر مع من كنت قال مع القمر فقال مع الآية الممحوة والله لاوليت عملا فعزله ثم اتفق
أن عليا رضى الله تعالى عنه وقع بينه وبين معاوية ماوقع فكان ذلك الرجل معاوية (وأما)
من مهر فى تعبير الرؤيا فهو ابن سيرين جاءه رجل فقال له رأيت كانى أسقى شجرة زيتون زيتا
فاستوى جالسا فقال مالتى تحتك قال علجة اشتريتها وفى رواية جارية وأنا أطؤها فقال أخاف
أن تكون أمك فكشف عنها فوجدها أمه . وجاءه رجل فقال رأيت كأن فى يدى خاتما أختم
به فروج النساء وأفواه الرجال فقال له أنت مؤذن تؤذن بالليل فتمنع الرجال والنساء من الاكل
والوطء . وجاءه رجل فقال رأيت جارة لى قد ذبحت فى بيت من دارها فقال هى امرأة نكحت فى
ذلك البيت وكانت امرأة لصديق ذلك الرجل فاغتم ثم بلغه أن الرجل قدم فى تلك الليلة وجامع
زوجته فى ذلك البيت . وجاءه رجل ومعه جراب فقال له رأيت فى النوم كأنى أسد الزقاق سدا وثيقا
شديدا فقال له أنت رأيت هذا قال نعم فقال لمن حضره ينبغى أن يكون هذا الرجل يخنق الصبيان
وربما يكون فى جرابه آلة الخنق فوثبوا عليه وفتشوا الجراب فوجدوا فيه أوتارا وحلقا فسلموه
إلى السلطان . وجاءته امرأة وهو يتغدى فقالت له رأيت فى النوم كأن القمر دخل فى الثريا ونادى
مناد من خلفى أن ائتى ابن سيرين فقصى عليه فتقلصت يده وقال ويلك كيف رأيتى هذا فأعادت
عليه فقال لأخته هذه تزعم انى أموت لسبعة أيام وأمسك يده على فؤاده وقام يتوجع ومات بعد
سبعة أيام . وجاءه رجل فقال رأيت كأنى آخذ البيض وأقشره فآكل بياضه وألقى صفاره فقال
ان صدق منامك فأنت نباش الموتى فكان كذلك (وحكى) ان ابن سيرين رأى الجوزاء قد تقدمت
على الثريا فجعل يوصى وقال يموت الحسن وأموت بعده وهو أشرف منى فمات الحسن ومات بعده
بمائة يوم (وحكى) ان رجلا رأى عيسى عليه السلام فقال له يانبى الله صلبك حق قال نعم فعبره على
بعضهم فقال تكذب رؤياك بقوله تعالى وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم ولكن هو عائد على
الرائى فكان كذلك . ورأى ابنة مغيث آت فى المنام فقال لها

لك البشيرى بولدى . أشبه شىء بالاسد . إذا الرجال فى كبد
تغالبوا على بلد . كان له حظ الاسد

فولدت المختار بن أبى عبيدة وذلك فى عام الهجرة . وقال رجل لسعيد بن المسيب رأيت كأنى بلت خلف
المقام أربع مرات قال كذبت لست صاحب هذه الرؤيا قال هو عبد الملك فقال يلى أربعة من صلبه الخلافة
. وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه رأيت عليا رضى الله تعالى عنه فى المنام فقال لى ناولنى كتبك
فناولته اياها فأخذها وبددها فأصبحت اخاكآبة فأتيت الجعد فأخبرته فقال سيرفع الله شأنك

الاسم والفعل والحرف ثم عاودنا للمنازل التى قدمنا ذكرها ورجعنا كما نسترجع منازل الأفق زهرها وتنسمنا
أرواح دمشق حتى كدنا
ننشق من ذيل الكسوة
عطرها واستقبلنا الديار
على هذا السعى الجليل
وفاصلنا السفر على كل وجه
للفضل جميل . وقطعنا
بالكسوة ليلا طائلا
نداوه كل ليل للعاشقين
طويل وفى تلك الليلة
كان دخولنا إلى دمشق
المحروسة كدخولنا إلى
القدس الشريف سائرين
مسرى النجوم فى الليل
سابقين لغرة الصباح
بغرر الخيل موفرين
لخواطر الملتقين وهيبات
وقد سال منهم السيل
نازلين من دمشق جنة
قد تبسمت لقدومنا عن
ثغور الأزهار وأجرت
أمام ركابنا الأنهار ولبست
من وشى البديع حللاها
من أوائل ما نعقد من
الثمار أزرار فائزين من
الثناء والثواب بفرق
الارادة داعين لمن فضله
لنا جامع مترقبين لرتبته
باب الزيارة وتمت هذه
السفرة على أحسن مايكون
واشتملت من وجوه
المحاسن على عيون قضيت
المهمات بها بالنهار
وقضيت فى الليل
المذاكرة والتقطت من
الفوائد الوزيرية ما كنت
ارتقت جواهره وأزاهره
وأردت أن أذكرها فى
هذه الخطبة لأنها جواهر وأضمنها بعض العلم فى هذه الاوراق فانها أزاهر فكثرت على هذا اللفظ المشجوع واقتضى وينشر

الحال أن أجمعها فى سفر يقال فيه ذلك رحلة وهذا تاريخ ومجموع وقد علم الله أن هذه النبذة من القول وردت من قريحة

ويبشر عليك وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال من رآنى فى منامه فقد رآنى حقا فان الشيطان لايتمثل بى وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال رأيت كأن رأسى قد قطع وأنا أنظر إليه فضحك رسول الله ﷺ وقال بأى عين كنت تنظر إلى رأسك ثم لم يلبث رسول الله ﷺ أن توفى وأولو رأسه بنبيه ونظره إليه باتباع سنته وقال رجل لعلى بن الحسين رأيت كأنى أبول فى يدى فقال تحتك محرم فنظروا فاذا بينه وبين امرأته رضاع وقال أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه رأيت كأنى نبشت قبر رسول الله ﷺ فضممت عظامه إلى صدرى فهالنى ذلك فسألت ابن سيرين فقال ما ينبغى لأحد من أهل هذا الزمان أن يرى الرؤيا قلت أنا رأيتها قال ان صدقت رؤياك لتحيين سنة نبيك ﷺ وقال النبي ﷺ الرؤيا الصالحة بشارة للمؤمن بماله عند الله من الكرامة فى الدنيا والآخرة وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال تضرعت إلى ربى سنة أن يرينى أبى فى النوم حتى رأيته وهو يمسح العرق عن جبينه فسألته فقال لولا رحمة الله لهلك أبوك انه سألنى عن عقال بعير للصدقة فسمع بذلك عمر بن عبد العزيز فصاح وضرب بيده على رأسه وقال فعل هذا بالتقى الطاهر فكيف بالمقترف عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنهم أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الحادى والستون فى الحيل والخدائع المتوصل بها إلى بلوغ المقاصد والتيقظ والتبصر ﴾

الحيلة من فوائد الآراء المحكمة وهى حسنة مالم يستبح بها محظور وقد سئل بعض الفقهاء عن الحيل فى الفقه فقال علمكم الله ذلك فانه قال وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وكان ﷺ إذا أراد غزوا ورى بغيرها وكان يقول الحرب خدعة ولما أراد عمر رضى الله تعالى عنه قتل الهرمزان استسقى ماء فأتوه بقدح فيه ماء فأمسكه فى يده واضطرب فقال له عمر لا بأس عليك حتى تشربه فألقى القدح من يده فأمر عمر بقتله فقال أولم تؤمنى قال كيف أمنتك قال قلت لا بأس عليك حتى تشربه وقولك لا بأس عليك أمان ولم أشربه فقال عمر قاتلك الله أخذت منى أمانا ولم أشعر وقيل كان دهاة العرب أربعة كلهم ولدوا بالطائف معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة والسائب بن الأقرع وكان يقول الحاجة تفتح أبواب الحيل وكان يقال ليس العاقل الذى يحتال للأمور إذا وقع فيها بل العاقل الذى يحتال للأمور أن لا يقع فيها وقال الضحاك بن مزاحم لنصرانى لو أسلمت فقال مازلت محبا للاسلام إلا أنه يمنعنى منه حبى للخمر فقال أسلم واشربها فلما أسلم قال له قد أسلمت فان شربتها حددناك وان ارتددت قتلناك فاختر لنفسك فاختار الإسلام وحسن إسلامه فأخذه بالحيلة (وقيل) دليت من السماء سلسلة فى أيام داود عليه الصلاة والسلام عند الصخرة التى فى وسط بيت المقدس وكان الناس يتحاكمون عندها فمن مد يده إليها وهو صادق نالها ومن كان كاذبا لم ينلها إلى أن ظهرت فيهم الخديعة فارتفعت وذلك ان رجلا أودع رجلا جوهرة فخبأها فى مكانه فى عكازة ثم ان صاحبها طلبها من الذى أودعها عنده فأنكرها فتحاكما عند السلسة فقال المدعى اللهم ان كنت صادقا فلتدن منى السلسلة فدنت منه فمسها فدفع المدعى عليه العكازة للمدعى وقال اللهم ان كنت تعلم أنى رددت الجوهرة إليه فلتدن منى السلسلة فدنت منه فمسها فقال الناس قد سوت السلسلة بين الظالم والمظلوم فارتفعت بشؤم الخديعة وأوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام أن احكم بين الناس بالبينة واليمين فبقى ذلك إلى قيام الساعة وان المختار بن أبى عبيد الثقفى من دهاة ثقيف وثقيف دهاة العرب قيل انه وجه إبراهيم بن الاشتر إلى حرب عبيد الله بن زياد ثم دعا برجل من خواصه فدفع إليه حمامة بيضاء وقال له ان رأيت الأمر عليكم فأرسلها ثم قال للناس انى لأجد فى محكم الكتاب وفى اليقين والصواب أن الله يمدكم بملائكة

مسها فقد الولد بقرح وأى قرح وقال تفكرها الذى كان حائك الكلام لسر اليوم من ذلك الطرح فليبسط الواقف على هذه الرحلة عذرى ويعلم السبب فى كونها ليست عادة نظمى ونثرى وإذا كانت القريحة فى بقايا قروحها فليت شعرى أينهض سجعى وشعرى والله تعالى المسؤول أن يجعل فى البقاء الصاحبى سلوة عن كل فقيد ويصل أسبابنا أبدا بتحرير الوافر وظله المديد وبرزة فى شكر نعمه لسانا لفظه ذهب وذهنا بصره حديد (فلما) ذكرت برحلة الشيخ جمال الدين رحمه الله تعالى إلى القدس الشريف صحبة الركاب الصاحبى الاميني رحلتى صحبة الركاب الشريف السلطانى المؤيدى سقى الله ثراه إلى البلاد الرومية وورود أمره الشريف بذكر الفتوحات بها وتسمية البلاد واستيعاب الرحلة الشريفة فى البشارة المجهزة إلى الديار المصرية وأن لا يقرأها بالجوامع المطهرة غير مولانا شيخ الإسلام قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى الشافعى عظم الله شأنه فقرأها بالجامع المؤيدى والأزهر فى شهر رجب الفرد سنة ست عشرة وثمانمائة وقد عن لى أن أقرنها

غضاب صعاب تاتى فى صور الحمام تحت السحاب * فلما كادت الدائرة تكون على أصحابه عمد ذلك الرجل
الى الحمامة فارسلها فتصايح الناس الملائكة الملائكة وحملوا فانتصروا وقتلوا ابن زياد * وعن أبى هريرة رضى
الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال خرجت امرأتان ومعهما صبيان فعدا الذئب على صبى احداهما
فاكله فاختصما فى الصبى الباقى الى داود عليه الصلاة والسلام فقال كيف أمركما فقصتا عليه القصة
فحكم به للكبرى منهما فاختصما الى سليمان عليه الصلاة والسلام فقال ائتونى بسكين أشق الغلام نصفين
لكل منهما نصف فقالت الصغرى أتشقه يا نبى الله قال نعم قالت لا تفعل ونصيبى فيه للكبرى فقال
خذيه فهو ابنك وقضى به لها وجاء رجل الى سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام وقال يا نبى الله ان لى
جيرانا يسرقون أوزى فلا أعرف السارق فنادى الصلاة جامعة ثم خطبهم وقال فى خطبته وان أحدكم
ليسرق أوز جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه فمسح الرجل رأسه فقال سليمان خذوه فهو
صاحبكم وخطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امرأة وكان شابا جميلا فأرسلت اليهما أن يحضرا
عندها فحضرا وجلست بحيث تراهما وتسمع كلامهما فلما رأى المغيرة ذلك الشاب وعاين جماله علم أنها
تؤثر عليه فأقبل على الفتى وقال لقد أوتيت جمالا فهل عندك غير هذا قال نعم فعدد محاسنه ثم سكت
فقال له المغيرة كيف حسابك مع أهلك قال مايخفى على منه شىء وانى لأستدرك منه أدق من الخردل
فقال المغيرة لكنى أضع البدرة فى بيتى فينفقها أهلى على مايريدون فلا أعلم بنفادها حتى يسألونى غيرها
فقالت المرأة والله لهذا الشيخ الذى لا يحاسبنى أحب الى من هذا الذى يحصى على مثقال الذرة
فتزوجت المغيرة * وبلغ عضد الدولة ان قوما من الاكراد يقطعون الطريق ويقيمون فى جبال شاهقة
ولا يقدر عليهم فاستدعى بعض التجار ودفع اليه بغلا عليه صندوقان فيهما حلوى مسمومة كثيرة
الطيب فى ظروف فاخرة ودنانير وافرة وأمره أن يسير مع القافلة ويظهر ان هذه هدية لأحد نساء
الأمراء ففعل التاجر ذلك وسار أمام القافلة فنزل القوم فأخذوا الامتعة والاموال وانفرد أحدهم
بالبغل وصعد به الجبل فوجد به الحلوى فقبح على نفسه أن ينفرد بها دون أصحابه فاستدعاهم فأكلوا
على مجاعة فماتوا عن آخرهم وأخذ أرباب الاموال أموالهم * وأتى لبعض الولاة برجلين قد اتهما
بسرقة فأقامهما بين يديه ثم دعى بشربة ماء فجىء له بكوز فرماه بين يديه فارتاع أحدهما وثبت الآخر
فقال للذى ارتاع اذهب إلى حال سبيلك وقال للآخر أنت أخذت المال وتلذذت به وتهدده فاقر
فسئل عن ذلك فقال ان اللص قوى القلب والبرىء يجزع ولو تحرك عصفور لفزع منه * وقصد
رجل الحج فاستودع انسانا مالا فلما عاد طلبه منه فجحده المستودع فأخبر ذلك القاضى اياسا فقال
اعلم بأنك جئتنى قال لا قال فعد إلى بعد يومين ثم ان القاضى اياسا بعث إلى ذلك الرجل فأحضره ثم قال
له اعلم أنه قد تحصلت عندى أموال كثيرة لأيتام وغيرهم وودائع للناس وانى مسافر سفرا بعيدا
وأريد أن أودعها عندك لما بلغنى من دينك وتحصين منزلك فقال حبا وكرامة قال فاذهب وهيىء
موضعا للمال وقوما يحملونه فذهب الرجل وجاء صاحب الوديعة فقال له القاضى اياس امض إلى
صاحبك وقل له ادفع إلى مالى والا شكوتك للقاضى اياس فلما جاء وقال له ذلك دفع اليه ماله واعتذر
اليه فأخذه وأتى إلى القاضى اياس وأخبره ثم بعد ذلك أتى الرجل ومعه الحمالون لطلب الاموال التى
ذكرها له القاضى فقال له القاضى بعد أن أخذ الرجل ماله منه بدالى ترك السفر امض لشأنك لا أكثر
الله فى الناس مثلك ولما أراد شيرويه قتل أبيه ابرويز قال ابرويز للداخل عليه ليقتله انى لأدلك على
شىء فيه غناك لوجوب حقك على قال وما هو قال الصندوق الفلانى فلما قتله وذهب إلى شيرويه وأخبره
الخبر فأخرج الصندوق فاذا فيه حق فيه حب ورقعة مكتوب فيها من تناول منه حبة واحدة افتض

بالرحلة النباتية فانهما رحلتان (وهى) ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى ولا زالت طرف أخبارها
السارة تسر خاطره وتشنف سمعه وترنحه بنسمات قربنا وتجاور كريم سمعه ليأخذها بالشفعة وان حصل بينه وبين المسرة لبعدنا طلاق فاتلنا الشريف يبشره بالرجعة (صدرت) هذه المكاتبة بهدى اليه من أوراقها ثمرات الفتح ليتفكه بالفواكه الفتحية وتعرب عما أبدته عربيا تنا من شواهد التسهيل فى فتح البلاد الرومية فانها رحلة مؤيدة تشد اليها الرجال وان كانت دول الاسلام حلة على أعطاف الدهر فهى لها من أطهر الاذيال وتبدى الكريم عليه تجلى مخدرات الحصول بكل وجه حسن تحت عصابتها المؤيدة واستقرار سيس فى هذه الحلبة على قديم عاداتها بين الجنائب الحلبية وفتح قلعتها وقد حرك بابها مصراعى شفتيه وأعلن بسورة الفتح جهرا وتلت أقفاله بعد ما عسرت على الغير فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وصعدت أنفاس الأدعية من أفواه مراميها فرحا بنا وسرورا وبدلت صوامعها تلك البيع بمساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا وأخلصت
الطاعة لشيخ ملوك الأرض طائفتها الارمينية وانقطعوا فى زوايا الطاعة مريدين لهذه المشيخة

عشرة أبكار وكان لشيرويه غرام فى الباه فتناول منه حبة فهلك من ساعته فكان أبرويز أول مقتول أخذ بثأره من قاتله ٭ ولما بايع الرشيد لأولاده الثلاثه بولاية العهد تخلف رجل مذكور من الفقهاء فقال له الرشيد لم تخلفت فقال عاقنى عائق فقال اقرؤا عليه كتاب البيعة فقال ياأمير المؤمنين هذه البيعة فى عنقى إلى قيام الساعة فلم يفهم الرشيد ماأراد وظن أنه إلى قيام الساعة يوم الحشر وماأراد الرجل إلا قياما من المجلس ٭ وقال المغيرة بن شعبة لم يخدعنى غير غلام من بنى الحرس بن كعب فانى ذكرت إمرأة منهم لأتزوجها فقال أيها الأمير لاخير لك فيها فقلت ولم قال رأيت رجلا يقبلها فأعرض عنها فتزوجها الفتى فلمته وقلت ألم تخبرنى أنك رأيت رجلا يقبلها قال نعم رأيت أباها يقبلها وأتى رجل إلى الاحنف فلطمه فقال ماحملك على هذا فقال جعل لى جعل على ان اللطم سيد بنى تميم فقال لست بسيدهم عليك بحارسة بن قدامه فانه سيدهم فمضى إليه فلطمه فقطعت يده (وقال) الشعبى وجهنى عبد الملك إلى ملك الروم فقال لى من أهل بيت الخلافة أنت قلت لا ولكننى رجل من العرب فكتب إلى عبد الملك رقعة ودفعها إلى فلما قرأها عبد الملك قال لى أتدرى مافيها قلت لا قال فيها العجب لقوم فيهم مثل هذا كيف يولون أمرهم غيره قال أتدرى ماأراد بهذا قلت لا قال حسدنى عليك فأراد أن أقتلك فقلت انما كبرت عنده ياأمير المؤمنين لأنه لم يترك شيئا الا سألنى عنه وأنا أجيبه فبلغ ملك الروم ماقاله عبد الملك للشعبى فقال الله أبوه ماعدا مافى نفسى ٭ ولما ولى عبد الملك بن مروان أخاه بشرا الكوفة وكان شابا ظريفا غزلا بعث معه روح بن زنباع وكان شيخا متورعا فثقل على بشر مرافقته فذكر ذلك لندمائه فوصل بعض ندمائه الى ان دخل بيت روح بن روح زنباع ليلا فى خفية فكتب على حائط قريب فى مجلسه هذه الأبيات

يا روح من لبنيات وأرملة ... إذا نعاك لأهل المغرب الناعى
ان ابن مروان قد حانت منيته ... فاحتل بنفسك ياروح بن زنباع

فتخوف من ذلك وخرج من الكوفة فلما وصل الى عبد الملك أخبره بذلك فاستلقى على قفاه من شدة الضحك وقال ثقلت على بشر وأصحابه فاحتالوا لك (ومن الحيل الظريفة) ماحكى ان النبى ﷺ لما فتح خيبر أوعرس بصفية وفرح المسلمون جاءه الحجاج بن علاط السلمى وكان أول من أسلم فى تلك الايام وشهد خيبر فقال يارسول الله ان لى بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبة ولى مال متفرق عند تجار مكة فاذن لى يارسول الله فى العود إلى مكة عسى أسبق خبر اسلامى اليهم فانى أخاف ان علموا باسلامى أن يذهب جميع مالى بمكة فأذن لى لعلى أخلصه فأذن له رسول الله ﷺ فقال يارسول الله انى احتاج إلى ان أقول فقال رسول الله ﷺ قل وأنت فى حل قال الحجاج فخرجت فلما انتهيت إلى الثنية ثنية البيضاء وجدت بها رجالا من قريش يتسمعون الاخبار وقد بلغهم أن رسول الله ﷺ سار إلى خيبر فلما أبصرونى قالوا هذا لعمر الله عنده الخبر أخبرنا ياحجاج فقد بلغنا ان القاطع يعنون محمدا ﷺ قد سار إلى خيبر قال فقلت إنه سار إلى خيبر وعندى من الخبر مايسركم قال فأحدقوا حول ناقتى يقولون ايه ياحجاج قال فقلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وأسر محمد وقالوا لانقتله حتى نبعث إلى مكة فيقتلونه بين أظهرهم بمن كان أصاب رجالهم قال فصاحوا بمكة قد جاءكم الخبر وهذا محمد انما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم قال فقلت أعينونى على جميع مالى من غرمائى فانى أريد أن أقدم خيبر فاغتنم من ثقل محمد وأصحابه قبل ان يسبقنى التجار إلى هناك فقاموا معى فجمعوا لى مالى كاحسن ماأحب فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر أقبل على حتى وقف إلى جانبى وأنا فى خيمة من خيام التجار فقال ياحجاج ماهذا الخبر الذى جئت به قال فقلت وهل عندك حفظا لما أودعه عندك من السر فقال نعم والله

بيته الابراهيمى وأدنيناه من ارمنة فدنا منها إلى أعلى المراتب وتلمظت سيوفنا بحلاوه الفتح وشفت بألسنتها فى كل قطر قطرها فتحت إياس من بعيد لهذه الحلاوة ثغرها وانسجمت ابياتها لما نظمت بسيط الطاعة بحرها ومص حصن مصيصه من رحيق هذه الطاعة فأمسى ثغره بأفواه الشكر يقبل بسط جبين جسره لمواطىء خلينا فرحنا وتهلل وجانس الفتح بين اياس وبانياس ولم ينتظم لبنى كند بيت بملطية يقال له وزن ويظهر منه اقتباس وانعكس هذا الاسم بعد الاستحالة وان كان مالا يستحيل الانعكاس وتسجر كافرهم وقد أضرم به النار فخاطبته بلسان جم لا يفحم وماهو الا كافر طال عمره لجاءته لما استبطأته جهنم وفر الى ملك عثمان فحكمنا بقتله فى تلك الارض علما ان الجهاد فى أعداء الدين عند العصابة المحمدية من الفرض وسمع العصاة بطرسوس زئير آسادنا من بعيد فأدبر مقبلهم وتخيل أن الموت أقرب اليه من حبل الوريد واهربت ابوابها بعد كسرة عن

قال قلت استأخر عني حتى ألقاك على خلاء فإني في جمع مالي كما ترى فانصرف عني حتى إذا فرغت من
جمع كل شيء كان لي بمكة وأجمعت على الخروج لقيت العباس فقلت له احفظ على حديثي يا أبا الفضل
فإني أخشى أن يتبعوني فاكتم علي ثلاثة أيام ثم قل ما شئت قال لك علي ذلك قال قلت والله ما تركت
ابن أخيك إلا عروسا على ابنة ملكهم يعني صفية وقد افتتح خيبر وغنم ما فيها وصارت له ولأصحابه قال
أحق ما تقول يا حجاج قال قلت أي والله ولقد أسلمت وما جئت إلا لآخذ مالي خوفا من أن
أغلب عليه فإذا مضت ثلاثة فأظهر أمرك فهو والله ما تحب قال فلما كان في اليوم الرابع لبس العباس
حلة له وتخلق بالطيب وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها فلما رأوه قالوا يا أبا الفضل هذا
والله هو التجلد لحر المصيبة قال كلا والذي حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسا على ابنة ملكهم
وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولأصحابه قالوا من جاءك بهذا الخبر قال الذي جاءكم بما جاءكم به
ولقد دخل عليكم مسلما وأخذ ماله وانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه ليكون معهم قالوا انفلت عدو الله
أما والله لو علمنا به لكان لنا وله شأن قال ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك فتوصل الحجاج بفطنته
واحتياله إلى تخليصه وتحصيل ماله ؛ ولما اجتمعت الأحزاب على حرب رسول الله ﷺ عام
الخندق وقصدوا المدينة وتظاهروا وهم في جمع كثير وجم غفير من قريش وغطفان وقبائل العرب وبني
النضير وبني قريظة من اليهود ونازلوا رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين واشتد الأمر واضطرب
المسلمون وعظم الخوف على ما وصفه الله تعالى في قوله تعالى إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم
وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا
شديدا فجاء نعيم بن مسعود بن عامر الغطفاني إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي
لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت فقال له رسول الله ﷺ خذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة فخرج
نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان نديما لهم في الجاهلية فقال يا بني قريظة علمتم ودي إياكم
وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم فإن
البلد بلدكم وبه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره وإن قريشا
وغطفان قد جاؤا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وأموالهم وأولادهم ونساؤهم بغير بلدكم
وليسوا مثلكم لأنهم إن رأوا فرصة اغتنموها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل
ببلدكم ولا طاقة لكم به إن خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون
بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا قالوا أشرت بالرأي ثم أتى قريشا فقال لأبي سفيان بن حرب
وكان إذ ذاك قائد المشركين من قريش ومن معه من كبراء قريش قد علمتم ودي لكم وفراقي محمدا وإنه
قد بلغني أمر وأحببت أن أبلغكموه نصحا لكم فاكتموه علي قالوا نعم قال اعلموا أن معشر يهود بني
قريظة قد ندموا على ما فعلوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه يقولون إنا قد ندمنا على نقض العهد الذي
بيننا وبينك فهل يرضيك أن تأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنسلمهم إليك
فتضرب رقابهم ثم نكون معك على من بقي منهم فتستأصلهم فأرسل يقول نعم فإن بعث إليكم يهود
يلتمسون منكم رهائن من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال لهم
مثل ما قال لقريش وحذرهم فلما كانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان ورؤس بن غطفان إلى بني قريظة
يقولون لهم إنا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فاعتدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ فيما
بيننا وبينه فأرسلوا يقولون لهم إن اليوم يوم السبت وهو يوم نعمل فيه شيئا ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل
محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فإنا نخشى إن دهمتكم الحرب

واشتد

فبصقت فيه أفواه المدافع وحكم عليه القضاء بالاعتقال ولم يأت عند ذلك الحكم بدافع وشاهد القرمانيون
من سيوفنا شدة القرم
نخشى كل منهم أن يصير
لحما على وضم ورأوا لسن
السهام في أفواه تلك
المرامي برأينا الصائب
ناطقة وما أظهروا على
سماء برج غيوم ستائر
إلا لمعت فيها من بوارق
الهوطنا بارقة فمزقوا
الأطواق من الحنق
فطوقناهم بالحديد وأحببنا
الفتح المأموني برأينا
الرشيد وما خفي عن
كريم علمه وقوع انتقامنا
الشريف في الغادر ابن
الغادر لما أدبر وقطع الله
دابره وظهور السر
الابراهيمي لما ادعى
انه نمروذ تلك الفئة الغادرة
كلمه بسيوفنا فأخرسه
وتخبطه شيطان الرعب
بمسه ورأى فيه تلك الهمة
العالية فنجا من تلك الوقعة
بفرسه ونفسه وأرى من قبل
الى جبل ليعصمه فقال له
لا عاصم اليوم من أمر
الله ورماه من شاهقه في
بحر عساكرنا بعدما عض
عليه بثناياه وسمع الرعد
من سيف ابراهيم ففر وقد
شاهد من أصيب بصواعقه
من عصاة التركمان وصدقت
فيه عزائم أتراكنا وما
رؤي أحد في ذلك اليوم
من التركمان وسقوا
أوغار تلك الجبال من
دمائهم فكادت احجارها أن تورق وتخصب بعد المحل وجنوا بالصال على النصر وغنموا من الانعام

واشتد عليكم القتال أن تشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا به فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان والله ان الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فأرسلوا إلى بنى قريظة يقولون انا لا تدفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا وقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل ان الكلام الذى ذكره نعيم بن مسعود لحق وما يريد القوم إلا أن تقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها وان كان ذلك شمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم فأرسلوا إلى قريش وغطفان انالا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فأبوا عليهم لخذل الله تعالى بينهم أرسل عليهم الريح فتفرقوا وارتحلوا وكان هذا من لطف الله تعالى أن الهم نعيم ابن مسعود هذه الفتنة هداه إلى اليقظة التى عم نفعها وحسن وقعها

(وأما ما جاء فى التيقظ والتبصر فى الأمور) فقد قالت الحكماء من أيقظ نفسه وألبسها التحفظ أيس عدوه من كيده له وقطع عنه أطماع الماكرين به وقالوا اليقظة حارس لا ينام وحافظ لا ينام وحاكم لا يرتشى فن تدرع بها أمن من الاختلال والعذر والجور والكيد والمكر وقيل ان كسرى أنو شروان كان أشد الناس تطلعا فى خفايا الأمور وأعظم خلق الله تعالى فى زمانه تفحصا وبحثا عن أسرار الصدور وكان يبث العيون على الرعايا والجواسيس فى البلاد ليقف على حقائق الأحوال ويطلع على غوامض القضايا فيعلم المفسد فيقابله بالتأديب والمصلح فيجازيه بالإحسان ويقول متى غفل الملك عن تعرف ذلك فليس له من الملك الا اسمه وسقطت من القلوب هيبته (وروى) عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى ليلة من الليالى يطوف ويتفقد أحوال المسلمين فرأى بيتا من الشعر مضروبا لم يكن قد رآه بالأمس فدنا منه فسمع فيه انين امرأة ورأى رجلا قاعدا فدنا منه وقال له من الرجل فقال رجل من البادية قدمت إلى أمير المؤمنين لأصيب من فضله قال فاهذا الأنين قال امرأة تتمخض قد أخذها الطلق قال فهل عندها أحد قال لا فانطلق عمر لرجل لا يعرفه فجاء إلى منزله فقال لامرأته أم كلثوم بنت على بن أبى طالب بنت فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنهما هل لك فى أجر قد ساقه الله تعالى لك قالت وما هو قال امرأة تتمخض ليس عندها أحد قالت إن شئت قال فخذى معك ما يصلح المرأة من الخرق والدهن وائتنى بقدر وشحم وحبوب فجاءت به فحمل القدر ومشت خلفه حتى أتى البيت فقال ادخلى إلى المرأة ثم قال للرجل أوقد لى نارا ففعل فجعل عمر ينفخ النار ويضرمها والدخان يخرج من خلال لحيته حتى انضجها وولدت المرأة فقالت أم كلثوم رضى الله تعالى عنها بشر صاحبك يا أمير المؤمنين بغلام فلما سمعها الرجل تقول يا أمير المؤمنين ارتاع وخجل وقال واخجلتاه منك يا أمير المؤمنين أهكذا تفعل بنفسك قال يا أخا العرب من ولى شيئا أمور المسلمين ينبغى له ان يتطلع على صغير أمورهم وكبيره فانه عنها مسئول متى غفل عنها خسر الدنيا والآخرة ثم قام عمر رضى الله عنه وأخذ القدر من فوق النار وحملها الى باب البيت وأخذتها أم كلثوم وأطعمت المرأة فلما استقرت وسكنت طلعت أم كلثوم فقال عمر رضى الله تعالى عنه للرجل قم إلى بيتك وكل ما بقى فى البرمة وفى غداة ائت الينا فلما أصبح جاءه فجهزه بما أغناه به وانصرف وكان رضى الله تعالى عنه من شدة حرصه على تعرف الأحوال وإقامة قسطاط العدل وازاحة أسباب الفساد واصلاح الأمة يعس بنفسه ويباشر أمور الرعية سرا فى كثير من الليالى حتى انه فى ليلة مظلمة خرج بنفسه فرأى فى بعض البيوت ضوء سراج وسمع حديثا فوقف على الباب يتجسس فرأى عبداً أسود قدامه إناء فيه مزور وهو يشرب ومعه جماعة فهم بالدخول من الباب فلم يقدر من تحصين البيت فتسور على السطح ونزل اليهم من الدرجة ومعه الدرة فلما رأوه قاموا وفتحوا الباب وانهزموا

وانفطرت كبده لما رأى كواكب الحى من افلاك تلك الصدور وقد انتثرت وسن المقر الصارمى فيهم عزمه فقطع بهذا الصارم من عواتقهم أوصالا وحيت نار حربه فسبكت أوانيهم من الذهب والفضة تحت حوافر خيله نعالا ورخصت أنواع الديباج فكم من معدنى صارم دنى لأن قبورهم بعثرت وتلا لسان حال الكسب على السمور وغيره من أصناف الوبر وإذا الوحوش حشرت وانقادت ركائبهم إلينا وبدور موطنها فى بروج تلك الجبال قد أشرفت والمتناظر يتلو متعجبا أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وكانت نار حرب القوم على المقر الابراهيمى بردا وسلاما فانه رفع قواعد بيته فى ذلك اليوم وعلمنا ان الله قد جعل لإبراهيم فى هذا البيت الشريف مقاما ورقاه فى عمر الابدر إلى برج الكمال فأبدر فيها وسرى وأنشد لسان الحال بهذا المقال وقد ظهرت فلا تخفى على أحد

الا على اكمه لا يعرف القمرا

وإن كان شلا فهو فى الخبر كاسده ومصارع ليوث الحرب قد جعلها

الله من بسبب صغره تحت يده ورفع له فى هذا المبتدا وسيره فى الآفاق خبرا وعلم الاعداء ان دمهم يجرى عند لقائه

فمسك الأسود فقال له يا أمير المؤمنين قد أخطأت وانى تائب فاقبل توبتى فقال أريد أن أضربك
على خطيئتك فقال يا أمير المؤمنين ان كنت قد أخطأت فى واحدة فأنت قد أخطأت فى ثلاث فان الله
تعالى قال ولا تجسسوا وأنت تجسست وقال تعالى وأتوا البيوت من أبوابها وأنت أتيت من السطح
وقال تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها وأنت دخلت وما سلمت
فهب هذه لهذه وأنا تائب إلى الله تعالى على يدك أن لا أعود فاستتوبه واستحسن كلامه وله رضى الله
تعالى عنه وقائع كثيرة مثل هذه وكان معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنه قد سلك طريق أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى ذلك وكان زياد بن أبيه يسلك مسلك معاوية فى ذلك
حتى نقل عنه أن رجلا كلمه فى حاجة له وجعل يتعرف إليه ويظن أن زيادا لا يعرفه فقال أنا فلان بن
فلان فتبسم زياد وقال له أتتعرف الى وأنا أعرف بك منك بنفسك والله إنى لأعرفك وأعرف أباك
وأعرف أمك وأعرف جدك وجدتك وأعرف هذه البردة التى عليك وهى لفلان وقد أعارك إياها
فبهت الرجل وارتعد حتى كاد يغشى عليه ثم جاء بعدهم من اقتدى بهم وهو عبد الملك بن مروان
والحجاج ولم يسلك بعدهما ذلك الطريق واقتفى آثار ذلك الفريق المنصور ثانى خلفاء بنى عباس
ولى الخلافة بعد أخيه السفاح وهى فى غاية الاضطراب فنصب العيون وأقام المتطلعين وبث فى
البلاد والنواحى من يكشف له حقائق الأمور والرعايا فاستقامت له الأمور ودانت له الجهات ولقد
ابتلى فى خلافته بأقوام نازعوه وأرادوا خلعه وتمردوا عليه وتكاثروا فلولا أن الله تعالى أعانه بتيقظه
وتبصره ما ثبت له فى الخلافة قدم ولا رفع له مع قصد أولئك القاصدين علم لكنه بث العيون فعرف
من انطوى على خلافه فعالجه بإتلافه واطلع على عزائم المعاندين فقط رؤس عنادهم بأسيافه وكان
بكمال يقظته يتلقى المحذور بدفعه دون رفعه ويعالج المخوف بتفريق شمله قبل جمعه فذلت له
الرقاب ولانت لخلافته الصعاب وقرر قواعدها وأحكمها بأوثق الأسباب فمن آثار يقظته وفطنته
ما نقله عنه عقبة الازدى قال دخلت مع الجند على المنصور فارتابنى فلما خرج الجند أدنانى وقال
لى من أنت فقلت رجل من الازد وأنا من جند أمير المؤمنين قدمت الآن مع عمر بن حفص فقال
انى لأرى لك هيبة وفيك نجابة وانى أريدك لأمر وأنا به معنى فان كفيتنيه رفعتك فقلت انى لأرجو
أن أصدق ظن أمير المؤمنين فى فقال أخف نفسك واحضر فى يوم كذا قال فغبت عنه الى ذلك اليوم
وحضرت فلم يترك عنده أحدا ثم قال لى اعلم أن بنى عمنا هؤلاء قد أبوا إلا كيد ملكنا واغتياله ولهم
شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم ويرسلون إليهم بصدقات أموالهم وألطاف بلادهم فخذ معك
عينا من عندى وألطافا وكتبا واذهب حتى تأتى عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب فاقدم عليه
متخشعا والكتب على ألسنة أهل تلك القرية والألطاف من عندهم إليه فاذا رآك فانه سيردك ويقول
لا أعرف هؤلاء القوم فاصبر عليه وعاوده وقل له قد سيرونى سرا وسيروا معى ألطافا وعينا وكلما
جبهك وأنكر اصبر عليه وعاوده واكشف باطن أمره قال عقبة فأخذت كتبه والعين
والألطاف وتوجهت الى جهة الحجاز حتى قدمت على عبد الله بن الحسن فلقيته بالكتب فأنكرها
ونهرنى وقال ما أعرف هؤلاء القوم قال عقبة فلم أنصرف وعاودته القول وذكرت له اسم القرية
وأسماء أولئك القوم وأن معى ألطافا وعينا فأنس بى وأخذ الكتب وما كان معى قال عقبة
فتركته ذلك اليوم ثم سألته الجواب فقال أما كتاب فلا أكتب الى أحد ولكن أنت كتابى
إليهم فاقرئهم السلام وأخبرهم أن ابنى محمدا وإبراهيم خارجان لهذا الأمر وقت كذا وكذا
قال عقبة فخرجت من عنده وسرت حتى قدمت على المنصور فأخبرته بذلك فقال لى المنصور انى

نعما وكذا جرى وهذه المقابلة تليق بابن الغادر على قبح سريرته وغدره فإنه أخرج أهل تلك البلاد من أرضهم
بظلمه لا بسحره وسألنا
قبل ذلك فى ولده وقد
كره العود إليه وألف
أبوتنا الشريفة وتوطن
فرددناه إلى أمه كى
تقر عينها ولا تحزن عليه
فخالف نص الكتاب
ومشى فى ظلم الطغيان ولم
يعمل بقوله تعالى هل
جزاء الإحسان إلا
الاحسان فقابلته سطواتنا
الشريفة على قوله وفعله
وما حاق المكر السيء إلا
بأهله وخيل ركابنا الشريف
بالابليستين فى العشرين
من ربيع الآخر فجمعنا
بحصنها الزاهر بين ربيعين
وتممناها بعشر الاقامة
الاستيفاء مالنا فى ذمة
جيرانها من الدين فرحبت
بنا وبسطت بساطها
الأخضر وقالت على
الرأس والعين وألقتنا الى
درندة وما العيان من صنع
الله فى أخذها كالخبر
وقررنا صدع صخورها
باختلاف الآلات فجاء
ماقررناه نقشا على حجر
وادعت أن صخرها أصم
فاسمعناها من آذان المرامى
تنقير المدافع وتحريك
الوتر وطلعت فى ظهر
الجبل كدمل قطار كل
جرح من سهامنا بريشة الى
فتحها وظنت صون من
بها العلو ذلك الفسيح
فطالت سيوفنا الى دواء
القوم وسفحها وقرعنا جبلها بسبابات المدافع وكسرنا

أريد الحج فاذا صرت بمكان كذا وكذا وتلقاني بنو الحسن وفيهم عبد الله فاني أعظمه وأكرمه وأرفعه وأحضر الطعام فاذا فرغ من أكله ونظرت اليه فتمثل بين يدي وقف قدامه فانه سيصرف وجهه عنك فدر حتى تقف من ورائه واغمز ظهره بابهام رجلك حتى يملأ عينيه منك ثم انصرف عنه وإياك أن يراك وهو يأكل ثم خرج المنصور يريد الحج حتى إذا قارب البلاد تلقاه بنو الحسن فاجلس عبدالله إلى جانبه لحادثه فطلب الطعام للغداء فأكلوا معه فلما فرغوا أمر برفعه فرفع ثم أقبل على عبدالله بن الحسن وقال يا أبا محمد قد علمت أنما أعطيتني من العهود والمواثيق أنك لا تريدني بسوء ولا تكيد لي سلطانا قال فأنا على ذلك يا أمير المؤمنين قال عقبة فلحظني المنصور بعينه فقمت حتى وقفت بين يدي عبدالله بن الحسن فأعرض عني فدرت من خلفه وغمزت ظهره بابهام رجلي فرفع رأسه وملأ عينيه مني ثم وثب حتى جثى بين يدي المنصور وقال أقلني يا أمير المؤمنين أقالك الله فقال له المنصور لا أقالني الله أن لم أقتلك وأمر بحبسه وجعل يتطلب ولديه محمدا وإبراهيم ويستعلم أخبارهما قال علي الهاشمي صاحب غدائه دعاني المنصور يوما فاذا بين يديه جارية صفراء وقد دعا لها بأنواع العذاب وهو يقول ويلك أصدقيني فوالله ما أريد إلا الألفة ولئن صدقتيني لأصلن رحمه ولأتابعن البر اليه وإذا هو يسألها عن محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهي تقول لا أعرف له مكانا فأمر بتعذيبها فلما بلغ العذاب منها أغمي عليها فقال كفوا عنها فلما رأى أن نفسها كادت تتلف قال ما دواء مثلها قالوا شم الطيب وصب الماء البارد على وجهها وأن تسقى السويق ففعلوا بها ذلك وعالج المنصور بعضه بيده فلما أفاقت سألها عنه فقالت لا أعلم فلما رأى اصرارها على الجحود قال لها أتعرفين فلانة الحجامة فلما سمعت منه ذلك تغير وجهها وقالت نعم يا أمير المؤمنين تلك في بني سليم قال صدقت هي والله أمتي ابتعتها بمالي ورزقي يجري عليها في كل شهر وكسوة شتائها وصيفها من عندي سيرتها وأمرتها أن تدخل منازلكم وتحجمكم وتتعرف أحوالكم وأخباركم ثم قال لها أتعرفين فلانا البقال قالت نعم يا أمير المؤمنين هو في بني فلان قال صدقت هو والله غلامي دفعت اليه مالا وأمرته أن يبتاع به ما يحتاج اليه من الأمتعة واخبرني أن أمة لكم يوم كذا وكذا جاءت اليه بعد صلاة المغرب تسأله حناء وحوائج فقال لها ما تصنعين بهذا قالت كان محمد بن عبد الله بن الحسن في بعض الضياع بناحية البقيع وهو يدخل الليلة وأردنا هذا ليتخذ النساء ما يحتجن اليه عند دخول أزواجهن من المغيث فلما سمعت الجارية هذا الكلام من المنصور ارتعدت من شدة الخوف وأذعنت له بالحديث وحدثته بكل ما أراد والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثاني والستون في ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام والحشرات وما أشبه ذلك مرتبا على حرف المعجم

(حرف الهمزة)

(الأسد) من السباع والأنثى أسدة وله أسماء كثيرة فمن أشهرها أسامة والحرث وقسورة والغضنفر وحيدرة والليث والضرغام ومن كناه أبو الأبطال وأبو شبل وأبو العباس وهو أنواع منها ما وجهه وجه إنسان وشكل جسده كالبقر وله قرون سود نحو شبر ومنها ما هو أحمر كالعناب وغير ذلك وتلده أمه قطعة لحم ويستمر تحرسه ثلاث أيام ثم يأتي أبوه فينفخ فيه فتنفرج أعضاؤه وتتشكل صورته ثم ترضعه وتسمر عيناه مغلوقة سبعة أيام ثم تفتح ويقيم على تلك الحالة بين أبيه وأمه إلى ستة أشهر ثم يتكلف الكسب بعد ذلك وله صبر على الجوع والعطش وعنده شرف نفس يقال انه

منه الثنية وأمست حلق مراميها كالخواتم في أصابع سهامنا المستوية وخر بحرها طائعا فركبنا عليه سفن جسور على الزحف جاسرة وأقلعنا إلى خشب سفنها المسندة فزقنا قلوع سائرها وخربنا قريتها العامرة هذا مع أن الملك خطبها لنفسه وأراد أن يعرج اليه فترفعت عليها ولم ترضه لنقص العرج أن يعلو اعليها فرحل عنها ولم يخط من ديوان وصلها بمسموح ولكن ساعة رؤيتها قالت بكارتها مرحبا بأبي النصر وأبي الفتوح وتعلق سكانها بأذيال الأمان فأمناهم ولكن كانوا في صدرها غلا فنزعناهم وجاءت مفاتيح جندروس قبل التخلص منها براعة فأحسنا الختام بدندرة والقينا أكسير المدافع على حجرها الذي كان غير مكرم وأحسنا التدبير في الصناعة وسمعت كرت برت بذلك فألقت من بها وبئر معطلة وزهت فرحة بكسرها المشيد ووصلت مفاتيحها يوم هذ الفتح مهنئة بلسانها الحديد وغارت عروس جهنتان من لك فخطبتنا لجمالها البارع وجهزت كتابها يشهد لها بالخلو من الموانع وهي أيضا من خطبها الملك لنفسه فتمنعت وأراد السمو إلى أفقها العالي فاستسفلته وترفعت وعوت كلابه فلقيتهم ما ثقل وزنه من أحجارها الثقال خلافا لمن اصبح الصخر عنده بمثقال وعلم طغرق ان سهامنا في كل

لا يعاود فريسته ولا يأكل من فريسة غيره ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب وفي ذلك يقول بعضهم:

سأترك حبكم من غير بغض ... وذاك لكثرة الشركاء فيه
إذا وقع الذباب على طعام ... رفعت يدي ونفسي تشتهيه
وتجتنب الأسود ورود ماء ... إذا كان الكلاب يلغن فيه

وإذا أكل نهش نهشا وريقه قليل جداً ولذلك يوصف بالبخر وعنده شجاعة وجبن وكرم فمن شجاعته الاقدام على الأمور وعدم الاكتراث بالغيروم، جبنه أنه يفر من صوت الديك والسنور والطست ويتحير عند رؤية النار ومن كربه أنه لا يقرب المرأة خصوصا إذا كانت حائضا وقيل أربع عيون تضيء بالليل عين الأسد وعين النمر وعين السنور وعين الافعى ، وروى أنه لما تلا رسول الله ﷺ والنجم إذا هوى قال عتبة بن أبي لهب كفرت برب النجم يعني نفسه فقال رسول الله ﷺ اللهم سلط عليه كلبا من كلابك ينهشه فخرج مع أصحابه في عير إلى الشام حتى إذا بمكان يقال له الزرقاء زأر الأسد فجعلت فرائصه ترتعد فقالوا له من أي شيء ترتعد فرائصك فوالله ما نحن وأنت إلا سواء فقال أن محمدا دعا علي ووالله ما أظلت السماء من ذي لهجة أصدق من محمد ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه ثم جاء النوم فحاطوا أنفسهم بمتاعهم وجعلوه بينهم وناموا فجاء أسد يتهمس ويشمهم رجلا رجلا حتى انتهى إليه فضغط ضغطة كانت اياها فسمع وهو بآخر رمق يقول ألم أقل لكم أن محمدا أصدق الناس ولبعضهم في الأسد

عبوس شموس مصلخد مكابد ... جرى على الأقران للقرن قاهر ... براثنه شثن وعيناه في الدجى
كجمر الغضى في وجهه الشر ظاهر ... يدل بانياب حداد كأنها ... اقاص الاشداق عنها خناجر

(فائدة) إذا أقبلت على واد مسبع فقل أعوذ بدانيال والجب من من شر الأسد سبب ذلك على ما قيل أن بختنصر رأى في هلاكه يكون على يد مولود فجعل يأمر بقتل الأطفال فخافت أم دانيال عليه فجاءت إلى بئر فألقته فيه فأرسل الله له أسدا يحرسه وقيل أن بختنصر توهم ذلك في دانيال فضرى له اسدين وجعلهما في الجب والقاه عليهما فلم يؤذياه وصارا يبصبصان حوله ويلحسانه فاقام ماشاء الله تعالى أن يقيم ثم اشتهى الطعام والشراب فأوحى الله تعالى إلى ارمياء بالشام ان اذهب إلى أخيك دانيال بجب كذا بمكان كذا قال أرمياء فسرت إلى ذلك الموضع فلما وقفت على رأس ذلك الجب ناديته فعرفني فقال من أرسلك إلى قلت ارسلني الله اليك بطعام وشراب فقال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره والحمد لله الذي لا يخيب من قصده والحمد لله الذي من وثق به لا يكله إلى غيره الحمد لله الذي يجزي بالاحسان إحسانا وبالصبر نجاة وغفرانا والحمد لله الذي يكشف ضرنا بعد كربنا والحمد لله الذي هو ثقتنا حين تسوء ظنوننا بأعمالنا والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل عنا قال ثم صعد أرمياء من الجب وأقام عنده مدة ثم فرقه ورجع (وحكى) أن يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام مر بقبر دانيال عليه الصلاة والسلام فسمع منه صوتا يقول سبحان من تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت قال بعض الصالحين من قال هذه الكلمات استغفر له كل شيء (وحكى) أن ابراهيم بن أدهم كان في سفره ومعه رفقة فخرج عليهم الأسد فقال لهم قولوا اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واحفظنا بركنك الذي لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت رجاؤنا يا الله يا الله يا الله قال فولى الأسد هاربا ، وقيل لما حمل نوح عليه الصلاة والسلام في سفينته من كل زوجين اثنين قال أصحابه كيف نطمئن ومعنا الأسد فسلط الله عليه الحمى وهي أول حمى نزلت في الأرض ثم شكوا اليه العذرة فأمر الله تعالى الخنزير فعطس فخرج منه الفأر فلما كثر وزاد ضرره وشكوا ذلك لنوح عليه الصلاة والسلام فأمر الله سبحانه وتعالى الأسد فعطس فخرج منه الهر فحجب الفار عنهم ويحرم أكل السبع لنهيه

عطلو من أعضاء العصاة جارحة وأفواه مدافعنا في أعراض الصخور من سائر القلاع قادحة فثبت يداه

عن المنع وجنح إلى الاخلاص فسابقه باب القلعة ورفع صوته في الفاتحة وضحك ناموس ملسكنا الشريف على من دعى بكختا وكركر ولكن ابكتهم سهامنا دما جرى من محاجر القلعتين ولم يتعثر وقال حصن كختا ان كانت قلعة تجم عقابا في عقاب فالنسر الطائر يخفق تحت قادمتي بأجنحة أو كان علاها من الأصيل خضاب فكف الخصب يتيمم تربي ويمسح بياض جبهته فأنا الهيكل الذي ذاب قلب الأصيل على تذهيبه وود بنار الشمس ان يكون من تعاويذه والشجرة التي لولا سمو فرعها تفكهت به حبات الثريا وانتظمت في سلك عناقيده وتشامخ هذا الحصن ورفع أنف جبله وتشامم فأرمدنا عيون مراميه بدم القوم وأميال سهامنا على تكحيلها تتزاحم ووصل النقيب بتنقيبه من مقاتلهم إلى الصواب وأيقنوا أن بعده لم يضرب بيننا بسور له باب وكان منهم ماؤهم عذبا فأكثرنا على منبعه الزحام وتطفلوا على رضاع ثدي دلو فلم ترض أم المنع بغير الفطام وأمسى دلوهم كدلو أبي زيد السروجي لا يرجع

عليه

عليه الصلاة والسلام عن أكل كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير (خواصه) فمن خواصه أن صوته يقتل التماسيح وشحمه من طلى به يده لم يقربه سبع ومرارة الذكر منه تحل المعقود ولحمه ينفع من الفالج وإذا وضعت قطعة من جلده فى صندوق لم يقربه سوس ولا أرضة وإذا وضع على جلد غيره من السباع تساقط شعره وهو من الحيوان الذى يعيش الف سنة على ما ذكر وعلامة ذلك كثرة سقوط أسنانه (والابل) قيل ما خلق الله شيئا من الدواب خيرا من الابل أن حملت أثقلت وأن سارت أبعدت وأن حلبت أروت وإن نحرت أشبعت وفى حديث الابل عز لاهلها والغنم بركة والخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة وهى من الحيوان العجيب وإن كان عجبه قد سقط لكثرة مخالطته الناس وقد أطاعها الله للادمى وغيره حتى قيل أن قطارا كان ببعض حبله دهن فرت فأرة لجذبته فسار معها القطار بواسطة جذبها له وهى مراكب البر ولذلك قرنها الله تعالى بالسفن فقال تعالى وعلى الفلك تحملون ولما كانت مراكب البر والبر فيه ما ماؤه قليل وما ماؤه كثير جعل الله تعالى لها صبرا على العطش حتى قيل إنه يرتفع ظمؤها إلى عشر وفى الحديث لا تسبوا الابل فإنها من نفس الله تعالى أى مما يوسع به على الناس حكاه ابن سيده والذى يعرف لا تسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن قال أصحاب الكلام فى طبائع الحيوان ليس لشىء من الفحول مثل ما للجمل عند هيجانه فإنه يسوء خلقه فيظهر زبده ويقل رغاؤه فلو حمل عليه ثلاثة أضعاف عادته حمل ويقل أكله ويخرج له عند رغائه شقشقة لا تعرف من أى شىء هى من اجزائه وهو من الاحرار حتى قيل أنه لا ينزو لا على أمه وعلى أخته حتى قيل أن بعض العرب ستر ناقة بثوب ثم أرسل عليها ولدها فلما عرف ذلك عمد إلى احليله فأكله ثم حقد على صاحبه حتى قتله وليس له مرارة ولذلك كثر صبره وقيل يوجد على كبده شىء رقيق يشبه المرارة ينفع الغشاوة فى العين كحلا وفى معدته قوة حتى أنها تهضم الشوك وتستطيبه ويحل اكله بالنص والاجماع وأما تحريم يعقوب عليه الصلاة والسلام أكلها فباجتهاد منه وذلك انه كان يسكن البوادى فاشتكى عرق النساء فلم يجد ما يلائمه الا ترك أكل لحومها فلذلك حرمها . وأما انتقاض الوضوء بأكل لحمها فاختلف العلماء فى ذلك فذهب الاكثرون إلى انه لا ينقض وعليه الخلفاء الأربعة وابن مسعود وأبى وابن عباس وأبو الدرداء وأبو طلحة وعامر بن ربيعة وأبو أمامة وجماهير التابعين وبه أخذ مالك والشافعى وأبو حنيفة وأصحابهم وخالف فى ذلك أحمد واسحق ويحيى بن يحيى وابن المنذر وابن خزيمة واختاره البيهقى وهو مذهب الشافعى القديم (خواصه) قال ابن زهير وغيره أكل لحمه يزيد فى الباه وفى الانعاظ بعد الجماع وبوله يفيق السكران ووبره إذا أحرق وذر على دم سائل قطعه وقراده إذا ربط على دم عاشق يزيل عشقه (الأرضة) بفتح الهمزة والراء دويبة صغيرة كنصف العدسة تأكل الخشب والورق ولما كان فعلها من الأرض أضيف اسمها اليها قال القزوينى إذا أتى على الأرضة سنة نبت لها جناحان طويلان تطير بهما ويقال ان الدابة التى دلت الجن على موت سليمان عليه الصلاة والسلام ومن شأنها أما تبنى لنفسها بيتا من عيدان تجمعها مثل بيت العنكبوت منخرطا من أسفله إلى أعلاه وله فى احدى جهاته باب مربع ومنه تعلم الاوائل وضع النواويس لموتاهم والنمل عدوها وهو أصغر منها فيأتى من خلفها ويحملها ويمشى بها جحره لانه إذا أتاها مستقبلا لا يغلبها (الأرنب) حيوان شبه العناق قصير اليدين طويل الرجلين يطأ الأرض على مؤخر قدميه وهو اسم يطلق على الذكر والأنثى وله شدة شبق وربما تسلط وهى حبلى ويكون عاما ذكرا وعاما أنثى . ومن عجائبها أنها تنام وعيناها مفتوحتان فيأتى الصياد فيظنها مستيقظة قيل من رأى أرنبا عند خروجه من بيته أول ما يخرج أورآه

تيلة ولا يجلب تقع غله وحكم المدفع الكبير على سور القلعة فقال له السور دائم النفوذ والاحكام والقلبوا صاغرين إلى الطاعة وقد قابلنا انف حبلهم بالارغام ورجعوا عن خليلهم الكردى لما قام لهم على جهله الدليل وقالوا طاعة السلطنة الشريفة ما يراعى فيها من العصاة خليل وسألونا الصفح عن حديث جهلهم القديم وسلموا القلعة لرضا خواطرنا الشريفة لجمعوا بذلك بين الرضا والتسليم وتنكرت أكراد كركر بسور القلعة فعرفناهم بلامات القسى وألفات السهام وعطست أنوف مراميهم باصوات مدافعنا كان بها زكام وتبرموا من خليلهم الكردى لما شاهد الخطب جليلا وقال كل منهم ياليتنى لم أتخذ فلانا خليلا وأورت عاديات المدافع بالقلعة قدحا فأمست بالزلزلة مهددة وفروا من سطواتنا الشريفه إلى البروج فأدركهم الموت فى بروجهم المشيدة وسألنا كرديهم فى جزيل ماله ليغدو بنفسه الخبيثه ويروح فلم نرض امنه على كفره الا بالمال والروح وسجناه فى قلعته وقد أيقن بالموت وارتفع النزاع وجهز المفتاح لتخليص دينه لحصل على سجنه الاجماع وأمسى بها * كريشة فى ممر الريح ساقطه * وتمام البيت معروف عند من له عليه طلاع وجاءه مفاتيح كل مدينة ياربكر وقد أزهرت باحسنا

عند قيامه من نومه واصطبح به لم تقض له حاجة فى ذلك اليوم ومن عجيب أمره أن تحمل الانثى منه باثنين وثلاثة وأربعة ولا تلد الا تحت الأرض خوفا على أولادها من الإنسان وتحفر تحت الأرض الحفائر القوية حتى أنها تخرب الجدران وعند ولادتها ينتحل شعرها وهى تحضن الأولاد إلى عشرين يوما ومن طبعه أنه أبله وفيه قوة وشدة وفى سفاده حالة نزوه يصرخ الذكر والأنثى كالسنانير فإذا وقع منه الانزال وقع على الأرض قليل الحركة وعند سفاده تدير له وجهها فإذا ملكها بعد ذلك فإنها تجرى به وهو راكب عليها ويجرى معها (فائدة) ذكر ابن الاثير فى الكامل أن صديقا لى اصطاد أرنبا وله أنثيان وذكر وفرج ‌ه وقيل التقطت الأرنب تمرة فاختلسها الثعلب فانطلقا يتخاصمان إلى الضب فقالت الأرنب يا أباحسل فقال سميعا دعوت قالت أتيناك لنختصم قال عادلا حكيما قالت فاخرج الينا قال فى بيته يؤتى الحكم قالت أنى وجدت تمرة حلوة قال فكليها قالت قد اختلسها الثعلب قال لنفسه بغى الخير قالت فلطمته قال بحقك أخذت قالت فلطمنى قال اقتص قالت فاقض بيننا قال قد قضيت فذهبت أقواله أمثال (ومن ذلك) ما حكى أن عدى بن أرطاة أتى شريحا القاضى فى مجلس حكمه فقال له أين أنت قال بينك وبين الحائط قال فاسمع منى قال للاستماع جلست قال أنى تزوجت امرأة قال بالرفاء والبنين قال فشرط أهلها أن لا أخرجها من بيتهم قال أوف لهم بالشرط قال فأنا أريد الخروج قال الشرط أملك قال أريد أن أذهب قال فى حفظ الله قال فاقض بيننا قال قد فعلت قال فعلى من قضيت قال على ابن أمك قال بشهادة من قال بشهادة ابن أخت خالك (الخواص) قال الجاحظ من علق عليه كعب أرنب لم تضره عين ولا سحر وأكل دماغه يبرىء من الارتعاش العارض من البرد وأن شربت المرأة الحامل أنفحة الذكر ولدت ذكرا وإن شربت أنفحة الأنثى ولدت أنثى وأن علقت عليها زبلها لم تحمل والأرنب البحرى من السموم فلا يحل أكله (سقنقور) دابة شكلها كالوزغة إذا أخذت وسلخت وشرب منها مثقال زاد فى الباه وهو من الأشياء النفيسة عند أهل الهند يقال انه يهدى اليهم فيذبحونه بسكين من الذهب ويحشونه من ملح مصر فاذا وضعوا منه مثقالا على لحم أو بيض نفع نفعا عظيما (الافعى) الانثى من الحيات والذكر أفعوان وهو يعيش ألف سنة على ما يقال ويعرف بالشجاع والاسود وهو أشر الحيات وأشرها حيات وأفاعى سجستان ومن عجيب ما يحكى عنها أنها لدغت انسانا فى رجله فانصدعت جبهته (وحكى) انها نهشت ناقة وفصيلها يرضع فمات قبل أمه وقيل لما دخل شبيب بن شبة على المنصور قال له يا شبيب أدخلت سجستان فقال له نعم قال صف لى أفاعيها قال يا أمير المؤمنين هم دقاق الاعناق صغار الأذناب مفلطحة الرؤس رقش برش كأنما كسين أعلام الحبرات كبارهن حتوف وصغارهن سيوف وقيل انها تندفن فى التراب أربعة أشهر فى البرد ثم تخرج وقد أظلمت عيناها فتمر بشجر الرازيانج وهو الشمر الاخضر فتحك عينيها به فيرجع اليها بصرها فسبحان من ألهمها ذلك وقال الزمخشرى إذا عميت الافعى بعد ألف سنة ألهمها الله تعالى أن تأتى البساتين وتلقى نفسها على هذه الشجرة وتحك عينيها بها فتبصر وقيل إذا قطع ذنبها عاد كما كان وإذا بلغ نابها عاد بعد ثلاثة أيام وهى أعدى عدو للإنسان وقال بعضهم رأيت حية قد ابتلعت كبشا عظيم القرنين فجعلت تضرب به الحجارة يمينا ويسارا حتى كسرت القرنين وابتلعته وقرنيه والله تعالى أعلم وقيل إذا قطع ذنب الحية تعيش ان سلمت من الذر وقيل ان بالحبشة حيات لها أجنحة تطير بها وقيل ان جلدها ينسلخ عنها فى كل سنة مرة وقيل ان الجلد لا ينسلخ وإنما الذى ينسلخ قشر فوق الجلد وغلاف يخلق لها كل عام وهى تبيض على عدد أضلاعها أى بيضة فيجتمع عليها النمل فيفسد بقدرة الله تعالى الا نادرا ‌ه ومن عجيب أمرها أنها لا ترد الماء ولا تريده

التشريف أغصان منابرها وسألت قامتها (٩٨) التشريف برسول يدوس بنعله محاجرها فاجبناها إلى ذلك وأسمعنا بابه التنكير معرفة وصارت أبراجها بالنسبة المؤبدية مشرقة وجهز قراعمان مفاتيح الرها وآمد وأرتشريفه بتشريفهما بتقليدين يرفعان لها فى الشرف محلا لحليناه بذلك وكان من العواطل حلت المطابقة بالعطل المحلى والهب ابن الغادر بحرارة المعصية فغر إلى برد الطاعة من غير فترة وهز جذع مراحمة الشريفة واعترف انه جهل الفرق بين التمرة والجمرة وأقر بذنوبه وقال التوبة تجب ما قبلها ودوحة المراحم الشريفة قد مد الله على الخافقين ظلها وعلم أنه ما أحسن البيان عن درندة فى تخليص ذلك المفتاح وسأل أن يحظى من بيان عفونا الشريف باستجلاء عروس الافراح فاذقناه حلاوة قربنا بعد ما ذاق مرارة بينه والبسناه تشريفة بنيابة الابليستين لباس الأرض وهو لا يصدق أنه يرى محاجر تلك التين بعينه وجهزنا ولده داود بدرع من الامن ليأمن بها من يد داود ويتفيأ بظلال جبرنا ويصير بعد حر المعصية فى ظل ممدود وقد تقدم سؤال قيسارية أن يقام بها سوق الامان فاجبناها وسعرت بها نار الخوف بعد ما علت فجهزنا اليها بضائع الامن وأرخصناها

ولكنها

ولكنها إذا شمت رائحة الخمر فلا تكاد تصبر عنه مع انه سبب هلاكها لانها إذا شربت سكرت فتعرضت للقتل والذكر لا يقيم في الموضع وانما تقيم الانثى لاجل فراخها حتى تكتسب قوة فاذا قويت أخذتهم وانسابت فأى جحر وجدته دخلت فيه وأخرجت صاحبه منه وعينها لاتدور وإذا قلعت عادت * ومن عجيب أمرها انها تهرب من الرجل العريان وتفرح بالنار وتقرب منها وتحب اللبن حبا شديدا وإذا دخلت بصدرها في جحر لا يستطيع أقوى الناس اخراجها منه ولو قطعت قطعا وليس لها قوائم ولا أظفار وانما تقوى بظهرها لكثرة أضلاعها (وحكى) عمر بن يحيى العلوى قال كنا في طريق مكة فأصاب رجلا منا استسقاء فاتفق أن العرب سرقوا منا قطار جمال على أحدها ذلك الرجل قال ثم بعد أيام جمعتنا المقادير فوجدته قد برئ فسألناه عن حاله فقال ان العرب لما أخذوني جعلوني في أواخر بيوتهم فكنت في حالة أتمنى فيها الموت وبينما أنا كذلك إذا أتوني يوما بأفاعي اصطادوها وقطعوا رؤسها وأذنابها وشووها بعد ذلك فقلت في نفسي هؤلاء اعتادوها فلا تضرهم فلعلي ان أكلت منها مت فاسترحت فاستطعمتهم فأطعموني واحدة فلما استقرت في بطني أخذني النوم فنمت نوما ثقيلا ثم استيقظت وقد عرقت عرقا شديدا واندفعت طبيعتي نحو مائة مرة فلما أصبحت وجدت بطني قد ضمر وقد انقطع الألم فطلبت منهم مأكولا فأكلت وأقمت عندهم أياما فلما نشطت ووثقت من نفسي بالحركة أخذت في الطريق مع بعضهم وأتيت الكوفة (فائدة) قيل ان الريحان الفارسي لم يكن قبل كسرى وانما وجد في زمانه وسببه أن كسرى كان ذات يوم جالسا في بعض منفرجاته إذ جاءته حية فانسابت بين يديه وتمرغت وصارت تتقلق مثل الذي يشتكي فأراد بعض الجند قتلها فمنعهم الملك ثم قال لهم انظروا أمرها فلما سمعت ذلك انسابت بين يديه فأمرهم أن يتبعوها إلى المكان الذى تريده قال فجاءت الى بئر وصارت تنظر فيه قال فنظروا فاذا فيه حية عظيمة وعلى ظهرها عقرب أسود فنخسها بعضهم برمح فقتلها وتركوها ورجعوا فأخبروا الملك بذلك فلما كان الغد جاءت الحية للملك وفي فمها بزر فنثرته بين يدى الملك وذهبت فقال الملك انها أرادت مكافأتنا اجعلوه في الأرض لننظر مايكون من أمره قال ففعلوا ذلك فطلع منه الريحان قال فلما انتهى أمره أتوا به إلى الملك قال وكان به زكام فشمه فبرئ (لطيفة) من غريب ما اتفق لعماد الدولة انه لما ملك شيراز اجتمع عليه أصحابه وطلبوا منه مالا ولم يكن عنده مايرضيهم به فاغتم لذلك ونام مستلقيا على قفاه مفكرا في ذلك وإذا بحية عظيمة خرجت من سقف ذلك المجلس ودخلت في سقف آخر قال فطلب سلما وصعد لينظر المكان الذى خرجت منه فلما رآه وجد كوة فنظر في داخلها فاذا هي مطمورة فدخلها فوجد فيها صندوقا فيه خمسمائة ألف دينار فأمر باخراجه وانفاقه على عسكره (ومن اللطف ما اتفق له أيضا) أنه كان بتلك البلد خياط أطروش وكان الملك الذى قبله قد أودع عنده وديعة مال قال فطلبه عماد الدولة ليخيط له على عادته لأنه هو الذى يخيط للملوك قال فتوهم الاطروش أنه غمز عليه بسبب الوديعة فلما حضر بين يدى عماد الدولة قال له ان فلانا الملك لم يدع عندى سوى اثنى عشر صندوقا ولم ادر مافيها فأمر باحضارها فاحضرها فاخذها عماد الدولة ووسع بها على جنده وتعجب من هاتين القضيتين فكانت هذه الاسباب من دلائل السعادة له * وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الحيات بعد أن تنذر ثلاث مرات وقيل ثلاثة أيام وأما سكان البيوت فالانذار لهما متعين وفي الحديث من قتل حية فكأنما قتل مشركا ومن لبس خفا فلينفضه ومن آوى إلى فراشه فلينظفه (الخواص) يقال ان دمها يجلو البشر وقلبها اذا علق على انسان لايؤثر فيه السحر وضرسها إذا علق على من به وجع الضرس سكن الايمن

وأيقن أهلها انهم ان مشوا في حدائق عدلنا على غير هذه الطريقة صار على سوسنة كل سنان من دمائهم شقيقة وأزلنا عنهم بايناس عدلنا الوحشة وأمست قيسارتهم في أيامنا الزاهرة هشة وسجعت خطباء منابرها باسمنا الشريف والدهر يهتز فرحة ويترنم * ولم يخل من اسمائنا عود منبر ولم يخل دينار ولم يخل درهم

وتقارب الاشتقاق بين سيواس وسيس فتجانسا للطاعة ومات العصيان بتلك البلاد فقالت ارزيكاز الصلاة جامعة وصلت طائعة مع الجماعة فلا قلعة إلا اقتضضنا بكارتها بالفتح وابتذلنا من ستائرها الحجاب ولا كأس برج أترعوه بالتحصين ان توجنا رأسه من مدافعنا بالحباب حتى فصلت في الروم لعساكرنا التي هي عدد النمل قصص وعدنا فكان العود أحمد إذ لم يبق بتلك البلاد مانعده القدرة على الفتح من الفرص وجاءت رسل ملوك الشرق بالاذعان لطاعتنا التي اتخذوها لشرفها قبلة . وود كل منهم أن يحظى من جبهات أعتابنا بقبلة وتنوعوا من الهدايا باجناس صدقت من كل نوع مقبول وبالغوا في الرقة وأهدوا من الرقيق ماقام له عقدنا سوق القبول وأسفر قرا يوسف من الجمال اليوسفي ونور الطاعة عن بهجتين وأظهر كتاب

للأيمن والايسر للأيسر ولحمها قال بقراط الحكيم من أكله أمن من الأرض الصعبة (الأنيس) وتسميه الرماة الانيسة لأنه من طيور الواجب عندهم وهو طير له لون حسن غذاؤه الفاكهة ومأواه الانهار والبساتين والغياض وله صوت حسن كالقمرى (الاوز) طير يحب السباحة وفراخه تخرج من البيضة تسبح (الخواص) فى جوفه حصاة تنفع المبطون ودهنه ينفع من ذات الجنب وذاء الثعلب إذا طلى به ولسانه ينفع لقطار البول وغذاؤه جيد إلا أنه بطىء المهضم (الايل) بتشديد الياء المكسورة ذكر الوعل وله أسماء باختلاف اللغات وهو يشبه بقر الوحش وإذا خاف من الصياد رمى بنفسه من رأس الجبل ولا يتضرر بذلك وإذا لسعته حية ذهب إلى البحر فأكل السرطان فيشفى (خواصه) ان السمك يحب رؤيته وهو يحب ذلك وذلك أكثر ما يكون بقرب البحر والصيادون يعرفون ذلك فيلبسون جلده ليراهم السمك فيأتى لهم وهو مولع بأكل الحيات وربما لسعته فتسيل دموعه تحت محاجر عينيه حتى تصير نقرتين من كثرة ذلك ثم تجمد تلك الدموع فتصير كالشمع فتؤخذ وتجعل دواء للسم وهو الذى يسمى بالتزهير الحيوانى وأجوده الاصفر وأكثر مايكون ببلاد الهند والسند وفارس وإذا وضع على لسعة الحيات أبرأها وان وضعه الملسوع فى فيه نفعه وهذا الحيوان لاتنبت قرناه إلا بعد سنتين وينبتان فى أول الأمر مستقيمين ثم بعد ذلك يحصل فيهما التشعب ولايزال يزيد إلى ست سنين فحينئذ يصيران كنخلتين ثم بعد ذلك يلقيها فى كل سنة مرة ثم ينبتان قال ارسطو وهذا النوع يصاد بالصفير والاصوات المطربة فانه يحب الطرب والصيادون يشغلونه بذلك ويأتونه من ورائه فاذا رأوه قد استرخت أذناه وثبوا عليه وقرنه مصمت واحليله من عصب لاعظم فيه ولا لحم وهو من الحيوان الذى يزيد فى السمن فاذا حصل له ذلك فر من مكانه خوفا من الصيادين وحكمه حل أكله

(الخواص) إذا بخر بقرنه البيت طرد الهوام التى فيه وإذا أحرق واستاك به الذى به صفرة الاسنان زال ذلك عنه ومن علق شيء منه ذهب نومه ومن خواصه ان دمه يفتت الحصاة التى بالمثانة شربا والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(حرف الباء الموحدة)

(باز) كنيته أبو الاشعث وهو من أشد الحيوان تكبرا وأضيقها خلقا قال القزوينى لاتكون الا أنثى وذكرها من غيرها امامن جنس الحدأة أوالشواهين ولأجل ذلك تختلف ألوانها وهو أصناف منها البازى والباشق والشاهين والبيدق والصقر والبازى أحرها مزاجا لأنه لايصبر على العطش فلذلك لايفارق الماء والاشجار المتسعة والظل الظليل وهو خفيف الجناح سريع الطيران تكثر أمراضه من كثرة طيرانه لأنه كلما طار انحط لحمه وهزل وأحسن أنواعه ماقل ريشه واحمرت عيناه مع حدة فيها قال شاعر

لو استضاء المرء فى ادلاجه ‏ ‏ بعينه كفته عن سراجه

ودونه الازرق الاحمر العينين الاصفر دونهما * ومن صفاته المحمودة أن يكون طويل العنق عريض الصدر بعيد ما بين المكبين شديد الانحطاط من الجو غليظ الذراعين مع قصر فيهما (لطيفة) من عجيب أمره أن الرشيد خرج ذات يوم للصيد فأرسل بازا افغاب قليلا ثم أتى وفى فمه سمكة فأحضر الرشيد العلماء وسألهم عن ذلك فقال مقاتل يا أمير المؤمنين روينا عن جدك ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال ان الجو معمور بأمم مختلفة الخلق وفيه دواب تبيض وتفرخ على هيئة السمك لها أجنحة ليست بذوات ريش فأجاز مقاتلا على ذلك وأكرمه

الطهارة بتطهير الأرض من نفهبنا إليه من أعداء الدولتين ودثت الديار من أدبار فكانت سيوفنا فى القرب له حصنا وملاذا ولم يباشر فى اخلاص الطاعة مما يقال له بسببه يوسف أعرض عن هذا وجاءت هداياه التى هبت نسمات القبول على اقبالها وجنينا منها ثمار المحبة وجمل التفاصيل التى وسعها سناء الملك ببهجة ولم يترك لابنه فى دار الطراز رتبه والنورة التى يحجم ابن فهد عن وصفها إذا قابل منها السواد والبياض بالمقلتين فانها جمعت لنا من ليلها الحالك ونهارها الساطع بين الآيتين والجواد الذى تميز بأوصاف ما صاحب بحرى السوابق من الفحول التى تجاريها فانه غرة فى جباه الخيل قال قائد الغر المحجلين ان الخير معقود بنواصيها والسروج التى سمت عندنا على السروجى بمقاماتها العاليه ورأيناها أهلة تغنى عن الفجر فخضبنا كل سرج منها بالغاشية والجوارح التى خذى النسر الطائر ان يصير منها واقعا وصدق فانفرس وخافت الشمس لما تسمت بالغزالة ولف سرحان الافق ذنبه على خيشومه ولم يتنفس والقوس الذى اصاب به أغراض المحبة ونال منها أوفر سهم ونصيب وجاء عبارة عن رأى مهديه وكل عندنا بحمد الله مصيب وهو من الاشياء التى وقعت فى محالها

(بالة) سمكة عظيمة قال القزويني يقال أن طولها يبلغ خمسمائة ذراع وقال غيره خمسون ويقال لها العنبر وهي تظهر في بعض الاحايين لاصحاب المراكب فاذا رأوها طبلوا بالطبول حتى أنها تتنفر لان لها جناحين كالقناطر إذا نشرتها أغرقتهم فاذا بغت على حيوان البحر وزاد شرها أرسل الله عليها سمكة نحو الذراع تلتصق باذنها ولا خلاص لها منها فتنزل إلى قعر البحر وتضرب رأسها به حتى تموت ثم تطفوا بعد ذلك فيقذفها الريح إلى الساحل فيأخذها أهله ويشقون جوفها ويستخرجون منها العنبر (ببغاء) هي أصناف كثيرة منها الاخضر والرمادي والاصفر والابيض يتخذها الملوك والرؤساء لحسن لونها وصوتها وفصاحتها (حكي) أنه أهدى لمعز الدولة درة بيضاء سوداء الرجلين والمنقار ويقال أن نوعها منها يقرأ القرآن (الخواص) من أكل لسانها تفصح وإذا جفف دمها وجعل بين الصديقين حصلت بينهما الخصومة وزبلها يخلط بماء الحصرم ويكتحل به ينفع من الرمد وظلمة البصر (بجع) طائر أبيض اللون يميل إلى صفرة طويل المنقار كبير البطن أكثر أكله السمك (بح) طائر لطيف يأوي أطراف الماء وهو خلقة شريفة لم يوجد غالبا الا اثنين فقط (براق) هو الدابة التي ركبها النبي ﷺ وهو دون البغل وفوق الحمار أبيض اللون (برذون) نوع من الخيل دون الفرس العربي وفي الحديث أن النبي ﷺ ركبه وكذا عمر رضي الله تعالى عنه فلما ركبه عمر جعل يتخلخل به فنزل عنه وضرب وجهه وقال لاعلم الله عليك هذه الخيلاء ولم يركب برذونا قبله ولا بعده وكنيته أبو الاخطل لطول ذنبه وأنشد السراج الوراق في ذم البراذين يقول

لصاحب الاحباس برذونة * بعيدة العهد عن القرط * إذا رأت خيلا على مربوط
تقول سبحانك يامعطي * تمشي إلى خلف إذا ماشيت كأنما تكتب بالقبطي

(والخواص) إذا شربت امرأة دمه لم تحبل أبدا وزبله يخرج المشيمة والجنين الميت وإذا جفف وذر منه على من به الرعاف انقطع رعافه وكذا الجرح (وبرغوث) تفتح منه الباء وتضم وكنيته ابو طامر وأبو عدي وأبو وثاب وهو يثب إلى ورائه (وحكي) أنه يعرض له الطيران كالنمل وهو يطيل السفاد ويبيض ويفرخ وأصله أولا من التراب لاسيما في الاماكن المظلمة وسلطانه في أواخر الشتاء وأول فصل الربيع ويقال انه على صورة الفيل وله أنياب وخرطوم وقال بعضهم ديبيها من تحتي أشد من عضها ولبس لك بدبيب ولكن البرغوث خبيث يستلقي على ظهره ويرفع قوائمه فيزغوغ بها فيظن من لا يعلم له أنه يمشي تحت جنبيه وكان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه يفلي ثوبه فتلتقط البراغيث ويدع القمل فقال له أنس في ذلك فقال أبدأ بالفرسان وأكر على الرجالة وأنشد أعرابي

ليل البراغيث أعياني وأنصبني ... لابارك الله في ليل البراغيث
كأنهن وجلدي اذ خلون به ... أيتام سوء أغاروا في المواريث

(وقال ابو الرماح الازدي)

تطاول بالفسطاط ليلي ولم يكن ... بوادي الغضى ليلي على بطول
تؤرقني حدب قصار أذلة ... وان الذي يؤذينه لذليل
إذا جلت بعض الليالي منهن جولة ... تعلق في رجل حيث أجول
إذا ماقتلنا هن اضعفن كثرة ... علينا ولاينعى لهن قتيل
ألاليت شعري هل أبيتن ليلة ... ابرغوث على سبيل

(وقال ابن أيبك الصفدي)

الجمالي في نظم بديع الهدايا ونسخ الجفاء بكثرة رقيقه وأدر من أواني الصيني كؤسا اترعها الود بسلاف رحيقه ودخلنا حلب المحروسة وأوصلناها ما استحق لها من ديون الفتح علينا ورددنا ما اغتصب منها فقالت هذه بضاعتنا ردت الينا وقد آثرنا الجناب بكرامة هذه البشارة التي استبشر بها وجه الزمان بعد قطوبه وتبسم فان ركن هذا البيت الشريف ونسيب مدحه المقدم فيأخذ منها حفظه ويثلج صدر البرايا ففيها لهم برد وسلام ويرعاهم بعين الرعاية ليضوع فيهم عرف العدل ويصير مسلكا لهذا الختام والله تعالى يمتعه في ليله ونهاره من اخبارنا السارة بالاعياد والمواسم ويجعل له من ضياعه أعماله ان شاء الله حسن الخواتم (قلت) وذكرت بهذه الرحلة أيضا رحلتي من الدنيا المصرية إلى دمشق المحروسة المحمية سنة احدى وتسعين وسبعمائة والملك الناصر قد خرج من الكرك ونزل عليها وتصدى لحصارها وقد اجتمعت عليه العساكر المصرية والشامية حدث بدمشق المحروسة ماحدث من القتال والحصار والحريق فكتب إلى المقر المرحوي الفخر القاضي ابن الكانسر في شرح ذلك وسالقلم ينسج على

أشكوا الله الرحمن مانالنى من البراغيث الخفاف الثقال
تعصبوا بالليل لما دروا أنى تقنعت بطيف الخيال

ولا يسب البرغوث لماورد أن النبى ﷺ سمع رجلا يسب برغوثا فقال لاتسبه فانه أيقظ نبيا إلى صلاة الفجر (فائدة) سئل مالك عن البرغوث من يقبض روحه فقال أنه نفس قيل نعم قال الله يتوفى الانفس حين موتها ٭ ولقد شكا عامل أفريقية إلى عمر بن عبد العزيز شر الهوام فكتب اليه إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليقرأ وما لنا أن لانتوكل على الله الآية وقال حنين بن إسحق الحيلة فى دفع البرغوث ان تأخذ شيئا من الكبريت فتدخن به فى البيت فانها تفر من ذلك وقيل يرش البيت بماء السذاب وقيل مشاق المراكب يحرق فى البيت قشور النارنج (بعوض) قيل أنه على خلقة الفيل الا أنه أكثر أعضاء منه فان للفيل أربعة أرجل وللبعوض ستة ويزيد عليه بأربعة أجنحة وله خرطوم مجوف نافذ فاذا طعن به جسد إنسان استقى الدم وقذف به إلى جوفه فهوله كالبلعوم والحلقوم ومما ألهمه الله أنه إذا جلس على عضو إنسان يتتبع مسام العروق فانها أرق وأسرع له فى إخراج الدم وعنده شره فى مصاحبتى قيل أنه لايمص شيئا فيتركه باختياره إلى أن ينشق أو يطاره ومن عجيب أمره أنه ربما قتل البعير وغيره من ذوات الأربع فيتركه طريحا وقال الجاحظ من علم البعوض ان وراء جلد الجاموس دما وان ذلك الدم غذاء لها وأنها اذا طعنت فى ذلك الجلد الغليظ نفذ فيه خرطومها مع ضعفه ولو انك طعنت فيه بمسلات سديدة المتن رهيفه الحد لانكسرت فسبحان من رزقها على ضعفها بقوته وقدرته قال بعضهم

أقول لنازل البستان طوبى لعيشك مع نشك فيه البعوض
بملله فليس له قرار ويثخنه فليس له نهوض
حماه قرصه وطنينه ان يبيت وعينه فيها غموض
كانك حين تهدى بالاغانى تكرر فى مسامعك العروض

ومن الحكم التى أودعها الله تعالى اياها ان جعل الله فيها قوة الحافظة والفكر وحاسة اللمس والبصر والشم ومنفذ الغذاء وجوفا ومخا وعروقا وعظما فسبحان من قدر فهدى ولم يترك شيئا سدى وقال الزمخشرى فى تفسير سورة البقرة فى ذلك

يامن يرى مد البعوض جناحا فى ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى مناط عروقها فى نحرها والمخ من تلك العظام النحل
ويرى خرير الدم فى أوداجها متنقلا من مفصل فى مفصل
ويرى وصول غذا الجنين ببطنها فى ظلمة الاحشا بغير تمقل
ويرى مكان الوطء من أقدامها فى سيرها وحثيثها المستعجل
ويرى ويسمع حس ماهو دونها فى قاع بحر مظلم متهول
امنن على بتوبة تمحو بها ما كان منى فى الزمان الاول

(بغل) معروف وكنيته أبو قوص وأبو حرون وله كنى غير ذلك كثيرة وهو مركب من الفرس والحمار ولذلك صار له صلابة الحمار وعظم الخيل وهو عنيم لانسل له روى ابن عساكر فى تاريخ دمشق عن على كرم الله وجهه أنها كانت تتناسل فدعا عليها إبراهيم الخليل لانها كانت تسرع فى نقل الحطب لنار المنجنيق فقطع الله نسلها وهو أشر الطباع لانه تجاذبه الاعراق المتضادة والاخلاق المتباينة والعناصر المتباعدة ومن العجيب أن كل عضو فرضته منه كان بين بفرس والحمار (الخواص) فقللان حافر البغلة السوداء ينفع لطرد الفار إذا بخر به البيت وإذا سحق حافره بعد حرقه وخلط بدهن الآس وجعل على رأس الاقرع نبت شعره وزبله إذا شمه المزكوم زال زكامه على ماذكر (بقر) هو حيوان شديد القوة خلقه الله تعالى لمنفعة الإنسان وهو انواع منها الجواميس وهى اكثر ألبانا وكل حيوان اناثه أرق أصواتا من ذكوره الاالبقر وانثاه يضربها الفحل فى السنة مرة وإذا اشتد شبقها تركت المرعى وذهب

الفخر والمجد فلا برح هيام الوفود إلى أبوابها أكثر من هيام العرب إلى ربا نجد ولا زالت فحول الشعراء تطلق أعنة لفظها فتركض فى ذلك الضمار وتهيم بواديها الذى يجب أن ترفع فيها على أعمدة المدائح بيوت الأشعار وينهى بعد أشواق أمسيت الدموع بها فى محاجر العين معثرة ولو لم يقر انسانها بمراسلات الدمع لقلت قتل الانسان ما أكفره وصول المملوك الى دمشق المحروسة فياليته قبض قبل ما كنت عليه ذلك الوصول ودخوله اليها ولقد والله تمنى خروج الروح عند ذلك الدخول فنظر المملوك إلى قبة يلبغا وقد طار بها طير الحمام وحشت حولها تلك الاسود الضاربة فتطيرت فى ذلك الوقت من القبة والطير وتعوذت بالغاشية ودخلت بعد ذلك إلى القبيبات التى صغر اسمها لاجل التحبب فوجدتها وقد خلا منها كل منزل كان آنسا بحبيبه فأنشد به لسان الحال قفا نبك من ذكر حبيب ونظرت بعد القباب إلى المصلى وما فعلت به سكان تلك الخيام والتفت إلى بديع بيوته التى حسن بناء تأسيسها وقد فسد منها النظام فسال وقد وقفت عقيق دمعى على أرض المصلى والقباب

وإذا طلع عليها الفحل التوت تحته إذا أخطأ المجرى لشدة صلابة ذكره قال المسعودي رأيت بالري البقر تحمل كالبعير فتبرك على ركبتيها ثم تثور وبالحمل (عجيبة) حكي في الاحياء أن شخصا كان له بقرة وكان يشرب لبنها بالماء ويبيعه فجاء السيل في بعض الأودية وهي واقفة ترعى فرغليها فغرقها فجلس صاحبها يندبها فقال له بعض بنيه يا أبت لا تندبها فان المياه التي كنا نخلطها بلبنها اجتمعت فغرقتها (فائدة) ذكر ابن الفضل في كتابه عن وهب بن منبه أنه قال لما خلق الله تعالى الأرض ماجت واضطربت كالسفينة فخلق الله تعالى ملكا في نهاية العظم والقوة وأمره أن يدخل تحتها ويحملها على منكبيه فدخل وأخرج يدا من المشرق ويدا من المغرب وقبض على أطراف الأرض وأمسكها ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله تعالى صخرة من ياقوتة حمراء في وسطها سبعة آلاف ثقب يخرج من كل ثقب بحر لا يعلم عظمه إلا الله تعالى ثم أمر الصخرة أن تدخل تحت قدمي الملك ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله تعالى ثورا عظيما يقال له كيوتاه (١) له أربعة آلاف عين ومثلها أنوف وآذان وأفواه وألسنة وقوائم ما بين كل قائمتين منها مسيرة خمسمائة عام وأمر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت الصخرة وحملها على ظهره وقرونه ثم لم يكن للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا يقال له بهموت ثم أمره الله تعالى أن يدخل تحته ثم جعل الحوت على ماء ثم جعل الماء على الهواء ثم جعل الهواء على ماء أيضا ثم جعل الماء على الثرى على الظلمة ثم انقطع علم الخلائق (الخواص) شحم البقر اذا خلط بزرنيخ أحمر طرد العقارب وإذا طلي به اناء اجتمعت البراغيث اليه وإذا شرب لبنها زاد في الانعاظ وقرنها إذا سحق وجعل في طعام صاحب الحمى فأكله زالت الحمى ومرارتها إذا خلطت بماء الكراث نفعت من البواسير طلاء وإذا طلي به على الأثر الاسود في البدن أزاله وخصية الفحل إذا جففت وسحقت وجعلت في عسل وأكلت فإنها تزيد في الباه وشعرها إذا أحرق واستيك به نفع من وجع الاسنان وإذا خلط مع السكنجبين وشرب نفع من الطحال على ما ذكر (بومة) وكنيتها أم الخراب وأم الصبيان ومن طبعها أن تدخل على كل طير في وكره وتأكل أفراخه ولمعاداة الطيور لها يجعلها الصيادون في أشراكهم حتى يقع عليها الطير ونقل المسعودي عن الجاحظ أن البومة لا تخرج بالنهار خوفا من العين لانها تظن أنها حسناء وهي أصناف وكلها تحب الخلوة بنفسها (الخواص) من خواصها أنها تنام باحدى عينيها والأخرى مفتوحة فاذا أخذت المفتوحة وجعلت تحت فص خاتم فمن لبسه لم ينم مادام في يده وعكسها المغموضة وإذا أردت معرفة ذلك فالقهما في الماء فالراسبة للنوم والطافية لليقظة وإذا أخذ قلب البومة وجعل على اليسرى من المرأة وهي نائمة تحدثت بجميع مافعلته في نومها (بوقير) طير أبيض يأتي منه في كل سنة طائفة إلى جبل بالصعيد يقال له جبل الطير فيه كوة فتدخل من تلك الكوة فيمسك منها شيء فان أمسكت واحدة كان ذلك العام متوسط الخصب وإن أمسكت اثنين كان كثير الخصب وإن لم تمسك شيئا كانت السنة مجدبة وأهل تلك الناحية تعرف ذلك وهذا الجبل بالقرب من بلدة مارية أم ابراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم

(حرف التاء)

(تمساح) حيوان عجيب على صورة الضب له فم واسع وفيه ستون نابا وقيل ثمانون وبين كل نابين سن صغيرة وهي انثى في ذكر إذا أطبق فمه على شيء لا يفلته حتى يخلعه من موضعه وله لسان طويل وظهر كالسلحفاة ولا يعمل الحديد فيه وله أربعة ارجل وذنب طويل وهو لا يوجد إلا بنيل مصر يقول المسافرون انه يوجد ببحر الهند وطوله في الغالب ستة اذرع إلى عشرة في عرض ذراعين أو ذراع ويقيم في البحر تحت الماء اربعة أشهر لا يظهر وذلك في زمن الشتاء ويتغوط من فيه في الغالب ويحصل في فيه الدود فيؤذيه فيلهمه الله تعالى فيخرج إلى البر الجزائر ويفتح فاه فيرسل الله تعالى له طيرا يقال له

(١) قوله له كيوتاه بهامش ابن خلدون لوتياه كما في المزهر وروح واللهجة انتهى وليحرر

ونظرت إلى ذلك الوادي الفسيح وقد ضاق من الحريق بسكانه الفضا فتوهمت أن وادي المصلي قد تبدل بوادي الغضا فسقى الغضا والساكنيه وإن هم شبوه بين جوانح وقلوب واصطليت النار وقد أرادت سبي ذلك النادي فثبت عليه من فوارس لهيبها الغارة وركبت في ميدان الحصى فوجدت أو كانه كما قال تعالى وقودها الناس والحجارة ودخلت قصر الحجاج وقد مدت النار به من غير ضرورة في موضع القصر واصبح أهله في خسر وكيف لا وقد صاروا عبرة لأهل العصر وتأملت تلك الالسن الجرية وقد انطلقت في ثغور تلك الربوع تكلم السكان وتطاولت بألسنة الاسنة الاتراك فانذهل أهل دمشق وقد كانوا بكل لسان ووصل الملوك بعد الفجر إلى البلد وقد تلا بعد زخر في سورة الدخان فوجب ان اجرى الدموع على وجيب كل ربع وانشد وقد دخل صبري بعد ان كان في خبر كان

• دمع جرى فقضى في الربع ماوجبا •

ووقفت اندب عرصاتها التي قمحت بالبين فخابت من اهلها الظنون وكم داروا بقمحها حيفة من طاحون النار فلم يسلم

 صدقت المثل بأن القمح يدور ويجيء الى الطاحون وتطرقت بعد ذلك الى الحدادين وقد نادتهم النار بلسانها من مكان بعيد

القطقاط فيدخل فى فيه فيأكل ما فيه من الدود فيحصل له راحة فعند ذلك يطبق فمه على الطير ليأكله فيضربه بريشتين خلقهما الله تعالى فى جناحيه كريشة الفصاد فيؤلمه فيفتح فاه فيخرج ولذلك يضرب به المثل فيقال جازاه مجازاة التمساح وزعم بعض الباحثين عن أحوال التمساح أن له ستين نابا وستين عرقا ويسفد ستين مرة ويبيض ستين بيضة ويحضن ذلك ستين يوما ويعيش ستين سنة فاذا أفرخ فما صعد الجبل صار ورلا وما نزل البحر صار تمساحا وفكه الاسفل لا يستطيع تحريكه لان فيه عظما متصلا بصدره وإذا أراد السفاد أخذ أنثاه وطلع بها إلى البر وقلبها وجامعها فاذا قضى حاجته قلبها ثانيا لأنه لو تركها على تلك الحالة بقيت حتى تموت وما ذلك إلا أنها لا تستطيع الانقلاب ليبوسة ظهرها وصلابته وقد سلط الله تعالى عليه أضعف الحيوان وهو كلب الماء يقال انه يتلطخ بالطين ويغافل التمساح ويقذف بنفسه فى فيه فيبتلعه لنعومته فاذا حصل فى جوفه ذاب ما عليه من سخونة بطنه فيعمد إلى أمعائه فيقطعها ويقطع مراق بطنه فيقتله (الخواص) عينه تشد على من به رمد اليمنى لليمنى واليسرى لليسرى وشحمه اذا قطر فى أذن من به صمم نفعه (تنين) ضرب من الحيات وهو طويل كالنخلة السحوق وجسده كالليل أحمر العينين لهما بريق واسع الفم والجوف يبتلع الحيوان وأول أمره يكون حية متمردة ثم تطغى وتتسلط على حيوان البر فيستغيث منها فيأمر الله ملكا فيحملها ويلقيها فى البحر فتقيم فيه مدة ثم تتسلط على حيوانه أيضا فيستغيث منها إلى ربه فيأمر الله تعالى بالقائها فى النار فيعذب بها الكافرين وقيل يأمر الله تعالى بالقائها على يأجوج ومأجوج * وروى ابن أبى شيبة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يسلط الله على الكافر فى قبره تسعة وتسعين تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة ولو أن تنينا منها نفخ على الأرض ما نبتت فيها خضراء

{ حرف الثاء }

(ثعلب) وهو معروف ذو مكر وخديعة وله حيل فى طلب الرزق * فمن ذلك أنه يتماوت وينفخ بطنه ويرفع قوائمه حتى يظن أنه مات فاذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده وحيلته هذه لا تتم على كلب الصيد * ومن حيلته أنه إذا تعرض للقنفذ نفش القنفذ شوكه فيسلح هو عليه فيلم شوكه فيقبض على مراق بطنه ويأكله وسلحه أنتن من سلح الحبارى (ومن) لطيف أمره أنه إذا تسلطت عليه البراغيث حملها وجاء إلى الماء وقطع قطعة من صوفه وجعلها فى فيه ونزل فى الماء والبراغيث تطير قليلا حتى تجتمع فى تلك الصوفة فيلقيها فى الماء ويخرج وفروه أدفى الفراء وفيه الأبيض والرمادى وغير ذلك * وذكر فى عجائب المخلوقات أنه أهدى إلى أبى منصور السامانى ثعلب له جناحان من ريش إذا قرب الانسان منه نشرهما وإذا بعد لصقهما (لطيفة) ذكر ابن الجوزى فى آخر كتاب الاذكياء والحافظ أبو نعيم فى حلية الاولياء عن الشعبى أنه قال مرض الاسد فعاودته السباع والوحوش ما خلا الثعلب فنم عليه الذئب فقال الاسد إذا حضر فأعلمنى فلما حضر الثعلب أعلمه الذئب بذلك وكان قد أخبره بما قاله الذئب فقال الاسد أين كنت يا أبا الفوارس قال كنت أطلب لك الدواء وقال وأى شىء أصبته قال قيل لى خرزة فى عرقوب أبى جعدة قال فضرب الاسد بيده فى ساق الذئب فأدماه ولم يجد شيئا فخرج ودمه يسيل على رجله وانسل الثعلب فمر به الذئب فناداه يا صاحب الخف الاحمر إذا قعدت عند الملوك فانظر ما يخرج منك فان المجالس بالامانات * وقيل خرج الأسد والثعلب والذئب يتصيدون فاصطادوا حمار وحش وضبا وغزالا ثم جلسوا يقتسمون فقال الأسد للذئب اقسم علينا فقال حمار الوحش لى والغزال لابى الحرث والضب للثعلب فضربه الأسد فى رأسه فرضخها فقال الثعلب أنا أقسم حمار الوحش لابى الحرث يتغذى به والغزال لابى الحرث يتعشى به والضب لابى الحرث

آتونى زبر الحديد ولقد كان يوم حريقها يوما عبوسا قمطريرا أصبح المسلمون فيه من الخليفة وقد رأوا سلاسل وأغلالا وسعيرا هذا وكلما أصليت نار الحريق وشبت نار الحرب ذكر ما أشار به مولانا على المملوك من الإقامة بمصر فأنشدت من شدة الكرب

آها لمصر وأين مصر وكيف لى ... بديار مصر مراتعا وملاعبا

الدهر سلم كيفما حاولته ... لا مثل دهرى فى دمشق محاربا

يا مولانا لقد لبست دمشق فى هذا المأتم السواد وطبخت قلوب أهلها كما قدم على نارين وسلقوا من الأسنة بألسنة حداد ولقد نشفت عيونهم من الحريق واستسقوا فلم ينشقوا رائحة العادية وكم رؤى فى ذلك اليوم وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية وكم رحيل تلا عند لهيب بيته تبت يدا أبى لهب وخرج هاربا وامرأته حمالة الحطب وشك الناس من شدة الوهج وهم فى الشتاء وصاروا من هذا الامر يتعجبون فقال لهم لسان النار أتعجبون من الوهج والحريق وأنتم فى كانون ولعمرى لو عاش ابن نباتة ورأى هذه الحال ورثى على أهل دمشق فى كانوا الترك رثاه ولده عبد الرحيم وقال يا لهف قلبى على وادى دمشق ويا حزنى عليه ويا شجونى ويا دائى فى شهر كانون واقاه الحريق ولقد يتنفل

أحرقت بالنار يا كانون أحشائي نظرت بعد ذلك إلى القلعة المحروسة

يتنفل به فيما بين ذلك فقال له الأسد لله درك من فرضي ما أعلمك بالفرائض من علمك هذا قال علمني التاج الأحمر الذي ألبسته هذا وأشار إلى الذئب (وحكى) أن الثعلب مر في السحر بشجرة فرأى فوقها ديكا فقال له أما تنزل نصلي جماعة فقال ان الإمام نائم خلف الشجرة فأيقظه فنظر الثعلب فرأى الكلب فضرط وولى هاربا فناداه أما تأتي لنصلي فقال قد انتقض وضوئي فاصبر حتى أجدد لي وضوءا وأرجع * ومن العجب في قسمة الارزاق أن الذئب يصيد الثعلب فيأكله والثعلب يصيد القنفذ فيأكله والقنفذ يصيد الأفعى فيأكلها والأفعى تصيد العصفور والعصفور يصيد الجراد والجراد يصيد الزنابير والزنابير تصيد النحل والنحل تصيد الذباب والذباب يصيد البعوض والبعوض يصيد النمل والنمل يأكل كل ما تيسر من صغير وكبير فتبارك الله الذي أتقن ما صنع (الخواص) رأسه إذا ترك في برج حمام هرب الحمام منه ونابه يشد على الصبي يحسن خلقه ومرارته يجعل منها في أنف المصروع يبرأ ولحمه ينفع من اللقوة والجذام وخصيته تشد على الصبي تنبت أسنانه وفروه أنفع شيء للمربوط ودمه إذا جعل على رأس أقرع نبت شعره إذا كان دون بلوغ وطحاله يشد على من به وجع الطحال يبرأ (ثعبان) هو الكبير من ذكرا كان أو أنثى وهو عجيب الشأن في هلاك بني آدم يلتوي على ساق الإنسان فيكسرها وليس له عدو الا النمس ولولا النموس لأكلت الثعابين أهل مصر (لطيفة) قيل ان عبد الله بن جدعان كان في ابتداء أمره صعلوكا وكان شريرا يفتك ويقتل وكان أبوه يعقل عنه فضجر من ذلك وأراد قتله فخرج هاربا على وجهه فتوصل لجبل فوجد فيه شقا فدخل فيه فوجد في صدره شيئا كهيئة الثعبان فدنا منه وقال لعله يثب علي فيقتلني وأستريح قال فدنا منه فوجده مصنوعا من ذهب وعيناه ياقوتتان ثم وجد من داخل بيته فيه جثث طوال بالية على أسرة الذهب والفضة وعند رؤسهم لوح مكتوب فيه تاريخهم وإذا بهم رجال من جرهم وفي وسط البيت كوم من الياقوت الأحمر والزمرد والذهب والفضة واللؤلؤ فأخذ منه قدر ما يحمل وعلم الشق وذهب إلى قومه فأغناهم ورجع فلم يدر مكان الشق قال رسول الله ﷺ لقد كنت استظل بجفنة عبد الله بن جدعان من الهجير قالت عائشة يا رسول الله هل ينفعه ذلك شيئا قال لا لأنه لم يقل رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين

(حرف الجيم)

(جراد) حيوان معروف وليس له جهة مخصوصة وإنما يكون هائما هاربا وإذا أراد أن يبيض ذهب إلى بعض الصخور فضربها بذنبه فتفرج له فيلقي بيضه فيها وله ستة أرجل وطرفا أرجله كالمنشار وهو ألوان عديدة وفيه خلقة عشرة من الجبابرة وجه فرس وعينا فيل وعنق ثور وقرنا ايل وصدر أسد وبطن عقرب وجناحا نسر وفخذ جمل ورجلا نعامة وذنب حية وهو الحيوان الذي ينقاد إلى رئيسه كالعسكر إذا ظعن أميره تتابع خلفه وفي الحديث ان جرادة وقعت بين يدي رسول الله ﷺ فاذا مكتوب على جناحها بالعبرانية نحن جند الله الأكبر ولنا تسعة وتسعون بيضة ولو تمت لنا المائة لأكلنا الدنيا بما فيها فقال عليه الصلاة والسلام اهلك الجراد اللهم اقتل كبارها وأمت صغارها وأفسد بيضها وسد أفواهها عن مزارع المسلمين وعن معايشهم انك سميع الدعاء قال لجاء جبريل فقال انه قد استجيب لك في بعضها وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال ان الله تعالى خلق ألف أمة ستمائة منها في البحر وأربعمائة في البر وان أول هلاك هذه الأمة الجراد فاذا هلك الجراد تتابعت الأمم مثل الدر إذا قطع سلكه قيل كان طعام يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام الجراد وقلوب الشجر وكان يقول من أنعم منك يا يحيى وقد أجمع المسلمون على أكل لحمه ومن خواصه

وقد قامت قيامة حربها حتى قلنا أزفت الآزفة وستروا بروجها من الطارق بتلك الستائر وهم يتلون ليس لها من دون الله كاشفة واستجليت عروس الطارقة عند زفها وقد تجهزت للحرب ومالها غير الارواح مهر وعقدت على رأسها تلك العصائب وتوشحت بتلك الطوارق وأدارت على معصمها الأبيض سوار النهر وغازلت بحواجب قسيها فرمت القلوب من عيون مراميها بالنبال وأهدت إلى العيون من مكاحل نارها أكحالا كانت السهام لها أميال وطلبها كل من الحاضرين وقد غلا دست الحرب وسمع وهو على فرسه بنفسه الغالية وراموا كشفها وهم في رقعة الأرض كأنهم لم يعلموا بأن الطارقة عالية وتالله لقد حرست بقوم لم يتدرعوا بغير آية الحرس في الاسحار وقد استيقظوا لحل قسيهم ولم تنم أعينهم عن الاوتار فأعيته رواسيها التي هي كالجبال الشامخة بمن أسس رواسي المحجوج وأحصنها قلعة بالسماء ذات البروج وتطاولت إلى السور المشرف وقد فضل في علم الحروب وحفظ أبوابه المقفلات فما وقفنا على باب الا وجدناه لم يترك خلفه لصاحب المفتاح تلخيصا لما أبداه من المشكلات وما أحقه بقول القائل

أن الإنسان إذا تبخر به نفعه من عسر البول (جرو) بكسر الجيم وفتحها وضمها وهو الصغير من أولاد الكلاب والسباع وقد كان ﷺ أمر بقتل الكلاب وسببه أن جبريل عليه السلام وعده ليأتيه فتأخر قال فلقيه النبي ﷺ بعد ذلك فقال ما أخرك عن وعدك فقال ما تأخرت ولكن لا تدخل بيتاً فيه صورة ولا كلب فأمر بقتلها وروى مسلم والطبراني عن خولة بزيادة ولفظها أن جروا دخل تحت سرير فى بيته ﷺ فمات فمكث النبي ﷺ أياما يأتيه الوحي قال لعله حدث فى البيت شئ فخرج للمسجد فنزل عليه الوحي قالت خولة فقممت البيت فوجدت الكلب تحت السرير (عجيبة) حكى أن رجلا لم يولد له ولد فكان يأخذ أولاد الناس فيقتلهم فنهته زوجته عن ذلك وقالت يؤاخذك الله بذلك فقال لو آخذ لفعل فى يوم كذا وصار يعدد أفعاله لها فقالت له ان صاعك لم يمتلئ ولو امتلأ آخذك قال فخرج ذات يوم وإذا بغلامين يلعبان ومعهما جرو فأخذهما الرجل ودخل البيت فقتلهما وطرد الجرو قال فطلبهما أبوهما فلم يجدهما فانطلق إلى نبي لهم فأخبره بذلك فقال ألهما لعبة كانا يلعبان بها قال جرو كلب قال ائتنى به فجعل خاتمه بين عينيه ثم قال له ان اذهب خلفه فأى بيت دخله ادخل معه فان أولادك فيه قال فجعل الجرو يخور الدروب والحارات حتى دخل بيت القاتل فدخل الناس خلفه وإذا بغلامين متعفران بدمهما وهو قائم يحفر لهما مكانا يدفنهما فيه فأمسكوه وأتوا به لنبيهم فأمر بصلبه فلما رأته زوجته على الخشبة قالت ألم أحذرك هذا اليوم وتقول ما تقول الآن امتلأ صاعك وسيأتى الكلام على الكلب فى حرف الكاف ان شاء الله تعالى (جعل) دويبة معروفة تسمى أبا جعران والزعقوق يعض البهائم فى وجهها فتهرب منه وهو أكبر من الخنفساء شديد السواد فى بطنه لون حمرة للذكر قرنان يوجد كثيرا فى مراح البقر والجاموس قيل انه يتولد من أخثائها ومن شأنه جمع الروث وادخاره ومن عجيب أمره أنه إذا شم الورد مات ويعيش بعوده للروث وله جناحان لا يكاد أن يريان إلا إذا طار وله ستة أرجل وسنام مرتفع جدا وهو يمشى القهقرى ومن طبعه أنه يحرس النيام فاذا قام أحدهم يتغوط تبعه ليأكل من رجيعه وذلك من شدة شهوته للغائط

(حرف الحاء)

(حجل) طير فوق الحمامة أغبر اللون أحمر المنقار والرجلين يسمى دجاج البر وهو صنفان نجدى وتهامى النجدى والتهامى أبيض وله شدة الطيران وإذا تقاتل ذكران تبعت الأنثى الغالب وله شدة شبق وأفراخه تخرج من البيض كاسية ويعمر فى الغالب عشرين سنة وإذا قوى على غيره أخذ بيضه فحضنه ومن شر الله تعالى انه أفرخ ذلك البيض تبع الفرخ أمه التى باضته ومن طبعه أنه يخدع غيره فى قرقرته ولذلك يتخذه الصيادون فى اشراكهم (غريبة) قيل أن أبا نصر بن مروان كان مع بعض مقدمى الأكراد فأتى على سماطه بحجلتين مشويتين فلما رآهما ضحك فقال مم تضحك قال كنت أقطع الطريق فى عنفوان شبابى فرأيت تاجرا فأخذته فلما أردت قتله تضرع إلى فلم أقتله فلما علم أنه لابد لى من قتله التفت يمينا وشمالا فرأى حجلتين كانتا بقربنا فقال اشهدا لى أنه قاتلى ظلما فقتلته فلما رأيت هاتين الحجلتين تذكرت حمقه فى استشهاد بهما فقال أبو نصر والله لقد شهدتا عليك عند من أقادك بالرجل ثم أمر به فضربت عنقه (والخواص) لحمها جيد معتدل الهضم ومرارتها تنفع الغشاوة فى العين وإذا سعط بها إنسان فى كل شهر مرة جاد ذهنه وقل نسيانه وقوى بصره (وحداة) بكسر الحاء وفتح الدال مع همزة أخس الطير تبيض بيضتين وربما باضت ثلاثا وتحضن عشرين يوما ومن ألوانها الاسود والرمادى وهى لاتصيد الاخطفا وفى طبعها تقف فى الطيران

ونصبوا دست الحرب ولم يعلموا بانه قد طبخ لهم على كل باب قدرا فلا وأبيك لو نظرته يوم الحرب قد تصاعدت فيه أنفاس الرجال فقلت ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد وإلى المحاصرين وقد جاؤا راجلا وفارسا ليشهدوا القتال اقت وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وإلى كواكب الاسنة وقد انتثرت وإلى قبور الشهداء وهى من تحت أرجل الخيل وقد بعثرت وإلى كر الفوارس وفرها لقلت علمت نفس ما قدمت وأخرجت وإلى نار النفط وقد نفطت من غيضها وإلى ذكور السيوف وقد وضعت لمنايا السود وتعذرت من شدة الدماء لكثرة حيضها ومن العجائب أن بيض سيوفهم تلك المنايا السود وهى ذكور وإلى فارس الغبار وقد ركب صهوات الجو ولحق بعنان السماء وإلى أهداب السهام وقد بكت لما تخضبت بالدماء وإلى كل هارب سلب عقله وكيف لا وخصمه له وإلى كل مدفع وماله عند حكم القضاء دافع وإلى قامات أقلام الخط وقد صار لها فى طروس الاجسام مشق فاستصوبت عند ذلك وأى من قال عرج ركابك عن دمشق ونظرت بعد

وهى

وهى أحسن الطير مجاورة لأنها إذا جاعت لا تأكل أفراخ جارها ويقال إنها طرشاء وفى طبعها أنها لا تخطف من الجهة اليمنى لأنها عسراء وهى سنة ذكر وسنة أنثى كالأرنب (عجيبة) روى الحافظ النسفى فى فضائل الاعمال ان عاصم بن أبى النجود شيخ القراء فى زمانه قال أصابتنى خصاصة فجئت إلى بعض اخوانى فأخبرته بأمرى فرأيت فى وجهه الكراهة فخرجت من منزله إلى الجبانة فصليت ماشاء الله ثم وضعت رأسى على الأرض وقلت يامسبب الاسباب يافاتح الابواب ياسامع الاصوات يامجيب الدعوات ياقاضى الحاجات اكفنى بحلالك عن حرامك واغننى بفضلك عمن سواك قال فوالله ما رفعت رأسى حتى سمعت وقعة بقربى فاذا بحدأة قد طرحت كيسا أحمر فقمت فأخذته فاذا فيه ثمانون دينارا وجوهرة ملفوفة فى قطن قال فاتجرت بذلك واشتريت لى عقارا وتزوجت (الخواص) مرارتها تجفف فى الظل وتنقع فى اناء زجاج فمن لسع قطر منها فى ذلك الموضع واكتحل مخالفا لجهة اللسع ثلاثة أميال ابرأته ودسمها إذا خلط بقليل من المسك وماء الورد وشرب على الريق نفع من ضيق النفس وإذا وضع فى بيت لم تدخله حية ولا عقرب (حرباء) دويبة صغيرة على هيئة السمك ورأسها تشبه رأس العجل إذا رأت الانسان انتفشت وكبرت ولها أربعة أرجل وسنام كهيئة الجمل ولها كنى كثيرة منها أم قرة ويقال لها جمل اليهود وهى أبدا تطلب الشمس فمن أجل ذلك يقال أنها مجوسية وتستقبلها بوجهها وتدور معها كيفما دارت فاذا غابت الشمس أخذت فى كسبها ومعاشها ويقال ان لسانها طويل نحو ذراع وهو مطوى فى حلقها فلذلك تخطف به ما بعد عنها من الذباب وتبتلعه والانثى من هذا النوع تسمى أم حبين ويقال ان الصبيان ينادنها أم حبين انشرى برديك أن الامير ناظر اليك وضارب بسوطه جنبيك فاذا زادوا عليها نشرت جناحيها وانتصبت على رجليها فاذا زادوا عليها أيضا نشرت أجنحة أحسن من تلك ملونة وإذا مشت تطأطىء برأسها وتتلون ألوانا ولذا يقال يتلون كالحرباء (حمار أهلى) معروف ليس فى الحيوان من ينزو على غير جنسه إلا هو والفرس ونزوه بعد تمام ثلاثين شهرا وكنيته أبو جحش وغير ذلك وهو أنواع فمنه ماهو لين الاعطاف سريع الحركة ومنه ماهو بضد ذلك ويوصف بالهداية إلى سلوك الطريق (لطيفة) فى الحديث عن النبى ﷺ أنه لما فتح خيبر أصاب حمارا أسود فكلمه فقال ما اسمك فقال يزيد بن شهاب أخرج الله تعالى من نسل جدى ستين حمارا كلها لا يركبها الا نبى ولم يبق من الانبياء غيرك وكنت أتوقعك لتركبنى وأنا عند يهودى يجيع بطنى ويضرب ظهرى وكنت أعثر به عمدا فسماه النبى ﷺ يعفورا وقال أتشتهى الاناث قال لا وكان صلى الله عليه وسلم يركبه فى حوائجه وإذا أراد حاجة عند انسان أرسله اليه فيدفع الباب برأسه فيخرج صاحب البيت فيعرفه ويقضى حاجته فلما مات النبى ﷺ ذهب إلى بئر كانت لأبى الهيثم فتردى فيها جزعا على النبى ﷺ فكانت قبره وقيل هذا الحديث منكر وقد ذكره السهيلى فى التعريف والاعلام وللناس فى ذمه ومدحه أقوال متباينة بحسب الاغراض . فمن مدحه أن أبا صفوان وجد راكبا على حمار فقيل له فى ذلك فقال عير هو من نسل الاكراد يحمل الرحل ويبلغ العقبة ويمنعنى أن أكون جبارا فى الأرض وقال آخر هو أقل الدواب مؤنة وأكثرها معونة وأخفضها مهوى وأقربها مرتعا وكان حمار أبى يسارة مثلا من الصحة والقوة وهو حمار سود حمل الناس عليه من منى إلى المزدلفة أربعين سنة وكان خالد بن صفوان والفضل بن عيسى الرقاشى يختاران ركوب الحمار ويجعلان أبا يسارة قدوة لهما وحجة . ومن ذمه ما نقل عن عبد الحميد الكاتب أنه قال لا تركب الحمار فانه ان كان فارها أتعب يدك وان كان بليدا أتعب رجلك ماينبغى المركب الدجال أن يكون مركبا للرجال وقال اعرابى الحمار بئس المطية ان أوقفته ادلى وان

منهم هذا الأمر العسير فقلت

وغير بدع النسا
• إذا تنكرن المدبر

وتصفحت بعد ذلك فاتحة باب النصر فعوذته باخلاص وزدت لله شكرا وحمدا وتأملت أهل الباب وهم يتلون لأهل البلد فى سورة الفتح والمحاصرين وجعلنا من بين أيديهم سدا كم طلبوا فتحه فلم يجدوا لهم طاقة وضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ونظرت إلى ما تحت القلعة من أسواق التجر فوجدت كلا قد محت النار آثاره وأهله يتلون قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة فمنهم من هم شأنه على صاحبته وبنيه وآخر قد استغنى بشأن نفسه فهم كما قال الله لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه فوقفت أنشد فى تلك الأسواق وقد سعرت

• الاموت يباع فاشتريه •

ونظرت إلى أمير المؤمنين الركع السجود وهم يتلون على من ترك فى بيوتهم أخدودا من وقود النار وقعد لحربهم فى ذلك اليوم المشهود وقتل أصحاب

تركبته ولى كثير الروث قليل الغوث سريع الى الفرارة بطىء فى الغارة لاترقى به الدماء ولا تمهر به النساء ولا يحلب فى الاناء قال الزمخشرى

ان الحمار ومن فوقه   حماران شرهما الراكب

ومن العرب من لا يركبه أبدا ولو بلغت به الحاجة والجهد (قيل) كان لرجل بالبادية حمار وكلب وديك فالديك يوقظه للصلاة والكلب يحرسه إذا نام والحمار يحمل أثاثه اذا رحل قال فجاء الثعلب فأكل الديك فقال عسى أن يكون خيرا ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم عسى أن يكون خيرا ثم جاء الذئب فبقر بطن الحمار فقال عسى أن يكون خيرا قال ثم ان جيرانه من الحى أغير عليهم فاخذوا فاصبح ينظر الى منازلهم وقد خلت فقيل لهم انما أخذوا باصوات دوابهم فقال انما كانت الخيرة فى هلاك ما عندى فمن عرف لطف الله رضى بفعله (حمام) هو أنواع كثيرة والكلام فى الذى ألف البيوت وهو قسمان أحدهما برى وهو الذى يوجد فى القرى والآخر أهلى وهو أنواع وأشكال فمنه الرواعب والمراعيش والشداد والغلات والمنسوب ومن طبعه أنه يطلب وكره ولو كان فى مسافة بعيدة ولأجل ذلك يحمل الأخبار ومنه من يقطع فراسخ فى يوم واحد وربما صيد وغاب عن وطنه عشر سنين وهو على ثبات عقله وقوة حفظه حتى يجد فرصة فيطير ويعود الى وطنه وسباع الطير تطلبه أشد الطلب وخوفه من الشاهين أشد من غيره وهو اطير منه لكن إذا ابصره يعتريه ما يعترى الحمار اذا رأى الاسد والشاة إذا رأت الذئب والفأر إذا رأى الهر ومن طبعه أنه لا يريد الا ذكره الى أن يهلك أو يفقد أحدهما ويحب الملاعبة والتقبيل ويفسد لتمام أربعة أشهر ويحمل أربعة عشر يوما ويبيض بيضتين ويحضن عشرين يوما ويخرج من أحدى البيضتين ذكر والاخرى أنثى واتخاذها فى البيوت لا بأس به غير أنه لا يجوز تطييرها والاشتغال بها والارتقاء بها على الاسطحة وعليه حمل أهل العلم قوله عليه الصلاة والسلام شيطان يتبع شيطانة حين رأى شخصا يتبع حمامة فان لم يحصل شىء مما ذكر جاز اتخاذها قال رسول الله ﷺ اتخذوا الحمام فى بيوتكم فانها تلهى الجن عن صبيانكم واللعب بها من عمل قوم لوط وقال النخعى من لعب بالحمام لم يمت حتى يذوق ألم الفقر ولم يوجد شىء أبله من الحمام فانه تؤخذ افراخه فتذبح فى مكان ثم يعود فى ذلك المكان ويبيض فيه ويفرخ * وقال الجاحظ وللحمام من الفضيلة والفخر ان الحمامة قد تبتاع بخمسمائة دينار ولم يبلغ ذلك القدر شىء من الطير غيره وهو الهادر الذى جاوز الغاية قالوا ولو دخلت بغداد والبصرة وجدت ذلك بلا مماناة ولو حدثت أن برذونا أو فرسا بخمسمائة دينار لكان ذلك سمرا وقد تباع البيضة الواحدة من بيض ذلك الحمام بخمسة دنانير والفرخ بعشرين فمن كان له زوج منه قام فى الغلة مقام ضيعة وأصحابه يبنون من أثمانه الدور والحوانيت وهو مع ذلك ملهى عجيب ومنظر أنيق (الخواص) دمه ينفع الجراحات العارضة للعين والغشاوة ويقطع الرعاف ويبرىء حرق النار إذا خلط بالزيت منه وذبل الاحمر ينفع للسبع المقرب إذا وضع عليه وإذا شرب منه مقدار درهمين مع ثلاثة دراهم دار صينى نفع من الحصاة

(حرف الخاء)

(الخطاف) انواع كثيرة فمنه نوع دون العصفور رمادى اللون يسكن ساحل البحر ومنه مالونه اخضر وتسميه أهل مصر الخطار ونوع طويل الاجنحة رقيق يألف الجبال ونوع أصفر يألف المسجد يسميه الناس السنونو وزعم بعضهم انه الطير الابابيل ويقال ان آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط إلى الأرض حصل له وحشة فخلق الله له هذا الطير يؤنسه فلاجل ذلك

وهو يقول النجاة وطلب الفراد وكلما دعا قومه لمساعدتهم على الحريق ناداهم وقد عدم الاصطبار وياقوم مالى ادعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار ونظرت ضواحى البلد وقد استدت فى وجوههم المذاهب ومالهم من الضيق مخرج وضاقت عليهم الأرض بما رحبت لما غلق فى وجوههم باب الفرج فقلت اللهم اجعل لهم من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا واعدم أموالهم من كل عسر يسر ولا تنتهك مخدراتهم من كل لجة سترا واقطع الماء عنهم الى كل خير سبيل فانك حسبنا ونعم الوكيل هذا وكم نظرت الى سماء ربع غربت شمسه بعد الاشراق فانشدت وقد ازدادت كربا من شدة الاحتراق

فديناك من ربع وان زدتنا كربا
فانك كنت الشرق للشمس والغربا

وانتهيت إلى الطواقيين وقد أسبل عليهم الحرائق شدته فكشفوا الرؤس لعالم السرائر وكم ذات ستر خرجت بفرق مكشوف ورمت المصائب وبعلها بعينه دائر هذا وكم هدات أسبلن من فوق النهود ذوائبا فتركن حبات القلوب ذوائبا ووصلت إلى ظاهر الفراديس وقد قام كل أهل فردوس بيته فاما [illegible] بهم واندهشت لتلك الانفس متى ماتت من شدة الخوف وهى تستغيث للذى أنشأها أولا لا يجدها

لا تجدها تفارق البيوت وهي تبنى بيتها في أعلى مكان بالبيت وتحكم بنيانه وطينه فان لم تجد الطين ذهبت الى البحر فتمرغت في التراب والماء وانت فطينته وهي لا تزبل داخله بل على حافته أو خارجا عنه وعنده ورع كثير لأنه وإن ألف البيوت لا يشارك أهلها في أقواتهم ولا يلتمس منهم شيئا ولقد أحسن واصفه حيث يقول

كن زاهدا فيما حوته يد الورى ٭ تبقى الى كل الانام حبيبا
وانظر الى الخطاف حرم زادهم ٭ أضحى مقيما في البيوت ربيبا

ومن شأنه أنه لا يفرخ في عش عتيق بل يجدد له عشا وأصحاب اليرقان يلطخون أفراخه بالزعفران فيذهب فيأتي بحجر اليرقان ويلقيه في عشه لتوهمه أن اليرقان حصل لأولاده وهو حجر صغير فيه خطوط يعرفه غالب الناس فعند ذلك يأخذه من اليرقان ويحكه ويستعمله ومن عجيب أمره أنه يكاد يموت من صوت الرعد وإذا عمى ذهب إلى شجرة يقال لها عين شمس فيتمرغ فيها فيفيق من غشوته ويفتح عينيه (لطيفة) قيل ان خطافا وقف على قبة سليمان وتكلم مع خطافة وراودها عن نفسها فامتنعت فقال تمنعين مني ولو شئت قلبت هذه القبة قال فسمع سليمان فدعاه وقال ما حملك على ما قلت فقال يا نبي الله إن العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم (الخواص) مرارته تسود الشعر ولحمه يورث السهر وقلبه يهيج الباه إذا أكل جافا ودمه يسكن الصداع (خفاش) طير يوجد في الاماكن المظلمة وذلك بعد الغروب وقبل العشاء لأنه لا يبصر نهارا ولا في ضوء القمر وقوته البعوض وهذا الوقت هو الذي يخرج فيه البعوض أيضا لطلب رزقه فيأكله الخفاش فيتسلط طالب رزق على طالب رزق وهو من الحيوان الشديد الطيران قيل انه يطير الفرسخين في ساعة وهو يعمل مثل النسر وتعاديه الطيور فتقتله لأنه قيل ان عيسى عليه الصلاة والسلام لما سأله النصارى في طير لا عظم فيه صنع لهم ذلك باذن الله تعالى فهي تكرهه لأنه مباين لخلقتها ومن طبعه الحنو على ولده حتى قيل انه يرضعه وهو طائر (خنزير) حيوان معروف وله كنى كثيرة منها أبو جهم وأبو زرعة وأبو دلف وهو مشترك بين البهيمة والسبع لأنه ذو ناب ويأكل العشب والعلف وهو كثير الشبق حتى قيل انه يجامع الأنثى وهي سائرة فيرى في مشيها ستة أرجل فيتوهم الرائي أنه حيوان بستة أرجل وليس كذلك والذكر منها يطرد الذكر مثله فمن غلب استقل بالنزو على الانثى وتحرك أذنابها في زمن هيجانها وتطاطىء رأسها وتغير أصواتها وتحمل من نزوة واحدة وتحمل ستة أشهر وتضع عشرين ولدا وينزو الذكر إذا بلغ ستة أشهر وقيل أربعة باختلاف البلاد وقيل ثمانية وإذا بلغت الانثى خمس عشرة سنة لا تحمل وهذا الجنس أفسد الحيوان والذكر أقوى الفحول وليس لذوات الاربع ما للخنزير في نابه من القوة حتى قيل انه يضرب به السيف والرمح فينقطع ما لاقاه وإذا التقى نابه من الطول مات لأنهما حينئذ يمنعانه من الأكل ومن عجيب أمره أنه يأكل الحيات ولا يؤثر فيه سمها وإذا عض كلبا سقط شعره وإذا مرض وأطعم السرطان يفيق ومن عجيب أمره أنه إذا ربط على ظهر حمار بال الحمار وهو على ظهره مات ولا يسلخ جلده إلا بالقلع مع شيء من لحمه على ما ذكروا (خنفساء) دويبة تتولد من عفونات الأرض وبينها وبين العقرب مودة وكنيتها أم فسولان كل من وضع يده عليها يشم رائحة كريهة (فائدة) قيل ان رجلا رأى خنفساء فقال ما يصنع الله بهذه فابتلاه الله تعالى بقرحة عجز الأطباء فيها هو ذات يوم وإذا بطارق يقول من به وجع ذلك كذا الى أن قال من به قرحة فخرج اليه ذلك الرجل فلما رأى ما به قال ائتوني بخنفساء فضحك منه الحاضرون فقال ائتوه بالذي يطلب فأتوه بها فأخذها فأحرقها وأخذ رمادها وجعل منه على تلك القرحة فبرئت فعلم ذلك المطروح ان الله تعالى ما خلق

مرة وهو بكل خلق عليم ونظرت إلى ظاهر باب السلامة وقد أخفقت النار أعلامه ولقد كان أهله من صحة أجسامهم ومن اسمه كما يقال بالصحة والسلامة والى الشلاحة وقد لبست ثياب الحزن وذابت من أهلها الكبود وقعدوا بعد تلك الربوع على أديم الارض ونضجت منهم الجلود ولقد والله عدمت لذات الحواس الخمس وضاقت على الجهات الست لم ترقأ لى دمعة وأكلت الانامل من الاسف لما سمعت بحريق أطراف السبعة فأعيذ ما بقي من السبعة بالسبع المثاني والقرآن العظيم فكم رأينا ما يعقوب حزن رأى سواد بيته فاصفر لونه وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم وتقربت إلى ظاهر الباب الشرقي فتشرقت بالدموع من شدة الالتهاب فلقد كان أهله دار عينه وكرومه الكريمة في جنتين من نخيل وأعناب وتوسلت إلى ظاهر باب كيسان فأنفقت كيس الصبر لما افتقرت من دنانير تلك الأزهار والدراهم رباها وسمحت بعد ذلك بالعين واستخدمت فقلت بسم الله مجراها وكابرت إلى أطراف الباب الصغير فوجدت فاضل النار لم يغادر منها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فيا لهفي على عروس دمشق التي لم تذكر محاسنها أسماء ولا الجيداء لقد كانت ست الشام فاستبعدها

شيئا سدى وان فى أخس المخلوقات أهم الأدوية فسبحان القادر على كل شىء (الخواص) إذ قطعت رؤس الخنافس وجعلت فى برج الحمام كثر الحمام فى ذلك البرج والاكتحال بما فى جوفها من الرطوبة يحد البصر ويجلو الغشاوة والبياض وإذا بخر المكان بورق الدلب هربت منه الخنافس على ما ذكر (خيل) جماعة الافراس وسميت بذلك لأنها تختال فى مشيتها وهى من الحيوان المشرف ولقد مدحها الله تعالى ووصى بها النبى عليه الصلاة والسلام فقال الخير معقود بنواصى الخيل إلى يوم القيامة وقال عليكم بإناث الخيل فان ظهورها عز وبطونها كنز وروى عن ابن عباس أو على رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لما أراد الله تعالى خلق الخيل أوحى إلى الريح الجنوب وقال إنى خالق منك خلقا فاجتمعى فاجتمعت فأتى جبريل فأخذ منها قبضة فخلق الله منها فرسا كميتا وقال خلقتك عربيا وفضلتك على سائر البهائم فالرزق بناصيتك والغنائم تقاد على ظهرك وبصهيلك ارهب المشركين وأعز المؤمنين ثم وسمه بغرة وتحجيل فلما خلق الله تعالى آدم قال له يا آدم اختر أى الدابتين الفرس أو البراق فقال الفرس يارب فقال الله تعالى عزك وعز أولادك وفى الحديث ما من فرس إلا ويقول كل يوم اللهم من جعلتنى له فاجعلنى أحب أهله اليه وقيل الخيل ثلاثة فرس للرحمن وهى المغزو عليها وفرس لك وهى التى تسابق عليها وفرس للشيطان وهى التى جعلت للخيلاء وفى الحديث أن الملائكة لا تحضر شيئا من اللهو الا فى مسابقة الخيل وملاعبة الرجل أهله ولقد سابق النبى ﷺ على الخيل وقيل ان الذكر من الخيل أقوى من الأنثى ولا يرد علينا ركوب جبريل فى قصة موسى وفرعون الانثى لأن ذلك من حكمة الله تعالى حتى تبعتها أحصنتهم فأغرقوا لأن الحصان إذا رأى الحجرة تبعها وقيل ان الله تعالى أمر نبيه موسى عليه الصلاة والسلام أن يعبر البحر فعبره وهم خلفه فأعمى أعينهم عن الماء فكانوا يرون بلقعا والخيل تراه ماء فلولا دخول جبريل بفرسه لما دخلت خيلهم وهى أصناف منها الصافنات وهى التى إذا ربطت فى مكان وقفت على احدى رجليها وقلبت بعض الاخرى فى الوقوف وقيل غير ذلك وكانت الصافنات ألف فرس لسليمان عليه الصلاة والسلام فعرضها يوما ففاتته الصلاة قبل صلاة العصر فأمر بعقرها فعوضه الله عنها الريح فكانت فرسه وقيل انما عقرها على وجه القربى كالهدى وقيل ان الفرس لا يحب الماء الصافى ولا يضرب فيه بيده كما يضرب بها الماء الكدر فرحا به فانه يرى شخصه فى الماء الصافى فيفزعه ولا يراه فى الكدر وقد قيل فى الحث على حب الخيل

أحبوا الخيل واصبروا عليها ... فان العز فيها والجمالا
إذا ما الخيل ضيعها أناس ... ربطناها فأشركت العيالا
نقاسمها المعيشة كل يوم ... وتكسبنا الأباعر والجمالا

(حرف الدال)

(دابة) اسم لكل ما دب على الأرض وأما التى ذكرها الله تعالى فى سورة سبأ فقيل الارضة وقيل السوسة وسبب ذلك أن سليمان عليه الصلاة والسلام كان قد أمر الجن ببناء صرح فبنوه ودخل فيه وأراد أن يصفو له يوم واحد من دهره فدخل عليه شاب فقال له كيف دخلت من غير استئذان قال قد أذن لى رب البيت فعلم سليمان أن رب البيت هو الله تعالى وأن الشاب ملك الموت أرسل ليقبض روحه فقال سبحان الله هذا اليوم طلبت فيه الصفاء فقال طلبت مالم يخلق قال وكان قد بقى من بناء المسجد الاقصى بقية فقال له يا أخى يا عزرائيل امهلنى حتى يفرغ قال ليس فى أمر ربى مهلة قال فقبض روحه وكان من عادته الانقطاع فى التعبد شهرين وثلاثة ثم يأتى فينظر ما صنعت الجن فلما قبض كان متوكئا على عصاه واستمر ذلك مدة والجن تتوهم أنه مشرف عليها فتعمل كل يوم بقدر عشرة أيام حتى أراد الله ما أراد فسلط على العصا الارضة

ملك النار حتى صارت جارية سوداء ولقد وقفت بين ربوعها وقد التهبت أحشاؤها بالاضطرام وفطم جنين نبتها عن رضاع ثدى الغمام فاستسقيت لها بقول بن أسعد حيث قال

سقى دمشق وأياما مضت فيها ... مواطر السحب ساريها وغاديها
ولا يزال جنين النبت ترضعه ... حوامل المزن فى أحشا أراضيها
فما نضا حبها قلبى لنيريها ... ولا قضى نحبه ودى لواديها
ولا تسليت عن سلسال ربوتها ... ولا نسيت مبيت جار جاريها

هذا وكم طائف قبل اليوم أويناه بها إلى ربوة ذات قرار وكم كان بها مطرب طير خرج بعد ما كان يطرب على عود وطار وبطل الجنك لما انقطعت أو تار أنهاره فلم يبق له مغنى وكسر الدف لما خرج نهر المغنية عن المغنى واستسمع الناس من قال

انهض إلى الربوة مستمتعا ... تجد من اللذات ما يكفى
فالطير قد غنى على عوده ... فى الروض بين الجنك والدف

وأصبحت أوقات الربوة بعد ذلك العيش الخضل واليسر عسيره

فأكلتها فخر ميتا فتفرقت الجن عنه وقيل إن واحدا منهم مر عليه فسلم فلم يجبه فدنا منه فلم يجد له نفسا لحركه فسقطت العصا فاذا هو ميت قال وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة والعصا التى اتكأ عليها من خرنوب قال الله تعالى فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين قال فشكرت الجن الأرضة حتى قيل أنهم كانوا يأتونها بالماء حيث كانت * وأما الدابة التى من أشراط الساعة فاختلف فى أمرها فقيل تخرج من الصفا وهو الصحيح وقيل من الطائف وقيل من الحجر وطولها ستون ذراعا ذات قوائم وهى مختلفة الألوان فى ليلة يكون الناس مجتمعين بمنى أو سائرين إلى منى ومعها عصى موسى وخاتم سليمان لايدركها طالب ولايفوتها هارب تلحق المؤمن فتضربه بالعصا فتكتب فى وجهه مؤمن وتدرك الكافر فتسمه بالخاتم وتكتب فى وجهه كافر وروى أنها تخرج إذا انقطع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقل الخير (داجن) هو مايربيه الناس فى البيوت من صغار الغنم والحمام والدجاج وغير ذلك وفى حديث الافك مانعلم لها قضية غير أنها جارية حديثة السن تعجن وتنام فتأتى الداجن فتأكل العجين (دب) من السباع وكنيته أبو جهينة وأبو جهل وغير ذلك ولايخرج زمن الشتاء حتى يطيب الهواء وإذا جاع يمص يديه ورجليه فيندفع جوعه وهو كثير الشبق وينعزل بأنثاه وتضع جروا واحدا وتصعد به إلى أعلى شجرة خوفا عليه من النمل لأنها تضعه قطعة لحم ثم لاتزال تلحسه وترفعه فى الهواء أياما حتى تنفرج أعضاؤه وتخشن ويصير له جلد وفى ولادتها صعوبة وربما ماتت منها وقد تلده ناقص الخلق شوقا منها للسفاد وهى من الحيوان الذى يدعو الانسان للفعل به وقيل أن الدب يقيم أولاده تحت شجرة العجوز ثم يصعد فيرمى بالجوز اليها إلى أن تشبع وربما قطع من الشجرة الغصن العتل الضخم الذى لايقطع إلا بالفأس والجهد ثم يشد به على الفارس فلايضرب أحد إلا قتله (دجاجة) وكنيتها أم ناصر الدين وأم الوليد وغير ذلك وإذا هرمت لم يبق لبيضها مخ وتوصف بقلة النوم قيل أن نومها بقدر ماتتنفس وعندها خوف فى الليل ولاجل ذلك تطلب وقت الغروب مكانا عاليا وتخشى الثعلب قيل أنها إذا رأته ألقت نفسها اليه من شدة الخوف ولاتخشى من بقية السباع وقيل يعرف الذكر من الانثى بامساك منقاره فان تحرك فذكر والافانثى ومن الدجاج مايبيض فى اليوم مرتين وهو من أسباب موتها ويستكمل خلق البيضة فى بطن الدجاجة فى عشرة أيام وفى الحديث أن النبى ﷺ أمر باتخاذ الغنم للاغنياء وباتخاذ الدجاج للفقراء ومن العجيب فى صنعة الله تعالى أن خلق الفرخ من البيض وجعل الصفار غذاء له كما خلق الطفل من المنى وجعل دم الحيض غذاء له فتبارك الله أحسن الخالقين (الخواص) لحم الدجاج الفتى يزيد فى العقل ويصفى اللون ويزيد فى المنى ويقيم الباه والمداومة عليه يورث النقرس والبواسير على ماذكر (دج) طير كبير أغبر يكون بساحل البحر كثيرا وبالقرب من الاسكندرية والناس يصطادونه ويأكلونه (دود) اسم جنس ومنه دود القز ويقال لها الهندبة ومن عجيب أمرها أنها تكون أولا مثل بزر التين ثم تصير دودا وذلك أوائل فصل الربيع ويكون عند خروجه مثل الذر فى قدره ولونه ويخرج فى الاماكن الدافئة إذا كان مصرورا فى حق وربما تأخر خروجه فتجعله النساء تحت ثديهن نصرته فيخرج وغذاؤه ورق التوت الابيض قال ولايزال يكبر حتى يصير بقدر أصبع وينتقل من السواد إلى البياض وكل ذلك فى مدة ستين يوما قال ثم يأخذ فى النسج بما يخرجه من فيه إلى أن ينفذ مافى جوفه ثم يخرج شيئا كهيئة الفراش له جناحان لايسكنان من الاضطرار وعند خروجه يهيج إلى السفاد ويلصق الذكر مؤخره إلى مؤخر الانثى ويلتحمان مدة ثم يفترقان قال ويكون قد فرش لهما خرقا بيضاء فينثران البزر عليها ثم يموتان هذا إذا أريد منهما البزر وان أريد الحرير تركا فى الشمس بعد فراغهما من

ولقد كان أهلها فى ظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة فعبس بعد ذلك ثغر روضها الباسم وطاح من غير نوريه عطره الباسم ولم ينتظر لزهره المنثور على ذلك الوشى المرقوم رسالة من النسيم سحر به وكيف لاوقد محى سجع المطوق من طروس تلك الأوراق النباتية هذا وكم عروس روض سور معصمها النقش فلما انقطع نهرها صح أنها كسرت السوار وكم دولاب نهر بطل غناؤه على تشبيب النسيم بالقصب وعطلت نوبته من تلك الادوار فوقفت أندب ذلك العيش الذى كان بذلك التشبيب موصولا وأنشد ولم أجد بعد تلك النوبة المطربة إلى مغنى الربوة دخولا لم لاأشيب بالعيش الذى انقرضت أوقاته وهو بالذات موصول ونقص يزيد فاحترق ولاينكسر ليزيد الحريق على صنعه وانقطع ظهر نور فأهلك الحرث والنسل بقطعه وذاب بردى وحمى مزاجه لما شعر بالحريق ولم يبق فى ثغره الاشنب برد حصبائه مايبل الحريق وانقطع وقد اعتل من غيضه بانياس ولم يظهر عند قطعه خلاف ولا بان آس وجرى الدم ولا شدة الطعن بالقنوات وكسرت قناة المرجة فذاقت مر العيش بعد حلاوة تلك القطوف الدانيات وكسر الخلخال لما قام الحرب على

النسج فيموت وهو سريع العطب حتى أنه ليخشى عليه من صوت الرعد والعطاس ومس المراة الحائض والرجل الجنب ورائحة الدخان والحر الشديد والبرد الشديد ونحو ذلك قال أبو الفتح البستى

ألم تر أن المرء طول حياته … معنى بأمر لايزال يعالجه
كذلك دود القز ينسج دائما … ويهلك غما وسط ماهو ناسجه

(وقال آخر) يفنى الحريص بجمع المال مدته … وللحوادث ما يبقى وما يدع
كدودة القز ما تبنيه يهلكها … وغيرها بالذى تبنيه ينتفع

(حرف الدال)

(ديك) وكنيته أبو حسان وأبو حماد وغير ذلك ويسمى الانيس والمؤانس ومن طبعه لا يألف زوجة واحدة وهو أبله الطبيعة لأنه إذا سقط من بين أصحابه لايهتدى إلى الرجوع إليه وفيه عن الخصال الحميدة مالا يحصر منها أنه يساوى بين أزواجه فى الطعمة ويذكر الله تعالى فى الليل حتى قيل أنه ليوقته ويقسمه وربما لايخرج فى توقيته وفى الصحيح إذا سمعتم صياح الديك فاذكروا الله تعالى فانه يصيح بصياح ديك للعرش * وروى الغزالى عن ميمون بن مهران أن لله ملكا تحت العرش على صورة الديك فاذا مضى ثلث الليل الأول ضرب بجناحيه وقال ليقم المسلمون فاذا مضى الثلث الثانى ضرب بجناحيه وقال ليقم الذاكرون فاذا كان السحر وطلع الفجر ضرب بجناحيه وقال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم وفى الحديث أن النبى ﷺ قال لله ديكا أبيض له جناحان موشحان بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورأسه تحت العرش وقوائمه فى الهواء فاذا كان ثلث الليل الأول خفق بجناحيه وقال سبحان الملك القدوس فاذا كان الثلث الثانى خفق بجناحيه وقال قدوس قدوس فاذا كان الثلث الثالث خفق بجناحيه وقال ربنا الرحمن الرحيم لاإله إلا هو وروى الثعلبى باسناده عن النبى ﷺ أنه قال ثلاثة أصوات يحبها الله تعالى صوت الديك وصوت قارىء القرآن وصوت المستغفر بالاسحار وفى الحديث لاتسبوا الديك فانه يؤقت للصلاة وزعم أهل التجربة أن الرجل إذا ذبح الديك الأبيض الأفرق لم يزل ينكب فى أهله وماله (نادرة) قيل كان لإبراهيم بن مزيد ديك وكان كريما عليه لجاء العيد وليس عنده شىء يضحى عليه فأمر امرأته بذبحه واتخاذ طعام منه وخرج لمصلى فأرادت المرأة تمسكه ففر فتبعته فصار يخترق من سطح إلى سطح وهى تتبعه فسألها جيرانها وهم قوم هاشميون عن موجب ذبحه فذكرت لهم حال زوجها فقالوا مانرضى أن يبلغ الاضطرار بأبى اسحق إلى هذا القدر فأرسل إليه هذا شاة وهذا شاتين وهذا بقرة وهذا كبشا حتى امتلأت الدار فلما جاء ورأى ذلك قال ماهذا فقصت عليه القصة فقال ان هذا الديك لكريم على الله فان اسماعيل نبى الله فدى بكبش واحد وهذا فدى بما أرى

(حرف الذال)

(ذباب) وكنيته أبو جعفر وهو أصناف كثيرة يتولد من العفونة ومن عجيب أمره أنه يلقى رجيعه على الأبيض يسود وعلى الأسود يبيض ولا يقعد على شجرة الدباء وفى الحديث إذا وقع الذباب فى اناء أحدكم فليغمسه فان فى احدى جناحيه دواء وفى الأخرى داء وان من طبعه أن يلقى نفسه بالجناح الذى فيه الداء (وحكى) أن المنصور كان جالسا فألح عليه الذباب حتى أضجره فقال انظروا من بالباب من العلماء فقالوا مقاتل بن سليمان فدعا به ثم قال له هل تعلم لأى حكمة خلق الله الذباب قال ليذل به الجبابرة قال صدقت ثم أجازه ومن خصائص النبى ﷺ أنه كان لايقع عليه ذباب قط وقال المأمون قالوا إن الذباب إذا دلك به موضع لسعة الزنبور سكن ألمه فلسعنى

ساقه وسقط رأس كل غصن على الجبهة فهاجت البلابل على أوراقه وخر نهر حمص خاضعا وتكدر بعد ما كان يصفو لنا قلبه وافتقر أغنياء غصونه من حبات تلك الثمار فصاروا لايملكون حبة طالما كان أهله فاكهين ولكنهم اعترفوا بذنوبهم فقالوا وكنا نخوض مع الخائضين وذبلت عوارض تلك الجزيرة التى كانت على وجنات شطوطه مستديرة فقلنا بعد عروس دمشق وحماتها لاحاجة لنا بحمص والجزيرة فيالهفى على منازل الشرف وذلك الوادى الذى نعق به غراب البين وياشوقى إلى رأس تلك المرحلة التى كانت تجالسنا قبل اليوم على الرأس والعين هذا وقد اسودت الشقراء فامست كابية لما حصل على ظهرها من الجولان وجانسها العكس وأضحت باكية على فرق الأبلق واخضر ذلك الميدان (يامولانا) لقد بكى المملوك من الاسف بدمعة حمراء على ماجرى من أهل الشهباء هل فى الميدان على الشقراء حتى كذب الناس من قال قل للذى قايس بين حلب وجلق بمقتضى عيانها ما تلحق الشهباء فى حلبتها تعثر الشقراء فى ميدانها فقال لسان الحال والله ما كذب ولكنه قد يخبو الزناد وقد يكبو الجواد وقد يصاب الفارس بالعين التى

تغمر قناته غمرا وأنشد ومن ظن أن سيلاق الحروب وأن لايصاب فقد ظن عجزا ودخلت

زنبور لحككت على موضعه أكثر من عشرين ذبابة فما سكن له ألم فقالوا هــذا كان حتفا قاضيا ولولا هـــذا العلا لقتلك وقال الجاحظ مع الذباب أنها تحرق وتخلط بالكحل فاذا اكتحلت به المرأة كانت عينها أحسن مايكون وقيل إن المواشط تستعمله ويأمرون به العرائس وقيل إن الذباب إذا مات والقى عليه برادة الحديد عاش وإذا بخر البيت بورق القرع هرب منه الذباب (ذئب) حيوان معروف وكنيته أبو جعدة وأبو جاعد وأبو تمامــة لونه رمادي وهو من الحيوان الذي ينام باحدى عينيه ويحرس بالأخرى حتى تمل فيغمضها ويفتح الأخرى كما قال بعض واصفيه

ينام باحدى مقلتيه ويتقي ... بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع

وإذا أراد السفاد اختفى ويطول فى سفاده كالكلب وإذا جاع عوى فتجمع الذئاب حوله فمن هرب منها أكلوه وإذا خاف منه الإنسان طمع فيه وليس فى الأرض أسد يعض على عظم الا ويسمع لتكسيره صوت بين لحييه إلا الذئب فان لسانه يبرى العظم برى السيف ولايسمع له صوت وقيل إذا أدماه الإنسان فشم الذئب رائحة الدم لايكاد ينجوا منه وإن كان أشد الناس قلبا وأتمهم سلاما كما أن الحية إذا خدشت طلبها الذر فلا تكاد تنجوا منه وكالكلب إذا عض الإنسان يطلبه الفأر فيبول عليه فيكون فى ذلك هلاكه فيحتال له بكل حيلة قيل لايعرف الالتحام عند السفاد الا فى الكلب والذئب وإذا هجم الصياد على الذئب والذئبة وهما يتسافدان قتلهما كيف شاء والله أعلم

(حرف الراء)

(رخ) طير عظيم الخلقة يوجد بجزائر الصين قال أبو حامد الاندلسى ذكر لى بعض المسافرين فى البحر أنهم أرسوا بجزيرة فلما أصبحوا وجدوا فى طرفها لمعانا وبريقا فتقدموا اليه وإذا هم بشىء مثل القبة قال فجعلوا يضربون بالفئوس إلى أن كسروا فوجدوه كهيئة البيضة وفيه فرخ عظيم قال فتعلقوا بريشه وجروه ونصبوا القدور وخرجوا يحتطبون من تلك الجزيرة حطبا يقال له حطب الشباب فلما أكلوا ذلك الطعام اسودت لحية كل ذى شيب قال فلما أصبحوا جاءهم الرخ فوجدهم قد صنعوا بفرخه ماصنعوا فذهب وأتى فى رجليه بحجر عظيم وتبعهم بعدما ساروا فى البحر والقاه على سفينتهم فسبقت السفينة وكانت مشرعة بتسع ألوح ووقع الحجر فى البحر فنجاهم الله تعالى منه وكان ذلك من لطف الله تعالى بهم قال وقد كان بقى معهم أصل ريشة قيل إنهم كانوا يجعلون فيها الماء فتسع مقدار قربة فسبحان الخالق الأكبر (رخم) طير أغبر أصفر المنقار معروف وهو من أشر الطيور يقال إنها صماء وسبب ذلك مافيل فى بعض الحكايات أن موسى عليه الصلاة والسلام لما مات تكلمت بموته وكانت تعرف مكانه فأصمها الله تعالى حتى لاترشد أحدا إلى موضعه .

(حرف الزاى)

(زرافة) حيوان غريب الخلقة ولما كان مأكولها ورق الشجر خلق الله تعالى يديها أطول من رجليها وهى ألوان عجيبة يقال إنها متولدة من ثلاث حيوانات الناقة الوحشية والبقرة الوحشية والضبع فينزو الضبع على الناقة فتأتى بذكر فينزو ذلك الذكر على البقرة فتتولد منه الزرافة والصحيح فيها خلقته بذاتها ذكر وأنثى كبقية الحيوانات لأن الله تعالى لم يخلق شيئا إلا بحكمة (زنبور) حيوان فوق النحل له ألوان وقد أودعه الله حكمة فى بنيانه وذلك أنه يبنيه مربعا له أربعة أبواب كل باب مستقبل جهة من الرياح الأربع فإذا جاء الشتاء دخل تحت الأرض وبقى إلى أيام الربيع

بعد ذلك إلى البلد فوجدت على أهله من دروع الصبر سكينة فقلت يارب مكة والحرم أنظر إلى أحوال أهل المدينة ولكن مادخلت بها إلى حمام الا وجدته قد ذاق لقطع الماء عنه حماما وأعلم القوام والقاعدون بأرضه انها ساءت مستقراً ومقاما وتلا على بيت ناره قلنا يانار كونى بردا وسلاما فحسن أن أنشد قول ابن الجوزى من كان وكان الحار عندك بارد

والنهر أمسى منقطع ... والعين لا ماء فيها
ما حيلة القوام

وأتيت بعد ذلك إلى الجامع الاموى فإذا هو لاشتات بالمحاسن جامع وأتيته طالبا لبديع حسنه فظفرت بالاستضاءة والاقتباس من ذلك النور الساطع وتمسكت بأذيال حسنه لما نشقت تلك النفحات السحرية وتشوقت إلى النظم والنثر لما نظرت إلى تلك الشذور الذهبية وآنست من جانب طوره نارا فرجع إلى ضياء حسنه واندهشت لذلك الملك السليمانى وقد زها بالبساط والكرسى وقلت هذا ملك سعد من وقف فى خدمته خاشعا

وشقى من لم يدس بساطه ويأته طائعا ولقد صدق من قال أرى الحسن مجموعا بجامع جلق

وفى صدره معنى الملاحة مشروح ... فان يتغالى بالجوامع معشر فقل لهم باب الزيادة مفتوح

فينفخ الله تعالى فيه الروح فيخرج ويطير وفى طبعه التهافت على الدم واللحم ومن خاصيته أنه إذا وضع فى الزيت مات وفى الخل عاش ولسعته تزال بعصارة الملوخية

(حرف السين)

(سعلاة) نوع من المتشيطنة قال السهيلى هو حيوان يتراءى للناس بالنار ويغول بالليل وأكثر ما يوجد بالغياض وإذا انفردت السعلاة بانسان وأمسكته صارت ترقصه وتلعب به كما يلعب القط بالفأر قال وربما صادها الذئب وأكلها وهى حينئذ ترفع صوتها وتقول أدركونى فقد أخذنى الذئب وربما قالت من ينقذنى منه وله الف دينار وأهل تلك الناحية يعرفون ذلك فلا يلتفتون إلى كلامها (سمندل) حيوان يوجد بأرض الصين ومن عجيب أمره أنه يبيض فى النار ويفرخ فيها ويؤخذ وبره فينسج ويجعل منه المناشف وهذه المناشف إذا اتسخت جعلت فى النار فتأكل كل النار وسخها ولا تحرقها (حكى) أن شخصا بل واحدة من هذه المناشف بالزيت وجعلت فى النار وأوقدت ساعة ولم تحترق (سنجاب) حيوان كهيئة الفأر يوجد فى بلاد الترك على قدر اليربوع إذا ابصر الإنسان هرب منه وشعره كشعر الفأر وهو ناعم فيؤخذ ويسلخ جلده ويجعل فروا يلبس وطبعه موافق لكل طبع وأحسنه الأزرق (سنور) حيوان متواضع ألوف خلقه الله تعالى لدفع الفأر والحشرات كناه وأسماؤه كثيرة (حكى) أن أعرابيا صاد سنورا فرآه شخص فقال ماتصنع بهذا القط ولقيه آخر فقال ماتصنع بهذا الخيدع ولقيه آخر فقال ماتصنع بهذا الخيطل ولقيه آخر فقال ماتصنع بهذا الهر قال أبيعه قال بكم قال بمائة درهم فقال انه يساوى نصف درهم قال فرمى به وقال لعنه الله ما أكثر أسماءه وأقل قيمته وهذا الحيوان يهيج فى زمان الشتاء فى شهرين منه وتراهن يترددن صارخات فى طلب السفاد فكم من حرة خجلت وذى غيرة هاجت حميته وعزب تحركت شهوته وطيب فم السنور كطيب فم الكلب فى النكهة وقيل أن الهرة تحمل خمسين يوما وهو يجمع بين العض بالناب والخمش بالمخلاب وليس كل سبع كذلك وهو يناسب الإنسان فى بعض الاحوال فيعطس ويتمطى يغسل وجهه بلعابه ويلطخ وبر ولده بلعابه حتى يصير كأن الدهن يسرى فى جلده وقيل إذا بال الهر شم بوله ودفنه قيل لأجل الفار فإذا شمه علم أن هناك هرا فلم يخرج وأما سنور الزباد فهو بأرض الهند ويوجد الزباد تحت ابطيه وفخذيه (سوس) هو دود الحبوب والفاكهة ومن الفوائد التى تكتب فى الحبوب فلا تسوس أسماء الفقهاء السبعة الذين كانوا بالمدينة وقد نظمها بعضهم فقال .

ألا كل من لا يقتدى بأئمة ... فقسمته ضيزى عن الحق خارجة
فخذهم عبيد الله عروة قاسم ... سعيد أبو بكر سليمان خارجه

(حرف الشين)

(شاذ هوار) حيوان يوجد بأرض الترك يقال أن له قرنا عليه اثنتان وسبعون شعبة مجوفة فإذا هبت الريح سمع لها تصويت عجيب يكاد يدهش وربما قيل أن فيه شعبة يورث سماعها البكاء والحزن وأخرى تورث الفرح والضحك وأنه أهدى إلى بعض الملوك شيء من شعبها فرأى فيه ذلك ويقال أن من الحيوان شيئا يوجد بالغياض فى قصبة أنفه أثنا عشر ثقبا إذا تنفس يسمع له صوت كصوت المزمار فتأتيه الحيوانات لتسمعه فتدهش فيغفل بعضها من الطرب فيثب عليه فيأخذه ويأكله وهى تعلم ذلك منه وتحترز فإذا لم يمسك منها شيئا ضاق خلقه وصاح بها صيحة فتهرب وتتركه (شاهين) طير يكون كهيئة الصقر إلا أنه عظيم الهامة واسع العينين ومزاجه أيبس من مزاج

الصقر

عبد له قصبات السبق ولكن
كسرت عند قطع الماء قناته
ورأيته فى القبلة من شدة الظمأ وقد قويت من ضجيج المسلمين أناته وخفض النسر جناح الذل وود بأن يكون النسر الطائر وطمست مقل تلك المصابيح فاندهش ولذلك الناظر هذا وكم نظرت إلى حجر مكرم ليس له بعد اكسير الماء جابر واحتفت نجوم تلك الأطباق التى كانت كالقلائد فى جيد الفسق ومرت حلاوة نارها بعدما ركبت طبقا عن طبق وأصبح روحه وهو بعد تلك النضارة والنعيم ذابل وكادت قناديله وقد سلبت لفقد الماء أن تقطع السلاسل ولم تشر الناس بأصابعها إلى فصوص تلك الخواتم المذهبة ولم يبق على ذلك الصحن طلاوة سكبه الطيبة وحلاوة سكبه الطيبة وتذكر المنبر عند قطع الماء أوقاته بالروضة وتكدرت أفراحه لما ذكر أيامه بتلك الغيضة وأنشد لسان حاله

لو أن مشتاقا تكلف فوق ما
وفى وسعه سعى اليك المنبر ... وودت العروس أن تكون

مجاورة نمانها لتبل ريقها برحيق الامن إذا نظرت الى عاصي الحمدية وقد دخل جنانها ونظرت الى فوار أبي نواس وقد

الصقر وحرّيته من العلو الى أسفل أقوى ولذلك ينقض على الطير بشدة فربما بخطئه فضرب نفسه بالارض بشدة فيموت وقيل أول من صاد به قسطنطين وذلك أنه قد جعل له الحكماء الشواهين تظله من الشمس اذا سار فاتفق في بعض الايام أنه ركب فدارت الشواهين عليه وسار قال فطار واحد منها وانقض على صيد فأخذه فأعجب الملك ذلك وصار يتصيد به (شخرور) طير اسود فوق العصفور يصوت بأصوات عجيبة مطربة

(حرف الصاد)

(صرد) حيوان يسمى الصرصار على قدر الخنفساء له جناحان ويقال له الصوام لانه أول طير صام يوم عاشوراء (صعو) طير من صغار العصافير أحمر الرأس

(حرف الضاد)

(ضأن) نوع من الحيوانات ذوات الاربع وهو من الحيوانات المباركة تحمل الانثى منه بواحد واثنين وفيها البركة وغيرها تحمل بالسبعة والتسعة وليس فيها بركة وإذا رعت زرعا نبت عوضه وذلك لبركتها بخلاف وات الشعر ومن عجيب أمرها أنها اذا رأت الذئب تخور وتخاف منه ولا تخاف من سائر السباع قال بعض القصاص مما أكرم الله تعالى به الكبش أن خلقه مستور العورة من قبل ومن دبر ومما أهان به التيس أن خلقه مهتوك الستر مكشوف العورة من قبل ومن دبر ويقال الضأن من دواب الجنة وهي صفوة الله من البهائم ويقال في المدح هو كبش من الكباش وفي الذم هو تيس من التيوس وأهدى بعضهم الى صديقه شاة هزيلة فقال

تقول لي الاخوان حين طبختها أتطبخ شطرنجا عظاما بلا لحم

من العجب أنه يأتي غنم من الهند الكبش منها ألية في صدره وأليات في كتفيه وألية على ذنبه وربما تكبر أليه الضأن حتى تمنعه من المشي ومن عجيب أمرها أنها إذا تسافدت وقت المصر لا تحمل وعند هبوب الريح ان كانت شمالية حملت ذكرا وجنوبية حملت أنثى والله أعلم (ومن خواصها) أن لحمها ينفع للسوداء ويزيد في المني والباه وإذا تحملت المرأة بصوفها قطع حبلها وإذا غطى اناء العسل بصوف الضأن الابيض منع وصول النمل اليه وإذا دفن قرن كبش تحت شجرة كثر حملها هي ماذكر والله أعلم (ضب) حيوان يجعل جحره في الأرض الصلدة وعنده بلم فربما لايهتدي لجحره إذا خرج منه فلذلك لايحفره الابقرب كودية أو اشارة وهو من الحيوان الذي يعمر قيل انه يعيش سبعمائة سنة ومن طبعه أنه يصبر على الماء يقال انه لايشرب فانه يبول في كل يوم أربعين قطرة والانثى تبيض سبعين بيضة وأكثر وتجعلها في الأرض وتتعاهدها في كل يوم إلى أربعين يوما فيخرج وبيضها قدر بيض الحمام وهذا الحيوان شديد الخوف من الآدمي ولذلك يجعل العقارب في جحره حتى يمتنع بها ويخرج من جحره كليل البصر فيستقبل الشمس فيحصل له بذلك حدة بصره وإذا عطش تنشق النسيم فيروى وبينه وبين الافاعي مناسبة وذلك انه لا يخرج زمن الشتاء (فائدة) قيل ان اعرابيا أتى النبي ﷺ وفي كمه ضب قد صاده وقال لولا أن تسميني العرب عجولا لقتلتك وسررت الناس بقتلك فقال عمر دعني يارسول الله أقتله فقال عليه الصلاة والسلام مهلا ياعمر أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا قال ثم اقبل الاعرابي على النبي ﷺ وقال والله لا آمنت بك الاأن يؤمن بك هذا الضب وأخرجه من كمه قال فعند ذلك قال النبي ﷺ يا ضب فأجابه بلسان فصيح لبيك وسعديك يارسول الله رب العالمين فقال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عذابه فقال من أنا يا ضب قال رسول رب العالمين قد أفلح من صدقك وقد

انقطع قلبة بعدماكان يذب وينجرا وكاد أن ينشد من شعره لعدم الماء ألا فاسقني خمرا ودخلت الى الكناسة وقد علاها غبار الحزن فتنهدت من الاسف على كل ناهدة ورثيت للنساء وقد فقدن بعد تلك الانعام المائدة واستطردت الى باب البريد فوجدت خيول الماء الجارية قد انقطعت عن تلك المراكز ونظرت الى السراج الاكبر وقد انعقد لسانه لما شعر من ممدوح الماء بعدم تلك الجوائز ونظرت الى أهل الصلاة وعليهم في هذه الواقعة من الصبر دروع وقد استمدوا بسهام من الادعية أطلقوها عن قسى الركوع مريشه بالهدب من جفن ساهر متصلة اطرافها بدموع ونظرت إلى الريان من العلم وقد اشتد لفقد الماء ظماه وتبلد ذهنه حتى صار مايعرف من أين الطريق إلى باب المياه ومشيت بحكم القضاء إلى الشهود فوجدت كلا منهم قد راجع سهاده وطلق وسنه وتأملت أهل الساعات وقد صار عليهم كل يوم بسنة ونزلت في ذلك الوقت من الساعاتيه إلى الدرج في دقيقة فانتهيت الى مجاز طريق الفوار فوجدته كأن لم يكن له حيفة كم

خاب من كذبك قال فقال الاعرابى عند ذلك ياويلاه ضب اصطدته بيدى من البرية يشهد لك بالرسالة أنا أولى منه بذلك هات يدك اشهد أن لا إله الا الله وانك رسول الله حقا ولقد أتيتك وما على وجه الارض أحد أكثر بغضا منى اليك ولقد صرت الآن أذهب من عندك وما على وجه الأرض أحد أكثر محبة منى اليك ولأنت الساعة أحب إلى من أهلى وولدى وما تملك يدى فقد آمن بك شعرى وبشرى وداخلى وخارجى وسرى وعلانيتى فقال النبى ﷺ الحمد لله الذى هداك لهذا الدين الذى يعلو ولا يعلى عليه ولكن لا يقبله الله الا بصلاة ولا يقبل الصلاة الا بقراءة قال فعلمنى ياحبيبى قال فعلمه سورة الفاتحة وسورة الاخلاص وقال من قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن قال إلهنا يقبل اليسير ويعفو عن الكثير ثم سأله ألك مال فقال ياحبيبى ليس فى بنى سليم أفقر منى فقال لاصحابه أعطوه فأعطوه حتى أثقلوه فقال عبد الرحمن بن عوف يارسول الله عندى ناقة عشارية له فقال ان الله يعطيك ناقة فى الجنة من درة قوائمها من الزبرجد الاخضر وعيناها من الياقوت الاحمر وعليها هودج من السندس تخطفك من الصراط كالبرق قال فخرج الاعرابى من عنده فتلقاه الف فارس من المشركين كلهم يريدون قتل النبى ﷺ فأخبرهم بقصته فأسلموا عن آخرهم وأمر النبى ﷺ خالد بن الوليد عليهم وهذه القصة التى ذكرها الدارقطنى بتمامها والبيهقى والحاكم وابن عدى (الخواص) قلبه يذهب الحزن والخفقان وشحمه يطلى به الذكر يزيد فى الباه وكعبه يشد على وجع الضرس يبرأ إذا جعل على وجه فرس لا يسبقه شىء بعره يذهب البرص والكلف طلاء ومن أكل لحمه لا يعطش زمانا طويلا (ضبع) حيوان معروف ومن كناه أم عامر ومن طبعه حب لحم الآدمى حتى قيل انه ينبش القبور واذا مر بانسان نائم حفر تحت رأسه ووثب عليه وبقر بطنه وشرب دمه (الخواص) من شرب دمه ذهب وسواسه ومن علق عليه عينه أحبه الناس واذا جعلها فى خل سبعة أيام ثم جعلها تحت فص خاتم فكل من كان به سحر وجعل الخاتم فى قليل الماء وشربه زال سحره (ضفدع) حيوان يتولد من المياه الضعيفة الجرى ومن العفونات وعقيب الامطار وأول ما يظهر مثل الحب الاسود ثم ينمو ثم تتشكل له الاعضاء وإذا نق جعل فكه الاسفل فى الماء والاعلى من خارج وفى صوته حدة قال سفيان ليس من الحيوان أكثر ذكر الله تعالى من الضفدع وفى الآثار أن داود عليه الصلاة والسلام قال لاسبحن الله تعالى بتسبيح ما سبحه أحد قبلى فنادته ضفدعة ياداود تمن على الله تعالى بتسبيحك وأنا لى تسعون سنة ماجف لسانى عن ذكر الله تعالى قال فما تقولين فى تسبيحك قالت أقول سبحان من هو مسبح بكل لسان سبحان من هو مذكور بكل مكان فقال داود وما عسى أن أقول وقال بعضهم انها كانت تأخذ الماء بفيها وتجعله على نار ابراهيم الخليل والله سبحانه وتعالى أعلم

(حرف الطاء)

(طاوس) طير مليح ذو ألوان عجيبة وعنده الزهو فى نفسه والعجب ومن طبعه العفة وهو من الطير كالفرس من الحيوان والانثى تبيض حين يمضى لها من العمر ثلاث سنين وفى ذلك الأوان يكمل ريش الذكر ويتم لونه وتبيض الانثى مرة واحدة فى كل شهر ففى السنة اثنتا عشرة بيضة أو أقل أو أكثر ويفسد الذكر فى أيام الربيع ويرمى ريشه فى أيام الخريف كالشجر فاذا بدا طلوع الورق طلع ريشه ومدة حضنه ثلاثون يوما (فائدة) قيل ان آدم لما غرس الكرمة جاء إبليس لعنه الله فذبح عليها طاوسا فشربت دمه فلما طلعت أوراقها ذبح عليها قردا فشربت دمه فلما طلعت ثمرتها ذبح عليها أسدا فشربت دمه فلما انتهت ثمرتها ذبح عليها خنزيرا فشربت دمه فمن أجل ذلك تجد شارب الخمر أول مايشربها وتدب فيه يزهو بنفسه ويمس عجبا كالطاوس فاذا جاء مبادىء السكر لعب وصفق بيديه

ورده وهو كأنه سنان يطعن فى صدر الظلماء أو شجرة كدناء تقول انها طوبى لما ظهرت وأصلها ثابت وفرعها فى السماء أو مغترف بيده الماء وقد أفاض عليه عطاياه فيضا فرفع له لاجل ذلك فوق قناته راية بيضاء أو عمود وقاه أشار الناس اليه بالاصابع أو ملك طالب السماء بودائع حتى كان أكليل الجوزاء له من جملة البضائع او أبيض طائر علا حتى قلنا انه يلتقط حبات النجوم الثواقب أو شجاع ذو همة عالية يحاول ثأرا عند بعض الكواكب لفقد الماء منازه وخفى بعد ما كان به أشهر من علم وجدع أنفه وطالما ظهر وفى عرينه شمم فقلت لست أنسى الفوار وهو ينادى

بيض مائى وعطل الدرحالى فتمنيت من لهيبى بأنى أشترى غيضه بروحى ومالى

فلا والله ما كانت الا أيسر مدة حتى رجع الماء إلى مجاريه وانتسم ثغر دمشق عن شنب اللآلى بعدما نشف ريقه فى فيه هذا وقد خمدت نار الحرب وقعدت بعدما قامت على ساق وقدم وبطلت آلتها التى كانت لها على تحريك الاوتار جس الميدان نعم واعتقل الرمح بسجن السلم وعلى رأسه لواء الحرب معقود ورقصت مقل السيوف فى أجفانها لما علمت أن الزيادة الحد نقص فى المحدود وفاضت غدران

كالقرد

كالقرد فاذا قوى سكره قام وعربد كهيئة الأسد فاذا انتهى سكره وانقبض كما ينقبض الخنزير ثم يطلب النوم والناس تتشاءم باقامته بالدور قيل لأنه كان سببا لدخول ابليس الجنة وخروج آدم منها والله على كل شيء قدير

(حرف الظاء)

(ظبي) واحد الغزلان وهو ثلاثة أصناف الأول الآرام وهو ظباء الرمل ولونها رمادى وهى سمينة العنق والثانى العفر ولونها أحمر هى قصيرة العنق والثالث الادم وهى طويله العنق وتوصف بحدة البصر وقيل ان الظبي يقضم الحنظل قضما ويمضغه مضغا وماؤه يسيل من شدقيه ويرد الماء الملح فيشرب الماء الاجاج ويغمس خرطومه فيه كما تغمس الشاة لحييها فى الماء العذب فأى شيء أعجب من حيوان يستعذب ملوحة البحر ويستحلى مرارة الحنظل (الخواص) لسانه يجفف ويطعم للمرأة السليطة تزول سلاطتها وبعره وجلده يحرقان ويسحقان ويجعلان فى طعام الصبي يريد ذكاؤه ويصير فصيحا ذلقا حافظا (ظربان) دويبة فوق جرو الكلب منتنة الريح تزعم العرب ان من صادها وفست فى ثوبه لاتزول الرائحة منه حتى يبلى الثوب ويحكى من شؤمها أنها تأتى بيت الظبي فتفسو فيه ثلاث مرات فتقتل مافيه وتأكله بعد ذلك

(حرف العين)

(عجل) حيوان معروف وهو ذكر البقر وسمى بذلك لاستعجال بنى إسرائيل بعبادته والسبب فى ذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام وقت الله له ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر وكان فيهم شخص يسمى موسى بن ظفر السامرى فى قلبه من حب عبادة البقر شيء فابتلى بنى إسرائيل فقال ائتونى بحلى قال فأتوه بجميع حليهم فصنع منه عجلا جسدا وألقى عليه قبضة من التراب الذى كان احده من أثر فرس جبريل عليه السلام فصار له خورا كما أخبر الله تعالى فعكفوا على عبادته من دون الله تعالى وكانوا يأتون اليه ويرقصون حوله ويتواجدون فيخرج منه تصويت كهيئة الكلام فيتعجبون من ذلك ويظنون أنه تكلم وإنما فعل باغواء ابليس لعنه الله حتى يطغيهم (فائدة) نقل القرطبي عن سيدى أبى بكر الطرطوشى رحمهما الله أنه سئل عن قوم يجتمعون فى مكان فيقرؤن من القرآن ثم تنشد لهم الشعر فيرقصون ويطربون ثم يضرب لهم بعد ذلك بالدف والشبابة هل الحضور معهم حلال أم حرام فقال مذهب الصوفية ان هذه بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامرى لما اتخذوا العجل فهذه الحالة هى حالة عباد العجل وإنما كان النبي ﷺ مع أصحابه فى جلوسهم كأنما على رؤسهم الطير مع الوقار والسكينة فينبغى لولاة الأمر وفقهاء الاسلام أن يمنعوهم من الحضور فى المساجد وغيرها ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب الشافعى وأبى حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى (عقرب) هو من الحشرات قال الجاحظ أنها تلد من فيها مرتين وتحمل أولادها على ظهرها وهم كهيئة القمل كثير العدد وقال غيره اذا حملت تسلط عليها أولادها فأكلوا بطنها وخرجوا كهيئة الذر ثم يكبرون ويطوفون بالأرض ولها ثمانية أرجل ومن عجيب أمرها أنها لاتضرب النائم الا إذا تحرك شيء منه والخنافس تأوى اليها وربما لسعت التنين العظيم فقتلته (غريبة) وقال ذو النون المصرى بينما أنا فى بعض سيا حتى اذا مررت بشاطىء البحر رأيت عقربا أسود قد أقبل الى ان جاء الى شاطىء البحر فظننت أنه يشرب فقمت لانظر فاذا بضفدع قد خرج من الماء وأتاه فحمله على ظهره وذهب به الى ذلك الجانب قال ذو النون فأتزرت بمئزرى وعمت خلفه حتى إذا صعد من ذلك الجانب صعدت وسرت وراءه فما زال حتى جاء الى شجرة فوجدت تحتها

الرحمة على رياض الأمن فظهر لنا من المسرة نبات حسن فالحمد لله الذى اذهب عنا الحزن بعد فالمعذرة من فهامة هذه الرسالة التى هى فى رياض الادب بأقلية والصفح عن طولها وقصر بلاغتها بين يدى تلك المواقف السحبانية وليكون محمولا على متن الحلم كلامها الموضوع فقد علم الله أنها صدرت من قلب مكسور وفؤاد مصدوع وذهن ضعيف وليس لكسير ضعفه عاصم ولا نافع وراحلة فكر أمست وهى عند سيرها الى غايات المعانى ضالع

فسيروا على سيرى فانى ضعيفكم
وراحلتى بين الرواحل ضالع

(هذا) وكم تولد للملوك فى طريق الرمل من عقله وكم ذاق من قطاع الطريق انكادا حتى ظن أنه لعدم النصرة ليس له إلى الاجتماع وصله وكلما زعق عليه غراب تألم لسهام البين وفقد مصر التى هى نعم الكنانة وأنشد وقد تحير فى الرمل لفراق ذلك التخت الذى أعز الله سلطانه من زعقة الغراب بعد الملتقى

فارقت مصرا وبها أحبابى
وفى طريق الرمل صرت حائرا
مروعا من زعقة الغراب

واستقبل الملوك بعد ذلك بلاد الشام فبئس الحال وبئس الاستقبال من الرحمن ما وصل بها الى مكان الا وجده قد وقعت فيه

غلاما نائما من شدة السكر قد أقبل عليه تنين عظيم قال فلصقت العقرب برأس التنين ولسعته فقتلته ثم رجعت إلى ظهر الضفدع فعبر بها إلى الماء وسار بها إلى المكان الذى جاءت منه قال ذو النون فتعجبت من ذلك وأنشدت :

ياراقدا والجليل يحفظه * من كل سوء يكون فى الظلم
كيف تنام العيون عن ملك * يأتيك منه فوائد النعم

ثم ايقظت الغلام وأخبرته بذلك قال فلما سمع ذلك قال أشهدك على أنى قد تبت على هذه الخصلة ثم جربنا ذلك التنين ورميناه فى البحر ولبس ذلك الغلام مسحا وساح إلى أن مات رحمة الله تعالى عليه وما أحسن ما قال بعضهم

إذا لم يسالمك الزمان فحارب * وباعد إذا لم تنتفع بالأقارب
ولا تحتقر كيد الضعيف فربما * تموت الأفاعى من سموم العقارب
فقد هد قدما عرش بلقيس هدهد * وخرب فأر قبل ذا سد مأرب
إذا كان رأس المال عمرك فاحترز * عليه من التضييع فى غيره واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك * يكر علينا جيشه بالعجائب

(فائدة) إذا لدغ أحد فقرأ عليه هذه الكلمات وهى سلام على نوح فى العالمين وصلى الله على سيدنا محمد فى المرسلين من حاملات السم أجمعين لادابة بين السماء والأرض إلا ربى آخذ بناصيتها كذلك يجزى المحسنين إن ربى على صراط مستقيم نوح قال لكم من ذكرنى لاتلدغوه ان ربى بكل شىء عليم وصلى الله على سيدنا محمد الكريم * وقال بعض العلماء من قال عقدت زبان العقرب ولسان الحية ويد السارق يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله أمن من العقرب والحية والسارق وفى البخارى أن رجلا جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله ماذا لقيت من العقرب لدغتنى البارحة فقال له النبى ﷺ أما أنك لو قلت إذا أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق لم تضرك وروى الترمذى أن من قال حين يمسى أعوذ بكلمات التامات من شر ماخلق ثلاث مرات ثم قال سلام على نوح فى العالمين لم تضره الحية والعقرب والسر فى ذكر نوح دون غيره هو أنه لما ركب فى السفينة سألته الحية والعقرب أن يحملهما معه فشرط عليهما أنهما لايضران من ذكر اسمه بعد ذلك فشرطا ذلك (الخواص) من بخر البيت بزرنيخ أحمر وشحم بقر هربت منه العقارب ومن شرب مثقالين من حب الأترج أبرأه من سمها ومن علق عليه شىء من ورق الزيتون برىء أيضا لوقته (عقعق) طير ذو لونين طويل الذنب قدر الحمامة على شكل الغراب وجناحاه أكبر من جناحى الحمامة وهو لايأوى إلا الأماكن العالية وإذا باض جعل حول بيضه ورق الدلب خوفا عليه من الخفاش لايفسده (الخواص) دمه إذا جعل على قطن وألصق على موضع النصل والشوكة الغائبة فى البدن أخرجه (علق) دود أحمر وأسود يكون بالماء يعلق بالخيل والادمى إذا علقت بك فرش عليها ماء وملحا وإذا علقت بفرس فبخره بوبر الثعلب فانها تنفصل من رائحة دخانه ومن * خواصه ان البيت فاذا بخر به هرب مافيه من البق والبعوض وإذا جفف وسحق وقلع الشعر وطلى به مكانه منع نباته (عنقاء) اختلف فيها فقال بعضهم هو طائر عظيم الخلقة له وجه انسان وفيه من كل حيوان لون وقال بعضهم هو طير غريب الشكل يبيض بيضا كالجبال ويبعد فى طيرانه وسميت بذلك لانه كان فى عنقها طوق أبيض قال القزوينى انها تخطف الفيلة لعظمها وكبر جثتها كما تخطف الحدأة الفأر قال وكانت فى قديم الزمان بين الناس إلى ان خطفت

الواقعة واشتد القتال وحصدوا سنبل الرشاد فدرست فلا أعيد لمعيد حربهم دروس وأداروا رحى الحرب بقلوب كالاحجار فطحنت عند ذلك الرؤس وأنشد لسان الحال

من كل عاد كعاد فى تجبره * من فوق ذات عماد شادها إرم
لايجمعون على غير الحرام إذا * تجمعوا كحباب الراح وانتظموا

وانتهت الغاية بالمملوك إلى انه شلح بقرب الكسوة فى الشتاء وانتظرت ملك الموت وقد أمسيت لى مهجة فى النازعات وعبرة فى المرسلات وفكرة هل أتى (هذا) والليل قد انطفأت مصابيح أنواره وعسعس حتى أيقنت بموت الصبح وقلت لوكان فى قيد الحياة تنفس فذهب المملوك وقد تزود عند قسم الغنيمة بسهم مخرج ولم يجد له تعديلا ولكنه صبر على الألم بعد ما كاد يدمى من الوهم ولم يلق له مجيرا لما قوى ألمه وضعف منه الحيل إلا أنه دخل تحت ذيل الليل فوصل إلى البلاد وقد ود يومه لو تبدل بالأمس ولم يسلم له فى وقعة الحرب غير الفرس والنفس ولكنه أنشد

ماتفعل الأعداء فى جاهل * مايفعل الجاهل فى نفسه

عروسا بحليها فذهب أهلها إلى نبي ذلك الزمان فشكوها اليه فدعا عليها فذهب بها إلى بعض الجزائر التي خلف خط الاستواء وهي جزيرة لا يصل اليها أحد وجعل لها فيها ماتقتات به من السباع كالفيل والكركند وغير ذلك وقال أصحاب التواريخ ان هذا الطير يعمر حتى قيل انه يعيش ألفي سنة ويتزوج إذا مضى عليه خمسمائة (وحكى) الزمخشري في ربيع الابرار ان الله تعالى خلق في زمن موسى عليه الصلاة والسلام طيرا يقال له العنقاء له وجه كوجه الانسان وأربعة أجنحة من كل جانب وخلق له أنثى مثله ثم أوحى الله تعالى إلى موسى اني خلقت خلقا كهيئة الطير وجعلت رزقه الوحوش والطير التي حول بيت المقدس قال فتناسلا وكثر نسلهما توفي موسى عليه الصلاة والسلام انتقلت إلى نجد والعراق فلم تزل تأكل الوحوش وتخطف الصبيان إلى أن تنبأ خالد بن سنان العبسي فشكوها له فدعا عليها فانقطعت وانقطع نسلها وانقرضت (عنكبوت) دويبة لها ثمانية أرجل وستة عيون وهي من الحيوان الذي صيده الذباب وولده يخرج قويا على النسج من غير تعليم ولا تلقين ويخرج أولاده دودا صغيرا ثم يتغير ويصير عنكبوتا وتكمل صورته (فائدة) قيل ان امرأة ولدت جارية ثم قالت للخادم لها اقتبس لنا نارا فخرج فوجد بالباب سائلا فقال له ما ولدت سيدتك فقال بنتا فقال لا تموت حتى تبغي بألف رجل ويتزوجها خادمها ويكون موتها بالعنكبوت فقال الخادم وأنا أصبر لهذه حتى يحصل منها مايحصل فصبر حتى قامت أمها لتقضي بعض شؤونها وعمد إلى البيت فشق بطنها بسكين وهرب قال فجاءت أمها فوجدتها على تلك الحالة فدعت بمن يعالجها حتى شفيت فلما كبرت بغت قال ثم انها سافرت وأتت مدينة على ساحل من سواحل البحر فأقامت هناك تبغي قال وأما الرجل فانه صار من التجار وقدم لتلك المدينة معه مال كثير فقال لامرأة عجوز هناك أخطبي لي امرأة حسنة أتزوج بها قال فوصفتها له وقالت ليس هنا أحسن منها ولكنها تبغي فقال للعجوز ائتني بها قال فذهبت وأخبرتها بالقصة فقالت لها حبا وكرامة فاني قد تبت عن البغي فتزوج الرجل بها وأحبها حبا شديدا وأقام معها أياما وكان يود أن يراها متجردة فلم يمكنه ذلك حتى إذا كان في بعض الأيام خرج على عادته لقضاء أشغاله ودخلت هي الحمام وعرضت له حاجة فرجع إلى الدار وصعد إلى قصرها فلم يراها فسأل عنها فقيل له هي في الحمام فدخل عليها فرآها متجردة ورأى في بطنها أثرا كالخياطة فقال ماهذا قالت له لا أعلم إلا أن أمي أخبرتني أنه كان لنا خادم وانه يوم ولادتي غافل أمي وشق بطني بسكين وهرب وأنها حين رأتني كذلك دعت بعض الأطباء فخاط بطني وعالجني حتى اندمل جرحي وشفيت وبقي هذا الأثر فقال لها أنا ذلك الخادم وحكى لها السبب وان ذلك السائل أخبره انها تموت بالعنكبوت ثم انه اهتم بأمرها وجمع مهندسي البلدة التي هم فيها وسألهم ان يبنوا له بناء ولا ينسج عليه العنكبوت فقالوا كل بناء ينسج عليه الا ان يكون البلور لنعومته لا ينسج عليه فأمران يصنعوا لها قصرا من البلور وبذل لهم ماأرادوا فعملوه وفرشه وأمرها ان تقيم فيه ولا تخرج منه خوفا عليها من العنكبوت قال فبينما هو ذات يوم اذ رأى عنكبوتا قد نسج في ذلك القصر فقام اليه ليرميه وقال لها هذا الذي يكون موتك منه قال فداسته بابهامها وقالت كالمستهزئة أهذا الذي يقتلني فشدخته فتعلق بطرف ابهامها من مائه شيء فعمل بها حتى ورمت ساقها ثم وصل الورم إلى بدنها فقتلها فما أفاده قصره ولا صرحه شيئا قال الله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة (فائدة) نسج العنكبوت على ثلاثة مواضع على غار النبي ﷺ وعلى غار عبدالله بن انيس لما بعثه النبي ﷺ لخالد الهذلي فقتله وحمل رأسه ودخل به في غار خوفا من أهله ونسج على عورة زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم لما صلب عريانا وقيل انها نسجت مرتين على داود حين كان

فأعاذ الله مولانا وبلاده من هذه القيامة القائمة وبدأ به في الدنيا ببراعة الامن وفي الاخرة بحسن الخاتمة (قلت) قد استوعبت هنا تراجم كتاب الانشا ونبذة من فوائدهم ونبذة مما تخيرته من انشائهم وقد تعين أن أذكر بعد ذلك مايحتاج اليه المنشيء الكامل الأدوات من المحاسن اللائقة به والله المستعان (قال أبو حيان التوحيدي) يجب على المنشيء أن يكون حافظا لكتاب الله لينتزع من آياته الشريفة وأن يعرف كثيرا من السنة والاخبار والتواريخ والسير ويحفظ كثيرا من الرسائل والكتب ويكون متناسب الالفاظ متشابه كل المعاني عارفا بما يحتاج اليه ماهرا في نظم الشعر نظيف الثواب لطيف المركب ظريف الغلام ليق الدواة حاد السكين مترددا إلى الناس بخالطهم غير متكبر عليهم دمث الاخلاق رقيق الحواشي ترف الاطراف عذب السجايا حسن المحاضرة مليح النادرة غير قنف ولا متعجرف ولا متكلف الالفاظ الغريبة ولا متعسف اللغة الوحشية (آداب الكتابة) روى الشعبي أنه قال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كتب أولها باسمك اللهم فنزلت سورة هود وفيها بسم الله مجراها ومرساها فكتب بسم الله ثم نزلت سورة بني اسرائيل فيها قل ادعوا

جالوت يطلبه * (الخواص) * نسجها ان وضع على الجراح الطرية يقطع دمها ويجلو الفضة إذا دلكت به والذى يوجد من نسجها فى بيت الخلاء ينفع المحموم إذا تبخر به (ابن عرس) حيوان معروف وهو بأرض مصر كثير ويسمى العرسة وهو عدو للفار وعنده الحيل قيل انه عدا خلف فأر فصعد منه على شجرة فصعد خلفه وأمر انثاه أن تقف تحت الشجرة ثم قطع الغصن الذى كان عليه الفار فسقط فأخذته أنثاه * ومما يحكى عنه أنه يحب الذهب فيسرقه ويلد عليه (عجيبة) قيل ان رجلا صاد فرخا من أولاده وحبسه تحت طاسة فجاء أبوه فوجده فذهب وأتى بدينار فوضعه فلم يفلته ثم ذهب وأتى بآخر ومازال كذلك حتى أتى بخمسة دنانير فلم يفلته ثم أتى بخرقة فلم يفلته فأراد ابن عرس أن يأخذ ما رطله به فلما علم الرجل ذلك فهم أنه لم يبق عنده شىء فأفلته له

(حرف الغين)

(غراب) وكنيته حاتم وله كنى غير ذلك وهو أنواع كثيرة منها الأكحل وغراب الزرع والازرق وهذا النوع يحكى جميع ماسمعه والعرب تتفاءل بصياح الغراب فتقول إذا صاح مرتين فشر وإذا صاح ثلاثة فخير وهو كالانسان عند الجماع وفى طبعه الاستتار عن الناس عند مجامعته والانثى تبيض ثلاثا أو أربعا أو خمسا وتحضن ذلك والأب يسعى فى طعمتها إلى أن تفرخ فاذا فرخت خرجت افراخها قبيحة المنظر فتنفرق منها وتتركها وتغيب فيرسل الله لها البعوض فتتغذى به ثم لا تزال تتعاهدها حتى ينبت لها الريش فيأتيها ومنه قول الحريرى

يا رازق النعاب فى عشه وجابر العظم الكسير المهيض

ومن طبعه انه لا يتعاطى الصيد بل ان وجد رمة أكل منها ويقيم من الأرض ماوجد ويسمى بالفاسق لانه لما أرسله نوح عليه السلام ليكشف عن الماء فوجد فى طريقه رمة فسقط وترك ما أرسل اليه يسمى بالبين لأنه إذا رحل العرب من مكان نزل فيه وزعق فى أثرهم ومن الغرائب ان بين الغراب وبين الذئب الفة وذلك انه إذا رأى الذئب بقر بطن شاة سقط وأكل منها معه والذئب لا يضره (الخواص) إذا غمس الغراب فى الخل ثم جفف وسحق ريشه وطلى به الشعر سوده وإذا علق منقاره على انسان زالت عنه العين وزبل الغراب الابقع ينفع الخوانيق والخنازير طلاء وان صرفى خرقة على من به السعال زال (غرغر) دجاج بنى اسرائيل يقال ان فرقة من بنى اسرائيل كانت بتهامة فطغت وبغت وتجبرت وكفرت فعاقبهم الله تعالى بأن جعل رجالهم القردة وكلابهم الاسود وعنبهم الأراك وجوزهم المقل ودجاجهم الغرغر وهو دجاج الحبشه فلا ينتفع لحمه لرائحته الكريهة وهذا مشاهد فى زماننا هذا الآن على ما نقل والله سبحانه وتعالى اعلم

(حرف الفاء)

(فاختة) طير أغبر من ذوات الاطواق بقدر الحمام لها حسن الصوت يحكى أن الحيات تهرب من صوتها وفى طبعها الانس فمن أجل ذلك تتخذ بيتها فى البيوت وهى منها الحيوان الذى يعمر وقد ظهر منها ما عاش خمسا وعشرين سنة (الخواص) دمها ينفع من الآثار فى العين من ضربة أو قرحة إذا قطر فيها (فأرة) وكنيتها أم خراب وغير ذلك وتسمى بالفويسقة وذلك أن النبى ﷺ انتبه ليلة فوجدها قد جذبت الفتيلة وأحرقت طرف سجادته فقتلها وأمر بقتلها وهى التى قطعت حبل سفينة نوح وأذاها لا يكاد ينحصر ومنه أنها تأتى إلى اناء الزيت فتشرب منه فاذا نقص صارت تشرب بذنبها فاذا لم تصل اليه ذهبت وأتت فى فيها بماء وأفرغته فيه حتى يعلوها الزيت فتشرب به وربما وضعت فيه حجرا فكسرته ويقال انها من بقايا الممسوخين الذين كانوا يهودا ومن

الله أو أدعو الرحمن فكتب بسم الله الرحمن ثم نزلت سورة النمل وفيها انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فكتبها (وروى) ان فصل الخطاب الذى أعطيه داود عليه السلام أما بعد (وروى) أن أول من قالها كعب بن لؤى وهو أول من سمى يوم الجمعة (وعن) جابر ابن عبدالله عن النبى ﷺ انه قال اذا كتب أحدكم كتابا فليتربه فان التراب مبارك وهو أنجح (وروى) عنه عليه الصلاة والسلام انه كتب كتابا بين الى قريتين فاترب أحدهما ولم يترب الآخر فاسلمت القرية التى أترب كتابها (وقال الحسن بن وهب) كاتب رئيسك بما يستوجب وكاتب صديقك بما تكاتب به حبيبك فان غزل المودة أرق من غزل الصبابة (ورأيت) فى تذكرة الوداعى ان القاضى تاج الدين ابن بنت الأعز كان اذا كتب كتابا بدأ فى ترسله بالبسملة لتعم بركتها سائر الكتاب ورمله ويخزن ذلك الرمل ويحترز عليه (وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما)فى قوله تعالى انى ألقى الى كتاب كريم قال مختوم وفض الكتاب اذا كسر ختمه والعنوان فيه خمس لغات أفصحها عنوان وجمعه عناوين وعلوان وعلاوين والعنوان الاثر

أراد أن يعلم ذلك فليضع لها لبن ناقة في اناء فان لم تشربه فهي منهم (الخواص) عينه تشد على الماشي يسهل تعبه وإذا بخر البيت يزيل الذئب أوالكلب ذهب منه الفار (فرس البحر) حيوان غليظ أفطس الوجه ناصيته كالفرس ورجلاه كالبقر وذنبه قصير يشبه ذنب الخنزير وجلده يوجد بالنيل ووجهه أوسع من وجه الفرس تصعد البر وترعى الزرع وربما قتل الإنسان وغير (فهد) حيوان شرس الأخلاق قال ارسطوهو متولد من الأسد والنمر وفي طبعه مشابهة بطبع الكلب ونومه ثقيل وفي طبعه الحنو على اثناه وقيل أول من صاد به كليب بن وائل وأول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية وأكثر من اشتهر باللعب به أبو مسلم الخراساني (فيل) حيوان يوجد بأرض الهند وكنيته أبو الحجاج والأنثى أم سبل وهو ينزو على أنثاه إذا بلغ من العمر خمس سنين وتحمل أنثاه سنتين ثم تضع ولا يقربها الذكر في مدة حملها ولا بعده بثلاث سنين ولا يلقح الا ببلاده وإذا أرادت الوضع دخلت النهر لأن رجليها لا ينثنيان فتخاف عليه والذكر يحرسها خوفا على ولده من الحيات فانها تأكله وهو عند شدة غلمته كالجمل ويهيج في زمن الربيع وزعم أهل الهند أن لسانه مقلوب ولولا ذلك لكان يتكلم لشدة ذكائه وقيل إن ثدييه في صدره كالإنسان وهو أضخم الحيوان وأعظمه جرما وما ظنك بخلق ربما كان نابه أكثر من ثمانمائة من وهو مع ذلك أملح وأظرف من كل نحيف الجسم رشيق وربما مر الفيل مع عظم بدنه خلف القاعدة فلا يشعر برجله ولا يحس بمروره لخفة همسه واحتمال بعض جسده لبعض وأهل الهند يزعمون أن أنياب الفيل قرناه يخرجان مستبطنين حتى يخرقان وخرطوم الفيل أنفه ويده وبه يتناول الطعام إلى جوفه وبه يقاتل وبه يصيح وصياحه ليس في مقدار جرمه وقيل ان الفيل جيد السباحة وإذا سبح رفع خرطومه كما يغيب الجاموس جميع بدنه الا منخريه ويقوم خرطومه مقام عنقه والخرق الذي في خرطومه لا ينفذ وانما هو وعاء إذا ملأه من طعام أوماء أولجه في فيه لأنه قصير العنق لا ينال ماء ولا مرعى وأهل الهند تحمله في القتال وهو أيضا يقاتل مع جنسه فمن غلب دخلوا تحت أمره وقيل جعل الله في طبع الفيل الهرب من السنور (حكى) عن هرون مولى الأزد أنه خبأ معه هرا ومضى بسيف إلى الفيل فلما دنا منه رمى بالهر في وجهه فأدبر هاربا وكبر المسلمون وظنوا أنه هرب منه قال أبو الشمقمق

ياقوم انى رأيت الفيل بعدكم	تبارك الله لى فى رؤية الفيل
رأيت بيتا له شيء يحركه	فكدت أفعل شيئا فى السراويل

وقيل إذا اغتم الفيل لم يكن لسواسه هم الا الهرب بانفسهم ويتركونه ٥ ومن عجيب أمره ان سوطه الذي به يحث ويضرب محجن حديد أحد طرفيه في جبهته والاخر في يد راكبه فاذا أراد شيئا غمزه به في لحمه وأول شيء يؤدبون به الفيل يعلمونه السجود للملك (قيل) خرج كسرى أبرويز لبعض الاعياد وقد صفوا له ألف فيل وأحدق به ثلاثون ألف فارس فلما رأته الفيلة سجدت له فما رفعت رؤسها حتى جذبت بالمحاجن وراضتها الفيالون وتزعم أهل الهند أن جبهة الفيل تعرق كل عام عرقا غليظا سائلا أطيب من رائحة المسك ولا يعرض ذلك العرق الا في بلادها خاصة وان عظام الفيل كلها عاج الا أن جوهر نابه أكرم وأثمن ولولا شرف العاج وقدره لما فخر الاحنف بن قيس على أهل الكوفة في قوله نحن أكثر منكم عاجا وساجا وديباجا وخراجا وقيل ان الفيلة لا تتناسل في غير بلادها (فائدة) من قرأ سورة الفيل الف مرة في كل يوم عشرة أيام متوالية ثم جلس على ماء جار وقال اللهم انت الحاضر المحيط بمكنونات الضمائر اللهم عز الظالم

له ثم إلا إذا برى وإلا فهو أنبوبة (ومن بديع مماسمعته في وصف القلم من النظم) قول الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين علي بن الامدى منقول من خط الوداعي

تمشي اليراعة والمداد وراءها
ظل على شمس الطروس ينوع
عوض الغواني لو تلوح لمسلم
هذي المعاني راح وهو صريع
لولم تكن الفاظه خطية
ماراح سرب اللفظ وهو منيع
الفاظه رقت بوجنة طرسه
فكأنهن وقد جرين دموع
قلم مسيحي الخطاب لنطقه
في المهد من يمناه وهو رضيع
وغدا كليما وقد ضاهى العصا
فغدا يروق بفمه ويروع
بالنقط حاكته الشموع وبالضيا
حاكته في حلك المداد شموع
قد لازم القرطاس وهو منور
والطل يهوى الروض وهو مريع
هذا يضيء به وذاك يضوع
نور ونور خطه وكلامه

وقل للناصر وأنت المطلع العالم اللهم ان فلانا ظلمني وأساءني ولا يشهد بذلك غيرك أنت مالكه فأهلكه اللهم سربله سربال الهوان وقمصه قميص الردى اللهم اقصفه ست مرات اللهم اخفضه مرتين فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق فان الله يستجيب له مالم يكن ظالما (الخواص) جلده إذا بخر به بيت هرب بقه وإذا سقى انسان من وسخ أذنه نام نومة طويلة وإذا علق من نابه شيء على شجرة لم تثمر وإذا عمل من جلده ترس يكون أصلب من كل ترس

(حرف القاف)

(قاقم) دويبة تشبه السنجاب الا أنه أبرد منه مزاجا وهو أبيض يقق وجلده أعز قيمة من السنجاب (قاوند) طير يكون بساحل البحر يبيض فى الرمل ويحضن بيضه سبعة أيام ثم تخرج أفراخه بعد ذلك فيزقها بعد سبعة أيام ويقال ما يمسك الله البحر فى هيجانه عن يفيض على الساحل الا اكراما له لأنه يقال انه يبر والديه (خواصه) انه يقيم المقعد ويحلل البلاغم المزمنة وينفع الأمراض الباردة وأوجاع الاعصاب (قرد) حيوان معروف وكنيته أبو خالد وغير ذلك وهو قبيح المنظر مليح الذكاء سريع الفهم يتعلم الصنائع قيل انه أهدى للمتوكل قرد خياط وآخر صائغ وأهل اليمن يعلمون القردة البيع والجلوس فى الدكاكين حتى قيل انه يخرز النعل ويصر القرطاس وهو ذو غيرة وعنده لواط حتى قيل انه يعدو خلف المليح من شدة المحبة والتفت ابن الرومى يوما إلى أبي الحسن الاخفش وهو يحاكى مشية القرد فقال

هنيئا يا أبا الحسن المفدى بلغت من الفضائل كل غايه
شركت القرد فى قبح وسخف وما قصرت عنه فى الحكايه

(قنفذ) بالذال المعجمة وكنيته أبو سفيان ومن عجيب أمره أنه يصعد الكرم فيرمى العنقود ثم ينزل فيأكل منه ماأطاق فان كان له أفراخ تمرغ فى الباقى فيتعلق بشوكه فيذهب به إلى أولاده وهو مولع بأكل الافاعى فاذا لدغته لايؤثر فيه سمها لدفع ذلك بشوكه وإذا تأذى منها ذهب فأكل السعتر البرى فيزول أذاها وهو من الحيوان الذى يفسد مباطنة كالرجل وله خمسة أرجل

(حرف الكاف)

(كركندى) حيوان يوجد ببلاد الهند والنوبة وهو دون الجاموس وله قرن واحد عظيم لا يستطيع رفع رأسه منه لثقله وهو مصمت قوى يقاتل به الفيل فيغلبه ولا تحمل نابا شيئا معه وعرض قرنه شبران وليس بطويل جدا وهو محدد الرأس شديد الملاسة وإذا نشر قرنه ظهرت فى معاطفه صور عجيبة كالطواويس والغزلان وأنواع الطير والشجر وبنى آدم ولذلك يتخذ منه صفائح الاسرة والمناطق للملوك ويتغالون فى ثمنها بحيث تبلغ المنطقة أربعة آلاف أو أكثر والأنثى تحمل ثلاث سنين ويخرج ولدها نابت الاسنان والقرون قوى الحافر ويقال انها إذا قاربت الوضع أخرج الولد رأسه من بطنها وصار يرعى أطراف الشجر فاذا شبع أدخل رأسه فى بطن أمه ويزعم أهل الهند انه إذا كان ببلاد لم يدع فيها من الحيوان شيئا حتى يكون بينها وبينه مائة فرسخ من جميع الجهات هيبة له وهربا منه ويسمى الحمار الهندى وهو شديد العداوة للانسان يتبعه إذا سمع صوته فيقتله ولا يأكل منه شيئا (كروان) طير معروف لا ينام غالب الليل خصوصا فى القمر وعنده ذكاء قيل انه تتكلم بجميع ما يبصره ولا يحتمل المقابنه (كركى) طير محبوب للملوك وله مشتى ومصيف فمشتاه بأرض مصر ومصيفه بأرض العراق وهو من الحيوان الرئيس قيل انه إذا نزل بمكان اجتمع حلقة ونام وقام عليه واحد يحرسه وهو يصوت تصويتا لطيفا حتى

(وقال فيه وأجاد إلى الغاية) تجاه ذو طرف كحيل إذا بكى تبسم ثغر الخط من دمعه عجبا وقد راج مشقوق اللسان متى جرى بثغر الدوى المعسول أبدى اللمى العذبا

(وقلت من قصيدة رائية)
له يراع سعيد فى تقلبه ان خط خطا أطاعته المقادير
يجرى وبتحرير العلوم إذا جرى يرى منه تحرير وتحبير
غصن عليه طيور العلم عاكفة جانس النور من أوراقه النور
واشقر بده البيضاء غرته له إلى الرزق فوق الطرس تيسير
بل أسمر عينه السوداء ملحظنا وهدب اجفانها تلك الشعاعير
أو سهم علم باطراف السطور غدا مريشا وله فى الضد تأثير
كذا محابره سود العيون فان دانت أياديه فهى الاعين الحور

(ويعجبنى قول الشيخ شمس الدين المزنى فى الدواة
أنا دواة يضحك الجود من بكا يراعى جل من قد براه
دلوا على مثلى من شفه داء من الفقر فانى دواه وقلت فيما يكتب على دواة فولاذ) كنانة الفضل دواتى ولما

سهم يراعى نصله نفاذ وأسمر الخط لديها قاصر لأنها على الخصم فولاذ

بفهم أنه يقظان فاذا تمت نوبته أيقظ غيره لنوبته قال القزويني وإذا مشى وطىء الأرض باحدى رجليه وبالاخرى قليلا خوفا من أن يحس به وإذا طار سار سطرا يقدمه واحد كهيئة الدليل ثم تتبعه البقية (كلب) معروف وهو نوعان أهلي وسلوقي وهذان النوعان سواء إلا أن أنثى السلوقي أسرع في التعليم من ذكره وهذا الحيوان حليم وعنده رياضة وفي طبعه اكرام الاجلاء من الناس (حكى) أن رجلا عزم جماعة فتخلف شخص منهم في منزله ودخل على زوجة صاحب المنزل فضاجعها فوثب الكلب عليهما فقتلهما فرجع صاحب المنزل فوجدهما قتيلين فأنشد يقول

وما زال يرعى ذمتي ويحوطني ... ويحفظ عهدي والخليل يخون
فواعجبا للخل يهتك حرمتي ... وواعجبا للكلب كيف يصون

(وحكى) أبو عبيدة قال خرج رجل إلى الجبانة ومعه أخوه وجاره لينظروا إلى الناس فتبعه كلب له فضربه ورماه بحجر فلم ينثنه ولم يرجع فلما قعد ربض الكلب بين يديه فجاء عدو له في طلبه فلما رآه خاف على نفسه فاذا بئر هناك قريبة القعر فنزل فيها وامر أخاه وجاره أن يهيلا عليه التراب ثم ذهب أخوه وجاره إلى سبيلهما وصار الكلب ينبح حوله فلما انصرف العدو أتاه الكلب فما زال يبحث في التراب إلى ان كشفه عن رأسه فتنفس الرجل ومر به اناس فتناولوه وردوه إلى أهله فلما مات ذلك الكلب عمل له قبرا ودفنه فيه وجعل عليه قبة وسمي ذلك قبر الكلب وفي ذلك قيل

تفرق عنه جاره وشقيقه ... وما حاد عنه كلبه وهو ضاربه

(ومن ذلك) ما حكى أن رجلا قتل ودفن وكان معه كلب فصار يأتي كل يوم إلى موضع الذي دفن فيه وينبح وينبش ويتعلق برجل هناك فقال الناس ان لهذا الكلب شأنا فكشفوا عن ذلك وحفروا ذلك الموضع فوجدوا قتيلا فقبضوا على ذلك الرجل الذي ينبح عليه الكلب وضربوه فأقر بقتله فقتل وهو من الحيوان الذي يعرف الحسنة وقيل ان الانثى تحيض في كل شهر سبعة أيام وأكثر ما تضع اثنا عشر جروا وذلك في النادر والغالب خمسة أو ستة وربما ولدت واحدا يعيش الكلب في الغالب عشر سنين وربما بلغ عشرين سنة ووصف للمتوكل كلب بأرمينية يفترس الاسد فارسل من جاء به اليه فجوع أسدا وأطلقه عليه فتهارشا وتواثبا حتى وقعا ميتين وقيل كلب الصياد يشبه به الفقير المجاور للغني لأنه يرى من نعمته وبؤس نفسه ما يفتت كبده وقيل لرجل ما بال الكلب يرفع رجله إذا بال قال يخاف أن يلوث ذراعيه قيل أو للكلب ذراعان قال هو يتوهم ذلك (فائدة) حكى ان الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه سمع شخصا من وراء النهر يروي أحاديث مثلثة فسار اليه ودخل عليه فوجده يطعم كلبا وهو مشتغل به قال الامام أحمد فأخذت في نفسي وأضمرت أن أرجع إذا لم يلتفت الرجل إلى ثم قال حدثني أبو الزناد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة فلم يلج الجنة وان أرضنا هذه ليست بأرض كلاب وقد قصدني هذا الكلب فخشيت ان أقطع رجاءه قال فقال الامام أحمد رحمه الله هذا الحديث يكفيني ثم رجع قافلا إلى أهله (فائدة أخرى) قال الترمذي لما أهبط الله تعالى آدم إلى الأرض سلط عليه ابليس السباع وكان أشدها الكلب قال فنزل عليه جبريل عليه السلام وأمره أن يضع عليه ففعل واطمأن اليه وألفه وصار يحرسه وبقيت الألفة فيه لأولاده إلى يوم القيامة وقيل ان أول من اتخذ الكلب بعد آدم نوح عليهما الصلاة والسلام

(قلت) ويتعين يهد وصف اقلام المنشئين والدواة وصف السكين فانهم أنشأوا في وصف السيف والقلم وما ألموا بها وهي أحق بذلك من غيرها لقربها من القلم وقد تقدم ان اباطاهر كمال الدين اسمعيل بن عبد الرزاق الاصفهاني انفرد برسالة القوس والشيخ جمال الدين بن نباته انفرد برسالة السيف والقلم وقد انفردت برسالة السكين (وهي) يقبل الأرض التي قامت حدود مكارمها وقطعت عنا مكروه الفقر بمسنون عزائمها وينهي وصول السكين التي قطع بها اوصال الجفا واضافها إلى الأدوية فحصل بها البرء والشفا وتالله ما غابت الابلغ الاقلام من تعثرها إلى الجفا زرقاء وكم شاهدت منها البيض الوان خرساء ومن العجائب أن لها لسانا لكل عنوان ماشاهدها موسى الاسجد في محراب النصاب وذل بعدما خضعت له الرؤس والرقاب كم أيقظت طرف القلم بعد ما خط وهل الحقيقة ما رؤى مثلها قط وكم وجد بها الصاحب في المضايق نفعا وحكم بصدق محبتها قطعا ماضيه العزم قاطعة السن فيها حدة الشباب من وجهين لانها بالنابه والنصاب مجلة من الطرفين أنملة صبح تقمصت بسواد الدجى ولسان برق امتد في لهواهد الليل فتشكى

وذلك لأن قومه كانوا يعمدون بالليل فيفسدون ماصنعه فى السفينة بالنهار فأمره الله أن يتخذ كلبا حارسا
فعمل قال فكان الكلب إذا أتاه مفسد قام عليه فينيقظ نوح عليه الصلاة والسلام فيدفعه (فائدة
أخرى) قيل كان كلب أهل الكهف أسمر واسمه قطمير وقيل أصفر وقيل خلنجى اللون وليس فى
الحيوان ما يدخل الجنة إلا هو وكبش اسماعيل وناقة صالح وحمار العزير وبراق النبى ﷺ
(فائدة أخرى) إذا نبح عليكم كلب وخفت منه فاقرأ يامعاشر الجن والإنس ان استطعتم أن تنفذوا
من أقطار السموات والأرض فانفذوا لاتنفذون إلا بسلطان وقل بعد ذلك لا إله إلا الله فانك تكفاه

(حرف اللام)

(ابلغ) طير معروف قيل انه من طيور الفواخت ويأتى إلى أرض مصر فى أيام الشتاء فيأكل
ماقسم الله له من الرزق ويأكل منه له فيه وزق ثم يرحل إلى بلاده

(حرف الميم)

(مالك الحزين) طير يوجد بالضحضاح غذاؤه السمك وسمى بذلك لأنه قيل انه لايشرب حتى
يروى خوفا من أن ينقص الماء وإذا نشف الضحضاح حزن لأنه لايستطيع العوم ونظيره ذويبة
بأرض فارس معروفة عندهم يقال ان غذاءها التراب فاذا أكلت لا تشبع خوفا من أن يفرغ

(حرف النون)

(نمل) قال عليه الصلاة والسلام ألا تنظرون إلى صغير من خلق الله كيف أحكم خلقه وأتقن
تركيبه وفلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشر انظروا إلى النملة فى صغر جثتها ولطافة هيئتها
لا تكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر كيف دبت على الأرض وسعت فى مناكبها وطلبت
رزقها تنقل الحبة إلى جحرها تجمع فى حرها لبردها فى وردها لصدرها لايغفل عنها المنان ولايحرمها
الديان ولو فكرت فى مجارى أكلها فى علوها وسفلها وما فى الجوف من شراسيف بطنها وما فى رأس
من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجبا ولقيت من وصفها تعبا فتعالى الذى أقامها على قوائمها
وبناها على دعائمها لم يشركه فى فطرتها فاطر ولم يعنه على خلقها قادر لا إله إلا هو ولامعبود سواه
وقيل إذا خافت على حبها أن يعفن أخرجته إلى ظهر الأرض ليجف وقيل انها تفلق الحبة نصفين
خوفا من أن تنبت فتفسد إلا الكزبرة فانها تفلقها أربعا لأنها من دون الحب ينبت نصفها وليس كل
أرباب الفلاحة يعرف هذا فسبحان من ألهمها ذلك وقيل انها تشم رائحة الشىء من بعيد ولو وضعته
على انفك لم تجد له رائحة وإذا عجزت عن حمل شىء استعانت برفقتها فيحملونه جميعا إلى باب جحرها
وقيل إذا انفتح باب قرية النمل فجعلت فيه زرنيخا أو كبريتا هجرتها والله أعلم (نحل) حيوان ليس
له نظر فى العواقب وله معرفة بفصول السنة وأوقاتها وأوقات المطر وفى طبعه الطاعة لأميره والانقياد
له ومن شأنه فى تدبير معاشه أنه يبنى له بيتا من الشمع شكلا مسدسا لايوجد فيه اختلاف كالقطعة
الواحدة وإذا طار ارتفع فى الهواء وحط على الاماكن النظيفة واكل نوار الزهر والاشيا. الحلوة
وشرب من الماء الصافى وأتى فاخرج ذلك فأول مايخرج الشمع ليكون كالوعاء ثم العسل وقيل انه
يقسم الأعمال فبعضه يعمل البيوت وبعضه يعمل الشمع وبعضه يعمل العسل وفى طبعه النظافة
فيجعل رجيعه خارج الخلية ومامات منه أخرجه ورماه وعنده الطرب فيحب الأصوات اللذيذة وله
آفات تقطعه كالظلمة والغيم والريح والمطر والدخان والنار وكذلك المؤمن له آفات تقطعه منها ظلمة
الغفلة وغيم الشك وريح الفتنة ودخان الحرام ونار الهوى (فائدة) قيل مرض شخص فقال
التوقى اه وعسل فأتوه بذلك فخلطا الجميع وشربه فشفى ه وروى أن شخصا شكا للنبى ﷺ بطن
أخيه

آشمة الانجم حتى ماعرف منها سهيل هذا وتقطيعها موزن إذا لم يتجاوز فى عروض ضربها الحد ومعلوم
أن السيف والرمح يعرفا
غير الجدر والمدن أجلنا
تدخل فى مضايق
لبس لسيف قطفيها مدخل
وكنيا تفعله توجزه
والرمح فى تعقيده يطول
أن هجمت بحفنها كانت
أمضى من الطيف وكم لها
من خاصة جارت بها الحد
على السيف تنسى حلاوة
المسالى فلا يظهر لطوله
طائل وتغنى عن آلة الحرب
بايقاع ضربها الداخل
ان مرت بشكلها المحلى
تركت المعادن عاطلة ولم
يسمع للحديد فى هذه
الواقعة مجادلة شهد الرمح
بعدالته انها أقرب للصواب
وحكم بصحة ذلك قبل ان
يتكامل لها النصاب ماطال
فى رأس القلم شعرة
الاسرحتها باحسان ولا
طالعت كتابا إلا أزالت
غلطه بالكشط من
رأس اللسان تعقد عليها
الخناصر لانها عدة وعدة
وبالله ماوقعت فى قبضة إلا
أطالت لسانها وكانت بحده
ان أدخلت إلى القراب
كانت قد سبقت على الدخول
أو أبرزت من غمده كان
على طلعتها الهلالية قبول
نطرف بأشعتها الباهرة
عين الشمس وباقامتها
الحد حافظت الاقلام على
مواظبة الخمس وكم لها
من عجائب تركت جدول السيف وهو بحر غمده غريق وله سمع بها من قبل

أخيه فأمره بشرب العسل فشربه ثم جاء ثانيا فأمره بشربه ثم جاء فى الثالثة فقال يارسول الله ان بطنه لم يزل فقال رسول الله ﷺ صدق الله وكذب بطن أخيك أسقه عسلا فسقاه الثالثة فشفى (نادرة) قيل ان بعضهم حضر مجلس المنصور فقال بعض الحاضرين المراد من قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس أهل البيت فانهم النحل والشراب القرآن فقال له بعض من حضره من اللطفاء جعل الله طعامك وشرابك مايخرج من بطون بنى هاشم فضحك الحاضرون عليه وأبهته (الخواص) إذا خلط العسل الخالص بمسك خالص واكتحل به نفع من نزول الماء فى العين والتلطخ به يقتل القمل ولبقه علاج لعضة الكلب والمطبوخ منه نافع للمسموم (نسر) هو سيد الطيور ويعمر طويلا قيل انه يعيش الف سنة وله قوة على الطيران حتى قيل انه يقطع من المشرق إلى المغرب فى يوم وجثته عظيمة حتى قيل انه يحمل أولاد الفيلة وله قوة حاسة الشم حتى قيل انه يشم رائحة الجيفة من مسيرة أربعمائة فرسخ وإذا سقط على جيفة تباعدت عنها الطيور هيبة له حتى يفرغ من الأكل وعنده شره قيل انه يأكل حتى يضعف عن الحركة بحيث ان اضعف الناس لو أراد مساكه فى تلك الحالة أمسكه وإذا باض ذهب وأتى بورق الدلب فجعله فى عشه خوفا من الخفاش أن يفسد بيضه وهو لايحضن البيض وإنما يبيض فى الاماكن العالية ويبقيه فى الشمس فتكون حرارتها له بمنزلة الحضن ومن طبعه أنه لو شم الطيب مات وعنده الحزن على فراقة الفه حتى قيل انه ليموت كمدا ويقال للانثى منه أم قشعم وفى الحديث أتانى جبريل عليه الصلاة والسلام فقال يامحمد لكل شىء سيد فسيد البشر آدم وسيد ولد آدم أنت وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبش بلال وسيد الطيور النسر وسيد الشهور رمضان وسيد الأيام الجمعة وسيد الكلام العربى وسيد العربى القرآن وسيد القرآن سورة البقرة (الخواص) إذا أخذ قلب النسر وجعل فى جلد ذئب وعلق على شخص كان مهابا عند الناس مقضى الحاجة وإذا عسر على المرأة الوضع جعل تحتها من ريشه يسهل وضعها * (نعام) * يذكر ويؤنث وتسمى الانثى بأم البيض والذكر بالظليم ومن عجيب أمرها أنها تبيض بيضا طوالا متساوية القدر وتجعلها أثلاثا ثلثا للحضن وثلثا تأكله فى حضنها وثلثا تكسره وتفتحه فيتعفن ويدود فيكون منه غذاء أولادها وعندها الحمق يقال انها تخرج من حضنها فتجد بيض غيرها فتحضنه وتترك بيض نفسها (فائدة) روى كعب الاحبار رضى الله تعالى عنه ان الله تعالى لما خلق القمح وأنزله على آدم كان على قدر بيض النعام وقال له هذا رزقك ورزق أولادك قم فاحرث وازرع قال ولم يزل الحب على ذلك مدة ثم نزل الى بيض الدجاجة ثم الحمامة ثم النبق وكان فى زمن العزيز على قدر الحمص وقيل كل حيوان إذا كسرت رجله مشى بالأخرى الا النعام فانه يبرك الى أن يموت وخلق الله تعالى له قوة الشم البليغ حتى قيل انه يشم رائحة القناص من مسيرة نصف ميل وهى لاتشرب الماء كالضب ويقال ان القناص إذا أدركها أدخلت رأسها فى شىء اما شعب أو حجر تظن أنها قد استترت منه ولها معدة قوية تقطع الحديد والصوان والجمر وفى طبعها الأذى يقال انها تخطف الحلق من أذن الصغير وقيل ان الذئب لايتعرض لبيض النعام وأفراخه مادام الابوان حاضرين لانهما إذا رأياه ركضه الذكر الى أن يسلمه الى الانثى فتركضه الى أن تسلمه إلى الذكر ولا يزالان به حتى يقتلاه أو يعجزهما هربا وقيل أشد مايكون عدوها إذا استقبلت الريح وتقول العرب صنفان من الحيوان أصمان لايسمعان النعام والافاعى وسأل أبو عمرو الشيبانى بعض العرب عن الظليم هل يسمع فقال يعرف بعينيه وأنفه ولا يحتاج معهما الى سمع (نمر) حيوان أغبر وكنيته أبو الصعب وهو صنفان صنف عظيم الجثة صغير

ضربة ماحل التطريق فلو عاصرها الكمال تعرك من قوسه الادنين وقال له جحدت رسالتك ياذا القرنين فان جذبت الى مقاومتها كانت لك يد تمتد وصلت السكين منك العظم وصار عليك قطع وانبى امرك الى ذا الحد وهل تعاند السكين صورة. ليس لها من تركيب العظم الا ماحلت ظهورها أو الحوايا أوما اختلط بعظم ولو لحمها الفاضل تحقق قوله ان خاطر سكينة كل أو أدركها ابن نباتة ماأقر برسالة السيف وقل وقال لقلم رسالته اطلق لسانك بشكر مواليك وأخلص الطاعة لباريك ولم يقصد المملوك الايجاز فى رسالة السكين ونظمها الا لتكون مختصرة لحجمها لازالت صدقات مهديها تتحف بما يذبح بحر فقرى وتأتى فى كل وقت بما يبرىء من داء الاحتياج ويبرى (قلت وعلى ماوقع من الغريب فى رسالة السكين) يتعين أن توردما وقع من غريب النظام فى السيف فان الشيخ جمال الدين ابن نباتة ذكر من نثره فى رسالة السيف بدائع ولكنها مشهورة لتنقيب الناس عنها والاقتباس منها (قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه) لعمرو بن معد يكرب كيف تقول فى الرمح قال أخوك وربما خانك فانقصت قال فالترس قال هو المجن وعليه تدور الدوائر قال فالنبل قال منه مايخطىء وما يصيب قال فما تقول

فى الدرع قال مثقلة للراجل مشغلة للفارس وانها حصن حصين قال فما تقول فى السيف قال لا أم لك

الذنب والآخر بالعكس قال الجاحظ وهو يحب الشراب وعنده شراسة فى خلقه ويقال ان أنثاه لاتلد ولدها إلا مطوقا بحية ولا يضره نهشها وذلك لأجل الصياد حتى لايظفر به وإذا مرض أكل الفأر فيبرأ وفى طبعه عداوة الأسد وعنده شرف فى نفسه يقال انه لايأكل جيفة ولا يأكل من صيد غيره ولا يملك نفسه عند الغضب وأدنى وثبته عشرون ذراعا وأكثرها أربعون (الخواص) من حمل من جلده شيئا صار مهابا عند الناس ومن كان به بواسير فجلس على جلده زالت بواسيره.

* (حرف الهاء) *

* (هدهد) طير معروف وهو من رسل سليمان عليه الصلاة والسلام وعنده حدة البصر حتى قيل انه يرى الماء تحت الأرض وسبب غيابه عن خدمة سليمان عليه الصلاة والسلام حين سأل عنه ولم يجده هو أن هدهدا من سبأ أخبره أن عرش بلقيس صفته كذا وكذا فذهب لينظره فدخلت الشمس مكانه فرآها سليمان عليه الصلاة والسلام فتفقده وطلبه فلما حضر قال يانبي الله انى رأيت كيت وكيت وقص عليه القصة ويقال انه قال لسليمان عليه الصلاة والسلام لما أراد تعذيبه يانبي الله اذكر وقوفك بين يدى الله تعالى فارتعد سليمان من هذا الكلام وأطلقه (الخواص) إذا بخر البيت بريشه طرد الهوام عنه وعينه إذا علقت على صاحب النسيان ذكر مانسيه وريشه إذا حمله انسان وخاصم غلب خصمه وقضيت حاجته وظفر بما يريد ولحمه إذا أكل مطبوخا نفع من القولنج وان بخر بمخه برج حمام لم يقربه شىء يؤذيه ومن علق عليه لحية الاسفل أحبه الناس والله سبحانه وتعالى أعلم

* (حرف الواو) *

* (ورشان) * طير يتولد بين الحمام والفاختة وهو حسن شديد الحنو يقال انه يكاد يقتل نفسه إذا أمسك القناص أولاده من شدة حنوه وقال بعضهم انه يقول فى صياحه لدوا للموت وابنوا للخراب والهدهد إذا نزل القضاء عمى البصر والفاختة تقول ليت هذا الخلق ماخلقوا وليتهم اذا خلقوا علموا لماذا خلقوا وليتهم عملوا لما علموا والخطاب يقول قدموا خيرا تجدوه عند ربكم والحمامة تقول سبحان ربى الأعلى والبازى يقول سبحان ربى وبحمده والسرطان يقول سبحان المذكور بكل لسان والدراج يقول الرحمن على العرش استوى والعقاب يقول البعد عن الناس رحمة ومن الطيور من يقرأ الفاتحة كالدرة ويمد صوته فى الضالين كالقارىء

(حرف الياء)

(يأجوج ومأجوج) سموا بذلك لكثرتهم وقيل بل هو اسم أعجمى غير مشتق قال مقاتل هم ولد يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام وقول من قال ان آدم نام فاحتلم فالتصق منيه بالتراب فتولد من هذا الحيوان مردود بعدم احتلام الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفى الحديث يأجوج ومأجوج أمة عظيمة لايموت أحدهم حتى يرى من صلبه ألف نسمة انتهى وهم أصناف منهم ماطوله عشرون ذراعا وما طوله ذراع وأقل وأكثر وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أن لهم مخالب الطير وأنياب السباع وتداعى الحمام وتسافد البهائم ولهم شعور تقيهم الحر والبرد وإذا مشوا فى الارض كان أولهم بالشام وآخرهم بخراسان يشربون مياه المشرق الى بحيرة طبرية ويمنعهم الله تعالى من دخول مكة والمدينة وبيت المقدس ويأكلون كل شىء يمرون به ومن مات منهم اكلوه ويقال أن صنفا منهم له أذنان احداهما صلدة والأخرى وبرة فهو يلتحف باحداهما ويفترش الأخرى وفى الحديث انه عليه الصلاة والسلام سئل هل بلغهم الدعوة فقال عليه الصلاة والسلام دعوتهم ليلة أسرى بى فلم يجيبوا فهم خلق النار وفى الحديث أيضا أن الله عز وجل إذا كان

يا أمير المؤمنين فعلاه عمر بالدرة وقال لم تقول لا أم لك قال الحمى أضرعتنى يا أمير المؤمنين (الشريف البياضى)

وأنا إذا الأرواح ذابت مخافة ... فتحنا بأشطان الرماح ركابها

متى ما أردنا أن يذاق حديدنا ... خلقنا بحد المشرفية أفواها

* (وقال أبو العلاء المعرى) *

غراراه لسانا مشرفى ... يقول غرائب الموت ارتجالا

وديت فوقه حمر المنايا ... ولكن بعدما مسخت نمالا

يذيب الرعب منه كل غضب ... فلولا الغمد يمسكه لسالا

* (وقال النامى) *

ذو مدمع من غير ماء مستعبر ... وتبسم من ثغرة متوالى

يريك من لألائه متواقدا ... حتف المنون به على الآجال

* (وقال الغنوى) *

كأن على افرنده موج لجة ... تقاطر فى حافاته وتجول

حسام غداة الروع حتى كأنه ... من الله فى قبض النفوس رسول

(وقال وحيد الدين بن الذروى) *

فتقت بأجساد الأسود لواحظا ... بعثه للمنايا عن عيون الثعالب

وانطلقت أفواها الى قمم العدا

يوم القيامة قال آدم أرسل بعث النار فيقول يارب وما بعث النار فيقول الله تعالى من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون للنار وواحد للجنة قال فاشتد الامر على المسلمين فقال رسول الله ﷺ ابشروا فان من يأجوج ومأجوج الفا ومنكم واحدا وفى الحديث أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فأخبره بالردم فقال صفه فقال يارسول الله انطلقت إلى أرض ليس لأهلها الا الحديد يعملونه فدخلت فى بيت فلما كان وقت الغروب سمعت ضجة عظيمة أفزعتنى فارتعدت منها قال فقال صاحب البيت لا بأس عليك ان هذه الضجة أصوات قوم يذهبون هذه الساعة من خلف الردم أتريد أن تنظر اليه فاذا لبنه مثل الصخرة ومساميره مثل جذوع النخل كأنه من حديد كأنه البرد المحبر فقال رسول الله ﷺ من سر أن ينظر إلى من رأى الردم فلينظر هذا الرجل قال المفسرون وهذا هو السد الذى بناه ذو القرنين وهذه الأمة خلفه تطلب المجىء إلى هذه الجهة تنقبه كل يوم فيعيده الله كما كان إلى أن يقضى الله أمره ثم يسلط الله عليهم بعد ذلك دودا يطلع فى حلاقيمهم فيهلكهم الله به والاخبار فى ذلك كثيرة (يحمور) دابة وحشية لها قرنان طويلان كأنهما منشاران تنشر بهما الشجر وقيل هو كالابل يلقى قرنيه فى كل سنة وهما صامتان وقال الجوهرى هو الحمار الوحشى (نادرة) قيل ترافق رجلان فى طريق فلما قربا من مدينة من المدن قال أحدهما للآخر قد صار لى عليك حق وانى رجل من الجان ولى اليك حاجة قال وماهى قال إذا وصلت إلى المكان الفلانى من هذه المدينة فهناك عجوز عندها ديك فاشتره منها واذبحه فقال له الآخر وأنا أيضا لى اليك حاجة قال وماهى قال إذا ركب الجنى إنسانا مايعمل له قال تشد ابهاميه بسير من جلد اليحمور وتقطر فى أذنيه من ماء السذاب فى اليمنى أربعا وفى اليسرى ثلاثا فان الراكب له يموت ثم تفرقا ودخل الانسى ففعل ماأمره به الجنى من شراء الديك وذبحه فلم يشعر بعد أيام الاوقد أحاط بأهل صبية من تلك البلدة وقالوا له أنت ساحر ومن حين ذبحت الديك سلبت من صبية عندنا عقلها فلا نفلتك الا الى صاحب المدينة قال فقلت لهم ائتونى بسير من جلد اليحمور وقيل من ماء السذاب ودخلت على الصبية فربطت ابهاميها وقطرت ماء السذاب فى أذنيها فسمعت صوتا يقول آه علمتك علمتك على ثم مات من ساعته وشفى الله تلك الشابة

(فصل فى خواص الطير والحيوان على الإجمال)

الضب والخنزير لايلقيان شيئا من أسنانهما أبدا وكل حيوان يعود بالطبع الا الانسان والقرد وكل ذى عين فان أهداب عينه فى الجهة العليا فقط الا الانسان فانه من الجهتين والفرس لاطحال له والبعير لامرارة له والظليم لامخ لعظمه والحيات لاألسنة لها والسمك لارئة لها لأنها تتنفس من كبدها وكل حيوان لاحافر له فله قرن ومالاقرن له فله حافر والحيوان المتهم باللواط القرد والخنزير والحمار والسنور والعيون التى تضىء بالليل عين الاسد والنمر والافعى والسنور والذى يدخر القوت من الحيوان الانسان والفأر والغراب والنحل والنمل والذى يحيض من الحيوان الانسان والفرس والكلب والأرنب والضبع والخفاش ويقال أيضا الرعاد من السمك فتبارك الله أحسن الخالقين وهذا آخر ماقصدت ايراده فى هذا الباب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

(الباب الثالث والستون فى ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم)

وذكر المسعودى فى كتابه عن بعض العلماء أن الله سبحانه وتعالى خلق فى الأرض قبل آدم ثمانية وعشرين أمة على خلق مختلفة وهى أنواع منها ذوات أجنحة وكلامهم قرقعة ومنها ماله أبدان كالاسود ورؤس كالطير ولهم شعور واذناب وكلامهم دوى ومنها ماله وجهان واحد من قبله والآخر

وقد رسفت ورد الكلوم صغاره
وما شربت الادماء الثرائب

(وله)

سكران من شربة خمر الدماء فان
حياه نور الطلا غنى لها هزجا

(لسان الدين بن الخطيب)

خليج هند راق حسن صفاته
حتى يكاد يعوم فيه الصيقل
غرقت بصفحته النمال فأوشكت
تبغى النجاة فأوثقتها الأرجل
فاصرح منه مردو الصفح منه
مورد والشط منه مهدل

(القاضى الفاضل)

نمد إلى الاعداء منها معاصما
فترجع من ماء الكلى بأساور

(وله من أخرى)

ولرب هاتفة بهم للوغى
جعلوا صليل المرهفات صداها
هى فى بحار يديه أمواج ترى
ونفوس من قتله من غرقاها

(وقال ابن قلاقس وأجاد)

أسهرتهم وشعرتها لجموعهم   مذ أجرمت فى راحتيك حرام   وكلاهما جفن منضى قراره

من خلفه وأرجل كثيرة ومنها مايشبه نصف الإنسان بيدورجل وكلامهم مثل صياح الغرانيق ومنها مارجهه لآدمي وظهره كالسلحفاة وفى رأسه قرن وكلامهم مثل عي الكلاب ومنها ماله شعر أبيض وذنب كالبقر ومنها ماله أنياب بارزة كالخناجر وآذان طوال ويقول ان هذه الامم تناكحت وتناسلت حتى صارت مائة وعشرين أمة ولم يخلق الله تعالى أفضل ولاأحسن ولا أجمل من الإنسان وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه خلق الله تعالى ألف أمة وعشرين أمة منها ستمائة فى البحر وأربعمائة وعشرون فى البر وفى الإنسان من كل خلق فلذلك سخر الله له جميع الخلق واستجمعت له جميع اللذات وعمل بيده جميع الآلات وله النطق والضحك والبكاء والفكرة والفطنة واختراعات الأشياء واستنباط جميع العلوم واستخراج المعادن وعليه وقع الأمر والنهي والوعد والوعيد والنعيم والعذاب وإياه خاطب وله قرب وخلق الله تعالى إسرافيل عليه السلام على صورة الإنسان وهو أقرب الملائكة اليه وفى الحديث لاتضربوا الوجوه فانها على صورة إسرافيل وآيات الله تعالى فى البشر أكثر من أن تحصر فتبارك الله أحسن الخالقين وقال الشيخ عبد الله صاحب كتاب تحفة الألباب دخلت إلى باشقرد فرأيت قبور عاد فوجدت سن أحدهم طوله أربعة أشبار وعرضه شبران وكان عندى فى باشقرد نصف ثنية أخرجت لى من فك أحدهم الاسفل فكان نصف الثنية شبرين ووزنها الف ومائتان مثقال وكان دور فك ذلك العادى سبعة عشر ذراعا وطول عظم عضد أحدهم ثمانية أذرع وعرض كل ضلع من أضلاعهم ثلاثة أشبار كلوح الرخام قال ولقد رأيت فى بلغار سنة ثلاثين وخمسمائة من نسل عاد رجلا طويلا طوله أكثر من سبعة وعشرين ذراعا كان يسمى دنقى أودبق كان يأخذ الفرس تحت ابطه كما يأخذ الإنسان الولد الصغير وكان من قوته يكسر بيده ساق الفرس ويقطع جلده وأعضاءه كما يقطع باقة البقل وكان صاحب بلغار قد اتخذ له درعا تحمل على عجلة وبيضة عادية لرأسه كأنها قطعة عن جبل وكان يأخذ فى يده شجرة من البلوط كالعصا لو ضرب بها الفيل لقتله وكان خيرا متواضعا كان إذا لقيني يسلم على ويرحب بى ويكرمني وكان رأسى لايصل إلى ركبته رحمة الله عليه ولم يكن فى بلغار حمام يمكنه دخولها الاحمام واحدة وكانت له أخت طوله ورأيتها مرات فى بلغار وقال لى قاضى بلغار يعقوب ابن النعمان ان هذه المرأة العادية قتلت زوجها وكان اسمه آدم وكان أقوى أهل بلغار قيل انها ضمته اليها فكسرت أضلاعه فمات من ساعته (وروى) عن وهب بن منبه فى عوج بن عنق أنه كان من أحسن الناس وأجملهم الاانه كان لايوصف طوله قيل انه كان يخوض فى الطوفان فلم يبلغ ركبتيه ويقال ان الطوفان علا على رؤس الجبال أربعين ذراعا وكان يجتاز بالمدينة فيتخطاها كما يتخطى أحدكم الجدول الصغير وعمره الله دهرا طويلا حتى أدرك موسى عليه السلام وكان جبارا فى أفعاله يسير فى الأرض برا وبحرا ويفسد ماشاء ويقال انه لما حضر بنوا إسرائيل فى التيه ذهب فأتى بقطعة من جبل على قدرهم واحتملها على رأسه ليلقيها عليهم فبعث الله طيرا فى منقاره حجر مدور فوضعه على الحجر الذى على رأسه فانثقب من وسطه وانخرق فى عنقه وأخبر الله عزوجل نبيه موسى عليه الصلاة والسلام بذلك فخرج اليه وضربه بعصاه فقتله ويقال أن موسى عليه الصلاة والسلام كان طوله عشرة أذرع وعصاه عشرة أذرع وقفز فى الهواء عشرة أذرع وضربه فلم يصل إلى عرقوبه فتبارك الله أحسن الخالقين ومن ذلك ماقيل عن أمه عنق بنت آدم عليه الصلاة والسلام وكان مفردة بغير أخ وكانت مشوهة الخلقة لها رأسان وفى كل يد عشرة أصابع لكل أصبع ظفران كالمنجلين وقال على بن أبي طالب كرم الله وجهه

حجة

فيا اضرب ابى حسين بالنسك أحرمان
تنسك بالاسلام لكن رأيته
يحل له فى الشرع أن يشرب الدما
فكم سل لما سل من بطن غمده
لسان دم من ضربة خلقت فما

(مجير الدين بن تميم)

لما قنيت من الصوارم أعوجا
يجرى القضاء بنهره المتموج
جبت القفار وقد جاءت أوانيا
للماء حتى تقى بنهر الاعوج

(وقال الغزى)

وقد سلب الطاعن الاسنة لونها
فصفرق اللبات ماكان أزرقا
وأسيافنا فى السابغات كأنها
جداول تجري بين زهر تفتقا

(ابن خفاجة)

موسد تحت ظل السيف تحسبه
مستلقيا فوق شاطىء جدول ثملا

(جمال الدين بن نباتة)

وصار كعباب الموج ملتطم
يكاد يغرق رائيه ويحترق
المجد احد ولا يبقى القنون به أضحى يقف على حافته العلق

هي

قوم مناديلهم بيض فكم مسحت رقاب أعدائهم تلك المناديل

هي أول من بني في الأرض وعمل الفجور وجاهر بالمعاصي واستخدم الشياطين وصرفهم في وجوه السحر وكان قد أنزل الله على آدم عليه الصلاة والسلام أسماء عظيمة تطيعه الشياطين بها وأمره أن يدفعها إلى حواء لتحترز بها فغافلتها عنق وسرقتها واستخدمت بها الشياطين وتكلمت بشيء من الكهانة فدعا عليها آدم وأمنت على ذلك حواء فأرسل الله عليها أسدا أعظم من الفيل فهجم عليها وقتلها وذلك بعد ولادتها عوجا بسنتين (ومن ذلك) ما حكى عن بعض فقهاء الموصل أنه شاهد ببلاد الأكراد الحمدية في جبل من جبال الموصل إنسانا طوله تسعة أذرع وهو صبي لم يبلغ الحلم وكان يأخذ بيده الرجل القوي ويرميه خلف ظهره فأراد صاحب الموصل استخدامه فقيل له في عقله خبل فتركه (وروى) عن الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه قال دخلت بلدة من بلاد اليمن فرأيت بها إنسانا من وسطه إلى أسفله بدن واحد ومن وسطه إلى أعلاه بدنان مفترقان برأسين ووجهين وأربع أيد وهما يأكلان ويشربان ويتقاتلان ويتلاطمان ويصطلحان قال ثم غبت عنهما قليلا ورجعت فقيل لي أحسن الله عزاءك في أحد الشقين فقلت وكيف صنع به فقيل ربط في أسفله حبل وثيق وترك حتى ذبل ثم قطع ورأيت الجسد الآخر بالسوق ذاهبا وراجعا (ومنه) ما أرسله بطارقة الأرمن إلى ناصر الدولة وهو رجلان في جسد واحد فأحضر الأطباء وسألهم عن انفصال أحدهما عن الآخر فسألوهما هل تجوعان معا وتعطشان معا قالا نعم فقالوا إنه لا يمكن فصلهما ويقال إنه أحضر أباهما فسأله عن حالهما فأخبر أنهما يختصمان في بعض الأحيان وأنه يصلح بينهما (ومن ذلك) ما ذكر أنه أهدى إلى أبي منصور الشاماتي فرس له قرنان وثعلب له جناحان إذا قرب منه إنسان نشرهما وإذا بعد ألصقهما وذكر القاضي عياض رحمة الله تعالى عليه أنه ولد له مولود على أحد جنبيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله وهذا لا يبعد فإنه يوجد كثيرا في السنور الدبركي وذكر أنه ولد بالقاهرة غلام له أربعة أرجل ومثلها أيد وذكر أنه كان لبعض ولاة مصر مملوك يدعى طقطو فولاه قرص من أعمال الصعيد فتزوج بها وولد له ولد ثم انقلب امرأة فتزوج بها وولدت ولدين وأما كبش بأربعة قرون ودجاجة بأربعة أرجل وحيوان برأسين والمخرج واحد فكثير وعجائب الله تعالى في مصنوعاته غير متناهية لله الحمد على ما أنعم به علينا لا نحصي ثناء عليه (ومن ذلك) الماء وهو حيوان يشبه الآدمي وفي بعض الأوقات يطلع ببحر الشام بشيخ بلحية بيضاء ويستبشر الناس برؤيته في تلك السنة بالخصب (ومن ذلك) بنات الماء وهم أمة ببحر الروم يشبهن النساء وذات شعور وثدي وفروج وهن حسان ولهن كلام لا يفهم وضحك ولعب ولهن رجال من جنسهن ويقال إن الصيادين يصطادونهن ويجامعونهن فيجدون لذة عظيمة لا توجد في غيرهن من النساء ثم يعيدونهن في البحر ثانيا ويقال إن هذا الصنف يوجد بالبرلس ورشيد على ما ذكر (وحكى) عن الشيخ أبي العباس الحجازي قال حدثني بعض التجار أنه في سنة من السنين خرجت إليه سمكة عظيمة فنقبوا أذنها وجعلوا فيها الحبال وأخرجوها ففتحت أذنها فخرجت جارية حسناء جميلة بيضاء سوداء الشعر حمراء الخدين كحلاء العينين من أحسن ما يكون من النساء ومن صرتها إلى نصف ساقيها شيء كالثوب يستر قبلها ودبرها ودائر عليها كالإزار فأخذها الرجال إلى البر فصارت تلطم وجهها وتنتف شعرها وتعض يدها وتصيح كما تصيح النساء حتى ماتت في أيديهم فألقوها في البحر فتبارك الله أحسن الخالقين (وحكى) القزويني عن بعض البحريين أن الريح ألقتهم على جزيرة ذات أشجار وأنهار فأقاموا بها مدة وكانوا إذا جاء الليل يسمعون بها همهمة وأصواتا وضحكا ولعبا فخرج من المركب جماعة وكمنوا في جانب البحر فلما جاء الليل خرج بنات الماء على عادتهن فوثبوا عليهن فأخذوا منهن اثنتين فتزوج بهما شخصان فأما أحدهما فرفق بصاحبته فأطلقها فوثبت في البحر وأما الآخر فبقي مع صاحبته زمانا وهو يحرسها حتى ولدت له ولدا كأنه القمر فلما طاب

(وقلت)

وسيف له في الحرب حسن تغزل
إذا ما رآني قد علوت على نهد
فكم خد خدا فوق صدر مدرع
فبان احمرار الورد في ذلك الخد
وكم مال قد في الوغى ميل معجب
فقابله ذاك المهند بالقد
وكم أعجموا ألفاظهم ساعة اللقا
فكلمهم ذاك المهند بالهندي

(قلت)

وقد وجب أن نذكر هنا ما وقع بعد السيف من غريب النظم في الرمح (ذكر القاضي الرشيدي ابن الزبير في كتابه والعجائب والطرف أنه كان في خزانة السلاح أيام السفاح خمسون ألف درع وخمسون ألف سيف وثلاثون ألف جوشن ومائتا ألف رمح (وقال الفضل بن الربيع لما ولي الأمين الخلافة سنة ثلاث وتسعين أمرني أن أحضر ما في خزانة السلاح فكان فيها من السيوف المحلاة بالذهب عشرة آلاف وخمسون ألف سيف للشاكرية والغلمان ومائة وخمسون ألف رمح ومائة ألف قوس وألف درع محلاة وألف

الهواء وركبوا البحر ووثق بها فأطلقها فأغفلته وألقت نفسها فى البحر فتأسف عليها تأسفا عظيما فلما كان بعد أيام ظهرت من البحر ودنت من المركب وألقت لصاحبها صدفا فيه درو جوهر فباعه وصار من التجار (ونظير هذه الحكاية) ماذكره ابن زولاق فى تاريخه أن رجلا من الأندلس من الجزيرة الخضراء صاد جارية منهن حسناء الوجه سوداء الشعر حمراء الخدين نجلاء العينين كأنها البدر ليلة التمام كاملة الأوصاف فأقامت عنده سنين وأحبها حبا شديدا وأولدها ولدا ذكرا وبلغ من العمر أربع سنين ثم أنه أراد السفر فاستصحبها معه ووثق بها فلما توسطت البحر أخذت ولدها وألقت نفسها فى البحر فكاد أن يلقى نفسه خلفها حسرة عليها فلم يمكنه أهل المركب من ذلك فلما كان بعد ثلاثة أيام ظهرت له ألقت له صدفا كثيرا فيه ودر ثم سلمت عليه وتركته فكان ذلك آخر العهد بها فتبارك الله ما أكثر عجائب خلقه ومالم نشاهده ونسمع به أكثر فسبحان القادر على كل شىء لا إله إلا هو ولا معبود سواه فالعاقل يعرف الجائز والمستحيل ويعلم أن كل مقدور بالاضافة إلى قدرة الله تعالى قليل وإذا سمع عجبا جائز استحسنه ولم يكذب قائله والجاهل إذا سمع مالم يشاهده قطع بتكذيب قائله وتزييف ناقله وذلك لقلة عقله وقد وصف الله تعالى الجاهل بعدم العقل بقوله تعالى أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون وقد أودع الله تعالى من عجائب المصنوعات فى الآفاق والسموات مايدل عليه قوله تعالى وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون فلا تكن منكر العجائب فكل الأشياء من آياته .

فيا عجبا كيف يعصى الإلـ ـه أم كيف يجحده الجاحد
وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحـد

ومن شاهد حجر المغناطيس وجذبه للحديد وكذلك حجر الماس الذى يعجز عن كسره الحديد ويكسره الرصاص ويثقب الياقوت والفولاذ ولا يقدر على ثقب الرصاص يعلم أن الذى أودعه هذا السر قادر على كل شىء فلا تكن مكذبا بمالا تعلم وجه حكمته فان الله تعالى قال بل كذبوا بمالم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله قال صاحب تحفة الألباب فى بلاد السودان أمة لاروس لهم وقد ذكرهم الشعبى فى كتاب سير الملوك وذكر أن فى بلاد الغرب أمة من ولد آدم كلهم نساء ولا يعيش فى أرضهم ذكر وأن هؤلاء النساء يدخلن فى ماء عندهن فيحبلن من ذلك الماء وتلد كل امرأة منهن بنتا ولا يلدن ذكرانا أبدا وقيل ان ولد تبع اليمانى وصل اليهم لما أراد أن يصل الى الظلمات التى دخلها ذو القرنين وان ولد تبع هذا كان اسمه افريقش وهو الذى بنى افريقية وسماها باسمه وانه وصل الى وادى السبت وهو واد يجرى فيه الرمل كما يجرى السيل لا يمكن أن يدخل فيه حيوان الا هلك فلما رآه استعجل الرجوع وذو القرنين لما وصل اليه أقام الى يوم السبت فسكن جريانه فعبره الى أن وصل الى الظلمات فيما يقال والله سبحانه وتعالى أعلم وتلك الأمة التى لاروس لهم أعينهم فى مناكبهم وأفواههم فى صدورهم وهم كثيرون كالبهائم يتناسلون ولا مضرة على أحد منهم * وأما الملك العظيم والعدل الكثير والنعم الجزيلة والسياسة الحسنة والرخاء والامن الذى لاخوف معه ففى بلاد الهند وبلاد الصين وأهل الهند أعلم الناس بعلم الطب وعلم النجوم والهندسة والصناعات العجيبة التى لايقدر أحد سواهم على أمثالها وفى بلادهم وجزائرهم ينبت العود وشجر الكافور وجميع أنواع الطيب كالقرنفل والسنبل والدارصينى والكبابة والبسباسة وأنواع العقاقير والأدوية وعندهم حيوان المسك وهو حيوان كالغزال يجتمع المسك فى سرته وعندهم حيوان الزباد وهو حيوان كالسنور يخرج منه عرق القطران أسود ثخين يسيل من جسده وتزيد رائحته

درع عامة وعشرون ألف بيضة وعشرون ألف جوشن ومائة ألف وخمسون ألف ترس وأربعة آلاف سرج محلاة بالذهب وثلاثون ألف سرج عامة انتهى

(قلت ويعجبنى قول القاضى الفاضل فى بيت من قصيدة)

أمتصل بالرمح الطويل بكوكب
من ذا بطاعن والسماك ستان

(ومثله فى الحسن قول ابن سناء الملك)

ملوك يحوزون الغنائم عنوة
بسمر العوالى أو ببيض القواضب
رماح بأيديهم طوال كأنما
أرادوا بها تثقيب در الكواكب

(ابن قلاقس وأجاد)

وقد كحلت بأميال العوالى
أساة الحرب أحداق الدروع
وشب البأس نيران المواضى
وأسبل غيث أمواه النجيع
فللفرسان من محل ومحل
حديث عن مصيف أو ربيع

(ويعجبنى أيضا قول القاضى الفاضل من قصيدة)

فيا عجبا للملك قر قراره
بمختلفات من قنا السواخر
طولهن أسرار القلوب نواظر
كأنك قد نقلتها بنواظر

فى الوزارتين لسان الدين بن الخطيب وأجاد)

بالتغرب بحيث تكون أذكى من المسك الاذفر ويخرج من بلادهم أنواع اليواقيت وأكثرها فى جزيرة سرنديب وعلى جبلها نزو آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة فيها يقال (وحكى) انه كان ببابل سبع مدائن كل مدينة فيها أعجوبة كان فى إحداها تمثال فى الارض فاذا التوى على الملك بعض أهل مملكته وامتنعوا عن القيام بالخراج خرق أنهارها عليهم فى التمثال فلا يطيق أهل الك الناحية سد الماء حتى يعتدلوا وما لم يسد فى التمثال لا يسد فى ذلك البلد وفى الثانية حوض إذا أراد الملك أن يجمعهم لطعامه أتى كل واحد بما أحب من الشراب فصبه فى ذلك الحوض فاختلطت الاشربة فكل من سقى من ذلك الحوض كان شرابه الذى جاء به وفى الثالثة طبل إذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب عن أهله قرعوه فان كان حيا سمع له صوت وان كان ميتا لم يسمع له صوت وفى الرابعة مرآة إذا رأوا أن يعلموا حال الغائب نظروا فيها فابصروه على أى حالة هو عليها كأنهم يشاهدونه وفى الخامسة أزوة من نحاس فاذا دخل الغريب صوتت الاوزة صوتا يسمعه أهل المدينة وفى السادسة قاضيان جالسان على الماء فيأتى الخصمان فيمشى المحق على الماء حتى يجلس مع القاضيين ويقع المبطل فى الماء وفى السابعة شجرة ضخمة لا تظل الا ساقها فان جلس تحتها أحد أظلته إلى الف شخص فاذا زادوا على الالف واحدا جلسوا فى الشمس كلهم ولو بسطت المقال فى ذلك لاتسع المجال . وقد اقتصرت فى ذلك على ما ذكرت والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم .

﴿ الباب الرابع والستون فى خلق الجان وصفاتهم ﴾

روى عن الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب أنه قال قرأت فى بعض الكتب المتقدمة المأثورة عن العلماء رحمهم الله تعالى ان الله تعالى لما أراد أن يخلق الجان خلق نار السموم وخلق من مارجها خلقا سماه جانا كما قال الله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم وقال الله تعالى فى موضع آخر وخلق الجان من مارج من نار وقيل ان الله تعالى خلق الملائكة من نور النار والجان من لهبها والشياطين من دخانها وقد جاء فى بعض الاخبار ان نوعا من الجن فى قديم الزمان قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام كانوا سكانا فى الارض قد طبقوها برا وبحرا وسهلا وجبلا وكان فيهم الملك والنبوة والدين والشريعة وكانوا يطيرون إلى السماء ويسلمون على الملائكة ويستعلمون منهم خبر ما فى السماء وكثرت نعم الله عليهم الى ان بغوا وتركوا وصايا أنبيائهم فارسل الله تعالى عليهم جندا من الملائكة فحصل بينهم مقتلة عظيمة وغلبوا الجن لوطردوهم الى أطراف البحار وأسروا منهم أمما كثيرة وذكر المسعودى أن الفرس واليونان قالوا كان الجن بالارض قبائل منهم من يسترق السمع ومنهم من ينط مع لهب النار ومنهم من يطير ولكل قبيلة ملك وكان من جملتهم ابليس لعنه الله ثم بعد خمسة آلاف سنة افترقوا وملكوا عليهم ملوكا وأقاموا على ذلك مدة طويلة ثم تحاسدوا على الملك وأغار بعضهم على بعض وجرت بينهم وقائع وحروب وكان ابليس لعنه الله يصعد الى السماء ويختلط بالملائكة فبعثه الله تعالى بجيوش من الملائكة فهزم الجن وقتلهم وتملك الارض مدة طويلة الى ان خلق آدم عليه الصلاة والسلام واتفق له معه ما اتفق وأهبط آدم الى الارض وعظم شأنه فعند ذلك انتقل ابليس الى البحر المحيط وسكن هناك ثم القى عليه قوة شهوة الفساد فهو لا يلد لكنه يلقح الطير ويبيض ويفرخ قيل انه يخرج من كل بيضة ستون الف شيطان فيسلطهم على الخلق وأقربهم اليه وأدناهم منه ومن مجلسه أكثرهم ايذاء للخلق وفى الحديث ان ابليس لعنه الله قال يارب أنزلتنى إلى الارض وطردتنى وجعلتنى رجيما فاجعل لى مسكنا قال مسكنك الاسواق قال فاجعل لى

الدماء وينهل
عجبا له ان النجيع بطرفه
رمد ولا يخفى عليه مقتل
(السيد الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين بن الامدى)
غصون بها طير النفوس تنافرت
وعهدى أن الطير للغصن يألف
فلا ورق الا من التبر حولها
ولا زهر الا من النصر يقطف
(ابن نباتة السعدى)
وولوا عليها يقدمون رماحنا
وتقدمها أعناقهم والمناكب خلقنا
بأطراف القنا لظهورهم
عيونا لها وقع السيوف حواجب . (قلت) ..
رسم كافل المملكة الشريفة الشامية وهو المقر المرحوى العلائى تغمده الله برحمته ورضوانه للفضلاء بدمشق المحروسة وغيرهم من الفضلاء بالبلاد الشامية أن ينظموا أبياتا تكتب على أسنة الرماح وتكون عدة الابيات أربعة
. (فنظم المقر المرحوى الفتحى بن الشهيد قوله) .
إذا الغبار علا فى الجو عثيره

ظلم الجو مالشمس أنوار هذا سنانى نجم يستضاء به كأنه علم فى رأسه نار والسيف ان نام ملء الجفن فى غلق

طعاما قال مالم يذكر اسمى عليه فاجعل لى شرابا قال كل مسكر قال فاجعل لى مؤذنا قال المزامير قال فاجعل لى صيدا قال مصايدك قال النساء

(فصل فى مكايده لعنه الله) منها أنه كان فى بنى إسرائيل عابد يدعى برصيصا وله جار له بنت فحصل لها مرض فقال له جيرانه لو حملتها إلى جارك برصيصا ليدعو لها قال فجاء إبليس إلى العابد وقال إن لجارك عليك حق الجوار وان له بنتا مريضة فاضرك لو جعلتها عندك فى جانب البيت ودعوت الله لها عقب عبادتك فعسى أن تشفى من مرضها قال فلما أتاه جاره بالبنت قال له العابد دعها وانصرف قال فتركها عنده مدة حتى شفيت فجاء له إبليس ووسوس له حتى وطئها فحملت منه فلما حملت جاء له إبليس لعنه الله فقال له اقتلها لئلا تفتضح قال فقتلها ودفنها قال فعند ذلك ذهب الشيطان الى أهلها وأعلمهم بذلك فجاؤا الى العابد وكشفوا عن قضيته ثم أخذوه ومضوا ليقتلوه فعارضه ابليس اللعين فى الطريق فقال له ان سجدت لى خلصتك منهم فسجد له فعند ذلك تبرأ منه ومات الرجل كافرا اللهم اعصمنا من مكايد الشيطان برحمتك ياأرحم الراحمين (ومن ذلك ما اتفق ان بنى اسرائيل اتخذوا شجرة وصاروا يعبدونها فجاء بعض عبادهم بفاس ليقطعها فعارضه ابليس لعنه الله وقال له تركت عبادتك وجئت لشىء لا يعود عليك نفعه ولم يزل به حتى تقاتل معه فصرعه العابد وجلس على صدره ثم رجع ولم يزل يعمل معه ذلك فى كل يوم الى ثلاثة أيام رآه لا يرجع قال له اترك قطعها وأنا أجعل لك فى كل يوم دينارين تستعين بهما على نفقتك وعبادتك وعاهده على ذلك فرجع قال فجعل له تحت وسادته دينارين ثم دينارين ثم دينارين ثم قطع ذلك عنه فاخذ الفاس وذهب الى قطع الشجرة فعارضه ابليس فى الطريق وتحاورا معه وتجاذبا فصرعه ابليس وجلس على صدره قال له ان لم ترجع عن قطعها وإلا ذبحتك فقال له العابد خل عنى وأخبرنى كيف غلبتنى فقال له لما غضبت الله غلبتنى ولما غضبت لنفسك غلبتك ٭ ومنها أشياء كثيرة ليس هذا محل استيفائها قال الله تعالى واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا

(فصل فى المتشيطنة وهم أنواع كثيرة)

٭ منها الولهان يوجد فى جزائر البحار على صورة الانسان (حكى) بعض المسافرين أنه عرض لمركب وهو راكب على نعامة يريد أخذ المركب وصاح بهم صيحة عظيمة خروا منها على وجوههم وأخذ بعض من فى المركب ومنها السعلاة يحكى أن صنفا منها يتزيا بزى النساء ويتراءى للرجال (وحكى) أن بعضهم تزوج امرأة منهن وهو لا يعلم فاقامت معه مدة وولدت منه أولادا ذكورا وأناثا فلما كانت ذات ليلة صعدت معه السطح فنظرت فرأت نارا من بعد عند الجبانة فاطربت وقالت ألم تر نيران السعالى وتغيرلونها قالت بنوك وبناتك أوصيك بهم خيرا ثم طارت ولم تعد اليه ٭ ومنها نوع يقال المذهب يخدم العباد ومقصوده بذلك أن يعجبوا بأنفسهم (حكى) أن بعض العباد نزل صومعة يتعبد فيها فأتاه شخص بسراج وطعام فتعجب العابد من ذلك فقال له شخص بالصومعة انه المذهب يريد أن يخيل لك أن ذلك من كرامتى والله إنى لأعلم أنه شيطان وقال بعض الصوفية المذهب اصناف منهم من يحمل الفانوس بين يدى الشيخ ومنهم من يأتيه بالطعام والشراب وغير ذلك ومنهم ينشد الشعر ٭ وقال بعض المسافرين أبق لى غلام فخرجت فى أثره فاذا أنا بأربعة يتناشدون شعر الفرزدق وجرير قال فدنوت منهم وسلمت عليهم فقالوا آلك حاجة قلت لا فقال بعضهم تريد غلامك قلت وما أعلمك بغلامى قال كمعلمى بجملك قلت أوجاهل أنا قال نعم وأحمل ثم غاب وأتانى بغلام

فانى بارز للحرب خطار

(ونظم الرئيس شمس الدين بن المزين

أنا اسمر والراية البيضاء لى لا للسيوف وسل من الشجعان

لم يحل عيش العداة لاننى نوديت يوم الجمع بالمران

وإذا تفاهت الكماة بجحفل كلمتهم فيه بكل لسان

فنخالهم غنما تساق إلى الردى قهر المعظم سطوة الجوبات

(ونظم المقر المرحومى وهو اذذاك كاتب السر بمصر المحروسة)

عروس سنانى حين تجلى على العدا وتظهر تبدى ما لهم من بواطن

وقد صيغ من هم فبين صدورهم مجال له رحب فسيح المواطن

سينقلون يوم الجمع عنها لموتهم بطعنى ويوم الجمع يوم التغابن

وان شهدوا بالجور فى وعدلوا فانى قد بينت فيهم مطاعنى

(ونظم قاضى القضاة صدر الدين بن الامدى سامحه الله)

النصر مقرون بضرب اسنة لمعانها كوميض برق يشرق

مقيدا فلما رأيته غشى على فلما أفقت قال انفخ فى يده ففعلت فانفرج القيد عنه وصرت لا أنفخ فى شىء من ذلك ولا فى وجع من الأوجاع إلا برىء وخلص صاحبه ¤ ومنها نوع يقال له العفريت يختطف النساء يقال أن رجلا اختطفت ابنته فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه (وقال) بعض المسافرين بينما نحن سائرون ذات ليلة اذ عرض لى قضاء الحاجة فانفردت عن رفقتى وضللت عنهم فبينما أنا سائر فى أثرهم إذ رأيت نار عظيمة وخيمة فجئت إلى جانبها وإذا أنا بجارية جميلة جالسة فيها فسألتها عن حالها فقالت أنا من فزارة اختطفنى عفريت يقال له ظليم وجعلنى ههنا فهو يغيب عنى بالليل ويأتينى بالنهار فقلت لها امضى معى فقالت أهلك أنا وأنت فانه يتبعنا ويأتينا فيأخذنى ويقتلك فقلت لا يستطيع أخذك ولا قتلى وما زلت أرددها الحديث حتى رضيت فانخت لها ناقتى فركبتها وسرت بها حتى طلع الفجر فالتفتت فاذا أنا بشخص عظيم مهول قد أقبل ورجلاه تخطان فى الأرض فقالت هاهو قد أتانا فانخت ناقتى وخططت حولها خطا وقرأت آيات من القرآن وتعوذت بالله العظيم فتقدم وأنشأ يقول

يا ذا الذى للحين يدعوه القدر خل عن الحسناء رسلا ثم سر وان تكن ذا خبرة فينا اصطبر

قال فأجبته

يا ذا الذى للحين يدعوه الحمق خل عن الحسناء رسلا وانطلق ما أنت فى الجن بأول من عشق

قال فتبدى لى فى صورة أسد وجاذبنى وجاذبته ساعة فلم يظفر أحدنا بصاحبه فلما يئس منى قال هل لك فى جز ناصيتى أو احدى ثلاث خصال قلت وماهن قال مائتان من الابل أو أخدمك أيام حياتك أو ألف دينار الساعة وخلى بينى وبين الجارية فقلت لا أبيع دينى بدنياى ولا حاجة لى بخدمتك فاذهب من حيث أتيت قال فانطلق وهو يتكلم بكلام لا أفهمه وسرت بالجارية إلى أهلها وتزوجت بها وجاءنى منها أولاد ¤ وقيل لما سخر الله تعالى الجن لسليمان عليه الصلاة والسلام نادى جبريل عليه السلام أيها الجن والشياطين أجيبوا نبى الله سليمان بن داود باذن الله تعالى فخرجت الجن والشياطين من الجبال والكهوف والغيران والاودية والفلوات والآجام وهم يقولون لبيك لبيك والملائكة تسوقهم سوق الراعى للغنم حتى حشرت بين يدى سليمان عليه الصلاة والسلام طائعة ذليلة وكانوا اذ ذاك أربعا وعشرين فرقة فنظر الى ألوانها فاذا هى سود وشقر ورقط وبيض وصفر وخضر وعلى صور جميع الحيوانات ومنهم من رأسه رأس الاسد وبدنه بدن الفيل ومنهم من له خرطوم وذنب ومنهم من له قرون وحوافر وغير ذلك من الأنواع قال فعند ذلك تعجب نبى الله سليمان عليه الصلاة والسلام من هذه الأشكال وسجد شكرا لله تعالى وقال إلهى ألبسنى هيبة من عندك وجعل يسألهم عن طباعهم وعن طعامهم وشرابهم وهم يجيبونه ثم فرقهم فى الصنائع من قطع الصخور والاحجار والاشجار والغوص فى البحار وأبنية الحصون وفى استخراج المعادن والجواهر قال الله تعالى هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب ¤ ونكتفى من ذلك بهذا القدر اليسير والله المسئول فى تيسير كل عسير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الخامس والستون فى ذكر البحار ومافيها من العجائب وذكر الانهار والآبار وفيه فصول)

(الفصل الأول فى ذكر البحار) روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال لما أراد الله تعالى أن يخلق الماء خلق ياقوتة خضراء لا يعلم طولها وعرضها إلا الله سبحانه وتعالى ثم نظر اليها بعين الهيبة فذابت وصارت ماء فاضطرب الماء فخلق الريح ووضع عليها الماء ثم خلق العرش ووضعه على متن الماء وعليه قوله تعالى وكان عرشه على الماء (واعلم) أن بحر الظلمات لا يدخله شمس ولا قمر وان بحر الهند

ينسخن يوم الحرب كل كتيبة
تحت الغبار فنسخهن محقق

(وقلت)

أنا درع ورائع الافق يخشى
من سمرى اليه يوم الطعان
وإذا أنكروا عدالة قدى
يوم حكم جرحتهم بلسانى
وسنانى كالبرق بل صار منه
قلب سيف البرق فى خفقان
رمحه للردين ينسب لكن
صاح لما علاه يا لسنان

(مجير الدين بن تميم)

لو كنت تشهدنى وقد حمى الوغا
فى موقف ما الموت فيه بمعزل
لترى أنابيب القناة على يدى
تجرى دما من تحت ظل القسطل

(ابن شرف والقيرانى)

وقد وخطت أرماحهم مفرق الدجى
فبان بأطراف الأسنة شائبا

(ذكر) الثعالبى فى لطائف المعارف أن أول من عمل السنان من حديد ديرون الحميرى واليه تنسب الرماح اليزنية وانما كانت أسنة العرب من صياصى البقر. (قلت) لم يبق بعد السيف والرمح غير القوس

خليج منه وبحر اللاذقية خليج منه وبحر الصين خليج منه وبحر الروم خليج منه وبحر فارس خليج منه وكل هذه البحار التى ذكرتها أصلها من البحر الأسود الذى يقال له البحر المحيط وأما بحر الخزر وبحر خوارزم وبحر أرمينية والبحر الذى عندو مدينة النحاس وغير ذلك من البحار الصغار فهى منقطعة عن البحر الأسود ولذلك ليس فيها جزر ولا مد وقيل سئل النبى ﷺ عن الجزر والمد فقال هو ملك عال قائم بين البحرين إن وضع رجله فى البحر حصل له المد وإذا رفعها حصل له الجزر وقيل إنما سمى البحر الأسود لأن ماءه فى رأس العين كالحبر الأسود فان أخذ منه الإنسان فى يده شيئا رآه أبيض صافيا إلا انه أمر من الصبر مالح شديد الملوحة فاذا صار ذلك الماء فى بحر الروم تراه أخضر كالزنجار والله تعالى يعلم لأى شىء ذلك وكذلك يرى فى بحر الهند خليج أحمر كالدم وبحر أصفر كالذهب وخليج أبيض كاللبن تتغير هذه الألوان فى هذه المواضع والماء فى نفسه أبيض صاف وقيل ان تغير الماء بلون الأرض (وأما) ما يخرج من البحر من السمك وغيره فقد روى عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال بعثنا رسول الله ﷺ إلى ساحل البحر وأمر علينا أبا عبيدة رضى الله تعالى عنه نتلقى عير قريش وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة نمصها ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا إلى الليل فأشرفنا على ساحل البحر فرأينا شيئا كهيئة الكثيب الضخم فأتيناه فاذا هو دابة من دواب البحر تدعى العنبر فأقمنا شهرا نأكل منها ونحن ثلثمائة حتى سمنا وقد رأيتنا نغترف من الدهن الذى فى وقب عينها بالقلال ونقطع منه القطعة كالثور ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فاقعدهم فى وقب عينها وأخذ ضلعا من أضلاعها فأقامها ثم رحل أعظم بعير معنا فمر من تحتها وتزودنا من لحمها فلما قدمنا المدينة ذكرنا لرسول الله ﷺ ذلك فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شىء من لحمها فتطعمنا فأرسلنا له منه فأكله وقيل يخرج من البحر سمكة عظيمة فتتبعها سمكة أخرى أعظم منها لتأكلها فتهرب منها إلى مجمع البحرين فتتبعها فيضيق عليها مجمع البحرين لعظمها وكبرها فترجع الى البحر الاسود وعرض مجمع البحرين مائة فرسخ فتبارك الله رب العالمين (وقال) صاحب تحفة الالباب ركبت فى سفينة مع جماعة فدخلنا إلى مجمع البحرين فخرجت سمكة عظيمة مثل الجبل العظيم فصاحت صيحة عظيمة لم أسمع قط أهول منها ولا اقوى فكاد قلبى ينخلع وسقطت على وجهى أنا وغيرى ثم ألقت السمكة نفسها فى البحر فاضطرب البحر اضطرابا شديدا وعظمت أمواجه وخفنا الغرق فنجانا الله تعالى بفضله وسمعت الملاحين يقولون هذه سمكة تعرف بالفل قال ورأيت فى البحر سمكة كالجبل العظيم ومن رأسها إلى ذنبها عظام سود كأسنان المنشار كل عظم أطول من ذراعين وكان بيننا وبينها فى البحر أكثر من فرسخ فسمعت الملاحين يقولون هذه السمكة تعرف بالمنشار إذا صادفت أسفل السفينة قصمتها نصفين ولقد سمعت أنا من يقول ان جماعة ركبوا سفينة فى البحر فأرسوا على جزيرة فخرجوا إلى تلك الجزيرة فغسلوا ثيابهم واستراحوا ثم أوقدوا نارا ليطبخوا وتحركت الجزيرة وطلبت البحر وإذا بها سمكة فسبحان القادر على كل شىء لا إله إلا هو ولا معبود سواه وقيل ان فى البحر سمكة تعرف بالمنارة لطولها يقال انها تخرج من البحر الى جانب السفينة فتلقى نفسها عليها فتحطمها وتهلك من فيها فاذا أحس بها أهل السفينة صاحوا وكبروا وضجوا وضربوا الطبول ونقروا الطسوت والسطول والاخشاب لأنها اذا سمعت تلك الأصوات ربما صرفها الله تعالى عنهم بفضله ورحمته (وقال) الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب كنت يوما فى البحر على صخرة فاذا أنا بذنب حية صفراء منقطعة بسواد طولها مقدار باع فطلبت ان تقبض على رجلى فتباعدت عنها فأخرجت رأسها كأنه رأس أرنب من الصخرة تحت تلك فسللت خنجرا

ولو أن رسالة القوس مشتملة بكمالها على إصابة الغرض لأثبتها هنا ولكن جمع فى نظم عقدها بين الجوهر والعرض وبراعة استهلالها غاية لاتدرك (وهى)
ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شىء سببا فأتبع سببا
(ومن غاياتها بعد ذلك قوله منها صورة مركبة ليس لها من تركيب النظم) إلا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم (وممن أصاب الغرض بالغازه فى القوس) الشهاب الاعزازى بقوله
ما عجوز كبيرة بلغت عمـ
ـرا طويلا وتتقيها الرجال
قد علا جسمها صفار ولم تشـ
ـك سقاما ولا عراها هزال
ولها فى البنين سهم وقسم
وبنوها كبار قدر نبال
(صفى الدين الحلى ملغزا فيه)
وما اسم سراه فى البروج وانما
يحل به المريخ دون الكواكب
إذا قدر البارى عليه مصيبة
عدته وحلت فى صدور الكتائب
(الشيخ بدر الدين بن الصاحب) لله مملوك اذا
ما قام فى الفضل اعترض

لكنه فى ساعة يحصل لك الغرض (ومن الغايات التى لا تدرك

كبيرا كان معى فقطعت به رأسها ففار فيه فلم أقدر على خلاصه منها فأمسكت نصابه بيدى جميعا وجعلت أجره حتى ألصقتها بباب الحجر فتركت الحجر وخرجت من تحت الصخرة فاذا هى خمس حيات فى رأس واحد فتعجبت من ذلك وسألت من كان هناك عن اسم هذه الحية فقال هذه تعرف بأم الحيات وذكروا أنها تقبض على الآدمى فى الماء فتمسكه حتى يموت وتأكله وأنها تعظم حتى تكون كل حية أكثر من عشرين ذراعا وانها تقلب الزوارق وتأكل من قدرت عليه من أصحابها وأن جلدها أرق من جلد البصل ولا يؤثر فيها الحديد شيئا قال ورأيت مرة فى البحر صخرة عليها شىء كثير من النارنج الأحمر الطرى الذى كأنه قطع من شجره فقلت فى نفسى هذا قد وقع من بعض السفن فذهبت اليه فقبضت منه نارنجة فاذا هى ملتصقة بالحجرة فجذبتها فاذا هى حيوان يتحرك يضرب من يدى فلففت يدى بكمى وقبضت عليه وعصرته فخرج من فيه مياه كثيرة وضمر فلم أقدر أن أقلعه من مكانه فتركته عجزا عنه وهو من عجائب خلق الله تعالى وليس له عين ولا جارحة إلا الفم والله سبحانه وتعالى أعلم لأى شىء يصلح ذلك قالت ولقد رأيت يوما على جانب البحر عنقود عنب أسود كبير الحب أخضر العرجون كأنما قطف من كرمه فأخذته وكان ذلك فى أيام الشتاء وليس فى تلك الأرض التى كنت فيها عنب فرمت أن آكل منه فقبضت على حبة منه وجذبتها فلم أقدر أن أقلعها من العنقود حتى كأنها من الحديد قوة وصلابة فجذبتها جذبة أقوى من الأولى فانقشرت قشرة من تلك الحبة كقشر العنب وفى داخلها عجم كعجم العنب فسألت عن ذلك فقيل لى هذا من عنب البحر ورائحته كرائحة السمك وفى البحر أيضا حيوان رأسه يشبه رأس العجل وله أنياب كأنياب السباع وجلده له شعر كشعر العجل وله عنق وصدر وبطن وله رجلان كرجلى الضفدع وليس له يدان يعرف بالسمك اليهودى وذلك أنه إذا غابت الشمس ليلة السبت يخرج من البحر ويلقى نفسه فى البحر ولا يتحرك ولا يأكل ولو قتل ولا يدخل البحر حتى تغيب الشمس ليلة الأحد فحينئذ يدخل البحر ولا تلحقه السفن لخفته وقوته وجلده يتخذ منه نعل لصاحب النقرس فلا يجد له ألما مادام ذلك الجلد عليه وهو من العجائب وقيل ان فى بحر الروم سمكا طويلا طول السمكة مائة ذراع وأكثر وله أنياب كأنياب الفيل تؤخذ وتباع فى بلاد الروم وتحمل إلى سائر البلاد وهى أحسن وأقوى من أنياب الفيل وإذا شق الناب منها يظهر فيه نقوش عجيبة ويسمونه الجوهر ويتخذون منه نصبا للسكاكين وهو مع قوته وحسن لونه ثقيل الوزن كالرصاص وفى البحر أيضا سمك يسمى الرعاد إذا دخل فى شبكة فكل من جر تلك الشبكة أو وضع يده عليها أو على حبل من حبالها تأخذه الرعدة حتى لا يملك من نفسه شيئا كما يرعد صاحب الحمى فاذا رفع يده زالت عنه الرعدة فان أعادها عادت اليه الرعدة وهذا أيضا من العجائب فسبحان الله جلت قدرته وقال صاحب تحفة الالباب حدثنى الشيخ أبو العباس الحجازى قال حدثنى رجل يعرف بالهارونى من ولد هرون الرشيد أنه ركب سفينة فى بحر الهند فرأى طاوسا قد خرج من البحر أحسن من طاوس البر وأجمل ألوانا قال فكبرنا لحسنه وجماله يسبح وينظر لنفسه وينشر أجنحته وينظر إلى ذنبه ساعة ثم غاص فى البحر وفى البحر دابة يقال لها الدرفين تنجى الغريق لأنها تدنو منه حتى يضع يده على ظهرها فيستعين بالاتكاء عليها ويتعلق بها فتسبح به حتى ينجيه الله بقدرته فسبحان من دبر هذا التدبير اللطيف وأحكم هذه الحكمة البالغة وزعموا أن السمك يتجه نحو الغناء والصوت الحسن ويصبو لسماعه وربما قيل أن بعض الصيادين يحفرون فى البحر حفائر ثم يجلسون فيضربون بالمعازف وآلات الطرب فيجتمع السمك ويقع فى تلك الحفائر وقيل أن الدرفين وأنواع السمك إذا

لغز قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى رحمه الله تعالى فى السكتوان) ما رفيق وصاحب لك تلقا ه معينا على بلوغ المرام هو للعين واضح وجلى وتراه فى غاية الابهام (قلت ومن نظمى فى القوس) قوسى إذا جذبته يطربنى بجس عوده وتحريك الوتر ونجم ذاك السهم ان فوقته يرى له فى طارة البدر أثر (الشيخ جمال الدين ابن نباتة) فديتك أيها الرامى بقوس ولحظ ياضنى قلبى عليه لقوسك نحو حاجبك انجذاب وشبه الشىء منجذب اليه (قلت) لم يبق بعد وصف آلة الحرب وصف غير الخيول المسومة التى لا بد لفحول كتاب الانشاء من الجولان فى ميدان وصفها وجرى السوابق الذى جمعته فى هذا الباب قد تقدم فى الجزء الأول من بلوغ المراد ولكن إذا كنت منشىء دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية

المحروسة يتعين على أورد هنا لكتاب الانشاء من ثقفة هذا الفن ما يحتاجون إلى معرفته (قلت) السجع
مأخوذ من سجع الحمام
واختلف فيه هل يقال فى
فواصل القرآن أسجاع
أم لا فمنهم من منعه ومنهم
من أجازه والذى منع
تمسك بقوله تعالى كتاب
فصلت آياته فقال قد سماه
فواصل فليس لنا أن
نتجاوز ذلك والسجع
ينقسم إلى أربعة أقسام
المرصع والمطرف
والمتوازى والمشطر
(فالمرصع) عبارة عن
مقابلة كل لفظة من صدر
البيت أو فقرة النثر بلفظة
على وزنها ورويها وهو
مأخوذ من مقابلة العقد
فى ترصيعه، ومن أمثلته
الشريفة فى الكتاب
العزيز أن الأبرار لفى
نعيم وان الفجار لفى جحيم
ومثله قوله تعالى إن إلينا
إيابهم ثم إن علينا حسابهم
و[مثله] قول الحريرى فى
المقامات يطبع الاسجاع
بجواهر لفظه ويقرع
الاسماع بزواجر وعظه
(والمطرف) هو أن يأتى
المتكلم فى آخر كلامه أو
فى بعضه باسجاع غير
متزنة بزنة عروضية ولا
محصورة فى عدد معين
بشرط أن يكون روى
الاسجاع روى القافية
كقوله تعالى مالكم لا
ترجون لله وقارا وقد
خلقكم أطوارا
(وكقولهم) جنابه محط الرحال ومخيم الآمال

يقوله

سمعت صوت الرعد هربت الى قعر البحر وقيل ان خيل البحر توجد بنيل مصر وهى صفة خيل البر.
وقيل أنها أنثى كل التماسيح وربما خرجت فرعت الزرع وإذا رأى أهل مصر أثر حوافرها حكموا أن
ماء النيل ينتهى فى طلوعه إلى ذلك المكان وقيل أن فى البحر المحيط شيئا يتراءى كالحصون
فيرتفع على وجه الماء ويظهر منه صور كثيرة ويغيب ومن عجيب ما حكى أن فيه جزيرة فيها ثلاث
مدن عامرة وهى كثيرة الأمطار وأهلها يحصدون زرعها قبل جفافه لقلة طلوع الشمس عندهم
ويجعلونه فى بيت ويوقدون حوله النيران حتى يجف وعجائبه لا تحصى ولا يمكن حصرها ويقال
أن الاسكندر لما سار إلى بحر الظلمات مر بجزيرة بها أمة رؤسهم مثل رؤوس الكلاب يخرج من
أفواههم مثل لهب النار وخرجوا إلى مراكبه وحاربوه ثم تخلص منهم وسار فرأى صورا متلونة
بألوان شتى وسمكا طوله مائة ذراع وأكثر وأقل فسبحان الله تعالى ما أكثر عجائب خلقه ويقال
أنه مر فى بعض الجزائر على قصر مصنوع من البلور على قلعة محكمة البناء وحولها قناديل لا تطفأ
ومن جزائر البحر جزيرة القمر يقال أن بها شجرا طول الشجرة مائتا ذراع ودور ساقها مائة
وعشرون ذراعا وبها طوائف من السودان عرايا الابدان يلتحفون بورق الشجر وهو ورق يشبه
ورق الموز لكنه اسمك وأعرض وأنعم ويقال أن هذه الجزيرة بالقرب من نيل مصر وان هذه
الأمة التى بها يتمذهبون بمذهب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وهم فى غاية اللطافة من الأمر
بالمعروف والنهى عن المنكر وبالقرب منهم معدن الذهب والياقوت وبها الفيلة البيض وحيوانات
مختلفة الاشكال من الوحوش وغيرها وبها العود القمارى والآبنوس والطواويس وبها مدن
كثيرة ومنها جزيرة الواق خلف جبل يقال له اصطفيون داخل البحر الجنوبى ويقال أن هذه
الجزيرة كانت ملكتها امرأة وان بعض المسافرين وصل اليها ودخلها ورأى هذه الملكة وهى
جالسة على سرير وعلى رأسها تاج من ذهب وحولها أربعمائة وصيفة كلهن أبكار وفى هذه الجزيرة
من العجائب شجر تشبه شجر الجوز وخيار الشنبر ويحمل حملا كهيئة الانسان فاذا انتهى سمع له
تصويت يفهم منه واق واق ثم يسقط وهذه الجزيرة كثيرة الذهب حتى قيل أن سلاسل خيلها ومقاود
كلابهم وأطواقها من الذهب ومنها جزيرة الصين ويقال أن بها ثلثمائة مدينة ونيفا سوى القرى
والاطراف وأبوابها اثنا عشر بابا وهى جبال فى البحر بين كل جبلين فرجة وهذه الجبال تمر بها
المراكب مسيرة سبعة أيام وإذا جاوزت السفينة الأبواب سارت فى ماء عذب حتى تصل إلى المواضع
الذى تريده وفيها من الأدوية والأشجار والانهار وما لا يمكن وصفه فتبارك الله رب العالمين وقيل
ان الاسكندر لما فرغ من بناء سده حمد الله تعالى وأثنى عليه ثم نام وإذا بحيوان عظيم صعد من البحر إلى
أن علا السد الاقى فظن من حول الملك أنه يريد ابتلاعهم ففزعوا فانتبه فقال ما لكم فقال له انظر
ما حل بنا فقال ما كان الله ليأخذ نفسا قبل انقضاء أجلها وقد منعنى من العدو فلا يسلط على حيوانا من
البحر قال فاذا بالحيوان قد دنا من الملك وقال أيها الملك أنا حيوان ومن هذا البحر وقد رأيت هذا السد بنى
وخرب سبع مرات ولم يزد على ذلك ثم غاب فى البحر فتبارك من له هذا الملك العظيم لا إله إلا هو العزيز الحكيم
وقيل أن بجزيرة النسناس باليمن مدينة بين جبلين وليس لها ماء يدخل فيها الا من المطر وطولها نحو
ستة فراسخ وهى حصينة ذات كروم ونخيل وأشجار وغير ذلك وإذا أراد إنسان الدخول فيها حثى
فى وجهه التراب فان أبى الا الدخول خنق أو صرع وقيل أنها معمورة بالجان وقيل يخلق من النسناس
ويقال أنهم من بقايا عاد الذين أهلكهم الله بالريح العقيم وكل واحد منهم شق انسان ونقل عن بعض
المسافرين أنه قال بينما نحن سائرون إذا أقبل علينا الليل فبتنا بواد فلما أصبح سمعنا قائلا

يقول من الشجرة يا أبا بجير الصبح قد أسفر والليل قد أدبر والقناص قد حضر فالحذر قال فلما ارتفع النهار أرسلنا كلبين كانا معنا نحو الشجرة فسمعت صوتا يقول ناشدتك قال فقلت لرفيق دعهما قال فلما وثقا منا نزلا هاربين فتبعهما الكلبان وجدا في الجري فأمسكا شخصا منهما قال فادركناه وهو يقول

الويل لي مما به دهاني ـ دهري من الهموم والاحزان

قفا قليلا أيها الكلبان إلى منى إلى تجريان

قال فأخذناه ورجعنا فذبحه رفيقي وشواه فعفته ولم آكل منه شيئا فتبارك الله ما أكثر عجايب خلقه لا إله إلا هو ولا معبود سواه

(الفصل الثاني في ذكر الأنهار والآبار والعيون) قال الله تعالى ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض قال المفسرون هو المطر ومعنى سلكه أدخله في الأرض وجعله عيونا ومسايل ومجاري كالعروق في الجسد فمن الأنهار ما هو من الامطار المجتمعة ولهذا ينقطع عند فراغ مادته ومنها ما ينبع من الأرض وأطول ما يكون من الأنهار الف فرسخ وأقصره عشرة فراسخ إلى اثنين وثلاثة وبين ذلك وكلها تبتدىء من الجبال وتنتهي إلى البحار والبطائح وفي ممرها تسقى المدن والقرى وما فضل منها ينصب في البحر الملح ويختلط به ولا يمكن استيفاء عددها لكننا نشير إلى بعضها فنقول (النيل المبارك) ليس في الأنهار أطول منه لأنه مسيرة شهرين في بلاد الإسلام وشهرين في بلاد النوبة وأربعة في الخراب وقيل أن مسافته من منبعه إلى أن ينصب في البحر الرومي الف وسبعمائة فرسخ وثمانية وأربعون فرسخا قال ذلك صاحب مباهج الفكر ومناهج العبر . واختلف في زيادته فقيل أن الأنهار والعيون تمده في الوقت الذي يريده الله تعالى وفي الحديث أنه من أنهار الجنة وقال أهل الاثر ان الأنهار التي من الجنة تخرج من أصل واحد من قبة في أرض الذهب ثم تمر بالبحر المحيط وتشق فيه قالوا ولولا ذلك لكانت أحلى من العسل وأطيب رائحة من الكافور (نهر الفرات) يوجد بأرض أرمينية فضائله كثيرة والنيل أصدق حلاوة منه وبه من السمك الأبيض ما تكون الواحدة قنطارا بالدمشقي وطول هذا النهر من حين يخرج من عند ملطية إلى أن يأتي إلى بغداد ستمائة وثلاثون فرسخا وفي وسطه مدن وجزائر تعد من أعمال الفرات (جيحون) نهر عظيم تتصل به أنهار كثيرة ويمر على مدن كثيرة حتى يصل إلى خوارزم ولا ينتفع به شيء من البلاد سوى خوارزم لأنها متسفلة عنه ثم ينصب في بحيرة بينها وبين خوارزم ستة أيام وهو يجمد في الشتاء خمسة أشهر والماء يجري من تحت الجمد فيحفر أهل خوارزم منه لهم أماكن ليستقوا منها وإذا اشتد جموده مروا عليه بالقوافل والعجل الحملة ولا يبقى بينه وبين الأرض فرق ويعلوه التراب ويبقى على ذلك شهرين (سيحون) نهر عظيم قيل أن مبدأه من حدود الترك ويجري حتى يتصل ببلاد انفرغانة وربما يجتمع مع جيحون في بعض الاماكن (الدجلة) نهر بغداد وله أسماء غير ذلك وماؤه أعذب المياه بعد النيل وأكثرها نفعا قيل مقداره ثلثمائة فرسخ وفي بعض الاوقات يفيض حتى قيل أنه يخشى على بغداد الغرق منه وهو نهر مبارك كثيرا ما ينجو غريقه (حكى أنه وجد به غريق فيه الروح فلما أفاق سألوه عن حاله فأخبرهم أنه لما غلب على نفسه رأى كأن أحدا يحمله ويصعد به وروى في الاثر أن الله تعالى أمر دانيال عليه الصلاة والسلام أن يحفر لعباده ما يستقون منه وينتفعون به فكان كلما مر بأرض ناشد أهلها أن يحفر ذلك عندهم إلى أن حفر دجلة والفرات . وأما الأنهار الصغيرة فكثيرة ولكننا

(ومن أمثلته الشعرية قول أبي تمام) تحلى به رشدي وأثرت به يدي ... وفاض به ثمدي وأورى به زندي

(الثالث المتوازي) وهو أن تتفق اللفظة الأخيرة من القرينة مع نظيرتها في الوزن والروي كقوله تعالى فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة (ومنه) قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا (ومنه) قول الحريري في المقامات وأودى بي الناطق والصامت ورثى لي الحاسد والشامت انتهى (القسم الرابع) السجع المشطر وهو أن يكون لكل نصف من البيت قافيتان مغايرتان لقافيتي النصف الآخر ولكن هذا القسم مختص بالنظم كقول أبي تمام يمدح أمير المؤمنين المعتصم رحمهما الله تعالى

تدبير معتصم بالله منتقم ... لله مرتقب في الله مرتغب

إنتهى باب السجع قلت وقالت علماء هذا الفن أن قصر الفقرات في الانشاء يدل على قوة المنشي وأقل ما تكون من كلمتين كقوله تعالى يا أيها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر الكتاب العزيز لكن الزائد على ذلك هو الاكثر (وكان) بديع الزمان يكثر من ذلك كقوله كميت نهد كان راكبه في مهد يلطم الأرض بزبر وينزل من السماء بجهر لكن قالوا التداد السابع بما زاد على ذلك أكثر

نذكر منها طرفا فنقول (نهر حصن المهدى) قال صاحب تحفة الالباب أنه بين البصرة والاهواز وأنه يرتفع منه في بعض الاوقات شيء يشبه صورة الفيل ولا يعرف أحد شأنه (نهر أذر بيجان) قيل أن بالقرب منه نهرا يجرى فيه الماء سنة ثم ينقطع ثمان سنين ثم يعود فى التاسعة وقيل أنه ينعقد حجرا ويستعمل منه اللبن ويبنى به وقيل أن فى تلك الأرض بحيرة تجف فلا يوجد فيها ماء ولا سمك ولا طين سبع سنين ثم يعود الماء والسمك والطين فتبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير (نهر صقلاب) يجرى فيه الماء يوما واحدا فى كل أسبوع ثم ينقطع ستة أيام (نهر العاصى) بأرض حماة وقيل بحمص وهو نهر معروف وفيه يقول بعضهم

مدينة حمص كعبة القصف أصبحت ... يطوف بها الدانى ويسعى لها القاصى

بها روضة من حسنها سندسية ... تعلق فى أكناف أذيالها العاصى

(نهر العمود) بأرض الهند عليه شجرة نابتة من حديد وقيل من نحاس وتحتها عمود من نحاس وقيل من حديد طوله من فوق الماء نحو عشرة أذرع وعرضه ذراع وعلى رأسه ثلاث شعب مسنونة محدودة وعنده رجل يقرأ كتاب الله تعالى ويقول ياعظيم البركة طوبى لمن صعد هذه الشجرة وألقى بنفسه على هذا العمود فيدخل الجنة وقال أهل تلك الناحية من يريد ذلك فيصعد على تلك الشجرة ويلقى نفسه فيتقطع (نهر باليمن) قال صاحب تحفة الألباب أنه عند طلوع الشمس يجرى من المشرق إلى المغرب وعند غروبها يجرى من المغرب إلى المشرق (نهر ببلاد الحبشة والسودان) يجرى إلى المشرق يشبه النيل فى زيادته ونقصانه وأرضه بها الخصب والبركة وبها شجر كالاراك يحمل ثمرا كالبطيخ داخله شيء يشبه القند فى الحلاوة ولكن فيه بعض حموضة وهذا النهر يجرى فى بلادهم ثمانية أشهر ثم ينصب فى البحر المحيط فسبحان من دبر هذا التدبير وأحكم هذه الصنعة لا إله إلا هو الحكيم الخبير

(الفصل الثالث فى ذكر الآبار) قال مجاهد كنت أحب أن أرى كل شيء غريب فسمعت أن ببابل بئر هاروت وماروت فسرت اليها فلما وصلت إلى ذلك المكان وجدت عنده بيوتا فدخلت فى بعضها فوجدت شخصا فسلمت عليه فرحب بى وسألنى عن حاجتى فذكرت له غرضى فامر يهوديا يذهب معى فيوقفنى على البئر ويطلعنى على الملكين قال فسرنا الى البئر ففتح سردابا ونزلنا فأمرنى أن لا أذكر اسم الله تعالى قال فلما رأيت الملكين رأيت شيئا كالجبلين العظيمين منكسين على رؤسهما وعليهما الحديد من أعناقهما إلى ركبهما قال مجاهد فلما رأيت ذلك ذكرت الله تعالى قال فاضطرب اضطرابا شديدا حتى كادا يقطعان السلاسل قال فقفز اليهودى فتعلقت به فقال أما أمرتك أن لا تذاكر اسم الله تعالى كدنا والله نهلك (بئر برهوت) بقرب حضرموت وهى التى قال النبى ﷺ إنها يجمع أرواح الكفار قال على كرم الله وجهه أبغض البقاع إلى الله تعالى بئر برهوت ماؤها أسود منتن تأوى اليها أرواح الكفار والموكل بها ملك يسمى دومة (بئر عسفان) ماؤها يستشفى به قيل أن النبى ﷺ تفل فيها قالت أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما كنا نغسل المريض منها فيعافى وقيل أن النبى ﷺ توضأ منها (بئر معروفة بأرض حلب) خاصيتها أنها إذا شرب منها المكلوب زال كلبه مالم يجاوز الأربعين وبنسيابور آبار كثيرة وهى معادن الفيروزج وإنما يمنع الناس عنها كثرة عقاربها ٭ وبارض فارس بئر ينبع منها ماء فى وقت من السنة فيرتفع على وجه الأرض لحظة واحدة ويجرى فينتفع به فى سقى الزرع ثم يعود إلى ماكان وعجائب الله كثيرة لا تكاد تنحصر لا إله إلا هو ولا معبود سواه .

من الاولى بقدر غير كثير لئلا يبعد على السامع وجود القافية فتذهب اللذة فإن زادت القرائن على إثنتين فلا يضر تساوى القرينتين الأوليين وزيادة الثالثة عليهما وأن زادت الثانية على الأولى يسيرا والثالثة على الثانية فلا بأس ولكن لايكون أكثر من المثل مثاله فى القرينتين قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إذا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هذا فالثانية أطول من الأولى (ومثاله) فى الثانية قوله تعالى واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا (ومن فوائد الانشاء) أن تكون كل فاصلة مخالفة لنظيرتها فى المعنى لأن اللفظ إذا كان من القرينة بمعنى نظيره من الاخرى لم يحسن مقول الصاحب بن عباد فى وصف منهزمين طاروا واقين بظهورهم صدورهم وبأصلابهم نحورهم فالظهور بمعنى الاصلاب والصدور بمعنى النحور ومنه) قول الصابى يسافر رأيه وهو دان لايبرح ويسير وهو باق لاينزح فلا يبرح ولا ينزح

(الباب السادس والستون فى ذكر عجائب الأرض وما فيها من الجبال والبلدان وغرائب البنيان وفيه فصول)

(الفصل الأول فى ذكر الأرض وما فيها من العمران والخراب) روى عن وهب بن منبه رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال ان لله تعالى ثمانية عشر الف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران فى الخراب الا كخردلة فى كف أحدكم وقال رواه الاثر ان الله عز وجل دابة فى مرج من مروجه فى غامض علمه رزقها فى كل يوم بقدر رزق العالم بأسره وجميع مدائن الدنيا أربعة آلاف مدينة وخمسمائة وست وخمسون مدينة وقيل غير ذلك * وأقاليم الارض سبعة الاقليم الاول الهند والثانى الحجاز الثالث اقليم مصر والرابع اقليم بابل والخامس اقليم الروم والشام والسادس اقليم الترك والسابع اقليم الصين وأوسط الاقاليم اقليم بابل وهو أعمرها وفيه جزيرة العرب وفيه العراق الذى هو سرة الدنيا وبغداد فى وسط هذا الاقليم فلاعتداله اعتدلت ألوان أهله فسلموا من شقرة الروم وسواد الحبشة وغلظ الترك وجفاء أهل الجبال ودمامة أهل الصين * والممالك المشهورة التى ضبطت عدتها فى زمن المأمون ثلثمائة وثلاث وأربعون مملكة أوسعها ثلاثة أشهر وأضيقها ثلاثة أيام وقال أهل الهيئة انه يكون عند خط الاستواء ربيعان وصيفان وخريفان وشتاءان فى سنة واحدة وانه يكون فى بعض البلاد فى ستة أشهر ليل وستة أشهر نهار وبعضها حر وبعضها برد فسبحان من خلق كل شىء فأتقنه لا إله إلا هو ولا معبود سواه

(الفصل الثانى فى ذكر الجبال) قيل أن الله تعالى لما خلق الارض ماجت واضطربت فخلق الجبال وأرساها بها فاستقرت ومجموع ما عرف بالاقاليم السبعة من الجبال مائة وثمانية وتسعون جبلا فمنها ما طوله عشرون فرسخا ومنها ما طوله مائة فرسخ إلى ألف فرسخ * ولنذكر منها مشهورا معروفا بين الناس (فمن أعجبها جبل سرنديب) وطوله مائة ونيف وستون ميلا وفيه أثر قدم آدم عليه الصلاة والسلام حين أهبط وحوله الياقوت وفى أوديته الماس الذى يقطع به الصخور ويثقب به اللؤلؤ وفيه العود والفلفل ودابة المسك ودابة الزباد (جبل الروم) الذى فيه السد طوله سبعمائة فرسخ وينتهى إلى بحر الظلمات (جبل أبى قبيس) سمى بذلك لأن آدم عليه الصلاة والسلام كناه بذلك حين اقتبس منه النار التى بين أيدى الناس وقيل غير ذلك (جبل القدس) جبل شريف مبارك فيه غار يضىء بالليل من غير سراج ويزوره الناس (جبل أروند بهمذان) برأسه عين تخرج من صخرة أياما معدودة فى السنة تقصد من كل وجه يستشفى بها جبل بالشام) لونه أسود كالفحم وترابه أبيض تبيض به الثياب (جبل الاندلس) فيه غار إذا دهنت فتيلة وأدخلتها فيه أوقدت بها جبل به عينان أحدهما باردة والأخرى حارة والمسافة التى بينهما مقدار شبر وجبل به معدن الكبريت والزئبق والزنجفر (جبل سمرقند) يقطر منه ماء فى الصيف يصير جلدا وفى الشتاء يحرق من حرارته (جبل الصور) بكرمان يكسر حجره فيخرج منه كصور الآدميين قائمين وقاعدين ومضطجعين واذا سحق وطرح فى الماء يرى كذلك (جبل الارجان) بطبرستان يقطر منه ماء كل قطرة تصير حجرا مسدسا أو مثمنا (جبل هرمن) ينزل منه ماء الى وهدة فان صاح انسان صيحة وقف فان ثنى جرى (جبل الطير) باقليم الصعيد تجتمع عنده الطير فى كل سنة مرة ويدخل فى كوة هناك فتمسك الكوة على واحدة وتطير البقية ويكون ذلك علامة الخصب فى تلك السنة ولنقتصر على ذلك ومن أراد الوقوف على جميعها فعليه بتاريخ مرآة الزمان

(الفصل الثانى فى ذكر المبانى العظيمة وغرائبها وعجائبها) قال أهل التواريخ ونقلة الاخبار أن أول بناء بنى على وجه الارض الصرح الذى بناه نمروذ الاكبر بن كوش بن حام بن نوح عليه الصلاة

بمعنى واحد ويسافر ويسير (وكذلك من فوائد الانشاء) التى يتسع فيها المجال على المنشىء أن السجع مبنى على الوقوف وكلمات الاسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الاعجاز موقوفا عليها لان الغرض أن يجانس المنشىء بين القرائن ويزاوج ولا يتم له ذلك بالوقوف إذ لو ظهر الإعراب لفات ذلك الغرض وضاق المجال على قاصده فان قافية السجعة إذا كانت فى محل نصب وأختها فى محل رفع ساوى بينهما السكون وصار الاعراب مستترا فلو أثبتوا الاعراب فى قول من قال ما ابعد ما فات وما أقرب ماهو آت للزم أن تكون التاء الاولى مفتوحة والثانية مكسورة منونة فيفوت غرض المنشىء (ومن ذلك) أن السجع مبنى على التغيير فيجوز أن يغير لفظ القافية الفاصلة لتوافق أختها فيجوز فيها حالة الازدواج ما يجوز فيها حالة الانفراد (فمن ذلك) الامالة فقد يكون فى الفواصل ما هو من ذوات الياء وما هو من ذوات الواو فتمال التى هى من ذوات الواو وتكتب بالياء حملا على ما هو من ذوات الياء لاجل الموافقة كقوله تعالى والضحى فالضحى أمليت وكتبت فالياء حملا على ما فى السورة الشريفة من ذوات الياء لاجل الموافقة (وكذلك) سورة الشمس وضحاها

أمليت فيها ذوات الواو وكتبت (١٤٠) بالياء حملا على ما فيها من ذوات الياء (ومن ذلك) حذف المفعول نحو قوله

والسلام وبقعة بكوفى من أرض بابل وبه إلى عصرنا أثر ذلك البناء كأنه جبال شاهقات قالوا وكان طوله خمسة آلاف ذراع بناه بالحجارة والرصاص والشمع واللبان ليمتنع هو وقومه من طوفان ثان فأخرب الله تعالى ذلك الصرح فى ليلة واحدة بصيحة فتبلبلت بها ألسنة الناس فسميت أرض بابل (أرم ذات العماد) التى لم يخلق مثلها فى البلاد (حكى) الشعبى فى كتاب سير الملوك أن شداد بن عاد ملك جميع الدنيا وكان قومه قوم عاد الأولى زادهم الله بسطة فى الأجسام وقوة حتى قالوا من أشد منا قوة قال الله تعالى أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وأن الله تعالى بعث إليهم هودا نبيا عليه الصلاة والسلام فدعا الله تعالى فقال له شداد ان آمنت بالهك فماذا لى عنده قال يعطيك فى الآخرة جنة مبنية من ذهب ويواقيت ولؤلؤ وجميع أنواع الجواهر قال شداد أنا أبنى مثل هذه الجنة ولا احتاج إلى ما تعدنى به قال فأمر شداد ألف أمير من جبابرة قوم عاد أن يخرجوا ويطلبوا أرضا واسعة كثيرة الماء طيبة الهواء بعيدة من الجبال ليبنى فيها مدينة من ذهب قال فخرج أولئك الأمراء ومع كل أمير ألف رجل من خدمه وحشمه فساروا فى الأرض حتى وصلوا إلى جبل عدن فرأوا هناك أرضا واسعة طيبة الهواء فأعجبتهم تلك الأرض فأمروا المهندسين والبنائين فخطوا مدينة مربعة الجوانب دورها أربعين فرسخا من كل جهة عشرة فراسخ فحفروا الأساس الى الماء وبنوا الجدران بحجارة الجزع اليمانى حتى ظهر على وجه الارض ثم أحاطوا به سورا ارتفاعه خمسمائة ذراع وغشوه بصفائح الفضة المموهة بالذهب فلا يكاد يدركه البصر اذا أشرقت الشمس وكان شداد قد بعث إلى جميع معادن الدنيا فاستخرج منها الذهب واتخذه لبنا ولم يترك فى يد أحد من الناس فى جميع الدنيا شيئا من الذهب الا غصبه واستخرج الكنوز المدفونة ثم بنى داخل المدينة مائة ألف قصر بعدد رؤساء مملكته كل قصر على عمد من أنواع الزبرجد واليواقيت معقودة بالذهب طول كل عمود مائة ذراع وأجرى فى وسطه أنهارا وعمل منها جداول لتلك القصور والمنازل وجعل حصاها من الذهب والجواهر واليواقيت وحلى قصورها بصفائح الذهب والفضة وجعل على حافات الأنهار أنواع الأشجار وجذوعها من الذهب وأوراقها وثمرها من أنواع الزبرجد واليواقيت واللآلىء وطلى حيطانها بالمسك والعنبر وجعل فيها جنة من خرفة له وجعل أشجارها الزمرد واليواقيت وسائر أنواع المعادن ونصب عليها الطيور المسموعة الصادح والمغرد وغير ذلك ثم بنى حول المدينة مائة ألف منارة برسم الحراس الذين يحرسون المدينة فلما كمل بناؤها أمر فى مشارق الأرض ومغاربها أن يتخذوا فى البلاد بسطا وستورا وفرشا من أنواع الحرير لتلك القصور والغرف وأمر باتخاذ أوانى الذهب والفضة فاتخذوا جميع ما أمر فلما فرغوا من ذلك جميعه خرج شداد من حضرموت فى أهل مملكته وقصد مدينة أرم ذات العماد فلما أشرف عليها ورآها قال قد وصلت إلى ما كان هود يعدنى به بعد الموت وقد حصلت عليه فى الدنيا فلما أراد دخولها أمر الله تعالى ملكا فصاح بهم صيحة الغضب وقبض ملك الموت أرواحهم فى طرفة عين فخروا على وجوههم صرعى قال الله تعالى وأنه أهلك عادا الأولى وذلك قبل هلاك عاد بالريح العقيم وأخفى الله تعالى تلك المدينة عن أعين الناس فكانوا يرون بالليل فى تلك البرية التى ينبت فيها معادن الذهب والفضة واليواقيت تضىء كالمصابيح فاذا وصلوا اليها لم يجدوا هناك شيئا وقد نقل أن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له عبد الله بن قلابة الانصارى دخل اليها وذلك أنه ضلت له ابل فخرج فى طلبها فوصل اليها فلما رآها دهش وبهت ورأى ما أذهله وحيره وقال فى نفسه هذه تشبه الجنة التى وعد الله بها عباده المتقين فى الآخرة فقصد بابا من أبوابها فلما وصل اليه أناخ راحلته ودخل المدينة فرأى تلك

تعالى ما أودعك ربك وما قلى الأصل وما قلاك ولكن حذفت الكاف لتوافق الفواصل (ومن ذلك) صرف ما لا ينصرف كقوله تعالى قواريرا يرى صرفه بعض القراء السبعة ليوافق فواصل السورة الشريفة ولو تتبع المتأمل ذلك فى الكتاب العزيز لوجده كثيرا (ومما) جاء من ذلك فى الحديث قوله ﷺ أعيذه من الهامة والسامة ومن كل عين لامة الأصل عين ملمة (ومنه) قوله ﷺ مأزورات غير مأجورات الأصل موزورات بالواو لأنه من الوزر ولكن همز ليوافق مأجورات (ومنه) قوله ﷺ دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم الأصل ما وادعوكم ولكن حذفت الألف لتحصل الموافقة (قلت) وهذا نوع من المشاكلة لأن المشاكلة فى اللغة هى المماثلة وهى فى المصطلح ذكر الشىء بغير لفظه لموافقة القرائن ومشاكلتها كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها الجزاء عن السيئة فى الحقيقة غير سيئة والأصل وجزاء سيئة عقوبة (ومنه قوله تعالى) تعلم ما فى نفسى ولا أعلم

القصور والأنهار والأشجار ولم ير فى المدينة أحدا فقال ارجع الى معاوية وأخبره بهذه المدينة ومافيها ثم حمل معه شيأ من تلك الجواهر واليواقيت فى وعاء وجعله على راحلته وعلم على المدينة علامة وقال قربها من جبل عدن كذا ومن الجهة الفلانية كذا ثم انصرف عنها بعد ماظفر بابله ثم دخل على معاوية رضى الله تعالى عنه بدمشق وأخبره بجميع مارآه فقال له معاوية فى اليقظة أم رأيتها فى المنام قال بل فى اليقظة وقد حملت من حصبائها وأخرج له شيئا مما حمله من الجواهر واليواقيت فتعجب معاوية من ذلك ثم أرسل إلى كعب الأحبار رضى الله تعالى عنه فلما دخل عليه قال له معاوية يا أبا إسحق هل بلغك أن فى الدنيا مدينة من ذهب قال نعم يا أمير المؤمنين وقد ذكرها الله عز وجل فى القرآن لنبيه ﷺ بقوله عز من قائل ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد وقد أخفاها الله تعالى عن أعين الناس وسيدخلها رجل من هذه الأمة يقال له عبد الله بن قلابة الأنصارى ثم التفت فرأى عبد الله بن قلابة فقال هاهو يا أمير المؤمنين وصفته واسمه فى التوراة ولا يدخلها أحد بعده إلى يوم القيامة وقيل ان ذلك كان فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وان الرجل الذى دخلها حكى ذلك لعمر بن الخطاب فلم ينكره ولا من كان حاضرا بل قال ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يدخلها بعض أمتى والله سبحانه وتعالى أعلم ومن المبانى العجيبة الخورنق الذى بناه النعمان بن امرىء القيس وهو النعمان الأكبر بناه فى عشرين سنة فلما انتهى أعجبه فخشى أن يبنى لغيره مثله فأمر أن يلقى بانيه من أعلاه فألقوه فتقطع واسم بانيه سنمار فصارت العرب تضرب به المثل يقولون جزاء سنمار قال الشاعر

جازى بنوه أبا الغيلان عن كبر * وحسن فعل كما يجزى سنمار

(ومن المبانى العجيبة حائط العجوز) واسمها دلوك القبطية وسبب بنائها لذلك أنها ولدت ولدا فأخذت له الرصد فقيل لها يخشى عليه من التمساح فلما شب الغلام خافت عليه فبنت الحائط وجعلته من العريش إلى أسوان شاملا لكورة مصر من الجانب الشرقى وقيل بنته خوفا على مصر وأهلها بعد غرق فرعون أن يطمع الملوك فيها وقد قيل انها أرادت أن تخوف والدها من التمساح حتى لا ينزل البحر فصورت له صورة التمساح فرآه شكلا مهولا فأذهله وأخذه الفزع والهم فضعف وانسل إلى أن مات لامفر من قضاء الله تعالى (ومن المبانى العجيبة الأهرام وهى بالجانب الغربى من مصر مشاهدة فى زماننا هذا قيل ان دور الهرم الأكبر من الثلاثة ألفا ذراع من كل جهة خمسمائة ذراع وعلوه خمسمائة ذراع وقد ذهب المأمون الى مصر حتى شاهدها على ماذكر وفتح منها هرما وتعجب من بنيانها وصفتها قيل ان كل حجر من حجارتها ثلاثون ذراعا فى عرض عشرة أذرع وقد أحكم إلصاقه ونحته وتسويته ولا يقدر النجار الصانع أن يتخذ من خشب صندوقا صغيرا على إحكامه وهى من عجائب الدنيا قال بعضهم

أين الذى الهرمان من بنيانه * ماقومه مايومه ماالمصرع
تتخلف الآثار عن سكانها * حينا ويدركها الفناء فتصرع

وزعم قوم أن الاهرام الموجودة بمصر قبور لملوك عظام أرادوا أن يتميزوا بها عن الناس بعد مماتهم كما تميزوا عنهم فى حياتهم ورجوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخى العصور ولما وصل المأمون الى مصر أمر بنقبها فنقب أحدها بعد جهد شديد وعناء طويل فوجد داخله مزاليق ومهاوى يهول أمرها ويعسر السلوك فيها ووجد فى أعلاه بيت وفى وسطه حوض من رخام مطبق فلما كشف غطاؤه لم يوجد فيه إلا رمة بالية فعند ذلك أمر المأمون

مافى نفسك والأصل تعلم مافى نفسى ولا أعلم ماعندك لأن الحق تعالى وقدس لا تستعمل لفظة النفس مافى فى حقه إلا أنها استعملت هنا للمقابلة والمشاكلة كما تقدم (ومنه قوله تعالى ومكروا ومكر الله والاصل وأخذهم الله وفى الحديث قوله ﷺ فان الله لا يمل حتى يملوا الأصل فان الله لا يقطع عنكم فضل حتى تملوا من مسئلته فوضع لا يمل موضع لا يقطع لأجل المشاكلة وهو مما وقع فيه لفظ المشاكلة أولا (ومنه قول الشاعر قالوا

اقترح شيئا نجد لك طبخه
قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

أراد خيطوا لى جبة وقميصا وذكره بلفظ اطبخوا لوقوعه فى صحبة طبخه انتهى (قلت) ومن غايات الانشاء البلاغة فى المقاصد والبلاغة هى ان يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده مع ايجاز بلا اخلال وإطالة من غير إملال (والفصاحة) خلوص الكلام من التعقيد وقيل البلاغة فى المعانى والفصاحة فى الالفاظ يقال معنى بليغ ولفظ فصيح والفصاحة خاصة تقع فى المفرد يقال كلمة بليغة ففصاحة المفرد خلوصه من التعقيد وتنافر الحروف والفصاحة أعم من البلاغة لأن الفصاحة تكون صفة الكلمة والكلام يقال كلمة فصيحة وكلام فصيح والبلاغة لا يوصف بها الا الكلام فيقال كلام بليغ ولا يقال

بالكف عما سواه ويقال ان الذي بناها اسمه سوريد بن سهراق بن سرياق لرؤيا رآها وهي آفة تنزل من السماء وهي الطوفان فقالوا انه بناها فى ستة أشهر وقال لمن يأتى بعدنا يهدمها فى ستمائة سنة والهدم أيسر من البنيان وكسوناها الديباج الملون فليكسها حصرا والحصر أهون من الديباج والأمر فيها عجيب جدا والله سبحانه وتعالى أعلم (ومن المبانى العجيبة منارة الإسكندرية) التي بناها ذوالقرنين قيل انها كانت مبنية بحجارة منهدمة مغموسة فى الرصاص فيها نحو من ثلثمائة بيت تصعد الدابة بحملها إلى كل بيت وللبيوت طاقات تطل على البحر ويقال ان طولها كان ألف ذراع وفى أعلاها تماثيل من نحاس منها تمثال رجل قد أشار بيده إلى البحر فاذا صار العدو على نحو ليلة منه سمع له تصويت يعلم به أهل المدينة بجيء العدو فيستعدون له ومنها تمثال كلما مضى من الليل ساعة صوت صوتا مطربا ويقال انه كان بأعلاها مرآة من الحديد الصينى عرضها سبعة أذرع كانوا يرون فيها المراكب بجزيرة قبرص وقيل كانوا يرون فيها من يخرج من البحر من جميع بلاد الروم فان كانوا أعداء تركوهم حتى يقربوا من المدينة فاذا مالت الشمس للغروب أداروا المرآة مقابلة الشمس واستقبلوا بها السفن فيقع شعاعها بضوء الشمس على السفن فتحرق فى البحر ويهلك كل من فيها وكانت من الروم تؤدى الخراج ليأمنوا بذلك من إحراق السفن ولم تزل كذلك إلى زمن الوليد بن عبد الملك ۞ قال المسعودي قيل ان رجلا من الروم تحيل على الوليد وأظهر أنه يريد الإسلام وأرسل اليه تحفا وهدايا وأظهر له بواسطة حكماء كانوا عنده أن ببلاده دفائن وأرسل بذلك قسيسين من خواصه وارسل معهم أموالا قيل انهم حفروا بقرب المناره ودفنوا تلك الأموال وقالوا للوليد إن تحت المنارة كنوزا لاتنفذ وبإزائها خبية بها كذا وكذا الف دينار فأمرهم باستخراج ما بالقرب من المناره فان كان ذلك حقا استخرجوا ما تحت المنارة بعد هدمها فحفروا واستخرجوا ما دفنوه بأيديهم فعند ذلك أمر الوليد بهدم المنارة واستخراج ما تحتها فهدموها فلم يجدوا تحتها شيأ وهرب أولئك القسيسون فعلم الوليد أنها مكيدة عليه فندم على ذلك غاية الندم ثم امر ببنائها بالآجر ولم يقدروا أن يرفعوا اليها تلك الحجارة فلما أتموها نصبوا عليها المرآة كما كانت فصدئت ولم يروا فيها شيئا مثل ما كانوا يرون أولا وبطل إحراقها فندموا على مافعلوا وفاتهم من جهلهم وطمعهم نفع عظيم ولا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم وقد عملت الجن لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فى الاسكندرية مجلسا على أعمدة من الجزع اليمانى المصقول كالمرآة إذا نظر الإنسان اليها يرى من يمشى خلفه لصفائها وفى وسط ذلك المجلس عمود من الرخام طوله مائة وأحد ذراعا وفى تلك الأعمدة عمود واحد يتحرك شرقا وغربا بطلوع الشمس وغروبها يشاهد الناس ذلك ويعلمون ماسببه ۞ وفى مدينة حمص مدينة أخرى تحت المدينة المسكونة العليا فيها من عجائب البنيان والبيوت والغرف والماء الجارى فى كل طريق من طرقها مالايعلمه إلاالله تعالى وعند حوران مدينة عظيمة يقال لها اللجاة فيها من البنيان مايعجز عن وصفه ألسنة العقلاء كل دار منها مبنية من الصخر المنحوت ليس فى الدار خشبة واحدة بل أبوابها وغرفها وسقوفها وبيوتها من الصخرة المنحوت الذى لايستطيع أحد أن يعمله من الخشب وفى كل دار بئر وطاحون وكل دار مفردة لايلاصقها دار أخرى وكل دار كالقلعة الحصينة إذا خاف أهل تلك النواحى من العدو دخلوا إلى تلك المدينة فينزل كل انسان فى دار بجميع عياله وخيله وغنمه وبقره ويغلق بابه ويجعل خلف الباب حصاة فلا يقدر أحد على فتح ذلك الباب لاحكامه وفى هذه المدينة أكثر من مائتى الف دار فيما يقال ولايعلم أحد من بناها وسمتها العرب اللجاة لانهم يلجؤن اليها عند الخوف (ومن المبانى العجيبة ايوان كسرى أنو شروان

كلمة بليغة واشتركا فى وصف المتكلم بهما فيقال متكلم فصيح بليغ (فن الإنشاء البليغ الفصيح) قول عبد الحميد عنده ظهور الخراسانية بشعار السواد فأثبتوا ريثما تنجلى هذه الغمرة وتصحوا من هذه السكرة فسينضب السيل وتمحى آية الليل (ومثله) قول أبى نصر العتبى دب الفشل فى تضاعيف أحشائهم وسرى الوهن فى تفاريق أعضائهم لجيوب الأقطار عنهم مزرورة وذيول الخذلان عليهم مجرورة (ومثله) قول الصابى نزغ به شيطانه وامتدت فى الغى أشطانه (ومثله) قول بديع الزمان كتابى الى البحر وإن لم أراه فقد سمعت خبره والليث وان لم ألقه فقد تصورت خلقه ومن رأى من السيف أثره فقد رأى أكثره (ومثله) قول القاضى الفاضل ووافينا قلعة نجم وهى نجم فى سحاب وعقاب فى عقاب وهامة لها الغمام عمامة وأنملة إذا خضبها الأصل كان الهلال لها قلامة (قلت) ويعجبنى فى هذا الباب من انشاء الشهاب محمود قوله فى وصف مقدم سرية أشف الازرار فى مقاصده أخف من وطأة ضيف وفى مطالبه أخفى من زورة طيف وفى تنقله أسرع من سحابة صيف وأروع للعدا من سلة سيف ومثله فى الحسن قوله) فى صدر مثال شريف سلطانى أصدرناها والسيوف قد أنفت من الغمود ونفرت من قربها بنناه

بناه سابور ذو الأكتاف فى نيف وعشرين سنة وطوله مائة ذراع فى عرض خمسين بناه بالآجر والجص وجعل طول كل شرافة من شرافيه خمسة عشر ذراعا ولما ملك المسلمون المدائن أحرقوا هذا الايوان فأخرجوا منه الف الف دينار ذهبا (وحكى) أن المنصور لما أراد بناء بغداد عزم على هدمه وأن يجعل آلته فى بنائه فقيل له ان نقضه يتكلف بقدر العمارة فلم يسمع وهدم شرافة وحسب ما أنفق عليها فوجد الأمر كذلك وقيل ان بعض رؤساء مملكته قال له لما أراد هدمه هو آية الاسلام فلا تهدمه (وحكى) أنه كان بمدينة قيسارية كنيسة بها مرآة إذا اتهم الرجل امرأته بزنا نظر فى تلك المرآة فيرى صورة الزانى فاتفق أن بعض الناس قتل غريمه فعمد أهله اليها فكسرها والله سبحانه وتعالى أعلم وقد اقتصرت من ذلك على هذا القدر اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والستون فى ذكر المعادن والأحجار وخواصها)

المعادن لا تكاد تحصى لكن منها ما يعرفه الناس ومنها ما لا يعرفه وهى مقسومة إلى ما يذوب وإلى ما لا يذوب والذى اشتهر بين الناس من المعادن سبعة وهى الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والاسرب والخارصينى ولنبدأ أولا بذكر الذهب فقيل طبعه حار لطيف ولشدة اختلاط أجزائه المائية بالترابية قيل ان النار لا تقدر على تفرق أجزائه فلا يحترق ولا يبلى ولا يصدأ وهو لين براق حلو الطعم أصفر اللون فالصفرة من ناريته والليونة من هنيته والبراقة من صفاء مائه ومن خواصه يقوى القلب ويدفع الصرع تعليقا ويمنع الفزع والخفقان ويقوى العين كحلا ويجلوها إذا كان ميلا ويحسن نظرها إذا ثقبت به الاذن لم تلتحم وإذا كوى به لم ينفط ويبرأ سريعا وأمساكه فى الفم يزيل البخر (الفضة) قريبة منه وتصدأ وتحترق وتبلى بالتراب وإذا أصابتها رائحة الرصاص والزئبق تكسرت أو رائحة الكبريت اسودت ومن خواصها أنها تزيل البخر من الفم إذا وضعت فيه وإذا أذيبت مع الزئبق وطلى بها البدن نفع ذلك من الحكة والجرب وعسر البول. (النحاس). قريب منها لكنه أيبس وأغلظ فى الطبع ومن خواصه إذا صدىء وطلى بالحامض الا وصدؤه والأكل فى آنيته يولد أمراضا لا دواء لها (الحديد). كثير الفائدة إذ ما من صنعة زال له فيها مدخل (ومن خواصه) أنه يمنع غطيط النائم اذا علق عليه وحمله يقوى القلب ويزيل الخوف والافكار والاحلام الرديئة ويسمن النفس وصدؤه ينفع أمراض العين كحلا والبواسير تحملا (القصدير صنف من الفضة دخل عليه آفات من الأرض ومن خواصه) أنه إذا ألقى فى قدر لم ينضج ما فيها (الاسرب هو الرصاص) ومن خواصه أنه يكسر الماس ومن خواص الماس الدخول فى كل شىء وإذا شد من الرصاص قطعة على الخنازير والغدد أبرأتها. (الخارصينى). حجر لونه أسود لونه يعطى حمرة ومن خواصه إذا عمل منه مرآة نظر فيها فى الظلمة نفعت للقوة وإذا نتف الشعر بملقاط منه لم ينبت

(الاحجار الجوهرية) أصل الجوهر هو الدر على ما قيل ان حيوانا يصعد من البحر على ساحله وقت المطر ويفتح أذنه يلتقط بها المطر ويضمها ويرجع إلى البحر فينزل إلى قراره ولا يزال طابقا أذنه على ما فيها خوفا أن يختلط بأجزاء البحر حتى ينضج ما فيها ويصير درا فان كانت القطرة صغيرة كانت الدرة صغيرة وان كانت كبيرة فكبيرة فان كان فى بطن هذا الحيوان شىء من الماء المر كانت الدرة كدرة وان لم يكن كانت صافية وقيل غير ذلك والدر نوعان كبير وصغير قيل انه تصل الواحدة إلى مثقال (خواصه) أنه يفرح القلب ويبسط النفس ويحسن الوجه ويصفى دم القلب وإذا خلط مع الكحل شد عصب العين (الياقوت) سيد الاحجار وأصول ألوانه أربعة الاحمر والاصفر والازرق والاسمانجونى

والأسنة قد ظمئت إلى موارد القلوب وتشوقت إلى الارتواء من قليبها والحماة ما منهم الا من استظهر قوته وقوة امكانه والابطال ليس فيهم من يسأل عن عدد عدوه بل عن مكانه (ومثله فى الحسن) ما كتبت به جوابا عن مولانا السلطان الملك المؤيد سقى الله ثراه الى قرا يوسف ملك العرق يتضمن خطاب الاناس نظير ما خاطب فى مكاتبته (فن) الجواب قول هذه الفة حولتنا فى نعم الله وزمام الاخوة منقاد الينا وقد تعين على المقران يقول أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا وقد سرتنا الاشارة الكريمة بالتمكن من أرض العدا ومطابقة الطول بالعرض وهذا الاسم قد شملته العناية قديما بقوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض وأما قراعثمان فقل سيوفنا ما غمضت عنه فى أجفانها وأنامل أسنتنا ما ذكرت توبته الا شرعت فى حبس عيدانها وجوارح سهامنا ما برحت تنفض ريش أجنحتها للطيران اليه وان كان معنى سافلا فلا بد لاجل القرار تخيم عليه وينزل سلطان قهرنا بأرضه ويغرس فيها عيدان المران وان كانت من الاسماء التى ما أنزل الله بها من سلطان ولم يهمل الا لاشتغال الدولتان بالدخول فى تطهير الارض من الخوارج وإيقاع

ويتولد منها ألوان كثيرة وأعدلها الأحمر الخالص الرمانى الشبيه بحب الرمان الأحمر ودونه الأحمر المشرب ببياض ثم الوردى ثم الخرى العصفرى وأردؤه الأزرق الذى لونه يشبه زهر السوسن وأقله قيمة الابيض ٭ خواصه أنه لا يعمل فيه الفولاذ ولا حجر الماس ولا تدنسه النار ويورث لابسه مهابة ووقارا ويسهل قضاء الحوائج ويدر الريق فى الفم ويقطع العطاش ويدفع السم ويقوى القلب وجميعه ينفع للمصروع تعليقا والابيض منه يبسط النفس ويوجد من الاصفر ماوزنه ثلاثون مثقالا على ماقيل (البلخش) هو مقارب للياقوت فى القيمة ودونه فى الشرف (ومن خواصه) أنه يورث قبض النفس وسوء الخلق والحزن وهو أحمر وأخضر وأصفر (البنفش) أصناف أحمر مفتوح اللون صاف وأحمر قرى الحمرة وأسود يعلوه مطوسة بزرقة خفيفة ثم أصفر مفتوح اللون (عين الهر) حجر يتكون من معدن الياقوت والغالب عليه البياض الناصع باشراق مفرط ومائيته رقيقة شفافة وفى مائيته سرا حرك يمينا تحركت يسارا وبالعكس (ومن خواصه)إذا علق على العين أمن عليها من الجدرى على ماقيل (الماس) يوجد بواد بالهند يقال انه مشحون بالحيات فيأتى من يريد استخراجه من ذلك الوادى فيضع فى الوادى مرآة كبيرة فتأتى الحيات فتنظر إلى خيالها فى المرآة فتنفر من ذلك الجانب فينزل فيأخذ ماله فيه رزق وقيل انهم ينحرون الجزر ويلقون لحمها فى ذلك الوادى فيلتصق الماس وغيره باللحم فتأتى الطير فتخطف اللحم وتصعد به إلى الجبال فتأكل اللحم وتترك الحجر فيأخذه صاحب اللحم وقيل ان الحياة لها مشتى ستة أشهر فى مكان ومصيف ستة أشهر فى مكان آخر فاذا ذهبت إلى مشتاها ومصيفها أخذ الحجر فى غيبتها والله أعلم بصحة ذلك ٭ ومن عجيب أمره أنه اذا أريد كسره جعل فى أنبوبة قصب وضرب فانه يفتت وكذا إذا جعل فى شمع أوقار وإذا جعل عليه دم تيس وقرب من النار ذاب (ومن خواصه) أن الملوك يتخذونه عندهم لشرفه وهو من السموم القاتلة القطعة الصغيرة منه اذا حصلت فى الجوف ولو بقدر سمسمة خرقت الامعاء (ومن خواصه الجليلة) أنه يفرق عند وجود السم أوالطعام المسموم (والزمرد) ويسمى الزبرجد وهو ألوان أخضر وزنجارى وصابونى ويكون الحجر منه خمسة مثاقيل وأقل (ومن خواصه) أنه يدفع العين ويفرح القلب ويقوى البصر ويصفى الذهن وينشط النفس (الفيروزج) نوعان اسحاقى وخلنجى وأجوده الإسحاقى الأزرق الصافى (خواصه) النظر فيه يجلوا البصر ويقويه ينشط النفس ولا يصيب المتختم به آفة من قتل أوغرق وقال جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه ماافتقرت يد تختمت بفيروزج وإذا مضى له بعد خروجه من معدنه عشرون سنة نقص لونه ولا يزال كذلك حتى ينطفىء (العقيق) معدن بأرض صنعاء باليمن وهو ألوان ويوجد عليه غشاوة وبحمى عليه ببعر الابل ثم يبرد ويكسر وقيل يوجد بالهند ولكن اليمن أجود (خواصه) التختم به وحمله يورث الحلم والاناة وتصويب الرأى ويسر النفس ويكسب حامله وقارا وحسن خلق ويسكن الحدة عند الخصومة قال رسول الله ﷺ من تختم بالعقيق لم يزل فى بركة (الجزع) هو حجر أيضا يؤتى به من اليمن والصين وألوانه كثيرة والناس يكرهونه لأنه يورث الهم والاحلام الرديئة وسوء الخلق وتعسر قضاء الحوائج ويكثر بكاء الصبى وسيلان لعابه ويثقل اللسان إذا سحق وشرب ماؤه وإذا وضع بين قوم لا علم لهم به حصلت بينهم العداوة لكنه يسهل الولادة تعليقا (البلور) هو صنف من الزجاج يحكى أن ببلاد كيسان جبلين أحدهما بلور وإذا أريد قطع البلور فى ذلك الموضع قطع فى الليل لأنه بالنهار يكون له لمعان عظيم (خواصه) النظر فيه يشرح القلب ويبسط النفس [illegible] (المرجان) [illegible] ([illegible]) [illegible]

الوقائع جدهم وردالجموع الصحيحة إلى التكسير فردهم وإذا كثرت الخدود وتوردت بالدماء عذرت بورق الحديد الأخضر مردهم وإذا امتدوا إلى آمد تلالهم حصنها فى سورة الفتح قبل القتال فانهم مريدون ولهم شيخ منحه الله بكثرة الفتوح والاقبال وإذا صرفوا الهمم المؤيدية لم تكن حصونهم عند ذلك الصرف مانعة ولم يسمع لسكانها مجادلة إذا صدموا بالحديد وتلت حصونهم فى الواقعة وماخفى عن كريم عله ماجمعه الناصر من الجموع التى فرقها الله أيد سبأ وكم سئل سائل وقد رآهم فى النازعات عن ذلك العصر بالنبأ وقد أشار منشىء دولتنا الشريفة إلى ذلك فى قصيد كامل بحره مديد والقصد هنا من أبيات ذلك القصيد قوله ياحامى الحرمين والاقصى ومن

لولاه لم دسعر بمكة سامر
والله ان الله نحوك ناظر
هذا ومافى العالمين مناظر
زحف على المخبون نظم عسكرا
وأطاعه فى النظم بحر وافر

والمعدن لأنه بتشجره يشبه النبات وبتحجره يشبه المعدن ولايزال لينا فى معدنه فاذا فارقه تحجر ويبس (خواصه) النظر فيه يشرح الصدر ويبسط النفس ويفرح القلب ويذهب بالداء المحتبس فى العين ويسكن الرمد وسحاقته المخلوطة بالخل تجلوا قلح الاسنان وإذا وضع على الجرح منعه من الانتفاخ وأنواعه كثيرة أحمر وأزرق وأبيض وأصله من البحر قيل انه شجر ينبت وقيل أنه من حيوانه (حجر الماطليس) وهو حجر هندى لايعمل فيه الحديد والبيت الذى يكون فيه لايدخله السحر ولا الجن ولأجل ذلك الاسكندر يحمله فى عسكره (الحجر الماهانى) من تختم به أمن من الروع والهم والحزن والغم ولونه أبيض وأصفر ويوجـــد بأرض خراسان (حجر مراد) يوجد بناحية الجنوب (وخاصيته) أن الجن تتبع حامله تعمل له ما أراد (الدهنج) خاصيته انه إذا سقى إنسان من محكة يفعل فعل السم وإذا سقى شارب السم منه نفعه وإذا مسح به موضع اللدغ سكن وينفع من خفقان القلب وإذا طلا بحكاكته بياض البرص أزاله وان علق على إنسان غلب عليه الباه (السبج) خواصه أنه يقوى النظر الضعيف من الكبر أو نزول الماء ولبسه ينفع عسر البول وادمان النظر فيه يحـــد البصر وسحاقته تجلوا البصر وإذا علق على من به صداع زال عنه (المغناطيس) يوجد فى بحر الهند وهناك لايتخذ فى السفن حديد ويوجد ببلاد الاندلس أيضا وأجود أنواعه ماكان أسود يضرب إلى حمرة (خواصه) الاكتحال بسحاقته ويورث الفة بين المكتحل وبين من يحبه ويسهل الولادة تعليقا ومن تختم به كانت حاجته مقضية وتعليقه فى العنق يزيد فى الذهن وإذا سحق وشرب من سحاقته من به سم بطل سمه وإذا أصابته رائحة الثوم بطلت خاصيته وإذا غسل بالخل عاد إلى حالته وأجوده ماجذب نصف مثقال من الحديد (حجر الخطاف) الخطاف يوجد فى عشه حجران أحدهما أحمر والآخر ابيض فالأحمر إذا علق على من يفزع فى نومه زال فزعه والأبيض إذا علق على من به صرع زال عنه (حجر الزاج) إذا دخن البيت بسحاقته هرب منه الفار والذباب (حجر الزنجفر) أصله من الزئبق واستحال (وخاصيته) أنه يدمل الجراحات وينبت اللحم (حجر الملح) هو أنواع وأجوده مايوجد بأرض سدوم بالقرب من بحر لوط وقد جعله الله قواما للدنيا (ومن خاصيته) أنه يحسن الذهب ويزيد فى صفرته وعن النبى ﷺ أنه قال ياعلى ابدأ بالملح واختم به فان فيه شفاء من سبعين داء (حجر النطرون) قال ارسطو ينفع الارحام التى غلبت عليها الرطوبة ينشفها ويقويها وإذا ألقى فى العجين طيبه وبيضه ونشفه وهو نوعان أبيض وأحمر (حجر اللازورد) مشهور قال ارسطوا من تختم به عظم فى أعين الناس وينفع من السهر والله أعلم ۰ ومن أراد التعمق فى ذلك فعليه بالكتب الموضوعة له ولكن قد ذكرنا ماهو معروف والحمد لله على كل حال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والستون فى الاصوات والالحان وذكر الغناء واختلاف الناس فيه ومن كرهه ومن استحسنه)

وما ذكرت ذلك الا لانى كرهت أن يكون كتابى هذا اشماله على فنون الادب والتحف والنوادر والامثال عاطلا من هذه الصناعة التى هى مراد السمع ومرتع النفس وربيع القلب ومجال الهوى ومسلاة الكئيب وأنيس الوحيد وزاد الراكب لعظم موقع الصوت الحسن من القلب وأخذه بمجامع النفس ۰

(فصل فى الصوت الحسن) قال بعض أهل التفسير فى قوله تعالى يزيد فى الخلق مايشاء هو الصوت

(وما) أخفى عن علمه الكريم امر الذين نقضوا بيعتنا واشتروا الضلالة بالهدى ودعوا سيوفهم الصقيلة لما حاق بهم المكر السىء فاجابهم الصدى ولم يكن فى حرارة عزمنا الشريف عندعصيانهم البارد فترة حتى أظهرتا بألوان الشام من دمائهم على تدبيج الدروع ألوان البصرة وأخذوا سريعا بثعبان حرب ماشابت عوارضهم إلا بغبار الوقائع وحكم برشدهم ولم يخرجوا من تحت حجر الصوامع وقد أسبغ الله ظلال الملك وخيم به على الدولتين ولم يظهر لمحراب بهجة الابهاتين القبلتين ولو صلت السيوف لغيرهما ماقبلت أو صرفت العوامل إلى غير نحوهما ماعملت فقد فهمنا كريم الالتفات إلى أن تدار كؤس الإنشاء بيننا ممزوجة بصافى المودة وعلمنا أنها أحكام صحيحة فى شرع الإخوة ولهذه الأحكام عندنا عمدة وقد سابق القصد اليوسفى بسهام مراده إلى الغرض وقضى حاجة فى نفس يعقوب المحبة ليس عنها عوض ولم يبق الا اتصال شمل الأوصال بكل رسالة سطورها فى

الحسن وعن النبي ﷺ أنه قال أتدرون متى كان الحداء قالوا لا بأبينا أنت وأمنا يارسول الله قال لن أباكم مضر خرج فى طلب مال له فوجد غلاماله تفرقت ابله فضربه على يده بالعصا فعدا الغلام فى الوادى وهو يصيح وايداه فسمعت الابل صوته فعطف عليه فقال مضر لو اشتق من الكلام مثل هذا لكان كلاما تجتمع عليه الابل فاشتق الحداء وقال النبي ﷺ لأبى موسى الاشعري رضى الله تعالى عنه لما أعجبه حسن صوته لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود وقيل ان داود عليه الصلاة والسلام كان يخرج إلى صحراء بيت المقدس يوما فى الاسبوع وتجتمع عليه الخلق فيقرأ الزبور بتلك القراءة الرخيمة وكان له جاريتان موصفتان بالقوة والشدة فكانتا يضبطا جسده ضبطاً شديدا خيفة أن تنخلع أوصاله مما كان ينتحب وكانت الوحوش والطير تجتمع لاستماع قراءته قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى بلغنا ان الله تعالى يقيم داود عليه الصلاة والسلام يوم القيامة عند ساق العرش فيقول ياداود مجدنى اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم وقال سلام الحادى المنصور وكان يضرب المثل بحدائه مربا أمير المؤمنين بان يظمؤا ابلا ثم يوردوها الماء فانى آخذ فى الحداء فترفع رءوسها وتترك الشرب وزعم أهل الطب أن الصوت الحسن يجرى فى الجسم مجرى الدم فى العروق فيصفو له الدم وتنمو له النفس ويرتاح له القلب وتهتز له الجوارح وتخفف له الحركات ولهذا كرهوا للطفل أن ينام على أثر البكاء حتى يرقص ويطرب وزعمت الفلاسفة أن النغم فضل بقى من النطق لم يقدر اللسان على استخراجه فاستخرجته الطبيعة بالالحان على الترجيع لا على التقطيع فلما ظهر عشقته النفس وحنت اليه الروح الا ترى إلى أهل الصناعات كلما إذا خافوا الملالة والفتور على أبدانهم ترنموا الألحان واستراحت اليها أنفسهم وليس من أحد كائنا من كان الا وهو يطرب من صوت نفسه ويعجبه طنين رأسه ولو لم يكن من فضل الصوت الحسن الا أنه ليس فى الأرض لذة تكتسب من مأكل ولا مشرب ولا ملبس ولا نكاح ولا صيد الا وفيها معاناة على البدن وتعب على الجوارح ما خلا السماع فانه لا معاناة فيه على البدن ولا تعب على الجوارح وقد يتوصل بالالحان الحسان إلى خير الدنيا والآخرة فمن ذلك أنها تبعث على مكارم الاخلاق من اصطناع المعروف وصلة الأرحام والذب على الأعراض والتجاوز عن الذنوب وقد يبكى الرجل بها على خطيئته ويتذكر نعيم الملكوت ويمثله فى ضميره ولاهل الرهبانية نغمات وألحان شجية يمجدون الله تعالى بها ويبكون على خطاياهم ويتذكرون نعيم الآخرة وكان أبو يوسف القاضى يحضر مجلس الرشيد وفيه الغناء فيجعل مكان السرور به بكاء كأنه يتذكر نعيم الآخرة وقد تحن القلوب الى حسن الصوت حتى الطير والبهائم وكان صاحب الفلاحات يقول ان النحل أطرب الحيوان كله على الغناء قال الشاعر

والطير قد يسوقه للموت ... اصغاؤه إلى حنين الصوت

وزعموا أن فى البحر دواب ربما زمرت أصواتا مطربة ولحونا مستلذة يأخذ السامعين الغشى من حلاوتها فاعتنى بها وضعة الالحان بأن شبهوا بها أغانيهم فلم يبلغوا وربما يغشى على سامع الصوت الحسن للطافة وصوله إلى الدماغ وممازجته للقلب ألا ترى الى الأم كيف تناغى ولدها فيقبل بسمعه على مناغاتها ويتلهى عن البكاء والابل تزداد فى نشاطها وقوتها بالحداء فترفع آذانها وتلتفت يمنة ويسرة وتتبختر فى مشيتها وزعموا أن السماكين بنواحى العراق يبنون فى جوف الماء حفائر ثم يضربون عندها بأصوات شجية فيجتمع السمك فى الحفائر فيصيدونه وقد نبهت على ذلك فى باب ذكر البحر وما فيها من العجائب والراعى إذا رفع صوته ونفخ فى يراعته تلقته الغنم بآذانها وجدت فى رعيها والدابة تخاف الماء فاذا سمعت الصفير بالغت فى الشرب وليس شيء مما يستلذ به أخف مؤنة

والله تعالى يمتع الابصار والاسماع بمشاهدة امثلته وطيب أخباره ويفكهنا من بين اوراقها بجنى ثماره ان شاء الله تعالى انتهى ما دنت قطوفه من ثمرات الاوراق وحلا فى الأذواق السليمة وراق

(وهذا ذيل ثمرات الاوراق)

للامام تقى الدين بن حجة رحمه الله تعالى وهى محاضرات لايستغنى عنها وعليها يقول فلذلك ألحقت بالاصل فى الطبع وجعلت تتمة للاول

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويحكى) انهرون الرشيد ان اخاه موسى الهادى كانت له جارية تسمى غادر وكانت أحظى الناس عنده وكانت من أحسن النساء وجها وغناء فغنت يوما وهو مع جلسائه على الشراب إذ عرض له سهو وفكر وتغير لونه وقطع الشراب فقال الجلساء ماشأنك ياأمير المؤمنين قال قد وقع فى قلبى أن جاريتى غادر يتزوجها أخى هرون بعدى فقالوا يطيل الله بقاء أمير المؤمنين وكلنا فداؤه فقال ما يزيل مافى نفسى هذا وأمر باحضار هرون وعرفه ماخطر بباله فاستعطفه وتكلم بما ينبغى أن يتكلم به فى تطييب نفسه فلم يقنع بذلك وقال لابد أن تحلف لى قال أفعل حلف له بكل يمين يحلف بها الناس من اطلاق وعتاق وحج وصدقة وأشياء مؤكدة لا يمكن ثم قام فدخل على الجارية فأحلفها بمثل ذلك ولم يلبث الاشهرا ثم مات فلما أفضت الخلافة إلى هرون أرسل إلى من

من السماع قال إفلاطون من حزن فليسمع الاصوات الحسنة فان النفوس اذا حزنت خمدت نارها فاذا سمعت مايطربها ويسرها اشتعل منها ماخمدت ومازالت ملوك فارس تلهى المحزون بالسماع وتعلل به المريض وتشغله عن التفكر ومنهم أخذت العرب حتى قال ابن غيلة الشيبانى

وسماع مسمعة يعللنا ... حتى تدام تناوم العجم

(وحكى) أن البعلبكى مؤذن المنصور رجع فى أذانه ليلة وجارية تصب الماء على يد المنصور فارتعدت حتى وقع الابريق من يدها فقال له المنصور خذ هذه الجارية فهى لك ولا تعد ترجع هذا الترجيع وقال عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى عمارة فى قينة

ألم ترها لا أبعد الله دارها ... إذا رجعت فى صوتها كيف تصنع
تدير نظام القول ثم ترده ... إلى صلصل من صوتها يترجع

(وبعد) فهل خلق الله شيئا أوقع بالقلوب وأشد اختلاسا للعقول من الصوت الحسن لاسيما إذا كان من وجه حسن كما قال الشاعر

رب سماع حسن سمعته من حسن ... مقرب من فرح
مبعد من حزن لا فارقانى أبدا ... فى صحة من بدن

وهل على الأرض من جبان مستطار الفؤاد يغنى بقول جرير

قل للجبان اذا تأخر سرجه ... هل أنت من شرك المنية ناجى

الاشاجن شجعت نفسه وقوى قلبه أم هل على الأرض من بخيل قد انقبضت أطرافه يوما يغنى بقول حاتم الطائى

يرى البخيل سبيل المال واحـدة ... ان الجواد يرى فى ماله سبلا

الا انبسطت أنامله ورشحت أطرافه . واختلف الناس فى الغناء فاجازه عامة أهل الحجاز وكرهه عامة أهل العراق فمن حجة من أجازه ماروى أن النبى ﷺ قال لحسان شن الغطاريف على بنى عبد مناف فوالله لشعرك عليهم أشد من وقع السهام فى غلس الظلام واحتجوا فى اباحة الغناء واستحسانه بقول النبى ﷺ لعائشة رضى الله تعالى عنها أهديتم الفتاة إلى بعلها قالت نعم قال فبعثتم معها من يغنى قالت لم نفعل قال وأعلمت ان الانصار قوم يعجبهم القول الابعثتم معها من يقول

أتيناكم أتيناكم ... فحيونا نحييكم
ولولا الحبة السمر ... لم تحلل بواديكم

ولا بأس بالغناء اذا لم يكن فيه أمر محرم ولا يكره السماع عند العرس والوليمة والعقيقة وغيرها فان فيه تحريكا لزيادة سرور مباح أومندوب ويدل عليه ماروى من انشاد النساء بالدف والالحان عند قدوم النبى ﷺ حيث قلن

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... مادعا لله داع
ايها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع

ويدل عليه ماروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت رأيت النبى ﷺ يسترنى بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون فى المسجد الحرام حتى أكون أنا التى أسأمه ويدل عليه ماروى فى الصحيحين من حديث عقيل عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى يدففان ويضربان والنبى ﷺ متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف النبى ﷺ عن وجهه وقال دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد وعن قرة بن خالد بن

الجارية يخطبها فقالت يا سيدى سيف بأيمانك ويمانى فقال احلف بكل شىء حلفت به من الصدقة والعتق وغيرهما إلا تزوجتك فتزوجها وحج ماشيا ليمينه وشغف بها أكثر من أخيه حتى كانت تنام فتضجع رأسها فى حجره ولا يتحرك حتى تنتبه فبينما هى ذات ليلة نائمة إذ انتبهت فزعة فقال لها مالك قالت رأيت أخاك فى المنام الساعة وهو يقول

أخلفت وعدك بعدما ... جاورت سكان المقابر
ونسيتنى وحنثت فى ... أيمانك الكذب الفواجر
فظللت فى أهل البلا ... د وغدوت فى الحور الغرائر
ونكحت غادرة أخى ... صدق الذى سماك غادر
لايهنك الالف الجد ... يد ولا تدر عنك الدوائر
ولحقت بى قبل الصبا ... ح وصرت حيث غدوت ضاء

والله يا أمير المؤمنين فكأنها مكتوبة فى قلبى مانسيت منها كلمة فقال الرشيد هذه أضغاث احلام فقالت كلام والله ماأملك نفسى وما زالت ترتعد حتى ماتت بعد ساعة (وحكى) ابن أبى حجلة فى كتابه سلوك السنن إلى وصف السكن اخبرنى شمس الدين محمد بن فراج

عبد الله بن يحيى قال قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه للنابغة الجعدي أسمعني بعض ما عفا الله لك عنه من هناتك فاسمعه كلمة فقال له وانك لقائلها قال نعم قال طالما غنيت بها خلف جمال الخطاب وعن عبد الله بن عوف قال أتيت باب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فسمعته يغني بالركابية يقول

فكيف ثوائي بالمدينة بعدما ... قضى وطرا منها جميل معمر

وكان جميل بن معمر من أخصاء عمر قال فلما استأذنت عليه قال أسمعت ماقلت قلت نعم قال إنا إذا خلونا قلنا ما يقول الناس في بيوتهم وقد أجازوا تحسين الصوت في القراءة والأذان فان كانت الالحان مكروهة فالقراءة والاذان أحق بالتنزيه عنها وان كانت غير مكروهة فالشعر أحوج اليها لاقامة الوزن وماجعلت العرب الشعر موزونا الالمد الصوت والدندنة ولولا ذلك لكان الشعر المنظوم كالخبر المنثور ومن حجة من كره الغناء أنه قال ينفر القلوب ويستفز العقول ويبعث على اللهو ويحض على الطرب وهذا باطل في اصله وتأولوا في ذلك قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا وأخطأ من أول هذا التأويل انما نزلت هذه الآية في قوم كانوا يشترون الكتب من أخبار السير والاحاديث القديمة ويضاهون بها القرآن ويقولون انها أفضل منه وليس من سمع الغناء يتخذ آيات الله هزوا وقال رجل للحسن البصري ما تقول في الغناء ياأبا سعيد فقال نعم العون على طاعة الله تعالى يصل الرجل به رحمه ويواسي به صديقه قال ليس عن هذا أسألك قال وعم سألتني قال أن يغني الرجل قال وكيف يغني فجعل الرجل يلوي شدقيه ويفتح منخريه فقال الحسن والله ياابن أخي ماظننت أن عاقلا يفعل بنفسه هذا أبدا فلم ينكر الحسن عليه الانشوية وجهه وتعوج فمه وسمع المبارك سكران يغني هذه الابيات

أذلني الهوى فأنا الذليل ... وليس إلى الذي اهوى سبيل

قال فأخرج دواة وقرطاسا وكتب البيت فقيل له أتكتب بيت شعر سمعته من رجل سكران فقال أماسمعتم المثل رب جوهرة في مزبلة . وكان لابي حنيفة جار من الكيالين مغرم بالشراب وكان يغني على شرابه بقول العرجي

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغر

قال فأخذه العسس ليلة وحبسه ففقد أبو حنيفة صوته واستوحش له فقال لأهله مافعل جارنا الكيال قالوا أخذه العسس وهو في الحبس فلما أصبح أبو حنيفة توجه إلى عيسى بن موسى فاستأذن عليه فاسرع اذنه وكان أبو حنيفة قليلا مايأتي أبواب الملوك فاقبل عليه عيسى بن موسى وسأله عما جاء بسببه فقال أصلح الله الامير ان لي جارا من الكيالين أخذه عسس الامير ليلة كذا فوقع في حبسه فأمر عيسى بن موسى باطلاق كل من في الحبس اكراما لابن حنيفة فاقبل الكيال على أبي حنيفة يتشكر له فلما رآه أبو حنيفة قال له هل أضعناك يافتى يعرض له بشعره الذي ينشده قال لا والله ولكنك بررت وحفظت . وكان عروة بن أذينة ثقة في الحديث روى عنه مالك بن أنس وكان شاعرا مجيدا لبقا غزلا وكان يصوغ الحان الغناء على شعره ويلحنها للمغنين قيل انه وقفت عليه امرأة يوما وحوله التلامذة فقالت له أنت الذي يقال فيك الرجل الصالح وأنت تقول

اذا وجدت دوار الحب في كبدي ... عمدت نحو سقاء القوم ابترد
هبني بردت ببرد الماء ظاهره ... فمن لنار على الاحشاء تتقد

الحسيني اخبرنا شيخنا أثير الدين أبو حيان أنبأنا فتح الدين بن الدمياطية قال رأيت في المنام شيخنا حسن الصورة والمشية وعليه مزدوجة وكان يمشي في طريق وأنا راكب دابة فقلت له رافقني فقال ليس الماشي برفيق الراكب فقلت اركب أنت وأمشي أنا فقال المسئلة بحالها ثم أفضنا في الحديث فسألني ما صنعتك فقلت كاتب فقال كاتب احسان او كاتب انشاء فقلت شيء من هذا وشيء من هذا فقال ما يدعي دعوك عبد الرحيم ولا عبد الحميد ثم قال هل تنظم الشعر قلت نعم قال انشدني كنت قد عملت قصيدا حجازيا وكنت استجيده فأنشدته إلى ان بلغت قولي تركوا ماء النيل ماء سلسلا وترشفوا ماء الثماد مكدرا فقال لي لاشيء فقلت لم قلت ذلك وما عيب هذا البيت فقال لو قلت صافيا لكان حسنا وكان طباقا لان الكدر يقابله الصافي قلت له هذا حسن فمن أنت يرحمك الله قال أبو مرة قلت لاخير ولا مير قال بلى ثم بعد ذلك بشهر رأيته في المنام على الهيئة المتقدمة فسلم على سلام من يعرفني ثم قال هل تعرف من الشعر الميشوم شيئا قلت نعم فانشدني وكنت قد عملت قطعة شعر حال ضعفي بالنزلة فانشدته اياها

الله ما أشكوه من نزلة ... قد ضر منها ضيق أنفاسي
ومن صداع ضقت ذرعا به

وكان

وكان عبد الملك الملقب بالقس عند أهل مكة بمنزلة عطاء بن أبي رباح في العبادة قيل انه مر يوما بسلامة وهي تغنى فأقام يسمع غناءها فرآه مولاها فقال له هل لك أن تدخل وتسمع فأبى فلم يزل به حتى دخل فغنته فأعجبته ولم يزل يسمعها ويلاحظها النظر حتى شغف بها فلما شعرت بلحظه اياها غنته

رب رسولين لنا بلغا رسالة من قبل أن نبرحا
الطرف للطرف بمثاهما فقضيا حاجا وما صرحا

قال فأغمى عليه وكاد يهلك فقالت له انى والله أحبك قال وأنا والله أحبك قالت وأحب أن أضع فمي على فمك قال وأنا والله كذلك قالت فما يمنعك من ذلك قال أخشى أن تكون صداقة ما بيني وبينك عداوة يوم القيامة أما سمعت قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوا إلا المتقين ثم نهض وعاد إلى طريقته التي كان عليها وانشأ يقول

قد كنت أعذل في السفاهة أهلها فأعجب لما تأتى به الايام
فاليوم أعذرهم وأعلم انما سبل الضلالة والهدى أقسام

(وقدم عبدالله بن جعفر على معاوية بالشام فأنزله في دار عياله وأظهر من اكرامه ما يستحقه فغاظ ذلك فاختة بنت قريظة زوج معاوية فسمعت ذات ليلة غناء عند عبدالله بن جعفر فجاءت إلى معاوية فقالت هلم فاسمع ما في منزل الذي جعلته من لحمك ودمك وأنزلته بين حرمك فجاء معاوية فسمع شيئا حركه واطربه فقال والله انى لاسمع شيئا تكاد الجبال أو تخر له ثم انصرف فلما كان في آخر الليل سمع معاوية قراءة عبدالله بن جعفر وهو قائم يصلي فنبه فاختة وقال لها اسمعي مكان ما أسمعتني هؤلاء قومي ملوك بالنهار ورهبان بالليل ثم ان معاوية أرق ذات ليلة فقال لخادمه اذهب فانظر من عند عبدالله بن جعفر وأخبره انى قادم عليه فذهب وأخبره فاقام عبدالله كل من كان عنده فلما جاء معاوية لم ير في المجلس غير عبدالله فقال مجلس من هذا قال عبدالله هذا مجلس فلان يا أمير المؤمنين فقال معاوية مره فليرجع إلى مجلسه حتى لم يبق الا مجلس رجل واحد قال مجلس من هذا قال مجلس رجل يداوى الآذان يا أمير المؤمنين قال ان اذنى عليلة فمره أن يرجع إلى مجلسه وكان مجلس بديح المغنى فأمره عبدالله بن جعفر فرجع إلى موضعه فقال معاوية داوأذنى من علتها فتناول العود وغنى وقال

ودع سعاد فان الركب مرتحل وهل تطيق وداعا أيها الرجل

قال فحرك عبدالله بن جعفر رأسه فقال له معاوية لم حركت رأسك يا ابن جعفر قال أريحية أجدها يا أمير المؤمنين لو لاقيت لابليت ولو سئلت لأعطيت وكان معاوية قد خضب قال فقال ابن جعفر لبديح هات غير هذا وكان عند معاوية جارية أعز جواريه عليه وكانت تتولى خضابه فغنى بديح وقال

أليس عندك شكر للتي جعلت ما ابيض من قادمات الرأس كالحمم
وجددت منك ما قد كان أخلقه صرف الزمان وطول الدهر والقدم

فطرب معاوية طربا شديدا وجعل يحرك رجله فقال له ابن جعفر يا أمير المؤمنين انك سألتني عن تحريك رأسي فأجبتك وأخبرتك وأيما أسألك عن تحريك رجلك فقال كل كريم طروب ثم قام وقال لا يبرح احد منكم حتى يأتى له اذنى ثم ذهب فبعث إلى ابن جعفر بعشرة آلاف دينار ومائة ثوب من خاصة كسوته وإلى كل رجل منهم بألف دينار وعشرة اثواب وحدث ابن الكلبي والهيثم بن عدى قالا بينما عبدالله ابن جعفر في بعض أزقة المدينة إذ اسمع غناء فأصغى اليه فاذا صوت رقيق لقينة تغنى وتقول

قل للكرام ببابنا يلجوا ما في التصابي على الفتى حرج

فنزل عبدالله دابته ودخل على القوم بلا اذن فلما رأوه قاموا إجلالا له ورفعوا مجلسه فأقبل عليه

آنت يدى منه على رأسى فقال هذا والله الشعر ثم قال أضف اليهما فأعجب إلى داءين قد عززا بثالث من داء افلاس

(وحكى) في مرآة الزمان وغيره في ترجمة شمس الدين توران شاه بن أيوب أخى السلطان صلاح الدين قال محمد بن على الحكيم الاديب رأيت شمس الدولة بعد موته فمدحته بأبيات فلف كفنه ورمى به إلى وقال

لا تستقلن معروفا سمحت به ميتا فأمسيت منه عارى البدن
ولا تظنن جودا شانه بخل من بعد بذلى ملك الشام واليمن
انى خرجت من الدنيا وليس معى من كل ما ملكت كفى سوى الكفن

(حكى) أنه كان ببغداد شخص يعرف بابى القاسم الطنبورى صاحب نوادر وحكايات وله مداس له مدة سنين كلما انقطع منه موضع جعل عليه رقعة إلى أن صار في غاية الثقل وصار يضرب به المثل فيقال أثقل من مداس أبى القاسم الطنبورى فاتفق أنه دخل سوق الزجاج فقال سمسار يا أبا القاسم قد وصل تاجر من حلب ومعه حمل زجاج مذهب قد كسد فاشتره منه وأنا أبيعه لك بعد مدة بمكسب المثل مثلين فابتاعه بستين دينارا ثم دخل سوق العطارين فقال سمسار آخر قد

صاحب المجلس وقال يا ابن عم رسول الله ﷺ أتدخل مجلسنا بلا اذن وليس هذا من شأنك فقال عبدالله لم أدخل إلا باذن قال ومن أذن لك قال قينتك هذه سمعتها تقول • قل للكرام ببابنا يلجوا فولجنا فان كنا كراما فقد أذن لنا وإن كنا لئاما خرجنا مذمومين فقبل صاحب المنزل يده وقال جعلت فداك والله ما أنت إلا من أكرم الناس فبعث عبدالله إلى جارية من جواريه لحضرت ودعا بثياب وطيب فكسا القوم وطيبهم ووهب الجارية لصاحب المنزل وقال هذه أحذق بالغناء من جاريتك • وسمع سليمان بن عبد الملك مغنيا فى عسكره فقال اطلبوه لجاؤا به فقال أعد على ماغنيت به فغنى واحتفل وكان سليمان أغير الناس فقال لأصحابه كأنها والله جرجرة الفحل فى الشول وما أظن أنثى تسمع هذا الاصبت اليه ثم أمر به فخصى (أصل الغناء ومعدنه) قال أبو المنذر هشام الغناء على ثلاثة أوجه النصب والسناد والهزج فأما النصب فغناء الفتيان والركبان وأما السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات وأما الهزج فالخفيف كله وهو الذى يستفز القلوب ويهيج الحليم وقيل كان أصل الغناء ومعدنه فى أمهات القرى فاشيا ظاهرا وهى المدينة والطائف وخيبر وفدك ووادى القرى ودومة الجندل واليمامة وهذه القرى مجامع أسواق العرب ويقال أن أول من صنع العود لامك بن قاين بن آدم وبكى به على ولده ويقال ان صانعه بطليموس صاحب الموسيقى وهو كتاب اللحون الثمانية والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب التاسع والستون فى ذكر المغنيين والمطربين وأخبارهم ونوادر الجلساء فى مجالس الرؤساء)

(قيل) أن أول من غنى فى العرب قينتان للنعمان يقال لهما الجرادتان ومن غنائهما

ألا يا قين ويحيك قم فهينم ... لعل الله يسقينا غماما

وانما غنتا هذا حين حبس الله عنهم المطر وقيل أول من غنى فى اسلام الغناء الرقيق طويس وهو الذى علم ابن سريج والدلال توبة الضحى وكان يكنى أبا عبد النعيم ومن غنائه وهو أول صوت غنى به فى الاسلام هذا البيت

قد برانى الشوق حتى ... كدت من وجدى أذوب

ثم نجم بعد طويس ابن طنبور وأصله من اليمن وكان أهزج الناس وأخفهم غناء ومن غنائه

وفتيان على شرب جميعا ... دلفت لهم بباطية هدور

فلا تشرب بلا طرب فانى ... رأيت الخيل تشرب بالصفير

ومن حكم الوادى غنائه

أمدح الكاس ومن أعملها ... واهج قوما قتلونا بالعطش

انما الراح ربيع باكر ... فا ما وافت المرء انتعش

وكان لهرون الرشيد جماعة من المغنيين منهم ابراهيم الموصلى وابن جامع السهمى وغيرهما وكان لهذا زامر يقال له برصوما وان ابراهيم أشدهم تصرفا فى الغناء وابن جامع أحلاهم نغمة فقال الرشيد يوما لبرصوما ماتقول فى ابن جامع قال يا أمير المؤمنين وأما أقول فى العسل الذى من حيثما ذقته فهو طيب قال فابراهيم الموصلى قال بستان فيه جميع الأزهار والرياحين وكان أبو محرز يعنى كل انسان بما يشتهيه كأنه خلق من قلب كل انسان • وغنى رجل بحضرة الرشيد بهذه الابيات

واذكر ايام الحمى ثم انثنى ... على كبدى من خشية أن تصدعا

فليست عشيات الحمى برواجع ... عليك ولكن خل عينيك تدمعا

بكت عينى اليسرى فلما نهيتها ... عن الجهل بعد الحلم اسبلتا معا

قال

ورد تاجر من نصيبين بما ورد فى غاية الحسن والرخص ابتعه منه وأنا أبيعه لك بفائدة كثيرة فابتاعه بستين دينارا أخرى ثم جعله فى الزجاج فذهب ووضعه على رف فى صدر البيت ثم دخل الحمام يغتسل فقال له بعض أصدقائه يا أبا القاسم أشتهى أن تغير مداسك فانه فى غاية الوحاشة وأنت ذو مال فقال السمع والطاعة ولما خرج من الحمام ولبس ثيابه وجد إلى جانب مداسه مداسا جديدا فلبسه ومضى إلى بيته وكان القاضى دخل الحمام يغتسل ففقد مداسه فقال الذى لبس مداسى ما ترك عوضه شيئا فوجدوا مداس أبى القاسم فانه معروف فكبسوا بيته فوجدوا مداس القاضى عنده فأخذ منه وضرب أبو القاسم وحبس وغرم جملة مال حتى خرج من الحبس فأخذ المداس وألقاه فى الدجلة فغاص فى الماء فرمى بعض الصيادين شبكة فطلع فيها المداس فقال هذا مداس أبى القاسم والظاهر انه سقط منه فحمله إلى بيت أبى القاسم فلم يجده فرماه من الطاق إلى بيته فسقط على الرف الذى عليه الزجاج فتبدد ماء الورد وانكسر الزجاج فلما رأى أبو القاسم ذلك لطم على وجهه وصاح وافقراه افقرنى هذا المداس ثم قام يحفر فى الليل حفرة فسمع الجيران حس الحفرة فظنوا انه نقب فشكوه

قال فاستخف الرشيد الطرب فأمر له بمائة الف درهم * وحدث ابن الكلبي عن أبيه قال كان ابن عائشة من أحسن الناس غناء وأنبههم فيه وكان من أضيق الناس حلقا إذا قيل له غن قال لمثلي يقال غن على عتق رقبة ان غنيت يومي هذا فلما كان في بعض الأيام سال وادي العقيق فلم يبق في المدينة مخبأة ولا مخدوة ولا شاب ولا كهل إلا خرج يبصره وكان فيمن خرج ابن عائشة المغني وهو معتجر بفضل ردائه فنظر اليه الحسن بن الحسن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم وكان الحسن فيمن خرج إلى العقيق وبين يديه عبدان أسودان كانهما ساريتان يمشيان أمام دابته فقال لهما أقسم بالله ان لم تفعلا ما آمركما به لأنكلن بكما فقالا يا مولاي ناقل ما تامرنا به فلو أمرتنا ان نقتحم النار فعلنا قال اذهبا إلى ذلك الرجل المعتجز بفضل ردائه فامسكاه فان لم يفعل ما آمره به والا فاقذفا به في العقيق قال فضيا والحسن يقفوهما فلم يشعر ابن عائشة إلا وهما آخذان بمنكبيه فقال من هذا فقال له الحسن انا هذا يا ابن عائشة فقال لبيك وسعديك بابي أنت وأمي قال أسمع مني ما أقول لك واعلم أنك مأسور في أيديهما وقد أقسمت ان لم تغن مائة صوت ليطرحانك في العقيق قال فصاح ابن عائشة واويلاه وأعظم مصيبتاه فقال له الحسن دعنا من صياحك وخذ فيما ينفعنا قال اقترح واقم من يحصي ثم أقبل يغني فترك الناس العقيق وأقبلوا عليه فلما تمت أصواته مائة كبر الناس بلسان واحد تكبيرة ارتجت لها أقطار الأرض وقالوا للحسن صلى الله على جدك حيا وميتا فما اجتمع لاحد من أهل المدينة سرور قط إلا بكم أهل البيت فقال له الحسن ما فعلت هذا بك يا ابن عائشة الا لأخلاقك الشرعة فقال ابن عائشة والله ما مرت بي شدة أعظم من هذه لقد بلغت أطراف أعضائي فكان ابن عائشة بعد ذلك إذا قيل له ما أشد يوم مر عليك يقول يوم العقيق * وحدث أبو جعفر البغدادي قال حدثني عبد الله بن محمد كاتب بغداد عن أبي عكرمة قال خرجت يوما إلى المسجد الجامع فمررت بباب أبي عيسى بن المتوكل فاذا على بابه المشدود وهو أحذق خلق الله تعالى بالغناء فقال أين تريد يا أبا عكرمة قلت المسجد الجامع لعلي أستفيد حكمة أكتبها فقال ادخل بنا إلى أبي عيسى قلت أمثل أبي عيسى في قدره وجلالته يدخل عليه بلا اذن فقال للحاجب اعلم أمير المؤمنين بمكان أبي عكرمة فالبث الاساعة حتى خرج الغلمان إلى فحملوني حملا فدخلت إلى دار ما رأيت أحسن منها بناء ولا أظرف منها هيئة فلما نظرت إلى ابي عيسى قال لي ما يعيش من يحتشم اجلس فجلست فأتينا بطعام كبير فلما انقضى أتينا بشراب وقامت جارية تسقينا شرابا كالشعاع في زجاجة كأنها كوكب دري فقلت أصلح الله الامير وأتم عليه نعمه ولا سلبه ما وهبه له فدعا أبو عيسى بالمغنين وهم المشدود ودبيس ورقيق ولم يكن في ذلك الزمان احذق من هؤلاء الثلاثه بالغناء فابتدأ المشدود وغنى يقول

لما استقل بارداف تجاذبه واخضر فوق بياض الدر شاربه واسرق الورد من تسرين وجنته
واهتز اعلاه وارتجت حقائبه كلمته بجفون غير ناطقة فكان من رده ما قال حاجبه

ثم سكت وغنى دبيس

الحب حلو أمرته عواقبه وصاحب الحب صب القلب دائبه استودع الله من بالطرف ودعني
يوم الفراق ودمع العين ساكبه ثم انصرفت وداعي الشوق يهتف بي ارفق بقلبك قد عذت مطالبه

ثم سكت وغنى رفيق

بدر من الانس حفته كواكبه قد لاح عارضه واخضر شاربه ان يوعد الوعد يوما فهو مخلفه
أو ينطق القول يوما فهو كاذبه عاطيته كدم الاوداج صافية فقام يشدو وقد مالت جوانبه

ثم سكت وابتدأ المشطدد يقول

إلى الوالي وسلى اليه من اعتقله وقال له تقف على الناس خانطهم اسجنوه ففعلوا فلم يخرج من السجن إلى أن غرم جملة مال فأخذ المداس ورماه في مستراح الخان فسدقصبه المستراح وفاض فكشف الصناع ذلك حتى وقفوا على موضع السد فوجدوا مداس أبي القاسم فحملوه الى الوالي وحكوا له ما وقع فقال غرموه المصروف جملة فقال ما بقيت أفارق هذا المداس وغسله وجعله على السطح حتى يجف فرآة كلب ظنه رمة فحمله وعبر به إلى سطح آخر فسقط على امرأة حامل فارتجفت وأسقطت ولدا ذكرا فنظروا ما السبب فاذا مداس أبي القاسم فرفع إلى الحاكم فقال يجب عليه غرة فابتاع لهم غلاما وخرج وقد افتقر ولم يبق معه شيء فأخذ المداس وجاء به إلى القاضي وحكى له جميع ما انفق له فيه وقال اشتهي أن يكتب مولانا القاضي بيني وبين هذا المداس مبارة بأنه ليس مني ولست منه واني بريء منه ومهما فعله يؤاخذ به ويلزمه فقد أفقرني فضحك القاضي ووصله بشيء ومضى انتهى

(هذه قصيدة ليزيد بن معاوية وهي عزيزة الوجود) وسرب كمين الديك ميل إلى الصبا ورائع بالحادي سوء المدامع سمعن غناء بعدما غن نومه من الليل يملهن فوق المضاجع ايادهر شرخ الشبيبة واجمع

يادير حنة من ذات الاكيراح ... من يصح عنك فانى لست بالصاحى

ثم سكت وغنى دبيس دع البساتين من آس وتفاح ... واعدل هديت إلى شيخ الأكيراح

واعدل إلى فتية ذابت لحومهم ... من العبادة الا نضو أشباح

وخمرة عتقت فى دنها حقبا ... كأنها دمعة فى جفن سياح

ثم سكت وغنى رقيق لاتحفلن بقول الدائم اللاحى ... واشرب على الورد من مشمولة الراح

كاسا إذا انحدرت فى حلق شاربها ... أغناه لألاؤها عن كل مصباح

مازلت أسقى نديمى ثم ألثمه ... والليل ملتحف فى ثوب أمساح

فقام يشدو وقد مالت سوالفه ... يادير حنة من ذات الاكيراح

ثم أقبل أبو عيسى على المشدود وقال له غن لى شعرى فغناه

ياجنة الدمع هل للغمض مرجوع ... أم الكرى من جفون العين ممنوع

ما حيلتى وفؤادى هائم دنف ... بعقرب الصدغ من مولاى ملسوع

لا والذى تلفت نفسى بفرقته ... فالقلب من فرق الاحزان مصدوع

ما أرق العين الا حب مبتدع ... ثوب الجمال على خديه مخلوع

قال أبو عكرمة فوالله لقد حضرت من المجالس مالا يحصى عدده الا الله تعالى فما حضرت مثل ذلك المجلس ولولا أن أبا عيسى قطعهم ماانقطعوا (وحكى) عن الرشيد أنه قال يوما للفضل ابن الربيع من بالباب من الندماء قال جماعة فيهم هاشم بن سليمان مولى بنى أمية وأمير المؤمنين يشتهى سماعه قال فأذن له وحده فدخل فقال هات ياهاشم فغناه من شعر جميل حيث يقول

إذا ما تراجعنا الذى كان بيننا ... جرى الدمع من عينى بثينة بالكحل

فياويح نفسى حسب نفسى الذى بها ... ويا ويح عقلى ماأصيب به أهلى

خليلى فيما عشتما أهل رأيتما ... قتيلا بكى من حب قاتله قبلى

قال فضرب الرشيد طربا شديدا وقال أحسنت لله أبوك ثم قلده عقدا نفيسا فلما رآه هاشم ترقرقت عيناه بالدموع فقال له الرشيد ما يبكيك ياهاشم فقال ياأمير المؤمنين ان لهذا العقد حديثا عجيبا ان أذن لى أمير المؤمنين حدثته به قال قد أذنت لك قال ياأمير المؤمنين قدمت يوما على الوليد وهو على بحيرة طبرية ومعه قينتان لم ير مثلهما جمالا وحسنا فلما وقعت عينه على قال هذا أعرابى قد ظهر من البوادى ادعوا به لنسخر به فدعانى فسرت اليه ولم يعرفنى فغنت احدى الجاريتين بصوت هو لى فأخطأت الجارية فقلت لها أخطأت يا جارية فضحكت ثم قالت ياأمير المؤمنين ألم تسمع مايقول هذا الاعرابى يعيب علينا غناءنا فنظر إلى كالمنكر فقلت ياأمير المؤمنين أنا أبين لك الخطأ فيتصلح وتركذا وتركذا ففعلت وغنت شيئا ماسمع منها الا فى هذا اليوم فقامت الجارية مكبة على وقالت أستاذى هاشم ورب الكعبة فقال الوليد أهاشم بن سليمان أنت قلت نعم ياأمير المؤمنين وكشفت عن وجهى وأقمت معه بقية يومنا فأمر لى بثلاثين الف درهم فقالت الجارية ياأمير المؤمنين أتأذن لى فى برأستاذى فقال الوليد ذلك اليك فحلت ياأمير المؤمنين هذا العقد من عنقها ووضعته فى عنقى وقالت هو لك ثم قربوا اليه السفينة ليرجع إلى موضعه فركب فى السفينة وطلعت معه احدى الجاريتين وابعتها صاحبتى فارادت ان ترفع رجلها وتطلع السفينة فسقطت فى الماء فغرقت لوقتها وطلبت فلم يقدر عليها فاشتد جزع الوليد عليها وبكى بكا شديد وبكيت أنا عليها أيضا بكاء شديدا فقال لى ياهاشم ما نرجع عليك بما وهبناه ولكن نحب أن يكون هذا العقد عندنا

مع الخفرات البيض أو غير راجع ... قنعت بزور من خيال بعثته ... وكنت بوصل منهم غير قانع ... إذا ومت من ليلى على البعد نظرة ... لتطفى جوى بين الحشا والاضالع

تقول رجال الحى تطمع أن ترى ... لليلى وصالا من بده المطامع

وكيف ترى ليلى بعين ترى بها ... سواها وما طهرتها بالمدامع

أجلك ياليلى عن العين انما ... أراك بقلب خاضع لك خاشع

وماسرى ليلى ماحييت بذائع ... وما شهد ليلى ان تناءت بضائع

(ومن غريب مايحكى) أن عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان والدة يزيد بن عبدالملك ابن مروان حرمت على اثنى عشر من الخلفاء من بنى أمية معاوية جدها ويزيد أبوها ومروان أبو زوجها والوليد وسليمان وهشام بنو عبد الملك أولاد زوجها والوليد بن يزيد ابن زوجها وإبراهيم بن مروان بن الوليد بن زوجها أيضا ويزيد بن عبد الملك ابنها ومعاوية ابن يزيد بن معاوية أخوها وزوجها عبد الملك بن مروان ولم يتفق ذلك لامرأة غيرها انتهى خط بخط قاضى القضاة (شهاب الدين أحمد بن حجر حافظ العصر) قال وجد بخط

نذكرها

تذكرها به فيعني اياه فوضعني عنه ثلاثين ألف درهم فلما وهبتني العقد يا أمير المؤمنين تذكرت قضيته وهذا سبب بكائي فقال الرشيد لاتعجب فان الله كما ورثنا مكانهم ورثنا أموالهم ، وقال علي بن سليمان النوفلي غني دحمان الأشقر عند الرشيد يوما فأنشده

إذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا كفى لمطايانا برؤياك هاديا
ذكرتك بالديرين يوما فأشرقت بنات الهوى حتى بلغن التراقيا
إذا ما طواك الدهر يا أم مالك فشأن المنايا القصيات وشانيا

قال فطرب الرشيد طربا شديدا واستعاده منه مرات ثم قال له تمن علي قال أتمنى الهنيء والمريء وهما ضيعتان غلتهما أربعون ألف دينار في كل سنة فأمر له بهما فقيل له يا أمير المؤمنين ان هاتين الضيعتين من جلالتهما يجب أن لايسمح بمثلهما فقال الرشيد لاسبيل إلى استرداد ما أعطيت ولكن احتالوا في شرائهما منه فساوموه فيهما حتى وقفوا معه على مائة ألف دينار فرضي بذلك فقال الرشيد ادفعوها له فقالوا يا أمير المؤمنين في اخراج مائة ألف دينار من بيت المال طعن ولكن نقطها له فكان يوصل بخمسة آلاف وثلاثة آلاف حتى استوفاها (ومن ذلك) ما حكى اسحق الموصلي قال كان الواثق بن المعتصم أعلم الناس بالغناء وكان يضع الألحان العجيبة ويغني بها شعره وشعر غيره فقال له يوما يا أبا محمد لقد فقت أهل المصر في كل شيء فغنني شعرا أرتاح اليه وأطرب عليه يومي هذا قال اسحق فغنيته هذه الأبيات

ما كنت أعلم ما في البين من حرق حتى تنادوا بأن قد جيء بالسفن
قامت تودعني والدمع يغلبها فجمجمت بعض ما قالت ولم تبن
مالت الي وضمتني اترشفني كما يميل نسيم الريح بالغصن
واعرضت ثم قالت وهي باكية ياليت معرفتي اياك لم تكن

قال فخلع علي خلعة كانت عليه وأمر لي بمائة ألف درهم وقال وغنيته يوما

قفي ودعينا يا اسعاد بنظرة فقد حان منا يا اسعاد رحيل فياجنة الدنيا ويا غاية المنى
ويا سؤل نفسي هل اليك سبيل وكنت إذا ما جئت جئت لعلة فأفنيت علاتي فكيف أقول
فما كل يوم لي بأرضك حاجة ولا كل يوم لي اليك وصول

فقال والله لاسمعت يومي غيره وألقى علي خلعة من ثيابهم وأمر لي بصلة ما أمر لي قبلها بمثلها (ومن حكايات الخلفاء ومكارم أخلاقهم) ما حكى عن إبراهيم بن المهدي قال قال جعفر بن يحيى يوما لبعض ندمائه إني قد استأذنت أمير المؤمنين في الخلوة غدا فهل من مساعد فقلت جعلت فداءك أنا أسعد بمساعدتك وأسر بمشاهدتك فقال بكر بكور الغراب قال فأتيته عند الفجر فوجدت الشموع قد أوقدت بين يديه وهو ينتظرني في الميعاد فما زلنا في أطيب عيش إلى وقت الضحى فقدمت الينا موائد الأطعمة عليها من أفخر الطعام وأطيبه فأكلنا وغسلنا أيدينا ثم خلعت علينا ثياب المنادمة وضمخنا بالخلوق وانتقلنا إلى مجلس الطرب ومدت الستائر وغنت القينات فظللنا بأنعم يوم ثم انه داخله الطرب فدعا بالحاجب قال له إذا أتى أحد يطلبنا فأذن له ولو كان عبد الملك ابن صالح بنفسه فاتفق بالأمر المقدر أن عم الرشيد عبد الملك بن صالح قدم علينا في ذلك الوقت وكان صاحب جلالة وهيبة ورفعة وعنده من الورع والزهد والعبادة ما لا مزيد عليه وكان الرشيد إذا جلس مجلس لهو لايطلعه على ذلك لشدة ورعه فلما قدم دخل به الحاجب علينا فلما رأيناه رمينا ما في أيدينا وقمنا أجلالا له نقبل يده وقد ارتعنا لذلك وخجلنا وزاد بنا الحياء فقال لابأس

أحكام فرس الدهر أو يونانه

المصري لنفسه في الأهرام سنة خمس وخمسين وسبعمائة
وأجاده مباني الأهرام كم من واعظ
صدع القلوب ولم يفه بلسانه
أذكرني قولا تقادم عهده
أين الذي الهرمان من بنيانه
هن الجبال الشامخات تكاد أن
تمد فوق الافق عن كيوانه
لو أن كسرى جالس في سفحها
لاجل مجلسه على ايوانه
ثبتت على حر الزمان وبرده
مددا ولم تأسف على حدثانه
والشمس في احراقه والريح عنـ
ـد هبوبها والسيل في جريانه
هل عابد قد خصها بعبادة
فباني الأهرام من أوثانه
أو قائل يقضي برجعة نفسه
من بعد فرقته إلى جثمانه
فاختارها لكنوزه ولجسمه
قبرا ليأمن من أذى طوفانه
أو أنها للسائرات مراصد
يختار وراصدها أعز مكانه
أو أنها وضعت بيوت كواكب
أو أنهم نقشوا على حيطانها

عليكم كونوا على ما أنتم ثم صاح بغلام فدفع له ثيابه ثم أقبل علينا وقال اصنعوا بنا ما صنعتم بأنفسكم قال فما كان بأسرع من أن طرحت عليه ثياب خز معلم وقدمت اليه موائد الطعام والشراب فطعم وشرب الشراب لساعته ثم قال خففوا عني فانه شيء والله ما فعلته قط قال فتهلل وجه جعفر ثم التفت إلى عبد الملك فقال له جعلت فداك قد علوت علينا وتفضلت فهل من حاجة تبلغها مقدرتي وتحيط بها نعمتي فاقضيها لك مكافاة لك على ما صنعت قال بلى أن في قلب أمير المؤمنين بعض تغير علي فتسأله الرضا عني فقال جعفر قد رضي عنك أمير المؤمنين قال وعلي عشرة آلاف دينار فقال جعفر هي حاضرة من مالي ولك من مال أمير المؤمنين مثلها قال وأريد أن أشد ظهرا بني إبراهيم بمصاهرة من أمير المؤمنين قال قد زوجه أمير المؤمنين بابنته الغالية قال وأحب أن تخفق الالوية على رأسه قال وقد ولاه أمير المؤمنين مصر فانصرف عبد الملك بن صالح وبقيت متعجبا من أقدام جعفر على ذلك من غير استئذان وقلت عسى أن يجيبه أمير المؤمنين إلى ما سأله من الولاية والمال والرضا عنه الا المصاهرة قال فلما كان من الغد بكرت إلى باب الرشيد لأنظر ما يكون من أمرهم فدخل جعفر فلم يلبث ان دعي بأبي يوسف القاضي ثم إبراهيم بن عبد الملك بن صالح فخرج إبراهيم وقد عقد نكاحه بالغالية بنت الرشيد وعقد له على مصر والرايات والالوية تخفق على رأسه وخرج كل من في القصر معه إلى بيت عبد الملك بن صالح قال ثم بعد ذلك خرج الينا جعفر وقال أظن أن قلوبكم تعلقت بحديث عبد الملك بن صالح وأحببتم سماع ذلك قلنا هو كما ظننت قال لما دخلت على أمير المؤمنين ومثلت بين يديه قال كيف كان يومك يا جعفر بالأمس فقصصت عليه القصة حتى بلغت إلى دخول عبد الملك بن صالح فكان متكئا فاستوى جالسا وقال لله أبوك ما سألك قلت سألني رضاك عنه يا أمير المؤمنين قال بم أجبته قلت قد رضي عنك أمير المؤمنين قال قد رضيت عنه ثم ماذا قلت وذكر ان عليه عشرة آلاف دينار قال فيم أجبته قلت قد قضاها عنك أمير المؤمنين قال وقد قضيتها عنه ثم ماذا قلت ورغب أن يشد أمير المؤمنين ظهر ولده إبراهيم بمصاهرة منه قال فيم أجبته قلت قد زوجه أمير المؤمنين بابنته الغالية قال قد أجبته إلى ذلك ثم ماذا قلت قال وأحب أن تخفق الألوية على رأسه قال فيم أجبته قلت قد ولاه أمير المؤمنين مصر قال قد وليته اياها ثم نجز له جميع ذلك من ساعته قال إبراهيم بن المهدي فوالله ما أدري أي الثلاثة أكرم وأعجب فعلا ما ابتدأه عبد الملك بن صالح من المنادمة ولم يكن فعل ذلك قط أم أقدام جعفر على الرشيد أم امضاء الرشيد جميع ما حكم به جعفر فهكذا تكون مكارم الاخلاق

وحكى أبو العباس عن عمر الرازي قال قبلت من مكة أريد المدينة فجعلت أسير في جمد من الأرض فسمعت غناء لم أسمع مثله فقلت والله لأتوصلن اليه فإذا هو عبد أسود فقلت له أعد علي ما سمعت فقال والله لو كان عندي قوى اقربك لفعلت ولكني اجعله قراك فاني والله ربما غنيت بهذا الصوت وأنا جائع فاشبع وربما غنيته وأنا كسلان فانشط أو عطشان فأروى ثم اندفع يغني ويقول

وكنت إذا ما جئت سعدى أزورها ... أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ود جليسها ... إذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

قال عمر فحفظته منه ثم تغنيت به على الحالات التي وصفها لي فاذا هي كما ذكر والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السبعون في ذكر القينات والأغاني)

(حكي) علي بن الجهم قال لما أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين المتوكل أهدى اليه عبد الله بن طاهر من خراسان جارية يقال لها محبوبة كانت قد نشأت بالطائف فبرعت في الجمال والأدب وأجادت

قول

أن القاضي أبا الحسن علي ابن عبد العزيز الجرجاني كان يمر على الناس ولا يسلم عليهم فلامه بعض أصحابه في ذلك فقال

يقولون لي فيك انقباض وإنما ... رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما

أرى الناس من داناهم هان عندهم ... ومن أكرمته عزة النفس اكرما

وإني إذا ما فاتني الأمر لم اكن ... اقلب كفي اثره متندما

ولم اقض حق العلم أن كان كلما ... بدا مطمع صيرته لي سلما

وما كل برق لاح لي يستفزني ... ولا كل من في الارض أرضاه منعما

إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى ... ولكن نفس الحر تحتمل الظما

انهنهها عن بعض ما لا يشينها ... مخافة اقوال العدا فيم أولما

ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي ... لأخدم من لاقيت لكن لاخدما

اشقى به غرسا واجنيه ذلة ... إذا فاتباع الجهل قد كان احزما

ولو ان أهل العلم صانوه صانهم

قول الشعر وحذاقة الغناء فشغف بها أمير المؤمنين المتوكل حتى كانت لا تفارق مجلسه ساعة واحدة ثم انه حصل منه عليها بعد ذلك جفاء المؤمنين فهجرها قال علي بن الجهم فبينما أنا نائم عنده ذات ليلة اذا أيقظني فقال يا علي قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال قد رأيت الليلة في منامي كأني رضيت على محبوبة وصالحتها فقلت خيرا رأيت يا أمير المؤمنين أقر الله عينك انما هي جاريتك و لرضا والجفاء بيدك فوالله أنا في حديثها اذ جاءت وصيفة فقالت يا أمير المؤمنين سمعت صوت عود من حجرة محبوبة فقال قم بنا يا علي ننظر ما تصنع فنهضنا حتى أتينا حجرتها فاذا هي تضرب بالعود وتقول

أدور في القصر لا أرى أحدا ... أشكو اليه ولا يكلمني
كأنني قد أتيت معصية ... ليس لها توبة تخلصني
فهل شفيع لنا إلى ملك ... قد زارني في الكرى وصالحني
حتى إذا ما الصباح لاح لنا ... عاد إلى هجره وصار مني

قال فصاح أمير المؤمنين فلما سمعته تلقته وأكبت على رجليه تقلبهما فقال ما هذا قالت يا مولاي رأيت في منامي هذه الليلة كأنك قد رضيت عني فأنشدت ما سمعت قال وأنا والله رأيت مثل ذلك ثم قال يا علي هل رأيت أعجب من هذا الاتفاق ثم أخذ بيدها ومضى إلى حجرتها وكان من أمرها ما كان * قيل وكان أمير المؤمنين الواثق إذا شرب رقد في موضعه الذي شرب فيه من كان معه من ندمائه وشرب وقد ولم يخرج فشرب يوما وخرج من كان عنده الا مغنيا واحدا أظهر التراقد فترك وكانت مغنية من حظايا الخليفة نائمة فلما خلا المجلس كتب المغني رقعة ورمى بها اليها فاذا فيها

اني رأيتك في المنام ضجيعتي ... مسترشفا من ريق فيك البارد
وكأن كفك في يدي وكأننا ... بتنا جميعا في لحاف واحد
ثم انتبهت ومنكباك كلاهما ... في راحتي وتحت خدك ساعدي
فقطعت يومي كله متراقد ... لأراك في نومي ولست براقد

فكتبت اليه ظهرها تقول

خيرا رأيت وكل ما أملته ... ستناله مني برغم الحاسد
وتبيت بين خلاخلي ودمالجي ... وتحل بين مراشفي ونواهدي
ونكون أنعم عاشقين تعاطيا ... ملح الحديث بلا مخافة راصد

فلما مدت يدها لترمي اليه بالرقعة رفع الواثق رأسه فأخذها من يدها وقال ما هذا فخالها أنه لم يجر بينهما قبل ذلك كلام ولا كتاب ولا رسول إلا ان العشق قد خامرهما قال فأعتقها من وقتها وزوجها به وقالت خذها ولا تقربنا بعد اليوم * وكان لاسماء بنت المهدي جارية يقال لها كاعب وكانت بكرا ناهدا بنت ثلاث عشرة سنة قال فتلاعب عليها أبو نواس فتمنعت فوقع في قلبه منها ما وقع وأحبته هي أيضا فجعل أبو نواس كلما أمسكها تمنعت فظفر بها ليلة من الليالي في ناحية من القصر فأمسكها فبكت * وقالت له يا سيدي الموت دون ذلك فقال أبو نواس هذا جزع الابكار فاتفق انه خرج يوما من القصر وقد ترقرق الدجا فوجدها نائمة في سدلة وهي سكرى وتفيق فتقرب منها وحل سراويلها ووقع عليها فاذا هي خالية من البكارة فارتاع وظن أن يكون أتاها دم فلم يجد فقام عنها وندم على ما كان منه وأنشد يقول

وناهدة الثديين من خدم القصر ... مرقرقة الخدين ليلية الشعر
كلفت بها دهرا على حسن وجهها ... طويلا وما حب الكواعب من أمري
فما زلت بالاشعار حتى خدعتها ... وروضتها والشعر من خدع السحر
أطالبها شيئا فقالت بعبرة ... أموت ولا هذا ودمعتها تجري
فلما تعارضنا توسطت لجة ... غرقت بها يا قوم في لجج البحر
فصحت أغثني يا غلام فجاءني ... وقد زلقت رجلي وصرت الى الصدر
ولولا صياحي بالغلام وأنه ... تداركني بالحبل صرت الى القعر

ولو عظموه في النفوس لعظما ... ولكن أهانوه فهان ودنسوا
محياه بالاطماع حتى تجهما

قال شيخ الاسلام تاج الدين عبد الوهاب ابن شيخ الاسلام تقي الدين السبكي الشافعي سقى الله عهده لقد صدق هذا القائل لو عظموا العلم عظمهم قال وأنا أقرأ قوله لعظم بفتح العين فان العلم إذا عظم تعظم وهو في نفسه عظيم ولكن أهانوه فهانوا ولكن الرواية فهان وعظم بضم العين والأحسن ما أشرف اليه اه (قال) الشيخ امام العالم العلامة تاج الدين عبد الوهاب بن السبكي في أجوبته عن الاعتراضات التي على جمع الجوامع ومن ظريف ما يستفاد قولي أبي نواس

أباح العراقي النبيذ وشربه ... وقال حرامان المدامة والسكر
وقال الحجازي الشرابان واحد ... فحلت لنا من بين قوليهما الخمر
سآخذ من قوليهما طرفيهما ... وأشربها لا فارق الوازر الوزر

وقد سألني الاديب صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي رحمه الله عن معنى هذه الابيات ومعناها أن العراقي وهو أبو حنيفة رحمه الله اباح النبيذ وحرم المدامة وهي الخمر اسكرت ام لم تسكر وحرم أيضا المسكر من كل شيء وان الحجازي وهو الشافعي رحمه الله قال

فأقسمت عمري لاركبت سفينة ... ولا سرت طول الدهر الا على ظهر

(ومن ذلك) ما حدث الشيباني قال كان عند رجل بالعراق قينة وكان أبو نواس يختلف إليها وكانت تظهر له أنها لا تحب غيره وكان كلما دخل إليها وجد عندها شابا يجالسها ويحادثها فقال فيها هذه الابيات

ومظهرة لخلق الله ودا ... وتاتى بالتحية والسلام
أتيت لبابها أشكو اليها ... فلم أخلص إليه من الزحام
فيامن ليس يكفيها خليل ... ولا ألفا خليل كل عام
أراك بقية من قوم موسى ... فهم لا يصبرون على الطعام

(وقال) أبو سويد حدثني أبو زيد الاسدي قال دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو جالس في ايوان مبلط بالرخام الاحمر مفروش بالديباج الاخضر في وسط بستان ملتف قد أثمر وأينع وعلى رأسه وصائف كل واحدة منهن أحسن من صاحبتها وقد غابت الشمس وغنت الاطيار فتجاوبت وصفقت الرياح على الاشجار فتمايلت فقلت السلام عليك أيها الامير ورحمة الله وبركاته وكان مطرقا فرفع رأسه وقال أبازيد في مثل هذا الحين تصاحبنا فقلت أصلح الله الأمير اوقامت القيامة قال نعم على اهل المحبة ثم اطرق مليا ورفع رأسه وقال ابازيد ما يطيب في يومنا هذا قلت اصلح الله الأمير قهوة حمراء في زجاجة بيضاء تناولها غادة هيفاء مضمومة لفاء اشربها من كفها وامسح فمي بخدها فأطرق سليمان مليا لا يرد جوابا تنحدر من عينيه عبرات بلا شهيق فلما رأت الوصائف ذلك تنحين عنه ثم رأسه فقال ابازيد حضرت في يوم فيه انقضاء اجلك ومنتهى مدتك تصرم عمرك والله لأضربن عنقك اولتخبرني ما آثار هذه الصفة من قلبك قلت نعم اصلح الله الأمير كنت جالسا عند دار اخيك سعيد بن عبد الملك فاذا أنا بجارية قد خرجت من باب القصر كأنها غزال انفلت من شبكة صياد عليها قميص سكب اسكندراني يتبين منه بياض بدنها وتدوير سرتها ونقش تكتها وفي رجليها نعلان صفراوان قد أشرق بياض قدميها على حمرة نعليها بذؤابتين تضربان إلى حقويها لها صدغان كأنهما نونان وحاجبان قد قوسا على محاجر عينيها وعينان مملوءتان سحرا وأنف كأنه قصبة بلور وفم كأنه جرح يقطر دما وهي تقول عباد الله من لي بدواء مالا يشتكى وعلاج ما لا يسمى طال الحجاب وبطأ الجواب والقلب طائر والعقل عازب والنفس والهة والفؤاد مختلس والنوم محتبس رحمة الله على قوم عاشوا تجلدا وماتوا كمدا ولو كان إلى الصبر حيلة أو إلى ترك الغرام سبيل لكان أمرا جميلا ثم أطرقت طويلا ورفعت رأسها فقلت لها أيتها الجارية أنسية أنت أم جنية سماوية أنت أم أرضية فقد أعجبني ذكاء عقلك وأذهلني حسن منطقك فسترت وجهها بكمها كأنها لم ترني ثم قالت أعذر أيها المتكلم فما أوحش الساعد بلا مساعد والمقاساة لصب معاند ثم انصرفت فوالله ما أكلت طعاما طيبا الا غصصت به لذكرها ولا رأيت حسنا الاسمج في عيني لحسنها فقال سليمان أبازيد كاد الجهل يستفزني والصبا يعاودني والحلم يعزب عني لشجو ما سمعت اعلم يا أبازيد أن تلك التي رأيتها هي الذلفاء التي قيل فيها

انما الذلفاء ياقوتة ... أخرجت من كيس دهقان

شراؤها على أخي الف الف درهم وهي عاشقة لمن باعها والله ان مات ما يموت الا بحبها ولا يدخل القبر الا بغصتها وفي الصبر سلوة وفي توقيع الموت نهية قم أبازيد في دعة الله تعالى ثم قال يا غلام نفله ببدرة فأخذتها وانصرفت قال فلما أفضت الخلافة اليه صارت الذلفاء اليه فأمر بفسطاط فأخرج على دهناء الغوطة وضرب في روضة خضراء مونقة زهراء ذات حدائق بهجة تحتها أنواع الزهرة ما بين أصفر فاقع واحمر ساطع وابيض ناصع وكان لسليمان مغن يقال له سنان به يأنس واليه يسكن

الشرابان واحد فأخذ أبو نواس بالموجب فكأنه قال انهما واحد ولكن في الحل لا في الحرمة واليه الاشارة بقوله فحل لنا من بين قوليهما الخمر ثم هذا انما ذكره أبو نواس على عادة الشعراء في الكيس والظرافة ولا يقصد حقيقته فانه لا يقول به احد ولعله اشار بقوله سآخذ من قوليهما طرفيهما إلى آخره انه لا يعتقده بل هو شاعر كما يقول ولا يفعل كذلك لا يعتقده فهو على مازعم يشربها وان لم يعتقد الحل اذ كيف يعتقد ما لم يقله مسلم وكيف يمكن ان يقال انه يعتقد الحل وقد قال لا فارق الوازر الوزر فهذا ان شاء الله معنى هذه الابيات وهي على كل حال من كلمات الشعراء التي لا يحتج بها في دين الله تعالى (اعتل) ذو الرياستين الفضل بن سهل بخراسان مدة طويلة ثم أبل واستقبل وجلس للناس فدخلوا اليه وهنؤه بالعافية فانصت لهم حتى انقضى كلامهم ثم اندفع فقال ان في العلل لنعما لا ينبغي للعقلاء ان يجهلوها منها تمحيص الذنوب وثواب الصبر وايقاظ من الغفلة واذكار بالنعمة في حال الصحة واستدعاء للتوبة وحض على الصدقة ورضاء بقضاء الله وقدره فانصرف الناس بكلامه ونسوا ما قاله غيره اه (حكى) عن ابن المبارك انه قال حججت إلى بيت الله

فأمره

فأمره أن يضرب فسطاطه بالقرب منه وكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان الى ذلك المنتزه فلم يزل سنان يومه ذلك عند سليمان فى أكل سرور وأتم حبور الى ان انصرف من الليل الى فسطاطه فنزل به جماعة من إخوانه فقالوا نريد قرا أصلحك الله قال وما قراكم قالوا أكل وشرب وسماع قال أما الأكل والشرب فمباحان لكم وأما السماع فقد عرفتم شدة غيرة أمير المؤمنين ونهيه عنه الا ما كان فى مجلسه قالوا لا حاجة لنا بطعامك وشرابك ان لم تسمعنا قال اختاروا صوتا واحدا أغنيكموه قال غننا صوت كذا فرفع صوته يغنى بهذه الأبيات

محجوبة سمعت صوتى فأرقها من آخر الليل لما نبه السحر
فى ليلة البدر مايدرى مضاجعها أوجهها عنده أبهى أم القمر
لم يحجب الصوت احراس ولاغلق فدمعها لطروق الصوت منحدر
لو مكنت لمشت نحوى على قدم تكاد من لينها فى المشى تنفطر

قال فسمعت الذلفاء صوت سنان فخرجت الى صحن الفسطاط تسمع فجعلت لا تسمع شيئا من حسن خلق ولطافة قد الا رأت ذلك كله فى نفسها وهيئتها فحرك ذلك ساكنا من قلبها فهملت عيناها وعلا نحيبها فانتبه سليمان فلم يجدها معه فخرج الى صحن الفسطاط فرآها على تلك الحالة فقال ما هذا ياذلفاء فقالت

ألا رب صوت رائع من مشوه قبيح المحيا واضع الاب والجد
يروعك منه صوته ولعله إلى أمة يعزى معا والى عبد

فقال سليمان دعينى من هذا فوالله قد خامر قلبك منه ماخامر ثم قال ياغلام على بسنان فدعت الذلفاء خادما لها فقالت ان سبقت رسول أمير المؤمنين الى سنان فحذرته فلك عشرة آلاف درهم وأنت حر لوجه الله تعالى فخرج الرسولان فسبق رسول أمير المؤمنين سليمان فلما أتى به قال ياسنان ألم أنهك عن مثل هذا قال ياأمير المؤمنين حملنى على ذلك حالك وأنا عبد أمير المؤمنين وغرس نعمته فان رأى أمير المؤمنين أن يعفو عبده فليفعل قال قد عفوت عنك ولكن أنا علمت أن الفرس إذا صهل ودقت له الحجرة وان الفحل إذا هدر ضبعت له الناقة وان الرجل إذا تغنى أصغت له المرأة اياك اياك والعود الى ما كان منك فيطول غمك (وحكى) أن الرشيد فصد يوما فأرسلت اليه بعض حظاياه قدحا فيه شراب مع وصيفة لها حسنة الوجه جميلة الطلعة بديعة المحيا وغطته بمنديل مكتوب عليه هذه الابيات

فصدت عرقا تبتغى صحة ألبسك الله العافية
فاشرب بهذا الكاس ياسيدى أهنأ به من كف ذى الجارية
واجعل لمن أنفذه خلوة تحظى بها فى الليل الآتية

بذلك فكتبت اليه رقعة تقول فيها هذه الأبيات

بعثت الرسول فأبطأ قليلا على الرغم منى فصبرا جميلا
وكنت الخليل وكان الرسول فصرت الرسول وصار الخليلا
كذا من يوجه فى حاجة إلى من يحب رسولا جميلا

قال فاستحسن الرشيد ذلك منها وأرسل اليها أنا عندك الليلة ٭ وأهدى داود بن روح المهلبى إلى المهدى جارية فحظيت عنده فواعدته المبيت عنده ليلة فمنعها الحيض فكتب اليها يقول

لا تهجرن حبيبا خان موعده وكان منه لصفو العيش تكدير

فأرسلت اليه تجيبه

لا تهجرن حبيبا خان موعده ولا تمن وعدا فيه تأخير

الحرام فبينما أنا فى الطواف إذا عييت فجلست استريح ووضعت رأسى على ركبتى فغلبنى النوم رأيت النبي ﷺ وهو يقول يا ابن المبارك إذا أنت قضيت حجك وحللت عقدك ورجعت إلى أرض العراق ودخلت دار السلام فاقصد المحلة التى بها بهرام المجوسى فاذا لقيته فأخبره أن النبي العربى محمدا صلى الله عليه وسلم يسلم عليك وهو يقول لك أبشر فان قصرك فى الجنة غدا من أقرب القصور إلى قصرى قال عبد الله فانتبهت لذلك فزعا مرعوبا وتفكرت ساعة فغلبنى النوم ثانية فرأيت النبى ﷺ أيضا يقول يا ابن المبارك لا تشك فى منامك فهو حق والشيطان لا يتمثل بصورتى قط فاذا قضيت حجك وحللت عقدك وانصرفت إلى العراق فاطلب هذا المجوسى بهرام وبشره بما قلت لك فانتبهت أيضا فزعا مرعوبا واستعذت بالله واستغفرته وتفكرت ساعة فغلبنى النوم فرأيت النبى ﷺ ثالث مرة وهو يقول يا ابن المبارك أنا محمد رسول الله فلا ترتبك فى ذلك وامتثل أمرى لم وحتى فقلت يارسول الله أريد بذلك علامة أتلقاه بها فأخذ رسول الله كفى بيمينه ثم قال يا ابن المبارك

٭ أ المجوسى شيخ زمن قرأنى عليه مائة وأربعون سنة وقد ضعف بصره وثقل سمعه وابيض شعره ودق عظمه

ما كان حبسى الا من حدوث أذى   لا يستطاع له بالقول تفسير

قال محمد بن مروان يصف جارية له

أمست تباع ولو تباع بوزنها   درا بكى أسفا عليها البائع

وكان للمأمون جوية من أحسن الناس وأسبقهم إلى كل نادرة لحظيت عنده لحسدها الجوارى وقلن لاحسب لها برفنقشت على خاتمها حسبى حسنى فازداد بها المأمون عجبا فسمتها الجوارى فماتت فجزع عليها المأمون جزعا شديدا وقال   اختلست ريحانتى من يدى   أبكى عليها آخر الابد

كانت هى الانس إذا استوحشت   نفسى من الاقرب والابعد   وروضة كان بها مرتعى
ومنهلا كان بها موردى   كانت يدى كان بها قوتى   فاختلس الدهر يدى من يدى

(وللمتوكل فى قينة) أمازحها فتغضب ثم ترضى   فكل فعالها حسن جميل
فانى غضبت فأحسن ذى دلال   وان رضيت فليس لها عديل

وحدث ابو عبد الله بن عبد البر قال حدثنى اسحق بن ابراهيم عن الهيثم بن عدى قال كان فى المدينة رجل من بنى هاشم وكان له قينتان يقال لأحدهما رشا وللاخرى جوزر وكان بالمدينة رجل مضحك لا يكاد يغيب عن مجلس المستظرفين فأرسل الهاشمى اليه ذات يوم ليسخر به فلما أتاه قال له أصلحك الله انك لى لذنك ولا لذة لى قال مالذتك قال تحضر لى نبيذا فانه لا يطيب لى عيش الا به فأمر الهاشمى باحضار نبيذ وأمر أن يطرح فيه سكر العشر فلما شربه المضحك تحرك عليه بطنه فتناوم الهاشمى وغمز جاريته عليه فلما ضاق عليه الأمر واضطر الى التبرز قال فى نفسه ما أظن هاتين المنيتين الا يمانيتين وأهل اليمن يسمون الكنيف بالمراحيض فقال لهما يا حبيبتى أين المرحاض فقالت أحداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

رخصت فؤادى لخليتى   أهم من الحب فى كل وادى

فاندفعتا تغنيانه فقال فى نفسه والله ما أظنهما فهمتا عنى وماأظنهما الامكيتين وأهل مكة يسمونها المخارج فقال يا حبيبتى أين المخرج فقالت أحدهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

خرجت لها من بطن مكة بعدما   أقام المنادى بالعشى فاعتما

فاندفعتا يغنيانه فقال فى نفسه لم يفهمها عنى وما أظنهما الا شاميتين وأهل الشام يسمونها المذاهب فقال يا حبيبتى اين المذهب فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول حبيبنا قالت يقول غنيانى

ذهبت من الهجران فى كل مذهب   ولم يك حقا كل هذا التجنب

فغنتاه الصوت فقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم لم يفهماعنى وماأظن القحبتين الامدنيتين وأهل المدينة يسمونها بيت الخلاء فقال ياحبيبتى أين بيت الخلاء فقالت احدهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى خلا على بقاع الارض لذ طعنوا   من بطنه مكة واسترعانى الحزن

قال فغنتاه فقال انا لله وانا اليه راجعون ما أظن الفاسقتين إلا بصريتين وأهل البصرة يسمونها الحشوش قال ياحبيبتى أين الحشوش فقالت أحداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

أوحشونى وعز صبرى فيهم   ما احتيالى وما يكون فعالى

قال فاندفعتا تغنيانه فقال ما أراهما الا كوفيتين وأهل الكوفة يسمونها الكنيف فقال لهما ياحبيبتى أين الكنيف فقالت أحداهما لصاحبتها يعيش سيدنا ما رأيت أكثر اقتراحا من هذا الرجل قالت ما يقول قالت يسأل أن تغنى له تكنفنى الهوى طفلا   فشيبنى وما اكتهلا

فقال واويلاه واعظم مصيبتاه هذا والهاشمى ينقطع ضحكا فقال لهما يا زانيتان ان لم تعلانى به لما أعلكما

ويبس عصبه وجلده فاذا أتيته وسلمت عليه وبشرته بما قلت لك وطلب منك علامة فامسح بيدك هذه التى أخذتها بيمينى على رأسه ومر بها على وجهه وسائر جسده وبدنه فانه يعود شابا ويرجع اليه بصره وسمعه ويسود شعره ويطرى جسده ويقوى عصبه وتعود اليه قوته فانتبهت وأنا كالولهان فلما أن قضيت حجى وحللت عقدى وانصرفت الى العراق ودخلت بغداد سألت عن دار المجوسى فقلت يا غلام استأذن لى على مولاك فقال الغلام أغريب أنت قلت أجل قال ادخل ليس هنا من يحجبك قال فدخلت إلى دار لم أر مثلها واذا بكتبة ومجوس وصيارف قعود وهم يقتضون الرهون ويعطون الدنانير والدراهم فقلت ياقوم أفيكم بهرام فقيل ادخل الدار الثانية فدخلتها فاذا ليس بينها وبين الدار الأولى نسبة بل تفاوت واذا بشيخ قاعد على دست ومرتبة على الصفة التى وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله جماعة من الكتاب والحساب وبين أيديهم الدنانير والدراهم كالبيادر الصغار وهم فى الحساب فسلمت كما أمرنى النبى ﷺ فرد على السلام

ثم رفع ثيابه وسلح عليهما وعلى الفراش فانتبه الهاشمي وقد غشي عليه من شدة الضحك وقال ويلك ماهذا تسلح على وطائي فقال الرجل حياة نفسي أعز على من وطائك وقيل انه لما قيل له ويلك ماهذا قال المضحك هذه الأبيات

نكفتني الملاح وأضجروني ... على مابي بنيات الزواني

فلما قل عن ذاك اصطباري ... قذفت به على وجه الغواني

قال فانبسط الهاشمي ودفع اليه مالا ومضى إلى سبيله (وقال) على بن الجهم قلت لقينة

هل تعلمين وراء الحب منزلة ... تدني اليك فان الحب أقصاني

(قالت تأتي من باب الذهب وأنشدت)

اجعل شفيعك منقوشا تقدمه ... فلم يزل مدنيا من ليس بالداني

وكان أشعث يختلف إلى قينة بالمدينة فجلس عندها يوما يطارحها الغناء فلما أراد الخروج قال لها ناوليني خاتمك أذكرك به قالت انه ذهب وأخاف أن تذهب ولكن خذ هذا العود فلعلك أن تعود وناولته عودا من الأرض وكان بعض القينات من الجمال والحسن بجانب ثم أصابتها علة فتغير حالها فكانت تنشد

ولي كبد مقروحه من يبيعني ... بها كبدا ليست بذات قروح

اباها على الناس لايشترونها ... ومن يشتري ذا علة بصحيح

وكان المعتصم يحب قينة من حظاياه فاتفق انه خرج إلى مصر وتركها فذكرها في بعض الطريق فاشتاق إليها فغلبه الوجد فدعا مغنيا له وقال ويحك قد ذكرت جاريتي فلانة بنت فلانة فاقلقني الشوق إليها فعسى أن تغنيني شيئا في معنى ماذكرته لك فأطرق مليا ثم غناه

وددت من الشوق المبرح انني ... اعار جناحي طائر فأطير في لنعيم ليس فيه بشاشة ولسرور ليس فيه سرور ... وان امرأ في بلدة نصف قلبه ونصف بأخرى غيرها لصبور

والحكايات في معنى ذلك كثيرة ولو أردت بسطها لاحتجت إلى مجلدات ولكن ماقل وجل خير من كثير ممل وفيما ذكرته كفاية والله المسئول أن يمدني منه باللطف والعناية ونسأله التوفيق والهداية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الحادي والسبعون في ذكر العشق ومن بلي به والافتخار بالعفاف واخبار من مات بالعشق وماقي معنى ذلك وفيه فصول)

(الفصل الأول في وصف العشق) قال الجاحظ العشق اسم لما فضل عن المحبة كما ان الشرف اسم لما جاوز الجود وقال اعرابي العشق خفي ان يرى وجلي ان يخفى فهو كامن ككمون النار في الحجر إن قدحته اورى وان تركته توارى وقيل اول العشق النظر واول الحريق الشرر وكان العشاق فيما مضى يشق الرجل برقع حبيبته والمرأة تشق رداء حبيبها ويقولون انهما إذا لم يفعلا ذلك عرض البعض بينهما وقال عبد بني الحسحاس

وكم قد شققنا من رداء محبر ... ومن برقع عن طفلة غير عانس

اذا شق برد بالبرد برقع ... من الحب حتى كلنا غير لابس

وقيل لأعرابي مابلغ من حبك لفلانة قال اني لأذكرها وبيني وبينها عقبة الطائف فأجد من ذكرها رائحة المسك وقيل أرى شبيب اخو بثينة جميلا عندها فوثب عليه وآذاه ثم ان شبيبا أتى مكة وجميل فيها فقيل لجميل دونك شبيبا فخذ بثارك منه فقال

لقد شممت بك رائحة زال بها الهم عن قلبي ادن مني فجلست إلى جانبه فقال هل لك من حاجة قلت نعم قال وما هي قلت أرى أن أخلو بك ساعة فقال نعم وأمر من هناك بالخروج فتهيؤا ثم خرجوا فبقيت أنا وهو وثلاثة شبان قلت هؤلاء اصرفهم يابهرام كم تعد من السنين قال أعد مائة وأربعين سنة قلت فهل تعرف أنك عملت شيئا استوجبت به من الله الجنة قال لا أدري إلا اني رزقت ثلاثة بنين وثلاث بنات فزوجت بعضهم من بعض وأعطيت مهورهن من عندي وأفردت لكل واحد منهم مالا ودارا وعقارا قلت لاتستوجب الجنة بل تستوجب النار فهل عملت شيئا صالحا لآخرتك قال قسمت ليلي ثلاثة أجزاء: أما الجزء الأول فاني أقعد للمسامرة وتقرأ على سير الأول فانفرج بذلك والجزء الثاني أعبد فيه النار وأسجد لها من دون الله الواحد القهار والجزء الثالث أتفكر فيه في أمر معاشي أو معادي وامنع نفسي عن النوم في ذلك الجزء فان النوم فيه جهل وخمول ودماء إلا لضرورة فقلت هل لك فعل غير هذا قال لا فانه يفعل الله مايشاء ويحكم مايريد فلم استحقيت

وقالوا ياجميل أتى أخوها ... فقلت أتى الحبيب أخو الحبيب

(وأنشد الأخفش الحداد يقول)

مطارق الشوق منها فى الحشى أثر ... يطرقنى سندان قلب حشوه الفكر

ونار كور الهوى فى الجسم موقدة ... ومبرد الحب لايبقى ولايذر

وفى الجليس الأنيس لأبى العالية الشامى قال سأل أمير المؤمنين المأمون يحيى بن أكثم عن العشق ماهو فقال هو سوانح تسنح للمرء فيهيم بها قلبه وتؤثرها نفسه وقال ثمامة العشق جليس ممتع وأليف مؤنس وصاحب ملك مسالكه ضيقة ومذاهبه غامضة وأحكامه جائرة ملك الأبدان وأرواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها والعقول وآراءها وأعطى عنان طاعتها وقوة تصريفها توارى عن الأبصار مدخله وخفى القلوب مسلكه وكان شيخ بخراسان له ادب وحسن معرفة بالأمور قال لسليمان ابن عمرو ومن معه أنتم أدباء وقد سمعتم الحكمة ولكم حداء ونعم فهل فيكم عاشق قالوا لا قال اعشقوا فان العشق يطلق اللسان ويفتح جبلة البليد والبخيل ويبعث على التلطف وتحسين اللباس وتطييب المطعم ويدعو إلى الحركة والذكاء وتشريف الهمة وقال المجنون

قالت جننت على ذكرى فقلت لها ... الحب أعظم مما بالمجانين

الحب ليس يفيق الدهر صاحبه ... وانما يصرع المجنون فى الحين

قال ذا الرياستين ان بهرام جور كان له ابن وكان قد رشحه للأمر من بعده فنشأ الفتى ناقص الهمة ساقط المروءة خامل النفس سىء الادب فغمه ذلك فوكل به من المؤدبين والمنجمين والحكماء من يلازمه ويعلمه وكان يسألهم عنه فيحكون له مايغمه من سوء فهمه وقلة أدبه إلى أن سأل بعض مؤدبيه يوما فقال له المؤدب قد كنا نخاف سوء أدبه فحدث من أمره ماصيرنا إلى الرجاء فى فلاحه وماذاك الذى حدث قال رأى ابنة فلان المرزبان فعشقها فغلبت عليه فهو لايهدأ إلا بها ولا يتشاغل إلا بها فقال بهرام الآن رجوت فلاحه ثم دعا بأبى الجارية فقال له انى مسر إليك سرا فلا يعدونك فضمن له ستره فأعلمه أن ابنه قد عشق ابنته وأنه يريد أن ينكحها اياه وأمره أن يأمرها باطماعه فى نفسها ومراسلته من غير أن يراها وتقع عينه عليها فاذا استحكم طمعه فيها تجتنبه وتهجره فان استعلمها أعلمته أنها لاتصلح إلا لملك ثم لتعلمنى خبرها وخبره ولا تطلعهما على ماأسره إليك فقبل أبوها ذلك منه ثم قال للمؤدب الموكل بأدبه حضه وشجعه على مراسلة المرأة ففعل ذلك وفعلت المرأة كما أمرها أبوها فلما انتهت إلى التجنى عليه وعلم الفتى السبب الذى كرهته لأجله أخذ فى الأدب وطلب الحكمة والعلم والفروسية والرماية وضرب الصولجان حتى مهر فى ذلك ثم رفع إلى أبيه أنه محتاج إلى الدواب والآلات والمطاعم والملابس والندماء وماأشبه ذلك فسر الملك بذلك وأمر له بما طلب ثم دعا مؤدبه فقال له أن الموضع الذى وضع به ابنى نفسه من خبر هذه المرأة لايدرى به فتقدم اليه ومره أن يرفع أمرها إلى ويسألنى ان ازوجه إياها ففعل المؤدب ذلك فرفع الفتى ذلك لأبيه فدعا بأبيها وزوجه اياها وأمر بتعجيلها إليه وقال له إذا اجتمعت أنت وهى فلا تحدث شيئا حتى اصير اليك فلما اجتمعا صار اليه فقال يابنى لايضعن قدرها عندك مراسلتها إياك وليست فى خب[illegible] فانى امرتها بذلك وهى اعظم الناس منة عليك بما دعتك اليه من طلب الحكمة والتخلق باخلاق الملوك حتى بلغت الحد الذى تصلح معه للملك من بعدى فزدها من التشريف والاكرام بقدر ماتستحق منك ففعل الفتى وعاش مسرورا بالجارية وعاش أبوه مسرورا به واحسن ثواب ابيها ورفع منزلته لصيانة سره وأحسن جائزة المؤدب لامتثال ماامره به (وكان) عبد الله بن عبيدة الريحانى يهوى جارية فزارته يوما فاقام يحدثها ويشكو اليها

يابهرام الجنة قال ويحك يا ابن المبارك أتقطع لى بالجنة وأنت عالم المسلمين من أخبرك بذلك قلت أخبرنى الصادق الأمين الذى لاينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم قال فما القصة فحدثته بالمنام الذى رأيته وبما قاله النبى صلى الله عليه وسلم مرارا فقال يا ابن المبارك وهل لذلك علامة ظاهرة قلت نعم ادن منى فدنا فمسحت بيدى رأسه ووجهه وصدره وبدنه وأولاده ينظرون فصار شابا حسنا طربا نعيما بصيرا واسود شعره وابيضت بشرته فلما عاين ذلك قال امدد يدك ياشيخ أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ثم قال ياشيخ أخبرك السبب الذى أوجب الله لى به هذه المنزلة قلت نعم قال كنت من مدة قد أولمت وليمة عامة للمسلمين والنصارى واليهود والمجوس على خاصة فأكلوا وانصرفوا وانقضت الوليمة فما كان فى بعض الليل طرق طارق الباب وقد هدأ الناس ونام الخدام لما اصابهم من التعب بسبب الوليمة وانا جالس منتبه فقلت من بالباب فقالت يابهرام امرأة من جيرانك فأوقدنى هذا السراج قال بهرام والمجوس لاترى اخراج النار من بيوتهم ليلا فتحيرت فى امرى وقمت ولم انبه احدا فاسرجت لها السراج فانصرفت

ألم الفراق فحان وقت الظهر فناداه انسان الصلاة يا أبا الحسن فقال له رويدك حتى تزول الشمس أي حتى تقوم الجارية . وقالت ليلى العامرية في قيسها

لم يكن المجنون في حالة ... الا وقد كنت كما كانا
لكنه باح بسر الهوى ... وأنني قد ذبت كتمانا

وقال أحمد بن عثمان الكاتب ... وإني ليرضيني المرور ببابها ... وأقنع منها بالشتيمة والزجر

وقال الفتح بن خاقان صاحب المتوكل

أيها العاشق المعذب صبرا ... فخطايا أخي الهوى مغفورة
زفرة في الهوى أحط لذنب ... من غزاة وحجة مبرورة

وقال عمر بن أبي ربيعة كنت وامرأتين هذه تساورني وهذه تعضني فما شعرت بعضة هذه من لذة هذه وأنشد شيبان العذري يقول لوحز بالسيف رأسي في محبتها . لطار يهوي سريعا نحوها رأسي

وقال يحيى بن معاذ الرازي لو أمرني الله أن أقسم العذاب بين الخلق ماقسمت للعاشقين عذابا

(الفصل الثاني من هذا الباب فيمن عشق وعف والافتخار بالعفاف) روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ من عشق فعف فمات فهو شهيد وقال ﷺ عفوا تعف نساؤكم وقال بعضهم رأيت امرأة مستقبلة البيت في غاية الضعف والانحافة رافعة يديها تدعو فقلت لها هل من حاجة فقالت حاجتي أن تنادي في الموقف بقولي

تزود كل الناس زادا يقيهم ... ومالي زاد والسلام على نفسي

فناديت كما أمرتني وإذا بفتى نحيل الجسم قد أقبل الي فقال أنا المزاد فمضيت به اليها فما زاد على النظر والبكاء ثم قالت له انصرف بسلام فقلت ماعلمت ان لقاءكما يقتصر على هذا فقالت أمسك ياهذا أما علمت أن ركوب العار ودخول النار شديد قال إبراهيم بن محمد المهلبي

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعني ... منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن أهوى فيقنعني ... منه الفكاهة والتأنيس والنظر
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم ... وليس لي في حرام منهم وطر
كذلك الحب لا اتيان معصية ... لاخير في لذة من بعدها سقر

وقال بعض بني كلاب ... إن أكن طامح اللحاظ فاني ... والذي يملك الفؤاد عفيف
ونحو ذلك قول القائل ... فقالت بحق الله الا أتيتنا ... إذا كان لون الليل شبه الطيالس

فجئت ومافي القوم يقظان غيرها ... وقد نام كل عنها واش وحارس
فبتنا بليل طيب نستلذه ... جميعا ولم أقلب لها كف لامس

ونزل رجل على صديق له مستترا خائفا من عدو فأنزله في منزله وتركه فيه وسافر لبعض حوائجه وقال لامرأته أوصيك بضيفي هذا خيرا فلما عاد بعد شهر قال لها كيف ضيفنا قالت ما أشغله بالعمى عن كل شيء وكان الضيف قد أطبق عينيه فلم ينظر إلى امرأة صاحبه ولا إلى منزله إلى أن عاد من سفره وكان عمر بن أبي ربيعة عفيفا يصف ويعف ويحوم ولا يرد . ودخلت بثينة على عبد الملك بن مروان فقال لها يا بثينة ما أرى فيك شيئا مما كان يقول جميل فقالت ياأمير المؤمنين انه كان يرنو الي بعينين ليستا في رأسك قال فكيف رأيتيه في عشقه قالت كان كما قال الشاعر

لا والذي تسجد الجباه له ... مالي بما تحت ذيلها خبر
ولا بفيها ولا هممت بها ... ماكان الا الحديث والنظر

وأطفأت السراج وعادت. وقالت يا بهرام قد انطفأ فأسرجه لي فلما أسرجته قالت يا بهرام والله ماجئتك لأجل سراج ولكن جئتك من أجل ثلاث بنات شممن روايح طعامك فهن مقليات على وجوههن يتضاغون كالمرأة الثكلى أو كالحية في المقلى فان كان قد بقي في دارك فضل طعام فأعطني فانك ان شاء الله تملك بذلك الجنه فقلت حبا وكرامة فأخذت منديلا كبيرا فجعلت فيه من كل شيء كان في البيت من الحلو والحامض وأخرجت كيسا فيه ألف دينار وكيسا فيه ستة آلاف درهم وستة أثواب من ديباج وستة اثواب مروزية وشددت الجميع وقلت احملي هذا إلى عيالك اقسمي عليهم فمدت يدها فلم تطق حمله لضعفها فقالت يا بهرام أعني أعانك الله على الوقوف بين يديه وخفف عليك الحساب في ذلك اليوم الشديد فقلت ياهذه كيف أفعل وأنا شيخ كبير وقد مضى علي مائة ونيف وثلاثون سنة ثم تفكرت لحظة وطاب لذلك قلبي فقلت لها شيلي على رأسي فشالته واستثقل على رأسي فسال لذلك عرقي حتى صرت في منزلها فحطت الطعام ووضعت الرزمة وجعلت ألقم البنات إلى ان شبعن ونعظن ثم قسمت عليهن الثياب والدراهم والدنانير ففرحن وتبسمن فلما أردت القيام قلن يا عمنا يا بهرام

وقد قدمت هذين البيتين فى الجزء الأول فيما جاء فى الكتابة على سبيل الرمزه وعن أبى سهل الساعدى قال دخلت على جميل وبوجهه آثار الموت فقال لى يا أبا سهل ان رجلا يلق الله ولم يسفك دما ولم يشرب خمرا ولم يأت فاحشة أفترجو له الجنة بلت أى، والله فمن هو قال إنى لأرجو أن أكون ذلك فذكرت له بثينة فقال انى لفى آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لانالتنى شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ان كنت حدثت نفسى بريبة قط ، وعن عبد الله بن عبد المطلب أبى النبى صلى الله عليه وسلم أنه دعته بغى إلى نفسها وبذلت له مالا وكانت تتكن وتسمع باتيان رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت جميلة فأرادت أن تخدع عبد الله رجاء أن يكون النبى ﷺ منها النور الذى رأته بين عينيه فأبى وقال

أما الحرام فالحمام دونه ... والحل لا نأبى ونستبدينه

فكيف بالأمر الذى تبغينه ... يحمى الكريم عرضه ودينه

(وقال آخر) وأحزر مخضوب البنان محجب ... دعانى فلم أعرب إلى مادعا وجها

بخلت بنفسى عن مقام يشينها ... ولست مريدا ذاك طوعا ولا كرها

وراود شاب ليلى الأخيلية عن نفسها فاشمأزت وقالت

وذى حاجة قلنا له لا تبح بها ... فليس إليها ما حييت سبيل

لنا صاحب لا ينبغى ان نخونه ... وأنت لأخرى صاحب وخليل

وقال ابن ميادة موانع لا يعطين حبة خردل ... وهن دوان فى الحديث أوانس

ويكرهن أن يسمعن فى اللهو ريبة ... كما كرهت صوت اللجا الشوامس

(وقال آخر) حور حوائر ماهممن بريبة ... كظباء مكة صيدهن حرام

يحسبن من لين الكلام فواسقا ... ويصدهن عن الخنى الإسلام

وكان الاصمعى يستحسن بيتى العباس بن الاحنف

أتأذنون لصب فى زيارتكم ... فعندكم شهوات السمع والبصر

لا يظهر الشوق ان طال الجلوس به ... عف الضمير ولكن فاسق النظر

واختفى إبراهيم بن ملك المهدى فى هربه من المأمون عند عمته زينب بنت أبى جعفر فوكلت بخدمته جارية لها اسمها ملك وكانت واحدة زمانها فى الحسن والأدب فطلبت منها بخمسمائة ألف درهم فهويها إبراهيم وكره أن يراودها عن نفسها فغنى يوما وهى قائمة على رأسه

ياغزالا لى اليه ... شافع من مقلتيه ... أنا ضيف ... وجزاء الضيف احسان إليه

ففهمت الجارية ما أراد فحكت ذلك لمولاتها فقالت اذهبى إليه فاعلميه أنى قد وهبتك له فعادت إليه فلما رآها أعاد البيتين فأكبت عليه فقال لها كفى فلست بخائن فقالت قد وهبتنى لك مولاتى وأنا الرسول فقال أما الآن فنعم وانشد المبرد ما ان دعانى الهوى لفاحشة الا نهانى الحياء والكرم

فلا إلى فاحش مددت يدى ولا مشت بى لزلة قدم

(وقال آخر ... يقولون لا تنظر فداك بلية ... بلى كل ذى عينين لابد ناظر

وهل باكتحال العين بالعين ريبة ... إذا عف فيما بينهن السرائر

وكان بعض الخلفاء قد نذر على نفسه أن لا ينشد شعرا ومتى أنشد بيت شعر فعليه عتق قال فبينما هو فى الطواف يوما إذ نظر إلى شاب يتحدث مع شابة جميلة الوجه فقال ياهذا اتق الله أفى مثل

وختم لك بخير وأنزلك أقرب نصر من قصر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى دار الجنان وأنا أقول آمين وما زلت أرجو استجابة دعائهن قلت يا بهرام ابشر فان الله حقق لك ذلك ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تحتقر من المعروف شيئا ولو انك تفرغ من دلوك فى أناء أخيك ماء. قال عبد الله ابن المبارك فتصدق بهرام فى ذلك اليوم بمائة ألف درهم وبمائة ألف دينار وبمائة ألف ثوب مروزيات وبألفى ثوب ديباج وفرق سائر أمواله على أولاده وبناته واسلموا جميعا وتفرق الاخوة عن الاخوات وزوج أولاده بالمسلمات وبناته بالمسلمين وأسلم فى ذلك اليوم خلق كثير من المجوس ثم انفرد عن أهله ولزم المحراب يعبد الله فلم يلبث إلا قليلا حتى توفى رحمة الله عليه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (روى عن سعد بن سعيد) أنه قال كان فى جوار معروف الكرخى رجل مجوسى من أبناء الأغنياء وجد الخليفة عليه فصادره وأخذ منه ألف ألف دينار فافتقر بعد الغنى وذل بعد العز وكان له أعداء وحساد فقالوا للخليفة انه قد بقى لهمال جسيم فلا تظن انه عديم فأمر بمصادرته ثانيا فلما علم هذا

هذا المكان فقال ياأمير المؤمنين والله ما ذاك لخنى ولكنها ابنة عمى وأعز الناس على وان أباها منعنى من تزويجها لفقرى وفاقتى وطلب منى مائة ناقة ومائة أوقية من الذهب ولم أقدر على ذلك قال فطلب الخليفة اباها ودفع اليه ما اشترطه على ابن أخيه ولم يقم من مقامه حتى عقد عليها ثم دخل الخليفة إلى بيته وهو يترنم ببيت من الشعر فقالت له جارية من حظاياه أراك اليوم يا ولاى تنشد الشعر أفنسيت ما نذرت أم نراك قد هويت فأنشد هذه الابيات يقول

تقول وليدتى لما رأتنى … طربت وكنت قد أسليت حينا
أراك اليوم قد أحدثت عهدا … وأورثك الهوى داء دفينا
بعقلك هل سمعت لها حديثا … فشاقك او رأيت لها جبينا
فقلت شكا إلى أخ محب … كمثل زماننا إذ تعلينا
وذو الشجو القديم وان تعزى … محب حين يلقى العاشقينا

ثم عد الابيات فاذا هى خمسة أبيات فاعتق خمس رقاب ثم قال لله درك من خمسة أعتقت خمسة وجمعت بين رأسين فى الحلال . وروى عن عثمان الضحاك قال خرجت أريد الحج فنزلت بخيمة بالأبواء فاذا بجارية جالسة على باب الخيمة فأعجبنى حسنها فتمثلت بقول نصيب

بزينب ألمم قبل أن يرحل الراكب … وقل لا تملينا فما ملك القلب

فقالت ياهذا أتعرف قائل هذا البيت قلت بلى هو نصيب فقالت أتعرف زينبه قلت لا قالت أنا زينبه قلت حياك الله وحباك قالت أما والله ان اليوم موعده وعدنى العام الاول بالاجتماع فى هذا اليوم فلعلك أن لاتبرح حتى تراه قال فبينما هى تكلمنى إذا أنا براكب قالت ترى ذلك الراكب قلت نعم قالت انى لأحسبه إياه فاقبل فاذا هو نصيب فنزل قريبا من الخيمة ثم جلس قريبا منها فسألته أن ينشدها فأنشدها فقلت فى نفسى محبان قد طال التنائى بينهما فلا بد أن يكون لأحدهما إلى صاحبه حاجة فقمت إلى بعيرى لأشد عليه فقال على رسلك انى معك فجلست حتى نهض معى فسرنا وتسامرنا فقال لى فى نفسك محبان التقيا بعد طول تناء فلا بد أن يكون لاحدهما إلى صاحبه حاجة قلت نعم قد كان ذلك قال ورب هذا البيت منذ أحببتها ما جلست منها مجلسا هو أقرب من مجلسى هذا فتعجبت لذلك وقلت والله هذه هى العفة فى المحبة . وعن محمد بن يحيى المدنى قال سمعت بعض المدنيين يقول كان الرجل إذا أحب الفتاة يطوف حول دارها حولا يفرح أن يرى من يراها فان ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الاشعار واليوم هو يشير اليها وتشير اليه ويعدها وتعده فان التقيا لم يتشاكيا حبا ولم يتناشدا شعرا بل يقوم اليها ويجلس بين شعبتيها كأنه أشهد على نكاحها أبا هريرة وقال الاصمعى قلت لأعرابية ماتعدون العشق فيكم قالت الضمة والغمزة والقبلة ثم أنشأت تقول

ما الحب الا قبلة … وغمز كف وعضد
ما الحب الا هكذا … ان نكح الحب فسد

ثم قالت كيف تعدون أنتم العشق قلت نمسك بقربيها ونفرق بين رجليها قالت لست بعاشق أنت طالب ولد ثم أنشأت تقول

قد فسد العشق وهان الهوى … وصار من يعشق مستعجلا
يريد أن ينكح أحبابه … من قبل ان يشهد أو ينحلا

وقيل لرجل وقد زفت عشيقته على ابن عم لها أيسرك أن تظفر بها الليلة قال نعم والذى امتحنى بحبها واشقانى بطلبها قيل فما كنت صانعا بها قال كنت أطيع الحب فى لثمها واعصى الشيطان فى ثمها ولا افسد عشق عشرين سنة بما يبقى ذميم عاره وينشر قبيح اخباره انى إذن للئيم لم يلدنى كريم . ومر سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه ليلة فى بعض سكك المدينة فسمع امرأة تقول

فلم يجبه أحد ولم ينتفع بسجوده للنار ولا للنور فلما جن عليه الليل اغتسل وأتى مسجد معروف الكرخى فلم يجده فى المسجد فرفع رأسه وقال ياإله ابراهيم وعيسى ومحمد وإله معروف ويامن لا إله إلا هو تحققت أن ما عبدته من دونك باطل لا يضر ولا ينفع وانى جئتك تائبا مما فعلت متبرئا مما عبدت منفصلا عما اعتقدت موقنا بك شاهدا بأن لا إله إلا أنت إله الأولين والآخرين وأنت المعبود الحق تفعل ماتشاء ولا يكون الا ماتريد انك على كل شىء قدير فاغفر لى ما تقدم من ذنبى وجهلى واسرافى ولا تنظر إلى سوء عملى ومعصيتى واصرف شر الخليفة وأعوانه عنى فقد وجهت وجهى اليك ثم قال اشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله يا محمد تشفعت بك إلى الله فاقبلنى ثم سجد وأطال سجوده وهو يناجى ربه ويبكى فاتى معروف الحرامى فرآه كذلك فبقى متفكرا فى امره لا يتحقق من هو وإذا هو بغلام من خواص الخليفة قد دخل المسجد يسأل عن المجوسى باسمه ونسبه فقال معروف بيته فى موضع كذا وكذا فقال من هناك جئت وقيل لى انه فى مسجد معروف نوالله

ألا طال هذا الليل وازور جانبه ٭ وليس إلى جنبي خليل ألاعبه ٭ فوالله لولا الله تخشى عواقبه لحرك من هذا السرير جوانبه ٭ مخافة ربي والحياء يعفني ٭ واكرام بعلي أن تنال مراتبه قال فسأل عمر رضي الله تعالى عنه عنها فقيل له إنها امرأة فلان وله في الغزاة ثمانية أشهر فأمر عمر رضي الله تعالى عنه أن لا يغيب الرجل عن امرأته أكثر من أربعة أشهر (ومن ذلك) ماذكره ابن الجوزي في كتاب تلقيح فهوم الأثر عن محمد بن عثمان بن أبي خيثمة السلمي عن أبيه عن جده قال بينما عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يطوف ذات ليلة في سكك المدينة اذ سمع امرأة تقول

هل من سبيل إلى خمر فأشربها ٭ أم من سبيل إلى نصر بن حجاج
إلى فتى ماجد الاعراق مقتبل ٭ سهل المحيا كريم غير ملجاج
تنميه اعراق صدق حين تنسبه ٭ أخي وفاء عن المكروب فراج

فقال عمر رضي الله تعالى عنه لا أرى معي بالمدينة رجلا تهتف به العواتق في خدورهن على نصر ابن حجاج فلما أصبح أتى بنصر بن حجاج فاذا هو أحسن الناس وجها وأحسنهم شعرا فقال عمر عزيمة من أمير المؤمنين لتاخذن من شعرك فاخذه من شعره فخرج من عنده وله وجنتان كأنهما شقتا قمر فقال له اعتم فاعتم فافتتن الناس بعينيه فقال له عمر والله لا تساكنني في بلدة أنا فيها فقال يا أمير المؤمنين ماذنبي قال هو أقول لك ثم سيره إلى البصرة وخشيت المرأة التي سمع منها عمر ما سمع ان يبدر من عمر اليها شيء فدست اليه المرأة أبياتا وهي

قل للامام الذي تخشى بوادره ٭ مالي وللخمر أو نصر بن حجاج
لا تجعل الظن حقا أن تبينه ٭ أن السبيل سبيل الخائف الراجي
إن الهوى زم بالتقوى فتحبسه ٭ حتى يقر بالجام واسراج

قال فبكى عمر رضي الله تعالى عنه وقال الحمد لله الذي ذم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر بن حجاج البصرة فخرجت أمه يوما بين الاذان والاقامة متعرضة لعمر فاذا هو قد خرج في ازار ورداء وبيده الدرة فقالت له يا أمير المؤمنين والله لأقفن أنا وأنت بين يدي الله تعالى وليحاسبنك الله أيبيتن عبد الله وعاصم إلى جنبيك وبيني وبين ابني الفيافي والاودية فقال لها ان ابني لم تهتف بهما العواتق في خدورهن ثم أرسل عمر إلى البصرة بريد إلى عتبة بن غزوان فأقام أياما ثم نادى عتبة من أراد أن يكتب الى أمير المؤمنين فليكتب فان البريد خارج فكتب نصر بن حجاج بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك يا أمير المؤمنين أما بعد فاسمع مني هذه الأبيات

لعمري لئن سيرتني او حرمتني ٭ وما نلت من عرضي عليك حرام
فأصبحت منفيا على غير ريبة ٭ وقد كان لي بالمكتين مقام
لئن غنت عنت الذلفاء يوما بمنية ٭ وبعض أماني النساء غرام
ظننت بي الظن الذي ليس بعده ٭ بقاء ومالي جرمة فألام
فيمنعني مما تقول تكرمي ٭ وآباء صدق سالفون كرام
تمنعها مما تقول صلاتها ٭ وحال لها في قومها وصيام
فهاتان حالان فهل أنت راجعي ٭ فقد جب مني كاهل وسنام

قال فلما قرأ عمر رضي الله تعالى عنه هذه الابيات قال أما ولي السلطان فلا وأقطعه دارا بالبصرة في سوقها فلما مات عمر ركب راحلته وتوجه نحو المدينة والله سبحانه وتعالى أعلم

(الفصل الثالث في هذا الباب في ذكر من مات بالحب والعشق) حدث أبو القاسم بن اسمعيل بن عبد الله المأمون قال حدثني أبي قال كانت بالمدينة قينة من أحسن الناس وجها وأكملهم عقلا وأكثرهم أدبا قد قرأت القرآن وروت الاشعار وتعلمت العربية فوقعت عند يزيد بن عبد الملك فأخذت

منه وكفى بالله شهيدا فقال معروف لست أرى في المسجد احدا يشبه من تذكره الا هذا الساجد لله المناجي لربه فاصبر له حتى يرفع رأسه فوقف صاحب الخليفة على رأسه ساعة ثم قال ياهذا ارفع رأسك ولا تبك أمير المؤمنين قد قضى حاجتك وبعثني برسالة لطيفة لتصير اليه حتى يرد عليك ما أخذه منك فرفع رأسه واذا معروف واقف فقال يامعروف ما أكرم هذا الشاب وما أحكم صاحبه وما أقربه إلى من دعاه ثم قال يامعروف أمدد يدك اني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله واني رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا وأن القرآن كلام الله جاء به محمد بن عبد الله وأنا مؤمن بذلك كله ثم تبع الرسول وذهب معروف الكرخي معه فلما وصلوا الى دار الخليفة واذا به واقف على الباب فاستقبلهما وسلم عليهما وصافح كلا منهما ومشى معهما الى مجلسهما واقعدهما الى جانبه وأقبل يعتذر اليهما مما وقع منه وأمر بالأموال التي أخذت من اليهودي فأحضرت بين يديه عن آخرها ثم قال له تأمل هذه الأموال أليست هي التي

بمجامع قلبه فقال لها ذات يوم ويحك أمالك قرابة أو أحد تحبين أن أضيفه وأسدي معروفا قالت يا أمير المؤمنين أما قرابة فلا ولكن بالمدينة ثلاثة نفر كانوا أصدقاء لمولاي وأحب أن ينالهم خير مما صرت اليه فكتب إلى عامله بالمدينة في احضارهم اليه وأن يدفع إلى كل واحد منهم عشرة آلاف درهم فلما وصلوا إلى باب يزيد استؤذن لهم في الدخول عليه فأذن لهم وأكرمهم غاية الاكرام وسألهم عن حوائجهم فأما اثنان منهم فذكرا حوائجهما فقضاها وأما الثالث فسأله عن حاجته فقال يا أمير المؤمنين مالي حاجة قال ويحك أولست أقدر على حوائجك قال بلى يا أمير المؤمنين ولكن حاجتي ما أظنك تقضيها فقال ويحك فاسألني فانك لا تسألني حاجة أقدر عليها إلا قضيتها قال فلي الأمان يا أمير المؤمنين قال ان رأيت يا أمير المؤمنين أن تأمر جاريتك فلانة التي أكرمتنا بسببها أن تغني ثلاثة أصوات أشرب عليها ثلاثة أرطال فافعل قال فتغير وجه يزيد ثم قام من مجلسه فدخل على الجارية فأعلمها فقالت وما عليك يا أمير المؤمنين فأمر بالفتى فأحضر وأمر بثلاثة كراسي من ذهب فنصبت فقعد يزيد على أحدها والجارية على الآخر والفتى على الثالث ثم دعا بصنوف الرياحين والطيب فوضعت ثم أمر بثلاثة أرطال فملئت ثم قال للفتى سل حاجتك فقال تأمرها يا أمير المؤمنين أن تغني بهذا الشعر

لا أستطيع سلوا عن مودتها ... أو يصنع الحب بي فوق الذي
أدعو إلى هجرها قلبي فيسعدني ... حتى إذا قلت هذا صادق نزعا

فأمرها فغنت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم أمر بالأرطال فملئت وقال للفتى سل حاجتك فقال مرها يا أمير المؤمنين ان تغني بهذا الشعر

تغيرت من نعمان عود اراكة ... لهند ولكن من يبلغه هندا
إلا عرجابي بارك الله فيكما ... وان لم تكن هند لأرضكما قصدا

فأمرها فغنت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم امر بالارطال فملئت قال للفتى سل حاجتك قال تأمرها يا امير المؤمنين ان تغني بهذا الشعر

مني الوصال ومنكم الهجر ... حتى يفرق بيننا الدهر ... والله لا اسلوكم ابدا ... مالاح أو بدا فجر

فأمرها فغنت قال فلم تتم الابيات حتى خر الفتى مغشيا عليه فقالت يزيد للجارية قومي انظري ماحاله فقامت اليه لحركته فاذا هو ميت فقال لها يزيد ابكيه فقالت لاابكيه يا امير المؤمنين وانت حي فقال لها أبكيه ولو عاش ما انصرف إلا بك فبكت الجارية وبكى امير المؤمنين وامر بالفتى فجهز ودفن واما الجارية فلم تمكث بعده إلا اياما قلائل وماتت (وحكى) عن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه انه قدم على عبد الملك بن مروان فجلس ذات ليلة يسامره فتذاكرا الغناء والجواري المغنيات والعشق فقال عبد الملك لعبد الله حدثني بأمر ما مر لك في هذه الاغاني ومارأيت من الجواري قال نعم يا امير المؤمنين اشتريت جارية مولدة بعشرة آلاف درهم وكانت حاذقة مطبوعة فوصفت ليزيد بن معاوية فكتب إلي في شأنها فكتبت اليه والله لا تخرج مني ببيع ولا هبة فأمسك عنه فكانت عندي على تلك الحالة لا ازداد فيها إلا حبا فبينما انا ذات ليلة إذ أتتني عجوز من عجائزنا فذكرت لي أن بعض اعراب المدينة يحبها وتحبه ويراها وتراه وانه يجيء كل ليلة متنكرا فيقف بالباب فيسمع غناءها ويبكي شغفا وحبا فراعيت ذلك الوقت الذي قالت عليه العجوز فاذا به قد أقبل مقنعا رأسه وقعد مستخفيا فلم أدع بها في تلك الليلة وجعلت أتأمل موضعها وموضعه فاذا بها تكلمه ويكلمها ولم أر بينهما إلا عتبا ولم يزالا كذلك حتى ابيض الصبح فدعوت بها وقلت

أخذت منك قال نعم قال خذها بارك الله لك فيها واجعلني في حل مما وقع مني وأستغفر الله لي فقال يغفر الله لك ثم قال يا أمير المؤمنين اما الاموال فهي لك حلال بعد ان هداني الله إلى دين الإسلام ولكن أعلمني ما الذي دعاك إلى طلبي في هذا الوقت ورد هذا المال علي قال نعم كنت نائما وإذا انا برسول الله ﷺ قد دخل علي ومعه صف من الملائكة وصف من الصحابة فسلم علي وقال ان الله تبارك وتعالى يقرئك السلام ويقول لك ان عبدنا فلانا المجوسي كنا قد دعوناه في الذر فأجابنا وكان في المجوسية مستترا ولنا معه عناية وقد جاء الآن إلى تائبا وعما كان منه تائبا وهو في مسجد معروف الكرخي مستجيرا بجنابنا منك فابعث في طلبه ورد عليه ما أخذته منه ولا تقطع المعاملة بيننا فانتبهت مرعوبا فأرسلت في طلبك وهو مالك قد رددناه عليك ودفعناه اليك فخر الرجل ساجدا لله تعالى ثم رفع رأسه وبكى وقال واندماه واأسفاه والهفاه كيف تركت عبادة الرحمن الرحيم واشتغلت بعبادة النيران وضيعت العمر والزمان ثم قال يا أمير المؤمنين لا حاجة لي في هذا المال خذه فهو حلال لك فقال له امير المؤمنين لا ارجع بشيء امرني ربي باخراجه فقال يا أمير المؤمنين

لقيمة الجوارى أصلحى فلانة بما يمكنك فأصلحتها وزينتها فلما جاءت بها قبضت على يديها وفتحت الباب وخرجت لجئت إلى الفتى لحركته فانتبه مذعورا فقلت لابأس عليك ولاخوف هى هبة منى اليك فدهش الفتى ولم يجبنى فدنوت إلى أذنه وقلت قد أظفرك الله تعالى ببغيتك فقم وانصرف بها إلى منزلك فلم يردجوابا فحركته فاذاهو ميت فلم أرشيئاقط كان أعجب من أمره قال عبدالملك لقدحدثتنى بعجب فاصنعت الجارية قلت ماتت والله بعده بأيام بعد تحول عظيم وتعليل وماتت كمدا ووجدا على الغلام ، وقيل ان عبدالله بن عجلان الهندى رأى أثر كف عشيقته فى ثوب زوجها فمات (وذكر) محمد بن الهيثى أن عبدالملك بن مروان بعث كتابا إلى الحجاج بن يوسف الثقفى يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عند عبدالملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف أما بعد إذا ورد عليك كتابى هذا وقرأته فسيرلى ثلاث جوار مولدات أبكارا يكون اليهن المنتهى فى الجمال واكتب لى بصفة كل جارية منهن ومبلغ ثمنها من المال فلماورد الكتاب على الحجاج دعا بالنخاسين وأمرهم بما أمره به أمير المؤمنين وأمرهم أن يسيروا إلى أقصى البلاد حتى يقعوا بالغرض وأعطاهم المال وكتب لهم كتبا إلى كل الجهات فساروا يطلبون ماأراد أمير المؤمنين فلم يزالوا من بلد إلى بلد ومن إقليم حتى وقعوا بالغرض ورجعوا إلى الحجاج بثلاث جوار مولدات ليس لهن مثيل قال وكان الحجاج فصيحا لجعل ينظر إلى كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها فوجههن لايقام لهن بقيمة وان ثمنين ثمن واحدة منهن ثم كتب كتابا إلى عبدالملك بن مروان يقول فيه بعد الثناء الجميل وصلنى كتاب أمير المؤمنين امتعنى الله تعالى ببقائه يذكر فيه انى اشترى له ثلاث جوار مولدات ابكار وأن أكتب له صفة كل واحد منهن وثمنها فأما الجارية الأولى اطال الله تعالى بقاء أمير المؤمنين فانها جارية عيطاء السوالف عظيمة الروادف كحلاء العينين حمراء الوجنتين قد انهدت نهداها والتفت فخذاها كأنها ذهب شيب بفضة وهى كما قيل

بيضاء فيها اذا استقبلتها دعج ... كأنها فضة قد شانها ذهب

وثمنها ياأمير المؤمنين ثلاثون الف درهم وأما الثانية فانها جارية فائقة فى الجمال معتدلة القد والكمال تشفى السقيم بكلامها الرخيم وثمنها ياأمير المؤمنين ستون الف درهم وأما الثالثة فانها جارية فاترة الطرف لطيفة الكف عميمة الردف شاكرة للقليل مساعدة للخليل بديعة الجمال كأنها خشف الغزال وثمنها ياأمير المؤمنين ثمانون الف درهم ثم أطنب فى الشكر والثناء على أمير المؤمنين وطوى الكتاب وختمه ودعا النخاسين فقال لهم تجهزوا للسفر بهؤلاء الجوارى إلى أمير المؤمنين فقال أحد النخاسين ايد الله الامير انى رجل كبير ضعيف عن السفر ولى ولد ينوب عنى أفتأذن فى ذلك قال نعم فتجهزوا وخرجوا ففى بعض مسيرهم نزلوا يوما ليستريحوا فى بعض الأماكن فنامت الجوارى فهبت الريح فانكشف بطن احداهن وهى الكوفية فبان نور ساطع وكان اسمها مكتوم فنظر اليها ابن النخاس وكان شابا جميلا ففتن بها لساعته فاقاما على غفلة من أصحابه وجعل يقول

أمكتوب عينى لاتمل من البكا ... وقلبى باسهام الأسى يترشق

أمكتوب كم من عاشق قتل الهوى ... وقلبى رهين كيف لا أتمشق

(فأجابته تقول) لوكان حقا ما تقول لزرتنا ... ليلا إذا هجعت عيون الحسد

قال فلما جن الليل انتضى الفتى ابن النخاس سيفه وأتى نحو الجارية فوجدها قائمة تنتظر قدومه فأخذها وأراد أن يهرب ففطن به بعض أصحابه فأخذوه وكتفوه وأوثقوه بالحديد ولم يزل مأسورا معهم إلى أن قدموا على عبدالملك بن مروان فلما مثلوا الجوارى بين يديه أخذ الكتاب ففتحه وقرأه فوجد الصفة وافقت اثنتين من الجوارى ولم توافق الثالثة ورأى فى وجهها صفرة وهى الجارية الكوفية فقال للنخاسين

لاحاجة لى فى المال أشهدك أنى قد جعلته صدقة فى فقراء المسلمين لاحظ لى فيه ولا لأحد من أهلى فقال الخليفة يامعروف بقى الأمر اليك فاحمل المال وتصدق به على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل والأيتام والأرامل فدعا له معروف وأخذ بيد الرجل وحمل المال على البغال وصافحهما أمير المؤمنين وسأل الرجل أن يحالله عما وقع منه ولازم الرجل معروفا الكرخى إلى أن مات تغمده الله برحمته (وحكى عن معن بن زائد الشيبانى) ان شاعرا قصده فاقام مدة يريد الدخول اليه فلم يتهيأ له ذلك فلما أعياه ذلك قال لبعض خدمه إذا دخل الأمير البستان فعرفنى فلما دخل معن البستان عرفه الخادم عنه فكتب الشاعر بيتا من الشعر على خشبة وألقاها فى الماء الداخل إلى البستان لما اتفق أن معنا كان جالسا فى ذلك الوقت على رأس الماء فمرت به فأخذها فاذا فيها كتابة فقرأها وهى

أياجود معن ناج معنا بحاجتى ... فمالى إلى معن سواك شفيع

فقال من صاحب هذه فدعى بالرجل فقال له كيف قلت فانشد البيت فأمر له بمائة الف درهم فأخذها وأخذ الأمير الخشبة فوضعها تحت بساطه فلما كان اليوم الثانى قرأها ودعا بالرجل فدفع له مائة الف درهم على العادة ثم دعاه ثالث مرة فقرأ البيت ودفع له مائة الف

مابال

مابال هذه الجارية لم توافق حليتها التى ذكرها الحجاج فى كتابه وما هذا الاصفرار الذى بها والانتحال فقالوا ياأمير المؤمنين نقول ولنا الأمان قال أن صدقتم أمنتم وأن كذبتم هلكتم فخرج أحد النخاسين وأتى بالفتى وهو مصفد بالحديد فلما قدموه بين يدى أمير المؤمنين بكى بكاء شديدا وأيقن بالعذاب ثم أنشأ يقول

أمير المؤمنين أتيت رغما وقد شـدت إلى عنقى يديا مقرا بالقبيح سـوء فعلى
ولست بما رميت بريا فإن تقتل فوق القتل ذنبى وأن تعفو فمن جود عليا

فقال عبدالملك يافتى ماحملك على ماصنعت استخفاف بنا أم هوى الجاربة قال وحق رأسك ياأمير المؤمنين وعظم قدرك ماهو إلا هوى الجارية فقال هى لك بما أعددته لها فأخذها الغلام بكل ماأعده لها أمير المؤمنين فى الحلى والحلل وسار بها فرحا مسرورا الى نحو أهله حتى إذا كان ببعض الطريق نزلا بمرحلة ليلا فتعانقا وناما فلما أصبح الصباح وأراد الناس السير نبهوهما فوجدهما ميتين فبكوا عليهما ودفنوهما بالطريق ووصل خبرهما إلى عبد الملك فبكى عليهما وتعجب من ذلك (ومن ذلك) ماروى عن النبى ﷺ أنه أخرج خالد بن الوليد المخزومى رضى الله تعالى عنه الى مشركى خزاعة قال خالد فأخرجنى اليهم رسول الله ﷺ فى عشرة آلاف فارس من أهل النجدة والبأس قال فجد بنا المسير اليهم فسبق اليهم الخبر فخرجوا الينا فقاتلناهم قتالا شديدا حتى تعالى النهار وطار الشرار وهاجت الفرسان وتلاحمت الاقران فلولا أن الله تعالى أيدنا بنصره لكادت الدائرة أن تكون علينا ولكن تداركنا الله برحمته منه فهزمناهم وقتلناهم قتلا ذريعا ولم ندع لهم فارسا إلا قتلناه ثم طلبنا البيوت فنهبنا وسبينا فلما هدأ القتال والنهب أمرت أصحابى بجمع السبايا لنقدم بهن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما خرجنا وأحصيناهم خرج منهم غلاما لم يراهق الحلم ولم يجر عليه القلم وهو ماسك بشابة جميلة فقلنا له ياغلام انعزل عن النساء فصاح صيحة مزعجة وهجم علينا فوالله لقد قتل منا فى بقية نهارنا مائة رجل قال خالد فرأيت أصحابى قد كرهوا قتاله وتأخروا عنه فلك منهم جوادا وعلا على ظهر ونادى البراز ياخالد قال فبرزت اليه بنفسى بعد أن أنشدت شعرا فوالله لم يمهلنى حتى أتم شعرى بل حمل على فتطاعنا حتى تكسرت القنا وتضاربنا بالسيوف حتى تفللت فوالله لقد اقتحمت الاهوال ومارست الابطال فما رأيت أشد من حملاته ولا أسرع من هجماته فبينما نحن نعترك اذكبا به فرسه فصار بين قوائمه فوثبت عليه وعلوت على صدره وقلت له أقد نفسك بقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأنا أردك من حيث جئت قال ياخالد ما أنصفتنى اتركنى حتى أجد من نفسى القوة قال خالد فتركته وقلت لعله أن يسلم ثم شددته وثاقا وصفدته بالحديد وأنا أبكى اشفاقا على حسن شبابه ثم أوثقته على بعير لى فلما علم أن لا خلاص له قال ياخالد سألتك بحق إلهك إلا ماشددت ابنة عمى على ناقة أخرى إلى جانبى قال خالد فأخذتها وشددتها على ناقة أخرى إلى جانبه ووكلت بهما جماعة من أشد القوم بالقواضب والرماح وسرنا فلما استقامت مطاياهما جعل الغلام والجارية يتناشدان الاشعار ويبكيان إلى آخر الليل فسمعته يذكر قصيدة يسب فيها الإسلام ويذكر فيها أن لا يسلم أبدا فأخذت السيف وضربته فرميت رأسه فصاحت الجارية وأكبت صارخة فحركتها فوجدتها ميتة فأبركنا الأباعر وحفرنا ودفناهما فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلنا نحدثه بعجب مارأينا مع الغلام فقال لا تحدثونى شيئا فإنا أحدثكم به فقلنا من أعلمك به يارسول الله فإن أخبرنى جبريل عليه السلام وتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم

معن فلم يجده فقال معن حق على لو مكث لأعطينه حتى لايبقى درهم ولا دينار (وحكى عنه أيضا) أنه أتى بجملة من الأسرى فعرضهم على السيف فقال له بعضهم أصلح الله الامير نحن أسراك وبنا جوع وعطش فلا يجمع علينا الجوع والعطش القتل فأمر لهم بطعام وشراب فأكلوا وشربوا ومعن ينظر اليهم فلما فرغوا قال الرجل أصلح الله الامير كنا أسراك ونحن الآن أضيافك فانظر ماتصنع بأضيافك قال قد عفوت عنكم فقال الرجل أيها الامير ماتدرى أى يوم أشرف يوم ظفرك بنا أو يوم عفوك عنا فأمر لهم بمال وكسوة (وحكى) أن المنصور أهدر دم رجل كان يسعى فى فساد دولته من الخوارج من أهل الكوفة وجعل لمن دل عليه وجاء به مائة الف درهم ثم أنه ظهر فى بغداد فبينما هو يمشى مختفيا فى بعض نواحيها إذ بصر به رجل من أهل الكوفة فعرفه فأخذ بمجامع ثيابه وقال هذا بغية أمير المؤمنين فبينما الرجل على تلك الحالة إذ سمع وقع حوافر الخيل فالتفت

 فإذا معن بن زائدة فقال ياأبا الوليد أجرنى أجارك الله فوقف وقال الرجل المتعلق به ماشأنك

من موافقتهما وموافقة أجلهما (ومن ذلك) ماحكاه الثورى قال حدثنى جبلة بن الاسود وما رأيت شيخا أصبح ولا أوضح منه قال خرجت فى طلب ابل لى ضلت فما زلت فى طلبها إلى أن أظلم الظلام وخفيت الطريق فسرت أطوف وأطلب الجادة فلا أجدها فبينما أنا كذلك إذ سمعت صوتا حسنا بعيدا وبكاء شديدا فشجانى حتى كدت أسقط عن فرسى فقلت لأطلبن الصوت ولو تلفت نفسى فما زلت أقرب اليه إلى أن هبطت واديا فإذا راع قد ضم غنم له إلى شجرة وهو ينشد ويترنم

وكنت إذا ما جئت سعدى أزورها ... أرى الأرض تطوى لى ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ود جليسها ... إذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

قال فدنوت منه وسلمت عليه فرد على السلام وقال من الرجل فقلت منقطع به المسالك أتاك يستجير بك ويستميحك قال مرحبا وأهلا أنزل على الرحب والسعة فعندى وطاء وطىء وطعام غير بطىء فنزلت فنزع شملته وبسطها تحتى ثم أتانى بتمر وزبد ولبن وخبز ثم قال اعذرنى فى هذا الوقت فقلت والله أن هذا الخبز كثير فمال إلى فرسى فربطه وسقاه وعلفه فلما أكلت توضأت وصليت واتكأت فإنى لبين النائم واليقظان إذ سمعت حس شىء وإذا بجارية قد اقبلت من كبد الوادى فضحت الشمس حسنا فوثب قائما اليها وما زال يقبل الأرض حتى وصل اليها وجعلا يتحادثان فقلت هذا رجل عربى ولعلها حرمة له فتناومت ومابى نوم فما زالا فى احسن حديث ولذة مع شكوى وزفرات إلا أنهما لايهم أحدهما لصاحبه بقبيح فلما طلع الفجر عانقها و تنفسا الصعداء وبكى وبكيت ثم قال لها ياابنة العم سألتك بالله لا تبطئى عنى كما ابطأت الليلة قالت ياابن العم ماعلمت إنى انتظر الواشين والرقباء حتى يناموا ثم ودعته وسارت وكل واحد منهما يلتفت نحو الآخر ويبكى فبكيت رحمة لهما وقلت فى نفسى والله لا انصرف حتى استضيفه الليلة وانظر مايكون من امرهما فلما أصبحنا قلت له جعلنا الله فداك الاعمال بخواتيمها وقد نالنى امس تعب شديد فأحب الراحة عندك اليوم فقال على الرحب والسعة لو أقمت عندى بقية عمرك ماوجدتنى الا كما تحب ثم عمد إلى شاة فذبحها وقام إلى نار فأججها وشواها وقدمها إلى فأكلت واكل معى إلا أنه أكل أكل من لايريد الاكل فلم أزل معه نهارى ذلك ولم أر أشفق منه على غنمه ولا ألين جانبه ولا أحلى كلاما إلا أنه كالولهان ولم أعلمه بشىء مما رأيت فلما اقبل الليل وطأت وطائى فصليت وأعلمته إنى أريد الهجوع لما مربى من التعب بالامس فقال لى نم هنيئا فأظهرت النوم ولم انم فأقام ينتظرها إلى هنيهة من الليل فأبطأت عليه فلما حان وقت مجيئها قلق قلقا شديدا وزاد عليه الأمر فبكى ثم جاء نحوى فحركنى فأوهمته إنى كنت نائما فقال ياأخى هل رأيت الجارية التى كانت تتعهدنى وجاءتنى البارحة قلت قد رأيتها قال فتلك ابنة عمى وأعز الناس عليها وإنى لها محب ولها عاشق وهى أيضا محبة لى اكثر من محبتى لها وقد منعنى أبوها من تزويجها لى لفقرى وفاقتى وتكبر على فصرت راعيا بسببها فكانت تزورنى فى كل ليلة وقد حان وقتها الذى تأتى فيه واشتغل قلبى عليها وتحدثنى نفسى أن الاسد قد افترسها ثم أنشأ يقول

ما بال مية لا تأتى كعادتها ... أعاقها طرب أم صدها شغل
نفسى فداؤك قد أحللت بى سقما ... تكاد من حره الاعضاء تنفصل

قال ثم انطلق فغاب عنى ساعة وأتى بشىء فطرحه بين يدى فإذا هى الجارية قد قتلها الاسد واكل

اعضاءها

قال بقية أمير المؤمنين الذى أهدر دمه وجعل لمن دل عليه وأتى به مائة ألف درهم فقال دعه ياغلام إنزل عن دابتك واحمل الرجل عليها فصاح الرجل بالناس وقال أيحال بينى وبين من طلبه أمير المؤمنين فقال له معن اذهب اليه وأخبره أنه عندى فانطلق إلى باب المنصور فأخبره فأمر المنصور باحضار معن فلما أتى الرسول إلى معن دعا أهل بيته ومواليه وقال أعزم عليكم لا يصل إلى هذا الرجل مكروه وفيكم عين تطرف ثم سار إلى المنصور فدخل عليه وسلم عليه فلم يرد السلام وقال يامعن أتجترأ على قال نعم ياأمير المؤمنين قال ونعم أيضا واشتد غضبه فقال ياأمير المؤمنين مضت أيام كثيرة قد عرفتم فيها حسن بلائى فى خدمتكم فما رأيتمونى أهلا أن يوهب إلى رجل واحد استجار بى بين الناس وتوسم أنى عبد أمير المؤمنين من بعض عبيده وكذلك أنا فربما شئت ما أنا بين يديك فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقد سكن مابه من الغضب وقال قد أجرنا من أجرت يامعن قال فإن رأى امير المؤمنين إن يجمع بين الأجرين فيأمر له بصدقة فيكون قد أحياه وأغناه قال قد أمرنا له بخمسين ألف درهم قال ياأمير المؤمنين إن صلات الخلفاء

أعضاءها وسوء خلقتها ثم أخذ السيف وانطلق فأبطأ هنيهة وأتى ومعه رأس الاسد فطرحه ثم انشا يقول

ألا أيها الليث المدل بنفسه ... هلكت لقد جريت حقا لك الشر
وخلفتني فردا وقد كنت آنسا ... وقد عادت الأيام من بعدها غبرا

ثم قال بالله يا أخي إلا ما قبلت ما أقول لك فاني اعلم أن المنية قد حضرت لا محالة فاذا أنا مت فخذ عباءتي هذه فكفني فيها وضم هذا الجسد الذي بقي منها معي وادفنا في قبر واحد وخذ شويهاتي هذه وجعل يشير اليها فسوف تأتيك امرأة عجوز هي والدتي فاعطها عصاي هذه وثيابي وشويهاتي وقل لها مات ولدك كمدا بالحب فانها تموت عند ذلك فادفنها إلى جانب قبرنا وعلى الدنيا مني السلام قال فوالله ما كان الا قليل حتى صاح صيحة ووضع يده على صدره ومات لساعته فقلت والله لأصنعن له ما أوصاني به فغسلته وكفنته في عباءته وصليت عليه ودفنته ودفنت باقي جسدها إلى جانبه وبت تلك الليلة لها باكيا حزينا فلما كان الصباح أقبلت امرأة عجوز وهي كالوالهة فقالت لي رأيت شابا يرعى غنما فقلت لها نعم وجعلت أتلطف بها ثم حدثتها بحديثه وما كان من خبره فاخذت تصيح وتبكي وأنا الاطفها إلى أن أقبل الليل ومازالت تبكي بحرقة إلى أن مضى من الليل برهة فقصدت نحوها فاذا هي مكبة على وجهها وليس لها نفس يصعد ولا جارحة تتحرك فحركتها فاذا هي ميتة فغسلتها وصليت عليها ودفنتها إلى جانب قبر ولدها وبت الليلة الرابعة فلما كان الفجر قمت فشددت فرسي وجمعت الغنم وسقتها فاذا أنا بصوت هاتف يقول

كنا على ظهرها والدهر يجمعنا ... والشمل مجتمع والدار والوطن
ففرق الدهر بالتفريق ألفتنا ... وصار يجمعنا في بطنها الكفن

قال فاخذت الغنم ومضيت إلى الحي لبني عمهم فاعطيتهم الغنم وذكرت لهم القصة فبكى عليهم أهل الحي بكاء شديدا ثم مضيت إلى أهلي وأنا متعجب مما رأيت في طريقي (ومن ذلك) ما حكى أن زوج عزة أراد أن يحج بها فسمع كثير الخبر فقال والله لأحجن لعلي أفوز من عزة بنظرة قال فبينما الناس في الطواف إذا نظر كثير لعزة وقد مضت إلى جملة لحيته ومسحت بين عينيه وقالت له حييت يا جمل فبادر ليلحقها ففاتته فوقف على الجمل وقال

حيتك عزة بعد الحج وانصرفت ... فحي ويحك من حياك يا جمل
لو كنت حييتها ما كنت ذا سرف ... عندي ولا مسك الادلاج والعمل

قال فسمعه الفرزدق فتبسم وقال له من تكون يرحمك الله قال أنا كثير عزة فمن أنت يرحمك الله قال أنا الفرزدق بن غالب التميمي قال أنت القائل

رحلت جمالهم بكل أسيلة ... تركت فؤادي هائما مخبولا ... لو كنت أملكهم إذا لم يرحلوا
حتى أودع قلبي المتبولا ... ساروا بقلبي في الحدوج وغادروا ... جسمي يعالج زفرة وعويلا

فقال الفرزدق نعم فقال كثير والله لولا أني بالبيت الحرام لأصيحن صيحة أفزع هشام بن عبد الملك وهو على سرير ملكه فقال الفرزدق والله لأعرفن بذلك هشاما وما ثم توادعا وافترقا فلما وصل الفرزدق إلى دمشق دخل إلى هشام بن عبد الملك فعرفه بما اتفق له مع كثير فقال له اكتب اليه بالحضور عندنا لنطلق عزة من زوجها ونزوجه إياها فكتب اليه بذلك فخرج كثير يريد دمشق فلما خرج من حيه وسار قليلا رأى غرابا على بانة وهو يفلي نفسه وريشه يتساقط فاصفر لونه وارتاع من ذلك وجد في السير ثم انه مال ليسقي راحلته من حي بني فهد وهم زجرة الطير فبصر به شيخ من الحي فقال يا ابن أخي أرأيت في طريقك شيئا فراعك قال نعم يا عم رأيت غرابا على بانة يتفلى وينتف ريشه فقال له الشيخ أما الغراب فانه اغتراب والبانة بين والتفلي فرقة فازداد كثير حزنا على حزنه لما سمع من الشيخ هذا الكلام وجد في السير إلى أن وصل إلى دمشق

على قدر جنايات الرعية وان ذنب الرجل عظيم فاجزل له الصلة قال وقد امرنا له بمائة ألف درهم قال فعجلها يا أمير المؤمنين فان خير البر تعجيله فانصرف معن بالمال للرجل وقال له خذ صلتك والحق باهلك وإياك ومخالفة خلفاء الله في أمورهم (وحكى الجاحظ) قال أخبرني فتى من أصحاب الحديث قال دخلت ديرا في بعض المنازل لما ذكر لي أن به راهبا حسن المعرفة باخبار الناس وأيامهم فسرت له لأسمع كلامه فوجدته في حجرة معتزلة بالدير وهو على أحسن هيئة في زي المسلمين فكلمته فوجدت عنده من المعرفة أكثر مما وصفوا فسألت عن سبب اسلامه فحدثني أن جارية من بنات الروم كانت في هذا الدير نصرانية كثيرة المال بارعة الجمال عديمة الشكل والمثال فأحبت غلاما مسلما خياطا وكانت تبذل له مالها ونفسها والغلام يعرض عن ذلك ولا يلتفت اليها ويمتنع عن المرور بالدير فلما أعيتها الحيلة فيه طلبت رجلا ماهرا في التصوير وأعطته مائة دينار على أن يصور لها صورة الغلام في دائرة على شكله وهيئته ففعل المصور فلم تخطئ الصورة شيئا منه غير النطاق وأتى بها إلى الجارية فلما أبصرتها أغمي عليها فلما أفاقت أعطت المصور مائة دينار أخرى واخرج الراهب لي الصور فرأيتها فكاد ان يزل عقلي فلما حملت

ودخل من أحد أبوابها فرأى الناس يصلون على جنازة فنزل وصلى معهم فلما قضيت الصلاة صاح صائح لا إله إلا الله ما أغفلك يا كثير عن هذا اليوم فقال ما هذا اليوم يا سيدى فقال ان هذه عزة قد ماتت وهذه جنازتها فخر مغشيا عليه فلما أفاق أنشأ يقول

فما أعرف الفهد لادر دره ... وأزجره للطير لاعز ناصره
رأيت غرابا قد علا فوق بانة ... ينتف أعلى ريشه ويطايره
فقال غراب اغتراب من النوى ... وبانة بين من حبيب تعاشره

ثم شهق شهقة فارقت روحه الدنيا ومات من ساعته ودفن مع عزة فى يوم واحد (وحكى الأصمعى) قال بينما أنا أسير فى البادية إذ مررت بحجر مكتوب عليه هذا البيت

أيا معشر العشاق بالله خبروا ... إذا حل عشق بالفتى كيف يصنع

فكتبت تحته

يدارى هواه ثم يكتم سره ... ويخشع فى كل الامور ويخضع

ثم عدت فى اليوم الثانى فوجدت مكتوبا تحته

فكيف يدارى والهوى قاتل الفتى ... وفى كل يوم قلبه يتقطع

فكتبت تحته

إذا لم يجد صبرا لكتمان سره ... فليس له شىء سوى الموت أنفع

ثم عدت فى اليوم الثالث فوجدت شابا ملقى تحت ذلك الحجر ميتا فقلت لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وقد كتب قبل موته

سمعنا أطعنا ثم متنا فبلغوا ... سلامى على من كان للوصل يمنع

(وحكى) أيضا عن الأصمعى رحمه الله تعالى أنه قال بينما أنا نائم فى بعض مقابر البصرة اذ رأيت جارية على قبر تندب وتقول

بروحى فتى أوفى البرية كلها ... وأقواهم فى الحب صبرا على الحب

قال فقلت لها يا جارية بم كان أوفى البرية وبم كان أقواها فقالت ياهذا انه ابن عمى هوينى فهويته فكان ان أباح عنفوه وان كتم لاموه فانشد بيتى شعر ومازال يكررهما إلى أن مات والله لأندبنه حتى أصير مثله فى قبر إلى جانبه فقلت لها يا جارية فما البيتان قالت

يقولون لى ان بحت قد غرك الهوى ... وإن لم أبح بالحب قالوا تصبرا
فما لامرىء يهوى ويكتم أمره ... من الحب الا أن يموت فيعذرا

ثم انها شهقت شهقة فارقت روحها الدنيا رحمة الله تعالى عليها والحكايات فى ذلك كثيرة وفى الكتب مشهورة ولولا الاطالة والخوف من الملالة لجمعنا فى هذا المعنى أشياء كثيرة ولكن اقتصرنا على هذه النبذة اليسيرة والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثانى والسبعون فى ذكر رقائق الشعر والمواليا والدوبيت وكان وكان والموشحات والزجل والحماق والقوما والألغاز ومدح الاسماء والصفات وما أشبه ذلك وفيه فصول)

(الفصل الأول فى الشعر) قد قسم الناس الشعر خمسة أقسام مرقص كقول أبى جعفر طلحة وزير سلطان الاندلس

والشمس لاتشرب خمر الندى ... فى الروض الامن كئوس الشقيق

ومطرب كقول زهير

تراه إذا ما جئته متهللا ... كأنك تعطيه الذى أنت سائله

ومقبول كقول طرفة بن العبد

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ... ويأتيك بالاخبار من لم تزود

الجارية بالصورة دفعتها إلى حائط حجرتها ومازالت كل يوم تأتى الصورة وتقبلها وتلثم ماتحب منها ثم تجلس بين يديها وتبكى فاذا أمست قبلتها وانصرفت فما زالت على تلك الحال شهرا فمرض الغلام ومات فعملت الجارية مأتما وعزاء سار ذكره فى الآفاق وصارت مثلا بين الناس ثم رجعت إلى الصورة وصارت تلثمها وتقبلها إلى أن أمست فباتت إلى جانبها فلما أصبحنا دخلنا عليها لنأخذ من خاطرها فوجدناها ميتة ويدها ممدودة إلى الحائط نحو الصورة وقد كتب عليها هذه الأبيات

ياموت حسبك نفسى بعد سيدها ... خذها اليك فقد أودت بما فيها
أسلمت وجهى إلى الرحمن مسلمة ... ومت موت حبيب كان يمضيها
لعلها فى جنان الخلد يجمعها ... بمن تحب غدا فى البعث باريها
مات الحبيب وماتت بعده كمدا ... محبة لم تزل تشقى محبيها

قال الراهب فشاع الخبر وحملها المسلمون ودفنت إلى جانب قبر الغلام فلما أصبحنا دخلنا حجرتها

ومسموع مما يقوم به الوزن دون أن يمجه الطبع كقول ابن المعتز

سقى المطيرة ذات الظل والشجر   ودير عبدون هطال من المطر

ومتروك وهو ماكان كلا على الطمع والطبع كقول الشاعر

تقلقلت بالهم الذى قلقل الحشى   قلاقل هم كلهن قلاقل

وقدقسم الناس فنون الشعر إلى عشرة أبواب حسبما بوب تمام فى الحماسة وقال عبد العزيز بن أبى الاصبع الذى وقع لى أن فنون الشعر ثمانية عشر فنا وهى غزل ووصف وفخر ومدح وهجاء وعتاب واعتذر وأدب وزهد وخمريات ومرات وبشـــارة وتهانى ووعيد وتحذير وتحريض وملح وباب مفرد للسؤال والجواب ؞ ولنذكران شاء الله تعالى من ذلك ماتيسر على سبيل الاختصار ولنبدأ من ذلك بذكر الغزل المذكور (ابن نباتة)

أأغصان بان مارأى أم شمائل   وأقمار تم ماتضم الغلائل   وبيض رقاق أم جفون فواتر

وسمر دقاق أم قدود قواتل   وتلك نبال أم لحاظ رواشق   لها هدف من الحشى والمقاتل

بروحى أفدى شادنا قد التفه   غدوت وبى شغل من الوجد شاغل   أمير جمال والملاح جنوده

يجور علينا قده وهو عادل   له حاجب عن مقلتى حجب الكرى   وناظرة الفتان فى القلب عامل

رفعت اليه قصة الدمع شاكيا   فوقع يجرى فهو فوق الخد سائل   شكوت فما ألوى وقلت فاصفى

وجد بقلبى حبه وهو هازل   طويل التوانى دله متواتر   مديد التجنى وافر الحسن كامل

أطارحه بالنحو يوما تعللا   فيبدو وللاعراب فيه دلائل   ويرفع وصلى وهو مفعول فى الهوى

وينصب هجرى عامدا وهو فاعل   تفقهت فى عشقى له مثل ماغدا   خبير ابا حكام الخلاف يجادل

فيامالكى ماضر ولى كنت شافعى   بوصلك بى كما أنت فاعل

فانى حنيفى الهوى متحنبل   بعشقك لا أصغى وإن قال قائل

(كمال الدين بن النبيه)

الله أكبر كل الحسن فى العرب   كم تحت لمة ذا التركى من عجب   صبح الجبين بليل الشعر منعقد

والخد يجمع بين الماء واللهب   تنفست عن عبير الراح ريقته   وافتر بسمه الشهدى عن حبب

لافى العذيب ولافى بارق غزلى   بل فى جنى فمه أو ريقة الشنب   كأنه حين يرمى عن حنيته

بدر رمى عن هلال الافق بالشهب   ياجاذب القوس تقريبا لوجنته   والهائم الصب منها غير مقترب

أليس من نكد الايام يحرمها   فمى ويلثمها سهم من الخشب   من لى بأغيد قاسى القلب مبتسم

لاعن رضا معرض عنى بلا غضب   فكم له جود الذنب من سبب   وليس لى فى قيام العذر من سبب

تميل أعطافه تيها بطرته   كما تميل رماح الخط بالعذب   أشار نحوى وجنح الليل معتكر

بمعصم بشعاع الكاس مختضب   بكر جلاها أبوها قبل ماجليت   فى حجره الدن أو فى قشرة العنب

(البهاء زهير) يعاهدنى لا اخاننى ثم ينكث واحلف لا كلمته ثم احنث

وذلك دأبى لايزال ودأبه   فيامعشر العشاق عنا تحدثوا   اقول له صلنى يقول نعم غدا

ويكسر جفناها زتابى ويعبث   وماضر بعض الناس لوكان زارنى   وكنا خلونا ساعة نتحدث

امولاى انى فى هواك معذب   وحتام ابقى فى الغرام وامكث   فخذ مرة روحى ترحنى ولا ارى

أموت مرارا فى النهار وأبعث   فانى لهذا الضيم منك لحامل   ومنتظر لطفا من الله يحدث

أعيذك من هذا الجفاء الذى بدا   خلائقك الحسنى أرق وأدمث   تردد ظن الناس فى فأكثروا

احاديث فيها مايطيب ويخبث   وقد كرمت فى الحب من شمائل   ويسأل عنى من اراد ويبحث

الاله ذنوبى كلها وغدا قلبى خليا من الأحزان والكمد لما قدمت إلى الرحمن مسلمة وقلت انك لم تولد ولم تلد أتانى رحمة منه ومغفرة وأنعما بافيات آخر الابد

(قيل) اجتمع الصوفية إلى أبى القاسم الجنيد وقالوا ياأستاذ أنخرج ونسعى فى طلب الرزق قال لهم ان علمتم أين هو فاطلبوه قالوا فنسأل الله أن يرزقنا قال ان علمتم أنه ينساكم فذكروه قالوا فنجلس إذا ونتوكل قال التجربة شـــك قالوا الحيلة قال ترك الحيلة (قيل) اجتمع اربعة من الأئمة الشافعى وأحمد بن حنبل وأبو ثور ومحمد بن الحكم رضى الله تعالى عنهم عند أحمد ابن حنبل يتذاكرون فصلوا صلاة المغرب وقدموا الشافعى ثم مازالوا يصلون فى المسجد الى أن صلوا العتمة ثم دخلوا بيت أحمد بن حنبل ودخل أحمد على امرأته ثم خرج على أصحابه وهو يضحك فقال الشافعى مم تضحك ياأبا عبد الله قال خرجت إلى الصلاة ولم يكن فى البيت لقمة من طعام والآن فقد

(النابلسي) ماكنت أعلم أن الضمائر تصدق ان المسامع كالنواظر تعشق
حتى سمعت بذكركم فهويتكم وكذاك أسباب المحبة تعلق ولقد قنعت من اللقاء بساعة
ان لم يكن لى الدوام تطرق قد ينعش العطشان بلة ريقه ويغص بالماء الكثير ويشرق
فعسى عيونى أن ترى الك سيدى وجها يكاد الحسن فيه ينطق

(أبو الحسن الجزار)

فى خده من بقا اللثم تخميش وبى التشويش ذاك الصدغ تشويش ظبي من الترك أغنته لواحظه
عما حوته من النيل التراكيس إذا تثنى فقلب الغصن منكسر وأن تبدى مطوف البدر مدهوش
ياعاذلى ان تكن عن صورته أعمى فانى عما قلت أطروش كم ليلة بات يسقينى المدام على
روض له بثياب الغيم ترقيس والغيث كالجيش يزنج الوجود له والبرق رايته الرعد جاويش
فى مجلس ضحكت ارجاؤه طربا لأنه ببديع الزهد مفروش

(سيدى أبو الفضل بن أبى الوفاء)

ترى متى فتور اللحظ ينتشط من قلبه بحبال الشعر مرتبط قد رق لى خصره المضنى فناسبنى
فقلت خير الامور الأنسب الوسط وقد خفى الردف عنى من تثاقله فقلت هذا على ضعفى هو الشطط
وصدره الرحب قدعانقته سحرا والقلب منبعث الآمال منبسط وفيه تلك النهود المشتهاة ترى
رمانها فيه قلبى أمره فرط ان الصواب لتعجيل السرور فقم قبل الفوات فأوقات الهنا غاط

(القاضى مجد الدين ابن مكانس)

أهدى تحيته وجاد بوعده أفديه من قمر بدا فى سعده بدر جرى ماء الحياة بثغره
وترددت فضلاته فى خده اسكنته قلبى فاوقد خده نيران احشائى عليه وجده
من لى به حلو الشمائل أهيف روت العوالى عن مثقف قده ياعاذلى فى حبه لو أبصرت
عيناك فوق الردف مسبل جعده لعذرت كل متيم فى حبه وعلمت أن ضلاله فى رشده
فوحق موتى فى هواه صبابة وحياة مبسمه الشهى وبرده ماجاد غيث الدمع الا عن هوى
خلع القلوب ببرقه وبرعده قم يارسول وأبلغ العشاق ما ألقاه من جور الحبيب وبعده
وإذا سألتك ان تؤدى فى الهوى خبرى فصف فمل المرام وأبده

(عز الدين الموصلى) (والصحيح أن هذه الابيات لابن نباتة لأنها فى ديوانه)

نفس عن الحب ماأغفت وما اغفلت بأى ذنب وقاك الله قدقتلت دعها ومدمعها الجارى لقد لقيت
ماقدمت من أسى قلبى وما عملت أفديك من ناشط الاجفان فى تأنق والسحر يوهم طرفى أنها كسلت
وأوضح الحسن لو شاءت ذوائبه فى الافق وصل دجا الظلماء لاتصلت معسل بنعاس فى لواحظه
أما تراها الى كل القلوب حلت من لى بألحاظ ظبى يدعى كسلا وكم ثياب ضنى حاكت وكم غزلت
وحمرة فوق خديه ومرشفه هذى محاسنها تزهو وذى ذبلت أما كفانى تكحيل الجفون أسى
حتى المراشف باللمى كحلت أستودع الله أعطافا شوت كبدى وكلما رمت تجديد الوصال قلت
ومهجة لى كم ألقت بمسمعها إلى الملام ولا والله ماقبلت

(غيره للفاضل) شرخ الشباب بحبكم أفنيته والعمر فى كف بكم قضيته
وأنا الذى لو مر بى من نحوكم داع وكنت بحفرتى لبيته كيف التعرض للسلو وحبكم
حب بأيام الشباب شريته لله داء فى الفؤاد أجنه يزداد نكسا كلما داويته
قالوا حبيبك فى لتجنى مسرف وأسى على العشاق قلت فديته أأروم من كلفى عليه تخلصا

وسع الله علينا قال الشافعى فما سببه قال أحمد قالت لى أم عبد الله انكم لما خرجتم إلى الصلاة جاء رجل عليه ثياب بيض حسن الوجه عظيم الهيئة ذكى الرائحة فقال ياأحمد بن حنبل لبيك فقال فقلنا هاكم خذوا هذا فسلم الينا زنبيلا أبيض عليه منديل طيب الرائحة وطبق معطى بمنديل آخر وقال كلوا من رزق ربكم واشكروا له فقال للشافعى ياأبا عبد الله فما فى الزنبيل والطبق فقال عشرون رغيفا قد عجنت باللبن واللوز المقشور أبيض من الثلج وأذكى من المسك ما رأى الراؤون مثله وخروف مشوى من عفر جار وملح فى سكرجة وخل فى قارورة على الطبق وبقل وحلواء متخذة من سكر طبرزد ثم أخرج الكل ووضعه بين أيديهم فتعجبوا من شأنه وأكلوا ماشاء الله قال فلم تذهب حلاوة ذلك الطعام والحلواء مدة طويلة وكل من أكل من ذلك الطعام ما احتاج الى طعام غيره مدة شهر فلما أن فرغوا من الأكل حمل أحمد مابقى منه وادخله إلى أهله فأكلوا وشبعوا وبقى منه شىء فاجمع رأيهم على أن الطعام كان من غيب الله وان الرسول كان ملكا من الملائكة قال صالح بن احمد بن حنبل ما أصابتنا مجاعة قط مادام ذلك الزنبيل فى بيتنا وكان يأتينا الرزق

من حيث لانحتسب رضي الله تعالى عنهم واعاد علينا من بركاتهم

لا والذي بطحاء مكة بيته ولوا استطعت بكل اسم في الورى من لذة الذكرى به سميته

(وللشيخ بدر الدين الدماميني)

سل سيفا من الجفون صقيلا مذ تصدى جلاء رحت قتيلا صح عن جفنه حديث فتور
وهو مازال من قديم عليلا مذ أبدى لنا من الخضر ردفا فأرانا مع الخيف ثقيلا
ذو قوام كأنه الغصن لكن بالهوى نحو وصلنا لن يميلا كامل الحسن وافر ظل وجدي
فيه ياعاذلي مديدا طويلا فانك الجفن ذو جمال كثير أتلف العاشقين إلا قليلا

قلت إذ لاح طرفه ولماه ... فاتر اللحظ بكرة وأصيلا
كيف حالي وهل لصب اليه ... من سبيل فقال لي سل سبيلا

(وقال آخر) لو أن قلبك لي يرق ويرحم ... ما بت من ألم الجوى أتألم
ومن العجائب أنني لا اسهم لي ... من ناظريك وفي فؤادي أسهم
يا جامع الضدين في وجناته ... ماء يرق عليه نار تضرم
عجبي لطرفك وهو ماض لم يزل ... فعلام بكسر عندما تتكلم
ومن المروءة أن تواصل مدنفا ... والدهر سمح والحوادث نوم

(وقال آخر) تصدق بوعد ان دمعي سائل ... وزود فؤادي نظرة فهو راحل
فخدك موجود به التبر دائما وحسنك معدوم لديه المماثل أيا قمرا من شمس طلعة وجهه
وظل عذاريه الدجا والأصائل تنقلت من طرف القلب مع الهوى وهاتيك للبدر المنير منازل
جعلتك للتمييز نصبا لخاطري ... فهلا رفعت الهجر والهجر فاعل

(وقال ابن صابر) قبلت وجنته فألفت جيده ... خجلا ومال بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره ... عرق يحاكي الطل فوق الآس
فكأنني استقطرت ورد خدوده ... بتصاعد الزفرات من أنفاسي

(وقال آخر) وغزال كل من شبهه ... بهلال أو ببدر ظلمه
قال إذ قبلت وهما فمه ... قد تعديت وأسرفت فمه

(وقال آخر) بأبي غلام لست غير غلامه ... مذ جاد لي بسلامه وكلامه
ذو حاجب ما ان رأيت كنونه ... أبدا وصدغ ما رأيت كلامه

(وقال جمال الدين بن مطروح)

ذكر الحمى فصبا وكان قد ارعوى * صب على الغرام قد استوى * تجري مدامعه ويخفق قلبه
مهما جرى ذكر العقيق مع اللوى * وإذا تألق بارق من بارق * فهناك ينشر من هواه ما انطوى
نخذوا أحاديث الهوى عن صادق * ماضل في شرع الغرام وماغوى * وبمهجتي رشأ طالت عزلي
فيه الملام وقد حوى ما قد حوى * قالوا أفيه سوى رشاقة قده * وفتور عينيه وهل موتي سوى

ما أبصرته الشمس إلا واكتست ... خجلا ولا غصن النقا إلا التوى
يروي الأراك محاسنا عن ثغره ... ياطيب ما نقل الاراك وما روى

(وقال آخر) عبث النسيم بقده فتأودا ... وسرى الحياء بخده فتوردا
رشأ تفرد فيه قلبي بالهوى لما غدا بجماله متفردا قاسوه بالغصن الرطيب جهالة
تالله قد ظلم المشبه واعتدى حسن الغصون إذا اكتست أوراقها وتراه احسن ما يكون مجردا

(قيل) ان عبد الله معمر القيسي كان أميرا من أمراء العرب وكان بطلا شجاعا جوادا ذا مروءة وافرة قال حججت سنة من السنين إلى بيت الله الحرام ومتجرا عزيزا فلما قضيت حجي عدت لزيارة قبر النبي ﷺ فبينما أنا ذات ليلة بين القبر والمنبر في الروضة اذ سمعت أنينا عاليا وحسا باديا فأنصت اليه فاذا هو يقول

أشجاك نوح حمائم السدر ... فأهجن منك بلابل الصدر
أم زاد نومك في ذكر غانية ... أهدت اليك وساوس الفكر
في ليلة نام الخلي بها ... وخلفت بالأحزان والذكر
يا ليلة طالت على دنف ... يشكو الغرام وقلة الصبر
أسلمت من يهوى لحر جوى ... متوقد كتوقد الجمر
فالبدر يشهد أنني دنف ... بجمالي حب مشبه البدر

قال ثم انقطع الصوت ولم أر من أين جاء فبهت حائرا واذا به قد اعاد البكاء والنحيب وهو يقول

أشجاك من ريا خيال زائر ... والليل مسود الذوائب عاكر
واعتاد مهجتك الهوى فأبادها ... واهتاج مقلتك المنام الباتر
ناديه ليلى والظلام كأنه ... يم تلاطم فيه موج زاخر
والبدر يسري في السماء كأنه ... ملك تبدي والنجوم عساكر

(وقال غيره)

يا حسنا مالك لم تحسن إلى قلوب الهوى متعبا رقت بالورد وبالسوسن
صفحة خد بالسنا مذهبة وقد أبى خدك أن أجتنى منه وقد ألسعنى عقربه
ياحسنه إذ قال ما أحسنى ويا لذاك اللفظ ما أعذبه قلت له كلك عندى سنا
وكل ألفاظك مستعذبة ففوق بالسهم ولم يخطى ومذ رآنى ميتا أعجبه
وقال كم من عاشق حبنى وحبه إياى قد إياى قد أتعبه يرحمه الله على أننى قتلى له لم أدر ما أوجبه

(وقال آخر) مليح يغار الغصن عند اهتزازه ويخجل بدر التم عند شروقه
مافيه معنى ناقص غير خصره وما فيه شىء بارد غير ريقه

(وقال يحيى بن أكثم)

دنا هاجرى نحوى بمقلته الكحلا فلما رأى ذلى ثنى عطفه دلا فتيمنى شوقا وأنحلنى أسى
وأفقدنى صبرا وأعدمنى عقلا شكوت فما ألوى وولى ومالوى وأعرض مزورا فسل الحشى سلا
إذا ما دعاه فرط سقمى لزورة يناديه فرط العجب من عطفه كلا

(وقال أيضا) بأبى غزالا غازلته مقلتى بين العذيب وبين شطى بارق
وسألت منه زورة تشفى الجوى فأجابنى عنها بوعد صادق بتنا ونحن من الدجا فى خيمة
ومن النجوم الزهر تحت سراد ق عاطيته والليل يسحب ذيله صهباء كالمسك الذكى لناشق
وضممته ضم الكمى لسيفه وذؤابتاه حمائل فى عاتقى حتى إذا مالت به سنة الكرى
زحزحته عنى وكان معانقى أبعدته عن أضلع تشتاقه كى لاينام على فراش خافق
لما رأيت الليل آخر عمره قد شاب فى لمم له ومفارق
ودعت من أهوى وقلت تأسفا صعب على بأن أراك مفارقى

وقال ابن نباتة: بدا وردت لواحظه دلالا فما أبهى الغزالة والغزالا
وأسفر عن سنا قمر منير ولكن قد وجدت به الضلالا صقيل الخد أبصر من رآه
سواد العين فيه فخال خال وممنوع الوصال إذا تبدى وجدت له من الألفاظ لالا
عجبت لثغره البسام أبدى لنا درا وقد سكن الزلالا شهدت بشهد ريقته لأنى
رأيت على سوالفه نمالا فياعجبا لحسن قد حواه وقد أهدى إلى قلبى الوبالا
سأشكو الحسن ما بقيت حياتى وأشكو من صنائعه الجمالا

(القاضى فخر الدين بن مكانس)

اغصنا فى الرياض مالى حملتنى فى هواك مالا
يا رائحا بعد أن سبانى حسبك رب السما تعالى

(وله أيضا) أجارك الله قد رثت لى مما ألاقى نمدا وحسد
وعاذلى مذ رأى ضلوعى تعد سقما بكى وعدد

(ابن رفاعة) يقولون هل من الحبيب بزورة ومنا كم المطلوب قلنا لهم منا
فقالوا لنا غوصوا على قده وما يحاكى إذا ما اهتز قلنا لهم غصنا

(الشيخ برهان الدين القيراطى)

ووردى خد نرجسى لواحظ مشايخ علم السحر عن لحظه ورووا
وواوات صدغيه حكين عقاربا من المسك فوق الجلنار قد التووا

رقص الحبيب غلاه سكر ظاهر
يا ليل طلت على حبيب ماله إلا الصباح موازر ومسامر
فأجابنى مت حتف أنفك واعلن أن الهوى لهو الهوان الحاضر
قال عبد الله فنهضت عند ابتدائه بالأبيات أؤم الصوم فما انتهى إلى آخرها إلا وأنا عنده فرأيت غلاما جميلا قد نزل عذاره لكن قد علا محاسنه الاصفرار والدموع تجرى على خده كالأمطار فقال نعمت ظلاما من الرجل قلت عبد الله ابن معمر القيسى فقال ألك حاجة يا فتى قلت انى كنت جالسا فى الروضة فما راعنى فى هذه الليلة إلا صوتك فبنفسى أقيك وبروحى أفديك وبمالى أواسيك ما الذى تحد فقال إن كان ولابد فاجلس فجلست فقال أنا عتبة ابن الحباب بن المنذر ابن الجموح الأنصارى غدوت إلى مسجد الأحزاب ولم أزل فيه راكعا ساجدا ثم اعتزلت غير بعيد فإذا نسوة يتهادين كأنهن القطا وفى وسطهن جارية بديعة الجمال فى نشرها بارعة الكمال فى عصرها نورها ساطع يتشعشع وطيبها عاطر يتضوع فوقفت على وقالت يا عتبة ما تقول فى وصل من طلب وصلك

ووجنته الحمرا تلوح الجمرة عليها قلوب العاشقين قد اكتووا
وودي له باق ولست بسامع لقول حسود العواذل اذعووا
ووالله ما أسلو ولو صرت رمة فكيف وأحشائي على حبه انطووا

(وللشيخ برهان الدين القيراطي أيضا)

شبه السيف والسنان بعيني من لقتلي بين الانام استحلا
فأبى السيف والسنان وقالا حدنا دون ذاك حاشى وكلا

(وقال أيضا) بأبي أهيف المعاطف لدن حسد الاسمر المثقف قده
ذو جفون مذ رمت منها كلمتني سيوفهن محده

(وقال آخر) بملك رقي شادن قد هويته من الهند مسعول اللمى أهيف القد
أقول لصحبي حين يرنو بطرفه خذوا حذركم قد سل صارمه الهندي

(ومما قيل في الغزل المؤنث للشيخ شمس الدين بن البنديري)

خيال سلمى عن الاجفان لم يغب وطيفها عن عياني عين محتجب
ذكرها أنس روحي وهي نائية والقلب مازال عنها غير منقلب
لم أصغ فيها اللاح راح يعذلني ولا لواش خلي بات يلعب بي
عذابها في الهوى عذاب ألذ به ومر هجرانها أحلى من الضرب
فان نأت أودنت وجدي كما علمت تشيب فيه الليالي وهو لم يشب
دعها فأمر هوى المحبوب متبع وغير طاعته في الحب لم يجب

(وقال عفا الله عنه)

سقى طللا حلته سلمى معاهد ووحياه من دمعي مذاب وجامد
فربع به سلمى مصيف ومربع وأرض نأت عنها قفار جلامد
وحيث ثوت أرضا فأعذب مورد ولو كدرت منها على الموارد
رعى الله دهرا سالمتني صروفه وظلت لياليه بسلمى تساعد
وقد غفل الوشوان عني ولم أزل ويقظان طرف البين عني راقد
وأيامنا بالقرب بيض أزاهر وأوقاتنا بالوصل خضر أمالد
وأرواحنا ممزوجة وقلوبنا ونحن كأنا في الحقيقة واحد وكم قدمر جناني مروج صبابة
ولم ويطردنينا من البين طادر تجرد بزل اللهو في قص الهوى تلوح علينا للغرام شواهد
ولم يخطر التفريق منا بخاطر ولم نحسب الأيام فينا تعاند فهل أنت يا سلمى وقد حكم الهوى
كما كنت لي أم حادبا لقلب حائد وهل لردنا باق والا تغيرت على عادة الأيام منك العرائد
وهل محيت آثار رسم حديثنا وأنساك حفظ الود هذا التباعد وهل تذكرين العهد اذ نحن باللوى
وقولك لاعاش الخؤن المعاهد وهل أنت غيرت الذي أنا حافظ وهل أنت أحللت الذي أنا عاقد
وهل بدلت منك المودة بالجفا وفيك يقيني بالوفا منك شاهد واني ما بدلت عهدك في الهوى
ولا اختلفت فيما علمت العوائد ولا بت مسرورا وعيشك ليلة وكيف سلوى والحبيب مباعد
فان كنت حبل الود صرمت طرفه فودي طريف في هواك وتالد وان قلت ان الحب غيره النوى
لعمري وجدي بالحشاشة واقد وان أوردوا يوما صبابة عاشق في يضرب الامثال من هو وارد
فاشتكو ني انني بك مدنف صبور على البلوى شكور وحامد ومنك تساوى عندي الوصل والجفا

ثم تركتني وذهبت فلم اسمع لها خبرا ولا قفوت لها أثرا فأنا حيران أنتقل من (١٧٥) مكان الى مكان ثم صرخ صرخة عظيمة وأكب على الأرض مغشيا عليه ثم أفاق بعد ساعة وكأنما صبغت ديباجة خده بورس أنشد يقول

أراك بقلبي من بلاد بعيدة تراكم تروني بالقلوب على بعد
فؤادي وطرفي يأسفان عليكم عندكم روحي وذكركم عندي
ولست ألذ العيش حتى أراكم ولو كنت في الفردوس أو جنة الخلد

قال فقلت يا أخي تب الى ربك استقل من ذنبك واتق هول المطلع وسوء المضجع فقال هيهات هيهات ما أنا مبال حتى يكون ما يكون ولم أزل به الى طلوع الصباح فقلت له قم بنا الى مسجد الاحزاب فلعل الله ان يكشف عنك ما بك قال ارجو ذلك ببركة طلعتك ان شاء الله فنزلنا الى أن وردنا مسجد الاحزاب فسمعته يقول

يا للرجال ليوم الأربعاء أما ينفك يحدث لي بعد النهى طربا
ما ان يزال غزال فيه يظلمني يهوى الى مسجد الاحزاب منتقبا
يخمن الناس أن الأجر همته وما أنا طالبا للاجر مكتسبا
لو كان يبغي ثوابا ما أتى ظهرا

فيك لقد هانت على الشدائد ... ولو دمت الورى عن هواك أعتنى ... لقادز مامى نحو حبك قائد

نصبت شراك الحب صدت حشاشتى ... فكيف خلاصى والهوى منك صائد

بعدت وقلت البين يسلى أخا الهوى ... وهل يسلى ذا الاشجان هذا التباعد

وماغير التفريق ما تهددينه ... وسوق سلوى فى المحبين كاسد

وحل مناى القرب منك وانما ... اذا عظم المطلوب قل المساعد

(وقال عفا الله عنه)

تهددنى بتبريح وبين ... وتوعدنى بتفريق وصد ... وتخاف لى التلبسنى سقاما

نهى جلدى به وتذيب جلدى ... وترمينى بنبل من جفون ... فتضنينى وتصمينى وتردى

وتحرقنى بنار الصد حتى ... تذيب حشاشتى كمداو كبدى ... فقلت لها ودمعى فى انسكاب

يفيض دما على صفحات خدى ... ومن لى أن يقال قتيل وجد ... واذكر فى هواك ولو بصدى

(وقال عفا الله عنه)

سلوى عنك شىء ليس يروى ... وحبى فيك صار مع الركاب

ولم يمرر سواك ضميرى ووجدفيك أيسره عذابى ... ومالك عن سواد العين يوما

وما لسواد قلبي من حجاب وما أخضرت ... دواعى الشوق الاهوزت اليك أجنحة التصابى

(وقال عفا الله عنه)

قفا نبك دارا شط عنا مزارها ... وانحلنا بعد البعاد اذكارها ... وعوجا باطلال محتها يد النوى

فاظلم بالنائى المشت نهارها ... فقد نابها ريما من الانس ان رنت ... بمقلتها يصمى القلوب احورارها

تصيد قلوب العاشقين أنيسة ... ويحسن منها صدها ونفارها ... ويهزأ بالاغصان لين قوامها

إذا مال فوق الغصن منها خمارها ... وليس لبدر التم قامة قدها ... وما هو الا حجلها وسوارها

منازلها منى الفؤاد وان نأى ... عن العين مثواها فى القلب دارها ... يمثلها بالوهم فكرى لناظر

وأكثر ما يضنى النفوس افتكارها ... وهيج دمعى حزنا وصبابتى ... وما خمدت الدمع منى نارها

وساعدنى بالايك ليلا حمائم ... تهاتف شجو الايقر قرارها

بكين ولم تسفح لهن مدامع ... وعينى فاضت بالدموع بحارها

(ولمؤلفه رحمه الله تعالى) ، وهو قول ضعيف على قدر حاله لكنه يسأل الواقف عليه من افضاله ستر ما يراه من عيوبه وأن يدعو له بمغفرة ذنوبه

نسيم الصبا بلغ سليمى رسائلى ... بلطف وقل عن حال صبك سائلى ... فقد صار بالاسقام صبا معذبا

قريح جفون من دموع هوامل ... صبورا على حر الغرام وبرده ... حليف الضنى لم يصغ يوما لعاذل

يبيت على جمر الغضى متقلبا ... يئن غراما فارحميه وواصلى ... الا ياسليمى قد أضر بى الهوى

وهاجت بتبريح الغرام بلابلى ... رميت بسهم من لحاظك قاتل ... فلم يخط قلبى والحشى ومقاتلى

كتمت غرامى فى هواك ولم أبح ... بسر فباحت أدمعى برسائلى ... سليمى سلى ماقدجرى لى من النوى

فقد عاد لى حال له رق عاذلى ... لعل تجردى للكثيب وتسمحى ... بوعد ويعد الوعد ان شئت ماطلى

عسى تنطفى بالوعد نارى وأشتفى ... فيا لسقم أعضائى ووهت مفاصلى ... خفيت عن العواد لولا تأوهى

وعظم أنينى لايرانى مسائلى ... فرقى فقد رقت عداى لذلتى ... وفاضت على حالى عيون عواذلى

قطعت زمانى فى عسى ولعلها ... ومافزت فى الأيام منك بطائل ... فا آن أن ترضى على وترحمى

ضنى جسدى فالوجد لاشك قاتلى ... توسلت بالمختار فى جمع شملنا ... نبى له فضل على كل فاضل

(وله

مضمخا بفتيت المسك عتصا فلما بصرن به قلن ياعتبة وماظننك بطالبة وصالك وكاسفة بالك قال ومالها قلن قد أخذها أبوها وارتحل بها الى السماوة فسألتهن عن الجارية فقلن هى ريا ابنة الغطريف السلمى فرفع الشاب رأسه اليهن وأنشد يقول

خليلى ريا قد أجد بكورها ... غيرها وسار الى أرض السماوة

خليلى ما تقضى به أم مالك ... على فما يعدو على أميرها

خليلى انى قد خشيت من البكا ... أستعيرها فهل عند غيرى مقلة

فقلت ياعتبة طب قلبا وقر عينا فقد وردت الحجاز بمال جزيل وطرف وتحف وقماش ومتاع أريد به أهل السفر والله لأبذلنه أمامك وبين يديك وفيك وعليك حتى أوصلك للذى تحب وأعطيك الرضا وفوق الرضا فقم بنا الى مجلس الانصار فقمنا حتى أشرفنا على ناديهم فسلمت فأحسنوا الرد ثم قلت أيها الملأ الكرام ماتقولون فى عتبة وأبيه قالوا خير انه من سادات العرب قلت فانه قدرمى بفؤاده الهوى وما أريد منكم الا المعونة فركبنا وركب القوم حتى أشرفنا على منازله بنى سليم من السماوة فقلنا أين منزل الطريف فخرج بنفسه

فجلسنا حتى صلينا به الظهر فاذا النسوة أقبلن وما الجارية بينهن

(وله رحمه الله تعالى)

يا ربة الحسن من بالصد أوصاكى … حتى قتلت بفرط الهجر مضناكى

ويا فتاة بفتان القوام سبت … من فى الورى ياترى بالقتل أفتاكى

لقد جننت غراما منذ رأى نظرى … فى النوم طيف خيال من محياكى

ومذ رآه طبيب المنام وقد … أضحى عليلا حزينا لم يزل باكى

عذبتنى بالتجنى وهو يعذب لى … فهل ترى تسمحى يوما برؤياكى

ان كنت لم تذكرينا بعد فرقتنا … فالله يعلم أنا مانسيناكى

ما آن أن تعطفى جودا على فقد … أضجع فؤادى أسير الحظ عيناكى

ما كنت أحسب أن العشق فيه ضنى … ولا عذاب نفوس قبل أهواكى

حتى تولع قلبى بالغرام فما … أمسى أسيرا سوا فى حسن معناكى

رقى لعبدك جودا واعطفى وذرى … ولا تطيلى بحق الله جفواكى

يا هند رفقا بقلب داب فيك أسى … ومهجة تلفت ياهند ما أقساكى

رقى المذول لحالى فى الهوى ورثى … وأنت ياهند لا ترثى لمضناكى

والله لومت ما أسلاك يا أملى … ولو فنيت غراما لست أنساكى

وقال آخر كان فؤادى يوم سرت دليل … بسير أما العيش وهو ذليل

قصرت عقيب الظاعنين لكى أرى * فؤادى سر فى الركب وهو يجول * وقائلة لى كيف حالك بعدنا

لتعلم ما هذا اليه يؤول … فقلت لها قدمت قبل ترحلى … فمن باب اولى ان يجد رحيل

وقالت فليلى طال هما فأنشدت … ومازال ليل العاشقين طويل … فقلت وجسمى لم يزل مرجفا

فقالت وجسم العاشقين نحيل … فقلت لها لو كنت ادرى فراقنا … بيوم وداع ما اليه سبيل

قلعت لعينى فى هواك باصبعى … لكيلا ارى يوما على ثقيل

(وقال الوأواء الدمشقى عفا الله عنه)

يامن نفت عنى لذيذ رقادى … مللى ومالك قد اطلت سهادى … فبأى ذنب ام بأية حالة

ابعدتنى ولقد سكنت فؤادى … وصددت عنى حين قد ملك الهوى … روحى وقلبى والحشا وفيادى

ملكت لحاظك مهجتى حتى غدا … قلبى يسيرا ماله من فادى … لاغروان قتلت عيونك مغرما

فلكم صرعت بها من الآسادى … يامن حوت كل المحاسن فى الورى … والحسن منها عاكف فى بادى

رفقا بمن اسرت عيونك قلبه … ودعى السيوف تقر فى الاغمادى … وتعطفى جودا على بقبلة

فبمبسمكى شفاء الصادى … ماتت اطال الله عمرك سلوتى … ولقد فنى صبرى وعاش سهادى

ومن المنى لودام لى فيك الضنى … ياحبذا لأراك من عوادى … واجمل منك نوظرى فى ناظر

من خدك المتورق الوقاد … واقول ماشئت صنعى يامنيتى … مالى سواك ولوحرمت مرادى

إلا مديح المصطفى … هو عمدتى وبه سألقى … الله يوم معادى

(وقال البهاء زهير)

إذا جن ليلى هام قلبى بذكركم … أنوح كما ناح الحمام المطوق … وفوق سحاب يمطر الهم والأسى

وتحتى بحار بالجوى تتدفق … سلوا أم عمرو كيف بات أسيرها … تفك الأسارى دونه وهو موثق

فلا أنا مقتول ففى راحة … ولا أنا ممنون عليه فيعتق

مبادرا فاستقبال الكرام وقال حييتم بالاكرام والرحب والانعام قلنا أنت حييت ثم حييت أتيناك أضيافا قال نزلتم أفضل منزل ثم نادى يامعشر العبيد أنزلوا القوم وسارعوا إلى الاكرام ففرشت فى الحال الانطاع والنمارق الزرابى فنزلنا وأرحنا ثم ذبحت الذبائح ونحرت النحائر وقدمت الموائد فقلنا ياسيد القوم لسنا بذائقين لك طعاما حتى تقضى حاجتنا وتردنا عن رتنا قال وما حاجتكم أيها السادة قلنا نخطب عقيلتك الكريمة لعتبة ابن الحباب بن المنذر الطيب العنصر العالى المفخر فأطرق وقال ياأخوتاه ان التى تخطبونها أمرها إلى نفسها وها أنا داخل اليها أخبرها ثم نهض مغضبا فدخل على ريا وكانت كاسمها فقالت يا أبتاه انى أرى الغضب بينا عليك فما الخبر قال ورد الانصار يخطبونك منى قالت سادات كرم وأبطال عظام استغفر لهم النبى ﷺ فلمن الخطبة منهم قال لفتى يعرف بعتبة بن الحباب قالت بالله لقد سمعت عن عتبة هذا أنه يفى بما وعد ويدرك إذا قصد ويأكل ماوجد ولا يسأل عن ما فقد قال المطريف أقسم بالله لا أزوجك به أبدا فقد نما الى بعض حديثك معه فقالت ما كان ذلك ولكن إذا اقسمت فابو الانصارى لا يردون

(مجنون ليلى)

وقد خبروني أن تيماء منزل لليلى إذا ما الليل ألقى المراسيا فهذي شهور الصيف عنا ستنقضي

فما للنوى يرمي بليلى المراميا أعد الليالي ليلة بعد ليلة وقد عشت دهراً لا أعد اللياليا

وأخرج من بين البيوت لعلني أحدث عنك النفس بالليل خاليا ألا أيها الركب اليمانون عرجوا

علينا فقد أمسى هوانا يمانيا يمينا إذا كانت يمينا فان تكن شمالا ينازعني الهوى عن شماليا

أصلي فما أدري إذا ما ذكرتها أثنتين صليت الضحى أم ثمانيا خليلي لا والله لا أملك الهوى

إذا علم من أرض ليلى بداليا خليلي لا والله لا أملك الذي قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا

قضاها لغيري وابتلاني بحبها فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا

ولو أن واش باليمامة داره وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا

وددت على حبي الحياة لو أنه يزاد لها في عمرها من حياتيا

على أنني راض بأن أحمل الهوى وأخلص منه لا علي ولا ليا

إذا ما شكوت الحب قالت كذبتني فمالي أرى الأعضاء منك كواسيا

فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشى وتخرس حتى لا تجيب المناديا

(وقال آخر) قلت لطيف خيال زارني ومضى بالله صفه ولا تنقص ولا تزد

فقال خلفته لومات من ظمأ وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

قالت عهدي الوفا والصدق شيمته يا برد ذاك الذي قالت على كبدي

(كمال الدين بن النبيه)

أما وبياض مبسمك النقي وسمرة مسكة اللمس الشهي ورمان من الكافور تملا

عليه طوالع الند الندي وقد كالقضيب إذا تثنى خشيت عليه من ثقل الحلي

لقد أسقمت بالهجران جسمي وأعطشني وصالك بعد ري إلى كم أكتم البلوى ودمعي

يبوح بمضمر السر الخفي وكم أشكو للاهية غرامي فويل للشجي من الخلي

(وصفي الدين الحلي)

أبت الوصال مخافة الرقباء وأتتك تحت مدارع الظلماء أصفتك من بعد الصدود مودة

وكذا الدواء يكون بعد الداء أحيت بزورتها النفوس وطالما ضنت بها فقضت على الاحياء

أمت بليل والنجوم كأنها در بباطن خيمة زرقاء أمست تعاطيني المدام وبيننا

عتب غنيت به عن الصهباء آبت الى جسدي لتنظر ما انتهت من بعدها فيه يد البرحاء

ألفت به وقع الصفاح فراعها جزعا وما نظرت جراح عشائي أمصيبة منا بسيف لحاظها

ما خطأته أسنة الاعداء أعجبت مما قد رأيت وفي الحشا أضعاف ما عاينت في الاعضاء

أمسى ولست بسالم من طعنة نجلاء أو من مقلة نجلاء

(وله رحمه الله تعالى)

قفي ودعينا قبل وشك التفرق فما أنا من يحيا الى حين نلتقي قضيت وما أودى الحمام بمهجتي

وشبت وما حل البياض بمفرق قنعت أنا بالذل في مذهب الهوى ولم تفرقي بين المنعم والشقي

قرنت الرضا بالسخط والقرب بالنوى ومزقت شمل الوصل كل ممزق

قبلت وصايا الهجر من غير ناصح وأحببت قول الجور من غير مشفق

قطعت زماني بالصدود وزرتني عشية زمت للترحل أينقي

مردا قبيحا فأحسن لهم الرد وادفع بالتي هي أحسن قال يا ريا فأي شيء أقول قالت أغلظ لهم المهر ما استطعت فانهم يرجعون ولا يجيبون وقد أبررت قسمك وبلغت مأربك وراعيت أضيافك قال ما أحسن ما قلت ثم خرج مبادرا فقال يا إخوتاه ان فتاة الحي قد أجابت ولكن أريد لها مهر مثلها فمن القائم به قال عبد الله فقلت أنا القائم بما تريد فقال أريد ألف مثقال من الذهب الأحمر قلت لك ذلك وقال وخمسة آلاف درهم من ضرب هجر قلت لك ذلك قال ومائة ثوب من الابراد والحبر قلت لك ذلك قال وعشرين ثوبا من الوشي المطرز قلت لك ذلك قال وأريد خمسة أكرشة من العنبر قلت لك ذلك قال وأريد مائة نافجة من المسك الاذفر قلت لك ذلك قال فهل أجبت قلت أجل ثم أجل قال عبد الله فانفذت نفرا من الانصار أتوا بجميع ما ضمنته وذبحت النعم والغنم واجتمع الناس لأكل الطعام فأقمنا هناك نحو أربعين يوما على هذا الحال ثم قال الغطريف يا قوم خذوا فتاتكم وانصرفوا مصاحبين السلامة ثم حملها في هودج وجهز معها ثلاثين راحلة عليها التحف والطرف ثم ودعنا ورجع فسرنا حتى إذا بقي بيننا وبين المدينة مرحلة واحدة خرجت علينا خيل تريد الغارة وأحسبها أنها من قضى

حتى سقط إلى الأرض فلم يلبث عتبة أن قضى نحبه فقلنا ياعتباه فسمعت الجارية فألقت نفسها عليه وجعلت تقبله وتصيح بحرقة وتقول

تصبرت لا أنى صبرت وانما أعلل نفسى أنها بك لاحقة
ولو أنصفت نفسى لكانت إلى الردى أمامك من دون البرية سابقه
فما واحد بعدى و بعدك منصف خليلا ولا نفس لنفس مصادقه

ثم شهقت شهقة واحدة قضت فيها نحبها فاحتفرنا لهما مكانا وجدنا وواريناهما فيه ورجعت إلى ديار قومى وأقمت سبع سنين بعدها ثم عدت إلى الحجاز ووردت إلى زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقلت والله لاعودن إلى قبر عتبة لأزوره فأتيت إلى القبر فاذا عليه شجرة نابتة عليها أوراق حمر وصفر وخضر وبيض فقلت لأرباب الجهة ما يقال لهذه الشجرة فقالوا شجرة العروسين فأقمت عند القبر يوم وليلة وانصرفت (حكى) أن شخصا جاء إلى الشيخ عز الدين عبد السلام الشافعى رحمه الله تعالى سلطان العلماء فقال

قضى الدهر بالتفريق فاصطبر له ولا تذمى أفعال وترفقى

(وقال عفا الله عنه)

جاءت لتنظر ما أبقت من المهج فعطرت سائر الارجاء بارج
جلت علينا محيا لو جلاته لنا فى ظلمة الليل أغنتنا عن السرج
حورية الخد تحمى ورد وجنتها بحارس من نبال الغنج والدعج
جزت اساءه أفعالى بمغفرة فكان غفرانها يغنى عن الحجج
جادت لعرفانها أنى المسيء بها فما على إذا أذنبت من حرج
جست يدى لترى مابى فقلت لها كفى فذاك جوى لولاك لم يهج
جفوتنى فرأيت الصبر أجمل مابى والصمت فى الحب أولى بى اللهج
جادت لحاظك فينا غير راحمة ولذة الحب وجور الناظر الغنج

(وقال ابن نباتة) رقت لنا حين هم بالسفر وأقبلت فى الدجى تسعى على حذر
راض الهوى قلبها القاسى لجاد لنا وكان أبخل من تموز بالمطر
رأت غداة النوى نار الكليم وقد شبت فلم تبق من قلبى ولم تذر
رشيقة لو تراها عند ما سفرت والبدر ساه اليها سهو معتذر
رأيت بدرين من وجه ومن قمر فى ظل جنحين من ليل ومن شعر
رشفت در الحيا من مقبلها إذا نبهتنى اليها نسمة السحر
رنت نجوم الدجى نحوى فما نظرت من يرشف الراح قبلى من فم القمر
راق العتاب وأبدت لى سرائرها فى ليلة الوصل بل فى غرة القمر

(وقال ابن الساعاتى) قبلتها ورشفت خمرة ريقها فوجدت بارد صبابه فى كوثر
ودخلت جنة وجهها فأباحنى رضوانها المرجو شرب المسكر

(وقال آخر) بكيت للفراق وقد راعها بكاء المحب لبعد الديار
كأن الدموع على خدها بقية طل على جلنار

(والوأواء الدمشقى تضمين)

قالت متى الظعن يا هذا فقلت لها أما غــد زعموا أولا فبعد غد
فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت وردا وعضت على العناب بالبرد

(لابن نباتة) عذولى لست أسمع منه قولا على غيداء مثل البدر تما
له طرف ضرير عن سناها ولى أذن عن الفحشاء صما

(وقال آخر) ورب ليال فى هواها سهرتها أراعى نجوم الليل فيها إلى الفجر
حديثى عال فى السهاد لاننى رويت أحاديث السهاد عن الزهر

(السراج الوراق)

يالائمى فى هواها • أسرفت فى اللوم وجهلا
ما يعلم الشوق الا • ولا الصبابة الا

(وقال آخر) وعدت أن تزور ليلا فألوت وأتت فى النهار يسحب ذيلا
قلت هلا صدقت فى الوعد قالت كيف صدقت أن ترى الشمس ليلا

(لعز الدين الموصلى) قد سلونا عن الغزال بخود ذات وجه بها الجمــال تفتن
ورجعنا عن التهتك فيــه ودفعناه بالتى هى أحسن

(وقال آخر) قالت وناولهــا سواكا ساد بفيها على الاراك
سوى ما ذاق طعم بقى لهــا ذائقة سواكى

(وقال آخر) سألتها أن تعيد لفظا قالت محب دعوه لعذر
حديثها سكــر شهى وأحسن السكر المكر

رأيتك فى المنام تنشد وكنت كذى رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت قال

(ابن نباتة) ومولة فى الحب لما أن رأت ... أثر السقام بجسمى المتناهض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم ... أنا بالسقام وأنت بالاعراض

(وقال أبو الطيب المتنبى)

بأبى الشموس الجانحات غواربا ... اللابسات من الحرير جلاببا ... المنهبات عيوننا وقلوبنا
وجناتهن الناهبات الناهبا ... الناعمات القاتلات المحييا ... ت المبديات من الدلال غرائبا
حاولن تفديتى وخفن مراقبا ... فوضعن أيديهن فوق ترائبا ... وبسمن عن برد خشيت أذيبا
من حر أنفاسى فكنت الذائبا ... يا حبذا المتحملون وحبذا ... واد لثمت به الغزالة كاعبا
كيف الرجاء من الخطوب تخلصا ... من بعد أن أنشبن فى مخالبا

(وله أيضا من جملة قصيدة)

ولما التقينا والنوى ورقيبنا ... غفولان عنا ظلت أبكى وتبسم
فلم أر بدرا ضاحكا قبل وجهها ... ولم تر قبلى ميتا يتكلم

(الشريف الرضى)

وتميس بين مزعفر ومعصفر ... ومعنبر ومسك ومصندل ... هيفاء ان قال الشباب لها انهضى
قالت روادفها اقعدى وتمهلى ... وإذا سألت الوصل قال جمالها ... جودى وقال دلالها لا تفعلى

(ابن اسرائيل)

وعدت وصل والزمان مسوف ... حوراء ناظرها حسام مرهف ... نشوانة خصباء منهل ثغرها
در وريقتها سلاف قرقف ... وتخال بين البدر منها والنقا ... غصنا يميس به النسيم مهفهف
لا تحسبن الخلف شيمة مثلها ... وعدت ولكن الزمان يسوف ... يابانة قد أطلعت أغصانها
وردا جنيا باللواحظ يقطف ... وغزالة يحكى الغزالة وجهها ... ويعير ناظرها الحسام الاوطف
ما تأمرين لمغرم تسطو به ... اجفانك المرضى ولا تعطف ... قسما بوجهك هو صبح مشرق
وسواد شعرك وهو ليل مسدف ... ونهز غصن البان منك على النقا ... مالى أحد سواك تشوف

(ولنذكر) ان شاء الله تعالى فى هذا الباب نبذة من ملح النظام ورقائق الشعر من غير تبويب ولا ترتيب

(للشيخ شمس الدين بن البدوى)

ولما نأت سلمى وشط بها النوى ... وأيقنت انى بالغرام أذوب ... علقت باخرى غيرها متلاهيا
ليطفى ضرام فى الحشى ولهيب ... وكان هيامى والهوى وصبابتى ... لمن هو فى الأول إلى حبيب

(إلا فى المعنى) تلاهيب عنها فى الغرام بغيرها ... وقلت لقلبى هذا من زينب
وقبلت فاها مبردا لصبابتى ... فأضرمت نارا فى الحشا تتلهب
فكنت كمن هو غريقا بلجة ... تمسك بالموج الذى يتقلب

(وقال أيضا) سألت القلب هل ميل لليلى ... وهل عقد الفؤاد لها التفات
فقال الآن لا لكن تأنى ... فقلت الحب فيه تقلبات ... فان الحب يهجم بعد يأس
ويعتاد المحب تغيرات ... فلا تظهر لها يوما سلوا ... فتضحك التصابى الواردات
وترمى بالصدود وبالتجنى ... وتنحلك الوعود الكاذبات
فكن جلدا ولانك ذا لجاج ... فما يعنيك ان فات الفوات

(وقال البيطار) يقولون للذى أم عمرو قريبة ... دنت بك أرض نحوها وسماء
ألا أنما قرب الحبيب وبعده ... إذا هو لم يوصل اليه سواء

فسكت ثم قال أعيش ثلاثا وثمانين سنة فان هذا الشعر لكثير عزة وقد نظرت فلم أجد بينى وبينه نسبة فانى سنى وهو شيعى وطويل وهو قصير وشاعر ولست بشاعر وأنا سلمى وهو خزاعى وشامى وهو حجازى فلم يبق الا السن فاعيش مثله فكان كذلك انتهى (ومن ظريف مايحكى) أن الجاحظ قال عبرت يوما على معلم كتاب فوجدته فى هيئة حسنة وقماش مليح فقام إلى وأجلسنى معه ففاتحته فى القرآن فاذا هو ماهر ففاتحته فى شىء من النحو فوجدته ماهرا ثم أشعار العرب واللغة فاذا به كامل فى جميع مايراد منه فقلت قد رجعت على تقطيع دفتر المعلمين فكنت كل قليل أتفقده وأزوره فقال فأتيت بعض الأيام إلى زيارته فوجدت الكتاب مغلقا فسألت جيرانه فقالوا مات عنده ميت فقلت أروح أعزيه فجئت إلى بابه فطرقته فخرجت إلى جارية وقالت ما تريد قلت مولاك فقالت مولاى جالس وحده فى العزاء مايعطى لأحد الطريق قلت قولى له صديقك فلان يطلب يعزيك فدخلت وخرجت وقالت بسم الله فعبرت إليه فاذا هو جالس وحده فقلت أعظم الله أجرك لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة وهذا سبيل لابد منه فعليك بالصبر

نفسى هذا أول المناحس وقلت له سبحان الله تجد غيرها وتقع عينك على أحسن منها فقال وكأنى بك وقد ظننت انى رأيتها فقلت فى نفسى هذه منحسة ثانية ثم قلت وكيف عشقت من لا رأيته فقال أعلم انى كنت جالسا وإذا رجل عابر يغنى وهو يقول

يا أم عمر جزاك الله مكرمة
ردى على فؤادى أينما كانا

فقلت فى نفسى لولا أن أم عمر وهذه مافى الدنيا مثلها ما كان الشعراء يتغزلون فيها فلما كان بعد يومين عبر على ذلك الرجل وهو يغنى ويقول

إذا ذهب الحمار بأم عمر
فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت أنها ماتت فحزنت منذ ثلاثة أيام فقال الجاحظ فعادت عزيمتى وقويت على كتابة الدفتر لحكاية أم عمر (ومن غريب مايحكى) ماحكاه القاضى أبو على المحسن بن على التنوخى فى كتاب الفرج بعد الشدة أن منارة صاحب الخلفاء قال رفع إلى هرون الرشيد أن

(وقال غيره) وقالوا بع حبيبك وابغ عنه ... حبيبا آخر تحيا سعيدا
إذا كان القديم هو المصافى ... وخان فكيف آمن بالجديد

(وقال آخر) لم أنس إذ قلت من وجدى لها غلطا ... ووجهها مشرق فى حندس الظلم
سلوت عنك فقالت وهى ضاحكة ... لتقرعن على السن من ندم

(وقال آخر) أمن المروءة أن أبيت مسهدا ... قلقا أبل ملابسى بدموعى
وتبيت ريان الجفون من الكرى ... وأبيت منك بليلة الملسوع

(وقال آخر) إلى ان أشكو جور أهيف شادن ... وقمت فمالى من يديه خالص
جرحت بعينى خده وهو جارح ... بعينيه قلبى والجروح قصاص

(وقال آخر) قد كنت أسمع بالهوى فأكذب ... وأرى المحب بمايقول فأعجب
حتى رميت بحلوه وبمره ... من كان يتهم الهوى فيجرب

(وقال آخر) سألتها التقبيل من خدها ... عشرا ومازاد يكون احتساب
فمذ تلاقينا وقبلتها ... غلطت فى العدو ضاع الحساب

(وقال آخر) يامن سقامى من سقام جفونه ... وسواد حظى من سواد عيونه
قد كنت لا أرى الوصال وفوقه ... واليوم أقنع بالخيال ودونه

(وقال آخر) صبحته عند المساء فقال لى ... تهزى بقدرى أو تريد مزاحا
فأجبته اشراق وجهك غرنى ... حتى توهمت المساء صباحا

(أبو عبد الله الغواص)

من عذيرى من عذول فى رشا ... قامر القلب هواه فقمر
قمر تبقى منى حسنه ... وهواه غير مقلوب قمر

(وقال آخر) جاذبتها والريح تجذب برقعا ... من فوق خد مثل قلب العقرب
وطفقت ألثم ثغرها فتحجبت ... وتسترت عنى بقلب العقرب

(وقال آخر) لومت من كثرة الاشواق وانبدلت ... مدامعى بدم من كثرة السهر
مااخترت عنك سلواً لا ولا نظرت ... عينى لغير محيا وجهك القمر

(ابراهيم بن العباس)

تمر الصبا صفحا بساكن ذى الغضى ... ويسرع قلبى اذا يهب هبوبها
قريبة عهد بالحبيب وانما ... هوى كل نفس أين حل حبيبها

(وقال النوفلى) إذا اختلجت عينى من تحبه ... فدام لعينى ماحييت اختلاجها
وماذقت كاسا مذ علقت بحبها ... فأشربه إلا ودمعى مزاجها

(وقال آخر رحمه الله تعالى)

ياذا الذى زار ومازار * كأنه مقتبس نارا قام بباب الدار من تيهه * ماضره لودخل الدارا

(وقال آخر) ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى ... وأبحت منى ظاهرى لجليسى
فالكل منى للجليس مؤانس ... وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

(ابن نباتة) أناشده الرحمن فى جمع شملنا ... فيقسم هذا لايكون إلى الحشر
اذا ماغدا مثل الحديد فؤاده ... فو العصر إن العاشقين لفى خسر

رجلا بدمشق من بقايا بنى أمية عظيم المال كثير الجاه مطاع له فى البلدان جماعة وأولاد ومماليك وموال

(أمين الدين بن أبي الوفاء)

نازلا مني فؤادا رحلا ... ومن العجائب نازل في راحل
اضرمت قلب متيم أهلكته ... وسكنته والنار مثوى القاتل

(وقال آخر) ياعاذلي في هواه * إذا بدا كيف أسلو يمر بي كل وقت * وكلما مر يحلو

(الحاجبي) ملأت فؤادي من محبة فاتن ... أميل إليه وهو كالظبي رائغ
وقلت لقلبي قم لتعشق شادنا ... سواه فقال القلب ماأنا فارغ

(وقال ديك الجن) ولي كبد حرى ونفس كأنها ... بكف عدو مايريد سراحها
كأن على قلبي قطاة تذكرت ... على ظما وردا فهزت جناحها

(وقال عبد الله بن طاهر)

أقام ببلدة ورحلت عنه ... كلانا بعد صاحبه غريب
أقل الناس في الدنيا سرورا ... محب قد نأى عنه الحبيب

(وقال آخر) مااخترت ترك وداعكم يوم النوى ... والله لا مللا ولا لتجنب
لكن خشيت بأن أموت صبابة ... فيقال أنت قتلته فتقادى

(وقال ابن المعتز)

هب لعيني رقادها ... وانف عنها سهادها ... وارحم المقلة التي
كنت فيها سوادها ... كن صلاحها لها كما ... كنت دهرا فسادها

(وقال آخر) وقالوا دع مراقبة الثريا ... ونم فالليل مسود الجناح
فقلت وهل أفاق القلب حتى ... أفرق بين ليلى والصباح

(وقال آخر) ولي فؤاد إذا طال النزاع به ... طار اشتياقا إلى لقيا معذبه
يفديك بالنفس صب لو يكون له ... أعز من نفسه شيء فداك به

(وقال آخر) وماهجرتك النفس يامي أنها ... قلتك ولا أن قل منك نصيبها
ولكنهم ياأحسن الناس أولعوا ... بقول إذا ماجئت هذا حبيبها

(وقال الحارثي) اذا أنت لم تدفن بما صنع الهوى ... باهل الهوى فافقد حبيبا وجرب
ترى حرقات يلدغ القلب حرها ... بأنضج من كي الغضى المتلهب

(وقال الاقرع بن معاذ)

أقول لمفت ذات يوم لقيته * بمكة والانضاء ملقى رحالها * بحقك اخبرني أماتأثم التي
أضر بجسمي منذ مر خيالها * فقال بلى والله أو سيصيبها * من الله بلوى في الزمان تنالها

فقلت ولم أملك سوابق عبرة ... سريع على جيب القميص انهمالها
عفا الله عنها كل ذنب ولقيت ... مناها وان كانت قليلا نوالها

(وقال آخر) بالله ربكما عوجا على سكني ... وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضاني وقولا في حديثكما * ماضرلو بوصال منك تسعفه * فان تبسم قولا عن ملاطفة
ما بال عبدك بالهجران تتلفه * وان بدا لكما من سيدي غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

(وقال عبد الله بن أبي الشيص)

ومعروضة تظن الهجر فرضا تخال ... لحاظها للضعف مرضى
كأني قد قتلت لها قتيلا ... فمامني بغير الهجر ترضى

يركبون الخيول ويحملون السلاح ويغزون الروم وانه سمح جواد كثير البذل والضيافه وإنه لايؤمن من فتق يصدر تقه فعظم ذلك على الرشيد قال منارة وكان وقوف الرشيد على هذا وهو بالكوفة في بعض حججه في سنة ١٨٦ وقدعاد من الموسم وبايع للأمين والمأمون والمؤتمن أولاده فدعاني وهو خال وقال اني دعوتك لامر يهمني وقد منعني النوم فانظر كيف تعمل ثم قص على خبر الأموي وقال أخرج الساعة فقد أعددت لك الجائزة والنفقة والآله وتضم اليك مائة غلام واسلك البرية وهذا كتابي إلى أمير دمشق وهذه قيود فادخل فابدأ بالرجل فان سمع وأطاع فقيده وجئني به وان عصى فتوكل به أنت ومن معك وانفذ هذا الكتاب إلى نائب الشام ليركب في جيشه ويقبضوا عليه وجئني به وقد أجلتك لذهابك ستا ولمجيئك ستا وهذا محمل تجعله في شقة إذا قيدته وتقعد أنت في الشق الآخر ولاتكل حفظه إلى غيرك حتى تأتيني به في اليوم الثالث عشر من خروجك فاذا دخلت داره فتفقدها وجميع مافيها وأهله وولده وحشمه وغلمانه وقدر النعمة والحال والمحل واحفظ مايقوله الرجل حرفا بحرف من

ألفاظه من حين وقوع طرفك عليه إلى أن تأتيني به وإياك ان يشذ عنك شيء من أمره انطلق قال منارة فودعته وخرجت وركبت الابل وسرت أطوي المنازل أسير الليل والنهار ولا أنزل إلا للجمع بين الصلاتين قليلا إلى وتنفيس للنفس قليلا إلى أن وصلت دمشق في أول الليلة السابعة وأبواب البلد مغلقة فكرهت الدخول ليلا فنمت بظاهر البلد إلى أن فتح الباب فدخلت على هيئتي حتى أتيت دار الرجل وعليها صف عظيم وحاشيه كثيرة فلم استأذن ودخلت بغير إذن فلما رأى القوم ذلك سألوا بعض غلماني فقالوا هذا منارة رسول أمير المؤمنين إلى صاحبكم فلما صرت في صحن الدار انزلت ودخلت مجلسا رأيت فيه قوما جلوسا فظننت أن الرجل فيهم فقاموا ورحبوا بي فقلت أفيكم فلان قالوا لا نحن أولاده وهو في الحمام فقلت استعجلوه فمضى بعضهم يستعجله وأنا أتفقد الدار والأحوال والحاشية فوجدتها قد ماجت بأهلها موجا شديدا فلم أزل كذلك حتى خرج الرجل بعد أن طال واسترتبت به واشتد قلقي وخوفي من أن يتوارى إلى أن رأيت شيخا بزي الحمام يمشي في الصحن واليه جماعة كهول وأحداث وصبيان وهم أولاده وغلمانه فعلمت أنه الرجل فجاء حتى جلس فسلم على سلاماً خفيا

(وقال الحسين بن الضحاك)

بعضي بنار الهجر مات حريقا ... والبعض أضحى بالدموع غريقا
لم يشك شوقا عاشق فسمعته ... إلا ظننت ذلك المشوقا

(وقال آخر) ياويح من خبل الأحبة قلبه ... حتى إذا ظفروا به قتلوه
عزوا ومال به الهوى فأذله ... ان العزيز على الذليل يتيه
أنظر إلى جسد أضر به الهوى ... لولا تقلب طرفه دفنوه
من كان خلوا من تبريح الهوى ... فأنا الهوى وحليفه وأخوه

(وقال أحمد بن طاهر) تقول العاذلات تسل عنها ... وداو غليل صبرك بالسلو
فكيف ونظرة منها اختلاسا ... ألذ من الشماتة بالعدو

(وقال إسحق مولى المهلب)

حبيبي يامعذبتي أسأت ... وبالهجران قبلكم بدأت
فأين الفضل منك فدتك نفسي ... على إذا أسأت كما أسأت

(وقال أبو العتاهية) يقول أناس لو نعت لنا الهوى ... ووالله ماأدري لهم كيف أنعت
سقام على جسمي كثير موسع ... ونوم على عيني قليل مفوت
إذا اشتد مابي كان أفضل حيلتي ... له وضع كفي فوق خدي وأسكت

(وقال بشار) ياقرة العين اني لا أسميك ... أكنى بأخرى أسميها وأعنيك
أخشى عليك من الجارات حاسدة ... أوسهم غيران يرميني ويرميك
لولا الرقيبان إذ ودعته غاديه ... قبلت فاك وقلت النفس تفديك
ياأطيب الناس ريقا غير مختبر ... إلا شهادة أطراف المساويك
قد زرتنا مرة في الدهر واحدة ... بالله لاتجعليها بيضة الديك

(وقال آخر) ألم تعلمي ياأحسن الناس إنني ... أحبك حبا مستكنا وباديا
أحبك مالو كان بين قبائل ... من الناس أعداء لجر التصافيا

(وقال آخر) أقول لشادن في الحسن أضحى ... يصيد بطرفه قلب الكمي
ملكت الحسن أجمع في نصاب ... فأد زكاة منظرك البهي
وذاك بأن تجود لمستهام ... برشف من مقبلك الشهي
فقال أبو حنيفة لي أمام ... يرى أن لازكاة على الصبي

(وقال آخر) سقى الله ربعا كنت أخلو بوجهكم ... وثغر المغاني روضة الحسن ضاحك
أقمنا زمانا والعيون قريرة ... وأصبحت يوما والجفون سوافك

(وقال آخر) ألم تعلمي ياعذبة الماء أنني ... أظل إذا لم أسق ماءك صاديا
ومازلت بي يابين حتى لو أنني ... من الوجد أستبكي الحمام بكى ليا

(أبو العباس الشهير بالنفيس)

ياراحلا وجميل الصبر يتبعه ... هل من سبيل الى لقياك يتفق
ماأنصفتك جفوني وهي دامية ... ولا وفى لك قلبي وهو يحترق

(الوزير ظهير الدين الملقب بأبي شجاع)

لأعذبن العين غير مفكر ... فيها بكت بالدمع أوفاضت دما
ولأهجرن من الرقاد لذيذه

حتى يعود على الجفون محرما　هى اوقعتنى فى حبائل فتنة　لولم تكن نظرت لكنت مسلما

سفكت دمى فلأسعجن دموعها　وهى التى بدأت فكانت أظلما

وقال العتبى: أضحت بخدى للدموع رسوم　أسفا عليك وفى الفؤاد كلوم

والصبر يحمد فى المواطن كلها　إلا عليك فانه مذموم

الرفاء الأندلسى: ومهفهف كالغصن إلا أنه　تتحير الألباب عند لقائه

أضحى ينام وقد تكلل خده　عرقا فقلت الورد رش بمائه

وقال آخر: أخضر وأصفر لاعتلال　فصار كالنرجس المضعف　كأن نسرين وجنتيه

بشعر　أصداغه　مغلف　يرشح منه الجبن ماء　كأنه لؤلؤ　منصف

وقال آخر: مازال ينهل من صف الطلا قرى　حتى غدت وجنتاه من البيض كالشفق

وقام يخطر والأرداف تقعده　طورا وحاول أن يسعى فلم يطق　فمائل فعلت فعل الشمول به

فعل النسيم بغصن البانه الورق　جاذبته لعناق فانثنى خجلا　وكللت وجنتاه الحمر بالعرق

وقال لى بفتور من لواحظه　ان العناق حرام قلت فى عنق

وقال آخر: بأركان هذا البيت إنى لطائف　وفى الكون أسرار وفيه لطائف

رعى الله أياما وناسا عهدتهم　جيادا ولكن الليالى صيارف　وبى ذهبى اللون صيغ لمحنتى

يريد امتحاناتى وما أنا زائف　يذيب فؤادا وهو لاغش عنده　فاذهبى اللون إنك خائف

وقال آخر: أسنى ليالى الدهر عندى ليلة　لم أخل فيها الكاس من أعمالى

فرقت فيها بين جفنى والكرى　وجمعت بين القرط والخلخال

ومما قيل فى الرقباء: لوأن لى فى الحب أمرا نافذا　وملكت بسط الأمر فى التعذيب

لقطعت ألسنة العواذل كلها　ولكنت أقلع عين كل رقيب

وقال عرابى: بسهم الحب كلهم فى فؤادى　ولا كالكلم من عين الرقيب

تمكن ناظراه به وأضحى　مكان الكاتبين من الذنوب　ومن حذر النقيب إذا التقينا

تسلم كالغريب على الغريب　ولولا تشاكينا جميعا　كما يشكو المحب إلى الحبيب

وقال آخر: من عاش فى الدنيا بغير حبيب　لحياته فيها حياة غريب

عين الرقيب غرقت فى البحر العمى　لا أنت لا بل عين كل رقيب

وقال آخر بن أبى سلمة: يعذلنى فيه جميع الورى　كأننى جئت بأمر عجيب

أظن نفسى لو تعشقتها　بليت فيها بملام الرقيب

وأنا غريب فلا ألام على البكا　ان البكا حسن بكل غريب

وقال آخر: وما فارقت سعدى عن قلاها　ولكن شقوة بلغت مداها

بكيت نعم بكيت وكل الف　اذا بانت حبيبته بكاها

وقال آخر: وقائلة ما بال دمعك أبيض　فقلت لها يا علو هذا الذى بقى

ألم تعلمى أن البكا طال عمره　فشابت دموعى عند ماشاب مفرقى

وعما قليل لادموع ولادما　ولم يبق إلا لوعتى وتحرقى

(وقال آخر) ولم أر مثل غار من طول ليله　عليه لأن الليل يعشقه معى

ومازلت أبكى فى دجى الليل صبوة　من الوجد حتى ابيض من فيض أدمعى

(وقال آخر)　رجوت طيف خيال　وكيف لى بهجوع

وسألنى عن أمير المؤمنين واستقامة أمر حضرته فأخبرته كما وجب وماقضى كلامه حتى جاؤا باطباق فاكهة فقال تقدم يامنارة فكل معنا فقلت مالى إلى ذلك من حاجة فلم يعاودنى وأقبل يأكل هو ومن عنده ثم غسل يديه ودعا بالطعام فجاؤا بمائدة عظيمة لم أر مثلها إلا للخليفة فقال تقدم يامنارة فساعدنا على الأكل لايزيدنى على أن يدعونى باسمى كما يدعونى الخليفة فامتنعت عليه فما عاودنى وأكل هو ومن عنده وكانوا تسعة من أولاده فتأملت أكله فى نفسه فوجدته أكل الملوك ووجدت جأشه رابضا وذلك الاضطراب الذى فى داره قدسكن ووجدتهم لايرفعون من بين يديه شيأ قد وضع على المائدة الانهبا وقد كان غلمانه أخذوا المال لما نزلت الدار جمالى جمع غلمانى بالمنع من الدخول فما أطاقوا ممانعتهم وبقيت وحدى ليس بين يدى إلا خمسة أو ستة غلمان وقوف على رأسى فقلت فى نفسى هذا جبار عنيد وان امتنع على من الشخوص لم أطق أشخاصه بنفسى ولا بمن معى ولا أطيق حفظه إلى أن يلحقنى أمير البلد فجزعت جزعا شديدا ورابنى منه استخفافه بى فى الأكل ولا يسألنى عما جئت به ويأكل مطمئنا وأنا مفكر فى ذلك فلما فرغ من أكله وغسل يديه دعا ببخور فتبخر وقام

إلى الصلاة فصلى الظهر وأكثر من الدعاء والابتهال فرأيت صلاته حسنة فلما انتقل من المحراب أقبل علي وقال ماأندمك

باهنارة فقلت أمرلك من أمير المؤمنين وأخرجت الكتاب ودفعته اليه فقرأه فلما استتم قراءته دعا

والذاريات جفونى	والمرسلات دموعى
(وقال آخر) يانازح الطيف من نوى يعاودنى	فقد بكيت لفرط النازحين دما
أوجبت غسلا على عينى بأدمعها	فكيف وهى التى لم تبلغ الحلماء
(وقال آخر) ارحم وجمت للوعتى	وابعث خيالك فى الكرى
ودموع عينى لا تسل	عن حالها ياما جرى
(وقال آخر) أملت أن تتعطفوا بوصالكم	فرأيت من هجرانكم مالا أرى
وعلمت أن فراقكم لابد أن	يجرى به دمعى دما وكذا جرى
(وقال آخر) ان عينى مذغاب شخصك عنها	يأمر السهد فى كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادى	لاتسل ماجرى على الخد منها
(وقال آخر) يقولون لى والدمع قرح مقلتى	بنار أسى من حبة القلب تقدح
(وقال البدر الذهبى) قالوا تباكى بالدموع ومابكى	بدم على عيش تصرم وانقضى
فأجبتهم هو من دمى لكنه	لما تصاعد صار يقطر أبيضا

(قال ابن مطروح فى الغيرة)

ولو أمسى على تلفى مصرا	لقلت معذبى بالله زدنى
ولا تسمح بوصلك لى فانى	أغار عليك منك فكيف منى
(وقال آخر) أغار عليك من نظرى ومنى	ومنك ومن مكانك والزمان
ولو أنى خبأتك فى جفونى	إلى يوم القيامة ماكفانى

(المظفر بن عمر الآمدى)

قلت للذين جفونى إذا لهجت بهم	دون الأنام وخير القول أصدقه
أحبكم وهلاكى فى محبتكم	كعابد النار يهواها وتحرقه
(وقال غيره) لم أنس أيام الصبا والهوى	لله أيام النجا والنجاح
ذلك زمان مر حلو الجنى	ظفرت فيه بحبيب وراح
(الشريف الرضى) عللانى بذكركم واسقيانى	وامزجا لى دمعى بكأس دهاق
وخذا النوم من جفونى فانى	قد خلعت الكرى على العشاق
(وقال آخر) قالوا أترقد مذغبنا فقلت لهم	نعم واشفق من دمعى على بصرى
ماحق طرف هدانى نحو حسنكم	أنى أعذبه بالدمع والسهر
(عز الدين الموصلى) فسدت لطول بعادكم أحلامنا	وعقولنا وجفا الجفون منام
واللطيف قد وعد الجفون بزورة	ياحبذان ان صحت الأحلام

(ومما قيل فى السهر وطول الليل ونحو ذلك) قال الشاعر

ورب ليل سهرناه وقد طلعت	بقية البدر فى أولى تسايره
كأنما أدهم الظلماء حين نجى	من أشهب الصبح التى نعل حافره
(وقال آخر) ليل المحبين مطوى جوانبه	مشمر الذيل منسوب إلى القصر

أولاده وحاشيته فاجتمع منهم خلق كثير فلم أشك أنه يريد أن يوقع بى فلما تكاملوا ابتدأ لحلف إيمانا غليظة فيها الطلاق والعتاق والحج وأمرهم أن ينصرفوا ويدخلوا منازلهم ولا يجتمع منهم اثنان فى مكان واحد ولا يظهروا إلى أن يظهر لهم أمر يعملون عليه وقال هذا كتاب أمير المؤمنين يأمرنى بالتوجه ولست أقيم بعد نظرى فيه لحظة واحدة فاستوصوا بمن ورائى من الحرم خيرا ومابى حاجة من أن يصيبنى غلام هات قيودك يامنارة فدعوت بها وكانت فى سفط فأحضر حدادا فمساقيه فقيدته وأمرت غلمانى بحمله فى المحمل وركبت فى الشق الآخر وسرت من وقتى ولم ألق أمير البلد ولا غيره فسرت بالرجل ليس معه أحد إلى أن صرنا بظاهر دمشق فابتدأ يحدثنى بانبساط حتى انتهينا إلى بستان حسن فى الغوطة فقال لى ترى هذا قلت نعم قال أنه لى وقال أن فيه من غرائب الأشجار كيت وكيت ثم انتهى إلى آخر فقال مثل ذلك ثم انتهى إلى مزارع حسان وقرى سنية وقال هذه لى فاشتد غيظى منه فقلت له أعلم أنى شديد التعجب منك قال ولم تعجب قلت أليس تعلم أن أمير المؤمنين قد أهمه أمرك حتى أرسل اليك من انتزعك من

ماذاك إلا لأن الصبح تم بنا   فاطلع الشمس من غيظ على القمر

(وقال غيره) فلم أر مثل ليل ذوى التصافى   وكل يشتكيه بكل حال

فيشكو طوله أهل التجافى   ويشكو قصره أهل الوصال

(قال آخر) ليلى وليلى سواء فى اختلافهما   قد صيرانى جميعا فى الهوى مثلا

يجود بالطول ليلى كلما بخلت   يا لطول ليلى وان جادت به بخلا

(قال آخر) ان الليالى للانام مناهل   تطوى وتنشر بينها الأعمار

فقصارهن مع الهموم طويلة   وطوالهن مع السرور قصار

(وقال غيره) رب ليل لم أذق فيه الكرا   حظ عينى فيه دمع وسهر

كلما هيج ليلى حرقى   صحت بالليل أما فيك سحر

(قال آخر) يا ليل طل أولا تطل   لا بد لى من سهرك   لو بات عندى قمرى   ما بت أرعى قمرك

(وقال بشار بن برد)

خليلى ما بال الدجى لا يزحزح   وما بال ضوء الصبح لا يتوضح

أضل اليها المستنير طريقه   أم الدهر ليل كله ليس يبرح

(وقال آخر) كان الثريا بازاحة تشير الدجى   ليعلم طال الليل أم قد تعرضا

فليلى تراه بين شرق ومغرب   يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

(وقال ابن منقذ) لما رأيت النجم ساه طرفه   والقطب قد التى عليه سباتا

وبنات نعش فى الحداد سوافر   أيقنت أن صاحبهم قد ماتا

(وقال آخر فى ليلة ممطرة)

أقول والليل فى امتداد   وأدمع الغيث فى انسفاح

أظن ليلى بغير شك   قد بات يبكى على الصباح

(ومما جاء فى الأشعار الخمرية قول صفى الدين الحلى)

بدت لنا الراح فى تاج من الحبب   فخرجت حلة اللماء باللهب

بكر إذا زوجت بالماء أولدها   أطفال در على مهد من الذهب

بقية من بقايا قوم نوح إذا   لاحت جلت ظلم الأحزان والكرب

بعيدة العهد بالمعصار لو نطقت   لحدثتنا بما فى سالف الحقب   باكرتها برفاق قد ذهت بهم

قبل السلاف سلاف العلم والأدب   بكل متشح بالفضل مؤتزر   كان لفظه ضربا من الضرب

بل رب ليل غدا فى الاهاب غدت   تنقض فيه كئوس الراح كالشهب

بذلت عقلى صداقة حين بت به   أزوج ابن سحاب بابنة العنب

بتنا بكاساتها صرعى ومطربنا   يعيد أرواحنا من شدة الطرب

بعث ألم فلم نعلم لفرحتنا   من نفخة الصور أم من نفخة القصب

بروضة طل فيها الطل أدمعه   والزهر مبتسم عن ثغره الشنب

(وقال أيضا) تاب الزمان من الذنوب فوات   واغنم لذيذ العيش قبل فوات

ثم السرور فقم بنا ياصاحبى   نستدرك الماضى بنهب الآتى   توج بكاسات الصلا هام الربا

بين أهلك ومالك وولدك واخرجك عن جميع مالك فريدا وحيدا مقيدا ماندرى إلى مايصير اليه أمرك ولا كيف يكون
وأنت فارغ القلب من هذا تصف ضياعك وبساتينك هذا وقد رأيتك وقد جئت وأنت لا تعلم فيم جئت
وأنت ساكن القلب قليل الفكر لقد كنت عندى شيخا فاضلا فقال لى مجيبا إنا لله وإنا اليه راجعون أخطأت فراستى فيك ظننتك رجلا كامل العقل وانك ماحللت من الخلفاء هذا المحل إلا بعد أن عرفوك بذلك فأنا والله رأيت عقلك وكلامك يشبه كلام العوام وعقلهم والله المستعان أما قولك فى أمير المؤمنين وازعاجه واخراجه إياى إلى بابه على صورتى هذه فانى على ثقة من الله عز وجل الذى بيده ناصيتى ولا يملك أمير المؤمنين لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا إلا باذن الله ومشيئته ولا ذنب لى عنده أمير المؤمنين أخافه وبعد فاذا عرف أمرى وعلم سلامتى وصلاحى وبعد ناحيتى وان الحسدة والأعداء رمونى عنده بما ليس فى وتقولوا على الاباطيل الكاذبة لم يستحل دمى وتحلل من أذاى وازعاجى وردنى مكرما واقامنى ببابه معظما وإن كان سبق فى علم الله عز وجل أنه يبدر إلى منه بادرة سوء وقد حضر أجلى وكان سفك دمى على يده فلو اجتمعت الإنس والجن والملائكة وأهل الأرض وأهل السماء فى
على صرف ذلك عنى ما استطاعوا . فلم أتعجل الغم وأتسلف الفكر فيما قد فرغ الله منه وإنى حسن الظن بالله عزوجل الذى

خلق ورزق وأحيا وأمات وأحسن وأجمل وإن الصبر والرضا والتفويض والتسليم الى من يملك الدنيا والآخرة أولى
وقد كنت أحسب أنك تعرف هذا فاذا عرفت مبلغ فهمك فانى لا أكلمك بكلمة واحدة حتى نفرق حضرة أمير المؤمنين بيننا إن شاء الله تعالى قال ثم أعرض عنى فما سمعت منه لفظة غير القرآن والتسبيح أو حاجة أو ما يجرى مجراها حتى شارفنا الكوفة فى اليوم الثالث عشر بعد الظهر والنجب قد استقبلتنى على فراسخ من الكوفة يتجسسون خبرى فحين رأونى رجعوا عنى بالخبر إلى أمير المؤمنين فانتهينا إلى الباب آخر النهار فحططت ودخلت على الرشيد فقبلت الأرض بين يديه ووقفت فقال هات ماعندك ياعمارة وإياك أن تغفل منه لفظة واحدة فسقت الحديث من أوله إلى آخره حتى انتهيت الى ذكر الفاكهة والطعام والغسل والبخور والصلاة وما حدثت به نفسى من امتناعه والغضب يظهر فى وجه الرشيد ويتزايد حتى انتهيت الى فراغ الاموى من الصلاة والتفاته ومسئلته عن سبب قدومى ودفعى الكتاب اليه ومبادرته الى احضار ولده وأهله وحلفه عليهم أن لايتبعه أحد منهم وصرفه اياهم ومده رجليه حتى قيدته فمازال وجه الرشيد يسفر حتى انتهيت الى خاطبنى ما به عند توبيخه إياى لما ركبنا المحمل قال صدق والله ماهذا الارجل محسود على النعمة مكذوب عليه ولعمرى لقد أزعجناه وآذيناه وروعنا أهله فبادر بنزع قيوده عنه وائتنى به قال فخرجت

في روضة مطلولة الزهرات تغدر سلاف القطر دائرة بها والكاس دائرة بكف سقاة
تلف النضارة على العقار غنيمتى وفراغ راحاتى على الراحات تركى لا كياس النضارة جهالة
من ذا أحق بها من الكاسات تبت يدا من تاب عن رشف الطلا والكاس متقد كخد فتاة

تابع الى اوقاتها داعى الصبا وأجب لما فيها من الآيات
تمم بها نقص السرور فانها عند الكرام تتمة اللذات

(وقال أيضا) حى الرفاق وطف بكاس الراح واطرز بكاسك حلة الافراح
حث الكؤوس على جسوم أصبحت فيها المدام شريكة الارواح
حاش الانام وعاطنى مشمولة ظنت فسادى وهى عين صلاحى
حمراء لو ترك السقاة مزاجها أغنى تلألؤها عن المصباح

حبب نظل به الكئوس كأنها خصر الفتاة ممنطق بوشاح حجب الحباب شعاعها فكأنه
شفق تلهب تحت ذيل صباح حكم الزمان وغض عنا طرفه ياصاح لاتقنع بأنك صاح

(وقال آخر) قد قلت إذا أضحى يعبس كلما دارت عليه بالمدام الاكؤس
تالله ما أنصفتها ياسيدى تأتيك باسمة وأنت تعبس

(عز الدين الموصلى)

لئن شبه مساق المدام بمسجد فقد مال بالتشبيه عن صيغة الأدب
ولكن رآها جوهرا سميت فميز ما قد حلت الكاس بالذهب

(يزيد بن معاوية)

وشمسة كرم برجها قعر دنها وطلعتها الساقى ومغربها فمى
مدام كتبر فى إناء كفضة وساق كبدر مع ندامى كانجم

(وقال آخر) كأن الندامى والسقاة ودننا وكاسا نتافى الروض تملى ونشرب
شموس وأقمار وفلك وأنجم ونور ونوار وشرق ومغرب

(وقال آخر) فكأنها وكأن حامل كأسها إذا قام يجلوها على الندماء
الشمس الضحى رقصت فنقط وجهها بدر الدجى بكواكب الجوزاء

(وقال كشاجم)

صدح الديك فى الدجى فاسقنها خمرة تترك الحليم سفيها
لست أدرى من رقة وصفاء هى فى الكاس أم هو الكاس فيها

(كمال الدين بن النبيه)

قم ياغلام ودع مقالة من نصح فالديك قد صدع الدجى لما صدح خفيت تباشير الصباح فاسقنى
ما ضل فى الظلماء من قدح القدح صهباء مالمعت بكف مديرها لمقطب إلا تهلل وانشرح
تالله مامزج المدام عانها لكنه مزج المسرة بالفرح هى صفوة الكرم الكريم فهات
سراؤها فى باطن الاسمح كف فتان اللحاظ بوجهه عذر لمن خلع العذار أو انتضح
(وقال غيره) وليلة أوسعتنى حسنا وطوا وأنسا مازلت ألثم بدرا بها وأشهد شمسا

فنزعت قيوده وادخلته إلى الرشيد فما هو الا ان رآه حتى رأيت ماء الحياء يجول فى وجه الرشيد فسأله عن حاله ثم قال بلغنا عنك فضل هيئة وأمور

أحببنا معها أن نراك ونسمع كلامك ونحسن اليك فاذكر حاجتك فأجاب الأموى جوابا جيلا وشكر ودعا فقال مالى الاحاجة واحدة قال مقضية ماهى قال يا أمير المؤمنين تردنى الى بلدى وأهلى وولدى قال نحن نفعل ذلك ان شاء الله تعالى ولكن سل ماتحتاج اليه فى مصالح جاهك ومعاشك فان مثلك لايخلو ان يحتاج إلى شيء من هذا فقال عمال أمير المؤمنين منصفون وقد استغنيت بعدله عن مسئلته فأمورى منتظمة وأحوالى مستقيمة وكذلك أمور أهل بلدى بالعدل الشامل فى ظل أمير المؤمنين فقال الرشيد انصرف محفوظا الى بلدك واكتب الينا بأمر إن عرض لك فودعه فلما ولى خارجا قال الرشيد يا مشارة احمله من وقتك وسربه راجعا الى أهله كما جئت به حتى إذا أوصلته الى محله الذى أخذته منه فدعه فيه وانصرف ففعلت والله أعلم وحكى فى الكتاب المذكور قال حدثنى أبو الربيع سليمان بن داود قال كان فى جوار القاضى

(عبد الله بن محمد العطار وقيل يزيد بن معاوية)

وكاس برينا آية الصبح فى الدجى ... فأولها شمس وآخرها بدر
مقطبة مالم يرها مزاجها ... فان جاءها جاء التبسم والبشر
فياعجبا للدهر لم يخل مهجة ... من العشق حتى الماء يعشقه الخمر

(قال ابن تميم)

وليلة بت اسقى من غياهبها ... راحا تسل شبابى من يد الهرم
مازلت أشربها حتى نظرت الى ... غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

(ابن مكانس) نزل الطل بكره • وتوالى تجداد • والندامى تجمعوا • فاجل كاسى على الندى

(الشيخ شهاب الدين الحجازى)

كاسنا ياصاح صرفا • جليت بين الندامى ... لم نجد ماء لمزج • فقنعنا بالندامى

(صفى الدين الحلى) كيف لاتخضع العقول لديها ... وهى سلطان سائر المسكرات
الفوا فى الكؤس إذا مزجوها ... بين ماء الحيا وماء الممات

(غيره) صبها فى الكاس صرفا غلبت ضوء السراج ... ظنها فى الكاس نارا فطفاها بالمزاج

(مجد الدين بن تميم)

نديمى لاتسقنى • سوى الصرف فهو المنى ... ودع كاسها اطلسا • ولاتسقنى مع دنى

(تقى الدين بن حجة)

حيابها عاصرها فى كاسها ... مشرقة باسمة كالثغر
وقال هذى تحفة فى عصرنا ... قلت اسقينها يا إمام العصر

(أبو الطيب المتنبى)

يا صاحبى امزجا كأس المدام لنا ... كيما يضىء لنا من افقها الغسق
خمرا إذا ماندىمى هم يشربها ... أخشى عليه من اللألاء يحترق
لوراح يحلف ان الشمس ماغربت ... فى فيه كذبه فى وجهه الشفق

(وقال آخر) بنت كرم يتموها أمها ... وأهانوها بدوس بالقدم
ثم داروا حكموها فيهم ... ويلهم من جور مظلوم حكم

(وقال آخر) عناقيد على قصب تدلت ... حكى منظومها عقد اللآلى
إذا عصرت بدا فى الكاس منها ... والى قد تربت فى دوالى

(برهان الدين المعمار) باكر لكرم العنب المجتنى ... واستجنه من عبد عناية
واعصره واستخرج لنا ماءه ... لكى تزيل الهم عنا به

(جولان العاذلى) إذا ما الخمر فى الكاسات صبت ... رأيت لها شموسا فى بروج
وإن جليت على الندمان يوما ... نزحت الهموم على الخروج

(وقال فى الشراب المطبوخ)

يامن يعذب ماء الكرم يحرقه ... بالنار فى أى شيء تظلم الصبا
ان التى طبختها الشمس أنفع لى ... ولست أخسر لاقدرا ولا حطبا

قدما رجل انتشرت عنه حكاية وظهر فى يده مال جليل بعد فقر طويل وكنت أسمع أن أبا عمر حماه من السلطان* فسأله عن الحكاية فأطرق طويلا ثم حدثنى قال ورثت مالا جزيلا فأسرعت فى اتلافه وأتلفته حتى أفضيت الى قال)

بيع أبواب داري وسقوفها ولم يبق لي حيلة وبقيت مدة لاقوت لي إلا من بيع والدتي لما تغزله وتطعمني وتأكل منه فتمنيت الموت فرأيت ليلة في منامي كأن قائلا يقول لي غناك بمصر فاخرج إليها فبكرت إلى (١٨٩) دار أبي عمر القاضي وتوسلت إليه بالجوار وبالخدمة وكان أبي قد خدمه أياما وسألته أن يزودني كتبا إلى مصر لأتصرف فيها ففعل وخرجت فلما حصلت بمصر أوصلت الكتب وسألت التصرف فسد الله على باب الرزق حتى لم أظفر بتصرف ولا لاح لي شغل ونفدت نفقتي فبقيت متفكرا في أن أسأل الناس فلم أستقبح المسئلة ولم يحملني الجوع عليها وأنا ممتنع إلى أن مضى من الليل صدر صالح فلقيني الطائف فقبض علي ووجدني غريبا فأنكر حالي فسألني فقلت رجل ضيف فلم يصدقني وبطحني وضربني مقارع فصحت وقلت أنا أصدقك فقال هات فقصصت عليه قصتي من أولها إلى آخرها وحديث المنام فقال ما رأيت أحمق منك والله لقد رأيت منذ كذا وكذا سنة في النوم كأن رجلا يقول لي ببغداد في الشارع الفلاني في المحلة الفلانية قال فذكر شارعي ومحلتي وأصغيت فتم الشرطي الحديث فقال دار يقال لها دار فلان فذكرت داري واسمي وفيها بستان وفيه سيدرة تحتها مدفون ثلاثون ألف دينار فامض وخذها فما فكرت في هذا الحديث ولا التفت إليه وأنت يا أحمق فارقت وطنك وجئت إلى مصر بسبب منام قال فقوي قلبي وأطلقني والطائف

(وقال أيضا) وعتيقة رقت وراق مزاجها لطفا وأنحلها الزمان الغابر
لم يبق منها غير نور ساطع لا يستطيع يجول فيه الناظر
ترنو إليك من الحباب بأعين خلقت ولم تخلق لهن محاجر

(وقال غيره) لا تعصرن زبيبا واعتصر عنبا فبين هذين فرقنا بتصريح
هذا من الحي الأحياء معتصر وذاك يعصر من جسم بلا روح

(وقال غيره) عابوا علي مداما • أخرتها لصبوحي واستنكروها وقالوا • تحللت قلت روحي

(وقال آخر في الشراب على الرعد والبرق)

أما ترى الرعد بكى فاشتكى والبرق قد أومض فاستضحكا فاشرب على غيم كصبغ الدجى
أضحك وجه الروض لما بكى وانظر لماء النيل في مده كأنه صندل أول مصطكا

(وقال آخر) يا ليلة جمعت لنا الأحبابا لو شئت دام لنا النعيم وطابا
بتنا بها نسقى سلافا قرقفا يذر الصحيح بعقله مرتابا
من كف غانية كأن بنانها من فضة قد قمعت عنابا

(وقال آخر) أما ترى الغيث كالباكي بنانها والأرض تضحك والأزهار في فرح
فقم فديتك نشكو ما نكابده من الزمان وما نلقى إلى القدح

(ابن نباتة) أما ترى الليل قد ولت غياهبه وعارض الفجر بالاشراق قد طلعا
فاشرب على وردة وردية قدمت كأنها خد ريم ريم فامتنعا

(ومن شعر عضد الدولة) طربت إلى الصبوح مع الصباح وشرب الراح والغرر الملاح
وكان الثلج كالكافور نثرا وناري بين نارنجي وراحي فشمومي ومشروبي وناري
وثلجي والصباح مع الصباح لهيب في لهيب في لهيب صباح في صباح في صباح

(ابن وكيع) وصفراء من ماء الكروم كأنها فراق عدو أو لقاء صديق
كأن الحباب المستدير بطوقها كواكب در في سماء عقيق
صببت عليها الماء حتى تعوضت قميص بهار من قميص شقيق

(وقال آخر) وحمراء قبل المزج صفراء بعده أتت بين ثوبي نرجس وشقيق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

(وقال آخر) إذا الكروان صاح على الرمال وحل البدر في برج الكمال
وجعد وجه بركتنا هبوب تمر به الجنوب مع الشمال وحركت الغصون فشابهتها
قدود سقاتنا في كل حال فهات الكاس مترعة وغني أبادر لذتي قبل ارتحالي
فكل جماعة لاشك يوما يرق بينهم صرف الليالي

(وقال آخر في الشراب على الغيم)

أرى غيم تؤلفه جنوب ويوشك أن يوافقنا بهطل
فوجه الرأي أن تدعو برطل فنشربه وتدعو لي برطل

(وقال آخر) فيا بكر باكر بكرة بكر كرمة تفز ببكور باكرتك بها بكر
ودا وخمار الخمر بالخمر إنما دواء خمار الخمر من دائها الخمر

فبت في مسجد وخرجت من الغد من مصر وقدمت بغداد فقلعت السدرة وأثرت مكانها فوجدت جرابا فيه ثلاثون ألف درهم فأخذتها وأمسكت يدي ودبرت أمري وأنا أعيش من تلك الدنانير ومن ما ابتعته منها من ضياع وعقار الى الآن (وحكى القاضي أبو علي المحسن بن علي التنوخي في كتابه في أخبار المذاكرة ونشوار المحاضرة) قال حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن فهمه قال حدثني بعض الكتاب قال سافرت أنا وجماعة من أصدقائي نريد مصر للتصرف فلما حصلنا بدمشق وكان معنا عدة بغال عليها ثقل غلمان لنا ونحن على دوابنا أقبلنا نخترق الطرق لا ندري أين ننزل فاجتزنا برجل شاب حسن الوجه جالس على باب دار شاهقة وبناء فسيح وغلمان بين يديه فقام الينا وقال أظنكم سفرا وردتم الآن فقلنا نحن كذلك قال فتنزلون علينا وألح علينا فاستحيينا من محله وحسن ظاهره وهيئته فحططنا على بابه ودخلنا وأقبل أولئك الغلمان يحملون ثقلنا ويدخلونه الدار ولا يدخلون أحدا من غلماننا يخدمنا حتى حلوه بأسره في أسرع وقت وجاؤنا بالطسوت والأباريق فغسلنا وجوهنا وأجلسونا في مجلس حسن مفروش بأنواع الفرش التي لم نر مثلها وإذا الدار في نهاية الحسن والفخر والكبر وفيها دور وبستان عظيم وصاحب الدار يخدمنا بنفسه وعرض علينا الحمام فقلنا نحن اليه محتاجون فأدخلنا الى الحمام في الدار في غاية السرور ودخل الينا غلامان أمردان وصبيا في نهاية

قلت

(وقال الصنوبري) لا تبكين على الاطلال والدمن ولا على منزل أقوى من السكن
وقم بنا نصطبح صهباء صافية تنفي الهموم ولا تبقي على الحزن بكرا معتقة عذراء واضحة
تبدو فتخبرنا عن سالف الزمن حمراء مروقة صفرا فاقعة كانما مزجت من طرفك الوسني
يسعى بها غنج في خده ضرج في ثغره فلج ينمى الى اليمن في ريقه عسل قلبي به خبل
في مشيه ميل أربى على الغصن كأنه قمر ماشله بشر في طرفه حور يرنو فيجري حتى
سبحان خالقه ياويح عاشقه يهدي لرامقه صنفا من الشجن في روضة زهرت بالنبت قد حسنت
كانها فرشت من وجهه الحسن طيب مجلسنا والطير يطربنا والعود يسعدنا مع منشد لسن

(كمال الدين بن النبيه)
طالب الصبوح لنا فهاك وهات واشرب هنيأ يا أخا اللذات كم ذا التواني والزمان مساعد
والدهر سمح والحبيب مواتي قم واغتبق من شمس كاسك واصطبح بكواكب طلعت من الكاسات
حمراء صافية توقد نورها فعجبت للنيران في الجنات ينسل في قار الظروف حبابها
والدر مجتلب من الظلمات عذراء واقعها المزاج أما ترى منديل عذرتها بكف سقاه
يسعى بها عبل الروادف أهيف خنث الشمائل شاطر الحركات يهوى فتسبقه ذوائب شعره
ملتفة كأسا ود الحيات لو قسمت أرزاقنا بيمينه عدل الزمان على ذوي الحاجات

(وقال أيضا) * باكر صبوحك أهنى العيش باكره فقد ترنم فوق الايك طائره
والليل تجري الدراري في مجرته كالروض تطفو على نهر أزاهره وكوكب الصبح نجاب على يده
مخلق تملا الدنيا بشائره فانهض الى ذوب ياقوت لها حبب تنوب عن ثغر من تهوى جواهره
حمراء من وجنة الساقي لها شبه فهل جناها من المنقود عاصره ساق تكون من صبح ومن غسق
فابيض خداه واسودت غدائره بيض سوالفه لعس مراشفه نعس نواظره خرس أساوره
الفاتر الثغر معسول اللمى غنج مؤنث الجفن فحل اللحظ شاطره مهفهف القد يبدي جسمه ترفا
مخصر الخصر عبل الردف وافره تعلمت بأنه الوادي شمائله وزورت سحر عينيه جآذره
كأنه بسواد اللحظ مكتحل وركبت فوق صدغيه محاجره فلو رأت مقلتا هاروت آيته الـ
كبرى لآمن بعد الكفر ساحره خذ من زمانك ما أعطاك مغتنما وأنت ناه لهذا الدهر آمره
فالعمر كالكاس تستحلي أوائله لكنه ربما مرت أواخره
وأجسر على فرص اللذات محتقرا عظيم ذنبك ان الله غافره

(وقال آخر) شربنا بالبواطي ثم رحنا نملل بالكؤس وبالقناني
ولا ضيفة الاجرام قلنا لساقيها أدرها بالدنان

(برهان الدين القيراطي) أرى جرار الخمر تعلو وقد عزت وبالافلاس حالي عجيب
جئنا لخمار وقلنا له احمل الينا جرة كي نطيب قال زبيبا تريدون أم
خمرا فان الكل مني قريب قلنا له خمرا فنادى زنوا في جره عشرين قلنا الزبيب

(وقال أيضا) صرف الزبيب لصرف همي نص على نفعه طبيبي
آها على سكرة لعلي أن أخلط الهم بالزبيب

(وقال) قالوا اتركن الخمر واجتنبها لا تتعدد الحرام حدا

الحسن يخدموننا من الفعين وأخرجنا من الحمام إلى غير ذلك المجلس فقدم إلينا مائدة حسنة جليلة عليها من الحيوان و الطعام وألوان ونادر الخبز وغريب البوادر من كل شيء وإذا بغلامين أمردين في نهاية الحسن والزى قد دخلوا الينا فغمزوا أرجلنا فلحقنا من ذلك مع الغربة وطول العهد بالجماع عنت فأمرناهم بالانصراف وفينا من لم يستحل التعرض لهم وتعففنا عن ذلك لنزولنا على صاحبهم ثم انتهينا إلى مجلس في بستان حسن وأخرج الينا من آلات النبيذ كل ظريف وأحضر من الانبذة كل شيء طيب حسن وشربنا أقداحا يسيرة ثم ضرب بيده على منارة ممدودة وإذا جوار خلفها فقال غنين فغنت الجواري اللواتي كن خلفها أحسن غناء وأطيبه فلما توسطنا الشرب قال ما هذا الاحتشام لأضيافنا أعزم الله اخرجن وهتك الستارة قال فخرج علينا جوار لم ير قط أحسن ولا أملح ولا أظرف منهن ما بين عوادة طنبورية زامرة وصناجة ورقاصة ودفافة بفاخر الثياب والحلى فغنينا واحتفلن بنا في المجلس فاشتدت محبتنا ولكن ضبطنا أنفسنا فلما كدنا أنا نسكر ومضى قطعة من الليل أقبل صاحب الدار علينا وقال يا سادة أن تمام

قلت أراها للروح قوتا وطالب القوت ما تعدى

(وبما قيل في شرب الفقهاء)

يحمون بالفقه عرض الدين من سفه علما بتصريف أحوال وتحقيق
وبعضهم يكرع الصهباء مغتنما تحت الظلام بأفواه الاباريق

(فيمن يطيل الحديث والكأس في يده)

وشادن نطقه جار إذا شفعت في مجلس الشرب كاسات بطاسات
يظل يحكي وكاس الراح في يده حكاية عرضها عرض السموات

(وبما قيل في كريم السكر لئيم الصحو)

إذا هز اللئيم السكر يوما بدا في بذل مال فيه ضنا
يجود بماله في الشرب سكرا ويأكل كفه في الصحو حزنا

(وقيل في شجاع السكر) إذا شرب الجبان الخمر يوما أعارته الشجاعة باللسان
وعند الصحو تلقاه جزوعا إذا اشتد اللقا يوم الطعام

(وفيه أيضا) يقول جبان القوم في حال سكره وقد شرب الصهباء هل من مبارز
وأين الخيول الأعوجيات في الوغى ۞ أنا قل فيها كل ليث مناهز ۞ ومن لي بحرب ليس تخمد ناره
لعمري انى است فيها بعاجز ۞ ففي السكر قيس وابن معد وعامر ۞ وفي الصحو تلقاه كبعض العجائز

(وقال في شرب الثلاثة) ثلاثة في مجلس طيب وعيشهم ما فيه تكدير
هذا يغني ذا وهذا لذى يسقي وذا بالشرب مسرور

(وقيل في شرب الأربعة) ألا انما خير المجالس مجلس به وله صفوان الزمان مساعد
فتاة وساق والمغني وصاحب وخامسهم هم على الكل زائد

(وقيل في شرب الستة)

خير المجالس خمسة أو ستة أو سبعة وعلى الكثير ثمانية فإذا تعدى صار شغلا شاغلا
وتكسرت بين الرجال الآنية فاهرب إذا ما كنت تاسع مجلس ولئن أتيت به فأمك زانية

(وبما قيل في الشرب مع التجار)

شربت مع التجار وكان يوما جعلت حضورنا فيه وداعا فذلك يقول كم أطلقت بيعا
ووفيت الذى بعث الذراعا وهذا قال عندي كل شيء ولكن لا أبيع ولا أباعا
فلا تجعلهمو أبدا ندامى فتكسب من مجالسهم صداعا

(فيمن أكل على الشراب) وندمان إذا ما الكاس دارت بغير الأكل ارتعدت يداه
نديم دأبه في السكر أكل فلا يبقى على شيء يراه

(وقيل في قدح) غرامي ووجدي بالذي كان في الثرى مهانا فأضحى في المجالس حاكما
قضى ما عليه من ورود جهنم فصارت لجنات النعيم ملازما

(محمد بن جعفر الانصاري يستدعي بعض اصدقائه إلى الشراب)

بساط الارض مسك أو عبير وزهر الروض وشي أو حرير وقد صفى الدنان الخر حتى
لقد عادت لدينا وهي نور ومن برد السرور يعيش هنيئا إذ العيش الهنى هو السرور

الضيافة وحقها الوفاء بشرطها وان يقوم المضيف بحق الضيف في جميع ما يحتاجون اليه من طعام وشراب وجماع وقد انفذت اليكم نصف النهار الغلمان فأخبروني بعفافكم عنهم فقلت هم أصحاب نساء فأخرجت

هؤلاء فرأيت من انقباضكم عن ممازحتهن مالو خلوتم بهن كانت الصورة واحدة فما هذا فقلنا ياسيدى أجللناك عن تبذل مافى دارك وفينا من لم يستحل الحرام (١٩٢) فقال هؤلاء مماليكي وهن أحرار لوجه الله تعالى إن كان بد من أن يأخذ كل واحد منكم بيده واحدة يتمتع بها ليلة فمن شاء زوجته بها ومن شاء غير ذلك فهو أبصر لأكون قد قضيت حق الضيافة فلما سمعنا بهذا وقد انتشينا طربا أخذ كل واحد منا بيد واحدة فأجلسها إلى جانبه وأقبل يقبلها ويقرصها ويمازحها فتزوجت أنا بواحدة منهن وغيرى ممن رغب فى ذلك وبعضنا لم يفعل وجلس معنا بعد ذلك ساعة ثم نهض فاذا بخدم قد جاؤا فأدخلوا كل واحد وصاحبته إلى بيت فى نهاية الحسن والطيب مفروش بفاخر الفرش الوطيئة فبخرونا عليها وتمشا والجوارى إلى جنوبنا وتركوا معنا شمعة فى البيت وما نحتاج اليه من آلة البيت وأغلقوا علينا وانصرفوا فبتنا فى أرغد عيش ليلتنا فلما كان السحر بادر الخدم فقالوا امار أيكم فى الحمام فقد أصلح فقمنا ودخلنا ودخل المزدان معنا فمنا من أطاق نفسه معصوم فيما كان امتنع منه بالامس وخرجنا فبخرونا بالند الفتيق وأعطينا الماورد والمسك والكافور وتقدمت إلينا المرآة المجلاة وأخبرنا غلماننا أن صورتهم

ضنی

فى ليلتهم كصورتنا وأنهم أتوا بجوارى الخدمة الروميات فوطئوهن فأقبل بعضنا على بعض يعجب من قضيتنا وبعضنا

وعند اليوم فتيان كرام   وجوههمو شموس أو بدور   وقطب الأمر أنت وهل لأمر
بغير القطب فيه رحى تدور   فرأيك فى الحضور لحق يومى   عليك وقد دعاك له الحضور

(وقال آخر) باكر صبوحك واشربها مشعشعة   واهنأ بعيش حميد غير مذموم
حمراء من بعدما احمرت موردة   طافت علينا فسرت كل مهموم   كان فى كاسها والماء يقرعها
أكارع النمل أو نقش الخواتيم   لا صاحبتنى يد لم تفن ألف يد   ولم ترد القنا حمر الخياشيم
بادر بجودك بادر قبل عائقه   فان خلف الفتى عندى من اللون

(سيف الدولة بن حمدان فى ساق)

وساق صبيح للصبوح دعوته   فقام فى أجفانه سنة الغمض   يطوف بكاسات العقار كانجم
فما بين منقض علينا ومنفض وقد نشرت أيدى النجوم مطارفا على الجو ادكنا والحواشى على الأرض
يطرزها قوس السماء بأصفر   على أحمر فى أخضر تحت مبيض
كأذيال خود أقبلت فى غلائل   مصبغة والبعض أقصر من بعض

(ابن نباتة) سقى وواعدنى وصـلا ألذ به   عند المنام ولا والله ما وصلا
قبيلة الله من ساق مواعده   كانت مواعيد عرقوب لها مثلا

(وقال آخر فى ساق) وساق كالهلال سعى بكاس   لربة نرجس فسقى وحيـا
فقلت تأملوا بدرا منيرا   سـقى شمسا وحيا بالثريا

(وفيه لابن النبيه) ساق صحيفة خده ما سودت   عبثا بلام عذاره وبنونه
حمد الذى بيمينه فى خده   وجرى الذى فى خده بيمينه

(فى جارية ساقيه) نديمتى جارية ساقيه   ونزهتى سـاقيه جاريه
جارية أعينها جنة   وجنة أعينها جارية

فيمن حبس الكاس فى يده : قالوا الذى تهواه يحبس كاسه   فى كفه من غير ذنب موجب
فأجبتهم كفوا الملام فانه   قمر ينزه طرفه فى كوكب

(وقال آخر فى مجلس أنس)

ومجلس راق من واش يكدره   ومن رقيب له باللوم إبلام
ما فيه ساع سوى الساقى وليس له   على الندامى سوى الريحان نمام

(صفى الدين الحلى فى عود) وعود عاد السرور لأنه   حوى الهوى قدما وهو ريان ناعم
يعرب فى تغريده فكأنه   يعيد لنا ما لقنته الحمائم

(وقال آخر فى زامرة) وناطقة بالنفخ عن روح ربها   تعبر عما دوننا وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فأطربت   فنحن سكوت والهوى يتكلم

ومما قيل فى فانوس لابن تميم : انظر إلى الفانوس تلق متيما   ذرفت على فقد الحبيب دموعه
يبدو تلهب جسمه لنحوله   وتعد من تحت القميص ضلوعه

(وفيه لابن قزل) وكأنما الفانوس فى غسق الدجى   دنف براه شوقه وسهاده
أضلاعه خفيت ورق أديمه   وجرت مدامعه وذاب فؤاده

(ولبعضهم فى شمعة) حكتنى وقد أودى بى السقم شمعة   وإن كنت صبا دونها متوجعا

ضنى وسهادا واصفرارا ورقة   وصبرا وضمتا واحترافا وأدمعا

(ومما قيل فى الربيع والرياض والبساتين والمياه والنواعير ونحو ذلك) قال الشاعر

هذا الربيع وهذه أزهاره متجاوب فى أيكه أطياره وبدا البنفسج والشقائق موثق والورد يضحك بينها وبهاره فاشرب على وجه الحبيب وغن لى هذا هواك وهذه آثار

(وقال غيره) غد وعلى الروض الذى طله الندى   سحيرا وأوداج الأباريق تسفك
فلم نر شيئا كان أحسن منظرا   من النور يجرى دمعه وهو يضحك

(وقال آخر) أما ترى الأرض قد أعطتك زهرتها   بخضرة واكتسى بالنور عاريها
فللسماء بكاء فى جوانبها   وللربيع ابتسام فى نواحيها

(غيره) ان السماء إذ لم تبك مقلتها   لم تضحك الأرض عن شىء من الزهر
والأرض لا تنجلى أنوارها أبدا   إلا إذا رمدت من شدة المطر

(وقال ابن قرناص) أبا حسنها من رياض غدا   جنونى فنونا بأفنانها
مثى الماء فيها على رأسه   لتقبيل أقدام أغصانها

(وقال آخر) أنظر إلى الاغصان كيف تعانقت   وتفارقت بعد التانق رجما
كالصعب حاول قبلة من الفه   فرأى المراقب فانثنى متوجما

(وقال ابن تميم) وحديقة ينساب فيها جدول   طرفى برونق حسنها مدهوش
يبدو خيال غصونها فى مائه   فكأنما هو معصم منقوش

وقال أيضا عفا الله عنه لم لا أهيم إلى الرياض وحسنها   وأظل منها تحت ظل ضافى
والزهر حيانى بثغر باسم   والماء وافانى بقلب صافى

(وقال آخر) قد سعينا نبغى زيارة دوح   قد حبانا باللطيف ولا كرام
ناولتنا أيدى الغصون ثمارا   أخرجتها لنا من الاكمام

(ومما قيل فى الازهار والثمار) قال بعضهم فى الورد

يا راقد ونسيم الصبح منبه. فى روضة القصف والاطيار. تنتحب الورد ضيف. فلا تجهل كرامته فهاتها قهوة فى الكاس تلتهب سقياله زائرا تحيا النفوس به يجود بالوصل شهرا ثم يحتجب

(وقال آخر فيه) طاب الزمن وجاء الورد فاصطبحا   مادام للورد أنوار وأزهار
واستبقلا عيشنا بالكاس مترعة   لا طولت للئام الناس أعمار

(وقال آخر) اشرب على الورد من حمراء صافية   شهرا وعشرا وخمسا بعدها عدد
واستوف بالكاس من لهو ومن طرب   فلست تأمن صرف الحادثات غدا

(وقال آخر) اشرب على ورد الخدود فانها   أيام ورد والصبوح يطيب
ماالورد أحسن منظر من وجنة   حمراء جاد بها عليك حبيب

وقال بعضهم) ولقد رأيت الورد يلطم خده   ويقول وهو على البنفسج يحنق
لا تقربوه وان تضوع نشره   من بينكم فهو العدو الازرق

(ومما قيل فى البنفسج) قال ابن المعتز

ولازورديه وافت بزورتها   بين الرياض على ورق اليواقيت

يقول هذا فى النوم نراه ونحن فى الحديث إذا أقبل صاحب الدار فقمنا اليه وعظمناه فاكثر بذلك واخذ يسألنا عن ليالينا فوصفناها له وسألنا عن خدمة الجوارى لنا فأجبناه بحسنها فقال أيضا أحب اليكم الركوب إلى بعض البساتين للتفرج إلى أن يدرك الطعام أو اللعب بالشطرنج والنرد أو النظر فى الدفاتر فقلنا أما الركوب فلا نؤثره ولكن الشطرنج والنرد والدفاتر فأحضر لنا ذلك وتشاغل كل منا بما اختاره ولم يكن إلا ساعتان أو ثلاثة من النهار حتى احضر لنا مائدة كالمائدة الامسية فأكلنا وقمنا إلى الفرش وجاء المرد ان فغمزونا غمزهم منا من كان يدخل فى ذلك وزالت المراقبة فلما انتبهنا حملنا إلى الحمام وخرجنا فتبخرنا وجلسنا فى مجالسنا بالامس وجاء اولئك الجوارى ومعهن غيرهن ممن هو احسن منهن وقصدت كل وحدة صاحبها بالامس بغير احتشام وشربنا الى نصف الليل وحملوامعنا الى الفراش وكانت هذه حالنا مدة اسبوع فقلت لاصحابى ويحكم ارى الامر متصلا ومن المحال ان يقمل لنا الرجل وانحلوا عنى وقد استطبتم انتم مواضعكم وانقطعتم عن سفركم فى هذا فقالوا ماترى فقلت ارى ان نستأذن الرجل فنظر أى شىء هو فان كان ممن يقبل هدية أو برا عملنا على تكرمته وارتحلنا عنه وان كان بخلاف ذلك كنا معتقدين له المكافأة فى وقت ثان وسألناه أن يحضر لنا من نكرى منه ورحلنا فتقرر رأينا على ذلك فلما جلسنا تلك الليلة على الشراب

كأنها فوق طاقات ضعفن بها ... أوائل النار فى أطراف كبريت

(وقال آخر) اشرب على زهر البنفسج قهوة ... تهدى السرور لكل صب مكمد

فكأنه قرص بخد مهفهف ... أو أعين زرق كحلن بأثمد

ولبعضهم فى الورد للورد فضل زهر الربيع روى ... ان البنفسج أزكى منه فى المهج

كأنه وعيون الناس ترمقه ... آثار قرص يد فى خد ذى غنج

(وقال آخر) يامهديا لى بنفسجا ارجا ... يرتاح صدرى له وينشرح

بشرتى عاجلا مصحفه ... بأن ضيق الأمور ينفسح

(وقال غيره فى النرجس) وقضب زمرد فعلوا عليها ... عيون لم تذق طعم الغماض

توهمت الغمام لها رقيبا ... فنكست الرؤس إلى الرياض

(وقال آخر فيه) أنت يا نرجس روض ... لزهور الأرض ست

ودليل القول فيك ... ان أوراقك ست

(وقال آخر) أقول وطرف النرجس الغض شاخص ... إلى وللنمام حولى المام

أيا رب حتى فى الحدائق أعين ... علينا وحتى فى الرياحين نمام

(وقال أيضا فيه) أبمادى الورد فى زهره ... وراح من اعجابه برأس

تلون المنثور مما به ... واصفر من غيظ به النرجس

(وما قيل قيل فى اللينوفر لابن المعز المصرى)

وبركة تزهو بلينوفر نسيمة يشبه بشر الحبيب مفتح الاجفان فى نومه
حتى إذا الشمس دنت للمغيب أطبق جفنيه على خده وغاص فى البركة خوف الرقيب

(وقال تميم بن المعز المصرى)

رأيت فى البركة لينوفرا فقلت ما شأنك وسط البرك فقال لى غرقت فى ادمعى
وصادنى ظبى الفلا بالشرك فقلت ما بال اصفرار بدا فيك وما هذا الذى غيرك
فقال لى ألوان أهل الهوى ... صفر ولو ذقت الهوى صفرك

(وما قيل فى البان)

قد قبل الصيف وولى الشتا ... عن أبى قليل نسائم الحر

أما ترى البان باغصانه ... قد قلب الفرو إلى برا

(وقال آخر فيه)

وما ترى البان الذى يزهو على ... كل الغصون بقده المياس

وافى يبشر بالربيع وقربه ... يختال فى السنجاب والبرطاس

(وقال فى الشقيق)

حييته بشقائق فى مجلس ... ورأى الرقيب فشق ذاك عليه

فاحمر من خجل فأنبت خده ... أضعاف ما حملت يداى اليه

(وقال آخر) لولم أعانق من أحب بروضة ... أحداق نرجسها الينا تنظر

ماانشق جيب شقيقها حسدا ولا ... بات النسيم بذيله يتعثر

وقيل

قلنا قد طال مقامنا عندك وما أضاف أحد آحدا احسن مما ضفتنا ونريد الرحيل إلى مصر لما أردناه من طلب التصرف وأنا فلان بن فلان فعرفته نفسى والجماعة وقد حملتنا من اياديك ومنك مالا يسعنا معه ان نجهلك ونحب ان تعرفنا بنفسك لنأتى بشكرك وتقضى حقك ونعمل على الرحيل فقال أنا فلان بن فلان احد أهل دمشق فلم نعرفه فقلنا ان رأيت تزيدنا فى الشرح فقال جعلت فداكم ان لقادتى خبرا أظرف مما شاهدتموه فقلت ان رأيت ان تخبرنا فقال نعم لنا رجل كان أبى تاجرا عظيم النعمة والاموال وانتهت النعمة اليه وكان ممسكا مكثرا ونشأت له فكنت متخرقا مبذرا محبا للفساد والنساء المغنيات والشرار فأتلفت مالا عظيما من مال ابى إلا انه لم يؤثر ماله لعظمه ثم اعتل وأيس من نفسه فدعانى فقال يا بنى انى قد خلفت لك النعمة وقيمتها مائة الف دينار بعد أن اتلفت على خمسين الف دينار وان الانفاق لا آخر له إذا لم يكن بازائه داخل ولو أردت ان اتلف هذا المال عليك فى حياتى أو الآن حتى لا تصل إلى شىء منه لفعلت ولكن هو إذا أتركه عليك فاقض حتى بحاجة تقضيها إلى لا ضرر عليك فيها فقلت افعل فقال أنا أعلم أنك ستتلف المال فى مدة يسيرة فعرفنى إذا فتقرت ولم يبق معك شىء أتقتل نفسك ولا تعيش فى الدنيا فقلت لا فقال فعرفنى من اين نعيش قال ففكرت ساعة فلم يقع لى ان قلت أصير قوادا قال

وقيل أن ابن الرومي الشاعر زار قبر أخيه يوما فوجد الشقائق قد نبتت على قبره فأنشد يقول
قالت شقائق قبره * ولرب أخرس ناطق * فارقته ولزمته * فأنا الشقيق الصادق

(ومما قيل في المنثور)

تخال منثورها في الدوح منتثرا كأنما صيغ من در وعقيان
والطير ينشد في أغصانه سحرا هذا هو العيش إلا أنه فاني

(وقال آخر) قد أقبل المنثور ياسيدي كالدر والياقوت في نظمه
ثناك لازال كأنفاسه وخ من يهناك مثل إسمه

(ولبعضهم فيه) ولقد خلوت مع الأحبة مرة في روضة الزهر فيها معرك
ما بين منثور أقام ونرجس مع أقحوان وصفه لا يدرك
هذا يشير بأصبع وعيون ذا ترنو اليه وثغر هذا يضحك

(ومما قيل في الياسمين)

والأرض تبسم عن ثغور رياضها والافق يسفر تارة ويقطب
وكأن مخضر الرياض ملاءة والياسمين لها طراز مذهب

(وقال آخر) رأيت الفأل بشرني بخير وقد أهدى إلى الياسمين
فلا تحزن فإن الحزن شين ولا تيأس فإن اليأس مين

(ومما قيل في السوسن للاخطل الاهوازي)

سقينا الأرض إذا ما نمت تنبهني بعد الهدو بها قرع النواقيس
كأن سوسنها في كل شارقة على الميادين أذناب الطواويس

(ومما قيل في الاقحوان لعبد القادر بن مهنا المغربي)

أفدي الذي زارني سرا فأتحفني بأقحوان يحاكي ثغر مبتسم
فبت من فرحي أفني مقبلة لثما وأرشف من ريق له شيم

(ولبعضهم فيه) ان فاه ثغر الاقاحي في تشبهه بثغر حبك واستولى به الطرب
فقل له عندما يحكيه مبتسما لقد حكيت لكن فاتك الشنب

(ومما قيل في الجلنار) وجلنار مشرق * على أعالي شجره * كأنه في غصنه
أحمره وأصفره * قراضة من ذهب * في خرقة معصفره

(ومما قيل في الآس) أهديت مشبه قدك المياس غصنا نضيرا ناعما من آس
فكأنما يحكيك في حركاته وكأنما تحكيه في الأنفاس

(ومما قيل في الريحان)

وغصن من الريحان أخضر ناضر نما بين غصني نرجس وشقائق
يريك اذا كف الصبا عبثت به شمائل معشوق وذلة عاشق

(وفيه ايضا) وريحان يميس بحسن قد يلذ بشمه شرب الكؤوس
كسودان لبسن ثياب خز وقد قاموا مكاشيف الرؤس

(وقال آخر) قضيب من الريحان شاكل لونه إذا ما بدا للعين لون الزبرجد

فبكى ساعة ثم مسح عينيه وقال لست بعارف عنك هذا الصناعة فإنها ماجرت على لسانك إلا وقد دارت في فكرك ولا دارت في فكرك إلا وأنت لا تنصرف عنها أبدا بعدي ولكن اخبرني كيف يتم لك المعاش منها فقلت قد تدربت بكثرة دعواني القحبات والمغنيات ومعاشرتي لشراب النبيذ فأجمعهم على الرسم فيقيمون في بيتي ويعملون ما يريدون وآخذ أنا منهم الدراهم واعيش بها فقال إذا يبلغ السلطان خبرك في جمعة فيحلقون رأسك ولحيتك وينادي عليك ويفرق جمعك ويبطل معاشك ويقول أهل بلدك انظروا إلى فلان كيف ينادي عليه وقد صار بعد موت أبيه قوادا ولكن إذا أردت هذه الصناعة فأنا أعلمك وإن كنت لا أحسنها فلا تستخفي فيها ولا تفتقر ولا يتطرق عليك السلطان بشيء فقلت افعل قال اذا أنا مت فاعمل على أنك قد انفقت جميع مالك وافتقرت وتكون قوادا ولك ضياع وعقار وأثاث ودور وجوار وآلة وقماش وخدم وجاه وتجارات وعمل على ما كان في نفسك أن تعمله اذا افتقرت فاعمله وأنت مستظهر على زمانك بما معك وهبة عند اخوانك واعمل أنك قد أنفقته واحمل معيشتك ما تريد أن تجعله اذا افتقرت فانك تستفيد بذلك امورا منها انك تبتديء ادرك بهذا فلا ينكر عليك في آخره * منها انك تفعل ذلك بجاه وعقار وضياع وأحوال قوية فلا يطمع فيك سلطان وان طمع فيك سلطان بذلت وأعطيت من نارك فتخلصت فقلت كيف افعل قال

المجلس إذا أقامت ثلاثة أيام للعزاء إلى أن تنقضي المصيبة فإذا انقضت نفذت وصيتي وتجملت بذلك عند الناس وتقضيت حتى ثم تظهر أنك قد تركت اللعب وأنك تريد حفظ مالك مع ضرب من اللذة ثم تبتدىء فتشترى من الجوارى المغنيات والسرارى كل لون ومن الغلمان المردان والخدم السود والبيض ماتحتاج اليه وتشتهيه ودارك كاتحب فى السرور وتتوقف على سرور من تريدان تعاشره ولا تدخل إلا الأمير والعاقل وادعهما مرة فى شهر أوشهرين وهادهما أيام الأعياد بالالطاف الحسنة والقهما فى كل أسبوع مرة واجتهد أن تعاشرهما على النبيذ فى دورهما والقهما بالسلام وقضاء الحاجة واتخذنى كل يوم مائدة حسنة أودع القوم ومن ينفق معهم وليكن ذلك بفعل وترتيب فان ذلك أولا لايظهر مدة فاذا ظهر صدق به أعداؤك وكذب به اخوانك وقالوا هذه على سبيل الجنون والشوة على طريق التخالع أو مساحة الاخوان وإلا فأى لذة له فى ذلك وليس هو بجنونا ولامخنثا ولا فقيرا ولا محتاجا إلا هذا فيبقى الخلاف فيك مدة أخرى وقد اتصلت مع سلطانك واهل العشرة بينكما قد رقعت فيستدعى مغنياتك ويسمعهن فى منزلة فيصير لك بمنادمته رسم وجاهك باق بملاقاتك لهم فهم يحتاجون اليك وسيحافظ عليك الامير فتصير فى مراتب ندمائه وفى حملته وتصير قيادتك فمعا بغير ضرر وتخرج عن حد القواد المحض الذين (وقال

فشبهته لما بدا متجمدا عذار تبدى فى سوالف اغيد

(ومما قيل فى الفواكه والثمار على اختلافهما فى الاترج) قال ابن الرومى

كل الخلال التى فيكم محاسنكم ... تشابهت منكم الاخلاق والخلق
كأنكم شجر الاترج طاب معا ... حملا ونشرا وطاب العود الورق

(ولبعضهم فيه) حياك من تهوى بأترجة ... ناعمة مقدودة غضه
جلدها من ذهب أصفر ... وجسمها الناعم من فضه

(وقال آخر) ياحبذا أترجة * تحدث للنفس الطرب * كأنها كافورة * لها غشاء من ذهب

(فى الليمون قول أبى الحسن رئيس الرؤساء)

يا حسن ليمونة * حيا بها قمر * حلو المقبل ألمى * بارد الشنب
كأنها أكرة * من فضة خرطت * واستودعوها غلافا * صيغ من ذهب

(وفيه أيضا) وصاحب ناديته * والطير لم يغرد * انهض إلى الراح ولا
ترضى يعيش نكد * واشرب سلافا قرقفا * من كف ساق أغيد
قد اكتست تلهبا * من خده المورد * ولا تدع مجتهدا * لذة يوم لغد
أما ترى لليمون * فى غصن من الزبرجد * كأكرة من فضة * مملوءة من عسجد

(فى النارنج لعبد الله بن المعتز)

نظرت إلى نارنجة فى يمينه ... كجمرة نار وهى باردة اللمس
فقربها من خده فتألفت ... فشبهتها المريخ فى دارة الشمس
(وقال آخر) ونارنجة بين الرياض نظرتها ... على غصن رطب كقامة أغيد
إذا ميلتها الريح مالت كأكرة ... بدت ذهبا فى صولجان زبرجد
(وقال آخر) ونارنج يلوح على غصون ... ومنه ما نرى كالصولجان
أشبهها ثديا ناهدات ... غلائلها صبغن بزعفران
(وقال آخر) وأشجار نارنج كان ثمارها ... حقاق عقيق قدملش من الدر
تطالعها بين الغصون كأنها ... قدود عذارى فى ملاحفها الخضر
أتت كل مشتاق بريا حبيبه ... فهاجت له الأشجان من حيث لايدرى
فى التفاح لبعضهم) ولما بدا التفاح احمر مشرقا ... دعوت بكاسى وهى ملأى من الشفق
وقلت لساقيها أدرها فعندنا ... خدود الأغانى قد جمعن على طبق
(وقال آخر فى تفاحة) وتفاحة من سندس صيغ نصفها ... ومن جلنار نصفها وشقائق
كان الهوى قد ضم من بعد فرقة ... بها خد معشوق إلى خد عاشق
(ولبعضهم فيه) تفاحة كسيت لونين خلتهما ... خدى محب ومحبوب قد التصقا
تعانقا فبدا واش فراعهما ... فاحمر ذا خجلا واصفر ذا فرقا
(وقال آخر) وتفاحة وردية ذهبية ... تجلى عن المهموم ليل همومه
كان ملاب الخمر روى أديمها ... بخمر لجادت باحمرار أديمه
تذكرنى بشكل الحبيب وحسنه ... وتوريد خديه وطيب نسيمه

يؤذون وتكبس منازلهم قال فاعتقدت فى الحال أن الصواب ماقاله ومات فى علته فجلست ثلاثة أيام ثم أنفذت وصيته ومافيها
كما أمرنى ثم بيضت الدور وهى هذه وزدت فيها ما اشتهيت واستزدت فى الآلات والفرش والأبنية
كما أردت وابتعت هذه الجوارى والغلمان والخدم من بغداد ودبرت أمرى على ماقاله لى من غير مخالفة لشىء منه وأنا أفعل هذا منذ سنين كثيرة ما لحقنى منه ضرر ولا خسران ولا فيه أكثر من اسقاط المروءة وقلة الاكتراث بالعيب وأنا أعيش أطيب عيش وأهنأه وأمر معاشى عليهم ودخلى بهم أكثر من خرجى ونعمتى الموروثة باقية بأسرها ما بعت منها شيئا بحبة قط فما فوقها وقد اشتريت من هذه الصناعة عقارا جليلا أضفته إلى ما خلف على وأمرى يمشى كما ترون فقلنا ياهذا فرجت والله عنا وأريتنا طريقا إلى قضاء حقك وأخذنا نمازحه ونقول فضلك فى هذه الصناعة غير مدفوع لانك قواد ابن قواد وما كان الشيخ ليدبر لك هذا الأمر إلا وهو بالقيادة أحذق منك فضحك وضحكنا وكان الفتى أديبا خفيف الروح وبتنا ليلتنا على تلك الحالة فلما كان من الغد جمعنا له من بيننا ثلثمائة دينار وحملناها اليه ورحلنا عنه (وحكى أحمد بن يحيى فضل العمرى) فى كتابه المسمى مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار فى ترجمة صفى الدين عبد المؤمن بن يوسف بن فاخر الموسيقى قال ذكر العم حسن الاربلى فى تاريخه قال جلست مع صفى الدين عبد المؤمن بالمدرسة المستنصرية

(وقال آخر) حمرة التفاح فى خضرته ... أشبه الألوان من قوس قزح
فعلى التفاح فاشرب قهوة ... واسقنيها بنشاط وفرح
(وفيه أيضا) أهدى لنا التفاح من كفه ... من لم يزل يجنيه من خده
وخط بالمسك على بعضها ... له عطف المولى على عبده
(وقيل فى السفرجل) حاز السفرجل لذات الورى فغدا ... على الفواكه بالتفضيل مشهورا
كالراح طعما وشم المسك رائحة ... والتبر لونا وشكل البدر تدويرا
(وقال آخر) سفرجلة صفراء تحكى بلونها ... محبا شجاه للحبيب فراق
إذا شمها المشتاق شبه ريحها ... بريح حبيب له منه عناق
وطيبة عند المذاق كطعمها ... كريق حبيب طاب منه مذاق
(وقال آخر) سفرجلة جمعت أربعا ... فكان لها كل معنى عجيب
صفار النضار وطعم العقار ... ولون المحب وريح الحبيب
(وقيل فى الكمثرى) وكمثرى لذيذ الطعم حلو ... شهى جاء من دوح الجنان
مناقير الطيور إذا اقتطفنا ... مغمرة بلون الزعفران
(ابن بريش متغزلا) وكمثرى سبانى منه طعم ... كطعم الشهدشيب بماء ورد
لذيذ خلقه لما أتانا ... نهود السمر فى معنى وقد
(وما قيل فى المشمش) بدا مشمش الأشجار يذكو شهابه ... على غض غصان من الروض ميد
حكى وحكت أشجاره فى اخضراره ... جلاجل تبر فى قباب زبرجد
(ماقيل فى الأجاص) انظر إلى شجر الأجاص قد حملت ... أغصانه ثمرا ناهيك من ثمر
تراه فى أخضر الأوراق مستترا ... كما اختبى الزنج فى خضر من الأزر
(ماقيل فى الخوخ) أهدى إلى الصديق خوخا ... منظره منظر أنيق
من كل مخصوصة بحسن ... معناه فى مثلها دقيق ... حمراء صفراء مستعير
بهجتها التبر والعقيق ... كوجنة مسها خلوق ... فزال عن بعضها الخلوق
(ماقيل فى الفستق) تفكرت فى معنى الثمار فلم أجد ... لها ثمرا يبدو بحسن مجرد
سوى الفستق الرطب الجنى فانه ... زها بمعان زينب بتجرد
غلالة مرجان على جسم فضة ... وأحشاء ياقوت وقلب زبرجد
(قيل فى البندق) ولقد شربت مع الحبيب مدامة ... حمراء صافية بغير مزاج
فتفضل الظبى البهى ببندق ... شبهته ببنادق من ساج
فكسرته فوجدت ثوبا أحمرا ... قدلف فيه بنادق من عاج
(ومما قيل فى النبق) وسدرة كل يوم ... من حسنها فى فنون ... كأنما النبق فيها
وقد حلا فى العيون ... جلاجل من نضار ... قد علقت فى الغصون
(ومما قيل فى اللوز) ومهد الينا لوزة قد تضمنت ... لمبصرها قلبين فيها تلاصقا
كأنهما حبان فازا بخلوة ... على رقبة فى مجلس فتعانقا
(فى العنب لبعضهم) هدية شرفتنا من أخ ثقة ... نعم الهدية إذ وافتك من يده

فوعان من عنب جاءا على طبق — كأن طعمهما من طيب محتده
فأبيض العين يحكي لون أبيضه — وأسود العين يحكي لون أسوده
(وفي قصب السكر) ورماح لغير طعن وضرب — بل لأكل ومص لب حورشف
كملت في استوائها واستقامت — باعتدال وحسن قد ولطف

(ومما قيل في البطيخ الأصفر)

أتانا غلام فاق حسنا عن الورى — ببطيخة صفراء في لون عاشق
فشبهته بدرا يقد أهلة — من الشمس ما بين النجوم ببارق
(وقال آخر) وبطيخة وافى بها فوق كفه — إلينا غلام فاق كل غلام
تخيل لي شمس الأصيل أهلة — يقطعها بالبرق بدر تمام

(ومما قيل في البطيخ الأخضر)

وظبي أتى في الكف منه بمدية — وقد لاح في خديه شبه شقيق — فمال إلى بطيخة ثم شقها
وفرقها ما بين كل صديق — فشبهتها لما بدت في أكفهم — وقد عملت فيهم كؤس رحيق
صفائح بلور بدت في زبرجد — مرصعة فيها فصوص عقيق
(وقال آخر) وبطيخة خضراء في كف أغيد — أتانا بها فارتاح ذو الهم وانتهج
وأقبل يفريها بمديته وقد — برى طرفه الساجي القلوب مع المهج
(ومما قيل في القثاء) انظر إليها أتابينا منضدة — من الزمرد خضرا مالها ورق
إذا قبلت اسمها بانت ملاحتها — وصار في عكسه أنى بكم أثق
(ومما قيل في الباذنجان) وكأنما الابذنج سود حمائم — أو كاره خمر الربيع المبكر
نقرت مناقرة الزمرد سمسما — فاستودعته حواصلا من عنبر

(ومما قيل في الأنهار والبرك والنواعير)

أما ترى البركة الغراء قد كسيت — نورا من الشمس في حافاتها طاما — والنهر من فوقه يلهيك منظره
شهب سماوية فارتج والتما — كأنه الصيف مصقولا يقلبه — كف الكمي إلى ضرب الكماة سعى
(وقال آخر في البركة) يامن يرى البركة الحسناء رؤيتها — والآنسات إذ لاحت معانيها
فلو تمر بها بلقيس عن عرض — قالت هي الصرح تمثيلا وتشبيها — كأنها الفضة البيضاء سائلة
من السبائك تجري في مجاريها — إذا علتها الصبا أبدت لها حبكا — مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها — ورونق الغيث أحيانا يباكيها
إذا النجوم تراءت في جوانبها — ليلا حسبت سماء ركبت فيها
(قال آخر) وبركة للعيون تبدو — في غاية الحسن والصفاء
كأنها إذ صفت وراقت — في الأرض جزء من السماء

(وقال محمد بن سارة المغربي)

النهر قد رقت غلالة صبغه — وعليه من صبغ الأصيل طراز
تترقرق الأمواج فيه كأنها — عكن الخصور تهزها الأعجاز
(قال آخر) يوم لنا بالنيل مختصر — ولكل وقت مسرة قصر

فكلما

وجرى ذكر واقعة بغداد فأخبرني أن هلاكو طلب رؤساء البلد وعرفاءها وطلب منهم أن يقسموا دروب بغداد ومحالها وبيوت ذوي يسارها على أمراء (١٩٨) دولته فقسموها وجعلوا كل محلة أو محلتين أو سوقين باسم أمير كبير فوقع الدرب الذي كنت أسكنه في حصة أمير مقدم على عشرة آلاف فارس اسمه نانونوين وكان هلاكو قد رسم لبعض الامراء أن يقتل ويأسر وينهب بعدة ثلاثة أيام ولبعضهم يومين ولبعضهم يوما واحدا على حسب طبقاتهم فلما دخل الامراء إلى بغداد كان أول درب جاء اليه الأمير الدرب الذي أنا ساكنه وقد اجتمع فيه خلق كثير من ذوي اليسار واجتمع عندي نحو خمسين جارية من أرباب المغاني وذوات الحسن والجمال فوقف نانونوين على باب الدرب وهو مترس بالاخشاب والتراب وطرقوا الباب وقالوا افتحوا لنا وادخلوا في الطاعة ولكم الإمان وإلا أحرقنا الباب وقتلناكم ومعه النجارون وخلافهم وأصحابه بالسلاح قال صفي الدين عبد المؤمن فقلت السمع والطاعة أنا أخرج اليه ففتحت الباب وخرجت اليه وحدي وعلى أثواب وسخة وأنا انتظر الموت فقبلت الأرض بين يديه فقال للترجمان قل له أنت كبير هذا الدرب فقلت نعم فقال ان أردتم السلامة من الموت فاحملوا لنا كذا وكذا وطلب شيئا كثيرا فقبلت الأرض مرة ثانية وقلت كل ماطلبه الأمير يحضر وصار كل مافي هذا الدرب بحكمك ومن تريد من خواصك فانزل لأجمع

لك ماطلبت فعسر أصحابه ونزل في نحو ثلاثين رجلا من حرأصحه فأتيت به داري وفرشت له الفرش الخليفية الفاخرة والسرر المطرزة بالزركش وأحضرت له في الحال أطعمة فاخرة وشواء وحلواء وجعلتها بين يديه فلما فرغ

من الاكل عملت له مجلسا ملوكيا وأحضرت الاواني المذهبة من الزجاج الحلبي وأواني فضة فيها شراب مروق فلما دارت الاقداح غن عشر مغنيات كل واحدة تغني بملهاة غير ملهاة الاخرى فغنين كلهن فارتج المجلس وطرب وتبسطت نفسه فضم واحدة من المغنيات أعجبته فواقعها في المجلس ونحن نشاهده وأتم يومه في غاية الطيبة فلما كان وقت العصر وحضر أصحابه بالنهب والسبايا قدمت له ولاصحابه الذين كانوا معه تحفا جليلة من أواني الذهب والفضة ومن النقد ومن الاقمشة الفاخرة شيئا كثيرا سوى المليق ووهبت له الغواني التي كن بين يديه واعتذرت من التقصير وقلت جاء الأمير على غفلة لكن غدا إن شاء الله تعالى أعمل للامير دعوة أحسن من هذه فركب وقبلت ركابه ورجعت لجمعت أهل الدرب من ذوي النعمة واليسار وقلت لهم انظروا لانفسكم هذا الرجل غدا عندي وكذا بعد غد

فكانها أمواجه عكن وكأنما داراته سرر

(وقال آخر في نهر يسبح فيه الغلمان)

خليج كالحسام له صقال ولكن فيه للرائي مسره
رأيت به الملاح تجيد عوما كانهم نجوم في المجره

(وقال آخر في النيل)

النيل قال وقوله اذ قال ملء مسامعي في غيظ من طلب العلا
عم البلاد منافعي وعيونهم بعد الوفا قلعتها بأصابعي

(وقال آخر) كان النيل ذوفهم ولب لما يبدو امين الناس منه
فيأتي عند حاجتهم اليه ويمضي حين يستغنون عنه

(وقال آخر فيه) وفت أصابع نيلنا وطفت وطافت في البلاد
وأتت بكل مسره ماذا أصابع ذي أياد

(وقال آخر) سد الخليج بكسره جبر الورى طرا فكل قد غدا مسرورا
والماء سلطانا فكيف تواترت عنه البشائر اذ غدا مكسورا

(وقال آخر) ونهر خالف الاهواء حتى غدت طوعا له في كل أمر
إذا عصفت على الاغصان ألقت اليه بها فيأخذها ويجري

(وقال آخر في ناعورة) وكريمة سقت الرياض بدرها فغدت تنوب عن الغمام الهامع
بلسان محزون ومدمع عاشق ومسيرة مشتاق وأنه جازع

(وقال آخر) وناعورة قالت وقد حال لونها وأضلعها كانت تعد من السقم
أدور على قلبي لاني فقدته وأما دموعي فهي تجري على جسمي

(وفيها أيضا) وحنانة من غير شوق ولا وجد يفيض لها دمع كمنتثر العقد
أحن إذا حنت وأبكي اذا بكت فليس لنا من ذلك الفعل من يد
ولكنها تبكي بغير صبابة وأبكي بافراط الصبابة والوجد
وأدمعها من جدول مستعارة ودمعي من عيني يفيض على خدي

(وفيها أيضا وقال الخطيري)

رب ناعورة كأن حبيبا • فارقته غدت لي تحكي • أبدا هكذا تئن بشجو • وعلى إلفها تدور وتبكي

(ابن تميم) تأمل إلى الدولاب والنهر اذ جرى ودمعها بين الرياض غدير
كأن نسيم الجو قد ضاع منهما فأصبح ذا يجري وذاك يدور

(فصل في ذكر أرباب الصنائع والحرف والاسماء وما أشبه ذلك)

(لابن عفيف في قاض مليح) ورب قاض لنا مليح يعرب عن منطق لذيذ
إذا رنالي بسهم لحاظ قلنا لا دائم النفوذ

(وقال في فقيه مليح) وبمهجتي ظبي غدا متفقها وهو المهذب في الرشاقة والحور
أمسى بسيط الشعر منه مطولا لكن وجيز الخصر منه مختصر

(وقاله في المحدث مليح) علقته محدثا شرد عن جفني الوسن
حديثه ووجهه كلاهما عندي حسن

(٣٦ مستطرف ثان) وكمل يوم أزيد أضعاف اليوم المتقدم فجمعوا الي من بينهم ما يساوي خمسين ألف دينار من أنواع الذهب والاقمشة الفاخر والسلاح فما طلعت الشمس إلا وقد وافاني فرأى ما أذهله وجاء في هذا اليوم ومعه نساؤه فقدمت له من الذخائر

والذهب النقد ماقيمته عشرون الف دينار وقدمت له فى اليوم الثالث لآلئ نفيسه وجواهر ثمينة وبغلة جليلة بآلات خليفية وقلت هذه من مراكب الخليفة وقدمت لجميع من معه وقلت هذا الدرب صار بحكمك وان تصدقت على أهله بأرواحهم فيكون لك وجه أبيض عندالله وعند الناس فابى عندهم سوى أرواحهم فقال قدعرفت ذلك من أول يوم وهبتهم أرواحهم وماحدثتنى نفسى بقتلهم ولاسلبهم لكن أنت تجهز معى إلى حضرة الامير فقدذكرتك وقدمت له شيئا من المستظرفات التى قدمتها إلى فأعجبته ورسم بحضورك فخفت على نفسى وعلى أهل الدرب وقلت هذا يخرجنى الى خارج بغداد ويقتلنى وينهب الدرب فظهر على الخوف وقلت ياخوند هلاكو ملك كبير وأنا رجل حقير مفن أخشى منه ومن هيبته فقال لاتخف مايصيبك الا الخير فانه رجل يحب أهل الفضائل فقلت فى ضمانك أنه لايصيبنى مكروه قال نعم فقلت لاهل الدرب ماعندكم من النفائس فاتونى بكل ماتقدرون عليه فأخذت معى من المغنيات الجليلة ومن النقد الكثير من الذهب والفضة وهيأت مآكل كثيرة طيبة وشرابا عتيقا فاخرا وأوانى فاخرة كلها من الفضة المنقوشه بالذهب وأخذت معى ثلاث جوار مغنيات من أجل من كان عندى وأنفسهن قد الطرب ولبست بدلة من القماش الخليفى وركبت بغلة جليلة كنت أركبها إذا رحت الى الخليفة فلما رآنى نانونون

(وقال فى إمام) جاء يسعى الى الصلاة بوجه ... يخجل البدر فى ليالى السعود
فتمنيت أن وجهى أرض ... حين يومى بوجهه للسجود

(ابن الرومى فى عروضى وأجاد) بى عروضى مليح ... موتى فيه حياة
عادلاتى فى هواه ... فاعلات فاعلات

(فى مؤذن مليح) ومؤذن أضحى كريما وجهه ... لكنه بالوصل أى شحيح
أبدا أموت بهجره لكننى ... من بعد ذاك أعيش بالتسبيح

(لابن عربى) وبنفسى مؤذن قد سبانى ... لم يفدنى شكوى الغرام اليه
كيف أصغى لما يقول حبيب ... واضع أصبعيه فى أذنيه

(وقال آخر فى مريد)

مراد قلبى مريد * مخبأ فى الزوايا * وليس ذا بعجيب * ففى الزوايا خبايا

(وفى فقير مليح) بى فقير يتغنى * بسنا وجه منير . لاتلمنى فى افتضاحى * فغرامى بالفقير

(فى أمير شكار لابن دانيال) بى من أمير شكار ... وجد يذيب الجوارح
لما حكى الظبى حسنا ... حنت اليه الجوارح

(فى مليح مغن) أضحى يخرلوجهه قمر الدجا ... وغدا يلين لحسنه الجلمود
فاذا بدا فكأنما هو يوسف ... وإذا شدا فكأنه داود

(فى مليح عواد) غنى على العود ظبى سهم ناظره ... أمسى به قلبى المضنى على خطر
دنا الى وجست كفه وترا ... فراحت الروح بين السهم والوترا

(فى مليح كاتب) بروحى كاتبا كالبدر حسنا ... بديعا مارأينا منه اجمل
على ريحان عارضه المفدى ... بوجنته غدا دمعى مسلسل

(غيره) وراقنا ذا المفدى . فيه تزيد عشقى ... فلو يجود بوصل . لكان مالك رقى

(وفيه ايضا) ياحسن وراق أرى خده ... قد راق فى التقبيل عندى ورق
تميل فى الدكان أعطافه ... ماأحسن الأغصان بين الورق

(للسيد الشريف صلاح الدين الاسيوطى فيه أيضا)

فديتك أيها الوراق قلبى ... لطالك بالوصال يكاد يبلى
وقد طلب الوفاء وغير بدع ... حب يسأل الوراق وصلا

(فى مليح صيرفى)

ياسائلا عن حالتى ماحال من ... امسى بعيد . الدار فاقد الفه
بى صيرفى لايرق لحالتى ... قدمت من جور الزمان وصرفه

(فى مليح بخانقى)

تسلطن فى الملاح بخانقى ... ولا يرضى ببدر التم نائب
وقد صفت له الاتراك جندا ... وأصبح راكبا تحت العصائب

(فى مليح فراء)

قلت لفراء فرى أديمى ... وزادصدا وطال هجرا

بهذه الحالة قال لى أنت وزير قلت لا أنا مغنى الخليفة ونديمه ولكن لما خفت منك لبست القماش الوسخ ولما سرت من رعيتك أظهرت نعمتى وأمنت وهذا الملك هلاكو ملك عظيم وهو أعظم من الخليفة فما ينبغى أن أدخل عليه إلا

بالحشمة والوقار فأعجبه منى هذا وخرجت معه إلى مخيم هلاكو فدخل عليه وأدخلنى معه وقال لهلاكو هذا الرجل الذى ذكرته لك وأشار إلى فلما وقعت عين هلاكو على قبلت الأرض وجلست على ركبتى كما هو من عادة التتار فقال نانوتوين هذا كان مغنى الخليفة وقد فعل معى كذا وكذا وقد أتاك بهدية فقال قد قبلتها فقبلت الأرض مرة ثانية ودعوت له وقدمت له ولخواصه الهدايا التى كانت معى فكلما قدمت شيئا منها يفرقه ثم فعل بالمأكول كذلك ثم قال لى أنت مغنى الخليفة فقلت نعم فقال أى شىء أجود ما تعرف قلت أحسن أن أغنى غناء إذا سمعه الإنسان ينام فقال غن لى الساعة حتى أنام فندمت وقلت ان غنيت له ولم ينم قال هذا كذاب وربما قتلنى ولا بد من الخلاص منها بحيلة فقلت يا خوند الطرب بأوتار العود لا يطيب إلا بشرب الأمير قد حين أو ثلاثة حتى يقع الطرب فى موقعه فقال أنا مالى فى الخمر رغبة لأنه يشغلنى عن مصالح ملكى ولقد أعجبنى من نبيكم تحريمه ثم شرب ثلاثة أقداح كبار فلما احمر وجهه أخذت عودا وغنيته وكان معى مغنية اسمها ضياء لم يكن فى بغداد أحسن منها صورة ولا

قد فر نومى وفر صبرى فقال لما عشقت قرا

(سيدى أبو الفضل بن أبى الوفاء فى مزين)

حبى الزين وافى ۞ بعد البعاد ينشطه ۞ ومص دمل قلبى ۞ بكأس راح وبطه

(فى مليح قصاص)

أشكوا إلى الله قصاصا يجرعنى ۞ بالهجر والصد أنواعا من الغصص
ان تحسن القص يمناه فقلت له ۞ أيضا تقص علينا أحسن القصص

(فى مليح صياد)

ومولع بفخاخ ۞ يمدها وشرك ۞ قالت له العين ماذا ۞ تصيد قال كرا كى

(فى مليح رامى بندق)

وأهيف القد ذى دلال ۞ طائر قلبى عليه واجب
كالشمس فى كفه هلال ۞ يرمى إلى البدر بالكواكب

(وقال آخر فى راع)

أفديه من راع كبدر الدجى ۞ قوامه فاق الغصون الرشاق
ضيفنى بالجدى ناديته ۞ ما القصد يا مولاى الا العناق

(القيراطى فى مليح طحان)

حسن طحانى سبانى ۞ بلحاظ وبقامه ۞ خاف من واش فاضحى ۞ يجعل الغمز علامه

(القاضى بدر الدين البلقينى فى تراب)

(قال آخر فى مليح عوام)

ياحسن عوام كغصن النقا ۞ يبخل بالوصل لمن هاما
وتقنع العشاق منه بان ۞ يرجم الارداف ان عاما

(ابن نباتة فى ملح حبشى)

بروحى مشروطا على الخد اسمرا ۞ دنا ووفى بعد التجنب والسخط
وقال على اللثم اشترطنا فلا تزد ۞ فقبلته الفا على ذلك الشرط

(وله أيضا) ومن عجب تدعى لطفك سنبلا ۞ ونشرك كافور وذكرك عنبر
وسعدك اقبال وحسنك مرشد ۞ وخلقك ريحان ولفظك جوهر

(وقال آخر فيمن به صفرة)

قالوا به صفرة شانت محاسنه ۞ فقلت ماذاك من عيب به نزلا
عيناه مطلوبة فى ثأر قتلت ۞ فلست تلقاه إلا خائفا وجلا

(للشيخ شهاب الدين بن حجر فى مليح اسمه زائد)

زائر قال قلبى ۞ للطرف ياطرف شاهد ۞ مدحته فتجنى ۞ تيها على بزائد

(وقال آخر فى مليح أرمد)

شكا رمدا فقلت الآن كانت ۞ لواحظه من الفتكات فينا

طيب منها صوتا فأصلحت أنغام العود وضربت ضروبا تجالبة النوم مع ترخيم الصوت وهنيت فلم أتم النوبة حتى رأيته قد نعس فقطعت الغناء بغتة وقويت الأوتار (٢٠٢) فانتبه فقبلت الأرض وقلت نام الملك فقال صدقت تمن على فقلت أتمنى على الملك أن يطلق لي على السمكية قال وأي شيء هي السمكية قلت بستان للخليفة فتبسم وقال لأصحابه هذا مسكين مغن قصير الهمة وقال للترجمان قل له لم لا تمنيت قلعة أو مدينة أي شيء هذا البستان فقبلت الأرض وقلت ياملك العالم هذا البستان يكفيني وأنا ما يجيء مني صاحب قلعة ولا صاحب مدينة فرسم لي بالبستان وبجميع ما كان لي من الراتب في أيام الخليفة وزادوني علوفة تشتمل على خبز ولحم وعليق دواب تساوي دينارين وكتب بذلك فرمانا مكمل العلائم وخرجت من بين يديه وأخذني نانونوين أمير خمسين فارسا ومعهم علم أسود هو كان علم هلاكو الخاص به برسم حماية داري لجلس الأمير على باب الدرب ونصب العلم الاسود على أعلى باب الدرب فبقي الامر كذلك إلى أن رحل هلاكو عن بغداد قال الاربلي فقلت له كم نابك من المغارم في الثانية قال أكثر من ستين ألف دينار وذهب أكثرها ممن كان انزوى إلى دري من ذوي اليسار والباقي من نعم موفرة كانت عندي من صدقات الخليفة فسألته عن المرتب والبستان فقال البستان أخذه فضل مني أولاد الخليفة وقالوا هذا ارث من أبينا والعلوفة قطعها عني الصاحب شمس الدين الجويني وعوضني عنها وعن البستان في السنة مائة

وقالوا سيف مقلته تصدى ... فقلت نعم لقتل العاشقينا

(لمجد الدين بن مكانس فيه)

تورمت مقلة المحبوب من رمد ... وبات يشكو لهيب القلب والألما
وبات يرمي محبيه بأسهمه ... فياله من حبيب قد شكا ورما

(لابن أبي حجلة في أعور)

ماشان من أهواه عين أصبحت ... مقلوعة بمحاسن متزايده
لولا استخف العالمين بأسرهم ... ماظل ينظرهم بعين واحده

(وقال آخر في مليح راهب)

رأيته يضرب الناقوس قلت له ... من علم البدر ضربا بالنواقيس
وقلت للنفس أي الضرب يؤلمك ... ضرب النواقيس أم ضرب النوى قيس

(القيراطي في مليح اسمه بدر)

سموه بدرا وذاك لما أن فاق في حسنه ونما ... وأجمع الناس اذ رأوه بأنه اسم على مسمى

(وآخر في مليح اسمه حمزة) متى يبدو لحمزة ما بقلبي ... ويرثي لي وينظر في بلائي
وأشفي بالمبرد من لماه ... وأجمع بين حمزة والكسائي

(وقال آخر) كلفت به ولم أبلغ مرادي ... غزال قد تحكم في قيادي
فتصحيف اسمه في وجنتيه ... وفي معسول فيه وفي فؤادي

(في مليح اسمه سروجي) فتنت به مروجيا بديعا ... به قد ذبت وجدا من ضجيجي
إذا جذب الغرام له عناني ... يلذ لي الركوب على السروج

(وقال آخر في مليح محموم) قالوا حبيبك فقلت لهم ... أنا الذي كنت في حمائه السببا
عانقته ولهيب النار في كبدي ... فأثرت فيه تلك النار فالتهبا

(لأبي نواس في مليح ألثغ) مهفهف دنف الصبا ذي لثغة ... تصبو إليه ذوي العقول الرجح
قبلت فاه فقال لي متخوفا ... من كاشح متدللا بالثا أنتجي

(وقال في مليح خباز) ان خبازنا المليح المفدى ... في حشا الصب من جفاه كلوم
خلت دكانه البديع سماء ... وهو بدر والخبز فيه نجوم

(وقال في مليح حائك) وحائك يا صاح أبصرته ... كالبدر في في كفيه ماسوره
فلم أرح إلا ووحي لما ... عاينت في كفيه ماسوره

(وقال في مليح لاعب شطرنج)

لعبت بالشطرنج مع أهيف ... رشاقة الأغصان من قده
أحل عقد البند من خصره ... وألثم الشامات من خده

(وفيه أيضا قال) تلاعبت بالشطرنج مع من أحبه ... فنادمني حتى سكرت من الوجد
وأنشدني مالي أراك مفكرا ... تدور على الشامات وهي على الخد

(في مليح خياط) خياطنا الفاتن المفدى ... بديع حسن فريد شكل

الف درهم (وقال) كان بمدينة السلام مغن يعرف بالغيور وكان عنده من الجواري عدد كثير ذوات حسن وكان خبره فاشيا يقصده المتصون وغيره فبلغ رجلا من الكتاب المشهورين خبره فتشوقت نفسه إلى قصده ثم تجنبته لما شهر به فحمل نفسه على ان جعل بينه وبين الرجل حالا بأن عاه وبه ووصله وكان قصد الناس منزله آخر عندهم من دعاه من يدعونه من جواريه لما يجتمع لهم فيه قال الكاتب فكان يسألني المصير إليه وأتشمر لشناعة لقبه إلى أن لقيني بالقرب من منزله فحلف على أن لا أفارقه فكان ذلك صادف مني موافقة فمضيت معه فرأيت أحسن منزل آلة فلما استقر بنا الجلوس قال لغلماني إذا كان في غد بكروا لجيئوا بالدواب فاستوحشت وقلت بل يقيم بعضهم عندي ويعود باقون ليلا للانصراف إلى منزلي فأبى وحلف فاتبعت ماأراد فأحضر أحسن طعام وألطفه وأكلنا وأتى بأنواع الأشربة والفواكه والرياحين وأخذنا في أمرنا وخرجت وجوه كالشموس وكنت عند دخولي إلى الدار قد رأيت على بعض الأبواب طبلا معلقا فظننته لبعض الجواري فلم أسأل عنه فلما صرنا على حالنا وأخذ النبيذ منا أحضر عودا فجعله بين يديه فأوحشني جدا وقلت رجل غيور كما لقب وجوار حسان ونبيذ شديد ولست آمن أن أعيث بهن فيضربني بالعمود قال أخبرك يا أخي أني رجل غيور كما قد بلغك ويحضر منزلي

فصـــل للجسم ثوب سقم ... لما جفاني وكف وصلي

(وقال غيره) فتنت بخياط بديع ملاحة ... له طلعة أبهى ضياء من الشمس
تراه على الكرسي للثوب خائطا ... فتقسم حقا انه آية الكرسي

(الصفي الحلي في مليح قلع ضرسه) لحا الله الطبيب لقد تعدى * وجاء لقلع ضرسك بالمحال
أعاق الظبي في كلتا يديه ... وسلطا كلبتين على غزال

(وقال في مليح سلم عليه)

تنبا فيــك قلبي فاسترابت ... به قوم وعمهم الضـلال ... وصدهم الهوى أن يؤمنوا لي
وقالوا ان معجزة محال ... ومذ سلمت سلمت البرايا ... إلى وقيــل كلمة الغزال

(وقال في مليح يرمي بالسهام) وظبي بشعر فوق طرف مفرق ... بقوس رمى في النقع وحشا بأسهم
كبدر بأفق فوق برق بكفه ... هلال رمى في الليل جنا بأنجم

(وقال في مليح يضرب بالعود) فتن الأنام بعوده وبشدوه ... شاد تجمعت المحاسن فيه
حتى كأن لسانه بيمينه ... وكأن مايمينه في فيه

(وقال أيضا فيه) وأغن قد ابدى لنا من عوده ... نغما أصح به القلوب وأمرضا
بيد إذا سخطت لي أوتاره ... نال الرفاق بسخطها عين الرضا

(وقال في مليح مشبب) يانافخ الصور بل ياباعث الصور ... من رقدة السكر لا من رقدة الحفر
قرنت حسنك بالاحسان فيه لنا ... فكان فيك مراد السمع والبصر
ضمنت للصحب اقبال السرور كما ... ضمنت نايك نأي الهم والفكر
صوت بسيط به أرواحنا انبسطت ... اذ جئت في اللفظ والمعنى على قدر

(وقال في مليح ساق) وساق من بني الأتراك طفل ... أتيــه به على جمع الرفاق
أملكه قيادي وهو رق ... وأفديه بعيني وهو ساق

(وقال أيضا في رسول مليح أتاه من عند من يحبه)

من كنت أنت رسوله ... كان الجواب قبوله ... ياطلعة الشمس الذي
جاء الصباح دليله ... لم يبد وجهك قبلة ... إلا ارتقبت وصوله
فلذاك إذ واجهتني ... بل الفؤاد غليله

(في مليح قارىء) نفسي الفداء لشادن شاهدته ... يوم الزيادة قارئا في المصحف
فتلا مليا جل سورة يوسف ... وجلا محيا مثل صورة يوسف

(وقال آخر في مليح مكتمل العذار) وكامل العارض قبلته ... فصدني وازور من قبلي
وقال كم أنهاك عن مثل إذا ... وأنت مافكر في لحيتي

(وقال آخر في مليح حجام) كلفت بحجام تحكم طرفه ... فغدا على سفك الدماء يواطي
أضحى كثير الاشتطاط ولم تكن ... منه اللحاظ كليلة المشراط

(فصل في الألغاز)

(في غزال) اسم من قد هويته ... ظاهر في صرفه ... فاذا زال ربعه ... زال باقي حروفه

قوم معهم سوء أدب وما هو إلا أن تفنى الجماعة حتى أرى الواحد منهم لاحظها وضحك فى وجهها وضحكت فى وجهه فأقول
أقوم بهذا العمود فانما هى ضربة له وضربة لها فاقتلها وأستريح إلا أنى على ماترى رجل معى تأن

(فى كوز فقاع) ومحبوس بلا ذنب جناه ... له فى السجن ثوب من رصاص
إذا أطلقته وثب ارتفاعا ... يقبل فاك من فرح الخلاص
(فى رزموزة) مطية فارسها راجل ... تحمله وهو لها حامل
واقفة بالباب مزاولة ... لا تشرب الدهر ولا تأكل
(قال فى طاحون) ومسرعة فى سيرها دهرها ... تراها مدى الأيام تمشى ولا تتعب
وفى سيرها ما انقطع الأكل ساعة ... وتأكل مع طول المدى وهى لا تشرب
وماقطعت فى السير خمسة أذرع ... ولا ثلث ثمن من ذراع ولا أقرب
(فى دواة) ومرضعة أولادها بعد ذبحهم ... لها ابن ما لذ قط لشارب
وفى بطنها السكين والثدى رأسها ... وأولادها مذخورة للنوائب
(فى دواة أيضا) وما أم أيجامعها بنوها ... وليس عليهم تجب الحدود
كأنهم إذا ولجوا حشاها ... أفاعى فى مكانها رقود
(فى قلم) وأهيف مذبوح على صدر غيره ... يترجم عن ذى منطق وهو أبكم
تراه قصيرا كلما طال عمره ... ويفصح بليغا وهو لا يتكلم
(وفيه أيضا) بصير بما يوحى إليه وماله ... لسان ولا قلب ولا وهو سامع
كأن ضمير القلب باح بسره ... اليه إذا ما حركته الأصابع
(وقال أيضا) وأصفر عار أنحل السقم جسمه ... يشتت شمل الخطب وهو جموع
حمى الجيش مقطوعا كما كان تحتمى ... به الأسد فى الغابات وهو رضيع
(وفيه أيضا) وذى نحول راكع ساجد ... أعمى بصير دمعه جارى
ملازم الخمس لأوقاتها ... مجتهد فى طاعة البارى
(فى مرملة) معشوقة لذوات الورق قد صنعت ... حزينة ما تراها قط تبتسم
كأنها من صروف الدهر خائفة ... تبكى دماء على ما سطر القلم
(فى كتاب) وذى أوجه لكنه غير بائح ... بسر وذو الوجهين للسر يظهر
تناجيك بالاسرار أسرار وجهه ... فتسمعها بالعين ما دمت تبصر

(فى سلطان حسن لابن أبى حجلة)

ماسم محبب للقلوب لأنه حسن الحروف يجود بالاحسان تصحيفه أمسى حبيبا كلما صحفت أحرفه بحسن بيان لو جاد لى يوما برؤية وجهه بلغت المراد وعشت بالسلطان
(فى شبابة) وما صفراء شاحبة ولكن تزينها النضارة والشباب
مكتنبة وليس لها بنان منقبة وليس لها نقاب تصيح لها اذا قبلت فاها أحاديث تلذ وتستطاب وبحلو المدح والتشبيب فيها وليست لاسماد ولا الرباب

(فيها أيضا) ومقروحة الاجفان مثلى شجية ... تنادت عن الأهلين أسقمها البعد
تزوجها عشر وذاك محرم ... ولا حرج كلا ولا وجب الحد
إذا ما وطئها القوم تصرخ صرخة ... يلين اليها القلب لو أنه صلد
(وفيها أيضا) منقبة مهما خلت مع محبها ... يزودها لثما وينظرها شزرا
وتصحيفها

شديد فأقول شرب الرجل فسر وضحك ولعله بعد يعرفها وتعرفه فضحكت اليه وضحك اليها قال فلما ذكر هذا الحديث طابت نفسى وأصغيت إلى حديثه فقلت ثم ماذا قال ثم ان الأمر يزيد حتى أراه قد دنا فسارها وسارته فتقوم على القيامة وأقول ضحك اليها وضحكت اليه للمعرفة فما وضع السمر ثم أهم بالعمود والتأنى الذى فى يقول لعله طالبها بصوت تغنيه فامسك فلا يطول الأمر بينهما حتى أراه قد أدخل يده فى ثوبها فقرصها وعبث بثديها فتداخلنى الغيرة وأقول ما بعد هذا شيء وأهم بضربهما بالعمود لكن على ماترى عندى تأن فأقول بعد لم يبلغ الأمر بهما إلى القتل وهى أوائل وسيكون لها أواخر فان أتى بما يوجب القتل قتلتهما فاسترحت فامسك فيطول الامر حتى أرى الواحدة قد قامت وقام الرجل فى أثرها فيدخلان ذلك البيت وبابه وثيق جدا فأسعى خلفهما بهذا العمود لأقتلهما البتة فيسبقانى فيغلقان الباب وأبقى أنا خارجه وأنا غيور كما قد علمت فأقول متى علمت حركتهما مت او قتلت نفسى فلا يكون والله يا أخى لى اعتصام إلا بذلك الطبل المعلق فاتناوله وأضعه فى عنقى فلا أزال أضرب أبدا حتى يخرجا قال فاقمت

والله وأنا ارى اوفى منه قولا وفعلا قال صلاح الدين الصفدى فى الجزء الخامس والثلاثين من التذكرة ومن خطه نقلت حجت جميلة الموصلية بنت ناصر الدولة أبى محمد بن حمدان أخت أبى تغلب سنة ست (٢٠٥) وثمانين وثلثمائة نعتت أهل الموسم كلهم السويق بالطبرز ذو الثلج واستصحبت البقول المزروعة فى المراكب وعلى الجمال وأعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار ولم تستصبح عندها وفيها الا بشموع العنبر وأعتقت ثلثمائة عبد ومائتى جارية وأغنت الفقراء والمجاورين * وحج عبدالله بن جعفر ومعه ثلاثون راحلة وهو يمشى على رجليه حتى وقفت بعرفات فأعتق ثلاثين مملوكا وحملهم على ثلاثين راحلة وأمر لهم بثلاثين ألفا وقال أعتقهم لله تعالى لعل الله أن يعتقنى من النار (وكان) حكيم بن حزام رضى الله عنه يقيم عشية عرفة مائة بدنة ومائة رقبة فيعتق الرقاب عشية عرفة وينحر البدن يوم النحر وكان يطوف بالبيت ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له نعم الرب ونعم الإله أحبه وأخشاه (عمر بن زر الهمدانى) لما قضى مناسكه أسند ظهره إلى الكعبة الشريفة ثم قال مودعا للبيت ما زلنا نحل لك عروة ونشد أخرى ونصعد أكمة ونهبط واديا وتخفضنا أرض وترفعنا أخرى حتى أتيناك غير محجوب بين فليت شعرى بم يكون منصرفنا أمذنب مغفور فأعظم بها من نعمة أم بعمل مردود فأعظم بها من مصيبة فيا من إليه خرجنا وإليه قصدنا وبحرمه

وتصيفها فى كف حاملها فقل   إذا شئت فى اليمنى وإن شئت فى اليسرى

(فى دملج) إلى النساء يلتجى * وعندهن يوجد * الجسم منه فضة * والقلب منه جلمد

(فى خلخال) أيا عجبا من صابر صامت ولم   يفه بكلام قط فى ساعة الضرب
اقام ولم يبرح مكانا ثوى به   على انه اضحى يدور على الكعب

(فى شعرى الليلة) وذوى عدد كالرمل سام محله   جميل على كل الملاح له حق
يحاذر من مرسى ويرهب باسمه   وفى قلب هرون له الملك والحق

(فى التنين) أى شئ لا تطعمه * ناعم الملمس لين * كيف لا يبدو وضوحا * وهو فى التصحيف بين

(فى الموز) ما اسم لشئ حسن شكله   تلقاه عند الناس موزونا
تراه ممدودا فان زدته   واوا ونونا صار موزونا

(فى حمرة) من لى بمعتدل القوام مهفهف   أروى بغصن البان لينة قده
فى فيه تصحيف اسمه بحده   وبقلب عاشقه لشدة صده

(وفيه أيضا) اسم الذى أنا أهواه واعشقه   وطول دهرى أخشى من تجنبه
تصحيفه فى فؤادى دائما أبدا   يبدو وفى خده أيضا وفى فيه

(فى ساقية) وجارية لولا الحوافر ما جرت   اشاهدها تجرى وليس لها رجل
وترضع أطفالا ولا هى أمهم   وليس لها بعل وليس لها بعل

(وفيها أيضا) وجارية تبكى إذا الليل جنها   بلا ألم فيها ولا ضرب ضارب
عليها رجال شنقوا بعد حرقهم   وما كان شنق القوم إلا بواجب

(فى زر وعروة) وما أخت يجامعها أخوها   وليس عليهما فيه جناح
ترى بجواره الحكام طرا   وفى أعناقهم ذاك النكاح

(فى راوية) وسوداء تشرب من رأسها   وإن شئت تسقيك من فرد يد
ولونها مثل لون أختها   وثنتاهما واحد فى العدد
وتحبل فى الوقت هى وأختها   وفى ساعة يضعان الولد

(فى شطرنج) ياذا النهى ما اسم له حالة   يحار فيها الذهن والفكر
له حروف خمسة انما   ثلاثة منها له شطر

(فى فيل) ايما اسم تركيبه فى ثلاثة   وهو ذو أربع تعالى الاله
حيوان والقلب منه نبات   لم يكن عند جوعه يرعاه
فيك تصحيفه ولكن إذا ما   رمت عكسا يكون الى انتهاه

(فى بجع) ما طائر فى قلبه * يلوح للناس عجب منقاره فى بطنه * والعين منه فى الذنب

(فى نار) وما اسم الأنكى به النفع والضرر   له طلعة تغنى عن الشمس والقمر
وليس له وجه وليس له قفا * وليس له سمع وليس له بصر * يمد لسانا يختشى الرمح بأسه
ويهزأ يوم الضرب بالصارم الذكر * يموت إذا ما قمت تسقيه عامدا * ويأكل ما يلقى من النبت والشجر
فيا قارئ الأبيات دونك شرحها   والا فنم عنها ونبه لها عمر

(وفيها أيضا)
وآكلة بغير فم وبطن   لها الأشجار والحيوان قوت

إذا أطعمتها انتعشت وعاشت   وإن أسقيتها ماء تموت

(فى يد الهاون) قل لى فما شىء يرى ناعما   منتصب القامة طول الزمان
أطول من شبر له حزة   مفيشل الرأس قوى الجنان
يسمع فى القمر له رنة   ويظهر الصالق بأعلى مكان

(وفيه أيضا) خبرونى أى شىء أوسع ما فيه فمه وابنه فى بطنه
يرفسه ويلكمه وقد علا صياحه ولم يجد من يرحمه

(فى خشخاش) وما قبة مبنية فوق شاهق   لها علم يحكى الملاحة بالظرف
وأولادها فى بطنها فى جماعة   يكون الفا أو يزيدون عن الف
ويأخذها الطفل الصغير بجهله   ويقلبها عسفا على راحة الكف

(فى كوز زير) وذى أذن بلا سمع   له قلب بلا اب
إذا استولى على صب   فقل ما شئت فى الصب

(فى اسم على) اسم الذى أعشقه   أوله فى ناظره   ان فاتنى أوله   فان لى فى آخره

(فى موسى للصفدى) وما شىء له حد وخد   يكلم من يلامسه نجافه
وكل حلقه من تحت رأس   والرأس صارت تحت حلقه

(فى حلب لابن الفارض رحمه الله تعالى)

ما بلدة بالشام قلب اسمها   تصحيفه أخرى بأرض العجم
وثلثه إن زال من قلبه   وجدته طير شجى النغم

(وقال فى سمرقند) وما اسم سداسى إذا ما لمحته   ترى فيه أجزاء تذم وتشكر
له ثلث يأتى به الموت لجأة   وثلث مع الكتاب يطوى وينشر   وثلث رعاك الله يا صاحبى له
على مدى الأيام نشر معطر   وفى نصفه لما تحرك بعضه   حديث شهى فى الليالى يذكر
وفى نصفه الثانى إذا ما أعدته   إلى النار للتحليل والعقد سكر
ففسر لنا ذا اللغز ان كنت ذا حجى   فليس على ذى العقل لغز معسر

(وقال فى كون) يا أيها العطار أعرب لنا   عن اسم شىء قل فى سومك
تراه بالعين فى يقظة   كما ترى بالقلب من نومك

(وقال فى قالب الطوب)

وما آكل فى قعدة الف لقمة   ولقمته أضعاف أضعاف وزنه
إذا نزل المأكول جنبيه لم يقم   سوى لحظة أو لحظتين ببطنه

(فى العين) وباسطة بلا عصب جناحا   وتسبق ما يطير ولا تطير
إذا القمتها الحجر اطمأنت   وتجزع ان يباشرها الحرير

ويكفى من ذلك ما اشرت اليه وما نبهت من هذا الفن عليه وقد مضى القول من الفنون السبعة على فن الشعر القريض وما فيه من الفنون المتقدم ذكرها (ولنذكر) إن شاء الله تعالى بقية الفنون السبعة على وجه الاختصار والفنون السبعة المذكوره عند الناس هى الشعر القريض والموشح والدوبيت والزجل والمواليات والكان وكان والقوما ومنهم من جعل الحماق من السبعة وفى ذلك اختلاف وعند جميع المحققين أن هذه الفنون السبعة منها ثلاثة معربة ابدا لا يغتفر اللحن فيها وهى الشعر القريض والموشح

انختنا أرحم أملاك الوفد لغناك فقد اتيناك بقيبسنا معراة جادوما ذابلة أستها نقية أخفافها وإن أعظم الرؤيا آن ترجع وقد اكتفينا الغيبة اللهم وإن الزائرين حقا فاجعل حقنا غفران ذنوبنا جواد ما جد لا ينقصك نائل لا يحصك سائل (ونقلت) من خط الشيخ صلاح الدين الصفدى من الجزء الثامن والثلاثين من تذكرته ما صورته نقلت من خط شيخنا الشيخ الإمام الحافظ علم الدين البرزلى رحمه الله تعالى ما صورته قرأت فى بعض الكتب الواردة من القاهرة المحروسة أنه لما كان بتاريخ يوم الخميس رابع جمادى الآخرة فى سنة اثنين وسبعمائة ظهرت دابة عجيبة من بحر النيل إلى أرض المنوفية صفة لونها لون الجاموس بلا شعر وآذانها كآذان الجمال وعيناها وفرجها مثل الناقة يغطى فرجها ذنب طوله شبر ونصف طرفه كذنب السمك ورقبتها مثل غلظ التيس المحشو تبنا وفمها وشفاهها مثل الكربال ولها أربعة أنياب اثنان من فوق واثنان من أسفل طولهن دون الشبر وعرض أصبعين وفى فمها ثمانية وأربعون ضرسا وسنا مثل بيادق الشطرنج . وطول يدها من باطنها إلى الأرض شبران ونصف ومن ركبتها إلى حافرها مثل بطن الثعبان أصفر مجعد ودور حافرها مثل السكرجة بأربعة أظافير مثل أظافير الجمل وعرض ظاهرها مقدار ذراعين ونصف ومن فمها إلى ذنبها خمسة عشر قدما وفى بطنها ثلاث كروش ولحمها أحمر وزفرته مثل السمك وطعمه

كطعم الجمل وغلظ جلدها أربعة أصابع ما تعمل فيه السيوف وحمل جلدها على خمسة جمال في مقدار ساعة من ثقله على جمل بعد جمل وأحضروه إلى القلعة المعمورة بحضرة السلطان وحشوه تبنا وأقاموه بين يديه (ونقلت منه أيضا)

والموشح والدوبيت ومنها ثلاثة ملحونة أبدا وهي الزجل والكان وكان والقوما ومنها واحد وهو البرزخ بينهما يحتمل الاعراب واللحن وهو المواليات وقيل لا يكون البيت منه بعض ألفاظه معربة وبعضها ملحونة فإن هذا من أقبح العيوب التي لا تجوز وإنما يكون المعرب منه نوعا بمفرده ويكون الملحون فيه ملحونا لا يدخله الأعراب وقد أوضح قاعدة الجمع وأمثلتها صفي الدين أبو المحاسن الحلي في ديوانه وسماه بالعاطل الحالي والمرخص الغالي ولو بسطت المال لاتسع المجال وكثر القال ولكن الاختصار يذهب الأوجال والحمد لله رب العالمين على كل حال

(فصل في بيان الفن الثاني وهو الموشح)

(لابن المبارك) قد أنحل الجسم أسمر أكحل وأوحل القلب فيه مدخل

(دور) أميل له فلا يميل يحول وعنه لا أحول أقول إذا زاه في المحول

أما حل عقد الصدود ينحل ويرحل عن نجم المزحل

(دور) كم بعدكم أبيت مكمد ويعمد بهجره لا فقد وأجهد لا رتعاده من قد

تحمل والحاسدون رحل تمحل والوعد منه ما حل

(دور) متوج بالحسن هذا الابلج مدبج عذاره البنفسج مفلج وطرفه ذا الادعج

مكحل وثغره منحل مخلخل بعنبر معجل

(دور) وغمي من يمتحل ظلمي ويرى بحربه لسلمى وجسمي من التزام سقمي

متحل وقد غدا مرحل فن حل سفك دمي وما حل

(دور) قلاني واشتط ذا الفلاني غزاني بطرفه اليماني تراني أنشد لمن يراني

قد أنحل الجسم أسمر أكحل وأوحل القلب فيه مدخل

لابن سناء الملك كللي يا سحب تيجان الربا بالحلى واجعلي سوارك منعطف الجدول

(دور) يا سما فيك وفي الأرض نجوم وما كلما ما أخفيت نجما أظهرت أنجما

وهي ما تهطل الا بالطلى والدما

فأعطني على قطوف الكرم كي تحلي وانقلي للدن طعم الشهد والقرنفل

(دور) نقد كالكوكب الدري للرتصد يعتقد فيها المجوسي بما يعتقد

فاتئد يا ساقي الراح بها واعتمد

واملى لحق تراني عنك في معزل قل لي فالراح كالعشق ان يزد يقتل

(دور) لا ألم في شرب صهباني وفي عشق ريم فالنعيم عيش جديد ومدام قديم

لا أهيم الا بهذين فقم يا نديم

واجل لي من أكؤس صيرت من فوفل ألذ لي من نكهة العنبر والمندل

(دور) خذهني واعطني كاسي مثل كاسك هني واسقني على رضاب الطين الملسن

والهني ببعض ماصيغ من الألسن

لو تلي مدح سناه مع رشا أكحل لدل على سنا الصهباء والسلسل

(دور) ازهرت ليلتنا بالوصل مذ أسفرت أصدرت بزورة المحبوب اذ بشرت

كتب إلى زين الدين الرحبي أنه وجد بالقاهرة بالقرب من المشهد كلبة ميتة ولها جروان يرضعان مقدار عشرين يوما بعد موتها ويلعبان حولها واللبن يخرج من أبزازها من الجانب الأعلى وأما الجانب الأسفل فإنه يبس وكان الناس يمرون بها ويتعجبون فسبحان من لا يعجزه شيء وهو على كل شيء قدير (وذكر الشيخ في حوادث سنة ٧٠٦) قال قال شيخنا علم الدين رحمه الله تعالى نقلت من خط الصدر بدر الدين الفرازي قال في السابع من ذي الحجة سنة (٧١٢) أخبرني شخص أن كلبة ولدت بالقاهرة ثلاثين جروا وأنها أحضرت بين يدي السلطان فلما رآها عجب من أمرها وسأل المنجمين عن ذلك فاعترفوا أنهم ليس لهم علم بذلك (يحكى) أن المهدي خرج يتصيد فلقيه الحسين بن مطير الاسدي وأنشده

أضحت يمينك من جود مصورة

لا بل يمينك منها صورة الجود

(٢٧ — مستطرف ثان) من حسن وجهك تضحي الارض مشرقة ومن بنانك يجري الماء في العود

وهل تركت في شعرك موضعا لاحد مع قولك في معن بن زائدة

فقال المهدي كذبت يا فاسق ألما يعمن ثم قولا لقتره

سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا فيا قبر معن كنت اول حفرة من الارض خطت للمكارم مضجعا ويا قبر معن كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا ولكن حويت الجود والجود ميت ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا

وما كان إلا الجود صورة وجهه
فعاش ربيعا ثم ولى فودعا
فلما مضى معن مضى الجود والندى
وأصبح عرنين المكارم أجدعا
فأطرق الحسين وقال يا أمير المؤمنين وهل معن إلا حسنة من حسناتك فرضي عنه وأمر له بألفي دينار (قال سعيد بن مسلم) لما ولى المنصور معن بن زائدة أذربيجان قصده قوم من أهل الكوفة فلما صاروا ببابه استأذنوا عليه فدخل الآذن فقال أصلح الله الامير وفد من أهل العراق قال من أي أهل العراق قال من الكوفة قال ائذن لهم فدخلوا عليه فنظر اليهم معن في هيئة مزرية ووثب على أريكته وأنشد يقول
إذا نوبة نابت صديقك فاغتنم
ترقبها فالدهر بالناس قلب
فاحسن ثوبيك الذى هو لابس
وأفره مهريك الذى هو راكب
وبادر بمعروف إذا كنت قادرا زوال اقتدار فهو عنك يعقب

قال فوثب اليه رجل من القوم فقال أصلح الله الامير ألا أنشدك أحسن من هذا قال لمن قال لابن عمك هرمة قال هات

(أخرت فقلب للظلماء مذقصرت)

طولى ياليلة الوصل ولا تنجلي واسبلي سترك فالمحبوب في منزلي
(دور) من ظلم في دولة الحسن إذا ما حكم فالألم يجول في باطنه والندم
والقلم يكتب فيه عن لسان الأمم
من ولى في دولة الحسن ولم يعدل يعزى لألحاظ الرشا الأكحل
(وله أيضا) ترى هل يشتفي منك العليل ويشفي من صبابته الغليل
(دور) لقد أسرفت في هجرى وصدرى بلا سبب سوى كانى ووجدى
وماذا في سلو عنك يجدى
خضاب الوجد ليس له نصول وأسياف الهوى فينا تصول
(دور) لئن شحيت عنى بالسلام وطيفك قد جفا لجفا المنام فقد جادت بأربعة سجام
جفون بالبكا كادت تحول على خد أسف به النحول
(دور) لقد أرسلت في طي النسيم حديث هوى عن الوجد القديم فعادت وهي عاطرة الشميم
تخبر أن ظعنهم نزول بدار لا يلم لها نزيل
(دور) تلقته الموالى والموالى بالحاظ وزرق من نصال وأعطاف وسمر من عوالى
فكم بطل هناك وكم قتيل بسيف من لواحظه قتيل
(وله أيضا) شمس الحيا أم القمر أم بارق الثغر يا بشر أم اليها جفنه الحفر بطرز خديك مستطار
(سلسلة) قم تباها بما تباها ولا تلاه
(قفلة) فكل أحبابنا حضروا والعود يشجيك والوتر
(الدور) أفديك بالسمع والبصر يا أهيف وصله وطرى
بدر بدا في دجى الشعر قد لذ في حبه سهرى
(سلسلة) إذا تجلى وقد تجلى عليك تجلى
(قفلة) تحير في وصفه الفكر والعقل والسمع والنظر
(الدور) فهاك حدث عن الطرب وعن سلافة ابنة العنب
وإذا سقاها مبع الضرب بدر بأفق الجمال ربى
(لمة) في ظل بان على المثانى من غير ثانى
(قفلة) الا الندامى إذا سكروا والروض والماء والشجر

(قال رحمه الله تعالى)

وانسيم السحر هل لك خبر عن غريب همو بالمنحنى فارقونى ولم أقض الوطر
من لقاهم ولا نلت المنى قلت يا قلب أصبر ما صبر والنبى ما الهوى إلا عنا
ما كتمت الهوى إلا ظهر من شهر المدامع والضنى
(دور) ليس تمنع وصالك يا حبيب عن محبك ولا يعشق سواك
راقب الله وارجع من قريب قبل ما يبلى جسمه في هواك لست التي لدائى من طبيب
غير رشفى حبيبى من لماك لو أرى حالي العاذل عذر حينما ينظر جمالك والسنا

(دور)

(دور) يا قمر فوق غصن من نقا أنحلتنا مطالك والصدود يا رعى الله لويلات اللقا
ليتها يا خل يوما لي تعود ليلة السعد ما فيها شقا كيف تشقى وطالعها سعود
صفوها لا يمازجه كدر بالمسرات وأوقات الهنا

(غيره) حملت مذ سارت الحمول وجدا مضى العمر وهو باقي

(دور) ساروا وسار الفؤاد لكن جسمي مقيم على المساكن وعنى الحسب صار ظاعن
مالي إلى وصله وصول لو سرت بالبرق البراق

(دور) وغادة كالقضيب قدا والورد والياسمين خدا كأنها البدر إذا تبدى
وشعرها أسود طويل كأنه ليلة الفراق

(دور) هو ما أتتنا تميل ميلا سحابة كالسحاب ذيلا فقلت شمس تزور ليلا
وما درى كاشح عذول فذاك أعجب اتفاق

(دور) وسدتها ساعدي لسعدي وبت أرعى رياض وردي وخمر ريق كذوب شهد
لو ذاقها مدنف عليل لعاش والروح في التراق

(دور) لما رأتني أذوب سقما ومن ورد الرضاب أظما قالت كأن الخدود لثما
ما يشتفي منك ذا العليل بغير نومي وشيل ساقي

{فصل في الفن الثالث وهو الدوبيت}

(لسيدي شرف الدين بن الفارض رحمه الله تعالى)

أهوى قمرا له المعاني من صبح جبينه أضاء الشرق
تدري بالله ما يقول البرق ما بين ثناياه وبيني فرق

وقال أيضا: أهوى رشا كل الأسى لي بعثا مذ عاينته تصبري ما لبثا
ناديت وقد فكرت في خلقته سبحانك ما خلقت هذا عبثا

وقال أيضا: عرج بطويلع فلي ثم هوى واذكر خبر الغرام واسنده إلى
واقصص قصصي عليهم وابك على قل مات ولم يحظ من الوصل بشي

وقال أيضا: روحي إليك يا زائرا في الليل فداه يا مؤنس وحدتي إذا الليل هدا
إن كان فراقنا مع الصبح بدا لا أسفر بعد ذاك صبح أبدا

وقال آخر: يا شمس ضحى جبينه وضاح ساعات وصالك كلها أفراح
عشاقك لو فعلت ما شئت بهم ماتوا كمدا وبالهوى ما باحوا

وقال آخر: أهواه مهفهفا ثقيل الردف كالبدر يجل حسنه عن وصف
ما أحسن واو صدغه حين بدت يا رب عسى أن تكون واو العطف

وقال التلعفري: قلبي ذهبت لبعدكم راحته ما الصبر على بعادكم عادته
بنتم فرثى لما به شامته لا كان فراقكم ولا ساعته

وقال المنشد: إحسانك طول الدهر لا أنساه لا أذكر بعد خالقي إلا هو
إن أبعدك الزمان عني حسدا مولاي خليفتي عليك الله

قال آخر: إن جئت ربا الحمى ولاحت نجد فاذكر ولهي وما جناه البعد

فأنشد يقول
وللنفس نارات تحل بها العرى وتسخو عن المال النفوس الشحائح
إذا المرء لم ينفعك حيا فنفعه أقل إذا ضمت عليك الصفائح
لأية حال يمنع المرء ماله غدا فغدا والموت غاد ورائح

فقال معن أحسنت والله وإن كان الشعر لغيرك يا غلامي أعطه أربعة آلاف يستعينون بها على أمورهم إلى أن يتهيأ لنا فيهم ما نريد فقال الغلام أجعلها دنانير أم دراهم فقال معن والله لا تكون همتك أرفع من همتي (مدح) مطيع ابن إياس معن بن زائدة فقال له معن إن شئت مدحتك وإن شئت أثبتك فاستحى من اختيار الثواب وكره اختيار المدح فقال

ثناء من أمير خير كسب لصاحب مغنم وأخي ثراء
ولكن الزمان برى عظامي وما مثل الدراهم من دواء

فأمر له بألف دينار (ولما) قدم معن بن زائدة أتاه الناس فأتاه ابن أبي جحفة فإذا المجلس غاص بأهله فدق بعصاه الباب ثم قال

وما أحجم الأعداء عنك تقية عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا
له راحتان الجود والحتف فيهما أبى الله إلا أن يضر وينفعا

فقال معن تحكم يا أبا السمط فقال عشرة آلاف فقال معن ونزيدك ألفا (أتى) أعرابي إلى معن بن زائدة ومعه نطع فيه صبي حين ولد فاستأذن عليه فلما دخل جعل الصبي بين يديه وقال سميت معن بمعن ثم قلت له هذا اسمي فتى في الناس تحمده

أنت الجواد ومنك الجود نعرفه   ومثل جودك فينا غير معهود   امست يمينك من وجود مصورة   لابل يمينك منها
صورة الجود   قال كم الابيات   قال ثلاثة قال أعطوه ثلثمائة دينار ولو كنت زدتنا لزدناك قال حسبك
ماسمعت وحسبي ما أخذت (أخبرنا) الشيخ الجليل العدل الاصيل شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن ابراهيم بن غانم بن وافدى المهدى قال أخبرنا المشايخ الثلاثة الإمام فخر الدين ابو الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد البخارى وأبو العباس أحمد بن شيبان بن ثعلب الشيبانى وأم حبيد زينب بنت مكى ابن على بن كامل الحرانى قال أخبرنا أبو حفص عمر بن عمر بن محمد بن أبى نصر الحميدى قال أنشدنى أبو غالب محمد بن سهل النحوى الواسطى المعروف بابن سبران بواسط قال أنشدنى الأمير أبو الهيجاء محمد بن عمران بن شاهن قال أنشدنى على بن زريق الكاتب البغدادى لنفسه هذه القصيدة إلى آخره وقد أنشدنيها جماعة بالمغرب وقال لى أبو محمد على بن أحمد بن سعيد وغيره يقال من تختم بالعقيق وقرأ لأبى عمرو وحفظ قصيدة ابن زريق فقد استكمل الظرف وهى لا تعذليه فان العذل يوجعه
قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه
جاوزت فى لومه حداً أضربه   من حيث قدرت ان اللوم ينفعه

قد كنت أقاسى الصد حتى رحلوا   ياليتهم عادوا وعاد الصد

(فصل فى الفن الرابع وهو الزجل)

(حمل للغبازى) قل لغزلان وادى مصر والشام يقصر وإذا الفار
لهم اجعل حشاشتى مرعى وفؤادى قفار

(دور) مصر والشام فيها ملاح أقمار بالمحاسن تسود
ذا أبيض وذا أحمر وذا مليح أسمر لو عيون نجل سود وذا غزال ضار يفوق على الغزلان ويميد الاسود
وذا غصن بان أهيف قوام قد وقد الاغصان جهار وذا بدر الكمال قد ظهر فى الليل وذا شمس النهار

(دور) تدر بالله ايش قالت مليح الشام بعد ذاك الصدود
قد سمينا بصحة الابدان واعتدال القدود   وتخضب تفاحنا الأحمر فوق بياض الخدود
وأنتم ياعشاق امكم قلنا والحسود زاح بنار أنتم التفاح ومانقصد منكم إلا الخيار

(دور) وملاح مصر قالت احنا أصحاب الوجوه الملاح
والحلاوة وطيبة الخلاق فى الخلائق مباح   احنا أقمار واحنا بدور الليل وشموس الصباح
وفى الالفاظ والظرف والمعنى ليس لنا حد صار وورثنا الحسن من يوسف واكتسبنا الفخار

(دور) حسن حى الفرارجى فرحه بدر فى السعد لاح
فرخ ناجيب خرج من القشرة فاق ملاح الملاح   كلما أعمل على رضاه يفسد بجفاه الصلاح
ومن البيضة قد خرج نافر رد جفنى بنار   وجفانى وخد بياض جسمى خلطوا بالصفار

(دور) وقع الطل خط بالأبيض   فى اخضرار الطروس
قم ياساقى على بساط زهرى تحت ظل الغروس   هاتها شمس راح شمول قرقف بكر عذرا غروس
عروس لها صفو النسيم ولطف الماء وابتهاج الثمار   قد جلوها فى كاس زجاج أبيض فاكتسى باحمرار

(دور) حمر فيه سر لو جهل   أشياف رد الأعمى بصير
اقطع القطف أسود يحاكى الليل سفق أخضر بصير   ياترى ذا السر فى كرمه أو يكون فى العصير
وترى النور دا عليه يلمع ذاك من ايش استنار   وكذا الكاس يحاكى ياسمين من كساه جلنار

(دور) فهو عطار عندو شراب هندى   ورانى جفاه
كل من مص من لسانو ريقو يلتقى فيه شفاه   ورد خدو وخبيتوا سودا شبه خال فى صفاه
جبل آس عارضو أسر قلبى والكبار والصغار   فى الحب غاروا على حسنو وكل من حب غار

(دور) دوروني الملاح على كعبي   ونصوا نصوص
بلادعوى التفت لف اليسير فى هواهم خصوص   وعليا صار نقشهم قاعد مثل نقش الفصوص
والبساط انطوى وحين ماراوا حف له همه   ولو اصطبار قرونى فى شق هذا القمر والحبة قار

(دور) لحبيبي ثغر من جوهر   والشفيفات عقيق
وعوارض ماضرهم عارض غير نبات الشقيق   وخدود ورد من غير نمش ووصفنا عن حقيق
يحرس الورد حال عنبر تحت اهداب غزار   فى صفا وجهو أنزه طرفى عند خلع العذار

(دور) فى رياض صفوف من الأزهار   قابلتها صفوف
كيف لا ترقص والنسيم بها موصول وورقها   دفوف وأعجب من النبراز صفق لو من الملووج كفوف

والفيوم

فاستعملى الرفق فى تأنيبه بدلا   من عنفه فهو مضنى القلب موجعه   قد كان مضطلعا بالبين يحمله
فضلعت بخطوب البين أضلعه   يكفيه من لوعة التنفيذ أن له   من النوى كل يوم ما يروعه

والغيوم نقطت وحين جا النسيم طار على مطا   باختلاف الالحان سحر فى الروض صاح على عود طار
(دور)   أشرف الخلق بين الاسلام   والهدى والضلال
والشرائع والحق والباطل والحرام والحلال   نبى من بين أصابعه الشقيق نبع الماء الزلال
ولو أن النبات جميعه أقلام والمداد والبحار   والخلايق تكتب مديحو تاه كل كاتب وحار
(دور)   خلف استاذ فى الفن ماينطاق   ذاق عداه المنون
مايميو فى الفن غير ناقص عقل زايد جنون   شيخ مصدر لبيب قيم فى جميع الفنون
باتضاعو مع الصغار موفوع رؤس الكبار   وأهل الفنون تجري وما تلحق للغبار غبار

(غيره لناصر الغيطى)

كنز وضى طالبو بسعد ياخليع قم فى دجى الأسحار   تنتقى در الندى برهج فوق فصوص غرائب النور
(دور)   (كنز ورضى نزهة الطالب   جوهر وبين الندى برهج
ولجين الما ينكسر ياخليع هيا تما انفرج   بين عنابر تلتقى الخلع كل حد مع إلفو يدوج
وامش فى عرض الرياض وارتع بين أغصان وملواطيار   فوق بساط زمرد وقصبان كل ورده احكت لنا دينار
(دور)   وترى الياسمين بحال فضه   ضربت لأهل النزه صلبان
والشارير لابسين أسود وقلانس كنهم رهبان   وكذا الكتان وهو اصفر بعمائم زرق للناس بان
وانجلت بين القسوس فى الحان وعلينا دار الخمار   والقطيع الرهي يحكى اشماس لابس الزنار
(دور)   الفراق نار والوصال جنه   والخلائق بعضهم يعشق
داحبيب قلبو عليه راضى وذا محبوبو عليه يشفق   ولهيب الهجر يتوقدوا الوصال من الملاح يشتق
والمليح عندى وأنا مطمن وسط روضا زهرها معطار   فى نعيم مع حور ومع ولدان والعذول مسكين صح فى نار
(دور)   وعمل فى الروض سماع باكر   بين الأغصان والزهور أنغام
النسيم شبب والغدير صفق والخليع من كتر وجدها   والنخيل باكامها ترقص واقبل الرشان بحال اعجام
والعصافير شيخهم زيق لو طربق بين الازاهر طار   والبلابل بالغنا يسجى فكأنو ناى أو مزمار
(دور ناصر الغيطى) ياخلايا ضيحت انسان   أنكر الصحبة وعادانى
وبغضى حين بقيت مسمى والاله بالفصل أسمانى   فى بلادى قبلى وأرض الشام يشكرونى سائر أقرانى
والشجيع الشاطر المذكور فى جميع الأرض لو تذكار   والبط يوقع لو تعيق مايحصل شىء مع السطار
(لغبارى)   جار حبيبى فقلت ذا الحجاج   حايجور أو يزيد
لو عدل عشت بو مسرور   ويكون الرشيد
(دور)   اقلع القلب فى هوى العشاق   والدموع فى انحدار
وبحور الهوى إذا هاجت ليس لها من قرار   كنت أحسب قلبى معوريس غرتو ذا البحار
صحت لما وحلت يامحبوب قلبى بحر عشقك يزيد   خفت فيه الغرق فقال افرح من غرق مات شهيد
(دور)   أنا يوم فى الصبوق بانفرج   على شط الغدير
إذا رأيت على الشط واحد واقف شبت صياد صغير   نظرت مقلتى إلى منظر ما لحسنو نظير
قلت ياعين ان غرك الصياد بالجمال المصيد   يرقمك فى فخاخ شباك عشقو وكراكى يصيد
(دور)   من محبوجديد حب قلبى   يوم صدفتو صدف

ما آب من سفر إلا وأزعجه
رأى ان سفر بالرغم يتبعه
كأنما هو فى حل ومرتحل
موكل بفضاء الأرض يذرعه
إذا الزمان أراه بالرحيل غنى
ولو إلى السد اضحى وهو يزمعه
تأبى المطامع إلا أن تجشمه
للرزق كدا وكم ممن يودعه
ما مجاهد الأنسان واصلة
رزقا ولا دعة الانسان تقطعه
والله قسم بين الناس رزقهم
لم يخلق الله مخلوقا يضيعه
لكنهم ملؤا حرصا فلست ترى
مسترزقا وسوى الغايات تقنعه
والحرص فى المرء والأرزاق قد قسمت
بغى ألا أن بغى المرء يصرعه
والدهر يعطى الفتى ما ليس يطلبه
حقا ويطمعه من حيث يمنعه

أستودع الله فى بغداد لى قمرا   بالكرخ من فلك الازرار
ودعته وودى لو يودعنى   طيب الحياة وأنى لا أودعه

قلت لين ياقاسي لمن دمعو سال وحالو وقف   دار وقال لي مالاسم بالانجيل فنت اسمي خلف
قال علينا يكتب ومن يسمع دا الكلام يستفيد   في الحقيقة من لا يكون دا ودمايلين لو الحديد
(دور) لك عوارض في الخدمر قومه   ليس لها من مثال
وجفاك صار حاقو وباب وصلك كان وكايا غزال   وأنت دو بيت موشح الفد مايا عزيز الدلال
ولك الفاظ صارت مواليا بالزجل والنشـــيد   وبشعرك متوج القاما وأنت بيت القصيد
(دور) عن محرم شرابنا ضمنا   وتفطر بالثمار
حين وجدنا سفرجل البستان بذهب الاصفرار   وغنا تطير به الجاد يطرب وكذا الجلنار
في ربيع حين رأى الثر قاعد فيه نمالين عقيد   حسب الرمض النص من شعبان صار يقيد فيه وعيد
(دور) من هيب مدمعي جرى الطوفان   للهيب ماطفي
وأنا هو العباري في العشاق ما جرى لي كفي   حين عليا بالصد والهجران والبعاد والجفا
جار حبيبي فقلت ذا الحجاج جابجور أو يزيد   لو عدل عشت بومسرور ويكون الرشيد
(غيره) حين سكنت القلب ياعيسى   أمشي من بعدك الحزين فرحان
وتقدس بك ولـكنو   ماجرت فيه ياابن عين ملون
(دور) عارضوا لما عشق خدو   غرب ومن وجدي بقيت حاير
جيت إلى طرفو وناديت لواحرسو وكون عليه ناطر   بعد حين نظرت في خدو التقى العارض وهو داير
وعليه قددب بالسرقة جيت لطرفو قلت اكـلان   هكذا في عادة الحراس قال لي اعذرني أنا نعسان
(دور) بدر شعبان منيتي لما   في ابرو السعد لاح نجمو
قلت اقضي بفيض دمعي اطلقو واجراه على رسمو   قلت لودام الله اطلاقك فالحزين قلبو المشوم قسمو
ايش قد أذنب حين قطرنو   دا يغلط قول بالبهتان
قال لي لزوم عن الوصال ناديت   ليس أصوم يابدر في شعبان
حين تدنج احمرار   باحضرار العارض أسباني
ضحك فابيض وابتسم واسوداد شعري وأبكاني وحين أضحيت باصفرار لوني أشعث أغبر في هواه عاني
قال لي لونك قد صبح حايل وقد أبصر مدمعي طوفان ذقت تبريح الغرام ناديت في هواك ذقت الهوان ألوان
(دور) قلت لو حين عني تخلف   لله كن لي يارشيد مهدي
قد تلون دمعي من بعدك وتجري اليوم على خدي   دار إلى إنسان مهلني قال لو أنت ماعندك نظر بعدي
ماترى ماقد جرى منك على الخدود قال يافتان   جرى الماء تحت من بعدك راقب الله فيا انسان
(دور) ذا الغزال النافر الانسي   للغزالة قد أعار النور
كسر قلبي كسير جفنو فاعجبوا للكاسر المكسور   وبخمر الدن قد عربد وادعى إني انا المخمور
وابتسم لي عن نقا ثغرو وخطر والبشر فيا بان   صحت ياقلبي صفا وردك أنت ما بين النقا والبان
(للصفي الحلي) انت ياقبلة الكرام   زينة المال والبنين
الله يعطيك فوق ذا المقام   ويعيدك على السنين
(دور) انت شاما بين الأنام   الله يحرس شمايلك
ويزيدك بالدوام كي نعيش في فواضلك   ماينطوي ذكر الكرا لما تنشر فضايلك

بالبين عنه وقلبي لا يوسعه
أعطيت ملكا فلم أحسن سياسته
كذاك من لا يسوس الملك يخلعه
ومن غدا لابسا ثوب النعيم بلا
شكر عليه فان الله ينزعه
اعتضت من وجه خلي بعد فرقته
كأسا تجرع منها ما أجرعه
كم قائل لي ذنب البين قلت له
الذنب والله ذنبي لست أدفعه
ألا أقمت مكان الرشد
لو انني يوم بان الرشد أجمعه أتبعه
أن لا أقطع أياما وأنفدها
بحسرة منه في قلبي تقطعه
بمن إذا هجع النوام بت به
بلوعة منه ليلي لست أهجعه
لا يطمئن بجنبي مضجع وكذا
لا يطمئن له مذ بنت مضجعه
ما كنت أحسب ريب الدهر يفجعني
به ولا أظن بي الايام تفجعه
حتى جرى البين فيما بيننا بيد
عسراء تمنعني حظي وتمنعه   وكنت من ريب دهري جازعا فرقا   وبهنتك
أو بقا[illegible] قد كنت أجزعه   بالله يامنزل الانس الذي درست   آثار وعفت مذ بنت اربعه

هل الزمان معيد فيك لذتنا · أم الليالى التى أمضته ترجعه
فى ذمة الله من أصبحت منزله وجاد غيث على مغناك يمرعه

من عنده عهد لى لايضيع عندى له عهد ولاأضيعه
ومن يصدع فلى بذكره وإذا جرى على قلبه ذكرى يصدعه
لأصبرن لدهر لايمتعنى به ولا بى فى حال يمنعه
علما بأن اصطبارى معقب فرجا فأضيق الامران فكرت أوسعه
عسى الليالى التى أضنت بفرقتنا جسمى ستجمعنى يوما وتجمعه
وان تنل أحد منا منيته فما الذى بقضاء الله يصنعه

ونهنيك لكل عام والخلائق تقول آمين · قد بقينا بك فى أمان الله يحييك طول السنين
(دور) ماراينا تحت ذا الفلك من ندى كفك أعم
كل من جاليسآلك ليس تقول سوى نعم · أملك أنت أم ملك ضاعف الله لك النعم
أنت فى الجود كالغمام وسماك فوق ماردين · در غيثك فى انسجام عم كل السائلين
(دور) لاعدمنا كل صوم السحو فيك والهنا · كل ليلة وكل يوم ينشر الذكر والثنا
الله يحيك من خير قوم بالغ القصد والمنى
(دور) حتى انقضى ذا الصيام ويليه باقى السنين · ونعيش ياذا الهمام بين مولدين وعين
(غيره) خابيد الرحيم نقطة حبر من غير قاف ولام · ميم ثغر معشوقى الفتان نون وعين وميم
شال السعد فوق راسو عين ولام وميم · دال لى قد هواه قلبى صاد وبا وبا
مليح مارأيت مثله ظاوبا ويااما أحلاه · عند ما يلبس قاف وبا وبا
ذقت من صدود حبى غين وصاد وصاد · لما رأيت صبرى نون وقاف وصاد
النوم من جفون عينى خاولا وصاد · وأصبحت وجود فكرى عين ودال وميم
قلت يوم لمن كان لى سين ونون ودال · اعدل فى الذى صبر ونون وفا ودال
ولا تهجر العشاق باوعين ودال · ماأفلح قط ياناس من ظا ولام وميم

(جمل فى الالغاز)

(المطلع فى العين)

ومـا طير أكاو الحجر باكرام · وجو هز حجابه يفسد أهل الصلاح
ولمس الحرير يؤذيه ريش النعام · يصول بين جناحين سود كبيض الصفاح
(دور) فى السراج وماعمرما هوما الليل يزيد · وينقص ولا هو خوض ولا هو غريق
وفيه شى صفات حية بلا وكر استفيد · لها جوهره فى فما يارفيق
بلا شلا ينظره القريب والبعيد · يخفى ويظهر كل يوم عن حقيق
يغيب فى النهار لكن إذا جاء الظلام · تشوفو يضىء بين الوجوه الصباح
ويسهر بحال عاشق حليف الغرام · قتيل الهوى بين الربا والبطاح

(دور فى جوزة الكنافة)

وماهى التى تركب على ستين الف وماشل ذاك فسر بناياخبير مليحة وقصيفة وتلبس ترف وتحمل وتوضع كل يوم فى السعير لها عشرون أعوان حالهم مختلف يشيلو أود الكبير والصغير
لها خل يخدمها عليه السلام · بهادى سراها فى المجى والرواح
وأكثر تعبها فى ليالى الصيام · وذا اللغز قلته ومن غير مراح

(دوز فى الغربال)

وما هو الذى ياسعد كله عيون · ولا يتعلم ضوء الظلام والضيا
وهو بين خشب مصلوب لتلك · وميت وهو يحيى أصول الحيا
إذا غاب عن أهل فرد يوم مايهون · ولا حد يعوض موضعه لوعيا
وكم من رقيص فى صنعته باهتمام · مكابد عجاجه فى المسا والصباح

(يحكى) أنه وقع فى ليلة الجمعه خامس عشر المحرم سنة (٨٢١) أن حضرت صلاة العشاء بالجامع النورى بحماة فتقدم امامه للصلاة بعد الاقامة وكبر تكبيرة الافتتاح وقرأ دعاء الافتتاح والفاتحة ثم قرأ الم السجدة ولما أتى على آية السجدة سجد ثم أتمها إلى آخرها وركع وسجد السجدتين ثم قام الركعة الثانية وقرأ الفاتحة قرأ سورة النحل وبنى إسرائيل والكهف ومريم وجانبا من طه فارتج عليه فركع ثم اعتدل واقفا ثم سجد السجدتين وتشهد وسلم على رأس الركعتين

اسفاره اما حاجا واما غازيا على ناقة وكان فى الطريق رجل عائن قلما ينظر إلى شيء الا اتلفه وأسقطه وكانت ناقة أبى عبد الله ناقة فارهة فقيل له احفظها من العائن فقال أبو عبد الله ليس له الى ناقتى سبيل فاخبر العائن بقوله فتحين غيبة أبى عبد الله فجاء الى رحله وعان ناقته فاضطربت وسقطت تضرب فأتى عبد الله فقيل قد عان ناقتك وهى كما تراها تضطرب قال دلونى على العائن فدل عليه فقال بسم الله حابس حابس حجر يابس وشهاب قابس رددت عين العائن عليه وعلى أحب الناس اليه فى كليتيه رشيق وفى ماله يليق فارجع البصر كما ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير فخرجت حدقة العائن وقامت الناقة لا بأس بها (وله فى أسماء الولائم)

وليمة أعراس وخرس لادة
عقيقة مولود نقيعة قادم
وضيمه حزن والبناء وكبرة
عذير ختن مأدبات المكارم

ويحتاج له الناس كل يوم فى الدوام — على شان فنونه دول فنون سلاح

(الفن الخامس من المواليا وله وزن واحد واربع قوافى) فمن تلك الاربعة واحدة لصفى الدين الحلى)

ياطاعن الخيل والابطال قدغارت — والمخصب الربع والامواه قد غارت
هو اطل السحب من كفيك قدغارت — والشهب مذشاهدت اضواك قدغارت

(وقال أيضا) سل مقلتيك الكحال عمن سلاسلها — ومرشفيك من رشف منها سلاسلها
وعارضيك التى مدت سلاسلها — كم من أسود ضوارى فى سلاسلها

(وقال آخر) قد أوعدونا الغضابا أننا نخلو — فى ظل بستان حافف بالتمر نخلو
والطل من فوقنا قد بلنا نخلو — ومن كلام الاعادى قط مانخلو

(وقال آخر) قسما وبالله مفرقها وجامعها — ومن أمرنا بمسجدها وجامعها
لوحل مع بغيتى عابد وجامعها — كان افتتن فى محاسنها وجامعها

(ومن اثنين واثنين قال آخر)

قوم اسقنى ما تبقى فى أباريقو — أما ترى مصبح قدلاحت آباريقو
مع شادن كلمادارت شقاريقه — سق المداما وان عزت سق ريقو

(وقال) البارحه ربت بعينى فى الدجاجيين — اثنين مثل البدوره فى الدجى جبين
ناديتهم فين كنتم ياخفاجيين — قالوا لمن قد وعدنا فى الخفاجيين

(وقال) قدزدت هجرك لجد بالعفو عن صبك — وارحم خضوعى وخف فى قتلتى ربك
يكفيك بهجر تكدر قلب من حبك — ماظن فى الناس قسى قلب من قلبك

(غيره خمرى عاطل)

كاس الطلا لطلاها طال لما سر — وصار لما حوى حمرا مكلل در
مدام لوطعم كله حلو ماهو مر — ماحل بملوك الاصار مالك حر

(غيره حربى) لك امام الوغا فى كل موقع حرب — سماع يطرب له السامع وينفى الكرب
هذا ولك كلما دارت رحاة الحرب — سيوف تفنى وكفك لايمل الضرب

(الصفى الحلى فى المدح)

أغنت وأفنت كفوفك فى الندى والحرب — فى القرب والبعد من شرقها والغرب
وفيض جودك وسيفك بالعطا والضرب — ذالكرب فرج وهذا قدرمى فى الكرب

(وقال أيضا) من قال جودة كفوفك والحيامثلين — أخطأ القياس وفى قوله جمع ضدين
ماجدت الاوثغرك مبتسم يازين — وذاك ماجاد الاوهو باكى العين

(وقال فى التهنئة)

رأيت ذا العيد أول يوم فى عصرك — ورأيت ذا اليوم مع ذا الشهر فى نصرك
رديت ذا الشهر مع ذا العام طول أمرك — والكل بالكل أو مبتدا عمرك

(فى المعاتبة) عنى تسليت وأسياف الجفا سليت — ومذ توليت عن طرق الوفا وليت
لما تمليت بالاعمال لى مليت — وإذا تخليت تعرف قدر من خليت

(وقال أيضا) ياقلب ان غدروا فاغدروإن خانوا — نخن وان هم قسوا فاقساوإن لانو

فلن

(وله أيضا فى أسماء أيام العجوز على الترتيب)

صن ويصنبر ووبر معلل — بمطفىء جمر آمر نعم مؤتمر — ولت عجوز ثم أعقب بعدها — شباب زهره يانع نضر

فلن وان قربوا فاقرب وان بانوا   فبن وكن لى معاهم كيفما كانوا

(وقال آخر) حلف عليا جكاره أن يقاطعنى   وصدعنى وأقسم مايطاوعنى

كم ذا يصدوكم يرجع يصدعنى   ان كنت أنا هو المطلق لايراجعنى

(وقال آخر هجوا)

قطع قفا ابن أخت خالك وابن أخو عمك   والحق يصفع أبو بنتك وابن أمك

وان تكلمت تصفع بل يسيل دمك   وإن كنت تست يبول الكلب فى فك

(وقال آخر) ان ردت تسلم بطول الدهر ما تبرح   لاتيأسن ولا تقنط ولا تمرح

واستعمل الصبر لاتحزن ولا تفرح   وان ضاق صدرك ففكر فى ألم نشرح

(وقال آخر) ان كنت عاقل وربك بالتقى بوك   ادفع أذاك وهات خيرك ودع اشرك

وان تعدى حسودك والحسد ضرك   ناديه ياأيها الإنسان ماغرك

(وقال آخر) ياقلب ان خانك المحبوب لاتدير   عنو وعن قصة السلوان لاتخير

واستعمل الصبر دائم للعدا تقهر   فان والله ماخاب الذى يصبر

(الفن السادس كان وكان) وله وزن واحدة وقافيه واحدة ولكن الشطر الأول من البيت أطول من الثانى فمنه هذه الوعظيات

ياقاسى القلب مالك   تسمع وما عندك خبر   ومن حرارة وعظى   قد لانت الاحجار

أفنيت مالك وحالك   فى كل مالا ينفعك   ليتك على ذى الحالة   تقلع عن الاصرار

تحضر ولكن قلبك   غايب وذهنك مشتغل   فكيف يامتخلف   تحسب من الحضار

ويحك تنبه فتى   وافهم مقالى واستمع   فى المجالس محاسن   تحجب عن الابصار

يحصى دقائق فعلك   وغمز لحظك يعلمه   وكيف تعزب عنه   غوامض الاسرار

تلوت قولى ونصحى   لمن تدبر واستمع   مافى النصيحة فضيحه   كلا ولا انكار

(وقال أيضا)

صرح بذكر المحبه مافى المعمى فائده   وقل نعم أنا عاشق صادق بلا تمويه

ودع حديث العواذل ليس مثل النظار   أنا عاشق لحبيب كل المعانى فيه

من أين البدر حسن يحكيه أوشمس الضحى   حاشا لذاك المحيا من مشبه يحكيه

ان غبت فهو أنيسى وان حضرت نديمى   وان شربت مدامى فالكاس هو ساقيه

فمنه روحى وراحى إذا سكرت   وراحتى وفيه عزى وذلى بمهجتى أفديه

قولوا لمن يلحاني فى الحب قصر واعتبر   هذا الذى قد حار صفى فيه

(الصفى الحلى)

شاهدت فى الليل طيرى   وقمت حتى انصب شركى   ما كل صيد يحصل   يفرح الصياد

طيرى الذى كان الفى   لوردت مثله ماحصل   وهو على معود   وأنا عليه معتاد

قد كان شرطى وخلقى   لبرج غيرى ماعرف   كاننا فى الصحبة   جينا على ميعاد

من قبلى ما أبصبص له   يجى ويحصل قصورى   وأنا أرصده فى مطاره   خائف عليه ينصاد

(ولغيره فى أسماء خيل الحلبة)   سبق المجلى والمصلى والمسلى   بعد تاليه ثرى المرتاحا

حلب اللطيم على الكميت صباحا

(لأبى العلاء المعرى)

وبعاطف وبفسكل وحطيه

سألنى فقلت مقصد باسعيد   فكان اسم الأمير لمن فالا

إذا ما الغيم لم يمطر بلادا   فان له على يدك اتكالا

ولو أن الرياح تهب غربا   وقلت لها هلاهبت شمالا

وأقسم لوغضبت على ثبير   لازمع عن محلته ارتحالا

(نبذة لغوية يفتقر كان متأدب اليها) (البلج) هو أن ينقطع الحاجبان فلا يكون بينهما تضام للشعر وكانت العرب تمدح البلج ويقال رجل أبلج وامرأة بلجاء (ثم العين) لجملة العين المقلة وهى الشحمة التى تجمع البياض والحدقة والناظر وهو موضع البصر وفيه الإنسان والإنسان ليس بحلق له حجم والحجم ماوجدت مسا والعين كالمرآة إذا استقبلتها بشىء رأيت شخصه فيها وفيها الناظران اوهما عرقان على حرفى الانف يسيلان من الموقين إلى الوجه وفيها الاجفان وهى غطاء المقلة من أعلى وأسفل وفيها الاشفار وهى حروف الاجفان التى تلتقى عند الغمض الواحد شفر والشعر الذى يثبت فيه الهدب الواحد هدب فاذا طالت الاهداب

قيل رجل أهدب وامرأة هدباء. ورجل أوطف وامرأة وطفاء كذلك اذن هدباء إذا كانت كثيرة الشعر ووطفاء والكل دليل على الطول والمحجر ما خرج من النقاب والمرأة من الجفن الاسفل وفى العين الحماليق والواحد حملاق

(وقال آخر)

ماذقت عمرى جرعه أمر من طعم الهوى الله يصبر قلبي على الذى يهواه
الناس تعلم منى حال الجلاده والقوى وما أطيق التجلد على أليم جفاه
لى حب مثل الخوخه له لون وطعم وريحه ماأكثر مغابن حبيبي وما أقل وفاه
أنا عرفتو حظى وكل ماأحسن لويسى لوكنت أعشق ظلى ماكنت قط أراه

(وله من الفراقيات)

ياسادة هجروتى وهم نزول بخاطرى لاأوحش الله منكم فى سائر الاوقات
أوحشتم العين منى وانكم فى خاطرى والقلب فى نور منكم والعين فى ظلمات
قد انترى الصبر منى وما بقى فيا رمق هيهات انى أحيا من بعدكم هيهات
لم يبق غير خيالى يلوح كالشبح الخفى أعد بين الاحيا وأبا مع الاموات
ودعتمونى وسرتم والقلب يتبع ركبكم إيش ضر لوكان جسمى من جملة التبعات
مامر ماريت ضدى يقول لى من فرحته هنا تشق المراير وتسكب العبرات
لولم أسلى روحى وارض نفسى بالمنى لكان قلبي نقطع من بعدكم حسرات
وقفت لما رحلتم حيران بين أظعانكم أخفض جناح المدلة وأرفع الاصوات
طول الليالى أساهر كنى أريد الكيميا أقطر الدمع منى وأصعد الزفرات
ما أطول ليالى جفاكم ساعاتها مثل السنه وماأقصر أيام وصلى كأنها ساعات
مالى أرى حسناتى بالسيئات تبدلت وسيئات الأعادى تبدلت حسنات
خالفتمونى وعمرى مازلت اتبع أمركم كذا العبيد تتابع اوامر السادات
اسكت واصبر عنكموا ويفعل الله مايشاء والدهر من عاداته يقلب الحالات

(الفن السابع فى القوما) قيل أول من اخترعه ابن نقطة برسم الخليفة الناصر والصحيح انه مخترع من قبله وكان الناصر يطرب له وكان لابن نقطة ولد صغير ماهر فى نظم القوما فلما مات ابوه أراد ان يعرف الخليفة بموت ابيه ليجزيه على مفروضه فتعذر عليه ذلك فصبر إلى دخول شهر رمضان ثم أخذ اتباع والده من المسحرين ووقف أول ليلة من مشهر تحت الطيارة وغنى القوما بصوت رفيق فأصغى الخليفة اليه وطرب له فكان أول ماقاله قوله

ياسيد السادات لك بالكرم عادات انا بنى ابن نقطة تعيش ابويا مات

فاعجب الخليفة منه هذا الاختصار فاستحضره وخلع عليه وفرض له ضعفى ما كان لأبيه

(ومنها للصفى الحلى)

من كان يهوى البدور ووصل بيض الخدور بالبيض والصفر يسخو وقد جلس فى الصدر
من حب بيض الخدور ورام لزوم الصدور يسمح والا فيبقى من بينهم مهدور
كم بين سجف الخدور من عاشقى مصدور يرعى الكواكب لعلو يرى جمال البدور
بين الحلل والخدور وجوه مثل البدور اشراقها فى المعاجز وغربها فى الصدور
قد كنت فوق الصدور بين الظبا والبدور فصرت احسد من ابصر خامهم والخدور
نوائب المقدور مثل الكواكب تدور من بعد طيب الخواطر يقضى بضيق الصدور

وماليق النواجى وفيها اللحاظ وهى مؤخرها الذى يلى الصدغ والموق طرفها الذى يلى الأنف وهو مخرج الدمع وفى لعين الحوص وهو ضيق فى مؤخرها يقال رجل احوص وامرأة حوصاء وفيها النجل وهو سعة العين عظم المقلة وكثر البياض وفيها الخنس وهو ضعف فى النظر وفيها الكحل وهو سواد العين بين الحمرة والسواء والدعج السواد فى العين بين الحمرة والسواد والشهل أن يشوب سوادها زرقة يقال رجل أشهل وامرأة شهلاء ويقال نظر إلى شزرا وذلك إذا نظر عن يمينه أو عن شماله ولم يستقبله بنظره فى النظر الأغضاء وهو أن يطبق جفنه على حدقته فيقال رأيته مغضيا (ثم الفم) وفى الفم الثنايا والرباعيات والضواحك والارحاء والنواجذ فالضواحك أربعة أضراس تلى الأنياب إلى جنب كل ناب من أسفل الفم وأعلاه ضاحك وأما الارحاء فهى ثمانية أضراس من أسفل الفم وأعلاه وفى الاسنان الظلم ساكن وهو ماء الاسنان وفى الاسنان الشنب وهو برد وعذوبة فى المذاق والفلج تباعدما بين الاسنان (ثم اللثة) وهو اللحم ينبت فيه الأسنان وفى اللثة اللمى وهو سمرة تضرب إلى سواد وكذلك الحوة واللهاة اللحمة الحمراء المعلقه على الحنك (نقلت من الجزء الثالث والعشرين من التذكرة للصفدى) ان شهاب الدين غيرى احمد الحيوى النقاش ورد إلى القاهرة سنة) ٧٣٢ وكتب الختمة الشريفة على خوصة من اولها إلى آخرها مفصلة الاجزاء

والسرور أخبر بذلك الموالى السادة الموفقون بالباب الشريف وقدمها لمولانا السلطان الملك الصالح وسأله عن مولده فقال فى سنة ٦٩٩ وله نظم رائق عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه

غيرى يلازم الصدور وأنا عليكم أدور واصطلى الصد وأنا من بينهم مهذور

(وقال أيضا)

حال الهوى مخبور يريد جلد صبور يصون سره وإلا يعنى من أهل القبور
من كان هواه مستور يحظى برفع الستور ومن هتك سر حبو يمحى من الدستور
أبذل لبيض النحور أموال مثل البحور إن أردت تملك وتظفر ولدانهم والحور
قم فابذل المدخور وفى المطالا تجوز تريه هذى المحبه قلوب مثل الصخور
كم حول تلك الخدور من عاشق مذعور مثل الدواليب تجرى دموعها وتدور
من يركب المحذور هو فى الهوى معذور يظفر بحبه ويبلغ قصده ويوفى النذور
كن بالهوى مسرور ولا تبيت مغرور واجعل تراب أعتابهم لا جفان عنيك دور
طرق المحبة وعور كم بينها معذور من فتك بيض السوالف على سواد الشعور
كم عاشق مذعور فى حب بيض الثغور يغار قلبه ولكن مدامعه ما تغور
كم بينهم يعفور كالظبى إنس نفور من أهل بدر فديته ايش ما عمل مغفور

(ومن ذلك) ما نظمه بعضهم ليسحر بعض الخلفاء فى رمضا

لازال سعدك جديد دائم وجدك سعيد ولا برحت مهنى بكل صوم وعيد
فى الدهر أنت الفريد وفى صفاتك وحيد والخلق شعر منقح وأنت بيت القصيد
يا من جنابه شديد ولطف ربه سديد ومن يلاقى الشدائد بقلب مثل الحديد
لا زلت فى تأييد فى الصوم والتعييد ولا برحت مهنى بكل عام جديد
نحن لذكر نشيد بقولنا والتشيد ونبعث أوصاف مدحك على خيول البريد
ظلك علينا مديد مافوق جودك مزيد وكم غمرت بفضلك قريبنا والبعيد
لا زلت فى كل عيد تحظى بجد سعيد عمرك طويل وقدرك وافر وظلك مديد
لا زال قدرك مجيد وظل جودك مديد ولا برحت موقى كما يوفى الوليد
ما زال برك يزيد على أقل العبيد وما برح جود كفك منا كحبل الوريد
لا زال برك مزيد دائم وبأسك شديد ولا عدمنا نوالك فى صوم فطر وعيد

(ومما قيل فى فن الحماق)

أنا ماعبورى الحمام لجسمى لكى ينظف إلا لدمع جارى على الما ولا يوقف
وديك الجارى تجرى ودمعى يسابقها تقول الانام فى الحمام له أحباب فارقها
وقال آخر) ترى كل من تعشقوا علينا يقيم أنفه فاسلاه واترك هواه وسد الطريق خلافه
وأن زاد على عشقو وزادنى الهوى والذل تركتو ولو كان يحيى لأهل القبور الكل

وقد انتهى الكلام فيما أشرت اليه من الفنون السبعة وذكرت منها ما تبتهج به النفوس وتقر به العيون واختصرت ذلك إلى الغاية فجاء بتوفيق الله فى الحسن نهاية وأسأل الله التوفيق عنه وكرمه والمزيد من بره ونعمه وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثالث والسبعون فى ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن وطلاقهن وما يحمد ويذم من عشرتهن وفيه فصول)

عشر أوريث النسيان كثيرة الهم والحجامة فى النقرة والبول فى الماء الراكد وأكل التفاح الحامض وأكل الكسفرة وأكل سؤر الفأر وقراءة ألواح القبور والنظر إلى المصلوب والمشى بين القطارين وإلقاء القملة حية والله أعلم هذا آخر التذييل

(وهذا تذييل آخر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أما بعد حمد الله على نعمائه والصلاة والسلام على خير أنبيائه * فيقول العبد الفقير إلى عفو مولاه الكريم إبراهيم ابن الحاج على الأحدب قد رأيت أن أذيل الثمرات بما جنيته من الثمار الدانية والفوائد العالية وبالله التوفيق (فمن ذلك ما يحكى) أن الصاحب بدر الدين وزير اليمن كان له أخ بديع الجمال وكان شديد الحرص عليه فأتى له بشيخ ذى دين وعفة وهيبة وعقل ليعلمه فأسكنه فى منزل قريب منه فأقام على ذلك مدة ثم أن الشيخ امتحن بمحبة ذلك الشاب وقوى غرامه فيه فشكا يوما له حاله فقال له ماحيلتى وأنا لا أستطيع مفارقة أخى لا ليلا ولا نهارا أما الليل فإن سريرى بجانب سريره وأما النهار فكما ترى تلازمنا فقال الشيخ أن منزلى ملاصق لداركم فيه كن إذا غمضت عين أخيك أن تقوم لتستعمل ماء فتأتى إلى الحائط وأنا أتناولك من وراء الجدار أفتجلس عندى لحظة لطيفة من غير

(الفصل الأول في النكاح وفضله والترغيب فيه) قال الله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع الآية وقال تعالى وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم وقال تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم الآية وقال رسول الله ﷺ يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء وقال رسول الله ﷺ استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوار عندكم وقال رسول الله ﷺ تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة وقال ﷺ سوداء ولود خير من حسناء عقيم وقال رسول الله ﷺ أحسن النساء بركة أحسنهن وجها وأرخصهن مهرا فينبغي للرجل إذا أراد أن يتزوج أن يرغب في ذات الدين وأن يختار الشرف والحسب كما حكى أن نوح بن مريم قاضي مرو أراد أن يزوج ابنته فاستشار جارا له مجوسيا فقال سبحان الله الناس يستفتونك وأنت تستفتيني قال لابد أن تشير علي قال إن رئيسنا كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الحسب والنسب ورئيسكم محمد كان يختار الدين فانظر أنت بأيهم تقتدي وقال رجل للحسن أن لي ابنة فمن ترى أن أزوجها له قال زوجها ممن يتقي الله عز وجل فإن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها وقيل لرجل من الحكماء فلانا يخطب فلانة فقال أموسر من عقل ودين فقالوا نعم قال فزوجوه إياها ويستحب أن يختار البكر لقوله ﷺ عليكم بالأبكار فإنهن أطيب أفواها وأنتق أرحاما وقالوا أشهى المطي ما لم يركب وأحب اللآلىء ما لم يثقب وأنشد بعضهم

قالوا نكحت صغيرة فأجبتهم ... أشهى المطي إلى ما لم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة ... نظمت وحبة لؤلؤ لم تثقب

(فأجابته امرأة) ان المطية لا يلذ ركوبها ... حتى تذلل بالزمام وتركبا
والدر ليس بنافع أربابه ... حتى يؤلف بالنظام ويثقبا

(قال خالد بن صفوان) عليك إذا ما كنت في الناس ناكحا ... بذات الثنايا الغر والأعين النجل

وقيل استشار رجل داود عليه السلام في التزويج فقال له سليمان وأخبرني بجواب فصادفه ابن سبع سنين وهو يلعب مع الصبيان راكبا قصبة فسأله فقال عليك بالذهب الأحمر أو الفضة البيضاء واحذر الفرس لا يضربك فلم يفهم الرجل ذلك فقال له داود عليه الصلاة والسلام الذهب الأحمر البكر والفضة البيضاء الثيب الشابة ومن وراءهما كالفرس الجموح وقال رسول الله ﷺ تخيروا لنطفكم وقال ﷺ انظر في أي شيء تضع ولدك فإن العرق دساس وقال عليه الصلاة والسلام إياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله قال المرأة الحسناء في المنبت السوء وأنشدوا فيه

إذا تزوجت فكن حاذقا ... واسأل عن الغصن وعن منبته

(قال بعضهم) أول خبث الماء خبث ترابه ... وأول خبث القوم خبث المناكح

وعن علي رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال لا تسترضعوا الحمقاء ولا العمشاء فإن اللبن يعدي وقيل جعفر بن سليمان بن علي عاب يوما على أولاده وأنهم ليسوا كما يحب فقال له ولده أحمد بن جعفر إنك عمدت إلى فاسقات مكة والمدينة وإماء الحجاز فأوعيت فيهن نطفك ثم تريد أن ينجبن وإنما نحن كصاحبات الحجاز هلا فعلت في ولدك ما فعل أبوك فيك حين اختار لك عقيلة قومها فزوجها منك وأنشدوا

صفات من يستحب الشرع خطبتها ... جلوتها لأولي الألباب مختصرا
صبية ذات دين زانه أدب ...

أن يشعر أخوك بشيء فقال السمع والطاعة وتواعدا على ليلة فيها له الشيخ من التحف والظرف ما يليق بمقامه فلما نام الصاحب واستغرق في النوم وأمن انتباهه قام الشاب وتمشى خطوات وفتح بابا يتوصل منه إلى الحائط فوجد شيخه واقفا ينتظر فتناوله وصار عنده في المنزل وكانت ليلة البدر وتنادما ودارت بينهما كؤوس الشراب ممزوجة ببرد الرضا وانتشى الشيخ وأخذ في الغناء وقد رمى القمر جرمه عليهما وانتبه الصاحب فلم يجد أخاه فقام فزعا مرعوبا ووجد الباب الذي استطرق منه أخوه مفتوحا فقال من هنا جاء الشر فدخل منه وصعد الحائط فوجد نورا ساطعا من البيت ونظر فرآهما على هذه الحالة والكاس بيد الشيخ وهو ينشد أحسن صوت

سقاني خمرة من ريق فيه ... وحيا بالبدر وما يليه
وبات معانقا غيدا بغيد ... غزال في الأنام بلا شبيه
وبات البدر مطلعا علينا ... سلوه لا ينم على أخيه

فكان من لطائف الصاحب وقال والله لا أنم على عليكما وتركهما وانصرف انتهى (ومن بديع ذلك ما حكاه ابن خلكان في تاريخه) في ترجمة شرف الدين المعروف بابن المستوفي قال قد وصل إلى اربل بعض الشعراء وهو الشريف عبد الرحمن ابن أبي الحسن بن عيسى ابن علي بن يعرب في سنة ثمان وعشرين وستمائة وشرف الدين يومئذ وزير فسير له مثلوما على يد شخص كان في خدمته يقال له الكمال بن الشعار الموصلي صاحب التاريخ والمثلوم صبابة عن دينار يقطعه صغيرة وقسب

بقر

بكر ولو دحكت فى نفسها القمر ٭ غريبه تكن من أهل خاطبها ٭ تلك الصفات التى أجله المن نظرا

فيها أحاديث جاءت وهى ثابتة ... أحاط علما بها من فى العلوم قرا

(وقال آخر) مطيات السرور فويق عشر ... إلى العشرين ثم قف المطايا

فان جزت المسير فسر قليلا ... وبنت الاربعين من الرزايا

(وقال آخر) فاياك إياك العجوز ووطأها ... فما هو إلا مثل سم الاراقم

إعلم ان العيش كله مقصور على الحليلة الصالحة والبلاء كله موكل بالقرينة السوء التى لا تسكن النفس إلى عشرتها ولا تقر العيون برؤيتها وفى حكمة سليمان بن داود عليهما السلام المرأة العاقلة تعمر بيت زوجها والمرأة السفيهة تهدمه وروى أنه لما حضر أبو طالب نكاح رسول الله ﷺ على خديجة بنت خويلد رضى الله تعالى عنها ومعه بنو هاشم ورؤساء مضر خطب فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع اسمعيل وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوبا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم أن محمدا بن عبد الله بن أخى من لا يوزن به رجل من قريش الا رجح به برا وفضلا وكرما ومجدا ونبلا فإن كان فى المال فالمال ظل زائل ورزق حائل وخطب خديجه بنت خويلد وبذل لها من الصداق ماعاجله وآجله من مالى كذا وكذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل ٭ ولما خطب عمرو بن حجر الكندى إلى عوف بن محلم الشيبانى ابنته أم اياس وأجابه إلى ذلك أقبلت عليها امها ليلة دخوله بها توصيها فكان مما أوصتها به أن قالت أى بنية انك مفارقة بيتك الذى منه خرجت وعشك الذى منه درجت إلى رجل لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكونى له أمة ليكون لك عبدا واحفظى له خصالا عشرا يكن لك ذخرا فأما الأولى والثانية فالرضا بالقناعة وحسن السمع له والطاعة وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لمواقع عينيه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم أنفه منك إلا أطيب الريح وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت طعامه ومنامه فان شدة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة وأما السابعة والثامنة فالاحراز لماله والارعاء على حشمه وعياله أما التاسعة والعاشرة فلا تعصى له أمرا ولا تفشى له سرا فانك ان خالفت أمره أوغرت صدره وان أفشيت سره لم تأمنى غدره اياك ثم اياك والفرح بين يديه إذا كان مهتما والكآبة لديه إذا كان فرحا فقبلت وصية أمها فانجبت وولدت له الحرث بن عمرو جد امرىء القيس الملك الشاعر ٭ وعن الهيثم بن عدى الطائى عن الشعبى قال لقينى شريح فقلت لى ياشعبى عليك بنساء بنى تميم فانى رأيت لهن عقولا فقلت ومارأيت من عقولهن قال أقبلت من جنازة ظهرا فمررت بدورهن وإذا أنا بعجوز على باب دار وإلى جانبها جارية كأحسن مارأيت من الجوارى فعدلت إليها واستسقيت ومابى عطش فقالت لى أى الشراب أحب إليك قلت ماتيسر قالت ويحك ياجارية ائتيه بلبن فانى أظن الرجل غريبا فقلت للعجوز ومن تكن هذه الجارية منك قالت هى زينب بنت جرير احدى نساء بنى حنظلة قلت هى فارغة أم مشغولة قالت بل فارغة قلت أتزوجينها قالت ان كنت كفأ (ولم تقل كفوا) ومرلغة بنى تميم فتركتها ومضيت إلى منزلى لأقيل فيه فامتنعت منى القائلة فلما صليت الظهر اخذت بيد اخوانى من العرب الاشراف علقمة والاسود والمسيب ومضيت أزيد عمها فاستقبلنا وقال ماشأنك أبا أمية قلت زينب ابنة اخيك قال مابها عنك رغبة فزوجنيها فلما صارت فى حبالى ندمت أى شىء صنعت بنساء بنى وذكرت غلظ قلوبهن فقلت اطلقها ثم قلت لا ولكن ادخل بها فان رأيت

جرت عادتهم فى العراق وتلك البلاد أن يفعلوا مثل هذا لانهم يتعاملون القطع الصغار ويسمونها القراضة ويتعاملون أيضا بالمثلوم وهذا كثير الوجود بأيديهم فجاء الكمال إلى ذلك الشاعر وقال له الصاحب يقول لك أنفق الساعة هذا حتى يجهز لك شيئا فتوهم الشاعر أن الكمال يكون قد قرض القطعة من الدينار وأن شرف الدين ماسيره الا كاملا وقصد استعلام الحال من جهة شرف الدين فكتب إليه

ياأيها المولى الوزير ومن به ... فى الجود حقا تضرب الامثال

أرسلت بدر التم عند كماله ... حسنا فوافى الصدر وهو هلال

ماغاله النقصان الا أنه ... بلغ الكمال كذلك الآجال

فأعجب شرف الدين بهذا المعنى وحسن الاتفاق وأجاز الشاعر وأحسن اليه انتهى (ومنه ماحكى) أن إبراهيم بن سهل الاشبيلى كان يهوديا فأسلم وحسن اسلامه حتى أنه مدح النبى ﷺ قبل أن يسلم وكان يقرأ مع المسلمين ويخالطهم وكان يحب يهوديا اسمه موسى وأكثر شعره فيه فلما أسلم أحب شابا اسمه محمد وترك هوى اليهود فقيل له فى ذلك فأنشد

تركت هوى موسى لحب محمد ... هديت ولولا الله ما كنت اهتدى

وما عن قلى تركى هواه وإنما ... شريعة موسى عطلت بمحمد

وكان إبراهيم هذا شاعرا مجيدا اتفق له صبا ان الهيثم نظم قصيدة مدح بها المتوكل على الله بن يوسف بن هود ملك الاندلس وقد كانت اسلامه

سودا لأنه كان تابع الخلفية ببغداد فارسل إليه بالتولية والألوية والنيابة ولا يعلم أحد من ملوك الأندلس قبله ولا بعده تابع بني العباس قط فوقف إبراهيم بن سهل والهيثم ينشد قصيدته لبعض أصحابه فقال إبراهيم للهيثم زد بين البيت الفلاني والبيت الفلاني

أعلامه السود أعلام بسودده ... كأنهن بخد الملك خيلان

فقال الهيثم أهذا البيت شيء ترويه أم نظمته فقال بل نظمته الساعة فقال الهيثم ان عاش هذا الغلام فسيكون أشعر أهل الاندلس (ومنه ما اتفق) سنة ثمان وستمائة أن الملك المعظم عيسى سار إلى أخيه الملك الاشرف فاستعطفه على أخيه الكامل محمد وكان في نفسه موجدة عليه فأزالها وسارا جميعا نحو الديار المصرية لمعاونة الكامل على الافرنج الذين قد أخذوا دمياط واستحكم أمرهم هناك من سنة أربع عشرة بعد طول حروب كثيرة يطول شرحها حتى عرض عليهم في بعضها أن يرد عليهم بيت المقدس وجميع ما كان صلاح الدين فتحه في الساحل ويتركوا دمياط فامتنعوا من ذلك فقدر الله سبحانه وتعالى أن قدمت عليهم مراكب فيها ميرة لهم فأخذتها مراكب المسلمين وأرسلت من أراضي دمياط المياه من كل ناحية فلم يمكن الافرنج أن ينصرفوا بأنفسهم وحصرهم المسلمون من الجهة الأخرى حتى اضطروهم إلى أضيق الاماكن فعند ذلك أنابوا إلى المصالحة من غير مفاوضة فجاء مقدمهم إلى الملك الكامل وعنده أخواه

ما أحب ولا كان ذلك فلو شهدتني يا شعبي وقد أقبلت نساؤها يهدينها حتى أدخلت علي فقلت ان من السنة إذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم ويصلي ركعتين ويسأل الله تعالى من خيرها ويتعوذ من شرها فتوضأت فاذا هي تتوضأ بوضوئي وصليت فاذا هي تصلي بصلاتي فلما قضيت صلاتي أتتني جواريها فأخذن ثيابي وألبسنني ملحفة قد صبغت بالزعفران فلما خلا البيت دنوت منها فمددت يدي إلى ناصيتها فقالت على رسلك أبا أمية ثم قالت الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلي على محمد وآله أما بعد فاني امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك فبين لي ما تحب فآتيه وما تكره فأجتنبه فانه قد كان لك منكح في قومك ولي في قومي مثل ذلك ولكن إذا قضى الله أمرا كان مفعولا وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله تعالى به إما إمساك بمعروف أو تسريح باحسان أقول قولي وأستغفر الله العظيم لي ولك ولجميع المسلمين قال فأحوجتني والله يا شعبي إلى الخطبة في ذلك الموضع فقلت الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلي على محمد وآله أما بعد فانك قلت كلاما ان ثبت عليه يكن ذلك حظا لي وان تدعيه يكن حجة عليك أحب كذا وأكره كذا وما رأيت من حسنة فابثثيها وما رأيت من سيئة فاستريها فقالت كيف محبتك لزيارة الاهل قلت ما أحب أن يملني أصهاري قالت فمن تحب من جيرانك يدخل دارك آذن له ومن تكرهه أكرهه قلت بنو فلان قوم صالحون وبنو فلان قوم سوء قال فبت معها يا شعبي بأنعم ليلة ومكثت معي حولا لا أرى منها إلا ما أحب فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء وإذا أنا بعجوز في الدار تأمر وتنهى قلت من هذه قالوا فلانة أم حليلتك قلت مرحبا وأهلا وسهلا فلما جلست أقبلت العجوز فقالت السلام عليك يا أبا أمية فقلت وعليك السلام ومرحبا بك وأهلا قالت كيف رأيت زوجتك قلت خير زوجة وأوفق قرينة لقد أدبت فأحسنت الأدب وريضت فأحسنت الرياضة فجزاك الله خيرا فقالت يا أبا أمية ان المرأة لا يرى أسوأ حالا منها في حالتين قلت وما هما قالت إذا ولدت غلاما أو حظيت عند زوجها فان رابك مريب فعليك بالسوط فوالله ما حاز الرجال في بيوتهم أشر من الروعاء المدللة فقلت والله لقد أدبت فأحسنت الأدب وريضت فأحسنت الرياضة قالت كيف تحب أن يزورك أصهارك قلت ما شاؤوا فكانت تأتيني في رأس كل حول فتوصيني بتلك الوصية فمكثت معي يا شعبي عشرين سنة لم أعب عليها شيئا وكان لي جار من كندة يفزع امرأته ويضربها فقلت في ذلك

رأيت رجالا يضربون نساءهم ... فشلت يميني يوم أضرب زينبا
أأضربها من غير ذنب أتت به ... فما العدل مني ضرب من ليس يذنب
فزينب شمس والنساء كواكب ... إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وخطب الحجاج بن يوسف إلى عبد الله بن جعفر ابنته أم كلثوم على ألفي ألف في السر وخمسمائة ألف في العلانية فأجابه إلى ذلك وحملها إلى العراق فأقامت عنده ثمانية أشهر فلما خرج عبد الله بن جعفر إلى عبد الملك بن مروان وافدا نزل بدمشق فأتاه الوليد بن عبد الملك على بغلة ومعه الناس فاستقبله ابن جعفر بالترحيب فقال له الوليد لكنك أنت لا مرحبا بك ولا أهلا قال مهلا يا ابن أخي فلست أهلا لهذه المقالة منك قال بلى والله وبشر منها قال وفيم ذلك قال لأنك عمدت إلى عقيلة نساء العرب وسيدة نساء بني عبد مناف فعرضتها لعبد ثقيف يتفخذها قال وفي هذا عتبت علي يا ابن أخي قال نعم فقال عبد الله والله ما أحق الناس.

الناس أن لايلومني في هذا إلا أنت وأبوك لأن من كان قبلكم من الولاة يصلون رحمي ويعرفون حقي وإنك وأباك منعتماني رفدكما حتى ركبني الدين أما والله لو أن عبداً حبشياً مجدعا أعطاني بها ما أعطاني عبد ثقيف لزوجتها منه إنما فديت بها رقبتي فما راجعه كلمة حتى عطف عنانه ومضى حتى دخل على عبد الملك فقال مالك ياأبا العباس قال إنك سلطت عبد ثقيف وملكته حتى تفخذ نساء بني عبد مناف فأدركت عبد الملك غيرة فكتب إلى الحجاج يقسم عليه أن لا يضع كتابه من يده حتى يطلقها ففعل قال ولم يكن يقطع الحجاج رزقا ولا كرامة يجريها عليها حتى خرجت الدنيا وما زال واصلا لعبد الله بن جعفر حتى مات وما كان يأتي عليه حول إلا وعنده غير مقبلة من الحجاج عليها أموال وكسوة وتحف (وحكى) أن المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة سار إلى دير هند بنت النعمان هي فيه عمياء مترهبة فاستأذن عليها فقالت من أنت قال المغيرة بن شعبة الثقفي قالت ما حاجتك قال جئت خاطبا قالت إنك لم تكن جئتني لجمال ولا لمال ولكنك أردت أن تتشرف في محافل العرب فتقول تزوجت بنت النعمان بن المنذر وإلا فأي خير في اجتماع عمياء وأعور ٭ وكان عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قد تزوج عاتكة بنت عمرو بن نفيل وكانت من أجمل نساء قريش وكان عبد الرحمن من أحسن الناس وجها وأبرهم بوالديه فلما دخل بها غلبت على عقله وأحبها حبا شديدا فثقل ذلك على أبيه فمر به أبو بكر يوما وهو في غرفة له فقال يابني إني أرى هذه المرأة قد أذهلت رأيك وغلبت على عقلك فطلقها قال لست أقدر على ذلك فقال أقسمت عليك إلا طلقتها فلم يقدر على خلافه أبيه فطلقها فجزع عليها جزعا شديدا وامتنع من الطعام والشراب فقيل لأبي بكر أهلكت عبد الرحمن فمر به يوما وعبد الرحمن لايراه وهو مضطجع في الشمس ويقول هذه الابيات

فوالله ما أنساك لو ذرشارق ... وما ناح قمري الحمام المطوق
فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها ... ولا مثلها في غير شيء يطلق
لها خلق عف ودين ومحتد ... وخلق سوي في الحياء ومنطق

فسمعه أبوه فرق له وقال راجعها يابني فراجعها وأقامت عنده حتى قتل عنها يوم الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابه سهم فقتله فجزعت عليه جزعا شديدا وقالت ترثيه

فآليت لاتنفك نفسي حزينة ٭ عليك ولا ينفك جلدي أغبرا
فتى طول عمري ما أرى مثله فتى ٭ اكر واحمى في الهياج واصبرا
إذا شرعت فيه الاسنة خاضها ٭ إلى القرن حتى يترك الرمح احمرا

ثم تزوجها بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته ودعا الناس إلى وليمته فأتوه فلما فرغ من الطعام وخرج الناس قال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه ياأمير المؤمنين ائذن لي في كلام عاتكة حتى أهنيها وأدعو لها بالبركة فذكر عمر ذلك لعاتكة فقالت إن أبا الحسن فيه مزاح فأذن له ياأمير المؤمنين فأذن له فرفع جانب الخدر فنظر اليها فاذا ما بدا من جسدها مضمخ بالخلوق فقال لها ياعاتكة ألست القائلة

فآليت لاتنفك نفسي حزينة ٭ عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

وقيل ان عمر لما قتل عنها جزعت عليه جزعا شديدا وتزوجت بعده الزبير بن العوام وكان رجلا غيورا وكانت تخرج المسجد كعادتها مع أزواجها فشق ذلك عليه وكان يكره أن ينهاها عن الخروج إلى الصلاة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتمنعوا إماء الله مساجد الله فعرض لها ليلة في ظهر

المذكوران وكانا نائبين بين يديه وكان يوما مشهودا وأمرا محمودا ووقع الصلح على ما أراد الكامل محمد وملوك الافرنج والعساكر كلها واقفة بحضرته ومد سماطا عظيما اجتمع عليه المؤمن والكافر والبر والفاجر فقام المحلي الشاعر وأنشد

هنيئا فان السعد راح مخلدا ... وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا
حبانا إله الخلق فتحا به المنى ... مبينا وانعاما وعزا مؤيدا
تهلل وجه الارض بعد قطوبه ... وأصبح وجه الشرك بالظلم أسودا
ولما طغا البحر الخضم بأهله الطغاة ... وأضحى بالمراكب مزبدا
أقام بهذا الدين من سل عزمه ... صقيلا كما سل الحسام مجردا
فلم ينج إلا كل شلو مجدل ... ثوى منهم أومن تراه مقيدا
ونادى لسان الكون في الأرض رافعا ... عقيرته في الخافقين مشيدا
أعباد عيسى ان عيسى وقومه ... وموسى جميعا يخدمون محمدا

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة بلغني أنه وقت الانشاد أشار قوله عند قوله عيسى إلى المعظم وعند قوله موسى إلى الاشرف وعند قوله محمد الى الكامل وهذا من أحسن الاتفاق اه (ومنه ما حكى عن جمال الدين) كاتب سر الملك المعظم عيسى انه كان بينه وبين السلطان

المسجد وهى لا تعرفه نضرب بيده عجيزتها ثم انصرف فقعدت بعد ذلك عن الخروج إلى المسجد وكان يقول لها ألا تخرجين يا عاتكة فتقول كنا نخرج إذ الناس ناس وما بهم من باس وأما الآن فلا ثم قتل عنها الزبير قتله عمرو بن جرموز بوادى السباع وهو نائم ثم تزوجها بعده محمد بن أبى بكر فقتل عنها بمصر فقالت لا أتزوج بعده أبدا انى لأحسبنى أنى لو تزوجت جميع أهل الأرض لقتلوا عن آخرهم (وحكى) عن الحرث بن عوف بن أبى حارثة انه قال لخارجة بن سنان أترى انى أخطب إلى أحد فيردنى قال نعم قال ومن هو قال أوس بن حارثة بن لام الطائى قال اركب بنا إليه فركبنا إليه حتى أتينا أوس بن حارثة فى بلاده فوجدناه فى فناء منزله فلما رأى الحرث بن عوف قال مرحبا بك يا حارث ثم قال ماجاء بك قال جئت خاطبا قال لست هناك فانصرف ولم يكلمه فدخل أوس على امرأته مغضبا فقالت له من الرجل الذى سلم عليك فلم تطل معه الوقوف ولم تكلمه فقال ذاك سيد العرب الحرث بن عوف فقالت فمالك لا تستنزله قال انه استجهلنى قالت وكيف قال لأنه جاءنى خاطبا قالت ألست تزعم أنه سيد العرب قال نعم قالت إذا لم تزوج سيد العرب فى زمانه فمن تزوج قال قد كان ذلك قالت فتدارك ما كان منك قال فبماذا قالت بأن تلحقه فترده قال وكيف وقد فرط منى إليه ما فرط قالت تقول له انك لقيتنى وأنا مغضب لأمر فلك المعذرة فيما فرط منى فارجع ولك عندى كل ما طلبت قال فركب فى أثرهما قال خارجة بن سنان فوالله انا لنسير إذا حانت منى التفاتة فرأيته فقلت للحرث وهو ما يكلمنى هذا أوس فى أثرنا فقال ما أصنع به فلما رآنا لا نقف قال يا حارث أربع على فوقفنا له وكلمه بذلك الكلام فرجع مسرورا قال خارجة بن سنان فبلغنى أن أوسا لما دخل منزله قال لزوجته ادعى لى فلانة أكبر بناته فأتته فقال لها أى بنية هذا الحرث بن عوف سيد من سادات العرب جاءنى خاطبا وقد أردت أن أزوجك منه فما تقولين قالت لا تفعل قال ولم قالت لأن فى خلقى رداءة وفى لسانى حدة ولست بابنة عمه فيراعى رحمى ولا هو بجار لك فى البلد فيستحى منك ولا آمن أن يرى منى ما يكره فيطلقنى فيكون على بذلك مسبة قال لها قومى بارك الله فيك ثم دعا بنته الأخرى فقال لها مثل قوله لأختها فأجابته بمثل جوابها فقال لها قومى بارك الله فيك ثم دعا بالثالثة وكانت أصغرهن سنا فقال لها مثل ما قال لأختيها فقالت له أنت وذاك فقال لها انى عرضت ذلك على أختيك فأبتاه ولم يذكر لها مقالتهما فقالت له والله أنى الجميلة وجها الرفيعة خلقا الحسنة رأيا فان طلقنى فلا أخلف الله عليه فقال لها بارك الله فيك ثم خرج إليه فقال زوجتك يا حارث بابنتى بهيسة قال قد قبلت نكاحها وأمر أمها أن تهيئها له وتصلح شأنها ثم أمر ببيت فضرب له وأنزله إياه ثم بعثها إليه فلما دخلت عليه لبث هنيهة ثم خرج إلى فقلت له أفرغت من شأنك قال لا والله قلت وكيف ذاك قال لما مددت يدى إليها قالت مه أعند أبى وإخوتى هذا والله لا يكون ثم أمر بالرحلة فارتحلنا بها معنا وسرنا ماشاء الله ثم قال لى تقدم فتقدمت فعدل عن الطريق فما لبث أن لحقنى فقلت أفرغت من شأنك قال لا والله قلت ولم قال قالت أتفعل بى كما يفعل بالأمة السبية الأخيذة لا والله حتى تنحر الجزر والغنم وتدعو العرب وتعمل ما يعمل مثلك لمثلى فقلت والله انى لأرى همة وعقلا فقال صدقت قال وأرجو الله أن تكون المرأة النجيبة فوردنا إلى بلادنا فأحضر الابل والغنم ونحروا ثم دخل عليها وخرج إلى فقلت أفرغت من شأنك قال لا والله قلت ذاك قال دخلت عليها أريدها فقلت لها قد حضرت من المال ما تريدين قالت والله لقد ذكرت من

الشرف

مداعبة ومنادمة فاتفق أنه حضر فى بعض الليالى عنده فلما رجع إلى منزله قالت له زوجته أين انعام السلطان فقال ما انعم على الليلة بشىء فقالت أنا أعوض عنه (٢٢٢) وقامت إليه هى وجواريها فى الحال وتناولته بالخفاف الثقال إلى أن الانت أعطافه وأدارت فى حالة الصفح ...لافه فكتب للمعظم رقعة فى ذلك منها

وتخالفت بيض الأكف كأنها الـ ... صفيح عند مجالس الأعراس

وتتابعت سود الخفاف كأنها ... وقع المطارق من يدى نحاس

وقال أجب عنها فأجابه بما فى آخره

فاصبر على أخفافهن ولا تكن ... متخلفا إلا بخلق الناس

واعلم ان اختلفت عليك بانه ... مافى وقوفك ساعة من باس

(وضمنه أبو جعفر الاندلسى فقال)

وموّرد الوجنات دب عذاره ... فكأنه خط على قرطاس

لما رأيت عذاره مستعجلا ... قد رام يخفى الورد منه بآس

ناديته قف كى أودع ورده ... ما فى وقوفك ساعة من باس

(ومن البديع ما يحكى) أن الشيخ بن كثير صاحب التاريخ كان له صفة على باب داره يجلس ويطالع فيها استئناسا بالمارة بأسامة الوحدة وإلى جواره جار له رث الثياب وكان إذا رأى الشيخ جالسا على الصفة يجىء و ركب أكتافه فتفوح منه رائحة فيتأذى منها ويستحى ان يصرفه فاشتد غيظه يوما فقال له

ياشيى أما تستحى كاما ترانى جالسا تجىء تركب أكتافى وأنت لست تعرف ما اطالعه ولا لك شعور به فلما اخجله بهذا التصنيف قال له ياسيدى الشيخ ماهذا الذى تطالع فيه من العلوم فقال شىء فى الاقتباس فقال له أنشدنى منه شيئا ففكر ابن كثير ساعة واقتبس مطالعه الحال وقال

كيد حسودى وهنا ولى سرور وهنا
الحمد لله الذى ❊ اذهب عنا الحزنا

فلما فرغ من انشاده قال له اهذا الذى فكرت فيه وتتكبر به اسمع ما تقول فأنشد ارتجالا للرشيد يسير

وعنده النظام يستحير الحمد لله الذى ❊ فضلنا على كثير

فقام الشيخ له اجلالا واجلسه واعتذر له وقال له اياك أن تزدرى بأحد فأن مواهب الله تعالى فى الصدور لافى الثياب اه (ومن اللطائف ماحكى) أن بعض الملوك حاصر ملكا وأطال فى حصاره فلما اشتد به المحاصرة استدعى بوزرائه فقال ماترون وقد تأخرت بنا هذه الحال هل نسلمه أم نخرج عليه ليلا ويفعل الله بنا ما يشاء فقال بعض وزرائه قد بدا لى رأى أرى انهم ينصرفون به عنا

من غير قتال فقال ماهو قال بجمع مولاى ما فى خزائنه من الذهب ويحضره فلما احضره استدعى بالصياغ وأمرهم أن يصوغوه جميعه سهاما زنة كل سهم قدر معلوم فعلت على الأمير المذكور فيكتب الوزير على كل نصل سطرين ثم امران

الشرف بما ليس فيك قلت ولم ذاك قالت أتستفرغ لنكاح النساء والعرب يقتل بعضها بعضا وكان ذلك فى أيام له حرب قيس وذبيان قلت فماذا تقرأين قالت اخرج الى القوم فأصلح بينهم ثم ارجع الى أهلك فلن يفوتك ماتريد فقلت والله انى لأرى عقلا ورأيا سديدا قال فأخرج بنا فخرجنا حتى أتينا القوم فشينا بينهم بالصلح فاصطلحوا على أن يحسبوا القتلى ثم تؤخذ الدية فحملنا عنهم الديات فكانت ثلاثة آلاف بعير فانصرفنا بأجل ذكر ثم دخل عليها فقالت له أما الآن فنعم فأقامت عنده فى ألذ عيش وأطيبه وولدت له بنين أو بنات وكان من أمرهما ماكان والله أعلم بالصواب (وحكى) الفضل أبو محمد الطيبى قال حدثنا بعض أصحابنا أن رجلا من بنى سعد مرت به جارية لأمية بن خالد بن عبدالله بن أسد ذات ظرف وجمال شجاعا فارسا فلما رآها قال طوبى لمن كان له امرأة مثلك ثم أتبعها رسولا يسألها ألها زوج ويذكرها وكان جميلا فقالت للرجل وماحرفته فابلغه الرسول ذلك فقال ارجع اليها وقل لها

وسائل ماحرفتى قلت حرفتى مقارعة الأبطال فى كل شارق إذا عرضت خيل لخيل رأيتنى
أما رعيل الخيل أحمى حقائقى أصبر نفسى حين لم أر صابرا على ألم البيض الرقاق البوارق

فلحقها الرسول فأنشدها قال فقالت له ارجع اليه وقل له أنت أسد فاطلب لك لبوة فلست من نسائك وانشدته تقول

الا انما أبغى جوادا بماله كريما محياه كثير الصدائق
فتى همه مذكان خود خريده يعانقها فى الليل فوق النمارق

وحدث يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن عبد الحكم عن الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه قال تزوج رجل امرأة جديدة على امرأة قديمة فكانت الجديدة تمر على بيت القديمة فتقول

وما يستوى الرجلان رجل صحيحة وأخرى رمى فيها الزمان فشلت

ثم تعود وتقول وما يستوى الثوبان ثوب به البلى وثوب بأيدى البائعين جديد

فمرت جارية القديمة على باب الجديدة يوما وقالت

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل فى الأرض يألفه الفتى وحنينه أبدا لأول منزل

وقال عمرو بن معلاء وكان أعلم الناس بالنساء

فان تسألونى بالنساء فاننى بصير بادواء النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء أوقل ماله فليس له فى ودهن نصيب

وسئل المغيرة بن شعبة عن صفة النساء فقال بنات العم أحسن مواساة والغرائب أنجب وماضرب رؤس الاقران مثل ابو السوداء وقال عبد الملك بن مروان من أراد أن يتخذ جارية للمتعة فليتخذها بربرية ومن أراد أن يتخذها للولد فليتخذها فارسية ومن أراد أن يتخذها للخدمة فليتخذها رومية قال الشاعر

لاتشتمن امرأ من يكون لم من الروم أن سوداء عجماء
فانما أمهات القوم أوعية مستودعات وللانساب آباء

وقال الاصمعى أتانى رجل من قريش يستشيرنى فى امرأة يتزوجها فقلت يا ابن أخى قصيرة النسب أم طويلته فلم يفهم عنى فقلت يا ابن أخى اما القصيرة النسب فالتى اذا ذكرت أباها اكتفت به والطويلة النسب فهى التى لا تعرف حتى تطيل فى نسبها فإياك ان تقع مع قوم قد اصابوا كثيرا من الدنيا مع دناءة

تركب السهام فلما ركبت أمر حاشية الملك بأن يأخذ كل واحد منهما وأمرهم ان يرموها عن قوس واحد على العسكر المحتاط بهم فتلألأ لمعان نصالها حتى أدهش العيون فأمر الملك أن تجمع فلما اجتمعت بين يديه أمر أن يقرأ ما عليها فاذا هو مكتوب

فيهم فتضع نسبك فيهم وخرج رجل من أهل الكوفه فى غزاة فكتب جارية وفرسا وكان مالكا على ابنة عمه فكتب اليها يعيرها ويقول

الا بلغوا أم البنين باننا ... غنينا وأغنتنا الغطارفة النجد
بعيد مناط المنكبين إذا جرى ... وبيضاء كالتمثال زينها العقد
فهذا لايام العدو وهذه ... لحاجة نفسى حين ينصرف الجند

فلما ورد عليها كتابه وقرأته قالت ياغلام هات الدواة وكتبت جوابه تقول

ألا فاقره منى السلام وقل له ... غنينا وأغنتنا غطارفة المرد
إذا شئت أغنانى غلام مرجل ... ونازعته فى ماء معتصر لورد
وإن شاء منهم ناشىء مدكفه ... إلى عكن ملساء أو كفل نهدى
فما كنتم تقضون حاجة أهلكم ... شهودا فتقضوها على النأى والبعد
فعجل الينا بالسراح فانه ... منانا ولا ندعو لك الله بالرد
فلاقفل الجند الذى أنت فيهم ... وزادك رب الناس بعدا على بعد

فلما ورد عليه كتابها لم يزد على أن ركب الفرس وأردف الجارية خلفه ولحق بابنة عمه فكان أول شىء بدأها بعد السلام أن قال لها بالله عليك هل كنت فاعلة ذلك فقالت له الله فى قلبى أعظم وأجل وأنت فى عينى أذل وأحقر من أن أعصى الله فيك فكيف ذقت طعم الغيرة فوهب لها الجارية وانصرف إلى الغزاة والله تعالى أعلم بالصواب

(الفصل الثانى فى صفات النساء المحمودة) كتب الحجاج الى الحكم بن ايوب أن أخطب لعبد الملك بن مروان امرأة جميلة من بعيد مليحة من قريب شريفة فى قومها ذليلة فى نفسها مواتية لبعلها فكتب اليه قد أصبتها لولا عظم ثدييها فكتب اليه لايكمل حسن المرأة حتى يعظم ثدياها فتدفئ الضجيع وتروى الرضيع وقال عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان صف لى أحسن النساء قال خذها ياأمير المؤمنين ملساء القدمين درماء الكعبين ناعمة الساقين ضخماء الركبتين لفاء الفخذين ضخمة الذراعين رخصة الكفين ناهدة الثديين حمراء الخدين كحلاء العينين زجاء الحاجبين لمياء الشفتين بلجاء الجبين شماء العرنين شنباء الثغر محلولكة الشعر غيداء العنق مكسرة البطن فقال ويحك وأين توجد هذه قال تجدها فى خالص العرب وفى خالص فارس * وقال حكيم عليكم بمن تربت فى النعيم ثم أصابتها فاقة فأثر فيها الغنى وأدبها الفقر * وقال رجل للخاطب ابلغنى امرأة لاتؤنس جارا ولا توطن دارا يعنى لاتدخل على الجيران ولا تدخل الجيران عليها وفى مثل هذه قال الشاعر

هيفاء فيها إذا استقبلتها صلف ... عيطاء غامضة الكعبين معطار
خود من الخفرات البيض لم يرها ... بساحة الدار لابعل ولا جار

(وقال الاعشى) لم تمش ميلا ولم تركب على جمل ... ولم تر الشمس الا دونها الكلل

وكانت امرأة عمران بن حطان من أجمل الناس وجها وكان هو من أقبح الناس وجها فقال لها يوما انا وإياك فى الجنة إن شاء الله تعالى فقالت له وكيف ذلك فقال لانى أعطيت مثلك فشكرت وأعطيت مثلى فصبرت والصابر والشاكر فى الجنة وقال بعضهم رأيت فى طريق مكة اعرابية مارأيت أحسن منها وجها فقعدت أنظر اليها وأتعجب من جمالها فجاء شيخ قصير فأخذ بردائها وسار بها ومضى فلقيتها مرة أخرى فقلت من هذا الشيخ قالت زوجى قلت كيف يرضى مثلك

بمثله

ومن جوده يرمى العفاة بأسهم ... من الذهب الابريز صيغت نصولها
لينفقها مجروحها فى دوائه ... ويشترى الاكفان منها قتيلها

فلما سمع ذلك أمر بالرحيل من ساعته وقال مثل هذا لايحاصر ولا يقاتل (ومن ذلك ما يحكى) ان الشيخ شمس الدين المعروف بالدجوى رحمه الله تعالى كان يتعشق مليحا فرآه بعد مدة وهو يتوجع من دمل طلعت فى دبره فسأله فقال دمل فى ذلك المحل فضحك الشيخ ضحكا شديدا وقال مارأيت أعجب من هذا الدمل فقال الشاب ولم قال الدمامل تطلع فى أضيق المواضع وهذا على غير القياس جاء فى أوسع المواضع فتبسم الشاب خجلا ومضى انتهى (لطيفه) يحكى أن نقيب الاشراف ببغداد كان يهوى غلاما اسمه صدقه فأخذه ابن المنير الطرابلسى يوما وأضافه وجلس فى طبقة له فذهب اليهم على خفيه وقال

يامن هم فى الطبقه ... أهل عندكم من شفقه
لشائق متيم * يطلب منكم صدقه

فأجابه ابن المنير ارتجالا فى الحال بقوله

يامن أتانا سرقه * بمهجة محترقه ... جدلك ياذا لم يجز * أخذك منا صدقه

بمثله فأنشدت

أيا عجبا الخود يجرى وشاحها ... تزف إلى شيخ بأقبح تمثال
دعانى اليه انه ذو قرابة ... يعز علينا من بنى العم والخال

وسمع بعضهم قائلا

ومن لا يرمد مدحى فان مدائحى ... نوافق عند الأكرمين نوامى
نوافق عند المشترى الحمد بالندى ... نفاق بنات الحرث بن هشام

فقال يا ابن أخى ما بلغ من نفاق بنات الحرث بن هشام قال كن من أجمل الناس وجوها وكان أبوهن إذا زوجهن يسوقهن ومهورهن إلى بعولتهن فقال يا ابن أخى لو فعل هذا ابليس ببناته لتنافست فيهن الملائكة المقربون ۞ وقال عبد الملك لابن أبى الرقاع كيف علمك بالنساء قال أنا والله أعلم الناس بهن وجمل يقول

قضاعية الكعبين كندية الحشا ... خزاعية الاطراف طائية الفم
لها حكم لقمان وسورة يوسف ... ومنطق داود وعفة مريم

وقالوا الوجه الحسن أحمر وقد يضرب فيه الصفرة مع طول المكث فى الكن والتضمخ بالطيب وقالوا ان الوجه الرقيق البشرة الصافى الاديم إذا خجل يحمر وإذا فرق يصفر ومنهم قولهم ديباج الوجه يريدون تلونه من رقته قال على بن زيد فى وصفه

حمرة خلط صفرة فى بياض ... مثل ما حاك حائك ديباجا

(وقال على بن عبد ربه) بيضاء يحمر خدها إذا خجلت ... كما جرى ذهب فى صفحتى ورق

وقالوا أن الجارية الحسناء تتلون بتلون الشمس فهى بالضحى بيضاء وبالعشى صفراء فقال ذو الرمة

بيضاء صفراء قد تنازعها ... لونان من فضة ومن ذهب

قالوا ليس المرأة الجميلة التى تأخذ ببصرك له على بعدك فاذا دنت منك لم تكن كذلك بل الجميلة التى كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا وقالوا ان أردت أن تنجب ولدك فاغضبها ثم وقع عليها فقال الشاعر

ممن حملن به وهن عواقد ... حبك النطاق فعاش غير مهبل
حملت به فى ليلة مزؤودة ... كرها وعقد نطاقها لم يحلل

(الفصل الثالث فى صفة المرأة السوء نعوذ بالله تعالى منها) فى حكمة داود عليه السلام أن المرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها الا من رضى الله تعالى عنه وقيل المرأة السوء غل يلقيه الله تعالى فى عنق من يشاء من عباده ۞ وقيل لاعرابى كان ذا تجربة للنساء صف لنا شر النساء فقال شرهن النحيفة الجسم القليلة اللحم المحياض الممراض المصفرة الميشومة العسرة المبشومة السلطة البطرة النفرة السريعة الوثبة كأن لسانها حربة تضحك من غير عجب وتبكى من غير سبب وتدعو على زوجها بالحرب أنف فى السماء واست فى الماء عرقوبها حديد منتفخة الوريد كلامها وعيد وصوتها شديد تدفن الحسنات وتفشى السيئات تعين الزمان على بعلها ولا تعين بعلها على الزمان ليس فى قلبها عليه رأفة ولا عليها منه مخافة إن دخل خرجت وإن خرج دخلت وإن ضحك بكت وان بكى ضحكت كثيرة الدعاء قليلة الارعاء تأكل لما وتوسع ذما ضيقة الباع مهتوكة القناع صبيها مهزول وبيتها مزبول إذا حدثت تشير بالاصابع وتبكى فى المجامع بادية من حجابها نباحة عند بابها تبكى وهى ظالمة وتشهد وهى غائبة

فخجل الشريف وذهب انتهى (ومن المستعذب ما يحكى عن الفضل) قال دخلت على الرشيد وبين يديه طبق ورد وعنده جاريته مارية وكانت تحسن الشعر والأدب مع الحسن والجمال فقال يا فضل قل فى هذا الورد فأنشدته بديها

كأنه فم محبوب يقبله ... فم الحبيب وقد أبدى به خجلا

فقال الرشيد ما تقولين يا مارية فأنشدته

كأنه لون خدى حين تدفعنى ... كف الرشيد لأمر يوجب الغسلا

فقال الرشيد قم يا فضل فقد هيجتنى هذه الماجنة فقمت وقد أرخيت الستور اه (ومن الغايات التى لا تدرك) ما حكاه الشريف المقرى فى شرح بديعيته ان صائغا نصرانيا اسمه نجم صاغ خاتما لبعض أولاد وزراء بيت المقدس وكان اسمه يحيى فنقش عليه نجم عشق يحيى ودفعه له فلما قرأه طاش عقله وامتلأ غيظا وذهب إلى أبيه وقال له اقرأ ما على هذا الخاتم فلما قرأه حصل فى نفسه تأثير فأرسل خلفه وعقد مجلسا لدى القاضى وأراد قتله فلما حضر أعلم بذلك فقال ما ذنبى وأنتم ترون عن نبيكم ما قتل ذميا كنت خصمه يوم القيامة فقيل له أتتكلم وخطك يشهد عليك كيف فكتب نجم عشق يحيى فقال والله ما كتبت إلا ما تتبركون به فى كتابكم فكتبت نجم عشق يحيى فطرب المجلس لذلك واستحسنوا ذكاءه وأشاروا عليه بالاسلام فهذا من الاتفاق العجيب اه (ومثل ذلك) قول أبى نواس يهجوا خالصة

قددلى لسانها بالزور وسال دمعها بالفجور ابتلاها الله بالويل والثبور وعظائم الأمور ويقال ان المرأة إذا كانت مبغضة لزوجها فان علامة ذلك أن تكون عند قربها منه مزيدة الطرف عنه كأنها تنظر إلى انسان غيره من ورائه وان كانت محبة له لا تقلع عن النظر اليه قال بعضهم

لقد كنت محتاجا إلى موت زوجتى ... ولكن قرين السوء يلق معمر
فياليتها صارت إلى القبر عاجلا ... وعذبها فيه نكير ومنكر

(وقال زيد بن عمير) أعاتبها حتى إذا قلت أقلعت ... أبى الله الا خزيها فتعود
فان طمثت قادة وإن طهرت زنت ... فهانيك تزنى دائما وتقود

وقال داود عليه الصلاة والسلام المرأة السوء على بعلها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير والمرأة الصالحة كالتاج المرصع بالذهب كلما رآها قرت عينه برؤيتها والله أعلم

(الفصل الرابع فى مكر النساء وغدرهن وذمهن ومخالفتهن) فى حكمة داود عليه الصلاة والسلام وجدت فى الرجال واحدا فى الف ولم أجد واحدة فى جميع النساء وقيل أن عيسى عليه الصلاة والسلام اتى إبليس وهو يسوق أربعة أحمرة عليها أحملة فسأله فقال أحمل تجارة وأطلب مشترين فقال ما أحدها قال الجور قال فمن يشتريه قال السلاطين قال فما الثانى قال الحسد قال فمن يشتريه قال العلماء قال فما الثالث قال الخيانة قال فمن يشتريها قال التجار قال فما الرابع قال الكيد قال فمن يشتريه قال النساء وقال حكيم النساء شركلهن وشر ما فيهن قلة الاستغناء عنهن وقالت الحكماء لا تثق بامرأة ولا تغتر بمال وان كثر وقال النساء حبائل الشيطان قال الشاعر

تمتع بها ماساعفتك ولا تكن ... جزوعا إذا بانت فسوف تبين
وخنها وان كانت تفى لك إنها ... على قدم الايام سوف تخون
وان هى أعطتك الليان فانها ... لغيرك من طلابها ستلين
وان حلفت ان ليس عهدها ... فليس لمخضوب البنان يمين
وان سكبت يوم الفراق دموعها ... فليس لعمر الله ذاك يقين

(وقال ابن بشار) رأيت مواعيد النساء كأنها ... سراب لمرتاد المناهل حافل
ومنتظر الموعود منهن كالذى ... يؤمل يوما ان تلين الجنادل

قال بعض الحكماء لم تنه المرأة عن شىء قط الا فعلته وقال الغنوى

ان النساء متى ينهين عن خلق ... فانه واقع لابد مفعول

وقال النخعى من اقتراب الساعة طاعة النساء ويقال من أطاع عرسه فقد أضاع نفسه وقال على رضى الله تعالى عنه إياك ومشاورة النساء فان رأيهن إلى أفن وعزمهن إلى وهن اكفف أبصارهن بالحجاب فان شدة الحجاب خير لهن من الارتياب وليس خروجهن بأضر من دخول من لا يوثق عليهن فان استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل قال السمعانى

لا تأمنن على النساء ولو أخا ... مافى الرجال على النساء أمين
ان الامين وان تحفظ جهده ... لابد ان بنظرة سيخون

(وقال غيره) لا تركنن الى النساء * ولا تثق بعهودهن فرضاؤهن جميعهن * معلق بفروجهن

وقال على رضى الله تعالى عنه لا تطلعوا النساء على حال ولا تأمنوهن على مال ولا تذروهن الا لتدبير العيال ان تركن وما يردون أو ردن المهالك وأفسدن الممالك ينسين الخير ويحفظن الشر يتهافتن فى البهتان

جارية الرشيد لقد ضاع شعرى على بابكم ... كما ضاع در على خالصه فلما بلغ الرشيد أنكر عليه وهدده فقال لم أقل الاضاء فاستحسن موارابته وقال بعض من حضر هذا البيت قلعت عينيه فأبصر اه (حكى) عن أبى العيناء أنه قال رأيت جارية مع النخاس وهى تحلف أن لا ترجع لمولاها فسألتها عن ذلك فقالت ياسيدى انه يواقعنى من قيام ويصلى من قعود ويشتمنى باعراب ويلحن فى القرآن ويصوم الخميس والاثنين ويفطر رمضان ويصلى الضحى ويترك الفرض فقلت لا أكثر الله مثله فى المسلمين اه (وقيل) زنى رجل بجارية فأحبلها فقيل له ياعدو الله هلا إذا ابتليت بفاحشة عزلت قال قد بلغنى أن العزل مكروه قالوا افما بلغك ان الزنا حرام (وقيل) لاعرابى كان يتعشق قينة ما يضرك لو اشتريتها ببعض ما تنفق عليها قال فمن لى اذذاك بلذة الخلسة ولقاء المسارقة وانتظار الموعد (وحكى) أن علية بنت المهدى كانت تهوى غلاما خادما اسمه طل فخاف الرشيد أن لا تكلمه ولا تذكره فى شعرها فاطلع الرشيد يوما عليها وهى تقرأ فى سورة البقرة فان لم يصبها وابل فالذى نهى عنه أمير المؤمنين (قيل) دخلت امرأة على هرون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه فقالت يا أمير المؤمنين أقر الله عينك وفرحك بما أتاك وسعدك فقد حكمت فقسطت فقال لها من تكونين ايتها المرأة فقالت من آل برمك ممن قتلت رجالهم وأخذت أموالهم وسلبت نوالهم فقال أما الرجال فقد مضى فيهم ويتمادين

أمر الله ونفذ فيهم قدره وأما المال فمردود اليك ثم التفت إلى الحاضرين من أصحابه فقال أتدرون ماقالت المرأة فقالوا مانراها قالت الاخيرا قال ماأظنكم فهمتم ذلك أما قولها أقر الله عينك (٢٢٧) أى أسكنها عن الحركة وإذا أسكنت العين عن الحركة عميت وأما قولها وفرحك بما آتاك فأخذته من قوله تعالى حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة وأما قولها وأتم الله سعدك فأخذته من قول الشاعر إذاتم أمر بدا نقصا ترقب زوالا إذا قيل تم وأما قولها لقد حكمت فقسطت فأخذته من قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا فتعجبوا من ذلك (وحكى) أن المأمون ولى عاملا على بلاد وكان يعرف منه الجور فى حكمه فأرسل اليه رجلا من أرباب دولته ليمتحنه فلما قدم عليه أظهر له أنه قدم فى تجارة فى نفسه ولم يعلمه أن أمير المؤمنين عنده علم منه فأكرم نزله وأحسن اليه وسأله أن يكتب كتابا الى أمير المؤمنين المأمون يشكر سيرته عنده ليزداد فيه أمير المؤمنين رغبة فكتب كتابا فيه بعد الثناء على أمير المؤمنين أما بعد فقد قدمنا على فلان فوجدناه آخذا بالعزم عاملا بالحزم قد عدل بين رعيته وساوى فى أقضيته أغنى القاصد وأرضى الوارد وأنزلهم منه منازل الاولاد وأذهب مابينهم من الضغائن والاحقاد وعمر منهم المساجد الداثرة وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل الآخرة يعنى أن الكل صاروا فقراء لايملكون شيئا من الدنيا يريدون النظر إلى وجه أمير المؤمنين أى ليشكو حالهم

ويتمادين فى الطغيان وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه ذل من أسند أمره إلى امرأة * وقيل ان صيادا أتى أبرويز بسمكة فأعجبه حسنها وسمنها فأمر له بأربعة آلاف درهم فخطأته سيرين زوجته فقال لها ماذا أفعل فقالت له إذا جاءك فقل له أذكرا كانت أم أنثى فان قال لك ذكر فاطلب منه الانثى وان قال لك أنثى فاطلب منه الذكر فلما أتاه سأله فقال كانت أنثى فقال ائتنى بذكرها فقال عمر الله الملك كانت بكرا لم تتزوج فقال زه وأمر له بثمانية آلاف درهم وقال اكتبوا فى الحكمة الغدر ومطاوعة النساء يؤديان إلى الغرم الثقيل وقال حكيم اعص النساء وهواك وافعل ماشئت . وقال عمر رضى الله تعالى عنه أكثروا لهن من قول لا فان نعم تغريهن على المسئلة وقال استعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر (ومما قيل فى الباءة) ذكر الجماع عند الإمام مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه قال هو نور وجهك ومخ ساقك فاقلل منه أو أكثر وقال معاوية رضى الله تعالى عنه مارأيت نهما فى النساء الا عرفت ذلك فى وجهه وخلا تمام بجارية له فعجز عنها فقال ماأوسع حرك فأنشأت تقول

أنت الفداء لمن قد كان يملؤه ... ويشتكى الضيق منه حين يلقاه

وقال آخر

شفاء الحب تقبيل ولمس ... وسحب بالبطون على البطون
ورهز تذرف العينان منه ... وأخذ بالمناكب والقرون

وقالت امرأة من أهل الكوفة دخلت على عائشة بنت طلحة فسألت عنها فقيل هى مع زوجها فى القيطون فسمعت شهيقا وشخيرا لم أسمع مثله ثم خرجت إلى وجبينها يتصبب عرقا فقلت لها ماظننت حرة تفعل هذا بنفسها فقالت ان الخيل تشرب بالصفير وعاتبت امرأة زوجها على قلة اتيانها فأجابها يقول

أنا شيخ ولى امرأة عجوز ... تراودنى على مالا يجوز
وقالت رق أيرك مذ كبرنا ... فقلت بلى قد اتسع القفيز

وكان لرجل امرأة تخاصمه وكلما خاصمته قام اليها فواقعها فقالت ويحك كلما تخاصمنى تأتينى بشفيع لاأقدر على رده وأتى رجل إلى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وقال ان لى امرأة كلما غشيتها تقول قتلتنى فقال اقتلها بهذه القتلة وعلى اثمها وقالوا من قل جماعه فهو اصح بدنا وأنقى جلدا وأطول عمرا ويعتبر ذلك بذكور الحيوان وذلك انه ليس فى الحيوان أطول أعمارا من البغال ولا أقصر أعمارا من العصافير وهى أكثرها سفادا والله تعالى أعلم بالصواب

(الفصل الخامس فى الطلاق وماجاء فيه) عن عبد الرحمن بن محمد ابن أخى الاصمعى قال قال عمى للرشيد فى بعض حديثه يا أمير المؤمنين بلغنى ان رجلا من العرب طلق فى يوم واحد خمس نسوة قال كيف ذلك وانما لايجوز للرجل غير أربعة قال ياأمير المؤمنين كان متزوجا بأربعة فدخل عليهن يوما فوجدهن متنازعات وكان شريرا فقال الى متى هذا النزاع ماأظن هذا الا من قبلك يافلانة لامرأة منهن اذهبى فأنت طالق فقالت له صاحبتها عجلت عليها بالطلاق ولو أدبتها بغير ذلك لكان أصلح فقال لها وأنت أيضا طالق فقالت له الثالثة قبحك الله فوالله لقد كانتا اليك محسنتين فقال لها وأنت أيضا أيتها المعددة ايادهما طالق فقالت الرابعة وكانت هلالية ضاق صدرك الا ان تؤدب نساءك بالطلاق فقال لها وأنت طالق أيضا فسمعته جارة له فأشرفت عليه وقالت له والله ماشهدت العرب عليك ولا على قومك بالضعف الا لما بلوه منكم ووجدوه فيكم أبيت إلا طلاق نسائك فى ساعة واحدة فقال لها وانت أيتها المتكلمة فيما لايعنيك طالق أن أجاز لى بعلك فأجابه زوجها قد أجزت لك ذلك

وما نزل بهم فلما جاء الكتاب إلى المأمون عزله عنهم لوقته وولى عليهم غيره (وحكى) أن بعض الملوك طلع يوما إلى أعلى قصره يتفرج فلاحت منه التفاتة فرأى امرأة على سطح دار إلى جانب قصره لم ير الراؤن أحسن منها فالتفت إلى بعض جواريه فقال لها لمن هذه فقالت يامولاى هذه زوجة غلامك فيروز قال فنزل الملك وقد خامره حبها وشغف بها فاستدعى بفيروز وقال له خذ هذا الكتاب وامض به إلى البلد الفلانية وائتنى بالجواب فأخذ فيروز الكتاب وتوجه إلى منزله فوضع الكتاب تحت رأسه فلما أصبح ودع أهله وسار طالبا لحاجة الملك ولم يعلم بما قد دبره الملك فانه لما توجه فيروز قام مسرعا وتوجه مختفيا الى دار فيروز فقرع الباب قرعا خفيفا فقالت امرأة فيروز من بالباب قال أنا الملك سيد زوجك ففتحت له فدخل وجلس فقالت له أرى مولانا اليوم عندنا فقال جئت زائرا فقالت أعوذ بالله من هذه الزيارة وما أظن فيها خيرا فقال لها ويحك انني انا الملك سيد زوجك وما أظنك عرفتيني فقالت لا يامولاى لقد علمت أنك الملك ولكن سبقتك الاوائل فى قولهم

سأترك ماءكم من غير ورد ... وذاك لكثرة الوراد فيه
إذا سقط الذباب على طعام ... رفعت يدى ونفسى تشتهيه
وتجتنب الاسود ورود ماء ... اذا كان الكلاب ولغن فيه
ويرتجع الكريم خميص بطن ... ولا يرضى مساهمة السفيه

وما أحسن يامولاى قول الشاعر

فعجب الرشيد من ذلك وطلق رجل امرأته فلما أرادت الارتحال قال لها اسمعى وليسمع من حضر انى والله اعتمدتك برغبة وعاشرتك بمحبة ولم أجد منك زلة ولم يدخلنى عنك ملة ولكن القضاء كان غالبا فقالت المرأة جزيت من صاحب مصحوب خيرا فما استقللت خيرك وشكوت ضيرك ولا تمنيت غيرك ولا أجدلك فى الرجال شبيها وليس لقضاء الله مدفع ولا من حكمه علينا ممنع وقال رجل لابن عباس رضى الله تعالى عنهما ما تقول فى رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء فقال يكفيه من ذلك عدد نجوم الجوزاء

(ذكر من طلق امرأته فتبعتها نفسه) قال الهيثم بن عدى كانت تحت ابن الغريان بن الاسود بنت عم له فطلقها فتبعتها نفسه فكتب اليها يعرض لها بالرجوع فكتبت اليه تقول

ان كنت ذا حاجة فاطلب لها بدلا ... ان الغزال الذى ضيعت مشغول

(فكتب اليها يقول)

ان كان ذا شغل فالله يكلؤه ... وقد لهونا به والحبل موصول
وقد قضينا من استطرافه وطرا ... وفى الليالى وفى أيامها طول

وطلق الوليد بن يزيد زوجته سعدى فلما تزوجت اشتد ذلك عليه وندم على ما كان منه فدخل عليه أشعب فقال له هل لك ان تبلغ سعدى عنى رسالة ولك عشرة آلاف درهم قال أقبضنيها فأمر له بها فلما قبضها قال له هات رسالتك قال ائتها فأنشدها

أسعدى هل اليك لنا سبيل ... ولا حتى القيامة من تلاق
بلى ولعل دهرا أن يواتى ... بموت من خليلك أو فراق

قال فاتاها اشعب فاستأذن عليها فاذنت له فدخل فقالت له ما بدا لك فى زيارتنا يا أشعب فقال ياسيدتى أرسلنى اليك الوليد برسالة ثم أنشدها الشعر فقالت لجواريها عليكن بهذا الخبيث فقال ياسيدتى أنه دفع إلى عشرة آلاف درهم فهى لك واعتقينى لوجه الله فقالت والله لأعتقنك أو تبلغ اليه ما أقول لك قال ياسيدتى فاجعلى لى جعلا قالت لك بساطى هذا قال قومى عنه فقامت فأخذه وألقاه على ظهره وقال هاتى رسالتك فقالت

أتبكى على سعدى وأنت تركتها ... فقد ذهبت سعدى فما أنت صانع

فلما بلغه الرسالة ضاقت عليه الأرض بما رحبت وأخذته كظمة فقال لأشعب اختر منى احدى ثلاث اما أن أقتلك واما أن أطرحك من هذا القصر واما أن ألقيك الى هذه السباع فتفترسك فتحير أشعب وأطرق مليا ثم قال ياسيدى ما كنت لتعذب عينا نظرت الى سعدى فتبسم وخلى سبيله.

وممن طلق امرأته فتبعتها نفسه الفرزدق الشاعر طلق النوار ثم ندم على طلاقها وقال

ندمت ندامة الكسعى لما ... غدت منى مطلقة نوار
فأصبحت الغداة ألوم نفسى ... بأمر ليس لى فيه اختيار
وكانت جنتى فخرجت منها ... كآدم حين أخرجه الضرار
ولو أنى ملكت بها يمينى ... لكان على للقدر الخيار

ومن طلق امرأته فتبعتها نفسه قيس بن ذريح وكان أبوه أمره بطلاقها فطلقها وندم على ذلك فأنشد يقول

فنى صبرى وعاودنى رداعى ... وكان فراق لبنى كالخداع
تكنفنى الوشاة فازعجونى ... فيا للناس للواشى المطاع
فأصبحت الغداة ألوم نفسى ... على امر وليس بمستطاع
كمغبون يعض على يديه ... تبين غبنه عند البياع

قل للذى شفه الغرام بنا وصاحب الغدر غير مصحوب والله لا قال قائل أبدا قد أكل الليث فضلة الذيب ثم
قالت أيها الملك تأتى إلى موضع شرب كلبك تشرب منه فاستحى الملك من كلامها وخرج وتركها فنسى

وحدث العتبى قال جاء رجل بامرأة كأنها برج من فضة إلى عبد الرحمن بن الحكم وهو على الكرقة فقال ان امرأتى هذه شجعتنى فسألها عبد الرحمن فقالت نعم يامولاى غير متعمدة لذلك كنت أعالج طيبا فوقع الفهر من يدى على رأسه وليس عندى علم ولا يقوى بدنى على القصاص فقال للرجل علام تمسكها وقد فعلت بك ماأرى فقال يامولاى ان صداقها على أربعة آلاف درهم ولا تطيب نفسى بفراقها قال فان أعطيتك الأربعة آلاف درهم تفارقها قال نعم قال هى لك فهى اذن طالق فقال لها عبد الرحمن احبسى علينا نفسك وأنشأ يقول

ياشيخ من دلاك بالعزل ... قد كنت ياشيخ عن هذا بمعتزل
رضت الصعاب فلم تحسن رياضتها ... فاعمد لنفسك نحو القرح والذلل

والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والسبعون فى تحريم الخمر وذمها والنهى عنها)

قد أنزل الله تعالى فى الخمر ثلاث آيات الأولى قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس الآية فكان من المسلمين من شارب ومن تارك إلى أن شرب رجل فدخل فى الصلاة فهجر فنزل قوله تعالى ياأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها حتى شربها عمر رضى الله تعالى عنه فأخذ بلحى بعير وشج به رأس عبد الرحمن بن عوف ثم قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الأسود بن يعفر يقول

وكأن بالقلب قليب بدر ... من الفتيان والعرب الكرام
أيوعدنى ابن كبشة ان سنحيا ... وكيف حياة أصداء وهام
أيعجز أن يرد الموت عنى ... وينشرنى إذا بليت عظامى
ألا من مبلغ الرحمن عنى ... بانى تارك شهر الصيام
فقل لله يمنعنى شرابى ... وقل لله يمنعنى طعامى

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج مغضبا يجر رداءه فرفع شيئا كان فى يده فضربه به فقال أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فأنزل الله تعالى إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون فقال عمر رضى الله تعالى عنه انتهينا انتهينا ومن الأخبار المتفق عليها فى تحريمها قول سيدنا محمد رسول الله ﷺ لا يدخل الجنة مدمن خمر وممن تركها فى الجاهلية عبد الله بن جدعان وكان جوادا من سادات قريش وذلك أنه شرب مع أمية بن أبى الصلت الثقفى فضربه على عينيه فأصبحت عين أمية مخضرة يخاف عليها الذهاب فقال له عبد الله ما بال عينك فسكت فألح عليه فقال ألست ضاربها بالأمس فقال أو بلغ منى الشراب ماأبلغ معه إلى هذا لا أشربها بعد اليوم ثم دفع له عشرة آلاف درهم وقال حرام لا أذوقها بعد اليوم ابدا . وممن حرمها فى الجاهلية أيضا قيس بن عاصم وذلك أنه سكر ذات ليلة فقال لابنته أو لاخته فهربت منه فلما أصبح سأل عنها فقيل له أو ماعلمت ماصنعت البارحة فأخبر بالقصة فحرم الخمر على نفسه . وممن حرمها فى الجاهلية أيضا العباس بن مرداس وقيس بن عاصم وذلك ان قيسا شرب ذات ليلة فجعل يتناول الخمر ويقول والله لا أبرح حتى انزله ثم يثب الوثبة بعد الوثبة ويقع على وجهه فلما أصبح وافاق قال مالى هكذا فأخبروه بالقصة فقال والله لا أشربها أبدا وقيل للعباس

نعاله فى الدار هذا ما كان من الملك وأما فيروز فانه لما خرج وسار تفقد الكتاب فلم يجده معه فى رأسه فتذكر أنه نسيه تحت فراشه فرجع إلى داره فوافق وصوله عقب خروج الملك من داره فوجد نعل الملك فى الدار فطاش عقله وعلم أن الملك لم يرسله فى هذه السفرة الا لأمر يفعله فسكت ولم يبد كلاما وأخذ الكتاب وسار إلى حاجة الملك فقضاها ثم عاد اليه فانعم عليه بمائة دينار فمضى فيروز إلى زوجته فسلم عليها وقال لها قومى إلى زيارة بيت أبيك قالت وماذاك قال إن الملك أنعم علينا وأريد أن تظهرى لأهلك ذلك قالت حبا وكرامة ثم قامت من ساعتها إلى بيت أبيها ففرحوا بها وبما جاءت به معها فأقامت عند أهلها مدة أشهر فلم يذكرها زوجها ولا ألم بها فأتى اليه أخوها وقال له يافيروز إما أن تخبرنا بسبب غضبك وإما ان تحاكمنا إلى الملك فقال ان شئتم الحكم فافعلوا فما تركت لها على حقا فطلبوه إلى الحكم فأتى معهم وكان القاضى اذ ذاك عند الملك جالسا إلى جانبه فقال أخو الصبية أيد الله مولانا قاضى القضاة إنى اجرت هذا الغلام بستانا سالم الحيطان ببئر ماء معين عامرة وأشجار مثمرة فأكل ثمره وهدم حيطانه وخرب بئره فالتفت

القاضي إلى فيروز وقال له ما تقول يا غلام فقال فيروز ايها القاضي قد أستلمت هذا البستان وسلمته إليه احسن مما كان فقال القاضي هل سلم إليك البستان كما كان قال نعم ولكن أريد منه السبب لرده قال القاضي ما قولك قال والله يا مولاي ما رددت البستان كراهية فيه وإنما جئت يوما من الأيام فوجدت فيه أثر الأسد فخفت أن يغتالني فحرمت دخول البستان اكراما للأسد قال وكان الملك متكئا فاستوى جالسا وقال يا فيروز ارجع إلى بستانك آمنا مطمئنا فوالله ان الأسد دخل البستان ولم يؤثر فيه أثرا ولا التمس منه ورقا ولا ثمرا ولا شيئا ولم يلبث فيه غير لحظة يسيرة وخرج من غير بأس والله ما رأيت مثل بستانك ولا أشد احترازا من حيطانه على شجره قال فرجع فيروز ولم يعلم القاضي ولا غيره بشيء من ذلك اه (وحكى) ان الحجاج سأل يوما الغضبان بن القبعثرى عن مسائل يمتحنه بها من جملتها أن قال له من أكرم الناس قال افقههم في الدين وأصدقهم لليمين وأبذلهم للمسلمين أكرمهم للمهانين وأطعمهم للمساكين قال فمن الأم الناس قال المعطى على الهوان المقتر على الإخوان الكثير الألوان قال فمن شر الناس قال أطولهم جفوة وأدومهم صبوة واكثرهم خلوة وأشدهم قسوة قال فمن أشجع الناس قال أضربهم بالسيف وأقراهم للضيف وأتركهم للحيف قال فمن اجبن الناس قال المتأخر عن الصفوف المتقبض عن الزحوف المرتعش

ابن مرداس لم تركت الشراب وهو يزيد في سماحتك فقال أكره أن أصبح سيد قومي وأمسي سفيههم * ودخل نصيب على عبد الملك بن مروان فأنشده فأعجبه انشاده وشعره ووصله ثم دعا بالطعام فطعم منه فقال له عبد الملك يا نصيب هل لك فيما ينادم عليه قال أمير المؤمنين جلدي أسود وخلقي مشوه ووجهي قبيح وتكفيني مجالستك ومؤاكلتك ولم يوصلني إلى ذلك إلا عقلي وأنا أكره أن يدخل عليه ما ينقصه فأعجبه كلامه ووصله وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج في وفدة وفدها عليه هل لك في الشراب فقال يا أمير المؤمنين لا اختلاف لما أمرت ولكن أنا أمنع أهل عملي منه وأكره أمنعهم عن شيء ولا أمتنع منه وقد قال الله تعالى وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه وقال تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقيل لأعرابي لم لا تشرب النبيذ فقال لا أشرب ما يشرب عقلي وقال الضحاك بن مزاحم لرجل ما تصنع بشرب النبيذ قال يهضم طعامي قال أما انه يهضم من دينك وعقلك أكثر وقال ابن أبي أوفى لقومه حين نهوا عن الخمر

ألا يا لقومي ليس في الخمر رفعة ... فلا تقربوا منها فلست بفاعل

فاني رأيت الخمر شيئا ولم يزل ... أخو الخمر دخالا لشر المنازل

وقال الحسن لو كان العقل يشترى لتغالى الناس في ثمنه فالعجب ممن يشتري بماله ما يفسده وقال عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة والنساء حبائل الشيطان والخمر داعية إلى كل شر وقال بعضهم

بلوت نبيذ الخمر في كل بلدة ... فليس لإخوان النبيذ حفاظ

إذا دارت الأرطال أرضوك بالمنى ... وإن فقدوها فالوجوه غلاظ

وقال حكيم إياك وإخوان النبيذ فبينما أنت متوج عندهم مخدوم مكرم معظم إذا زلت بك القدم جروك على شوك السلم فاحفظ قول القائل فيه

وكل أناس يحفظون حريمهم ... وليس لأصحاب النبيذ حريم

فان قلت هذا لم أقل عن جهالة ... ولكنني بالفاسقين عليم

(وللاعرج الطائي) تركت الشعر واستبدلت منه ... إذا داعي صلاة الصبح قاما

كتاب الله ليس له شريك ... وودعت المدامة والندامى

(وقال الصفدي) دع الخمر فالراحلات في ترك راحها ... وفي كأسها للمرء كسوة عار

وكم ألبست نفس الفتى بعد نورها ... مدارع قارفي مدار عقار

(نكتة) اجتمع نصراني ومحدث في سفينة فصب النصراني خمرا من زق كان معه في شربة وشرب ثم صب فيها وعرض على المحدث فتناولها من غير فكر ولا مبالاة فقال النصراني جعلت فداءك انما هي خمر قال من أين علمت أنها خمر قال اشتراها غلامي من يهودي وحلف انها خمر فشربها المحدث على عجل وقال للنصراني يا أحمق نحن أصحاب الحديث نضعف مثل سفيان بن عيينه ويزيد بن هرون أفتصدق نصرانيا عن غلامه عن يهودي والله ما شربتها إلا لضعف الإسناد * ومن المجون في ذلك ما حكى أن سكرانا استلقى على طريق فجاء كلب فلحس شفتيه فقال خدمك بنوك ولا عدموك فبال على وجهه فقال وماء حارا أيضا بارك الله فيك وقيل حالة السكارى ثلاثة قرد حرك رأسه فرقص وكلب هارش فنبح وحية زويت فنامت ومر عقال الناسك بمرداس بن خدام الاسدي فاستسقاه لبنا فصب له خمرا وعلاه اللبن فشربه وسكر ولم يتحرك ثلاثة أيام فقال

سقيت

عند الوقوف الحب ظلال السقوف السكاره لضرب السيوف قال فمن أثقل الناس قال التفتن في الملام الضنين بالسلام المهذار في الكلام المقبقب على الطعام قال فمن خير الناس قال أكثرهم إحسانا وأقومهم ميزانا وأدومهم غفرانا وأوسعهم ميدانا قال لله

سقيت عقلا بالعشية شربة ... فمالت بعقلي الكاهلي عقالي
قرعت بأم الخل حبة قلبه ... فلم ينتعش منها ثلاث ليالي

ويقال الخمر مصباح السرور ولكنها مفتاح الشرور اللهم تب علينا وعلى العصاة والمذنبين برحمتك يا أرحم الراحمين آمين

(الباب الخامس والسبعون في المزاح والنهي عنه وما جاء في الترخيص فيه والبسط والتنعم وفيه فصول)

(الفصل الأول في النهي عن المزاح) قال رسول الله ﷺ المزاح استدراج من الشيطان واختلاع من الهوى وعن علي ما مزح أحد مزحة إلا مج الله من عقله مجة وعنه إياك أن تذكر من الكلام ما يكون مضحكا وإن حكيت ذلك عن غيري وكتب عمر رضي الله تعالى عنه إلى عماله امنعوا الناس من المزاح فإنه يذهب بالمروءة ويوغر الصدور وقال بعض الحكماء تجنب سوء المزاح ونكد الهزل فإنهما بابان إذا فتحا لم يغلقا إلا بعد غم وقال آخر لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح وعن محمد بن المنكدر قال قالت لي أمي لا تمازح الصبيان تهن عندهم وخرج إعرابي بالليل فإذا بجارية جميلة فراودها فقالت أما لك زاجر من عقلك إذا لم يكن لك واعظ من دينك فقال والله ما يرانا إلا الكواكب فقالت له يا هذا وأين مكوكبها فأخجله كلامها فقال لها إنما كنت مازحا فقالت

فإياك إياك المزاح فإنه ... يجرى عليك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه ... ويورث بعد العز صاحبه ذلا

وقال الأحنف كثرة الضحك تذهب الهيبة وكثرة المزاح تذهب المروءة ومن لزم شيئا عرف به ومما روي عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم كانوا يتحادثون ويتناشدون الأشعار فإذا جاء ذكر الله انقلبت حماليقهم كأنهم لم يعرفوا أحدا

(الفصل الثاني فيما جاء في الترخيص في المزاح والبسط والتنعيم) لا بأس بالمزاح ما لم يكن سفها والله تعالى وعد في اللمم بالتجاوز والعفو فقال الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم وقيل ان يحيى بن زكريا لقي عيسى عليه الصلاة والسلام فقال مالي أراك لاهيا كأنك آمن فقال له عيسى مالي أراك عابسا كأنك آيس فقال لا نبرح حتى ينزل علينا الوحي فأنزل الله إليهما ان أحبكما إلي أحسنكما ظنا بي ويروى ان أحبكما إلى الطلق البسام وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لجارية خلقني خالق الخير وخلقك خالق الشر فبكت فقال عمر لا بأس عليك فإن الله خالق الخير والشر قال الشاعر

ان الصديق يريد بسطك مازحا ... فإذا رأى منك الملالة يقصر
وترى العدو إذا تيقن انه ... يؤذيك بالمزح العنيف يكثر

وكان رسول الله ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقا فمن مزحه ﷺ أنه جاءه رجل فقال له يا رسول الله احملني على جمل فقال عليه الصلاة والسلام لا أحملك إلا على ولد الناقة فقال يا رسول الله انه لا يطيقني فقال له الناس ويحك وهل الجمل إلا ولد الناقة وقال رسول الله ﷺ لامرأة من الأنصار الحقي زوجك ففي عينيه بياض فسعت إلى زوجها مرعوبة فقال لها ما دهاك فقالت ان النبي ﷺ قال لي ان في عينيك بياضا فقال نعم والله وسوادا وأتته أيضا عجوز أنصارية فقالت يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال لها يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت المرأة تبكي فتبسم ﷺ وقال لها أما قرأت قوله

أبوك فكيف يعرف الرجل الغريب أحسيب هو أم غير حسيب قال أصلح الله الأمير ان الرجل الحسيب يدلك أدبه وعقله وشمائله وعزة نفسه وكثرة احتماله وبشاشته وحسن مداراته على أصله فالعاقل البصير بالأحساب يعرف شمائله والنذل الجاهل يجهله فمثله كمثل الدرة إذا وقعت عند من لا يعرفها ازدراها وإذا نظر إليها العقلاء عرفوها وأكرموها فهي عندهم لمعرفتهم بها حسنة عظيمة فقال الحجاج لله أبوك فمن العاقل والجاهل قال أصلح الله الأمير العاقل الذي لا يتكلم هذرا ولا ينظر شزرا ولا يضمر غدرا ولا يطلب عذرا والجاهل هو المهذار في كلامه المنان بطعامه الضنين بسلامه المتطاول على أمامه الفاحش على غلامه قال لله أبوك فمن الحازم الكيس قال المقبل على شأنه التارك لما لا يعنيه قال فمن العاجز قال المعجب بآرائه الملتفت إلى ورائه قال

هل عندك من النساء خبر قال أصلح الله الأمير إني بشأنهن خبير إن شاء الله ان النساء من أمهات الأولاد بمنزلة الأضلاع ان عدلتها انكسرت ولهن جوهر لا يصلح إلا على المداراة فمن داراهن انتفع بهن

تعالى انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها سابقت رسول الله ﷺ فسبقته فلما كبر لحمي سابقته فسبقني فضرب بكتفي وقال هذه بتلك وعنها أيضا قالت كان رسول الله ﷺ يدخل وأنا ألعب مع صويحباتي ولا يعيب علي وسئل النخعي هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون قال نعم والإيمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي وكان نعيمان الصحابي من أولع بالمزاح والضحك قيل إنه يدخل الجنة وهو يضحك فمن مزحه أنه مر يوما بمخرمة بن نوفل الزهري وهو ضرير فقال له قدني حتى أبول فأخذ بيده حتى أتى به إلى المسجد فأجلسه في مؤخره فصاح به الناس انك في المسجد فقال من قادني قالوا نعيمان قال لله علي نذر أن أضربه بعصاي هذه ان وجدته فبلغ ذلك نعيمان فجاء إليه وقال له يا أبا المنور هل لك في نعيمان قال نعم قال ها هو قائم يصلي وأخذ بيده وجاء به إلى عثمان بن عفان وهو يصلي وقال هذا نعيمان فعلاه بعصاه فصاح الناس أمير المؤمنين فقال من قادني قالوا نعيمان فقال والله لا تعرضت له بسوء بعدها وقال عطاء بن السائب كان سعيد بن جبير يقص علينا حتى يبكينا وربما لم يقم حتى يضحكنا وكان رجل يسمى تاج الوعظ يعظ الناس ويقص عليهم حتى يبكيهم ثم يقم حتى يضحكهم ويبسط آمالهم فمن لطائفه انه حكى يوما بعدما فرغ من ميعاده قال سمعت الناس يتكلمون في التصحيف وكنت لا أعرفه فوقع في قلبي أن أتعلمه فدخلت في سوق الكتبية واشتريت كتابا في التصحيف فاول ما تصفحته وجدت فيه سكباج تصحيفه سك تاج فرميت الكتاب من يدي وحلفت اني لا أشتغل به أبدا فضحك الناس حتى غشي عليهم ودخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان فوجده يتأوه فقال يا أمير المؤمنين لو أدخلت عليك من يؤنسك بأحاديث العرب ويباسطك استرحت فقال است بصاحب لهو فقال ما الذي تشكوه يا أمير المؤمنين قال هاج بي عرق النسا في ليلتي هذه فبلغ مني ماترى فقال ان بديحا مولاي أرقى الخلق منه فأمر باحضاره فلما مثل بين يديه قال عبد الملك يا بديح ارق رجلي فقال يا مولاي أنا أرقى الناس لها ثم وضع يده عليها وجعل يقول مالا يسمع فقال عبد الملك قد وجدت راحة بهذه الرقية يا ابن فلانة ائتوني بها تكتبها لئلا يهيج بي الوجع بالليل فقال بديح الطلاق يلزمه ما أكتبها إلا بتعجيلي جائزتي فأمر له بأربعمائة آلاف درهم فقال يا أمير المؤمنين الطلاق يلزمه ما أكتبها حتى تحمل جائزتي إلى بيتي قال تحمل فحملت فقال يا أمير المؤمنين الطلاق يلزمه ما رقيت رجلك إلا مباسطة بقول نصيب حيث قال

ألا أن ليلى العامرية أصبحت ... على البعد مني ذنب غيري تنقم

فقال ويلك ماتقول فقال الطلاق يلزمه ما رقيتك إلا بها فقال أكتمها علي فقال كيف وقد سار بها الركبان إلى أخيك بمصر فضحك حتى فحص برجليه وأعجبه هذا البسط وروي أن ابن سيرين كان ينشد قول الشاعر

أنبئت أن فتاة كنت أخطبها ... عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

ثم يضحك حتى يسيل لعابه (ومما جاء في الشطرنج واللعب به والنهي عنه والترخيص فيه)

أما النهي عنه فقد قيل أن عليا كرم الله وجهه مر بقوم يلعبون الشطرنج فقال لهم ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون وكان أبو القاسم الكسروي يقول لاترى شطرنجيا غنيا إلا بخيلا ولا فقيرا إلا طفيليا ولاتسمع نادرة بادرة إلا على الشطرنج . واحتضر شطرنجي فصار يقول شاه مات شاه مات مكان الشهادتين حتى مات . وأما الترخيص فيه فسئل الشعبي عن

اللعب

وفرحت عينه ومن شاورهن كدرن عيشه وتكدرت عليه حياته وتنغصت لذاته فأكرمهن أعفهن وأنحر أحساهن العفة فاذا زلن عنها فهن أنتن من الجيفة فقال له الحجاج ياغضبان إني موجهك إلى ابن الأشعث وافدا فاذا أنت قائل له قال مايرديه ويؤذيه ويضنيه فقال اني أخافك لا تقول له ماقلت وكأني بصوت خلاخلك تجلجل في قصري هذا قال كلا أصلح الله الأمير سأحدد له لساني وأجريه في ميداني فعند ذلك أمره بالمسير إلى كرمان فلما توجه الى ابن الأشعث وهو على كرمان بعث الحجاج عينا عليه أي جاسوسا وكان يفعل ذلك مع جميع رسله فلما قدم الغضبان على ابن الأشعث قال له أن الحجاج قد هم بخلعك وعزلك فخذ حذرك وتغد به قبل أن يتعشى بك فأخذ حذره عند ذلك ثم أمر للغضبان بجائزة سنية وخلع فاخرة فأخذها وانصرف راجعا فأتى إلى رملة كرمان في شدة الحر والقيظ وهي رملة شديدة الرمضاء فضرب قبته فيها وحط عن رواحله فبينما هو كذلك اذا باعرابي من بكر بن وائل قد أقبل على بعير قاصدا نحوه وقد اشتد الحر وحميت الغزالة وقت الظهيرة وقد ظمئ ظمأ شديدا فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال الغضبان هذه سنة وردها فريضة قد فاز قائلها وخسر تاركها ماحاجتك يا اعرابي قال أصابتني الرمضاء وشدة الحر والظمأ فيممت قبتك أرجو بركتها قال الغضبان

فهلا تيممت قبة اكبر من هذه وأعظم قال أيتهن تعنى قال قبة الأمير بن الأشعث قال تلك لا يوصل اليها قال إن هذه أمنع منها فقال الاعرابى ما أسمك يا عبد الله قال آخذا فقال وما تعطى قال أكره أن يكون لى اسمان قال بالله من أين أنت قال من الأرض قال فأين تريد قال أمشى فى مناكبها فقال الأعرابى وهو يرفع رجلا ويضع أخرى من شدة الحر أتقرض الشعر قال إنما يقرض الشعر الفأر فقال له أتسجع قال إنما تسجع الحمامة فقال يا هذا ائذن لى أن أدخل قبتك قال خلفك أوسع لك فقال قد أحرقتنى الشمس قال مالى عليها من سلطان فقال الرمضاء أحرقت قدمى قال بل عليها تبرد فقال انى لا أريد طعامك ولا شرابك قال لا تتعرض لما لا تصل اليه ولو طلعت روحك فقال الأعرابى سبحان الله قال نعم من قبل أن تطلع أضراسك فقال الاعرابى ما رأيت رجلا أقسى منك أتيتك مستغيثا لحجتى

وطردتنى هلا أدخلتنى قبتك وطار حتى القريض قال مالى بمحادثتك من حاجة فقال الاعرابى بالله ما اسمك ومن أنت فقال أنا الغضبان بن القبعثرى فقال اسمان منكران خلقا من غضب قال قف متوكئا على باب قبتى برجلك هذه العرجاء فقال قطعها الله ان لم تكن خيرا من رجلك هذه الشلاء فقال الغضبان لو كنت حاكما لجرت فى حكومتك لان رجلى فى الظل قاعدة ورجلك فى الرمضاء قائمة فقال الاعرابى انى لأظنك حروريا قال اللهم اجعلنى ممن يتحرى الخير ويريده فقال انى لأظن عنصرك فاسدا قال ما أقدرنى على إصلاحه فقال الاعرابى لا أرضاك الله ولا حياك ثم ولى وهو يقول

لا بارك الله فى قوم تسودهم ... انى أظنك والرحمن شيطانا

أتيت قبته أرجو ضيافته * فأظهر الشيخ ذو القرنين حرمانا

فلما قدم الغضبان على الحجاج وقد بلغه الجاسوس ما جرى بينه وبين ابن الاشعث وبين الاعرابى قال له الحجاج يا غضبان كيف وجدت أرض كرمان قال أصلح الله الامير أرضا يابسة الجيش بها ضعاف هزلاء ان كثروا جاعوا وان قلوا ضاعوا فقال له الحجاج ألست صاحب الكلمة التى بلغتنى انك قلتها لابن الأشعث تغد بالحجاج قبل ان يتعشى بك فوالله لاحبسنك عن الوساد ولانزلنك عن الجياد ولاشهرنك فى البلاد قال الامان ايها الامير فوالله ما ضرت من قيلت فيه ولا نفعت من قيلت له فقال له ألم أقل لك كأنى بصرت خلاخلك تجاجل فى قصرك هذا اذهبوا به الى السجن فذهبوا فقيد وسجن فمكث ما شاء الله ثم ان الحجاج ابتنى الخضراء بواسط فأعجب بها فقال لمن حوله كيف ترون قبتى هذه وبناءها فقالوا ايها الامير انها حصينة

اللعب بالشطرنج فقال لا بأس به إذا لم يكن هناك تقامر وتبادل وقال بعضهم كنا فى السجن مع ابن سيرين فكان يرانا ونحن نلعب بالشطرنج فيقوم فيأتى ويقول ارفع الفرس ارفع كذا افعل كذا ولا يعيب علينا وعن سعيد بن المسيب قال كنت ألعب بالشطرنج مع صديق فى بيته حين خفت الحجاج ومما قيل لعلى بن الجهم فى الشطرنج وقيل للمأمون

أرض مربعة حمراء من أدم ... ما بين حرين معروفين بالكرم
تذكرا الحرب فاحتالا لها فطنا ... من غير أن يأثما فيها بسفك دم
هذا يغير على هذا وذاك على ... هذا يغير وعين الحزم لم تنم
فانظر الى همم جاشت بمعركة ... فى عسكرين بلا طبل ولا علم

قال ان سبب وضع الشطرنج أن ملوك الهند ما كانوا يرون بقتال فاذا تنازع سلطان فى كورة أو مملكة تلاعبا بالشطرنج فيأخذها الغالب من غير قتال وقيل انه كان لبعض ملوك الفرس شطرنج من ياقوت أحمر وأصفر القطعة منه بثلاثة آلاف دينار (ومما جاء فى لعب الصولجان) ما حكى أن غلمانا من أهل البحرين خرجوا يلعبون بالصوالجة وأسقف البحرين قاعد فوقعت الكرة على صدره فأخذها فجعلوا يطلبونها منه فأبى فقال غلام منهم سألتك بحق محمد صلى الله عليه وسلم إلا رددتها علينا فأبى لعنه الله وسب رسول الله ﷺ فأقبلوا عليه بصوالجهم فما زالوا يخبطونه حتى مات لعنة الله عليه فرفع ذلك الى عمر رضى الله تعالى عنه فوالله مافرح بفتح ولا غنيمة كفرحته بقتل الغلمان لذلك الاسقف وقال الآن عز الإسلام أن أطفالا صغارا شتم نبيهم فغضبوا له وانتصروا وأهدر دم الاسقف والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(الباب السادس والسبعون فى النوادر وفيه فصول)

(الفصل الاول من هذا الباب فى نوادر العرب) خرج المهدى يتصيد فغاربه فرسه حتى وقع فى خباء أعرابى فقال يا أعرابى هل من قرى فأخرج له قرص شعير فأكله ثم أخرج له فضلة من لبن فسقاه ثم أتاه بنبيذ فى ركوة فسقاها فلما شرب قال أتدرى من أنا قال لا قال أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال بارك الله لك فى موضعك ثم سقاه مرة أخرى فشرب فقال

مبارك منيعة نضرة بهجة قليل عينها كثير خيرها قال لم لم تخبروني بنصح قالوا لا يصفها لك إلا الغضبان فبعث إلى الغضبان فأحضره وقال كيف ترى قبتي هذه وبناءها قال أصلح الله الأمير بنيتها في غير بلدك لا لك ولا لولدك لا تدوم لك ولا يسكنها وارثك ولا تبقى لك وما أنت لها بباق فقال الحجاج قد صدق الغضبان ردوه إلى السجن فلما حملوه قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فقال أنزلوه فلما أنزلوه قال رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين فقال اضربوا به الأرض فلما ضربوا به الأرض قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فقال جروه فأقبلوا يجرونه وهو يقول بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم فقال الحجاج ويلكم اتركوه فقد غلبني دهاء وخبثا ثم عفا عنه وأنعم عليه وخلى سبيله (وقيل) (٢٣٤) بينما كثير عزة مار بالطريق يوما إذا هو بعجوز عمياء على قارعة الطريق تمشي فقال لها تنحي عن الطريق فقالت له ويحك ومن تكون قال أنا كثير عزة قالت قبحك الله وهل مثلك يتنحى له عن الطريق قال ولم قالت ألست القائل

وما روضة بالحسن طيبة الثرى ... يمج الندى جثجاثها وعرارها

بأطيب من أردان عزة موهنا ... إذا أوقدت بالمجمر اللدن نارها

ويحك يا هذا لو تبخر بالمجمر اللدن مثلي ومثل أمك لطاب ريحها لم لا قلت مثل سيدك امرىء القيس

وكنت إذا ما جئت بالليل طارقا ... وجدت بها طيبا وإن لم تطيب

فقطعته ولم يرد جوابا (حكى عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى)

قال خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام وزيارة نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما أنا في الطريق إذا أنا بسواد على الطريق فتميزت ذاك فإذا هي عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت سلام قولا من رب رحيم قال فقلت رحمك الله ما تصنعين في هذا المكان قالت ومن يضلل الله فلا هادي له فعلمت أنها ضالة عن الطريق فقلت لها أين تريدين قالت سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فعلمت أنها قد قضت حجها وهي تريد بيت المقدس فقلت لها أنت منذ كم في هذا الموضع قالت ثلاث ليال سويا فقلت ما أرى معك طعاما تأكلين قالت هو يطعمني ويسقين فقلت فبأي شيء تتوضئين قالت فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا

يا اعرابي أتدري من أنا قال زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال لا أنا من قواد أمير المؤمنين قال رحبت بلادك وطاب مرادك ثم سقاه الثالثة فلما فرغ قال يا اعرابي أتدري من انا قال زعمت أنك من قواد أمير المؤمنين قال لا ولكنني أمير المؤمنين قال فأخذ الاعرابي الركوة فوكأها وقال إليك عني فوالله لو شربت الرابعة لادعيت أنك رسول الله فضحك المهدي حتى غشي عليه ثم أحاطت به الخيل ونزلت إليك والاشراف فطار قلب الاعرابي فقال له لا بأس عليك ولا خوف ثم أمر له بكسوة ومال جزيل ووجدا أعرابي يأكل ويتمخط ويفلي ثوبه فقيل له في ذلك فقال اخرج عتيقا وأدخل جديدا واقتل عدوا * وقيل لبعض الاعراب ان شهر رمضان قدم فقال والله لأبددن شمله بالاسفار * وسمع اعرابي قارئا يقرأ القرآن حتى أتى على قوله تعالى الاعراب أشد كفرا ونفاقا فقال لقد هجانا ثم بعد ذلك سمعه يقرأ ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال لا بأس هجا ومدح هذا كما قال شاعرنا

هجوت زهيرا ثم اني مدحته ... وما زالت الأشراف تهجى وتمدح

وحضر اعرابي على مائدة يزيد بن مزيد فقال لأصحابه افرجوا لأخيكم فقال الاعرابي لا حاجة بأفراجكم إن أطنابي طوال يعني سواعده فلما مد يده ضرب فضحك يزيد فقال يا أخا العرب أظن أن طنبا من أطنابك قد انقطع * ورؤي اعرابي يغطس في البحر ومعه خيط وكلما غطس غطسة عقد عقدة فقيل له ما هذه قال جنابات الشتاء أقضيها في الصيف * وسرق اعرابي غاشية من على سرج ثم دخل المسجد يصلي فقرأ الإمام هل أتاك حديث الغاشية فقال يا فقيه لا تدخل في الفضول فلما قرأ وجوه يومئذ خاشعة قال خذوا غاشيتكم ولا يخشع وجهي لا بارك الله لكم فيها ثم رماها من يده وخرج * وحضر اعرابي مجلس قوم فتذاكروا قيام الليل فقيل له يا أبا أمامة أتقوم الليل فقال نعم قالوا ما تصنع قال أبول وأرجع أنام * وسرق اعرابي صرة فيها دراهم ثم دخل المسجد يصلي وكان اسمه موسى فقرأ الإمام وما تلك بيمينك يا موسى فقال الاعرابي والله إنك لساحر ثم رمى الصرة وخرج (وحكى) الاصمعي قال ضلت لي ابل فخرجت في طلبها وكان البرد شديدا فالتجأت إلى حي من أحياء العرب وإذا بجماعة يصلون وبقربهم شيخ ملتف بكساء وهو يرتعد من البرد وينشد

أيا رب أن البرد أصبح كالحا ... وأنت بحالي يا إلهي أعلم

قال

فان كنت يوما فى جهنم مدخلى ... ففى مثل هذا اليوم طابت جهنم

قال الأصمعى فتعجبت من فصاحته وقلت له ياشيخ أما تستحى تقطع الصلاة وأنت شيخ كبير فأنشد يقول

أيطمع ربى أن أصلى عاريا ... ويكسو غيرى كسوة البرد والحر
فوالله لاصليت ماعشت عاريا ... عشاء ولا وقت المغيب ولا الوتر
ولا الصبح إلا يوم شمس دفيئة ... وإن غمت فالويل للظهر والعصر
وإن يكسنى ربى قميصا وجبة ... أصلى له مهما أعيش من العمر

قال فأعجبنى شعره وفصاحته فنزعت قميصا وجبة كانا على ودفعتهما اليه وقلت له البسهما وقم فصل فاستقبل القبلة وصلى جالسا وجعل يقول

اليك اعتذارى عن صلاتى جالسا ... على غير طهر موميا نحو قبلتى
فمالى ببرد الماء يارب طاقة ... ورجلاى لاتقوى على ثنى ركبتى
ولكننى أستغفر الله شاتيا ... وأقضيكها يارب فى وجه صيفتى
وإن أنا لم أفعل فأنت محكم ... أصلى له مهما أعيش من العمر

قال فعجبت من فصاحته وضحكت عليه وانصرفت وصلى اعرابى مع قوم فقرأ الإمام قل أرأيتم أن أهلكنى الله ومن معى أو رحمنا فقال الأعرابى أهلكك الله وحدك ايش كان ذنب الذين معك فقطع القوم الصلاة من شدة الضحك وقيل دخلت أعرابية على قوم يصلون فقرأ الإمام فانكحوا ما طاب لكم من النساء وجعل يرددها فجعلت الاعرابية تعدو وهى هاربة حتى جاءت لأختها فقالت يا أختاه مازال الإمام يأمرهم أن ينكحونا حتى خشيت أن يقعوا على وصلى أعرابى خلف إمام فقرأ الإمام ألم نهلك الأولين كذلك نفعل بالمجرمين وكان اسم البدوى مجرما فترك الصلاة وخرج هاربا وهو يقول والله ما المطلوب غيرى فوجده بعض الاعراب فقال له مالك يامجرم فقال ان الإمام أهلك الأولين والآخرين وأراد أن يهلكنى فى الجملة والله لارأيته بعد اليوم . وجلس بعض الاعراب يشرب مع ندمائه فاحتاج إلى بيت فدلوه عليه فلما دخل جعل يضرط ضراطا شنيعا فضحكوا عليه فأنشد يقول

إذا ماحلا الإنسان فى بيت غائط ... تراخت بلاشك مصاريع فقحته

فقلت لها أن معى طعاما فهل لك فى الأكل قالت ثم أتموا الصيام إلى الليل فقلت قد أبيح لنا الافطار فى السفر قالت وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون فقلت لم لاتكلمينى مثل ما أكلمك قالت مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد فقلت من أى الناس أنت قالت ولاتقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا فقلت قد أخطأت فاجعلينى فى حل قالت لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم فقلت فهل لك أن أحملك على ناقتى فتدركى القافلة قالت وما تفعلوا من خير يعلمه الله قال فأنخت الناقة قالت قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم فغضضت بصرى عنها وقلت لها اركبى فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها فقالت وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فقلت لها اصبرى فلما ركبت قالت سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا إلى ربنا لمنقلبون قال فأخذت بزمام الناقة وجعلت أسعى وأصيح فقالت واقصد فى مشيك واغضض من صوتك فجعلت أمشى رويدا رويدا وأترنم بالشعر فقالت فاقرأوا ماتيسر من القرآن فقلت لها لقد أوتيت خيرا كثيرا قالت وما يذكر إلا أولوا الالباب فلما مشيت بها قليلا قلت ألك زوج قالت ياأيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم فسكت ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة فقلت لها هذه القافلة فمن لك فيها فقالت المال والبنون زينة الحياة الدنيا فعلمت أن لها أولادا فقلت وماشأنهم فى الحج قالت وعلامات وبالنجم هم يهتدون فعلمت أنهم أدلاء الركب فقصدت القباب والعمارات فقلت هذه القباب فمن لك فيها قالت واتخذ الله إبراهيم خليلا وكلم الله موسى تكليما يا يحيى خذ الكتاب بقوة فناديت يا إبراهيم ياموسى يايحيى فاذا أنا بشبان كأنهم الاقمار قد أقبلوا فلما استقر بهم الجلوس قالت فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه فمضى أحدهم فاشترى طعاما فقدموه بين يدى فقالت كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية فقلت الآن طعامكم على حرام حتى تخبرونى بأمرها فقالوا هذه أمنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن فسبحان القادر على مايشاء فقلت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (قيل ان معن بن زائدة دخل على المنصور فقال له هيه يامعن تعطى مروان بن أبى حفصة مائة ألف درهم على قوله

معن بن زائدة الذى زادت به ... شرفا على شرف بنو شيبان

فقال كلا يا أمير المؤمنين انما أعطيته على قوله ... مازلت يوم الهاشمية معلنا ... بالسيف دون خليفة الرحمن

فمنعت حوزته وكنت وقاءه ... من وقع كل مهند وسنان

فقال أحسنت والله يامعن وأمر له بالجوائز والخلع (ووفد) ابن أبي محجن على معاوية فقام خطيبا فأحسن فحسده معاوية فقال له أنت الذى أوصاك أبوك بقوله

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة ... تروى عظامى بعد موتى عروقها

ولا تدفنني في الفلاة فانني ... أخاف إذا مامت أن لا أذوقها

قال بل أنا الذى يقول أبى

لاتسال الناس مامالى وكثرته ... وسائل الناس ماجودى وما خلقى

أعطى الحسام غداة الروع حصته ... وعامل الرمح أرويه من العلق

وأطعن الطعنة النجلاء عن عرض ... واكتم السر فيه ضربة العنق

ويعلم الناس انى من سراتهم إذا سما بصر الرعديد بالفرق فقال له معاوية احسنت والله يا ابن ابى محجن وامر له بصلة وجائزة (وقيل) دخل مجنون الطاق يوما إلى الحمام وكان بغير مئزر فرآه أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه وكان فى الحال فغمض عينيه فقال له المجنون متى أعماك الله فقال منذ هتك سترك (ومن ذلك) ما يحكى أن الحجاج خرج يوما متنزها فلما فرغ من نزهته وانصرف عنه أصحابه وانفرد بنفسه فاذا هو بشيخ من بنى عجل فقال له من أين أيها الشيخ قال من هذه القرية قال كيف ترون عمالكم قال شر عمال يظلمون الناس ويستحلون أموالهم قال فكيف قولك فى الحجاج قال ذاك ما ولى العراق شر منه قبحه الله وقبح من استعمله قال أتعرف من أنا قال لا قال أنا الحجاج قال وهو جعلت فداك أو تعرف من أنا قال لا قال أنا فلان مجنون بنى عجل أصرع فى كل يوم مرتين قال فضحك الحجاج وأمر له بصلة (وحكى أبو محمد الحسين بن محمد الصالحى) قال كنا حول سرير المعتضد بالله ذات يوم نصف النهار فنام بعد أن أكل فانتبه منزعجا وقال ياخدم فأسرعنا الجواب فقال ويلكم أعينونى والحقوا بالشط فأول ملاح ترونه منحدرا فى سفينة فارغة فاقبضوا عليه واتونى به ووكلوا بالسفينة من يحفظها فأسرعنا فوجدنا ملاحا فى سفينة فجئنا به المعتضد فلما رآه الملاح كاد يتلف فصاح عليه صيحة عظيمة كادت روحه تذهب منه وقال اصدقنى ياملعون عن قضيتك مع المرأة التى قتلتها اليوم والا اضرب عنقك فتلعثم وقال نعم كنت سحرا فى المشرعة الفلانية فنزلت امرأة لم أر مثلها عليها ثياب فاخرة وحلى كثيرة

فمن كان ذا عقل فيعذر عارضا ... ومن كان ذا جهل ففى وسط لحيته

وكان لسابور ملك فارس نديم مضحك يسمى مرزبان فظهر له من الملك جفوة فلما زاد ذلك عليه تعلم نبيح الكلاب وعوى الذئاب ونهيق الحمير وصهيل الخيل وصوت البغال ثم احتال حتى دخل موضعا بقرب خلوة الملك وأخفى امره فلما خلا الملك بنفسه نبح نبيح الكلاب فلم يشك الملك فى انه كلب فقال انظروا ما هذا فعوى عوى الذئاب فنزل الملك عن سريره فنهق نهيق الحمير فمضى الملك هاربا ومضت الغلمان يتبعون الصوت فلما دنوا منه صهل صهيل الخيل فاقتحموا عليه وأخرجوه عريانا فلما وصلوا به إلى الملك ورآه مرزبان ضحك الملك ضحكا شديدا وقال له ماحملك على ماصنعت قال ان الله عز وجل مسخنى كلبا وذئبا وحمارا وفرسا لما غضب على الملك قال فامر الملك أن يخلع عليه وأن يرد إلى مرتبته الأولى ومن الملح قول بعض الشعراء

أيا من فاق حسنا واعتدالا ... وولج فى عطيته الشبابا

أما فى مال رزقك من زكاة ... فتدخل فيه لى هذا النصابا

(وحكى) الأصمعى أن عجوزا من الأعراب جلست فى طريق مكة إلى فتيان يشربون نبيذا فسقوها قدحا فطابت نفسها فتبسمت فسقوها قدحا آخر فاحمر وجهها وضحكت فسقوها ثالثا فقالت خبرونى عن نسائكم بالعراق أيشربن النبيذ قالوا نعم قالت زنين ورب الكعبة والله أن صدقتم ما فيكم من يعرف اباه وصلى أعرابى خلف إمام فقرأ إنا أرسلنا نوحا إلى قومه ثم وقف وجعل يرددها فقال الاعرابى أرسل غيره يرحمك الله وأرحنا وأرح نفسك وصلى آخر خلف إمام فقرأ فلن أبرح الأرض حتى يأذن لى أبى ووقف وجعل يرددها فقال الاعرابى يافقيه إذا لم يأذن لك أبوك فى هذا الليل نظل نحن وقوفا إلى الصباح ثم تركه وانصرف ولزم أعرابى سفيان بن عيينة مدة يسمع منه الحديث فلما أن جاء ليسافر قال له سفيان يا أعرابى ما أعجبك من حديثنا قال ثلاثة أحاديث حديث عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يحب الحلوى والعسل وحديثه عليه الصلاة والسلام إذا وضع العشاء وحضرت الصلاة فابدؤا بالعشاء وحديث عائشة عنه ايضا ليس من البر الصوم فى السفر وقيل لاعرابية ماصفة الابر عندكم قالت عصبة ينفخ فيها الشيطان فلا يرد أمرها وانفرد الرشيد وعيسى بن جعفر ومعه الفضل بن يحيى فاذا هو بشيخ من الاعراب على حمار

وجواهر فطمعت فيها واحتلت عليها حتى صددت فيها وغرقتها وأخذت جميع ما كان عليها ثم طرحتها فى الماء ولم أجسر على حمل سلبها إلى دارى لئلا يفشو الخبر على فعولت على الهروب والانحدار إلى واسط فصبرت إلى أن خلا الشط فى هذه الساعة من الملاحين فأخذت فى الانحدار فتعلق بى هؤلاء القوم فحملونى إليك فقال أين الحلى والسلب قال فى صدر السفينة تحت البوارى قال المعتضد على به الساعة فحضروا به فأمر بتغريق الملاح ثم أمر أن ينادى ببغداد من خرجت له امرأة إلى المشرعة الفلانية سحرا وعليها ثياب فاخرة وحلى فليحضر فحضر فى اليوم الثانى أهلها وأعطوا صفتها وصفة ما كان عليها فسلم ذلك إليهم قال فقلت يامولاى من أعلمك أأوحى إليك بهذه الحالة وأمر هذه الصبية فقال بل رأيت فى منامى رجلا شيخا أبيض الرأس واللحية والثياب وهو ينادى ياأحمد أول ملاح ينحدر الساعة فاقبض عليه وقرره

على المرأة التى قتلها اليوم ظلما وسلبها ثيابها وأقم عليه الحد ولا يفتك فكان ماشهدتم (وحكى) أن بهرام الملك خرج يوما للصيد فانفرد عن أصحابه فرأى صيدا فتبعه طامعا فى لحاقه حتى بعد عن عسكره فنظر إلى راع تحت شجرة فنزل عن فرسه يبول وقال للراعى احفظ على فرسى حتى أبول فعمد الراعى إلى العنان وكان ملبسا ذهبا كثيرا فاستغفل بهرام وأخرج سكينا فقطع أطراف اللجام وأخذ الذهب الذى عليه فرفع بهرام نظره إليه فرآه فغض بصره أطرق برأسه إلى الأرض وأطال الجلوس حتى أخذ الرجل حاجته ثم قام بهرام فوضع يده على عينيه وقال للراعى قدم إلى فرسى فانه قد دخل فى عينى من سافى الريح فلا أقدر على فتحهما فقدمه إليه فركب وسار إلى أن وصل إلى عسكره فقال لصاحب مراكبه ان أطراف اللجام قد وهبتها فلا تتهمن بها أحدا (قيل) مرض أحمد بن أبى داود فعاده المعتصم وقال نذرت ان عافاك الله تعالى أن أتصدق بعشرة آلاف دينار فقال له أحمد يا أمير المؤمنين فاجعلها فى أهل الحرمين فقد لقوا من غلاء الاسعار شدة فقال نويت أن أتصدق بها على من ههنا وأطلق لأهل الحرمين مثلها فقال أحمد متع الله الاسلام وأهله بك يا أمير المؤمنين فانك كما قال النميرى لأبيك الرشيد رحمة الله تعالى عليه

ان المكارم والمعروف أودية * أحلك الله منها حيث تجتمع * من لم يكن بأمين الله معتصما * فليس بالصلوات الخمس ينتفع

(ومن محاسن الأخلاق) ماحكى عن القاضى يحيى بن أكثم قال كنت نائما ذات ليلة عند المأمون فعطش فامتنع أن يصيح

وهو رطب العينين فقال له الفضل هل أدلك على دواء لعينيك قال ما أحوجنى إلى ذلك قال خذ عيدان الهواء وغبار الماء فصيره فى قشر بيض الذر واكتحل به ينفعك فانحنى الشيخ وضرط ضرطة قوية وقال خذ هذه فى لحيتك أجرة وصفتك وأن زدت زدناك فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهر دابته * وخرج معن بن زائدة فى جماعة من خواصه للصيد فاعترضهم قطيع ظباء فتفرقوا فى طلبه وانفرد معن خلف ظبى حتى انقطع عن أصحابه فلما ظفر به نزل فذبحه فرأى شيخا مقبلا من البرية على حمار فركب فرسه واستقبله فسلم عليه فقال من أين وإلى أين قال أتيت من أرض لها عشرون سنة مجدبة وقد أخصبت فى هذه السنة فزرعتها مقثأة فطرحت فى غير وقتها فجمعت منها ما استحسنته وقصدت به معن بن زائدة لكرمه المشكور وفضله المشهور ومعروفه المأثور وإحسانه الموفور قال وكم أملت منه قال ألف دينار قال فإن قال لك كثير قال خمسمائة قال فإن قال لك كثير قال ثلثمائة قال فإن قال لك كثير قال مائة قال فإن قال لك كثير قال خمسين قال فإن قال لك كثير قال فلا أقل من الثلاثين قال فإن قال لك كثير قال أدخل قوائم حمارى فى حرامه وأرجع إلى أهلى خائبا فضحك معن منه وساق جواده حتى لحق بأصحابه ونزل فى منزله وقال لحاجبه إذا أتاك شيخ على حمار بقثاء فادخل به على فأتى بعد ساعة فلما دخل عليه لم يعرفه لهيبته وجلالته وكثرة حشمه وخدمه وهو متصدر فى دسته والخدم والحفدة قيام عن يمينه وشماله وبين يديه فلما سلم عليه قال ما الذى أتى بك يا أخا العرب قال أملت الامير وأتيته بقثاء فى غير أوان فقال كم أملت قال ألف دينار قال كثير فقال والله لقد كان ذلك الرجل ميشوما على ثم قال خمسمائة دينار قال كثير فما زال إلى أن قال خمسين دينارا فقال له كثير فقال لا أقل من الثلاثين فضحك معن فعلم الاعرابى انه صاحبه فقال ياسيدى ان تجب إلى الثلاثين فالحمار مربوط بالباب وها معن جالس فضحك معن حتى استلقى على فراشه ثم دعا بوكيله فقال أعطه ألف دينار وخمسمائة دينار وثلثمائة دينار ومائة دينار وخمسين دينارا وثلاثون دينارا ودع الحمار مكانه فتسلم الاعرابى المال وانصرف

(الفصل الثانى فى بوادر القراء والفقهاء) عن محمد بن عبد الله قال كنا فى دهليز عثمان بن شيبة فخرج إليه فقال ن والقلم فى أى سورة * ومر بعضهم بقارىء يقرأ الم [illegible] الترك فى أدنى الأرض فقال له الروم فقال له كلهم أعداؤنا قاتلهم الله وكان جماعة يجلسون إلى أبى العيناء وفيهم رجل لايتكلم فقيل له يوما كيف

بغلام يسقيه وأنا نائم فيتغص على نومى فرأيته قد قام يمشى على أطراف أصابعه حتى أتى موضع الماء وبينه وبين المكان الذى فيه الكيزان نحو من ثلثمائة خطوة فأخذ منها كوزاً فشرب ثم رجع على أطراف أصابعه حتى قرب من الفراش الذى أنا عليه فخطا خطوات خائفا لئلا ينبهنى حتى صار إلى فراشه ثم رأيته آخر الليل قام يبول وكان يقوم فى أول الليل وآخره فقعد طويلا يحاول أن أتحرك فيصيح بالغلام فلما تحركت وثب قائما وصاح ياغلام وتأهب للصلاة ثم جاءنى فقال لى كيف أصبحت ياأبا محمد وكيف كان مبيتك قلت خير مبيت جعلنى الله فداءك ياأمير المؤمنين قد خصك الله تعالى بأخلاق الأنبياء وأحب لك سيرتهم فهناك الله تعالى بهذه النعمة وأتمها عليك فأمر لى بألف دينار فأخذتها وانصرفت (قال) بت عنده ذات ليلة فانتبه وقد عرض له (٢٣٨) السعال حتى غلبه فسعل وأكب على الأرض لئلا يعلو صوته فانتبه (وكنت) معه يوما فى بستان تدور فيه فجعلنا نمر بالريحان فيأخذ منه الطاقة والطاقتين ويقول لقيم البستان أصلح هذا الحوض ولاتغرس فى هذا الحوض شيئا من البقول قال يحيى ومشينا فى البستان من أوله إلى آخره وكنت أنا مما يلى الشمس والمأمون مما يلى الظل فكان يجذبنى أن أتحول أنا فى الظل ويكون هو فى الشمس فامتنع من ذلك حتى بلغنا آخر البستان فلما رجعنا قال يايحيى والله لتكونن فى مكانى ولأكونن فى مكانك حتى آخذ نصيبى من الشمس كما أخذت نصيبك وتأخذ نصيبك من الظل كما أخذت نصيبى فقلت والله ياأمير المؤمنين لو قدرت أن أقيك يوم الهول بنفسى لفعلت فلم يزل بى حتى تحولت إلى الظل وتحول هو إلى الشمس ووضع يده على عاتقى وقال بحياتى عليك الا وضعت يدك على عاتقى مثل مافعلت أنا فانه لاخير فى صحبة من لاينصف اه (وحكى) ان أحمقين اصطحبا فى طريق فقال أحدهما تعالى نتمن على الله فان الطريق تقطع بالحديث فقال أحدهما أنا أتمنى قطائع غنم أنتفع بلبنها ولحمها وصوفها وقال الآخر أنا أتمنى قطائع ذئاب أرسلها فى غنمك حتى لا تترك منها شيئا قال ويحك أهذا من حق الصحبة وحرمة العشرة فتصايحا واشتدت الخصومة بينهما حتى تماسكا بالاطواق ثم تراضيا على أن أول من يطلع عليهما يكون حكما بينهما فطلع شيخ بحمار عليه زقان من عسل فحدثاه بحديثهما فنزل بالزقين وفتحهما حتى سال العسل على التراب ثم قال صب الله دمى مثل هذا العسل ان لم تكونا أحمقين (وقال الأصمعى) بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة إذ رأيت شابا متعلقا بأستار الكعبة

علمك بكتاب الله قال أنا عالم به فقيل له هذه الآية فى أى سورة الحمد لله لاشريك له فقال له فى سورة الحمد فضحكوا عليه ❊ وجاء رجل إلى فقيه فقال أفطرت يوما فى رمضان فقال اقض يوما مكانه قال قضيت وأتيت أهلى وقد عملوا مأمونية فسبقتنى يدى إليها فأكلت منها فقال اقض يوما آخر مكانه قال قضيت وأتيت أهلى وقد عملوا هريسة فسبقتنى يدى إليها فقال أرى أن لاتصوم إلا ويدك مغلولة إلى عنقك وجاء رجل إلى بعض الفقهاء فقال له أنا أعبدالله على مذهب ابن حنبل وأنى توضأت وصليت فبينما أنا فى الصلاة إذا أحسست ببلل فى سراويلى يتلزق فشممته فإذا رائحته كريهة خبيثة قال الفقيه عافاك الله خريت باجماع المذاهب ❊ وجاء رجل إلى فقيه قال أنا رجل أفسو فى ثيابى حتى تفوح روائحى فهل يجوز لى أن أصلى فى ثيابى قال نعم لكن لاكثر الله فى المسلمين مثلك ❊ ووقع بين الأعمش وبين امرأته وحشة فسأل بعض أصحابه من الفقهاء أن يرضيها ويصلح بينهما فدخل إليها وقال أن أبا محمد شيخ كبير فلا يزهدنك فيه عمش عينيه ودقة ساقيه وضعف ركبتيه ونتن ابطيه وبخر فيه وجمود كفيه فقال له الأعمش قم قبحك الله فقد أريتها من عيوبى مالم تكن تعرفه ❊ وسكن بعض الفقهاء فى بيت سقفه يقرقع فى كل وقت فجاءه صاحب البيت يطلب الأجرة فقال له أصلح السقف فانه يقرقع قال لاتخف فانه يسبح الله تعالى قال أخشى أن تدركه رقة فيسجد

(الفصل الثالث فى نوادر القضاة) كان لبعض القضاة بغلة فقرأ يوما فى المصحف وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها فقال لغلامه اطلق البغلة ورزقها على الله فصارت البغلة تدور الأسواق والأزقة وتأكل من قشور الباذنجان وقشور الرمان وقشور البطيخ وقمامات الطريق فماتت فأمر الغلام باحضار المشاعلية ليحملوها لظاهر المدينة فأحضرهم فطلبوا من القاضى عشرة دراهم أجرة حملها وقالوا ليس لنا شىء نرتزق منه إلا من مثل هذا وسيدنا رجل غنى وله أشياء كثيرة العدالة والتزويج والعقود والوراقة والسجن والاطلاق وجامكية الحكم وأجرة اليمين والتدريس والأوقاف فقال لهم القاضى أمثلى يقال هذا وأنتم لكم اثنا عشر بابا من المنافع منها الوسخ والزفر والولع وبيت النبدة وشركة النفوس وجباية الأسواق وحرق النار وسلب الشطار ولكم الصياح وثمن الاصلاح وما تروحوا من البغلة بلا شىء جلدها للدباغين وذنبها للغرابلية ومعرفتها للشعار وتطبيقتها للبيطار قال فتقدم أحدهم إليه وقال بحق من تاب عليك وردعاقبتك إلى خير وأراحك من هذا المعاش

تصدق

وهو يقول :

يامن يجيب دعا المضطر فى الظلم   يا كاشف الضر والبلوى مع السقم   قدنا وفدك حول البيت وانتبهوا
وأنت يا حى ياقيوم لم تنم   أدعوك ربى حزينا هائما قلقا   فارحم بكائى بحق البيت والحرم
إن كان جودك لا يرجوه ذو سفه   فمن يجود على العاصين بالكرم

ثم بكى بكاء شديدا وأنشد يقول

ألا أيها المقصود فى كل حاجة   شكوت اليك الضر فارحم شكايتى   ألا يا رجائى أنت تكشف كربتى
فهب لى ذنوبى كلها واقض حاجتى   أتيت بأعمال قباح رديئة   وما فى الورى عبد جنى كجنايتى
أتحرقنى بالنار ياغاية المنى   فأين رجائى ثم أين مخافتى

ثم سقط على الأرض مغشيا عليه فدنوت منه فاذا هو زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم أجمعين فرفعت رأسه فى حجرى وبكيت فقطرت دمعة من دموعى على خده ففتح عينيه وقال من هذا الذى يهجم علينا قلت عبدك الأصمعى سيدى ما هذا البكاء والجزع وأنت من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أليس الله تعالى يقول إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قال هيهات هيهات ياأصمعى ان الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا وخلق النار لمن عصاه ولو كان حرا قرشيا أليس الله تعالى يقول فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون انتهى (وكان) ابو العباس السفاح يعجبه السمر ومنازعة الرجال بعضهم بعضا فحضر عنده ذات ليلة ابراهيم بن مخرمة الكندى وخالد بن صفوان بن الاهتم فخاضوا فى الحديث وتذاكروا مصر واليمن فقال ابراهيم بن مخرمه ياأمير المؤمنين ان أهل اليمن هم العرب الذين دانت لهم الدنيا ولم يزالوا ملوكا ورثوا الملك كابرا عن كابر وآخرا من أول منهم النعمان والمنذر ومنهم عياض صاحب البحرين ومن كان يأخذ كل سفينة غصبا وليس من شىء له خطر الا اليهم ينسب ان سئلوا أعطوا وان نزل بهم ضيف أقروه فهم العرب العاربة وغيرهم المتعربة فقال أبو العباس ماأظن التميمى رضى بقولك ثم قال ما تقول أنت ياخالد قال ان أذن لى أمير المؤمنين تكلمت قال تكلم ولا تهب أحدا قال أخطأ المقتحم بغير علم ونطق بغير صواب وكيف يكون ذلك القوم ليس لهم ألسن فصيحة ولا لغة صحيحة نزل بها كتاب ولا جاءت بها سنة يفخرون علينا بالنعمان والمنذر ونفتخر عليهم بخير الانام

تصدق علينا بشىء ولا تدعنا نروح بلاش ٭ تفسير هذه الألفاظ الزفر النساء الزانيات والوسخ المراحيض والهلع جبابة الأسواق والولع القمار وبيت النفخة محل المزر وشركة منفوس كل من حمل ميتا ولحقوه قبل أن يخرج من باب البلد كانوا اشركاه ٭ وسلب الشطار كل من شنقوه لهم سلبه ٭ وولى يحيى ابن أكثم قاضيا على أهل جبلة فبلغه أن الرشيد انحدر إلى البصرة فقال لأهل جبلة إذا اجتاز الرشيد فاذكرونى عنده بخير فوعدوه بذلك فلما جاء الرشيد تقاعدوا عنه فسرح القاضى لحيته وكبر عمته وخرج فرأى الرشيد فى الحراقة ومعه أبو يوسف القاضى فقال ياأمير المؤمنين نعم القاضى قاضى جبلة عدل فينا وفعل كذا وكذا وجعل يثنى على نفسه فلما رآه أبو يوسف عرفه فضحك فقال له الرشيد مم تضحك فقال ياأمير المؤمنين المثنى على القاضى هو القاضى فضحك الرشيد حتى فحص برجله الأرض ثم أمر بعزله فعزل ٭ وأحضر رجل ولده إلى القاضى فقال يامولانا ان ولدى هذا يشرب الخمر ولا يصلى فأنكر ولده ذلك فقال أبوه ياسيدى أفتكون صلاة بغير قراءة فقال الولد انى أقرأ القرآن فقال له القاضى اقرأ حتى أسمع فقال

علق القلب الربابا   بعد ماشابت وشابا   ان دين الله حق   لاأرى فيه ارتيابا

فقال أبوه انه لم يتعلم هذا الا البارحة سرق مصحف الجيران وحفظ هذا منه فقال القاضى وأنا الآخر أحفظ آية منها وهى

فارحمى مضنى كئيبا ٭ قد رأى الهجر عذابا

ثم قال القاضى قاتلكم الله يعلم أحدكم القرآن ولا يعمل به ٭ وتقدم اثنان الى أبى ضمضامة القاضى فادعى احدهما على الاخر طنبورا فأنكر فقال للمدعى ألك بينة فقال لى شاهدان فأحضر رجلين شهدا له فقال المدعى عليه سلهما ياسيدى عن صناعتهما فأخبر أحدهما انه نباذ وقال الاخر انه قواد فالتفت القاضى الى المدعى عليه وقال اتريد على طنبور اعدل من هذين ادفع اليه طنبوره ٭ وتحاكم الرشيد وزبيدة إلى ابى يوسف القاضى فى الفالوذج واللوزينج ايهما اطيب فقال ابو يوسف انا لا احكم على غائب فأمر الرشيد باحضارهما وقدما بين يدى ابى يوسف فجعل يأكل من هذا مرة ومن هذا حتى نصف الجانبين ثم قال ياأمير المؤمنين مارأيت أعدل منهما كلما أردت ان احكم لأحدهما أتى الآخر بحجته ٭ وأتى بعض المجان لبعض القضاة فقال ياسيدى ان امرأتى قحبانا فقال له القاضى طلقها نا فقال عشقانا فقال قوها نا ٭

واكرم الكرام سيدنا محمد عليه افضل الصلاة والسلام فلله المنة به علينا وعليهم فمنا النبي المصطفى والخليفة المرتضى ولنا البيت المعمور وزمزم والحطيم والمقام والحجابة والبطحاء ومالا يحصى من المآثر ومنا الصديق والفاروق وذو النورين والوصى والولى وأسد الله وسيد الشهداء وبنا عرفوا الدين وأتاهم اليقين فمن زاحمنا زاحمناه ومن عادانا اصطلمناه ثم أقبل خالد على إبراهيم فقال ألك علم بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين عندكم قال الجمجمة قال فما اسم السن قال الميدان قال فما اسم الأذن قال الصنارة قال فما اسم الأصابع قال الشناتير قال فما اسم الذئب قال الكنع قال أفعالم أنت بكتاب الله عز وجل قال نعم قال فان الله تعالى يقول إنا أنزلناه قرآنا عربيا وقال بلسان عربي مبين وقال تعالى وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه فنحن العرب والقرآن بلساننا ألم تر أن الله تعالى قال والعين بالعين ولم يقل الجمجمة بالجمجمة وقال تعالى والسن بالسن ولم يقل الميدان بالميدان وقال تعالى والأذن بالأذن ولم يقل الصنارة بالصنارة وقال تعالى يجعلون أصابعهم في آذانهم ولم يقل شناتيرهم في صناراتهم وقال تعالى فأكله الذئب ولم يقل فأكله الكنع ثم قال لإبراهيم إني أسألك عن أربع إن أقررت بهن قهرت وإن جحدتهن كفرت قال وما هن قال الرسول منا أو منكم قال منكم قال والقرآن أنزل علينا أو عليكم قال عليكم قال المنبر فينا أو فيكم قال فيكم قال فالبيت لنا أو لكم قال لكم قال فاذهب فما كان بعد هؤلاء فهو لكم بل ما أنت إلا سائس قرد أو دابغ جلد أو ناسج برد قال فضحك ابو العباس واقر لخالد وحباها جميعا (وحكى) أن الحجاج أخذ يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وعذبه واستأصل موجوده وسجنه فتوصل يزيد بحسن تلطفه وأرغب السجان واستماله وهرب هو والسجان قاصدا الشام إلى سليمان بن عبد الملك فلما وصل يزيد بن المهلب إلى سليمان بن عبد الملك أكرمه وأحسن إليه وأقامه عنده فكتب الحجاج إلى الوليد يعلمه أن يزيد هرب من السجن وأنه عند سليمان بن عبد الملك أخي أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين وأمير المؤمنين أعلى رايا فكتب الوليد إلى أخيه سليمان بذلك فكتب سليمان إلى أخيه يقول يا أمير المؤمنين إني ما أجرت يزيد بن المهلب إلا لأنه هو وأبوه وأخوته من صنائعنا قديما وحديثا ولم أجر عدوا لأمير المؤمنين وقد كان الحجاج قصده وعذبه وغرمه أربعة آلاف درهم ظلما ثم طالبه بثلاثة آلاف درهم ولما صار إلي واستجار بي فأجرته وأنا أغرم عنه هذه الثلاثة آلاف درهم فان رأى أمير المؤمنين أن يخزيني

وادعى رجل عند قاض على امرأة حسناء بدين فجعل القاضي يميل إليها بالحكم فقال الرجل أصلح الله القاضي حجتي أوضح من هذا النهار فقال له القاضي اسكت ياعدو الله فان الشمس أوضح من النهار قم لا حق لك عليها فقالت المرأة جزاك الله عن ضعفي خيرا فقد قويته فقال الرجل لا جزاك الله عن قوتي خيرا فقد أوهيتها • ورفعت امرأة زوجها إلى القاضي تبغي الفرقة وزعمت أنه يبول في الفراش كل ليلة فقال الرجل للقاضي ياسيدي لا تعجل علي حتى أقص عليك قصتي إني أرى في منامي كأني في جزيرة في البحر وفيها قصر عالي وفوق القصر قبة عالية وفوق القبة جمل وأنا على ظهر الجمل وأن الجمل يطأطئ برأسه ليشرب من البحر فاذا رأيت ذلك بلت من شدة الخوف فلما سمع القاضي ذلك بال في فراشه وثيابه وقال ياهذه أنا قد أخذني البول من هول حديثه فكيف بمن يرى الأمر عيانا (وحكى) أن تاجرا عبر إلى حمص فسمع مؤذنا يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن أهل حمص يشهدون أن محمدا رسول الله فقال والله لأمضين إلى الإمام وأسأله فجاء إليه فرآه قد أقام الصلاة وهو يصلي على رجل ورجله الأخرى ملوثة بالعذرة فمضى إلى المحتسب ليخبره بهذا الخبر فسأل عنه فقيل له إنه في الجامع الفلاني يبيع الخمر فمضى إليه فوجده جالسا وفي حجره مصحف وبين يديه باطية مملوءة خمرا وهو يحلف للناس بحق المصحف أن الخمرة صرف ليس فيها ماء وقد ازدحمت الناس عليه وهو يبيع فقال والله لأمضين إلى القاضي وأخبره فجاء إلى القاضي فدفع الباب فانفتح فوجد القاضي نائما على بطنه وعلى ظهره غلام يفعل فيه الفاحشة فقال التاجر قلب الله حمص فقال القاضي لم تقول هذا فأخبره بجميع ما رأى فقال ياجاهل أما المؤذن فان مؤذننا مرض فاستأجرنا يهوديا صبيا يؤذن مكانه فهو يقول ما سمعت وأما الإمام فانهم لما أقاموا الصلاة خرج مسرعا فتلوثت رجله بالعذرة وضاق الوقت فأخرجها من الصلاة واعتمد على رجله الأخرى ولما فرغ غسلها وأما المحتسب فان ذلك الجامع ليس له وقف إلا كرم وعنبه ما يؤكل فهو يعصره خمرا ويبيعه ويصرف ثمنه في مصالح الجامع وأما الغلام الذي رأيته فان أباه قد مات وخلف مالا كثيرا وهو تحت الحجر وقد كبر وجاء جماعة شهدوا عندي أنه بلغ فأنا أمتحنه فخرج التاجر من البلد وحلف أنه لا يعود إليها أبدا (الفصل الرابع في نوادر النحاة) وقف نحوي على بياع يبيع أرزا بعسل وبقلا بخل فقال بكم الأرز بالأعسل والأخال بالأبقل فقال بالأصفع في الأروس والأنوط في الأذقن • ووقع

فى ضيق فليفعل فانه أهل الفضل والكرم فكتب اليه الوليد أنه لابد أن ترسل إلى يزيد مغلولا مقيدا فلما ورد ذلك على سليمان أحضر ولد أيوب فقيده ودعا يزيد بن المهلب فقيده ثم شد قيد هذا بسلسلة وغلهما جميعا بغلين وأرسلهما إلى أخيه الوليد وكتب اليه أما بعد يا أمير المؤمنين فقد وجهت اليك يزيد وابن أخيه أيوب بن سليمان ولقد هممت أن أكون ثالثهما فان هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد فبالله عليك ابدأ بأيوب من قبله ثم اجعل يزيد ثانيا واجعلنى إذا شئت ثالثا والسلام فلما دخل يزيد بن المهلب وأيوب بن سليمان فى سلسلة واحدة أطرق الوليد استحياء وقال لقد أسأنا إلى أيوب أبى إذ بلغنا به هذا المبلغ فأخذ يزيد ليتكلم ويحتج لنفسه فقال له الوليد ما تحتاج إلى الكلام فقد قبلنا عذرك وعلمنا ظلم الحجاج ثم أنه أحضر حدادا وأزال عنهما الحديد وأحسن اليهما ووصل أيوب ابن أخيه

الف درهم ووصل يزيد بن المهلب بعشرين الف درهم وردهما إلى سليمان وكتب كتابا إلى الحجاج يقول له لاسبيل لك على يزيد بن المهلب فاياك أن تعاودنى فيه بعد اليوم فسار يزيد إلى سليمان بن عبد الملك وأقام عنده فى أعلى المراتب وأرفع المنازل انتهى (وحكى أبو على المصرى) قال كان لى جار شيخ يغسل الموتى فقلت له يوما حدثنى بأعجب ما رأيت من الموتى فقال جاءنى شاب فى بعض الأيام مليح الوجه حسن الثياب فقال لى أتغسل لنا هذا الميت قلت نعم فتبعته حتى أوقفنى على باب فدخل هنيهة فاذا بجارية هى أشبه الناس بالشاب قد خرجت وهى تمسح عينيها فقالت أنت الغاسل قلت نعم قالت بسم الله داخل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فدخلت الدار وإذا بالشاب الذى جاءنى يعالج سكرات الموت وروحه فى لبته وقد شخص بصره وقد وضع كفنه وحنوطه عند رأسه فلم أجلس اليه حتى قبض فقلت سبحان الله هذا ولى من أولياء الله تعالى حيث عرف وقت وفاته فأخذت فى غسله وأنا أرتعد فلما أدرجته أتت الجارية وهى أخته فقبلته وقالت أما انى سألحق بك عن قريب فلما اردت الانصراف شكرت لى وقالت ارسل إلى زوجتك ان كانت تحسن ما تحسنه انت فارتعدت من كلامها وعلمت أنها لاحقة به فلما فرغت من دفنه جئت أهلى فقصصت عليها القصة وأتيت بها إلى تلك الجارية فوقفت بالباب واستأذنت فقالت بسم الله تدخل زوجتك فدخلت زوجتى فاذا بالجارية مستقبلة القبلة وقد ماتت فغسلتها زوجتى وأنزلتها على أخيها رحمة الله عليهما

نحوى فى كنيف فجاء كناس ليخرجه فصاح به الكناس ليعلم أهو حى أم لا فقال له النحوى اطلب لى حبلا دقيقا وشدنى شدا وثيقا واجذبا رفيقا فقال الكناس امرأته طالق ان أخرجتك منه ثم تركه وانصرف كان لبعضهم ولد نحوى يتقعر فى كلامه فاعتل أبوه علة شديدة أشرف منها على الموت فاجتمع عليه أولاده وقالوا له ندعو لك فلانا أخانا قال لا ان جاءنى قتلنى فقالوا نحن نوصله يتكلم فدعوه فلما دخل عليه قال له يا أبت قل لا إله إلا الله تدخل بها الجنة وتفوز من النار يا أبت والله ما أشغلنى عنك الا فلان فانه دعانى بالأمس فاهرس وأعدس واستبذج وسكبج وطهيج وأفرج ودجج وأبصل وأمضر ولوزج وافلوزج فصاح أبوه غمضونى فقد سبق ابن الزانية ملك الموت إلى قبض روحى * وجاء نحوى يعود مريضا فطرق بابه فخرج اليه ولده فقال كيف وجدت أباك قال ياعم ورمت رجليه قال لا تلحن قل رجلاه ثم ماذا قال ثم وصل الورم إلى ركبتاه قال لا تلحن قل إلى ركبتيه ثم ماذا قال مات وأدخله الله فى بظر عيالك وعيال سيبويه ونفطويه وجحشويه * وعاد بعضهم نحويا فقال ما الذى تشكوه قال حمى جاسية نارها حامية منها الاعضاء واهية والعظام بالية فقال له لا شفاك الله بعافية ياليتها كانت القاضية

(الفصل الخامس فى نوادر المعلمين) قال الجاحظ مررت بمعلم صبيان وعنده عصا طويلة وعصا قصيرة وصولجان وكرة وطبل وبوق فقلت ما هذه فقال عندى صغار أوباش فأقول لأحدهم اقرأ لوحك فيصفر لى بضرطة فأضربه بالعصا القصيرة فيتأخر فأضربه بالعصا الطويلة فيفر من بين يدى فأضع الكرة فى الصولجان وأضربه فأشجه فتقوم إلى الصغار كلهم بالالواح فأجعل الطبل فى عنقى والبوق فى فى وأضرب الطبل وأنفخ فيسمع أهل الدرب ذلك فيسارعون إلى فيخلصونى منهم (وحكى) الجاحظ ايضا قال مررت على خربة فاذا بها معلم وهو ينبح نبح الكلاب فوقفت انظر اليه وإذا بصبى قد خرج من دار فقبض عليه المعلم وجعل يلطمه ويسبه فقلت عرفنى خبره فقال هذا صبى لئيم يكره التعليم ويهرب ويدخل الدار ولا يخرج وله كلب يلعب به فاذا سمع صوتى ظن انه صوت الكلب فيخرج فامسكه وجاءت امرأة إلى المعلم بولدها تشكوه فقال له إما أن تنتهى والا فعلت بامك فقالت يامعلم هذا صبى ما ينفع فيه الكلام فافعل ما شئت امه ينظر بعينه ويتوب فقام وفعل بها أمام ولدها * وقال الجاحظ رأيت معلما فى الكتاب وحده

أحبابنا بنتم عن الدار فاشتكت ... لبعدكم آصالها وضحاها

وفارقتم الدار الأنيسة فاستوت ... رسوم مبانيها وفاح كلاها

كأنكم يوم الفراق رحلتم ... بنومي فعيني لاتصيب كراها

وكنت شحيحا من دموعي بقطرة ... فقد صرت سمحا بعدكم بدماها

يراني بساما خليلي يظن بي ... سرورا وأحشائي السقام ملاها

وكم ضحكة في القلب منها حرارة ... يشب لظاها لو كشفت غطاها

رعى الله أياما بطيب حديثكم ... تقضت وحياها الحيا وسقاها

فما قلت إيها بعدها لمسامر ... من الناس الا قال قلبي آها

قيل لقيس بن سعد هل رأيت قط أسخى منك قال نعم نزلنا بالبادية على امرأة لجاء زوجها فقالت له

انه نزل بنا ضيفان لجاء بناقة فنحرها وقال شأنكم فلما كان الغد جاء بأخرى فنحرها وقال شأنكم فقلنا ما أكلنا من التي نحرت البارحة الا القليل فقال اني لا أطعم ضيفاني البائت فبقينا عنده أياما والسماء تمطر أردنا الرحيل وضعنا مائة دينار في بيته وقلنا للمرأة اعتذري لنا اليه ومضينا فلما ارتفع النهار إذا برجل يصيح خلفنا قفوا فوافقنا فلما دنا منا قال خذوا دنانيركم فاني لا آخذ على اكرامي ثمنا وإن لم تأخذوا طعنتكم برمحي هـــذا فأخذناها وانصرفنا (وكان) يزيد بن المهلب من الأجواد الأسخياء وله أخبار في الجود عجيبة من ذلك ماحكاه عقيل ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال لما أراد يزيد بن المهلب الخروج إلى واسط أتيته فقلت أيها الأمير إن رأيت أن تأذن لي فأصحبك قال إذا قدمت واسطا فائتنا إن شاء الله تعالى فسافر وأقمت فقال لي بعض اخواني اذهب اليه فقلت كان جوابه فيه ضعف قال أتريد من يزيد جوابا أكثر مما قال فسرت حتى قدمت عليه فلما كان في الليل دعيت إلى السمر فتحدث القوم حتى ذكروا الجواري فالتفت إلى يزيد وقال ايه ياعقيل فقلت

أفاض القوم في ذكر الجواري ... فأما الأعزبون فلن يقولوا

قال انك لاتبقى عزبا فلما رجعت إلى منزلي إذا أنا بخادم قد أتاني ومعه جارية وفرش بيت وبدرة عشرة آلاف درهم وفي الليلة الثانية كذلك فمكثت عشر ليال وأنا على هـــذه الحالة فلما رأيت ذلك دخلت عليه في اليوم العاشر فقلت أيها الأمير قد والله أغنيت وأقنيت فان رأيت أن تأذن لي في الرجوع فأكبت عدوي وأسر صديقي فقال فإنما أخيرك بين خلتين إما أن

فسألته فقال الصغار داخل الدرب يتصارعون فقلت أحب أن أراهم فقال ما أشير عليك بذلك فقلت لابد قال فاذا جئت إلى رأس الدرب اكشف رأسك لئلا يعتقدوك المعلم فيصفعونك حتى تعمى وقال بعضهم رأيت معلما وقد جاء صغيران يتماسكان فقال أحدهما هـذا عض أذني فقال الآخر لا والله ياسيدنا هو الذي عض أذن نفسه فقال المعلم ياابن الزانية هو كان جمل يعض أذن نفسه ه وقال بعضهم رأيت معلما وهو يصلي العصر فلما ركع أدخل رأسه بين رجليه ونظر إلى الصغار وهم يلعبون وقال ياابن البقال قد رأيت الذي عملت وسوف أكافئك إذا فرغت من الصلاة (وحكى) عن الجاحظ أنه قال ألفت كتابا في نوادر المعلمين وماهم عليه من التغفل ثم رجعت عن ذلك وعزمت على تقطيع ذلك الكتاب فدخلت يوما مدينة فوجدت فيها معلما في هيئة حسنة فسلمت عليه فرد علي أحسن رد ورحب بي فجلست عنده وباحثته في القرآن فاذا هو ماهر فيه ثم فاتحته في الفقه والنحو وعلم المعقول وأشعار العرب فاذا هو كامل الآداب فقلت هذا والله مما هو يقوي عزمي على تقطيع الكتاب قال فكنت أختلف اليه وأزوره فجئت يوما لزيارته فاذا بالكتاب مغلق ولم اجده فسألت عنه فقيل مات له ميت فحزن عليه وجلس في بيته للعزاء فذهبت إلى بيته وطرقت الباب فخرجت إلى جارية وقالت ماتريد قلت سيدك فدخلت وخرجت وقالت بسم الله فدخلت اليه واذا به جالس فقلت عظم الله أجرك لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة كل نفس ذائقة الموت فعليك بالصبر ثم قلت له هذا الذي توفي ولدك قال لا قلت فوالدك قال لا قلت فأخوك قال لا قلت فزوجتك قال لا فقلت وما هو منك قال حبيبتي فقلت في نفسي هذه أول المناحس فقلت سبحان الله النساء كثير وستجد غيرها فقال أتظن اني رأيتها قلت وهذه منحسة ثانية ثم قلت وكيف عشقت من لم تر فقال اعلم إني كنت جالسا في هذا المكان وأنا انظر من الطاق اذ رأيت رجلا عليه برد وهو يقول

ياأم عمرو جزاك الله مكرمة ... ردي على فؤادي اينما كانا

لاتأخذين فؤادي تلعبين به ... فكيف يلعب بالإنسان انسانا

فقلت في نفسي لولا أن أم عمرو هذه مافي الدنيا أحسن منها ماقيل فيها هذا الشعر فعشقتها فلما كان منذ يومين مر ذلك الرجل بعينه ويقول

لقد ذهب الحمار بأم عمرو ... فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت أنها ماتت فحزنت عليها وأغلقت المكتب وجلست فى الدار فقلت ياهذا انى كنت ألفت كتابا
فى نوادركم معشر المعلمين وكنت حين صاحبتك عزمت على تقطيعه والآن قد قويت عزمى أبقائه وأول
ما أبدأ أبدأ بك ان شاء الله تعالى

(الفصل السادس فى نوادر المتنبئين) ادعى رجل النبوة فى أيام الرشيد فلما مثل بين يديه قال له
ما الذى يقال عنك قال انى نبى كريم قال فأى شىء يدل على صدق دعواك قال سل عما شئت قال أريد
أن تجعل هذه المماليك المرد القيام الساعة بلحى فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال كيف يحل أن أجعل
هؤلاء المرد بلحى واغير هذه الصورة الحسنة وانما أجعل اصحاب هذه اللحى مردا فى لحظه واحدة
فضحك منه الرشيد وعفا عنه وامرله بصلة . تنبأ إنسان فطالبوه بحضرة المأمون بمعجزة فقال
اطرح لكم حصاة فى الماء فتذوب قالوا رضينا فأخرج حصاة معه وطرحها فى الماء فذابت فقالوا هذه
حيلة ولكن نعطيك حصاة من عندنا ودعها تذوب فقال لستم أجل من فرعون ولا أنا اعظم حكمة من
موسى ولم يقل فرعون لموسى لم أرض بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصا من عندى تجعلها ثعبانا
فضحك المأمون وأجاره وتنبأ رجل فى أيام المعتصم فلما حضر بين يديه فقال أنت نبى قال نعم قال
وإلى من بعثت قال اليك قال اشهد انك لسفيه احمق قال انما يبعث إلى كل قوم مثلهم فضحك
المعتصم وأمرله بشىء . وتنبأ رجل فى أيام المأمون وادعى انه ابراهيم الخليل فقال له المأمون ان ابراهيم
كانت له معجزات وبراهين قال وما براهينه قال أضرمت له نار وألقى فيها وصارت عليه بردا وسلاما ونحن
نوقد لك نارا ونطرحك فيها فان كانت عليك كما كانت عليه آمنا بك قال أريد واحدة أخف من هذه
قال فبراهين موسى قال وما براهينه قال ألقى عصاه فاذا هى حية تسعى وضرب بها البحر فانفلق وأدخل
يده فى جيبه فأخرجها بيضاء وقال هذه على أصعب من الأولى قال فبراهين عيسى قال وماهى قال إحياء
الموتى قال مكانك قد وصلت أنا أضرب رقبة القاضى بن أكثم وأحييه لكم الساعة فقال يحيى
أنا أول من آمن بك وصدق . وتنبأ آخر فى زمن المأمون أريد منك بطيخا فى هـــذه
الساعة قال امهلونى ثلاثة أيام قال ما أريده إلا الساعة قال انصفتنى يا أمير المؤمنين إذا كان الله تعالى
الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ما يخرجه الا بين ثلاثة أشهر فما تصبر أنت على ثلاثة أيام
فضحك منه وصله . وتنبأ آخر فى زمن المأمون فلما مثل بين يديه قال له من أنت قال أنا أحمد النبى

تقيم تنوليك أو ترحال فنفنيك فقلت أولم نفنى أيها الأمير قال أنما هذا أساس المنزل ومصـــالحه مرمم فناولني من فضله مالا
أقدر على وصفه (وحدث) أبو اليقظان عن أبيه قال حج يزيد بن المهلب فطلب حلاقا يحلق رأسه فجىء بحلاق فحلق رأســه
فامر له بخمسة آلاف درهم فتحير الحلاق ودهش وقال آخذ هذه الخمسه آلاف وأمضى إلى أم فلان أخبرها انى قــد استغنيت
فقال أعطوه خمسة آلاف أخرى فقال امرأته طالق ان حلقت رأس أحد بعدك (وقيل) إن الحجاج حبسه على خراج
وجب عليه مقدار مائة الف درهم فجمعت له وهو فى السجن فجاءه الفرزدق يزوره فقال للحاجب استأذن لى عليه فقال
انه فى مكان لا يمكن الدخول عليه فيه فقال الفرزدق انما أتيت متوجعا لما هو فيه ولم آت ممتدحا فاذن له فلما أبصر قال أبا
خالد ضاقت خرسان بعدكم . وقال ذوو الحاجات أين يزيد
فما قطرت بالشرق بعد قطرة
ولا أخضر بالمروين
وبعدك عود
وما السرور بعد عزك بهجة
وما الجود بعد جودك جود
فقال يزيد للحجاب ادفع
اليه المائة الف درهم
التى جمت لنا ودع الحجاج
ولحمى يفعل فيه ما يشاء
فقال الحاجب للفرزدق
هذا الذى خفت منه لما
منعتك من دخولك عليه
فأخذها وانصرف (ومر)
يزيد المهلب عند خروجه
من سجن عمر بن العزيز
رضى الله تعالى عنه بعجوز
اعرابيه فذبحت له عنزا
فقال لابنه ما معك من
النفقة قال مائة دينار قال
ادفعها اليها فقال هذه
يرضيها اليسير وهى لا تعرفك
قال ان كان يرضيها اليسير
فانا لا أرضى الا بالكثير
وان كانت تعرفنى فانا
اعرف نفسى (وقال أبو العيناء) تذكروا السخاء فاتفقوا على آل المهلب فى الدولة المروانية وعلى البرامكة فى الدولة العباسية ثم اتفقوا على
أحمد بن داود أسخى منهم جميعا . أفضل (سئل) اسحق الموصلى عن سخاء أولاد يحيى بن خالد فقال أما الفضل فيرضيك فعله وأما جعفر
فيرضيك قوله وأما محمد فيفعل بحسب ما يجدوا فى يحيى يقول القائل

سألت الندى هل انت حر فقال لا ... ولكننى عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة ... توارثنى عن والد بعد والد

(وفى الفضل يقول القائل) إذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة ... رأيت بها غيث السماحة ينبت
فليس بسعال إذا سيل حاجة ... ولا بمكب فى ثرى الأرض ينكت

(وفي محمد يقول القائل) سألت الندى والجود مالي أراكما | تبدلتما عزا بذل مؤبد | وما بال ركن المجد أمسى مهدما
فقالا أصبنا بابن يحيى محمد | فقلت فهلا متما بعد موته | وقد كنتما عبديه في كل مشهد
فقالا أقمنا كي نعزى بفقده | مسافة يوم ثم نتلوه في غد | وقال علي بن أبي طالب رضي الله
تعالى عنه وكرم الله تعالى وجهه من كانت له إلي حاجة فليرفعها الي في كتاب لأصون وجهه عن المسألة (وجاءه) رضي الله تعالى عنه
اعرابي فقال له يا أمير المؤمنين ان لي حاجة الحياء يمنعني ان اذكرها فقال خطهـا في الارض فكتب اني فقير فقال يا قنبر
اكسه حلتي فقال الأعرابي
كسوتني حلة تبلى محاسنها | فسوف اكسوك من حسن الثنا حللا
إنه أبا حسن قد نلت مكرما | ولست تبغي بما قدمته بدلا

ان الثنا ليحيي ذكر صاحبه | كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر في عرف بدأت به | كل امرىء سوف يجزى بالذي فعلا
فقال يا قنبر زده مائة دينار فقال يا أمير المؤمنين لو فرقتها في المسلمين لاصلحت بها من شأنهم فقال رضي الله تعالى عنه صه يا قنبر فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول اشكروا لمن أثنى عليكم وإذا أتاكم كريم قوم فأكرموه (وسئل) اسحق الموصلي عن المخلوع فقال كان أمره كله عجبا كان لا يبالي أين يقعد مع جلسائه وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر كان عنده سليمان بن أبي جعفر يوما فأراد الرجوع إلى أهله فقال له اسفر البر أحب اليك أم سفر البحر قال البحر ألين علي فقال أوقروا له زورقه ذهبا وأمر له
أو لين
بألف ألف درهم (وشكا) سعيد بن عمرو بن عفان موسى بن شهوان إلى سليمان بن عبد الملك وقال قد هجاني يا أمير المؤمنين فاستحضره سليمان وقال لا أم لك تهجو سعيدا قال يا أمير المؤمنين أخبرك الخبر عشقت جارية مدنية فأتيت سعيدا فقلت اني احب هذه الجارية وإن مواليها أعطيت فيها مائتي دينار وقد اتيتك فقال لي بورك فيك قال فأتيت يا أمير المؤمنين سعيد بن خالد فذكرت له حالي فقال يا جارية هاتي مطرفا فأتته بمطرف خز نصرف لي في زاويته مائتي دينار فخرجت وأنا أقول
أبا خالد أعني سعيد بن خالد | أخا العرب لا أعني ابن بنت سعيد | ولكنني أعني ابن عائشة الذي
أبو أبويه خالد بن أسيد | عقيد الندى ما عاش يرضى به الندى | فإن مات لم يرض الندى بعقيد

قال لقد ادعيت زورا فلما رأى الأعوان قد أحاطت به وهو ذاهب معهم قال يا أمير المؤمنين أنا أحمد النبي فهل تذمه أنت فضحك المأمون عنه وخلى سبيله * وتنبأ آخر في زمن المتوكل فلما حضر بين يديه قال له أنت نبي قال فما الدليل على صحة نبوتك قال القرآن العزيز يشهد بنبوتي في قوله تعالى إذا جاء نصر الله والفتح وأنا اسمي نصر الله قال فما معجزتك قال ائتوني بامرأة عاقر أنكحها تحمل بولد يتكلم في الساعة ويؤمن بي فقال المتوكل لوزيره الحسن بن عيسى أعطه زوجتك حتى تبصر كرامته فقال الوزير أما أنا فأشهد أنه نبي الله وإنما يعطي زوجته من لا يؤمن فضحك المتوكل وأطلقه وادعى رجل النبوة في زمن خالد بن عبد الله القسري وعارض القرآن فأتي به إلى خالد فقال له ما تقول قال عارضت القرآن قال بما قال قال الله تعالى إنا أعطيناك الكوثر الآية وقلت إنا أعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهر ولا تطع كل ساحر فأمر به خالد فضرب عنقه وصلب فمر خلف بن خليفة الشاعر فضرب بيده على الخشبة وقال أنا أعطيناك العود فصل لربك من قعود وأنا ضامن لك أن لا تعود وأتى المأمون برجل ادعى النبوة فقال له أنك علامة على علامتي اني اعلم ما في نفسك قال وما نفسي قال في نفسك أني كاذب قال صدقت ثم أمر له إلى السجن فأقام فيه أياما ثم أخرجه فقال هل أوحي اليك بشيء قال لا قال ولم قال لأن الملائكة لا تدخل الحبوس فضحك منه وخلى سبيله وأتي بامرأة تنبأت في أيام المتوكل فقال لها أنت نبية قالت نعم قال أتؤمنين بمحمد قالت نعم فانه ﷺ قال لا نبي بعدي قالت فهل قال لا نبية بعدي فضحك المتوكل وأطلقها * وتنبأ رجل يسمى نوحا وكان له صديق نهاه فلم يقبل فأمر السلطان بقتله فصلب فمر به صديقه فقال له يا نوح ما حصلت من السفينة الا على الصاري

(الفصل السابع في نوادر السؤال) وقف أعرابي بباب يسأل فقال له صغير من بباب الدار بورك فيك فقال له قبح الله هذا الفم لقد تعلمت الشر صغيرا * ووقف سائل على باب فقال يا أصحاب المنزل فبادر صاحب الدار قبل أن يتم كلامه وقال له فتح الله عليك فقال السائل يا قربان كنت تصبر لعلي جئت أدعوك إلى وليمة . قال أبو عثمان الجاحظ وقف سائل بقوم فقال اني جائع فقالوا له كذبت فقال جربوني برطلين من الخبز ورطلين من اللحم . ووقف سائل على باب فقالوا يفتح الله لك فقال كسرة فقالوا ما نقدر عليها قال فقليل من بر أو فول أو شعير قالوا لا نقدر عليه قال فقطعة دهن أو قليل زيت

أولبن قالوا لانجده قال فشربة ماء قالوا وليس عندنا ماء قال فما جلوسكم ههنا قوموا فاسألوا فأنتم أحق منى بالسؤال

(الفصل الثامن فى نوادر المؤذنين) قيل لمؤذن ما نسمع أذانك فلو رفعت صوتك فقال انى أسمع صوتى من مسيرة ميل • وقال بعضهم رأيت مؤذنا أذن ثم عدا يهرول فقلت له إلى أين فقال أحب أن أسمع أذانى أين بلغ • واختصم رجلان فى جارية فأودعاها عند مؤذن فلما أصبح وفرغ من الأذان قال لا إله إلا الله ذهبت الأمانة من الناس فقالوا له كيف ذهبت الأمانة من الناس قال هذه الجارية التى وضعت عندى قيل انها بكر فلما أتيتها وجدتها ثيبا • وسمع مؤذن حمص يقول فى سحور رمضان تسحروا فقد أمرتكم وعجلوا فى أكلكم قبل أن أؤذن فيمسخ الله وجوهكم • وشوهد مؤذن يؤذن من رقعة فقيل له ماتحفظ الأذان فقال سلوا القاضى فأتوه فقالوا السلام عليكم فأخرج دفترا وتصفحه وقال وعليكم السلام فعذروا المؤذن • وسمعت امرأة مؤذنا يؤذن بعد طلوع الشمس ويقول الصلاة خير من النوم فقالت النوم خير من هذه الصلاة • ومر سكران بمؤذن ردىء الصوت فجلد به الأرض وجعل يدوس بطنه فاجتمع إليه الناس فقال والله مابى رداءة صوته ولكن شماتة اليهود النصارى بالمسلمين

(الفصل التاسع فى نوادر النواتية) حكى أن بعض النواتية تولى أحد الكراسى السلطانية لما ساعده الزمان فبينما هو جالس فى داره إذ سمع صوتا وراء الباب فقال لزوجته انى أسمع غاغة فى البرحلى قلوعى واعملى أسهيرتى على جامورى وقدمى إلى استقالة الرجل وقيمينى بعدرة فامتثلت كلامه فنزل وجلس على مصطبته وقد سلت مرتبته واصطفت المقدمون بين يديه ووقفت الجرتية حواليه وإذا بشيخ قد أقبل وثيابه مقطعة وعمامته فى حلقه والدم نازل من أنفه وهو يصيح بصوت عال انا بالله وبالوالى فقال له تعالى ياشيخ مالى أرى أرلمونك فى حلقك وشبورتك مكسورة وأنت بترلع ماتتغير وتقيم الهليلانى الساحل دخل عليك شرد غربى ولا دخلت على بواجى فقال الشيخ والله ياسيدى بعض نواتية البحر عمل بى هذا فقال ياأولاد جيبوا غريمو بخنسوا عدنه وقشطوا ظهره وجروه على مقدمه فامتثلوا كلام الأمير وجاءوا بالغريم فلما مثل بين يديه قال له ويلك هو أنت بفنوس بسفر البحر أنت الذى قطعت القلس وخرجت فى الشعث حتى بقيت هذا الرجل نطحت مخطمته وكسرت استقالته

ذروه ذروه آنكم قد رقدتمو ... وماهو عن احسانكم برقود

فقال سلمان قل ماشئت وكتب كلثوم بن عمر إلى بعض الكرماء رقعة فيها

إذا تكرهت أن تعطى القليل ولم ... تقدر على سعة لم يظهر الجود

بث النوال ولا يمنعك قلته ... فكل ماسد فقرا فهو محمود

فشاطره ماله حتى بعث إليه بنصف خاتمه وفرد نعله (ودخل) طلحة بن عبد الله بن عوف السوق يوما فوافق فيه الفرزدق فقال ياأبا فراس اختر عشرا من الابل ففعل فقال ضم إليها مثلها فلم يزل يقول مثل ذلك حتى بلغت مائة فقال هى فقال

ياطلح أنت أخو الندى وعقيده ... ان الندى مامات طلحة ماتا

ان الندى التى إليك وماله ... فيحيث بت من المنازل باتا

(ووفد أبو الشمقمق) إلى مدينة سابور يريد محمد بن عبد السلام فلما دخلها توجه إلى منزله فوجده فى دار الخراج يطالب فدخل عليه يتوجع فلما رآه محمد قال ولقد

قدمت على رجال طالما قدموا ... للرجال عليهم فتحولوا

أخنى الزمان عليهم فكأنما ... كانوا بأرض أقفرت فتحولوا

فقال أبو الشمقمق

الجود أفلسهم وأذهب مالهم ... فاليوم ان داموا الشماحة يبخلوا

قال فخلع محمد ثوبه وخاتمه ودفعهما إليه فكتب بذلك مستوفى الخراج إلى الخليفة فوقع إلى عامله باسقاط الخراج عن محمد بن عبد السلام تلك السنة وإسقاط ماعليه من البقايا وأمر له بمائة ألف درهم معونة على مروءته (وحكى عن أبى العيناء أنه قال) حصلت ضيقة شديدة فكتمتها عن أصدقائى فدخلت يوما على يحيى بن اكثم القاضى فقال ان أمير المؤمنين المأمون جلس للمظالم وأخذ القصص فهل لك فى الحضور قلت نعم فمضيت معه إلى دار أمير المؤمنين فلما دخلنا عليه أجلسه وأجلسنى ثم قال ياأبا العيناء بالالفة والمحبة ماالذى جاء بك فى هذه الساعة فأنشدته

لقد رجوتك دون الناس كلهم ... والرجاء حقوق كلما تجب

ان لم يكن أسباب أعيش بها ... ففى العلا لك أخلاق هى السبب

فقال ياسلامة انظر أى شىء فى بيت مالنا دون مال المسلمين فقال بقية من مال قال فادفع له مائة الف درهم وابعث له بمثلها فى كل شهر فلما كان بعد احد عشر شهرا مات المأمون فبكى عليه أبو العيناء حتى تقرحت أجفانه فدخل عليه بعض أولاده فقال ياأبتاه بعد ذهاب العين ماذا ينفع البكاء فأنشأ أبو العيناء يقول

شيئان لو بكت الدماء عليهما   عيناى حتى يؤذنا بذهاب   لم يبلغا المعشار من حقيهما
فقد الشباب وفرقة الأحباب

(وقال الأعمش) كانت عندى شاة فرضت وفقدت الصبيان لبنها فكان خيثمه بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشى ويسألنى هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتى لبد أجلس عليه فكان إذا خرج يقول خذ ما تحت اللبد حتى وصل إلى من علة الشاة أكثر من ثلثمائه دينار من بره حتى تمنيت أن الشاة لم تبرأ (وحكى أبو القدامه العشيرى) قال كنا مع يزيد بن مزيد يوما فسمع صائحا يقول يايزيد بن مزيد فطلبه فأتى به اليه فقال ما حملك على هذا الصياح قال فقدت دابتى ونفدت نفقتى وسمعت قول الشاعر

إذا قيل من للجود والمجد والندى   فناد بصوت يايزيد بن مزيد

فأمر له بفرس أبلق كان معجبا به وبمائة دينار وخلعة سنية فأخذها وانصرف (ومن الغرائب) ما حكى أن قوما من العرب جاؤا إلى قبر بعض أسخيائهم يزورونه فباتوا عند قبره فرأى رجل منهم صاحب القبر فى المنام وهو يقول له هل لك أن تبيعنى بعيرك بنجيبى وكان الميت قد خلف نجيبا وكان الرائى بعير سمين فقال نعم وباعه فى النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما عقد البيع عمد صاحب القبر إلى البعير فنحره فى النوم فانتبه الرائى من نومه فوجد الدم يسيح من نحر بعيره فقام وأتم نحره وقطع لحمه وطبخوه وأكلوه ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثانى وهم فى الطريق سائرون استقبلهم ركب فتقدم منهم شاب فنادى هل فيكم فلان بن فلان فقال صاحب البعير نعم ها أنا فلان بن فلان فقال هل بعت من فلان الميت شيئا قال نعم بعته بعيرى بنجيبه فى النوم فقال هذا نجيبه خذه وانا ولده وقد رأيته فى النوم وهو يقول ان كنت ولدى فادفع نجيبى إلى فلان فانظر إلى هذا الرجل الكريم كيف أكرم أضيافه بعد موته (قيل) ان شاعرا قصد خالد بن يزيد فأنشد شعرا يقول فيه:

سألت الندى والجود حران أنتما   فقالا يقينا اننا لعبيد
فقلت ومن مولاكما فتطاولا   الى وقالا خالد ويزيد

فقال ياغلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فأنشد يقول

كريم كريم الأمهات مهذب   تدفق كسفاه الندى وشمائله
هو البحر من أى الجهات أتيته   فلجته المعروف والجود ساحله

جامع

لو انصلح كنت عملتك فى بدراوة وعلقتك فى الصارى فلما سمع الرجل كلام الوالى علم أنه من أولاد المعيشة فقال له بهمترة النوانية والله ياخوند هو كارزنى فى معاشى اجصطن على الوحشة وأنا عايم فى الليل إلا وشرد جانى من الشرق كابس هز أطرافى وكسر شابورتى وقطع لبانى وهاهو بحمد الله على برالسلامة وان كان انصلح فيه شىء فأنا بمرسوم الأمير أجيب له القلفاط أسد فتحه وأعيدله وسمه وأخليه يروح فى طريقه فقال له الوالى أنت بتقدف فى وجهى وتطرح مقاديفك حتى نعبر على الحجر يارجالة الصارى سلسلوا أطرافه وعروا مقاديفه وبلوا شيفة اللبان وأنزلوا عليه أوسقوه الجنابين والظهر حتى تلعب الميه على بطولسته هيا قوامك خلوا اجنب براوجنب جوا قدام الخن وراء الصارى فأكل علقة من كعبه إلى أذنه فقالت النوانية ياخوندا هو خنفست عليه الطمية البحرية قال مدراتين وقيموه فلما أقاموه باس يد الأمير وقال ياخوند سألتك بهبوب الرياح وطيب النسيم الرب لا يبليك بجر اللبان فى الحلافى وانت خافى فى الصيانى ويكفيك شر الاربعينات قال فرق عليه قلب الأمير وقال له وحق من ضرب القلع باللبان الحلفاعند بخنة الريح وفروغ الزاد بعيد من البلاد وعياط الركاب عند قيام الموجه وبعد البر فى أيام النيل لولا شفاعة الركاب لكنت أهدا سقالتك وأقعد فى زوايدك حتى أخلى ظهرك جيفة فقال له والله ياخوندما بقى جنبى يحمل هذا الوسق العظيم ولكن ان عدت اعبر لهذا الوجه احسف من أضلاعى لوح وغرقنى بالقايم فقال له الأمير أحمد الله على السلامة واخرج فى دى الطيابة وكتب له مرسوم وعلم عليه علامة الرياس البحرية للنوانية الله الله الله لى ياعملات على أبوسر (الفصل العاشر فى نوادر جامعة) سمعت امرأة فى الحديث أن صوم يوم عاشوراء كفارة سنة فصامت إلى الظهر ثم افطرت وقالت يكفينى كفارة ستة أشهر منها شهر رمضان * وأسلم مجوسى فى شهر رمضان فثقل عليه الصيام فنزل إلى سرداب وقعد يأكل فسمع ابنه حسه فقال من هذا فقال ابوك الشقى يأكل خبز نفسه ويفزع من الناس * وسئل بعض القصاص عن نصرانى قال لا إله إلا الله لا غير إذا مات أين يدفن بين مقابر المسلمين والنصارى ليكون مذبذبا لا إلى هؤلا ولا إلى هؤلا واهدى إلى سالم القصاص خاتم بلافص فقال ان صاحب هذا الخاتم يعطى فى الجنة غرفة بلا سقف * وبنى بعض المغفلين نصف دار وبنى رجل آخر النصف الآخر فقال المغفل يوما قد عولت على بيع النصف الذى لى واشترى به النصف الآخر لتكمل لى الدار كلها * وسئل

جواد بسيط الكف حتى لوانه   دعاها لقبض لم تجبه أنامله
فقال يا غلام أعطه مائة الف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فأنشد يقول
تبرعت لى بالجود حتى نعشتنى   وأعطيتنى حتى حسبتك تلعب
وأنبت ريشا فى الجناحين بعدما   تساقط منى الريش أو كاد يذهب
فأنت الندى وابن الندى وأخو الندى   حليف الندى ما للندى عنك مذهب
فقال يا غلام اعطه مائة الف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فقال حسب الامير ما سمع وحسبى ماأخذت وانصرف (وجاء) إلى خالد بن عبد الله بعض الشعراء ورجله فى الركاب يريد الغزو فقال له انى قلت فيك بيتين من الشعر فقال فى مثل هذا الحال قال نعم فقال هاتهما فأنشد يقول

يا واحد العرب الذى   مافى الانام له نظير

لو كان مثلك آخر   ما كان فى الدنيا فقير

فقال له يا غلام أعطه عشرين الف دينار فأخذها وانصرف (وحيث ذكرنا نبذة) من أخبار الكرماء فلنذكر نبذة من أخبار البخلاء فمن ذلك ان رجلا من البخلاء اشترى دارا وانتقل اليها فوقف على بابه سائل فقال له فتح الله عليك ثم وقف ثان فقال له مثل ذلك ثم وقف ثالث فقال له مثل ذلك ثم التفت إلى ابنته فقال لها ما أكثر السؤال فى هذا المكان فقالت يا أبت مادمت متمسكا لهم بهذه الكلمة فما تبالى كثروا أم قلوا (والأم اللئام وابخلهم) حميد الارقط الذى يقال له هجاء الاضياف وهو القائل فى ضيف له يصف أكله من قصيدة ما بين لقمته الأولى إذا انحدرت وبين أخرى تليها قيد اظفور

(وقال فيه أيضا)

تجهز كفاه ويحدر حلقه   إلى الزور ماضمت عليه الانامل

(أكل) أعرابى مع الأسود طبا فأكثر ومد أبو الاسود يده إلى رطبة ليأخذها فسبقه الاعرابى اليها فسقطت منه فى التراب فأخذها أبو الاسود وقال أدعها للشيطان يأكلها فقال الاعرابى والله ولاجبريل وميكائيل لو نزلا من السماء ماتركتها (وقال اعرابى) لنزيل نزل به نزلت بواد غير ممطور ورجل بك غير مسرور فأقم بعدم أو ارحل بندم (والحمدونى). رأيت أبا زرارة قال يوما لحاجبه وفى يده الحسام
لئن وضع الخوان ولاح شخص   لاختطفن رأسك والسلام
فقال سوى أبيك فذاك شيخ   بغيض ليس يردعه الكلام
فقال وقال منو حنق عليه   بيت لم يرد فيه القيام

جامع الصيد لانى عن عمرا بنته فقال لاأدرى لا ان امها ذكرت انها ولدتها فى أيام البراغيث. وقيل لطفيلى أى سورة تعجبك فى القرآن قال المائدة قال فأى آية قال ذرهم يأكلوا ويتمتعوا قيل ثم ماذا قال آتنا غداءنا قيل ثم ماذا قال ادخلوها بسلام آمنين قيل ثم ماذا قال وماهم منها بمخرجين. وقيل لعثمان بن دراج الطفيلى يوما كيف تصنع بدار العرس إذا لم يدخلك أصحابها قال أنوح على بابهم فيتطيرون من ذلك فيدخلونى وقيل له أتعرف بستان فلان قال أى والله انه الجنة الحاضرة فى الدنيا قيل لم لا تدخله وتأكل من ثماره وتستظل بأشجاره وتسبح فى أنهاره قال لأن كلبا لا يتمضمض الا بدماء عراقيب الرجال وقيل له يوما ما هذه الصفرة التى فى لونك قال من الفترة من المضغتين وقال مرت بنا جنازة يوما ومعى ابنى ومع الجنازة امرأة تبكى وتقول الآن يذهبون بك إلى بيت لافراش فيه ولا غطاء ولاوطاء ولاخبز ولا ماء فقال ابنى ياأبت إلى بيتنا والله يذهبون (وحكى عن هرون الرشيد أنه أرق ذات ليلة أرقا شديدا فقال لوزيره جعفر بن يحيى البرمكى إنى أرقت فى هذه الليلة وضاق صدرى ولم أعرف ما أصنع وكان خادمه مسرور واقفا أمامه فضحك فقال له مايضحكك استهزاء بى أم استخفافا فقال وقرابتك من سيد المرسلين ﷺ مافعلت ذلك عمدا ولكن خرجت بالأمس أتمشى بظاهر القصر أن جئت إلى جانب الدجلة فوجدت الناس مجتمعين فوقفت فرأيت رجلا واقفا يضحك الناس يقال له ابن المغازلى فتفكرت الآن فى شىء من حديثه وكلامه فضحكت والعفو ياأمير المؤمنين فقال الرشيد ائتنى الساعة به فخرج مسرور مسرعا إلى أن جاء إلى المغازلى فقال له أجب أمير المؤمنين فقال سمعا وطاعة فقال له بشرط أنه إذا أنعم عليك شىء يكون لك منه الربع والبقية لى فقال لو اجعل لى النصف ولك النصف فأبى فقال الثلث لى ولك الثلثان فأجابه إلى ذلك بعد جهد عظيم فلما دخل على الرشيد سلم فأبلغ وترجم فأحسن ووقف بين يديه فقال له أمير المؤمنين إن أضحكتنى أعطيتك خمسمائة دينار وإن لم تضحكنى أضربك بهذا الجراب ثلاث ضربات فقال ابن المغازلى فى نفسه وما عسى أن تكون ثلاث ضربات بهذا الجراب وظن فى نفسه أن الجراب فارغ فوقف يتكلم ويتمسخر ويفعل أفعالا عجيبة تضحك الجلمود فلم يضحك الرشيد ولم يتبسم فتعجب ابن المغازلى وضجر وخاف فقال له الرشيد الآن استحققت الضرب ثم انه أخذ الجراب ولفه وكان فيه أربع زلطات كل واحدة وزنها

اى وابناء آبى والـكلب عندى بمنزلة إذا حضر الطعام وقال له أين لى يا ابن كلب على خبزى آصادر او آضام
إذا حضر الطعام فلا حقوق على لوالدى ولا ذمام فما فى الأرض أقبح من خوان عليـه الخبز يحضره الزحام
(ويعجبنى قول بعضهم) زففت إلى نبهان من صفو فكرتى ٭ عروسا غدا بطن الـكتاب لها صدر فقبلها عشرا وهام
بحبها فلما ذكرت المهر طلقها عشرا (ومن أخبار للبخلا) ما حكاه بعضهم قال كنت فى سفر فضللت فى الطريق
فرأيت بيتا فى الفلاة فأتيته فاذا به باعرابية فلما رأتنى قالت من تكون قلت ضيف قالت أهلا ومرحبا بالضيف انزل على
الرحب والسعة قال فنزلت فقدمت لى طعاما فأكلت وماء فشربت فبينما أنا على ذلك إذا أقبل صاحب البيت فقال من هذا
فقالت ضيف فقال لا أهلا ولا مرحبا مالنا وللضيف فلما سمعت كلامه ركبت من ساعتى وسرت فلما كان
من الغد رأيت بيتا فى الفلاة فقصدته فإذا فيه اعرابية فلما رأتنى قالت من تكون قلت ضيف قالت لا أهلا ولا مرحبا بالضيف مالنا والضيف فبينما هى تكلمنى إذ أقبل صاحب البيت فلما رآنى قال من هذا قالت ضيف قال مرحبا وأهلا بالضيف ثم أتى بطعام حسن فأكلت وماء فشربت فتذكرت مامر بى بالامس فتبسمت فقال مم تبسمك فقصصت عليه ما اتفق لى مع تلك الاعرابية وبعلها وما سمعت منه ومن زوجته فقال لا تعجب أن تلك الاعرابية التى رأيتها هى أختى وإن بعلها أخو امرأتى هذه فغلب على كل طبع أهله (وقال عمر بن ميمون) مررت ببعض طرق
الـكوفة فاذا أنا برجل يخاصم جارا له فقلت ما بالـكما فقال احدهما ان صديقا لى زارنى فاشتهى
رأسا فاشتريته وتغدينا وأخذت عظامه فوضعتها على باب دارى أتجمل بها فجاء هذا فأخذها ووضعها على باب داره يوهم الناس
انه هو الذى اشترى الرأس (وقال) رجل من البخلاء لأولاده اشتروا لى لحما فاشتروه فأمر بطبخه فلما استوى أكله جميعه حتى لم يبق
فى يده الا عظمة وعيون أولاده ترمقه فقال ما أعطى أحدا منكم هذه العظمة حتى يحسن وصف أكلها فقال ولده الاكبر امشمشها يا أبت
وأمصها حتى لا أدع فيها مقيلا قال لست بصاحبها فقال الاوسط ألوكها يا أبت وألحسها حتى لا يدرى أحد ألعام هى أم لعامين قال لست
بصاحبها فقال الاصغر يا أبت أمصها ثم أدقها وأسفها سفا قال أنت صاحبها وهى لك زادك الله معرفة وحزما (وقيل) خرج أعرابى
فى ولاية الحجاج ببعض النواحى فأقام بها مدة طويلة فلما كان فى بعض الأيام ورد عليه اعرابى من حيه فتقدم اليه الطعام وكان

رطلان فضربه ضربة فلما وقعت الضربة فى رقبته صرخ صرخة عظيمة وافتكر الشرط الذى شرطه عليه
مسرور فقال العفو يا أمير المؤمنين اسمع منى كلمتين قال قل ما بدا لك قال ان مسرورا شرط على شرطا
واتفقت انا وإياه على مصلحة وهو ان ما حصل لى من الصدقات يكون فيه الثلثان ولى فيه الثلث وما
أجابنى إلى ذلك إلا بعد جهد عظيم وقد شرط على أمير المؤمنين ثلاث ضربات فنصيبى منها واحدة
ونصيبه اثنتان وقد أخذت نصيبى وبقى نصيبه قال فضحك الرشيد ودعا مسرورا فضربه فصاح
وقال يا أمير المؤمنين قد وهبت له ما بقى فضحك الرشيد وأمر لهما بألف دينار فأخذ كل واحد منهم
خمسمائة ورجع ابن المغازلى شاكرا والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم

(الباب السابع والسبعون فى الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصول)

(الفصل الأول فى الدعاء وآدابه) قال الله تعالى وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة
الداع اذا دعان ٭ اختلف فى سبب نزولها فقال مقاتل ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه واقع
امرأته بعد ما صلى العشاء فى رمضان فندم على ذلك وبكى وجاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك
ورجع مغتما وكان ذلك قبل الرخصة فنزلت هذه الاية وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب وروى
الـكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال قالت اليهود كيف يسمع ربنا دعاءنا وانت تزعم أن بيننا وبين
السماء خمسمائة عام وغلظ كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية وقال الحسن ان قوما قالوا للنبى ﷺ
أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت هذه الاية قوله تعالى أجيب دعوة الداع إذا دعان أى
أقبل عبادة من عبدنى فالدعاء بمعنى العبادة والاجابة بمعنى القبول وقال قوم ان الله تعالى يجيب كل
الدعا فأما ان يعجل الاجابة فى الدنيا وإما ان يكفر عن الداعى وإما ان يدخر له فى الاخرة لما رواه
أبو سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا
اعطاه الله بها احدى ثلاث إما ان يعجل لدعوته وإما أن يدخر له ثوابها وإما ان يكفر عنه من
السوء بمثلها وروى أنه إذا كان يوم القيامة واستقر أهل الجنة فى الجنة فبينما العبد المؤمن فى قصره
وإذا ملائكة من عند ربه يأتونه بتحف من عند الله فيقول ما هذا أليس الله قد أنعم على وأكرمنى فيقولون
ألست كنت تدعو فى الدنيا هذا دعاؤك الذى كنت تدعوه قد ادخره لك (واعلم) ان اجابة

إذ ذاك جائفا فسأل عن أهله وقال ماحال أبي عمير قال ما تحب قد ملأ الأرض والحي رجالا ونساء قال فما فعلت أم عمير
قال صالحة أيضا قال فما حال الدار قال عامرة بأهلها قال وكلبنا ايقاع قال قد ملأ الأرض نباحا قال فما حال جملي زريق
قال على ما يسرك قال فالتفت إلى خادمه وقال ارفع الطعام فرفعه ولم يشبع الاعرابي ثم أقبل عليه يسأله وقال يامبارك الناصية
أعد على ما ذكرت قال سل عما بدالك قال فما حال كلبي ايقاع قال مات قال وما الذي أماته قال اختنق بعظمة من عظام جملك زريق
فمات قال أومات جملي زريق قال نعم قال وما الذي أماته قال كثرة نقل اللبن إلى قبر أم عمير قال أو ماتت أم عمير قال نعم قال
وما الذي أماتها قال كثرة بكائها على عمير قال أومات عمير قال نعم قال وما الذي أماته قال سقطت عليه الدار قال أوسقطت الدار قال
نعم قال فقام له بالعصا ضاربا فولى من بين يديه هاربا (وقال دعبل) كنا عند (٢٤٩) سهل بن هرون فلم نبرح حتى
كاد يموت من الجوع فقال ويلك ياغلام آتنا غداءنا فأتى بقصعة فيها ديك مطبوخ تحته ثريد قليل فتأمل الديك فرآه بغير رأس فقال لغلامه وأين الرأس فقال رميته فقال والله اني لأكره من يرمي برجله فكيف برأسه ويحك أما علمت ان الراس رئيس الأعضاء ومنه يصيح الديك ولولا صوته ما اريد وفيه فرقه الذي يتبرك به وعينه التي يضرب بها المثل فيقال شراب كعين الديك ودماغه عجيب لوجع الكلية ولم نر عظما اهش تحت الاسنان من عظم رأسه وهبك ظننت أني لا آكله ما قلت عنده من يأكله أنظر في أي مكان رميته وائتني به فقال لا أعرف أين رميته فقال لكني
أنا أعرف أين رميته في بطنك الله حسبك (واشتكى رجل مروزي) صدره من سعال
فوصفوا له سويق اللوز فاستثقل النفقة ورأى الصبر على الوجع أخف عليه من الدواء فبينما هو يماطل الأيام ويدفع الآلام أتاه بعض
أصدقائه فوصف له ماء النخالة وقال له انه يجلو الصدر فأمر بالنخالة فطبخت له وشرب من مائها فجلا صدره ووجده يعصم فلما حضر
غداؤه أمر به فرفع إلى العشاء وقال لامرأته اطبخي لأهل بيتنا النخالة فاني وجدت ماءها يعصم ويجلو الصدر فقالت لقد
جمع الله لك بهذه النخالة بين دواء وغداء فالحمد لله على هذه النعمة (وعن خاقان بن صبيح) قال دخلت على رجل من اهل
خرسان ليلا فأتانا بمسرجة فيها فتيلة في غاية الرقة وقد علق فيها عودا بخيط فقلت له ما بال هذا العود مربوطا قال لقد
شرب الدهن وإذا ضاع ولم نحفظه احتجنا إلى غيره فلا نجد الا عودا عطشان ونخشى أن يشرب الدهن قال بينما أنا

الدعاء لا بد لها من شروط فشرط الداعي أن يكون عالما بأن لا قادر الا الله وأن الوسائط في قبضته
ومسخرة بتسخيره وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب فان الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب
لاه وأن يكون متجنبا لأكل الحرام ولا يمل من الدعاء ومن شروط المدعو فيه أن يكون من الأمور
الجائزة الطلب والفعل شرعا كما قال عليه الصلاة والسلام ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم فيدخل في الاثم
كل ما يأثم به الذنوب ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم قال ابن عطاء الله ان للدعاء
أركانا وأجنحة وأسبابا وأوقاتا فان وافق أركانه قوي وان وافق أجنحته طار إلى السماء وان وافق
مواقيته فاز وان وافق أسبابه نجح فأركانه حضور القلب والخشوع وأجنحته الصدق ومواقيته
الاسحار وأسبابه الصلاة على النبي ﷺ ومن شروط الدعاء أن يكون سالما من اللحن كما قال بعضهم

ينادي ربه باللحن ليث ... كذاك إذ دعاه لا يجاب

وقيل ان الله تعالى لا يستجيب دعاء عريف ولا شرطي ولا جاب ولا عشار ولا صاحب عرطبة وهي
الطنبور ولا صاحب كوبة وهي الطبل الكبير الضيق والوسط ومن آداب الدعاء أن يدعو الداعي
مستقبل القبلة ويرفع يديه لما روي عن رسول الله ﷺ قال ان الله ربكم حي كريم يستحي من عبده إذا
رفع يديه اليه أن يردهما صفرا وان يمسح بهما وجهه بعد الدعاء لما روي عن عمر قال كان رسول الله ﷺ
إذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وأن لا يرفع بصره إلى السماء لقوله ﷺ لينتهين
اقوام عن رفع ابصارهم الى السماء عند الدعاء او ليخطفن الله ابصارهم وان يخفض الداعي صوته بالدعاء
لقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وعن أبي عبد الرحمن الهمداني قال صليت مع ابي اسحق المداة
فسمع رجلا يجهر في الدعاء فقال كن كزكريا إذ نادى ربه نداء خفيا وينبغي للداعي أن لا يتكلف وان
يأتي بالكلام المطبوع غير المسجوع لقوله ﷺ اياكم والسجع في الدعاء بحسب أحدكم يقول اللهم
اني اسألك الجنة وما قرب اليهما من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وقيل
ادعوا بلسان الذلة والاحتقار ولا تدعوا بلسان الفصاحة والانطلاق وكانوا لا يزيدون في الدعاء على سبع
كلمات فما دونها كما في آخر سورة البقرة وعن سفيان بن عيينة لا يمنعن احدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه
فقد أجاب الله دعاء شر الخلق ابليس إذ قال رب أنظرني إلى يوم يبعثون وعن النبي ﷺ إذا سأل
أحدكم مسئلة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عليه من ذلك شيء

أتعجب وأسأل الله العافية إذ دخل علينا شيخ من أهل مرو فنظر إلى العود فقال للرجل يا فلان لقد فررت من شيء ووقعت فيما هو شر منه أما علمت أن الريح والشمس يأخذان من سائر الأشياء وينشفان هذا العود لم لا اتخذت مكان هذا العود إبرة من حديد فإن الحديد أملس وهو مع ذلك غير نشاف والعود أيضا ربما يتعلق به شعرة من قطن الفتيلة فينقصها فقال له الرجل الخراساني أرشدك الله ونفع بك فلقد كنت في ذلك من المسرفين (وقال الهيثم بن عدي) نزل على أبي حفصة الشاعر رجل من اليمامة فأخلى له المنزل ثم هرب مخافة أن يلزمه قراه هذه الليلة فخرج الضيف واشترى ما احتاج اليه ثم رجع وكتب له

يا أيها الخارج من بيته ... وهاربا من شدة الخوف
ضيفك قد جاء بزاد له ... فارجع وكن ضيفا على الضيف

وكان أبو العتاهية ومروان ابن أبي حفصة بخيلين يضرب ببخلهما المثل قال مروان ما فرحت بشيء أشد مما فرحت بمائة ألف درهم وهبها لي المهدي فوزنتها فرجحت درهما واشتريت لحما بدرهم فلما وضعه في القدر دعاه صديقه فرد اللحم على القصاب بنقصان دانقين، فجعل القصاب ينادي على اللحم ويقول هذا لحم مروان واجتاز يوما بأعرابية فأضافته فقال إن وهبني أمير المؤمنين مائة ألف درهم وهبت لك درهما فوهبه سبعين ألف درهم فوهبها أربعة دوانق (ومن الموصوفين بالبخل آل مرو) يقال ان من عادتهم إذا ترافقوا في سفر أن يشتري كل واحد منهم قطعة لحم ويشكها في خيط ويجمعون اللحم كله في قدر ويمسك كل واحد منهم طرف خيطه فإذا استوى جر كل منهم خيطه وأكل لحمه وتقاسموا المرق (وكان) عمر بن يزيد الأسدي بخيلا جدا أصابه القولنج في بطنه فحقنه الطبيب بدهن كثير فانحل ما في بطنه في الطست فقال لغلامه اجمع الذي نزل من الحقنة وأسرج به (وكان) المنصور شديد البخل جدا مر به مسلم الحادي في طريقه إلى الحج فحدا له يوما بقول الشاعر

أغر بين الحاجبين نوره ... يزينه حياؤه وخيره
ومسك يشوبه كافوره ... إذا تغدى رفعت ستوره

فطرب حتى ضرب برجله المحمل وقال يا ربيع اعطه نصف درهم فقال نصف درهم يا أمير المؤمنين والله لقد حدوت لهشام فأمر لي بثلاثين ألف درهم فقال تأخذ من بيت مال المسلمين ثلاثين ألف درهم يا ربيع وكل به من يستخلص منه هذا المال قال الربيع فلم أزل

فليقل الحمد لله على كل حال وعن سلمة بن الأكوع قال ما سمعت رسول الله ﷺ يستفتح الدعاء إلا قال سبحان ربي الأعلى الوهاب وعن أبي سليمان الداراني من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على رسول الله ﷺ وينبغي للمؤمن أن يجتهد في الدعاء وأن يكون على رجاء من الإجابة ولا يقنط من رحمة الله لأنه يدعو كريما . وللدعاء أوقات وأحوال يكون الغالب فيها الإجابة وذلك وقت السحر ووقت الفطر وما بين الأذان والإقامة وعند جلسة الخطيب بين الخطبتين إلى أن يسلم من الصلاة وعند نزول الغيث وعند التقاء الجيش في الجهاد في سبيل الله تعالى وفي الثلث الأخير من الليل لما في الحديث ان في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيئا إلا أعطاه وفي حالة السجود لقوله عليه الصلاة والسلام أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء وما بين الظهر والعصر في يوم الأربعاء وأوقات الاضطرار وحالة السفر والمرض هذا كله جاءت به الآثار قال جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه دعا رسول الله ﷺ في مسجد الفتح ثلاثة أيام يوم الاثنين ويوم الثلاثاء واستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين فعرفت السرور في وجهه قال جابر ما نزل بي أمر مهم غليظ إلا توخيت تلك الساعة فادعو فيها فأعرف الإجابة وفي بعض الكتب المنزلة يا عبدي إذا سألت فاسألني فإني غني وإذا طلبت النصرة فاطلبها مني فإني قوي وإذا أفشيت سرك فافشه إلي فإني وفي وإذا أقرضت فأقرضني فإني ملي وإذا دعوت فادعني فإني حفي وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له وقال وهب بن منبه بلغني أن موسى مر برجل قائم يبكي ويتضرع طويلا فقال موسى يا رب أما تستجيب لعبدك فأوحى الله تعالى إليه يا موسى لو أنه بكى حتى تلفت نفسه ورفع يديه حتى بلغ عنان السماء ما استجبت له وقال يا رب لم ذلك قال لأن في بطنه الحرام . ومر إبراهيم بن أدهم بسوق البصرة فاجتمع الناس إليه وقالوا يا أبا إسحق ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا قال لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء الأول أنكم عرفتم الله فلم تؤدوا حقه الثاني زعمتم أنكم تحبون رسول الله ﷺ ثم تركتم سنته الثالث قرأتم القرآن ولم تعملوا به الرابع أكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها الخامس قلتم أن الشيطان عدوكم ووافقتموه السادس قلتم ان الجنة حق فلم تعملوا لها السابع قلتم ان النار حق ولم تهربوا منها الثامن قلتم ان الموت حق فلم تستعدوا له

التاسع

أمشي بينهما وأروضه حتى شرط مسلم على نفسه أن يعدو له في ذهابه وإيابه بغير مؤنة وأخبار الأكلة كثيرة وفيما أوردناه
كفاية (نادرة) قيل لأبي الحرث ما تقول في الفالوذجة قال وددت لو أنها وملك الموت اختلجا في صدري والله لو أن موسى
لقي فرعون بالفالوذجة لآمن ولكنه لقيه بعصا (ودخل) ابن قزعة يوما على عز الدولة وبين يديه طبق فيه موز فتأخر
عن استدعائه فقال ما بال مولانا ليس يدعوني إلى الفوز بأكل الموز فقال صفه حتى أطعمك ما الذي أصف من حسن لونه
فيه سبائك ذهبية كأنها حشيت زبدا وعسلا وأطيب الثمر كأنه مخ الشحم سهل المقشر لين المكسر عذب المطعم بين الطعوم
سلس في الحلقوم ثم مد يده وأكل (وسمع) رجلا يذم الزبد فقال له ما الذي ذممت منه سواد لونه أم بشاعة طعمه أم
صعوبة مدخله أم خشونة ملمسه (وقيل له) ما تقول في الباذنجان

قال أذناب المحاجم وبطون العقارب وبزور الزقوم قيل له انه يحشى باللحم فيكون طيبا فقال لو حشي بالتقوى والمغفرة ما افلح (وصنع) الحجاج وليمة واحتفل فيها ثم قال لزاذان هل عمل كسرى مثلها فاستعفاه فأقسم عليه فقال أولم عبد عند كسرى فأقام على رؤس الناس الف وصيفة في يد كل واحدة ابريق من ذهب فقال الحجاج اف والله ما تركت فارس لمن بعدها من الملوك شرفا (وقال) معاوية لرجل على مائدته خذ الشعرة من لقمتك فقال وانك تراعيني مراعاة من يرى الشعرة في لقمتي لا أكلت لك طعاما أبدا (وحضر) أعرابي على مائدة بعض الخلفاء فقدم جدي مشوي فجعل الاعرابي يسرع في أكله منه فقال له
الخليفة أراك تأكله بحرد كأن أمه نطحتك فقال اراك تشفق عليه كأن أمه ارضعتك (ودعت) ابا الحرث صبية له
فحادثته ساعة فجاع فطلب الاكل فقالت له اما في وجهي ما يشغلك عن الاكل قال جعلت فداك فلو ان جميلا وبثينة
قعدا ساعة لا يأكلان لبصق كل منهما في وجه صاحبه وافترقا (وقال الشمردل) وكيل عمرو بن العاص قدم سليمان
ابن عبد الملك الطائف فدخل هو وعمر بن عبد العزيز إلي وقال يا شمردل ما عندك ما تطعمني قلت عندي جدي
كأعظم ما يكون سمنا قال عجل به فاتيته به كأنه عكة سمن فجعل يأكل منه ولا يدعو عمر حتى إذا لم يبق منه الا
فخذا قال هلم يا أبا جعفر فقال اني صائم فأكله ثم قال يا شمردل ويلك اما عندك شيء قلت ست دجاجات كأنهن أفخاذ
نعام فاتيته بهن فأتى عليهن ثم قال يا شمردل اما عندك شيء قلت سويق كأنه قراضة الذهب فأتيته به فعبه حتى

التاسع انتبهتم من النوم واشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم العاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم
وكان يحيى بن معاذ يقول من أقر الله باساءته جاد الله عليه بمغفرته ومن لم يمن على الله بطاعته أوصله إلى
جنته ومن أخلص لله في دعوته من الله عليه باجابته وقال علي رضي الله عنه ارفعوا أفواج البلايا
بالدعاء وعن أنس رضي الله تعالى عنه لا تعجزوا عن الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء أحد
(الفصل الثاني في الأدعية وما جاء فيها) كان من دعاء شريح رحمه الله تعالى اللهم اني أسألك الجنة بلا
عمل عملته وأعوذ بك من النار بلا ذنب تركته ودعت أعرابية عند البيت فقالت إلهي لك أدل وعليك
أدل وكان من دعاء بعض الصالحين اللهم ان كنا عصيناك فقد تركنا من معاصيك أبغضها اليك وهو
الاشراك وان كنا قصرنا عن بعض طاعتك فقد تمسكنا بأحبها اليك وهو شهادة ان لا إله إلا أنت
وان رسلك جاءت بالحق من عندك ومن دعاء سلام بن مطيع اللهم ان كنت بلغت أحدا من عبادك
الصالحين درجة ببلاء فبلغنيها بالعافية وقيل لفتح الموصلي ادع الله لنا فقال اللهم هبنا عطاءك ولا
تكشف عنا غطاءك وكان من دعاء بعض السلف اللهم لا تحرمني خير ما عندك لشر ما عندي فان لم
تقبل تعبي ونصبي فلا تحرمني أجر المصاب على مصيبته اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى الناس فنضيع
وقال الحسن من دخل المقابر فقال اللهم رب الأرواح الفانية والاجساد البالية والعظام النخرة التي
خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة أدخل عليها روحا من عندك وسلاما مني كتب الله له بعدد من مات
من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة حسنات (وحكى) عن معروف القاضي أن الحجيج كانوا يجتهدون
في الدعاء وفيهم رجل من التركمان ساكت لا يحسن أن يدعو فخشع قلبه وبكى فقال بلغته اللهم انك تعلم
أني لا أحسن شيئا من الدعاء فأسالك ما يطلبون منك بما دعوا فرأى بعض الصالحين في منامه ان الله قبل
حج الناس بدعوة ذلك التركماني لما نظر إلى نفسه بالفقر والفاقة وقال الاصمعي حسدت عبد الملك على
كلمة تكلم بها عند الموت وهي اللهم ان ذنوبي وان كثرت وجلت عن الصفة فانها صغيرة في جنب عفوك
فاعف عني وركب ابراهيم بن أدهم في سفينة فهاجت الريح وبكى الناس وايقنوا بالهلاك وكان
ابراهيم نائما في كساء فاستوى جالسا وقال اريتنا قدرتك فارنا عفوك فذهب الريح وسكن البحر وقال
الثوري كان من دعاء السلف اللهم زهدنا في الدنيا ووسع علينا فيها ولا تزوها عنا وترغبنا فيها وكان
بعض الاعراب إذا اوى إلى فراشه قال اللهم اني اكفر بكل ما كفر به محمد وأومن بكل ما آمن به ثم

أنا عليه ثم قال ياغلام فرغت من غدائنا قال نعم قال ماهم قال كيف وثلاثون قدرا قال ائتنى بقدر قدر فأتاه بها ومعه الرقاق فأكل من كل قدر ثلثه ثم مسح يده واستلقى على مراشه وأذن للناس فدخلوا وصف الخوان وأكل مع الناس (ونزل رجل) بصومعة راهب فقدم اليه أربعة أرغفة وذهب ليحضر اليه العدس فحمله وجاء فوجده قد أكل الخبز فذهب وأتى بخبز فوجده قد أكل العدس ففعل معه ذلك عشر مرات فسأله الراهب أين مقصدك قال إلى الأردن قال لماذا قال بلغنى أن بها طبيبا حاذقا أسأله عما يصلح معدتى فانى قليل الشهوة للطعام فقال له الراهب ان لى اليك حاجة قال وماهى قال إذا ذهبت واصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك من ههنا (يحكى) أن زيادا امر بضرب عنق رجل فقال ايها الأمير أن لى بك حرمة قال وماهى قال إن أبى جلدك بالبصرة قال ومن أبوك قال يامولاى انى نسيت اسم نفسى

فكيف لا انسى اسم ابى فرد زياد كمه على فمه وضحك وعفا عنه (وحكى) عن جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه ان غلاما له وقف يصب الماء على يديه فوقع الابريق من يد الغلام فى الطست فطار الرشاش فى وجهه فنظر جعفر اليه نظرة مغضب فقال يامولاى الكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظى قال والعافين عن الناس قال عفوت عنك قال والله يحب المحسنين قال اذهب فأنت حر لوجه الله الكريم (وقيل) لما قوم نصر بن منيع بين يدى الخليفة وكان قد امر بضرب عنقه قال ياامير المؤمنين اسمع منى كلمات اقولها ، قال قل فانشأ يقول

زعموا بأن الصقر صادف مرة * عصفور بر ساقه التقدير
فتكلم العصفور تحت جناحه * والصقر منقض عليه يطير
انى لمثلك لا أتمم لقمة * ولئن شويت فانى لحقير
فتهاون الصقر المدل بصيده * كرما وأفلت ذلك العصفور

صن

قال فعفا عنا وخلى سبيله (وكتب) عبد الملك بن مروان إلى الحجاج يأمره يبعث اليه برأس عباد بن أسلم البكرى فقال له عباد أيها الامير أنشدك الله لا تقتلنى فوالله انى لاعول أربعا وعشرين امراة مالهن كاسب غيرى فرق لهن واستحضرهن فاذا واحدة منهن كالبدر فقال لها الحجاج ما أنت منه قالت انا ابنته فاسمع ياحجاج منى ما اقول ثم قالت

احجاج اما ان تمن بتركه * علينا واما ان تقتلنا معا

يضع رأسه وسمعت بدوية تقول فى دعائها ياصباح يامباح يامطعم ياعريض الجفنة ياأبا المكارم فزجرها رجل فقالت دعنى أصف ربى وأمجد إلهى بما تستحسنه العرب وقال الزمخشرى فى كتابه ربيع الأبرار سمعت أنا من يدعو من العرب عند الركن اليمانى ياأبا المكارم ياأبيض الوجه وهذا نحوه منهم إنما يقصدون به الثناء على الله تعالى بالكرم والزامه على القبيح على طريق الاستعارة لأنه لافرق عندهم بين الكريم وأبى المكارم ولا بين الجود والعريض الجفنة ولا بين المنزه والأبيض الوجه وقيل لاعرابى اتحسن أن تدعو ربك قال نعم ثم قال اللهم انك اعطيتنا الاسلام من غير ان نسألك فلا تحرمنا الجنة ونحن نسالك وذكر لعبد السلام بن مطيع ان الرجل تصيبه البلوى فيدعو فتبطىء عنه الاجابة فقال بلغنى ان الله تعالى يقول كيف ارحمه من شىء به ارحمه وقال طاوس بينما انا فى الحجر ذات ليلة اذ دخل على بن الحسين فقلت رجل صالح من اهل بيت الخير لاسمعن دعاءه فسمعته يقول عبيدك بفنائك مسكينك بفنائك فقيرك بفنائك فما دعوت بهما فى كرب إلا فرج عنى ودعا اعرابى فقال اللهم انا نبات بعمتك وقال ابن المسيب سمعت من يدعو بين القبر والمنبر اللهم انى أسألك عملا بارا ورزقا دارا وعيشا قارا فدعوت به فما وجدت الا خيرا ودعت اعرابية بالموقف فقالت اسألك سترك الذى لاتزيله الرياح ولا تخرقه الرماح وقيل اتقوا مجانيق الضعفاء أى دعواتهم ودعا أعرابى فقال اللهم امح ما فى قلبى من كذب وخيانة واجعل مكانه صدقا وأمانة وصلى رجل إلى عبدالله بن المبارك وبادر القيام لجذب ثوبه وقال أما لك إلى ربك حاجة وقال سفيان الثورى سمعت أعرابيا يقول اللهم ان كان رزقى فى السماء فأنزله وان كان فى الأرض فأخرجه وان كان بعيدا فقربه وان كان قريبا فيسره وان كان قليلا فكثره وان كان كثيرا فبارك لى فيه (وقال أبو نواس)

أحببت من شعر بشار وكامته * بيتا لهجت فيه من شعر بشار
يارحمة الله حل فى منازلنا * وجاورينا فدتك النفس من جار

وكان بشار يعنى بذلك جارية كان يحبها ويتغزل فيها ويعنى بها هنا رحمة الله التى وسعت كل شىء وسمع على بن أبى طالب رضى الله عنه رجلا يقول وهو متعلق بأستار الكعبة يامن لايشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يبرمه الحاح الملحين أذقنى برد عفوك وحلاوة مغفرتك فقال على والذى نفسى بيده لوقلتها وعليك ملء السموات والأرض من الذنوب لغفر لك ومن دعائه رضى الله عنه اللهم

أحجاج لاتفجع به ان قتلته • ثمانا وعشرا واثنتين وأربعا ... أحجاج لاتترك عليه بناته • وخالاته يندبنه الدهر أجمعا

فبكى الحجاج ورق له واستوهبه من أمير المؤمنين عبد الملك وأمر له بصلة (وحكى) ان رجلا زوّر ورقة عن خط الفضل بن الربيع تتضمن أنه أطلق له ألف دينار ثم جاء بها إلى وكيل الفضل فلما وقف الوكيل عليها لم يشك أنها خط الفضل فشرع في أن يبذل له الألف دينار وإذا بالفضل قد حضر ليتحدث مع وكيله في تلك الساعة في أمرهم فلما جلس أخبره الوكيل بأمر الرجل وأوقفه على الورقة فنظر الفضل فيها ثم نظر في وجه الرجل فرآه كاد يموت من الوجل والخجل فاطرق الفضل بوجهه ثم قال الوكيل أتدري لم أتيتك في هذا الوقت قال لا قال جئت لأستنهضك حتى تعجل لهذا الرجل أعطاء المبلغ الذي في هذه الورقة فاسرع عند الوكيل في وزن المال

وناوله الرجل فقبضه وصار متحيرا في أمره فالتفت إليه الفضل وقال له طب نفسا فقال له سترتني سترك الله في الدنيا والآخرة ثم أخذ المال ومضى (ومن اللطائف والغرائب الدالة على الوفاء بالذمم) ماحكاه بعض خدم أمير المؤمنين المأمون قال طلبني أمير المؤمنين ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لي خذ معك فلانا وفلانا وسماهما أحدهما علي بن محمد والآخر دينار الخادم واذهب مسرعا لما أقول لك فانه قد بلغني ان شيخا يحضر ليلا إلى دور البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكرا كثيرا ويندبهم ويبكي عليهم ثم ينصرف فامض الآن أنت وعلي ودينار حتى تردوا هذه الخربات فاستتروا في بعض الجدران فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد شيئا فاتوني به قال فأخذتهما ومضينا حتى أتينا الخربات إذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسي جديد وإذا بشيخ وسيم له جمال وعليه مهابة ووقار قد أقبل فجلس على الكرسي وجعل يبكي وينتحب ويقول

ولما رأيت السيف جندل جعفرا ... ونادى مناد للخليفة في يحيى

بكيت على الدنيا وزاد تأسفي ... عليهم وقلت الآن لاتنفع الدنيا

مع أبيات أوردها فلما قبضنا عليه وقلنا له أجب أمير المؤمنين فزع فزعا شديدا وقال دعوني حتى أوصي وصية فاني لاأوقن بعدها بحياة ثم تقدم إلى بعض الدكاكين فاستفتح وأخذ ورقة وكتب فيه وصية ودفعها إلى غلامه ثم سرنا به فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين زجره وقال له ومن أنت وبما استوجبت البرامكة

صن وجهي باليسار ولا تبذل جاهي بالاقتار فأسترزق طالبي رزقك وأستعطف شرار خلقك وأبتلى بحمد من أعطاني وأفتتن بذم من منعني وأنت من وراء ذلك كله ولي الاجابة والمنع وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال ما انتهيت إلى الركن اليماني قط إلا وجدت جبريل قد سبقني إليه يقول قل يا محمد اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر والفاقة وهي من مواقف الخزي وهبط جبريل عن يعقوب فقال يا يعقوب ان الله تعالى يقول لك يا كثير الخير يا دائم المعروف رد على ابني فقالها فأوحى الله تعالى إليه وعزتي لو كانا ميتين لنشرتهما لك وكان أبو مسلم الخراساني إذا نابه أمر قال يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين وقال جعفر بن محمد ما المبتلى الذي اشتد بلاؤه بأحق بالدعاء من المعافى الذي لا يأمن وقوع البلاء وكان الزهري يدعو بعد الحديث بدعاء جامع فيقول اللهم إني أسألك من خير ما أحاط به علمك في الدنيا والآخرة وأعوذ بك من شر ما أحاط به علمك في الدنيا والآخرة وعن عقبة بن عبد الغافر دعوة في السر أفضل من سبعين دعوة في العلانية واعلم ان التوحيد والدعاء عند نوازل الملمات هو سفينة النجاة من الحوادث المهلكات وعن أبي الدرداء قال صلى بنا رسول الله ﷺ العصر فمر بنا كلب فما بلغت يده رجله حتى وقع ميتا فلما انصرف رسول الله ﷺ من صلاته قال من الداعي على الكلب آنفا قال رجل من القوم أنا يا رسول الله قال لقد دعوت الله باسمه الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى كيف دعوت الله قال قلت اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والاكرام وقيل انه دخلت أذن رجل من أهل البصرة حصاة فعالجها الاطباء فلم يقدروا عليه حتى وصلت إلى صماخه فأتى إلى رجل من أصحاب الحسن فشكا له ما أصابه من الحصاة فدعا له بدعاء العلاء بن الحضرمي وهو يا علي يا عظيم يا حليم يا عليم قال الراوي فما برحنا حتى خرجت الحصاة من أذنه ولها طنين حتى ضربت الحائط وعن أنس إذا قال العبد يارب يارب يقول الله عز وجل لبيك عبدي وعنه قال مر رسول الله ﷺ برجل وهو يقول يا أرحم الراحمين فقال رسول الله ﷺ سل حاجتك فقد نظر الله إليك وروي عن رسول الله ﷺ انه قال إذا فتح الله على عبد الدعاء فليكثر فان الله يستجيب له وروي عن علي بن أبي زفرح عن أمه وكان فاضلا صالحا قال دعوت الله ان يريني الاسم الاعظم الذي إذا دعي به أجاب فقمت ليلة أصلي فسمعت قعقعة في سقف البيت ثم هبط نور حتى صار تلقاء وجهي وإذا مكتوب بالنور فقرأته يا الله يا رحمن يا ذا الجلال

منك ما تفعله فى خرائب دورهم وما تقوله فيها فقال يا أمير المؤمنين إن للبرامكة عندى أيادى خطيرة افتأذن لى ان أحدثك حديثى معهم قال قل يا أمير المؤمنين أنا المنذر بن المغيرة من أولاد الملوك وقد زالت عن نعمتى كما تزول عن الرجال فلما ركبنى الدين واحتجت إلى بيع مسقط رأسى ورؤس أهلى أشاروا على الخروج إلى البرامكة فخرجت من دمشق ومعى نيف وثلاثون امرأة وصبى وصبية وليس معى ما يباع ولا ما يوهب حتى دخلنا بغداد ونزلنا فى بعض المساجد فدعوت بثويبات لى كنت قد أعددتها لاستتمتع بها الناس فلبستها وخرجت وتركتهم جياعا لاشىء عندهم ودخلت شوارع بغداد سائلا عن دور البرامكة فاذا أنا بمسجد مزخرف وفيه مائة شيخ بأحسن زى وزينة وعلى الباب خادمان فطمعت فى القوم وولجت المسجد وجلست بين أيديهم وأنا أقدم وأؤخر

والعرق يسيل منى لانها لم تكن صناعتى وإذا بخادم قد أقبل فدعا القوم فقاموا وانا معهم فدخلوا دار يحيى بن خالد ودخلت معهم وإذا بيحيى جالس على دكة له فى وسط بستان فسلمنا وهو يعدنا مائة وواحدا وبين يديه عشرة من ولده وإذا غلام امرد قد عذر خداه اقبل من بعض المقاصير بين يديه مائة خادم منطقون وفى وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من الف مثقال ومع كل خادم مجمرة من ذهب فى كل مجمرة قطعة من عود كهيئة الفهر قد قرن بها مثلها من العنبر السلطانى فوضعوه بين يدى الغلام إلى جنب يحيى ثم قال يحيى للقاضى تكلم وزوج بنتى عائشة من ابن عمى هذا فخطب القاضى وزوجه وشهد اولئك الجماعة واقبلوا علينا بالنثار ببنادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا امير المؤمنين ملء كمى ونظرت فاذا نحن فى المكان ما بين المشايخ وولده والغلام مائة واثنا عشر رجلا فخرج الينا مائة واثنا عشر خادما مع كل صينية من فضة عليها الف دينار فوضعوا بين يدى كل رجل منا صينية فرايت القاضى والمشايخ يصبون الدنانير فى اكمامهم ويجعلون الصوانى تحت آباطهم ويقوم الاول فالاول حتى بقيت وحدى بين يدى يحيى لا اجسر على اخذ الصينية فغمزنى الخادم فجسرت وجعلت الذهب فى كمى واخذت الصينية فى يدى وقمت وجعلت التفت إلى ورائى مخافة أن امنع من الذهاب بها فبينما أنا كذلك فى صحن الدار ويحيى يلحظنى إذ قال للخادم ائتنى بذلك الرجل فرددت اليه فأمر بصب الدنانير والصينية وما كان فى كمى ثم امرنى بالجلوس

والاكرام ومن دعاء الكرب ما روى عن وهب ان ابن عباس رضى الله عنهما قال له هل تجد فيما نقرأ من الكتب دعاء تدعو به عند الكرب قال نعم الله اللهم إنى أسألك يامن يملك حوائج السائلين ويعلم ضمير الصامتين فان لكل مسئلة منك سمعا حاضرا وجوابا عتيدا ولكل صامت منك علما ناطقا محيطا أسألك بمواعيدك الصادقة وأياديك الفاضلة ورحمتك الواسعة أن تفعل بى كذا وكذا فقال ابن عباس هذا دعاء علمته فى النوم ما كنت أرى أن أحدا يحسنه وعن وهب أيضا قال لما أهبط الله تعالى آدم من الجنة إلى الأرض استوحش لفقد أصوات الملائكة فهبط اليه جبريل وقال يا آدم هل أعلمك شيئا تنتفع به فى الدنيا والآخرة قال بلى قال قل اللهم أتمم النعمة حتى تهنينى المعيشة اللهم اختم لى بخير حتى لا تضرنى ذنوبى اللهم اكفنى مؤنة الدنيا وكل هول فى القيامة حتى تدخلنى الجنة معافى وعن معروف الكرخى قال اجتمعت اليهود أخزاهم الله على قتل عيسى عليه الصلاة والسلام بزعمهم وأهبط الله تعالى عليه جبريل وفى باطن جناحيه مكتوب اللهم انى أدعوك باسمك الاجل الاعز وأدعوك اللهم باسمك الاحد الصمد وأدعوك اللهم باسمك العظيم الوتر وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعالى الذى ملأ الاركان كلها إن تكشف عنى ضر ما اصبحت وأمسيت فأوحى الله عزوجل إلى جبريل أن ارفع عبدى إلى فقال رسول الله ﷺ لاصحابه عليكم بهذا الدعاء ولا تستبطؤا الاجابة فان ما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون اسناد هذا متصل إلى معروف الكرخى ثم هو منقطع ولو يكن فيه من البركة الا رواية معروف لكان كافيا فى قبوله والعمل به . وحدث عبد الله بن أبان الثقفى رضى الله عنه قال وجهنى الحجاج ابن يوسف فى طلب أنس بن مالك فظننت أنه يتورى عنى فأتيته بخيلى ورجلى فاذا هو جالس على باب داره مادا رجليه فقلت له أجب الامير فقال أى الامراء فقلت أبو محمد الحجاج فقال غير مكترث به قد أذله الله ما أرانى أعزه لأن العزيز من عز بطاعة الله والذليل من ذل بمعصية الله وصاحبك قد بغى وطغى واعتدى وخالف كتاب الله والسنة والله لينتقم الله منه فقلت له أقصر عن الكلام وأجب الامير فقام معنا حتى حضر بين يدى الحجاج فقال له أنت أنس بن مالك قال نعم قال أنت الذى تدعو علينا وتسبنا قال نعم ومم ذاك قال لانك عاص لربك مخالف لسنة نبيك تعز اعداء الله وتذل اولياء الله فقال له اتدرى ما أريد أن افعل بك قال لا قال اريد ان اقتلك شر قتلة قال

انس

فجلست فقال لى من الرجل فقصصت عليه قصتى فقال للخادم ائتنى بولدى موسى فأتى به فقال يابنى هذا رجل غريب ضمنته اليك واحفظه بنفسك وبنعمتك فقبض موسى على يدى وادخلنى إلى دار من دوره فأكرمنى غاية الاكرام وأقمت عنده يومى وليلتى فى ألذ عيش وأتم سرور فلما أصبح دعا باخيه العباس وقال ان الوزير قد أمرنى بالعطف على هذا الرجل وقد علمت اشتغالى فى دار أمير المؤمنين فاقبضه اليك وأكرمه ففعل ذلك وأكرمنى غاية الاكرام فلما كان من الغد تسلمنى أخوه ثم لم أزل فى أيدى القوم يتداولوننى عشرة أيام لا أعرف خبر عيالى وصبيانى أفى الاموات هم أم فى الأحياء فلما كان اليوم الحادى عشر جاءنى خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا لى قم فاخرج إلى عيالك بسلام فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينية وأخرج إلى عيالى على هذه الحالة إنا لله وإنا اليه راجعون فرفع الستر الاول ثم الثانى ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم الستر الاخير قال لى مهما كان لك من الحوائج فارفعها إلى فانى مأمور بقضاء جميع ما تأمرنى به فلما رفع الستر رأيت حجرة كالشمس حسنا ونورا واستقبلنى منها رائحة الند والعود ونفحات المسك وإذا بصبيانى وعيالى يتقلبون فى الحرير والديباج وحمل إلى ألف ألف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشور بضيعتين وتلك الصينية التى كنت أخذتها بمافيها من الدنانير والبنادق وأقمت ياامير المؤمنين مع البرامكة فى دورهم ثلاث عشرة سنة لايعلم الناس امن البرامكة انا أم رجل غريب اصطنعونى فلما جاءتهم البلية نزل بهم من امير المؤمنين الرشيد مانزل اجحفنى عمرو بن سعدة والزمنى فى هاتين الضيعتين من الخراج مالا يفى دخلهما به فلما تحامل على الدهر كنت فى أواخر الليل اقصد خرجبات القوم فاندبهم واذكر حسن صنيعهم إلى وأشكرهم على أحسانهم فقال المأمون على بعمرو بن مسعدة فلما اتى به قال له ياعمرو اتعرف هذا الرجل قال نعم ياامير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال كم الزمته فى ضيعته قال كذا وكذا قال رد له كل مااستأديته منه مدته ووقع لهما ليكونا له ولعقبه من بعده قال فعلا نحيب الرجل وبكاؤه فلما رأى المأمون كثرة بكائه قال ياهذا قد احسنا اليك فلم تبكى قال ياأمير المؤمنين وهذا ايضا من صنائع البرامكة إذا لم آت خرباتهم واندبهم حتى اتصل خبرى بأمير المؤمنين ففعل بى مافعل فمن أين كنت أصل أمير المؤمنين قال ابراهيم بن ميمون فلقد رأيت المأمون وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه وقال لعمرى هـذا من صنائع البرامكة فعليهم فابك واياهم فاوف ولإحسانهم فاذكر (ومن ذلك) انه خرج سليمان عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب فى بعض جبانات الشام فاذا امرأة جالسة على قبر تبكى قال سليمان فرفعت البرقع عن وجهها

أنس لو علمت أن ذلك بيدك لعبدتك من دون الله قال الحجاج ولم ذاك قال لأن رسول الله ﷺ علمنى دعاء وقال من دعا به فى كل صباح لم يكن لأحد عليه سبيل وقد دعوت به فى صاحبى هذا فقال الحجاج علمنيه فقال معاذ الله أن أعلمه لأحد مادمت أنت فى الحياة فقال الحجاج خلوا سبيله فقال الحاجب أيها الأمير لنافى طلبه كذا وكذا يوما حتى أخذناه فكيف نخلى سبيله قال رأيت على عاتقه أسدين عظيمين فاتحين أفواههما ثم ان أنسا رضى الله عنه لما حضرته الوفاة علم الدعاء لاخوانه وهو * بسم الله الرحمن الرحيم باسم الله خير الاسماء باسم الله الذى لا يضر مع اسمه اذى باسم الله الكافى باسم الله المعافى باسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم باسم الله على نفسى ودينى باسم الله على أهلى ومالى وعلى كل شىء أعطانيه ربى الله أكبر الله أكبر الله أكبر أعوذ بالله مما أخاف وأحذر الله ربى لا أشرك به شيئا عز جارك وجل ثناؤك وتقدست أسماؤك ولا إله غيرك اللهم انى أعوذ بك من شر كل جبار عنيد وشيطان مريد ومن شر قضاء السوء ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم * وهذا دعاء مشهور الاجابة وله شرح طويل تركناه لطوله وهو * اللهم كما لطفت فى عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ماتحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر فى علمك وانقاد كل شىء لعظمتك وخضع كل ذى سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك لا بيد غيرك اجعل لى من كل هم وغم أصبحت أو أمسيت فيه فرجا ومخرجا انك على كل شىء قدير اللهم ان عفوك عن ذنوبى وتجاوزك عن خطيئتى وسترك عن قبيح عملى أطمعنى أن أسألك مالا أستوجبه منك مما قضيته لى أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا لاخائفا ولا وجلا لانك أنت المحسن إلى وأنا المسىء إلى نفسى فيما بينى وبينك تتودد إلى بالنعم مع غناك عنى وأتبغض اليك بالمعاصى مع فقرى اليك فلم أر مولى كريما أعطف منك على عبد لئيم مثلى لكن الثقة بك حملتنى على الجرأة على الذنوب فاسألك بجودك وكرمك واحسانك وطولك ان تصلى على محمد وآله وان تفتح لى باب الفرج بطولك وتحبس عنى باب الهم بقدرتك ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين فاعجز ولا إلى الناس فأضيع برحمتك ياارحم الراحمين * وروى الحافظ النسفى باسناده عن الزهرى عن ابى مسلمة عن ابى هريرة قال مر رسول الله ﷺ برجل ساجد وهو يقول فى سجوده اللهم انى استغفرك واتوب اليك

لحكت شمسا عن متون غمامة فوقفنا متحيرين ننظر اليه فقال لها يزيد بن المهلب يا أمة أهل لك فى أمير المؤمنين فنظرت الينا ثم أنشأت تقول :

فان تسألانى عن هواى فانه * يحول بهذا القبر يا فتيان
وانى لأستحييه والترب بيننا * كما كنت أستحييه وهو يرانى

(ومن ذلك ما ذكره عبد الله بن عبد الكريم) قال ان أحمد بن طولون وجد عند سقاية طفلا مطروحا فالتقطه ورباه وسماه أحمد وشهره باليتيم فلما كبر ونشأ كان أكثر الناس ذكاء وفطنة وأحسنهم زيا وصورة فصار يرعاه ويعلمه حتى تهذب وتمرن فلما حضرت أحمد بن طولون الوفاة أوصى ولده أبا الجيش خمرويه به فأخذه إليه فلما مات أحمد بن طولون أحضره الامير أبو الجيش اليه وقال له أنت (٢٥٦) عندى بمكانة أزعاك بها ولكن عادتى أن آخذ العهد على كل احد اعرفه ان لا يخوننى فى شىء فعاهده ثم حكمه فى امواله وقدمه فى اشغاله فصار احمد اليتيم مستحوذا على المنام حاكما على جميع الحاشية الخاص والعام والامير ابو الجيش بن طولون يحسن اليه فلما راى احواله متصفه بالنصح ومساعيه متسمة بالنجح ركن اليه واعتمد فى امور بيوته عليه فقال له يوما يا أحمد امض الى الحجرة الفلانية ففى المجلس حيث أجلس سبحة جوهر فائتنى بها فمضى أحمد فلما دخل الحجرة وجد جارية من مغنيات الأمير وحظاياه مع شاب من الفراشين ممن هم من الأمير بمحل القريب فلما رأياه خرج الفتى وجاءت الجارية إلى أحمد وعرضت نفسها عليه ودعته الى قضاء وطره فقال معاذ الله أن أخون الامير وقد أحسن إلى وأخذ العهد على ثم تركها وأخذ السبحة وانصرف الى الأمير وسلمها اليه وبقيت الجارية من شدة الخوف من أحمد بعدما أخذ من السبحة وخرج من الحجرة لئلا يذكر حالها للأمير فأقامت اياما لم تجد من الأمير ما غيره عليها ثم اتفق الأمير اشترى جارية وقدمها على حظاياه وغمرها بعطاياه واشتغل بها عمن سواها وأعرض لشغفه بها عن كل من عنده حتى كاد لا يذكر جارية غيرها ولا يتراءاها وكان أولا مشغولا بتلك الجارية الخائنة العاهرة فلما أعرض عنها اشتغالا بالجارية الجديدة وصرف لبهجة محاسنها وكثرة آدابها وجهه عن ملاعبة أترابها وشغلته بعذوبة رضابها عن ارتشاف ضرابها وكانت تلك الجارية الأولى لحسنها متأمرة على تأميره لا تخاف من وليه ولا نصيره كبر عليها أعراضه عنها ونسبت ذلك إلى أحمد اليتيم لاطلاعه على ما كان منها فدخلت على الأمير وقد ارتدت من الكآبة بجلباب نكرها وأعلنت بالبكاء بين يديه لاتمام كيدها ومكرها وقالت إن أحمد اليتيم راودنى عن نفسى فلما سمع الامير ذلك استشاط

من مظالم كثيرة لعبادك قبلى فأيما عبد من عبادك او امة من إمائك كانت له قبلى مظلمة ظلمتها إيا فى مال او بدن او غرض علمتها اولم اعلمها استطع ان اتحالها فأسألك ان ترضيه عنى بما شئت وكيف شئت ثم تهبها لى من لدنك انك واسع المغفرة ولديك الخير كلها يارب ما تصنع بعذابى ورحمتك وسعت كل شىء فلتسعنى رحمتك فانى لاشىء واسألك يارب ان تكرمنى برحمتك ولا تهنى بذنوبى وما عليك ان تعطينى الذى سألتك يارب ياالله فقال له رسول الله ﷺ ارفع راسك فقد غفر الله لك ان هذا دعاء اخى شعيب عليه السلام * وقال صالح المزنى قال لى قائل فى منامى اذا احببت ان يستجاب لك قل اللهم انى اسألك باسمك المخزون المكنون المبارك الطيب الطاهر المطهر المقدس فما دعوت بها فى شىء الا تعرفت الاجابة (وقيل) ان هذا الدعاء فيه اسم الله الأعظم وهو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم انى اسألك بالعزة التى لا ترام والملك الذى لا يضام والعين التى لا تنام والنور الذى لا يطفأ وبالوجه الذى لا يبلى وبالديمومية التى لا تفنى وبالحياة التى لا تموت وبالصمدية التى لا تقهر وبالربوبية التى لا تستذل ان تجعل لنا فى امورنا فرجا ومخرجا حتى لا نرجوا غيرك يا ارحم الراحمين * وقال سعيد بن المسيب دخلت المسجد فى ليلة مقمرة وأظن انى قد اصبحت وإذا الليل على حاله فقمت أصلى وجلست ادعو وإذا بهاتف يهتف من خلفى ياعبد الله قل قلت ما أقول قال قل اللهم انى أسألك بأنك ملك وأنت على كل شىء قدير وما تشاء من أمر يكون قال سعيد فما دعوت به قط فى شىء إلا رأيت نجحه وعن الشيخ كمال الدين الدميرى قال روينا عن قاضى القضاة عز الدين بن جماعة قال أنبأنا الشيخ شرف الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن مناع الفزارى خطيب دمشق قال أنبأنا الشيخ زين الدين أبو البهاء خالد بن يوسف النابلسى بقراءتى عليه قال أنبأنا الحافظ بهاء الدين ناصر السنة محمد بن الإمام أبى محمد الحافظ أبى القاسم على بن الحسين بن هبة الله بن عساكر قراءة عليه وأنا أسمع قال رويت بالاسناد وذكر إسناده لى الإمام الحجة التابعى الجليل محمد بن سيرين قال نزلنا بثبير تيرا فأتانا أهل ذلك المنزل فقالوا لنا ارحلوا فإنه لم ينزل هذا المنزل أحد إلا أخذ متاعه فرحل أصحابى وتخلفت فلما أمسيت قرأت آيات فما تمت حتى رأيت أقواما قد اقبلوا وجاءوا الى جهتى أكثر من ثلاثين نفرا وقد جردوا سيوفهم فلم يصلوا إلى فلما أصبحت رحلت فلقينى شيخ على فرس ومعه قوس عربية فقال لى ياهذا إنسى أنت أم جنى فقلت أنا من بنى آدم قال فما بالك لقد أتيناك فى هذه الليلة أكثر

غضبا وهم فى الحال بقتله ثم عاوده حاكم عقله فتأنى فى فعله واستحضر خادما يعتمد عليه وقال إذا أرسلت اليك إنسانا ومعه طبق من ذهب وقلت لك على لسانه إملأ هذا الطبق مسكا فاقتل ذلك الإنسان واجعل رأسه فى الطبق وأحضره مغطى ثم أن الأمير أبا الجيش جلس لشربه وأحضر عنده ندماءه الخواص وأدناهم لمحس قوبه وأحمد اليتيم واقف بين يديه آمن فى سربه يحضر بخاطره شيء فلما مثل بين يدى الأمير وأخذ منه الشراب شرع فى التذكير فقال يا أحمد خذ هذا الطبق وامض به إلى فلان الخادم وقل له يقول لك أمير المؤمنين املأ هذا الطبق مسكا فأخذه أحمد اليتيم ومضى فاجتاز فى طريقه بالمغنين وبقية الندماء والخواص فقاموا اليه وسألوه الجلوس معهم فقال أنا ماض فى حاجة الأمير أمرنى باحضارها فى هذا الطبق فقالوا له أرسل من ينوب عنك فى احضاره وخذها أنت وادخل (٢٥٧) بها على الأمير فأدار عينيه فرأى الفتى الفراش الذى كان مع الجارية فأعطاه الطبق وقال له امض إلى فلان الخادم وقل له يقول لك الأمير املأ هذا الطبق مسكا فمضى ذلك الفراش إلى الخادم فذكر له ذلك فقتله وقطع رأسه وغطاه وجعله فى الطبق وأقبل به فناوله لأحمد اليتيم فأخذه وليس عنده علم من باطن الأمر فلما دخل به على الأمير كشفه وتأمله وقال ما هذا فقص عليه خبره وقعوده مع المغنين وبقية الندماء وسؤالهم الجلوس معهم وما كان من انفاذ الطبق وارساله مع الفراش وانه لا علم عنده غير ما ذكر قال أتعرف لهذا الفراش خبرا يستوجب به ما جرى عليه فقال أيها الأميران الذى تم عليه بما ارتكبه من الخيانة وقد كنت رأيت الأعراض عن أعلام الأمير بذلك واخذ أحمد يحدثه بما شاهده وما جرى لنا من حديث الجارية من أوله إلى آخره لما أنفذه لاحضار السبحة الجوهر فدعا الأمير أبو الجيش بتلك الجارية واستقرارها فأقرت بصحة ما ذكره أحمد فأعطاه إياها وأمره بقتلها ففعل وازدادت مكانة أحمد عنده وعلت منزلته لديه وضاعف احسانه اليه وجعل أزمة جميع ما يتملق بيديه (قلت) ويقرب من ذلك ما حكى أن ملكا من ملوك الفرس يقال أزدشير وكان ذا مملكة متسعة وجند كثيرة وكان ذا بأس شديد قد وصف له بنت ملك بحر الاردن بالجمال البارع وان هذه البنت بكر ذات خدر فسير أزدشير من يخطبها من أبيها فامتنع من اجابته ولم يرض بذلك فعظم ذلك على أزدشير وقسم بالأيمان المغلظة ليغزون الملك أبا البنت وليقتلنه هو وابنته شر قتلة وليمثلن بهما أخبث مثله فسار اليه أزدشير فى جيشه فقاتله فقتله أزدشير وقتل سائر خواصه ثم سأل عن ابنته المخطوبة فبرزت اليه جارية من القصر من أجل النساء وأكمل البنات حسنا وجمالا وقدا واعتدالا فبهت أزدشير

من سبعين مرة وفى كل ذلك يحال بيننا وبينك بسور من حديد قلت حدثنى ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال من قرأ فى ليلة ثلاثا وثلاثين آية لم يضره فى تلك الليلة لص طار ولا سبع ضار وعوفى نفسه وأهله وماله حتى يصبح فنزل عن فرسه وكسر قوسه وأعطى الله تعالى عهدا أن لا يعود لهذا الأمر وهذه الآيات وهى أن تقرأ بعد الفاتحة ألم ذلك الكتاب إلى قوله المفلحون وآية الكرسى وإلى قوله هم فيها خالدون وآمن الرسول إلى آخر السورة وأن ربكم الله الذى إلى قوله المحسنين قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن إلى آخر السورة والصافات صفا إلى قوله تعالى لازب ويا معشر الجن والإنس أن استطعتم إلى قوله فلا تنتصران لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا إلى آخرها وأنه تعالى جد ربنا إلى قوله شططا زاد البونى إلى قوله شهابا رصدا والله من ورائهم محيط إلى قوله محفوظ قال محمد بن سيرين فذكرت هذا الحديث لشعيب بن حرب فقال كنا نسميها آيات الحرز ويقال أن فيها شفاء من مائة داء وعدوا منها الجذام وغير ذلك قال محمد بن على فقرأتها على شيخ لنا قد أفلج فأذهب الله تعالى عنه ذلك الفالج قال البونى هذه الآيات شرفها مشهور وفضلها مذكور لا ينكرها إلا غبى أو غيور وقد جربها المشايخ وعرف سرها من له فى العلم قدم راسخ وقدر شامخ وهى على ما رويناه بل ما رأيناه أولها الفاتحة ثم أول البقرة إلى آخر الآيات ، وقال أبو العباس أحمد القسطلانى سمعت الشيخ أبا عبد الله القرشى يقول سمعت أبا زيد القرطبى يقول فى بعض الآثار ان من قال لا إله إلا الله سبعين مرة كانت فداءه من النار فعلمت ذلك رجاء بركة الوعد ففعلت منها لأهلى وعملت أعمالا ادخرتها لنفسى وكان اذ ذاك يبيت معنا شاب يكاشف بالجنة والنار وكانت الجماعة ترى له فضلا على صغر سنه وكان فى قلبى منه شيء فاتفق أن استدعانا بعض الاخوان إلى منزله فنحن نتناول الطعام والشاب معنا إذ صاح صيحة منكرة واجتمع فى نفسه وهو يقول يا عم هذه أمى فى النار ويصيح بصياح عظيم لا يشك من سمعه أنه عن أمر فلما رأيت ما به من الإنزعاج قلت اليوم أجرب صدقه فألهمنى الله تعالى السبعين الفا ولم يطلع على ذلك الا الله تعالى فقلت فى نفسى الاثر حق والذين رووه لنا صادقون اللهم إن هذه السبعين الفا فداء أم هذا الشاب من النار فما استتمت هذا الخاطر فى نفسى ان قال يا عم هذه أمى أخرجت من النار والحمد لله فحصل عندى فائدتان متحانى لصدق الاثر وسلامتى من الشاب وعلمى بصدقه ، ومن خاف انسانا فليصل ركعتين بعد صلاة المغرب ثم يضع

من رؤيته إياها فقالت له أيها الملك انى ابنة الملك الفلانى ملك المدينة وإن الملك الذى قتلته أنت قد غزا بلدنا وقتل أبى وقتل سائر
أصحابه قبل أن تقتله أنت وإنه أسرنى فى جملة الأسارى وأتى بى فى هذا القصر فلما رآنى أبنته التى أرسلت تخطبها أحبتنى وسألت
أباها أن يتركنى عندها لتأنس بى فتركنى لها فكنت أنا وهى كأننا روحان فى جسد واحد فلما أرسلت تخطبها خاف أبوها عليها
منك فأرسلها إلى بعض الجزائر فى البحر الملح عند بعض أقاربه من الملوك فقال أزدشير وددت لو أنى ظفرت بهـــا فكنت
أقتلها شر قتلة ثم أنه تأمل الجارية فرآها فائقة فى الجمال فمالت نفسه لها فأخذها للتسرى وقال هذه أجنبية من الملك ولا أحنث
فى يمينى فأخذها ثم أنه واقعها وأزال بكارتها فحملت منه فلما ظهر عليها الحمل اتفق أنها تحدثت معه يوما وقد رأته منشرح
الصدر فقالت له أنت غلبت أبى وأنا غلبتك فقال لها ومن أبوك فقالت له هو ملك بحر الأردن وأنا ابنته التى

خطبتها منه وانني سمعت إنك أقسمت لتقتلنى فتحملت عليك بما سمعت والآن هذا ولدك فى بطنى فلا يتهيأ لك قتلى فعظم ذلك على أزدشير إذ قهرته امرأة وتحايلت عليه حتى تخلصت من بين يديه فانتهرها وخرج من عندها مغضبا وعول على قتلها ثم ذكر لوزيره ما اتفق له معها فلما رأى الوزير عزمه قويا على قتلها خشى أن يتحدث الملوك عنه بهذا وانه لايقبل فيها شفاعة شافع فقال أيها الملك ان الرأى هو الذى خطر لك والمصلحة هى التى رأيتها أنت وقتل هذه الجارية فى هذا الوقت أولى وهو عين الصواب لأنه أحق من أن يقال ان امرأة قهرت رأى الملك وحنثته فى يمينه لأجل شهوة
النفس ثم قال ايها الملك ان صورتها مرحومة وحمل الملك معها وهى اولى فى الستر ولا ارى فى قتلها فلأن
اهون ولااسترعليها من الغرق فقال له الملك نعم مارايت خذها غرقها فأخذها الوزير ثم خرج ليلا إلى بحر الاردن ومعه ضوء
ورجال واعوان فتحيل إلى ان طرح شيئا فى البحر اوهم من معه انها الجارية ثم انه اخفاها عنده فلما اصبح جاء إلى الملك فاخبره
انه غرقها فشكره على فعله ثم إن الوزير ناول الملك حقا مختوما وقال ايها الملك انى نظرت مولدى فرايت اجلى قد دنا على
مايقتضيه حساب حكماء الفرس فى النجوم وإن لى اولادا وعندى مال قد ادخرته من نعمتك فخذه إذا مت ان رايت وهذا
الحق فيه جوهر اسأل الملك ان يقسمه بين اولادى بالسوية فانه إرثى الذى قد ورثته عن ابى وليس عندى شىء اكتسبته
منه إلا هذا الجوهر فقال له الملك بطول الرب فى عمرك ومالك لك ولاولادك اسواء كنت حيا اوميتا فألح عليه الوزيران يحمل

جبهته على التراب ويقول ياشديد المحال ياعزيز اذلت بعزتك جميع من خلقت صل على محمد وآله
وأكفنى فلانا بما شئت كفاه الله تعالى شره وروى الثقفى رحمه الله تعالى باسناده إلى محمد بن
على بن الحسين رضى الله تعالى عنه أنه كان يقول لولده يابنى من أصابته مصيبة فى الدنيا أو نزلت
به نازلة فليتوضأ وليحسن الوضوء وليصل أربع ركعات أو ركعتين فإذا انصرف من صلاته
يقول ياموضع كل شكوى وياسامع كل نجوى وياشاهد كل بلوى ويامنجى موسى والمصطفى
محمد والخليل إبراهيم عليهم السلام أدعوك دعاء من اشتدت فاقته وضعفت حركته وقلت حيلته دعاء
الغريب الغريق الفقير الذى لايجد لكشف ماهو فيه إلا أنت ياأرحم الراحمين لا إله إلا أنت سبحانك
إنى كنت من الظالمين قال على بن الحسين رضى الله عنهما لايدعو به مبتلى الافرج الله عنه وقيل الاسم
الاعظم هو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إنى اسألك يامؤنس كل وحيد ياقريبا غير بعيد ياشاهدا غير غائب
ياغالبا غير مغلوب ياحى ياقيوم يابديع السموات والأرض ياذا الجلال والاكرام أسألك باسمك باسم
الله الرحمن الرحيم الحى القيوم الذى لاتأخذه سنة ولا نوم وأسألك باسمك باسم الله الرحمن الرحيم الذى
عنت له الوجوه وخشعت له الاصوات ووجلت له القلوب أن تصلى على محمد وعلى آله وأن تعطينى كذا وكذا
إنك على كل شىء قدير وهذه أبيات الفرج لأحمد بن حمزة البوتى قيل أن فيها اسم الله الأعظم وهى هذه

انى لارجو عطفة الله ولا   أقول ان قيل متى ذاك متى   لابد أن ينشر ما كان طوى
جودا وأن يمطر ما كان خوى   وربما ينشر ما كان زوى   وربما قدر ما كان لوى
وكل شىء ينتهى إلى مدى   والشىء يرجى كشفه إذا انتهى   لطائف الله وان طال المدى
كلمحة الطرف إذا الطرف رنى   كم فرج بعد إياس قد أتى   وكم سرور قد أتى بعد الأسى
من لاذ بالله نجا فيمن نجا   من كل مايخشى ونال مارجا   سبحان من يهفوا ويعفو دائما
ولم يزل مهما هفا العبد عفا   يعطى الذى يخطى ولا يمنعه   جلاله من العطا لذى الخطا

(ومن المنظوم أيضا)

يامن يرى مافى الضمير ويسمع   أنت المعد لكل مايتوقع   يامن يرجى للشدائد كلها
يامن اليه المشتكى والمفزع   يامن خزائن رزقه فى قول كن   امنن فان الخير عندك أجمع
مالى سوى فقرى اليك وسيلة   فبالافتقار اليك فقرى ادفع   مالى سوى قرعى لبابك حيلة

الحق عنده وديعة فأخذه الملك ودعه عنده فى صندوق ثم مضت أشهر الجارية فوضعت ولدا ذكرا جميلا حسن الخلقة مثل القمر فلاحظ الوزير جانب الادب فى تسميته فرأى انه ان اخترع له اسما وسماه به وظهر لوالده بعد ذلك فيكون قد أساء الادب وان هو تركه بلا اسم لم يتهيأ له ذلك فسماه شاه بور ومعناه بالفارسية ابن ملك فان شاه ملك وبور ابن ولغتهم مبنية على تأخير المتقدم وتقديم المتأخر وهذه تسمية ليس فيها مؤاخذة ولم يزل الوزير يلاطف الجارية والولد إلى أن بلغ الولد حد التعليم فعلمه كل ما يصلح لأولاد الملوك من الخط والحكمة والفروسية وهو يوهم انه مملوك اسمه شاه بور إلى أن راهق البلوغ هذا كله وأزدشير ليس له ولد وقد طعن فى السن وأقعده الهرم فمرض وأشرف على الموت فقال للوزير أيها الوزير قد هرم جسمى وضعفت قوتى وانى أرى انى ميت لا محالة وهذا

الملك يأخذه بعدى من تضى له به فقال الوزير لو شاء الله ان يكون للملك ولد كان قد ولى بعده الملك ثم ذكره بأمر بنت ملك بحر الأردن وبحملها فقال الملك لقد ندمت على تفريقها ولو كنت أبقيتها حتى تضع فلعل حملها يكون ذكرا فلما شاهد الوزير من الملك الرضا قال أيها الملك انها عندى حية وقد ولدت ذكرا من أحسن الغلمان خلقا وخلقا فقال الملك أحق ما يقول فاقسم الوزير أن نعم ثم قال أيها الملك ان فى الولد روحانية تشهد بأبوة الآب وفى الولد روحانية تشهد ببنوة الابن لا يكاد ذلك ينخرم أبدا وانى آتى بهذا الغلام بين عشرين غلاما فى سنه وهيئته ولباسه وكلهم ذوو آباء معروفين خلا أباه وانى

فلئن رددت فأى باب أقرع ۞ ومن الذى ادعو وأهتف باسمه ۞ ان كان فضلك عن فقيرك يمنع

حاشا لجودك ان تقنط عاصيا	الفضل أجزل والمواهب أوسع
ثم الصلاة على النبى وآله	خير الانام ومن به يتشفع

(وقال آخر) ياخالق الخلق يارب العباد ومن	قد قال فى محكم التنزيل أدعونى
انى دعوتك مضطرا فخذ بيدى	ياجاعل الأمر بين الكاف والنون
تجيب أيوب من بلواه حين دعا	بصبر أيوب ياذا اللطف نجينى
وأطلق سراحى وامنن بالخلاص كما	تجيب من ظلمات البحر ذا النون

ثم يقرأ وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين قال بمضمم

يارب مازال لطف منك يشملنى	وقد تجدد بى ما أنت تعلمه
فاصرفه عنى كما عودتنى كرما	فمن سواك لهذا العبد يرحمه

(وقال آخر)

يامن تحل بذكره ۞ عقد النوائب والشدائد	يامن اليه المشتكى ۞ واليه أمر الخلق عائد
ياحى يا قيوم يا ۞ صمد تنزه عن مضادد	أنت الرقيب على العباد ۞ وأنت فى الملكوت واحد
أنت المعز لمن أطا ۞ عك والمذل لكل جاحد	انى دعوتك والهمو ۞ م جيوشك نحوى تطارد
فافرج بحولك كربتى ۞ يامن له حسن العوائد	فخفى لطفك يستعا ۞ ن به على الزمن المعاند
أنت الميسر والمسبب ۞ ب والمسهل والمساعد	يسر لنا فرجا قريبا يا إلهى لا تباعد
كن راحمى فلقد يئست من الأقارب والاباعد	ثم الصلاة على النبى وآله الغر الاماجد
وعلى الصحابة كلهم	ماخر للرحمن ساجد

(دعاء عظيم مأثور)

اللهم انى اشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس انت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى الى بغيض يتجهمنى أو إلى قوى ملكته أمرى إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا

أعطى كل واحد منهم صولجانا وكرة وآمرهم ان يلعبوا بين يديك فى مجلسك هذا ويتأمل الملك صورهم وخلقتهم وشمائلهم فكل من مالت إليه نفسك وروحانيتك فهو هو فقال الملك نعم التدبير الذى قلت فاحضرهم الوزير على هذه الصورة ولعبوا بين يدى الملك فكان الصبى فيهم إذا ضرب الكرة وقربت من مجلس الملك منعه الهيبة ان يتقدم ليأخذها إلا شاه بور فانه كان إذ ضرب وجاءت عند مرتبة أبيه تقدم فأخذها ولا تأخذه الهيبة منه فلاحظ أزدشير ذلك منه مرارا فقال أيها الغلام ما اسمك قال شاه بور فقال له صدقت أنت ابنى حقا ثم ضمه إليه وقبله بين عينيه فقال له الوزير هذا ابنك أيها الملك ثم أحضر بقية الصبيان ومعهم عدول فاثبت لكل صبى منهم والدا بحضرة الملك فتحقق الصدق فى ذلك ثم جاءت الجارية وقد تضاعف حسنها وجمالها فقبلت يد الملك فرضى عنها فقال أيها الملك قد دعت الضرورة فى الوقت إلى احضار الحق المختوم فأمر الملك

باحضاره ثم أخـــذه الوزير وفتح ختمه وفتحه فاذا فيه ذكر الوزير وأنثياه مقطوعة مصانة فيه من قبل أن يتسلم الجارية من الملك واحضر عدولا من الحكماء وهى الذين كانوا فعلوا به ذلك فشهدوا عنه الملك بان هذا الفعل فعلناه به من قبل أن يتسلم الجارية بليلة واحـــدة قال فدهش الملك ازدشير وبهت لما أبداه الوزير من قوة النفس فى الخـــدمة وشدة نصحه فزاد سروره وتضاعف فرحه لصيانة الجارية واثبات نسب الولد ولحرقه به ثم ان الملك عوفى من مرضه الذى كان به وصح جسمه ولم يزل يتقلب فى نعمه وهو مسرور بابنه الى ان حضرته الوفاة ورجع الملك الى ابنه شاه بور بعـــد موت ابيه وصار ذلك الوزير يخدم ابن الملك ازدشير وشاه بور يحفظ مقامه ويرى منزلته حتى توفاه الله تعالى (قلت

(٢٦٠)

ومن بديـــع ماجاء فى المكافأة على الصنيع ماحكى عن الحسن بن سهل قال كنت عند يحيى بن خالد البرمكى وقد خلا فى مجلسه لاحكام أمر من أمور الرشيد فبينما نحن جلوس اذ دخل عليه جماعة من أصحاب الحوائج فقضاها لهم ثم توجهوا لشأنهم فكان آخرهم قياما أحمـــد ابن أبى خالد الأحول فنظر يحيى اليه والتفت الى الفضل ابنه وقال يابنى ان لابيك مع أبى هذا الفتى حديثا فاذا فرغت من شغلى هذا فاذكرنى أحدثك به فلما فرغ من شغله قال له ابنه الفضل أعزك الله يا أبى أمرتنى أن أذكرك حديث أبى خالد الاحوال قال نعم يا بنى لما قدم أبوك من العراق أيام المهدى كان فقيرا لا يملك شيئا فاشتد بى الامر الى أن قال لى من فى منزلى انا قد كتمنا حالنا وزاد ضررنا ولنا ثلاثة أيام ما عندنا شىء نقتاته قاو فبكيت يابنى لذلك بكاء شديدا وبقيت وهان حيران مطرقا مفكرا ثم تذكرت منديلا كان عندى فقلت لهم ما حال المنديل فقالوا هو باق عندنا فقلت أدعوه الى فأخذته ودفعته الى بعض أصحابى وقلت له بعه بما تيسر فبـــاعه بسبعة عشر درهما فدفعتها الى أهلى وقلت أنفقوها الى أن يرزق الله غيرها ثم بكرت من الغد الى باب ابى خالد وهو يومئذ وزير المهدى فاذا الناس وقوف على داره ينتظرون خروجه فخرج عليهم راكبا فلما رآنى سلم وقال كيف حالك فقلت يا أبا خالد ما حال رجل يبيع من منزله بالامس منديلا بسبعة عشر درهما فنظر إلى نظرا شـــديدا وما أجابنى جوابا فرجعت إلى اهلى كسير القلب وأخبرتهم بما اتفق لى مع أبى خالد

والاخرة من أن يحل بى غضبك أو ينزل بى سخطك فلك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة لنا الا بك يارب العالمين

وبما جاء فى أدعية الناس بعضهم لبعض) دعا رجل لآخر فقال سرك الله بما ساءك ولا ساءك فيما سرك ودعا رجل لآخر فقال لا أخلاك الله تعالى من ثناء صادق باق ودعاء صالح واق ٭ ودعى أعرابى لآخر فقال رحب واديك وعز ناديك ولا ألم بك ألم ولا طاف بك عدم وسلمك الله ولا أسلمك وسمعت بعض العرب يدعو لرجل ويقول سلمك الله تعالى من الرهق والوهق وعافاك الله تعالى من الوحل والزحل وسلمك الله من الشاردات والواردات وسلمك الله بين الأعنة والأسنة ودعى أعرابى لعبد الله بن جعفر رضى الله عنه فقال لا ابتلاك الله تعالى ببلاء يعجز عنه صبرك وأنعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك وأبقاك ما تعاقب الليل والنهار وتفاسخت الظلم والأنوار ودعا بعضهم لآخر فقال زودك الله تعالى الأمن فى مسيرك والسعد فى مصيرك ولا أخلاك من شهر تسجده وخير من الله تستمده وعزى شبيب بن شبة يهوديا فقال أعطاك الله على مصيبتك أفضل ما أعطى أحدا من أهل ملتك

(وبما جاء فى الدعاء على الأعداء والظلمة ونحوهم دعا أعرابى على ظالم فقال لاترك الله لك شفرا ولا ظفرا أى عينا ولا يدا ومن دعاء العرب فته الله فتا وحته حتا وجعل أمره شتى وخرج أعرابى إلى سفر وكانت امرأة تكرهه فأتبعته نواة وقالت شط بواك ونأى سفرك ثم اتبعته روثة وقالت رثتك أهلك وورد خيرك ثم تبعته حصاة وقالت حاص رزقك وحص أثرك ودعا أعرابى على آخر فقال أطفأ الله ناره وخلع نعليه أى جعله أعمى مقعدا ودعا أعرابى على آخر فقال سقاه الله دم جوفه أى قتل ابنه وأخذ ديته فشرب لبنها ودعا اعرابى على آخر فقال بعث الله عليه سنة قاشورة تحلقه كما يحلق الشعر بالنورة ودعا رجل على أمير فقال

أزال الله دولته سريعا ... فقد ثقلت على عنق الليالى

(وقالت امرأة من بنى ضبة فى زوجها)

وما دعوت عليه حين ألعنه ... الا وآخر يتلوه بآمين

فليته كان ارض الروم منزله ... وليتنى قبله قد صرت للصين

وقال رسول الله ﷺ فى خطبته يوم الأحزاب اللهم كل سلاحهم واضرب وجوههم ومرقهم فى البلاد

فقالوا بئس والله مافعلت توجهت إلى رجل كان يرتضيك لأمر جليل فكشف له سرك وأطلعته على مكنون أمرك فازريت غنده بنفسك وصغرت عنده منزلتك بعد أن كنت عنده جليلا فما يراك بعد اليوم إلا بهذه العين فقلت قد مضى الأمر الآن عالايمكن استدراكه فلما كان من الغد بكرت إلى باب الخليفة فلما بلغت الباب استقبلنى صاحب أبى خالد فقال لى أين تكون قد أمرنى أبو خالد باجلاسك إلى أن يخرج من عند أمير المؤمنين فجلست حتى خرج فلما رآنى دعانى وأمرلى بمركوب فركبت وسرت معه إلى منزله فلما نزل قال على بفلان وفلان الخياطين فأحضرا فقال لهما ألم تشتريا منى غلات السود بثمانية عشر ألف ألف درهم قالا نعم قال لم أشترط عليكما شركة رجل معكما قالا بلى قال هو هذا الرجل الذى اشترطت شركته لكما ثم قال قم معهما فلما خرجنا قالا لى ادخل معنا بعض المساجد حتى نكلمك فى أمر يكون لك فيه الربح الهنىء فدخلنا مسجدا فقالا لى انك تحتاج فى هذا الأمر إلى وكلاء وأمناء وكيالين وأعوان ومؤن لم تقدر منها على شىء فهل لك أن تبيعنا شركتك بمال نعجله لك فتنتفع به ويسقط عنك التعب والتكلف فقلت لهما وكم تبذلان لى فقالا مائة ألف درهم فقلت لا أفعل فمازالا يزيدانى وأنا لا أرضى الى أن قالا لى ثلثمائة ألف درهم ولا زيادة عندنا على هذا فقلت حتى أشاور أبا خالد قالا ذلك لك فرجعت اليه وأخبرته فدعا بهما وقال لهما هل وافقتماه على ما ذكر قالا نعم قال اذهبا فاقبضاه المال الساعة ثم قال لى أصلح أمرك وتهيأ قد قلدتك العمل فأصلحت شأنى وقلدنى ماوعدنى فما زلت فى زيادة حتى صار أمرى الى ما صار ثم قال لولده الفضل يا بنى فما تقول فى ابن من فعل بأبيك هذا الفعل وما جزاؤه قال حق لعمرى وجب عليك له فقال والله ياولدى ماأجد له مكافأة غير أن أعزل نفسى وأوليه ففعل ذلك وهكذا تكون المكافأة (ومن ذلك ماحكى عن العباس صاحب شرطة المأمون) قال دخلت يوما إلى مجلس أمير المؤمنين ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد فلما رآنى قال لى ياعباس قلت لبيك ياأمير المؤمنين قال خذ هذا اليك فاستوثق منه واحتفظ وبكر به الى فى غد واحترز عليه كل الاحتراز قال العباس فدعوت جماعة فحملوه ولم يقدر أن يتحرك فقلت فى نفسى مع هذه الوصية التى أوصانى بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب الا ان يكون معى فى بيتى فأمرتهم فتركوه فى مجلس لى فى دارى ثم أخذت أسأله عن قضيته وعن حاله ومن أين هو فقال من دمشق فقلت جزى

البلاد تمزيق الريح للجراد ودعا رجل فقال اللهم اعداءنا ومن أرادنا بسوء فلتحط به ذلك السوء احاطة القلائد بترائب الولائد ثم ارسخه على هامته كرسوخ السجيل على هام أصحاب الفيل وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولنختم هذ الباب بهذا الدعاء المبارك وهو اللهم انك عرفتنا بربوبيتك وغرقتنا فى بحار نعمتك ودعوتنا الى دار قدسك ونعمتنا بذكرك وأنسك الهى ان ظلمة ظلمنا لنفوسنا قد عمت وبحار الغفلة على قلوبنا قد طمت والعجز شامل والحصر حاصل والتسليم أسلم وأنت بالحال أعلم الهى ماعصيتك جهلا بعقابك ولا تعرضا لعذابك ولكن سولتها نفوسنا وأعانتنا شقوتنا وغرنا سترك علينا وأطمعنا فى عفوك برك بنا فالان من عذابك من ينقذنا وبحبل من نعتصم ان قطعت حبلك عنا واخجلتاه غدا من وقوف بين يديك وافضيحتاه ان عرضت فعالنا القبيحة عليك اللهم اغفر ماعلمت ولا تهتك ماسترت الهى ان كنا عصيناك بجهل فقد دعوناك بعقل حيث علمنا أن لنا ربا يغفر لنا ولا يبالى الهى تحرق بالنار وجها كان لك مصليا ولسانا كان لك ذاكرا وداعيا لا بالذى دلنا عليك وأمرنا بالخشوع بين يديك وهو محمد ﷺ خاتم أنبيائك وسيد أصفيائك فان حقه علينا أعظم الحقوق بعد حقك كما أن منزلته لديك أشرف المنازل وسيد خلقك ومعدن أسرارك صل يارب على محمد وآله وأصحابه وارحم عبادا غرهم طول أمهالك وأطمعهم كثرة افضالك فقد ذلوا لعزك رجالك ومدوا أكفهم لطلب نوالك ولولا ذلك لم يصلوا الى ذلك اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والسبعون فى القضاء والقدر وأحكامه والتوكل على الله عز وجل)

اعلم ان كل يجرى فى العالم من حركة وسكون وخير وشر ونفع وضر وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكل بقضاء الله وقدره كذلك فلا طائر يطير بجناحيه ولا حيوان يدب على بطنه ورجليه ولا تطن بعوضة ولا تسقط ورقة الا بقضائه وقدره وارادته ومشيئته كما لا يجرى شىء من ذلك الا وقد سبق علمه به واعلم أن كل ماقضاه الله تعالى وقدره فهو كائن لا محالة كما أن ما فى علم الله تعالى يكون فهو كائن قريب وماقدر الله وصوله اليك بعد الطلب فهو لا يصل اليك إلا بالطلب والطلب أيضا من القدر فان تعسر شىء فبتقديره وأن اتفق شىء فبتيسيره فمن رام أمرا من الأمور ليس الطريق فى تحصيله انه يغلق بابه عليه ويفوض أمره لربه وينتظر حصول ذلك الأمر بل أن يشرع فى طلبه على الوجه

الله دمشق وأهلها خيرا فمن أنت من أهلها قال وعمن تسأل قلت وعمن تسأل قلت أتعرف فلانا قال ومن أين تعرف ذلك الرجل قلت لي معه قضية فقال ما كنت بالذي اعرفك خبره حتى تعرفني عن قضيتك معه فقال ويحك كنت مع بعض الولاه بدمشق فبغى أهلها وخرجوا علينا حتى أن الوالي تدلى في زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو وأصحابه وهربت في جملة القوم فبينما أنا هارب في بعض الدروب وإذا بجماعة يعدون خلفي فما زلت أعدو أمامهم حتى فتهم فمررت بهذا الرجل الذي ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت أغثني أغاثك الله قال لا بأس عليك ادخل الدار فدخلت فقالت زوجته ادخل تلك المقصورة فدخلتها ووقف الرجل على باب الدار فما شعرت إلا وقد دخل الرجال معه يقولون هو والله عندكم فقال دونكم الدار ففتشوها ففتشوها حتى لم يبق سوى تلك المقصورة وامرأته فيها فقالوا ههنا فصاحت بهم المرأة نهرتهم فانصرفوا وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة وأنا قائم أرجف ما تحملني رجلاي من شدة الخوف فقالت المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم ألبث حتى دخل الرجل فقال لا تخف قد صرف الله عنك شرهم وصرت إلى الأمن والدعة ان شاء الله تعالى فقلت له جزاك الله خيرا فما زال يعاشرني أحسن معاشرة وأجملها وافرد لي مكانا في داره ولم يحوجني الى شيء ولم يفتر عن تفقد أحوالي فأقمت عنده أربعة أشهر في أرغد عيش وأهنئه الى ان سكنت الفتنة وأهدأت وزال أثرها فقلت له أتأذن لي في الخروج حتى اتفقد حال غلماني فلعلي اقف منهم على خبر فأخذ على المواثيق بالرجوع فخرجت وطلبت غلماني فلم أر لهم أثرا فرجعت اليه وأعلمته الخبر وهو مع هذا كله لا يعرفني ولا يسألني ولا يعرف اسمي ولا يخاطبني الا بالكنية فقال لي علام تعزم فقلت قد عزمت على التوجه الى بغداد فقال ان القافلة بعد ثلاثة أيام تخرج وها أنا قد أعلمتك فقلت له انك قد تفضلت عني هذه المدة ولك علي عهد الله اني لا أنسى لك هذا الفضل ولأفينك مهما استطعت قال فدعا غلاما له أسود وقال له أسرج الفرس الفلاني ثم جهزا له السفر فقلت في نفسي أظن أنه يريد أن يخرج الى ضيعة له أو ناحية من النواحي فأقاموا يومهم ذلك في كد وتعب فلما كان يوم خروج القافلة جاءني في السحر وقال لي يا فلان قم فان القافلة تخرج الساعة وأكره أن تنفرد عنها فقلت في نفسي كيف أصنع وليس معي ما أتزود به ولا ما أكرى به مركوبا ثم قمت فاذا هو وامرأته يحملان بقجة من أفخر الملابس وخفين جديدين وآلة السفر ثم جاءني بسيف ومنطقة فشدهما

الذي شرعة له فيه وقد ظاهر النبي ﷺ بين درعين واتخذ خندقا حول المدينة حين تحزبت عليه الأحزاب يحترس به من العدو وأقام الرماة يوم أحد ليحفظوه من خالد بن الوليد وكان يلبس لامة الحرب ويهيء الجيوش ويأمرهم وينهاهم لما فيه من مصالحهم واسترقى وأمر بالرقية وتداوى وأمر بالمداواة وقال الذي أنزل الداء أنزل الدواء فان قيل قد روى أن النبي ﷺ قال استرقى أو اكتوى فهو بريء من التوكل قلنا أليس قد قال اعقلها وتوكل فان قيل فما الجمع بين ذلك قلنا معناه استرقى أو أكتوى متكلا على الرقية أو الكي وأن البرء من قبلهما خاصة فهذا يخرجه عن التوكل وإنما يفعله كافر يضيف الحوادث إلى غير الله وقد أمرنا بالكسب والتسبب ألا ترى أن الله قال لمريم عليها السلام وهزي إليك بجذع النخلة فهلا امرها بالسكون وحمل الرطب إلى فمها وأنشدوا في ذلك :

ألم ترى أن الله قال لمريم ... هزي اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هز ... جنته ولكن كل شيء له سبب

وقد تقدم هذا الشعر في الكسب والتسبب ولهذا قال رسول الله ﷺ لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فلم يحمل أرزاقها اليها في أوكارها بل ألهمها طلبه بالغدو والرواح وقد جمعوا بين الطلب والقدر فقالوا انهما كالعدلين على ظهر الدابة ان حمل في واحد منهما ارجح مما في الآخر سقط حمله وتعب ظهره وثقل عليه سفره وان عادل بينهما سلم ظهره ونجح سفره وتمت بغيته وضربوا فيه مثالا عجيبا فقالوا أن أعمى ومقعدا كانا في قرية بفقر وضر لا قائد للأعمى ولا حامل للمقعد وكان في القرية رجل يطعمهما قوتهما في كل يوم احتسابا لله تعالى فلم يزالا بنعمة الى أن هلك ذلك الرجل فلبثا بعده أياما واشتد جوعهما وبلغ الضر منهما جهده فأجمع رأيهما على أن الأعمى يحمل المقعد فيدله المقعد على الطريق ببصره فاشتغل الأعمى بحمل المقعد ويدور به ويرشده إلى الطريق وأهل القرية يتصدقون عليهما فنجح أمرهما ولولا ذلك لهلكا فكذلك القدر وسببه الطلب والطلب سببه القدر وكل واحد منهما معين لصاحبه ألا ترى أن من طلب الرزق والولد ثم قعد في بيته لم يطأ زوجته ولم يبذر أرضه معتمدا في ذلك على الله واثقا به أن تلد امرأته من غير مواقعة وأن ينبت الزرع من غير بذر كان عن المعقول خارجا ولأمر الله كارها قال الغزالي أما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم وقد ادخر

رسول

فى وسطى ثم قدم بغلا لحمل عليه صندوقين وفوقهما فرش ورفع إلى نسخة بما فى الصندوقين وفيها خمسة آلاف درهم
وقدم إلى الفرس الذى كان جهزه وقال اركب وهذا الغلام الاسود يخدمك ويسوس مركوبك واقبل هو وامرأته
يعتذران إلى من التقصير فى أمرى وركب معى يشيعنى وانصرفت إلى بغداد وأنا أتوقع خبره لأنى بعهدى له فى مجازاته
ومكافأته واشتغلت مع أمير المؤمنين فلم اتفرغ ان أرسل اليه من يكشف خبره فلهذا أنا أسأل عنه فلما سمع الرجل الحديث
قال لقد أمكنك الله تعالى من الوفاء له ومكافأته على فعله ومجازاته على صنعه بلا كلفة عليك ولا مؤنة تلزمك فقلت
وكيف ذلك قال أنا ذلك الرجل وانما الضر الذى أنا فيه غير عليك حالى وما كنت تعرفه منى ثم لم يزل يذكر لى تفاصيل
الاسباب حتى أثبت معرفته فما تمالكت ان قمت وقبلت رأسه ثم قلت له فما الذى آل بك إلى ما أرى
فقال هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التى كانت فى أيامك فنسبت إلى وبعث أمير المؤمنين بجيوش فاصلحوا البلد واخذت أنا وضربت إلى أن أشرفت على الموت وقيدت وبعث بى إلى أمير المؤمنين وأمرى عنده عظيم وخطبى لديه جسيم وهو قاتلى لا محالة وقد أخرجت من عند أهلى بلا وصية وقد تبعنى من غلمانى من ينصرف إلى أهلى بخبرى وهو نازل عند فلان فان رأيت أن تجعل من مكافأتك لى ان ترسل من يحضره حتى أوصيه بما أريد فاذا أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافأة وقمت لى بوفاء عهدك قال العباس قلت يصنع الله خيرا ثم أحضر حدادا فى الليل فك قيوده
 وأزال ما كان فيه من الانكال وأدخله حماما وألبسه من الثياب ما احتاج اليه ثم أرسل من أحضر اليه
غلامه فلما رآه جعل يبكى ويوصيه فاستدعى نائبه وقال على بالفرس الفلانى والبغلة الفلانية حتى عد عشرا ثم عشرة ومن
الصناديق ومن الكسوة كذا وكذا ومن الطعام كذا وكذا قال ذلك الرجل وأحضر لى بدرة عشرة آلاف درهم وكيسا فيه
خمسة آلاف دينار وقال لنائبه فى الشرط خذ هذا وشيعه الى حد الانبار فقلت له ان ذنبى عند أمير المؤمنين عظيم وخطبى
جسيم وان أنت احتججت بأنى هربت بعث أمير المؤمنين فى طلبى كل من على بابه فأرادوا قتلى فقال لى انج بنفسك ودعنى
أدبر أمرى فقلت والله لا أبرح من بغداد حتى أعلم ما يكون من خبرك فان احتجت إلى حضورى حضرت فقال لصاحب
الشرطه ان كان الامر على ما يقول فليكن

رسول الله ﷺ قوت سنة ونهى أم أيمن وغيرها ان تدخر شيئا وقال أنفق يا بلال لا تخش من ذى
العرش اقلالا وقال عبد الله بن الفرج اطلعت على ابراهيم بن أدهم وهو فى بستان بالشام فوجدته
مستلقيا على قفاه واذا بحية فى فمها باقة نرجس فما زالت تذب عنه حتى انتبه فحسبك توكل يؤدى إلى
هذا * وعن عبد الله الهروى قال كنا مع الفضيل بن عياض على جبل أبى قبيس فقال لو ان رجلا
صدق فى توكله على الله ثم قال لهذا الجبل اهتز لاهتز فوالله لقد رأيت الجبل اهتز وتحرك فقال له الفضيل
رحمه الله تعالى لم أعنك رحمك الله فسكن * وفى الاسرائيليات ان رجلا احتاج إلى أن يقترض ألف
دينار فجاء إلى رجل من المتمولين فسأله فى ذلك وقال له تمهل على بدينك إلى أن أسافر إلى البلد الفلانى
فان مالا آتيك به وأوفيك منه وتكون مدة الأجل بينى وبينك كذا وكذا فقال له هذا غرر فأنا
ما أعطيك مالى الا أن تجعل لى كفيلا ان لم تحضر طلبته منه فقال الرجل الله كفيل بما لكم وشاهد على
أن لا اغفل عن وفائك فان رضيت فافعل فداخل الرجل خشية الله تعالى وحمله التوكل على أن دفع المال
الوجل فأخذه ومضى الى البلد الذى ذكره فلما قرب الأجل الذى بينه وبين صاحبه جهز المال وقصد
السفر فى البحر فعسر عليه وجود مركب ومضت المدة وبعدها أيام وهو لا يجد مركبا فاغتم لذلك
وأخذ الالف دينار وجعلها فى خشبة وسمر عليها ثم قال اللهم انى جعلتك كفيلا بايصال هذا الى
صاحبها وقد تعذر على وجود مركب وعزمت على طرحها فى البحر وتوكلت عليك فى ايصالها اليه ثم
نقش على الخشبة رسالة إلى صاحبها بصورة الحال وطرحها فى البحر بيده وأقام فى البلد مدة بعد ذلك
إلى أن جاءت مركب فسافر فيها إلى صاحب المال فابتدأه وقال أنت سيرت الالف دينار فى خشبة
صفتها كيت وكيت وعليها منقوش كذا وكذا قال نعم قال قد أوصلها الله تعالى الى والله نعم الكفيل
فقال فكيف وصلت اليك فان لما مضى الاجل المقدر بينى وبينك بقيت أتردد إلى البحر لاجدك أو اجد
من يخبرنى عنك فوقفت ذات يوم إلى الشط واذا بالخشبة قد استندت إلى ولم أرها طالبا فأخذها الغلام
ليجعلها حطبا فلما كسرها وجدها فيها فاخبرنى بذلك فقرأت ما عليها فعلمت ان الله تعالى حقق أملك لما
توكلت عليه حق التوكل وقيل ان سبب بداية ذى النون المصرى رحمه الله تعالى أنه رأى طيرا أعمى
بعيدا عن الماء والمرعى فبينما هو يتفكر فى أمر ذلك الطائر فاذا هو بسكرجتين برزتا
من الأرض احداهما ذهب والأخرى فضة هذه فيها ماء والأخرى فيها قمح فالتقط

فى موضع كذا فان أنا أسلمت فى غداة غد أعلمته وان أنا قتلت فقد وقيته بنفسى كما وقانى بنفسه وأنشدك الله أن لا يذهب من ماله درهم وتجتهد فى إخراجه من بغداد قال الرجل فأخذنى صاحب الشرطة وصيرنى فى مكان أثق به وتفرغ العباس لنفسه تحنط وجهز له كفناً قال العباس فلم أفرغ من صلاة الصبح الا ورسل المأمون فى طلبى يقول لك أمير المؤمنين هات الرجل معك وقم قال فتوجهت إلى دار أمير المؤمنين فاذا هو جالس عليه ثيابه وهو ينتظرنا فقال أين الرجل فسكت وقال ويحك أين الرجل فقلت يا أمير المؤمنين اسمع منى فقال لله على عهد لئن ذكرت أنه هرب لأضربن عنقك فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ما هرب ولكن اسمع حديثى وحديثه ثم شأنك وما تريد أن تفعله فى أمرى فقال قل فقلت يا أمير المؤمنين كان من حديثى معه كيت وكيت وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته إننى أريد أن أوفى له وأكافئه على مافعله معى وقلت أنا وسيدى ومولاى أمير المؤمنين بين أمرين إما أن يصفح عنى فأكون قد وافيت وكافأت وإما أن يقتلنى فأقيه بنفسى وقد تحنطت وها كفنى يا أمير المؤمنين فلما سمع المأمون الحديث قال ويلك لاجزاك الله عن نفسك خيرا انه فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهذا لاغير لاهلا عرفتنى خبره فكنا نكافئه عنك ولا نقصر فى وفائك له فقلت يا أمير المؤمنين أنه ههنا قد حلف أن لا يبرح حتى يعرف سلامتى فإن احتجت إلى حضوره حضر فقال المأمون وهذه منة أعظم من الأول اذهب الآن اليه فطيب نفسه وسكن روعه وائتنى به حتى أتولى مكافأته قال العباس فأتيت اليه وقلت له ليزل خوفك أن أمير المؤمنين قال كيت وكيت فقال الحمد لله الذى لا يحمد على السر والضراء سواه ثم قام فصلى ركعتين ثم ركب وجئنا فلما مثل بين يدى أمير المؤمنين أقبل عليه وأدناه منه وحدثه حتى حضر الغداء وكل معه وخلع عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستعفى فأمر له المأمون بعشرة أفراس بسروجها ولجمها وعشر بغال بآلاتها وعشر بدر وعشرة آلاف دينار وعشرة مماليك بدوابهم وكتب إلى عامله بدمشق بالوصية به وإطلاق إخراجه وأمره بمكاتبته بأحوال دمشق فصارت كتبه تصل إلى المأمون وكلما وصلت خريطة البريد وفيها كتابه يقول لى يا عباس هذا كتاب صديقك والله تعالى أعلم (ومن عجائب هذا الأسلوب وغرائبه) ما أورده محمد بن القاسم الانبارى رحمه الله تعالى ان صوارا صاحب رحبة سوار وهو من المشهورين قال انصرفت يوما من دار الخليفة المهدى فلما دخلت منزلى دعوت بالطعام فلم تقبله نفسى

القمح وشرب الماء ثم غابا بعد ذلك فذهل ذو النون وانقطع إلى الله تعالى من ذلك الوقت

(وحكى) أن رجلا من أبناء الناس كانت له يد فى صناعة الصياغة وكان أوحد أهل زمانه فساء حاله وافتقر بعد غناه ففكره الاقامة فى بلده فانتقل إلى بلد آخر فسأل عن سوق الصاغة فوجد دكانا لمعلم السلطنة وتحت يده صناع كثيرة يعملون الاشغال للسلطنة وله سعادة ظاهرة ما بين مماليك وخدم وقماش وغير ذلك فتوصل الصانع الغريب إلى أن بقى من أحد الصناع الذين فى دكان هذا المعلم وأقام يعمل عنده مدة وكلما فرغ النهار دفع درهمين من فضة وتكون أجرة عمله تساوى عشرة دراهم فيكسب عليه ثمانية دراهم فى كل يوم فاتفق أن الملك أن طلب المعلم وناوله فردة سوار من ذهب مرصعة بفصوص فى غاية من الحسن قد عملت فى غير بلاده كانت فى يد احدى محاظيه فانكسرت فقال له الحمها فأخذها المعلم وقد اضطرب عليه فى عملها فأخذها وأراها للصناع الذين عنده وعند غيره فما قال له أحد أنه يقدر على عملها فازداد المعلم لذلك غماً ومضت مدة وهى عنده لا يعلم مايصنع فاشتد الملك على احضارها وقال هذا المعلم نال من جهتنا هذه النعمة العظيمة ولا يحسن أن يلحم سوارا فلما رأى الصانع الغريب شدة ما نال المعلم قال نفسه هذا وقت المروءة اعملها ولا أؤاخذه ببخله وعدم انصافه ولعله يحسن إلى بعد ذلك فحط يده فى درج المعلم وأخذها وفك جواهرها وسبكها ثم صاغها كما كانت ونظم عليها جواهرها فعادت أحسن ما كانت فلما رآها المعلم فرح فرحا شديدا ثم مضى بها إلى الملك فلما رآها استحسنها وادعى المعلم انها صنعته فأحسن اليه وخلع عليه خلعة سنية لجاه وجلس مكانه فبقى الصانع يرجو مكافأته عما عامله به فما التفت اليه المعلم ولما كان النهار مازاده عن الدرهمين شيئا فما مضت إلا أيام قلائل واذا الملك اختار أن يعمل زوجين أساور على تلك الصورة فطلب المعلم ورسم له بكل ما يحتاج اليه وأكد عليه تحسين الصفة وسرعة العمل فجاء إلى الصائغ وأخبره بما قال الملك فامتثل مرسومه ولم يزل منتصبا إلى أن عمل الزوجين وهو لا يزيده شيئا على الدرهمين فى كل يوم يشكره ولا يعده بخير ولا يتجمل معه فرأى المصلحة أن ينقش على زوج منهما أبياتا يشرح فيها حاله ليقف عليها الملك فنقش فى باطن أحدهما هذه الأبيات نقشا خفيفا يقول :

مصائب الدهر كفى ... ان لم تكفى فعفى ... خرجت أطلب رزقى ... وجدت رزقى توفى

فلا برزق أحظى ... ولا بصنعة كفى ... كم جاهل فى الثريا ... وعالم متخفى

فأمرت به فرفع ثم دعوت جارية كنت أحب حديثها وأحبها وأشتغل بها فلم تطب نفسي فدخل وقت القائلة فلم يأخذني النوم فنهضت وأمرت ببغلة لي فأسرت فركبتها فلما خرجت من المنزل استقبلني وكيل لي ومعه مال فقلت ماهذا فقال ألفا درهم جبيتها من مستغلك الجديد قلت أمسكها معك واتبعني وأطلقت رأس البغلة حتى عبرت الجسر ثم مضيت في شارع دار الرقيق حتى انتهيت الى الصحراء ثم رجعت إلى باب الأنبار وانتهيت إلى باب دار نظيف عليه شجرة وعلى الباب خادم فعطشت فقلت للخادم أعندك ماء تسقينيه قال نعم ثم دخل وأحضر قلة نظيفة طيبة الرائحة عليها منديل فناولني فشربت وحضر وقت العصر فدخلت مسجدا على الباب فصليت فيه فلما قضيت صلاتي إذا أنا بأعمى يلتمس فقلت ماتريد ياهذا قال إياك أريد قلت فما حاجتك فجاء حتى

جلس إلى جانبي وقال شممت منك رائحة طيبة فظننت أنك من أهل النعيم فأردت أن أحدثك بشيء فقلت قل قال ألا ترى إلى باب هذا القصر قلت نعم قال هذا قصر كان لأبي فباعه وخرج إلى خرسان وخرجت معه فزالت عنا النعم التي كنا فيها وعميت فقدمت هذه المدينة فأتيت صاحب هذه الدار لأسأله شيئا يصلني به وأتوصل إلى سوار فانه كان صديقا لأبي فقلت ومن أبوك قال فلان ابن فلان فعرفته فإذا هو كان من أصدق الناس إلي فقلت له يا هذا إن الله تعالى قد أتاك بسوار منعه من الطعام والنوم والقرار حتى جاء به فأقعده بين يديك ثم دعوت الوكيل فأخذت الدراهم منه فدفعتها اليه وقلت له اذا كان الغد فسر الى منزلي ثم مضيت وقت ماأحدث أمير المؤمنين بشيء أظرف من هذه فأتيته فاستأذنت عليه فأذن لي فلما دخلت عليه حدثته بما جرى لي فاعجبه ذلك وأمرلي بألفي دينار فأحضرت فقال ادفعهما الى الاعمى فنهضت لاقوم فقال اجلس فجلست فقال أعليك دين قلت نعم قال كم دينك قلت خمسون الفا فحادثني ساعة وقال امض الى منزلك فمضيت الى منزل فاذا أنا بخادم معه خمسون الفا وقال يقول لك أمير المؤمنين اقض بها دينك قال فقبضت منه ذلك فلما كان من الغد أبطأ على الاعمى وأتاني رسول المهدي يدعوني فجئته فقال قد فكرت البارحة في أمرك فقلت يقضي

قال وعزم الصانع على انه ظهرت الابيات للمعلم شرح له ماعنده وإن غم عليه ولم يرها كان ذلك سبب توصله إلى الملك ثم لفهما في قطن وناولها للمعلم فرأى ظاهرهما ولم ير باطنهما لجهله بالصنعة ولماسبق له في القضاة فأخذهما المعلم ومضى بهما فرحا الملك وقدمهما اليه فلم يشك الملك في انهما صنعته فخلع عليه وشكره ثم جاء فجلس مكانه ولم يلتفت إلى الصانع ومازاده في آخر النهار شيئا على الدرهمين فلما كان اليوم الثاني خلا خاطر الملك فاستحضر الحظية التي عمل لها السوارين الذهب فحضرت وهما في يديها فأخذهما ليعيد نظره فيهما وفي حسن صنعتهما فقرأ الابيات فتعجب وقال هذا شرح حال صانعهما والمعلم يكذب فغضب عندذلك وأمر باحضار المعلم فلما حضر قال له من عمل هذين السوارين قال أنا أيها الملك قال فما سبب نقش هذه الابيات قال لم يكن عليهما أبيات قال كذبت ثم أراه النقش وقال ان لم تصدقني الحق لاضربن عنقك فأصدقه الحق فأمر الملك باحضار الصانع فلما حضر سأله عن حاله فحكى له عن قصته وماجرى له مع المعلم فرسم الملك بعزل المعلم وأن تسلب نعمته وتعطى للصانع وأن يكون عوضا عنه في الخدمة ثم خلع عليه خلعة سنية وصار مقدما سعيدا فلما نال هذه الدرجة وتمكن عند الملك تلطف به حتى رضي عن المعلم الأول وصار شريكين وتمكنا على ذلك إلى آخر العمر ورحم من قال :

اذا كان سعد المرء في الدهر مقبلا ... تدانت له الاشياء من كل جانب

(وقال آخر) ماشاء الله هو السالم ... ليس كما يزعم الزاعم
تجري المقادير التي قدرت ... وأنف من لا يرتضي راغم

(وقال كعب زهير)

لو كنت أعجب من شيء لاعجبني ... سعي الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لأمور ليس يدركها ... والنفس واحدة والهم منتشر
والمرء ماعاش ممدود له أمل ... لاينتهي ذاك حتى ينتهي العمر

ويروى في الإسرائيليات أن نبيا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام مر بفخ منصوب واذا بطائر قريب منه فقال له الطائر يانبي الله هل رأيت أقل عقلا ممن نصب هذا الفخ ليصدني به وأنا انظر اليه قال فذهب عنه ذلك النبي ﷺ ثم رجع واذا بالطائر في الفخ فقال له عجبا لك ألست القائل كذا وكذا آنفا فقال يانبي اذا جاء الحين لم يبق أذن ولاعين ٥ ويروى أن رجلا قال لبزر جمهر

بيده ثم يحتاج إلى القرض أيضا وقد أمرت لك بخمسين ألفا أخرى قال فقبضها وانصرفت للجاني الأعمى فدفعت اليه الألفي دينار وقلت له قد رزقك الله تعالى بكرمه وكافاك على احسانك أبيك وكافأني على اسدائي المعروف اليك ثم أعطيته شيئا آخر من مالي فأخذه وانصرف والله سبحانه وتعالى أعلم (ومن ذلك ماحكاه القاضي يحيى بن أكثم رحمه الله تعالى عليه) قال دخلت يوما على الخليفة هرون الرشيد ولد المهدي وهو مطرق مفكر فقال لي أتعرف قائل هذا البيت

الخير أبقى وان طال الزمان به   والشر أخبث ماأوعيت من زاد

فقلت ياأمير المؤمنين إن لهذا البيت شأنا مع عبيد ابن الابرص فقال علي بعبيد فلما حضر بين يديه قال أخبرني عن قضية هذا البيت فقال ياأمير المؤمنين كنت في بعض السنين حاجا فلما توسطت البادية في يوم شديد الحر سمعت ضجة عظيمة في القافلة ألحقت أولها بآخرها فسألت عن القصة فقال لي رجل من القوم تقدم ترما بالناس فتقدمت لي أول القافلة فاذا أنا بشجاع أسود فاغفر فاه كالجذع وهو يخور كما يخور الثور ويرغو كرغاء البعير فهالني أمره وبقيت لاأهتدي إلى ماأصنع في أمره فعدلنا عن طريقه الى ناحية أخرى فعارضنا ثانيا فعلمت أنه لسبب ولم يجسر أحد من القوم أن يقربه فقلت أفدي هذا العالم بنفسي وأتقرب إلى الله تعالى بخلاص هذه القافلة من هذا فأخذت قربة من الماء تقلدتها وسللت سيفي وتقدمت فلما رآني قربت منه سكن وبقيت متوقعا منه وثبة يبتلعني فيها فلما رأى القربة فتح فاه فجعلت فم القربة في فيه وصببت الماء كما يصب في الإناء.

فلما فرغت القربة تسيب في الرمل ومضى فتعجبت من تعرضه لنا وانصرافه عنا من غير سوء لحقنا منه ومضينا لحجنا ثم عدنا في طريقنا ذلك وحططنا في منزلنا تلك في ليلة مظلمة مدلهمة فأخذت شيئا من الماء وعدلت إلى ناحية عن الطريق فقضيت حاجتي ثم توضأت وصليت وجلست أذكر الله تعالى فأخذتني عيني فنمت مكاني فلما استيقظت من النوم لم أجد للقافلة حسا وقد ارتحلوا وبقيت منفردا لم أر احدا ولم اهتد إلى ماأفعله واخذتني حيرة وجعلت اضطرب فاذا بصوت هاتف أسمع صوته ولا أرى شخصه يقول

يا أيها الشخص المضل مركبه   ماعنده من ذي رشاد يصحبه

تعالى تتناظر في القدر قال وماتصنع بالمناظرة قال رأيت شيئا ظاهرا استدللت به على الباطن رأيت جاهلا مبرورا وعالما محروما فعلمت أن التدبير ليس للعباد . ولما قدم موسى بن نصير بعد فتح الأندلس سليمان بن عبد الملك قال له يزيد بن المهلب أنت أدهى الناس وأعلمهم فكيف طرحت نفسك في يد سليمان فقال ان الهدهد ينظر إلى الماء في الأرض على ألف قامة ويبصر القريب منه والبعيد على بعد في التخوم ثم ينصب له الصبي الفخ بالدودة أو الحبة فلا يبصره حتى يقع فيه وأنشدوا في ذلك :

وإذا خشيت من الامور مقدرا   وفررت منه فنحوه تتوجه

(وقال آخر) أقام على المسير وقد أنيخت   مطاياه وغرد حادياها

وقال أخاف عادية الليالي   على نفسي وأن ألقى رداها

مشيناها خطا كتبت علينا   ومن كتبت عليه خطا مشاها

ومن كانت منيته بأرض   فليس يموت في أرض سواها

ولما قتل كسرى بزرجمهر وجد في منطقته كتاب فيه إذا كان القضاء حقا فالحرص باطل وإذا كان القدر في الناس طباعا فالثقة بكل أحد عجز وإذا كان الموت بكل أحد نازلا فالطمأنينة إلى الدنيا حمق وقال ابن عباس وجعفر بن محمد رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما إنما كان الكنز لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بالرزق كيف ينصب وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يوقن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا إله إلا الله محمد رسول الله (وحكى) الطرطوشي رحمه الله تعالى في كتابه سراج الملوك قال من عجيب ماانفق بالاسكندرية أن رجلا من خدم نائب الإسكندرية غاب عن خدمته أياما ففي بعض الأيام قبض عليه صاحب الشرطة وحمله إلى دار النائب فانفلت في بعض الطرق وترامى في بئر والمدينة إذ ذاك مسردبة بسرداب يمشي الماشي فيه قائما فما زال الرجل يمشي إلى أن لاحت له بئر مضيئة فطلع منها فاذا البئر في دار النائب فلما طلع أمسكه النائب وأدبه فكان فيه المثل السائر الفار من القضاء الغالب كالمتقلب في يد الطالب وأنشدوا فيه

قالوا نقيم وقد أحا   ط بك العدو ولا تفر

لانك خيرا ان بقيـ   ـت ولا عداني الدهر شر

ان كنت أعلم أن غـــير الله ينفع أو يضر

(الباب التاسع والسبعون فى التوبة والاستغفار)

قد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الأمة على وجوب التوبة وأمر الله تعالى بالتوبة فقال وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون • ووعد بالقبول فقال تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده وفتح باب الرجاء فقال ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم • وروى فى الصحيح عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه سمع رسول الله ﷺ يقول يا أيها الناس توبوا إلى الله تعالى فانى أتوب الى الله تعالى فى اليوم مائة مرة • وروى أحمد بن عبد الرحمن السلمانى قال اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ فقال أحدهم سمعت رسول الله ﷺ يقول أن الله تعالى يقبل التوبة من عبده قبل أن يموت بيوم قال الثانى أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله تعالى يقبل توبته قبل أن يموت بنصف يوم فقال الثالث أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله تعالى يقبل توبة العبد قبل موته بضحوة أوقال بضجعة فقال الرابع أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر وفى الصحيحين من حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال لله أفرح بتوبة عبده من رجل نزل بأرض هاوية مهلكة معه راحلته فنام واستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى إذا أدركه الموت قال ارجع إلى المكان الذى ضللها فيه وأموت فأتى مكانه فغلبته عينه فاستيقظ وإذا راحلته عند رأسه فيها طعامه وشرابه وزاده وما يصلحه فالله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من هذا براحلته وزاده وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول والله انى لأستغفروأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة ورواه البخارى وعن أبى موسى عبد الله بن قيس الأشعرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها رواه مسلم وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه رواه مسلم وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن نبى الله ﷺ قال كان فيمن قبلكم رجل قتل

دونك هذا البكر منا تركبه • ويكرك الميمون حقا تجنبه • حتى إذا ما الليل بماب غيبته • عند الصباح فى الفلا نسيبه

فنظرت فاذا ببكر قائم عندى وبكرى إلى جانبى فأنخته وركبته وجنبت بكرى فلما سرت قدر عشرة أميال لاحت لى القافلة وانفجر الفجر ووقف البكر فعلمت أنه قدحان نزولى فتحولت إلى بكرى وقلت

يا أيها البكر قد أنجيت من كرب • ومن هموم تضل المدلج الهادى
ألا تخبرنى بالله خالقنا • من الذى جاء بالمعروف فى الوادى
وارجع حميدا فقد أبلغتنا مننا • بوركت من ذى سنام رائح غادى

فالتفت البكرى الى وهو يقول

أنا الشجاع الذى ألفيته رمضا • والله يكشف ضر الحائر الصادى
جدت بالماء لما ضن حامله • تكرما منك لم تمنن بانكاد
فالخير أبقى وان طال الزمان به • والشر أخبث ما أوعيت من زاد
هذا جزاؤك منى لا أمن به • فاذهب حميدا رعاك الخالق الهادى

فعجب الرشيد من قوله وأمر بالقصة والأبيات فكتبت عنه وقال لايضيع المعروف أين وضع (موعظة) حكى أنه كان بمدينة بغداد رجل يعرف بأبى عبد الله الاندلسى وكان شيخا لكل من بالعراق وكان يحفظ ثلاثين الف حديث عن رسول الله ﷺ وكان يقرأ القرآن بجميع الروايات فخرج فى بعض السنين إلى السياحة ومعه جماعة من أصحابه مثل الجنيد والشبلى وغيرهما من مشايخ العراق قال الشبلى فلم نزل فى خدمته ونحن مكرمون بعناية الله تعالى الى أن وصلنا قرية من قرى الكفار فطلبنا ماء نتوضأ به فلم نجد فجعلنا ندور بتلك القرية وإذا نحن بكنائس وبها شمامسة وقساقسة ورهبان وهم يعبدون الاصنام والصلبان فتعجبنا منهم ومن قلة عقلهم ثم انصرفنا الى بئر فى آخر القرية واذا نحن بجوار يستقين الماء على البئر وبينهن جارية حسنة الوجه مافيهن أحسن ولا أجمل منها وفى عنقها قلائد الذهب فلما رآها الشيخ تغير وجهه وقال هذه ابنة من فقيل له هذه ابنة ملك القرية فقال الشيخ فلم لم يدلها أبوها ويكرمها ولا يدعها يستقى الماء فقيل له أبوها يفعل ذلك بها حتى إذا تزوجها أكرمته وخدمته ولا تعجبها نفسها فجلس الشيخ ونكس رأسه ثم أقام ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب ولا يكلم أحدا غير أنه يؤدى الفريضة والمشايخ واقفون بين يديه ولا يدرون ما يصنعون قال الشبلى

فتقدمت إليه وقلت له ياسيدى ان أصحابك ومريديك يتعجبون من سكوتك ثلاثة أيام وانت ساكت لم تكلم أحدا قال فاقبل علينا وقال ياقوم اعلموا أن الجارية التى رأيتها بالأمس قد شغفت بها حبا واشتغل قلبى بها وما بقيت أقدر أفارق هذه الأرض قال الشبلى فقلت له ياسيدى أنت شيخ أهل العراق ومعروف بالزهد فى سائر الآفاق وعدد مريديك اثنا عشر ألفا فلا تفضحنا وإياهم بحرمة الكتاب العزيز فقال ياقوم جرى القلم بما حكم ووقعت فى بحار العدم وقد انحلت منى عرى الولاية وطويت أعلام الهداية ثم انه بكا بكاء شديدا وقال يا قوم انصرفوا فقد نفذ القضاء والقدر فتعجبنا من أمره وسألنا الله تعالى أن يجيرنا من مكره ثم بكينا وبكى حتى روى التراب ثم انصرفنا عنه راجعين إلى بغداد فخرج الناس إلى لقائه ومريدوه فى جملة الناس فلم يروه فسألونا عنه فعرفناهم بما جرى (٢٦٨) فمات من مريديه جماعة كثيرة حزنا عليه وجعل الناس يبكون ويتضرعون إلى الله تعالى أن يرده عليهم وأغلقت الرباطات والزوايا والخوانق ولحق الناس حزن عظيم وأقمنا سنة كاملة وخرجت مع بعض أصحابى نكشف خبره فأتينا القرية نسألنا عن الشيخ فقيل لنا انه فى البرية يرعى الخنازير قلنا وما السبب فى ذلك قالوا انه خطب الجارية من أبيها فأبى أن يزوجها إلا ممن هو على دينها ويلبس العباءة ويشد الزنار ويخدم الكنائس ويرعى الخنازير ففعل ذلك كله وها هو فى البرية يرعى الخنازير قال الشبلى فانصدعت قلوبنا وانهملت بالبكاء عيوننا وسرنا إليه وإذا به قائم قلنسوة النصارى وفى وسطه زنار وهو متوكىء على العصا التى كان يتوكأ عليها إذا قام فى الخطبة فسلمنا عليه فرد علينا السلام فقلنا يا شيخ ماذاك وماذا وما هذه الكروب والهموم بعد تلك الأحاديث والعلوم فقال ياإخوانى ليس لى من الأمر شىء سيدى تصرف فى كيف شاء وحيث أراد أبعدنى عن بابه بعد أن كنت من جملة أحبابه فالحذر الحذر ويا أهل وداده وابعاده والحذر الحذر يا أهل المودة والصفاء من القطيعة والجفاء ثم رفع طرفه إلى السماء وقال يا مولاى ما كان ظنى فيك هذا ثم جعل يستغيث ويبكى ونادى يا شبلى اتعظ بغيرك فنادى الشبلى باعلى صوته بك المستعان وأنت المستغاث وعليك التكلان اكشف عنا هذه الغمة بحلمك فقد دهمنا أمر لا كاشف له غيرك قال فلما سمعنا الخنازير بكاهم وضجيجهم أقبلت إليهم وجعلت تمرغ وجوهها بين أيديهم وزعقت زعقة واحدة فوت منها

تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعبد أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل من توبة قال لا فقتله وكمل به المائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فأتاه وقال له انه قد قتل مائة نفس فهل له من توبة قال له ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله تعالى معهم ولاترجع إلى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى كان نصف الطريق أدركه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاءنا تائبا مقبلا بقلبه إلى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك فى صورة آدمى فحكموه بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فالى أيتهما كان أدنى فهو أقرب لها فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة متفق عليه وفى الصحيحين فكان أدنى إلى أرض التوبة الصالحة بشبر فجعل من أهلها وعن أبى نجيد بضم النون وفتح الجيم عمران بن الحصين الخزاعى رضى الله عنه ان امرأة من جهينة أتت رسول الله ﷺ وهى حبلى من الزنا فقالت يارسول الله أصبت حدا فأقمه على فدعا نبى الله ﷺ فشدت عليها ثيابها ثم أمرها فرجمت ثم صلى عليها فقال عمر يارسول الله تصلى عليها وقد زنت قال لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل من جادت بنفسها لله عز وجل رواه مسلم وعن أبى نصرة قال لقيت مولى لأبى بكر رضى الله عنه فقلت من أبى بكر شيئا قال نعم سمعته يقول قال رسول الله ﷺ ما أصر من استغفره ولو عاد إلى الذنب فى اليوم سبعين مرة (وحكى) أن نبهان التمار وكنيته أبو مقبل أتته امرأة حسناء تشترى تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد وفى البيت أجود منه فذهب بها إلى بيته وضمها إلى نفسه بها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فأتى النبى ﷺ فذكر له ذلك فأنزل الله تعالى والذين إذا فعلوا فاحشة إلى آخر الآية وعن أسماء بن الحكم الفزارى قال سمعت عليا يقول انى كنت رجلا إذا سمعت من رسول الله حديثا ينفعنى الله منه بما شاء ينفعنى وإذا حدثنى من أصحابه استحلفته فاذا حلف لى صدقته وانه حدثنى أبو بكر وصدق أبو بكر انه رسول الله يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ويصلى ثم يستغفر الله إلا غفر له وروى فى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا أذنب العبد ذنبا فقال يارب أذنبت ذنبا فاغفره لى قال الله عز وجل علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم امكث ماشاء الله

واصاب

الجبال قال الشبلي فظننت أن القيامة قد قامت ثم ان الشيخ بكى بكاء شديداً قال الشبلي فقلنا له هل لك أن ترجع معنا إلى بغداد فقال كيف لي بذلك وقد استرعيت الخنازير بعد أن كنت أرعى القلوب فقلت يا شيخ كنت تحفظ القرآن وتقرؤه بالسبع فهل بقيت تحفظ منه شيئاً فقال نسيته كله الا آيتين فقلت وما هما قال قوله تعالى ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل مايشاء والثانية قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل فقلت ياشيخ كنت تحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله ﷺ فهل تحفظ منها شيئاً قال حديثاً واحداً وهو قوله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه قال الشبلي فتركناه وانصرفنا ونحن متعجبون من أمره فسرنا ثلاثة أيام وإذا به أمامنا قد تطهر من نهر وطلع وهو يشهد شهادة الحق ويجدد اسلامه فلما رأيناه لم نملك أنفسنا من الفرح والسرور فنظر الينا وقال ياقوم

اعطوني ثوباً طاهراً فأعطيناه ثوباً فلبسه ثم صلى وجلس فقلنا له الحمد لله الذي ردك علينا وجمع شملنا بك فصف لنا ماجرى لك وكيف كان أمرك فقال ياقوم لما وليتم من عندي سألته بالوداد القديم وقلت له يامولاي أنا المذنب الجاني فعفا عني بجوده وبستره غطاني فقلت له بالله نسألك هل كان لمحنتك من سبب قال نعم لما وردنا القرية وجعلتم تدورون حول الكنائس قلت في نفسي ماقدر هؤلاء عندي وأنا مؤمن موحد فنوديت في سري ليس هذا منك ولو شئت عرفناك ثم أحسست بطائر قد خرج من قلبي مكان ذلك الطائر هو الإيمان قال الشبلي ففرحنا به فرحاً شديداً وكان يوم دخولنا يوماً عظيماً مشهوداً وفتحت الزوايا والرباطات والخوانق ونزل الخليفة للقاء الشيخ وأرسل اليه الهدايا وصار يجتمع عنده لسماع علمه أربعون ألفاً وأقام على ذلك زماناً طويلاً ورد الله عليه ماكان نسيه من القرآن والحديث وزاده على ذلك فبينما نحن جلوس عنده في بعض الأيام بعد صلاة الصبح وإذا بطارق يطرق باب الزاوية فنظرت من الباب فإذا شخص ملتف بكساء أسود فقلت له ما الذي تريد فقال قل لشيخكم الجارية الرومية التي تركتها بالقرية الفلانية قد جاءت لتخدمك قال فدخلت فعرفت الشيخ فاصفر لونه وارتعد ثم أمر بدخولها فلما دخلت عليه بكت بكاء شديداً فقال لها الشيخ كيف مجيئك ومن أوصلك إلى ههنا قالت ياسيدي لما وليت من قريتنا جاءني من أخبرني بك فبت ولم يأخذني قرار فرأيت في منامي شخصاً وهو يقول إن أحببت أن تكوني من المؤمنات فاتركي ما أنت عليه من عبادة الاصنام واتبعي ذلك الشيخ وادخلي في دينه فقلت وما دينه قال دين الإسلام قلت وماهو قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقلت كيف لي بالوصول اليه قال أغمضي عينيك وأعطيني

وأصاب ذنباً آخر فقال يارب أذنبت ذنباً فاغفره لي قال ربه علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليفعل ماشاء وكان قتادة رضي الله تعالى عنه يقول القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم أما داؤكم فالذنوب وأما دواؤكم فالاستغفار وكان علي رضي الله تعالى عنه يقول العجب لمن هلك ومعه كلمة النجاة قيل وما هي قال الاستغفار وقال رسول الله ﷺ من قال عشراً حين يصبح وحين يمسي أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب اليه وأسأله التوبة والمغفرة من جميع الذنوب غفرت ذنوبه ولو كانت مثل رمل عالج ومن قال سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوءاً فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت غفرت ذنوبه ولو كانت مثل دبيب النمل وقال أبو عبد الله الوراق لو كان عليك من الذنوب مثل عدد القطر وزبد البحر محيت عنك إذا استغفرت بهذا الاستغفار وهو هذا اللهم إني أسألك وأستغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك من كل ما وعدتك من نفسي ثم لم أوف لك به وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك يقول الله عز وجل للملائكة ويح ابن آدم يذنب الذنب ثم يستغفرني فأغفر له ثم يذنب الذنب فيستغفرني فأغفر له لاهو يترك الذنب من مخافتي ولا ييأس من مغفرتي أشهدكم ياملائكتي إني قد غفرت له وقال بشر الحافي بلغني أن العبد إذا عمل الخطيئة أوحى الله تعالى إلى الملائكة الموكلين ترفقوا عليه سبع ساعات فإن استغفرني فلا تكتبوها وإن لم يستغفرني فاكتبوها (نكتة) قيل انقطع الغيث عن بني إسرائيل في زمن موسى عليه الصلاة والسلام حتى احترق النبات وهلك الحيوان فخرج موسى عليه الصلاة والسلام في بني إسرائيل وكانوا سبعين رجلاً من نسل الأنبياء مستغيثين إلى الله تعالى قد بسطوا أيدي صدقهم وخضوعهم وقربوا قربان تذللهم وخشوعهم ودموعهم تجري على خدودهم ثلاثة أيام فلم يمطر لهم فقال موسى اللهم أنت القائل ادعوني أستجب لكم وقد دعوناك وعبادك على ماترى من الفاقة والحاجة والذل فأوحى الله تعالى اليه ياموسى أن فيهم من غذاؤه حرام وفيهم من يبسط لسانه بالغيبة والنميمة وهؤلاء استحقوا أن أنزل عليهم غضبي وأنت تطلب لهم الرحمة كيف يجتمع موضع الرحمة وموضع العذاب فقال موسى ومن هم يارب حتى نخرجهم من بيننا فقال الله تعالى ياموسى لست هتاكاً ولا نماماً ولكن ياموسى توبوا كلكم بقلوب خالصة فعساهم يتوبوا معكم فأجود بأنعامي عليكم فنادى منادي موسى في بني إسرائيل أن اجتمعوا

يعني ففعلت لشي قليلا ثم قال افتحي عينيك ففتحتهما فاذا أنا بشاطىء دجلة فقال امضي إلى تلك الزاوية واقرئي الشيخ مني السلام وقولي له أن أخاك الخضر يسلم عليك قال فأدخلها الشيخ إلى جواره وقال تعبدي ههنا فكانت أعبد أهل زمانها تصوم النهار وتقوم الليل حتى نحل جسمها وتغير لونها فمرضت مرض الموت وأشرفت على الوفاة ومع ذلك برها الشيخ فقالت قولوا للشيخ يدخل على قبل الموت فلما بلغ الشيخ ذلك دخل عليها فلما رأته بكت فقال لها لاتبكي فان اجتماعنا غدا في القيامة في دار الكرامة ثم انتقلت إلى رحمة الله تعالى فلم يلبث الشيخ بعدها إلا أياما رحمه الله قلائل حتى مات عليه قال الشبلي فرأيته في المنام وقد زوج بسبعين حوراء وأول ما تزوج بالجارية وهما الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما اه (فليتأمل) العاقل في ذلك ولا يرى له فضلا

فاجتمعوا فأعلمهم موسى عليه الصلاة والسلام بما أوحى إليه والعصاة يسمعون فذرفت أعينهم ورفعوا مع بني إسرائيل أيديهم إلى الله عز وجل وقالوا إلهنا جئناك من أوزارنا هاربين ورجعنا إلى بابك طالبين فارحمنا يا أرحم الراحمين فزالوا كذلك حتى سقوا بتوبتهم إلى الله تعالى اللهم تب علينا وعلى سائر العصاة والمذنبين يارب العالمين * أوحى الله إلى داود عليه الصلاة والسلام ياداود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقا إلي وتقطعت أوصالهم من محبتي ياداود هذه إرادتي بالمدبرين عني فكيف إرادتي بالمقبلين علي ولقد أحسن من قال

أسيء فيجزي بالإساءة افضالا * وأعصي فيوليني برا وامهالا * فحتى متى أجفوه وهو يبرني وأبعد عنه وهو يبذل ايصالا * ومرة قد زغت عن نهج طاعة * ولا حال عن ستر القبيح ولا زالا

وهذا آخر ما يسره الله تعالى في هذا الباب والله أعلم بالصواب

(الباب الثمانون فيما جاء في ذكر الأمراض والعلل والطب والدواء وما جاء في السنة من العيادة وما شبه ذلك وفيه فصول)

(الفصل الأول في الأمراض والعلل وما جاء في ذلك من الأجر والثواب) روي عن عبد الله بن أنيس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال أيكم يحب أن يصح جسمه فلا يسقم فقالوا كلنا يارسول الله قال اتحبون أن تكونوا كالحمير الصوالة ألا تحبون أن تكونوا أصحاب بلايا وأصحاب كفارات والذي بعثني بالحق نبيا أن الرجل لتكون له الدرجة في الجنة فلا يبلغها بشيء من عمله فيبتليه الله تعالى ليبلغ درجة لا يبلغها بعمله وقال ﷺ ما من مسلم يمرض مرضا إلا حط الله من خطاياه كما تحط الشجرة ورقها وكان يقول لاتزال الأوصاب والمصائب بالعبد حتى تتركه كالفضة البيضاء النقية المصفاة وقيل أن الناس قد حموا في فتح خيبر فشكوا إلى رسول الله ﷺ فقال أيها الناس أن الحمى رائد الموت وسجن الله في الأرض وقطعة من النار فإذا وجدتم ذلك فبردوا لها الماء في الشنان ثم صبوا عليكم بين المغرب والعشاء ففعلوا ذلك فوليت عنهم وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال دخل رسول الله ﷺ على شاب وهو في الموت فقال له كيف تجدك فقال أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال عليه الصلاة والسلام هما لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجوه وآمنه مما يخاف وعن عفيرة بنت الوليد البصرية العابدة الزاهدة رحمها الله تعالى أنها سمعت رجلا يقول ما أشد العمى على من كان بصيرا فقالت

له

على أحد من خلق الله تعالى فهو الفاعل المختار يعطي من يشاء ويمنع فالكل منه وإليه (موعظة) قيل عشش ورشان في شجرة في دار رجل فلما همت أفراخه بالطيران زينت امرأة ذلك الرجل له أخذ أفراخ ذلك الورشان ففعل ذلك مرارا وكلما خرج الورشان أخذ أفراخه فشكا الورشان ذلك إلى سليمان عليه الصلاة والسلام وقال يارسول الله أردت أن يكون لي أولاد يذكرون الله تعالى من بعدي فأخذها الرجل بأمر امرأته ثم أعاد الورشان الشكوى فقال سليمان لشيطانين إذا رأيتماه يصعد الشجرة فشقاه نصفين فلما أراد الرجل أن يصعد الشجرة اعترضه سائل فأطعمه كسرة من خبز شعير ثم صعد وأخذ الأفراخ على عادته فشكا الورشان ذلك إلى سليمان عليه الصلاة والسلام فقال للشيطانين ألم تفعلا ما أمرتكما به فقالا اعترضنا ملكان فطرحانا في الخافقين اه

(وكان الحسن بن صالح إذا جاءه سائل فإن كان عنده ذهب أو فضة أو طعام أعطاه فإن لم يكن عنده من ذلك شيء أعطاه دهنا أو غيره مما ينتفع به فإن لم يكن عنده شيء أعطاه كحلا أو أخرج إبرة وخيطا فرقع بهما ثوب السائل

(وحكي) أن رجلا جلس يوما يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج إليه وانتهره فذهب فاتفق بعد ذلك أن الرجل افتقر وزالت نعمته وطلق زوجته وتزوجت بعده برجل آخر فجلس يأكل معها في بعض الأيام وبين

أيديهما دجاجة مشوية وإذا بسائل يطرق الباب فقال الرجل لزوجته ادفعي اليه هذه الدجاجة فخرجت بها اليه فاذا هو زوجها الأول فدفعت اليه الدجاجة ورجعت وهى باكية فسألها زوجها عن بكائها فاخبرته أن السائل كان زوجها فذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذى انتهره زوجها الأول فقال أنا والله ذلك السائل (ومما وقفت علية). **ما حكى أن** بعضهم قال دخلت البادية فاذا أنا بعجوز بين يديها شاة مقتولة وإلى جانبها جرو ذئب فقالت اندرى ماهذا فقلت لاقالت هذا جرو ذئب صغيرا وأدخلناه بيتنا وربيناه فلما كبر فعل بشاتى ماترى وأنشدت

بقرت شويهتى وفجعت قلبى وأنت لشاتنا ابن ربيب
غذيت بدرها ونشأت معها فمن أنباك ان أباك ديب
إذا كان الطباع طباع سوء فلا أدب يفيد ولا أديب

له ياعبد الله عمى القلب عن الله أشد من عمى العين عن الدنيا والله لوددت ان الله وهب لى كنه معرفته ولم يبق منى جارحة الا أخذها * وكتب مبارك لاخيه سفيان الثورى يشكو اليه ذهاب بصره فكتب اليه أما بعد فقد فهمت كتابك فيه شكاية ربك فاذكر الموت يهن عليك ذهاب بصرك والسلام * وقيل لعطاء فى مرضه ماتشتهى قال ماترك خوف جهنم فى قلبى موضعا للشهوة وأصاب ابن أدهم بطن فتوضأ فى ليلة سبعين مرة وقيل لاعرابى فى مرضه ماتشتهى قال الجنة فقيل أفلا تدعو لك طبيبا قال طبيبى هو الذى أمرضنى

(الفصل الثانى من هذا الباب ذكر العلل كالبخر والعرج والعمى والصمم والرمد والفالج وغير ذلك نسأل الله العفو والعافيه والمعافاة فى الدنيا والآخرة)

قيل تساور أبخر وأصم فقال له الأصم قدفهمت ثم فارقه فسأله رجل فقال والله لاأدرى غير أنه فسا فى أذنى وقيل ان عبدالملك بن مروان كان أبخر فعض يوما على تفاحة ورمى بها إلى زوجته فدعت بسكين فقال ماتصنعين بها قالت أميط الاذى عنها فشق عليه ذلك منها فطلقها وسارر أبو الاسود الدؤلى سليمان ابن عبد الملك وكان أبو الاسود أبخر فستر سليمان أنفه بكمه فهبر أبو الاسود وهو يقول لايصلح للخلافة من لايقدر على مناجاة الشيوخ البخر وقيل طول انطباق الفم يورث البخر وكل رطب الفم سائل اللعاب سالم منه وقيل ان الزنج أطيب الناس أفواها والسباع موصوفة بالبخر والمثل مضروب بالاسد والصقر فى البخر والكلب من بينهما طيب الفم وليس فى البهائم أطيب أفواها من الظباء (وحكى ان أبخر تزوج بامرأة فلما ضاجعها عانقته وتولت عنه بوجهها ثم أنشدت تقول

ياحب والرحمن ان فاكا أهلكنى فولنى قفاكا
اذا غدوت فاتخذ مسواكا من عرفط ان لم تجد اراكا
لاتقربنى بالذى سواكا انى أراك ماضغا خراكا

وفى ديوان المنثور كم من ذى عرج فى درج المعالى عرج كم من صحيح قدم ليس له فى الخير قدم وقيل ان من الصم من يسمع السر فاذا رفعت اليه الصوت لم يسمعه ورأيت من العمش من لاينظر صورة الانسان من قريب ولكن يقرأ الخط الرقيق الحواشى وقيل ان طريفا الشاعر مدح عمرو بن هداب وكان أبرص فلما انتهى الى قوله ابرص فياض اليدين مهذب * صاح به الناس وقالوا قطع الله لسانك فقال عمرو مه ان البرص مما تتفاخر به العرب اما سمعتم قول سهل حيث قال

(قيل) مر عمرو بن عبيد بجماعة وقوف فقيل ماهذا قيل السلطان يقطع يد سارقا فقال لا إله إلا الله سارق العلانية يقطع سارق السر ومن ذلك ما حكى ان رجلا من العرب دخل على المعتصم فقربه وأدناه وجعله نديمه وصار يدخل على حريمه من غير استئذان وكان له وزير حاسد فغار من البدوى وحسده وقال فى نفسه ان لم احتل على هذا البدوى فى قتله أخذ بقلب أمير المؤمنين وأبعدنى منه فصار يتلطف بالبدوى حتى أتى به الى منزله فطبخ له طعاما وأكثر فيه من الثوم فلما أكل البدوى منه قال له احذر ان تقرب من أمير المؤمنين فيشم منك رائحة الثوم فيتأذى من ذلك فانه يكره رائحته ثم ذهب الوزير الى أمير المؤمنين فخلا به وقال يا أمير المؤمنين ان البدوى يقول عنك للناس إن أمير المؤمنين أبخر وهلكت من رائحة فمه فلما دخل البدوى على أمير المؤمنين جعل كمه على فمه مخافة أن يشم منه رائحة الثوم فلما رآه أمير المؤمنون كتب كتابا الى بعض عماله يقول له فيه اذا وصل اليك كتابى هذا فاضرب رقبة حامله ثم دعا بالبدوى ودفع الكتاب اليه وقال له امض به الى فلان وائتنى بالجواب فامتثل البدوى مارسم به أمير المؤمنين وأخذ الكتاب وخرج به من عنده فبينما هو بالباب اذ لقيه الوزير فقال اين تريد قال أتوجه بكتاب أمير المؤمنين الى عامله فلان فقال الوزير هذا البدوى يحصل له من هذا التقليد مال جزيل فقال له يابدوى ماتقول فيمن يريحك من هذا التعب الذى يلحقك فى سفرك ويعطيك ألفى دينار فقال له أنت الكبير وأنت الحاكم ومهما أردت افعل فأعطنى الكتاب فدفعه اليه فأعطاه الوزير ألفى دينار وسار بالكتاب الى المكان

الذى هو قاصده فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب رقبة الوزير فبعد أيام تذكر الخليفة فى أمر البدوى وسأل عن الوزير فأخبر بأن له أياما ما ظهر وأن البدوى بالمدينة مقيم فتعجب من ذلك وأمر باحضار البدوى وسأله عن حاله فأخبره بالقصة التى اتفقت له مع الوزير من أولها إلى آخرها فقال له أنت قلت للناس عنى أنى أبخر فقال يا أمير المؤمنين أنا أتحدث بما ليس لى به علم انما كان ذلك مكرا منه وحسدا وأعلمه كيف دخل به إلى بيته وأطعمه الثوم وما جرى له معه فقال أمير المؤمنين قاتل الله الحسد ما أعدله بدء بصاحبه فقتل ثم اتخذ البدوى وزيرا وراح الوزير بحسده انتهى (وحكى) أن معاوية ابن أبى سفيان رضى الله تعالى عنه لما مرض مرضه الذى مات فيه دخل عليه بعض بنى هاشم ليعوده فلما استأذن عليه قام وجلس وأظهر القوة والتجلد وأذن للهاشمى فدخل عليه ثم قال متمثلا بقول أبى ذؤيب الهذلى من قصيدة رثى بها اولاده ماتوا بالطاعون

وتجلدى للشامتين اريهم ... إنى لريب الدهر لا اتضعضع

فأجابه الهاشمى على الفور من القصيدة المذكورة بيتها

وإذا المنية انشبت اظفارها ... الفيت كل تميمة لاتنفع

(ومما يشاكل ذلك) ماحكاه عمدة العلماء الاعلام ونتيجة قضايا الأدباء الفخام الشيخ عبد الغنى أفندى الرافعى حفظه الله تعالى أنه حكى له عبد الله أفندى ابن قاضى الموصل أن بعض علماء بغداد وفد على دار الخلافة العلية فى أيام السلطان سليم بن السلطان عثمان خان ونزل فى دار صاحب المشيخة العظمى إذ ذاك فاتفق له ان رأى السلطان سليما فى الفائق بين أسكى دار واسلامبول عينا فى قائق الشيخ بالقرب من دقائق السلطان فلما وقع عليه نظر الملك ورأى عليه سيما أهل العلم أحب ان يداعبه فقال عندما ناداه

فيم اقتحامك لج البحر تركبه ... وأنت يكفيك منه مصة الوشل

فأجابه على الفور من القصيدة: أريد بسطة كف أستعين بها ... على قضاء حقوق للعلا قبلى

فعند ذلك سأله عن مكانه فأخبر أنه نزيل شيخ الإسلام ثم مر كل منهما بقائقه وبعد أيام اجتمع السلطان سليم بشيخ الإسلام سأله عن الشيخ وذكر له صفته ثم أمره أن يسأله عن مراده فسأله من غير أن يعلمه أن ذلك عن أمر الملك فقال بغيتى القرية الفلانية فى محلا كذا وكذا ان إقطعنيها كفتنى ولا أريد سواها فاخبر الملك بذلك فاقطعه القرية وعاد وقد ربحت تجارته ببضاعة

أيشتمنى زيد بأن كنت ابرصا ... وكل كريم لا أبالك ابرص

(وقال) كفى حزنا انى اعاشر معشرا ... يخوضون فى بعض الحديث وامسك

وما اك من عى ولا من جهالة ... ولكن ما فى للصوب مسلك

فان سد منى السمع فالله قادر ... على فتحه والله للعبد املك

(ومما جاء فى العمى) ما روى عن النبى ﷺ انه قال من عدم احدى كريمتيه ضمنت له على الله الجنة وكان ابو عبد الرحمن بن الحرث بن هشام يطعم الطعام وكان اعور فجعل اعرابى يطيل النظر إليه حابسا نفسه عن طعامه فكلمه المغيرة فى ذلك فقال له انى ليعجبنى طعامك وتريبنى عينك قال فما يريبك من عينى قال اعور وأراك تطعم الطعام وهذه صفة الدجال فقيل له إن عينه اصيبت فى فتح الروم فقال ان الدجال لا تصاب عينه فى سبيل الله وعن انس رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ انه قال من قاد رشده وقال على البصير

لئن كان يهدينى الغلام لوجهتى ... ويقتادنى فى السير إذ انا راكب

لقد يستضىء القوم بى فى وجوههم ... ويخبو ضياء العين والقلب ثاقب

(وقال) إذا عدمت طلابة العلم مالها ... من العلم الا ما تستطر فى الكتب

غدوت بتشمير وجد عليهم ... ومحبرتى وسمعى وها دفتر قلبى

(وقال) ان يأخذ الله من عينى نورهما ... ففى لسانى وسمعى منهما نور

فهى ذكى وقلبى غير ذى غفل ... وفى فمى صارم كالسيف مشهور

(وقال) عزاءك أيها العين السكوب ... وحقك انها نوب تنوب

وكنت كريمتى وسراج وجهى ... وكانت لى بك الدنيا نصيب

على الدنيا السلام فما لشيخ ... ضرير ظنه الامل الكذوب

يموت المرء وهو يعد حيا ... ويخلف ظنه الامل الكذوب

إذا ماما ت بعضك فابك بعضا ... فان البعض من بعض قريب

(وحكى) أن ربيعة رمدت عينه فأرسل إلى امرأة كان يحبها ثم أنشد يقول

أدبه (ومن هذا القبيل) ماوقع فى عصرنا لعوض بيك الاسعد رحمه الله تعالى أنه حين بدا نفير إبراهيم باشا سر عسكر الدولة المصرية على بكوات عكا دلى وكل جالسا وكان فى سوق العقادين من طرابلس الشام وكان أحد أمراء الالات جالسا على دكان بقابله فكتب له أمير الالاى يهدده ضمنا بقول عنترة من قصيدة وأرسل يقول له انظر خطى وهو

لى النفوس ومطع اللحوم ... وللوحش العظام وللخيا له السلب

فاجابه بقوله من القصيدة بعينها وأرسل يقول له أنظر خط من أحسن

ان كنت تعلم يانعمان أن يدى ... قصيرة عنك فالاحوال تنقلب

عينا ربيعة رمداوان فاحتمى ... بنظرة منك تشفيه من الرمد

ان تكتحل بك عيناه فلا رمد ... على ربيعة يخشى آخر الأمد

وعن عبد الرحمن بن قيس عن النبى ﷺ أنه قال داء الانبياء الفالج واللقوة قال الجاحظ ومن المفاليج سيدنا إدريس عليه الصلاة والسلام وأكثر مايعترى المتوسطين من الناس لأن الشاب كثير الحرارة والشيخ كثير اليبس وقيل ان أبان بن عثمان كان أفلج حتى صار مثلا فكانت الناس يقول لارماك الله بفالج ابن عثمان وكان معاوية أبوق وعبدالملك بن مروان أبخر وحسان أعمى وابن سيرين أصم ومن فلج ابن أبى داود قاضى قضاة المعتصم كان من الشرف والكرم بمنزلة عظيمة قد ضرب المثل بفالجه قال الشاعر فى رجل ضرب غلامه

أنضرب مثله بالسوط عشرا ... ضربت بفالج ابن أبى داود

وشجة عبدالحميد كانت مثلا فى الحسن وهو عبدالحميد بن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهم وكان بارعا فى الحسن والجمال فزادته حسنا إلى حسنة حتى أن النساء كن يخططن فى وجوهن شجة عبد الحميد وكان يقال لعمر بن عبدالعزيز اشج بنى امية كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يقول ان من ولدى رجلا بوجهه أثر فى جبهته قال اصبغ الله اكبر هذا أشج بنى أمية يملأ الأرض عدلا وقال أعور لابى الاسود ماالشىء ونصف الشىء ولا شىء فقال أما شىء فالبصير كأنما واما لاشىء فالاعمى وأما نصف الشىء فانت ياأعور اللهم اكفنا شر العاهات برحمتك ومنك وكرمك آمين

(الفصل الثالث من هذا الباب فى التداوى من الامراض والطب) قال رسول الله ﷺ تداووا فان الذى انزل الداء أنزل الدواء وقال صلى الله عليه وسلم ماانزل الله داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله وسئل رسول الله ﷺ عن الدواء والرقى هل يردان شيئا من قضاء الله تعالى قال هما من قدر الله تعالى وقال عبدالله بن عكرمة عجيب لمن يحتمى من الطعام خوف الداء ولا يحتمى من الذنوب خوف النار وقيل ان الربيع بن خيثم لما مرض قالوا له الا ندعو لك طبيبا فقال لهم ان مرضى من الطبيب وانه متى أراد عافانى ولا حاجة لى بطبيبكم وأنشد

فاصبحت لاأدعو طبيبا لطبه ... ولكننى أدعوك يامنزل القطر

(وكتب العلامة زين الدين بن الوردى) ابن قاضى القضاة الكمال البارزى وقد كان عزله من منصب القضاء وولى أخاه

حاتنى وأخى تباريح البلا
وتركنا ضدين مختلفين
ياحى عالم عصرنا وزماننا
ألك التصرف فى دم الاخوين

فأجابه بقوله

أباعمر انزجر عن مثل هذا
فأحمد بالولاية مطمئن
فان بك فيك معرفة وعدل
فاحمد فيه معرفة ووزن

(قال صاحب التالد والطريف) وأذكر لك هنا حكاية لطيفة فيها لفظ أمرع من كلام الخطيب أبى محمد أغرب فيه وأبدع كنت أقرأ عليه زمن الحداثة فذكر له أنى أزن الشعر فأخبرنى بكلام هذا نصه أدام الله عزك ان بينى وبينك ماشددت عليه من بعد ذلك راحتى وبحق ذاكم

علينا فاعلموا من ود أمرع والحمد لله وقال لى أخرج من هذا الكلام بيتين تامين فقلت له هذا الشعر من بحر الوافر وآخر البيت الأول حرف العين من بعده وآخره أمرع فقال أحسنت انتهى (وذكر ابن خلكان فى تاريخه) أنه كان بين الملك العادل نور الدين وبين أبى الحسن سنان صاحب قلاع الاسماعلية ومقدم الفرق الباطنية مكاتبات ومحاورات فكتب اليه نور الدين كتابا يهدده فيه ويتوعده بسبب اقتضى ذلك فشق على سنان فكتب جوابه نثرا وأبياتا منها

ياذا الذى بقراع السيف هددنى ... لاقام مصرع جنبى حين تصرعه
قلم الحمام إلى البازى يهدده ... واستيقظت لاسود البر أضبعه

وقفنا على تفصيله وجمله وعلمنا ماهددنا به من قوله وعمله فياالله العجب من ذبابة تطن فى أذن فيل وبعوضة تعض فى التماثيل ولقد قالها من قبلك قوم آخرون فدمرنا عليهم وما كان لهم ناصرون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وهى عجيبة طويلة

غريبة (قال صاحب التالد والطريف) أنشدت بعض الاخوان الظرفاء بيتى ذى القرنين ابن حمدان الحمدانى وهما

انى لاحسد لانى أسطر الصحف ... إذا رأت اعتناق اللام للالف

وما أظنهما طال اعتناقهما ... إلا لما لقيا من شدة الشغف

فلما سمعهما قال وقد وقع لى فى هذين البيتين حكاية لطيفة غريبه ظريفة وهى انى كنت أحب غلاما لطيفا أديبا ظريفا فكتب له صورة لام الف لاوقصدت بها ماقاله الشاعر فى البيتين فكتب له امفترقين هكذا وقصد أذيتى بها وأرسلها إلى كأنه يقول لاأملكك من عناق أبدا فكتبت له لفظ لام هكذا وأرادت مقلوب ذلك فكتب لامتصلة هكذا وأرسلها إلى فعلمت بذلك رضاه وتعجب

من فهمه وحذقه فلما اجتمعنا عتب على وقال عميت الأمر على وأتعبتنى قلت مثلك يصاح للمنادمة والمجالسة اه (قلت) وهذه الحكاية تشبه أن تكون عن أبى زيد السروجى أو من باب التجريد (قلت) مثل هذين البيتين المتقدمين قول القائل

يامن إذافاه الإنجيل ظل به ... قلب الحريف عن الإسلام منحرفا

انى رأيتك فى نومى تعانقنى ... كما تعانق لام الكاتب الالفا

وقولى من قصيدة

ان تنأ عمن بما فيك كل عنا ... فسبه صوب دمع للنوى وكفا

يا لحب صيرت لاما قامتى أترى ... يوما تعانق من أعطافك الالفا

(ومن أرق قول بعضهم فى المعنى)

كمن قامتى لاما وقامة منيتى ... حكت الفا للوصل قلت مسائلا

ذا اجتمعت لامى مع الألف ... حكمتك قواما يصير فقال لا

(وعاد الفرزدق مريضا فقال)

ياطالب الطب من داء تخوفه ... ان الطبيب الذى أبلاك بالداء

فهو الطبيب الذى يرجى لعافية ... لامن يذيب لك الترياق بالماء

قال ولما مرض بشر الحافى رحمه الله تعالى قالوا ندعو لك طبيبا فقال انى بعين الطبيب يفعل بى مايريد فألح عليه أهله وقالوا لابد أن ندفع ماءك إلى الطبيب فقال لاخته ادفعى اليهم الماء فى قارورة وكان بالقرب منهم رجل ذمى وكان حاذقا فى الطب فاتوه بمائه فى القارورة فلما رآه قال حركوه فحركوه ثم قال ضعوه ثم قال ارفعوه فقالوا له بهذا وصفت لنا قال وبم وصفت لكم قالوا بالحذق والمعرفة قال هو كما تقولون غير أن هذا الماء ان كان ماء نصرانى فهو راهب تدفتت كبده العبادة وإن كان مسلما فهو ماء بشر الحافى فانه أوحد أهل زمانه فى السلوك مع الله تعالى قالوا هو ماء بشر الحافى فاسلم النصرانى وقطع زناره فلما رجعوا إلى بشر قال لهم أسلم الطبيب فقالوا وممن أعلمك قال لما خرجتم من عندى هتف بى هاتف وقال يابشر ببركة مائك أسلم الطبيب وصار من أهل الجنة ، وفلج الربيع بن خيثم فقيل له هلا تداويت فقال قدعرفت أن الدواء حق ولكن عاد وثمود وقرون بين ذلك كثير كانت فيها الاوجاع كثيرة والاطباء أكثر فلم يبق المداوى ولا المداوى وقد أبادهم الموت ثم قال هذا المفرد

هلك المداوى والمداوى والذى ... جلب الدواء وباعه والمشترى

وقيل لجالينوس حتى نهكته العلة أما تعالج فقال إذا كان الدواء من السماء بطل الدواء من الأرض وإذا نزل قضاء الرب بطل حذر المربوب ومرقوه بماء من مياه العرب فوصف لهم ثلاث بنات مطيبات وهن من أجمل الناس فاحبوا أن يروهن فحكوا ساق أحدهم حتى أدموها ثم قصدوهن فقال هذا جريح مريض فهل من طبيب فخرجت صغراهن وهى كأنها الشمس الطالعة فلما رأت جرحه قالت ليس هو بمريض بل خدشه عود بالت عليه حية فاذا طلعت الشمس مات فكان الأمر كما قالت وقيل دواء كل مريض بعقاقير أرضه فان الطبيعة فتطلع لهوائها وقالوا من قدم إلى أرض غير أرضه وأخذ من ترابها وجعله فى مائها وشربه لم يمرض فيها وعوفى من وبائها واحتمى أحمد بن المعدل لعلة أصابته فبرىء فقال الحمية طالع الصحة لأهل الدنيا تبرئهم من المرض ولأهل الآخرة تبرئهم عن النار وقيل ان المعتادة بالحمية آفتها التخبيط والمعتاده بالتخلط آفتها

(ذكر ابن خلكان فى تاريخه) انه اجتمع الإمام أبو بكر محمد بن الإمام داود الظاهرى وأبو العباس بن شريح فى الحية لمس الوزير ابن الجراح فتنظروا فقال له ابن شريح أنت الذى تقول من كثر لحظاته دامت حسراته أنا أبصر منك بالكلام فقال له أبو بكر لئن قلت ذلك فانى أقول

أنزه فى روض المحاسن مقلتى ... وأمنع نفسى أن تنال المحرما

وأحمل من ثقل الهوى مالونه ... ينصب على الصخر الاصم تهدما

وينطق طرفى عن مترجم خاطرى ... فلولا اختلاسى رده لتكلما

رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم ... فما ان أرى حبا صحيحا مسلما

فقال له ابن شريح ولم تفتخر على ولو شئت أنا أيضا لقلت

ومسامر بالغنج من لحظاته ... قد بت امنعه لذيذ سناته

ضنا بحسن حديثه وغنائه ... وأكرر اللحظات فى وجناته

حتى إذا ما الصبح لاح عموده ... ولى بخاتم ربه وبراته

فقال أبو بكر يحفظ الوزير عليه ذلك حتى يقيم شاهدى عدل أنه ولى بخاتم ربه فقام أبو العباس بن شريح يلزمنى من ذلك ما يلزمك فى قولك أزه فى روض المحاسن مقلتى • وامنع نفسى أن تنال المحرما فضحك الوزير وقال جمعتما لطفا وظرفا وفهما وعلما اه (وذكر أبو بكر الخطيب) أنه كان فى مدينة بغداد محلة تسمى باب الطلق كان بها سوق الطير يزعمون أنه من عسر عليه أمر أطلق طيرا فتيسر أمره فمر عبد الله بن طاهر وقد طال مكثه فى بغداد ولم يأذن له الخليفة بالذهاب فمر بذلك السوق فرأى قرية تنوح فامر بشرائها فامتنع صاحبها فدفع له بها خمسمائة درهم فاشتراها وأطلقها فى ذلك السوق وأنشد يقول

ناحت مطوقة بباب الطاق • فجرى سوابق دمعى المهراق
كانت تغرد بالاراك وربما • كانت تغرد فى فروع الساق
فرمى الفراق فأصبحت • بعد الاراك تنوح فى الأسواق

فجعت بافراخ فأسبل دمعها • ان الدموع تبوح بالاشواق
تمس الفراق وبت حبل متينه • وسقاه من سم الاساود ساقى
ماذا أراد بقصده قرية • لم تدر ما بغداد فى الآفاق
بى مثل مابك ياحمامة فاسألى • من فك أسرك أن يحل وثاقى

قيل انه فى ثانى يوم أطلق ورجع إلى بلاده (وحكى عن خالد الكاتب) أنه قال جاءنى يوما رسول إبراهيم فسرت اليه فوجدته على فرش قد غاص فيها فاستجلنى وقال أنشدنى من أجود شعرك فأنشدته

رأت منه عينى منظرين كما رأت • من الشمس والبدر المنير على الأرض
عشية حيانى بورد كأنه • خدود وأضيفت بعضهن إلى بعض
ونازعنى كاسا كأن حبابها • دموعى لما صدعن مقلتى غمض
وراح فكل الراح فى حركاته • كفعل نسيم الريح فى الغصن

فزحف حتى صار فى الفراش قال يافتى شبهوا الخدود بالورد وأنت شبهت الورد بالخدود فزدنى فأنشدته

عاتبت نفسى فى هواك فلم أجدها تقبل • وأطعت داعيها اليك ولم أطع من يعذل
لاوالذى جعل الوجوه • بحسن وجهك تمثل
لاقلت ان الصبر عنك من الصبابة أجمل

فزحف حتى انحدر من الفراش واستخف طربا ثم قال لخادمه كم معك لنفقتنا قال ثمانمائة وخمسون درهما فقال له قسمها بينى وبين خالد فدفع لى نصفها وانصرفت (لطيفة) جاز بعض اللطفاء على باب دار فعزمه شيخها وأدخله عنده وأجلسه فى المكان منفرد ثم استدعى بجاريتين احداهما صفراء والاخرى سوداء ودفع لكل واحدة مزهرا وقال لهما اضربا له عليهما وغنيا وشاغلاه ثم ذهب الشيخ وبقى الضيف

الحمية لأن الحكماء تقول عودوا كل جسد بما اعتاد وكان كسرى أنو شروان يمسك عما تميل اليه شهوته ولا ينهمك عليه ويقول تركنا مانحبه لنستغنى عن العلاج بما نكرهه وقال لقمان لاتطيلوا الجلوس على الخلاء فانه يورث الباسور وكانت هذه الحكمة مكتوبة على أبواب الحشوش أى الكنف وقيل كفى بالمرء عارا أن يكون صريع مأكله وقتيل أنامله

فكم من أكلة أكلت نفس حر • وكم أكلة جلبت كل ضر

وقيل من عرس الطعام أثمر الاسقام وعن بعض أهل البيت النبوى عليهم السلام انه كان إذا أصابته علة جمع بين ماء زمزم والعسل واستوهب من مهر أهله شيئا وكان يقول قال الله تعالى وأنزلنا من السماء ماء مباركا وقال تعالى فيه شفاء للناس وقال عليه الصلاة والسلام ماء زمزم لما شرب له وقال تعالى فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فمن جمع بين مابورك فيه وبين مافيه شفاء وبين الهنى المرى يوشك أن يلقى العافية وقيل خمسة من المهلكات دخل الحمام على الشبع والمجامعة على الشبع وأكل القديد وشرب الماء البارد على الريق ومجامعة المرأة العجوز وقال لاتنكح العجوز ولا تخرج الدم وأنت مستغن عن اخراجه وقال الامام على رضى الله عنه

توق مدى الأيام ادخال مطعم • على مطعم من قبل هضم المطاعم
وكل طعام يعجز السن مضغه • فلا تقربنه فهو شر لطاعم
ووفر على الجسم الدما فانها • لقوة جسم المرء خير الدعائم
واياك أن تنكح طواعن سنهم • فان لها سما كسم الاراقم
وفى كل أسبوع عليك بقيئة • تكن آمنا من شر كل البلاغم

ومما يورث الهزل النوم على غير وطاء وكثرة الكلام برفع الصوت وقال النظام رحمه الله تعالى ثلاثة تخرب العقل طول النظر فى المرآة وكثرة الضحك والنظر إلى النجوم وفى الحديث احتجم رسول الله ﷺ فى أم مغيث وهى وسط الرأس وكان ﷺ يحتجم فى الاخدعين ونهى عن الحجامة فى نقرة القفا فانها تورث النسيان وأمر بالاستنجاء بالماء البارد فانه أمان من الباسور وخطب المأمون بمسجد مروان فوجد غالب أهل المسجد يشكون السعال فقال فى آخر خطبته من كان يشكو سعالا فليتبدأ وبالخل ففعلوا فعافاهم الله وقال بعض الحكماء اياك أن تطيل النظر فى عين أرمد واياك أن تسجد

والجاريتان لما اشتد به الجوع ومضى النهار ولم ير للطعام رائحة فى مكان الشيخ هذين البيتين

يادعوة كانت علينا دعوة * عز الطعام بها وغيض الماء   سوداء وصفراء كلما غنين لى * لعبت بى السوداء والصفراء

(ويحكى) أن شهاب الدين الخفاجى المصرى شرب الدخان هو وجماعة فاعترض عليهم شيخى زاده فكتب له الشهاب بقوله

إذا شرب الدخان فلا تلمنا * وجد بالعفو ياروض الأمانى   تريد مهذبا لاعيب فيه * وهل عود يفوح بلا دخان

(فأجابه شيخى أفندى بقوله)   إذا شرب الدخان فلا تلمنى * على لومى لأبناء الزمان

أريد مهذبا من غير ذنب * كريح المسك فاح بلا دخان   (وحكى) عن شرف الدين بن الشربجى أنه اجتمع هو وشهاب الدين فى ليلة أنس عند الملك الناصر فاتفق أن قام شرف الدين إلى الطهارة وعاد فأمره الناصر بالاشارة ان يصفع شهاب الدين فلما صفعه امسك التلعفرى بذقن شرف الدين وأنشد سريعا وذقنه بيده

قد صفعنا بذا المحل الشريف * وهو إن كان يرتضى تشريفى

فارث للعبد من مصيف طباع * ياربيع الندى والاخريفى

فانقلب المجلس ضحكا (وروى) أن ابن القطان الشاعر البغدادى دخل ذات يوم على الوزير الرضى وعنده الحيص بيص الشاعر المشهور فقال ابن القطان قد لظمت بيتين لا يمكن أن يعمل لهما ثالث لانى قد استوفيت المعنى فيهما فقال له الوزير ماهما فأنشده

زار الخيال بخيلا مثل مرسله * فاشفانى منه والتقبيل   النهرا

مازارنى قط إلاكى يوافقنى * الرقاد فينفيه ويرتحل   فقال الوزير للحيص بيص وما درى أن نومى حيلة نصبت

نظمها فى جاريه حسناء كاملة المعانى والاوصاف وزعم أنه لا ثالث لها وهما

تبدت فهذا البدر منكسف بها * وحقك مثلى فى دجى الليل حائر   وماست فشق الغصن غيظا ثيابه

ألست ترى أوراقه تتناثر   فاطرق الوزير يسيرا وقال   وفاحت فألقى العود فى النار نفسه

نقلت عنه الحديث الجامر   وقالت فغار الدر واصفر لونه   كذلك مازالت تغار الضرائر

على حصير جديدة قبل أن تمسها بيدك قرب شطية حقيرة قلعت عينا خطيرة وقيل كانت الأدوية تنبت فى محراب سليمان عليه الصلاة والسلام ويقول كل دواء يانبى الله أنا دواء لكذا وكذا وقال جالينوس البطنة تقتل الرجال وتورث الفالج والاسهال الذريع والأفعاد وصنفا من الجذام يقال له الفهد لا يسمع صاحبه ولا يبصر نسأل الله العفو والعافية وقيل البطنة تورث الصداع والكمنة فى العينين والضربان فى الاذنين والقولنج فى البطن فعليك أيها الإنسان بالطريقة الوسطى واتق الليل وطعامه جهدك. وقال جالينوس الغم المفرط يميت القلب ويجمد الدم فى العروق فيهلك صاحبه والسرور المفرط يلهب حرارة الدم حتى يغلب الحرارة الغريزية فيهلك صاحبه وقيل انه وضع على مائدة المأمون فى يوم عيد أكثر من ثلاثين لونا فكان يصف وهو على المائدة منفعة كل لون ومضرته فقال يحيى بن أكثم ياأمير المؤمنين ان خضنا فى الطب فأنت جالينوس فى معرفته أو فى النجوم فأنت هرمس فى صناعته أو فى الفقه فأنت على بن أبى طالب رضى الله عنه فى علمه أو فى السخاء فأنت حاتم فى كرمه أو فى الحديث فأنت أبو ذر فى صدق لهجته أو فى الوفاء فأنت السموءل بن عادياء فى وفائه فسر بكلامه وقال يا أبا محمد انما فضل الإنسان على غيره بالعقل ولولا ذلك لكانت الناس والبهائم سواء. قال طبيب الهند إن منفعة الحقنة للجسد كنفعة الماء للشجر وقال سفيان بن عيينه أجمع أطباء فارس على ان الداء ادخال الطعام على الطعام وقالوا ادخال اللحم على اللحم يقتل السباع فى البر وقيل الشرب فى آنية الرصاص أمان من القولنج وعرض رجل على طبيب قارورته فقال ماهى قارورتك لأنه ماء ميت حتى تكلمنى فما فرغ من كلامه حتى خر الرجل ميتا وقيل ان ملكا من الملوك حصل عنده صداع فى رأسه فأحضر الطبيب فأمره أن يضع قدميه فى الماء الحار وكان عنده خصى فقال اين القدمان من الرأس فقال له الطبيب وأين وجهك من خصيتيك زرعتا فذهبت لحيتك وقيل ان المأمون حصل له صداع بطرسوس فأحضر طبيبا عنده فلم ينفعه علاجه فبلغ قيصر فأرسل اليه قلنسوة وكتب له بلغنى صداعك فضعها على رأسك ولما بك فخاف أن يكون مسمومة فوضعها على رأس القاصد فلم يصبه شىء ثم انه أحضر رجلا به صداع فوضعها على رأسه فزال ما به فتعجب المأمون ثم انه فتحها فوجد فيها رقعة مكتوب فيها بسم الله الرحمن الرحيم كم من نعمة الله تعالى فى عرق ساكن وغير ساكن حمسعق لا يصدعون عنها ولا ينزفون من كلام الرحمن خمدت

وكان فى المجلس النواحى الشاعر فانشد ارتجالا   وغنت فظل الجنك يطرق نفسه   وجادت لها بالروح منها المزامر

ومن لحظها اعدى لى غمده الحتف   وظبى الفلا فى لفتة وهو نافر   ومن وجنتيها الورد راح بخجلة

البسة تراه أحمر أو هو فاتر   ومن ريقها الصهبا شكت نار شوقها   فأطفاها بالماء ساق مسامر

(ذكر ابن شاكر الكتبى) فى تاريخه فى ترجمة شمس الدين بن عفيف الدين التلمسانى أن جماعة من أهل الادب اجتمعوا وعملوا سماعا وفيهم غلمان حسان فبعثوا منهم غلاما مليحا إلى الشيخ عفيف الدين يطلبون شمس الدين للحضور فلما جاء الرسول كتب عفيف الدين على يده   أرسلتما رسولا   فى رسالته   حلو المراشف والاعطاف والهيف   وقد تمادى يسيرا ذاك انكما أوقدتما النار فى احشاء ذى دنف   فلما حضر والده شمس الدين

وأخبره بالقضية كتب إلى ولده مولاى كيف أتى عنك الرسول ولم تكن لوردة خديه بمقتطف جاءتك من بحر ذاك الحسن لؤلؤة فكيف زدت بلا ثقب إلى الصدف

وبما نقلته من التاريخ المذكور ان علية بنت المهدى العباسية أخت أمير المؤمنين هرون الرشيد كانت من أحسن خلق الله وجها وأظرف النساء واعقلهن ذات صيانة وأدب بارع تزوجها موسى ابن عيسى العباسى وكان الرشيد يبالغ فى اكرامها واحترامها ولها ديوان شعر عاشت خمسين سنة وتوفيت سنة عشر ومائتين وكان سبب موتها أن المأمون سلم عليها وضمها إلى صدره وجعل يقبل رأسها ووجهها مغطى فشرقت من ذلك وماتت بعد أيام يسيرة وكانت تتغزل بشعرها فى خادمين اسم الواحد طل والآخر رشاء فمن قولها فى طل صحفت اسمه

أيا سروة البستان طال تشوقى   فهل لى إلى ظل لديك سبيل

متى يلتقى من ليس يقضى خروجه   وليس لمن يهوى اليه وصول

فبلغ الرشيد ذلك فحلفها لاتذكره أبدا ثم تسمع عليها الرشيد يوما فوجدها وهى تقرأ فى آخر سورة البقرة حتى بلغت قوله تعالى فان لم يصبها وابل فطل فقالت فان لم يصبها وابل فالذى نهى عنه أمير المؤمنين فدخل الرشيد وقبل رأسها وقال لها قد وهبتك طلا ولا منعتك بعد هذا عما تريدين وكانت من أعف الناس كانت إذا طهرت لازمت المحراب وإن لم تكن طاهرة غنت ولما خرج الرشيد إلى الرى أخذها معه فلما وصل إلى المرج نظمت قولها   بالمرج ومغتر يبكى لشجوه   وقد غاب عنه المسعدون على الحب

النيران ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وقال على رضى الله تعالى عنه ادهنوا بالبنفسج فانه حار فى الشتاء بارد فى الصيف وقال أيضا رضى الله عنه عليكم بالزيت فانه يذهب البلغم ويشد العصب ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب الغم وعنه رضى الله عنه ان لم يكن فى شئ شفاء ففى شرطة حاجم أو شربة من عسل وقال الحجاج لطبيبه اخبرنا بجوامع الطب فقال لا تنكح الافتيا ولا تأكل من اللحم الافتيا وإذ تغذيت فنم وإذا تعشيت فامش ولو على الشوك ولا تدخل بطنك طعاما حتى تستمرى مافيه ولا تأوى إلى فراشك حتى تدخل الخلاء وكل الفاكهة فى اقبالها وذرها فى أدبارها وأوصى حكيم خليفته وصية ووعده أنه إذا لازمها لا يعرض إلا مرض الموت فقال إياك أن تدخل طعاما على طعام ولا تمش حتى تعيا ولا تجامع عجوزا ولا تدخل حماما على شبع وإذا جامعت فكن على حال وسط من الغذاء وعليك فى كل أسبوع بقيئة ولا تأكل الفاكهة إلا فى أوان نضجها ولا تأكل القديد من اللحم وإذا تغديت فنم وإذا تعشيت فامش أربعين خطوة ونم على يسارك لتقع الكبد على المعدة فينهضم مافيها وتستريح الكبد من حرارة المعدة ولا تنم ليلا على يمينك فيبطئ الهضم ولا تأكل بشهوة عينيك بعد الشبع ولا تنم ليلا حتى تعرض نفسك على الخلاء أن احتجت إلى ذلك أو لم تحتج واقعد على الطعام وأنت تشتهيه وقم عنه وأنت تشتهيه قال بعضهم

شره النفوس على الجسوم بلية   فتعوذوا من كل نفس نشره

مامن فتى شرهت له نفس وان   نال الغنى إلا رأى ما يكره

وقال أبو الفيض القضاعى يمدح الفضل وقد فصد

أرقت دما لو تسكب المزن مثله   لاصبح وجه الأرض أخضر زاهيا

دما طيبا لو يطلق الشرع شربه   لكان من الاسقام للناس شافيا

(الفصل الرابع فيما جاء فى العيادة وفضلها) قال رسول الله ﷺ ثلاثة فى ظل العرش عائد المريض ومشيع الموتى وطائع والديه وفى رواية ومعزى الثكلى ومن السنة تخفيف الجلوس فى العيادة مرض بكر بن عبد الله المزنى فعاده أصحابه فأطالوا الجلوس عنده فقال المريض يعاد والصحيح يزار قال الشاعر

يعدن مريضا هن هيجن داءه   ألا انما بعض العوائد داتيا

إذا ما أتاه الركب من نحو أرضه   تنشق يستشفي برائحة الركب

وغنت بهما فلما سمع الرشيد الصوت علم أنها قد اشتاقت إلى العراق وأهلها فأمن بردها ومن شعرها

انى كثرت عليه فى زيارته   فمل والشيء مملول إذا كثرا
ورابنى منه أنى لا أزال أرى   فى طرفه قصرا عنى إذا نظرا

انتهى (لطيفة) يحكى أن عبد الملك بن مروان جمع عمر بن أبى ربيعة وكثير عزة وجميل بثينة وأحضر لديه ناقة موقرة دراهم وقال لينشد كل واحد منكم بيتا فى الغزل فأيكم كان أبدع فهى له بما عليها فقال جميل

ولو أن راقى الموت يرقى جنازتى   بمنطقها فى العالمين حييت

وقال كثير

وسعى إلى يعيب عزة نسوة   جعل الاله خدودهن نعالها

وقال عمر بن ربيعة

فليت الثريا فى المنام ضجيعتى   لدى الجنة الخضراء أو فى جهنم

فقال له عبد الملك خذها ياصاحب جهنم والثريا هى بنت على بن عبدالله الاموية تزوجها سهل ابن عبدالرحمن بن عوف الزهرى فقال فيه عمر

أيها المنكح الثريا سهيلا   عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية إذا ما استقلت   وسهيل إذا استقل يمانى

وكان يتشبب بذكرها كثيرا (حكى) أنها واعدته يوما فجاءت فى الوقت الذى وعدته به فصادفت اخاه الحرث قد نام مكانه فلم يشعر الحرث إلا والثريا قد القت نفسها عليه فانتبه وجعل يقول اغربى عنى فلست بالفاسق أخزاكما الله فانصرفت فلما جاء عمر أخبره الحرث بذلك فاغتم لفواتها وقال له أيم الله لاتمسك أبدا وقد ألقت نفسها عليك فقال له الحرث عليك وعليها لعنة الله ومات عمر بعد أن تاب وأحسن التوبة وقد عاش ثمانين سنة ويقال أنه تغزل أربعين سنة وتنسك أربعين سنة رحمه الله تعالى * روى أنه عرضت جارية على الرشيد ليشتريها فطلب بها البائع مبلغا جليلا فقال الرشيد أنا أعرض عليها بيتا أن أجابت عنه عطيتك ماتقول وزدتك ألتفت اليها وقال ماذا تقولين فيمن شفه أرق من أجل حبك حتى صار حيرانا فقالت باديها

إذا رأينا محبا قد أضربه   أمر الصبابة أوليناه إحسانا

فاعجبه جوابها واشتراها

(ومن اللطائف) ماحكى عن الشيخ يحيي المسالخى أنه لما قدم دمشق الشام وقرأ فى الجامع الاموى

وقيل إذا دخل العواد على الملك فحقهم أن لا يسلموا عليه فيحوجوه إلى رد السلام ويتعبوه فاذا علموا أنه لاحظهم رعواله وانصرفوا * قيل مرض انسان فكتب اليه بعض أصدقائه كشف الله عنك مابك من السقم وطهرك بالعلة من الخطايا ومتعك بانس العافية وأعقبك دوام الصحة * ومرض انسان فكتب اليه صديقه

باخوانك الأدنين لا بك كلما   شكوت إلى اليوم من ألم الورد
فكل امرىء منهم بقدر احتماله   وأن عجزوا عنه تحملته وحدى

(وقال آخر) بى السوء والمكروه لا بك كلما   أرادك كانا بى وكان لك الأجر

(وقال عبد الله بن مصعب)

مالى مرضت فلم يعدنى عائد   منكم ويمرض كلبكم فأعود

فسمى بعد ذلك عائد الكلاب * وعاد مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه بعض المرضى فقال

عادنى مالك فلست أبالى   بعد من عادنى ومن لم يعدنى

وقال على بن الجهم

أراقد الليل مسرورا واعدمت إذا   عيشى وأحمد يرعى ليله وصبا
الله يعلم أنى قد نذرت له   صيام شهر إذا ما أحمد ركبا

(وقال آخر) إذا مرضتم أتيناكم نعودكم   وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

(وقال آخر) أعاذك الله من أشياء أربعة   الموت والعشق والافلاس والجرب

وقيل إن حق العيادة يوم بعد يوم أو يوم بعد يومين وعلى الأول قول الشاعر

قالت مرضت فعدتها فتبرمت   فهى الصحيحة والعليل العائد
والله لو أن القلوب كقلبها   مارق للولد الصغير الوالد

(وعلى الثانى قول بعضهم)

حق العيادة يوم بعد يومين   وجلسة مثل خلس اللحظ بالعين
لاتبرمن عليلا فى مسائلة   يكفيك من ذاك تسأل بحرفين

وفضل العيادة مشهور وشرفها مذكور وبها تعظم الأجور * وهذا ماانتهى إلينا من هذا الباب والله الموفق للصواب

(الباب الحادى والثمانون فى ذكر الموت وما يتصل به القبر وأحواله)

(روى) عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال قال رسول الله ﷺ إذا مات لأحدكم ميت فحسنوا كفنه وعجلوا انجاز وصيته وأعمقوا له فى قبره وجنبوه جار السوء قيل يارسول الله وهل ينفع الجار الصالح الآخرة وهل ينفع فى الدنيا قالوا نعم قال وكذلك فى الآخرة ومن وصية على رضى الله عنه لأبى ذر زور القبور تذكر بها الاخرة ولا تزرها بالليل وغسل الموتى يتحرك قلبك وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك فان الحزين فى ظل الله تعالى ويقال جزعك فى مصيبة صديقك أحسن من صبرك وصبرك فى مصيبة أحسن من جزعك . ونظر فيلسوف إلى ميت يحمل قبره فقال حبيب تحمله أهله إلى حبس الابد ودخل عمرو بن العاص رضى الله عنه على معاوية فى مرضة مرضها فقال له أعائدا نت ام شامت فقال له عمرو ولم تقول هذا والله ما كافتنى رهقا ولا أصدعتنى زاقا ولا جرعتنى علقا فلم استطال حياتك ولم استبطىء فأنشد معاوية يقول

فهل من خالدين اذا هلكنا ۞ وهل فى الموت بين الناس عار

لما مرض معاوية رضى الله عنه مرضه الذى مات فيه وفد اليه الناس يعودون فقال لأهله مهدوا فرشا واسندونى وأوسعوا رأسى دهنا ثم اكحلوا عينى بالاثمد ثم ائذنوا للناس يدخلوا ويسلموا على قياما ولا تجلسوا عندى أحدا ففعلوا ذلك فلما خرجوا من عنده يقول

وتجلدى للشامتين أريهم ۞ انى لريب الدهر لا أتضعضع

وإذا المنية أنشبت أظفارها ۞ ألفيت كل تميمة لا تنفع

وقيل لما دنا الموت تمثل بهذا البيت

هو الموت لا منجى من الموت والذى ۞ نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

قال ثم رفع يديه وقال اللهم أقل العثرة واعف عن الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولا يثق إلا بك فانك واسع المغفرة وليس لذى خطيئة منك مهرب ومات رحمه الله تعالى . وذكر أبو العباس الشيبانى قال وفد على أبى ذلف عشرة من أولاد على بن أبى طالب رضى الله عنه فى العلة التى مات فيها فأقاموا ببابه شهرا لا يؤذن لهم لشدة العلة التى أصيب بها ثم أفاق فقال لخادمه بشرا أن قلبى يحدثنى أن بالباب قوما لهم الينا حوائج فافتح الباب ولا تمنعن أحدا قال فكان أول من دخل آل على رضى الله عنه فسلموا عليه ثم

الأموى نظر إلى غلام بديع الجمال فوقع حبه فى قلبه فافتتن به فسأل عنه فأخبر أبيه وكان ممن يتردد الى الشيخ فاجتمع معه وقال لم لا تحضر ولدك يتعلم عندى العلم فقال له انه يحضر علم الحساب عند بعض المشايخ فقال أنا أقرأ قبل شيخه فاذا حضر عندى يكون محصلا للفضيلتين فأجابه لذلك وأمر ابنه بما ذكر فتوجه الغلام عند الشيخ يحيى فأجلسه بجانبه وأطال القراءة فى ذلك اليوم أكثر من الايام الماضية فلما انقضى الدرس وأراد الغلام الانصراف لقراءة علم الحساب دفع له الشيخ يحيى رقعة وقال ادفعها إلى شيخك فلما حضر قال له وابطأك عن الحضور فأخبره بالقصة ودفع الرقعة فاذا فيها

يا جاعلا علم الحساب وسيلة ۞ تصطاد فيه فاتن الالباب

كنت فى علم الحساب رزقته ۞ فالله يرزقنا بغير حساب

فكتب له على ظهره الرقعة وأمره أن لا يحضر عنده بعدها فأخذ الغلام الرقعة ودفعها للشيخ يحيى فاذا فيها

للموت به ظبيا غريرا ۞ مهفهفا ۞ ومذ صار نيسا بعته للسالحى

(ومما نقلته) أن أحد أمراء العرب كان عنده جماعة من أجلاء العرب فقام صاحب المنزل إلى الطهارة ثم عاد وهو قابض بيده على شىء من تحت ثوبه كهيئة المستبرىء من البول ودخل على الجماعة وهو على تلك الصفة وقال من يأخذ الذى بيده الى زوجته فأطرق القوم خجلا فقام رجل منهم وقال زوجتى أولى به يا أمير العرب وأطلق الامير يده وقال هو لك خذه واذا بعقد مجوهر فى يده فهبت القوم وحسدوا الرجل فقال الامير للرجل ما أجرأك على ذلك فان ثقتى أنه لا يظهر

منك الا الكمال فدفع له الف دينار (ذكر ابن خلكان) فى تاريخه فى ترجمة يحيى بن أكثم ما نصه رأيت فى بعض المجاميع أنه أى يحيى بن أكثم مازح الحسن بن وهب وهو يومئذ صبى ثم جمشه فغضب الحسن فأنشد يحيى

أياقمرا جمشته فتغضبا ۞ وأصبح لى من تيهه متجنبا

اذا كنت للتجميش والعض كارها ۞ فكن أبدا يا سيدى متنقبا

ولا تظهر الاصداغ للناس فتنة ۞ وتجعل منها فوق خدك عقربا

فتقتل مشتاقا وتفتن ناسكا ۞ وتترك قاضى المسلمين معذبا

(قال صاحب التالد والطريف)

أنشد الشيخ أبو اسحق الشيرازى امام الشافعية لنفسه ۞ جاء الربيع وحسن ورده ۞ ومضى الشتاء وقبح برده فاشرب على وجه الحبيب ۞ ووجنتيه وحسن خده ۞ قال ابن السمعانى قال لى المظفر قال شعيب بن الحسين القاضى وأنشدنى الشيخ

أبوا اسحق الشيرازي هذين البيتين لنفسه ثم بعد مدة كنت جالسا عند الشيخ فذكر بين يديه أن هذين البيتين أنشدا عضد القاضي عين الدولة حاكم صورة بلد على ساحل بحر الروم فقال لغلامه أحضر ذاك الشأن بريد الشراب فقد أتانا به الامام ابو اسحق فبكى الشيخ ودعا على نفسه وقال ليتني لم أقل هذين البيتين ثم قال لي كيف تردهما من أفواه الناس فقلت يا سيد هيهات قد سار بهما الركبان أورد ذلك ابن النجار في تاريخه واسمه محمد ويلقب بمحب الدين اه (لطيفه) حكى الصفدي رحمه الله بالوافي بالوفيات أن أبا الحسين الجزار رحمه الله تعالى سأله طلبته يوما للتنزه فقالوا له يا سيدي أنت أجدر بشراء اللحم منا فتقدم للجزار وأطلعه من مكانه ووقف هو وأخذ السكين وقطع قطعا ثم انه قطع قطعة رديئة فقالوا له يا سيدي هذه ليست جيدة فقال الشيخ معتذرا والله يا أولادي لما وقفت خلف القرمة أدركني لؤم الجزارين (قصد) ابن هبيرة قبيصة المهلبي واستماحه فلم يسمع له بشيء فانصرف مغضبا فتوجه اليه داود ابن زيد بن حاتم فترضاه وأحسن اليه فقال في ذلك

داود محمود وأنت مذمم ... عجبا لذاك وأنتما من عود

ولرب عود قد يشق لمسجد ... نصفا وباقيه لحش يهودي

فالحش أنت له وذاك لمسجد ... كم بين موضع مسلح وسجود

(وله هجاء في خالد)

أبوك لنا غيث نعيش بوبله ... وأنت جراد لست تبقي ولا تذر

له أثر في المكرمات يسرنا ... وأنت تعفي دائما ذلك الأثر

(ولما قتل) جعفر بن يحيى بكى عليه أبو نواس فقيل له أتبكي على جعفر وأنت تهجوه فقال ذلك لركوبه الهوى وقد بلغه والله إني قلت

ولست وإن أطنبت في وصف جعفر ... بأول إنسان خرى في ثيابه

فكتب يدفع اليه عشرة آلاف درهم يغسل بها ثيابه (ودخل) أبو دلامة على المهدي وعنده اسماعيل بن علي وعيسى بن موسى والعباس بن محمد وجماعة من بني هاشم فقال له المهدي والله لئن لم تهج واحدا ممن في هذا البيت لأقطعن لسانك فنظر الى القوم وتحير في أمره وجعل ينظر كل واحد فيغمزه بأن عليه رضاه قال أبو دلامه فازددت حيرة فما رأيت أسلم من أن أهجو نفسي فقلت

ألا أبلغ لديك أبا دلامه ... فلست من الكرام ولا كرامه

جمعت دمامة وجمعت لؤما ... كذاك اللؤم تتبعه الدمامه

ابتدأ الكلام رجل منهم من ولد جعفر الطيار فقال اصلحك الله انا من اهل بيت رسول الله ﷺ وفينا من ولده وقد حطمتنا المصائب وأجحفت بنا النوائب فان رأيت ان تجبر كسيرا وتغني فقيرا لا يملك قطميرا فافعل فقال لخادمه خذ بيدي واجلسني ثم اقبل معتذرا اليهم ودعا بدواة وقرطاس وقال ليكتب كل منكم بيده انه قبض مني ألف دينار قالوا فبقينا والله متحيرين فلما ان كتبنا الرقاع ووضعناها بين يديه قال لخادمه علي بالمال فوزن لكل واحد منا ألف دينار ثم قال لخادمه يا بشر إذا انا مت فادرج هذه الرقاع في كفني فاذا لقيت محمدا ﷺ في القيامة كانت حجة لي اني قد أغنيت عشرة من ولده ثم قال يا غلام ادفع لكل واحد منهم الف درهم ينفقها في طريقه حتى لا ينفق من الآلاف دينار شيئا حتى يصل إلى موضعه قال فأخذناها ودعونا له وانصرفنا ثم مات رحمه الله تعالى وقيل لما دفن عمر بن عبد العزيز نزل عند دفنه مطر من السماء فوجدوا بردة مكتوبا فيها بالنور (بسم الله الرحمن الرحيم امان لعمر بن عبد العزيز من النار) وقيل لاعرابي انك تموت قال والى اين اذهب قالوا إلى الله تعالى فقال لا اكره ان اذهب إلى لا ارى الخير الا منه وبكى الخولاني عند موته فقيل له ما يبكيك قال ابكي لطول السفر وقلة الزاد وقد سلكت عقبه ولا ادري إلى اين اهبط والى اي مكان أسقط ودخل ملك الموت على داود عليه السلام فقال له من أنت قال أنا الذي لا يهاب الملوك ولا تمنع منه القصور ولا يقبل الرشا فقال اذن أنت ملك الموت واني لم أستعد بعد فقال له يا داود أين فلان جارك أين فلان قريبك قال مات قال أما كان لك في موت هؤلاء عبرة لتستعد بها ثم قبضه عليه السلام (وفي الخبر) من حديث حميد الطويل عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال ان الملائكة تكتنف العبد وتحتبسه ولا ذلك لكان يعدو في الصحراء والبراري من شدة سكرات الموت وقد أجمعت الامة على ان الموت ليس له زمن معلوم فليكن المرء على أهبة من ذلك * وقيل بينما حسان جالس وفي حجره صبي يطعمه الزبد بالعسل إذ شرق الصبي فمات فقال

اعمل وأنت صحيح مطلق فرح ... مادمت ويحك يا مغرور في مهل

يرجو الحياة صحيح ربما كنت ... له المنية بين الزبد والعسل

وقيل ان المأمون لما قربت وفاته دخل عليه بعض اصدقائه فوجده قد فرش له جل دابة وبسط عليه الرماد وهو يتمرغ فيه ويقول يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه (ولما) احتضر عمرو بن العاص

دعا بغل وقيد وقال ألبسونى إياهما فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول التوبة مقبولة مالم يغرغر ابن آدم بنفسه ثم استقبل القبلة وقال اللهم إنك أمرتنا فعصينا ونهيتنا فارتكبنا وهذا مقام العائذ بك فان تعف فأنت أهل العفو وإن تعاقب فبما قدمت يداى لا إله إلا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ثم مات وهو مغلول مقيد فبلغ ذلك الحسن ابن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما فقال استسلم الشيخ ولعلها تنفعه (ولما) احتضر المعتصم جعلوا يهونون عليه فقال هان على النظارة ما يمر بظهر المجلود * وسمع أبو الدرداء رجلا فى جنازة يقول من فقال أنت فان كرهت فأنا وقيل مات عكرمة مولى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وكثير عزة فى يوم واحد فقال رجل اللهم كما جمعتنا فى زيارة القبول فلا تفرق بينهما يوم النشور فما بقى فى المدينة أحد الا استحسن كلامه (ولما احتضر ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قال رأيت خليلا يقبض روح خليله فأوحى الله اليه هل رأيت خليلا يكره لقاء خليله قال فاقبض روحى الساعة * وقيل إذا قضى الله لرجل أن يموت بأرض جعل له اليها حاجة فيسيره اليها وقال بعضهم

إذا ما حام المرء كان ببلدة ... دعته إليها حاجة فيطير

(حكى) أن شابا تقيا من بنى اسرائيل كان يجتمع مع سليمان عليه السلام ويحضر مجالسه فبينما هو عند سليمان فى مجلسه إذ دخل ملك الموت عليه فلما رآه الشاب اصفر لونه وارتعدت فرائصه وقال يا نبى الله انى خفت من هذا الرجل فمر الريح ان تذهب بى الى الهند فأمر سليمان الريح فذهبت به فما كان الا قليل حتى دخل ملك الموت على سليمان وهو متعجب فقال له سليمان مم تعجب قال أعجب أنى أمرت بقبض روح الشاب الذى كان عندك بأرض الهند ودخلت عليك فوجدته عندك فصرت متعجبا ثم توجهت إلى الهند فرأيته هناك وقبضت روحه فهذا عجبى فقال له سليمان انه لما رآك خاف وانزعج وطلب منى أن تحمله الريح الى الهند فأمرتها فحملته وفى ذلك المعنى قال محمد بن الحسن

ومتعب الروح مرتاح إلى بلد ... والموت يطلبه فى ذلك البلد

وقيل ان الانسان يحصل له عند الموت قوة حركة نحو ما يحصل للسراج عند انطفائه من حركة سريعة وضياء ساطع وتسميتها الاطباء النهشة الاخيرة والله أعلم * وقيل ان الرشيد ماتت له جارية وكانت من خواص حظاياه فجزع عليها جزعا شديدا فقال لبعض أصدقائه أما ترى ما بلغت به ما أحببت أحدا إلا مات فقال يا أمير المؤمنين أحببنى فقال ويحك ان الحب ليس هو شىء يصنع انما هو شىء يقع فى القلب تسوقه الاسباب فقال قل أنا أحبك قال نعم أنا أحبك قال فمن وقته ومات وفى الحديث المرفوع كسر عظم الميت ككسره فى حياته وقال يزيد بن أسلم لقد كان يمضى فى الزمن الأول أربعمائة سنة ما يسمع فيها بجنازة وعن ميمون بن مهران قال شهدت جنازة ابن عباس رضى الله عنه بالطائف فلما وضع ليصلى عليه جاء طائر ابيض حتى وقف على اكفانه ثم دخل فيها فالتمسناه فلم نجده ولما سوينا عليه التراب سمعنا من يسمع صوته ولا يرى شخصه يقول يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك الآية وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان قبر آدم عليه السلام بمسجد الخيف بمنى وقال عطاء بلغنى أن قبره تحت المنارة التى وسط الخيف وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى ما يبكيه عند ذكر الجنة والنار فقيل له فى ذلك فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول القبر أول منازل الآخرة فان نجا العبد منه فما بعده أيسر منه وعن معاذ بن رفاعة الزرقى قال أخبرنى رجل من رجال قومى أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ فى جوف الليل معتجرا بعمامة من استبرق فقال يا محمد من هذا الميت الذى فتحت له أبواب واهتز له العرش فقام رسول الله ﷺ

إذا لبس العمامة قلت قرد وخنزير إذا نزع العمامة فضحك القوم ولم يبق منهم أحد الا أجازه ولكن لاعرابى امرأتان ولدت إحداهما جارية والاخرى غلاما فرقصته أمه يوما وقالت معيرة لضرتها

الحمد لله الحميد العالى
أنقذنى اليوم من الجوالى
من كل شوهاء كشن بالى
لا تدفع الضيم عن العيال

فسمعتها ضرتها فاقبلت ترقص ابنتها وتقول

وما على أن تكون جارية
تغسل رأسى وتكون
وترفع الساقط عن خمارية
حتى اذا ما بلغت ثمانية
أزرتها بنقبة يمانية
أنكحتها مروان أو معاوية
أصهار صدق ومهور غالية

قال فسمعها مروان فتزوجها على مائة ألف مثقال وقال ان امها حقيقة أن لا يكذب ظنها ولا يخان عهدها فقال معاوية لولا مروان سبقنا اليها لاضعفنا لها المهر ولكن لا تحرم الصلة فبعث اليها بمائة ألف درهم (قيل) ان رجلا قال لولده وهو فى المكتب فى أى سورة أنت فقال لا أقسم بهذا البلد ووالدى بلا ولد فقال لعمرى من كنت ولده فهو بلا ولد (وأرسل) رجل ولده يشترى له رشاء للبئر طوله عشرون ذراعا فوصل إلى نصف الطريق ثم رجع فقال يا أبت عشرون ذراعا فى عرض كم

يجر ثوبه مبادرا إلى سعيد بن معاذ رضى الله عنه فوجده قد قبض وقال الحسن رضى الله عنه مامن يوم إلا وملك الموت يتصفح وجوه الناس خمس مرات فمن رآه على لهو ولعب أو معصيا أوضاحكا حرك رأسه وقال له مسكين هذا العبد غافل عما يراد به ثم يقول له اعمل ما شئت فان لى فيك غمزة أقطع بها وتينك وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لرجاء بن حيوة يارجاء إذا وضعت فى لحدى فاكشف الثواب عن وجهى فان رأيت خيرا فاحمد الله وان رأيت غير ذلك فاعلم أن عمر قد هلك قال رجاء فلما دفناه كشف عن وجهه فرأيت نورا ساطعا فحمدت الله تعالى أن قد صار إلى خير وقال أيضا دخلت على عمر ابن عبد العزيز وهو محتضر فقال يارجائى انى أرى وجوها كراما ليست بوجوه انس ولاجان وهو يقلب طرفه يمينا وشمالا ثم رفع يده فقال اللهم أنت ربى أمرتنى فقصرت ونهيتنى فعصيت فان غفرت فقد مننت وان عاقبت فما ظلمت الا انى اشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك المصطفى ونبيك المرتضى بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الامة فعليه السلام والرحمة ثم قضى نحبه رحمه الله وعن اسماء بنت عميس قالت كنت عند أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه بعد ما ضربه ابن ملجم اذ شهق شهقة بعد أغمى عليه ثم أفاق وقال مرحبا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فقيل له ما ترى قال هذا رسول الله ﷺ وهذا أخى جعفر وعمى حمزة وأبواب السماء مفتحة والملائكة ينزلون على يبشرونى بالجنة وهذه فاطمة قد أحاط بها وصفائها من الحور العين وهذه منازلى لمثل هذا فليعمل العاملون (ولما) احتضر عبد الملك بن مروان قال لابنه الوليد إذا أنامت إياك ان تجلس وتعصر عينيك كالمرأة الوكعاء لكن ائتزر وشمر والبس جلد النمر وضعنى فى حفرتى وخلنى وشأنى وعليك شأنك وادع الناس إلى بيعتك فمن قال برأسه هكذا فقل له بسيفك هكذا ثم بعث الى محمد وخالد ابنى يزيد ابن معاوية فقال هل عندكما ندامة فى بيعة الوليد فقالوا إلا نعرف أحدا أحق منه بالخلافة فقال أنكما لو قلتما غير هذا لضربت الذى فيه أعينكما ثم رفع كنار فراشه فاذا تحت سيف مسلول تحت يمينه كل هذا وروحه تتردد فى حنجرته وهو يقول الحمد لله الذى لايبالى اصغيرا أخذ أم كبيرا لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم بعد ساعة نفذت روحه فدخل عليه الوليد ومعه بناته يبكون فتمثل بقول الشاعر

ومستخبر عنا يريـد بنا الردى ... ومستعبرات والعيون سواكن

وقال محمد بن هرون وكأنى باخوانى على جنب جفوتى ... يهيلون فوقى والعيون دما تجرى

فيا أيها المذرى على دموعه ... ستعرض على يومين عنى وعن ذكرى

عفا الله عنى انزل القبر ثاويا ... ازار فلا أدرى وأجفى فلا أدرى

وكان يزيد الرقاشى يقول من كان الموت موعده والقبر بيته والثرى مسكنه والدود أنيسه وهو مع هذا ينتظر الفراغ الاكبر كيف تكون حالته ثم يبكى حتى يغشى عليه فيجب على العاقل أن يحاسب نفسه بنفسه على مايفرط من عمره ويستعد لعاقبة أمره بصالح العمل ولا يغتر با لامل فان من عاش مات ومن مات فات كل ماهو آت آت نسأل الله أن يلهمنا رشدنا ويوفقنا لإتباع أوامره واجتناب نواهيه وأن يجعل الموت خير غائب ننتظره وان يختم لنا بالخير وان يتغمدنا برحمته انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد على آله وصحبه وسلم

(الباب الثانى والثمانون فى الصبر والتأسى والتعازى والمراثى ونحو ذلك وفيه فصول)

(الفصل الأول فى الصبر) قال الله تعالى وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون وقال ﷺ مامن مسلم يصاب بمصيبة والاقل عهدها فأحدث استرجاعا الا أحدث الله له

برجل يصيح بشاب ياعبد الله فلم يجبه ذلك الشاب فقال ألا تسمع فقال ياعم كلنا عبيد الله فأى عبد الله تعنى فالتفت أبو حمزة اليه وقال ياحمزة فقال حمزة بن الاعرابى كلنا حامين الله فأى حمزة تعنى فقال أبوه أعنيك يامن أحدالله به ذكر أبيه

(ويعجبنى قول الصفدى)

لولاشفاعة شعره فى صبه ... ما كان زار ولا أزال سقاما

لكن تنازل فى الشفاعة عنده ... وغدا على أقدامه يترامى

(وقال ابن الصائغ)

ثنى غصنا ومد عليه فرعا ... كأنى حين أطلب منه وصلا

وبلبله على الارداف منه ... فلم أر مثل ذاك الفرع أصلا

(وقول الآخر)

بدت ثريا قرطها وشعرها ... متصل بكعبها كما ترى

ياعجبا لشعرها لما ابتدى ... من الثريا فانتهى إلى الثرى

(وقول ابن نباته)

وبمهجتى رشأ يميس قوامه ... فكأنه نشوان من شفتيه

شغف العذار بخده ورآه قد ... مست لواحظه فدب عليه

(وقوله أيضا مضمنا)

وضعت سلاح الصبر عنه فاله ... يغازل بالالحاظ من لا يغازله وسال عذار فوق خديه سائل ... على حده فليتق الله سائله

(ولبعضهم فى ذم العذار) غدا لما التحى ليلا بهيما

مثله

مثله وأعطاه مثل أجره ذلك يوم اصيب بها وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ من أصبح حزينا أصبح ساخطا على ربه ومن أصبح يشكو مصيبة فكأنما يشكو الله ومن تواضع لغنى سأله مافى يده أحبط الله ثلثى عمله ومن أعطى القرآن ولم يعمل به وتهاون به حتى دخل النار أبعده الله عن رحمته لأنه هو الذى فعل ذلك بنفسه حيث لم يعرف حرمة القرآن ۰ وروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ انه قال من مات له ثلاثة من الولد يلج النار الاتحلة القسم يعنى قوله تعالى وان منكم إلا واردها وعن أم سلمة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال من مصيبة فقال كما أمر الله إنا لله وإنا اليه راجعون اللهم أجرنى فى مصيبتى وأعقلنى خيراً منها الافعل الله بك ذلك وروى أنه لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ذرفت عيناه فقال له عبد الرحمن بن عوف يارسول ألم تنه عن البكاء قال إنما نهيت عن الغناء والصوتين الأحمقين والندب ولكن هذه رحمة جعلها الله تعالى فى قلوبنا ومن لايرحم لايرحم فان القلب يخشع والعين تدمع وإنا بك ياإبراهيم لمحزونون ولانقول إلا مايرضى الله ربنا انا لله وإنا اليه راجعون وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أول شىء كتبه الله فى اللوح المحفوظ انى أنا الله لاإله إلا أنا ومحمد عبدى ورسولى من استسلم لقضائى ويصبر على بلائى وشكر نعمائى كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين ومن لم يستسلم لقضائى ولم يصبر على بلائى ولم يشكر نعمائى فليتخذ ربا سوائى وقال ابن المبارك إن المصيبة واحدة فاذا جزع صاحبها فهما اثنتان لأن إحداهما المصيبة بعينها والثانيه ذهاب أجره وهو أعظم من المصيبة وعن العلاء بن عبد الرحمن أن النبى ﷺ لما حضرته الوفاة بكت فاطمة فقال لاتبكى يابنتاه قولى إذا مت انا لله وإنا إليه راجعون فإن لكل انسان مصيبة معوضة قالت ومنك يارسول الله قال ومنى وعن عطاء بن أبى رباح قال قال رسول الله ﷺ من أصابته مصيبة فيذكر مصيبته بى فانها من أعظم المصائب وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال من أخذت حبيبتاه يعنى عينيه فصبر واحتسب أدله الله الجنة وقيل ان امرأة أيوب عليه الصلاة والسلام قالت له لو دعوت الله تعالى أن يشفيك فقال لها ويحك كنا فى النعماء سبعين عاما أفلا نصبر على الضراء مثلها فلم يلبث إلا يسيراً أن عوفى وقيل الصبر مفتاح الظفر والتوكل على الله تعالى رسول النجاح وقيل من لم يلق نوائب الدهر بالصبر طال عتبه عليه ۰ وقيل ان معاوية رضى الله تعالى عنه خرج يوما ومعه عبد العزيز بن زرارة الكلبى وكان ذا منصب وشرف وعقل وأدب فقال له معاوية ياعبد العزيز أتانى نعى سيد شباب العرب فقال له ابنى أو ابنك قال بل ابنك قال للموت تلد الوالدة ومما قيل اصبر لحكم من لاتجد معولا إلا عليه ولا مفزعا إلا اليه وقال سويد السدوسى

فأوصيكما يابنى سدوس كلاكما ... بتقوى الذى أعطاكما وبراكما
بشكرا إذا ماأحدث الله نعمة ... وصبر لأمر الله فيما ابتلاكما

(وقال) أياصاحبى ان رمت أن تكسب العلا ... وترقى إلا العلياء غير مزاحم
عليك بحسن الصبر فى كل حالة ... فما صابر فيما يروم بنادم

(وقال آخر) هو الدهر قد جربته وبلوته ... فصبرا على مكروهه وتجلدا

وحدث الزبيرة قال قامت عائشة بعد مادفن أبوها أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فقالت نصر الله وجهك وشكر صالح سعيك فقد كنت للدنيا مذلا باد بارك عنها وللاخرة معزا باقبالك عليها ولئن كان رزؤك أعظم المصائب بعد رسول الله ﷺ وأكبر الاحداث بعده فان كتاب الله تعالى قد وعدنا بالثواب على الصبر فى المصيبة وأنا تابعة له فى الصبر فأقول إنا لله وإنا اليه راجعون ومستعيضة باكثر الاستغفار

مازال يتصف ريحانا بعارضه
حتى استطال عليه صار بحاقة
كأنما طورسينا فوق عارضه
طول الزمان قوسى لايفارقه

(برهان الدين القيراطى)

شبه السيف والسنان بعينى
من لقتلى بين الأنام استحلا
فأنى السيف والسنان وقالا
حدنا دون ذاك حاشا وكلا

(ابن الصائغ)

لمثلى من لواحظها سهام
لها فى القلب فتك أى فتك
إذا رامت تشك به فؤادا
يموت المستهام بغير شك

(الصلاح الصفدى)

ياعادلا لى على عين عجيبة
خف سحر ناظرها فالسحر فيه خفى
وخذ فؤادى يودعه نصب مقلتها
لاترم نفسك بين السهم والهدف

(آخر)

أنفقت كنز مدامعى فى نفر
وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة
فمضى وراح تغزلى فى البارد

(عز الدين الموصلى)

لك فسلام الله عليك توديع غير قالية لحياته ولا رازئة على القضاء فيك (ولما)مات ذر الهمدني جاء أبوه فوجده ميتا وكان موته فجأة وعياله يبكون عليه فقال مالكم والله ماظلمناه ولاقهرناه ولاذهب لنا بحق ولاأصابنا فيه ماأخطأ من كان قبلنا فى مثله ولما وضعه فى حفرته قال رحمك الله يا بنى وجعل أجرى فيك لك والله مابكيت عليك وإنما بكيت لك فوالله لقد كنت بى باراً ولى نافعاو كنت لك محبا ومابى إليك من وحشة ورمابى إلى أحد غير الله من فاقة وماذهبت لنا بعزة وماأبقيت لنا من ذل ولقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك ياذر لولا هول المطلع لتمنيت ماصرت إليه فليت شعرى ماذا قلت وماذا قيل لك ثم رفع رأسه إلى السماء وقال اللهم انك وعدت الصابرين على المصيبة ثوابك ورحمتك اللهم وقدوهبت ماجعلت لى من الاجر الى ذر صلة منى له فلا تحرمنى ولاتعرفه قبيحا وتجاوزعنه فانك رحيم بى وبه اللهم قدوهبت لك إساءته لى فهب لى اساءته اليك فانك أجود منى وأكرم اللهم انك قدجعلت لك عليه حقا وجعلت لى عليه حقا قرنته بحقك فقلت اشكرلى ولوالديك الى المصير أرادالانصراف قال ياذر قد انصرفنا وتركناك ولو أقمنا عندك ماتفعنا اه وفى الحديث اذامات ولد العبد يقول الله تعالى للملائكة ماذا قال عبدى عند قبض روح ولده وثمرة فؤاده فيقولون إلهنا حمدك واسترجع فيقول الله تعالى اشهدكم ياملائكتى انى بانيت له بيتا فى الجنة وسميته بيت الحمد وعن عبدالله ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه دفن ابنا له وضحك عند قبره فقيل له انضحك عند القبر قال أردت أن ارغم أنف الشيطان فينبغى للعبد أن يتفكر فى ثواب المصيبة فتسهل عليه فاذا أحسن الصبر استقبله يوم القيامة ثوابها حتى يود له أن أولاده وأهله وأقاربه ماتوا قبله لينال ثواب المصيبة وقد وعد الله تعالى فى المصيبة ثوابا عظيما إذا صبر صاحبها واحتسب وقال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وقال تعالى ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الآية اللهم رضينا بقضائك وصبرنا على بلائك راغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين يارب العالمين .

(الفصل الثانى من هذا الباب فى التعازى والتأسى) روى الترمذى فى كتاب السنن للبيهقى عن عبدالله ابن مسعود عن النبى ﷺ قال من عزى مصابا فله مثل أجره وروينا فى كتاب الترمذى أيضا بسند متصل إلى رسول الله ﷺ قال من عزى ثكلى كسى برداء فى الجنة وروينا فى سنن ابن ماجه والبيهقى باسناد حسن عن عمرو بن حزم عن النبى ﷺ قال مامن مؤمن يعزى أخاه بمصيبته الاكساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة (أعلم) أن التعزية هى التصبير وذكر مايسلى صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته وهى مستحبة فانها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهى أيضا داخلة فى قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وهى من أحسن مايستدل به فى التعزية وثبت فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه ه واعلم أن التعزية مستحبة قبل الدفن وبعده وتكره بعد ثلاثة أيام لأن التعزية لتسكين قلب المصاب والغالب سكونه بعد ثلاثة أيام فلا يجدد الحزن هكذا قال الجماهير من أصحاب الشافعى رضى الله تعالى عنه وقيل انها لاتفعل بعد ثلاثة أيام إلا فى صورتين وهما إذا كان المعزى أو صاحب المصيبة غائبا حال الدفن فاتفق رجوعه بعد الثلاثة وأما لفظ التعزية فلا حجر فيه فبأى لفظ عزاه حصلت واستحب أصحاب الشافعى ان يقول فى تعزية المسلم بالمسلم عظم الله أجرك وأحسن عزاءك وغفر لميتك وفى المسلم بالكافر أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك وفى الكافر

(ابن نباته)
شقت لها الشمس ثوبا من محاسنها
فالوجه للشمس والعينان للريم
(آخر)
بصاروها كوكبا دركانهما ركنان لم يدنسا من لمس مستلم
صانتهما بستور من غلائلها
فالناس فى الحل والركنان فى الحرم
(الصلاح الصفدى)
تقول له الاغصان مذهز عطفه
أتزعم أن اللين عندك ماقوى
فقم نحتكم للروض عند نسيمه
ليقضى على من مال منا إلى الهوى
(وكانه ينظر إلى قول السراج)
ومهفهف عنى يميل ولم يمل
يوما إلى فصحت من ألم الجوى
إلم لاتميل إلى ياغصن النقى
فأجاب كيف وأنت من جهة الهوى
(أراد ملك الروم) أن يباهى أهل الإسلام فبعث إلى معاوية رجلين أحدهما طويل والثانى قصير شديد القوة فدعا للطويل بقيس بن سعد ابن عبادة فنزع قيس سراويله ورمى بها اليه فلبسها الطويل فبلغت

بالكافر أخلف الله عليك ولا نقص لك عددا . روى ان النبي ﷺ فقد بعض أصحابه فسأل عنه فقالوا يارسول الله بنيه الذي رأيته هلك فلقيه النبي ﷺ فسأل عن بنيه فقال يارسول الله هلك فعزاه فيه ثم قال يافلان أيما كان أحب اليك أن تتمتع به عمرك أو لا تأتي غدا بابا من أبواب الجنة الا وجدته وقد سبقك اليه فيفتحه اليك فقال يارسول الله سبقه لي باب الجنة أحب إلي من التمتع به دار الدنيا قال ذلك لك وروي البيهقي بإسناده في مناقب الشافعي رحمهما الله أن الشافعي قد بلغه أن عبد الرحمن بن مهدي مات له ابن لجزع عليه جزعا شديدا فبعث اليه الشافعي رحمه الله يقول يا أخي عز نفسك بما تعز به غيرك واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك واعلم أن أمض المصائب فقد سرور وحرمان أجر فكيف إذا اجتمعا مع اكتساب وزر ألهمك الله عند المصائب صبرا وأجزل لنا ولك بالصبر أجرا وروى عن ابن المبارك قال مات لي ابن فمر بي مجوسي وقال ينبغي للعاقل ان يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام فقال اكتبوها منه وعن معاذ بن جبل أنه قال مات لي ابن فكتب إلى رسول الله ﷺ من محمد رسول الله ﷺ إلى معاذ بن جبل سلام عليكم فأني أحمد الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فعظم الله لك الاجر وألهمك الصبر ورزقنا واياك الشكر ثم اعلم أن أنفسنا وأموالنا وأهلنا وأولادنا من مواهب الله تعالى الهنية وعواريه المستودعة يمتعنا بها إلى أجل معدود ويقبضها لوقت معلوم ثم فرض الله تعالى علينا الشكر إذا أعطى والصبر إذا ابتلى وكان ابنك من مواهب الله الهنية وعواريه المستودعة متعك الله به في غبطة وسرور وقبضه بأجر كبير ان صبرت واحتسبت فاصبر واحتسب واعلم ان الجزع لا يرد ميتا ولا يطرد حزنا وروى أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه كان إذا عزى مرزأ قال ليس مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة والموت أشد مما قبله وأهون مما بعده فاذكر مصيبتك برسول الله ﷺ تهن عليك مصيبتك وعزى الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه صديقا له فقال

أنا نعزيك لا أنا على ثقة ... من الحياة ولكن سنة الدين
فما المعزى بباق بعد ميته ... ولا المعزي ولو عاشا إلى حين

وكتب بعضهم إلى له يعزيه أنت يا أخي اعزك الله عالم بالدنيا وماخلقت له من الفناء وانها لم تعط الا اخذت ولم تسر الا احزنت وان الموت سبيل محتوم على الأولين والآخرين لا دافع عنه ولا مؤخر لما قضى الله عز وجل منه وانا لله وانا اليه راجعون . وعزى رجل بعض الخلفاء بابن له فكتب اليه يقول

تعز امير المؤمنين فانه ... لما قد ترى يغذى الصغير ويولد
هل الابن الامن سلالة آدم ... الكل على حوض المنية مورد

وكتب بعضهم إلى صديق له وقد ماتت ابنته فقال

الموت خير سوأة للبنات ... ودفنها يروي من المكرمات
أما رأيت الله سبحانه ... قد وضع النعش بجنب البنات

وكتب بعضهم إلى صديق له يعزيه بأخيه ويسليه ما تصنع يا أخي والقضاء نازل والموت حكم شامل وان لم تلذ بالصبر فقد اعترضت على مالك الأمر وأنت تعلم أن نوائب الدهر لا تدفع إلا بعزائم الصبر فاجعل بين هذه اللوعة الغالبة والدمعة الساكبة حاجبا من فضلك وحاجزا من عقلك ودافعا من دينك ومانعا من يقينك فان المحن إذا لم تعالج بالصبر كانت كالمنح إذا لم تقابل بالشكر فصبر صبرا ففحول الرجال لا تستفزها الأيام بخطوبها كما أن متون الجبال لا تهزها العواصف بهبوبها فعزيز على أن اخاطب مولاي معزيا واكاتبه مسليا عن كبير او صغير مما يتعلق بخدمته أو ينتمي إلى جملته فكيف بالصمصام الأكرم والذخر الاعظم والركن الأشد والسهم الاسد والشهاب الأسطع والحسام الاقطع لكن

تديبه فلاموا قيسا على نزع السراويل فقال أردت لكيما يعلم الناس أنها ... سراويل قيس والوفود شهود

وكيلا يقولوا خان قيس وهذه ... سراويل عاد احرزتها ثمود
واني من القوم اليمانين سيدي ... وما الناس إلا سيد ومسود

ثم دعا معاوية للرجل الشديد القوة بمحمد بن الحنفية فخيره بين ان يقعد فيقيمه او يقوم فيقعده فغلبه في الحالتين وانصرفا مغلوبين (وحكي الجاحظ) ما اخجلني قط الا امرأة مرت بي إلى صائغ فقالت له أعمل مثل هذا فبقيت مبهوتا ثم سألت الصائغ فقال هذه امرأة أرادت أن اعمل لها صورة شيطان فقلت لا أدري كيف أصوره فأتت بك إلي لاصوره على صورتك وفي الجاحظ يقول بعضهم

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا ... ما كان الادون قبح الجاحظ
رجل ينوب عن الجحيم بوجهه ... هو القذى في عين كل ملاحظ
ولو أن مرآة جلت لمثاله ... ورآه كان له كأعظم واعظ

(قيل) أنه قدم تاجر الى المدينة بحمل من خمر العراق فباع الجميع الا السود فشكا الى الدارمي وقد تنسك وتعبد فعمل بيتين وأمر من يغني

التعزية سير سائرة وسنة ماضية غابرة وقدر الله هو المقدر وأجل الله إذا جاء لا يؤخر ولولا أن الذكرى تنفع والتعزية يستوي فيها الأشرف والاوضع لأجللت مولاي أن أفاتحه معزيا وأخاطبه مسليا ولكن بحمد الله العالم لا يعلم والسابق لا يتقدم فبمولاي يقتدى في الصبر على النوائب وبنوره يهتدى في مشكلات المذاهب وكل ماكان من الرزء أوجع كان الأجر عليه أوسع جعل الله مولاي من الصابرين على المصيبة وأعظم اجره وجعل الجنة نصيبه * وعزى رجل فتى عن أبيه فلم يجده كما أحب فقال يابني سوء الخلف أضر علينا من فقد السلف * ومات لبعض ملوك كنده ابنة فوضع بين يديه بدرة من المال وقال من بالغ في تعزيته فهي له فدخل عليه اعرابي وقال عظم الله أجر الملك كفيت المؤنة وسترت العورة ونعم الصهر القبر فقال قد أبلغت وأوجزت ثم دفعها له * وعزت اعرابية قوما فقالت جافى الله عن ميتكم الثرى وأعانه على طول البلى وآجاركم ورحمه وكان لعلي بن الحسين جليس مات له ابن فجزع عليه جزعا شديدا فعزاه علي بن الحسين رحمه الله ووعظه فقال يا ابن رسول الله ان ابني كان مسرفا على نفسه فقال لا تجزع فان من ورائه ثلاث خلال أولهن شهادة أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمدا رسول الله والثانية شفاعة جدي ﷺ والثالثة رحمة الله التي وسعت كل شيء فأين يخرج ابنك عن واحدة من هذه الخلال وقال سليمان بن عبدالملك عند موت ابنه لعمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة ان في كبدي جمرة لا يطفئها إلا عبرة فقال عمر اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك بالصبر فنظر إلى رجاء كالمستريح بمشورته فقال رجاء أفضها يا أمير المؤمنين فما بذلك من بأس لقد دمعت عينا رسول الله ﷺ على ابنه إبراهيم وقال ان العين لتدمع وان القلب ليخشع ولا نقول ما يسخط الرب وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون فارسل سليمان عينيه حتى قضى أربه ثم أقبل عليهم وقال لولا نزفت هذه العبرة لانصدع كبدي ثم إنه لم يبك بعدها * وكتب الاسكندر إلى أمه قبل وفاته بقليل إذا وصل إليك كتابي هذا فاجمعي أهل بلدي وأعدي لهم طعاما ووكلي بالأبواب من يمنع عن إصابته مصيبة في أم أو أب أو أخ أو أخت أو ولد ففعلت فلم يدخل إليها أحد فعلمت أن الاسكندر عزاها في نفسه * ولما قتل الفضل بن سهل دخل المأمون على أمه يعزيها فيه فقال لها يا أماه لا تحزني على الفضل فأنا خلف منه فقالت كيف لا أحزن على ولد عوضني عنه خليفة مثلك فعجب المأمون من جوابها وكان يقول ما سمعت قط أحسن منه ولا أجلب للقلوب فقال لها عليك بالصبر فان فيه مزيد الأجر ومن جزع على ولده جعفر بن علية لما قتله الحرث قام نساء الحي يبكين عليه وقام أبوه إلى ولد كل شاة وناقة فذبحه والقاه بين أيديها وقال لها أبكين معي على جعفر فما زالت النوق ترغو والشياه تيعر والنساء يصرخن ويبكين وهو يبكي معهن فلم ير مأتم كان أوجع منه * وقال يحيى بن خالد التعزية بعد ثلاثة أيام تجديد للحزن والتهنئة بعد سنة تجديد للفرح (ومما قيل في التأسي والتسلي بالخلف عن السلف) قيل عزى بعض الشعراء يزيد بن معاوية في والده فقال

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة   واشكر إلهك من بالملك حاباكا
لا رزء أصبح في الأيام نعرفه   كما رزئت ولا عقبى كعقباكا

(وقال آخر) لابد من فقد ومن فاقد   هيهات ما في الناس من خالد

(وقال آخر) تبصر فلو ان البكا رد هالكا   على أحد فأكثر بكاك على عمرو

وكتب بعضهم إلى أولاد صديقه يعزيهم ويسليهم في والدهم فقال

فلو كان فيض الدمع ينفع باكيا   لعلمت غرب الدمع كيف يسيل
فان غاب بدر فالنجوم طوالع   ثوابت لا يقضى لهن أفول

قد كان شمر للعبادة ذيله   حتى وقفت له بباب المسجد

فشاع الخبر في المدينة ان الدارمي رجع عن زهده وتعشق صاحبة الخمار الاسود فلم تبق في المدينة مليحة إلا اشترت لها خمارا أسود فلما أنفد التاجر ما كان معه رجع الدارمي إلى تعبده وعمد إلى ثياب نسكه فلبسها (ومر) رجل أشمط بامرأة عجيبة في الجمال فقال يا هذه ان كان لك زوج فبارك الله لك فيه والا فاعلمينا فقالت كأنك تخطبني قال نعم فقالت ان في عيبا قال وما هو قالت شيب في رأسي فثنى عنان دابته فقالت على رسلك فلا والله ما بلغت عشرين سنة ولكنني حببت أن أعلمك اني أكره منك مثل ما تكره مني وقال عبدالله الماجشون وهو من فقهاء المدينة وقال لي المهدي يوما ياماجشون ماقلت حين فارقت احبابك قال قلت يا أمير المؤمنين

لله باك على احبابه جزعا   قد كنت أحذر هذا قبل أن يقعا
ما كان والله شؤم الدهر يتركني   حتى يجرعني من بعدهم جزعا
ان الزمان رأى الف السرور لنا   فدب بالبين فيما بيننا وسعى

بماث

فليصنع الدهر بى ماشاء مجتهداً فلا زيادة شىء فوق ما صنعا

يغاث بها فى ظلمة الليل حائر ويسرى عليها بالرفاق دليل

(ودخل) عبدالملك بن صالح على الرشيد وقد مات له ولد وولد له فى تلك الليلة ولد فقال سرك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجمع لك بين أجر الصابر وثواب الشاكر وقال بعضهم

أليس لهذا صار آخر أمرنا فلا كانت الدنيا القليل سرورها

فلا تعجبى يا نفس مما ترينه فكل أمور الناس هذا مصيرها

وسئل الاصمعى عن قول الخنساء فى نعيها صخر حين مات ونعته فقالت

يذكرنى طلوع الشمس صخرا واندبه لكل غروب شمس

فقالوا له لماذا أنها خصت الشمس دون القمر والكواكب فقال لكونه كان يركب عند طلوع الشمس يشن الغارات وعند غروبها يجلس مع الضيفان فذكرته بهذا مدحا لأنه كان يغير على أعدائه ويتقيد بضيفه وقد رثته بعد البيت الأول بأبيات منها

ألا يانفس لا تنسيه حتى أفارق عيشتى وأزور رمسى ولولا كثرة الباكين حولى على أمواتهم لقتلت نفسى وما يبكون مثل أخى ولكن أسلى النفس عنه بالتأسى

(وقال آخر) ولولا الأسى ماعشت فى الناس ساعة ولكن إذا ناديت جاوبنى مثلى

(وقال آخر) وهون وجدى عن خليلى أننى إذا شئت لاقيت الذى أنا صاحبه

(وقال آخر) يؤدينى إلى الصبر والعزا تردد فكرى فى عموم المصائب

(الفصل الثالث فى المراثى) لما توفى رسول الله ﷺ رثاه جماعة من أصحابه وآله بمراث كثيرة * منها ماروى عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فانه كان أقرب الناس إليه وهو أول من رثاه فقال

لما رأيت نبينا متجندلا ضاقت على بعرضهن الدور فارتاع قلبى عند ذاك لموته والعظم منى ماحييت كسير أعتيق ويحك أن خلك قد ثوى والصبر عندك ما بقيت يسير

ياليتنى من قبل مهلك صاحبى غيبت فى لحد عليك صخور

فلتحدثن بدائع من بعده تعيا بهن جوانح وصدور

(وقال آخر)

فقدت أرضنا هناك نبينا كان يغدو به النبات زكيا خلقا عاليا ودينا كريما

وصراطا يهدى الانام سويا وسراطا يجلو الظلام منير ونبيا مؤيدا عربيا

حازما عازما حليما كريما عائدا بالنوال براتقيا أن يوما أتى عليك ليوم

كورت شمسه وكان خليا فعليك السلام منا جميعا دائم الدهر بكرة وعشيا

ورثاه ﷺ أبو سفيان بن الحرث فقال

أرقت فبات ليلى لا يزول وليل أخى المصيبة فيه طول وأسعدنى البكاء وذاك فيما

أصيب المسلمون به قليل لقد عظمت مصيبتنا وجلت عشية قيل قد قبض الرسول

وأضحت أرضنا مما عراها تكاد بنا جوانبها تميل فقدنا الوحى والتنزيل فينا

يروح به ويغدو جبرئيل وذاك أحق ما سالت عليه نفوس الناس أو كادت تسيل

نبى كان يجلو الشك عنا بما يوحى إليه وما يقول ويهدينا فلا نخشى ملاما

علينا والرسول لنا دليل أفاطم أن جزعت فذاك عذر وأن لم تجزعى فهو السبيل

فقبر أبيك سيد كل قبر وفيه سيد الناس الرسول

فقال والله لأعيننك فأعطاه عشرة آلاف دينار (وحكى بعضهم) قال دخلنا إلى ديرهرقل فنظرنا إلى مجنون فى شباك وهو ينشد شعرا فقلنا له أحسنت فأومأ بيده إلى حجر يرمينا به وقال لمثلى يقال أحسنت ففررنا منه فقال أقسمت عليكم إلا مارجعتم حتى أنشدكم فإن أنا أحسنت فقولوا أحسنت وأن أنا أسأت فقولوا أسأت فرجعنا إليه فأنشد يقول

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم وحملوها وسارت بالدمى الابل * وقلبت بخلال السجف ناظرها ترنو إلى ودمع العين ينهمل وودعت ببنان زانها عنم ناديت لا حملت رجلاك ياجمل

ياحادى العيس عرج كى أودعهم ياحادى العيس فى ترحالك الاجل

إنى على العهد لم أنقض مودتهم ياليت شعرى لطول البعد مافعلوا

فقلنا له ماتوا فقال وأنا والله أموت ثم شهق شهقة فإذا هو ميت (قيل) لما وفد المهدى من الرى إلى العراق امتدحه الشعراء فقال أبو دلامة

إنى نذرت لئن رأيتك قادما أرض العراق وأنت ذو وفر لتصلين على النبى محمد ولتملأن دراهما حجرا

ولما مات) أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه رثاه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بهذه الابيات حين رجع من دفنه فقال

ذهب الذين أحبهم فعليك يا دنيا السلام

لا تذكرين العيش لي • فالعيش بعدهم حرام • اني رضيع وصالهم • والطفل يؤلمه الفطام

ورثى بعضهم محمد بن يحيى بعد موته فقال

سألت الندى والجود مالي أراكما تبدلتما عزا بذل مؤبد وما بال ركن المجد أمسى مهدما

فقال أصبنا بابن يحيى محمد فقلت فهلا متما بعد موته وقد كنتما عبديه في كل مشهد

فقالا أقمنا كي نعزى بفقده مسافة يوم ثم نتلوه في غد

(وقال آخر) ولا أرتجي في الموت بعدك طائلا ولا أتقي للدهر بعدك من خطب

(وفي المعنى لبعضهم)

لقد آمنت نفسي المصائب بعده فأصبحت منها آمنا أن أروعا

فما تتقي الدهر بعدك نكبة ولا أرتجي للعيش بعدك مرتعا

ورثى أشجع السلمي عبد الله بن سعيد فقال

مضى ابن سعيد حيث لم يلق مشرق ولا مغرب إلا له فيه مادح

وما كنت أدري ما فواضل كفه على الناس حتى غيبته الصفائح

وأصبح في لحد من الأرض ميتا وكان به حيا تضيق الصحاصح

سأبكيك ما فاضت دموعي فان تغض فحسبك مني ما تكن الجوانح

وما أنا في رزء وان جل جازع ولا بسرور بعد فقدك فارح

لئن حسنت فيك المراثي بذكرها فقد حسنت من قبل فيك المدائح

(وقال آخر) إلى الله أشكو لا إلى الناس انني أرى الأرض تبقى والاخلاء تذهب

أخلاي لو غير الحمام اصابكم عتبت ولكن ما على الدهر معتب

(وقال العباس بن الاحنف)

إذا ما دعوت الصبر بعدك والبكا أجاب البكا طوعا ولم يجب الصبر

فان ينقطع منك الرجاء فإنه سيبقى عليك الحزن ما بقي الدهر

(وقال آخر يرثي صديقه)

خليلي ما ازداد الا صبابة • إليك وما تزداد إلا تنائيا • خليلي لو نفس فدت نفس ميت فديتك مسرورا بنفسي ومااليا • وقد كنت أرجو أن تعيش وان أمت • لحال رجاء الله دون رجائيا

ألا فليمت من شاء بعدك انما عليك من الاقدار كان حذاريا

(أخذها بعضهم فقال) كنت السواد لمقلتي يبكي عليك الناظر

من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر

(وقال آخر يرثي بعض أولاده)

وقاسمني دهري بني مشاطرا • فلما تقضى شطره عاد في شطري • ألا ليت أمي لم تلدني وليتني سبقتك إذا كنا إلى غاية تجري • وقد كنت ذا ناب وظفر على العدا فأصبحت لا يخشون نابي ولا ظفري

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للخنساء أخبريني بأفضل بيت قلته في أخيك فقالت

وكنت أعير الدمع قبلك من بكى فأنت على من مات بعدك شاغله

(وتزوج) معن بنائحة فسمعها تقول اللهم أوسع لنا في الرزق فقال لها ياهنه إنما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفي ذلك فإن كان فرح دعوني وإن كان حزن دعوك (وكان عروة بن الزبير صبورا حين يبتلى) حكى أنه خرج إلى الوليد ابن يزيد فوطىء عظما فما بلغ دمشق حتى بلغ به كل مذهب فجمع له الوليد الاطباء فاجمع رأيهم على قطع رجله فقالوا له اشرب مرقدا فقال ما أحب أن أغفل عن ذكر الله تعالى فاحمي له المنشار وقطعت رجله فقال ضعوها بين يدي ولم يتوجع ثم قال لئن كنت ابتليت في عضو فقد عوفيت في أعضاء فبينما هو كذلك إذا اتاه خبر ولده أنه طلع من سطح على دواب الوليد فسقط بينها فمات فقال الحمد لله على كل حال لئن أخذت واحدا لقد أبقيت جماعة (وقدم) على الوليد وفد من عبس فيهم شيخ ضرير فسأله عن حاله وسبب ذهاب بصره فقال خرجت مع رفقة مسافرين ومعي مالي وعيالي ولا أعلم عبسيا يزيد ماله على مالي فعرسنا في بطن واد فطرقنا سيل فذهب

ولأبي المحاسن الشواء في صديق له مات وسقط الثلج عقيب موته

لم أنسه وبنو الملوك أمامه ... يدمون للاسف الاكف عضاضا
والثلج قد غطى الربا فكأنها ... من حزنها لبست عليه بياضا

(وقال آخر) وليس صرير النعش ماتسمعونه ... ولكنه أصلاب قوم تقصفوا
وليس نسيم المسك ريا حنوطه ... ولكنه ذاك الثناء المخلف

(وقال مقاتل بن عطية يرثي الوزير نظام الملك)

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة ... يتيمة صاغها الرحمن من شرف
عزت ولم تعرف الايام قيمتها ... فردها غيرة منه إلى الصدف

(وقال آخر) وقبرت وجهك وانصرفت مودعا ... ابي وأمي وجهك المقبور

وأرى ديارك بعد وجهك قفرة . والقبر منك مشيد معمور . فالناس كلهم لفقدك واجد في كل بيت رنة وزفير * عجبا لاربع أذرع في خمسة * في جوفها جبل أشم كبير

وكان رجل توفي ولده في يوم عيد فقال

ليس الرجال جديدهم في ... ولبست حزن أبي الحسين جديدا
أيسرني عيد ولم أر وجهه ... فيه الا بعداً لذلك عيدا
فارقته وبقيت أخلد بعده ... لاكان ذاك بقا ولا تخليدا
من لم يمت فزعا لفقد حبيبه ... فهو الخؤن مودة وعهودا
مت مع حبيبك ان قدرت ولا تمش ... من بعده ذا لوعة مكمودا
مالم خشف قد ملا أحشاءها ... حذرا عليها وحفنها تسهيدا
ان نام لم تهجع وطافت حوله ... فيبيت مكارا بها مرصودا
مني بأوجع إذا رأيت نوائحا ... لأبي الحسين وقد لطمن خدودا
ولقد عدمت أبا الحسين جلادتي ... لما رأيت جمالك المفقودا
كنت الجليد على الرزايا كلها ... وعلى فراقك لم أجد تجليدا
ولئن بقيت وما هلكت فان لي ... أجلا وان لم أحصه ممدودا
لاموت لي الااذا الاجل انقضى ... فهناك لا أتجاوز المحدودا
حزني عليك بقدر حبك لا أرى ... يوما على هذا وذاك مزيدا
ماهد ركني بالسنين وانما ... أصبحت بعدك بالاسى مهدودا
ياليت اني لم أكن لك والدا ... وكذاك انك لم تكن مولودا
فقلت شقيت وربما شقي الفتى ... بفراق من يهوى وكان سعيدا
من ذم جفنا باخلا بدموعه ... فمامك جفني لم يزل محمودا
فلا نظمن مراثيا مشهورة ... تنسي الأيام كثيرا وابيدا
وجميع من نظم القريض مفارق ... ولدا له أو صاحبا مفقودا

وقال الفقيه منصور بن اسمعيل المصري

سألت رسوم القبر عمن ثوى به ... لاعلم مالاقي فقالت جوانبه
أتسأل عمن عاش بعد وفاته ... بإحسانه اخوانه وأقاربه

وقال الامام السبكي رحمه الله تعالى يرثي فضل الله العالم

مصاب ليس يشبهه مصاب لذي الالباب اذ فقد الشهاب امام قد حوى من كل علم كنوزا نحوها يسعى الركاب ليبكي كل ذي علم عليه فكم علم له ضم التراب وكم كلم موانع قد أتته ثناها وهي عاصية صعاب فسلطان البلاغ بغير شك شهاب الدين مافيه ارتياب سقى الله الكريم ثراه صوابا له من كل رضوان وضاب

(وقال الصدفي) ياغائبا في الثرى تبلى محاسنه ... الله يوليك غفرانا واحسانا
ان كنت جرعت كأس الموت واحدة ... في كل يوم أذوق الموت ألوانا

ماكان لي من أهل ومال وولد غير صبي صغير وبعير فشرد البعير فوضعت الصغير على الأرض ومضيت لآخذ البعير فسمعت صيحة الصغير فرجعت اليه فاذا رأس الذئب في بطنه وهو يأكل فيه فرجعت إلى البعير لحطم وجهي برجليه فذهبت عيناي فأصبحت بلا عينين ولا ولد ولا مال ولا أهل فقال الوليد اذهبوا به إلى عروة ليعلم ان في الدنيا من هو أعظم مصيبة منه (ومما نقلته) ماحكي عن مسلم بن الوليد انه قال كنت يوما جالسا عند خياط في بازاء منزلي فرأيت انسان اعرفه فقمت اليه وسلمت عليه وجئت به إلى منزلي لاضيفه وليس معي دراهم بل كان عندي زوج أخفاف عليه فأرسلتهما مع جارية لبعض معارفي فباعهما بتسعة دراهم واشترى بها مافته لنا من الخبز واللحم لجلسنا نأكل واذا بالباب يطرق فنظرت من شق الباب واذا بانسان يسأل هذا منزل فلان ففتحت الباب وخرجت فقال أنت مسلم بن الوليد قلت نعم واستشهدت له بالضيف على ذلك فأخرج لي كتابا لي من هذا من الأمير يزيد بن مزيد فاذا فيه قد بعثنا لك بعشرة آلاف درهم لتكون في منزلك

(وقال محمد بن عبد الله العقبي يرثى ابنا له)

أضحت بخدى للدموع رسوم   أسفا عليك وفى الفؤاد كلوم
والصبر يحمد فى المواطن كلها   إلا عليك فانه مذموم

وكتب أحمد بن يوسف إلى عمر بن سعيد يرثى بنتا له فقال

عجبا للمنون كيف أتتها   وتخطت عبد الحميد أخاكا
شملتنا مصيبتان جميعا   فقدنا هذه ورؤية ذاكا

(وله يرثى الامير بليغا) ألا انما الدنيا غرور وباطل   فطوبى لمن كفاه منها تفرغا
وما عجبى إلا لمن بات واثقا   بأيام دهر ما وعى حق بليغا

(وقال آخر) إلى الله أشكو أن كل قبيلة   من الناس قد فنى الحمام خيارها

(وقال رجل يرثى صديقا له توفى وكان من الكرماء)

ما درى نعشه ولا حاملوه   ماعلى النعش من عفاف وجود وجود

(ولبعض الكتاب فى ابن مقلة) استشعر الكتاب فقد سالفا   وقضت بضعة ذلك الايام
فلذاك سودت لدواة كآبة   أسفا عليك وشقت الاقلام

وقال الحسن بن مطير الاسدى يرثى معن بن زائدة رحمه الله تعالى

ألما إلى معن وقولا لقبره   سقتك الغوادى مربعا ثم مربعا   فياقبر معن كنت أول حفرة
من الأرض خطت للسماحة مضجعا   ويا قبر معن كيف واريت جوده   وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت   ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا   فتى عاش فى معروفه بعد موته
كما كان بعد السيل مجراه مرتعا   ولما مضى معن مضى الجود كله   وأصبح عرنين المكارم أجدعا

(قال آخر) عجبت لصبرى بعده وهو ميت   وقد كنت أبكيه دما وهو غائب

(وقال آخر) فديتك لم أصبر ولى فيك حيلة   ولكن دعانى اليأس منك إلى الصبر

(وقالت ريطة بنت عاصم)

وقفت فأبكتنى ديار عشيرتى   عن رزئهن الباكيات الحواسر   غدوا كسيوف الهند وزادحومة
من الموت أعيا وردهن المصادر   فوارس حاموا عن حريمى وحافظوا   بدار المنايا والقنا متشاجر
ولو أن سلمى نالها مثل رزئنا   لهفت ولكن تحمل الرزء عامر

ولما قتل إبراهيم بن عبد الله بن الحسين وحمل رأسه إلى المنصور أنفذها المنصور مع الربيع إلى عميه إدريس ومحمد وكانا فى حبسه وكان أبوه قائما يصلى فقال له محمد أوجز فأوجز وسلم فلما أتاه وضع الرأس فى حجره فقال أهلا وسهلا يا أبا القاسم تالله لقد كنت من الناس الذين قال الله تعالى فى حقهم الذين يوفون بعهد الله تعالى ولا ينقضون الميثاق ثم قبله بين عينيه وأنشأ يقول

فتى كان يحميه من العار سيفه   ويكفيه سوآت الامور اجتنابها

ثم قال الربيع قل لصاحبك المنصور قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعمتك أيام والملتقى غدا بين يدى الله تعالى فكان ذلك غما لا على المنصور ولم ير بعد ذلك اليوم راحة * وقيل لحسان مابالك لم ترث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم أر شيأ الا رأيته يقصر عنه والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثالث والثمانون فى ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها بأهلها والزهد فيها)

قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فوصف سبحانه وتعالى جميع الدنيا بأنها متاع

قليل

وثلاثة آلاف درهم تتجمل بها لقدومك علينا فأدخلته إلى دارى وزدت فى الطعام واشتريت فاكهة وجلسنا فأكلنا ثم وهبت لضيفى شيئا يشترى به هدية لأهله وتوجهنا إلى باب يزيد بالرقة فوجدناه فى الحمام فلما خرج استؤذن لى عليه فدخلت فاذا هو جالس على كرسى وبيده مشط يسرح به لحيته فسلمت عليه فرد أحسن رد وقال ما الذى أقعدك عنا قلت ذات اليد وأنشدته قصيدة مدحته بها فقال تدرى لم أحضرتك قلت لا أدرى قال كنت عند الرشيد منذ ليال أحادثه فقال لى يا يزيد من القائل فيك هذه الابيات

سل الخليفة سيفا من بنى مضر
يمضى فيخترق الاجسام والهاما
لا يتقى عماهم به كالدهر
قد أوسع الناس انعاما وارغاما فقلت والله لا أدرى يا أمير المؤمنين فقال سبحان الله أيقال مثل هذا ولا تدرى من قاله فسألت فقيل لى هو مسلم بن الوليد فأرسلت اليك فانهض بنا إلى الرشيد فسرنا اليه واستؤذن لنا فدخلنا عليه فقبلنا الأرض وسلمت

قليل وأنت أيها الانسان تعلم أنك ماأوتيت من القليل إلا قليلا ثم ان تمتعت به فهو لعب ولهو لقوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وقال تعالى وإن الآخرة لهى الحيواة لو كانوا يعلمون فلا ينبغ أيها العاقل حياة قليلة تفنى بحياة كثيرة تبقى كما قال ابن عياض وكانت الدنيا ذهبا يفنى والآخرة خزفا يبقى لوجب علينا أن نختار ما يبقى على ما يفنى ثم تأمل بعقلك هل آتاك الله من الدنيا مثل ما أوتى سليمان عليه الصلاة والسلام حيث ملكه الله تعالى جميع الدنيا من أنس وجن ويسخر له الريح والطير والوحوش ثم زاده الله تعالى أحسن منها حيث قال هذا اعطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ماعدها نعمة مثل ماعدد تموها ولا حسبها رفعة مثل ماحسبتموها بل خاف أن يكون استدراجا من حيث لا يعلم فقال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر وهذا فصل الخطاب لمن تدبر هذا وقد قال لك ولجميع أهل الدنيا فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وإن كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال لى رسول الله ﷺ ألا أريك الدنيا بما فيها قلت بلى يارسول الله فأخذ بيدى وأتى إلى واد من أودية فاذا مزبلة رؤس الناس وعذارت وخرق بالية وعظام البهائم فقال ياأبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص حرصكم وتأمل آمالكم وهى اليوم صارت عظاما بلا جلد ثم هى صائرة عظاما رميما وهذه العذارت ألوان أطعمتهم اكسبتوها من حيث اكتسبتموها فى الدنيا فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية رياشهم أصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التى كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما رحنا حتى اشتد بكاؤنا وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل على النبى ﷺ وهو على سرير من الليف وقد أثر الشريط فى جنبه فبكى عمر رضى الله تعالى عنه فقال رسول الله ﷺ مايبكيك ياعمر فقال تذكرت كسرى وقيصر وما كان فيه من سعة الدنيا وأنت رسول الله وقد أثر الشريط بجنبك فقال ﷺ هؤلاء قوم عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا ونحن قوم أخرت لنا طيباتنا فى الآخرة وروى عن الضحاك لما أهبط الله آدم وحواء إلى الأرض ووجدا ريح الدنيا وفقد ريح الجنة غشى عليهما أربعين يوم من نتن الدنيا وعن ابن معاذ قال الحكمة تهوى من السماء إلى القلوب فلا تسكن فى قلب فيه أربعة خصال ركون إلى الدنيا وهم عدو وحسد أخ وحب شرف وعن النبى ﷺ أنه قال لعلى ياعلى أربع خصال من الشقاء جمود العين وقسوة القلب وبعد الأمل وحب الدنيا وروى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء العينين أنيابها بادية مشوهة الخلق لا يراها أحد الاهرب منها فتشرف على الخلائق أجمعين فيقال لهم أتعرفون هذه فيقولون لا نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التى تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها وعن الفضيل بن عياض أنه قال جعل الخير كله فى بيت واحد وجعل مفتاحه الزهد وجعل الشر كله فى بيت واحد وجعل مفتاحه حب الدنيا وقيل إن الدنيا مثل ظل الإنسان ان طلبته فر وإن تركته تبعك وفيه قال بعضهم

إنما الرزق الذى تطلبه ... يشبه الظل الذى يمشى معك
أنت لا تدركه متبعا ... وهو وإن وليت عنه تبعك

(وقد شبهها بعضهم بخيال الظل فقال)

رأيت خيال الظل أعظم عبرة ... لمن كان فى علم الحقائق راقى
شخوصا وأصواتا يخالف بعضهم ... لبعض وأشــكال بغير وفاق

فرد على السلا فأنشدته مالا فيه من شعر فأمر لى بمائتى الف درهم وأمر لى يزيد بمائة وتسعين الف درهم وقال ما ينبغى لى أن أساوى أمير المؤمنين فى العطاء (نادرة) قيل ترافق رجلان فى طريق فلما قربا من مدينة من المدن قال أحدهما للآخر قد صار لى عليك حق وإنى رجل من الجان ولى اليك حاجة قال وما هى قال إذا وصلت إلى المكان الفلانى من هذه المدينة فهناك عجوز عندها ديك فاشتره منها واذبحه فقال له الآخر وأنا أيضا لى اليك حاجة قال وماهى قال إذا ركب الجنى انسانا ما يعمل له قال تشد ابهاميه بسير من جلد اليحمور وتقطر فى أذنيه من ماء السذاب أربعا وفى السرة ثلاثة فان الراكب له يموت ثم تفرقا ودخل الانسى ففعل ماأمره به الجنى من شراء الديك وذبحه فلم يشعر بعد أيام إلا وقد أحاط به أهل صبية من تلك البلدة وقالوا له أنت ساحر ومن حين ذبحت الديك سلبت صبية عندنا عقلها فلا نفلتك الا إلى صاحب المدينة قال فقلت لهم ائتونى بسير

تجيء وتمضى بابة بعد بابة   وتفنى جميعا والمحرك باقى

(وما أحسن ما قال سليمان ابن الضحاك)

ما أنعم الله على عبد   بنعمة أوفى من العافيه   وكل من عوفى فى جسمه
فانه فى عيشة راضية   والمال حلو حسن جيد   على الفتى لكنه عاريه
ما أحسن الدنيا ولكنها   مع حسنها غدارة فانيه

وتوفى رجل من كندة فكتب على قبره هذه الابيات

ياواقفين ألم تكونوا تعلموا   ان الحمام بكم علينا قابل   لو تنزلون بشعبنا لعرفتموا
أن المفرط فى التزود نادم   لاتستعزوا بالحياة فانكم   تبنون والموت المفرق هادم
ساوى الردى ما بيننا فى حفرة   حيث المخدم واحد والخادم

(وقال آخر) عن قليل أصير قوم يراب   تقول الرفاق هذا فلان
صار تحت التراب عظما رميما   وجفاه الاصحاب والخلان

(وما أحسن ما قال عبد الله بن طاهر)

أليس إلى ذا صار آخر أمرنا   فلا كانت الدنيا القليل سرورها
فلا تعجبى يانفس مما ترينه   فكل امور الناس هذا مصيرها

(وقال شرف الدين بن أسد)

يامن تملك ملكا لا بقاء له   حملت نفسك آثاما واوزارا
هل الحياه بذى الدنيا وان عذبت   الا كطيف خيال فى الكرى زارا

(وقال بعضهم) وغاية هذى الدارلذة ساعة   ويعقبها الاحزان والهم والندم
وهاتيك دار الامن والعز والتقى   ورحمة رب الناس والجود والكرم

(وقال غيره) حسنت ظنك بالايام اذ حسنت   ولم تخف سوء مايأتى به القدر
وسألتك الليالى فاغتررت بها   وعند صفو الليالى يحدث الكدر

(وقال آخر) فان كنت لاتدرى متى الموت فاعلمن   بأنك لاتبقى إلى آخر الدهر

أين آدم أين الاولون والآخرون أين نوح شيخ المرسلين أين إدريس رفيع رب العالمين أين إبراهيم خليل الرحمن أين موسى الكليم من بين سائر النبيين أين عيسى روح الله وكلمته رأس الزاهدين وامام السائحين أين محمد خاتم النبين أين أصحابه الابرار أين الامم الماضية أين الملوك السالفة أين القرون الخالية أين الذين نصبت على مفارقهم التيجان أين الذين قهروا الابطال والشجعان أين الذين دانت لهم المشارق والمغارب أين الذين تمتعوا باللذات والمشارب أين الذين تاهوا على الخلائق كبرا وعتيا أين الذين راحوا فى الحلل بكرة وعشيا أين الذين اغتروا بالاجناد أين الوزراء والقواد أين أصحاب السطوة والاعوان أين أصحاب الامرة والسلطان أين أصحاب الاعمال والولايات أين الذين خفقن على رؤسهم الالوية والرايات أين الذين قادوا الجيوش والعساكر أين الذين عمروا القصور والدساكر أين الذين أعطوا النصر فى موطن الحرب والمواقف أين الذين آمنوا بسطوتهم كل خائف أين الذين ملؤا ما بين الخافقين فخرا وعزا أين الذين فرشوا القصور حرايروقزا أين الذين تضعضعت لهم الأرض هيبه وعزا هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا أفناهم الله مفنى الامم وأبادهم مبيد الرمم وأخرجهم من سعة القصور إلى ضيق القبور تحت الجنادل والصخور فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم لم ينفعهم ماجمعوا ولا أغنى عنهم ما اكتسبوا أسلمهم الاحباء والاولياء وهجرهم الاخوان

والاصفياء

من جلد اليحمور وقليل من ماء السذاب ودخلت على الصبية فربطت ابهاميها وقطرت ماء السذاب فى أذنيها فسمعت صوتا يقول آه علمتك على نفسى ثم مات من ساعته وشفى الله تلك الشابه واليحمور دابة وحشية لها قرنان طويلان كأنهما منشاران تنشر بهما الشجر وقيل هو كالايل يلقى قرنيه كل سنة وهما صامتان وقال الجوهرى هو الحمار الوحشى (من اللطائف) ماحكاه أبو الفرج فى كتاب النساب وابن الكردبوس فى الاكتفاء قال كانت عند أبى العباس السفاح أم سلمة بنت يعقوب بن عبد الله المخزومى وكان قد أحبها حبا شديدا ووقعت فى قلبه موقعا عظيما فحلف لها أن لايتخذ عليها سرية ولايتزوج عليها امرأة فوفى لها بذلك فخلا به خالد بن صفوان يوما وقال له ياأمير المؤمنين فكرت فى أمرك وسعة ملكك وأنك قد ملكت نفسك امرأة واقتصرت عليها فاذا مرضت مرضت واذا حاضت حضت وحرمت نفسك التلذذ بالسرارى واستظراف

والأصفياء ونسبهم الاقرباء والبعداء لو نطقوا لأنشدوا

مقيم بالحجون رهين رمس ... واهلي راحلون بكل واد

كأني لم أكن لهموا حبيبا ... ولا كانوا الأحبة فى السواد

فعرجوا بالسلام فان أبيتم ... فأومو بالسلام على البعاد

وقالوا لا فخر يزول ولا غنى فيما لا يبقى وهل الدنيا إلا كما قال بعض الحكماء المتقدمين قدر يغلى وكنيف يملى وفى هذا المعنى قال الشاعر

ولقد سألت الدار عن أخبارهم ... فتبسمت عجبا ولم تبدى

حتى مررت على الكنيف ... أموالهم ونوالهم عندى

ولقد أصاب ابن السماك حيث قال للرشيد لما قال له عظنى وكان بيده شربة ماء فقال له يا أمير المؤمنين لو حبست عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك قال نعم قال يا أمير المؤمنين لو شربتها وحبست عن الخروج أكنت تفديها بملكك قال نعم فقال له لا خير فى ملك لا يساوى شربة ولا بولة وقال ابن شبرمة إذا كان البدن سقيما لم ينفعه الطعام وإذا كان القلب مغرما لم تنفعه الموعظة وروى أن أبا العتاهية مر بدكان وراق وإذا بكتاب فيه

لا ترجع الأنفس عن غيها ... مالم يكن منها لها زاجر

فقال لمن هذا البيت فقيل لأبى نواس قال للخليفة هرون الرشيد حين نهاه عن حب الجمال وعشق الملاح فقال وددت انه لى بنصف شعرى (ومن) استبصر من أبناء الملوك فرأى عيب الدنيا وتقضيها وزوالها ابراهيم بن أدهم بن منصور كان من أبناء ملوك خراسان من كورة بلخ لما زهد الدنيا زهد فى ثمانين سريرا قال ابن بشار سألت ابراهيم بن أدهم كيف كان بدء أمرك حتى صرت إلى هذا فقال أن أبى من ملوك خراسان وكان قد حبب الى الصيد فبينما أنا راكب فرسى وكلبى معى اذ رأيت ثعلبا أو أرنبا فحركت فرسى نحوه فسمعت نداء من ورائى يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر أحدا فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت فرسى فسمعت نداء أعلى من الأول يا إبراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر شيئا فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت فرسى فسمعت النداء من قربوس سرجى يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت وقلت هيهات جاءنى النذير من رب العالمين والله لا عصيت ربى ما عصمنى بعد يومى هذا فتوجهت إلى أهلى وخلفت فرسى وجئت الى بعض رعاة أبى فأخذت جبته أو كساءه والقيت اليه ثيابى فلم أزل أرض تقلنى وأرض تضعنى حتى صرت إلى العراق فعملت بها أياما فلم يصف لى شىء من الحلال فسألت بعض المشايخ عن الحلال فقال عليك بالشام قال فانصرفت الى بلد يقال لها المنصورية فعملت بها أياما فلم يصف لى شىء من الحلال فسألت بعض المشايخ فقال ان أردت الحلال فعليك بطرسوس فان المباحات بها والعمل فيها كثير فانصرفت اليها قال فبينما انا قاعد على باب البحر إذ جاءنى رجل فاكترانى أنظر له بستانا فتوجهت معه فأقمت فى البستان اياما كثيرة فاذا خادم له قد اقبل ومعه اصحاب ولو علمت أن البستان لخادم ما نظرته فقعد فى مجلسه ثم قال يا ناظورنا فأجبته قال اذهب فأتنا بأكبر رمان تقدر عليه وأطيبه فأتيته برمان فكسر الخادم واحدة فوجدها حامضة فقال يا ناظورنا أنت منذ كذا وكذا فى بستاننا تأكل من فاكهتنا ورماننا ولا تعرف الحلو من الحامض فقلت والله ما أكلت من فاكهتكم شيئا ولا اعرف الحلو من الحامض قال فغمز الخادم اصحابه وقال الا تعجبون من هذا ثم قال لى لو كنت إبراهيم بن ادهم ما كنت بهذه الصفة قال ثم تحدث

الجوارى ومفرقة اختلاف حالاتهن واجناس التمتع بما تشتهى منهن فمنهن يا أمير المؤمنين الطويلة الغيداء والمتيقة الادماء والزهية السمراء والمولدات المغنيات اللواتى يفتن بحلاوتهن ولو رايت يا أمير المؤمنين السمراء واللعساء من مولدات البصرة والكوفة وذوات الألسن العذبة والقدودة المهفهفة والاوساط المختصرة والثدى النواهد المحققة وحسن زيهن وشكلهن لرأيت فتنا ومنظرا حسنا وأين انت يا أمير المؤمنين من بنات الاحرار والنظر إلى ما عندهن من الحياء والتخفر والدلال والتعطر ولم يزل خالد يجيد فى الوصف ويكثر فى الاطناب بحلاوة لفظه وجودة كلامه فلما فرغ قال له ابو العباس ويحك والله ما سلك مسامعى قط كلام احسن مما سمعته منك فأعده على فأعاده عليه وزاد فيه ثم انصرف خالد وبقى العباس متفكرا مغموما فدخلت عليه ام سلمة وكانت تبره كثيرا وتتحرى مسرته وموافقته فى جميع ما أراده فقالت له مالى اراك مغموما يا امير المؤمنين فهل حدث أمر

الناس بذلك وجاءوا إلى البستان فلما رأيت كثرة الناس اختفيت والناس داخلون وأنا هارب منهم وكل يأكل من كسب يده وكان يحصد ويحفظ البساتين ويعمل فى الطين فبينما هو يوما يحرس كرما إذا مر به جندى فقال اعطنا من هذا العنب فقال له إن صاحبه لم يأذن لى فضربه بالسوط. فطأطأ رأسه وقال اضرب رأسا طالما عصى الله ياسيدى الجندى فاستحى الرجل وتركه ومضى * وروى أن داود عليه الصلاة والسلام بينما هو يسيح الجبال إذ مر على غار فيه رجل عظيم الخلقة من بنى آدم ملقى على ظهره وعند رأسه حجر محفور مكتوب فيه أنا دوسم الملك تملكت ألف عام وفتحت ألف مدينة وهزمت ألف جيش وافتضيت ألف بكر من بنات الملوك ثم صرت إلى ماترى التراب فراشى والحجر وسادى فمن رآنى فلا تغره الدنيا كما غرتنى * وقال وهب بن منبه خرج عيسى عليه الصلاة والسلام ذات يوم مع أصحابه فلما ارتفع النهار مروا بزرع قد أفرك فقالوا يانبى الله انا جياع فأوحى الله تعالى اليه أن ائذن لهم فى قوتهم فأذن لهم فتفرقوا فى الزرع يفركون ويأكلون فبينما هم كذلك إذ جاء صاحب الزرع يقول زرعى وأرضى ورثتها من أبى وجدى فبإذن من تأكلون ياهؤلاء. قال فدعى عيسى ربه أن يبعث جميع من ملكها من لدن آدم إلى تلك الساعة فاذا عند كل سنبلة ماشاء الله من رجل وامرأة يقولون أرضنا ورثناها عن آبائنا وأجدادنا ففر الرجل منهم وكان قد بلغه أمر عيسى ولكن لا يعرفه فلما عرفه قال معذرة اليك يانبى الله انى لم أعرفك زرعى ومالى حلال لك فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام وقال ويحك هؤلاء كلهم ورثوها وعمروها ثم ارتحلوا عنها وأنت مرتحل عنها ولاحق بهم ليس أرض ولا مال ولما مات اسكندر قال ارسطاطاليس أيها الملك لقد حركتنا بسكونك وقال بعض الحكماء من أصحابه لقد كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس أخذه أبو العتاهية فقال

كفى حزنا بدفنك ثم إنى ... نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت فى حياتك لى عظات ... وأنت اليوم أوعظ منك حيا

(وقال عبد الله بن المعتز)

تسير إلى الآجال فى كل ساعة ... فأيامنا تطوى وهن مراحل
ولم أرمثل الموت حق كأنه ... إذا ماتخطته الأمانى باطل
وما أقبح التفريط فى زمن الصبا ... فكيف والشيب فى الرأس شاعل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى ... فعمرك أيام تعد قلائل

(وقال) عن الله بن المعم خرجنا من المدينة حجاجا فاذا أنا برجل من بنى هاشم من بنى العباس بن عبد المطلب قد رفض الدنيا وأقبل على الآخرة فجمعتنى وإياه الطريق فأنست به وقلت له هل لك ان تعادلنى فان معى فضلا من راحلتى فجزانى خيرا وقال لو أردت هذا المكان سهلا ثم انس إلى فجعل يحدثنى فقال أنا رجل من ولد العباس كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد ونعمة طائلة ومال كثير وبذخ زائد فأمرت يوما خادما مالى ان يحشو لى فراشا من حرير ومخدة بورد بثير ففعل فانى لنائم إذا بقمع وردة قد نسيه الخادم فقمت اليه فأوجعته ضربا ثم عدت إلى مضجعى بعد اخراج القمع من المخدة فأتانى آت فى منامى فى صورة فظيعة فهزنى وقال افق من غشيتك وانتبه من رقدتك ثم انشا يقول

ياخل انك ان توسد لينا ... وسدت بعد اليوم صم الجندل
فامهد لنفسك صالحا تسعد به ... فلتندمن غدا إذا لم تفعل

فانتبهت مرعوبا وخرجت من ساعتى هاربا إلى ربى كما ترانى ثم أنشأ يقول:

تكرمه أو أتاك أما ارتمت له قال لم يكن شىء من ذلك قالت فاقصصته فجمل يكتم عنها فما تزل به حتى أخبرها بمقال الفاعلة قال سبحان الله ينصحنى وتشتمينه فخرجت من عنده وأرسلت إلى خالد عبيدا وأمرتهم بضربه والتنكيل به قال خالد وانصرفت إلى منزلى مسرورا بما رأيت من اصغاء أمير المؤمنين إلى كلامى واعجابه به بما ألقيت اليه وأما لاأشك فى الصلة فلم ألبث أن جاء العبيد فلما رأيتهم أقبلوا نحوى ايقنت بالجائزة فوقفوا على وسألوا عنى فعرفتهم نفسى فأهوى إلى أحدهم بعمود كان فى يده فبادرت إلى الدار وأغلقت الباب ومكثت أياما لاأخرج من منزلى وطلبنى أمير المؤمنين طلبا شديدا فلم أشعر ذات يوم الا بقوم هجموا على فقالوا أجب أمير المؤمنين فأيقنت الموت وقلت لم أر دم شيخ اضيع من دمى وركبت فلم أصل إلى الدار حتى استقبلنى عدة رسل فدخلت على أمير المؤمنين فوجدته جالسا فأومأ إلى الجلوس

من كان يعلم أن الموت يدركه والقبر مسكنه والبعث يخرجه وانه بين جنات مزخرفة
يوم القيامة أونار ستنضجه فكل شيء سوى التقوى به سمج ومن أقام عليه منه أسمجه
ترى الذى اتخذ الدنيا له وطنا لم يدر أن المنايا سوف تزعجه

قال وهب بن منبه أصبت على قصر غمدان وهو قصر سيف بن ذى يزن بأرض صنعاء اليمن وكان من الملوك الاجلة مكتوبا بالقلم المسندى فترجم بالعربى فاذاهى أبيات جليلة وموعظة عظيمة جميلة وهى هذه الابيات

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا من أعالى عز معقلهم فاسكنوا حفرة يا بئس ما نزلوا
ناداهمو صارخ من بعد ما دفنوا أين الاسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التى كانت محجبة وكان من دونها الاستار والكلل
فافصح القبر عنهم حين ساءلهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهرا وما شربوا فأصبحوا بعد ذاك الاكل قد أكلوا

وروى أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان معه صاحب فى بعض سياحاته فأصابهما الجوع وقد انتهيا الى قرية فقال عيسى عليه الصلاة والسلام لصاحبه انطلق فاطلب لنا طعاما من هذه القرية وأعطاه ما يشترى به فذهب الرجل وقام عيسى عليه الصلاة والسلام يصلى فجاء الرجل بثلاثة أرغفة فقعد ينتظر انصراف عيسى من الصلاة فأبطأ عليه فأكل رغيفا وكان عيسى عليه الصلاة والسلام رآه حين جاء ورأى الارغفة ثلاثة فلما انصرف من صلاته فلم يجد إلا رغيفين فقال له أين الرغيف الثالث فقال الرجل ما كانا إلا رغيفين فأكلاهما ثم مروا على وجوههما حتى أتيا على ظباء ترعى فدعا عيسى عليه الصلاة والسلام واحدا منها فجاءه فذكاه وأكلا منه فقال له عيسى بالذى أراك هذه الآية من أكل الرغيف الثالث فقال ما كانا إلا اثنين ثم مرا على وجوههما حتى جاءا قرية فدعا عيسى ربه أن ينطلق له من يخبره عن حال هذه القرية فانطلق الله له لبنة فسألها عيسى فأخبرته بكل ما أراد وصاحبه يتعجب مما رأى فقال له عيسى بحق من أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث فقال ما كانا إلا اثنين فمروا على وجوههما حتى انتهيا الى نهر عجاج فأخذ عيسى صلوات الله عليه بيد الرجل ومشى به على الماء حتى جاوز النهر فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه الصلاة والسلام بالذى أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث فقال ما كانا إلا اثنين فمروا على وجوههما حتى أتيا قرية عظيمة خربة وإذا قريب منها ثلاث لبنات عظام وقيل ثلاثة أكوام من الرمل فقال لها كونى ذهبا بإذن الله فكانت فلما رآها الرجل قال هذا مال فقال عيسى نعم واحدة لى وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف الثالث فقال الرجل أنا صاحب الرغيف الثالث فقال عيسى عليه الصلاة والسلام هى لك كلها ثم فارقه عيسى وأقام الرجل ليس معه ما يحملها عليه فمر به ثلاثة نفر فقتلوه فقال اثنان منهما للثالث انطلق إلى القرية فأتنا بطعام فانطلق فلما غاب قال أحدهما للآخر إذا جاء قتلناه واقتسمنا المال بيننا فقال الآخر نعم وأما الذى ذهب ليشترى الطعام فانه اضمر لصاحبيه السوء وقال اجعل لهما فى الطعام سما فاذا أكلاه ماتا وآخذ المال لنفسى فوضع السم فى الطعام وجاء فقاما اليه فقتلاه وأكلا الطعام فماتا فمر بهم عيسى عليه الصلاة والسلام مصروعون حولها فقال هكذا الدنيا تفعل بأهلها .

وقال الهيثم بن عدى وجد غار فى جبل لبنان زمن الوليد بن عبد الملك وفيه رجل مسجى على سرير من الذهب وعند رأسه لوح من الذهب أيضا مكتوب فيه بالرومية أنا صبا بن نواس خدمت عيصو ابن اسحق بن إبراهيم خليل الرب الاكبر وعشت بعده دهرا طويلا ورأيت عجبا كثيرا ولم أر فيما رأيت أعجب من غفل عن الموت وهو يرى مصارع آبائه ويقف على قبور احبابه ويعلم انه صائر اليهم ثم لا يتوب وقد علمت أن الاجلاف الجفاة يستنزلونى عن سريرى ويتولونه وذلك حين يتغير الزمان

فثاب إلى عقلى وفى المجلس باب عليه ستور وقد أرخيت وخلفه حركة فقال لى يا خالد منذ ثلاث لم أرك قلت كنت عليلا يا أمير المؤمنين قال أنت وصفت فى آخر دخلة لى من أمر النساء والجوارى مالم يطرق سمعى قط كلام أحسن منه فأعده على قلت نعم يا أمير المؤمنين أعلمتك أن العرب انما اشتقت اسم الضرة من الضرر وان أحدا لم يك عنده امرأتان إلا كان فى ضرر وتنغيص قال ويحك لم يكن هذا فى حديثك قلت نعم يا أمير المؤمنين ان الثلاث من النساء كاثافى القدر تغلى عليها أبدا وان الأربع شر مجموع لصاحبه يمرضنه ويسقمنه ويضعفنه وان أبكار الاماء رجال ولكن لاخصى لهن قال فقال أبو العباس برئت من قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعت منك من هذا شيئا قط قال خالد بلى والله يا أمير المؤمنين وعرفتك أن بنى مخزوم ريحانة قريش وان عندك ريحانة الرياحين وأنت تطمح بعينك إلى الاماء والسرارى قال خالد فقال لى أبو العباس

ويكثر الهزيان ويترأس الصبيان فمن أدرك هذا الزمان عاش قليلا ومات ذليلا وعن عمرو بن ميمون أنه قال افتتحنا مدينة بفارس فدللنا على منارة فيها بيت فيه سرير من الذهب عليه رجل عند رأسه لوح مكتوب فيه أنا بهرام ملك فارس كنت أعتاهم بطشا وأقساهم قلبا وأطولهم أملا وأحرصهم على الدنيا قد ملكت البلاد وقتلت الملوك وهزمت الجيوش وأذللت الجبابرة وجمعت من الاموال مالم يجمعه أحد قبلى ولم أستطع أن أفتدى به من الموت إذ نزل بى ويروى فى الاسرائيليات أن عيسى عليه الصلاة والسلام بينا هو فى سياحته اذ مر بجمجمة نخرة فسأل الله فى أن تكلم فأنطقها الله له فقالت يا نبى الله أنا بلوان بن حفص ملك اليمن عشت ألف سنة ورزقت ألف ولد وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف جيش وفتحت ألف مدينة فما كان كل ذلك الا كحلم النائم فمن سمع قصتى فلا يغتر بالدنيا فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام بكاء شديدا حتى غشى عليه ووجد مكتوب على قصر قد خربت أركانه وبادت أهله وأظلمت نواحيه هذه الابيات

هذى منازل أقوام عهدتهم ... يوفون بالعهد مذ ماتوا وبالذمم

تبكى عليهم ديار كان يطربها ... ترنم المجد بين الجود والكرم

(وقيل فى المعنى) بالله ربك كم قصر مررت به ... قد كان أعمر باللذات والطرب

نادى غراب المنايا فى جوانبه ... وصاح من بعده بالويل والحرب

(وفيه) أيها الرافع البناء رويدا ... لا يرد المنون عنك البناء

(وحكى) أن رجلين تنازعا فى أرض فانطق الله تعالى لبنة من جدار تلك الأرض فقالت انى كنت ملكا من الملوك ملكت الدنيا ألف سنة ثم صرت رميما ألف ثم سنة أخذنى خزاف وعملنى اناء فاستعملت ألف سنة حتى تكسرت وصرت ترابا فأخذنى طواب وعملنى لبنا وأنا فى هذا الجوار كذا وكذا سنة فلم تتنازعان فى هذه الأرض وأنتم عنها زائلون وإلى غيرها منقلبون والله سبحانه وتعالى أعلم (وروى) أن ملكا بنى قصرا وقال انظروا إن كان فيه عيب فاصلحوه فقال رجل أرى فيه عيبين فقالوا له وماهما قال يموت الملك ويخرب القصر قال صدقت ثم اقبل على الله وترك القصر والدنيا . وقيل سئل الخضر عليه السلام عن أحب شىء رآه فى الدنيا مع طول سياحته وقطعه للقفار والفلوات فقال أعجب شىء رأيته أنى مررت بمدينة لم أر على وجه الأرض أحسن منها فسألت بعض أهلها متى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله لم يذكر أباؤنا ولا أجدادنا متى بنيت ومازالت كذلك من عهد الطوفان ثم غبت عنها خمسمائة سنة ومررت بها فاذا هى خاوية على عروشها ولم أر أحداً أسأله وإذا رعاة غنم فدنوت منهم فقلت أين المدينة التى هنها فقالوا سبحان الله لم يذكر أباؤنا ولا أجدادنا انه كان ههنا مدينة ثم غبت خمسمائة سنة مررت بها وإذا موضع تلك المدينة بحر وإذا غواصون يخرجون منه شبه الحليه فقلت للغواصير منذ كم هذا البحر ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا أن هذا البحر من عهد الطوفان فغبت خمسمائه سنة وجئت فاذا البحر قد غاض ماؤه وإذا مكانه غيضة وصيادون يصيدون فيها السمك فى زوارق صغار فقلت لبعضهم أين البحر الذى كان ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا انه كان ههنا بحر فغبت خمسمائة عام ثم جئت إلى ذلك فاذا هو مدينة على الحالة الأولى والحصون والقصور والاسواق قائمة فقلت لبعضهم أين الغيضة التى كانت ههنا ومتى بليت هذه المدينة فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا إلا أن هذه المدينة على حالها من عهد الطوفان فغبت عنها نحو خمسمائة سنة ثم أتيت اليها فاذا عاليها سافلها وهى تدخن بدخان شديد فلم ار أحدا أسأله ثم أتيت راعيا فسألته أين المدينة قال سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا

ويحك أتكذبنى قلت أفتقتلنى ياأمير المؤمنين قال فسمعت ضحكا من وراء الستر قائلا يقول صدقت والله ياعماه هذا الذى حدثته ولكنه بدل وغير ونطق على لسانك بما لم تنطق به قال خالد فقمت عنها وتركتهما يتراودان فى أمرهما فما شعرت الا برسل أم سلمة معهم المال وتخوت ثياب فقالوا لى تقول لك أم سلمة إذا حدثت أمير المؤمنين فحدثه بمثل حديثك هذا انتهى (ومن البوائع) ما يحكى أن السلطان الملك الكامل أصبح متمرضا فأشارت عليه الاطباء باستعمال شراب ليمون شتوى فأمر بعض الخدام باحضاره فمضى الخادم واحضر شراب ليمون سائل فقال الطبيب ما طلبت الاشتويا وهذا سائل ردوه فقال الأمير صلاح الدين والله ما من عادة مولانا السلطان أن يرد سائلا فقال السلطان والله ما أرد سائلا هاتوه أحسنت والله ياصلاح الدين فما كله كان الشفاء فيه (ونظير ذلك) ما حكى انه كان بالقاهرة شاب حسن الوجه يسمى بركن الدين وله معلم اسمه إبراهيم كان ربما يتهم به وكان بعض

الا أن هذا المكان هكذا منذ كان فهذا أعجب شيء رأيته فى سياحتى فسبحان مبيد العباد ومفنى البلاد ووارث الأرض ومن عليها وباعث من خلق منها بعد رده اليها (ولبعضهم)

قف بالدار فهذه آثارهم ... تبكى الى حبه حسرة وتشوقا

كم قد وقفت بها أسائل اهلها ... عن حالها مترحما أو مشفقا

فاجابنى داعى الهوى فى رسمها ... فارقت من تهوى، وعز الملتقى

(ولبعضهم) أيها الربيع الذى قد دثرا ... كان علينا ثم أضحى أثرا أين سكانك ماذا فعلوا

خبرن عنهم سقيت المطرا ... فلقد نادى منادى دارهم رحلوا واستودعونى عبرا

وقال عيسى عليه الصلاة والسلام أوحى الله إلى الدنيا من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه يادنيا مرى على أوليائى ولا تحلى لهم فتفتنيهم وقال بعض الحكماء الدنيا كالماء المالح كلما ازداد صاحبها شربا ازداد عطشا أو كالكأس من عسل رفى أسفلة سم فالذائق منه حلاوة عاجلة وفى أسفله الموت أوكحلم النائم يفرح فى منامه فاذا استيقظ زال فرحه أو كالبرق يضىء قليلا ثم يذهب ولما بنى المأمون قصره الذى ضرب به المثل نام فيه فسمع قائلا يقول

أتبنى بناء الخالدين وانما ... بقاؤك فيها ان عقلت قليل

لقد كان فى ظل الاراك كفاية ... لمن كل يوم يقتضيه رحيل

قال فلم يلبث بعدها إلا قليلا ومات وقال

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض ... على الماء خانته فروج الاصابع

ووجد مكتوب على قصر باد أهله

هذى منازل اقوام عهدتهم ... فى خفض عيش نفيس ماله خطر

صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا ... إلى القبور فلا عين ولا أثر

ولوقيل للدنيا صنى نفسك ماعدت ماوصفها به أبو نواس بقوله

وما الناس إلا هالك وابن هالك ... وذو نسب فى الهالكين عريق

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو فى ثياب صديق

(وروى) أن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه لما رجع من صفين ودخل أوائل الكوفة أى قبر فقال قبر من هذا فقالوا قبر خباب بن الارت فوقف عليه وقال رحم الله خبابا لقد أسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا وابتلى فى جسمه آخرا ألا وان الله لايضيع أجر من أحسن عملا ثم مشى فاذا هو بقبور فجاء حتى وقف عليها وقال السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون اللهم أغفرلنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل ليوم الحساب وقنع بالكفاف ورضى عن الله تعالى ثم قال ياأهل القبور أما الازواج فقد نكحت وأما الديار فقد سكنت وأما الاموال فقد قسمت وهذا ماعندنا فاعندكم ثم التفت إلى أصحابه وقال أما انهم لو تكلموا لقالوا وجدنا خير الزاد التقوى والله سبحانه وتعالى أعلم

(الباب الرابع والثمانون فيما جاء فى فضل الصلاة على رسول الله ﷺ وهو آخر الأبواب وبه يختم الكتاب)

(ولنذكر أربعين حديثا فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم)

(الحديث الأول) عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال رسول الله ﷺ من صلى على صلت عليه الملائكة ومن صلت عليه الملائكة صلى الله عليه ومن صلى الله عليه لم يبق شىء فى السموات ولا فى

الأدباء يميل إلى هذا الصبى وله فيه غزل حسن قال الناقل فركبت يوما مع الامير صلاح الدين فمررنا على باب ذلك الصبى فوجدت ذلك الأديب قريبا من الباب فقلت له أى شىء تصنع ههنا فقال أطوف بالبيت فلعلى أستلم الركن أو أصل الى مقام ابراهيم فاستحسنت ذلك منه وسألنى الامير صلاح الدين مامعنى ذلك فغالطته فى الجواب فأقسم أن لا بد أن أخبره فأخبرته فاستحسن ذلك منه وأمر بأحضاره إلى مجلسه ونال منه راحة (وذكر ابن الجوزى فى كتاب تلقيح فهو الادباء (عن محمد بن عثمان بن أبى خيسمة السلمى عن أبيه عن جده قال بينما عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يطوف ذات ليلة فى سكك المدينة اذ سمع امرأة تقول

هل من سبيل إلى خمر فاشربها
أم من سبيل الى نصر ابن حجاج
الى فتى ماجد الاعراق مقتبل
سهل المحيا كريم غير ملجاج

الأرض إلا صلى عليه (الحديث الثانى) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على صلاة واحدة أمر
الله حافظيه أن لا يكتبا عليه ذنبا ثلاثة أيام (الحديث الثالث) قال رسول الله ﷺ من صلى على مرة
خلق الله من قوله ملكا له جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغرب راسه وعنقه تحت العرش وهو يقول
اللهم صل على عبدك مادام يصلى على نبيك (الحديث الرابع) قال رسول الله ﷺ من صلى على مرة
صلى الله عليه بها عشرا ومن صلى على عشرا صلى الله عليه بها مائة ومن صلى على مائة صلى الله
عليه بها ألفا ومن صلى على ألفا لم يعذبه الله بالنار (الحديث الخامس) قال رسول الله ﷺ من
صلى على مرة كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات (الحديث السادس)
قال رسول الله ﷺ أتانى جبريل يوما وقال يا محمد جئتك ببشارة لم آت بها أحدا قبلك وهى ان الله
تعالى يقول لك من صلى عليك من أمتك ثلاث مرات غفر الله له ان كان قائما قبل أن يقعد وان كان قاعدا
غفر له قبل أن يقوم فعند ذلك خر ساجدا لله شاكرا (الحديث السابع) قال رسول الله ﷺ من صلى على
فى الصباح عشرا محيت عنه ذنوب أربعين سنة (الحديث الثامن) قال رسول الله ﷺ من صلى على
ليلة الجمعة أو يوم الجمعة مائة مرة غفر الله له خطيئة ثمانين سنة (الحديث التاسع) قال رسول الله ﷺ
من صلى على ليلة الجمعة أو يوم الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة ووكل الله به ملكا حين يدفن
فى قبره يبشره كما يدخل أحدكم على أخيه بالهدية (الحديث العاشر) قال رسول الله ﷺ من صلى على
فى يوم مائة مرة قضيت له ذلك اليوم مائة حاجة (الحديث الحادى عشر) قال رسول الله ﷺ أقربكم منى
مجلسا أكثركم على صلاة (الحديث الثانى عشر) قال رسول الله ﷺ من صلى على ألف مرة بشر
بالجنة قبل موته (الحديث الثالث عشر) قال رسول الله ﷺ جاءنى جبريل عليه السلام وقال لى
يا رسول الله لا يصلى عليك أحد إلا ويصلى عليه سبعون ألفا من الملائكة (الحديث الرابع عشر)
قال رسول الله ﷺ الدعاء بعد الصلاة على لا يرد (الحديث الخامس عشر) قال رسول الله
ﷺ الصلاة على نور على الصراط وقال عليه الصلاة والسلام لا يلج النار من يصلى على
(الحديث السادس عشر) قال رسول الله ﷺ من جعل عبادته الصلاة على قضى الله له حاجة الدنيا
والآخرة (الحديث السابع عشر) قال رسول الله ﷺ من نسى الصلاة على أخطأ طريق الجنة
(الحديث الثامن عشر) قال رسول الله ﷺ ان لله ملائكة فى الهواء بأيديهم قراطيس من نور
لا يكتبون إلا الصلاة على وعلى أهل بيتى (الحديث التاسع عشر) قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لو عبدنا جاء يوم القيامة بحسنات أهل الدنيا ولم تكن فيها الصلاة على ردت عليه
ولم تقبل منه (الحديث العشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس بى أكثرهم
على صلاة (الحديث الحادى والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على فى كتاب
لم تزل الملائكة تصلى عليه مالم يندرس اسمى من ذلك الكتاب (الحديث الثانى والعشرون) قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين فى الأرض يبلغونى الصلاة على من أمتى
فأستغفر لهم (الحديث الثالث والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على كنت شفيعه
يوم القيامة ومن لم يصل على فأنا برىء منه (الحديث الرابع والعشرون قال رسول ﷺ يؤخر بقوم
إلى الجنة فيخطئون الطريق قالوا يا رسول الله ولم ذاك قال سمعوا اسمى ولم يصلوا على (الحديث
الخامس والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر برجل إلى النار فأقول ردوه إلى
الميزان فأضع شيئا كالأنملة معى فى ميزانه وهو الصلاة على فترجح ميزانه وينادى سعد فلان

تنميه أعراق صدق حين تنسبه
أنى وفاء عن المكروب فراج

فقال عمر رضى الله تعالى عنه لا أرى معى بالمدينة رجلا تهتف به العواتق فى خدورهن على بنصر بن حجاج فلما أصبح أتى بنصر بن حجاج فاذا هو من أحسن الناس وجها وأحسنهم شعرا فقال عمر عزيمة من أمير المؤمنين لتأخذن من شعرك فأخذ من شعره فخرج من عنده وله وجنتان كأنهما شقتا قمر فقال له اعتم فاعتم فافتتن الناس بعينيه فقال له عمر والله لا تساكننى فى بلدة أنا فيها فقال يا أمير المؤمنين ما ذنبى قال هو ما أقول لك ثم سيره إلى البصرة وخشيت المرأة التى سمع منها عمر ما سمع أن يبدو من عمر اليها شىء فدست اليه أبياتا وهى

قل للإمام الذى تخشى بوادره
مالى وللخمر أو نصر بن حجاج
لا تجعل الظن حقا أن تبينه
ان السبيل سبيل الخائف الراجى
ان الهوى زم بالتقوى لتحبسه
حتى تقر بالجام واسراج

قال فبكى عمر رضى الله

(الحديث السادس والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم فى مجلس ولم يصل على فيه إلا تفرقوا كقوم تفرقوا عن ميت ولم يغسلوه (الحديث السابع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى وكل بقبرى ملكا أعطاه أسماء الخلائق كلها فلا يصلى على أحد إلى يوم القيامة إلا بلغنى اسمه وقال يارسول الله أن فلان بن فلانة صلى عليك (الحديث الثامن والعشرون) عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أنه قال الصلاة على النبى ﷺ أمحى للذنوب من الماء لسواد اللوح (الحديث التاسع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام أن أردت أن أكون اليك أقرب من كلامك إلى لسانك ومن روحك لجسدك فأكثر الصلاة على النبى الأمى ﷺ (الحديث الثلاثون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ملكا أمره الله تعالى باقتلاع مدينة غضب عليها فرحمها ذلك الملك ولم يبادر إلى اقلاعها فغضب الله عليه وأكسر أجنحته فربه جبريل عليه السلام فشكا له حاله فسأل الله فيه فأمره أن يصلى على النبى ﷺ فصلى عليه فغفر الله له ورد عليه أجنحته ببركة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم (الحديث الحادى والثلاثون) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت من صلى على رسول الله ﷺ عشر مرات وصلى ركعتين ودعا الله تعالى تقبل صلاته وتقضى حاجته ودعاءه مقبول غير مردود (الحديث الثانى والثلاثون) عن زيد بن حارثة قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عليه فقال ﷺ صلوا على واجتهدوا فى الدعاء وقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد (الحديث الثالث والثلاثون) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على فإن صلاتكم على زكاة لكم واسألوا الله لى الوسيلة (الحديث الرابع والثلاثون) عن سهل بن سعد الساعدى أن النبى ﷺ قال لا صلاة لمن لم يصل على نبيه ﷺ (الحديث الخامس والثلاثون) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على (الحديث السادس والثلاثون) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال جزى الله عنا محمداً خيرا وجزى الله نبينا محمداً بما هو أهله فقد أتعب كاتبيه (الحديث السابع والثلاثون) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبورا وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى حيثما كنتم (الحديث الثامن والثلاثون) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ ما من أحد يصلى على إلا رد الله على روحى حتى ارد عليه (الحديث التاسع والثلاثون) قال رسول الله ﷺ أقربكم منى منزلا يوم القيامة أكثركم على صلاة (الحديث الاربعون) نقل الشيخ كمال الدين الدميرى رحمه الله تعالى عن شفاء الصدور لابن سبع أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يلقى الله وهو عليه راض فليكثر من الصلاة على فانه من صلى على فى كل يوم خمسمائة مرة لم يفتقر أبدا وهدمت ذنوبه ومحيت خطاياه ودام سروره واستجيب دعوه واعطى أمله وأعين على عدوه وعلى اسباب الخير وكان ممن يرافق نبيه فى الجنان اللهم صلى على سيد المرسلين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين الذى أنزل عليه فى محكم الكتاب العزيز تعظيما له وتوقيرا يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا فهذا خطاب خاص الخاص ولم يخاطب الله أحدا من المرسلين ولا من الأنبياء ولا رسولا بالرسالة إلا سيد خلقه محمد ﷺ فان الله تعالى نادى أبا البشر يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ويا نوح اهبط بسلام منا ويا ابراهيم اعرض عن هذا ويا داود انا جعلناك خليفة فى الأرض ويا عيسى اذكر نعمتى وقال لمحمد ﷺ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل عليك من ربك يا أيها الرسول لا يحزنك يا أيها النبى حسبك الله يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين يا أيها النبى إذا طلقتم النساء يا أيها النبى لم تحرم

تعالى عنه وقال الحمد لله الذى ذم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر ابن حجاج بالبصرة فخرجت أمه يوما بين الاذان والاقامة متعرضة لعمر فاذا هو قد خرج فى ازار ورداء وبيده الدرة فقالت يا أمير المؤمنين والله لاقفن أنا وأنت بين يدى الله تعالى وليحاسبنك الله أيبيتن عبد الله وعاصم إلى جنبيك وبينى وبين ابنى الفيافى والاودية فقال لها ان بنى لم تهتف بهما العواتق فى خدورهن ثم أرسل عمر إلى البصرة بريدا إلى عتبة فقال عتبة من أراد أن يكتب إلى أمير المؤمنين فليكتب فان البريد خارج فكتب نصر بن حجاج بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك يا أمير المؤمنين اما بعد فاسمع منى هذه الابيات

يا أيها النبي اتق الله يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وما ناداه باسمه يا محمد كغيره إلا في أربع مواضع اقتضت الحكمة أن يذكر هناك باسمه محمد ﷺ ٭ الأول قوله عز وجل وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل لأن سبب انزالها أن الشيطان صاح يوم أحد قد قتل محمد وكان ما كان فأنزل الله تعالى هذه الآية ولو قال وما رسولي لقال الاعداء ليس هو محمد فذكره باسمه لأنهم ما كانوا ينكرون أن اسمه محمد ٭ الثاني قوله عز وجل ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ٭ الثالث قوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد فلو قال وآمنوا بما نزل على رسولي لقال الاعداء ليس هو فعرفه باسمه محمد ﷺ ٭ الرابع قوله عز وجل محمد رسول الله والحكمة في ذكره هنا باسمه أنه سبحانه وتعالى قال قبلها هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فكان من الاعداء من يقول من هو رسوله الذي ارسله فعرفه باسمه فقال محمد رسول الله وسماه تعالى باسمه أحمد في موضع واحد وله حكمة وهي أن الله تعالى لما أرسل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام قال لقومه من بني إسرائيل يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي التوراة التي أنزلت على موسى ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد لأنهم كانوا يعرفونه في التوراة أحمد فناداه سبحانه وتعالى باسمه محمد ولا أحمد وإنما ذكر ذلك اعلاما به وتعريفا له وما ناداه إلا بالنبوة والرسالة فقال يا أيها النبي أنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا أي شاهدا بالإيمان للمؤمنين ومبشرا لأهل التمجيد ونذيرا لأهل التجحيد وقيل شاهدا لأهل القرآن ومبشرا لهم بالغفران ونذيرا لأهل الكفر والعصيان وقيل شاهدا لامتك ومبشرا بشفاعتك ونذيرا لمن ارتكب مخالفتك وقيل شاهدا بالمنة ومبشرا بالجنة وقوله وداعيا إلى الله باذنه أي يدعو الناس بأمر الله تعالى لي لا إله إلا الله قال تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه وسمى رسول الله ﷺ نفسه دعيا فقال أنا الداعي إلى وقوله تعالى وسراجا منيرا أي تهتدي به كما يهتدي بالسراج في ظلمة الليل (فان قلت) ما الحكمة في قوله تعالى وسراجا منيرا ولم يقل قمرا منيرا ٭ فالجواب عن ذلك أن السراج اعم من القمر لان المراد بالسراج هنا الشمس قال تعالى وجعل الشمس سراجا والشمس أعم نفعا ونورا من القمر وقيل المراد بقوله تعالى وسراجا منيرا السراج الذي يقتبس منه لان القمر لا تصل إليه إلا يدي حتى يقتبسون منه والسراج إذا كان في بلد يملأ ذلك البلد نورا لان كل من جاء يقتبس منه والقمر ليس كذلك ولهذا كانت الدنيا قبل ولادته ﷺ ظلاما فلما ولد ظهر سراج دينه بمكة فكان أول من اقتبس من الرجال أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الشباب علي ومن الموالي زيد ومن العبيد بلال رضي الله تعالى عنهم أجمعين وجاء سلمان من أرض فارس فاقتبس وصهيب من الروم وبلال من الحبشة ووفد الوفود واقتبسوا وأبو لهب إلى جانب البيت ولم يقتبس الناس من مشارق الأرض ومغاربها حتى امتلأت الأرض من نور سراجه فهو ﷺ أعظم الانبياء وأكرم المرسلين وسيد الخلق أجمعين لم يخلق الله أحسن ولا أجمل ولا أكمل ولا أفضل ولا أفصح ولا أرجح ولا اسمح ولا اصبح ولا أجل ولا اعظم ولا أسخى ولا أكرم ولا أبهى ولا انصف ولا اعدل منه ﷺ فلو ان البحار مداد والنبات اقلام وجميع الخلق تكتب معجزاته ﷺ لعجزوا عن وصف نزر النزر من معجزاته صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلنا من خالص امته واحشرنا في زمرته وامتنا على محبته ولا تخالف بنا عن ملته ولا عن جاهه برحمتك يا ارحم الراحمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد الامي عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون

تمزقني لئن سيرتني أو حرمتني وما نلت من عرضي عليك حرام
فأصبحت منفيا ملوما كأنه وبعض أماني النساء غرام
ظننت بي الظن الذي ليس بعده
بقاء ومالي جرمة فالام
فيمنعني مما تقول تكرمي وآباء صدق سالفون كرم
ويمنعها مما تقول صلاتها وحالي لها في قومها وصيام
فهاتان حالان فهل انت راجعي
فقد جب مني كاهل وسنام
قال فلما قرأ عمر رضي الله تعالى عنه هذه الأبيات قال اما ولي السلطان فلا وأقطعه دارا بالبصرة في سوقها راحلته وتوجه نحو المدينة اه (قيل) دخل بعض الشعراء على الأديب جمال الدين بن نباتة فرأى

نحمدك يامن هيأت لكسب الآداب جميع المعدات وفتحت للتحلي بأنوار آياتك سبل الخيرات ونصلي ونسلم على من كملت آدابه ورشحت بكمال البيان وإعجاز التبيان جنابه سيدنا محمد القائل إن من البيان لسحرا وعلى آله وصحبه ما أطلعت حدائق الاتباع زهرا ❊ أما بعد فقد تم بحمده تعالى طبع كتاب المستطرف فى كل فن مستظرف تأليف العلامة الفاضل واللوذعى الكامل الشيخ شهاب الدين أحمد الابشيهى رحمه الله وأعلى منزله فى دار رضاه وقد حليت طرر الجزء الأول منه بكتاب ثمرات الأوراق فى المحاضرات لمن اسمه يكفى عن التنويه بشأنه ومحاسن مؤلفاته أكبر شاهد على تفرده فى بيانه العلامة تقى الدين أبو بكر بن على المعروف بابن حجة الحموى تغمده الله برحمته وأسكنه فراديس جنته ووشيت غرر الجزء الثانى منه ببقية الكتاب المذكور ثم ذيلت هذه البقية بكتابين فى الأدب حويا من هذا الشأن لمسرح النظر فيهما كل طرب أحدهما يسمى طراز الأدب لعلامة زمانه وفريد أوانه الإمام تقى الدين بن حجة المذكور ضاعف الله له الاجور وثانيهما للفهامة الاديب واللوذعى الاريب الفاضل الشيخ إبراهيم ابن الاحدب ... له الله من احسانه بكل ما يحب فجاء هذا الكتاب حاويا من أساليب البلاغة كل طريف وتالد جامعا من اسرار الآداب كل معنى على انفراد فى بابه شاهد وذلك بمطبعة المشهد الحسينى لأصحابها أولاد المرحوم الحاج عبد الحميد أحمد حنفى فى شهر شعبان سنة ١٣٨٥ هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية آمين

فى نواحى منزله نملا كثيرا فأنشد يقول

مالى أرى ومنزلى المولى الاديب به
نملا تجمع فى أرجائه زمرا

(فأجابه ابن نباتة بقوله)

لا تعجبن اذن من نمل منزلنا
فالنمل من شأنها أن تتبع الشعرا

اهـ هذا آخر ما أردت ايراده فى هذا الذيل مما وقفت عليه من المستطرف والنكات المفتخرة والزند الوارى والتالد والطريف وغير ذلك والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(هذه فهرست ما فى النصف الثانى من كتاب المستطرف فى كل فن مستظرف من الأبواب والفصول المعرف جميعها فى ديباجة الكتاب وهى أربعة وثمانون بابا منها فى هذا النصف اثنان وأربعون كما هو موضوع بهذه الفهرست المجعولة للاستدلال على أى باب من الأبواب أو فصل من الفصول فى أى صحيفة من صحائف هذا النصف)

صحيفة

صحيفة

{ تمت }

{ فهرست بقية كتاب ثمرات الاوراق الموشى به هامش كتاب المستطرف }

﴿ فهرست الذيل الأول من كتاب ثمرات الأوراق ﴾

﴿ فهرست الذيل الثاني للثمرات أيضا ﴾

﴿ تمت ﴾